معالم التدبر

هدايات القرآن الكريم

صياغة معاصرة لأكثر من عشرة آلاف هداية
بصائر للسائرين وتذكرة للمتدبرين

أحد منتجات مشروع
مصحف التدبر

مصحف التدبر

إعداد
فريق من المتخصصين والباحثين

طبعة مدعومة
على نفقة بعض المحسنين
غفر الله لهم ولوالديهم

معالم التدبر

هِدَايَاتُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

صِيَاغَةٌ مُعَاصِرَةٌ لِأَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ آلافِ هِدَايَةٍ

بَصَائِرُ لِلسَّائِرِينَ وَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَدَبِّرِينَ

أحدُ منتجاتِ مشروعِ

مُصْحَفُ التَّدَبُّرِ

مصحف التدبر

إعدادُ

فريقٍ من المتخصصين والباحثين

طَبْعَةٌ مَدْعُومَةٌ

عَلَى نَفَقَةِ بَعْضِ المُحْسِنِينَ

غفر الله لهم ولوالديهم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

شركة معالم التدبر
هدايات القرآن الكريم. / شركة معالم التدبر .- الرياض ، ١٤٤٠هـ

٦١٩ ص ؛ ..سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٢٠١-٢-٤

١- القرآن - مباحث عامة ٢- القرآن - احكام أ.العنوان
ديوي ٢٢٩ ١٤٤٠/٤٩٩٧

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٤٩٩٧
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٢٠١-٢-٤

الإخراج الفنِّي

التصميم الداخلي: هدوان بن حسن العَوَضي

تصميم الغلاف: عوض الرضي محمد نور

الطبعة الأولى

معالم التدبر

الرياض - حي المغرزات
٠١١٤٥٤٤٧٦٣
malem@tdabbor.com
٠٥٥٧٢٦١٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وليِّ المؤمنين الصَّادقين، الذي أنزل القرآن هدًى للمتَّقين، وأمرَهم بتدبُّر كتابه المُبين، والصَّلاةُ والسَّلام على إمام المتدبِّرين، وخير خَلقِ الله أجمعين، وعلى آلهِ وصَحبه الغُرِّ المَيامين، ومن تبعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

فقد بذل علماءُ الأمَّة على مَدار العصور جهودًا عظيمةً مشكورةً في تقريب معاني القرآن الكريم وبيان مَقاصده للخاصَّة والعامَّة، فجزاهم الله عنَّا وعن المسلمين خيرَ الجزاء. ولمَّا كان لكلِّ عصرٍ لغتُه وأساليبُه، ولكلِّ حِقبةٍ من الزمان جديدُها ونوازلُها، كان المفسِّرون في كلِّ عصرٍ يضمِّنون تفاسيرَهم ما يُبرهنون به على عظَمة القرآنِ الكريم في بيان السَّبيل الأمثل في التعامُل مع ذاك الجديد.

وما يزال الناصحون يتنادون للإقبالِ على القرآن الكريم، تلاوةً، وحفظًا، وفهمًا، وتدبُّرًا؛ لِنيلِ أجْره وتحصيل برَكَته. ورغبةً في تقريب تجرِبة العَيشِ مع القرآنِ الكريم، والنَّهلِ من مَعينِه، واسْتلهامِ نُوره، كانت فكرةُ إخراج عملٍ تدبُّريٍّ، يقوم على استخلاص الهدايات من الآيات القرآنيَّة.

انطلق فريق العمل من رؤيةٍ واضحة لمفهوم التدبُّر، وهو النظرُ في آيات القرآن الكريم، والتفكُّر في معانيها؛ بقصد اتِّعاظ القلب، وامتثال الجوارح، فاستخلصَ من بطون أمَّات كتب التفسير ما يصلُح أن يكونَ بصائر تدبُّريةً وَفقَ هذا المفهوم، وتتبَّعَ ما تسنَّى له ممَّا كتبه المعاصرون من هداياتٍ وتأمُّلات، لتأتيَ مرحلةُ الصَّوغ بأسلوبٍ محكَمٍ يتَّسم بالاختصار والدقَّة والوضوح، مع العناية بإبراز جانب التزكية في الهداية والحثِّ على العمل بمُقتضاها.

ومن ثَمَّ كانت هذه الهداياتُ مستفادةً من تدبُّرات السَّلَف والخلَف، مَصوغةً في قالَبِ هداياتٍ إيمانيَّة ووِجدانيَّة، علميَّة وعمليَّة، بأسلوبٍ معاصر.

وقد استند فريقُ العمل في إنشاء الهدايات وتحريرها إلى المعايير الآتية:

١. أن تكونَ الهداياتُ موافقةً لمعنى الآية ومَقصِدها وسياقِها وَفقَ فهم السلف الصالح.
٢. أن يكونَ للهداية أثرٌ إيمانيٌّ في وِجدان القارئ يَحفِزُه إلى العمل.
٣. البعدُ عن الإغرابِ في الألفاظ والتراكيب والعبارات.
٤. مراعاة بيان معاني غريب المفردات القرآنيَّة في أثناء صِياغة الهدايات، قدر المستطاع.
٥. أن تكونَ الهدايات قصيرةً وموجَزةً ما أمكن.

مراحل الإعداد:

بتوفيق الله تعالى تضافرَت جهودُ أعضاء فريق العمل على إنجاز المشروع باتِّباع مراحلَ علميَّةٍ وعمليَّةٍ على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: الجرد والانتقاء

١. بناء خِزانة للتدبُّرات من المصادر المعتمَدة.
٢. فرزُ الهدايات المُستَخلَصة من التدبُّرات بحسَب ترتيب السُّور والآيات.
٣. انتقاء الهدايات ذات الارتباط الواضح والمباشر بالآية.

المرحلة الثانية: التنقيح والتسديد

١. فحص الهدايات من حيثُ معناها ومناسبتُها للآية، والتحقُّق من سلامتها علميًّا، وموافقتها للمعايير المذكورة.
٢. التثبُّت من أن النصوص المدرَجة هداياتٌ تدبُّرية، وليست مجرَّدَ تفسيرٍ أو بيانٍ لمعنى الآية.
٣. تقييد الملحوظات والتعليقات والاقتراحات؛ ليُفاد منها في المرحلة التالية.

المرحلة الثالثة: الصِّياغة والتحبير

١. صياغة جميع التدبُّرات والهدايات صياغةً خاصَّة بالمشروع.
٢. الاستفادة من الملحوظات والتعليقات والاقتراحات المقيَّدة في المرحلة السابقة.
٣. ضمان تطبيق معايير الصِّياغة المعتمَدة.

المرحلة الرابعة: المراجعة والتدقيق

١. مراجعة جميع الهدايات المَصوغة، وتحريرُها علميًّا ولغويًّا وأسلوبيًّا.
٢. ضبط الكلمات التي يُستحسَن ضبطها بالشكل، ومراجعة علامات الترقيم وتصحيحها حسب قواعدها المعروفة.

المرحلة الخامسة: بيان الغريب

تفسير الألفاظ القرآنيَّة الغريبة اعتمادًا على الطبعة الأخيرة المنقَّحة من كتاب «السِّراج في بيان غريب القرآن» وكتاب «الميسَّر في غريب القرآن الكريم» الصادر عن مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والإفادة من كتاب «وَجْه النَّهار الكاشِف عن معاني كلامِ الوَاحدِ القهَّار»، مع التصرُّف تحريرًا واختصارًا.

المرحلة السادسة: التقويم والتبصير

وقد تولَّى هذه المرحلة فريقٌ علميٌّ من المتخصِّصين في العقيدة والتفسير وعلوم القرآن والسنَّة واللغة العربيَّة، استعرض طائفةٌ منهم كامل المحتوى، مراعين السياق في كلِّ موضع، في حين اعتنى آخرون بالنظرة الشاملة، وضمان اطِّراد المنهج في عموم الكتاب، بيانًا وضبطًا وتنسيقًا.

المرحلة السابعة: المراجعة النهائية

١. مراجعة صياغة الهدايات واعتمادُها.

٢. تقويم تفسير غريب المفردات واعتمادُه.

وقد جُعلت الوقَفاتُ التدبُّرية والهدايات القرآنيَّة في هامش المصحف الكريم (مصحف المدينة المنورة)؛ بحيثُ تكون هداياتُ كلِّ صفحةٍ من المصحف في هامش الصفحة نفسِها، وأُثبتتْ الآيات في الهامش؛ ما يعين القارئ على الربط بين الآيات وهداياتها.

وقد أُخرج الكتاب على النسَق الآتي:

- ذِكْر اسمِ السُّورة.
- إيراد الآية أو مجموع الآيات منها بخطِّ مصحف المدينة، ملوَّنةً باللون الأخضر.
- إثبات تفسير غريب الألفاظ القرآنيَّة باللون الأزرق.
- إثبات الهدايات المتَّصلة بالآية أو الآيات تحتها مباشرة.

وقد رُجع في استخلاص أصول الوقَفات والهدايات إلى التفاسيرِ الموثوقة والمعتمَدة عند علماء أهل السنَّة والجماعة، وإلى مراجِعَ أخرى في الباب أُفيدَ منها وأُخضِعتْ لقواعدِ النَّظر في القرآن الكريم، ولِمنهج أهل السُّنّة والجماعة في التلَقِّي والاعتقادِ والسُّلوك.

هذا، وإنَّ ما أوردناه في هذا الكتاب إنما هو قُلٌّ من كُثْر، فإنَّ ما اجتمع لدى فريق العمل من هداياتٍ ووقَفاتٍ تدبُّرية يبلغ أضعافَ أضعافِ ما نُشر؛ إذ جرى الاقتصار على ما تُتيحه المِساحةُ في هامش كلِّ صفحةٍ من صفَحات المصحف، وقد أُثبِتَ في الكتاب أزيَدُ على (١٠،٠٠٠) عشَرةِ آلافِ هدايةٍ من أصل أكثرَ من (٦٠،٠٠٠) ستِّين ألفَ هداية.

وغير خافٍ على المعنيِّين أن مجال القول في التدبُّر واستخلاص الهدايات من الآيات أوسعُ وأرحَب ممَّا أُورِد هنا، فالقرآنُ بجلاله وعظمَته لا تنقضي عجائبُه، وإنه ليَحتملُ من المعاني والفوائد والعِبَر ما لا يُحصى، فلا يسوغ لأحدٍ أن يدَّعيَ الإحاطةَ أو يزعُمَ الاستيعاب.

وهذا الكتاب لَبِنةٌ من لَبِناتٍ نرجو بها استكمالَ صرح التدبُّر عمليًّا وتطبيقيًّا، وقد سُبقنا بكتبٍ تدبُّريَّة نظَريَّة وتطبيقيَّة تلقَّاها جمهورُ الدارسين والمعلِّمين بالقَبول والاحتفاء.

نرى حقًّا علينا أن نشيدَ كريمَ الإشادة بكلِّ من أسهم في إخراج هذا العمل على هذا النحو من التألُّق والتميُّز، ونخصُّ منهم:

- **مؤسَّسة محمَّد وَعبد الله إبراهيمَ السّبَيعي الخيريَّة** لِدعمها الكبير لهذا الكتاب مُذ كان فكرةً وليدة، إلى أن أضحى بينَ يدَيْ القارئ مطبوعًا ومنشورًا. تقبَّل الله عطاءهم، وزادهم من واسع فضله سخاءً في الخيرات، ورُقيًّا في مَدارِج المَكرُمات.

- **فريقَ العملِ في الهَيئة العِلميَّة** الذين بذلُوا جهدًا كبيرًا في الجَمْع والانتقاء والصِّياغة والتدقيق، وتحرِّي الدِّقة والسلامةِ لجَناب القرآن الكريم، فَراجعُوا مئاتِ الصفَحات في المراجِع والمصادِر، وأعادوا النَّظر في المحتوى المرَّة بعد المرَّة، بدأَبٍ لا يمَلّ، وعزمٍ لا يكِلّ، شكر الله لهم وجزاهم خيرًا كثيرًا.

- أصحابَ الفضيلة المشايخَ والأساتذة المهتمِّين بالتدبُّر الذين تطوَّعوا مشكورين بالإسهام في كتابة هداياتٍ واقتراح تدبُّراتٍ، وإبداءِ مَلحوظاتٍ أفاد منها فريقُ العمل، شكر الله صنيعَهم، على اختلاف أثرهم وتفاوت جهدهم، وهم: الأستاذ الدكتور محمَّد بن عبد العزيز العَواجي، والأستاذ الدكتور يوسف بن عبد الله العليوي، والأستاذة الدكتورة ابتسام بنت بدر الجابري، والدكتور مِشعل بن عبد العزيز الفَلاحي، والدكتور عَقيل بن سالم الشمّري، والدكتور عبد الله بن بلقاسم الشِّهري، والدكتورة فوزيَّة بنت صالح الخليفي، والدكتور محمَّد بن عبد الله القحطاني، والدكتور عبد الرحمن بن حسن قائد، والأستاذ عبد العزيز ابن محمد اليحيي.

- الزملاء الذين كان لهم جهدٌ في متابعة هذا المشروع والإشراف عليه إداريًّا وفنيًّا، وهم: الشيخ فهد بن إبراهيم السَّيف، والأستاذ عبد الله بن حمَّاد الحمَّاد، والأستاذ جلال بن عليٍّ سِنان، والأستاذ عبد الإله بن محمَّد الفرحان، كتب الله أجرَهم وتقبَّل عملهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

معالم التدبر

١٤٤٠هـ

الهيئة العلميَّة

الإشراف العام

الأستاذ الدكتور عمر بن عبد الله المقبل
الدكتور محمَّد بن عبد الله الرَّبيعة

المدير العلمي

الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله التويجري

المتابعة الإداريَّة والتنفيذ الفنيّ

الأستاذ هَدوان بن حسن المرشِد

جمع المادَّة العلميَّة وتقويمها

الدكتور أبو بكر بن محمَّد فوزي البَخيت
الدكتور عبد الرحمن السيِّد مصطفى
الدكتورة سمر بنت محمَّد الأرناؤوط
الدكتور محمود بن علي البعداني
الأستاذ عبد الله بن سليمان النملة
الأستاذة فاطمة بنت محمَّد الشاشي
الأستاذ إبراهيم بن عبد الله الأزرق

الصياغة والتحبير

الدكتور عبد الرحمن بن رضوان حرَش
الأستاذ عبد الله بن عبده العَواضي
الأستاذ أيمن بن أحمد ذو الغنى

المراجعة العقدية

الأستاذ عبد الله بن محمد الزهراني
الأستاذ محمد بن عمر الزبيدي

المراجعة اللغويَّة

الدكتور ياسر بن حَمدو الدرويش
الأستاذ نِضال بن محمود داوُد
الأستاذ محسن خَرابة البَدراني "رحمه الله"

التحرير النهائي

الأستاذ أيمن بن أحمد ذو الغنى

كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ
إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ

[ص: ٢٩]

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

أعوذُ: ألتجئ وأعتصِمُ.

الرَّجيم: المرجُوم، المُبعَدِ من رَحمَةِ الله.

• الاستعاذة التجاءٌ إلى الله القويّ، واتّقاءٌ لشرور الشيطان الغويّ، {فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعِذ بالله منَ الشَّيطان الرَّجيم}.

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ: أي: أبتَدِئُ قِراءَتي مُستَعينًا باسمِ الله.

ٱلرَّحۡمَٰنِ: الذي وَسِعَت رَحمَتُه جميعَ الخَلق.

ٱلرَّحِيمِ: الذي يَرحَمُ المُؤمِنين.

• أنعِم به من استهلالٍ يفتتح به المسلم تلاوته لكلام ربِّه؛ امتثالًا لأمره في أوّل ما أنزل على نبيِّه: {اقرَأ باسمِ ربِّكَ الَّذي خَلَق}.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾

رَبِّ: الرَّبُّ: المُربِّي لِخَلقِه بنِعَمِه.

ٱلۡعَٰلَمِينَ: كلُّ مَن سِوى اللهِ تعالى.

• كم نعمةٍ أسبغَها عليك تستَدعي حمدكَ إيّاه في كلِّ لمحة، وكم مِنّةٍ أسداها إليك تستوجبُ شكركَ له في كلِّ لحظة! فلا يزالُ لسانك رطبًا بالثناء عليه في كلِّ خَطرة.

• كلُّ حمدٍ لأحدٍ من العالمين فالله أَولى به، أَوَليس قد خلق لك لسانًا حامدًا، ويسَّر لك أسبابَ حمدِه؟ إنَّ حمدك إيّاه نعمةٌ تستوجبُ منك مزيدَ الحمد.

• هو ربُّ العالمين، وإليه مردُّ الأوَّلين والآخِرين، فيا خيبةَ مَن صرف شيئًا من العبادة والتعظيم، لمربوبٍ ضعيفٍ مثلِه وترك الجليلَ العظيم.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾

• سبحانه، هو وحدَه المستحقُّ لكلِّ حمد، فإن كنتَ حامدًا لأجل الكمال فإنه الله، أو للإحسان فإنه ربُّ العالمين، أو للرجاء فإنه الرَّحمنُ الرَّحيم، أو للخوف فإنه مالكُ يوم الدِّين.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾

يَوۡمِ ٱلدِّينِ: يومِ الجَزاءِ والحِساب.

• تأمَّل كيف أُفرِد يومُ الجزاء هاهنا بالذِّكر تعظيمًا له؛ فإن كلَّ مُلكٍ في الدنيا إلى زوال، ويبقى وحدَه يومئذٍ متفرِّدًا بالملك الذي لا يزول، {لمَنِ المُلكُ اليومَ لله الواحدِ القهّار}.

• ليَطمئنَّ قلبُك إلى أن الجزاء على الأرض ليس هو الجزاءَ الأخير، ولتوقِنْ أن عمُرك مهما كان محدودًا فهناك حياةٌ أخرى تنتظرك تستحقُّ أن تجاهدَ لها، وستُوفَّى فيها أجرَك غيرَ منقوص.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ: نخصُّك وحدَك بالعبادة.

وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ: لا نستعينُ في قَضاءِ حَوائجِنا إلا بكَ.



• لا يزال العبد مفتقرًا إلى إخلاص التوحيد لربِّه عبادةً واستعانة؛ لأن الشيطانَ لا ينفكُّ يزيِّن له الشِّرك، ونفسَه لا تفتأ تدعوه إلى طاعته واتِّباعه.

• عبادة الله تعالى لا تتهيَّأ إلا بمَعونته، والهدايةُ إليه لا تكون إلا بتوفيقه. فاعتقِد عجزَك، واستشعر افتقارَك، واعتصِم بحَول الله وقوَّته.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾

ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ: الطَّريقَ الذي لا عِوَجَ فيه؛ وهو الإسلام.

• الهداية أعظمُ مطلوب، وأجلُّ مرغوب، فاجعَل وسيلتَك إلى طلبِها من مَولاك: توحيدَه وإخلاصَ عبادته، وتمجيدَه والثناء عليه.

• لا نجاةَ إلا بالاهتداء إلى الصِّراط القويم، والتزام الشَّرع المستقيم، ومَن فاته الهُدى تقلَّب بين المغضوب عليهم والضالِّين، فما أشدَّ حاجتَنا إلى هداية أرحم الراحمين!

• الطريق الموصلُ إلى الله واحدٌ مقصود، وما سواه مغلقٌ مسدود، فلا تقرَع سوى بابِه، ولا تسترشد بغير رسُله وكتابِه.

• الصِّراط المستقيم طريق وسَطٌ عَدلٌ لا إفراطَ فيه ولا تفريط، في العقائد والأحكام والأخلاق والآداب، فاتَّخذه منهجًا في شؤون حياتك، واطلُبه كلَّ صلاةٍ من خالقك.

• وَقعُ أقدامك على الصِّراط في الدنيا يحكي وَقعَ أقدامك على الصِّراط في الآخرة، فانظر أين تضعُ قدميك هنا، فإنَّك ستضعُهما هنالك.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ: اليهودِ، ومَن شابَهَهُم في تَركِ العمَلِ بالعِلم.

ٱلضَّآلِّينَ: النَّصارى، ومَن شابَهَهُم في العمَلِ بغَيرِ عِلم.

• أيها المسلمُ، حذارِ أن تقتفيَ آثارَ من عدَلَ عن اتِّباع الحقِّ كِبرًا وعِنادًا، ومَن عدَلَ عنه جهلًا وضلالًا. فاعرفِ الحقَّ واتَّبع أهلَه.

• شتّانَ ما بين الفريقين؛ مَن أنعم الله عليهم بالهُدى وسدَّد سبيلَهم، ومَن غضب عليهم وأضلَّ أعمالَهم، فهنيئًا لمَن كان في الأوَّلين، وبؤسًا لمَن كان في الآخِرين.

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَقَرَةِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾

الٓمٓ: هذا القرآنُ مُؤلَّفٌ من هذِه الحُروف، ولا يستطيعُونَ الإتيانَ بمِثلِه.

لِّلْمُتَّقِينَ: مَن جعَلُوا بينهُم وبين عَذابِ الله وِقايةً بِفِعلِ الأوامِرِ وتَركِ النَّواهي.

• ما أرفعَ شأنَ القرآن، وما أبعدَه عن أن تنالَ منه شبُهات المشكّكين! فيا أيها المؤمن انهض بقلبك وعقلك إليه، ويا أيها المرتاب لن تَعدُوَ شبهاتُك القاعَ الذي أنت فيه!

• على خلاف كتُب البشر التي تُستفتَح بالاعتذار إلى القرَّاء والاعتراف بالتقصير، افتتح الله السورة بإعلانٍ صريح أنَّ هذا الكتابَ العظيم حقٌّ كلُّه، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه.

• إنه الكتابُ الوحيد الذي تقرؤه وأنت مطمئنٌّ تمام الاطمئنان، وموقنٌ كمال اليقين، بصدق كلِّ حرفٍ فيه. فاجعله صاحبَك في ليلك ونهارك.

• كلَّما اتَّقى العبد ربَّه ارتقى في مدارج الهدى والصلاح، ولا يزال في مزيدِ هدايةٍ ما دام في مزيدٍ من الورع والتقوى، فاتَّقِ ترتَقِ!

• التقوى تفتح مغاليقَ القلوب وتهيِّئها لتلقِّي أنوار الكتاب، فتحيا بالقرآن وتستجيبُ لأمره. فما أسعدَ المتَّقين!

• في تخصيص الهدى بالمتَّقين رفعٌ لقدرهم، وتنويهٌ بفضلهم، فنالوا بتقواهم الجزاء مضاعفًا؛ اهتداءً بالقرآن، وثناءً من الجليل الديَّان.

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾

• ليس الفضل والمزيَّة فحسبُ في الإيمان بما تشاهده بعينيك، ولكن في الإيمان بما لا تُدركه حواسُك ممَّا أخبر به الوحيُ وقامت الأدلَّة على صدقه.

• ألا ترى أن المتَّقين قد مُدحوا بإقامة الصلاة لا بمجرَّد أدائها؟ إن في إقامتها معنى المحافظة عليها، والوفاء بحقوقها. فيا أيها المؤمنُ، صلاتُك صِلتُك بربِّك، فأحسن الصِّلة!

• لو استحضرنا فضلَ الله علينا وعظيمَ بِرِّه بنا وجميلَ إحسانه إلينا، لكان ذلك دافعًا لنا إلى البِرِّ بعباده الضعفاء، والإحسان إلى المحتاجين والفقراء.

• مَن أيقن بالخلَف من الله الرزَّاق جادت نفسُه بالبذل والعطاء، فلا تبخل بما آتاك، وأنفِق يُنفَق عليك.

• شيوع النفقة في المجتمع المسلم يجعل الحياةَ مجالَ تعاونٍ وتراحُم، لا مُعترَكَ تطاحُنٍ وتزاحُم، ويُشعر العاجزين والضعفاء أنهم يعيشون بين قلوبٍ ونفوس، لا بين أنيابٍ ومخالب!

• أيها المؤمن، لا يطلُب الله تعالى منك أن تنفقَ في الصدقات كلَّ ما رزقك، بل يدعوك إلى أن تنفقَ ممَّا وهبك، فلا تبخل بالإنفاق في محابِّ مَن أعطاك.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾

• لا يكون متَّقيًا ولا مهتديًا مَن لم يكن منقادًا لكلام الله تعالى؛ مصدِّقًا موقنًا، فاللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الإيمان والاتِّباع.

• أحقُّ ما تعتزُّ به أيها المسلمُ هدى الله تعالى، فإن الأزمانَ تتقلَّب والأيَّام، وهو ثابتٌ كالنجم الهادي في دَياجير الظلام.

• ما أنزل الله كتبَه من السماء على رسُله الكرام إلا للإيمان بها، والعمل بأحكامها، وقد نُسخت جميعًا بالقرآن العظيم، المنزَل على رسولنا الكريم ﷺ، فما أحرانا أن نستمسكَ به؛ علمًا وعملًا، تلاوةً وتدبُّرًا!

• لم يخلقنا الله عبثًا ولن يتركَنا سدًى، فمَن آمن بيوم الجزاء الذي يتحقَّق فيه وعدُ الله ووعيده، اطمأنَّ قلبه، واجتهد في عبادته وطلبِ رضاه.

• حينما علم المتَّقون الخبرَ الصادق عن اليوم الآخر في القرآن أيقَنوا به يقينًا كاملًا تامًّا ليقينهم بالقرآن حقَّ اليقين.

• أرأيت إلى هؤلاء المتَّقين، إن يقينهم باليوم الآخر ليتجدَّد بتجدُّد الأيام، فيزداد رسوخًا في قلوبهم، وتشرق آثارُه في أعمالهم.

• ليستِ التقوى ادِّعاءً يُدَّعى، ولكنَّها إيمانٌ وعمل صالح في السرِّ والعلن، وإحسانٌ في عبادة الله، وإحسانٌ إلى عباد الله.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾

• أعظِم به من هدًى يناله المؤمنون المتَّقون! وكيف لا يكون كذلك وهو عطاءُ الجواد الكريم، وفضلُ المنَّان العظيم؟

• وعدُ الله عبدَه المؤمنَ بالنجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة يملأُ قلبَه باليقين، ألا تشعرُ بالطُّمأنينة تغشى روحَك وأنت تعلم عاقبةَ إيمانك؟

• كيف لا يتمكَّن من الهدى ويثبُت عليه ويستعلي فيه مَن جمع صلاحَ الباطن بالإيمان، وصلاحَ الظاهر بلزوم الصالحات؟

• لا يبلغ الإنسانُ رتبة الفلاح، حتى يعظُمَ حظُّه من الإيمان والصلاح.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

٣

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

• أيها الداعية، لا تأسَ إن رغب عن دعوتك فِئام، فإنَّ أعظم الدعاة ﷺ استنكفَ عن دعوته رجالٌ وأقوام، فالهداية بيد الله وحدَه، ومَن سبق عليه الشقاء، فلا ترجُ له خيرًا ولا هَناء.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

خَتَمَ ٱللَّهُ: طَبَعَ اللهُ.
غِشَٰوَةٌ: غِطاءٌ.

• القلب محلُّ الإيمان، والسَّمع والبصر طرائقُ إليه، فتعاهد قلبَك بدوام الإقبال على الله، وأصلح تلك الطرقَ باجتناب المعاصي والآثام؛ لتنتفعَ حقًّا بهدي الكريم المنَّان.

• ما أشدَّ بؤسَهم! يبصرون الهاوية أمامهم وإليها مخذولين يسيرون، وعن طرق النجاة ينصرفون، قد حجَبوا قلوبهم عن الحقِّ فهم لا يعقلون!

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

• بئسَ الرجلُ المنافقُ الخائنُ السَّريرة؛ فإنه يعرف بلسانه ويُنكر بقلبه، ويصدِّق بقوله ويخالف بعمله، يصبح على حالٍ ويمسي على غيره!

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

• عجبًا للمنافقين؛ يحتالون على جماهير الناس متظاهرين بالعقل والحكمة، وهم أجبنُ الناس عن إظهار ما يُضمرونه في نفوسهم!

• المؤمن كيِّسٌ فطِن، لا يغترُّ بظاهر المنافقين، ولا تستميله ألسنةُ الأفَّاكين، فهو أبدًا في أمانٍ من شرورهم، وسلامةٍ من مكايدهم.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

مَّرَضٌ: شَكٌّ ونِفاقٌ.

• هناك خلفَ الصدور مُضغةٌ مُستخفية، إذا صلَحَت صلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدَت فسدَ الجسدُ كلُّه، فطوبى لمَن حفظ قلبَه من علل الشبُهات، وأدران الشهَوات.

• الكذب والنفاق صِنوان، وحسبُ المؤمن زاجرًا له عن الكذب أن جعل الله عذابَ المنافقين مترتِّبًا عليه، ولا يزال المرء يكذبُ ويكذب حتَّى يُكتبَ عند الله كذَّابًا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

• صوَّر المنافقون إفسادَهم بصورة الإصلاح؛ لما في قلوبهم من مرض يُعمي البصائرَ والأبصار، حتى يرى أصحابها الباطلَ حقًّا والحقَّ باطلًا؛ {أفمَن زُيِّن له سوءُ عملِه فرآهُ حسنًا}؟!

• كم من مفسدٍ يدَّعي الإصلاح! ومتى اختلَّ ميزان الإخلاص لله في نفس العبد، اختلَّت لديه سائرُ الموازين.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

• حين تشعر بوخز المعصية وألم الذنب ومرارة الندم، فاعلم أن قلبك لا يزال حيًّا؛ فإن النفاق يُميت الشعور، ويقتل كلَّ نبضة حياةٍ في الفؤاد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

• المؤمنون هم صفوةُ الناس؛ لأن الإيمان بالله أخصُّ الفضائل الإنسانيَّة وأشرفُها، فلا يكمُل الإنسان إلا به.

• لا ينفكُّ المنافقون في كلِّ زمانٍ ومكان يدَّعون العلم والعقل، وينبزون المؤمنين بالجهل والسَّفَه، وما علموا أنه لا يرغب عن ملَّة الحقِّ إلا من سَفِهَ نفسَه!

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

• تأمَّل شدَّة الشبه بين المنافقين المارقين، واليهود الحاقدين، إنه الكذبُ والخداع، والسَّفَه والادِّعاء، وحَبْك الدسائس في الظلام. خابوا وخسروا!

• أهل النفاق نموذجٌ سافر لأصحاب الهُويَّات المضطربة، والولاءات المتناقضة، والنفوس الرخيصة، أولئك الذين يعيشون في صفَقات دائمة، يبيعون فيها ذواتَهم في أسواق الباطل.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾

وَيَمُدُّهُمْ: يَزيدُهم، ويُمهلُهم.
يَعْمَهُونَ: يتحيَّرونَ، ويَعمَونَ عنِ الرُّشد.

• استهزأ المنافقون بالمؤمنين، فاستهزأ الله بهم، وشتَّان بين استهزاء واستهزاء! فويلٌ لمَن كان الله خصمَه! وكفى بذلك تنفيرًا من النفاق وأهله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

• كانوا يتَّجرون بالنفاق؛ لتروجَ بضاعتهم عند هؤلاء وأولئك، فعاقبهم الله بنقيض قصدهم، فخسروا وخابوا إذ باعوا الهداية بأبخس ثمن.

الجُزْءُ الأَوَّلُ — سُورَةُ البَقَرَةِ

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ
ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ
يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟
بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ
ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

٤

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

• بهذا المثَل يبيِّن الله سبيلَ أهل الضَّلال تحذيرًا من الزيغ فيه؛ ليستيقنَ المؤمنون، ويتَّعظ المخدوعون، ويرتدعَ المخالفون.

• إقرار المنافق باللسان، دون التصديق بالجَنان، إنما هو كالاستضاءة بنورٍ مستعار، لا يلبث أن يذهبَ فإذا بصاحبه يتخبَّط في الظلام!

• أمَّا الحقُّ فطريق واحدٌ منير، فاسلكه واستقم فيه، وأمَّا الباطلُ فطرق متشعِّبة ما أكثرَها، وما أشدَّ ظلامها! فاحذرها وابتعد عنها.

• مثَلُ من عرف الحقَّ ثم أنكره، كمثَل قوم يستضيئون بنارٍ في حُلكة الليل، فأذهب الله ما فيها من نور، فهم يتردَّدون في ظلماتٍ بعضُها فوق بعض.

﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

• إنما خُلِقت الحواسُّ ليُستعان بها على معرفة الحقِّ، فمَن أعرض عن سماع الوحي والقول بموجبه والاهتداء بنوره، كان كالأصمِّ الأبكَم الأعمى، فأيُّ خيرٍ يُرجى منه؟!

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

كَصَيِّبٍ: كمَطَرٍ شديد.

• هكذا حالُ المنافق المتخبِّط، ينخلع قلبُه للوعيد، ويسارع طمعًا في الموعود، وإن جاءه خبرٌ عن الغيب أبلس وتحيَّر، فليس له همٌّ إلا الدنيا، وبئس ما اختار!

• كم تسكب هذه الآيةُ من التفاؤل في قلوبنا، وكم تدفعُنا إلى الثبات أمام أعدائنا، حين نوقن أن لا مهربَ لهم من بأس الله، وأننا في حِفظه ورعايته.

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

• أجارنا الله من حال المنافقين، فهم أبدًا بين خوفٍ وحَيرة يتردَّدون، فلا أمِنوا الطريقَ ولا اهتدَوا السبيل، تلك هي النفوسُ المنهزمة والجماعة المخذولة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

• الأمر بإفراد الله وتوحيده بالعبادة هو أوَّل أوامر القرآن للناس كافَّة، فليكن هذا الأمر رأسَ أعمالك، وأهمَّ وظائفك، وأولى أولويَّاتك في حياتك.

• يا مَن تروم الترقِّي في درجات التقوى، تحقَّق بالعبودية الصادقة؛ فما تقرَّب عبدٌ إلى ربِّه بمثل عبادته وإخلاص الدِّين له.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

أَندَادًا: نُظَراءَ وأمثالًا.

• بسَط الله الأرض وذلَّلها لتكون لنا كالفِراش؛ سكنًا مريحًا، وموئلًا كريمًا، فما أحرانا كلَّما مشَينا في مناكبها، ومضَينا في طرقها، أن نلهجَ بحمد ربِّنا ونشكرَ له.

• أرض تُقِلُّك، وسماء تُظِلُّك، وسكن يؤويك، ورزق يكفيك، ألا ما أكثرَ شواهدَ وحدانيَّته حولك، وما أقربَها منك! فتبصَّر يا رعاك الله.

• لا تقتصر الأندادُ على وثنٍ يُعبد من دون الله، ولكنَّها قد تكون في تعليق الرجاء بغير الله، والخوف من غير الله، والاعتقاد بنفعٍ أو ضُرٍّ من غير الله. فلنرعَ جناب التوحيد.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

• يا له من تحدٍّ للبشر جميعًا في كلِّ عصرٍ ومِصر! ألا فاعقِدوا ما شئتم من مؤتمرات، وادعُوا من استطعتم من ذوي القدُرات، إنكم لن تأتوا بسورةٍ من مثل هذا القرآن، ولا بضع آيات.

• تيقَّن أن الشكوك مهما طال أمدُها، واشتدَّ عودُها، فإن نور الحقِّ سيبدِّد ظلامها، ويمحق كِيانها؛ {بل نقذِفُ بالحقِّ على الباطلِ فيدمَغُه فإذا هو زاهِق}.

• عبوديَّتك أشرفُ أوصافك، وقد آثر نبيُّك ﷺ العبوديةَ لله تعالى على المُلك العظيم، فأضافه الله إليه؛ تشريفًا لقدره، ورفعًا لذِكره.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

• القرآن حجَّةٌ قائمة باقية، لا يزداد الإعجاز فيه مع الأيام إلا ظهورًا، فمَن صدَّق به فقد جعل بينه وبين عذاب الله سُتورًا، ومَن جحد به فقد جعل من نفسه للنار وَقودًا!

• أعظِم بها من نارٍ توقَد بأجساد المَرَقة الفاجرين، وبحجارة الأصنام التي كانوا عليها عاكفين! إنه مصيرُ العابد والمعبود بالباطل؛ {إنَّكم وما تعبدُونَ من دونِ الله حَصَبُ جهنَّم أنتم لها وارِدون}.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾

مُتَشَٰبِهٗا: في اللَّونِ والمنظرِ، لا في الطَّعم.

- كثيرًا ما تعقب آياتُ الوعد والتبشير، آياتِ الوعيد والتحذير، ليحلِّقَ المؤمنُ إلى رضا مولاه القدير، بجناحَي الرغبة والرهبة.

- أيها الداعيةُ، احمِل إلى المستجيبين للحقِّ عبيرَ البُشرَيات، ونسيمَ العاقبة الحسنة للإيمان والصالحات.

- جنَّة جمعت كلَّ اللذائذ؛ من مسكنٍ ومطعمٍ ومَنكح، وكان الخلود فيها تمامَ نعيمها، والأمانُ من زوال سُرورها، ألا تستحقُّ التشمير لها؟!

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾

- العِبرة في أمثال القرآن ليست في الأنواع والأصناف، ولا في الأشكال والأحجام، ولكنَّها أدواتٌ للتنوير والتبصير، فتأمَّلها واعتبِر بها.

- لا تحتقر شيئًا مهما كان صغيرًا؛ فقد يحمل من المواعظ والعِبر ما لا يحمِلُه ما هو أكبرُ منه.

- لا يصُدَّنَّك عن بيان حُكم الشريعة في شؤون الحياة كلِّها توهُّمك أن في بعض ذلك ما قد يغضُّ من مكانتك، أو لا يناسب أذواق أهل عصرك.

- أمَّا المصدِّقون بكلام الله فيفتحُ لهم أبوابَ فضله، ويشرحُ صدورهم لفهم مراده، فيزدادون إيمانًا ويقينًا، وأمَّا الكافرون فتشتَبِه عليهم البيِّنات، وتستغلق الواضحات.

- مَن سأل عن شيءٍ من كلام ربِّه وأحكام شرعه، فليحذَر سؤالَ المحجوبين عن نور الله وحكمته، المقطوعين عن سنَّة الله وتدبيره، مَن لا يرجون لله وَقارًا.

- من كمال الأدب مع الله أن يسألَ العبد عمَّا غَمَض عليه من كتاب ربِّه وأحكام شريعته سؤالَ الباحث عن الحقِّ، لا سؤالَ المعاند المعترض.

- يضرب الله المثلَ الواحد، ويشرَع الحكمَ الواحد، فينقسم الناس بشأنه طوائفَ شتَّى؛ بين مؤمنٍ مهتدٍ وكافرٍ ضال، {والله لا يهدي القومَ الظَّالمين}.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾

- إذا رأيتَ الرجل يجترئ على نقض عهدِ الله بترك عبادته واستدبار طاعته، فلا تثِق به، فإنه أجرأ على نقض عهوده ومواثيقه مع البشَر.

- احذر كلَّ قطيعةٍ لا يرضاها الله، ولا تكن سببًا في الفُرقة، وليكن وصلك الناسَ واعتزالك إيَّاهم وَفقَ ما يحبُّ المولى سبحانه؛ تحقيقًا للولاء والبراء فيه.

- شرَع الله للناس ما فيه صلاحُهم وهداهم في دنياهم وأُخراهم، ويأبى المنافقون إلا الإفسادَ والتضليل؛ فما أعظمَ جرأتَهم على شرع الله، وجنايتَهم على خلق الله!

- يا لها من خسارةٍ أن يُستبدَل النقضُ بالوفاء، والقطعُ بالوصال، والإفسادُ بالإصلاح، والعقابُ بالثواب!

﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨﴾

- إن أمر الكفَّار لعجَب، كيف يجحدون الله وأدلَّةُ عظمته وقدرته في أنفسهم وما يحيط بهم كثيرةٌ ظاهرة؟! (وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ / تدلُّ على أنه واحدُ).

الجزء الأول | سورة البقرة

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ
رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ
وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ۞إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ
يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ
إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ
مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ كَيۡفَ
تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ
ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ
فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩

ربع الحزب

٥

- إلى الله تعالى مرجعُ الأوَّلين والآخرين، فعلامَ يعاند الكافرون ويصرُّ المستكبرون؟! هلَّا رجعوا إلى ربِّهم الحقِّ تائبين منيبين؟

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾

ٱسۡتَوَىٰٓ: قصَدَ.

- هما نعمتان جليلتان تستحقَّان عظيمَ الشكر لله؛ تسخيرُ ما في الأرض جميعًا للناس، وتكريمُهم وتفضيلهم واستخلافهم فيها.

- إن الذي خلق سبع سماواتٍ طباقًا أهلٌ لأن يُشكرَ صنعُه، ويُطاعَ أمرُه، ويُقامَ في الأرض منهجُه وشرعُه. فطوبى لمَن عرَف فلزم.

- شمولُ علمِه سبحانه كشمول تدبيره، إنه ليَحفِزُ إلى الإيمان به وحدَه، والإقرار بكماله، وإفراده بالعبادة والطاعة.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ
ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ
أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ
لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ
أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ
فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤ وَقُلْنَا
يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا
ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ
ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧

٦

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾

خَلِيفَةً: أقوامًا يَخلُفُ بعضُهم بعضًا.
وَنُقَدِّسُ لَكَ: نُمجِّدُكَ ونُطهِّرُ ذِكرَكَ عمَّا لا يَليق.

• أنت أيها الإنسانُ مستخلَفٌ في الأرض، وكلُّ ما فيها مسخَّرٌ لك، فلا تُذِلَّ نفسَك أو تستعبِدْها لشيءٍ ممَّا قد خُلِق لك.

• قد رضيَ اللهُ لعَبيده أن يسألوه عن حِكمته في صُنعه، وما يخفى عليهم من أسرار خَلقه، فلا جُناحَ أن نسألَ عمَّا غاب عنَّا من حِكَم تشريعه، مع الدعاء بأن يُفيضَ علينا سبحانه من خزائن علمه.

• إنما جُعِلت الخلافة في الأرض ليُعبدَ اللهُ وحدَه، ويُثنى عليه بما هو أهلُه، ويُنـزَّه عن كلِّ ما لا يليق بجلاله وكماله، فأين الحاملون للأمانة بحقِّها؟

• إذا كان من أسرار الله تعالى وحِكَمه ما يخفى على الملائكة الكرام، فالإنسان أَولى بأن يخفى عليه من ذلك؛ {وما أوتيتم من العِلم إلَّا قليلًا}.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢﴾

• استسلمَتِ الملائكةُ لأمر ربِّها، وأقرَّت بعجزها عن أن تحيطَ بعِلمه، وكذلك ينبغي أن يكونَ العبد مع ربِّه؛ اعترافًا بضعف نفسه، وطلبًا لفضله ورزقه.

• لولا تعليمُ الله إيَّاك ما تعلَّمت، ولو شاء سبحانه ما فهمتَ ولا عقلت، فاعرف قدرَ نفسك، وانسُب الفضلَ إلى خالقك، وسَله العلمَ والفهم.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣﴾

• طهِّر باطنك، كما تجتهد في صيانة ظاهرك، فإنَّ قلبك محلُّ نظره سبحانه، فلا تجعله أهونَ الناظرين إليك، ومن أصلح باطنه أصلح اللهُ ظاهرَه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾

• أمر اللهُ الملائكةَ بالسجود لآدم؛ طاعةً له سبحانه وتعظيما، وتشريفًا لأبينا وتكريما، فمَن طلب الرفعة بغير طاعة الله واتِّباع أمره ذلَّ وهان.

• لم يُفِد إبليسَ علمُه ولم تنفعه سابقُ طاعته، لمَّا أبى الحقَّ واستكبر، ولنا في مصيره عِبرة.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾

رَغَدًا: تمتُّعًا هنيئًا واسِعًا.

• في إسكان آدمَ الجنَّةَ إشعارٌ له ولذرِّيته بداره بعد استخلافه، إنه التشويقُ الأعظم إلى الجزاء، قبل التكليف والابتلاء.

• لا بدَّ في الحياة الدنيا من محظورٍ ممنوع؛ لتنبتَ في النفوس الإرادة، ويتفاضلَ الناس فيما بينهم، فشتَّان بين متَّبعٍ لهواه، وصابرٍ على مخالفته طلبًا لرضا مولاه!

• القرب من المحرَّمات يقتضي إلفَها، وإلفُها يستدعي محبَّتها، وحبُّ الشيء يُعمي ويُصِم، فاجتنب الحِمى فمَن حامَ حوله يوشك أن يرتعَ فيه!

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦﴾

فَأَزَلَّهُمَا: فأوقعهما في الخطيئة.

• تيقَّظ أيها الإنسان، فأنت في هذه الدنيا جنديٌّ في الميدان، فإمَّا غنيمةٌ ونصر، وإمَّا خزيٌ وخُسران.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾

• ما أسرعَ ما شرع الله للمخطئين بابَ التوبة، وما أكرمَ ما يسَّر لهم ولوجَ ذلك الباب! فإيَّاكم والقنوط من رحمة الله، فإنَّ خير الخطَّائين التوَّابون.

• علَّمه كيف يتوب، ثم وفَّقه للتوبة وقبِلها منه، ألا ما أوسعَ رحمتَه، وما أبلغَ عفوَه! إنه الله التوَّاب الرحيم.

• جعل هبوطَ عبده سببًا في ارتفاعه، وبُعدَه سببًا في قُربه، جلَّ من توَّابٍ كريمٍ سبقت رحمتُه غضبَه!

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟
ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ الحزب
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

٧

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

• ليس ثَمَّة طريقٌ ثالث؛ إمَّا سبيلُ خالقك الرحمن، وإمَّا سُبل عدوِّك الشيطان، فيا أيها المستخلَفُ في هذه الأرض أيَّ الطريقين تختار؟

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

• صُحبة النار هي صُحبة عذابٍ وشقاء، وهوانٍ وعناء، نعوذ بالله تعالى منها وممَّا قرَّب إليها من قولٍ أو عمل.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

فَٱرْهَبُونِ : فخافُونِ.

• الكريم من الناس إذا ذُكِّر بنعمة مَن أحسن إليه استحيا منه، وكفَّ نفسَه عن مخالفته، فكيف لو ذُكِّر بنِعَم سيِّد المُنعمين، وأكرم المُعطين؟

• مَن أوفى بعهد الله تعالى؛ فوحَّده وعظَّم أمره وشرعه، أحياه الله حياةً طيِّبة، وأدخله الجنَّة كرمًا منه وتفضُّلًا.

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾

• تبصَّر أيها العاقلُ في آيات القرآن، فما من آيةٍ فيه إلا وتدعوك إلى الإيمان به، ولا يبتغي أحدٌ بالقرآن الحقَّ إلا صدَّق به، واهتدى بهديه.

• حذارِ أن تفتحَ على الناس باب شرٍّ، أو أن تسُنَّ لهم سنَّة سوء، فتبوءَ بإثمها وإثم مَن عمل بها إلى يوم الجزاء.

• لئن ملكَ العبدُ الدنيا بتحريفه للدِّين، وتبديله لأحكام الشَّرع القويم، إنه لفي خُسرٍ مبين؛ فاعجَب لمَن يؤثر عرَضًا قليلًا زائلًا على ما يوجب النعيمَ المقيم!

• هو وحدَه سبحانه المستحقُّ أن يُتَّقى؛ باتِّباع أمره، والاستسلام لحُكمه، فطوبى لمَن أخلص لربِّه الطاعةَ والتعظيم، ولم يخشَ إلا اللهَ العزيزَ العظيم.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

وَلَا تَلْبِسُوا۟ : ولا تخلطوا.

• يا له من تحذيرٍ لكلِّ من تسوَّل له نفسُه خلطَ الحقِّ الذي بيَّنه الله وجَلَّاه، بما يفتريه ويزيِّنه له عقلُه وهواه! إنها سيرةُ اليهود من قبلُ، وقد خاب من اتَّبع سَنَنهم، واقتفى أثرهم.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

• قُدِّمت الصلاة؛ لأنها أفضلُ العبادات البدنيَّة، فقدِّمها. وقُرنت بالزكاة، وهي أفضلُ العبادات الماليَّة، فلا تؤخِّرها.

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

• كما أن تلاوتك سببٌ لزيادة علمك، فليكن علمُك سببًا لتزكيتك، وليكونا زادكَ في الدعوة إلى سبيل ربِّك، وقد أفلح من زكَّى نفسَه بالعلم والعمل.

• أمرُك بالمعروف ونهيُك عن المنكر إرشادٌ لغيرك إلى المصلحة وتحذيرٌ له من المفسدة، وهو إحسانٌ مطلوب، لكن لا تنسَ نفسك التي بين جنبَيك فهي أولى بالإحسان.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

• إن أردتَ التعاليَ على فتن الشهوات، والصمودَ أمام أمواج الشبُهات، فتسلَّح بالصبر، ووثِّق حصونك بالصِّلة بالله عزَّ وجلَّ.

• الصبر والصلاة قرينان متلازمان، ولا سبيلَ إلى المحافظة على الصلاة إلا بزادٍ من الصبر، ولا يغذِّي الصبرَ ويقوِّيه مثلُ الصلاة.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

يَظُنُّونَ : يُوقِنُون.

• مَن تيقَّن الموت على الدَّوام، لم يُفارقه الخشوعُ في كلِّ آن؛ لأن استحضار الموت يقوِّي دواعيَ التوبة والقنوت، والقانتُ يخشى من التقصير.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

• يناديهم ربُّهم، ويذكِّرهم نعمَه ومِننَه عليهم، وهم عنه مُعرضون، ولفضله جاحدون، ألا ما أوسعَ حِلمَ الله على عباده!

• التفضيل والاصطفاء يقتضيان القيامَ بأمر الله تعالى امتثالًا وانتهاء، فيا أمَّة الإسلام، قد اصطفاكِ الله على العالمين، فكوني على قدر الاصطفاء.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

عَدْلٌ : فِدية.

• مَن أيقن أنه لا استدراكَ بعد الموت، ولا دافعَ لعذاب الله؛ هانت الدنيا في عينيه، وأقبل على طاعة ربِّه في ليله ونهاره.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ
ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم
مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ
مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

٨

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

يَسُومُونَكُمْ: يُذيقونَكم.

بَلَآءٌ: اختِبارٌ.

• كم دفع الله عنك من البلاء في سابق دهرك! فتذكَّر نعمَه عليك، واشكر له فضله؛ عسى أن يوفِّقَك في مستقبلك، ويُحسنَ عاقبتَك وختامك.

• الشدَّة امتحانٌ من الله يشدُّك به إليه، فإن قادك بسلاسل البلاء فاعلم أنه يريد لك الخيرَ والنجاة، فانقد إليه بصدق التوبة، وطُهر الأوبة.

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

فَرَقْنَا: فصلنا.

• أذلَّ الله الطغاة وأعزَّ الضعفاء في ساعةٍ واحدة، وبجنديٍّ واحدٍ من جنوده وهو البحر، فلنعلِّق قلوبنا بمَن بيده مقاليدُ كلِّ شيءٍ وهو القويُّ العزيز.

• رؤية العدوِّ الجائر الباغي وهو ينال جزاءه أطيبُ لقلب المظلوم وأشفى لصدره، فاللَّهمَّ أرِنا في أعدائنا وأعدائك عجائبَ قدرتك!

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

• هكذا هي النفوس التي أُشربت الضَّلال، كلَّما لاحت لها فرصةٌ للنكوص انتهزتها، لتتمرَّغ في أوحال الباطل.

• أيُّ ظلمٍ أعظم من أن تُقابَل مِننُ الله الجليلةُ المتتابعة بالكفر والعصيان؟! نعوذُ بالله من الغواية والخِذلان.

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

• ألا تراهم كلَّما أحدثوا خطيئةً تداركهم من الله عفوٌ وصفح؛ عساهم يعودون فيشكرون؟ ولطالما تسامحَ معك وعفا عنك، فهل تنبَّهت إلى مُراده منك؟

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

وَٱلْفُرْقَانَ: الذي يَفصِلُ بين الحقِّ والباطل؛ وهو التَّوراة.

• كم نصبَ الله من آيات، وأوضح من بيِّنات؛ ليَهديَ الناسَ إلى أقوم الطرُقات! فما بالُهم سادرين في ظلام الضَّلالات؟! إنما هَداك إليه، لتُقبلَ صادقًا عليه.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾

بَارِئِكُمْ: خالِقِكم.

• أيها الداعية، تلطَّف في نصحك الناسَ، وأشفق عليهم؛ فذلك أدعى لقبول دعوتك، إنما هم قومُك وعشيرتك، أنت منهم وهم منك.

• حين صدَق قومُ موسى ﷺ في التوبة مع مشقَّتها العظيمة على النفس تقبَّل الله منهم، فما أحرانا معشرَ المسلمين أن نبادرَ إلى التوبة وطلب المغفرة من التوَّاب الرحيم!

• إن وفَّقك ربُّك للتوبة فذلك إيذانٌ منه بقبولها، فما دعاك إليه إلا ليستجيبَ لك، وما قرَّبك منه إلا ليقبلَك.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

ٱلصَّٰعِقَةُ: نارٌ من السَّماء.

• عِظَمُ العقوبة التي أصابتهم، وشدَّة هولها عليهم، جزاء مناسبٌ لعظيم ذنبهم، وقبيح جُرمهم، وهو سوء أدبهم مع ربِّهم.

• بعض المطالب لا يريد بها أصحابُها إلا التعجيزَ والعِناد، كهؤلاء الذين اشترطوا رؤيةَ الله ليؤمنوا به، فأخذهم بعِقابه، ودمَّرهم بعذابه.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

• أعظِم بها من معجزةٍ جعل الله لنا فيها عِظةً وعبرة، فما أجلَّ الغايةَ التي أرادها منَّا، وما أيسرَها علينا لو أردنا!

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

وَظَلَّلْنَا: جعَلنا ظِلًّا من حَرِّ الشَّمس.

ٱلْغَمَامَ: السَّحاب.

ٱلْمَنَّ: شيئًا يُشبِهُ الصَّمغ كالعَسَل.

وَٱلسَّلْوَىٰ: طيرًا يُشبِهُ السُّمانَى.

• نِعمُ الله تتنزَّل على عباده، وتحيط بهم من كلِّ صَوب؛ ليشكروه تعالى ولا يكفروا به، وليُقبلوا عليه ولا يُدبروا عنه.

• إنك لا تجني بعِصيانك إلا على نفسك، فارحمها من ظُلمك، وأعتِقها من جَورك، لتحظى بعفوِ ربِّك.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ: أي: قولوا احطُطْ، وضَع عنَّا ذُنوبَنا.

• قد يفتح الله لك أبوابًا من الرزق والخير ليبتليَك، وينظر كيف تعمل، فكن شاكرًا لأنعمه أنِ اجتباك وهداك، وفضَّلك على كثير من خلقه.

• أمر الله بني إسرائيلَ أن يجمعوا بين استغفار اللسان، وندم الجَنان، وخضوع الجوارح والأبدان؛ ليغفرَ لهم تجاوزَهم، ويحطَّ عنهم ذنوبَهم، وما أحرى كلَّ عاصٍ أن يفعل!

• مهما عظُمت ذنوبك، فإن عفو ربِّك أعظم إن تُبتَ إليه وأنبت، ألا تراه سبحانه عفا عنهم بعد أن انتكسوا وعبدوا العِجل؟

• الإحسان سبيلٌ لنيل فضل الله تعالى ورحمته، وإن الله ليَزيدُ في إنعامه على عبده، ما زاد العبدُ في إحسانه.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

رِجْزًا: عذابًا.

• أوامر الله تعالى لعباده سهلةٌ يسيرة، ولكنَّ دأبَ أهل الضلال والريبة التلاعبُ بها، وتغييرُ أسمائها، وردُّها بشتَّى الحِيَل.

• مع كلِّ أمر إلهيٍّ هنالك طائفةٌ تمتثل فتسلَمَ وتنجو، وطائفةٌ تأبى وتتمرَّد وتبدِّل وتحرِّف؛ استخفافًا بما حقُّه التعظيم، فأنَّى لها النَّجاةُ من سخَط الله وعذابه؟!

• لم يقبلوا بالخير الذي جاءهم من السماء، فنزل عليهم العذابُ منها، فلنعتبِر بمصير الظالمين، ولنحذَر سبيلَ الفاسقين.

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

وَلَا تَعْثَوْا۟: ولا تَسعَوا.

• العلماء والدعاة والقادة هم الأَولى بحمل هموم الأمَّة، والقيام بما فيه نفعُ الناس وتحقيقُ مصالحهم، وتلك من المسؤوليَّات الكبرى المَنوطة بهم.

• ما ألطفَه سبحانه بعباده! لو شاء لجعلَ هذه السُّقيا بظاهرةٍ مألوفة معروفة، ولكنَّه جعل منها معجزةً تدعو إلى تصديق النبيِّ واتِّباعه.

• تذكَّر عند طعامك وشرابك أنك تأكلُ وتشرب من رزق الله تعالى، فلا تتعدَّ أوامره، ولا تبطَر نعمته.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

بَقْلِهَا: البُقولِ والخُضَرِ كالنَّعناع.

وَقِثَّآئِهَا: الخيار.

وَفُومِهَا: الحِنطة، والحُبوبِ التي تُؤكَل.

مِصْرًا: بَلَدًا.

وَٱلْمَسْكَنَةُ: فَقرُ النَّفس.

وَبَآءُو: رَجَعوا.

• للحرِّية ثمنٌ، وللعزَّة تكاليفُ، وبعض الناس لا يريد أن يضحِّيَ بشيء لينالَ حريَّته وعزَّته، ولو بترك مألوفٍ من مألوفات حياته الرَّتيبة!

• نظرُ العبد قاصر، واختياره مهما قويَ ضعيف، ولو عرَف اللهَ حقَّ معرفته لعلم أن خِيرَة الله له خيرٌ من خِيرَته لنفسه، لكنه ظلومٌ جهول.

الجزء الأول | سورة البقرة

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

٩

• لا يزال بعضُ العباد كذلك في كلِّ زمان ومكان، يؤثرون الأدنى ويستبدلونه بالذي هو خير، بسببٍ من طول الأمَل، والغفلة عن قُرب الأجل.

• الإصرار على الكفر والتمادي في الفسوق جزاؤه الذلَّة والمسكنة، ومن أراد الخروجَ من خيمة الذلِّ التي نصبها بذنوبه فليُصلح حاله مع ربِّه.

• سيبقى اليهود في جميع الأزمنة أذلَّ الأمم، وأكثرَهم صَغارًا، مهما جمعوا من المال وبلغوا من الدنيا.

• هكذا هي الذنوبُ يجرُّ بعضُها بعضًا حتى يتمرَّغَ صاحبُها في أوحال الكفران، وهل حمل اليهودَ على قتل أنبيائهم إلا تماديهم في العِصيان، ومضيِّهم في طرق الغيِّ والطغيان؟!

• هلَّا اعتبرنا بحال مَن لم يرضَ بقضاء الله ولم يشكره على نَعمائه، ولم يصبر على بلوائه، كيف ألبسَه الله حبَّ الدنيا، وأهبطه من الدرجة العُليا؟

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ
ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم
مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ
أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا
تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

١٠

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

وَٱلصَّٰبِـِٔينَ: قال ابن القيِّم: (هم نوعان صابئةٌ حُنفاء وصابئةٌ مشركون)، وهم هنا قومٌ حُنفاء باقُون على فِطرَتِهم.

• حال هذه المِلَّة الإسلاميَّة كحال المِلَل السابقة جميعًا، مَن آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فهو مستحقٌّ للثواب، ومَن فاته ذلك استحقَّ شنيعَ العقاب.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

ٱلطُّورَ: جَبَلًا بسَيناء.

• أُخِذ عليهم الميثاق، وأُلزِموا به، وتُوعِّدوا على نقضه، ولكنَّ دأبَ الظالمين المعاندين ألَّا ينتفعوا بموعظة، ولا يلتزموا بميثاق.

• لا مساومةَ في العقيدة، ولا أنصافَ حلول، إنه عهدُ الله مع المؤمنين، وهو جِدٌّ وحقٌّ، فلا سبيلَ فيه لغير القوَّة والحزم.

• لا بدَّ مع أخذ العهد بقوَّةٍ من تذكُّر ما فيه، لئلَّا يكونَ مجرَّد حماسة، فعهد الله منهجُ حياة يستقرُّ في القلب تصوُّرًا، وفي الحياة نظامًا، وفي السلوك أدبًا، وينتهي إلى التقوى.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

• الخاسر حقًّا هو من خسر أعظمَ ما يكون، في أعظم وقت يكون؛ {قل إنَّ الخاسرين الذين خسروا أنفسَهم وأهليهم يومَ القيامة ألا ذلك هو الخُسرانُ المُبين}.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾

خَٰسِـِٔينَ: مَنبُوذِين.

• مَن قرأ التاريخ عرَف هوانَ الخلق على الله إن هم خالفوا أمرَه، وجعل من علمه بأحوال الأمم الماضية طريقًا لإصلاح الأحوال الحاضرة.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

نَكَٰلًا: عِبرَةً.

• هما طريقان؛ إمَّا أن تستمرَّ في غيِّك والعاقبةُ النَّكال، وإمَّا أن تتَّقيَ ربَّك وتهتديَ بالموعظة، وتلك سنَّة الله الماضية، ولن تجدَ لسنَّة الله تبديلًا.

• إهلاك ذوي العصيان والفساد، عِبرةٌ لمَن كان بحضرتهم من العباد، وموعظةٌ لمَن جاء بعدهم وبلغه خبرُهم، فطوبى للمعتبِرين بعقوبات العاصين.

• كما تعصِمك التقوى من الوقوع في المحظور، فإنها تحميك من عقاب الله، وتفتح عينيك على مآلات المُعرِضين عنها؛ لتعتبرَ، فتنجوَ وتَسْلَم.

• إيَّاك أن تهوِّنَ من شأن الاعتبار بهلاك العاصين الماضين؛ فإنهم أقوامٌ من جنسك، وإن لم تعتبِر بما نزل بهم فيوشك أن يصيبَك بعض ما أصابهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

• سخَّر الله البقر لعباده لتَحرُث وتسقي، ولتُذبحَ وتؤكَل، فعجبًا لمن يتَّخذ منها إلـهًا؛ يصرف لها - على ذُلِّها - من التعظيم والتمجيد ما حقُّه أن يُصرفَ لله وحدَه.

• إذا جاءك الأمر من الله فقل: سمعًا وطاعة، ولو خالف معقولك أو معهودك، أو هواك ومحبوبك، وإيَّاك ومعارضةَ الوحي برأيك!

• الهزْؤ عند تبليغ أمر الله عزَّ وجلَّ جهلٌ وسفهٌ نفاه الله عن نبيِّه على أبلغ وجه، وأكَّد ذلك بالاستعاذة منه، فحذارِ ألَّا تُـجلَّ أمره!

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

فَارِضٌ: مُسِنَّةٌ هَرِمة.

بِكْرٌ: صَغيرةٌ فَتيَّة.

عَوَانٌۢ: مُتَوسِّطةٌ بين المُسِنَّةِ والصَّغيرة.

• لو أنهم أخذوا أدنى بقرةٍ فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شدَّدوا وتعنَّتوا فشدَّد الله تعالى عليهم، والجزاءُ من جنس العمل.

• عندما يسيء أحدٌ الأدب مع نبيِّه، أو مع ما جاء به في شرعه، فليستعدَّ لتحمُّل العواقب الوَخيمة، والمآلات الأليمة.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾

فَاقِعٌ لَّوْنُهَا: شَديدةُ الصُّفرة.

• هم أصحاب الحاجة لا موسى عليه السلام، ومع ذلك لا يستعطِفون الله فيقولون: (ربَّنا)، بل يطلبون من غير أدب ويقولون: (ربَّك)، إنها بعض أخلاقهم!

الجزء الأول — سورة البقرة

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ
﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ
عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

الحزب ٢

١١

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

• إنَّا لنتضجَّر من مراجعة بشَر مثلِنا، ونضيق بهم لو ألحُّوا علينا، وربُّنا جلَّ في علاه يجيب عن أسئلتهم المتعنِّتة ثلاث مرَّات. ما أحلمَه سبحانه!

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

لَا ذَلُولٌ: غيرُ مُذَلَّلَةٍ للعَمَلِ في الحِراثة.

مُسَلَّمَةٌ: خاليةٌ مِنَ العُيُوب.

لَا شِيَةَ: ليس فيها عَلامةٌ من لونٍ يُخالِفُ لونَها.

• حين تضيق بالظالم الحُجَج يلجأ إلى التعريض بالآخرين والطعن فيهم، ألا تراهم يقولون: {الآنَ جئتَ بالحقِّ}؟ وكأن موسى عليه السلام لم يكن جاءهم من قبلُ بالحقِّ!

• دَيدَنُ المكذِّبين التواني عن الاستجابة لأمر الله، والتقاعسُ عن الامتثال له، فلنكُن من السَّابقين في الخيرات لا المتردِّدين.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ: تنازعتم، وتدافعتم تُهمَةَ القَتل.

• لم ينفع بني إسرائيلَ تنازعُهم في قتل تلك النفس، وتدافعُهم التُّهمة، فإن الله مُظهر ما خفي. فلنتعهَّد سرائرَنا وضمائرنا، فإنه سبحانه لا يخفى عليه منها شيء.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

• إن مَن قدَرَ على إحياء نفسٍ واحدة قادرٌ على إحياء الأنفُس كلِّها، فاعجَب لمن يُنكر البعث والحياة بعد الموت!

• مشاهد العِبرة مجالٌ رَحبٌ للانتفاع والادِّكار، ولكن لا يستفيد منها إلا من أعمل عقلَه في قراءتها، وقلبَه في تأمُّلها.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

• في مَعرِض الحديث عن العيوب الظاهرة ذُكِرت قساوة القلب؛ تنبيهًا على أنها من العيوب، بل إن من أقبح العَيب، ما صدَّ عن عالم الغَيب.

• هذه الحجارة على قساوتها تتصدَّع فينبثِقُ منها الماء، وتسقط من أعالي الجبال خشيةً لله، أمَّا القلوب الغُلف فلا تتأثَّر بكلام الله ولا يُرجى منها خير، فبئسَ مَن كان الجماد أشدَّ استجابةً لله منه.

• تنبَّه إلى شدَّة التهديد والوعيد في هذه الكلمات، فإذا كان الله عزَّ وجلَّ عالمًا بما يعمله العصاة، مطَّلعًا عليه، كان لمجازاتهم بالمِرصاد، إنَّ مَن تغفُل عنه لا يغفُل عنك!

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

• هكذا هو المسلم، شغوفٌ بهداية الناس إلى طريق الإيمان، طامعٌ في نجاتهم، حريصٌ على تحقيق الخير لهم.

• النفوس السَّمحة الهيِّنة هي التي يُرجى إيمانها وصلاحها، لما فيها من نداوةٍ وصفاء، واستقامة وتقوى؛ تمنعها أن تحرِّف كلام الله من بعد أن عقلَته وأدركت عظمتَه.

• مع أن المحرِّفين لكلام الله هم فريقٌ من اليهود، إلا أن العقوبة الشديدة عمَّتهم جميعًا؛ فمَن رضي بالمنكر فهو وفاعلُه في الوِزر سواء.

• ليس المانع للإنسان من الإيمان هو الجهل به فحسب، ولكن قد يمنعُه منه العِناد وغلبة الشهوة، فمِن هاهنا كان العالم المعاند أبعدَ عن الرَّشد من الجاهل.

• ما أسوأَ حالَ من يعلم الحقَّ ثم يسعى إلى تحريفه بصَرفه إلى غير معناه؛ ليُضلَّ به غيرَه، بعد أن ضلَّ هو عنه!

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾

• لا تغترَّ بظاهر الأعداء، وتيقَّظ لما يدور في الخفاء؛ فما أكثرَ المنافقين الحاقدين الذين يُظهرون ما لا يُبطنون، وبالمسلمين يمكُرون ويَكيدون.

• يكتم بعض الناس الحقَّ لئلَّا يكونَ حُجَّةً عليه إذا أظهره، وفي هذا تشبُّه باليهود في كِتمانهم ما في كتُبهم من صفة النبيِّ ﷺ، ولا ينفعهم هذا.

• ميزان العقل عند أهل الباطل مصالحهم وأهواؤهم، حتى وإن بدا لهم الحقُّ أبلجَ مثل فَلَق الصُّبح!

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ
تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

١٢

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾

• مَن قسا قلبُه غَلُظ حِجابُه، واختلَّت مراقبتُه ربَّه في خَلَواته، ولو أنه استشعر إحاطةَ علم الله بما يُخفي وما يُعلن لاتَّعظ وازدجَر.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

أُمِّيُّونَ: يجهلونَ القِراءَةَ والكِتابة.

أَمَانِيَّ: تِلاوةً، أو أكاذيبَ تلَقَّوها عن أحبارِهم.

• خاب من تقوَّل على الله بغير علم، وخاض في دينه بالظنِّ، إن ذلك من صفات اليهود فلنُخالف عنها.

• في هذا أعظمُ باعثٍ على طلب العلم من أهله الثقات المأمونين، ألا تراه سبحانه ذمَّ الأُميِّين الذين لا يعلمون من كتابهم إلا أكاذيبَ تلقَّفوها من كُبَرائهم، وتخرُّصاتٍ ورِثوها عن أسلافهم؟

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

فَوَيْلٌ: هَلاكٌ ودَمار.

• ضرَّ الأميَّ جهلُه لمَّا لم يقف عنده، وضرَّ الكاتبَ علمُه حين لم يعمل به، وشأن الثاني أشدُّ، ولهذا توعَّده الله بالويل ثلاث مرَّات، مرَّتين منها على ما منحه من نعمة الكتابة.

• مهما جمع المفتري على الله من أموال الدنيا ومناصبها وجاهها؛ فإنه خائبٌ خاسر، فما قيمةُ الدنيا بحذافيرها لمن يبيع آخرتَه بثمن بخس؟!

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

• لا تهوِّن من شيء من عذاب جهنَّم، فإن غَمسةً واحدة في النار تُنسي أعظم مُنعَّم في الدنيا كلَّ ما ذاقه فيها من ألوان النعيم!

• لم يُعطِ الله اليهود أمانًا من عذابه، وإنما أعجبتهم أنفسُهم وغرَّهم بالله الغَرور. ألا إنه لا سابقةَ للعبد عند الله بنسَبه، أو مكانته، أو علمه؛ فلنحذَر من كيد الشيطان أن يُهلكنا بالعُجب.

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾

• أجل إن السيِّئات لتُحيط بأصحابها إحاطةَ القيود بالأسير، فلا يزال يتعثَّر فيها كلَّما أراد المسير، فكيف بأشنعها وأخطرها؛ الشِّرك بالله العليِّ القدير؟!

• لكلِّ صاحب معصيةٍ رجاءٌ في رحمة الله تعالى، ما لم يُحِط به الشِّرك، فإذا أحاط به فقد هلك وخسر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

• الجنَّة، ما الجنَّة؟ إنها دار المؤمنين المتَّقين، العاملين في رضا ربِّ العالمين، يخلدون فيها بسلام، ويتقلَّبون في نُعماها بأمان.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

مِيثَٰقَ: العَهدَ المُؤكَّد.

حُسْنًا: كَلامًا طيِّبًا.

• إفراد الله بالعبادة أوَّل ميثاقٍ أُخِذ على بني إسرائيل، وهو أوَّل ميثاقٍ أُخِذ على البشرية في أوَّل أوامر القرآن: {يا أيُّها الناسُ اعبُدوا ربَّكم}.

• أوثق المواثيق توحيدُ الله تعالى؛ إنه الأصل في الحياة الكريمة، وكلُّ فعل جميل وخُلق نبيل تبعٌ له، ومتى أخلَّ العبد بأصله خسر كلَّ ما بعده!

• أعظِم ببرِّ الوالدين والإحسان إليهما! ألا ترى أن الله قرن برَّهما بتوحيده وإخلاص عبادته؟

وإن الإحسان نهاية البرِّ فيدخل فيه كلُّ ما ينبغي من الرعاية والعناية وخفض الجناح.

• التراحم والتعاطف بين الوالدين والأولاد فطرةٌ فطر الله عليها خلقه، فمَن لا يرحمُ والديه ويحنو عليهما فاسدُ الفِطرة، ولا يُرجى منه خيرٌ لقومه وأمَّته.

• مَن لم يجد أبًا يحنو عليه فليعلم أن له ربًّا أرحم به من أبيه، لقد أخذ الله الميثاق على الناس جميعًا بالإحسان إلى اليتيم. إن في الله خلَفًا عن كلِّ مفقود.

• حقُّ المسكين يتجاوز البذلَ الواجب إلى مُطلَق الإحسان إليه، فإن تعذَّر الإحسان بالمال فبالكلمة الطيِّبة، فإنها صدقة.

• أخذ الله الميثاق عليك أن تقولَ للناس حُسنًا؛ أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو تبشيرًا وتشجيعًا، فهل تعجز عن ذلك ؟!

• استعِن على الوفاء بالميثاق بالصلاة لتُصلحَ قلبَك وأخلاقك، وبالزكاة لتتعوَّدَ البذل وتصِلَ الأقربين، وبهما كمالُ الإحسان، وإنك لأهلٌ له.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٨٤﴾

• تعامل مع أوامر الله بروح المعاهِد لربِّه، وتذكَّر شرفَ الميثاق قبل تكاليفه، إن كلَّ طاعة منك لله هي وفاءٌ بعَقدٍ من عقودك.

• إن أنفسَ إخواننا في الدِّين بمنزلة أنفسِنا، ودماءَهم دماؤنا، وديارَهم ديارنا. وبمثل هذا تقرِّر الشريعة الأخوَّة في الله.

• تأمَّل كيف أخذ الله المواثيق على حفظ الأنفس وحقوقها من أقرب الناس إليها، أرأيتم رحمتَه سبحانه؟ إنه لأرحمُ بنا من أنفسنا.

• من أعظم الجُرم أن يقرَّ الإنسان بعهودٍ ومواثيقَ أُخِذت عليه ثم ينقضُها متعمِّدًا، فكيف إذا كان ذلك الإقرارُ بأمر الله وحُكمه، كيف يستسيغ نقضَه وهو يعلم؟!

﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾

تُفَٰدُوهُمۡ: تَسعَوا في تحريرِهم منَ الأَسر.

خِزۡيٞ: ذُلٌّ وفضيحة.

• قد جنى على نفسه، واستجلب سخَطَ الله ومَقتَه، مَن أقام الله الحجَّةَ عليه من نفسه بإقراره، ثم خالف أمرَه وارتكب ما حرَّمه عليه.

• في ذمِّ القرآن لهؤلاء القوم عِظةٌ بليغة؛ إن من يسعى في حرب إخوانه والتنكيل بهم لا يرفع عنه الإثمَ ولا يغسل العارَ دعوتُه لإغاثة من تبقَّى منهم!

• مَن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه من هذه الأمَّة فليس بمنأى عن عاقبة اليهود، خزيٌ في الحياة، وعذابٌ بعد الممات، ومَن عَقَل ذلك تجنَّب أسبابه.

• اعلم أنك مهما غفلت عن الله فإنه سبحانه ليس بغافلٍ عنك طَرفة عين، فاستحضِر اطِّلاعَه عليك، ومراقبته إيَّاك، لتكونَ من المفلحين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾

•أخسر الصفقات صفقةُ مَن باع آخرته بدنياه! يوم يمضي إلى الحساب فلا يجد إلا دوامَ الخزي والعذاب، ولا يجد له مُنجيًا ولا نصيرًا.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾

وَقَفَّيۡنَا: وأتبعنا.

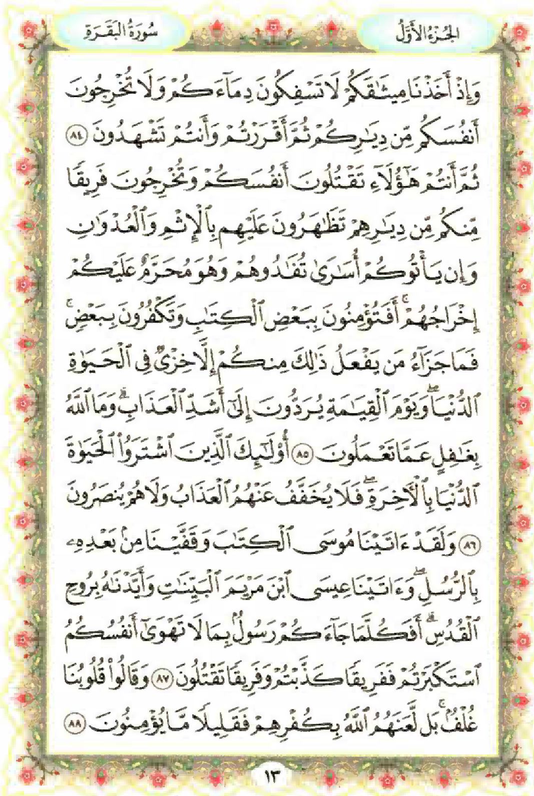
وَأَيَّدۡنَٰهُ: وقوَّيناه.

بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ: بجبريلَ عليه السَّلام.

• أرسل الله الرسُلَ وأنزل معهم الكتب وأيَّدهم بالمعجزات، حُجَّةً على العباد، ولم يزل بنو إسرائيلَ في ضلالهم سادرين، وبغيِّهم مستكبرين؛ إنه الهوى يُعمي ويُصِمُّ!

• لا يجوز لمؤمن يحبُّ الله ويخشاه أن يجعلَ الشرع تابعًا لهواه، بل لا يؤمن حتى يكونَ هواه تبعًا لما جاء به محمَّد ﷺ من الشرائع والأحكام.

• لم ينفكَّ اليهود يُكذِّبون الأنبياء، ويسفكون الدماء، حتى غدا القتل سجيَّةً لديهم، والإجرام عادةً فيهم، بل إن خاتَم الأنبياء ﷺ لم يسلَم من خبثهم، وسوء طويَّتهم.


الجزء الأول — سورة البقرة

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٨٤ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨

١٣

•يا لها من تسليةٍ للنبيِّ ﷺ وللمسلمين من بعده! إن سنَّة المكذِّبين الاعتداء على أهل الحقِّ المصلحين وتكذيبهم، فطوبى لمن وطَّن نفسه على الصبر على عقبات الطريق!

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾

غُلۡفُۢ: مُغطَّاة.

• هكذا يتبجَّحون بكفرهم، ويفخرون بإعراضهم، فاستحقُّوا اللعنَ والطرد من رحمة الله.

• غاية الحرمان ونهاية الخِذلان أن يظنَّ العبد أن عنده ما يُغنيه عن الوحي، أو أن على قلبه ما يمنعُه من الاستجابة!

• مَن اختار لنفسه الكفرَ وآثره على الإيمان، عوقب بالطَّبع على قلبِه، والإبعاد عن توفيق الله وفضلِه.

• أكثر المُعرضين من الكفَّار لا يرتدعون عمَّا هم فيه ولا يَرعَوون، وإن القليلَ من الحقِّ الذي معهم لا ينفعهم؛ لاستكبارهم وعتوِّهم.

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ
وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا
جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ
(٨٩) بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ
(٩٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ
عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا
مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ (٩١) ۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ
ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ (٩٢) وَإِذۡ
أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ
مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا
وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا
يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (٩٣)

١٤

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (٨٩)﴾

يَسۡتَفۡتِحُونَ: يَستنصِرون به على المُشركين.

- إذا انطوَت القلوبُ على الباطل لم تنتفع بالحقِّ ولم يُغنِ عنها شيئًا.
- كان كفرهم لمجرَّد العِناد الناتج عن الحسَد لا الجهل، وإن الحسد أبلغُ في الذمِّ من الجهل؛ لأن الجاهل قد يُعذَر بجهله.
- أقبِح به من مصيرٍ لكلِّ مستكبِرٍ معاند! إنه الطرد والإبعاد عن رحمة الله، فإلى أين يسير الملعون، وإلى أيِّ عاقبةٍ ينتهي؟!
- ما أكثرَ مَن يدَّعي اتباعَ النبيِّ ﷺ ونصرتَه؛ وما إن يخالف هديُه هواه حتى تراه قد انقلب على عقبَيه وكان أوَّلَ كافرٍ به!

﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ (٩٠)﴾

فَبَآءُو: فرجَعوا.

- أبأس الصفقات وأخسرُها أن يكونَ الكفر ثمنًا للأنفس، وشتَّان بين مَن يجعل تجارته مع الله طلبًا لرضاه، ومَن يجعل تجارته في شراء الكفر والعصيان!
- فضل الله عليك على قدر عبوديَّتك له، وما استمطِر فضلُ الله بمثل عبوديَّته. فأين المسارعون إلى إخلاص الطاعة لله، وجعل هواهم في برِّه واتِّباع شرعه؟
- لا تعترض على ربِّك في فضله الذي يُؤتيه مَن يشاء من خَلقه، واقبَل الحقَّ ولو كان ممَّن تكره نعمةَ الله عليه.
- تلك هي عاقبة البغي والحسد، لا ينال أهلُه خيرًا، بل يعودون بأوزارهم خائبين، وينكِصون على أعقابهم مخزيِّين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (٩١)﴾

- كلُّ من فرَّق الحقَّ فآمن ببعضه وكفر ببعضه، فإنه لا ينفعه إيمانُه بما آمن به حتى يؤمنَ بالحقِّ جميعًا.
- علامة الصِّدق في اتِّباع الحقِّ المسارعةُ إلى قَبوله والأخذ به، فإن الحكمة ضالَّة المؤمن أينما وجدها انتفع بها.
- إنهم أنبياء الله العليم الحكيم، أرسلهم هدًى ورحمةً للعالمين، وحسبُهم هذا من تشريفٍ لهم وتكريم، ومَن كان كذلك فحقُّه أن يُعظَّم ويُنصَر، لا أن يُهانَ ويُقتَل!

﴿۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ (٩٢)﴾

- هي صورة شنيعةٌ للظلم حين يبلغ مداه؛ أنقذهم الله من العبودية، وأراهم من المعجزات والآيات ما لا يقبل الشك، ثم لم يلبثوا أن كفروا بأنعمه واتخذوا من دونه إلهًا باطلًا.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (٩٣)﴾

وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ: امتزَج بقُلوبهم حُبُّ عِبادةِ العِجل.

- الأخذ بقوَّةٍ لا يكون إلا بصدق الامتثال والحزم، ورباطة الجأش والإقدام بعزم، ولن يُرفعَ للدِّين بُنيان، ولا للجهاد رايةٌ إلا بذلك الأخذ.
- إذا أظلمت القلوبُ وعميت البصائر لم يُجدِ معها ترغيب، ولم يؤثِّر فيها ترهيب، نعوذ بالله من عَمى القلب وانطماس البصيرة.
- حذارِ أن يشربَ قلبك سوى حبِّ الله عزَّ وجلَّ، وإن عرضَت لك الشهوة أو الشُّبهة فادفعها قبل أن تتمكَّنَ منك وتوديَ بك في دركات الردى.
- هيهاتَ أن يتمكَّنَ حبُّ الله في قلبٍ امتزج بحبِّ مَن يُبغض الله ويحادُّه، حتى يُطهَّر وينقَّى، فإن التنقية تسبق التحلية.
- الإيمانُ الصحيح لا يأمر إلا بالاعتقادات الحقَّة والأقوال الطيِّبة والأعمال الصالحة. فمَن رأيته على خلاف هذا فاعلم أن إيمانه مدخول!
- ليس الإيمان معنًى باردًا في النفس، ولكنَّه يقينٌ يدفع إلى العمل، يأمر بالخير والفضيلة، وينهى عن الشرِّ والرذيلة.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن
يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ
يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ
ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن
كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ
ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

١٥

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾

• ادّعاءاتك معرَّضة للاختبار، فلا تدَّعِ ما ليس لك، وضَع نفسك موضعَها الصحيح، واعلم أن كُلَّ قول لا بيِّنة عليه باطلٌ لا يُعوَّل عليه.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

• هيهات أن يطمئنَّ المكذِّبون إلى أنهم على حقٍّ قويم، وسيظلُّون في شكٍّ وريب عميم، ولو أحسنوا ما قدَّموا لأقدموا!

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

بِمُزَحْزِحِهِۦ: بمُبعِده.

• أحرَصُ الناس على الدنيا وطول البقاء فيها هم مَن لم يعملوا للآخرة ولم يفكِّروا فيها، ومَن جعل الدنيا همَّه جعل الله فقرَه بين عينيه وفرَّق عليه شمله ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قُدِّر له.

• لا تتمنَّ طولَ العمر ما لم يقترن بصلاح العمل، وكن على ما بعد عمرك أحرصَ منك على طول عمرك.

• جدِّد إيمانك، واستنهض همَّتك، وأقدِم على منازلة عدوِّك، وأبشر بالنصر؛ فالذين يعيشون للدنيا أجبنُ من أن يقفوا في وجوه أصحاب العقائد السليمة.

• إن الله بصيرٌ بما يعمل العباد، محيطٌ بصغير عملهم وكبيره، ألا فلنحذَر المخالفة عن أمره بتذكُّر اطِّلاعه علينا.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

• لم يترك اليهود وليًّا لله ذا شأن إلَّا عادَوه وآذَوه، حتى ملائكةُ الله، جعلوا خيرَهم عدوًّا لهم!

•جاهرت يهودُ ببغض جبريلَ سيِّد ملائكة الله تعالى، ورسوله إلى الأنبياء والمرسلين، وهل يكره الروحَ الأمين إلَّا مذمومٌ مدحور؟!

• لن ينتفعَ أحدٌ بالقرآن حتى يُسمِعَه قلبَه، فإنما نزل القرآن على القلوب ليُصلحَها، لا على الآذان ليُطربَها.

• القرآن الكريم هو حُجَّة الله الظاهرةُ على صدق كتُب الأنبياء من قبله، ولن يُفلحَ أتباعُهم اليوم بإقامة الحجَّة القاطعة على صدقها إلا من طريقه.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

• إن قومًا عادَوا ملائكةَ السماء الذين يسبِّحون بحمد ربِّهم ويستغفرون لمَن في الأرض، لأحرى ألا ينتظرَ منهم المسلمون إلَّا الحقدَ والبغض.

• لا تخشَ من عداوة مَن كان الله عدوَّه؛ إذ لن تنفعَه من دونه قوَّةٌ ولا كثرة. ولا تطمع في موالاته؛ فإنه ليس لك من دون الله وليٌّ ولا نصير.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾

• على تباعد الأمصار، وتعاقب الأيام والأعصار، تجد المارقين من هَدي الله يتعامَون عن الآيات الظاهرات، ويردُّون الحُجَجَ الواضحات، استكبارًا وعِنادًا.

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

نَّبَذَهُۥ: طَرَحَه.

• صورة معبِّرة تجلو طبيعةَ اليهود وخلائقهم؛ تحسَبُهم في عدائهم للحقِّ جميعًا وقلوبهم شتَّى، فهم لا يجتمعون على رأي، ولا يثبُتون على عهد، ولا يستمسكون بعُروة.

• أهل الكتاب وإن كانوا متفرِّقين فيه فِرَقًا، فالفريق الأكثر منهم هم النابذون لكتاب الله وراء ظهورهم، فإيَّاك واتِّباع سَننهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

• كفر أهل الكتاب بمحمَّد ﷺ هو كفرٌ منهم بكتبهم، ونقضٌ لدينهم وشرائعهم، وتكذيبٌ لأنبيائهم ورسلهم، من حيثُ لا يشعرون.

•قد عظَّم اللهُ نبذَ العمل بالقرآن تعظيمًا، فما بالُ قومٍ منَّا يستعظمون إلقاءَ ورق المصحف بفِطَرهم، ويستسهلون نبذَ أحكامه بأهوائهم؟!

•من تمام الإنصاف اجتنابُ تعميم الأحكام على الأنام؛ لئلَّا يؤخذَ أحدٌ بجَريرة أحد، إن لم يكن الخطأ صادرًا منهم جميعًا.

• مثَلُ الذين يتَّخذون كتاب الله وراءهم ظِهريًّا كمثَل من يُلقي بشيءٍ استخفافًا واحتقارًا، فما أقبحَ فعلَهم وما أبشعَه!

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا
تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ
وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ
ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٢ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ
لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٣
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا
وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤ مَّا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ١٠٥

١٦

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٢﴾

تَتْلُواْ: تُحدِّث، وتقرأ.

بِبَابِلَ: أرضٍ بالعراق.

هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ: اسما مَلَكَين أنزلَهما اللهُ ابتلاءً منه؛ لِتعليمِ السِّحرِ والتَّحذيرِ منه.

ٱشْتَرَىٰهُ: اختارَهُ.

خَلَٰقٍ: نَصِيب.

• بئس مَن استبدل بكتاب الله تعالى كتبَ السِّحر والشَّعوذة! وإنَّ مَن أعرض عن الحقِّ اشتغل بالباطل.

• لا تُعين الشياطينُ إلا الأشرارَ الذين على شاكلتهم؛ قولًا وفعلًا واعتقادًا، فاحذر أن تحسنَ الظنَّ بساحر، واستعن بالله وحدَه.

• كثيرًا ما يروِّج أهل الضلالة والفساد باطلَهم بنسبته إلى بعض الصالحين وهم منه بَراء، فلا تغترَّ بقولهم فإن الحقَّ أبلج، وضياء الشمس لا يُحجَب بغربال!

• المفتونُ لا ينتفع بموعظةٍ ولا نصيحة، فتراه مسارعًا إلى الموبِقات، مبادرًا إلى المنكرات، غيرَ عابئٍ بتحذيرٍ ولا نكير.

• دَيدَنُ أهل الباطل في كلِّ زمان ومكان السعيُ إلى نقض الروابط الأسريَّة والاجتماعيَّة، فما أحرانا أن نشدَّها ونُحكِمَها وننبذَ ما يُخِلُّ بها أو ينقضُها!

• إذا علمتَ أن السِّحر لا يضرُّ إلا بإذن الله، كما أخبر الله، أفلا تستعصِم بشرع الله، لتُحفظَ بإذن الله؟!

• لا صلةَ للسِّحر بانتظام المعاش ولا المعاد، فأنَّى يكون فيه خيرٌ أو نفع؟! إنه تحذيرٌ بليغ من تعاطيه، ولو لفكِّ سحرٍ آخر؛ فإن الداء لا يكون هو الدواء.

• لا يُقدِم على السِّحر مَن له أدنى علم، بل إن الجهل خيرٌ من العلم الذي يجرِّئ على تعاطي السِّحر.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٣﴾

• مَن ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه وأثابه، وهذه المثوبة عامَّةٌ لخيرات الدنيا والآخرة.

• قليلٌ من ثواب الله تعالى في الآخرة الدائمة خيرٌ من ثوابٍ كثيرٍ في الدنيا الفانية، فكيف وثوابُ الله تعالى كثيرٌ دائم؟!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾

رَٰعِنَا: كلمةٌ كان اليهودُ يقولونَها للنبيِّ ﷺ بقصدِ السَّبِّ، ونِسبتِه إلى الرُّعونة.

ٱنظُرْنَا: انظر إلينا، وتعهَّدنا.

• إن المنع ممَّا لا بأسَ به خشيةَ أن يشتبهَ بما به بأسٌ مسلكٌ شرعي، وإن رعايةَ الأدب في الألفاظ من هدي القرآن، فدَع ما يَريبُك إلى ما لا يَريبُك.

• إيَّاك أن يجرَّك أهل الضلالة إلى الانسياق وراء الألفاظ المشتبِهة؛ أنت تريد بها المعنى الحسَنَ الصحيح، وهم يريدون بها المعنى الفاسدَ القبيح. ومَن اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه.

• أحسِن الاستماعَ للوحي بإحضار قلبك وتفريغه من الشواغل، وإذا سمعتَ فأنصِت إنصاتَ قَبولٍ وطاعة.

• الانتقاص والطعن في رسول الله ﷺ كفرٌ يوجب لفاعله العذابَ الأليم، ولو كان على سبيل المُزاح والدُّعابة!

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ١٠٥﴾

• لا تخدعنَّك المظاهر وتغرَّك الكلمات، فتُحسنَ الظنَّ بمَن يحادُّ اللهَ ورسوله، قد كشف الله لك ما في نفوسهم فاحذَرهم.

• ها قد علمنا ما يُكنُّه الكفَّار للمؤمنين من عداوة وبغضاء، ألا فلنجتهد في مخالفتهم، وترك التشبُّه بهم، فما أفلح مَن احتذى حذوَ أعدائه، ولو في أكله وشُربه.

• فيه تنبيهٌ على ما أنعم الله به على المؤمنين من الشرع التامِّ الذي شرَعه لهم، وتذكيرٌ للحاسدين بما ينبغي أن يكون زاجرًا لهم؛ لأنه سبحانه هو المتفضِّل على عباده، فلا ينبغي لأحدٍ أن يحسدَ أحدًا على خير أعطاه الله إيَّاه.

﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

نَنسَخْ : نُزِل، ونَرفَع.

نُنسِهَا : نَمحُها مِنَ القُلوب.

• كن على يقينٍ بأن لله تعالى في كلِّ ما يشرَعه ويقضيه حِكمًا ومصالح، فآمن به، وتوكَّل عليه، وفوِّض الأمرَ إليه.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾

• يا له من تقريرٍ لقدرة الله تعالى وكمال تصرُّفه، وبيانٍ لجلال مُلكه وعظيم سُلطانه! لا يملك معه المؤمنُ إلا الإقرارَ والتسليم، والطاعةَ والقَبول.

• لنكن على ذُكرٍ دومًا أنه ليس لنا من دون الله وليٌّ معين، ولا نصيرٌ يمنع من عذابه، أو يدفع من عقابه، فلنقصِده وحدَه، ولنلُذ بجنابه.

• أخذ بك ربُّك من إشهادك ملكَه إلى إشهادك افتقارَك إليه، فما أحراكَ أن تتحقَّق بوصف الافتقار إليه في كلِّ لحظة، وما أسرعَ غناك إن حقَّقتَ ذلك!

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ : وسَط الطَّريق، وهو الصِّراط المُستقيم.

• إن مجرَّد إرادة سؤال الأنبياء تعنُّتًا هو موضعُ إنكارٍ وذم، فكيف بالسؤال نفسِه؟! وفي ذلك أبلغ رَدعٍ للمؤمن عن التشبُّه باليهود في هذا.

• لا تسلك طريقًا أوصل سالكيه إلى غاياتِ العطَب، ومواطن الشؤم والغضَب، بل كن من ذلك الطريق حَذِرًا، ولغيرك منه محذِّرًا.

• مثَلُ الذين يطعُنون في شرع الله بأسئلة التشكيك والتعجيز والتحدِّي مثَلُ مَن استبدل بإيمانه كفرًا. أعاذنا الله من الضلال، ومن كلِّ مسلكٍ يؤدِّي إليه.

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾

• الحسد داءٌ يفري قلوبَ أصحابه من اليهود والنصارى فريًا؛ ليقينهم أن المسلمين على الحقِّ القويم، فتراهم لا يفتؤون يعملون على صدِّهم عن الإيمان، وردِّهم إلى الفسوق والكفران.

• كلُّ ذي نعمةٍ محسود، وأعظم نعمةٍ هي الإسلام، فما الظنُّ بأعداء الإسلام أن يفعلوا بأهله؟!

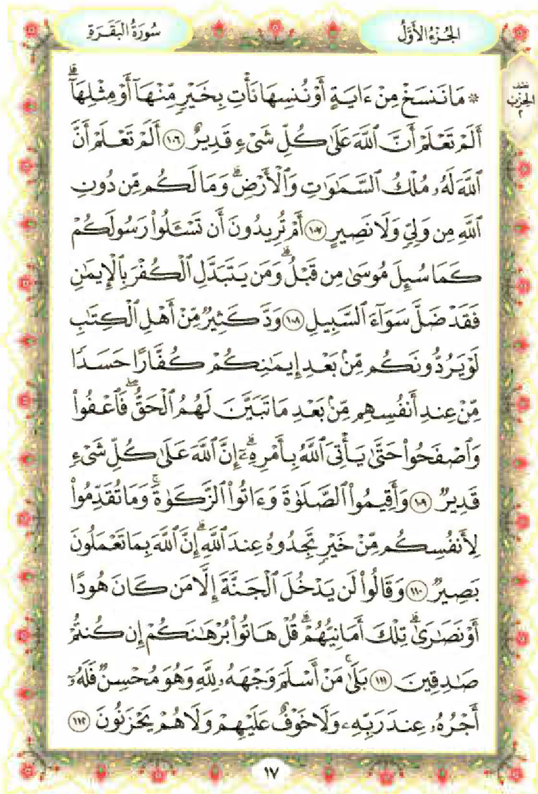
• مع انكشاف غِلِّ اليهود وحقدهم، يدعو القرآن المؤمنين إلى الارتفاع عن مقابلة الحقد بالحقد، ويدعوهم إلى العفو والصَّفح، ولكن إلى أجل؛ فإن بعض العفو عن الكفَّار لا يصلح أبدًا.

• في الأمر بالعفو دون الأمر بالصبر على أذى الكفَّار إيذانٌ بأن الله سيمكِّن للمؤمنين، وترهيبٌ للكافرين إلى أن يأتيَ أمر الله.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

• كما أمر الله المؤمنين بالإعراض عن الكافرين؛ أمرهم بالإقبال على النفس لإصلاحها بالصلاة، وبالإقبال على الناس بالإحسان إليهم بالزكاة، إنها شعائرُ عظيمةٌ تعين على النوائب، وتذلِّل أسباب النصر.

• إنها لبِشارةٌ لكلِّ العاملين والمجاهدين في ساحات الحياة، أن الله مطَّلعٌ على كلِّ ما يقدِّمونه؛ ليعظُمَ رجاؤهم في الثواب، وتهون عليهم المشاقُّ والصِّعاب.


الجزء الأول — سورة البقرة — الحزب ٢

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

١٧

﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾

• حتى أمانيُّ اليهود خبيثة، إنهم لا يحبُّون الخير لغيرهم. وهكذا شأن النُّفوس المعجَبة بتاريخها، المُدِلَّة بعملها، نفوسٌ مريضة ما أحوجَها إلى العلاج!

• كلُّ مَن يدَّعي أنه على الحقِّ فانظر إلى ما يقدِّمه من البرهان، لتعلمَ أصادقٌ هو في دعواه أم كاذب.

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

• إذا أسلمتَ وجهك لله بالإخلاص، وأحسنتَ في عملك متَّبعًا رسول الله ﷺ، فأبشِر بالجزاء الوافر والحياة الطيِّبة.

• الأجر المضمون لا يضيع عند الله، والأمن الموفور لا يساورُه خوف، والسرور الفائض لا يمسُّه حزَن. تلك هي القاعدة العامَّة التي يستوي فيها الناس جميعًا، فلا محسوبيَّةَ عنده سبحانه ولا محاباة.

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن
مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ
أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ
وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ
كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ
قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩

١٨

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾

• لم ينتفع أهلُ الكتاب بكتابهم، فكانوا والمشركين الأميِّين سواء، وجحدوا حقَّ غيرهم تعصُّبًا لحظوظهم، وكأن إقامة صَرحهم لا تكون إلا على أنقاض غيرهم!

• يحتذي بعض المسلمين حذوَ أهل الكتاب حين تغلي في نفوسهم الحَمِيَّة؛ فيتعصَّبون لأنفسهم، ويتمكَّن الشيطان من تفريق كلمتهم، فيترامَون بالكفر دون برهان.

• مَن أيقن أنه موقوفٌ مع خصمه المخالف له بين يدَي حكمٍ عدلٍ اعتدل في خلافه، ولم يفجُر في خصومته.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾

• من أشنع الظلم صدُّ الكفَّار المؤمنين عن المسجد الحرام، وتخريبُ اليهود الكنائسَ، وتقويضُ النصارى بيتَ المقدس، وكلُّ مَن فعل فعلَهم شمِلَه الله بغضبه ومقته.

• لا يقلُّ تخريب المساجد معنويًّا؛ بمنع العبادة فيها، خطرًا وشناعةً عن تخريبها ماديًّا؛ بهدم أركانها، وتحطيم جدرانها، فويلٌ للصادِّين عنها، والمانعين منها.

• إنها لبشرى للمؤمنين، ووعيدٌ للمعتدين على المساجد المعطِّلين لها؛ أنهم لن يدخلوها إلا خائفين، مترقِّبين انتقامَ الله تعالى منهم.

• أشدُّ الخزي نِكايةً بالكفَّار في الدنيا أن يُتِمَّ الله نورَه بنصر المؤمنين، والتمكين لأهل المساجد والدين، ثم لهم يوم القيامة مزيدٌ من الخزي والعذاب الأليم.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾

• بيانٌ لشمول ملكوت الله سبحانه لجميع الآفاق، وفي ذلك تحذيرٌ للناس من المعاصي وزجرٌ لهم عن ارتكابها، فأين يفرُّون منه وهو ربُّ المشارق والمغارب؟!

• أنعِم بها من تسليةٍ للنبيِّ ﷺ وأصحابه الذين ظُلِموا بإخراجهم من المسجد الحرام، وتسليةٍ لأتباعه على مرِّ الدهر متى شرَّدتهم يدُ الطغيان!

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾

قَٰنِتُونَ: خاضعون منقادون.

• عند حكاية الأقوال الشنيعة التي قيلت عن الله سبحانه عوِّد لسانك تنزيهَه عمَّا لا يليق بعزَّته، ولا يغفُل قلبك طَرفة عينٍ عن إجلاله وتعظيمه.

• كلُّ الخلائق مملوكون لله تعالى، خاضعون لقضائه طوعًا أو كرهًا، لا يقدِرون على دفاع، ولا يقوَون على امتناع.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾

بَدِيعُ: الخالقُ على غيرِ مِثالٍ سابِق.

• إذا أعجبك صنعُ الإنسان فانظر إلى بديع خَلق الله في سماواته وأرضه، يخلُق سبحانه ما يشاء بكلمة "كُن".

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾

• إن امتناع بعض الكفَّار عن الإيمان بكلام الله والانقياد له، لم يكن لطعنٍ فيه، ولكن لاستكبارهم عن أن ينزلَ على غيرهم، دون أن يُخَصُّوا به ابتداء.

• هذا دأب الكفرة في كلِّ حين، لا يطلبون الآيات ليهتدوا بها ويهدوا إليها العباد، وإنما يطلبونها تعنُّتًا وعِنادًا؛ وإلا فإن آيات الله بيِّنةٌ ظاهرة للموقنين.

• الجاهلون يخلُف بعضهم بعضًا في الضلالة، فقد تشابهت قلوبُهم قسوةً وجحودًا واستكبارًا.

• الصادق في طلب اليقين يجدُ في كلام الله مطلوبَ يقينه، وطُمأنينةَ ضميره.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾

• في معنى كلمة الحقِّ تثبيتٌ يقضي على شبهات المضلِّلين، ومحاولات الكائدين، وتلبيس الملفِّقين، وفي لفظها صَرامةٌ توحي بالجزم واليقين.

• أيها الداعية، إذا بلَّغتَ الحقَّ البلاغَ المبين، فلستَ مسؤولًا بعد ذلك عن ضلال الضالِّين، الواردين نارَ الجحيم.

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾

• إنهم لا يُرضيهم عن رسول الله ﷺ إلا ما لا يجوز وقوعُه منه، وهو أن يكون -حاشاه- تابعًا لهم، فلا طمعَ في رضاهم.

• الكفر ملَّة واحدة، وإن تعدَّدت أشكالها.

• مَن رامَ الهداية فعليه بكتاب الله تعالى؛ فإن هُدى الله هو الهدى، وكلُّ ما خالفه فبُعدُه عن الهُدى بمقدار مخالفته.

• تنبيه شديدٌ لأهل العلم الحاملين لحُجَج الله، القائمين ببيان شرائعه، أن يدَعوا مداهنةَ المنحرفين عن الكتاب والسنَّة، المؤثرين لمَحْض الهوى عليهما.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾

• قِس إيمانك بارتباطك بكتاب الله تعالى وأداء حقِّه؛ قراءةً وتدبُّرًا وعملًا.

• مِنَّة الله عليك ليست في حفظ كتابه فحَسب، ولكن في حفظه وفقهه والقيام بحقِّه.

• مَن أعظمُ خسارةً ممَّن كذَّب نبأ أصدق القائلين، وأعرضَ عن الإيمان به والاهتداء بنوره؟!

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢﴾

• كلُّ فضيلة تزيد بها على غيرك هي نعمةٌ تستحقُّ منك ذكرًا وشكرًا لمن أنعم بها عليك، وخصَّك بها دون سواك.

• نعمة التفضيل الشرعيّ من أجلّ النِّعم، وهي كالنِّعم الدنيوية تزكو وتربو بشكر الله عليها، وتحول وتزول بالكفران بها.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾

• التذكير بالآخرة، والتعريف بما ينفع المرءَ فيها وما لا ينفع، من أعظم مواعظ التقوى.

• أكثر معاصي الخلق سببها الطمعُ في نصرة الآخرين أو رضاهم، أو البحثُ عن نفعٍ عندهم، فتذكَّر ذلك اليومَ الذي لا يمكن لأحدٍ أن يُجدي عنك فيه شيئًا.

﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾

• إنما يبتلي الربُّ عباده بالتكاليف حتى يرتقيَ بهم في سلَّم العبودية إن قاموا بها حقَّ القيام، ومن هنا نال إبراهيمُ عليه السلام الإمامةَ في الدين.

• ثناء الله على الخليل إبراهيمَ بالوفاء والإتمام يُنبئك عن مقامه عنده، ويضع أمامك أُسوةً مَرضيَّة لتقتدي.

• لمَّا اغتبط إبراهيم بهذا المقام، طلبه لذريَّته؛ لتعلوَ درجاتُهم، وهذا من إمامته، ونصحه لعباد الله.

• الظلم ماحقٌ للخيرات، مستأصلٌ للبركات.

﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾

مَثَابَةً: مرجعًا يأتونه، ثُمَّ يرجعُون إلى أهليهم.

• إذا لم تجد في قلبك الشوق إلى رحاب بيت الله، ومحبَّة العبادة فيه، فاعلم أن هذا القلب مَدخول.

• إنه بيت الله ملكِ الملوك، مَوئل الأمان من حرب الدنيا ومن عذاب الآخرة، إلَّا في حقِّ مَن استثناه الله من الكافرين.

• تذكَّر إن وُفِّقت للقيام هناك مقامًا قامَه قبلك إبراهيمُ عليه السلام، ونبيُّك ﷺ، وصالحو هذه الأمَّة، واستحضر مِنَّة الله عليك بتيسيره لك هذا المقام.

وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ
إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي
جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن
يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ
ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا
لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ
فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ
لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ
وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ
١٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ
مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦

• من حقِّ مواضع العبادة التكريمُ والصيانة، فإن لم تنَل شرفَ تطهيرها فاحرِص ألَّا تسيءَ فيها، واعلم أن تطهيرها وفاءٌ بعهد الله، وأداءٌ لحقِّ عباده.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾

أَضۡطَرُّهُۥٓ: أُلجئه.

ٱلۡمَصِيرُ: المَرجِع، والمقامُ.

• سأل إبراهيم ربَّه ما يستعين به الناسُ على العبادة، من أمنٍ ورغَد عيش، فليكن للدعاة به قدوة.

• قُدِّم الأمن هنا على الرزق؛ لأنه لولا الأمنُ لم يُقبِل الناسُ على البيت العتيق، ولا جُلِبت إلى أراضيه الثمرات، ولا وصلَت إلى مجاوريه الأرزاق.

• نِعَم المؤمن في الدنيا موصولةٌ بالنِّعَم في الآخرة، بخلاف الكافر فإن نعمته في الدنيا تنقطع عند الموت، ثم مآله إلى النار، فما أحقرَ الدنيا ومتعتَها!

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ
إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

٢٠

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾

• من فقه المربِّي الناجح أن يُشرِكَ أبناءه وطلّابه ومَن يقوم على تربيتهم في مشاريعه الصَّالحة، وذلك أعونُ له وأعودُ على من يربِّيه بالخيرات.

• مهما عظُم عملك فإنه مفتقرٌ إلى القبول من الله ليكون نافعًا، فدع عنك العُجبَ، والجأ إلى ربِّك، وتحقَّق بأسباب القبول والرضا.

• إن ممَّا يقوِّي الرجاءَ في الإجابة معرفة العبد أن الله سبحانه سميعٌ للدعاء، عليمٌ بما وراءه من النيَّات والمقاصد!

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا: بَصِّرنا بمَعالم عبادَتِنا لك.

• خليل الرحمن وابنُه إسماعيل عليهما السلام يَرجُوان ربَّهما الثباتَ على الإسلام، فمَن يأمنُ بعدَهما؟! يا وليَّ الإسلام وأهله، ثبِّتنا عليه حتى نلقاك.

• أحقُّ الناس بشفقتك: ذريَّتُك، فامنحها مزيدَ رعايتك، واجعل لها نصيبًا صالحًا من دعائك، فهي من خير ما تقدِّمه لأمَّتك.

• التعليم بالرؤية والنظر أبلغُ وأنجع، ولهذا سأل الخليل - مع كمال عقله وحُسن تصوُّره - أن يُريَهما الله المناسك، وعلى المعلِّمين أن يُعنَوا بهذا الجانب في تعليمهم.

• مهما اجتهد العبد في طاعة ربِّه فإنه لا ينفكُّ عن التقصير غفلةً أو سهوًا، فلا تدَع دبُرَ كلِّ عملٍ صالح أن تدعوَ الله أن يتقبَّله منك ويتجاوزَ عن تقصيرك.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

وَيُزَكِّيهِمْ: يُطهِّرهم من الشِّركِ وسُوءِ الأخلاق.

• ما أعظمَ منَّةَ إبراهيم عليه السلام على الناس عامَّة، وعلى هذه الأمَّة خاصَّة! يدعو لهم ويرجو لهم الخير وهم في أصلاب آبائهم!

• من عزَّة العزيز سبحانه أنه لا يُمنع من فعل ما يريد، ولا يُغالبه شيء، ومن حكمة الحكيم سبحانه أن بعث للناس الرسلَ هداةً مَهديِّين.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

يَرْغَبُ عَن: يُعرِض وينصرِف.

سَفِهَ نَفْسَهُۥ: سَفيهٌ جاهل.

• قيمة روحك بمقدار توحيدك، وأبلغُ إساءة للنفس هو إضعافُ العبودية فيها، وإن السفيه حقًّا هو مَن رغب عن ملَّة التوحيد.

• مَن لزم التوحيدَ فقد لزم طريقَ المصطفَين الأخيار.

• رتبة الصلاح من أفخم الرتب، ولهذا جعل الله إبراهيمَ الخليلَ منَ المتَّصفين بها.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

• أطع أمر ربِّك، وأذعِن لأحكامه، واستقم واثبُت على دينه، وكن كأبيك إبراهيم، فما إن قال له ربُّه: {أسلِم} حتى امتثل وأطاع.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

• الدعوة إلى الدين أحرى مَن يُتعاهَد بها الأقربون، كما فعل الأنبياء والمرسَلون.

• أنفسُ ما اصطُفِيَ هو الدين، وقد اصطفاه الله لخيرة عباده، فهل استشعرتَ نعمة الله عليك بالهداية إليه؟!

• اعرف قدرَ الدين، واعلم أن الأعمال بالخواتيم، فسَلِ الله الثباتَ كلَّ حين، واحذر زلَّة القدم!

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

• إنها العقيدة؛ هي التَّركة والذُّخر، وهي القضيَّة الكبرى والحقيقة العُظمى، وهي الأمر الجَلَل الذي لا تشغل عنه سكراتُ الموت.

• إنها لإجابةٌ كافية وافية لا يستحضرها إلَّا أبناء من ربَّوا فأحسنوا التربية، فازرع العقيدة في قلوب أبنائك تحصُد يومًا ثمارها.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

• أقبِل على ما ينفعك، واشتغل بما يعنيك، واجتهد في دائرة تأثيرك، ولا تتكلَّف ما ليس من شأنك.

• في الآية تحذيرٌ ممَّا استحكم في الطِّباع من الافتخار بالآباء والاتِّكال عليهم، وتقريرُ أن الله تعالى يُجازي العبادَ على أعمالهم لا أعمال آبائهم.

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ
حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن
رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦
فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ
فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ
١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ١٣٨ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ
وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ١٣٩
أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ
ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ
وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١

٢١

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾

• كلُّ امرئٍ يمدح منهجه، وكلُّ طائفةٍ تزكّي مذهبها، غير أن العِبرة بمَن شهد الله ورسوله لأقواله وأفعاله بالهداية والسَّداد.

• ملَّة التوحيد واحدة، وإنما نُسبَت الحنيفيَّة إلى إبراهيمَ عليه السلام مع أنها دينُ جميع الرسل؛ لقيامه من أجلها المقامات العظيمة، ولا يرغب عن ملَّته إلا سفيه.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾

وَٱلۡأَسۡبَاطِ: الأنبياء من وَلَدِ يعقوبَ، الذين كانوا في قبائلِ بَني إسرائيلَ.

• يا لهذا الدين الذي انتظم خيارَ أهل الأرض منذ خلقَ اللهُ الأرض! هم الرَّكبُ فالحق بهم، ولا تنشغل عنهم ببنيَّات الطريق.

• الإسلام دين الجلال والكمال، وهو امتدادٌ للرسالات السماوية السالفة، أفلا يزيدُنا هذا إيمانًا وثباتًا، ويقينًا ورسوخًا؟!

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾

شِقَاقٖ: خِلافٍ شَديد.

• بمِقدار القرب من هذا الدين تكون الهداية، وبمِقدار البعد عنه تكون الغَواية، بشهادة الله عزَّ وجلَّ، فاملأ قلبَك اعتزازًا به، واستقم عليه، فإنه سبيلُ النجاة.

• مَن ناهض الإسلام وعاداه وخالفه، كاليهود والنصارى وغيرهم، فهو في شِقاق. ولا يكون الشِّقاق إلا في مخالفةٍ عظيمة توقع صاحبَها في مَقْتِ الله وغضَبه.

• في الآية تسليةٌ للنبيِّ ﷺ، وبشرى للمؤمنين بالنصر والغلبة، وضمانُ التأييد على أبلغ وجه؛ لأنه تعالى إذا تكفَّل بالكِفاية في أمر حصلَت الثقةُ به.

• اطمئنُّوا أيها المؤمنون كلَّ الطُّمأنينة، فإن الذي وعدكم بالنصر والغلَبة قد أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، ولا تخفى عليه خافيةٌ من حالكم وحال أعدائكم.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾

• لنلزَم صبغةَ الله التي هي دينُ الإسلام وشريعتُه الناسخة لجميع الأديان، التي شاء لها أن تكونَ آخرَ رسالاته إلى البشر؛ لتقومَ عليها أمّة لا تعصُّبَ فيها ولا أحقاد، ولا تفاضلَ إلا بالتقوى.

• هو الإيمان؛ يطهِّر المؤمنين من أوضار الكفر، ويزيِّنهم بآثاره الجميلة، فلا أحسنَ منه صِبغةً ولا أثبتَ في قلوب الموفَّقين.

• ما على المؤمن إلا أن يستقيمَ على مِنهاج ربِّه، وأن يعتزَّ بالحقِّ المستمدِّ من خالقه.

﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ١٣٩﴾

• على المؤمن أن يُدافعَ عن عقيدته بأبلغ حُجَّة وأوفى بيان، ويواليَ أهلها ويخاصمَ أعداءها، وإلا فما قيمةُ العقيدة في نفسه إذا لم يُنافح عنها ويَذُد؟!

• هذا هو المنهج الحميد في مُحاجَّة الخصوم، البَدء بنِقاط الاتِّفاق معهم، ثم يكون الانتهاء بالمفاصَلة.

• الإخلاص يقينٌ ثابت في جَنان المسلم، لا تهزُّه ريح، ولا يؤثِّر فيه خلافُ مخالفٍ ولا عِنادُ معاند.

﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠﴾

• ليس كلُّ مَن انتسب إلى شريفٍ شريفًا، فما أكثرَ المدَّعين! والحُجَّة وحدَها من يؤيِّد الدعوى أو يفضحها، ويكشف الصادق من المدَّعي.

• إن عبدًا علَّمه الله الحقَّ وامتنَّ به عليه، فكتمَه وقتَ الحاجة إليه، وأظهر للناس ضدَّه؛ لهو عبدٌ ظلوم قد بلغ في الظلم مبلغًا.

• لو كان على أحدنا رقيبٌ من جهة سلطان يعُدُّ عليه ما يصنع، لكان دائمَ الحذر، فكيف بالرقيب سبحانه الذي يعلم السرَّ وأخفى؟!

﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١﴾

• لمَّا كانت العادة مستحكِمةً في الناس بأن يفتخروا بآبائهم، ويقتدوا بهم في أمور دينهم، أعاد القرآنُ عليهم هذه الآيةَ؛ ليتَّكلوا على أعمالهم لا على أعمال غيرهم.

• كِل أمرَ الخلق إلى الخالق، وكن رقيبَ نفسك، حسيبًا عليها، فإنك ستُسأل عنها لا عن غيرها.

الجزء ٢ الحزب ٣

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ
عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا
جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ
وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ
بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

٢٢

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾﴾

- العقول السفيهة في كلِّ زمان لا تفتأ تعترض على شريعة الله، وتورد الأسئلةَ على أحكامها؛ غمزًا منها وانتقاصًا.

- إذا رزقك الله تعالى تسليمًا لأحكام شريعته، فتلك بعضُ أنوار الهداية التي غمرَك الله بها.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾﴾

يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ: يرتَدُّ عن دينه.

- مَن تحقق بالإسلام تحقق بالخيرية المتّسمة بالوسطيّة والاعتدال، فلا غلوّ فيها ولا جَفاء، ومن حقِّ مَن سَلِم من هذين أن يكونَ متبوعًا، وأن يُجعلَ مقياسًا وشاهدًا.

- على عاتق هذه الأمَّة مهمَّةٌ عظيمة جليلة، هي الشهادة على الأمم؛ تكليفًا من الله وتشريفًا، فما أحراها أن تكونَ أهلًا لها!

- في الشهادة على الأمم إشارةٌ إلى تحذير المؤمنين من أن يَزيغوا بعد الهُدى، كما زاغ الذين من قبلهم، فتقومَ عليهم الحُجَّة كما قامت على أولئك.

- سيكون الرسول ﷺ علينا شهيدًا أمام الله تعالى، وأمام الخلائق أجمعين، أترانا أعددنا لهذا اليوم عُدّته؟!

- من حكمة تغيير الأحكام ابتلاءُ صدق الإيمان، فعلى العبد أن يكونَ عبدًا لله حقًّا أينما يوجِّهه توجَّه، ومَن هداه الله عرَف حكمةَ ذلك، وأدرك فضلَ التشريع في الحالين.

- إن في تسمية الصلاة إيمانًا تعظيمًا لها وإيذانًا برُتبتها العالية من الإيمان.

- لا تقلق، فإنه لا يَضيعُ عند ربِّك من عملك شيء، كيف وهو الرؤوف الرحيم؟!

- إذا كان الابتلاء مظهرَ حكمته، فإن اجتياز البلاء فضلُ رحمته.

﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

- أنعِم به من أدبٍ مع الله من صاحبِ الخُلق العظيم ﷺ، فإنه لم يسأل ربَّه تحويلَ القِبلة إلى الكعبة، مع تشوُّفه إلى ذلك وشدَّة رغبته، واكتفى بالانتظار.

- إن الله ليطَّلع على رغبة عبده وصدقه في أمرٍ من أمور الخير، فيفتح له أبوابًا واسعةً إلى ذلك الخير، ويحقِّق له ما يرضاه.

- أمر الله نبيَّه ﷺ بالتوجُّه شطرَ الكعبة، ثم أتبعَه بأمر المسلمين كافَّةً بذلك حيث كانوا، وهذا من كمال التعليم والتوجيه؛ دفعًا للإيهام، ومنعًا لورود الاحتمال.

- هي قِبلةٌ واحدة تجمع هذه الأمَّةَ من أقصاها إلى أدناها، وتوحِّد بينها على اختلاف أعراقها وأجناسها، فتحسُّ أنها جسمٌ واحد، تتَّجه إلى هدفٍ واحد، وتسعى لتحقيق منهج واحد.

- توجَّه إلى الله بوجهك، وأقبِل عليه بكلِّيَّتك، ولا تلتفت عنه في صلاتك وعبادتك، ولا تنشغل عنه بشيءٍ من أمرك.

- استشعر تعظيمَك للمسجد الحرام وأنت تتوجَّه إليه من بعيدٍ وكأنك تتوجَّه إلى عين الكعبة من قريب، وليزده عظمةً في نفسك وصفُ الله إيَّاه بالحرام.

- مَن اعترض على من يعلم أن الحقَّ معه، فلا مبالاةَ بقوله، ولا أسفَ على مقولته، وأمرُه إلى الله الذي يجازيه على سوء عمله.

﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

- ليتفطَّن المسلم إلى سبب مخالفة الناس لدعوته، حتى لا يَجهَدَ نفسَه في طريقٍ غير مُجدية، وليقابِل كلًّا بما يستحق.

- يتوجَّه الوعيد إلى أهل العلم أكثرَ من غيرهم، فآفة العالم غالبًا ما تكون من جهة الهوى، والانسياق إليه تساهلًا أو تأوُّلًا.

- أعظِم بالعلم شرفًا ومرتبةً أن سمَّى الله تعالى أمر النبوَّات والدلائل والمعجزات باسم العلم!

الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ
هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ
جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟
عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

٢٣

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

• لا تحسَب أن ما يصدُّ أكثرَ اليهود والنصارى عن الإسلام جهلُهم به، أو أنه لم يقدَّم إليهم بصورة مقنعة، إن بعضهم يأبونه؛ لأنهم يعرفونه حقَّ المعرفة، ويخشونه على مصالحهم.

• ما أقبحَ المعرفة حين لا يكون لها أثرٌ نافعٌ في حياة صاحبها! وهل أغنت معرفةُ أهل الكتاب صدقَ رسالة نبيِّنا عنهم شيئًا، مع بقائهم على الكفر؟!

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

ٱلْمُمْتَرِينَ: الشَّاكِّين.

• إذا ارتبتَ في أمرٍ من الأمور ولم يتبيَّن لك الصوابُ فيه، فسَل ربَّك الذي أنزل الحقَّ أن يُريَكَ الحقَّ حقًّا ويرزقَكَ اتِّباعَه، ويُريَكَ الباطلَ باطلًا ويرزقَكَ اجتنابَه.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

• دعك من الاشتغال بما يبثُّه أهل الكتاب من دسائسَ وفتنٍ وشبُهات، ولا تجعلها تصرفُك عن العمل والاستباق إلى الخيرات.

• الأمر بالمسابقة إلى الخيرات أبلغُ من الأمر بالمسارعة إليها؛ وهو حثٌّ على إحراز قَصَب السَّبق في كلِّ أمور الخير.

• إن الذي أمركم بالتوجُّه تِلقاءَ الكعبة من جميع الجهات، سوف يجمعكم من الأقطار المتباينة حيث كنتم إلى موقفِ القيامة.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

• على المؤمن إذا جاءه الحقُّ البيِّن الواضح التسليمُ به، والإذعانُ له، والإقبالُ عليه، دونما جدالٍ أو نزاع.

إن الذي شرَع لعباده الشرائعَ الحكيمة رقيبٌ عليهم، غيرُ غافل عن عملهم، فليتَّقوه فيما شرَع؛ عملًا بالأوامر، وابتعادًا عن النواهي.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

• في الأمر بالتوجُّه شطرَ المسجد الحرام في كلِّ صلاة دعوةٌ إلى توجُّه القلب إلى الله عزَّ وجلَّ في كلِّ حين.

• لن تعدمَ ظالمًا يكذِّب بالحقِّ، ويأبى الإذعانَ لحجَّته، فلا تذهب نفسُك حسَراتٍ عليه؛ فإنما هو متَّبعُ هواه، وإنما عليك البلاغ.

• إن الذين يردُّون الحقَّ ويستدبرون الحجَّة، إنما ينساقون مع العِناد واللَّجاج، ولا سبيلَ إلى إسكاتهم، فليُعرض المسلمون عنهم.

• قيامك بحقوق ربِّك وواجباته مؤذنٌ بهداية الله لك وإنعامه عليك، فاحذر أن تضيعَ هدايته!

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾

• بتلاوة القرآن تؤدَّى العبادات، ويُستفاد العلم ومجامع الأخلاق الحميدة، وبه تحصُل كلُّ خيرات الدنيا والآخرة.

• من حكمة بعث الله تعالى للرسُل أنه يطهِّر بهم أرواحَ الناس من دنَس الجاهليَّة، ورجس التصوُّرات، ولُوثة الشهَوات.

• رفع الجهل عن الناس، وتعليمُهم الكتابَ والسنَّة، وظيفةُ خيار الخلق.

• تفرَّع عن تعليم النبيِّ ﷺ أمَّتَه علومٌ كثيرة شمِلَت أحكامَ الدنيا وأحوالَ الآخرة، فضلًا عن الأحكام الشرعيَّة.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

• ذكرُ الله ليس لفظًا باللسان فحسب، ولكنَّه انفعالُ القلب مع اللسان، والشعورُ بعظمة الله وجلاله، والتأثُّر بهذا الشعور تأثُّرًا يُفضي إلى الطاعة.

• الله جلَّ جلاله يجعل ذكرَه لهؤلاء العبيد مكافئًا لذكرهم له في عالمهم الصغير! فأين المكثرون من ذِكره؟

• أعظِم بها من آيةٍ في الحثِّ على الذِّكر! ولو لم يكن في فضل الذِّكر سوى هذه الآيةِ لكفَت وأغنَت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

• الصلاة من خير ما يُستعان به على جميع الأمور، وقد كان النبيُّ ﷺ إذا حزَبَه أمرٌ فزع إليها، وحريٌّ بمَن التجأ إلى الله أن يُعان، وبمَن صبَر أن ينالَ شرف المعيَّة.

• إن شئت أن يكونَ الله معك، يسدِّدك ويعينك، فاجعل الصبرَ ديدَنك في حياتك كلِّها.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ
وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ
وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾
وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

الحزب

٢٤

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

• لا تأسَ على من استُشهد في ساحات الجهاد لتكونَ كلمة الله هي العليا؛ فإنه على الحقيقة لم يمُت، ولكنَّ الله اجتباه لما هو خيرٌ له من الدنيا وما فيها؛ للخلود في جنّاتٍ ونعيم مقيم.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

• لنستشعر عند البلاء لطفَ الله بنا وإحسانَه إلينا؛ إن خفنا مرَّة فطالما أمَّن روعنا، وإن جُعنا يومًا فكم مرَّة أشبعَنا، وإن عدِمنا قليلًا فلقد أغنانا كثيرًا، ثم إننا لنُثاب على البلاء القليل إن صبَرنا ثوابًا عظيمًا.

• لا بدَّ من تربية النفس وامتحانها في معركتها في سبيل الحقِّ بأنواع البلاء؛ ليؤدِّيَ المؤمنون تكاليفَ العقيدة، وهي عزيزةٌ على نفوسهم بمقدار ما أدَّوا في سبيلها من تكاليف.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

• ليس كلُّ مسترجِع صابرًا، ولا كلُّ صابر شجاعةً أو حميَّةً مبشَّرًا، ولكنَّ المبشَّرين هم الصابرون الموقنون برجوعهم إلى ربِّهم، الذي عافى كثيرًا وأنعم، وأصاب قليلًا وآجر.

• (إنَّا لله) عبيدٌ له، فلا ينبغي أن نخاف غيرَه فهو الغالب، أو نخشى الجوعَ فهو الرزَّاق، وما أموالنا وأنفسنا إلا ملكٌ له يتصرَّف فيها بما يشاء.

• تذكَّر في مصائبك أنك إلى الله راجع؛ فارجُ في صبرك منه الثواب، واخشَ إن جَزِعتَ منه العقاب.

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

• لو علم أهلُ المصائب ما لهم باحتسابهم عند ربِّهم من الثناء والرحمة لفرحوا بها، ولَلَهِجَت ألسنتُهم بحمد الله وشكره.

• الهداية ليست هي الذاكرةَ المشحونة بفضائل الصبر، ولكن أن تعملَ بالصبر حقًّا على أمر الله، وعن معصيته، وعند مُرِّ قضائه، فأهل الصبر هؤلاء هم من تتنزَّل عليهم الرَّحمات!

﴿۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

• قد عظَّم الله الشعائرَ بإضافتها إليه، فعظِّمها في نفسك، واستحضر في سعيكَ بين الصَّفا والمَروة حاجتَك إلى الله في غُفران ذنبك، واسأله أن يهديَكَ الصراط المستقيم، كما هدى هاجرَ عليها السلام.

• ما أكرمَ ربَّنا إذ يشكرنا على ما نقدِّم لأنفسنا من طاعتنا له، فيُثيب سبحانه بالكثير على القليل! فهلَّا أخلصنا في عملنا وطاعاتنا لله المطَّلع على قلوبنا، العالم بنيَّاتنا؟!

• تأمَّل ما تُلقيه كلمة (شاكِر) من ظلال الرضا على فاعل الخير، وما توحيه أيضًا من الأدب الواجب عليه. فإذا كان الله يشكر لك الخير، فما أنت صانعٌ لتوفِّيه حقَّه من الشكر؟!

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

يَلْعَنُهُمُ: يطرُدُهم.

• ما أخسرَها من صفقة! أن يكتُمَ الحقَّ امرؤٌ خشيةَ لعنة بعض الناس، فيعرِّض نفسَه للعنة ربِّ الناس، ثم يبوء بلعَنات الناس!

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

• آية صدق التوبة إصلاحُ العمل، واستدراكُ التفريط، فمَن فعل ذلك فليَبشُر بتوبة الله عليه، وليَرجُ رحمته، إنه هو التوَّاب الرحيم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾

• الكافر يعرِّض نفسه للعنة كلِّ الناس؛ أمَّا الصالحون فيلعنونه لجحوده وغيِّه، وأمَّا أحبابُه وأشياعه فإن لم يلعنوه في الدنيا فسوف يلعنونه في الآخرة؛ إذ {الأخلَّاء يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتَّقين}.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

• هذا العذابُ الذي لا يخفَّف عنهم، ولا يُمهَلون فيه، دونه كلُّ عذاب، إنهم منبوذون من العباد ومن ربِّ العباد، وهذا هو العذابُ المهين.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

• أعظِم بالتوحيد شأنًا! ألا ترى أن الله قد أضاف إليه عبادَه بالاسم المفرد، ثم أخبر عن نفسه بتكرار الوصف فقال: {إله واحد}، ثم أكَّد الوَحدانيَّة بقوله: {لا إله إلا هو}، ثم ختم بما يُقيم الحُجَّة على عبادته وحدَه بمقتضى الإنعام عليهم لكونه {الرحمن الرحيم}؟!

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾

وَبَثَّ: ونَشَر.

وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ: وتَقليبِها، وتوجيهِها.

• القلب المؤمن هو الذي تتجدَّد فيه مشاهدُ آيات الله في كونه، ويظلُّ أبدًا يتفكَّر في بديع صُنع الله فيها، فيتلقَّاها في كلِّ مرَّة كما لو أنه يراها أوَّل مرَّة.

• كما أنَّ كمال الانتفاع بالنِّعَم الدنيوية لا يكون إلا مع سلامة الحواسِّ، فإن الانتفاع بالنِّعَم الدينيَّة لا يكمُل إلا مع سلامة القلوب والعقول.

• عجبًا لمَن يرى آلةً من صُنع البشر فيَدهَش لإتقانها، وحُسن إحكامها، وأمام ناظريه مشاهدُ الكون برُمَّتها لا تحرِّك فيه ساكنًا، ولا يستشعر فيها عظمةَ مبدعها، وحكمةَ باريها!

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾

• اجعل كلَّ محبَّة دون محبَّتك لله، وتبعًا لمحبَّتك إيَّاه؛ ليكمُلَ إيمانك، وتسعدَ حياتك، فإن محبَّتك الصادقة لربِّك دليلٌ على محبَّته إيَّاك.

• ليسوا سواءً؛ فالمؤمن لا يقدِّم على محبَّة الله محبَّةَ شيءٍ سواه، ومحبَّته لربِّه فوق محبَّة مَن أشرك في المحبَّة، فهي خالصةٌ عليَّة، ومحبَّة أولئك ملطَّخةٌ دنيَّة.

• خليقٌ بمَن علم ضعفَ كلِّ متعلَّقٍ به سوى الله، وعلم أن القوَّة جميعًا لله، ألا يعلِّق قلبه إلا بالله. وليسأله بجَنانه قبل لسانه: اللَّهمَّ اقطع تعلُّقَ قلبي بأحدٍ سواك.

﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾

ٱلۡأَسۡبَابُ: الصِّلات.

• أخسر الناس صفقةً يوم القيامة مَن ركَن في دنياه إلى المجرمين، ومضى في رَكب المتجبِّرين؛ يستقوي بهم، ويعوِّل عليهم، فإذا حقَّ الحقُّ تبرَّؤوا منه، ولم يُغنوا عنه فتيلًا.

• ليت المتبَّعين فتاوى أهل الضَّلال والأهواء يتفكَّرون بمصيرهم، يوم يقفون بين يدَي الله العزيز الديَّان، ليس بينهم وبينه ترجُمان!

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾

حَسَرَٰتٍ: نَدامات.

• يا له من مشهدٍ مؤثِّر؛ مشهدِ التعادي بين التابعين والمتبوعين، والتخاصُم بين المحبِّين والمحبوبين، يوم تنكشف الحقائق، ولا تُغني نفسٌ عن نفس شيئًا!

• ألا فليتبرَّأ كلُّ مسلمٍ من أئمَّة الضلال والإضلال، قبل أن يأتيَ يومٌ يتحسَّر فيه على تفريطه، ويعَضُّ أصابعَ الندامة على تقصيره، ولاتَ ساعةَ مندم.

• إن الحسرة اليوم قد تنفع، وإن الندم قد يشفع ويمنع، ما أدَّيا إلى توبةٍ صادقة نصوح، أمَّا يومَ الحسرة فلا يغني ندمٌ ولا تُجدي حسرة ولا توبة، والمفرِّطون يومئذٍ في عذابٍ مقيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾

• لا ينقضي العجب ممَّن يتعدَّى ما أحلَّ الله له من الطيِّبات إلى ما حرَّم عليه من الخبائث، أولئك يستبدلون الذي أدنى بالذي هو خير، أجارنا الله من مسلكهم، وكفانا بحلاله عن حرامه.

إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ
ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥
إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ
لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩

٢٥

• إنه الشيطان فاتَّخذه عدوًّا؛ وهل تطمعُ ممَّن كان للرحمن عصيًّا أن يدلَّك على خير، أو يهديَك إلى برٍّ؟! {ومَن يكُنِ الشَّيطانُ له قَرينًا فساء قَرينًا}.

• {الشَّيطان يَعِدُكم الفقرَ ويأمرُكم بالفحشاء، والله يَعِدُكم مَغفِرةً منه وفضلًا}، فحَذارِ أن تخطُوا خطوةً في طريق الشيطان، فإنها ستجرُّكم إلى خطواتٍ وخطوات!

﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾

بِٱلسُّوٓءِ: بالذَّنب القَبيح.

وَٱلۡفَحۡشَآءِ: المعصيةِ البالغةِ القُبح.

• كلُّ ناعق ينعِقُ بسوءٍ فهو من أبواق الشيطان، فلا تُلقِ إليه سمعَك، ولا تجعله ينفُذ إلى قلبك، فتكونَ كمَن {استحوذَ عليهمُ الشَّيطانُ فأنساهُم ذكرَ الله}.

• القول على الله بغير علمٍ قرينُ الفحشاء، فيا لشَناعة ما يأتيه المجترئون على الشريعة، الخائضون فيها بغير علمٍ ولا هدًى ولا كتابٍ منير!

الجُزْءُ الثَّانِي — سُورَةُ البَقَرَةِ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا
عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا
يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ
بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ
١٧١ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ
وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ
ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ
أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦

٢٦

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾

• لا تقبَل عوائدَ الآباء الماضين، ولا تتَّبع سَنَنَ الجدود الغابرين، حتى يشهدَ لها شاهدٌ عدلٌ من شرع ربِّ العالمين.

• ليس ثمَّة فرقٌ بين اتِّباع خطوات الشياطين، واتِّباع خطوات الآباء المنحرفين، متى استبانَ الوحيُ، وظهر الدليل، وانبلج الحقُّ.

• وهبَك الله العقلَ لتهتديَ به إلى معرفة الحقِّ، وتستعينَ به على إدراك الصواب، فلا تعطِّل وظيفتَه بالتقليد المذموم، فتزدري نعمةَ الله عليك.

• إن العقل لا يكمُل دون علم، وإن الاهتداء لا يصحُّ من غير عمل، فكيف يقلِّد العاقل مَن لا يملك عقلًا ولا علمًا ولا عملًا صالحًا؟!

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾

يَنۡعِقُ: يَصيحُ.

• إذا تُلي عليك كتابُ الله فأَرْعِه سمعَك، وتدبَّره بقلبك وعقلك، واربأ بنفسك عن سماع البهائم؛ فإنها تسمع دَويَّ الصوت ولا تفهم منه شيئًا.

• من الإعاقة أن تفقدَ نفعَ سمعٍ موجود، وجَدوى عينٍ مبصرة، وفائدةَ لسانٍ ناطق. إن لم تجعل جوارحَك منافذَ لوصول الضياء إلى قلبك فأيُّ قيمة لها؟!

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾

• يذكِّر الله عباده بما رزقهم لأنه وحدَه الرازق، وبإباحة الطيِّبات ليُشعرَهم أن ما حرَّمه إنما حرَّمه لخُبثه، لا إعناتًا لهم ولا تضييقًا عليهم.

• شُكر النِّعَم من أجلِّ مقامات العبودية، فإن كنت صادقًا في عبوديَّتك فكُل من رزقه، واشكره على نِعَمه، وإن من تمام شكرها أن تستعملَها في طاعته.

• أمر سبحانه بالشكر عَقيبَ النِّعَم؛ لأن في الشكر حفظَ النِّعَم الموجودة، وجلبَ المِنَن المفقودة.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾

وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ: وما ذُكِرَ عِندَ ذَبحِه اسمُ غيرِ اللهِ تعالى.

غَيۡرَ بَاغٖ: غيرَ ظالِمٍ في أكلِه فوقَ حاجتِه.

وَلَا عَادٖ: غيرَ مُتَجاوِزٍ حُدودَ ما أُبيحَ له.

• قد احتاج الناس إلى قرونٍ حتى عرَفوا بعضَ أضرار ما حرَّمه الله عليهم، أفلا تستحقُّ هذه الشريعةُ التي سبقت العقولَ البشريَّة أن نثق بها، فنحرِّمَ ما حرَّمته، ونسلِّمَ بأحكامها؟

• جاء الإسلام لإصلاح الروح والجسم معًا، فألحق الخبائثَ المعنويَّة بالخبائث المادِّيَّة، فحرَّم الذبحَ لغير الله؛ لأنه ينافي صحَّة التصوُّر، وتوحيدَ التوجُّه، وسلامةَ القلب.

• حتى الضرورةُ لا تسوِّغ البغيَ للمضطرِّين، فليس إبقاء نفسك بأولى من إبقاء غيرك نفسَه.

• رفع الله الإثمَ عن المضطرِّ برحمته، وتجاوز عن إيقاع المفسدة الدُّنيا لتحقيق المصلحة العُليا، فحقَّ على العبد شكرُه حال السَّعة بما أنعم، وحالَ الضَّرورة بما رخَّص.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾

• ما كُلُّ مَن حمل العلمَ زكا به، فكم من عالِمٍ كاتمٍ للحقِّ، محرِّفٍ للشرع، خائنٍ لأمانة البلاغ، قد باع دينَه وعلمه بعرَضٍ من الدنيا قليل!

• هكذا هي النفوسُ الدنيئة؛ تُؤثر القليلَ التافه الماضي، على الكثير الجليل الباقي.

• مَن لم يتزكَّ بعلمه فهو أعجزُ أن يزكِّيَ به غيرَه.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾

• يا لها من صفقةٍ بلغت الغاية في القبح والخسران؛ يدفع فيها الغويُّ الهُدى ثمنًا للضلالة، والمغفرةَ ثمنًا للعذاب!

• كيف لا يعجب العقلاء ممَّن لا طاقةَ له بنار الدنيا، تراه يتقحَّم بأفعاله الشنيعة نارَ الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾

شِقَاقِۭ بَعِيدٖ: مُنازَعةٍ وخِلافٍ بَعيدٍ عنِ الحَقِّ.

• مهما بذل أهلُ الباطل في التنقيب عن خَلَلٍ في القرآن أو عَيب، فإنهم لن يعودوا إلا بالخيبة والإخفاق، وسيبقون أبدًا في اختلافٍ وشقاق.

• القرآن مشتملٌ على الحقِّ الموجب للاتِّفاق عليه، وعدمِ الافتراق فيه، وما خالفه أحدٌ إلا كان في البعد من الحقِّ والمنازعة فيه بقدر مخالفته.

الحِزب

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ
وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ
وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ
وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ۖ
وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ
بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ
أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ
بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ
فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

٢٧

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

ٱلْبِرَّ: التَّوسُّعَ في فِعلِ الخَيرِ والطَّاعة.

وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ: المُسافِرَ المُحتاجَ المنقَطِعَ عن أهلِه.

وَفِى ٱلرِّقَابِ: في تَحريرِ الرِّقابِ مِنَ الرِّقِّ والأَسْر.

ٱلْبَأْسَآءِ: الفقر.

وَٱلضَّرَّآءِ: المَرَض.

وَحِينَ ٱلْبَأْسِ: حِينَ شِدَّةِ القِتال.

- أوَّل خِصال البِرِّ ورأسها الإيمانُ بالله، ومَن فاته هذا البِرُّ فقد فاته أعظمُ مقصود، ولن تعرفَ الأمَّة قصدًا مستقيمًا، ولا غايةً راشدة إلا بالاجتماع عليه.
- الإيمان باليوم الآخر يبعث في النفس الطُّمأنينة بحصول العدل التامِّ، وبأن الحياة على هذه الأرض ليست سُدًى، ولا فوضى بغير حساب.
- عظَّم الله الإيمانَ بالملائكة فنظَمَه في سِلك المسائل الكبار، فلنؤمن بهم، ولنستحضِر عظمةَ الله في خلقهم.
- الإيمان بالكتاب والنبيِّين يعني الإيمانَ بالرسالات جميعًا، ويؤكِّد في يقين المؤمن أن للبشر كافَّةً إلهًا واحدًا، وغايةً واحدة.
- الإنفاق على ذوي القُربى من خِصال البِرِّ، وفيه تحقيقٌ لمروءة النفس، وصيانةٌ لكرامة الأسرة، وقيامٌ بصِلة الرَّحِم.
- الصدقة لليتامى تعويضٌ عن فِقدانهم الرعاية الأبويَّة، وحمايةٌ لهم وللأمَّة من الانحراف والضياع والنقمة على مجتمعٍ لم يرعَهُم.
- من رحمة الله بمَن أضعفَته الحاجة، وأذلَّته الفاقة، أنه أوجب في المال حقًّا له يحفظ كرامتَه، ويُقيل عَثرتَه.

- في إيجاب الصَّدقة للمنقطِع عن ماله وأهله إشعارٌ له أن كلَّ مسلم أخٌ له، وكلَّ بلاد المسلمين وطنُه، فيتسلَّى عن أهلٍ بأهل، وعن مالٍ بمال، وعن ديارٍ بديار.
- الصَّدقة للسَّائلين إسعافٌ لحاجتهم، وكفٌّ لهم عن المسألة، وذلك من إحسان الله إلى عباده.
- جاء الإسلام متشوِّفًا للحرِّية، ولإعتاق الرِّقاب، وفِداء الأسرى، حتى يستردَّ العبد حرِّيته التامَّة، وحياته الكريمة.
- إقامة الصلاة من البرِّ الذي يجب أن يؤدَّى على خير وجهٍ يرضاه الله.
- حضَّ الله عبادَه على الإنفاق في سبيله في وجوهٍ من البِرِّ قبل أن يذكرَ لهم الزكاةَ الواجبة، حتى لا يفرِّطوا في تلك الوجوه، ويظنُّوا الزكاةَ مغنيةً عنها.
- أنعِم بالوفاء بالعهد خَلَّةً ضروريةً لإقامة الثقة والطُّمأنينة في عَلاقات الأفراد، وعَلاقات الجماعات، وعَلاقات الأمم والدول.
- ليس بصادقٍ مَن لم يصدِّق دعواه بعمله؛ فإن الأعمال هي آثارُ الإيمان وبُرهانه، وبها تتحقَّق الوقاية من العذاب، أو يحِقُّ بها العقاب.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾

- في ذكر الأخوَّة دعوةٌ إلى العفو والصَّفح والإحسان، وإيذانٌ بأن القتل لا يقطع أخوَّةَ الإيمان.
- متى قَبِل وليُّ الدم الدِّيَة فليَطلُبها بالمعروف، وليؤدِّها القاتل أو وليُّه بإحسان؛ تحقيقًا لصفاء القلوب، وشفاءً لجِراح النفوس، وتقويةً لأواصر الأخوَّة بين الأحياء.

- ما في الشريعة من التخفيف والرحمة يستحقُّ التأمُّلَ والحمد.
- العُدوان بعد العفو أشدُّ خطرًا وأعظم وعيدًا، فهو نَكثٌ للعهد، وإثارةٌ للبغض.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

- لا تحسبَنَّ القِصاصَ انتقامًا، ولا إرواءً للأحقاد، بل هو حياةٌ للمجتمع بأسره.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

تَرَكَ خَيْرًا: ترك مالًا كثيرًا.

- ليس العبد مسؤولًا عن ماله في حال حياته فحسبُ، ولكنَّه مسؤولٌ عنه بعد وفاته؛ كيف أوصى فيه؟ فليتَّقِ الله كلُّ امرئٍ في وصيَّته.

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾

- ما أعظمَها من شريعة ربَّانيَّة؛ ضمِنَت للعباد حقوقهم في حياتهم، وضمِنَتها لهم بعد وفاتهم!

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ
مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى
ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا
فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

٢٨

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

جَنَفًا: ميلًا عن الحقِّ خطأً وجهلًا.

- لا تنتظر المشكلةَ حتى تقع، ولكن بادر باتِّقائها عند ظهور علاماتها؛ فإن الدفع أسهلُ من الرفع، فإذا وقع المحذور فاجتهد في إصلاحه بما استطعت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾

- لم يُفرَض الصيام عليكم وحدَكم أيها المسلمون، ولكنَّ الله فرضه على السابقين، فشمِّروا عن ساعد الطاعة، واستجيبوا لأمر الله كما استجاب الصالحون قبلكم.

- الصوم يكسر الشهوة، ويقمع الهوى، ويردع عن مقارفة السوء، فمَن لم يتَّقِ الله صائمًا فمتى؟! ومَن لم يحقِّق حكمةَ الصوم فلأيِّ شيءٍ جوَّع نفسه؟!

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

تَطَوَّعَ خَيْرًا: زادَ في الفِديةِ بدلَ الصِّيام.

- أيَّام العبادات قليلةٌ معدودة، وأزمانها قصيرةٌ محدودة، لا تستغرق من وقتك إلا القليل، ولا تكلِّفك من الجُهد إلَّا اليسير، فانهض بهمَّةٍ وعزيمة لاغتنامها؛ فإن الفرصة إذا مَضَت لا تعود.

- تتجلَّى عظمة التشريع في رعاية أحوال العباد ورحمتهم حال المشقَّة، مع رعاية مصالح الأحكام والتكاليف فلا تُترَك إلى غير بدَل.

- من عَجَز عن الصيام وفاته استشعارُ حال الفقراء والمساكين، فلا يتركنَّ مواساتهم بالإطعام؛ توثيقًا لعُرى الصِّلة والرحمة بين المؤمنين.

- طاعة العبد خيرٌ يقدِّمه لنفسه، فالموفَّق من لم يُدِلَّ بعمله، بل يحمَد الله تعالى أن يسَّره له، وشرَع باب الاستزادة بالنوافل والقُربات، ووعد على ذلك بجزيل الخيرات.

- للصوم على سائر الطاعات مزيَّةٌ في الجزاء، وفي الحديث القُدسيِّ: (كلُّ عمل ابن آدمَ له إلا الصِّيامَ فإنه لي وأنا أجزي به)، إنه إن تكفَّل بالجزاء كريمٌ أجزل العطاء، فما الظنُّ بمالك الأرض والسماء؟!

- من الخير الذي يناله الصائمُ بصيامه البركةُ في جسمه وصحَّته ورزقه، وما يدَّخره الله له في الآخرة أجلُّ وأعظم.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

- القرآن مشكاةُ أنوار العباد، ومَشرق الهداية والرَّشاد، فما أجملَ سطوعَه على الأنام، في شهر القيام والصيام!

- خصَّ الله رمضانَ بنزول القرآن الكريم فيه، ومن توفيق الله لك أن تُقبلَ على القرآن في هذا الشهر المبارك؛ تلاوةً وتدبُّرًا، وتجتهدَ فيه ما لا تجتهد في غيره.

- إنها القاعدة الكبرى في تكاليف هذا الدِّين، فهو ميسَّرٌ لا حرَجَ فيه، وتعاليمه تجعل المؤمن سَمحًا في شتَّى شؤون الحياة، وتطبع نفسَه بطابَع لا تكلُّفَ فيه ولا تعقيد.

- حريٌّ بكلِّ مسلم أن يستشعرَ قيمةَ الهُدى الذي يسَّره الله له في رمضان، إذ وفَّقه للاجتهاد في الطاعات، والتباعُد عن المعاصي والمنكرات، فليكبِّر الله وليشكُره على تلك المِنَح الجليلة.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى: فليُطيعوني.

يَرْشُدُونَ: يهتدون.

- عجبًا لعبدٍ يعلم قربَ ربِّه منه، ووعدَه إيَّاه بإجابة مسألته، ثم يُعرض عن الدعاء، ويفرِّط في السؤال!

- لا تحتاج في دعاء ربِّك إلى واسطةٍ تصلك به، وشافعٍ يوصلك إلى بابه، ولكن ادعُه يُجبك، وسَله يُعطِك، فما أعظمَها من نعمةٍ تستحقُّ عظيمَ الشكر!

- الدعاء هو العبادة، وما أشرفَها من عبادة، وما أسعدَ المتقرِّبين إلى الله بها!

- استجابة الله تعالى للعباد مرجوَّةٌ حين يستجيبون لأمره، ويستقيمون على شرعه، فيمُنُّ عليهم بالرُّشد والهُدى، والصلاح والتُّقى، وهو الغنيُّ الحميد.



﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

ٱلرَّفَثُ: الجماع.

لِبَاسٌ: سَكَنٌ، وسِترٌ عن الحرام.

تَخْتَانُونَ: تخونون فتقعُون في المَعصِية.

بَـٰشِرُوهُنَّ: جامِعُوهُنَّ.

ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ: نُورُ الفَجر.

ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ: سَوادِ اللَّيل.

عَـٰكِفُونَ: مُقِيمُونَ في المَساجِد؛ بنِيَّةِ التقرُّب إلى الله.

- يا لهذا الدِّين العظيم الذي يضبِط حركةَ الإنسان وتصرُّفاته في شؤونه كلِّها، لتسيرَ حياته وَفقَ شريعة الله، وتحقِّقَ الغايةَ التي من أجلها خُلِق!

- ليس هناك ما هو أقربُ إلى المرء من لباسه، وكذلك القربُ بين الزوجين. وإذا كان اللباسُ للإنسان سِترًا، فكذلك ينبغي أن يكونَ الزواج؛ إغناءً عن الحرام، ورعايةً وصَونًا.

- هي النفوس تُراود أصحابها على الخيانة، وهو الله الكريمُ الرحيم يتوبُ ويعفو. فما أظلمَ ابنَ آدم، وما أحلمَ الله!

- من تخفيفه سبحانه على عباده أن جعل ما كان محظورًا عليهم، سببًا لوصول الخير إليهم، فمَن قصد في النكاح تحصينَ نفسِه وزوجِه، وتكثيرَ ذريَّته، كتب له به الأجر.

- وسَّع الله الحلالَ وضيَّق الحرام، كرمًا منه تعالى وفضلًا، ومن جملة كرمه سبحانه إثابتُه مَن امتثل الرُّخصةَ وأتى المباح، فله الحمدُ على ما يسَّره وشرَعه.

- يتحقَّق في الاعتكاف التجرُّد الكامل الذي تنقطع فيه النفسُ عن مُتَع الدنيا، ويَخلُص فيه القلب من شواغل الحياة.

- كفَلَت الشريعة الحرِّية للخلق، لكنَّها رسمَت حدودَها؛ فبيَّنت حقَّ الله وحقَّ الناس، وإن حرِّيةَ الإنسان تنتهي حيث تبدأ حدودُ الله.

- الغاية من الصوم الارتقاءُ بالنفس إلى منزلة المتَّقين، ومن هنا خُتمَت أوَّلُ آيات الصيام وآخرها بذكر التقوى.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

وَتُدْلُواْ: وتدفَعوا.

- جُعل آكلُ مال أخيه بالباطل كالآكل مالَ نفسِه بالباطل؛ لأنه ينبغي للمسلم أن يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، وأن يصونَ مالَ غيره كما يصون مالَه.

- قد يحكم القاضي لمَن أكل أموالَ الناس بالباطل؛ لأنه ألحَنُ بحُجَّته، وأغلب لصاحب الحقِّ بلسانه وجميل بيانه، ولكن هيهاتَ أن يجعلَ ذلك الباطلَ حقًّا والحرامَ حلالًا، فليتَّقِ كلُّ امرئٍ ربَّه في نفسه.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

ٱلْأَهِلَّةِ: جَمعُ هِلال؛ وهو القَمَرُ في بِدايةِ ظُهوره.

- من التفكُّر في خلق السماوات والأرض وما فيهما أن تلتمسَ عند النظر إليها الحكمةَ من خلقها؛ لما يترتَّب على ذلك من عمل، ويزداد به من إيمان.

- إن هناك قيمًا عُظمى فوق ما يراه دارسو الطبيعة والفلَك، إنها قيمةُ شريعة الله وإقامتها، فإن تلك الأهلَّة الدائبة في السماء قد جعلها الله مواقيتَ للعبادات والطاعات.

- البِرُّ اسمٌ جامعٌ للتحقُّق بالتقوى ظاهرًا وباطنًا، واستحضار مراقبة الله دائمًا.

- فلنتحرَّ في أعمالنا كلِّها أن نأتيَها من وجهها الصحيح، فما يُطلب من غير وجهه حريٌّ ألا يوصَلَ إليه.

- فلاحُك أيها المسلمُ مَنوطٌ بأن تجعلَ بينك وبين عذاب الله وقاية؛ بامتثالك لأمره، والتزامك بشرعه.

﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾

- إنما شُرع القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض، وإقرارِ منهجه في الحياة، وحمايةِ المؤمنين به أن يُفتَنوا عن دينهم، وما عدا ذلك فظلمٌ وتعدٍّ وليس من الشرع في شيء.

- العدوان محرَّم حتى على من وجبَ قتالُه من الكفَّار المحاربين، فكيف بمَن يعتدي على إخوانه المؤمنين، ويَشهَرُ سيفَه في وجوه الموحِّدين؟!

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ
وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

٣٠

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾

ثَقِفْتُمُوهُمْ: وجدتُموهم.

وَالْفِتْنَةُ: أذًى للمسلمين، أو شِركٌ بالله.

• القتل أهونُ ألفَ مرَّة من فتنة المسلم عن دينه، وسلخ المؤمن عن يقينه؛ بالأذى والتهديد، وبالعُنف والوعيد، أو بتزيين الشبُهات، وإثارة الشهوات، حتى يصبحَ المرء مؤمنًا ويمسي كافرًا.

• من تعظيم الله لبيته العتيق أن جعله مسجدًا حرامًا، لا يجوز فيه انتهاك حُرمة دمٍ ولا مالٍ ولا عِرض، فمَن انتهك شيئًا منها باء بإثمٍ عظيم.

• الجزاء من جنس العمل، فمَن لم يرعَ حُرمةَ الدين لم ترعَ حُرمتُه، ومَن خان عهد الله لم يُحفَظ له عهد، جزاءً وِفاقًا.

﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾

• ما أعظمَ الإسلام! إنه ليُطمِع الكفَّار بالإيمان، ويلوِّح لهم بالمغفرة والإحسان، ويُسقِط عنهم القِصاصَ والدِّية بمجرَّد دخولهم في الصفِّ المسلم، ولو كانوا قد فعلوا بأهله الأفاعيل.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾

• ليست غايةُ القتال في الشريعة سفكَ الدماء وإزهاقَ الأرواح، وإنما إقامةُ ميزان الحقِّ والعدل في الأرض، لتكونَ كلمة الله هي العليا، فلا يُفتَنَ أحدٌ عن اعتقادها أو الجهر بها أو التحاكُم إليها.

• حتى السابقون بالعُدوان إن انتهَوا وتابوا وسِعَتهم رحمة الله وشَمِلَتهم مغفرته وعفوه، فما أحراكَ أيها المؤمنُ أن تُحسنَ الظنَّ بربِّك وبكرمه وفضله!

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

• كفَلَت الشريعة للمسلمين الأمانَ في الشهر الحرام، ما استقاموا وأطاعوا، فمَن بغَى منهم واعتدى فلا أمانَ له، بل عقابٌ من جنس فعله وعمله.

• هذا هو مقتضى العدل والإنصاف؛ شهرٌ بشهرٍ وقتالٌ بقتالٍ والحُرمات قِصاص، فلا تلتفِت لتشنيع كافرٍ يُبيح لنفسه ما يشاء ويحرِّم عليك مجازاته بالمِثل، إن المسلم ليس بالذليل ولا الضعيف ولا القليل الحِيلة.

• يَكِلُ الله المسلمين في انتقامهم من المعتدين إلى تقواهم، فيأمرهم بالتقوى، ويذكِّرهم بأنه مع المتَّقين، وفي هذا أبلغُ ضمانٍ لإقامتهم العدل.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ: ولا تُوقِعوا أنفسَكم.

التَّهْلُكَةِ: الهَلاكِ بتَركِ الجِهاد والإنفاقِ فيه.

• الإمساك عن الإنفاق في سبيل الله تعالى تهلُكةٌ للنفس بالشحِّ، وتهلُكةٌ للجماعة بالعجز والضعف، وإغراءٌ للعدوِّ بالتسلُّط.

• كتب الله الإحسانَ في كلِّ شيءٍ حتى في الإنفاق وفي القتال؛ لتكونَ الأمَّة المسلمة أمَّةَ الإحسان التامِّ، على مدار العصور، وتعاقُب الدهور.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

أُحْصِرْتُمْ: مُنِعتُم لمَرَضٍ، أو عدُوٍّ.

نُسُكٍ: ذَبيحةٍ؛ شاةٍ تُذبَحُ لِفُقَراءِ الحَرَم.

حَاضِرِي: ساكِني.

• حريٌّ بالمؤمن إكمالُ ما يشرَع فيه من عمل صالح، وألا يلتفتَ لرغَبات النفس الجامحة، والخواطر الطائشة التي تحولُ بينه وبين إكمال العمل على الوجه المَرضيِّ.

• أبواب الخير كثيرةٌ مفتوحة، فإن لم تستطع بلوغَ بيت الله العظيم، فلا شيءَ يمنعُك من أن تتقرَّب إلى الجليل الكريم.

• الحجُّ قصدٌ إلى بيت الله، وَفقَ أمر الله، فطُوبى لمَن اتَّبع في مناسكه رسولَ الله، ليرجعَ من حَجِّه كيوم ولدته أمُّه!

• هي صورةٌ مشرقة من صورِ رحمة الشريعة، وقصدِها إلى التخفيف على العباد، ورفع الحرَج عنهم. فلنتشبَّث بأركانها، ولنكن من رافعي لوائها.

• مع التيسير في التشريع يعظُم الإثم على التفريط، وتشتدُّ العقوبة لمَن تجاوز حدودَ الله.

ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢

٣١

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾

أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ: هي: شَوَّالٌ، وذو القَعْدَة، وعَشْرٌ من ذي الحِجَّة.

رَفَثَ: الجِماعُ ومُقدِّماتِه القوليَّة والفِعليَّة.

- ما الحجُّ إلا أشهرٌ قليلة، وأيَّامٌ معدودة معلومة، فهل يُعجزك أيها المسلمُ أن تلتزمَ فيها بما أمرك الله، وتنتهيَ عمَّا نهاك؟!
- إنما كانت مراعاةُ الآداب في الحجِّ لتعظيم شأن الحرَم والمناسك، وكذلك ينبغي أن نكونَ في الأزمنة الشريفة والمشاهد الفاضلة على أكمل الآداب.
- حسبُ المؤمن دافعًا له إلى فعل الخير استحضارُه أن الله مطَّلعٌ عليه، عالمٌ بما يفعله، فهذا وحدَه جزاءٌ قبل يوم الجزاء.
- لا بدَّ للمسافر من زاد؛ أمَّا سفر الدنيا فزادُه الطعام والشراب والمركب؛ لتلبية رغَبات النفس وحاجاتها، وأمَّا سفر الآخرة فزادُه تقوى الله؛ لتوصلَك إلى النعيم المقيم.
- اتَّقوا العذاب، يا أولي الألباب؛ فإن أكمل الناس لُبًّا أكملهم تقوى، ومَن لم يتَّقِ الله فهو كمَن لا لُبَّ له.

﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾

فَضۡلٗا: رزقًا بالتِّجارة.

أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ: دَفَعتُم بعدَ غُروبِ الشَّمسِ، راجعينَ من عَرَفات.

- اشتغال الحاجِّ بالتجارة ابتغاءَ فضل الله عبادةٌ لا تتنافى مع الحجِّ في الاتجاه إلى الله، ومتى ضمن الإسلام صلاحَ نيَّة المؤمن وحُسنَ اتِّباعه أجاز له أن يعملَ ما يشاء.
- إذا كان الماء يَفيضُ في سهولةٍ وليونة، فكذلك الحَجيج ينبغي أن يُفيضوا من عرَفاتٍ إلى مُزدلِفة بسهولةٍ وليونة، من غير تدافُعٍ ولا إيذاء.
- أكثر الناس ذِكرًا لله أكثرُهم هداية، وإن رُمتَ أن تعرفَ مكانك من الهداية فانظر مكانَ الذِّكر منك.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩﴾

- لا مزيَّةَ في مقام الإفاضة لأحدٍ على أحد، فالكلُّ عباد الله، يتوجَّهون إلى حيثُ أمرَهم، ويُفيضون من حيثُ أمرَهم، ومَن ضلَّ عن أمره سبحانه واتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين، فهو من الخاسرين الأذلِّين.
- الاستغفار في المَواطن الفاضلة وعند الأحوال الشريفة يمنع العُجب، ويسدُّ الخلل، ويعلن عن طبيعة النفس البشريَّة التي لا بدَّ أن يعتريَها ما يعتريها من التقصير.

﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠﴾

- كانت أيام مِنًى في الجاهليَّة للتباهي بالأمجاد، والتفاخُر بالآباء والأجداد، فجعلها الله تعالى أيامَ أكل وشُرب وذكرٍ لله، والمغبونُ مَن قلَّ ذكرُه فيها وأضاعها بما لا نفعَ فيه.
- ذِكر الله تعالى وتعظيمُه بالجَنان واللسان، ممَّا يزيد في الإيمان، وينزع من القلب تعظيمَ غيره من خَلقِه، حتى لا يعلوَ على تعظيم الله تعظيمُ سواه.
- كم يخسر أولئك الذين إذا سألوا الله فإنما يسألونه من عرَض الحياة الدنيا التي لا تساوي عنده جناحَ بعوضة، وينسَون الآخرة وهي خيرٌ وأبقى، فلا يكون لهم منها حظٌّ ولا نصيب!

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾

- اجعل الآخرة أكبرَ همِّك، ولا تنسَ نصيبَك من الدنيا؛ فإن صلاح دنياك يعينُك على بلوغ آمالك في أُخراك، فلا تضَع من قدرها، ولا تضَعها فوق قدرها.
- إنه والله لدعاءٌ عظيم، قد جمع خيرَي الدنيا والآخرة، فما أحسنَ أن نكثرَ منه؛ بحضور قلبٍ وصدق يقين!

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾

- سؤال الدنيا مع الآخرة لا يمنع علوَّ الرتبة، أما ترى كيف فخَّم الله شأنَ من سألهما، مع ما أعدَّ لهم من النصيب في الدارَين؟
- هذا ترغيبٌ وترهيب؛ فهو سبحانه لا ينسى عملًا، ولا يمشي عليه باطل، ولا يقدِر على مدافعته مُطاول.

۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي
يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ
ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ
﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾
وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ
وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ
أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ
ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ
مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ
مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

٣٢

﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

مَّعۡدُودَٰتٖ: أيَّامِ التَّشريق: الحادي عَشَرَ، والثَّاني عَشَرَ، والثَّالِثَ عَشَرَ من ذي الحِجَّة.

• خصَّ الله ذكرَه في أيَّام التشريق دون غيره من الأعمال؛ لأنه مَقصِدها، فمَن أكرمه الله بالوفود عليه فليلهَج بذِكره وشُكره.

• ذكَّرهم ربُّهم بالتقوى لئلَّا يتَّكلوا على أعمالهم، ويغترُّوا بأدائهم لمناسكهم، فإنما يتقبَّل الله من المتَّقين.

• مَن علم أنه لا بدَّ من حشرٍ وحساب، كان ذلك من أقوى الدَّواعي له إلى ملازمة التقوى، وفي الحجِّ شَبهٌ بيوم الحشر، فليعتبِر الحاجُّ وليستعدَّ لذلك اليوم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾

أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ: شَديدُ العَداوةِ والخُصومَة.

• لا تغترَّ بكلِّ منطِقٍ منمَّق، فما أيسرَ التصنُّعَ في حال الألفة والوئام، وإنما تنكشف المعادنُ وتظهر الحقائق عند النزاع والخصام.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾

ٱلۡحَرۡثَ: الزَّرعَ.

• فريقان لا تنخدع بهما؛ منافقٌ يُظهر لك ما تحبُّ، فإن غاب عنك ارتكب كلَّ خطيئة. وكافرٌ مراوغ، ينمِّق مُراده فيقلب الحقائقَ ويفعل بالمسلمين الأفاعيل.

• إهلاك الحرث والنسل فسادٌ عريض، ويدخل فيه كلُّ ما يُزخرفه أهل الباطل من وجوه الفساد التي لا ترعى لشرع الله حُرمة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

فَحَسۡبُهُۥ: كافيه.

ٱلۡمِهَادُ: الفِراشُ والمَضجَع.

• تزيد المعصية قبحًا بتكبُّر صاحبها وبطَره الحقَّ، قال ابنُ مسعود: إن من أكبر الذنب عند الله أن يقولَ الرجل لأخيه: اتَّقِ الله، فيقول: عليك بنفسِك، أنت تأمرني؟!

• قد يحرق قلبَك عدوانُ المعتدين، وتنتظر نَكالَ الله بهم وعقابَه فيهم. لا تستعجل جزاءهم، إنَّ لهم في الآخرة ما ينتظرهم، عذاب جهنَّم يكفيهم!

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

يَشۡرِي: يَبيعُ.

• مقابلَ المنافقين الذين باعوا أنفسَهم للشياطين، هناك عبادٌ موفَّقون باعوا أنفسَهم لله ربِّ العالمين، فاشترَوا جنَّةً عرضُها السماواتُ والأرضين، فما أغبطَهم بهذه الصفقة الرابحة!

• فلنتعرَّض لرأفة الله تعالى ورحمته بابتغاء مرضاته، وإخلاص عبادته، فإنه الرؤوفُ الرحيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾﴾

ٱلسِّلۡمِ: شَرائع الإسلام.

• على المؤمن أن يدخلَ في الإسلام بكليَّته، ولا يقتصر منه على بعضه، بل يلتزم به في ظاهره وباطنه، ويستسلم لله تعالى في جميع أمره.

• بمثل هذا الحسم ينبغي أن يحدِّدَ المسلم موقفَه، بلا تردُّدٍ ولا تحيُّر، فإمَّا الدخول في الإسلام كلِّه، وإمَّا اتِّباع خطُوات الشيطان، وما أبعدَ البونَ بينهما!

• ليس كلُّ عدوٍّ يكشف لك عن حقيقة عداوته، فانظر إلى ما يسوقُك إليه، لتعلمَ ما يريده منك وما يرجوه لك.

﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾

زَلَلۡتُم: انحَرَفتُم.

• في الآية من الوعيد الشديد ما يوجب اتِّقاءَ الزلل؛ فإن العزيز الحكيم إذا عصاه العاصي قهرَه بقوَّته، وعذَّبه بمُقتضى حِكمته.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

يَنظُرُونَ: يَنتَظِرُونَ.

ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ: قِطَعٍ منَ السَّحاب.

• ماذا ينتظر المفسدون، الذين هم لخطُوات الشيطان متَّبعون؟! الهُدى بين أيديهم، والبيِّنات نُصبَ أعينهم، ولم يبقَ إلا قضاء الله فيهم.

• إلى الله وحدَه ترجع الأمور كلُّها، فيحكم فيها بعدله، ويرحم مَن يشاء بفضله، فلا تعلِّق رجاءك بغيره.

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١ زُيِّنَ
لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ
٢١٢ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ
مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ
إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ
ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ
مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥

٣٣

﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾

• آيات الله تعالى حجَّةٌ على العبد؛ إن لم يَستجِب لها؛ يُبكَّت بها في الدنيا ويُعنَّف، ويُعاقَب على مخالفتها في الآخرة ويُعذَّب.

• ليست البيِّنات ما ينقص كثيرًا من الناس حتى يهتدوا ويُذعنوا، فها هم أولاءِ بنو إسرائيل؛ ماذا صنعوا بآياتهم البيِّنات الكثيرة؟!

• الكفر بنِعَم الله الدينيَّة أو الدنيويَّة مؤذنٌ بزوالها، وحلول النقمة مكانها، ولهذا كان كفرُ النعمة تبديلًا. (إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَها / فإنَّ المعاصي تُزيل النِّعَم، وحُطْها بطاعة ربِّ العبادِ / فربُّ العبادِ سريعُ النِّقَمْ).

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾

• المفتونُ مَن فتنَته الحياة الدنيا بزينتها، فغدَت ملذَّاتها كلُّها أثيرةً لديه، غيرَ عابئٍ بما كان منها حرامًا.

• مَن وجد في نفسه تعظيمًا لزخرُف الحياة الدنيا، وازدراءً لأهل التقوى الزاهدين فيها، فإنه على خطرٍ من الذلَّة والمهانة يوم القيامة.

• أيها المؤمن، اثبُت على إيمانك، ولا يُزعزِعكَ استهزاءُ الكافرين، ولا سخريَّةُ العاصين؛ فإنهم إن علَوكَ في متاعٍ دنيا، فدرجتُك عند الله في الآخرة أعلى وأرقى.

• هو الوهَّاب سبحانه يرزق مَن يشاء من المؤمنين والكافرين في هذه الحياة الدنيا، له الحكمةُ البالغة والمشيئةُ النافذة، وما عنده لعباده المؤمنين في الآخرة خيرٌ وأبقى.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾

• النجاة من الخلاف والخصام والبغضاء، هدايةٌ وتوفيق واصطفاء، وفضلٌ من خالق الأرض والسماء.

• لن تستقيمَ الحياة ويعُمَّ السلام ويُقطَعَ دابرُ الشِّقاق إلَّا بتحكيم الحقِّ الذي جاءت به الشَّرائع في كلِّ ما يختلف فيه الناس.

• لا يختلف اثنان على الحقِّ الواضح الجليِّ في كتاب الله تعالى إلا وفي نفسيهما أو أحدهما بغيٌ وهوًى.

• إذا رُمتَ الهداية إلى الصِّراط المستقيم، والنجاة من سبُل أهل الضلالة أجمعين، فتمسَّك بحبل الإيمان، واطلب الهُدى من الكريم المنَّان.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾

ٱلۡبَأۡسَآءُ: الفقر.

وَٱلضَّرَّآءُ: المرَض.

• لكلِّ ثمينٍ ثمنٌ عظيم، وسلعةُ الله غالية، فمَن أراد الجنَّة فليبذُل لها، ومَن طلب الحسناء جاد بمَهرها.

• قد يتأخَّر فرَج الله عن عباده المؤمنين حتى تنقطعَ عنهم الأسباب، وتنغلقَ في وجوههم كلُّ الأبواب، ليمتحنَ قلوبهم للتقوى، فتخلُص سرائرُهم من الركون لشيءٍ من الخلق، وتتعلَّق ضمائرُهم بربِّ الخلق وحدَه.

• بهذا يدخل المؤمنون الجنان، وهذا هو طريقها؛ جهادٌ وامتحان، وصبرٌ وإيمان، وتجرُّدٌ لله ذي المنِّ والإحسان، لا إله إلا هو.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥﴾

• للإنفاق شأنٌ عظيمٌ في توثيق عُرى الأخوَّة بين المسلمين، وتعميق الشعور بالانتماء للأمَّة الواحدة، فلا غروَ أن يُبادرَ الصالحون إلى السؤال عن الأوجُه التي ينفقون بها في سبيل الله.

• المال خيرٌ للمعطي والآخذ، وخيرٌ للفرد والجماعة، وأحقُّ ما أُنفِق فيه وجوهُ الخير، جعلنا الله من المنفقين فيها طلبًا لرضاه.

• من منهج الإسلام الحكيم في تربية النفوس أن يأخذَ الإنسانَ بفطرته وميوله، ويسيرَ به إلى الكمال خطوةً خطوة، ويرتقيَ به نحو المعالي درجةً درجة.

• إدارة الأولويَّات، وترتيب الواجبات، منهجٌ شرعيٌّ يجب أن يسيرَ عليه كلُّ مريدٍ للخير، حريصٍ على الفلاح في الدنيا والآخرة.

• ليعلم كلُّ منفقٍ أن الله عليمٌ بإنفاقه، عليمٌ بنيَّته، لا يضيع عنده شيء، ولا يُظلم عنده أحد، فما أحرانا أن نجودَ ونسخوَ في الإنفاق!

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ
شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ
لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ
ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ
أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ
يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن
يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ
حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ
ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ
قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ
مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩

٣٤

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾

• كراهة النفس للقتال لِـما يُخامره من مشقَّة وفزع، مع التسليم والرضا بالتكليف، كراهةٌ فِطريَّة لا تنافي الإيمانَ ولا ينكرها الإسلام؛ لأن الشريعة متَّفقة مع الفِطرة.

• ألا فلتطمئنَّ النفوسُ المؤمنة برحمة الله البصير بمواضع ضعفها، العليم بمشقَّة ما كتبه عليها، الآمر لها بما فيه خيرُها وبرُّها.

• متى اعتقدتَّ قصورَ علمك، وكمالَ علم ربِّك، كنتَ على يقين أنه سبحانه لا يأمرك إلا بما فيه صلاحُك، سواءٌ أوافق هواك أم خالف مُرادك.

• مَن علم أن المكروهَ قد يأتي بالمحبوب، والمحبوبَ قد يأتي بالمكروه، امتثل أمرَ ربِّه في جميع أحواله، واستسلم لقدَره وقضائه؛ لأنه لا يعلم عواقبَ الأمور إلا هو.

• لعلَّ الهُلك والمضرَّة فيما نرجوه ونطلبه، ولعلَّ الفلاحَ والصلاح فيما نكرهه ونتجنَّبه، فلنسأل ربَّنا دومًا حُسنَ الاختيار، وأن يرضِّينا بما يختاره ويقدِّره.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾

وَٱلۡفِتۡنَةُ: الشِّرك.

• الإسلام يرعى حرُمات مَن يرعَون الحرُمات، ولا يسمح بأن تُتَّخذَ الحرُمات دروعًا يحتمي بها مَن ينتهكها ويرتكب كلَّ منكر ظانًّا أنه في منجاةٍ من القِصاص بحُجَّة صون الحرُمات.

• جريمة القتل مع عِظَمها تهون أمام جريمة الكفران، والصدِّ عن سبيل الرحمن، وتشريد أهل الهُدى والإيمان. إن كلَّ جريمة من هذه الجرائم أشدُّ ضررًا، وأعظم خطرًا.

• إن وجود الإسلام في الأرض فيه غيظٌ لأعداء الدِّين، ورعبٌ لهم في كلِّ حين، فهو من القوَّة بحيثُ يخشاه كلُّ مبطِل، ويرهبه كلُّ باغ، ويكرهه كلُّ مفسد.

• مع يقين الكفَّار في قرارة نفوسهم أن المؤمنين على الحقِّ، وأنهم منصورون، تراهم لا يفتؤون يقاتلونهم ليردُّوهم عن دينهم، أوَليس المؤمنون أحقَّ بقتالهم دفاعًا عن دينهم، وإعلاءً لكلمة ربِّهم؟!

• أعظم غايات الكافرين وأسمى أمانيِّهم التي يقاتلون المسلمين للوصول إليها؛ أن يردُّوا المسلمَ عن دينه، ويفتنوه في عقيدته التي هي أغلى ما عنده.

• في لحظةٍ واحدة قد يحبَط عملك كلُّه، وتتلاشى جهودك كلُّها، فإيَّاك أن تأمنَ على نفسك، واحذر الرِّدَّة واجتنب أسبابها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾

• هؤلاء هم خيارُ هذه الأمَّة، جعلهم الله من أهل الرجاء في رحمته، لنعلمَ أنه من رجا الله جدَّ في طلب ما عنده، بامتثال أمره واجتناب نهيه، ولم يتمنَّ عليه الأمانيَّ.

• إن رحمةَ الله لا تُرتجى بالتمنِّي والكسل، ولكن بالتشمير عن ساعد الجِدِّ والعمل؛ إيمانًا واستقامةً وجهادًا.

﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾

وَٱلۡمَيۡسِرِ: القِمار، وهو أخذُ المال أو إعطاؤه بطَريقِ المُغالَباتِ التي فيها عِوَضٌ من الطَّرَفَين.

• اشتمال بعض المحرَّمات على بعض المنافع لا يسوِّغ ارتكابَها والتشغيبَ على تحريمها، والتغاضي عن شرورها وعظيم مفاسدها، فهذه الخمر رأسُ الآثام لا تخلو من منفعة.

• الإسلام دين يُسر وسماحة، لا يُرهق أتباعَه ولا يكلِّفهم من أمرهم عُسرًا، فمَن فَضَل من ماله شيءٌ وزاد عن حاجته فليُنفقه في طاعة ربِّه، ولا يكلِّف الله نفسًا إلَّا وسعَها.

• التفكُّر في مقاصد الشريعة واستنباط أحكامها هو الغايةُ من تبيين الآيات؛ للأخذ بالأصلح النافع، واجتناب المفسد الضارِّ.

• تأمَّل أيها الداعيةُ في الحكمة من التدرُّج في تحريم المسكِر والقِمار، ولو شاء الله أن يحرِّمَهما ابتداءً لفعل، ولكنَّ في ذلك إرشادًا إلى ضرورة مراعاة أحوال المدعوِّين وتقدير ظروفهم.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
(٢٢٠) وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ
خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ
حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ
أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ
بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي
الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ
مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
(٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا
لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا
وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)

٣٥

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)﴾

لَأَعْنَتَكُمْ: لَضيَّق عليكم.

• مَن تفكَّر في الدنيا والآخرة عرف أن الدنيا دارُ بلاء وفناء، وأن الآخرة دارُ بقاء وجزاء، فعجبًا لمَن يؤثر الدنيا على الآخرة!

• لا تقتصر كَفالة اليتيم على إصلاح ماله ورعاية عقاره، ولكنَّ الأهمَّ القيامُ بإصلاح دينه وأخلاقه، تأديبًا وتقويمًا.

• من شأن المسلمين أنهم يتخالطون ويتآلفون، ويتعاونون ويتكافلون، أغنياؤهم وفقراؤهم؛ أقوياؤهم وضعفاؤهم، وتلك أسمى معاني الأخوَّة في الله.

• ليست العِبرة برفع شعار الإصلاح والتزيِّي بثياب المصلحين، ولكنَّ العبرة بأن يصدِّق القولَ العمل، والله أعلم بالسرائر.

• أجل، لو شاء سبحانه لأرهقَ المسلمين في أحكامه، وشقَّ عليهم فيما يكلِّفهم، لكنَّه تعالى حكيمٌ رحيم لا يريد لعباده إلا الخيرَ واليُسر.

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)﴾

• قد تفوق المشركةُ الأمةَ المؤمنةَ في الجمال والنسَب، وفي المال والحسَب، ولكنَّها هيهاتَ أن ترقى إليها في ميزان الحقِّ والشرع، فاظفر بذات الدِّين ترِبَت يداك.

• إن المؤمن يرى بعين البصيرة قبل العين الباصرة، فيقدِّم الحقائقَ الجوهريَّة على المشاهد الحسيَّة، فلا تُغريه المباهج إن كانت مُعوجَّةَ المناهج، ولا يستهويه المنظر إن كان سيِّئَ المَخبَر.

• آراؤك الشخصيَّة مهما بلغ شأنها في نفسك، وعَمُق أثرُها في حياتك، فلا يجوز بحالٍ أن تكونَ بمنأًى عن دين الله تعالى وشرعه.

• ما أبعدَ البونَ بين مَن يدعو إلى لذَّةٍ عاجلة زائلة، ومَن يدعو إلى نعيم الآخرة! فلنستجب لداعي الله، ولنحرص على صحبة أهل الإيمان، ولنحذر داعيَ الكفر والعصيان.

• من تمام بيان آيات الله ذكرُ ما اشتملت عليه من الأحكام والحِكَم، فذلك أدعى للإيمان بها، واعتقاد فضلها، والعمل بما فيها.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾

• نِعمَ القومُ صحابةُ رسول الله ﷺ؛ لم يمنعهم الحياءُ من التفقُّه في الدين، وما أحرانا أن نقتفيَ آثارَهم، فإنه لا ينال العلمَ مستحٍ ولا مستكبِر!

• يؤكِّد الإسلام في نفس المسلم معانيَ الطهر والنظافة التي فُطِر عليها، ويباعده عن كلِّ ما يُعارضها، حتى في أخصِّ أحواله وأدقِّ تفاصيله.

• أحدِث لكلِّ معصيةٍ توبةً صادقة؛ تطهيرًا لقلبك، ومحوًا لذنبك، وإذا كان سبحانه يحبُّ طهارتك الحسيَّة، فكيف بطهارة نفسك، ونقاء سريرتك؟!

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)﴾

حَرْثٌ لَّكُمْ: موضِعُ زرعٍ لكُم، تضَعُونَ النُّطفةَ في أرحامِهِنَّ فيَحمِلنَ.

أَنَّىٰ شِئْتُمْ: كيفَ أردتُم، ما دامَ ذلكَ في موضِع الحَرث؛ وهو الفَرج.

• هذَّب الإسلام كلَّ شؤوننا، حتى الشهوةُ المباحة وجَّهها إلى المحلِّ الطاهر وصرفها عن موضع القذَر، وأمرنا بالتقوى في أخصِّ الأحوال، فلنعَضَّ على ديننا بالنواجذ.

• كلُّ خيرٍ تقدِّمه؛ من ولدٍ صالح أو علمٍ نافع أو صدقةٍ جارية، فإنما تقدِّمه لنفسك ليوم الملاقاة العظيم.

• عوِّد نفسك أن تكون مبشِّرًا بالجزاء الحسن لمَن أحسن؛ لتبعثَ الهمَّة فيمَن حولك، وتثبِّتَهم على الحقِّ، وترغِّبَهم في الآخرة.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)﴾

عُرْضَةً: مانِعًا.

• إيَّاك أن تجعلَ اسمَ مَن أمرك بالبرِّ والتقوى عارضًا يحولُ بينك وبين المبرَّات! و(مَن حلَف على يمينٍ فرأى غيرَها خيرًا منها، فليأتِ الذي هو خير، وليكفِّر عن يمينه).

• هو سبحانه سميعٌ فلا تُقسِم باسمه على أمرٍ تافهٍ حقير، وهو عليمٌ خبير فلا تحلِف إلَّا على فعل خير، وعلِّق قلبك به في كلِّ الأحوال.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا
الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ
إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي
ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ
فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا
مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ
بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا
غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن
يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

٣٦

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ: اليمينُ اللاغيةُ هي: اليمينُ التي لا يقصِدُها صاحبُها.

• من مظاهر سَعة رحمة الله وحِلمه أنه لا يحاسب عباده على فلَتات اللسان، ولكن على ما يتعمَّدونه ويقصدونه في الجَنان، من أقوال وأيمان.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾

يُؤْلُونَ: يحلِفون ألّا يُجامِعوا نِساءَهُم.

تَرَبُّصُ: انتِظار.

فَاءُوا: رَجَعُوا.

• أعظِم به من دينٍ يراعي عقولَ أتباعه وقلوبهم، ويمنحهم الوقتَ الكافيَ للتفكير في جَدوى استمرار الحياة الزوجيَّة؛ لئلّا يعجَلَ امرؤٌ بقرارٍ قد يعضُّ أصابعَ الندامة عليه!

• رجوعُ الزوج إلى زوجته بالإحسان، مؤذِنٌ بحصول الرحمة والغُفران، فإن الجزاء من جنس العمل.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾

• قد يقع بين الأزواج أمورٌ خفيَّةٌ لا يعلمها القضاة ولا غيرُهم، فجعلهم الله أمناء على أنفسهم فيما خفي وما ظهر، وهدَّدهم بأنه سميعٌ لأقوالهم، عليمٌ بأعمالهم ومقاصدهم، وسيُجازيهم عليها.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ: ثَلاثَ حِيَض.

• لم يؤمن بالله حقَّ الإيمان مَن خان ما اؤتُمن عليه، ومن أبشع الخيانة كتمانُ النساء ما في أرحامهنَّ، ولكن أنَّى لهنَّ الإفلاتُ من الحساب، والنجاةُ من العقاب؟!

• لا بدَّ للزوجين من وقتٍ كافٍ يختبران فيه عواطفَهما بعد الطلاق، فإذا ذهب ما في قلبَيهما من أسباب الشِّقاق، استصغرا دوافعَ الفِراق، وحنَّا إلى عهد الوئام والوِفاق.

• قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إني لأحبُّ أن أتزيَّنَ للمرأة كما أحبُّ أن تتزيَّنَ لي؛ لأن الله يقول: {ولهنَّ مِثلُ الذي عليهِنَّ بالمَعرُوف}. وما أحبُّ أن أستوفيَ جميع حقِّي عليها؛ لأن الله يقول: {وللرِّجال عليهِنَّ درَجة}.

• إنما هي درجةٌ واحدة لا درَجات، فحاذر أيها الرجلُ أن تستبدَّ وتظلم، واعلم أن خير الناس خيرُهم لأهلهم، والظلم ظلماتٌ يوم القيامة.

• ألا فلتستشعر القلوبُ المؤمنة جلالَ هذين الاسمين العظيمين (العزيز والحكيم)، عساها تستقيم على الحقِّ وإقامة ميزان العدل، من غير زَيغ ولا انحراف.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

• سبحانه ما أرأفَه بقلوب عباده! فقد شرع للرجال مراجعةَ النساء بعد الطلاق مرَّتين لا مرَّة؛ لطفًا بالأزواج، ورحمةً بالأُسَر، وصلاحًا للمجتمع بأسره.

• ما بين المعروف والإحسان تُصانُ الحقوق، وتُحفَظ الحدود؛ إنها شريعة الله القائمةُ على العدل والفضل.

• من حكمة التشريع أنه يراعي مشاعرَ القلوب التي لا حيلةَ للإنسان فيها، ولا يَقسِرُ الزوجة على حياةٍ تنفِرُ منها، ولا يضيِّع على الرجل ما أنفق بلا ذنبٍ جناه.

• رسمت شريعة الإسلام حدودًا واضحةً لشؤون الطلاق والفِراق؛ إقامةً للعدل، ودفعًا للظلم، فطوبى لمَن لزم حدودَ الله فلم يتجاوزها.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

• الطلقتان الأولى والثانية قد تدعو لهما أسبابُهما أو خطأ أصحابهما، لكنَّ الثالثة دليلٌ على عدم صلاحية الحياة الزوجيَّة، إلا أن تكونَ بداية جديدة، قائمة على حدود الشريعة.

• لا تُشاد العَلاقات الزوجيَّة على رغَبات النفوس وأهوائها، ولكنَّها ميثاقٌ غليظ يُشاد على حدود الله وقوانينه العادلة.

• العاقل اللبيب يعرف قدرَ نفسه فلا يُقحمها فيما لا طاقةَ لها به، في أمور الحياة كلِّها، فإن المسؤوليَّة أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، لمَن لم يكن أهلًا لها.

• لم يترُك الله حدودَه وأحكام شريعته غامضةً خفيَّة، ولكنَّه بيَّنها في كتابه الكريم، وأوضحَها في سنَّة نبيِّه الأمين، لمَن يعلمون فيعملون.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

ضِرَارًا: مُضارَّةً.

• إن المعروف والجميل والحسنى خلالٌ كريمةٌ يجب أن تسودَ الحياة الزوجيَّة، سواءٌ اتصلَت حبالها أو انفصمَت عُراها، ولا يجوز أن تُداخلَها نيَّة الإيذاء والإعنات.

• مَن يمسك المطلَّقة اعتداءً وظلمًا فإنما يظلم نفسَه بإيراده إيَّاها موردَ الهلكة، وإشاعته سلوكًا سيِّئًا في المجتمع.

• من الاستهزاء بآيات الله التلاعبُ بها، وارتكابُ خلاف مقاصدها، فارعَها أيها المؤمنُ حقَّ رعايتها، وإيَّاك والتهاونَ في تعظيمها.

• استشعار مِنَن الله تعالى في حِكَمه السَّديدة وشريعته العادلة خيرُ باعثٍ على امتثالها والاستقامة على نهجها، والاتِّعاظ بمواعظها.

• نِعَم الله كثيرةٌ جليلة، ومن أجلِّها أن جعل لك واعظًا في قلبك من كتاب ربِّك وسنَّة نبيِّك، يُلزمك الكتابَ والحكمة، ويحجُزك عمَّا يضرُّك.

• يستثير القرآنُ في المؤمن شعورَ الخوف والحذر من المنعِم، بعد شعور الحياء والخَفَر بتذكُّر النِّعَم، ويأخذ النفسَ من أقطارها؛ ليقودَها في طريق السماحة والرِّفق والتجمُّل.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

تَعْضُلُوهُنَّ: تمنعُوهنَّ.

• مهما بحثتَ وفحَصتَ فلن تجدَ قانونًا ولا تشريعًا حفظ للمرأة حقوقها كلَّها مثلَ شريعة الإسلام، حتى المطلَّقةُ أحاط حقوقها بسِياج من الحفظ؛ لئلَّا يظلمَها زوجها ولا وليُّها.

• حين يَعمُر القلبُ بالإيمان بالله والتصديق بيوم الحساب تكون للموعظة فيه أبلغُ الأثر، فهي تتعلَّق بعالمٍ أرحبَ من هذه الأرض، وتتطلَّع إلى رضا الله فيما تأخذ وتدَع.

• شعور المؤمن بأن ربَّه يريد له ما هو أزكى وأطهر يستحثُّه على الاستجابة لأمره؛ لاغتنام الزكاة والطُّهر لنفسه، وللمجتمع من حوله.

• إن من أعظم البواعث للعبد على الالتزام بشريعة الله عن رضًا ويقينٍ معرفتَه أن مَن اختار له هذا الطريقَ هو الله الذي قد أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا.

﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

فِصَالًا: فِطامًا.

• أيُّ عنايةٍ أعظم من هذه العناية الربَّانيَّة التي حفِظت للرضيع حقَّه في الرَّضاعة في ذلك الوقت العاصف، عند اشتجار الخلاف بين الزوجين؟!

• للأمَّهات في الشريعة رعايةٌ خاصَّة؛ ألا تراها كيف أمرَت للمُرضع حتى في حال طلاقها بالنفقة والكِسوة، ورعَت لها طفلها، فأمرَت أباه بالإنفاق عليه؟!

• إنه الكمال في شريعة الإسلام؛ فهي تحثُّ على النفقة على المُرضِعات المطلَّقات على الوجه المستحسَن شرعًا وعُرفًا، وتدعو إلى مُراعاة حال الزوج غنًى وفقرًا، فلا يكلَّف الفقير فوق طاقته.

• ساحة الخلافات الأسريَّة يجب أن تكونَ بمنأًى عن الأولاد فلا يُقحَموا فيها، إنَّ شأن الأطفال أن يكونوا سببًا للأُلفة بين الوالدَين، لا أن يكونوا أداةً لانتقام أحدِهما من الآخر.

• عظمة التشريع تظهر في شُموله وعنايته بأدقِّ التفاصيل؛ إقامةً للعدل، وحفظًا لحقوق الخَلق، ومن هنا أوجب الإسلامُ على الورَثة رعايةَ الطفل والنفقةَ عليه إذا ما فقَد والدَيه.

• الحياة الأسريَّة حياةٌ مشتركة لا تنفكُّ عن التراضي والتشاور في كلِّ حال، وخاصَّةً عند اتخاذ القرارات المصيريَّة.

• إن الله كتب الإحسانَ في كلِّ شيء، وإن من أَولى المواقف بالإحسان أداءَ الأجر للمُرضع، فإن في ذلك ضمانًا لحقوق الرضيع، وأمانًا من تفريطها.

• يربط القرآن العَلاقاتِ كلَّها برباطٍ وثيق من التقوى، ويحثُّ النفوسَ عليها بذكر إحاطته تعالى بالأعمال ظاهرِها وباطنها، فطُوبى لمَن كانت عادته في الحياة استحضار: (الله ناظري، الله شاهدي، الله مطَّلع عليَّ).

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى
الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ
فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ
أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

• في تشريع عِدَّة المرأة المتوفَّى عنها زوجُها حفظٌ لحقِّ الرابطة الزوجيَّة التي تستحقُّ هذا الوفاءَ الكبير.

• حفِظ الإسلام للأزواج حقوقَهما كاملة؛ فلا الزوج خانه أحدٌ لمَّا رحَل، ولا الزوجة حُرِمت من غيره بعدما أفَل.

• كثيرًا ما يذكِّر الله عزَّ وجلَّ عبادَه في الأحكام التي يوكِل شيئًا منها إلى أمانتهم، يذكِّرهم بعلمه المحيط بكلِّ شيء، فإن في ذِكر ذلك زاجرًا لهم عن الخيانة ودافعًا إلى الوفاء.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

عَرَّضْتُم: لَمَّحتُم.

أَكْنَنتُمْ: أضمَرتُم.

عُقْدَةَ النِّكَاحِ: عَقدَ النِّكاح.

• أعظِم بها من تربيةٍ على استعمال الألفاظ في موضعها الصحيح؛ ففي حالٍ يُباح لك التلميح، ولا يُباح لك التصريح! فأحسِن اختيارَ كلماتك.

• يا له من تشريع ربَّانيٍّ للرجال الراغبين في المتوفَّى عنها زوجُها في العِدَّة؛ يقوم على أدب النفس، وأدب الاجتماع، ورعاية المشاعر، مع مراعاة الحاجات والمصالح!

• إن الإسلام لا يَحطِم الميولَ الفِطريَّة وإنما يضبطها، ولا يكبِتُ النوازعَ البشريَّة وإنما يهذِّبها؛ صَونًا للأعراض، وحمايةً للمجتمع، ودرءًا لكلِّ ما يخالف نظافة الشعور، وطهارة الضمير.

• يقين المؤمن باطِّلاع الله على ما يَجول في نفسِه، وما يَحوك في صدره، من أعظم العون له على امتثال أمره، ومن هنا كان الاقترانُ بين التشريع وخشية الله العليم بالسرائر.

• لولا مغفرةُ الله وحِلمُه لأصابنا من العَنَت ما أصابنا؛ فإنه سبحانه عليمٌ بأعمالنا وما تكنُّه صدورُنا، فإن زلَلنا أو عثَرنا فلنبادر إلى استغفاره، فإنه الغفورُ الحليم.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

تَفْرِضُوا: تُحَدِّدوا.

فَرِيضَةً: مهرًا.

وَمَتِّعُوهُنَّ: أعطوهُنَّ شيئًا منَ المال؛ جبرًا لهُنَّ.

• تتبدَّى في شريعة الله الرحيم مراعاةُ النفوس البشريَّة خيرَ مراعاة، ففي تمتيع المرأة المطلَّقة جبرٌ لكسرها، وتطييبُ لخاطرها، وتسكينٌ لقلبها، وتعويضٌ لها عن بعض ما لحقها من ضُر.

• من حُسن التشريع أن الله تعالى لم يحدِّد متعةَ الطلاق، بل جعلها راجعةً إلى حال الزوج في الغنى والفقر، فما أعظمَه من تشريعٍ صالحٍ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وأمَّة!

• إنها صورةٌ مشرقةٌ من صور كمال التشريع، تتجلَّى في الوصيَّة بأن يكونَ المتاع بالمعروف؛ استبقاءً للمودَّة الإنسانيَّة، واحتفاظًا بالذِّكرى الكريمة، وتنديةً لجفاف القلوب، دون إعنات الزوج بما لا يُطيق.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

• أين التشريعاتُ الأرضيَّة كلُّها من الرعاية الربَّانيَّة لحقِّ المرأة في عَقد النكاح؟ إن شريعة الله تُثبت لها النصفَ الذي لا يسقط إلا بعفوها؛ لئلَّا يستخفَّ بها الرجل فيطلِّقَها بعد العَقد عليها.

• أقرب الناس للتقوى الذي يعفو ويصفح؛ لأن مَن سمَح بترك حقِّه كان محسنًا، والإحسان عنوانُ التقوى.

• السماحة والعفو في العقود والمعاملات ممَّا يقرِّب إلى تحقيق تقوى الله سبحانه؛ لما فيهما من تربيةٍ للنفس على التواضع، والزهد في الدنيا، وإيثار الآخرة.

• {ولا تنسَوا الفضلَ بينكُم} عنوانٌ كبير يندرج تحته من كريم الشمائل، وجميل الخِلال ما تُستطاب به الحياة، وتعمُّ السَّكينة والوِئام.

• ليتذكَّر الزوجانِ عند نشوب الخلاف، وهبوب عاصفة الشِّجار والخصام، ما كان بينهما من سابق الفضل والإحسان، فإن ذلك أدعى إلى السَّماحة والعفو.

• ممَّا يُعينك على التفضُّل والإحسان أن تستحضرَ اطِّلاعَ البصير الكريم وواسع الفضل عليك، فتلتمسَ بذلك فضلَه وإحسانَه.

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

٣٩

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾

• في الأمر بالمحافظة على الصلاة في سياق بيان أحكام الأسرة إشارةٌ إلى أن الصلاة أعظمُ عون للعبد على تخطّي العقبات، وتنبيهٌ على أنه لا ينبغي للمؤمن أن ينشغلَ عن صلاته بشيءٍ من شؤون زوجه وولده وسائر أمور دنياه.

• ليس الواجب عليك في الصلاة مجرَّد أدائها، وإنما القيامُ بها على وجهها، والمحافظة عليها في أوقاتها، وألَّا يشغلَك عنها شاغل.

• من أعظم مقاصد الصلاة تعظيمُك لربّك عزَّ وجلَّ بالقيام بين يديه، فأحسِن قيامك، وأقبِل عليه بقلبك، واستشعِر نظرَه إليك.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

فَرِجَالًا : ماشِين.

• الصلاة هي العُدَّة في الخوف والشدَّة، يؤدِّيها المحارب ليتَّصلَ بربِّه وهو أحوجُ ما يكون إليه، إنها سيفُه ودرعه وسلاحه الأنجع في طريق النصر والتمكين.

• حتى الحالاتُ العارضة والنادرة - كالصلاة في حال الخوف - لم تُهمل الشريعة بيانها، وفي ذلك أبلغُ دليل على سموِّها وكمالها.

• يرفع الله بالصلاة الخوفَ من النفوس، ويثبِّت بها الأمنَ في القلوب، ولذا شُرِعت في الأمن وفي الخوف.

• وماذا كان البشر يعلمون لولا أن علَّمهم الله؟ إن الواجب في العبادة أن تكونَ وَفق شرعه الذي علَّمهم، لا بالأهواء والآراء، فإن ترخَّصتَ فبشرع الله، وإن أتممتَ فبشرعه سبحانه.

• سمَّى الله الصلاة ذِكرًا لأن الذِّكر حاضرٌ في جميع أركانها، ولأجله شُرعت إقامتُها، جعلنا الله أبدًا من الذاكرين!

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾

• توحي كلمة (عليكم) بمعنى الجماعة المتضامنة المسؤولة عن حراسة الشريعة ومحافظة كلِّ فرد عليها، ولهذا الإيحاء قيمتُه في إدراك حقيقة الجماعة المسلمة وتبِعاتها.

• ألا يخشى المعترضُ على حكمة الله وشرعه، المخالفُ لأمره ونهيه، أن يأخذَه الله أخذ عزيزٍ مقتدر؟!

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾

• التقوى لا تمنع الطلاق عند وقوع أسبابه، لكنَّها تحجز أهلها المتَّقين عن اتخاذه ذريعةً إلى الإساءة والظُّلم والانتقام.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

• لو عقَل الناسُ الحكمةَ والرحمة والنعمة في هذا المنهج الإلهيِّ القويم، وما فيه من السَّماحة مع الحسم، لقابلوه بالرضا والطاعة والتسليم.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾

• لا يغني حذرٌ من قدَر، فآمن أن ما أصابك لم يكن ليُخطئَك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبَك، ولك في هؤلاء عِبرة، لقد فرُّوا من قدَر الموت فتلقَّاهم في الطريق.

• إن الذي أمدَّ بالحياة عبدًا لم يكن شيئًا مذكورًا، لقادرٌ على سلبها منه متى شاء، واللبيبُ مَن علم فضلَ الله عليه، فشكرَه آناء الليل وأطرافَ النهار.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾

• ألا لا يقعُدنَّ بكم حبُّ الحياة وحذرُ الموت عن الجهاد في سبيل الله؛ فإن الموت والحياة بيده تعالى، هو وحدَه واهبُ الحياة وآخذها.

• مَن رامَ الفوزَ والفلاح فليقاتل في سبيل الله لا في سبيل غايةٍ أخرى، وتحت راية الله لا تحت رايةٍ أخرى.

• إن الله يسمع القولَ ويعلم ما وراءه، يسمع الدعاء فيستجيب لصاحبه، ويعلم ما يُصلح الحياة والقلوب، ولا يَضيع عنده عملُ عامل، فكن من هذا على يقين.

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

• أنفِق أيها المسلم في سبيل ربِّك، فإنما هو قرضٌ حسن لله، يضاعفه لك أضعافًا كثيرة؛ مالًا وبركةً وسعادةً في الدنيا، ونعيمًا ورضًا ونضارةً في الآخرة.

• لا تبخل بما آتاك؛ لئلَّا يسلُبَك ما أعطاك، فإن الأمر كلَّه بيده، يعطي مَن يشاء ويمنع مَن يشاء.

• كيف يبخل بالإنفاق في مَرضاة الله مَن يعلم أن مرجعه في نهاية المطاف إليه، وأنه موقوفٌ غدًا للحساب بين يديه؟!

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ
قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ
نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ
بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا
تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

٤٠

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

هَلْ عَسَيْتُمْ: هل الأمرُ كما أتوقَّعه؟

• إن النهوض للأمور العظيمة تحتاج إلى قائد عظيم، يقود السفينةَ إلى شاطئ السلامة، ومَن ليس لسفينتهم رُبَّان ماهرٌ فإن الأمواج ستتلاعب بها حتى تُغرقها ومَن عليها.

• لا تتمنَّ لقاء العدو، ولا تعرِّض نفسك لمواطن الفتن، وسَلِ الله دومًا السلامة والعافية؛ فإنك لا تدري لعلَّك لا تقوى على مواجهة الأعداء، ولا تثبُت في أرض الابتلاء.

• إيَّاك والاعتمادَ على وعود الرَّخاء، والاكتراثَ بأحاديث المجالس، وانتظر ساعةَ الجِدِّ، لتُنبئكَ الأحداث بالحقائق، فعلى المِحَكِّ تُعرف المعادن.

• إن المظالم قد تربِّي جيلًا ثائرًا ينتصف للمظلومين من الظالمين، فلا يفرحنَّ ظالمٌ قتل أو شرَّد عباد الله؛ فإن الدائرة ستدور عليه ولو بعد حين.

• تلك حال الأشراف وعِلية القوم من اليهود مع نبيِّهم؛ لا يوفون بالعهد، ولا يحترمون الميثاق، فكيف حالُ سُوقتهم مع غيرهم؟! فتأمَّل.

• من وظائف الـمُلك تأليف القلوب، وتدبير أمر الجماعة، وردُّ حقوقها المسلوبة، وقيادتُها لإقامة حُكم الله في الأرض.

• حذارِ أن تكونَ من الذين يُبرمون عقودًا ثم يخلفونها، ويطلبون أمورًا ثم إذا تحقَّقت يَنكُلون عنها، فإن ذلك من سِيما الظالمين.

• لا تيئسَنَّ من قومٍ غلب فيهم الفاسدون أن تخرجَ منهم ثُلَّة تقوم بالحقِّ وتنصرُه، ويكتبَ الله على يديها الخيرَ الكثير.

• شأن بني إسرائيلَ عجيبٌ غريب؛ لا يذَرون سبيلًا للاحتيال على الشرع إلا سلكوه، ولا طريقًا للنُّكوص عن الحقِّ إلا قصدوه! ألا إنهم هم الظالمون، فلنُخالف عن أمرهم، ولنُباعد عن سَمتهم.

• هذا شأن اليهود في المخاتلة عن شرع الله، والنُّكوص عن أمره وحُكمه، فما الظنُّ بهم في تعاملهم مع المسلمين؟ إنهم لن يرعَوا فيهم إلًّا ولا ذمَّة.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

بَسْطَةً: سَعة.

• اختيار القائد الذي يتحلَّى بصفات القيادة الناجحة، أُولى الخطوات في طريق النصر المنشود.

• تأمَّل نفوسَ اليهود وما فيها من عُجبٍ وزَهوٍ وغرور؛ يعترضون على مَن ملَّكه الله عليهم بدعواهم أنهم هم المستحقُّون للمُلك، كشأن إبليسَ مع آدمَ حين قال: أنا خيرٌ منه!

• للإمامة مقوِّماتٌ وصفاتٌ يعرفها أهل البصائر، ليس أهمَّها الغنى والجاه، كما زعم مَن أعمى الله بصائرَهم من بني إسرائيل.

• القادة العظماء في الناس قليل؛ لأن الصفات التي أهَّلتهم إلى تلك الرتبة العَليَّة اصطفاءٌ من الله، وما أقلَّ المصطفَين!

• لا بدَّ للقائد من قوَّةٍ بدنيَّةٍ تُعينه على النهوض بالأعباء، ومن علمٍ واسعٍ يُعينه على السياسة وحُسن تدبير شؤون حربه وسِلمه.

• إذا شاء الله إقامةَ مُلكٍ أقامه بمَن يختاره من عباده، وجاد عليه بما شاء من واسع فضله، فإنه سبحانه بصيرٌ بالمصالح والمفاسد ومآلات الأمور.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

التَّابُوتُ: الصُّندوقُ الذي فيه التَّوراة.

• الألمعيَّة لا تخفى على ذوي الأبصار، وإن القائد الكفيَّ الصالح قد تحصُل له براهينُ تدلُّ على أهليَّته للقيادة واستحقاقه لها، حتى تطمئنَّ قلوبُ المَقودين، ويذهبَ الشكُّ عن الشاكِّين.

• تلك سجيَّة بني إسرائيل؛ مكابرةٌ وتعنُّتٌ وعنادٌ حتى مع الأنبياء، وما أحلمَ الله عليهم؛ إذ أجابهم لما طلبوه فأعطاهم دلالةً واضحة، وامتنَّ عليهم بسَكينةٍ تدعوهم للانقياد!

• فيما يُجريه الله تعالى من الآيات دلائلُ باهرة، ومعجزاتٌ قاهرة، لا يملك أهل الإيمان أمامها إلا الإذعانَ والتسليم.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ
وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا
عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

٤١

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

يَظُنُّونَ: يُوقِنُون.

• جاهِد نفسك قبل أن تجاهدَ عدوَّك؛ فإن مَن عَجَز عن مجاهدة نفسه فهو عن مجاهدة غيره أعجز.

• لا بدَّ للقائد أن يختبرَ إرادة جُنده، وقدرتَهم على إيثار الطاعات، والاستعلاء على الشهَوات، وتحمُّل التكاليف والابتلاءات.

• عدم القدرة على منعِ النفس عن رغَباتها في الأمور اليسيرة، دليلٌ على عدم ثباتها في المواقف الكبيرة.

• البلاء قد يكون امتحانًا بنعمة، وفتنة السرَّاء كثيرًا ما تجتال، انظر إلى القوم لم تكفِهم من النهر الذي نُهوا عنه غُرفة، ولا صبَروا على الصوم ساعة!

• لا تُقاس قوَّة الجيوش بالعَدَد والعُدَد فحسب، ولكن بالقلوب الصامدة، والعقائد الراسخة، والإرادات الجازمة.

• استحضار لقاء الله تعالى عند لقاء العدوِّ في الدنيا سببٌ لقوَّة العزيمة، واستمداد الصبر، ونيل معيَّة الله الخاصَّة المقتضية للنصر والتوفيق.

• التعلُّق بالآخرة سببُ الإقدام يومَ اشتداد القتال، والتعلُّق بالدنيا سببُ الإحجام عن مقارعة الأبطال، فمَن كان من أهل الآخرة كان أشجع، ومَن كان من أهل الدنيا كان أفجع.

• تسلَّح بالصبر ليكونَ الله معك، يقوِّيك ويثبِّتك ويؤنسك، ويمدُّك حين ينفَد زادك، ويجدِّد عزيمتك إن طال عليك المسير.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾

• على العاقل أن يتبرَّأ من حوله وقوَّته إلى حول مولاه وقوَّته، ولا ينفكَّ يسأل ربَّه الإعانة على المطلوب، وإنجاحَ المقصود والمرغوب.

• أعظم الدعاء وأقربُه للإجابة ما صاحب أعظمَ الجهاد، لا دعاء القاعدين المتخاذلين.

• أرأيتَ الصبر وقد غدا فيضًا من الله يُفرغه على عباده، فيغمُر به قلوبهم وأرواحهم وهم أحوجُ ما يكونون إليه؟ فلنُكثر من سؤال الله الصبر

• كلَّما أقبل العبد على ربِّه أيقن أن ميزان القُوى ليست في يد المخلوقين، ولكن في يد الله ربِّ العالمين، فتوجَّه إليه وحدَه سائلًا منه النصرَ والتمكين.

• تأمَّل كيف قدَّموا سؤالَ الصبر الذي هو مِلاكُ الأمر، ثم سؤالَ التثبيتِ الذي هو ثمرتُه، ثم سؤالَ النصرِ الذي هو غايةُ المأمول. وهذا من حُسن الترتيب في الدعاء.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾

• هزموهم مع كثرة الجبناء المثبِّطين، ووفرة المنافقين المُرجِفين، ومع تفوُّق العدوِّ عددًا وعتادًا، حين قام المتَّقون بما عليهم ونصروا الله، فأذن الله بنصرهم.

• مَن علم أن كلَّ شيءٍ بإذن الله وأمره، تعلَّق قلبُه بالله فرضي بقضائه، ولم يفتُر عن دعائه.

• لم يكن داود عليه السلام قائدَ الجيش، بل كان من الجند، فلا تمدنَّ عينيك في طاعة الله إلى حظوظ الدنيا، وابتغِ وجهَ ربِّك، ولن يُضيعَ سبحانه عملك.

• ليست غايةُ الحقِّ في صراع الباطل نيلُ الجاه والسلطة والثروة، بل إقامةُ دين الله وإعلاء شريعته، والتمكينُ لأوليائه وأهل طاعته.

• لو تُرك أهلُ الباطل وما يريدون من غير مدافعةٍ ومواجهة، لامتلأت الأرضُ فسادًا.

• ما أعظمَ فضلَ الله على عباده؛ أوجدَهم من العدَم، ودفع عنهم النِّقَم، وأسبغ عليهم النِّعَم، وقليلٌ منهم الشكور!

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

• من أشرف ما يثبِّت الإنسانَ على الحقِّ نظرُه في كتاب ربِّه، وتدبُّر ما فيه من سِيَر السابقين، وسُنن الله في الغابرين، فإن سنَّة الله ماضيةٌ في الخالفين، ولن تجدَ لسنَّة الله تبديلا.

• ليس كقَصص القرآن قَصصٌ تستحقُّ الإجلالَ والادِّكار؛ كيف لا وفيها من العِبَر الواضحات، ومن الأخبار والعِظات، ما ينطِق بصدق النبوَّة، ويشهد على أنها تنزيلُ الحكيم الخبير؟!

الجزء ٣ الحزب ٥

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟
مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَٰعَةٌۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا
بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ
ٱلْغَىِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ
بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

٤٢

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

• مع عظيم شأن الرسُل جميعًا قد فضَّل الله بعضَهم على بعض، بحسَب ما جرى على أيديهم من الخير والبِر، وما لاقوه من الأذى في سبيل ذلك.

• جِراحات المسلمين وما ينزل بهم من الابتلاءات كلُّها بقدَر الله، ولو شاء سبحانه ما كانت، ولكنَّه تعالى يفعل ما يريد لحِكَمٍ عظيمة، فثِق بحكمته تسعَد برضاه.

• ما شاع الاختلافُ في أمَّةٍ إلا شتَّت شملها، وفرَّق جمعها، وأتى على بُنيانها من القواعد، فاعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

خُلَّةٌ: صَداقة.

• إن مَن يدعوك إلى الإنفاق هو الرزّاق الذي أعطاك، فهلَّا جُدتَّ على عباده ببعض ما جاد به عليك؟

• افتدِ نفسك اليومَ من عذاب الآخرة ببعض ما رزقك الله، من قبل أن يأتيَ يومٌ تتمنَّى فيه أن تفديَها بمِلء الأرض ذهبًا، ولا فداء.

• يدعوهم سبحانه للتجارة الرابحة قبل فواتها، ويحضُّهم على اغتنام الخيرات قبل رحيلها، ما أكثرَ الفُرَص اليوم، وما أشدَّ غَبنَ الغافلين!

• الظالم خاسرٌ مخذول، لا خليلَ ينفعه، ولا ناصرَ ينقذه، فاحذر الظلمَ فإنه ظلماتٌ يوم القيامة.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

ٱلْقَيُّومُ: القائمُ على كلِّ شيء.

سِنَةٌ: نُعاس.

كُرْسِيُّهُ: موضِعُ قدَمَي الرَّبِّ سُبحانه، ولا يعلم كيفيَّته إلا الله.

يَـُٔودُهُۥ: يُثقِلُه.

• لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، لا نافعَ ولا ضارَّ سواه، ولا مُعطيَ ولا مانعَ إلا هو. لا دينَ إلا دينُه، ولا حُكمَ إلا حكمُه.

• ما أفقرَ العبادَ إلى الحيِّ الذي اكتملت حياتُه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته! وما أقوى يقينَ المؤمن الذي تعلَّق قلبه بالقيُّوم الذي قام بنفسه، وقامت حياةُ الخلق به!

• راقب الله حقَّ المراقبة؛ فإنه لا يغفُل عنك لحظة، واقدُره حقَّ قدره؛ فإنه القيُّوم الذي أقدرَك، والحيُّ الذي أحياك.

• استحضار مُلك الله تعالى لما في السَّماوات والأرض يسكبُ في روحك القناعةَ برزقه، والرضا بقضائه، والجودَ بعطائه.

• لا يملك أحدٌ شيئًا من دونه سبحانه، فهو المالك الحقُّ، والخلق كلُّهم عبيده، فلا تتوجَّه إلى غيره، ولا تخضَع لسواه.

• إن كان كرسيُّه سبحانه وتعالى قد وسع السماواتِ والأرضَ، فكيف بعظمة خالق الكرسيِّ جلَّ جلاله؟!

• مهما عَلا شأنك، وعظُم قدرك، فاعلم أنك لا تزال عبدًا لله العليِّ العظيم، فطامِن من كبريائك، وتواضع لإخوانك، وتذكَّر قدرةَ الله عليك!

• قد تكفَّل الله لمَن قرأ هذه الآيةَ بالحفظ، وألَّا يقربَه شيطانٌ في ليلته.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

بِٱلطَّٰغُوتِ: بكلِّ ما عُبِدَ من دُونِ الله.

بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ: بالعَقدِ المُحكَم.

• دين الإسلام غنيٌّ عن أن يُكرِهَ أحدًا على الدخول فيه.

• لا بدَّ للعقيدة من اقتناعٍ واعتناق؛ لتورقَ في النفوس أوراقُها، وتجودَ على الحياة بثَمَراتها، إنها شجرةٌ لا تنبُت في صحراء الغَصْب والإكراه.

• لو تدبَّر المرء نعمةَ الإيمان، لوجد فيها رشدًا لا يرفضه إلا سفيهٌ يؤثر الضلالةَ والهوان، على الهُدى وكرامة الإنسان.

• الدنيا بحرٌ مضطربٌ بالمذاهب والآراء، فاشدُد يديك بالإيمان بالله، فإنه العُروة التي لا تنفصِم.

• الإسلام يَنبوعٌ صافٍ لا يجري إلا في قلبٍ نقيٍّ، لم يكدِّره إيمانٌ بغير الله، ولم يُزاحِمه حبٌّ لمخلوق، ولم يرضَ بالتحاكم إلى غير شريعة الله.

• حريٌّ بمَن دخل في هذا الدِّين غيرَ مُكرَهٍ عليه أن يوافقَ مظهرُه مخبرَه.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

• لو لم يكن من بركات الإيمان بالله تعالى إلا نيلُ وَلايته التي تنقل المؤمنَ من ظلمات الكفر والعصيان، إلى نور اليقين والإحسان، لكفى بها ثمرة.

• شتّان بين مَن كان وليّه اللهُ تعالى القادرُ الكامل الديّان، ومَن كان وليّه الأندادُ والأصنام والأوثان.

• جعل الكفرَ ظُلمةً؛ لأنه مانعٌ من الإدراك، فصاحبه يتخبَّط في الآثام. وجعل الإيمانَ نورًا؛ إذ به تمامُ الإدراك، فصاحبه ممتَّعٌ بنور البصيرة في الدنيا، آمنٌ من وَحشة القبر وظُلمته في البرزخ، يسعى نورُه بين يديه ومن خلفِه يوم القيامة.

• هو نورٌ واحد، اهتدى به الأنبياء والصالحون، وبحسَب قرب العبد من ذلك النور، وبُعده عن فتن الشبُهات والشهَوات تكون وَلايةُ الله له.

• مَن أضلَّ الناسَ عن سبيل الله تعالى بإخراجهم إلى ما لا يرضاه طاغوتٌ من أولياء الشيطان.

• ما يزال الكفرة وأولياؤهم يتردَّون في دركات الظلمات حتى يكونَ مستقرُّهم في ظلمات جهنَّم، وساءت مصيرًا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

فَبُهِتَ: فتحيَّرَ وانقطعت حُجّتُه.

• عجبًا لمَن يجعل الله في يده الملكَ والسلطان، فيستكبر ويُسرف في العصيان، ويأبى إلا الضَّلالَ والطُّغيان، بدلًا من الشكر والإيمان!

• الإحياء والإماتة ليسا بيد أحدٍ من الخلق، بل بيد الخالق وحدَه، ومَن ادَّعى من الخلق شيئًا من ذلك فقد افترى، فعلِّق قلبك بمَن يُحيي ويُميت دون غيره.

• حقيقتان كونيَّتان واضحتان في الأنفس والآفاق، لا تحتاجان إلى غزير علمٍ ولا إلى طول تفكير، فالله أرحمُ بعباده من أن يَكِلَهم في الإيمان به إلى العلم الذي قد يتأخَّر، أو التفكير الذي قد يتعثَّر.

• لا يَهولَنَّك إرجافُ أهل الباطل، ولا تغرَّنَّك ادِّعاءاتهم، فإنما هم على جُرُفٍ ما إن تعصِفُ به رياح الحقِّ حتى يهويَ في وادٍ سحيق.

• ما أكثرَ الأدلَّة على جلال الخالق وكمال ذاته وجمال صفاته! ولن يعدَمَ العالم بالله سبيلًا لإقامة الحُجَّة على أهل الباطل، فإن ردُّوا حُجَّةً دَمَغهم بحُجَجٍ وحُجَج.

• هذا نموذجٌ لكلِّ طاغوتٍ أصرَّ على الباطل واستكبر عن قَبول الحقِّ بعد أن تبيَّن له، وأنَّى يهتدي الظالم بالبراهين، أو ينتفعُ بالحقِّ المبين؟!

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

خَاوِيَةٌ: مُتهدِّمة.

عُرُوشِهَا: سُقوفِها.

أَنَّىٰ: كيفَ؟

يَتَسَنَّهْ: يتغيَّر.

نُنشِزُهَا: نَرفعُها، ونَصِلُ بعضَها ببَعض.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى
مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ
هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ
قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل
لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ
وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

٤٣

• لا تستبعِد أن يقضيَ الله ما لم تألفه أو تتوقَّعه، وأيقِن بأن الله على كلِّ شيءٍ قدير، فذلك يبعث فيك العزيمةَ والأمل، ويدعوك إلى الهمَّة والعمل.

• من لطف الله تعالى بعباده أن يُجريَ عليهم من الأقدار ما يجدون فيه العِبرة، ولكن أين المتبصِّرون المعتبِرون؟

• لو شاء الله أن يُميتَ عبدَه بضع سنينَ لكانت كافيةً لاعتباره ويقينه، ولكنَّه أماته مئة عام؛ ليكونَ لغيره آيةً وعِبرةً على مدار الأزمان.

• إن الذي حفظ طعامًا وشرابًا أن يغيِّرَه مرُّ السنين، لقادرٌ على بعث أجسادٍ يُكتب لها الخلود أبدَ الآبدين.

• تأمَّل في تصاريف حياتك ومظاهر الخَلق من حولك، فإن وجدتَ فيها شيئًا جاريًا على خلاف العادة، فاعلم أن ذلك بتقدير الله ومشيئته، وأيقن بأن الله على كلِّ شيء قدير.

• طُوبى لمَن إذا تبيَّن له الحقُّ سارع إلى الإذعان له والتصديق به، ولم يركب موجة الكِبْر والعِناد، فإنه لا يشَمُّ عَرفَ الجنَّة مستكبرٌ معاند.

وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ
تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ
ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا
ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ
﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ
يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ
أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ
يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ
يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ
رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ
صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ
عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

الحزب

٤٤

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾﴾

فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ: اضممهنَّ إليك وقطِّعهنَّ.

• تدبُّر آيات الله في الكون من أبلغ ما يُرسِخ الإيمانَ في القلوب، ولكن ما أقلَّ المتدبِّرين!

• تظاهرُ الأدلَّةِ أسكنُ للقلب وأزيدُ للبصيرة واليقين، ومن هنا طلب الخليلُ أن يرقى من علم اليقين إلى عين اليقين، وإلا فهو الذي صدَع عند النُّمروذ بقوله: {ربِّيَ الذي يُحيي ويُميت}.

• مباشرةُ الإنسان للعمل وتطبيقُه له يورثه معرفةَ حقيقته وأسراره، ويثبِّت المعلومةَ في ذهنه فوق ما تثبِّته المعرفة النظريَّة.

• طلب دلائل الحقِّ ينبغي أن يُستعانَ به على معرفة عزَّة الله وحكمته، لا أن يكونَ طريقًا للتشكيك والتلبيس.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

• حتى يثمرَ البَذرُ لا بدَّ أن يكونَ صالحًا، في أرضٍ خِصبة، يتولَّاه غيثٌ نافع. وكذا النفقةُ لا بدَّ أن تكونَ بنيَّةٍ صالحة، موضوعةً في مصارفها الشرعيَّة، مَصونةً عمَّا يمنع إثمارها، حتى يُغيثَها الله بالقبول.

• أخلص نيَّتك لله، ولا تحقر من المعروف شيئًا، فإن الله يربِّي صدَقاتك ويُنمِّيها كما ينمو الزَّرع في الأرض الطيِّبة.

• إنما تتضاعف الأجور بحسب حال المتصدِّق والمتصدَّق عليه، وبقَدر الإخلاص ومحبَّة الخير والإيثار على النفس، وبحسَب الزمان والمكان.

• إن الله (واسعٌ) لا يتعاظمُه شيء، ولا يَنقُصه العطاء على كثرته، (عليمٌ) بنيَّة المنفِق ومقدار إنفاقه، ومَن يستحقُّ مضاعفةَ الأجر ومَن لا يستحقُّها.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

مَنّٗا: عَدًّا للإحسانِ وإظهارًا له.

• ما أحوجَ الأعمالَ الصالحة كي ينالَ العبدُ بها رضوانَ الله وثوابَه إلى حمايتها من أدواء النفوس ورذائلها، ومن أبشعها إتباعُ الصدقة المَنَّ والإيذاء.

• مَن علم أن الله هو المنعِم، وما العباد إلا وسائط، لم يمُنَّ على الناس بما أعطاهم.

• لا تحزن أيها المنفِق على ما ذهب من مالك، ولا تخَف في الآخرة على مآلك، فما لكَ عند الله خيرٌ وأبقى.

﴿۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾﴾

• أَولى من الصَّدقة التي يتبَعُها الأذى كلمةٌ طيِّبة تَضمِدُ جراحَ القلوب، ومغفرةٌ حسنة تغسل أحقادَ النفوس.

• ما ألحَّ السائل عليك إلا وقد اشتدَّت حاجتُه إليك، فلا تؤذه بكلمةٍ جارحة، واعلم أن اعتذارك الجميلَ خيرٌ من عطاءٍ تتبعُه إساءة، وإحسانٍ تعقبه إهانة.

• ألا يعلم ذاك المانُّ على عباد الله أن الله غنيٌّ عنه وعن صدقته؟! وأنه سبحانه حليمٌ لا يعاجله بعقوبته؟! فما أحراه أن ينتهيَ عن منِّه، ويتواضعَ لربِّه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

صَفۡوَانٍ: حَجَرٍ أملَس.

وَابِلٞ: مطَرٌ غَزير.

صَلۡدٗا: أجرَدَ لا تُرابَ عليه.

• مراعاة نفوس الناس وتطييبُها أَولى من رعاية أجسادهم وحاجاتها؛ ألا ترى كيف منعَت الشريعةُ الصدقة مع المنِّ والأذى؟!

• قد يجود الكافر ويُنفق طلبًا للحمد والجاه والذِّكر الحسن، لكنَّ إنفاقه لا يسمَّى صدقة؛ إذ لا دَلالة فيه على صدق الإيمان.

• في الإخبار بأنَّ المنَّ والأذى يُحبِطان الصدقة دليلٌ على أن الحسنةَ قد تحبَط بالسيِّئة، فاحذر مُحبِطات الأعمال.

• تقريب المعاني بالصُّور والتشبيهات مما يُرسِخ القناعة، ويزيد اليقين، ويبعث على العمل، في الترغيب والترهيب.

• القلب المُقفِر من الإخلاص كحَجَرٍ أملَس عليه ترابٌ يستره، تظنُّه أرضًا زكيَّة قابلة للإنبات، وحقيقته هباءٌ سرعانَ ما يزول، وهكذا عمل المنافق لا حقيقةَ له ولا ثوابَ عليه.

• ما أشقى مَن ضيَّع ماله بفساد نيَّته؛ فلا هو انتفع به في دنياه، ولا هو أحرز ثوابه في أخراه!

سورة البقرة | الجزء الثالث

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ
جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ
ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ
وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ
وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

٤٥

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

بِرَبْوَةٍ: مُرتَفَعٍ مِنَ الأرض.

أُكُلَهَا: ثمرَها الذي يُؤكَل.

فَطَلٌّ: مطرٌ خفيف.

• مَن كان إنفاقه إيمانًا بالله، وابتغاءً لوجهه، واحتسابًا للأجر منه سبحانه لا من الناس، لم يكن ليُفسدَ إنفاقه بالمنّ والأذى.

• لا بدَّ في الصدقة من إخلاصٍ ويقين؛ فالإخلاص يجعلها لله وحدَه دون ما سواه، واليقين يثبّتها في تحقيق ذلك. فلا تَحِد عنهما ولا تتوانَ.

• إنما تُرفع الأعمال وتُقبَل عند الله بالإخلاص، أمّا الكثرة والقلّة فكالوابل والطّلّ، الأوّل يُضاعف الثمارَ والخيرات وهو مَثَلُ السابقين، والثاني لا يخلو من خيرٍ وهو مَثَلُ المقتصِدين.

• كلّما استشعر المنفِق أن نفقته يتضاعف أجرُها وتعظُم مكانتها عند الله بحسَب نيّته، زاده ذلك إخلاصًا وصدقًا.

• اعمل بإخلاص، ولا تستقلَّ عملك، فإن الله بصيرٌ بنيّتك، ولا تغرنّك المظاهر، فإن الله خبيرٌ بالسَّرائر.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

إِعْصَارٌ: رِيحٌ شَديدة.

• قال الحسن البَصريُّ: هذا مثَلٌ قلَّ واللهِ مَن يعقِله من الناس؛ شيخٌ كبيرٌ ضعُف جسمُه وكثُر صبيانُه وهو أفقرُ ما كان إلى جنّته، وإن أحدكم واللهِ أفقرُ ما يكون إلى عمله إذا انقطعَت عنه الدنيا.

• قال السُّدّي: هذا مثَلُ المُرائي في نفقته الذي يُنفق لغير الله، ينقطع عنه نفعُها وهو أحوجُ ما يكون إليه.

• يا له من مثَلٍ ترتجف له القلوب خوفًا وحذرًا! خوفًا من أن تحبَط أعمال المرء في آخر حياته وهو أحوجُ ما يكون إليها، وحذرًا من أن يعقبها ما يجعلها هباءً فلا يكاد يراها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

وَلَا تَيَمَّمُوا: ولا تقصِدوا.

الْخَبِيثَ: الرَّديء.

تُغْمِضُوا: تتغاضَوا عمّا فيه من رَداءةٍ ونقص.

• إن الخبيث لا يكفّر الخبيث، فإذا خبُث كسب العبد لم تكفّر نفقتُه من ذنوبه شيئًا، وإذا طاب كسبُه زكت نفقتُه فكفّرت خطاياه كأنها لم تكن.

• كيف يبذل المرء لربّه ما لا يَرضى ببذله لنفسه، أوَ يُهدي إلى الله ما لا يَرضى من صاحبه أن يُهديَه إليه؟!

• إذا أعطيت فليكن عطاؤك طيّبًا من نفسٍ طيّبة، فإن بَذلَك لنفسك، والله غنيٌّ عنك.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾

بِالْفَحْشَاءِ: بالمَعاصي، ومنها البُخل.

• لا تظنَّنَّ الشيطان يعِدُ المنفقَ بالفقر شفقةً عليه، فإنه لا شيءَ أحبُّ إليه من فقره وحاجته، وإنما يريد منه أن يُسيءَ الظنَّ بربّه، ويترك ما يحبُّه من الإنفاق لوجهه، فيبوءَ بخِزي الدنيا والآخرة.

• كلُّ صوتٍ يخوّفك من النقص بعد الصدقة، ويُنذرك الفقرَ بعد البذل، هو صوتٌ شيطانيٌّ لا تُرعِه سمعَك.

• هكذا هو الشيطان؛ يدعو المرءَ في أبواب الخير إلى الإحجام ويخوّفه من الفقر إذا أنفق، ويدعوه في أبواب الشرّ إلى الإقدام ويزيّن له الفحشاءَ والمنكر.

• ذاك وعدُ الله وهذا وعدُ الشيطان، فلينظُر المرء أيَّ الوعدَين أوثق، وإلى أيِّهما يطمئنّ.

• سبحانه؛ يعطي هذا بفضله، ويمنع ذاك بعدله، فلنرضَ بقضائه وقدَره.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾

• الحكمة فضلٌ من الله يؤتيه من يشاء، ومَن اجتهد في موافقة هُدى الله أصاب الحكمةَ وتنعّم بها.

• ليس كالحكمة منحةٌ سَنيّة، وعطيّة عَليّة، فمَن مُنحَها فلن يضلَّ في تقدير الأمور، وإصابةِ الحقّ في الأحوال المضطربة. جعلنا الله وإيّاكم من أهلها.

• صاحب العقل هو الذي يتذكّر ويتنبّه ويعتبر، ومَن تنكّب الصّراط فليس بذي لبٍّ ولو نال أعلى الشهادات.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا
ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن
سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ
عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا
تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا
ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ
يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم
بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

نصف الحزب ٥

٤٦

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

• مَن أحسن في عمله فليرجُ الثواب، ومَن أساء فلا يستنكر العقاب، ومَن أخذ عزًّا بغير حقٍّ أورثه الله ذلًّا بحق، ومَن جمع مالًا بظلم أورثه الله فقرًا بغير ظلم.

• يقين العبد أن الله مطّلعٌ على قلبه، دافعٌ له إلى الحياء من أن يهجِسَ في خاطره هاجسُ رياء، أو هاجسُ بخل، أو هاجسُ خوفٍ من فقر.

• في وعيد الله للظالم بأنه لن يجدَ لنفسه نصيرًا، أملٌ بأنه سبحانه وتعالى ناصرُ السخيِّ الكريم، آخذٌ بيده، ومُقيلُ عثرته.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

• من الصدقات ما لا يمكن إخفاؤه، بل منها ما الإعلانُ عنه أولى من إخفائه، كالمصالح العامَّة ونحوها. فإن أعطيتَها الفقير فأخفِها، فذلك أدعى لإخلاصك لربِّك، وسَترك على أخيك.

• إن أردتَ ما يغسل عنك ذنوبك، ويمحو خطاياك، فابذُل مالك في سبيل الله، إخلاصًا لله، ورحمةً لعباد الله.

• الله سبحانه وتعالى خبيرٌ بالأعمال سرِّها وعلنها، لا تخفى عليه صدقتُك يوم أخفيتها، ولا تخفى عليه نيَّتك يوم أبديتها.

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

• يعلم المؤمن أنه المنتفعُ الأوّل بما يُنفق، وأن الخير عائدٌ عليه وهو أحوجُ ما يكون إليه، فينشرح صدرُه للبذل، وتسخو يدُه بالإنفاق؛ ابتغاءَ وجه الله، إيمانًا به وثقةً بعطائه.

• ثقة المنفِق بوعد الله تعالى، وانتظارُه الثوابَ منه، ارتقاءٌ بالبشريَّة ومَكرُمةٌ لا ينهض بها إلا الإسلام، ولا يعرفها على حقيقتها إلا أهلُ الإيمان.

• أنفِق أيها المسلمُ ولا تخشَ من ذي العرش إقلالًا، فإنك إذا أعطيتَ لوجه الله محتاجًا فقد أحسنتَ عملك، ولا عليك ما كان من عمله.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

أُحْصِرُوا: حُبِسُوا عن طلَبِ الرِّزقِ للجهاد.

بِسِيمَٰهُمْ: بعَلاماتِهم وآثارِ الحاجةِ فيهم.

إِلْحَافًا: إلحاحًا في السُّؤال.

• الضَّربُ في الأرض من أعظم أسباب تحصيل الرزق، ولذا جعل الله تعذُّرَه سببًا للفقر، فابذُل السببَ واسأل الله من فضله.

• ليس الفقراء سواءً، فتخيَّر لصدقتك ما هو أرضى لله، وأكثرُ نفعًا، وأعظمُ حاجة.

• صورة تستحثُّ المشاعر، وتحرِّك القلوب والضمائر، لإدراك نفوسٍ عزيزة كريمة، تأبى الهوانَ وتأنف السؤال، مع عظيم الحاجة وشدَّة الفاقة.

• ملاحظة أحوال المتعفِّفين لمعرفة حاجتهم وسدِّ فاقتهم شأنٌ جليل، وثوابُه جزيل، ولا يفطَنُ إليه إلا موفَّقٌ مسدَّد.

• تعفَّفَ قومٌ فأوصى الله بهم خيرًا، وألحفَ آخرون فوُكِلوا إلى مسألتهم.

• الفَطِن تهمِسُ في أذنه سِيما المحتاج وإن لم ينطِق لسانُه، والجاهل لا يكاد يسمع إلا الصارخَ بالمسألة الشاكيَ حالَه.

• مَن اضطُرَّ إلى المسألة فله أن يسألَ دون إلحافٍ وإلحاح، فإن ذلك ممنوعٌ في الشرع، ممقوتٌ من الخلق.

• لستَ بحاجة أن تنوِّه بجهدك أو تشيدَ بأثرك؛ فإن الله تعالى عليمٌ بعملك، ولن يظلمَك منه شيئًا.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

• ما أحراكَ أن تبادرَ إلى الإنفاق في كلِّ حين؛ فلا تؤخِّر نفقةَ الليل إلى النهار، ولا نفقةَ النهار إلى الليل، ولا تنتظر بنفقة العلانية وقتَ السرِّ، ولا بنفقة السرِّ وقتَ العلانية!

• إن رُمتَ انشراحَ صدرك، وذهابَ همِّك وغمِّك، فعليك بنجدة الملهوف، وإغاثة المحتاج، فإنها تجلو الهمَّ والحزَن عن القلب كما يجلو ضوء الصُّبح ظلمةَ الليل.

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾

يَتَخَبَّطُهُ: يصرَعُه.

ٱلۡمَسِّ: الجُنون.

• سلبَ المال عقولَ الفاسقين فطلبوه بكلِّ سبيل، وطاشت أحلامُهم فشبَّهوا البيعَ الحلال بالرِّبا الحرام، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، بُعثوا كالمجانين يُصرَعون، كما كانوا في الحرام يتخبَّطون.

• لا يزال المُعرِض عن منهج الله سادرًا في غيِّه وسوء تصوُّره، حتى يرى المحرَّمَ الصريح هو الأصلَ الذي تُحاكَم إليه الأشياء.

• يسوِّغ أصحاب الأهواء مقالاتهم الباطلة، ومعاملاتهم المحرَّمة، بحُجَج واهية، اتِّباعًا للهوى، وإعراضًا عن الهُدى.

• الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وما أبعدَ الفرق بينهما! ولكنَّ الآفة في اتِّباع الهوى، وعلى الداعية أن يَميزَ بين مَن هو أهلٌ للبيان والتعريف، ومَن هو مستحقٌّ للزجر والتخويف.

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾

يَمۡحَقُ: يَنقُصُ، ويُذهِبُ البَرَكة.

وَيُرۡبِي: يَزيدُ ويُنمِّي.

•ليست فائدةُ الأموال بكثرتها ووَفرتها، وإنما بخيرها وبركتها، ولا تحصُل البركة إلا بالتزام شرع الله، ولا تُنزَع إلا بمخالفة أمر الله.

•صدَق وعيدُ الله وصدَق وعدُه، فما من مجتمع يتعامل بالرِّبا تبقى فيه بركةٌ أو رخاء، أو سعادةٌ أو هناء، أو أمنٌ أو أمان، عاجلًا أو آجلًا.

•هذا والله هو الاستثمارُ الحقُّ والتجارة الرابحة؛ هل رأيت أحدًا يعطي على الدينار سبعَ مئة دينار ربحًا؟! قد علمتَ الآن فجِدَّ على الغنيمة العظيمة، ولا تكن من المَغبونين.

• أيها الراغبُ في محبَّة الله، كُل حلالًا وابذُل طيِّبًا، واعلم أن البخل بالإنفاق من أشنع الكفران، وأن أكل الرِّبا موجبٌ لكبائر الآثام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾

• لا تكون السعادةُ بجمع المال كيفما كان، ولكن بالإيمان والعمل والإحسان.

• ما أحسنَ أثرَ الصلاة والزكاة والأعمال الصالحة الخالصة في ترك المعاملة بالرِّبا؛ فإن مَن صَلَحت صلاتُه وسائر طاعاته صَلَحت معاملاتُه في جميع أحواله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾

• إن للتقوى في نفوس المؤمنين من ضمانات التنفيذ عن رضًا وتسليم، ما ليس لكلِّ الشرائع الوضعيَّة التي لا تستند إلا للرقابة الخارجيَّة.

• هكذا يأتي القرآن صريحًا حاسمًا، لا يدَع إنسانًا يتستَّر وراء كلمة الإيمان، وهو لا يرتضي شريعة الرحمن، ولا يلتزمها في حياته، ولا يحكِّمها في معاملاته.

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾

فَأۡذَنُواْ: فاستيقِنوا.

• لو فَقِهَ آكلُ الرِّبا أنه يحارب الله ورسوله، وأنه لن يفلحَ في دنياه وآخرته، لما امتدَّت إليه يده.

• هذه الآية ميزانُ العدل وقِسطاسُه، وفيها تتجلَّى رحمة الشريعة بالخلق، ورعايتها لحقوقهم ومصالحهم.


الجُزۡءُ الثَّالِثُ — سُورَةُ البَقَرَةِ

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١

٤٧

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠﴾

ذُو عُسۡرَةٖ: غيرُ قادرٍ على السَّداد.

فَنَظِرَةٌ: فإمهالٌ.

• ما أروعَه من مجتمع متكافل؛ لا يطارِد فيه صاحبُ الدَّين المُعسِرَ، بل يُنظِره حتى يوسِرَ، ولا يترُك ذلك المُعسرَ وحدَه، بل يجعل له حظًّا من مصارف الزكاة!

• يسِّر على مُعسِر لييسِّرَ الله عليك، واعفُ عنه ليعفوَ عنك، واترك بعضَ حقِّك، وادَّخره عند ربِّك، لتجدَه وأنت أحوجُ ما تكون إليه.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾

• مَن قدَّر اليوم الآخرَ حقَّ قدره، وعلم أنه محاسبٌ فيه على كلِّ أعماله، أصلح كلَّ معاملاته.

• في التذكير بيوم الجزاء بعد آيات المعاملات تنبيهٌ للعباد؛ ليتَّقوا الظلمَ، ويجتنبوا الشهَوات.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا
فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾

تَدَايَنتُم: تعامَلتُم بالدُّيون.

وَلَا يَأْبَ: ولا يمتنع.

• من كمال الشريعة العنايةُ بالمعاملات الماليَّة، والحثُّ على الاحتياط فيها؛ لكونها سببًا لمصالح العباد، في المعاش والمعاد.

• راعت شريعة الله مصلحةَ العباد في أهليَّة القائمين بالوظائف الشرعيَّة، فأوجبَت فيهم العلمَ والعدل؛ ليكونوا مؤتمَنين على القيام بما أمرَهم الله به.

• مَن منحَه الله تعالى مهارةً أو منَّ عليه بنعمة، فلا يبخَل بها على مستحقِّها، وليُحسن إلى الناس بتعليمهم إيَّاها كما أحسن الله إليه.

﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾

وَلْيُمْلِلِ: ليُملِ ويُقِرَّ.

وَلَا يَبْخَسْ: ولا يَنقُص.

سَفِيهًا: محجورًا عليه؛ لتبذيره.

ضَعِيفًا: كالصَّغير والمجنون.

• لا ينبغي للكاتب الموثِّق للدَّين أن يغترَّ بائتمان الناس له فيظلمَهم؛ إنه إن راجَ ظلمُه على صاحب المال، فلن يروجَ على الربِّ المتعال.

• أين قوانينُ الأرض جميعًا من شريعة الإسلام في حفظ حقوق الضَّعفة، وإحاطتهم بسياج من الأمان والعدل يحول دون استغلال ضعفهم وانتهاك حقوقهم؟!

﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾

تَضِلَّ: تنسى.

• في الكتابة والإشهاد، ضمانٌ لحقوق العباد، فإن ما تطول عليه الآجال، قد يتعرَّض للجَحْد أو النسيان والإهمال.

• حفظت شريعةُ الإسلام الحقوق، وأقامت العدلَ بين الخلق؛ فجعلت الشهادة في الأموال إمَّا برجُلين أو رجُلٍ وامرأتين، وأمضت السنَّة الشاهدَ مع اليمين، وشرطَت العدولَ المرتضى دينُهم وصلاحُهم.

• تفضيل الرجُل على المرأة في الشهادة على الأموال شريعةٌ في كتاب الله، مَبناها على الاحتياطِ للحقوق، لا امتهانِ المرأة وانتقاصِها كما يزعم الجاهلون.

• تلبية الدعوة للشهادة واجبٌ لا تطوُّع، وفرضٌ لا تفضُّل، فلا ينبغي التأخُّر عنها أو التقاعُس في أدائها.

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾

تَسْـَٔمُوٓاْ: تَملُّوا.

وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ: وأعظَمُ عونًا على إقامة الشَّهادة.

وَأَدْنَىٰٓ: وأقرَبُ.

تَرْتَابُوٓاْ: تَشُكُّوا.

• من إحكام الشريعة إغلاقُ كلِّ طريق يُفضي إلى النزاع والفُرقة والاضطراب، فأمرَت بأن يُكتبَ الحقُّ صغيرًا كان أو كبيرًا، لا لخطر الصغير وقيمته، ولكن لأثره وعاقبته.

• أرأيتم إلى السماحة والمرونة والواقعيَّة في هذه الشريعة الغرَّاء؟ إنها وحيُ الله لتحقيق مصالح الناس وحفظها، فلا تعقيدَ فيها، ولا تعويقَ لجَرَيان الحياة في مجراها.

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

• يا لها من شريعةٍ محكمةٍ راعت أحوالَ العباد بكلِّ تفاصيلها، فرخَّصت في ترك الكتابة عند عدم الضَّرورة إليها واكتفَت بالإشهاد!

• قبيح أن يُشاقَّ على الشاهد، سواءٌ في تحمُّل الشهادة أو في أدائها، بل يُنظر ما يُلائمه، وهذا ممَّا يساعد على حفظ الحقوق وتوثيقها.

• إنها دعوةٌ للمؤمنين إلى تقوى الله، فهو المتفضِّل عليهم، وهو الذي يعلِّمهم، ولا شيءَ يفتح عقولهم للمعرفة، وقلوبهم للهداية مثلُ التقوى.

• قال بعض السَّلف: مَن عمل بما يعلم وُفِّق لما لا يعلم، ولا خيرَ في علم بلا عمل.

• بعد كلِّ ذلك الإحكام في المعاملات الماليَّة، يعظُنا ربُّنا بمِلاك الأمر، وهو تقوى الله، فإنها الضَّمان بإمضاء الحقوق كلِّها وَفق مراد الله.

• الخير كلُّه في اتِّباع شريعة الله المنزلة من الحكيم العليم، وإن خفيَت حكمتُها باديَ الرأي، فإن فيها المصلحةَ في العاجل والآجل.

الجزء الثالث — سورة البقرة — الحزب ٥

وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ
وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا
وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا
وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٤٩

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾

فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ: أن يَدفعَ لصاحبِ الحقِّ شيئًا؛ ليضمَنَ حَقَّهُ، حتَّى يَرُدَّ المَدِينُ الدَّيْنَ.

• مهما فحَصتَ وبحثتَ عن قانونٍ يحفظ حقوقَ الناس في سفَرهم وحضَرهم وسائر أحوالهم، فلن تجدَ كشريعة الإسلام.

• ما أكثرَ الحِيَلَ في عالم التجارات والأمانات! ولكنَّها مهما خفيَت على الناس فإنها لن تخفى على خالق الناس الذي أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا.

• إنما كان الإثم للقلب في كِتمان الشهادة؛ لأن الكِتمانَ من جنايات القلب.

• عجبًا لمَن يظنُّ أنه إن أخفى الشهادة في قلبه فإن الله لن يطَّلعَ عليها! أوَ تخفى مُضمَرات القلوب على الربِّ خالق القلوب؟!

﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾

• سبحانه له السماواتُ والأرض وما فيهما؛ مُلكًا وتدبيرًا، فلننقَد لأمره، ولنحذَر من سَخَطه، فإنما نحن عبيدٌ من عبيده، لا نخرج عن حُكمه وتدبيره.

• يا مَن ملأ قلبَه بقبيح النيَّات وشنيع الخطَرات، ألا تستحي من نظَر الله إلى قلبك وقد دنَّسته بتلك المنكرات؟!

• اجتهد ما شئتَ أن تجتهدَ في إخفاء خطاياك عن أعيُن الخلق، فإنها لن تخفى على مَن يعلم السرَّ وأخفى.

• شقَّ هذا الوعيدُ على الصحابة وهم أعلمُ هذه الأمَّة فأجثاهم على الرُّكَب؛ خوفًا من ربِّهم، فكيف يكون حالنا معه؟!

• هو القدير سبحانه، فمَن ذا الذي يُفلت من عذابه وعقابه؟!

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾

• أنَّى للعبد أن يكونَ مؤمنًا حقًّا ما لم يؤمن بما آمن به نبيُّه ورسوله الذي بعثه الله إليه؟!

• افتُتحت سورة البقرة بذِكر الكتاب الذي لا ريبَ فيه، واختُتمَت بإيمان الأمَّة به، وكأنها شهادةٌ من الله تعالى لها بالاستجابة.

• إيمانكَ بكتاب الله تعالى يدعوك إلى الإيمان ببقيَّة ما أمرَك به من أصول الإيمان، فهو الهادي إليها، والدالُّ عليها.

• الأمَّة المسلمة هي الأمَّة التي ورثت رسالاتِ ربِّها جميعَها، فكانت الحارسةَ على أغلى ما عرَفته البشريَّة في تاريخها، والناشرةَ له إلى يوم القيامة.

• مع إعلانك السَّمعَ والطاعة لله تعالى، اعلم أنك عاجزٌ عن شكر نعمه، مقصِّرٌ في أداء فرائضه، وأنك أحوجُ ما تكون إلى عفوه.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

إِصْرًا: مَشقَّةً وثِقلًا.

• فلنطمئنَّ إلى رحمة الله وعدله في كلِّ ما افترضَه علينا، فلولا أنها في طاقتنا لما ألزمَنا بها، فلا يحسُن أن نتبرَّمَ بتكاليفه، ولا أن نستثقلَ أوامرَه.

• ما أكرمَه سبحانه وأوسعَ رحمتَه؛ يثيب عبدَه على أعماله الصالحة سواءٌ عملها بسعيه أو وقعَت له بغير اختياره، ولا يعاقبه إلا على ما سعى إليه وقصد إلى فعله!

• مَن عمل خيرًا فليَحمَد الله على ما وفَّقه إليه، ومَن عمل شرًّا فليتخفَّف من حَملِ وِزرٍ سيجده يوم القيامة ثقيلًا عليه.

• هذا هو حالُ المؤمن الطامع في عفو الله ومغفرته، لا المتبجِّح بالخطيئة، المجاهر بالمعصية، المصرِّ على السيِّئة.

• إن الناسيَ ليُعذَر إذا لم يفرِّط في أسباب التذكُّر، ولم يستهِن بها، فذاك الذي يُرجى له الغُفران.

• من فضل الله على هذه الأمَّة أنه رفعَ عنها الحرجَ والشدَّة، وجعل شريعته مبنيَّةً على التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير.

• المؤمنون حقًّا يعزمون على الالتزام بتكليف الله لهم أيًّا كان ذلك التكليف، مع رجاء أن يرحمَ ضعفَهم فلا يكلِّفَهم ما لا يُطيقون.

• لن يدخلَ أحدٌ الجنان، إلا برحمة الرحيم الرحمن، جعلنا الله وإيَّاكم من أصحابها.

• طريق النصر والتمكين ميسَّرةٌ لمَن اعتمد على ركن الله الركين، ومَن كان الله مولاه، لم يخشَ في الحقِّ سواه.

سورة آل عمران

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ (١) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ (٣) مِن
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ
عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٥) هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ
فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٦) هُوَ
ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ
ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ
مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ
إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ
رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ
إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَآ
إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (٩)

٥٠

سورة آل عمران

﴿الٓمٓ (١) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ (٢)﴾

ٱلْقَيُّومُ: القائمُ على كلِّ شيء.

• طُوبى لمَن امتلأ قلبه إيمانًا بوحدانيَّة الله الحيِّ القيُّوم، وما أبعدَ البَونَ بين حياته المبصرة المطمئنَّة وحياة مَن يتخبَّط في التصوُّرات التائهة في أودية الضَّلال!

• هو القيُّوم سبحانه؛ قائمٌ بنفسه، مستغنٍ عن غيره، وكلُّ شيء مفتقرٌ إليه، فلُذ به فيما تحاذِر، وتوجَّه إليه فيما تؤمِّل.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ (٣)﴾

• كتاب الله تعالى عدلٌ في أحكامه، صدقٌ في أخباره، واضحٌ في براهينه، مصدِّق لما في الكتب السابقة من حقّ.

﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (٤)﴾

• أنزل الله الكتُب لتكونَ هُدًى للناس، فيا ضيعةَ من كان الهُدى بين يديه وهو حائرٌ لا يبصر طريقه، قلقٌ لا يعرف مآله!

• مَن استعصم بالقرآن ميَّز بين الحقِّ والباطل تمام التمييز، ومَن ابتعد عنه كان تخليطُه بمقدار ابتعاده.

• كلُّ مَن كفر بما أنزل الله من الحقِّ القويم، مستحقٌّ لعذاب الله الأليم، سواءٌ كفر به كلِّه أو كفر ببعضِه.

• كيف يتجرَّأ عبدٌ ضعيف على مخالفة أمر ربِّه ذي العزَّة والانتقام؟!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٥)﴾

• كم من مخبوءٍ عند الناس مكشوفٍ عند ربِّ الناس، وكم من سَريرةٍ يُخفيها صاحبها وهي عند الله عَلانية!

• أين الذي يمكنه أن يُخفيَ كيدَه، أو يستر نيَّته عن الله سبحانه، فيُفلت من جزائه، وينجوَ من عقابه؟!

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٦)﴾

• لقد دلَّك سبحانه وتعالى على نفسه أوضحَ دلالةٍ بما أشهدك في نفسك من بديع خلقك، وما أراك من عجائب كونه وآيات قُدرته.

• أفيصوِّر الله تعالى الإنسانَ أحسن تصوير، ويرعاه في رحم أمِّه أرأفَ رعاية، ويكلؤه في مراحل حياته، ثم يعبُد غيرَه؟!

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٧)﴾

مُّحْكَمَٰتٌ: واضِحاتُ الدَّلالة.

مُتَشَٰبِهَٰتٌ: خفيَّاتٌ، لا يتعيَّنُ المُرادُ منها إلا بردِّها إلى المُحكَمات.

وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ: طلَبَ تفسيرِه على مَذاهبِهم المُنحرِفة.

تَأْوِيلَهُۥٓ: تفسيرَه أو حقيقتَه.

• من الأدب في التعامل مع النصِّ الشرعيِّ أن يرُدَّ الناظر فيه المتشابهاتِ إلى المُحكمات.

• جعل الله الآياتِ المحكماتِ كاشفةً للمتشابهات؛ ليظهرَ فضلُ العلماء في استنباطاتهم.

• الزائغون يتركون حقائقَ الكتاب القاطعةَ في آياته المُحكَمة، ويتذرَّعون إلى أهوائهم بالمتشابهات!

• الراسخ في العلم يردُّ بعض الكتاب إلى بعضِه، فيقضي بمُحكمه على متشابهه، فينكشفُ له ما يخفى على غيره، أمَّا مَن لم يبلُغه علمه فإنه يؤمن به على مراد ربِّه.

• الآيات التي قد يَزيغ بها بعضُ المفتونين يزداد بها الراسخون في العلم إيمانًا؛ لأنهم موقنون بأن كتاب ربِّهم حقٌّ كلُّه لا ريبَ فيه.

• كلَّما ازداد المرءُ عقلًا ازداد بكلامِ الله تذكُّرًا، وكلَّما نقص تذكُّره دلَّ ذلك على نقصان عقلِه.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٨)﴾

• مهما بلغ العبدُ من الإيمان والعلم فإنه ينبغي أن يخشى على نفسه الزيغَ بعد الهُدى.

• القلب المؤمن يُدرك قيمةَ الهداية بعد الضَّلال، والاستقامة بعد الانحراف.

• ليس أبلغَ في دعائك لمولاكَ من إظهار افتقارك إلى غِناه، وحاجتك إلى عَطاياه.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (٩)﴾

• لا تجعل الدنيا أكبرَ همِّك؛ فإنك عنها راحل، وعلِّق قلبك بالآخرة؛ فإنها دارُ القرار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾

• قد يفتدي الإنسان نفسَه في الدنيا بماله، وقد يحتمي من عدوِّه بولده، لكنَّهما لن يُغنيا يوم القيامة عنه شيئًا من عذاب ربِّه.

• إن كلمة الإيمان والتوحيد لتفوقُ في ميزان الحقِّ كلَّ مظاهر القوَّة؛ من مالٍ وولد وجاهٍ وسلطان، فمَن اغترَّ بهذه المظاهر وركَن إليها لم تُغنِ عنه يومَ الجزاء فتيلًا.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

كَدَأْبِ: كشأنِ وعادة.

• سنَّة الله جلَّ جلاله فيمَن يكذِّب بآياته واحدة، لا ضمانَ لهم ولا أمان، إنما هو الأخذُ بالعذاب والهَوان.

• ألا فلننتفع بعِبَر القرآن في أخبار السَّابقين، قبل أن نصيرَ عِبرةً للَّاحقين، ولنا في فِرعونَ أبلغ عِظة، أجارنا الله من الكِبْر والطغيان، وهدانا سبُلَ الرُّشد والإيمان.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾

ٱلْمِهَادُ: الفِراش.

• إنما الأعمال بخواتيمها، وخاتمة الكفَّار الخِزيُ والخَسار، مهما كسَبوا من جَولات وجَولات، ولعَذابُ الآخرة أشدُّ وأنكى.

• يا له من وعيدٍ للكفَّار المارقين، ومن بِشارةٍ للمؤمنين المتَّقين؛ إنكم ما استقمتُم على الحقِّ وثبتُّم لفائزون منصورون، وإن الطغاة لمهزومون مدحورون، وإن غدًا لناظره قريب!

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾

• ليست العِبرةُ بالكثرة، فإن الغلَبة لأولياء الله المؤمنين وإن كانوا قلَّة، ولنا في التاريخ أصدقُ عِظة.

• فلتثِق الأمَّة بوعد الله، ولتأخُذ للأمر عُدَّته، ولا تقنَط إذا ما تأخَّر النصر أو أبطأ، فثمَّة موعدٌ لا يتأخَّر، ولنستحضِر دومًا: {وكان حقًّا علينا نصرُ المؤمنين}.

• لا بدَّ من بصرٍ ينظر وبصيرةٍ تتدبَّر؛ لتتجلَّى العِبرة وتعيَها القلوب، فكم من عِبرةٍ تمضي والناسُ عنها غافلون!

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ: الأموالِ الكثيرة.

ٱلْمُسَوَّمَةِ: الحِسان.

وَٱلْحَرْثِ: الأرضِ المُتَّخذةِ للزِّراعة.

ٱلْمَـَٔابِ: المَرجِع، والثَّواب.

• ما كلُّ شهوةٍ مذمومة، إنما تُذمُّ الشهوات إذا وُضعت في غير موضعها الموافق للفِطرة وشرع الله، أو ألهَت عمَّا يحبُّه ويرضاه.

• زُيِّنت الشهوات للناس كافَّة؛ أمَّا الكافر فجعلها غايتَه ومقصوده، وأمَّا المؤمن فاتَّخذها وسيلةً لبلوغ مطلوبه من مَلذَّات الآخرة.

• فتن الدنيا وشهواتها كثيرةٌ مختلفة، ومن أعظمها خطرًا فتنةُ النساء، ولهذا بدأ بذكرها هنا، فما أحرانا أن نكبَحَ النفوسَ عنها.

• العاقل حقًّا لا يلهو بمَتاع الدنيا الناقص الزائل، عمَّا أعدَّه الله لعباده المؤمنين من النعيم الدائم الكامل.

• من أعظم ما تُستدفَع به فتنُ الدنيا تذكُّرُ حُسنِ المآب عند الله للمؤمنين في الآخرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ
سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾
قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ
ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ
مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ
وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ
مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ
أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

الحزب ٦

﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

• قد عُرِضَت الدَّاران، ووُصِفَت السعادتان، فقِس هذه الدارَ الجليلة بتلك الدار الوضيعة، واختَر لنفسك.

• لا مقارنةَ بين نِعَم الدنيا ونِعَم الآخرة، فنِعَمُ الدنيا منقطعةٌ مَشوبةٌ بالمنغِّصات، ونِعَم الآخرة باقيةٌ خاليةٌ من كلِّ شائبة.

• بدأ سبحانه بذِكر المَقرِّ وهو الجنَّات، ثم ثنَّى بذِكر ما يحصُل به الأُنس وهو الأزواج المطهَّرات، ثم ثلَّث بذِكر أعظم النَّعيم، وهو الفوزُ برضا الجليل العظيم.

• احرص على تحقيق التقوى؛ حتى تظفرَ بما وعد الله به عبادَه المتَّقين من الرضوان والجنَّات، والزوجات المطهَّرات.

• إذا علمتَ ما أعدَّ الله لك من نعيم، فاعلم أنه سبحانه بصيرٌ بك وعليم؛ فاجتهد في الخلاص ممَّا لا يليق أن يعلمَه منك، حتى لا يحولَ بينك وبين التكريم.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ
وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ
أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ
عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ
فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ
وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ
النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

٥٢

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾

- ليست التقوى خمولًا وذبولًا، بل هي دأبٌ وحُسن بلاء، واستغفارٌ ودعاء، وبذلٌ وعطاء.
- الإيمان إقرارٌ وعمل وإعلان، دون عُجبٍ أو بطرٍ أو طغيان.

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

وَالْقَانِتِينَ: المُطيعينَ لله.

- المتّقي حقًّا هو من يكمِّل نفسه بأنواع الطاعات، ويحلِّيها بأصناف الخيرات، ويكفُّها عن المعاصي والسيِّئات.
- في الصبر أداءٌ للواجب، وامتناعٌ عن المحرَّم، وثباتٌ على الحقِّ، وتسليمٌ لقدر الله.
- في الصدق اعتزازٌ بالحقِّ وترفُّعٌ عن الضعف، وما الكذب إلا ضعفٌ عن كلمة الحقِّ؛ اتِّقاءً لضرر وغُرم، أو اجتلابًا لمنفعة وغُنم.
- في القُنوت لله أداءٌ لحقِّ الألوهيَّة، وقيامٌ بواجب العبوديَّة.
- في الإنفاق تحرُّرٌ من عبوديَّة المال، وإعلاءٌ لحقيقة الأُخوَّة على الأنانيَّة والأثَرة، وتكافلٌ يليق بهذا الدِّين العظيم.
- السَّحَر من أشقِّ الأوقات استيقاظًا على الإنسان، وأحبِّها راحةً لديه، وأولاها بصفاء القلب، وأقربها إلى إجابة الدعاء.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

- شأن التوحيد عظيمٌ ومكانته عالية؛ ولذا شهد الله عليه بنفسه قولًا، وبما نصبه من دلائله كونًا وشرعًا.
- مَن ضعُف علمه بـ "لا إله إلا الله"، وعَشِيَت بصيرتُه عن مقتضياتها، فليس معدودًا في العلماء وإن تزيَّا بلباسهم، وحشر نفسَه في زُمرتهم.
- حسبُ أهل العلم شرفًا أن الله تعالى استشهد بالعلماء على أجلِّ مشهودٍ عليه وهو توحيدُه، وقرَن شهادتهم بشهادته، وبشهادة ملائكته، ولا يستشهد سبحانه من خلقه إلا بالعُدول.
- ما أعظمَها من شهادةٍ تضمَّنت الدَّلالةَ على وحدانيَّة الله المنافية للشِّرك، وعدله المنافي للظُّلم، وعزَّته المنافية للعَجز، وحِكمته المنافية للجهل!
- العزَّة والحكمة صفتان لازمتان للقيام بالقِسط الذي هو وضعُ الأمور في مواضعها، مع القُدرة على إنفاذها.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

بَغْيًا: حَسَدًا وعُدوانًا.

- لا دينَ يقبله الله إلا الإسلام، ولا إسلامَ بغير استسلامٍ لله تعالى وطاعةٍ لرسوله، واتِّباعٍ لمنهجه، وتحكيمٍ لكتابه في كلِّ أمور الحياة.
- الإسلام دينُ أنبياء الله ورسله جميعًا من أوَّلهم إلى آخرهم، لم يكن للبشر قطُّ دينٌ غيرُه.
- يا حسرةً على مَن جاءه العلمُ فلم يزدَد بالعلم إلا بغيًا وضلالًا، ولم يكن العلمُ إلا حُجَّةً عليه ووَبالًا.
- مرتَع البغي وَخيم، وجزاء صاحبه معجَّلٌ أليم.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

- في زحمة المحاجَّة ولُجَّة المعاندة لا يَغِب عنك أن يكونَ الدين كلُّه لله.
- رسالة الإسلام ظاهرةُ الحجَّة، واضحة المَحَجَّة، فلا يُعرِض عنها إلا مكابرٌ معاند.
- إن الله عليمٌ بمَن كان صالحًا لقبول الحقِّ والإيمان، ومن أشرب قلبُه الكفرَ والعصيان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

- وهل يكون قتلُ النبيِّ إلا بغيًا وعدوانًا؟ ولكنَّه تأكيدٌ لبشاعة هذه الجريمة النكراء، وتنبيهٌ على أن النفوس الخبيثةَ ترتكب القبائحَ بلا حياء.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

حَبِطَتْ: بَطَلَت.

- لا تغرنَّكَ إنجازات المجرمين القتلة، ولا تحتفِل بما يتظاهرون به من أعمال البرِّ والخير، فأعمالهم باطلةٌ في الدنيا، هالكةٌ في الآخرة.
- لمَّا قابلوا أعظمَ الإحسان إليهم دعوةً ونصحًا بشرِّ مقابلةٍ تكذيبًا وقتلًا، حقَّت عليهم العقوبة العُظمى في العاجل والآجل.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ
ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ
وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن
تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن
تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ
تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٥٣

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

• إنما استحقَّ أهل الكتاب الذمَّ لإعراضهم عن حُكم القرآن الذي جاء مصدِّقًا لكتابهم، ومَن أعرض عن القرآن من هذه الأمَّة فهو أولى منهم في استحقاق الذمِّ.

• مَن أوتيَ حظًّا من العلم فليتمسَّك به، وليُذعن لما فيه من حقٍّ، وما يدعو إليه من صدق، فإن تولَّى وأعرض كان مكذِّبًا بالعلم الذي عَلِمَه، جاحدًا بالحقِّ الذي بَلَغَه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• هيهاتَ أن يجتمعَ في قلبٍ واحد الخوفُ من الآخرة مع الإعراضِ عن الاحتكام إلى كتاب الله وتحكيمه في كلِّ شأنٍ من شؤون الحياة.

• في المنتسبين إلى العلم أو الدِّين مَن ينطِق لسانُ حاله أو مقاله بدَعوى الخصوصيَّة؛ اغترارًا بما عنده واتِّباعًا لهواه، فيأبى الخضوعَ للحقِّ، وكم من طائفةٍ هلكت بهذا الداء!

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

• لا أحدَ يعلم كيف ستكون حالُه في يوم الجزاء المشهود، فلمَ الاغترارُ بالأمانيِّ الباطلة، والرُّكونُ إلى الأحلام الفارغة؟!

• إن الدنيا أهونُ من أن تتحسَّرَ على فوات بعض حظِّك فيها، إنما الشأن أن تأخذَ موضعًا حسنًا في أعظم مجمَع مشهود، يوم تسقُط الرتب الزائفة، والمزايا الخادعة، والخصوصيَّات المدَّعاة.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

• لا تغترَّ بعزِّ أحدٍ فتذِلَّ له من دون الله، ولا بمُلك أحدٍ فتتعلَّق به من دون الله؛ فإنما هم جميعًا تحت مشيئة الله، وإن شاء سلبَهم ما أعطاهم في طَرفة عين.

• يملِّك الله تعالى مَن يشاء ما يشاء تمليكَ العاريَّة التي يستردُّها صاحبُها عندما يشاء، فطوبى لمَن لم ينخدع بمُلكٍ ولا سلطان!

• سلبُ الله الملكَ عمَّن يشاء وإذلاله لمَن يشاء أمرٌ دائرٌ بين العدل والفضل والحكمة، ولا تخرُج المصلحة عنه، وهو على كلِّ حال خيرٌ يُحمَد عليه الربُّ، ويُثنى به عليه.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

تُولِجُ: تُدخِل.

• من مظاهر نفوذ قدرة الله تعالى تعاقبُ الليل والنهار وتداخلُهما، وإنَّ مَن قدَر على ذلك لقادرٌ على جعلِ العزِّ ذلًّا، والمُلك حرمانًا وضعفًا.

• هنالك حياةٌ حسيَّةٌ معروفة مألوفة، وأخرى معنويَّةٌ إيمانيَّة مشهودة، فاحرِص على الأُخرى حِرصكَ على الأولى وزيادة.

• قد ضمن الله لك رزقَك فلا تقلق لأجله، وأمرك بالتزام ما أوجبَه عليك، فلا تقصِّر فيه، واحذر أن تنشغلَ بما كفلَه لك عمَّا طلبه منك.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً: تُهادِنوهُم اتِّقاءَ شرِّهم إذا كنتُم ضِعافًا.

• مَن رامَ محبَّةَ الله له ونصرتَه إيَّاه فليجعل ولاءه خالصًا للمؤمنين بالله، وعَداءه لأعداء الله، وفي مَضايق الاضطرار، فسحةٌ لذَوي الأعذار.

• عجبًا لمَن يَوَدُّ أعداء الله ويواليهم، ثم يزعم أنه محبٌّ لله ووليٌّ له! فما أبعدَه عن الحقيقة عن الله، وما أقطعَه عن كلِّ ما يمتُّ إلى رضا الله من صلة!

• يا له من تحذير ينخلع له قلبُ المؤمن الحيِّ؛ إن الله يحذِّر عباده نفسَه، في موطن النهي عن موالاة أعداء الله، فيا خيبةَ مَن استهان بتحذيره، ولم يعبأ بتهديده!

• السعيد من وُعِظ فاتَّعَظ، فلا تستهن بهذا التحذير من ربِّك؛ فإن مردَّك إليه، فكن من أوليائه ولا تكن مع أعدائه.

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

• لمَّا كانت الموالاة أصلَ المحبَّة، وهي من أعمال القلوب التي يظهر أثرُها على الجوارح، قدَّم سبحانه علمَه بالخفيَّات على المعلَنات.

• مَن تيقَّن سَعةَ علم الله به، وعظيمَ قدرته عليه، خشيَ أن يعصيَه في سرِّه وعلنه.

يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ
مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ
نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ الحزب ٦
وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ
مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥
فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ
وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا
زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ
قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧

٥٤

﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾

• إنما هي أعمالك ستلقاها حاضرةً أمامك، بغير زخارفَ ولا تزوير، فقدِّم لنفسك اليوم ما يسرُّك أن تراه غدًا.

• في تكرار هذا التحذير تنبيهٌ؛ لئلّا يغترَّ أحدٌ برحمة الله ورأفته، فيُسرف على نفسه.

﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾

• كلُّ طريقٍ سوى طريقه ﷺ مسدود، وكلُّ عملٍ سوى ما سنَّه مردود.

• برهان محبَّة الله طاعةُ مَن أرسله الله، فمَن ادَّعى محبَّةَ ربِّه مع مخالفته لمنهج نبيِّه فإنه كاذبٌ في دعواه.

• بمتابعة النبيِّ ﷺ يحصُل المرء على أجلِّ مرغوب، وأعظم محبوب، وهو الفوز بمحبَّة الله جلَّ وعلا، مع مغفرة الآثام والذنوب، فيا لها من غنيمة!

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾

• ليس الشأن أن تحبَّ الله ادِّعاءً، ولكنَّ الشأن أن يحبَّك الله حقًّا، فاتَّبع رسولَ الله ﷺ لتصدُق في محبَّتك لله، فيحبَّك الله ويرضى عنك.

• التولِّي عن طاعة الله وطاعة رسوله؛ رغبةً عنها، وإعراضًا عن التزامها، يؤول بصاحبه إلى الكفر، والعياذ بالله.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾

• إذا كان الاصطفاءُ من الله تعالى مختصًّا به سبحانه فاتجه إليه، وعلِّق آمالك به، واسأله من واسع فضله، فما خاب مَن رجاه.

• أخبرك الله باصطفائهم لتحبَّهم وتُجلَّهم، وتسيرَ على دربهم، وتنسجَ على نولهم. فإيَّاك والتقاعُس.

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾

• نسلٌ كريمٌ صلَحَت أعمالهم، فارتفعَت عند الله منازلُهم، واستحقُّوا التنويهَ بفضلهم واستقامتهم، لا لمجرَّد حسَبهم ونسَبهم.

• هو السميع لأقوال العباد، العليم بضمائرهم وأفعالهم، وإنما يصطفي من خَلقه مَن قد علم استقامتَه في ظاهره وباطنه، جعلنا الله منهم.

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾

نَذَرۡتُ لَكَ: جعَلتُ لكَ.

مُحَرَّرٗا: خالِصًا لخِدمةِ بَيتِ المَقدِس.

• ينبغي أن يكونَ الأبناء مشاريعَ خير ناميةً لآبائهم؛ بإحسان رعايتهم، والعناية بتربيتهم، ووقايتهم ممَّا يضرُّ بهم في دنياهم وآخرتهم.

• من أعظم وسائل تحقيق آمالك أن تلجأ إلى ربِّك صادقًا موقنًا منكسرًا، فإن فعلتَ فقَمِنٌ أن يُستجابَ لك.

• ما أعظمَ الفرقَ بين مَن يسأل الذرِّيَّة لتكونَ لدنياه عونًا ومددًا، ومَن يطلبها لتكونَ لدين الله ذُخرًا وعَضُدًا!

• سبحان مَن يسمع دعاءَ الدَّاعين، ويجيب سؤالَ السَّائلين، وهو عليمٌ بمُرادهم وقصدهم!

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾

أُعِيذُهَا: أُحَصِّنُها.

• على العبد أن يرضى بالقضاء، وإن جاء على خلاف الدعاء، وليشتغل بصيانة ما اختاره له سيِّده، ليبلغَ به ما أمكنَ من حاجته.

• قضَت الشريعة والطبيعة باختلاف الجنسَين؛ إن الرجل يصلُح للعمل والجهاد، والمرأة تصلُح للتربية والإعداد، ولكلٍّ وظيفةٌ تليق به.

• لا تنتظر ولادةَ طفلك حتى تشرعَ في تربيته، ولكن أصلح نيَّتك منذ إرادتك إيَّاه، ثم حُفَّه بالدعاء حتى يقيَه الله تعالى من كلِّ سوء، ويُقرَّ عينك بصلاحه وهُداه.

• لنُحصِّن أولادنا من شرِّ الشيطان الرجيم، ولنُباعد بينهم وبين طريقه، ولنسأله سبحانه أن يحميَهم من كيده.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾

• المقدَّمات الصالحة تثمر ثمراتٍ يانعة، وها هي ذي امرأةُ عِمرانَ أخلصت الدعاء لربِّها، فاستجاب لها وتقبَّل ابنتها، وتعهَّد شأنها، وجعل منها عيسى عليه السلام.

• صدقت مريم ربَّها فأتاها رزقُها في محرابها وموضع عبادتها، فيا ضيعةَ مَن شغله طلبُ الرزق عن أحد أهمِّ أسباب الرزق، ألا وهو الصلاة!

• خزائن الله مَلأى لا تُغيضها نفقة، ولا يَنقُصها عطاء، وهو سبحانه قادرٌ على أن يرزق مَن يشاء بغير طلب ولا تعب ولا سبب؛ ولكنَّه شرَع للمسبَّبات أسبابًا.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ
يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ
مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر
رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ
عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي
وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ
وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ
وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى
ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

٥٥

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

مِن لَّدُنكَ: من عندِكَ.

• الموفَّق مَن إذا هبَّت نفَحات الخير قويَ رجاؤه فاغتنم تلك السانحة وبادر بالدعاء، سائلًا مولاه من واسع فضله، وكريم نواله.

• الدعاء بابُ المشتاقين إلى تحصيل المطالب المرجوَّة، والوصول إلى الآمال المشروعة، فإذا أردتَ حاجةً من حاجات الدنيا والآخرة فعليك بالدعاء؛ فإنه لا مثيلَ له.

• إذا دعوتَ الله تعالى فأثنِ عليه بما هو أهله، وارجُ إجابتَه، فإنه سبحانه وتعالى أهلُ الفضل وأهلُ الكرم.

• متى دعوتَ الله تعالى فسَله الذرِّيَة الطيِّبة؛ فإنه لا خيرَ في ذرِّية غير صالحة تكون على أهلها عناءً ووَبالًا.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

فِي ٱلْمِحْرَابِ: في مَكانِ العِبادة.

وَحَصُورًا: مانعًا نفسَه وحابسَها عن الشَّهوات، ومنها غِشيانُ النِّساء.

• في المحراب دعا زكريَّا ربَّه، وفيه جاءته البشرى، وعنده رُزقَت مريم، فاجتهِد في طاعة الله وألِحَّ بدعائه، ليُفيضَ عليك من فسيح عطائه.

• سأل زكريَّا ربَّه مخلصًا أن يرزقه ذرِّية طيِّبة، فجاءته العَطايا بسيِّدٍ شريف، وتقيٍّ عفيف، ونبيٍّ من الصالحين.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾

عَاقِرٌ: عَقيمٌ لا تَلِد.

• كرم الله تعالى فوق ما يظنُّ العباد ويتصوَّرون، وفوق ما يألفون ويُدركون، يسألونه على مقدار ما يعرفون، ويُفيض عليهم بجوده الذي لا تحدُّه الحدود، ولا تقيِّده القيود.

• كلَّما تعاظمت شيئًا من أقدار الله فردَّه إلى مشيئته سبحانه وقدرته، فإن القدير يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

ءَايَةً: علامةً أستدِلُّ بها على وُجودِ الوَلَدِ مِنِّي.

رَمْزًا: إشارةً.

بِٱلْعَشِيِّ: آخِرِ النَّهار.

• قال بعض السَّلف: لو رخَّص الله لأحدٍ في ترك الذِّكر لرخَّص لزكريَّا؛ لأنه منعَه من الكلام وأمره بالذِّكر.

• خذ بالأسباب ولا تتَّكل عليها؛ فإن خالقها قد يمنع نفوذَها مع وجودها، كما قد يوجِد الأشياء بلا أسبابها؛ لتعلمَ أن كلَّ الأسباب مندرجةٌ في قضائه وقدره.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

• إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا سخَّر له ما يسكِّن فؤاده، ويقوِّي إيمانه، ويهيِّئه لما يصطفيه له.

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

ٱقْنُتِي: داوِمي على الطَّاعة.

• أولياء الله أَولى الناس بعبادته، والدَّأب في مَرضاته، ومَن تحلَّل من الشرع وفرَّط في الأمر فليس وليًّا لله، ولو ادَّعى ذلك واغترَّ به الناس.

• أعظم ما يُستعان به على القيام بالأعباء الثِّقال، وتحمُّل المسؤوليَّات العِظام، القربُ من الله وتوثيقُ الصِّلة به، فلا حولَ ولا قوَّة إلا به.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ: يُلقُونَ سِهامَهُم للاقتِراع.

• أتى النبيُّ ﷺ أهلَ الكتاب بتفاصيلَ دقيقةٍ صحيحةٍ عن أنبيائهم، مع أنه لم يُدرك أزمانهم، ولم يقرأ كتبَهم، ولم يجالسهم، فهل غيرُ وحي الله أنبأه بذلك؟!

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

• إنها بِشارةٌ على ما سيتبعُها من المشاقِّ والآلام، لكنَّ العبرةَ بالعواقب الحميدة، والمآلات المباركة في الدنيا والآخرة.

• لقد كانت البِشارة بولدٍ ذي جاهٍ عند الناس عظيمة، فكيف به لو كان نبيًّا وجيهًا عند الناس وعند ربِّ الناس؟!

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ
﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ
فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ
وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ
الحزب ٦ — هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

٥٦

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

• كم في قصَّة مريمَ من مظاهر رحمته تعالى بعباده؛ هيَّأها لما هي مقبلةٌ عليه، وهدَّأ من رَوعها، ولم يَكِلها إلى نفسها طَرفةَ عين!

• إن الوجاهة والتكليمَ في المهد وسائرَ الآيات ليست بمُغنيةٍ عن تلك الرُّتبة العظيمة رتبة الصَّلاح، فلننتظِم بهذا الرَّكب، ولنتحلَّ بهذا الوِسام.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾

• لو كان العبد يردُّ كلَّ أمرٍ عجيب إلى حقيقة أن الله تعالى إذا قضى أمرًا فإنما يقول له: كن، فيكون، لذهب العجَب، وزالت الحيرة، واطمأنَّ القلب.

• شأن المسلم الاستسلامُ لله تعالى، والتسليمُ بقضائه والرِّضا بقدره، وله في مريمَ عليها السلام عبرةٌ وأسوة، فإن سؤالها لم يكن اعتراضًا، ولكن دفعًا للاستشكال وطلبًا لليقين.

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

• الحكمة أساسٌ في كلِّ دعوة، فاحرِص عليها يا من تريد نصرةَ الدين، واستوهبها من الحكيم العليم، فإنك إن أُوتيت الحكمةَ فقد أُوتيت خيرًا كثيرًا.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

ٱلْأَكْمَهَ: مَن وُلِدَ أعمَى.

• ضلَّ في آيات الرسُل طائفتان: مَن كذَّبهم فلم يؤمن بها، ومَن ألَّهَهم فجعلها من تلقاء أنفسهم.

• ردَّ عيسى عليه السلام الأمرَ إلى الله؛ ليعلموا أن كلَّ شيءٍ بإذنه ومشيئته، فلا يُفتَن بعمله الجافي عنه، ولا الغالي فيه.

• تغيير واقع الناس وما ألِفوه أمرٌ خطير جليل لا بدَّ له من حُجَج محكمة تسلِّم بها العقول، وتنقاد إليها النفوس، ولذا أُيِّد عيسى عليه السلام بالبراهين الباهرة.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾

• رسالات الأنبياء جميعًا كلآلئ العِقْد المنظوم، كلُّ رسالة تصدِّق التي قبلها، وتبشِّر بالتي بعدها؛ لأنها جميعًا رسالةٌ واحدة، من لدُن الربِّ الواحد.

• في الدين الحقِّ الذي جاء لتصريف حياة الناس وَفق منهج الله لا تنفكُّ العقيدة الإيمانيَّة عن الشعائر التعبُّديَّة، ولا القيم الخُلقيَّة، ولا الشرائع التنظيميَّة.

• صدَّق بآيات الرسُل المفلحون، فأثمرت تقواهم، وأوجبَت لهم الرضوان. وكذَّب بها الخاسرون، فكانت حُجَّةً عليهم، أوجبَت لهم النيران.

• تقوى الله سبحانه وطاعةُ رسوله ﷺ جناحا النجاة، والفوز بخيرَي الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

• هذا هو شأنُ الدعاة الصادقين، لا يدعُون الناسَ إلى خُطَّة رشدٍ إلا كانوا أوَّلَ القائمين بها، الممتثلين لها، الحريصين على تحقيقها.

• هيهاتَ أن تستقيمَ دعوةٌ أو دولةٌ أو طائفةٌ إلا بتوحيد الله وإفراده بالعبادة، هذا هو الصِّراط القويم، فطُوبى لمَن استقام عليه.

﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

ٱلْحَوَارِيُّونَ: أصفياءُ عِيسَى عليه السَّلام.

• حَذارِ أن يُقعدَك عن النهوض بالدين كثرةُ المكذِّبين، وقلَّة الناصرين، فتلك سنَّة البشَر مع الأنبياء والمرسَلين، ولكنَّ العاقبة للمتَّقين.

• لجمهور أصحاب العقيدة والدعوة أنصارٌ ينهضون معهم، يبلِّغون دعوتهم، ويقومون عليها بعدهم، فأين المشمِّرون عن ساعد الهمَّة ليكونوا أنصارَ الله ورسوله؟!

• لن ينتصرَ دين الله نصرًا حقيقيًّا إلا بإيمانٍ صحيح بالله، أمَّا الحميَّة والعصبيَّة والتصوُّرات الجاهليَّة فسرعان ما تزول، وإن قُدِّر بقاؤها فلن تقيمَ منهاجًا صالحًا للحياة.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ
﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم
مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ
عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ
﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟
نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا
وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٧

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

• لا يُعينك على التمسُّك بالدين مثلُ اللجوء إلى الله وتعليق الرجاء به، ولك في الحواريِّين أسوةٌ حسنة.

• ليس الإيمان عقيدةً في الضمير فحسب، ولكنَّه اتِّباعُ المنهج القويم، والاقتداءُ فيه بالرسول الكريم.

• لست وحدَك في هذا الطريق، فلك إخوةٌ سبقوك وإخوةٌ سيأتون بعدك، شهدوا من الحقِّ ما شهدتَّ، واتَّبعوا منه ما اتَّبعتَ.

• على المسلم أن يجعلَ من نفسه صورةً حيَّة لهذا الدين، يرى الناسُ فيها مثلًا رفيعًا يشهد بأفضليَّة دينه وأحقيَّته في البقاء.

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

• لا يَهولنَّكَ ما ترى من تعاظُم كيد الكفرة ومكرهم في الخفاء، فإن الله من ورائهم محيط.

• شتَّان بين مكر الكفرة القائم على الحقد والجور والإجحاف، ومكر الله القائم على العدل والقِسط والإنصاف.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾

مُتَوَفِّيكَ: قابضُكَ منَ الأرض.

• في هذه الآية دليلٌ على علوِّ الله تعالى حقيقةً، كما دلَّت على ذلك النصوص القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة التي تلقَّاها أهل العلم والإيمان بالقَبول والتسليم.

• مَن ابتُلي برُفقةٍ فاسدة فلينأَ بنفسه عنهم، وليتطهَّر بمفارقتهم.

• مَن عرَف مرادَ الله تعالى من ابتلائه، وتلقَّاه بالرِّضا والحمد، صار ذلك البلاء له نعمةً ومِنحة.

• اتِّباع الأنبياء عليهم السلام والتزام نهجهم، مؤذنٌ برفعة الأمَّة وانتصارها إلى يوم القيامة.

• انتصار المؤمنين في الدنيا ليس هو نهاية المطاف، ففي يوم القيامة يكون الانتصارُ الأعظم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

• ويلٌ لمَن أُقيمت عليه الحُجَّة ولم يقبل الحقَّ، ويلٌ له في الدنيا بما سيُصيبه بأيدي المؤمنين أو بقوارع الدهر ومصائبه، وويلٌ له في الآخرة بالعذاب الشديد.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾

• يوفِّي الله المؤمنَ أجره في الدنيا بنصره على عدوِّه، أو بحفظه في نفسه وأهله وماله، وله في الآخرة الجزاءُ الأوفى.

• إنها لبُشرى بنصر الله للمظلومين في الدنيا ويوم الدين، وتحذيرٌ للمؤمنين ألا يكونوا من الظالمين.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

• أخبار الأنبياء في القرآن من براهين النبوَّة؛ لاتِّساقها مع أنباء بني إسرائيل.

• القرآن حاكمٌ تُستفاد منه الأحكام، وذو حكمةٍ يراها المتدبِّر في مبانيه ومعانيه، ومحكَمٌ فلا تتطرَّق وجوه الخلل إليه، وحكيمٌ ناطقٌ بالحكمة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

• زعم النصارى أن عيسى ابنُ الله؛ لأنه وُلد بلا أب، فردَّ الله عليهم بقياسٍ مُفحِم.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

• على المسلم أن يعتقدَ جازمًا أن كلَّ ما يعارض الحقَّ الصريح باطل، وأن كلَّ شُبهة تورَد عليه فاسدة، سواءٌ أقدر على جوابها أم عجَز.

• ما كان النبيُّ ﷺ مُمتريًا ولا شاكًّا في لحظةٍ من لحظات حياته، ولكنَّها دعوةٌ لأمَّته للثبات على الحقِّ، والتيقُّظ لكيد الأعداء.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

نَبْتَهِلْ: ندْعُ باللَّعنةِ على الكاذبِ مِنَّا.

• لا يقدِّم الرجل أبناءه ونساءه على نفسه في باب المُباهَلة الذي هو من مَظانِّ التلف والهلاك إلا وهو على يقينٍ تامٍّ أنه على الحقِّ، وأنهم في مَنجاةٍ من أيِّ مكروه.

• لولا ثقته ﷺ بأنه رسول الله لما تحدَّاهم بهَلَكة الكاذب، ولولا معرفتُهم دلائلَ نبوَّته من التوراة والإنجيل لما جَبُنوا عن مُباهلَته.

• إن المُماريَ في قطعيَّات الشريعة ومُحكَماتها ليستحقُّ أن يُدعى عليه بعقوبةٍ عاجلة تجعله عِبرةً لمَن يعتبر.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ
﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ
تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾
إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

٥٨

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾

• قِصص القرآن ليست كسائر القِصص، فهو أصدقُ القول وأحكم البيان، والعاقل مَن صدَّق بأخباره وانتفع بقِصَصه واعتبرَ بحوادثه.

• هو العزيز فلا يُعبَد غيرُه، ولا يُخضَع لسواه، وهو الحكيم فلا شرعَ إلا شرعُه، ولا أمرَ إلا أمرُه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

• حسبُ الداعية أن يبلِّغ شرعَ ربِّه كما أمره، ولا تذهب نفسُه حسراتٍ على المُعرضين؛ فإنه لا يُعرض عن الحقِّ إلا فاسدٌ مفسد، والله عليمٌ بالمفسدين.

• التولِّي عن الحقِّ والإعراض عن التوحيد فسادٌ عظيم، وسيجزي الله المفسدين شرَّ الجزاء.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ: كلمةٍ عَدلٍ وحقٍّ نلتزمُ بها.

• سبحانه ما أرحمَه بعباده؛ يجادل فريقٌ من أهل الكتاب في الحقِّ، وينكِلون عن المُباهلة، وهو يدعوهم إلى الهداية ويرغِّبهم في الإيمان!

• لا تكترث بأيِّ دعوةٍ للمقاربة بين الإسلام ودين أهل الكتاب؛ ليست الغايةُ منها إقامةَ التوحيد، ونبذَ الشِّرك، واتِّباعَ الحق، وإن زخرفوها بالقول وجمَّلوها بالكلام.

• المسلمون حقًّا هم الذين يعبدون الله وحدَه، ولا يشركون به شيئًا، ولا يتَّخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دونه، فلنحرص على امتثال الإسلام اسمًا ومعنى.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾

• التعصُّب بابٌ للكذب والضلال والمجادلة في الواضحات، فكيف يدَّعي أهل الكتاب أن إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، ولم تكن هاتان الملَّتان إلا من بعده؟!

• مَن حاجَّ في شيءٍ خالٍ من الصدق والحق، فليس بعاقل، ولو صُدِّر في المجالس، وقُدِّم في المحافل.

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

• مَن كان ديدنَه الجدالُ بغير حق، والمِراءُ بغير علم، اتِّباعًا للهوى، فهو غير جديرٍ بالثقة فيما يقول، بل غير جديرٍ بالاستماع لما يقول.

• أحقُّ العلم بالاتِّباع ما كان عن الله وعن رسوله ﷺ، وما خالفه فهو الجهلُ والضلال.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾

حَنِيفًا: مائلًا عنِ الشِّركِ قصدًا.

• جعل الله لإبراهيمَ عليه السلام لسانَ صدقٍ في العالمين، فكلُّ أهل كتاب ينتحلونه، وهو ما جاء إلا بالإسلام، عليه من الله الصلاة والسلام.

• الإسلام هو التوحيد المُطلَق بكلِّ خصائصه، والشِّرك نقيضُه في كلِّ مقتضَياته، فكيف يلتقيان؟!

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

• الانتماء الحقُّ إنما يكون للدين الحقِّ، به تجتمع الأجيال المسلمة من وراء حدود الزمان والمكان، ومن وراء فواصل الدَّم والنَّسَب، والقوم والجنس، فتزول العنصريَّة، ويضمحلُّ التعصُّب.

﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

• وراء كلِّ كيدٍ ودسٍّ، ومِراء وجدال، وتلبيس وتدليس، ورغبة قائمة على الهوى والحقد؛ نفسٌ خبيثة تودُّه، وقلبٌ خبيث يرغب فيه.

• إن كان أهل الباطل بباطلهم يعتزُّون، وإليه يدعون، ولأجله يبذلون، فإن منهجَك الحقَّ أولى بولائك، وأحقُّ بعطائك.

• مهما اجتهد المُبطلون في غَيِّهم، فسيكون جُهدهم حسرةً عليهم، ووَبالًا في عاجلهم وآجلهم.

• يظنُّ الضالُّ حين يُضلُّ غيرَه أنه يمكر به، ولا يدري أنه إنما يمكر بنفسه، ويجني عليها بما يُشقيها ولا يُرضيها.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

• كلَّما كان المرء أعلمَ بكتاب الله، كان إعراضُه عن الحقِّ وكفرُه به أعظمَ عند الله.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾

تَلۡبِسُونَ: تخلطون.

• للعدوِّ معك طريقان: إمَّا أن يكتُمَ الحقَّ فيمنعَه عنك، وإمَّا أن يَلبِسَه بالأوهام والضَّلالات بعد أن يصلَ إليك، فاعرف عدوَّك واعرِف سبُلَه.

• قد يدعو أهلُ الباطل إلى بعض الحق، لا محبَّةً فيه، ولكن لأن باطلهم لا يَروجُ إلا بمَزجه بشيءٍ من الحقِّ. فلنحذَر!

• دين الله حقٌّ لا لبسَ فيه ولا تخليط، مهما حاول الكائدون تشويهَه أو الطعنَ فيه.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾

وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ: أوَّلَه.

• من طرائق الماكرين في تقويض المجتمع المسلم تشكيكُ المسلمين في دينهم بإظهار الإسلام ثم النُّكوص عنه، ومن هنا كان حكمُ الإسلام في المرتدِّ قاطعًا حاسمًا.

• اعرِف الحقَّ، ولا تلتفت إلى النَّاكل عنه، فقد يكون النُّكول عن الحقِّ من حِيَل الأعداء، لفتنة بعض ضِعاف النفوس.

﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾

• مَن شَمِلَه الله بلطفه فأكرمه بالإسلام، وأنعم عليه بالهداية والسداد، فلن يضرَّه كيدُ الكائدين ولو كان بعضُهم لبعض ظَهيرًا.

• لم يزل دأبُ أعداء الدين كتمانَ الحقِّ والخير عن المسلمين، فإن أفصَحوا عن بعض الحقيقة فحين لا تكون حُجَّةً عليهم.

• لا تكتُمَنَّ شيئًا من العلم أو الخير خشيةَ أن ينافسَك فيه أحد، فذاك من أخلاق اليهود الحاسدين.

• لن يمنحَك الفضلَ أحدٌ سوى الله، فهو الكريم به، العليم بمَن يستحقُّه، فارفع يديك إليه، ولا تتعلَّق بمَن لا يُغني عنك من الله شيئًا.

﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾

• اختصَّ الله هذه الأمَّةَ بهُداه المشتملِ عليه كتابُها، وخيرِه الذي اكتنفَته رسالتُها، ورحمتِه التي جاء بها رسولُها، فاستمسِك بهذا الدين بعزم، ودافع عنه بحزم.

• مَن آمن بأن الله تعالى يؤتي فضلَه مَن يشاء، ويختصُّ برحمته مَن يشاء، حمله إيمانُه على الرضا والصفاء، وأبعده عن التحاسُد والبغضاء.

• رحمة الله ومشيئته لا تخضع لمعايير الناس، ولا تُراعي ألوانهم وأعراقهم وأنسابهم ومناصبهم.

﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾

بِقِنطَارٖ: المالِ الكثير.

ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ: العرب؛ لأنَّهم أُمَّةٌ أُمِّيَّة.

• الناس مشاربُ مختلفة، فلئن اتَّفقوا في أصل الدين إنهم يتباينون في أخلاقهم وفي تطبيق دينهم، فاحذر التعميمَ في الأحكام على الأمم بدافع من التعصُّب والهوى.

• مَن لم يؤدِّ الأمانةَ والحقوق إلى أهلها إلا بعد الإلحاح عليه، فقد ورث عن اليهود بعضَ أخلاقهم.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ
عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ
يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ
إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي
ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ
٧٥ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ
٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا
أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ
إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧

الحزب ٦

٥٩

• من لم يعرف ربَّه قاده هواه إلى الاعتداء على حقوق الناس بتأويلاتٍ باطلة، ألا ترى كيف ظنَّ بعض أهل الكتاب أن الله أحلَّ لهم أموالَ العرب لأنهم مشركون؟!

• لا ترتدِعُ النفوس اللئيمة عن أن تلهثَ وراء حظوظها، ولو كلَّفها ذلك أن تفتريَ الكذبَ على الله.

﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦﴾

• أوفِ بوعدك، مع صديقك أو عدوِّك، فإن الوفاء مرتبطٌ بصلاحك لا بمصالحك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾

لَا خَلَٰقَ: لا نَصيب.

• كلمة رضًا منه سبحانه، ونظرة رحمةٍ منه جلَّ شأنه، وتزكية يمنُّ بها على عبده، لحقيقٌ بأن تُبذلَ لأجلها الدنيا بما فيها، لا أن تُستبدلَ ببعض حُطامها.

الجزء الثالث | سورة آل عمران

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ
ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن
تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم
مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم
مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٦٠

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

يَلْوُۥنَ: يحرِّفون الكلامَ عن مواضعِه.

• من منهج القرآن الكريم البعدُ عن التعميم في الأحكام على قومٍ اجترح الباطلَ فريقٌ منهم، وذلك عينُ العدل والإنصاف.

• ليس كلُّ ما نُسب إلى الدين صحيحَ النسبة، ولا كلُّ مَن تزيَّا بزيِّ أهل العلم كان منهم، فكم من منتسبٍ إلى العلم متَّبعٌ هواه، مجترئٌ على ربِّه، والعلم منه بَراء.

• إذا رأيتَ مَن ينسُب إليك ما ليس منك فلا تعجَب؛ فإن هناك قومًا ينسُبون إلى الله ربِّهم ما لم يأتِ منه قطُّ.

• من ضروب الافتراء على الله: التحريفُ والكذب، ونفيُ المعنى الحقِّ وإثباتُ المعنى الباطل، وتنزيلُ اللفظ الدالِّ على الحقِّ على المعنى الفاسد.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

رَبَّٰنِيِّۦنَ: حُكماءَ فُقهاءَ مُعلِّمين.

• يختار الله من عباده لحمل رسالته إلى خلقه، مَن يدعو إلى توحيده وإفراده بالتعظيم؛ فلذلك كان الأنبياء أبعدَ الناس عن الدعوة إلى أنفسهم، وترك عبادة ربِّهم.

• أعلى مراتب العبد أن يكونَ ربَّانيًّا؛ يربِّي الناسَ بمبادئ العلم قبل نهاياته، وبأصوله قبل فروعه، ويدعوهم إلى العمل بفعله قبل قوله.

• غاية الأنبياء جميعِهم تبليغُ رسالات ربِّهم، فمَن كان على نهجهم فهو الداعيةُ الحقّ.

• ضلَّ أقوامٌ غلَوا في رسول الله ﷺ فجعلوا له بعضَ حقوق الله عزَّ وجل، هلَّا استجابوا لأمره: (لا تُطروني كما أطرَت النصارى عيسى ابنَ مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبدُ الله ورسوله).

• أعظم آثار العلم تحقيقُ التوحيد، وتعميقُ مفاهيمه في حياة الداعية إليه وحياة الناس.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

• مَن اعتقد شيئًا من صفات الربوبيَّة في مخلوقٍ من المخلوقات، أو صرف له العبادة من دون الله، سواءٌ كان ملكًا مقرَّبًا أو نبيًّا مرسلًا، فقد اتخذه ربًّا وكفر بما أنزل الله.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

إِصْرِى: عَهدي.

• ليس بعد شريعة نبيِّنا ﷺ شريعةٌ تُتَّبع، فإن شريعتَه ناسخةٌ لجميع الشرائع، ودينه خاتمُ الأديان إلى يوم القيامة.

• مَن انتسب إلى نبيٍّ من الأنبياء وهو يكذِّب بشريعة خاتم الأنبياء فإنه كاذبٌ في دعواه، متَّبع لهواه، والأنبياء كافَّةً بَراءٌ من ضلاله.

• رتبة نبيِّنا ﷺ أعلى الرُّتَب، فهو أجلُّ البشر قدرًا، وأفضل أنبياء الله منزلة، ودينُه خير الأديان، وشريعتُه خاتمة الشرائع.

• ما أعظمَها من مكانةٍ لنبيِّنا ﷺ؛ أن يأخذَ الله العهدَ المؤكَّد على كلِّ نبيٍّ أن يؤمنَ به وينصرَه، ويأخذَ كلُّ نبيٍّ العهدَ على أمَّته بذلك، ويشهدَ عليهم به، ويشهدَ الله على الجميع بذلك!

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

• مَن تديَّن بما لم يَشرَعه الله تعالى لنبيِّه ﷺ فهو في ركاب الفاسقين.

• الفسق والضلال دركاتٌ بحسب التولِّي عن أمر الله، فمَن تولَّى عن بعض دينه كان فسقُه على قدر تولِّيه، وإنَّ من الفاسقين مَن خرج عن الملَّة والدين، أعاذنا الله من كلِّ ضلالٍ مبين.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

• مَن ابتغى سعادتَه وصلاحَ حاله رجع إلى منهج الله في ذات نفسِه، ونظام حياته، ومنهج مجتمعه، ليتناسقَ مع نظام الكون كلِّه.

• كلٌّ راجعٌ إلى الله، أمَّا المؤمن فيستسلم بقلبه وقالَبه لله، فيعود إليه فائزًا، وأمَّا الكافر فيستسلم له تحت الكُره والسلطان، فيعود إليه خاسرًا.

• على العبد أن يحذرَ كلَّ الحذر من الرجوع إلى ربِّه على غير ملَّة الإسلام التي ارتضاها تعالى دينًا واحدًا لعباده.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٨٤)﴾

وَٱلْأَسْبَاطِ: الأنبياءِ الذين كانوا في قبائلِ بَني إسرائيلَ الاثنتَي عَشْرة من ولَد يعقوب.

مُسْلِمُونَ: مُنقادون بالطاعة.

• تتجلَّى عظمة الإسلام في أنه امتدادٌ لجميع الرسالات السابقة في توحيد الله والإيمان به، فكان المسلم موصولًا برسُل الله جميعًا، وما أشرفَها من صلة!

• شتَّان بين أهل الإسلام الذين يصدِّقون بجميع الرسالات التي أنزلها الله، ولا يكفرون بأيٍّ من رسُله، وبين مَن يؤمنون ببعضٍ ويكفرون ببعض، وإن تكذيبهم ليَنقُض تصديقَهم.

• المؤمن حقًّا هو المؤمن بأنبياء الله جميعًا، والمسلم صدقًا هو المستسلم لأمر ربِّه فلا يفرِّق بين رسولٍ ورسولٍ اتِّباعًا لهواه كما فعل أهلُ الكتاب.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٨٥)﴾

• إن مجرَّد الإعراض عن دين الإسلام وطلب غيره يُعدُّ خسرانًا مبينًا، فما الظنُّ بحال مَن اطمأنَّ إلى دينٍ سواه وتديَّن به، والعياذ بالله؟!

• كلُّ الرسُل قد جاءت بالإسلام، فمَن آمن بنبيِّه حقًّا فقد آمن بمحمَّد ﷺ الذي كان أعظمَ مقاصد دعوته ردُّ الناس إلى التوحيد الذي بُعثت به الرسُل كافَّة.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٦)﴾

يَهْدِى: يوفِّق للإيمان، ويُرشِد للصواب.

• كيف يوفَّق إلى الهداية مَن عرَفها ثم انحرف عنها، ومَن استبانت له الحقيقةُ ثم تركها؟!

• ليس كلُّ مَن شهد أن الرسول حقٌّ فهو من المهتدين، حتى يتَّبعه ويكون مع المؤمنين، وما أضلَّ مَن شهد برسالته واتَّبع الشياطين!

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧)﴾

• لا تهاونَ مع مَن عرَف دين الإسلام حقًّا وشهده، ثم كفر به وجحَده، بل هو جديرٌ بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨)﴾

• حقيقٌ بالمرتدِّ المتنكِّب عن طريق الحقِّ بعد سلوكه أن تحلَّ عليه لعنةُ الله، فيُطردَ من رحمته في الدنيا ويُقامَ عليه الحد، ويُطردَ من رحمته في الآخرة وينالَ أشدَّ العذاب.

• ما أشأمَ الكفرَ على صاحبه؛ له المعيشةُ الضَّنك في الدنيا، والعذابُ الدائم يوم القيامة!

• لا إنظارَ لسماع الاعتذار ممَّن استحقَّ الخلود في النار، فما أسوأَه من مصير! نسأل الله تعالى السلامة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩)﴾

وَأَصْلَحُوا۟: أي: ما أفسدوه.

• مهما كان ذنبُك فاطرق الباب، فليس دون مولاك حجاب، وأصلح الحال، بفضائل الأعمال، فإن الله توَّابٌ رحيم، وعفوٌّ كريم.

• من لطف الله تعالى بعباده أنَّ مَن تاب إليه تاب عليه، فضلًا منه ورحمة، ومغفرةً منه وحِلمًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ (٩٠)﴾

لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ: أي: عند حضور الموت.

الجزء الثالث — سورة آل عمران

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ
يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ
ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٦) أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ (٩٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ
ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٩١)

٦١

• إن كانت الهداية بعيدةً عمَّن بدَّل الكفر بالإيمان، أفتكون قريبةً ممَّن بدَّل وأوغل في الكفران؟! ألا إنها أبعدُ وأبعد.

• كلَّما أبعدَ المرء في استدبار الحقِّ والإقبال على الباطل، ازداد بُعدُه عن طريق التوبة والإنابة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٩١)﴾

• لو نطق الكافر بكلمة الإيمان بصدقٍ ويقين، وعمل في الدنيا من الصالحات، لأغنته يوم القيامة عن مِلء الأرض ذهبًا، فما أعجبَ مَن يزهد في الدنيا بكلمةٍ لها هذا الوزنُ الثقيل!

• مع الإيمان قد يقي من النار شِقُّ تمرة، ومع الكفر لا يقي من العذاب مِلءُ الأرض ذهبًا.

• كلُّ أسباب النجاة التي يعرفها العباد في الدنيا لن تغنيَ عنهم يوم القيامة؛ إذ لا فِديةَ يومئذٍ ولا توبة، ولا كفيلَ ولا شافع.

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ
ٱلتَّوْرَىٰةُۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ
إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

الجزء ٤ الحزب ٧

٦٢

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾

• أنفق ممَّا تحبُّ، ليس من المال فحسب، ولكن من كلِّ ما تحبُّ من جاهٍ وعلم ووقت، والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود.

• تخيَّر لله أنفسَ ما عندك، وأنفقه خالصًا له، فإنه سبحانه عالمٌ بمنزلته من نفسك، وعالمٌ بنيَّتك في إنفاقه.

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾

إِسْرَٰٓءِيلَ: هو نبيُّ الله يعقوبُ بنُ إسحاق عليهما السَّلام.

• القرآن قاضٍ على دعاوى الكتابيِّين، يصحِّح لهم، ويكشف كذبَهم، ويقيم الحُجَّة عليهم.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

• من أبيَن الظلم أن تقامَ الحُجَّة على أحدٍ من الكتاب الذي يؤمن به، ثم لا ينقاد لحُجَّته، وأعظمُ منه في الظلم مَن يفتري الكذبَ على شريعة ربِّه، أو يحرِّفها لتوافق هواه.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

• قل أيها المؤمنُ من أعماق قلبك: صدق الله، واصدَع بها في وجه كلِّ باطلٍ وشُبهة، فلا أصدق من قول الله.

• دليل صدق الإيمان: حُسن الاتِّباع، والاستقامةُ على منهج التوحيد، والالتزامُ بمقتضَياته.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾

بِبَكَّةَ: بمكَّة.

• لو كان أهل الكتاب المعاصرون لرسول الله ﷺ متَّبعين للحقِّ لتوجَّهوا عن بيت المقدس إلى البيت الحرام، ولكنَّ عِنادهم وحسدهم حالا دون ذلك.

• الأوَّليَّة في الخير لها شأنٌ؛ ولذا جاء التنويهُ بها في مواضع العبادة، كمسجد قُباء، والمسجد الحرام.

• وجوه البركة في المسجد الحرام وافرةٌ كثيرة؛ منها مضاعفة الحسنات، وغفرانُ الزلَّات، وما يُجبى لأهله من الأرزاق والثمرات.

• مَن رامَ هُدى العلم وهداية العمل، فليقصِد بيت الله الحرام، متعبِّدًا داعيًا، فقمِنٌ ألَّا يخيبَ له رجاء.

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

مَقَامُ إِبْرَٰهِيمَ: الحجرُ الذي كان يقف عليه حينَ كان يرفعُ القواعِدَ منَ البيت.

• المسجد الحرام مَنبَع الإيمان، وموطن الأمن والأمان، للبشر والنبات والحيَوان، فهنيئًا لمَن تعلَّق قلبه بذلك المكان.

• قُدِّم ذكرُ اسم الله عزَّ وجلَّ؛ تنبيهًا على تعظيم شرعه وحُرمة بيته، وتخويفًا من التقصير في حقِّه وأداء واجبه، فلنتبصَّر.

• لا حاجة لله في حجِّ أحدٍ من عبيده، ولكنَّه سبحانه كريمٌ؛ فمَن أقبل عليه أدناه، غنيٌّ؛ فمَن كفر به أعرَض عنه وأقصاه.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾

• كان الواجبَ عليهم وهم أهلُ الكتاب أن يؤمنوا به وبما يصدِّقه من القرآن، لا أن يُعرِضوا عنه ويكفروا به، وكذلك كلُّ مَن أوتيَ العلم فإن الإثم منه أقبح وأشنع.

• مَن يعرف أن الله يشهَد عملَه، وأنه ليس بغافلٍ عنه، وأنه قادرٌ على إيقاع العقوبة به، كيف يكفر به ويعمل على الإفساد والتضليل؟!

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

تَبْغُونَهَا عِوَجًا: تُريدُونَها مائِلةً مُعوَجَّةً؛ اتِّباعًا لأهوائِكُم؟

• حين يُصَدُّ الناسُ عن سبيل الله وهو الصِّراط المستقيم، ويُفتَنون عن منهج الله وهو الهديُ القويم، فلن يصحَّ في الأرض ميزان، ولن يستقيمَ سوى دين الله دين!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

• قد أغنى الله المؤمنين عن التلقِّي عن أهل الكتاب والتعويل عليهم، والتبعيَّة لهم، ففي نظُم الإسلام وشرائعه كفايةٌ للصادقين، وأيُّ كفاية!

• الصراط المستقيم يقتضي مخالفة أصحاب الجحيم؛ إذ ليس في طاعة الكافرين إلا الضَّلالُ المبين.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

• إذا كان وجود رسول الله ﷺ بين المؤمنين عاصمًا لهم من الكفر، فإن التمسُّك بسنَّته من بعده عِصمةٌ ونجاة إلى يوم الدين.

• مَن التجأ إلى الله في دفع شرور الكفَّار ومكايدهم، وفي درء شُبُهات الكفر وشهَواته، كُفِيَ وهُدِيَ إلى الصراط المستقيم.

• الهداية هبةٌ جليلة من الله، فمَن أرادها فليلجأ إلى الله، وليَلُذ دومًا بجِماه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

• تقوى الله حقُّ التقوى: أن يُطاعَ فلا يُعصى، ويُذكرَ فلا يُنسى، ويُشكرَ فلا يُكفر.

• على العبد أن يبقى في ارتقاءٍ دائم للمعالي، واجتهادٍ مستمرٍّ في تحقيق التقوى، حتى يأتيَه الموت، فإن العِبرةَ بالخواتيم.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

شَفَا: حافَة وطرَف.

• بالاجتماع والاعتصام بدين الله يُعان الناس على التقوى، ويصلح دينُهم ودنياهم، وبالافتراق يختلُّ نظامُهم، وتنقطع روابطُهم.

• تذكُّر نِعَم الله بالقلب واللسان يزيد العبدَ محبَّةً لله وشكرًا له ودأبًا في طاعته، ومن أعظم النِّعَم: الهدايةُ إلى الإسلام، واجتماعُ كلمة المسلمين.

• باتِّباع دين الله تتجمَّع القلوب المتفرِّقة، وبالتآخي في الله تتوحَّد الغايات وتجتمع عليها الكلمة، وتصغُر إلى جانبها الأحقاد التاريخيَّة، والثارات القبَليَّة، والأطماع الشخصيَّة.

• نعمة التعليم والإرشاد وإيضاح الحقائق نعمةٌ عظيمة، بها تكمُل عقول العباد، ويتبيَّنون مواضعَ رشدهم وصلاحهم.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

• حقُّ القائمين بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التأييدُ والعون والدعاء لهم بالتوفيق.

• حريٌّ بمَن اجتهد في تكميل نفسه أن يسعى إلى تكميل غيره؛ وبذلك يكون الناس أمَّةً واحدة؛ إيمانًا وصلاحًا.

• كن ممَّن يدعون إلى الخير في كلِّ مكان وزمان، ويسهمون بالكلمة الطيِّبة في كلِّ مشروع وميدان، ويشجِّعون غيرَهم على كل برٍّ وإحسان.

• عطفُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الدعوة إلى الخير مع اندراجهما فيه؛ يُظهر فضلهما وعلوَّهما في الخيرات.

• لا بدَّ أن نجتهدَ في إقامة مجتمعٍ يجد فيه فاعل الخير أنصارًا، وصانع الشرِّ مقاومةً وخِذلانًا.

• أحقُّ الناس بوصف الفلاح أولئك الذين بأعباء الحِسبة يقومون، وعلى أدائها يحافظون، وعلى ضرَّائها يصبرون.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

• يا له من تحذيرٍ من التأسِّي باليهود في تنازعهم، واختلاف قلوبهم، وتفرُّق كلمتهم!

• الآيات البيِّناتُ يتلقَّاها أصحاب القلوب الطاهرة فتعصِمُهم من الفُرقة، ويتلقَّاها أهل الأهواء فلا تزيدهم إلا تدابرًا ونزاعًا.

• إن رضوان الله لا يُنال بالفُرقة والاختلاف مهما زعم أهلُ الضلال أنهم في سبيل الله، أولى لهم أن يتجنَّبوا سخطَ الله وعذابَه إن كانوا صادقين.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

الجزء الرابع | سورة آل عمران

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ
ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾
وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

٦٣

• قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: تبيَضُّ وجوه أهل السنَّة والائتلاف، وتسوَدُّ وجوه أهل البِدَع والاختلاف.

• وجهُك الحسن في الآخرة مرآةٌ لنقاء قلبك في الدنيا، فجمِّلهما بالتقوى، وزيِّنهما للقاء الله.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

• مهما اجتهد المؤمن في عبادة الله، واستغرق عمرَه في طاعة مولاه، فإنه لن يدخلَ الجنَّة إلا برحمة الله، والأعمالُ الصالحة سببٌ لنيل تلك الرحمة.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

• ليس في آيات الله شائبةُ جَور، فحاشا لله أن يظلمَ عباده، إنما يرتِّب الجزاءَ على العمل؛ ليَحقَّ الحقُّ، ويجريَ العدل.

• إرادة الظلم منتفيةٌ في حقِّ الله تعالى، فأوامره ونواهيه وثوابه وعقابه، كلُّ ذلك مشتملٌ على الحكمة والرحمة، والعدل والفضل.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
١٠٩ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ
ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ١١٠ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ
يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ١١٢ ۞ لَيْسُواْ
سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٣ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْأٓخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤ وَمَا
يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ١١٥

الحزب ٧

٦٤

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ١٠٩﴾

• من علم أنه لن يُغنيَ مملوكٌ عن مملوك شيئًا، وأن الخلق كلَّهم لله يتصرَّف فيهم كيف يشاء، ويجازي كلًّا بما يستحقّ، استعدَّ لما أمامه، ولم يرضَ أن يكونَ ذيلًا لأحدٍ في الباطل.

• إذا كان جميع ما في السماوات والأرض لله، وجميع الأمور ترجع إلى الله، فاجعل أمرك كلَّه لله؛ فذلك سبيلُ نجاتك ونجاحك.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ١١٠﴾

• فلتُدرك الأمَّة المسلمة هذه الحقيقة الناصعة، لتعرفَ قيمتها، وتعلمَ أنها أُخرجت لتكونَ طليعةً للناس، تقودهم للخير، وتنأى بهم عن الشرِّ.

• لا بدَّ من الإيمان بالله وحدَه؛ ليوضعَ الميزان الصحيح للقيم، ويظهرَ التعريف الصريح للمعروف والمنكر.

• شرط خيريَّة الأمَّة أن تقومَ بهذا الواجب العظيم، فاجتهد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحذر أن تُؤتى الأمَّة من قِبَلك.

• حريٌّ بمَن تفضَّل الله عليه بنعمةٍ أن يرعاها، ويقومَ بواجب شُكرها، حتى لا يسلبَها منه، ويستبدلَ به غيرَه.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١﴾

• متى ما تحقَّقت الأمَّة بالخيريَّة فلن يستطيعَ أعداؤها اجتثاثها، ولن ينالوا منها إلا ألمًا يسيرًا يذهب مع الأيَّام، وتبقى الأمَّة شامخةً ظاهرةً على الدوام.

• ليس لليهود من غلبةٍ على أهل الإيمان، حين تلتقي الصفوفُ في الميدان، فأقصى ما يصلون به إليهم إنما هو الإضرارُ بالأذى.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ١١٢﴾

ثُقِفُوٓاْ: وُجِدوا.

بِحَبْلٍ: بعَهدٍ.

ٱلْمَسْكَنَةُ: فقرُ النَّفس وشُحُّها.

• لتحذر الأمَّة من الكفر بآيات الله، وترك الاحتكام إليها، والعصيان والعدوان؛ فإنها أسبابٌ لغضب الله، وطريقٌ إلى الهزيمة والهوان.

• الإقدام على المعاصي، والاستهانة بمجاوزة الحدود قد تكون بريدًا إلى الكفر، فلا تزال السيِّئة تستدعي أخواتِها حتى تُورِدَ صاحبَها المهالك.

• كم من معصيةٍ أحاطت بأمَّةٍ أو مجتمع أو فردٍ حتى ألقت بهم في مهاوي الرَّدى!

﴿۞ لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٣﴾

• العدل منهج شرعيٌّ في التعامل مع جميع الخلق، والعدل مع المخالفين أشقُّ وأَولى بمجاهدة النفس من العدل مع الموافقين.

• كما أن أهل الكتاب ليسوا سواءً، فكذلك علماء هذه الأمَّة؛ منهم من جعل العلمَ سبيلًا إلى الدنيا فكان كبَلْعام، ومنهم من أراد به وجهَ الله فكان كابن سَلام.

• الأمَّة القائمة بالقرآن في ليلها، تقوم بأمر الله في جميع شؤونها، والأمَّة الساجدة القانتة لله، تخضع لأمره في جميع حياتها.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾

• كلَّما كمَل إيمان العبد زاد حظُّه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• هذا دأبُ الصالحين؛ المسارعةُ إلى الخيرات رغبةً فيها، ومعرفةً بقدرها، دون تكاسُلٍ عن أدائها، أو تثاقُلٍ عن القيام بها.

• الإيمان والعمل والدعوة، هذه صفاتُ عباد الله الصالحين، وبقدرها تتفاوتُ مراتب الناس في الصلاح.

﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ١١٥﴾

فَلَن يُكْفَرُوهُ: فلن يَضيعَ عندَ الله.

• لن يَضيعَ ما تبذله في طاعة الله، ولن يغيبَ عن علمه ما تفعله طلبًا لرضاه، إنك تعامل الشَّكور العليم، فاستكثر ما استطعتَ أن تستكثر.

• ليست التقوى دَعاوى، ولا أمنيَّاتِ الكُسالى، بل إيمانٌ وإحسان، ومسارعةٌ في الخيرات، وأمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾

• إن الكافر حابطٌ عملُه، ومستوجبٌ للعذاب يوم القيامة، ولن تنفعَه أمواله التي كان يستدفعُ بها الشدائدَ والكروب، ولا أولادُه الذين كان يستنصر بهم عند النوائب والخطوب.

• أصحاب الدنيا ومُؤثِروها اليوم هم أصحابُ النار وصالوها غدًا، فاختر في دنياك ما تشاء صُحبتَه في أخراك.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

صِرٌّ: بَرْدٌ شَدِيد.

• ما لم يُحَط العملُ بسياج الإيمان اقتلعته ريحُ الكفر العاتية، وما لم يُسقَ بماء الإخلاص لم يُثمر إلا الحُطام.

• سنَّة الله جاريةٌ أن الظلم مُؤذِنٌ بهلاك الأمم، ماحقٌ للبركة للأفراد والدول، وهو يومَ الجزاء ظلماتٌ بعضُها فوق بعض.

• جعل الله نفسَك أمانةً عندك، فزكِّها بالإخلاص والطاعات، ولا تظلمها بالمعاصي والسيِّئات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا: لا يُقصِّرون في إفسادِ حالِكم.

وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ: أحَبُّوا مشقَّتَكم الشَّديدة.

• حذارِ أن تواليَ مَن يحادُّ الله ورسوله، أو تجعلَهم موضع سرِّك واستشارتك، فإنهم لن يزيدوك إلا هلاكًا وخَبالًا.

• لو علم المؤمن حرصَ الكفَّار على إفساده، ومحبَّتَهم إلحاقَ المشقَّة به، وأن ما يظهر له من فلَتات ألسنتهم ما هو إلا قطرةٌ من بحر الغِلِّ الذي في قلوبهم، لم يرضَ أن يتَّخذَهم أولياء.

• ما أضمر عبدٌ شيئًا في نفسه إلا وظهر في سقطات لسانه، وهفَوات بيانه، وقسَمات وجهه.

• قد تنقل لك العيونُ بعض أفعال عدوِّك أو أقواله، ولكن أنَّى لك معرفة نيَّته وخفايا قلبه، لولا أن أطلعكَ عليها اللطيفُ الخبير؟!

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

• إنما تجتمع القلوبُ إذا اتَّفقت على منهجٍ واحد، أمَّا مَن توافقه في الحقِّ الذي معه ويخالفك في الحقِّ الذي معك، وتُظهر له الودَّ ويُبطن لك البغضاء، فكيف تَصلُح معه محبَّة؟!

• لا يَغيظ قلوبَ أعداء المسلمين شيءٌ كأن يَروهم متحابِّين متعاونين متراحمين، كالجسد الواحد، ولن يبلغوا منهم شيئًا ما داموا كذلك.

• المسلم العاقل لا يغترُّ بحلاوة منطق عدوِّه، كيف وقد أنبأه العليمُ بمكنون الصدور بما يعتملُ في صدره من الحقد علينا والغضب منَّا؟!

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

• من الكفَّار مَن يُضمر للمؤمنين عداوةً خبيثة باطنة، فضلًا عن عداوتهم اللئيمة الظاهرة، فلا يفتؤون يتمنَّون زوالَ النعمة عنهم.

• ما أشدَّ بغضَ الكفَّار المحاربين للمؤمنين؛ إنه ليَسوءُهم أقلُّ ما يحصل لهم من خير، ولا يسرُّهم إلا تحقُّق إصابتهم بالشَّر!

• المؤمن حقًّا لا يتنازل عن عقيدته مهما كانت التكاليف، ويستعين على مواجهة قوَّة الأعداء ومكرهم بالعزيمة والصبر.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ
ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا
وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي
صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ
١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ
كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ١١٩ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ
سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ
شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١

٦٥

• إن الله ليحفظ عبدَه المتوكِّلَ عليه، المستعينَ به على بلائه، فلا يزال به حتى يظفَرَ بطَلِبَته ويغلبَ خصومه.

• طِيبوا نفسًا أيها المتَّقون؛ فإن أعداءكم لن يوقعَ (كيدُهم) مهما بلغ وعَظُم (شيئًا) من الضرر بكم مهما قلَّ وصغُر.

• اعلم أن الله تعالى محيطٌ بما تُخفيه الخلائق، فمَن أضمر شرًّا انتقم منه، ومن صبر واتَّقى أظفره بحاجته، فليطمئنَّ المؤمن، وليحذر عدوَّه.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

غَدَوْتَ: خَرجتَ من أوَّلِ النَّهار.

• من حُسن الإدارة والتدبير مشاركةُ القائد والمسؤول في تنظيم الفريق الذي يُديره، وترتيب مسؤوليَّاتهم، وتحديد أولويَّاتهم.

• يا له من موقفٍ رهيب يشهده الله تعالى؛ يسمع ما تقوله الأفواه والألسنة، ويعلم ما تهمِسُ به الضمائر والأفئدة!

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ
وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾
لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ
لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

٦٦

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

تَفْشَلَا: تجبُنا وتَضعُفا.

• ممَّا يعينُ على صرف القلب عن الخطَرات، والهمِّ بالسيِّئات، العلمُ بأن الله مطَّلعٌ على ما يجول بالقلب، وأنه يُثيب مَن انصرف عن الهمِّ بمعصيته رغبةً فيما عنده.

• لن يضيعَ ماضيك في الخير وسالفُ إحسانك، ستجد أثرَه في مستقبلك، وسينفعكَ في لحظات ضعفك، انظر كيف ثبَّتهم الله بما سلف من إيمانهم.

• لنجعل توكُّلنا على الله دومًا؛ فهو الواقي من الفتن، والعاصم من الضَّياع، وما الإنسانُ لولا ربُّه؛ لولا عنايتُه به وتوفيقه إيَّاه؟!

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

• أيها المسلمون، لاحظوا الحِكمَ الإلهيَّة في أفعال الله تعالى بعباده، واعرفوا سننَ الله في النصر والهزيمة، واعلموا مواطنَ الضعف والقوَّة، واستلهموا من التاريخ العِبَر.

• إنما الشكرُ لواهب النصر، الذي جعل التقوى سلاحكَ الأقوى، فأعانك لمَّا استعنت بقوَّته وكفاك، ووقاك كِفاءَ صدقك وتقواك.

• من أعظم ما يُرغِّب في التقوى ويُعين عليها تذكُّر ما أنعم الله به على أوليائه المتَّقين.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

• المدَدُ الذي لا تُعيقه المسافات، ولا تَحول دونه البحار ولا القُوى، هو مدَدُ الله وحدَه للمؤمنين.

• في كلِّ مواجهةٍ مع العدوِّ آمن بقدرة ربِّك، واستحضر هذا المعنى في نفسك، وستجد أثره يقينًا ونصرًا في قلبك وواقعك.

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا: من ساعَتِهم هذه.

مُسَوِّمِينَ: مُعلِّمين أنفسَهم وخُيولَهم بعَلاماتٍ واضِحات.

• بالتقوى والصبر نزلت الملائكةُ من السماء في بدر، فدفعت أهلَ الفجور والكفران، ومكَّنت لأهل الإيمان والإحسان.

• بقَدر التقوى والصبر يكون الفوز والظَّفر؛ صبرًا على أقدار الله، وامتثالًا لأوامره، واجتنابًا لنواهيه.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾

• رعاية الله تعالى للمؤمنين تتجاوز مجرَّد النصر إلى الإسعاد في الموقف الجلَل، ألم ترَ كيف أنزل الله الملائكة من السماء لتبشِّر هذه الثُّلَّة المباركة وتثبِّت قلوبهم؟!

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

يَكْبِتَهُمْ: يُخزيَهُم.

• النِّكاية في أعداء الله تعالى المحاربين للحقِّ وأهله من الغايات التي يريدها الشارعُ الكريم؛ إحقاقًا للحقِّ وإزهاقًا للباطل.

• لا بدَّ من كَبْت الرغَبات الفاجرة الكافرة؛ ليصلحَ أمر الدنيا ويستقيمَ أمر الدِّين.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

• لم يَكِل الله إلى أحدٍ من عباده مهما علا شأنُه شيئًا من أمر الثواب أو العذاب، فلا تعوِّل إلا على الله، ولا تتعلَّق إلا بحِماه.

• ليس لأحدٍ من الخلق أن يحكمَ على عواقب الناس ومآلاتهم في الآخرة، فإنَّ ذلك لله وحدَه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

• الخلق كلُّه ملكٌ لله تعالى، يغفر لمَن يشاء برحمته، ويعذِّب مَن يشاء بعدله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

• اجتناب الرِّبا من مقتضَيات الإيمان، والمؤمن الصادق في إيمانه يجتنبُ الرِّبا في كلِّ معاملاته.

• لا تزال تقوى الله تعالى تأخذُ بيد صاحبها إلى ما فيه صلاحُ حاله ونجاحُ أمره في الدنيا والآخرة، حتى يكونَ من المفلحين.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾

• توعَّد الله المسلم الآكلَ للرِّبا بالنار التي أعدَّها للكافرين، فأنَّى لمسلم أن يجرؤَ على أكل الرِّبا مع هذا التهديد والوعيد؟!

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞﴾

• الرحمة منالٌ عزيز لا يُنال إلا بطاعة الله ورسوله، وهيهاتَ أن ينالها مجتمعٌ قائمٌ على الرِّبا محاربٌ لله ورسوله.

• طاعة الله ورسوله أرجى أسباب رحمة الله، لكنَّها ليست موجبةً لها إلا بفضل الله سبحانه.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾

• أرأيت كيف قدَّم المغفرة على الجنَّة؟ فما أحوجَنا إلى عفو ربِّنا ومغفرته، كيف لا، ولن يدخلَ الجنَّة أحدٌ بعمله؟!

• تأمَّل في عِظَم هذه الجنَّة التي أعدَّها الله للمتَّقين، فكن منهم لتظفرَ بها، وتنالَ خيرَها.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾

• المؤمنون الصادقون هم الملتزمون بمَنهج الله في جميع أحوالهم، لا تُبطِرهم السرَّاء فتُلهيهم، ولا تُضجِرهم الضرَّاء فتُنسيهم.

• الإنفاق في سبيل الله من صفات المتَّقين الذين يرثون جنَّة النعيم، وهو من أرجى ما تُطلب به الجنَّة، ويُتوسَّل به إلى المغفرة.

• المؤمنُ الحقُّ هو مَن يحبس غيظَه مع قدرته على إنفاذه؛ ابتغاء رحمة الله، ثم يرتقي بنفسه فيعفو ويصفَح؛ طلبًا لعفو الله.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾

• ليس من شرط المتَّقين العصمة، بل قد تحصُل منهم الزلَّة، وقد تقع منهم العَثرة، غير أنهم يسارعون إلى الأوبة.

• إذا هممتَ بمعصيةٍ فتذكَّر حقَّ الله عليك، وتذكَّر وعيدَه وموقفك يوم العرض عليه، فإذا ذكرتَه دعاك التذكُّر للحياء منه والكفِّ عن معصيته.

• غافر الذنب هو الله، لا يستر قبحَ الذنوب ويقي مغبَّتها سواه، فلنسأله المغفرة والسَّتر.

• إنما هلك مَن هلك من العصاة باستمرارهم على المعصية وإصرارهم عليها، من غير خوفٍ من الله، ولا إحساسٍ بالذنب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾

• سبحانه من جوادٍ كريم، وغفَّارٍ رحيم، لا يمنع فضلَه عن عبده الذي عصاه متى رجعَ إليه بقلبٍ خاشع وتوبةٍ نصوح.

﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾

• ما أحسنَ أن نعتبرَ بتاريخ الغابرين، لمعرفة سُنن الله في عباده أجمعين؛ كيف يُهلِك العصاةَ المكذِّبين، ويجعل العاقبةَ للمتَّقين.

﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾

• عمَّ فضلُ الله بهذا البيان الناسَ أجمعين، واختصَّ بالاهتداء به عبادَه المتَّقين.

• الكلمة الهاديةُ لا يستقبلها إلا القلبُ المهيَّأ للهُدى، والعِظة البالغة لا ينتفع بها إلا القلبُ التقيُّ الذي يخفِق لها ويتحرَّك بها.

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾

• العلوُّ معنًى لا يناله إلا المؤمنون الصادقون، سواء قُدِّر لهم بالغلَبة والتمكين، أو ادُّخِر لهم في جنان الخُلد والتكريم.

• على المؤمن في كلِّ أحواله - ولا سيَّما عند الابتلاء - أن يطردَ الحزنَ عن قلبه، والوهنَ عن بدنه، فإنهما ممَّا يزيد المصيبة فيه، ويعين عدوَّه عليه، وليرضَ بقدَر الله؛ فإنه شفاءٌ لبَلواه.

• أمر الله الصَّحابة بترك الحزَن ونبذ الوهَن، وقد أُخرجوا من ديارهم وأموالهم وقُتل منهم مَن قُتل، فما شأنُ مَن هم أقلُّ منهم ابتلاءً؟!

الجزء الرابع — سورة آل عمران

الحزب ٧

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ
فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ
لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا
فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن
رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ
أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ
١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨
وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ
١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠

٦٧

﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾

قَرۡحٞ: قتلٌ وجرح.

نُدَاوِلُهَا: نُصرِّفُها.

• إذا كان أهلُ الباطل ثابتين على مواقفهم مع شدَّة ما يصيبُهم، أفيَضعُف أهلُ الحقِّ عند المِحَن وهم الموعودون بالنصر والتمكين؟!

• إن الشدَّة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدَّة، لكفيلان بالكشف عن معادن النفوس، وخفايا القلوب.

• قد يبلُغ المرء بابتلاء الله تعالى وامتحانه له من منازل الكرامة يوم القيامة ما لم يكن ليبلُغها بمجرَّد عمله.

• ليست الشهادة في سبيل الله رَزيَّةً وخسارة، بل هي اصطفاءٌ وتكريم، وهكذا الأقضية الربَّانية تكمُن وراءها الألطافُ الإلهيَّة.

• لا يحبُّ الله الظالمين، وإن قدَّر لهم الغَلَبة في بعض الأحايين، كما أنه لا يكره عبادَه المؤمنين، وإن لم ينصُرهم في كلِّ حين.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن
قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ
ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا
وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟
وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن
قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ
ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

٦٨

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤١﴾

• لا تيأس من تسلُّط أعداء الله على أوليائه، فإن كلَّ نائبة تصيب المؤمنين يُخلَّصون بها من الذنوب، وتقرِّب أعداءهم من أسباب هلاكهم.

• ممَّا يقوِّي الإيمان بقدَر الله معرفةُ الغاية من ابتلاءاته.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾

• يا لها من تسليةٍ للمؤمنين إلى يوم الدين، تُطيِّب خواطرهم في كلِّ موقف يألَمون فيه!

• المطالب العالية لا بدَّ لتحصيلها من صبرٍ ونصَب، ومَن عرَف قدرَ مطلوبه سهُل عليه بذلُ مجهوده.

• التكاليف الجِسام لا تقتصر على الجهاد ، فثمَّة ميادينُ دعويَّة كثيرةٌ تحتاج إلى الصبر والبذل.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾

• العاقل اللبيب لا يطلب أمرًا حتى يُفكِّرَ في عواقبه، ويَسبُرَ مقدار تحمُّله لمصائبه، فإنَّ تمنِّيَ الخير شيء، ومكابدة مشقَّته شيءٌ آخر، وعند الشدائد تتميَّز الأشواق الصادقة من الأمانيِّ الكاذبة.

• لمَّا كان طريق الجنَّة محفوفًا بالمكاره، كان الصبر على مَشاقِّ الطريق زادًا لا بدَّ منه.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾

• الدعوة إلى الحقِّ لا تنتهي بموت الأنبياء والمرسَلين، والدعاة المصلحين، فهي خالدةٌ وإن لم يكونوا خالدين، بل تَسري العزيمةُ في أتباعهم فتمدُّهم بما فيه فلاحُهم، ما داموا بها متمسِّكين.

• إن مات معلِّمك، أو فقدتَ إمامك، أو فارقتَ حبيبك، ففي الله تعالى عِوضٌ من كلِّ فائت، وفي لقائه سَلوةٌ عن كلِّ مفقود.

• كن شاكرًا لنعمة الله عليك، بمعرفة قيمة ما أسداه إليك، وداوِم على شكره حتى تلقاه راضيًا عنك.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾

• مَن قدَّر الله موتَه فسيموت ولو بغير سببٍ ظاهر، ومن أراد بقاءه فسيعيش ولو أتى للموت كلُّ سبب.

• الخوف والحِرص والجُبن لا تطيل أجلًا، والشجاعة والثبات والإقدام لا تقصِّر عمرًا.

• على قَدر همَّتك تنال من مطلوبك، فاتَّجر مع ربِّك، ولا تُلهِك عنه تجارةٌ لا تعود منها مهما اجتهدتَ إلا ببعض جناح بعوضة.

• حسبُ الشاكرين أن جزاءهم عند الله الكريم، وأعظِم به من جزاء، وليعلم العبدُ أن الجزاء على قدر الشُّكر، فطُوبى للشاكرين.

• اشكر أيها المسلم نعمَ الدنيا، واطلُب ثوابَ الآخرة، تَنَل أوفرَ الحظِّ في الدنيا والآخرة.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾

• من فوائد ذكر مآثر الصالحين: تحريكُ الهِمَم واستنهاضُ العزائم، وإيقاظُ الغَيرة المحمودة في السِّباق إلى الخيرات.

• حبُّ الله للصابرين حبٌّ يأسو الجُرح، ويمسح القَرح، ويعوِّض عن الضُّرِّ.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾

• إنما النصر بالطاعة، أمَّا التقصيرُ في الحقوق، والتجاوز للحدود، فذنبان يمكِّنان العدوَّ.

• الأدب مع الله صفة الربَّانيِّين من العباد؛ فهم ينسُبون إلى الله كلَّ خير ونِعَم، ويحمِّلون ذنوبهم جريرةَ ما يصيبُهم من نِقَم.

• لنسأل اللهَ الظفرَ والنصر، فإنه وحدَه مَن يثبِّت عباده الموحِّدين، وما لنا سوى الأخذِ بالأسباب ثم صدق الدعاء والالتجاء.

• الرعب والفزعُ من نتائج الذَّنب والعصيان، والثبات ورباطةُ الجأش من ثمرات الطاعة والإحسان.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤٨﴾

• بذلوا أنفسَهم لله سبحانه، فأعطاهم كلَّ ما يتمنَّاه طلَّاب الدنيا ويأمُلونه، وآتاهم كلَّ ما يرجوه طلَّاب الآخرة ويسألونه.

• خصَّ الله ثوابَ الآخرة بوصف الحُسن؛ لجلالة قدره ودوام أثره، ولم يصِف بذلك ثوابَ الدنيا؛ لحقارة شأنه وزوال بهجته.

• يا مَن ترغب أن يُنعِمَ الله عليك بوصف الإحسان؛ اعترف بين يديه بالتقصير والإساءة، وأظهر له الذلَّ والفاقة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ ﴾

• لا يُعرف في التاريخ أن أمَّةً مسلمة أطاعت أعداءها وسارت في ركابهم ثم أفلحَت في أمر دينها أو دنياها.

• مَن دخل في طاعة الكافرين، فقد خرج من طاعة ربِّ العالمين؛ ضِدَّان لا يجتمعان في قلب مؤمنٍ صادق الإيمان.

• حذارِ أن تطيعَ الكافرين؛ فتخسرَ دنياك بانقيادك لعدوِّك، وتخسرَ أُخراك بما ينتظرك من العذاب الأليم. ويا لها من خسارة!

﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠ ﴾

• لنتَّجه إلى الملك العزيز وحدَه، فمَن كان الله مولاه فما حاجتُه إلى ولاية أحدٍ من خَلقه؟! ومَن كان الله ناصرَه فما حاجتُه إلى نصرة أحدٍ من عبيده؟!

﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١ ﴾

• هيهات أن يكونَ الأمن والأمان، والهُدى والاطمئنان، إلا في جوار الله وكنَفه، أمَّا الخوفُ والرعب والشقاء والضَّلال، فإنها كائنةٌ بمقدار البعد عنه سبحانه.

• الحُجَّة سلطان، مَن ملكها كان له من قوَّة السلطان بحسَب قوَّة حُجَّته.

• إنما يأوي الخائفُ إلى حيثُ يأمَن ويستريح، لكنَّ مأوى المشركين الخائفين يومَ الفزع الأكبر إنما هو إلى حيثُ العذابُ الأليم.

﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢ ﴾

تَحُسُّونَهُم: تقتلونهم.

فَشِلۡتُمۡ: جَبُنتم، وضَعُفتم عن القتال.

• سُنَّة الله في خَلقه لا تتخلَّف؛ مَن صدَق الله في عمله، صدَقه الله في وعده، إنه سبحانه لا يُخلف الميعاد.

• الاجتهادات المتعلِّقة بقضايا الأمَّة الكبرى لا ينبغي أن تصدرَ إلا عن أمر وليِّ الأمر، ورحم الله مَن عرَف حدَّه فوقف عنده.

• إيَّاك والبحثَ عن المكاسب الدنيويَّة من وراء عملك أو دعوتك، ولا تزاحم بإرادتها إرادةَ الآخرة، فإن الآخرة غنيمةٌ دونها كلُّ الغنائم.

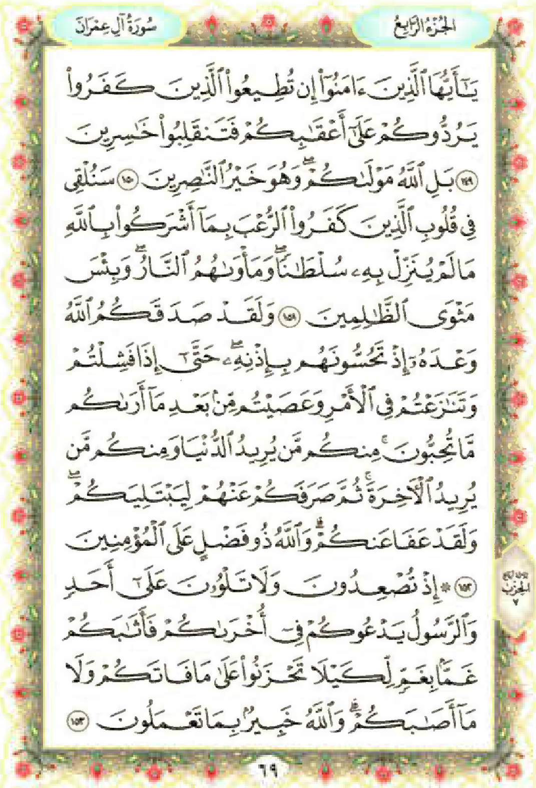
• كفاح العقيدة هو كفاحٌ لله وفي سبيل الله، لا ينصر الله فيه إلا مَن أخلص له، وابتغى وجهَه دونما سواه.

• الاختلافُ في الإرادات يؤدِّي إلى الفشل والتفرُّق، والضعف والهزيمة، ولن يمكِّن الله لهذه الأمَّة حتى تجتمعَ كلمتُها على طاعته وطلب رضاه.

• الابتلاء لطفٌ من الله بعبده؛ يمرِّنه به على التجلُّد والصبر، ويزيده من الثقة واليقين، ويختبر به حقائقَ نفسه، ويمحِّصه من الذنوب والآثام.

• إذا ابتُلي المؤمن ببلاء فإنه يحمَد ربَّه أنه لم يكن أشدَّ، ألا ترى أن عفوَه عن المؤمنين في أُحدٍ نجَّاهم من استئصال عدوِّهم لهم؟

• عصَوا أمرَ رسول الله ﷺ، وتسبَّبوا في كسر رَباعيَته، وانكسار جيشه، ومقتل عمِّه وخيار صَحبه، ومع ذلك كلِّه فتح الله لهم بابَ العفو والفضل، فلا تيئسوا أيها المؤمنون من رَوح الله.


الجزء الرابع — سورة آل عمران

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣

الحزب ٧

٦٩

﴿ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣ ﴾

تُصۡعِدُونَ: تصعَدون في الجبل هاربين.

وَلَا تَلۡوُۥنَ: ولا تلتفتون.

فَأَثَٰبَكُمۡ: فجازاكم.

• وقع الفِرار من خير جيلٍ مع أن الداعيَ رسول الله ﷺ، لكن لا يجوز أن يُقتدى بأحدٍ في معصية، ولا التهوين منها بوقوع بعض الأفاضل فيها، فإن السيف قد ينبو، والجواد قد يكبو.

• عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر فكان خيرًا له.

• يقين المؤمن بأن الله تعالى خبيرٌ بعمله يدفعه إلى تحرِّي الخير والرشاد في كلِّ صغيرة وكبيرة.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً
مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ
قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ
يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ
مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا
وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

٧٠

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

أَمَنَةً: أمنًا بلا خوفٍ.

مَضَاجِعِهِمْ: مَصارعهم، ومَواضع قتلهم.

• من لطف الله بعباده أن يُنزلَ عليهم الأمنَ في الأزمات، وأيُّ نعمةٍ أعظمُ في حالات الجزَع من الأمن؟ به تَسكُن الأفئدة، وتطمئنُّ القلوب، ويستقيم التفكير.

• لا تطلب أمنَ نفسك في دنياك، بتضييع دينك والتفريط بأُخراك، كحال المنافقين المخذولين، فإنه لا أمنَ إلا للمؤمنين، ولا نجاةَ إلا للمتَّقين.

• مَن ظنَّ بأن الله لا ينصُر رسوله، ولا يؤيِّده وحزبَه، فقد ظنَّ بالله ظنَّ السوء، ونسبَه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله، وذلك من علامات النفاق وخِصال المنافقين.

• كم تنطوي نفوسٌ على سوء ظنٍّ بالله، ويخطِر لها أن لو كانت المقاديرُ بأيديها، والشرائع من صُنع عقولها، ولكنَّ الأمر بفضل الله أحكمُ وأهدى.

• أمر هذا الدِّين كلُّه لله وحدَه، وما على العبد إلا أن يؤدِّيَ واجباته، ويفيَ بعهوده، ويسلِّمَ الأمر بعد ذلك للحكيم العليم.

• كلَّما أُصبتَ بمصيبةٍ فجعلَت نفسُك تلومك وتقول: لو فعلتَ كذا لما كان ذا.. فقل لها: لو كنتِ في دارك لبرزتِ إلى مصائبك، فلا مفرَّ من القدَر.

• ليس كالمِحنة محَكٌّ يكشف ما تخفيه النفوس، فينفي عنها الزَّيفَ والرِّياء، ويُبرزها على حقيقتها بلا طِلاء.

• دَع عنك الرهبةَ ممَّا يُضمره المنافقون، وما يتربَّص به الأعداء الحاقدون، فإن الله به عليم، فتوكَّل على الجليل العظيم، فهو حسبُك ونعم الوكيل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

• إذا حِيلَ بين المسلم وفعل الخير مع قُدرته عليه، فليُراجع ما سلَف من أفعاله، فربَّما أُتيَ من ذنبٍ اقترفه، أو هوًى اتَّبعه، فما أحراه أن يُبادرَ بالأوبة، وصدق الندم والتوبة!

• اقتضَت رحمة الله أن يؤاخذَ عبده المذنبَ في الدنيا ببعض ذنوبه، ولو آخذه بجميع معاصيه لهلك، فلله الحمدُ على رحمته وحِلمه.

• في تكرير العفو إطماعٌ للمذنبين فيه، ومنعٌ لهم عن اليأس من رَوح الله، وتحسينٌ لظنِّهم بربِّهم على أتمِّ وجه، وقطعٌ للطريق على مَن يطعُن في الصحابة أو ينتقصهم.

• سبحانه من غفورٍ حليم؛ لا يطرد العصاة ولا يعجِّل عليهم بالعقوبة، متى علم من نفوسهم التطلُّعَ إليه، والإقبالَ عليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

غُزًّى: غُزاةً مجاهِدين.

• باعِد بينك وبين الكفَّار؛ لا تردِّد قبيحَ أقوالهم، وابرأ إلى الله من شنيع أفعالهم، واحذر التشبُّهَ بهم؛ لئلَّا تكونَ منهم.

• شأن المؤمن الأخذُ بالأسباب دون التعلُّق بها، فهو يعلم أنها بيد الله؛ إن شاء أجرى قدَره بها أو بغيرها، فيعلِّق قلبه أبدًا بمسبِّب الأسباب.

• التحسُّر على ما قضاه الله وقدَّره خَصلةٌ موروثة عن المنافقين، الذين لم يؤمنوا بالخبير الحكيم، فما أبعدَ البونَ بينهم وبين المؤمنين، الراضين بقضاء الله وبه مسلِّمين.

• هنيئًا لمَن أيقن بأن أسبابَ الحياة والموت بيد الله وحدَه، وأنه لا فِرارَ من قدره؛ فلم يخالف عن أمره.

• فلنُراقب أعمالنا، ولنُخالف بها عن أعمال الكافرين، فإن الله بصيرٌ بما يفعله عبادُه من خير أو شرٍّ، وسيُجازي كلًّا بما عمل.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

• فلتجعَل حياتك أيها المؤمنُ في سبيل الله، لتنالَ بذلك مغفرتَه ورحمته؛ وإن موتك في عمل برٍّ أو مشروع خير، لهو كذلك خيرٌ ممَّا يجمعون.

• فوز المؤمن بمغفرة الله ورحمته خيرٌ من الدنيا وما يجمعه أهلها فيها، فلا تُؤثِر الفانيَ على الباقي.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ
لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ
مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ
أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

٧١

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨﴾

• ما من أحدٍ إلا وسيموت، سواءٌ على فراشه أو في ساحات القتال، لكنَّ مصيره إلى الله وحدَه، فمن سعيدٍ بما قدَّم، ومن قارعٍ سنَّ النَّدم.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾

• قيل هذا للنبيِّ ﷺ وهو المؤيَّد بالوحي، والمشهود له بالخُلق العظيم، والمبعوث إلى خير هذه الأمَّة، فما بالُك بغيره؟!

• رفقًا أيها الداعيةُ بالخَلق؛ فإن تبليغ الحقِّ لا يسوِّغ الفَظاظة، ولستَ بأحرصَ على البلاغ من رسول الله، وقد كان في دعوته لطيفًا رحيمًا.

• حُسن خُلُق الداعية يجذِبُ الناسَ إلى دين الله، مع ما له من المدح، وسوء خُلُقه ينفِّر الناسَ عن الدِّين، مع ما له من الذمِّ.

• أمر الباري نبيَّه ﷺ أن يعفوَ عمَّن أخطأ بحقِّه، وأن يستغفرَ اللهَ لمن أخطأ في حقِّ ربِّه حتى يعفوَ الله عنه، وفي هذا مراعاةُ حقِّ الله وحقِّ الخلق.

• إذا كان الله يأمر رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه، وهو أكملُ الناس عقلًا، وأغزرهم علمًا، وأفضلهم رأيًا، فمَن دونَه بذلك أولى.

• عدوُّ النجاح أمران: سوء الرأي والتدبير، والحيرة والتردُّد، أمَّا سوء الرأي فتقوِّمه الشُّورى، وأمَّا التردُّد فيدفعه العزيمةُ وصدق التوكُّل.

• مَن جعل توكُّله على الله تعالى أحبَّه وسدَّده وأعانه، ومَن توكَّل على غيره خذله ولم يظفَر منه بطائل.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٦٠﴾

• النصر والخِذلان بيد الله، فمنه يُلتمَس النصر، وبه يُستعاذ من الخِذلان، وإليه يكون التوجُّه، وعليه يكون التوكُّل.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦١﴾

• أصحاب الرسالات أعظمُ الناس وفاءً بالأمانات، وقيامًا بالحقوق، فمَن اتَّهمهم في أمانتهم فقد طعنَ في ديانتهم.

• قد ترى يوم القيامة رجلًا يحمل بعيرًا كان يركبه، وآخر يحمل عَقارًا كان يسكنه، وثالثًا يُقِلُّ أرضًا كانت تُقلُّه. فلينجُ بنفسه مَن أراد لها النجاة.

• ليس الغالُّ وحدَه من سيُوفَّى جزاءه، بل ستُوفَّى كلُّ نفس ما كسَبَت، إنها العدالةُ التي تشمَل جميعَ الخلائق.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٦٢﴾

• الصادق حقًّا في طلب رضوان الله تعالى يبذل في طلبه ما يستطيع من الاتِّباع، ولا يتَّكل على الأمانيِّ والأحلام.

• لا يستوي في حُكم الله وحِكمته، وفِطَر خَلقه وعباده، مَن كان دأبُه طلبُ ما يرضي ربَّه، ومَن كان مُكبًّا على مخالفته وعصيان أمره.

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٦٣﴾

• أهل الرضوان في درجاتٍ متفاوتة صاعدة، وأهل السَّخَط في درَكات متفاوتة هابطة.

• لن يظلمَك الله في الدرجات؛ فهو بصيرٌ بعملك، خبيرٌ بإحسانك وقصدك.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١٦٤﴾

• بعثةُ الرسول إحسانٌ إلى العالمين، ومنَّةٌ خاصَّة للمؤمنين؛ إذ أخرجهم الله بها من الظُّلمات إلى النور، وهداهم إلى الصِّراط المبين.

• من حكمة الله في إرسال الرسول إلى الناس من جنسهم، أن يرحمَهم ويعطفَ عليهم؛ فيألفونه ويحبُّونه، ويهتدون بهديه.

• تلاوة آيات الله على عباد الله من وظائف الرسُل التي امتنَّ الله بهم على عباده، ولا ينبغي للداعية أن يجرِّدَ دعوته ومواعظه منها.

• أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه لا تخرُج عن قصد التزكية، فمَن شاء امتثل فتزكَّى، ومَن شاء عصى فغوى.

• لا حياةَ للناس ولا طُمأنينةَ دون نبيٍّ يعلِّقهم بربِّهم، ويخرجهم من ضلالهم، ويهديهم للحقِّ.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٦٥﴾

• لو تبصَّرتَ عظيمَ ما سلف من نِعَم الله عليك، وأفضاله إليك، لهان ما تُلاقيه من البلاء.

• جهاد النفس كجهاد الأعداء؛ مَن أهمل ثغورَها، وفرَّط في تهذيبها، وقصَّر في تقويمها، أصابته في مقتَل.

وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٦٨ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم
مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧٠ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ
بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٧١ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣

الحزب ٨

٧٢

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٦٦﴾

• المؤمن يجمع بين محاسبته نفسَه في تقصيرها، وإيمانه بأنَّ ما يجري إنما هو بإذن الله وتقديره، فينجو من جَلد ذاته، ومن استمراء تفريطه.

• كُلُّ ما يصيبك من مِحَنٍ وملمَّات قدَرٌ مكتوب لحكمة يعلمها الله، فسلِّم لأمره تفُز بالرضا وثواب الاحتساب.

• إذا رزقك الله صبرًا على المصيبة فاحمَده، فإنها شهادةٌ لك منه على حُسن إيمانك.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ١٦٧﴾

• بَوحُ المنافقين كان نعمةً من الله على المؤمنين، لقد سمعوه وسمعوا جوابَ الله عنه، وعرَفوا كيف يحرم النفاقُ صاحبه سعادةَ الدنيا والآخرة.

• حين تضعفُ في القلب دواعي الصِّدق والإيمان، تقوى أساليبُ الاعتذار والتقاعُس عن القيام بمقتضَياتهما في المَيدان.

• القلوب بين إصبعَين من أصابع الرحمن يقلِّبها كيف يشاء، فترى الرجل في حالٍ أقربَ إلى الكفر، وفي حالٍ أقربَ إلى الإيمان، فاسأل الله الهداية والثبات.

• كلَّما تباعدَت المسافة بين قول العبد وفعله في واقع الحياة، دنا من النفاق واقترب من فُسطاط المنافقين.

• إن كان الناسُ لا يعلمون من الألفاظ إلا حقائقها الظاهرة، فإن الله تعالى عالمٌ بنيَّات أصحابها، وما تُخفيه الصدور.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾

• ما كان المنافق ليمسحَ لك جرحًا، ولا ليواسيَك في مصيبة، بل لا همَّ له إلا التَّبكيتُ والتقريع واللوم.

• ليحذَر المؤمن من الاعتراض على أقدار الله، والتحسُّر على ما فاتَ في غير طاعة الله، فإنَّ (لو) تفتح عملَ الشيطان.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩﴾

• ذلك القتلُ في سبيل الله الذي يفرُّ منه المنافقون، هو من أجلِّ المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون، لكنَّهم لا يعقلون ولا يعلمون.

• عزَّى الله نبيَّه ﷺ وأولياءه عمَّن قُتل منهم في سبيله أحسنَ تعزيةٍ وألطفَها، وأدعاها إلى الرضا بما قضاه لهم.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧٠﴾

• يذرِفُ أهلُ الشهداء الدموعَ محزونين، والشهداء جَذِلون مستبشرون، ينادونهم أن هلمَّ إلى حيثُ لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون.

• كيف يحزن مَن يتقلَّب في نِعَم الله وفضله، وكيف يخاف من شُكِرَت أعماله ولم تضيَّع؟!

﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٧١﴾

• تحفُّ البُشرى الشهداءَ من بين أيديهم ومن خلفهم؛ فأعمالهم مقبولة، وثوابهم موفور، ولا يعتريهم همٌّ ولا خوفٌ ولا حزَن.

• لن يُضيعَ الله أجرَ العاملين، من الشُّهداء وسائر المؤمنين، وسيجزي كلَّ إنسان على إحسانه بالإحسان، فاللَّهُمَّ اجعلنا أهلًا للإكرام.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾

ٱلْقَرْحُ: الجراحُ والألَم.

• ما أعظمَ كرمَه سبحانه! عفا عنهم وواساهم في مُصابهم، ثم أثنى عليهم وأعظم أجورَهم.

• المصيبة لا تمنع المؤمنَ الحقَّ من إجابة أمر الله وامتثال شرعه، والوقوف عند حدوده.

• أولئك القومُ الذين أُصيبوا بانكسارٍ وجرح، هاهم أولاء يستجيبون لربِّهم استجابةً سريعة لم تخالطها كراهيةٌ أو يعتريها تردُّد، فما بالنا نتكاسلُ عن الإجابة ولم يُصِبنا مثلُ الذي أصابهم؟!

• من أسباب الانتظام في سِلك المتَّقين المحسنين سرعةُ الامتثال للتكليف، ومن هنا قدَّم تعالى ذكرَ استجابتهم على وصفهم بالتقوى والإحسان.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾

• القلوب المؤمنة لا تَثنيها الأراجيف، عن القيام بالتكاليف، فإذا جاءها أمرٌ من الله عزَمَت وتوكَّلت، وطرحت المخاوفَ والأوهام.

• الإيمان بالله تعالى، وصدق التوكُّل عليه، يُزيلان من القلب كلَّ أراجيف المُرجفين، ويملأانه بالطُّمأنينة واليقين.

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾

• تأمَّل تطمينَ الله عبادَه المؤمنين مع أنهم المغلوبون، وتخويفَه أعداءهم من المشركين مع أنهم الغالبون؛ لترى لطفَه بأوليائه، وانتقامَه من أعدائه، وبيانَ أن كلَّ شيءٍ بقدَره وقضائه.

• مَن جاهد نفسَه عند البلاء، وتوكَّل على الله وحدَه، وعزم على اتِّباع مرضاته، كفاه الله شرَّ ما يحذَر، وأثابه أجرًا عظيمًا.

• قد يكتب الله للمؤمنين المجاهدين أجرَ القتال وإن لم يقاتلوا؛ إن صدَق منهم العزم، وصلَحت النيَّة، وكمَل التوكُّل.

• جديرٌ بمَن تخلَّف عن امتثال أمرِ الله وفاته فضلُه، أن يتحسَّر على ما فرَّط فيه، وأن يَعَضَّ عليه أصابعَ الندم.

• من الحرب النفسيَّة التي يخوضها الشيطان مع أهل الإيمان: أنه يخوِّفهم من أعدائهم؛ حتى يزرعَ في قلوبهم الرعبَ؛ فيُقعدَهم عن مجاهدة عدوِّهم، والإنكارِ عليه.

• على قدر إيمان العبد يكون خوفُه من الله، ومَن قدَّم خوفَ الله على خوف ما سواه أمَّنه الله وكفاه.

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾

• مَن استجابَ لله فإنما نفسَه نفَع، ومن كفرَ فإنما نفسَه بخَع، فلا تحزن على من اختار سبيلَ الشيطان، وسارعَ في الكفر والعصيان.

• إذا رأيتَ الله تعالى يتابع نعمَه على عبدٍ من عباده وهو مسارعٌ إلى معاصيه، فاعلم أنه قد هانَ عليه أمرُه؛ فإن الإعطاء والإمهال، لا يَعنيان الرضا والإهمال.

• لمَّا كان إسراعُهم إلى الكفر عظيمًا، ظانِّين عظمةَ ما أسرعوا إليه؛ تلقَّاهم في النهاية عذابٌ عظيم؛ جزاءَ ما اجترحوا من ذنبٍ عظيم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧﴾

• الرغبة عن الإيمان والإحسان؛ حبًّا للكفر وإيثارًا للعصيان، صفقةٌ خاسرة، وتجارةٌ بائرة، لا ربحَ فيها إلا العذابُ الأليم.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨﴾

• الموت خيرٌ للمرء من أن يصرف عمرَه في الغفلة عن الله تعالى، فشرُّ الناس مَن طال عمرُه وساء عملُه.

• حين يرى المظلوم مدَّ يد الإمهال لمَن ظلمَه، ثم يقرأ القرآن متدبِّرًا، يجد في كلام الله سَلوةً عن أحزانه، وأنسًا في أشجانه.

• أهل الخطايا المنعَّمون بطيِّبات الدنيا يرتقون بها إلى آفاق الكِبْر والغرور على الخلق، فكان جزاؤهم الأُخرويَّ الإهانةَ والذل؛ فعُلوُّ الدنيا بالمعصية جزاؤه الهوانُ في الآخرة.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾

• أيام الصفاء قد تخلِط بين المؤمنين والمنافقين، ولكن عند هُبوب رياح البلاء تتمايز الصفوف، ويُعرَف صادقُ الإيمان من مدَّعيه.

• لا يطَّلع على ما في القلوب إلا علَّامُ الغيوب، ومَن تكلَّف الحُكمَ على الضمائر فقد ادَّعى شُعبةً من علم الغيب، زادَ ما زاد.

• أودعَ الله تعالى في الأحداث من الحِكَم والعِبَر ما لا يعلمه إلا مَن استضاء بأنوار الوحي واهتدى بهُداه، فمَن قلَّ نورُه من مِشكاة السماء، لم يرَ العِبَر في ظلمات البلاء.

• تقوى الله والإيمانُ به سُلَّم الأجر العظيم، فمَن زاد رصيدُه من الإيمان والتقوى زاد نصيبُه من الأجر العظيم.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠﴾

• إذا رأيتَ الرجل يقبض كفَّه عن السخاء، ويمسك يدَه عن بذل ما افترضه الله عليه من العطاء، فاعلم أن ذلك من الخِذلان والحرمان.

• ليس بالمال وحدَه يكون العطاء، بل هو متنوِّعٌ بتنوُّع المنافع التي يهَبُها الله للعبد.

• طوَّق البخيلُ مالَه ببخله فلم يصِل إلى أيدي مستحقِّيه، فطُوِّق بذلك المال يومَ القيامة، فيا ويلَ مُطوِّقٍ للحقِّ من تطويقه به يوم الحساب!

• كيف يبخل العبدُ بما استخلفه الله فيه، وكلَّفه إنفاقَه في مَراضيه، وهو يعلم أنه راجعٌ إليه، وأنه سيرثُه عنه، وهو خير الوارثين؟!

• يقينك بأن الخبير مطَّلعٌ على عملك، ومجازيك على إحسانك وإساءتك، يدفعك إلى البذل في مَرضاته؛ طمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه.

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ
عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو
بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ
ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ
فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ
أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

الحزب ٨

٧٤

﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

• ليس أحدٌ أصبرَ على أذًى سمعه من الله؛ إنه لقادرٌ على أن يبادرَهم بعقابه، غير أنه يُمهلهم فيرزقهم دون أن يناجزهم بعذابه؛ عساهم يرجعون إلى بابه، فيسلَموا من أليم حسابه.

• هذه صفحةٌ من تاريخ اليهود المظلم، وها هم أولاءِ أبناؤهم على دربهم سائرون؛ محاربةً لله تعالى، وعَداءً لأوليائه.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾

• هي إشارةٌ إلى منع عقاب الشخص بذنب غيره، فمَن كان متّقيًا ربّه لم يأخذ الناسَ بغير جناياتهم، ولم يؤاخذهم بغير ما كسَبت أيديهم.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

بِقُرْبَانٍ: بصَدَقةٍ يُتقرَّبُ بها إلى الله.

• مَن أعرض عن الحقّ واتّبع هواه وأُقيمت عليه الحُجَج، فليس أهلًا لأن تمهَّدَ له الأعذار ويجابَ إلى ما أراد؛ فإن ذلك لن يزيدَه إلا تماديًا ومَطلًا، وجدالًا وعِنادًا.

• إفحام المعاند بما يدّعيه، وإقامةُ الحُجّة عليه من فِيه، أسلوبٌ جدليٌّ ناجح؛ لأن مَن خُوصِم بما يقول لم تبقَ له حُجّة ولا عذر.

• تسويغ الجريمة والدفاعُ عن أهلها اشتراكٌ فيها، وإن وقعَت قبل مئات السنين؛ ألا ترى كيف نُسِب القتلُ إلى الأحفاد مع أنّ القتلةَ هم الأجداد؟!

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

وَٱلزُّبُرِ: الكتب التي أنزلها الله.

• أيها الداعيةُ الصادق، لا يَحزُنك تكذيبُ الناس لك؛ فلقد كُذِّب رسلُ الله وهم مرسلون بآياته، مؤيَّدون بمعجزاته، فلك فيهم أسوةٌ وعزاء.

• تكذيب دعاة الحقّ وردُّ مقالهم وتسفيه رسالتهم، هو دأبُ أهل الباطل في كلّ زمان، فلا غرابةَ فيما جدّ؛ فإن الآخِر سار على درب الأوّل.

• أكثر أهل الباطل لا يردُّون الحقّ بسبب ضعفٍ في حُجّته، أو التباسٍ في فهمه، لكنّه خبثُ النفوس واستكبارُها، وخوفُها أن تفقدَ شهواتِها ومصالحَ دنياها.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

زُحْزِحَ: أُبعِد.

• موعظة الموت تحمل العبدَ على الاستعداد ليوم المَعاد، بما يقدّمه من خير الزاد، فلعلّه ينال بذلك الذُّخرِ الفوزَ العظيم.

• إذا عملتَ العملَ الصالح فارجُ جزاءه الوافيَ في يوم القيامة، لا في هذه الدنيا، فما جاءك من جزائه الحسن في حياتك فإنما هو عُربون فضلٍ مَنَّ به الرحيمُ الكريم.

• لا تستجب لإغراءاتِ المعصية مهما تزيَّنَت لك؛ فإنك إن زَحزحتَ نفسَك اليوم عنها مع شدّة جذبها لها، فقد زحزحتَها عن النار غدًا إن شاء الله.

• قال بعضُ السلف: (الدنيا متاعٌ متروك، يوشِك أن يضمحلَّ ويزول، فخذوا من هذا المتاع، واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم).

﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

• تتعدَّد صورُ ابتلاء المؤمنين؛ فمنه ما يكون في أنفسهم، ومنه ما يكون في أموالهم، ومنه ما يكون من أعدائهم. والعُدَّة الحصينة والدرعُ السابغة في هذه المعركة هما: الصبر والتقوى.

• إن أهل الباطل لن يدَعوا أهل الحقّ في سلام، ولن يُخلوهم من أذيّة الفِعال والكلام، فلا يَعجبَنَّ مؤمنٌ اليوم من شدّة الحرب الإعلاميّة على الإسلام وأهله.

• من لطف الله بعبده أنه أخبره بما سيُلاقيه من البلاء؛ لتتوطَّن نفسُه على وقوعه، والصبر عليه إذا وقع، فيهونَ عليه حملُه، ويلجأ إلى مُدافعته بالصبر والتقوى.

• العزمُ على الصبر والتقوى فيه كمالُ المزيّةِ والشرف، أوَليس قد عزمَ اللهُ تعالى عليهما، وأمرَ بهما على سبيل العزيمة؟

• الدعاة الصادقون لا يفرِّطون في دعوتهم، ولكنّهم يحرِصون عليها مهما أصابهم في سبيلها، بل إن شدائد الطريق تزيدهم ثباتًا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧﴾

• واجبُ أهل العلم تبيينُ ما يحتاج إليه الناس من كتاب ربِّهم، من غير طلبٍ منهم، فإن سُئلوا لم يكتموا عن السائلين أحكامَه ودلالاتِه.

• ما أشبهَ كتمانَ العلم النافع عن مستحقِّيه في القبح والوزر بنبذ كتاب الله تعالى خلفَ الظهر، كيف يمكن ذلك وهو الجديرُ بكلِّ اهتمام، وعظيم التبجيل والاحترام؟!

• ليست الخيانةُ في المال فحسب، بل منها ما يكون في العلم؛ فإن العلم أمانةٌ استُودِعَها العالم، فإن أدَّاها كان أمينًا، وإن كتمها كان خائنًا.

• أيُّ خسارة أعظم من أن يتَّجرَ الإنسان بدينه، وهو أغلى ما يملك، وكيف يبيع أنفسَ ما عنده بأبخس الأثمان؟!

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨٨﴾

• المعصية مرضٌ في القلب يورث ظُلمةً في النفس وضيقًا في الصدر، فمَن فرح بما حقُّه أن يُغتمَّ به لم يكُ أهلًا للنجاة والنجاح، ولا صالحًا للكرامة والفلاح.

• مَن انتحلَ فضيلةً ورجا حمدَ الناس عليها فقد أظهر خبيثةَ نفسه في قبيح فعلها؛ إذ قصد وجهَ الناس لا وجهَ ربِّه سبحانه.

• إن وقع ثناءُ الناس من نفسك موقعًا حسنًا على عمل قد أخلصتَ فيه لله، ولم ترجُ منه رياءً ولا سمعة؛ فتلك عاجل بُشراك.

• مَن استحسنَ فائدةً فنشرها فلا يدَّعيها لنفسه؛ ليتلقَّى عليها الإعجابَ والثناء، ولكن لينسُبها لصاحبها؛ حتى لا يكونَ من الذين يُحمَدون بما لم يفعلوا.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٨٩﴾

• المُلك كلُّه لله تعالى وحدَه، فهو المالك الفرد، وما العبدُ إلا وكيل، فهل يتصرَّف الوكيلُ في مُلك سيِّده إلا بإذنه؟

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾

• كم من آيةٍ في الكون قد سخَّرها سبحانه لمعاش عباده وأرزاقهم، وراحتهم وهنائهم، تدلُّ على عظمته وجليل قُدرته، وغناه وبديع صَنعته!

• العاقل الحصيف يقرأ كتابَ الكون المفتوحَ فيستدلُّ بالخلق على الخالق، وبعظمة فِعاله على كماله وجلاله، وكلَّما كان المرءُ بالله وآياته أعلم، كان عقلُه أتمَّ وأحكم.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾

• اللبيب هو المتَّصل بالله تعالى في كلِّ أحواله، الذاكرُ له أبدًا في جميع ساعاته، وكيف يغفل عن الاتِّصال بشيءٍ به قِوامُ حياته؟!

• ذِكرُ الله هو النُّور الهادي للفكر، فمَن أكثرَ منه فُتح عليه من أنوار المعرفة، وأضواء الفهم والدراية.

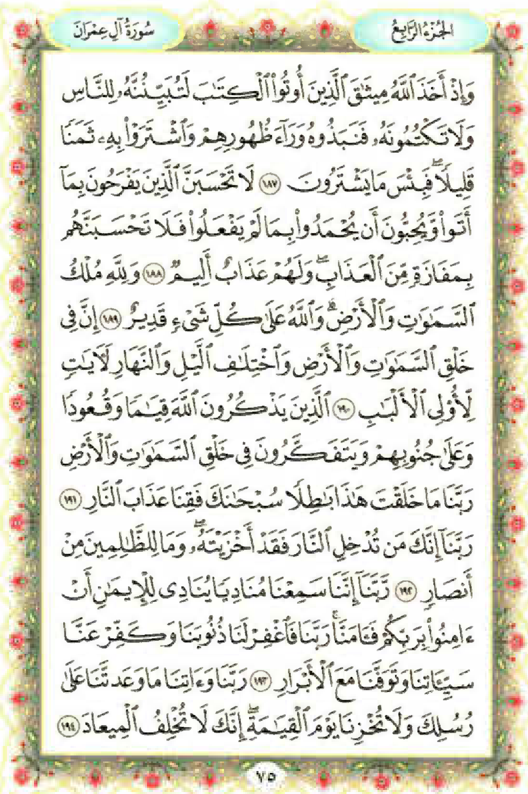
• يحفظ على المرء عقلَه اشتغالُه بالعلم طلبًا وتحصيلًا، وبالقرآن تلاوةً وتعليمًا، ويُحيي قلبَه ذكرُه لله قيامًا وقعودًا.

• مَن زادت معرفتُه بربِّه زاد خوفُه منه وضَراعته إليه، ألا ترى المخلصين الذاكرين الطائعين، المتفكِّرين في عظمة الله تعالى، يسألونه العافيةَ من النار؟

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ١٩٢﴾

• استحضار عواقب الذنوب في الآخرة يبعث على الدعاء في الدنيا، فإنَّ مَن علم خزيَ أهل النار اشتدَّ طلبُه من الله النجاةَ منها، والسلامةَ من هوانها.

• لا خزيَ أعظم من خِزي النار؛ لأنه خزيٌ بين يدَي الله الجبَّار، وهوانٌ على رؤوس الأشهاد، وذُلٌّ لا يَعقُبه عزٌّ ما دام صاحبه من الكفَّار.


الجزء الرابع — سورة آل عمران

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ
أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨٨ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٨٩ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ١٩٤

٧٥

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ١٩٣﴾

• القلوب المؤمنة سريعةُ الاستجابة لربِّها، تبحث أوَّلَ ما تبحث عن تقصيرها، فتعمل على إصلاحه، سائلةً الله مغفرةَ ذنوبها، والوفاةَ مع الأبرار الذين هم رفقاءُ دربها.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ١٩٤﴾

• الشوق إلى موعود الله تعالى سِمةٌ من سِمات المؤمن، يرغب إلى الله بتعجيله، والظفر بنيله، ليتمَّ له كمالُ النعمة، وتمام المنَّة.

• يسأل العبد ربَّه ألا يُخزيَه يوم القيامة، فلا يفضحُه في عرَصاتها بذنوبه، ولا يُزلَّه على متن الصِّراط عند عبوره، ولا يُكبكِبُه في النار حين وروده.

• بفضل الله وحدَه، ثم بما يؤمِّلُ العبد من وعد ربِّه، مع القيام بما كلَّفه من شرعه، ينال من رضاه والفوز بجنَّته.

فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ
مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ
ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ
رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨ وَإِنَّ مِنۡ
أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ
وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠

سورة النساء

٧٦

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾

• التفكُّر في آيات الله الكونيَّة من مفاتيح الإيمان وأسباب الدعاء، فإذا فُتح بابُ الدعاء فقد عظُم الرجاء بفتح باب الإجابة.

• خاطبَ الله عبادَه بعنوان الربوبيَّة المُنبئ عن تمام الرعاية، ثم أضافهم إلى ذاته العليَّة، فما أعذبَ تلك الإجابة، وما أشرفَ تلك العناية!

• يجيب الله دعاءَ من قرنَ دعاءه بالعمل الصالح المتقبَّل، فما الذي يرجوه بكسَله البطَّال؟

• قَبول الأعمال الخالصة ليس حِكرًا على أصحاب المقامات الرفيعة، وإنما يمنحه الله لكلِّ مَن بذل وسعَه، واستفرغ جهدَه.

• المفاضلة بين الناس في الجزاء إنما تكون بحسَب الأعمال الصالحة المقبولة، فلا عبرةَ بجنسٍ ولا نسَب ولا لون، ولا بغير ذلك.

• كلُّ أذًى ينال المؤمنَ في سبيل الله فقد تكفَّل الله بأجره، ووعد عليه الثواب، فالغُنم بالغُرم.

• لا يُضيع الله عملَ عامل مخلص، بل يُثيبه من عنده ثوابًا حسنًا، فماذا تنتظر في ثواب الله واهبه، ومن عملٍ صالح الله مجازٍ عليه؟

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦﴾

تَقَلُّبُ: سَعةُ عَيشٍ، وكثرةُ تنقُّلٍ وتصرُّف.

• لا تغترَّ بما تراه بعينيك من إمهال الله للظالمين، بل تبصَّر في سُنن الله فيهم، حتى تتيقَّنَ زوالَ الباطل وخسارة أهله.

• قد يمكِّن الله للكافرين زمانًا، فيستدرجُهم بالنِّعَم التي يغدقُها عليهم، حتى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذهم فلم يُفلِتهم، إنَّ أخذه أليمٌ شديد.

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾

• ليست العِبرةُ بما يُؤتاه العبد من لذَّات الدنيا ونعيمها وهو عن الله بعيد، فإن غمسةً واحدة في نار جهنَّم تُنسي كلَّ طيِّبات الدنيا.

• المتاع القليلُ الفاني لا يشغل العاقلَ عن النعيم الكثير الباقي.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾

• قارن كمالَ حُسن حال المؤمنين وتمامَ سرورهم، وما أعدَّ الله لهم من النُّزل الكريم، مع سوء حالِ الكفرة، وما أعدُّوه لأنفسهم من مأوًى مَهين؛ تجِد أن طيب المآل بطيب الأعمال، وعكسُه بعكسه.

• إذا كانت الجنَّة كلُّها نُزُلًا مُعدًّا للمؤمنين، فليت شِعري ما النعيمُ الذي يدَّخره الغنيُّ الكريم لهم في ذلك النُّزل؟!

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾

• القرآن يعلِّمنا تركَ تعميم الأحكام على الناس الموافقين أو المخالفين، ويُرشدنا إلى سلوك سبيل العدل والإنصاف عند الحكم على الآخرين.

• ليس كلُّ أهل الكتاب متَّصفين بنبذ الميثاق وتحريف الكتاب، بل منهم من أسلم وآمن، فكان له مناقبُ جليلةٌ كسلمانَ وابن سَلام.

• تأمَّل لمَّا كان إيمانهم عامًّا حقيقيًّا صار نافعًا، فأحدث لهم خشيةَ الله، وخضوعَهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه.

• تفضَّل الله على مَن أسلم من أهل الكتاب، فجعله في طبقة جيله من المسلمين الذين أعدَّ لهم نزُلًا وثوابًا مضاعفًا.

• جعل الله تعالى عطاءَ عباده غيرَ متأخِّر عنهم؛ رفقًا بهم ورحمة؛ فإن نفوس العباد مُولَعةٌ بحبِّ العاجل، وتعجيلُ العطاءِ عطاءان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾

وَصَابِرُواْ: غالِبوا الأعداءَ بالصَّبرِ حتى تكونوا أكثرَ صَبرًا منهم.

وَرَابِطُواْ: أقِيموا على جِهادِ عَدوِّكم.

• على العبد أن يلازمَ الصبر، ولا ينقطعَ عن مجاهدة نفسه عليه في جميع حالاته؛ فإنَّ الصبر محتاجٌ إلى صبر.

• ما أفلحَ عبدٌ إلا بالصبر والمصابرة، والجهاد والمرابطة، ولا خابَ إلا وكان إخلالُه بها أو ببعضها سببَ خَيبته.

• إذا كان أهلُ الباطل يَمضون في باطلهم بصبرٍ وإصرار، فما أجدرَ أهلَ الحقِّ أن يكونوا أعظمَ منهم صبرًا وإصرارًا.

• لا ينفع المؤمنَ الصبرُ ولا المصابرة ولا المرابطة إلا بالتقوى، كما أن التقوى لا تقوم إلا على ساق الصبر، فهي صفاتٌ يقوم بعضُها ببعض.

سُورَةُ النِّسَاءِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾

• إنه لا أحقَّ بالاتّقاء من الله المكرِم، الخالق المنعِم، الذي جعل من خَلقه للعباد آيةً دالَّةً على قدرته، وناطقةً بعظمته.

• خلق الله الناسَ من نفسٍ واحدة؛ ليعطِفَ بعضُهم على بعض، ويَرفُق بعضُهم ببعض، مهما تفرَّقوا في الأقطار، ونأت بهم الدِّيار.

• عَلاقة الزوجيَّة من أوثق العَلاقات، وبين الزوجين نسَبٌ واتِّصال ما أشدَّه! أوَ ليست حوّاء خُلقت من ضِلَع آدم؟ والفرع يحنُّ إلى أصله، والأصلُ يحنو على فرْعه.

• قبيحٌ بالمرء أن يُظهرَ التعظيم لله تعالى حتى يحصِّلَ مرادَه، فإذا أمره ونهاه كان غافلًا عن مراد الله منه، تلك عبادةُ تجّار، لا عبادةُ أبرار.

• قرَنَ الله بين شريفِ حقِّه، وحقوقِ أرحام عباده وأقربيهم، فمَن ذا الذي يستهين بحقٍّ قرنَه الله بحقِّه، ويغفُل عن أمرٍ عظَّمه الله بجعله مع أمره؟

• إن الرقيب عليك هو الله تعالى، الخالق الذي يعلم مَن خلق، العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية، لا في ظواهر الأفعال ولا خفايا القلوب.

﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢ ﴾

حُوبٗا: إثمًا.

• حقُّ اليتامى من أضعف الحقوق أداء؛ ولذلك كانوا من أولى الناس بالرعاية والعناية، فحريٌّ بالمؤمن ألا يُضيعَ حقَّهم، فإن الله قد ذكره في أوائل الحقوق.

• إنما يطيب المال أو يخبُث من طريق كسبِه وأخذِه، ومن أخبث المال مالُ اليتيم المغتصَب.

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾

أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ: أقربُ إلى عدم الجَور.

• ما أكثرَ أبوابَ الحلال التي يفتحها الله للإنسان حين يُغلِق على نفسه أبوابَ الحرام! غير أن النفوس تتفاوتُ في اليقين بهذه الحقيقة.

• مَن قصَّر في أداء واجبه، فكيف يطلب التوسُّعَ في المباح؟!

• إقامة العدل في مناحي الحياة المختلفة هو عمادُ المنهج الإسلاميِّ، وهدفٌ رئيسٌ من أهدافه؛ لتحقيق النجاة والسلامة في العاجل والآجل.

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤ ﴾

صَدُقَٰتِهِنَّ: مُهورَهنّ.

نِحۡلَةٗ: فَريضةً عن طِيبِ نفسٍ.

هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا: حلالًا طيِّبًا.

• مهرُ الزوجة حقٌّ يؤدَّى إليها برضًا وطيب خاطر، فالكريم من الأزواج مَن أعطاه بسخاوةِ نفسٍ، من غير مَنٍّ ولا تحيُّل في الوفاء به.

• حين تكون العطيَّة عن طيب نفسٍ يهنأ بها القلب، وينشرح لها الصدر، أمَّا ما يُتكلَّف تكلُّفًا فإن النفس تغَصُّ به، وتتكدَّر منه.

﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٥ ﴾

ٱلسُّفَهَآءَ: مَن لا يُحسِنونَ التصرُّفَ في المال.

• على الوليِّ أن يحفظَ مالَ السفيه ويصلحَه؛ فلا يأكلَه هو فيظلمَه، ولا يدفعَه إليه فيُتلفَه.

الجزء الرابع | سورة النساء

الحزب ٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا
زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ
بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ
وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ
كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ
مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ
فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ وَءَاتُواْ
ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ
قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٥ وَٱبۡتَلُواْ
ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ
إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ
غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا
دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦

٧٧

• لا تجعل حياتك وقفًا على الاستكثار من المال طيِّبه وخبيثه؛ فإنك محاسبٌ عليه، ولا تُهمِل شأنَ المال وتهضِم قدرَه؛ فإن معاشك قائمٌ عليه.

• المال الحلالُ ثمين، وعلى ربِّ الأسرة إمساكُه عمَّن لا يحسنون التصرُّف فيه، على ألا يبخلَ عليهم فيما يحتاجون إليه من نفقةٍ مشروعة.

﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦ ﴾

رُشۡدٗا: حُسنَ تصرُّفٍ في الأموال.

• إذا كان بلوغُ سنِّ النكاح مَظِنَّةَ الرُّشد والتدبير، فإن على المربِّي الناجح مراعاةَ تأهيل الجيل في هذا العمر لإدارة شؤونهم.

• حسن التصرُّف في المال مِعيارٌ يميَّز به الرشيدُ العاقل، من السَّفيه الجاهل.

• المال أمانةٌ عظيمة، فإذا استُودِعَ الإنسان مالَ يتيمٍ أو سفيهٍ فليُحسن تصرُّفه فيه، فلا يمنع حقًّا منه، ولا ينفقه فيما لا يُرضي الله تعالى.

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ٧ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُوا ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
٨ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا
خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٩ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ
أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن
كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ
أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١

٧٨

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٧﴾

- اهتمَّ الإسلام بالنساء، فأورد حُكمَ ميراثهنَّ مستقلًّا عند ذكر الميراث؛ إكرامًا لهنَّ، وإيذانًا بأصالتهنَّ في استحقاق الإرث، وإبطالًا لحُكم الجاهليَّة الذي كان يهضمُهنَّ هذا الحقَّ.
- استحقاق الوالدين والأقربين من تركة الميِّت لا يُنظر فيه إلى قلَّة المال أو كثرته، فقلَّتُه لا ينبغي أن تمنعَ من إعطائهم، وكثرته لا تُستعظَم على أمثالهم.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُوا ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ٨﴾

- مراعاة مشاعر الآخرين من أحسن أخلاق المؤمنين، فكيف مع ذوي القُربى واليتامى والمساكين؟ وكيف في حال تفريق المال الذي تميلُ له النفوس، وتشرئبُّ إليه الأعناق؟
- إذا أعطيتَ شخصًا من مالك، فاجمع إلى سخاء يدك سخاءَ قولك، بكلمةٍ طيِّبة وابتسامةٍ مشرقة، تُسعِد قلبَه وتحفظ كرامتَه.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٩﴾

- كما يحبُّ المرء أن يُكرَم أولادُه من بعده، كذا عليه أن يحبَّ لأولاد غيره، ومَن اتَّقى الله في أولاد الناس سخَّر الله لأولاده مثلَ ذلك.
- الأمر بالعدل والالتزام بالشرع مطلوبٌ في جميع الحالات، وفي أحلكِ الأوقات، وذلك علامةُ صحَّة الدِّيانة، وصلابة الإيمان.
- الكلمة الطيِّبة والعبارةُ اللطيفة من سَداد القول، وهي من مُرادات الشارع الحكيم التي بها صلاحُ الفرد والمجتمع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠﴾

- لم يَرِد في أكل المال بالباطل أشدُّ من الوعيد في حقِّ آكلِ أموال اليتامى ظلمًا، فمَن استحضَر هذا الوعيدَ لم يمدَّ يدَه إلى جمرةٍ من جهنَّم ليلتقمَها.
- مثَلُ المال الحرام كمَثَل النار التي تلتهم ما حولها؛ فإنه يأتي على حياة أهلِه فيتركها أثرًا بعد عين.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١﴾

- رحمة الله بالإنسان أعظمُ من رحمة والدَيه العطوفين به؛ فلذلك أوصى الوالدَين بأولادهما.
- قسمَ الله ميراثَ الوارثين بنفسه، وجعلَ ذلك وِفاقَ حكمته وعدله، فلمَّا كانت حاجة الرجل إلى المال فوقَ حاجة المرأة؛ لكونه مكلَّفًا الإنفاقَ عليها، أُعطيَ ضعفَها، إن كانا في طبقةٍ واحدة.
- أعاد الإسلامُ للمرأة اعتبارَها وحقَّها الذي هضمته الجاهليَّة، فجعلَ لها نصيبًا من الميراث قد يفوق نصيبَ بعض الرجال الوارثين معها إذا لم يكونوا في درجتها من الميت.
- العدالة ليست في المساواة بين المختلفين في الأعباء؛ ولهذا لم يُفرَض للبنت التي في درجة الابن من القرابة مثلَ ما فُرض له، فجاءت القسمة متَّسقةً مع الواجبات.
- يوصي القرآنُ الكريم الوالدين بالأولاد؛ لضعفهم وقلَّة حيلتهم، ويوصي الأبناءَ بالآباء؛ لكونهم أقربَ الناس إليهم، وأحقَّهم بصلتهم وعنايتهم.
- من مظاهر عناية الشريعة بالوصيَّة تقديمُها على الدَّين في الذِّكر، مع أن الدَّين هو المقدَّم في الحُكم؛ حتى لا يفرِّط أحدٌ في أداء الوصيَّة.
- حين تبيِّن الشريعة أن المَدين لا تبرأ ذمَّتُه من دَينه حتى بعد وفاته، فإنها بذلك تُعلِم المسلمين أن قيام الحياة بين أفراد المجتمع لا بدَّ أن يكونَ على الثقة في المعاملة.
- المؤمن الحقُّ يثق بحكمة الله في تشريعه فوق ما يثق بحكمته هو، فيَرضى بهذا التشريع ويسلِّم له، أدرك الحكمةَ أم لم يُدركها.
- نفع الوالد للولد عظيمٌ ظاهر، ولكنَّ نفع الأولاد للوالدين في الدنيا والدِّين ربما ضارعَ نفعَ آبائهم لهم.
- إذا كان أحدُنا لا يدري عن أقرب الناس إليه؛ آبائه وأبنائه، أيُّهم أقربُ له نفعًا، فما الذي يعلمه عن البعيد إذَن؟ ألا ما أقصرَ علمَ البشر!
- الخالق والرازق والعليم والوهَّاب هو الشارعُ الحكيم سبحانه، فهو يعلم ما يفرضُه على خَلقه وكيف يقسِمه بينهم، وليس للبشر بعد ذلك إلا الامتثالُ والرضا.

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

وَلَدٌ: ابنٌ أو بنت.

كَلَٰلَةً: مَن ليس له ولدٌ ولا والد.

• من بركات الزواج الشرعيِّ أن الحقوق والمصالح بين الزوجين تمتدُّ إلى ما بعدَ الوفاة.

• النصف هو أكثرُ فرائض الوارثين من الرجال، ولم يكن إلا للزوج من زوجته، عند عدم وجود الفرع الوارث، وهذا يُشعر بمتانة ميثاق الزوجيَّة وموجباته الحقوقيَّة.

• العَلاقة الزوجيَّة لها مكانتُها العاليةُ بين العَلاقات الأُسريَّة، وترتيبُها في الذِّكر بعد الحديث عن عَلاقات النسَب المباشِرة يشير إلى ذلك.

• أكرمَ الإسلام المرأة حين أقرَّ لها حقَّ الإيصاء والتداين، طاويًا بذلك حِقبةً طويلة من ليالي الجاهليَّة الحالكة، وظُلمها لها.

• الإنسان العاقل هو الذي يفارق الدنيا وقد نفَض يدَيه عن كلِّ ما فيهما منها، فيخرج منها خفيفًا من حقوق العباد، نقيَّ الصحيفة من المظالم؛ لكي يستريحَ ويُريح.

• حذارِ من التفريط في قضاء ديون العباد؛ فإن الشريعة قد أولَتها جليلَ الاهتمام، فأمرَت بقضاء الدَّين قبل تنفيذ الوصيَّة، وقبل قسمة التَّرِكات.

• للأقربين حقوقٌ في المال ثابتةٌ بأسباب شرعيَّة، أوجبها الذي رزق العبادَ بأسباب كونيَّة، وأيُّ تجاوزٍ لفروض الله أو انتقاصٍ منها فهو ضِرار.

سُورَةُ النِّسَاءِ — الجُزْءُ الرَّابِعُ — الحِزْبُ ٨

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن
لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ
وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم
مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ
وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ
يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

٧٩

• القوانين الوضعيَّة على كثرتها لم تسلَم من الظلم أو الإجحاف، أمَّا وصايا الله تعالى وشرائعُه فهي علَمٌ على الإنصاف، وقد بلغت في الحكمة الغاية.

• قامت مواريث الجاهليَّة على الجهل والإجحاف، فأبطلتها أحكامُ العليم الحليم، لتقومَ المواريثُ في الإسلام على العلم والحِلم، حتى ينالَ كلُّ ذي حقٍّ حقَّه.

• على الإنسان أن يتَّقيَ الله في وصيَّته، فلا يجعلها مخالفةً لشرع ربِّه؛ كأن يوصيَ لغير وارث، أو يقرَّ بدَينٍ ليس عليه، قاصدًا بذلك الإضرار بالورثة ونفعَ غيرهم.

• وصيَّة الله مقدَّمة على وصيَّة عباد الله، فوصيَّتُه سبحانه ممهورةٌ بخاتَم عِلمه وحِلمه، ووصايا العباد يعتريها من شوائب النقص والجهل ما يَشينُها.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾

• شريعة الله تعالى شاملةٌ لمبدأ الأمر ونهايته، حيث حدَّ لعباده فيها حدودًا في مدَّة الحياة، وحدودًا للتصرُّف في الأموال بعد الوفاة.

• إعطاء الورثة ما فرض الله لهم، وعدمُ صرف حقِّهم إلى غيرهم هو حدودُ الله تعالى في التَّرِكات، فيا ويلَ مَن تجاوزها فمنع مستحقًّا حقَّه، أو منحه لغيره دون رضاه!

• كمال طاعة الله تعالى بطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، فمَن قام بهما حقَّ القيام، دخل الجنَّة بسلام.

• أسباب الجنَّة والنار قريبةٌ في كلِّ أمر، فحدود الله في الفرائض والوصايا بابُ جنَّةٍ أو نار.

• الفوز الحقيقيُّ هو في إدراك العاقبة الحسنى في الآخرة، ولا يكونُ ذلك إلا بالتزام أمر الله على النحو الذي أمر به، فمَن تجاوزه فقد جهَدَ في غير الطريق الموصلة.

• مَن دخل الجنَّة تنعَّم فيها على الدوام، فما أعظمَه من فوز وأكرمَه من عطاء! أفلا يستحقُّ منَّا البذلَ والعناء؟

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

• مَن أبى كبرياؤه الخضوعَ لحُكم الله وقَسْمه، والإذعانَ لقضائه وأمره، عوقبَ بالعذاب المُهين، جزاءً وِفاقًا.

• إنكار الأحكام الشرعيَّة أو تغييرُها وتعطيل العمل بها، طريقٌ يصل بصاحبه إلى جحيم عذابٍ خالد أليم، فليحذَر العاقل طريقًا هذه نهايته.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ
أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ
حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾
وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا
فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾
إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾

ٱلۡفَٰحِشَةَ: الفِعلة القَبيحة، وهي الزِّنى.

- لا بدَّ من الحِيطة في الأعراض؛ فإنها أعظم من أن يؤخذَ الناس على جرائمهم فيها بالظنون والأوهام، أو أن يُقبلَ فيها التسرُّعُ في الأحكام.
- طلبُ الشرع شهودًا أربعة في التُّهمة بالفاحشة مع نُدرة اجتماعهم يدلُّ على حرصه على براءة الأعراض؛ صونًا للأفراد والشخصيَّات، وحفظًا للأُسَر والمجتمعات.
- إبعادُ الفاتن عن موضع فتنته، والمفتونِ عن بيئة افتِتانه، وقايةٌ من الفتنة والافتتان.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾

- في تغليظِ عقوبات الفواحش حفظٌ للأعراض، وتطهيرٌ للأرحام والأخلاق، وإبقاءٌ للجنس الإنساني، وحمايةٌ للمجتمع من اختلاط الأنساب المورثِ للمشكلات والضَّياع.
- من رحمةِ الله بالتائبين المتطهِّرين أنه أمرَ المجتمعَ بقبولهم، وعدم تعييرهم بخطيئتهم التي أقلعوا عنها، وتطهَّروا منها، وأصلحوا حالَهم بعدها، فمَن قبِلَه الله فجديرٌ بالمجتمع أن يقبلَه.
- تشريعُ التوبة فضلٌ من التوَّاب، وقبولُها رحمةٌ منه تعالى، فليتخلَّقِ العبادُ برحمة التائبين، والعفوِ عن المذنبين، دون إيذائهم ولا التعرُّض لهم بالمَلام بعد التوبة.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾

بِجَهَٰلَةٖ: بسَفَهٍ، وكلُّ مَن عَصى اللهَ فهو جاهل.

مِن قَرِيبٖ: قبل مُعاينةِ الموت.

- إذا كانت المعصية دلالةً على جهل العاصي حين عصى، فإن العلم بالله المانعَ من المعصية هو رأسُ العلم.
- مَن علِم أن المعصية من المُهلكات بادر إلى محوِ آثارها بالتوبة، وغسلِ ما علِقَ به من أدرانها بالاستغفار.
- الإصرار على الذنب قد يجعل منه صفةً راسخةً في النفس، يعسُر معها إحداثُ توبةٍ نصوح.
- لا يُغلِق الإسلام الأبوابَ في وجوه الخاطئين، ولا يطردهم من المجتمع إن أرادوا أن يعودوا إليه تائبين، وهذا يمحو ثقافة اليأس من عودة المسرفين إلى ربِّ العالمين.
- الله عليمٌ بعباده المُنيبين إليه، والمُقبلين بالندم عليه، وهو حكيمٌ في تقديره وتوبته على عباده بعد عودتهم إليه.

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾

- حاذِر أن تؤجِّلَ توبتَك إذا ما غرَّتك نفسُك فعصَيت؛ فإنك لا تدري متى يكون أجلُك، فإنه لا يستأذن أحدًا.
- لا يقبل الله عاصيًا لَـجَّت به غوايتُه، فتاب حين لم يعُد لديه متَّسعٌ من الوقت لارتكاب مزيدٍ من الذنوب.
- التوبة المقبولةُ هي التي تُنشِئ صلاحًا في القلب، واستقامةً في الحياة، وتُقيم مسيرةَ الاتجاه على الصِّراط القويم بعد الانحراف عنه.
- ليحذرِ المسوِّفون في التوبة ألا تُقبلَ منهم؛ فإن حالَهم قد قُرِنت في استبعاد توبتهم بحال مَن يموتون وهم كفَّار، أعاذنا الله من حالهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾

وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ: لا تُمسِكوهُنَّ مُضارِّين لهُنَّ.

- النداءُ باسم الإيمان - في سياق النهي عن ظلم الزوجات - مشعرٌ بأن المؤمن المتحقِّق بهذا الوصف لا يظلمُ المرأة حقَّها، ولكنَّه يحفظه لها كما يأمره إيمانُه.
- إذا تحقَّقت ريبةُ الرجل في أهله، ولم تبقَ أوهامًا، فقد جعل الله تعالى له سبيلًا يتخلَّص به من غمِّه، ويستريح به من همِّه، رحمةً منه.
- إذا ولَّاك الله أمرَ عبدٍ ضعيف فترفَّق به؛ كي ينالَكَ رِفقُ الله بك، ورفقُ مَن ولَّاه عليك.
- المعاشرة بالمعروف تكون بالقول والفعل، ويجمعُها: كفُّ الأذى، وبذل النَّدى، والصُّحبة الحسنة، واستقامة المعاملة، وأداء واجب الإحسان، وترك استقصاء كلِّ الحقوق.
- لا تجرِ وراء ما تهواه نفسُك لسهولته، ومَيلِ الهوى إليه؛ فإنها ربما كرهَت ما يُحمَد، وأحبَّت ما لا يُحمَد، بل اجعلها على حدِّ الشريعة فيما تُحبُّ وتكره.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا
﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ
أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾

قِنطَارًا: مالًا كثيرًا.

بُهْتَـٰنًا: كذبًا وظلمًا.

• لا يكون المعروفُ في حال التّلاقي بأوجبَ منه في حال الفراق؛ فإن الزواج قام على المودّة والرحمة، وجرى على الإحسان وجمال العِشرة، والكريمُ لا ينسى سابق الألفة بطارئ الجفوة.

• إباحة الزواج بأخرى بعد تسريح الأُولى لا يُبيح للرجل ظلمَ مَن طلّقها، بأن يأخذَ من مهرها الذي أعطاها؛ فإن ذلك ليس من فعل ذوي المروءة والكرم.

• إذا كان ما يَهبُه الزوج لزوجه لا يحلُّ له أن يعودَ فيه وقد صار حقًّا لها، وأخذُه إثمٌ وبهتان، فكيف بمَن يسلُبها حقَّها من غير طِيب نفسها؟!

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

أَفْضَىٰ: استمتعَ بالجماع.

• لا تُنسِك همومُ الخلاف، ودوافع الطلاق، وحصول الفِراق، ما كان بينك وبين زوجك من ودٍّ قديم، ولقاءٍ كريم، ورباط وثيق، وحُبٍّ عميق؛ فإن حسن العهد من الإيمان.

• لا تقف العَلاقة بين الزوجين عند حدود الجسد، ولكنَّها تتجاوزه لتشملَ العواطفَ والمشاعر، والوِجدانات والتصوُّرات، والأسرارَ والهموم.

• قد أُخِذت عليك العهودُ المؤكّدة بأن تكونَ بزوجك بَرًّا رحيمًا، تعرف لها حقَّها، وتحفظ لها قدرَها، وما مِثلُ هذا الميثاق الغليظ ممَّا يُنسى، فضلًا عن أن يُضيَّع.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

وَمَقْتًا: فعلًا بغيضًا يمقُتُ اللهُ فاعِلَه.

سَبِيلًا: طريقًا.

• لمّا كان نكاحُ امرأةٍ بعد زوجٍ سابق ممَّا قد يُضعف المنزلةَ ويورث الضَّغينة نُهي الأبناءُ عن نكاح نساء الآباء؛ حفاظًا على نقاء الصِّلة بين الآباء وأبنائهم.

• المعاصي دركاتٌ متفاوتة، فما كان الذمُّ عليه أشدَّ كان البعد عنه ألزم.

• عقل العاقل يُحجِم به عن التعرُّض لمَساخِط الخلق، فكيف يستهين اللبيبُ بمَساخِط الخالق؟!

• الابتعاد عن المعاصي فضلًا عن كونه تكليفًا إلهيًّا، هو مصلحةٌ دنيوية لصاحبه؛ إذ يرفع من مكانته بين أفراد جنسه، ويحميه من قالة السوء، ويجعله مثالًا للنقاء والاقتداء.

• سبحان الإله الرحيم الذي لا يؤاخذ الإنسانَ بعد إسلامه على سالف أعماله! ولو آخذَه لكان في ذلك من المشقَّة والعنَت ما فيه، فلله الحمدُ على رحمته بعباده دائمًا وأبدًا.

• ما أجملَ الحياةَ في الإسلام في عين مَن رأى فحشَ الجاهليَّة وانحرافَها عن سبيل نجاتها، حتى لم يعُد للأب حرمةٌ يومَ يقوم ابنه مقامَه على زوجته!

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ: بناتُ نسائِكُم اللّاتي يتَربَّينَ غالبًا في بُيوتكم.

وَحَلَـٰٓئِلُ: زوجاتُ.

• من مآثر أحكام الشريعة الإسلاميَّة أنها تُعين الناسَ على المروءة، وحفظ الوَقار بين أفراد القَرابة، وتُعنى بما يحقِّق الرقيَّ البشري، والسموَّ الأخلاقي، والعيشَ المطمئن.

• غَيرة المرأة من ضَرَّتها شديدةٌ عاتية؛ وغالبًا ما تؤول إلى كراهية مستحكِمة في نفسها لمَن شاركتها في زوجها، حتى لو كانت ابنتَها التي ولدَتها، أو أختَها التي تربَّت معها؛ فحُرِّم الجمعُ بينهما؛ صيانةً للقرابة من التصدُّع.

• يُسدِل الإسلام الستارَ على أخطاء الماضي في غير الحقوق البشريَّة، إذا أقلع صاحبُها عنها، واستغفر ربَّه وتاب إليه.

الجزء ٥ الحزب ٩

۞وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ
بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ
مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا
تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمٗا ٢٤ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ
ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن
فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم
مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ
مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ
مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
٢٥ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦

٨٢

﴿۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤﴾

وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ: المتزوِّجات.

تَبۡتَغُواْ: تطلبُوا.

مُّحۡصِنِينَ: أعِفَّاءَ عن الحرام.

مُسَٰفِحِينَ: زانِين.

• الزواج حِصنٌ للمرأة، تحوط به نفسَها، وتحمي به شرفها، وتعتصم به من العابثين، فلا يُباح اقتحامُه، ولا يُنال سُكّانه.

• من يُسر الشريعة أنَّ نطاق الممنوع ضيِّق، ونطاق المشروع واسع؛ فمَن حُرِّم نكاحُهنَّ قليل، ومَن أُبيح الزواج بهنَّ كثير، فمجالُ تلبية دوافع الفِطرة رَحبٌ، فما أعظمَ هذه الشريعة!

• يرسم الإسلامُ الإحصانَ في صورة بلغت من الطهارة والعفاف الغاية، مقابلَ صورة المسافحة وهي في نهاية القَماءة والرَّذيلة.

• تكفَّل الله بحفظ حقِّ الزوجة من المهر، فجعله فرضًا يؤدِّيه الزوج طاعةً لله، وأجرًا على الاستمتاع، لا مِنَّةً منه ولا تفضُّلًا.

• بعد تقرير حقِّ المهر للمرأة وفرضيَّته لها، يدَعُ التشريع البابَ مفتوحًا لما يتراضى عليه الزوجان وَفق مقتضيات حياتهما المشتركة.

﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥﴾

طَوۡلًا: غِنًى وسَعة.

ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ: الحرائِر.

فَتَيَٰتِكُمُ: إمائِكُم.

مُحۡصَنَٰتٍ: عَفيفاتٍ.

مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ: مُصاحِباتِ أصدِقاءَ للزِّنى سِرًّا.

ٱلۡعَنَتَ: الوقوعَ في الزِّنى.

• لا يُغفل الإسلامُ فطرةَ الإنسان ولا طاقتَه، ولا واقعَه ولا حاجاتِه، بل يلبِّي الصالحَ منها؛ ليسموَ به إلى معارج الطُّهر وآفاق النقاء.

• يتشوَّف الإسلامُ إلى الحرية، ويدعو إلى نكاح الحرائر، ولا يرخِّص في زواج الإماء إلا عند مَسيس الحاجة؛ لئلَّا يسريَ في الذرِّية الرِّقُّ الذي يسعى إلى إنهائه.

• أزاح الإسلامُ عن الأَمَة المؤمنة أحكامَ الجاهليَّة التي كانت تغضُّ من شأن الإماء، وتجعلهنَّ للمتعة فحسب، فرفعها بإيمانها عن أن تكونَ أداةً يُستمتَع بها ثم يُستغنى عنها.

• سمَّاهنَّ {المؤمنات} لأن الأحكام تجري على الظواهر، ثم قال: {والله أعلمُ بإيمانِكم} لأن البواطنَ إلى الله.

• الآصِرةُ الإنسانيَّة والإيمانيَّة هما محورُ الارتباط في العَلاقات الإنسانيَّة التي تقوم بين الأحرار والرقيق في المجتمع المسلم.

• الزواج في الإسلام تكريمٌ للمرأة، حيث تخرُج المرأة المؤمنةُ إلى بيت زوجها بإذن أهلها موفورةَ الاحترام، وتُعطى من المال ما يُرضيها على وجه الحقِّ والإكرام.

• شتَّان بين الدُّرِّ الثمين والمتاع المَهين؛ فالعفيفة تمنع نفسَها وتصون عِرضَها، فيُبذَل لأجلها الغالي والنفيس، وتُرخِص البَغيُّ نفسَها فتُشترى بالبخس والخسيس.

• ما تفعلُه الحرَّة بنفسها وقومها إذا ارتكبَت جُرمًا هو فوقَ ما تفعله الأَمَة، والمقاماتُ تُراعى في العقوبات.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾

• ألا يتدبَّر العباد حكمةَ الله تعالى في أحكامه، ويفتحون لها قلوبهم وأسماعَهم وأبصارهم؛ ليزدادوا من الله قربًا، ولتشريعه إجلالًا؟!

• جمعَ الله في هذه الشريعة كلَّ ما فرَّقه من المحاسن في الشرائع قبلها، فما من خيرٍ كانت عليه الأممُ السابقة إلا وكان لهذه الأمَّة منه نصيب؛ ولذا اختُصَّت بالكمال.

• تدعو النفسُ المرءَ إلى منحدراتِ الخطيئة، فربَّما حضرَته الخشيةُ من عقاب ربِّه وهو في تلك الوَهْدة السحيقة، فتُظلم آفاقُه فلا يُنجيه حينذاك إلا معرفتُه بأن مولاه توَّاب، فيُهرع إلى بابه ليتوبَ عليه.

• تشريعات الشارع الحكيم وتوجيهاته تصدر عن العلم بالنفوس والأحوال، وما يُصلحُها ويَصلُح لها، فسبحانه من عليم حكيم.

الجُزْءُ الخَامِسُ — سُورَةُ النِّسَاءِ

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٣٣

٨٣

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾

• شرفُ للمرء أن يكونَ تابعًا للحقِّ منقادًا له، أمَّا أن تقودَه الشهوات فيكون تابعًا لها، فتلك هي ذِلَّة التابع الجهول للمتبوع المُهلِك.

• لا يَقنَع أصحابُ الشهوات أن تميلَ إليهم أدنى المَيل، بل يريدون منك المَيلَ كلَّه، فاحذر أن تضعَ قدمك في أوّلِ ذلك الطريق.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾

• انظر إلى لطف الله في تشريعه ورحمته بخلقه؛ تيسيرٌ في الأحكام، ومراعاةٌ للضعف في التكليف، وتوسيعٌ عند المضايق. إنه حقًّا دينٌ عظيم، صالح لكلِّ زمان ومكان، وأمَّة وبيئة.

• من رحمة الله بعبده أن جعله ضعيفًا في بنيته وإرادته، وعلمه وصبره، حتى تُسرِعَ إليه الآفات، فيدفعها باضطراره إلى سيِّده، وتضرُّعه بين يديه؛ لينصرَه ويقوِّيه، ويعطيه وينجيه.

• إذا تعارضتِ الأدلَّةُ وتعذَّر الجمع والترجيح بينها، فالأقربُ إلى مراد الله عزَّ وجلَّ ما كان منها أقربَ إلى التيسير وإزالة المشقَّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾

• الإسلام حريصٌ على مالك أكثرَ من حرصك عليه؛ حيث أرشدك إلى طرق تحصيله وزيادته، وحذَّرك من سُبل مَحْقه وتبديده.

• تُعقَد العقودُ بما دلَّ عليها من قولٍ أو فعل؛ لأنَّ الله شرَط الرِّضا، فبأيِّ طريقٍ حصل الرِّضا انعقَد به العقدُ، إلا عقودَ الحرام كالرِّبا، فإنها لا تصحُّ عن تَراضٍ أو عن غيره.

• حين تضاف الأموالُ والأنفس إلى عموم المؤمنين ففي ذلك دلالةٌ على أن المؤمنين في توادِّهم ومصالحهم كالجسد الواحد، فإن الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينيَّة والدنيويَّة.

• لا غَروَ أن تقترنَ حرمةُ النفوس بحُرمة الأموال، فكم في سبيل الأموال من نفوسٍ أُزهقت، وكم من دماء لأجلها أُريقت.

• ألا ترى أن الله تعالى أرحمُ بك منك؛ فهو يشرع لك ما يصون نفسَك، ويحمي عِرضَك؟!

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾

• ما الذي يجنيه آخذُ المال عدوانًا وظلمًا سوى النار، أمَا لو أخذَه بحقِّه لما استحقَّ ذلك العذاب.

• يا لها من رحمةٍ بالعبد؛ فإنه لو جاء بمعصيةٍ خطأً أو نسيانا، لنالته رحمةُ الله عفوًا وغُفرانا!

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾

كَبَآئِرَ: الذُّنوب الكبيرةَ ممَّا فيه حَدٌّ أو لعنةٌ أو وَعِيد.

سَيِّـَٔاتِكُمۡ: ذنوبَكم الصَّغيرة.

• العمل الصالح ليس محصورًا بالفعل، بل منه ما يكون بالتَّرك؛ ابتغاءَ وجه الله.

• سبحان من يعلم ضعفَ عباده عن الامتناع عن الصغائر؛ فلا يحجُزهم عن الجنَّة بارتكابهم إيَّاها، وإنما يَعِدُهم بالمغفرة ما اجتنبوا الكبائر، فتركُ الكبائر مَدرَجٌ لغفران الصغائر.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢﴾

• استشرافُ الإنسان إلى ما وهبَ الله غيرَه، دون أن يعملَ شيئًا لبلوغ ما تمنَّى؛ قد يجعله يُغمِض عينيه عن نِعَم الله عليه.

• كُلُّ ما يكتسبه المرءُ فهو من فضل الله عليه، وإنما يُنسَب إلى العبد تقويةً لاختصاصه به، بحيثُ لا ينازعُه فيه أحد ولا يتمنَّاه لنفسه.

• لا ترم ببصرك إلى ما امتنَّ الله به على غيرك، فتُضيعَ عمرَك في الحسرات، ولكن سَل مَن أفاضَ عليه أن يتفضَّلَ عليك من نواله.

• ليس للمرأة أن تتطلَّعَ وتتمنَّى ما خصَّ اللهُ به الرجلَ دونها، ولتسألِ اللهَ من واسع فضله.

• إن الذي رفعَ الناسَ بعضَهم فوق بعض درجات، ونهاهم عن التمنِّي، عليمٌ بما يعتمل في خاطر عباده، وعليمٌ أين يضع فضلَه، فارضَ بقَسْم الله لك تكن أغنى الناس.

﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٣٣﴾

مَوَٰلِيَ: ورَثةً.

وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ: مَن حالَفتُموهُم على النُّصرة.

• أخذُ الوارث حقَّه المفروضَ له من مال مورِّثه هو حقٌّ مشروع، فكانت هذه الآيةُ كالختم الذي خُتمَت به آياتُ المواريث.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ
حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ
وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا
فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
خَبِيرٗا ٣٥ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ
وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ
وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ
وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧

الحزب ٩

٨٤

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾

نُشُوزَهُنَّ: عِصيانَهنَّ وترَفُّعَهنَّ عن طاعَتِكم.

• قيامُ الرجل على المرأة وشؤونها ليس قيامَ تسلُّط وتحكُّم، ولكنَّه مسؤوليَّةٌ مردُّها إلى اختلاف القدُرات وتبايُن الفِطرة.

• من سِمات المؤمنة الصالحة أن تكونَ مطيعةً لله عن إرادةٍ وتوجُّه، لا عن قَسْرٍ وإرغام، فليس المنقادُ عن رضًا واختيار، كالمنقاد عن كُرهٍ وإجبار.

• المرأة الصالحة توفَّق لأن تحفظ حرمةَ ما بينها وبين زوجها في غَيبته، بحيث توقِف نظَراتها وحركاتها ودلالها وحسنَ نبَراتها على من استأمنها على نفسها.

• الكلمة الطيِّبة هي أُولى خطوات علاج الخلاف الزوجيِّ، فإن لم تعالِج الكلمةُ الداء، فقد يكون السكوت هو الدواء.

• يُشعِر الزوجُ زوجَه بكراهيته بعضَ شأنها بأن يُعرِض عنها في المكان والزمان اللذين اعتادت أن يؤانسَها فيهما، بحيث تحسُّ بذنبها وتراجعُ نفسها، فقطعُ معهودِ الجميل قد يكون علاجًا.

• التأديبُ الذي يُقصَد منه صيانةُ الأسرة يُقدَّر بما يحقِّق ذلك الهدف، فلا يكون انتقامًا، ولا إهانةً ولا تعذيبًا، كما لا يُشرَع به إلا بعد استنفادِ ما سلف من الدواء دون نتيجة.

• قيامك على زوجك تكليفٌ، فلا تحملنَّك هذه الوظيفةُ على الاستعلاء والظلم؛ فإن العليَّ الكبير سبحانه ينتقم من الظالم وينتصف للمظلوم.

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾

• إذا لم ينجَع العلاج الداخليُّ فلا بأس بالاستشفاء بالعلاج الخارجيِّ.

• صلاح ذات البَين بين الزوجين إنما يكون بتوفيق الخالق، وما على الخلق إلا السعيُ للإصلاح ما وسعهم ذلك، مع سؤال الله التوفيقَ والسَّداد.

﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾

وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ: الجارِ غيرِ القريب.

وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ: الرَّفيقِ في السَّفرِ والحضَر.

• توحيد الله هو أعظمُ الأوامر، فلا غَروَ أن يكونَ أوَّلَ مأمورٍ به في آية الحقوق العشَرة.

• ليس المطلوب أن يصلَ إحسانك إلى والدَيك فحسب، وإنما أن تقومَ أنت بذلك، فلا يسبقنَّك أحدٌ إلى العناية بهما، فإنهما إن لم يكونا محتاجَين إلى إحسانك فأنت محتاجٌ إلى برِّهما.

• من النقص البيِّن أن يصرفَ الإنسان إحسانَه إلى الأباعد ويحرمَ أقاربَه المحتاجين منه، فإن زاد إلى منعه إساءتَه إليهم بقوله وفعله فقد جمع طرفي القطيعة، ودلَّ على لؤم الطبيعة.

• إن لم نكن لليتيم الأبَ الذي يَمحَضُه الحبَّ صِرفا، فلنكن له الأبَ الذي يحنو عليه عطفا.

• للمساكين حقٌّ من الإحسان تفضَّل الله به عليهم، وأوصى غيرَهم بأدائه لهم، أفنبخل عليهم بما هو حقٌّ لهم؟!

• قد أوصت الشريعة بالجار وإن بَعُد، وبالصاحب وإن قلَّت صُحبته، فكيف بالزوجة وهي أقربُ جارٍ وألصقُ صاحب؟

• لكلِّ مَن صحبك حقٌّ ولو قلَّ؛ الرفيقُ في السفر، والجارُ في الحيِّ، والزميلُ في التعلُّم والوظيفة، والقاعد إلى جنبك في مسجدٍ وغيره.

• من سموِّ شريعتنا أنها خصَّت الغريبَ المنقطِعَ الذي لا يجد مَن يُؤنسه بمزيدِ إحسان.

• مِلكُ اليمين في حُكم الشريعة لا يعني أن يفعلَ المالكُ به ما يشاء، بل أن يستخدمَه في العمل المشروع استخدامًا يكتنفُه الإحسان.

• ما أحوجَ أداءَ الحقوقِ إلى نفسٍ سَمحةٍ متواضعة! فإنه لا يقوم برعايتها مختالٌ متكبِّر.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾

• البخل يكون بالمنافع الحسيَّة والمنافع المعنويَّة، وبالواجبات والمستحبَّات، وبالمال والجسد، والعلم والجاه.

• جاحدُ نِعَم الله إنكارًا أو إخفاءً تستقبله الإهانةُ يوم القيامة؛ وذلك حين أراد بجمع المال عِزَّةَ الدنيا بالباطل، فكان الهوانُ في الآخرة جزاءَه العادل.



وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ
سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ
الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾

• مَن يبخلُ بالإحسان شُحًّا، ومَن يجودُ به رياء، هما سِيَّان؛ فكلاهما وإن اختلف مذهبُهما في البذل والعطاء، قد اتَّفقا على تقديم حظِّ النفس على حقِّ الله بالبذل الخالص لوجهه سبحانه.

• الشيطان واعظُ سوء؛ فإمَّا أن يعظ بإمساك المال، وإمَّا أن ينصحَ بإنفاقه رياءً وسمعة، فيَحرِم المرءَ في الأولى أجرَ البذل، ويجمع له في الثانية خسارةَ المال والثواب.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾

• يحرِّض القرآن الفكرَ على البحث عن مواضع المنفعة: الإيمان والإنفاق، فلا مرضَ أشدُّ من الكفر والجهل، ولا داءَ أدوأُ من الشحِّ والبخل.

• متى اعتقد العبدُ أن الله عليمٌ ببواطن الأمور عِلمَه بظاهرها ارتدعَ عن ظاهر الإثم وباطنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

• الإنفاق رياءً يذهب بالعمل هباءً، والإخلاص فيه يضاعِف الأعمال، حتى تغدوَ كالجبال.

• الوزن يومئذٍ الحقُّ؛ فمِثقالُ ذرَّةٍ قد يرفع العبدَ أو يخفضه، فلا تحقِرَنَّ من الصالحات شيئًا فتدعَه، ولا يُغرينَّك من الصغائر أمرٌ فتفعلَه.

• إن الذي يؤتي الحسنةَ ويبارك فيها ويُنمِّيها، ثم يَجزي عليها الأجرَ العظيم؛ جديرٌ بأن يَدأبَ الإنسانُ في العمل له دون سواه.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾

• بكى رسول الله ﷺ عند هذه الآية؛ سرورًا بتشريف الله له، وتصديق المؤمنين إيَّاه، ورؤيةِ الخيرات التي بسببه، وأسفًا على مصير بقيَّة أمَّته، ومشاهدتِه ندمَهم على معصيته، والبكاءُ ترجُمانُ رحمةٍ ومسرَّة وأسف.

• إنه موقفٌ عظيم في عرَصات القيامة؛ حيث يقف الشهودُ والمشهود عليهم؛ ليُدليَ الشاهد بشهادته على قومه، ويستمعَ الشهود شهادةَ رسولهم فيهم، فتفكَّر في نجاتك في هذا الموقف.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

• أيُّ ندمٍ يعتصر قلب مَن يتمنَّى أن تبتلعَه الأرض، فتتحطَّمَ في داخلها أضلاعُه؛ لما يرى ويسمعُ من الأهوال التي لا تقومُ بحملها الجبالُ في يوم العرض الأكبر؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

عَابِرِي سَبِيلٍ: مُجتازي المسجد من بابٍ إلى باب.

لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ: جامَعتُموهنَّ.

صَعِيدًا: ما كان على وَجهِ الأرضِ من تُرابٍ ونَحوِه.

• مَن أراد الوقوفَ بين يدَي مولاه فليغسِل أدرانَ قلبه وعقله، قبل أدران بدَنه؛ فالمقامُ بين يدَي الله يحتاج إلى طهارةِ الباطن والظاهر.

• ما أشبهَ مَن أسكرَتهُ الغفلةُ فلم يعلَم ما يقول في صلاته، بمَن أسكرَته الخمرةُ فلم يعقِل في تصرُّفاته، ففي غياب التفكير تشابهَتِ الأحلام، وإن اختلفَتِ الأحكام.

• كما تُصان المساجد عن الجنُب والسَّكران، ينبغي أن يُصانَ القلب عن الخواطر الدنسة، ليدخلَ المرء المساجدَ زكيَّ النفس طاهر الفؤاد.

• تعلَّم من القرآن حسنَ الخطاب ولُطفَ الكناية والأدب؛ ألا تراه عبَّر عن قضاء الحاجة باسم المكان، ولم يُسنِد الفعلَ إلى المخاطَبين، وعبَّر عمَّا يكون بين الزوجين بتعبير راقٍ كريم؟!

• من محاسن الشريعة أن البدائلَ الشرعيَّة متوافرة؛ ففي الطهارة للصلاة إن عُدِم الماء ففي التراب مسجدٌ وطَهور، وبذلك يبقى العبدُ متَّصلًا بربِّه، لا يحجُزه عن الوقوف بين يديه شيء.

• مَن كان في تشريعه سبحانه مُيسِّرًا لا معسِّرًا، وفي أحكامه مبشِّرًا لا منفِّرًا، فإنه لذنوب عباده الخاطئين عفوٌّ، ولسيِّئات المذنبين غفور.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾

• مَن أُعطيَ من الكتاب حظًّا كان جديرًا بأن يستثمرَه في العمل بما فيه، لا أن يستبدلَ به ما يخسر به نفسَه، ويُضيع به نعمةَ رزقه الله إيَّاها.

• يبذل الضالُّون حياتهم لبِضاعةٍ ما أحقَّهم بالإعراض عنها؛ لرداءتها وفسادها، في حين يرغبون عن هدايةٍ يتنافس فيها المتنافسون! تلك عقولُ السُّفليَّات، لا عقولُ العُلويَّات.

• لم يَكفِهم ضلالهم الذي لَهَثوا وراءه حتى أرادوا إضلالَ غيرهم، فبئسَ الذنبُ فوق الذنب!

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ
وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا
٤٨ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ
وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا
مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١

٨٦

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾

• مهما أضمر أهلُ الشرِّ للمؤمنين من سوء وكانوا ذوي عَددٍ وعُدد، فإن الله وليُّ عباده يهديهم وينصرهم ويتولّى أمورهم، ومَن كان الله وليَّهُ فمعه القوّةُ التي لا تُغلَب.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦﴾

وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ: اسمَع منّا لا سمِعت. يَدعُونَ بذلك على النبيِّ ﷺ!

وَرَٰعِنَا: افهَم عنّا وأفهِمنا.

لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ: يلوُون ألسِنَتهم بذلك، وهُم يُريدُونَ الدُّعاءَ عليه بالرُّعونة حسَبَ لُغتِهم.

• اليهود الذين أبعَدوا أُمّتَهم عن دين ربِّها بتحريفهم إيّاه، أبعدَهم الله عن رحمته، فإبعادٌ بإبعاد، والجزاءُ من جنس العمل.

• انعدام الأدب مع رسول الله ﷺ صفةٌ يهودية؛ فاليهودُ أساؤوا الأدبَ معه في وجهه، وأشباهُهم أساؤوا الأدبَ مع سنّته؛ إنكارًا لها أو استهزاءً بما جاءت به.

• الطعن في النبيِّ الكريم ﷺ تصريحًا أو تعريضًا هو طعنٌ في الدين، موجِبٌ لتنزُّل اللعَنات على ذلك الأفّاك الأثيم.

• السمع والطاعة للحقِّ والتأدُّبُ مع صاحبه هو خيرٌ يسوقه العاقلُ إلى نفسه، فهنيئًا لمَن دار مع الحقِّ كيف دار.

• السيِّئات تستنزل العقوبات، وتجيء بالنِّقمات، فما أسوأَ الكفرَ ذنبًا، وما أشدَّ اللعنَ عقوبةً!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧﴾

فَنَرُدَّهَا: فنحوِّلَها.

• إنما أُنزل الكتاب ليُعملَ به، فمَن طمس حقائقَه وأدبر عنه استحقَّ من الله أشدَّ العقاب، وإن في السبت لتذكيرًا بعقوبةِ الماضين، ولنا في مصيرهم عِبرة.

• قدرة الله تعالى شاملة، ومقدوراته لا تنحصر، يطمس وجهَ من شاء، ويلعنُ من شاء، لا تخلُّفَ لحكمه، ولا رادَّ لأمره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾

• التوحيد الصافي هو الذي تُشرَع له أبواب المغفرة، وتُفتح له نوافذُ الرحمة، فمَن أشرك ومات على ذلك فقد قطعَ بيده أسبابَ النجاة.

• إذا عصى الموحِّدون ربَّهم بذنوبٍ غيرِ الشِّرك فهم مضافون في الغفران إلى مشيئته، ومشيئتُه تابعةٌ لحكمته، وهو تعالى أعلمُ بمواضع فضله، كما هو أعلمُ بمواضع عدله.

• المشرك ينازع اللهَ جلَّ شأنُه في أُلوهيَّته حين يجعل له ندًّا، فأيُّ ذنبٍ أعظم من هذا، وأيُّ عملٍ ينفع معه إن غادر الدنيا عليه؟!

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾

يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم: يُثنُونَ على أنفسِهم وأعمالِهم.

• احذر أن تزكِّيَ نفسَك، ولكن اجعل أعمالَك الصالحة الخالصة لوجه الله تمنحُك شهادةَ التزكية برحمةٍ منه سبحانه؛ فإنها أعلى الشهادات وأشرفُها، وأصدقها وأنفعُها.

• لا يغرنَّك مدحُ الناس لك فتنفخَ شخصَك، ولا يسوءنَّك قدحُهم فتجلدَ ذاتك، وليكن همُّك رضا الله عنك، ومعرفتَك حقيقةَ نفسك، فعند ذلك تبرُد لَفَحاتُ القادحين، وتضمحلُّ نفَحاتُ المادحين.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠﴾

• ما كان الله ليزكِّيَ من الأعمال إلا أخلصَها وأصوبَها، فمَن ادَّعى خلافَ ذلك فقد افترى على الله الكذب؛ فإنه سبحانه لا يزكِّي القبيح.

• تزكية الله سبحانه للعبد تعني رضاهُ عن أفعاله، وما أقبحَ أن يجترئَ المرءُ على المعصية ثم يدَّعيَ قبولَ الله لها!

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١﴾

بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ: بكلِّ ما يُعبَد من دونِ اللهِ من الأصنامِ وشياطينِ الإنسِ والجنِّ.

• ويلٌ لعلماء السوء والغُواة؛ لم تكفِهم سَفاهةُ أحلامهم حتى نصَبوا أنفسَهم حكّامًا، يحكمون على المهتدين بالضلال، وعلى الضالِّين بالهُدى!

• أهل الباطل أمام أهل الحقِّ ملّةٌ واحدة، وإن تعدَّدت مشاربُ ضلالهم، حتى يشهدَ بعضُهم لبعض، لا صدقًا فيما شهدوا، ولكن نِكايةً بمَن اتَّفقوا على عداوته.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ
يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ
ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾
فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ
جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ
أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ
أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن
تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا
بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ
تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

الحزب ٩

٨٧

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

• إن رحم اللهُ تعالى أحدًا فلا رادَّ لرحمته، وإن لعن شيئًا فلا مانعَ من لعنته، فاحذر أن تكونَ مستوجبَ سخَطه؛ لأنه لا نصيرَ ينصر على الله.

• إن الله هو وحدَه الوليُّ الناصر، لا الأفرادُ ولا الجماعات ولا الدول، وهو جلَّ جلاله لا ينصر إلا من ينصُره، فكيف بمَن استحقَّ أن يلعنَه ويطردَه؟!

﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾

نَقِيرًا: قدرَ النُّقرة، وهي الحُفرةُ في ظَهرِ النَّواة.

• أيُّ بخلٍ هذا الذي استولى عليهم؛ حتى إنهم لو ملَكوا مُلكًا عظيمًا لم يُؤتوا أحدًا كثيرًا ولا قليلًا؟!

﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾﴾

• علامَ يحسُد المرء غيرَه على نعمةٍ لم يكن له فيها يدٌ، وهو يعلم أنه ما حازها إلا بفضلٍ من الله وحدَه؟!

• الحاسد كارهٌ لفعل الله في خلقه، غيرُ مريدٍ الخيرَ للناس، مؤثِرٌ نفسَه بالباطل على الآخرين، فكان بذلك عاصيًا آثمًا.

• قدَّم الله شرفَ الكتاب والعلم؛ إذ لا يُضاهي ذلك الشرفَ مُلكٌ ولا سلطان، ولو كان مُلكًا جليلًا عظيمًا.

﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

• الناس مع الحقِّ فريقان؛ مؤمنون به، وصادُّون عنه أنفسَهم وغيرَهم، وهذه سُنَّة جرَت عبرَ التاريخ، فلا حزنَ إذا لم يأخذ كلُّ الناس بحقٍّ هو أوضحُ من الشمس.

• مَن صدَّ الناسَ عن الحقِّ فأوردَهم مواردَ الهلكة، فقد قدَّم لنفسه الجزاءَ الذي ينتظرُه، فبئس الواردُ والمورود.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾﴾

• لا تستهِن بجُرمٍ يعاقب الله عليه بنارٍ كلَّما التهمَت مكامنَ الإحساس تجدَّدت؛ ليتجدَّدَ الألم ويدومَ العذاب.

• بعزَّته تعالى غلب أهلَ معصيته فأدخلَهم نارَه، وبحكمته عذَّبهم وأوجعهم، فسبحانه لا يغالبه شيءٌ إلا غلبه، ولا يجزي أحدًا سوءًا إلا كان أهلًا له.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

• إن المؤمنين في الجنَّة مع ما هم فيه من التكريم ينعمون بظلٍّ ظليل، باردٍ كريم، وإن الكافرين في النار مع ما هم فيه من العذاب {لَهُم من فَوقِهِم ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ومن تحتِهم ظُلَلٌ}.

• ما أكثرَ نعيمَ الجنَّات؛ إلا أنه اقتصر هنا على بعض المقدَّم لدى الإنسان من اللذَّات، ومنه بهجةُ المنظر، وأُنسُ الزوجات!

• كلُّ ما في الجنَّة من نعيمٍ فهو أحسنُه وأكملُه، ولا يَشوبه شيءٌ من الكدَر الحسيِّ ولا المعنويِّ، فالظلُّ متَّصلٌ معتدل على أجمل أحواله.

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾

• الأمانة تعاملٌ حسَنٌ مع الله؛ استجابةً لأمره، وطمعًا في ثوابه، قبل أن تكونَ سبيلًا لرضا الناس ونيل المصالح منهم.

• أَولى الناس بأداء الأمانة مَن ولَّاهم الله مسؤوليَّاتِ هذه الأمَّة، وحكَّمهم في شؤونها، وإنه سائلُهم عنها يوم القيامة.

• على المسلم أن يشملَ عدلُه جميعَ الخلائق، فلا يختصَّ به إخوانَه؛ فإن الإنسانيَّة تكره الظُّلم بفِطرتها، والإيمانُ يوافقها.

• من المواعظِ التي أثنى الله عليها: العِظةُ بالأمانة والعدل، وهما من أعظم الأخلاق التي لا تستقيم أمورُ الناس إلا بها، فمَن أدَّاهما فقد نفع نفسَه ومجتمعَه.

• لو استحضَر المؤتَمَنُ نظرَ المؤتَمِنِ في الذي يفعله بوديعته؛ لما خانه، فكيف إن استحضَر أن الله يرقُبه فيها، يسمع ما يقوله، ويبصر ما يفعله؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

• لا تستقيم سياسةُ الناس وحكمُهم إلا على قاعدة العدل والأمانة، فإن كانت راسخةً رسَخ الحكمُ واستقامت السياسة، وفي القرآن ما يدعو إلى ذلك، ويحذِّر من اتِّباع غيره.

• طاعة وليِّ الأمر المسلم واجبةٌ مؤكَّدة، ولكنَّها تابعةٌ لطاعة الله ورسوله، وليست مستقلَّةً عنهما، ولا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

• الكتاب والسنَّة يدعُوان الأمَّة إلى الاجتماع والاتِّفاق، ويعصِمانها من الاختلافِ والافتراق.

• يصدِّقُ الإيمانَ الردُّ إلى الكتاب والسنَّة عند النزاع، ويكذِّبه تقدُّمُ الآراء والأهواء.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

٨٨

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾

ٱلطَّٰغُوتِ: الباطِلِ الذي لم يَشرَعهُ اللهُ.

• الدَّعاوى تفتقر إلى البيِّنات، فإذا كذَّبتها الأعمال كانت ضلالًا لا يستحقُّ أن يُلقى له بال.

• إذا كانت إرادةُ التحاكُم إلى الطاغوت ضلالًا بعيدًا عن سبيل الإيمان، فكيف بالتحاكُم إليه فعلًا؟!

• لا يكفي لتحقيق الإيمان التحاكمُ إلى الكتاب حتى يجتمعَ إليه الكفرُ بكلِّ ما يخالفه؛ إذ لا بدَّ من التخلية مع التحلية.

• الشيطان هو أكثرُ المنتفعين بترك العمل بالأحكام؛ فإنه إذا صالَ بين المؤمنين، ولا شِرعةَ تحكمُهم، وجد في القوانين الأرضيَّة ما يُغري الناسَ بالانتقال من سماع وساوسه إلى اتِّباعها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾

• كراهية التحاكُم إلى الكتاب والسنَّة دليلُ نفاق، والإقبال عليهما عِصمةٌ منه، وكيف تنتصر أمَّةٌ غلب عليها النفاق؟!

• التحاكُم إلى الكتاب والسنَّة تعالٍ على أحكام الطاغوت، وهو وسامُ شرف يوجب العزَّة، لا الضَّعة ولا الذلَّة.

• حال المنافقين مع السنَّة لا تخفى على ذي بصيرة؛ فإن نفورهم منها، وتنفيرهم غيرَهم كالشمس في رائعة الضُّحى.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾

• كلُّ من يحيدُ عن الاحتكام إلى الشريعة مدَّعيًا أنه يريد اتِّقاءَ المشكلات المترتِّبة على ذلك، أو يريد التوفيقَ بين الاتجاهات المختلفة؛ فحجَّتُه داحضة، وهي علامةُ نفاقٍ واضحة فاضحة.

• الإعراض عن تحكيم الشريعة نفاق، وإن حلف صاحبُه على إيمانه أغلظَ الأيمان.

• الصُّدود عن الشريعة مؤذِنٌ بقوارعَ مدلهمَّة، والاعتصام بها من تلك النوائب نجاةٌ وفلاح.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾

• أهواء القلوب أدواء، وعلاجُها بالمواعظ لا بالجدال، فالواجبُ مع كثيرٍ من المُعرضين عن كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ هو الوعظ والنصح.

• التغافُل عن الحاسد وتركُ مجازاته، والاشتغال ببيان ما هو عليه من سوء الحسد، أبلغُ إلى المقصود معه، فإمَّا أن تستصلحَه بهذا العلاج، أو تزيدَ غمَّه.

• إن أردتَ نصيحةً ترجو أثرَها في النفس فأسِرَّ بها إلى مَن تحبُّ صلاحَه؛ فإن الإسرار بها أجدى وأنفع.

• إذا رغبتَ في أن تقعَ موعظتُك موقعَها من النفس فتوخَّ أن تكونَ حسنةَ الألفاظ، رائقةَ المعاني، تجمع بين الترغيب والترهيب، والثواب والعقاب، فتلك بلاغةُ القول.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾

• إنما أرسل الله رسُلَه ليُطاعوا بإذنه، لا ليكونوا مجرَّدَ واعظين، تُسمَع أقوالُهم ويوازَن بينها وبين غيرها من المقالات والآراء.

• لا يمكن لعبدٍ أن يفعلَ المأمورَ أو يتركَ المحذورَ ما لم يكن له من الله عونٌ ومَدَد، فاطلب من الله عونَه وتوفيقَه عند توجُّهك إلى طاعته فعلًا وتركًا.

• يعجِّل العاصي انتقامَ الله تعالى منه في دنياه، وينتظر العذابَ في أُخراه، فأيُّ ظلم يجرُّه على النفس الإصرارُ على الذنوب، وتركُ التوبة والاستغفار؟!

• التائب الصادق ضيفُ الله، فينبغي أن تُحسنَ معاملته؛ حتى يرغبَ في البقاء في ضيافة الله تعالى، وهكذا كان يصنع رسولُ الله ﷺ مع التائبين.

• إن اسمَ الله (التوَّاب) ليُغري العاصيَ بالتوبة، مهما عظُمت معصيتُه.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

• لا دخولَ إلى رحاب الإيمان إلا من باب اقتفاء أثرِ الرسول ﷺ، وتحكيم سُنَّته المطهَّرة، والقَبولِ بما تُمليه والرضا به، وما سواها من طرُقٍ فمسدودة.

• مَن أنشأ أقوالًا بحسَب فهمه وتأويله، لم يجب اتِّباعُها حتى تُعرَض على السنَّة، فإن شهدَت لها قُبلت، وإن خالفتها طُرحَت.

• القلب السليم هو الذي يقدِّم الأمر النبويَّ على كلِّ رأي أيًا كان صاحبُه.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن
دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ
بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم
مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا
﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ
وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ
فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن
مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ
يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

الحزب ٩

٨٩

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾

وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا: أقوى لإيمانهم.

• المؤمن يوقنُ بحكمة الله في تشريعه، وينظر إلى أوامر الشارع الحكيم على أنها تكاليفُ إلهيَّة، وإن لم يُحِط بتفاصيل حِكَم تشريعها.

• لو أراد الله عنَتَ الناس لأعنتهم، ولكنَّه لطَف بهم ورحمهم، فتأمَّل ما في أوامر الله تعالى من يُسرٍ وسماحة تخِفُّ على نفسك تكاليفُها، وتزدَد لربِّك حمدًا وشكرًا.

• التكاليف الشرعيَّة مِحَكُّ اختبار، يُعرف به صادقُ الإيمان من كاذبه، فالصادق يعمل، والكاذب يكسَل.

• إذا استثقل المرء الطاعةَ فليعلم أن هناك من عباد الله مَن لو أمرَهم سبحانه بقتلِ أنفسهم ما توانَوا عن ذلك، أفيَليقُ به أن يتثاقَلَ عن تكاليفَ شرعيَّةٍ خفيفة؟!

• ثباتك على الحقِّ على قدر استجابتك للعِظات، ولا ينفعك سماعُ العِظات حتى تكونَ من العاملين بها.

﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾

• معرفتُك ما ينتظرُك من جزيل الأجر في الآخرة يهوِّن عليك ما تلقاه من تكاليف الشريعة، ويزيدُها في نظرك يُسرًا على ما فيها من يُسر.

﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾

• العمل بمواعظِ القرآن يثبِّتُ قدميك على صراط الحقِّ القويم، وثباتُك على صراط الحقِّ في الدنيا ثباتٌ لك على صراط الجنَّة في الآخرة.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾

• طاعة الله التي اجتمع عليها خيارُ الناس أوائلُهم وأواخرُهم، ستجمعهم في نعيمها كما جمعَتهم في تكاليفها.

• كن مع سنَّة النبيِّ ﷺ، فإن معيَّتها أنفعُ ما تحمله معك إلى آخرتك، لا تدعُك حتى تُبوِّئك أعلى المنازل.

• الرُّفقة الصالحة من أطيب النعيم؛ فلذلك جازى الله به خيارَ عباده في جِنانه.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

• الطاعات وثوابُها العاجل والآجل محضُ تفضُّلٍ من الله على مَن يشاء، فمَن رُزِقها فقد اغتنى.

• لمَّا كان الإنسان يعلم أن الفضل من الله وحدَه، فهلَّا سأله من فضله بدعائه وعبادته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾

ثُبَاتٍ: جماعةً بعدَ جماعة.

• على المؤمن أن يُعدَّ لكلِّ معركة أدواتِها؛ فالسِّلاحُ يواجَه بالسِّلاح، والحُجَّةُ تُقارَعُ بالحُجَّة، والخُلق الذميم يُقابَل بالترفُّع عنه.

• الحسُّ الأمنيُّ ضرورةٌ شرعيَّة وضرورة حياتيَّة، وما أحرانا أن نتعهَّدَه في نفوسنا!

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾

لَّيُبَطِّئَنَّ: ليتأخَّرَنَّ عن الخروج متثاقلًا، وليُثبِّطَنَّ غيرَه.

• المؤمن يُبادر إلى كلِّ فضيلةٍ ويدعو غيرَه إليها، غيرَ متثاقلٍ ولا متباطئ، ولا مُثبِّطٍ ولا مُبَطِّئ.

• إذا أظلمَ الفهم عند الإنسان عدَّ التخلُّفَ عن الفضيلة وأهلِها نعمةً يحمَدُ اللهَ عليها!

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

• من علامات الإيمان أن يكونَ المؤمن مع أخيه في عُسره ويُسره، لا أن يتودَّدَ إليه حال غِناه وعِزِّه، ويُعرض عنه حين انكسارِه وفقرِه.

• حسرة المؤمن تكونُ على ما فقَدَ من الأجر الجزيل، لا على ما فوَّتَ من متاع الدنيا القليل.

• فوز المجاهدِ المؤمن: الشهادةُ، أو النصرُ والغنيمة، وفوز المجاهد المنافق: النجاةُ والغنيمة.

﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾

• خير علاجٍ لداء المُثبِّطين في المجتمع أن يعملَ المخلصون بعزم وهمَّة؛ فإنه لا يَغيظُ المُثبِّطين مثلُ اندفاع المخلصين وثباتهم.

• إذا سمَتِ الغايةُ سهُلَ في طريقها بذلُ نفيس الموجود، فكيف والغايةُ الجنَّةُ ورضوانُ المعبود؟!

• البيع الرابح حقًّا هو أن يبيعَ الإنسان القليلَ الفاني، ليشتريَ الكثيرَ الباقي.

• طوبى للمجاهد في سبيل الله؛ فحياتُه ومماته ربح؛ إمَّا أن يغلبَ عدوَّه فيرجعَ إلى أهله بالأجر والنصر والغنيمة، وإمَّا أن يظفرَ بالشهادة فيعودَ إلى الله بالرضا عنه، ويا لها من غنيمة!

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا
﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي
سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ
كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ
عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ
يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ
يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ
عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ
فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

٩٠

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

• بيئة الفساد ليست أرضًا صالحة لبقاء المؤمن فيها، فلو سعى بالخروج منها إلى أرضٍ صالحة لكان خيرًا له.

• تخليص المؤمنين المستضعفين، من أيدي الكافرين الظالمين، من مقاصد الجهاد في سبيل ربِّ العالمين.

• ما أجملَ أن يكونَ الداعي عاليَ الهمَّة واثقًا بربِّه، فإذا سأل مُعينًا يُعينه، أو ناصرًا ينصرُه سأل ممَّا عند الله؛ ثقةً بحسن اختيار الله له.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

ٱلطَّٰغُوتِ: البَغي والفَساد.

• الجهاد الشرعيُّ لا يقوم براياتٍ عِمِّيَّة، وأهواء قوميَّة، وإنما برايةٍ في سبيل الله مرفوعة، و(مَن قاتلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله).

• أهل الباطل يُضحُّون ويبذلون أغلى ما يملكون في سبيل البغي والإفساد، مع تعدُّد راياتهم واختلاف أهوائهم، أفلا يكون أهلُ الحقِّ أولى منهم في كثرة البذل في سبيل الحق؟!

• شعور المجاهد بولاية الله القويِّ له يدفعه إلى الثبات والمصابرة، ويقينُه بأن عدوَّه يتولَّاه عبدٌ ضعيف مثله يحثُّه على الإقدام والمبادرة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

فَتِيلًا: الخَيط الذي يكون في شِقِّ نَواةِ التَّمر.

• جهاد النفس مقدَّمٌ على جهاد العدوِّ، فمَن انتصر على نفسه قويَ على مواجهة عدوِّه.

• مَن استعجل الأمرَ قبل أوانه، ولم يصبر عليه أوانَ حُلوله، كان ذلك أمارةً على أن استعجاله كان تهوُّرًا لا شجاعة.

• نقل الأقوالِ إلى أعمالٍ صالحة، والإراداتِ إلى أفعالٍ صادقة، من أَمارات الصدق.

• حين تغيب شمسُ أُمنيَّاتِ النهار، بظهور ليل الأخطار، حينئذٍ يبحث ذوو الحماسة الزائفة عن أعذارٍ تُعفيهم من المواجهة.

• كيف يلهو العاقل بمتاع قليل زائل، متناسيًا به المتاعَ الكثير الدائم؟ على أن ذلك القليل منغَّصٌ بالمكروهات!

• إن اشتدَّت على نفسك التكاليف، وثقُل قيدُها على قدمَي هواك، فمَنِّها بقُربِ ما تهواه من الطيِّبات، إذا صبرَت واتَّقَت.

• اليقين بعدل الله تعالى وفضله يزرع في النفس الاطمئنان، فيسعى الإنسانُ إلى عمل الخير مهما قلَّ، ويوقن بأن الله لن يُضيعَ عمله، ويحذَر من كلِّ سوء مهما صغُر؛ لأن الله سيُحصيه عليه.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾

• ليس هنالك حِصنٌ يَعزُّ على الموت ولوجُه، ولا بُرجٌ يصعب عليه اعتلاؤه؛ ينفُذ إلى قلب المقاتل من بين سيفه ودِرعه كما يسري إلى النائم من بين فِراشه وغِطائه.

• إن كان لا بدَّ من الموت المكتوب، وهو لا يأتي إلا في أجله المحسوب، فما أجملَ أن يكونَ في سبيل الله، أو في عملٍ فيه رضاه.

• إن كانت بعضُ النفوس تتسخَّط شيئًا ممَّا قضاه الله لها وقدَّره، فذلك لغفلتها عن الحكمة المستترة فيه، ولو علمَت ما وراء فعل الله لما نسبتِ الشرَّ إليه، ولا سَخِطَت قدَرَه.

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

• ذكَّر مَن يؤمن بالله إن آلمَتهُ بعضُ أقضيته أنَّ ما أصابه إنما هو من شؤم معاصيه، ومَن يزعم أن الشرَّ حصل بسبب داعي حقٍّ فأعلن له أن الأقدار كلَّها ليست إلا بيد مُدبِّرها سبحانه.

• أيها اللائمُ القدَر، المتسخِّطُ على الزمان، اعلم أنك إنما أُتيتَ من قِبَل نفسك، فأحسِن عملَك إن شئتَ أن يُحسنَ الله شأنَك.

• تبنَّت المعصية كلَّ مصيبة تحلُّ بالإنسان، حتى لَتخال أن بينهما نسبًا لا ينقطع، وتكادُ تجزم أن وحَلَ المعصية لا يدَعُ في الحياة صَفوًا إلا كدَّرَه، ولا اجتماعَ سعدٍ إلا بعثرَه.

• {وأرسلناكَ للنَّاسِ رسولًا} جملةٌ تنطِق بالرحمة والشرف؛ فقد رحم الله العالمينَ فأرسل إليهم رسولًا يهديهم، وشرَّف محمَّدًا عليه الصلاة والسلام فجعله رسولَه إليهم جميعًا.

• الإقرار بوجود الله يُفضي بالعاقل إلى التصديق بالنبوَّة، فما كان الله ليَدَعَ عبدًا من عباده يتقوَّل عليه، ثم يؤيِّده ويرفع ذكرَه في العالمين.

الجزء الخامس — سورة النساء

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ
بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ
فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ
لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ
أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ
مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ
عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣
فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا
وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ
نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ
بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦

٩١

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾

حَفِيظًا: حافظًا رَقيبًا.

• اسم الجلالة يربِّي في النفس المهابة، واستحضارُه عند الحديث عن الطاعة يرغِّب بها، ويحذِّر من مخالفتها.

• مهمَّة الرسُل وأتباعهم بَذرُ حَبِّ الهداية في قلوب الناس، وليس عليهم قطفُ ثمارها، فأيُّ أرض أبَت ذلك البَذرَ فحسابُها على بارئها.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١﴾

• وجوه شِرار الناس تلبَس لكلِّ قوم ما يَروق لهم، ووجوه خيارِ الناس لا تتلوَّن حسَب المصالح والرغَبات.

• لا يُحكَم على الناس إلا بما تنطق به ظواهرُهم، أمَّا سرائرُهم فتوكَلُ إلى بارئهم الذي يعلم خفايا الأمور، وخبايا النفوس والصدور.

• المنهج الصحيحُ في التعامل مع أصحاب الوجهين ألا يُنظَرَ إليهم ولا يُسمعَ لهم، بل يُعرَض عنهم ويُنكَر عليهم، ويُستعان بالله عليهم، وكفى به وكيلًا.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾

• لعلَّ في الحديث عن تدبُّر القرآن عَقِبَ وصفِ أعتى الأمراض وهو النفاق، تنبيهًا على أن مَن كان النفاق داءَه كان التدبُّر دواءَه.

• تدبُّر كتاب الله يصلُ بالعبد إلى درجة اليقين بأنه كلام الله؛ فإنك ترى الحِكَم والقَصَص والأخبارَ تُعاد في القرآن وتتكرَّر، وهي كلُّها متوافقة لا ينقضُ بعضُها بعضًا.

• لا يخلو كتابٌ بشريٌّ من عيبٍ ونقص، وكتبُ النقد بذلك شاهدة، فأين هي من وحي الله الذي لا تنقضي عجائبُ إعجازه وإحكامه؟!

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾

أَذَاعُواْ بِهِۦ: أفشَوه.

• كم من متسابقٍ إلى نشر الأخبار عن الأمور الكبار، دلَّ على نقص عقله، وضرَّ قومَه بفعله!

• الأمور العامَّة لا يجوز أن يستبدَّ فيها الفردُ برأيه، بل يردُّها إلى مَن يلي أمرَ العامَّة، ممَّن فرض الله عليهم طاعته.

• من أدب المجالس ألا يتقدَّمَ الطالب بين يدَي العالم في القضايا العلميَّة، وإنما يسلِّم لأهل التخصُّص تخصُّصَهم، فأقوالهم أقربُ إلى الصواب.

• لقد حُرم فضلَ الله واتَّبع الشيطانَ مَن له في كلِّ نازلةٍ قول، وفي كلِّ أمرٍ من الخوف أو الأمن بيان، ويزعُم أن نجاح الأمَّة في اتِّباعه، فأين الردُّ إلى الله ورسوله؟!

• الأدب مع أهل العلم الراسخين رزقٌ يتفضَّل الله به على مَن يشاء من عباده، والافتئاتُ عليهم خِذلان، واتِّباعٌ لسبيل الشيطان.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾

• إن شدَّةَ الكافرين على أهل الإسلام لا يمنع منها إلا شدَّةٌ تقابلها، فبها يُكفى المسلمون شرَّ الكافرين وأذاهم.

• إدراك المجاهد المؤمن لقوَّة الله وشدَّة عقوبته لأعدائه يُورثُه الاطمئنانَ والسَّكينة، وقوَّةَ الإقدام في مَيدان المعركة المقدَّسة.

﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾

مُّقِيتًا: شاهدًا وحفيظًا.

• أجرُك مرتَّب على شفاعتك الحسنة دون النظر في نتائجها، فلا يصدَّنَّك عنها ظنُّك بأنها ستُرَد.

• الشفاعة السيِّئةُ بسبب قرابةٍ أو صداقة أو مصلحة فعلٌ عظيمُ العقاب عند الله؛ لِما فيه من هضم الحقِّ ونصر الباطل.

• قد تَخفى الشفاعاتُ السيِّئة التي تقلب الحقائقَ على هيئات الرَّقابة ومحاربة الفساد، ولكن أنَّى لها أن تَخفى على ربِّ العباد؟!

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾

• إفشاء السلام شجرةٌ طيِّبة إذا امتدَّت أغصانُها نشرَت عبيرَ المودَّة وظِلالَ الأخوَّة، وأذهبَت هجيرَ القطيعة وحرَّ الضَّغينة.

• رُدَّ التحيَّةَ بمثلها أو جُد بأحسنَ منها، فما زدتَّ من الخير فهو لك مكتوب، فإيَّاك وامتطاءَ الفتور عن صالحات الأمور.

الحزب ١٠

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ
وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ
أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ
كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ
يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ
صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ
لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ
وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ
مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ
إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

٩٢

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾

• يا له من تهويل؛ بدأ باسمه العظيم، وتوحيده الجليل، وقسَمِه المؤكَّد؛ ليذكِّرنا يوم الجمع، حيث نُساق إلى الحساب سَوقًا!

• التذكير الدائم بيوم القيامة، وحقيقةِ وقوعه، وعِظَمِ ما يحصل فيه، يعظ القلوبَ ويوقظ من سِنة الغفلة، ويعينُ على المسارعة إلى مضامير الخيرات.

• إذا تدبَّر المسلم كلامَ ربِّه ازداد يقينًا بعِظَم صدقه؛ لأنه لا كلامَ أكثر مطابقةً للواقع من كلامه، ولا خطابَ أبلغ صدقًا من خطابه.

﴿۞فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾﴾

أَرۡكَسَهُم: أوقعَهم وردَّهم.

• العمل وَلُودٌ؛ فالعمل الصالح يلد مثلَه، والعمل السيِّئ ينتج مثلَه، فمن ثواب الحسنةِ الحسنةُ بعدها، ومن عقوبة السيِّئة السيِّئةُ بعدها.

• الهداية بيد الله وحدَه، وما عليك إلا السَّعيُ في إبلاغها، فاجعَل عملَك خالصًا لله وحدَه، ولا تنتظرِ النتائج، ألقِ الحبَّة ودَع لله الثمرة.

﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾

• إذا كان ما تودُّه القلوب يُترجَم عنه بالأفعال، فما الذي يُفسِّر ما نراه من نشر الرذيلة والانحلال، والإلحاد والكفر وأنواع الضَّلال؟!

• ممَّا يُعرَف به الفرقُ بين المؤمن والكافر غاياتُ كلٍّ منهما، فغاية المؤمن نشرُ الحقِّ وظهورُه، وغاية الكافر بثُّ الباطل وذيوعُه.

• موالاة الكافرين، والنأيُ عن نصرة المؤمنين، لَبوسٌ يرتديه المنافقون فيشِفُّ عمَّا تحته من قُبح الكفر، وكلُّ مَن التحفَ به كان عاريًا عن الإيمان.

• لا ولايةَ بين مؤمنٍ وكافر؛ لأن الولاية تقتضي النُّصرةَ والمحبَّة، وحسنَ الرأي والتماسَ الأعذار.

• ترك موالاة الكفَّار واستنصارِهم يعدُّ من عُرى الإيمان الوثيقة، ومن براهين الأفهام الصحيحة العميقة؛ لأن الله تعالى نهى عن موالاتهم، وطلبِ النُّصرة منهم.

• إنما تكون الولايةُ والنصرة حيث يُرتجى النفع، فما الذي ترتجيه ممَّن يُضمِر لك العداوة، ويودُّ لك أشدَّ أنواع الضَّرر؟!

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾﴾

حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ: ضاقت وكرِهت مُقاتلَتكم.

• يُمهل الإسلامُ المتردِّدين الذين تختلجُ في صدورهم مشاعرُ متناقضة، ومراداتٌ شتَّى، فهؤلاء يُؤخَذون باللُّطف؛ عسى رحمةٌ تشملُهم فيغلِب خيرُهم شرَّهم.

• اختيار الإسلام للسِّلم حيثُما وُجدَ لا يتعارضُ مع منهجه الأساسيِّ، فمتى امتدَّت إليه يدٌ صادقة تريد الأمان غيرَ متلفِّعةٍ بالغدر فإنه يصافحها، ويُوفي عهدَه لها.

• الأمر كلُّه بيد الله، يحكم بما يشاء، في الحرام والحلال، وما على العبد إلا الامتثالُ دون تردُّد، فمتى أمرَه بالجهاد فعَل، أو بالكفِّ امتثَل.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾﴾

ٱلسَّلَمَ: الاستِسلامَ والانقياد.

أُرۡكِسُواْ فِيهَا: وَقعُوا في أسوأ حال.

ثَقِفۡتُمُوهُمۡ: وَجدتُّموهُم.

• المنافقون ليسوا صِنفًا واحدًا، وهم مع اتِّفاقهم على كُره الإسلام ومعاداته يختلفون في الأحكام الشرعيَّة الدنيويَّة، حيث خصَّت الشريعة كلَّ فريقٍ منهم بحُكم.

• مَن رامَ الجمعَ بين عهد المسلمين ومناصرة عدوِّهم فقد رامَ الجمعَ بين العهد والنَّكث، لكن مَن اعتزل سَلِم.

• كلُّ إنسان غيرِ صادق الإيمان لا يلبَثُ أن يتقلَّب في الفتن من حالٍ سيِّئ إلى أسوأَ منه، ومَن رُزق عاصمَ التوفيق أمسك جِماحَ نفسه عن موارد الفتنة.

• ليس المؤمن بالخِبِّ ولا يدَعُ الخِبَّ يخدعه، بل هو الحذِر الفَطِن، ولا سيَّما في تعامُله مع مَن يظنُّ فيهم الخبثَ والمكر.

• سلوك المؤمن مرتبطٌ بأحكام الله وتشريعه، فلا سلطانَ لرغبةٍ ولا شهوة ولا نزغة أمام سلطانه سبحانه.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾

• دم المسلم عزيزٌ عند الله تعالى أن يُراق بغير وجه حقٍّ، والأخوَّة بين المؤمنين أوثق من أن يستهين أحدُهم بدم أخيه.

• الخطأ في الدماء ليس بالأمر الهيِّن، كبعض الأخطاء التي يُتسامَح فيها؛ فلذلك جاء التشديدُ فيه؛ حفظًا للنفوس، وصيانةً لحقِّ الحياة.

• مَن كان سببًا في إزهاق نفسٍ معصومة خطأً فعليه أن يردَّ معاني الحياة الحُرَّة إلى نفسٍ فقدَتها بالرِّق، فإن أعتقها أعتقه الله من رِقِّ الذنب.

• لعلَّ الله ينظر إلى من يُعتق رقبةً مؤمنة من رِقِّ العبودية فيُعتق رقبتَه من رِقِّ الذنب في الدنيا، والنارِ يوم القيامة.

• من حِكَم إيجاب الدِّية في القتل الخطأ تسكينُ ثائرة النفوس الموجوعة، وشراءُ الخواطر المفجوعة، وتعويضُ أقاربِ القتيل ما فاتهم من منافعه والسرور بحياته.

• سمَّى الله تعالى العفوَ صدقة؛ لأنه صدقةٌ على القاتل تحُطُّ عنه ثِقَل الدِّية، وصدقةٌ من الأولياء على أنفسهم يرجون بها الأجرَ والذِّكر، وصدقةٌ على المجتمع بإشاعة روح العفو بين المسلمين.

• المسلم رفيعُ القدر عند الله؛ فلذلك حفِظ الإسلامُ حقَّ حياته ولو كان بين قومٍ كافرين.

• رعى الإسلام العهودَ حقَّ الرعاية، وحفظ للمُعاهَد الكافر دمَه، وأنصف أهلَه إذ أوجب لهم الدِّيَة ممَّن قتله خطأً، فإذا كان هذا في حقِّ مَن قُتل خطأً، فكيف بمَن يقتُل المعاهَد عمدًا؟!

• من رحمةِ الإسلام بالعباد مراعاتُه أحوالَ المذنبين بتنويع الكفَّارات عليهم، حيث يسَّر سُبلًا مختلفة للتخلُّص من تبِعات المعاصي المترتِّبة عليها الكفَّارة.

• الصيام مَطهرةٌ للنفوس، ومَحرَقةٌ للذنوب، فهو يزكِّي النفسَ من أدرانها، ويخلِّصها من آثامها، ويغسل عنها آثار معاصيها.

• كلَّما همَّت نفسُك بالوقوف عند مشقَّة القيام بالأوامر، والتَّواني عن تكاليفها، فقِفْها على إدراك علم الآمر بها، وحكمتِه من تشريعها، فبعلمه أمرَ بها، وبحكمته شرَعها.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

• القتل العمدُ للنفس المؤمنة هو الكبيرةُ التي لا تكفِّرها ديةٌ مسلَّمة، ولا عتقُ رقبةٍ مؤمنة، وإنما يُوكَل جزاؤها إلى الله الحكَم العدل، فيا ويلَ قاتلِ المؤمنين، من غضب ربِّ العالمين!

• قتل المؤمن عمدًا لإيمانه، أو استحلالًا لدمه، يُورِد صاحبَه جهنَّم ويخلِّده فيها، مع غضب الله عليه، وإحلالِه لعنتَه به، وإعدادِه العذابَ العظيم له، ما لم يتُب توبةً صادقة قبل مماته.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾

ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ: خرجتم في الأرض مجاهدين.

عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ: متاعَها الزَّائل، والمقصود هنا: الغَنيمة.

• لا تشُقَّ عن قلوب الناس، ولكن خُذ بظاهر ما يفعلون، فمَن أظهر الإسلام فلا تكذِّبه، أو قام بشرائعه فلا تتَّهِمه، حتى تقومَ البراهين اليقينيَّة على خلاف ذلك.

الجزءُ الخامس — سورةُ النِّساء

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ
لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا
فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

٩٣

• منهج المؤمن بناءُ الأحكام على اليقين، فإن تيقَّن أقدَم، وإن اشتبهَت عليه المسائلُ أحجَم.

• إن كانت تحيَّةُ الإسلام توجب الأمانَ لمُلقيها، فكيف بما فوق ذلك؟! وكم مستحلٍّ لدم مسلمٍ وهو يراه في صلاةٍ وصيام، وربَّما في دعوةٍ وجهاد!

• ما كان الدافعُ إلى الجهاد المشروع يومًا عرَضًا دنيويًّا، بل فَواتُ كنوزِ الأرض جميعًا خيرٌ للمؤمن من أن يَلقى الله بدمِ مسلمٍ معصوم.

• ما يجلبُه التثبُّت من وافر المغانم الدنيويَّة والأخرويَّة خيرٌ للمرء ممَّا يفوته من عرَض الدنيا عند استعجاله إيَّاه، وتركه الأناة فيه.

• جميل بكَ وأنت تعاتب أخاك على تصرُّفاته غير القويمة ألا تنسى أنك قد تكون يومًا من الأيام فعلتَ فعلَه، ثم عوفيتَ من ذلك، فإنه أدعى إلى الإنصاف معه.

• العبد محتاجٌ إلى ما يذكِّره بمراقبة الله، ولزومِ حدوده، وإن كان في جهادٍ وطاعة؛ حتى لا تجمَحَ نفسُه فيَنِدَّ منها ما يُفسد العمل.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن
يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن
يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ
وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي
الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

٩٤

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾

• الجنَّة درجاتٌ بعضُها فوق بعض، يرتقي المسلم فيها بحسَب ما يبذُله من نفسه وماله في سبيل الله، ومَن قُدِرَ عليه رزقُه أو قعد به سقمُه، فبحسَب نيته وشوقِ طويَّته.

• لا يُمنع أجرُ الجهاد عمَّن نواه صادقًا فأقعدَه عنه ضررُه، وحبسَه عذرُه، قال رسول الله ﷺ: (إذا مرض العبدُ أو سافر كُتب له من العمل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا).

• أكرمَ الله المجاهدين في سبيله بفضلين: فضلِ الدنيا بالغنيمة والظَّفَر والذِّكر الجميل، وفضلِ الآخرة بالدرجات العالية والمنازل السامية، فما أعظمَه من فضل!

• التفضيل لا يعني ازدراءَ المفضَّل عليه، ولكنَّه يعني ظهورَ الزيادة لدى المفضَّل؛ لأنهما قد يتَّفقان في النهاية، وإن تفاوتا في المنزلة.

﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

• كيف يكون العطاء إذا كان مانحه هو الربُّ الغنيُّ الكريم الحقُّ سبحانه وتعالى؟

• ما تنفكُّ النفس مهما بلغت من الجهاد والاجتهاد بحاجةٍ إلى مغفرة الله ورحمته، فهما علاجُ ما يطرأ عليها من أمراض الضعف والحرص والتقصير في مواجهة التكاليف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

• العبرة بالخواتيم، وإن الخاتمة هي آخرُ محطَّات الحياة وأخوفُها؛ لأنها ترسم بعضَ ملامح المستقبل الأخروي، فسَلِ الله تعالى حسنَ الخاتمة، والوفاةَ على الإيمان.

• مَن قعَد به عن الهجرة إلى دار الإسلام خوفُه على دنياه، فقد ظلم نفسَه بحرمانه إيَّاها الحياةَ الكريمة في دار المسلمين، وإلزامِه لها حياةَ الذلِّ بين ظهرانَي الكافرين.

• الاعتذار بالضعف مع وجود المخرَج والاستطاعة ذنبٌ عظيم، يُحاسَب عليه صاحبُه، ويُلام عليه فاعلُه.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾

• الإسلام دينٌ واقعيٌّ يُراعي أحوالَ الناس فلا يكلِّف نفسًا إلا وُسعَها.

• قد يفعل اثنان فعلًا واحدًا، ولكنَّ الحكم عليهما يختلف بمعرفة الأسباب والموانع، فيُعذَر ذوو العجز عن الهجرة، ولا يُعذر القادرون عليها.

﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

• سمَّى الله نفسَه (العفُوّ) فوسِعَ عفوُه فئامًا من الرجال والنساء والولدان غلبهم الضعفُ وقلَّة الحيلة، فسبحانه من عفوٍّ غفور!

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

مُرَاغَمًا: مهاجرًا ومكانًا يُتحوَّل إليه.

• إن المؤمن ليُرضي ربَّه بمُراغَمة عدوِّه، ويتقرَّب إليه بإغاظته، ولا يصلُح في قلب امرئٍ التزلُّف إلى وليِّه إلا بالتبغُّض إلى عدوِّه وهِجرانه.

• رزقُك يسعى إليك كما تسعى إليه، فلا يُسوِّلنَّ لك الشيطان أو تُوهمنَّك نفسُك أنه مرهونٌ بأرض، أو مقيَّد بحال، أو مرتبط بمُلابسات لا تنفكُّ عنه.

• لله كم تنفع النيَّةُ صاحبَها إذا نوى الخير، وبذلَ ما يستطيع من الوسائل للوصول إليه، فمتى صدقَت نيَّته وقع أجرُه، سواءٌ وصلَ إلى غايته أو حالت دونَه الحوائل.

• أرأيتَ ما عند الله تعالى من المغفرة والرحمة؟ إن الأجر لأقربُ إلى العبد وألصَقُ به من العمل الذي يستوجبه ذلك الأجر، ولكن إذا صفَت نيَّته، وخلَصت سريرتُه.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

يَفْتِنَكُمُ: يعتديَ عليكم.

• الصَّلاة صلةٌ بين العبد وربِّه، لا تقبل القطعَ إلا بذهاب مُوجِبها وهو العقل، وإن العبد لأحوَجُ ما يكون إلى تلك الصِّلة في موطنٍ هو مَظِنَّةُ فراقِ الدنيا، والإقبالِ على الآخرة.

• لو كانت الصلاةُ تسقط عن المكلَّف في حالٍ من الأحوال لسقطَت عن المجاهد في ساحة حربه، وعن المسافر في عناء سفره.

• لا تصدِّق ألسنةَ الكافرين المحاربين، وقد كشفَ عن قلوبهم ربُّ العالمين، فمعسولُ كلامِهم لا ينسخُ خبرَ خالقِهم سبحانه.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾

مَّيْلَةً وَٰحِدَةً: حملةً واحدةً ليقضوا عليكم.

• المربِّي الناجح قريبٌ من الناس، يعيش معهم مُرشدًا معلِّمًا، ومصحِّحًا مقوِّمًا، إنه طبيبٌ بصيرٌ إن هجمَ السُّقمُ بادرَ إلى علاجه، فعادت إلى الحياة عافيتُها.

• إنه الحرصُ على الصلاة في ساحة المعركة، والصلاةُ من أنجع أسلحة المعركة، فلا بدَّ من تنظيم استخدام هذا السلاح بما يناسبُ طبيعة المعركة.

• لو صلَّى المجاهدون كلُّ فرقةٍ بإمام لكان أوفق لهيئة الصلاة، ولكن جُمعوا على إمام واحدٍ من أجل اجتماع كلمتهم، ولما فيه من الهيبة والعزَّة.

• بالصلاة يدحر المسلمُ عدوًّا يحاول التغلُّبَ على دينه ونفسه، وبالسلاح يهزم عدوًّا يبغي السيطرة على دينه وأرضه، فهو يعدُّ لكلِّ معركة عُدَّتها.

• إن أعداء الإسلام حريصون على إضعاف المسلمين، وعلى أن تكونَ الشوكة لهم من دون المؤمنين؛ إن في قلوبهم من شدَّة الغيظ ما يودُّون معه الإجهازَ على المسلمين في أقرب فرصةٍ ممكنة.

• الغفلة عن واقع العدوِّ ومخطَّطاته يُعطيه الفرصةَ للانقضاض على خصمه بأسهل الطرق، وقد يكون في ذلك القضاءُ عليه مرَّة واحدة.

• يأمر الإسلامُ أهلَه بأخذ الحيطة والحذَر، وعدم إلقاء النفس في التَّهلُكة والخطر، لا تخويفًا لهم من عدوِّهم، ولكن تأمينًا لهم من فجأة الضَّرر.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾

كِتَٰبًا: مكتوبًا مفروضًا.

مَّوْقُوتًا: محدَّدًا في أوقاتٍ معلومة.

• الصلاة اتِّصالٌ بين الخالق والمخلوق، فإذا قُضيت فإن قضاءها لا يعني تركَ الصِّلة بالله، ولكنَّه انتقالٌ من ذكرٍ إلى ذِكر، ومن صلةٍ بالله إلى صلةٍ أخرى، وتنويعُ العبادة يُورث في القلب حُبَّها.

• تشريع الصلواتِ الخمس في أوقاتٍ معلومة يربِّي المسلمَ على النظام ودقَّةِ المواعيد، فما أعظمَ هذا الدينَ الذي يعلِّمنا تنظيمَ حياتنا بامتثال شعائر ديننا!

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ: طَلَبِ العَدُوِّ.

• أمرَ الله المجاهدين بالصلاة وإدامةِ الذِّكر؛ ليكونَ ذلك عونًا لهم على ما أمرَهم به من الثبات، وما نهاهم عنه من الوهن أمام العدوِّ.

• المتحاربون تجمعُهم الآلام، وتفرِّقُهم الآمال، وكلُّهم يمتطي الصبر وسيلةً إلى غايته، فهل يكون أهلُ الباطل أصبرَ من أهل الحقِّ؟

• لو استحضرتَ ما عند الله من النصر والكرم، والعزِّ واللطف، وأنت تعمل لأجله، لهانَ في عينيك كلُّ ما تلاقيه في سبيله.

• مَن علم اللهُ منه حُسنَ القصد والاستجابة لأمره، وطلبَ الخير من أجله، وفَّقه وأيَّده، وأحكم أمرَه وسدَّده، في فعاله ومقاله، ومَن علم منه خلافَ ذلك خذله ووَكَلَه إلى نفسه.


الجزء الخامس
سورة النساء
وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ
وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى
ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾
٩٥

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾

لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا: مُدافِعًا عنهم.

• أنزلَ الله الكتابَ بالحقِّ؛ ليكونَ به حُكم الخلق، فلا حُكمَ في الشرع المنزَّل بآراء البشر المخالفةِ لهذا الكتاب، فما وافقه منها فهو الحقُّ، وما خالفه فهو الباطل.

• الوحي علمٌ يقينيٌّ لا يتطرَّق إليه شكٌّ البتَّة، فهو بمنزلة الرؤية في الظهور والقوَّة، فمَن استنار به وضَحت له السُّبل، ومَن عَشا عنه تحيَّرَ في كلِّ واد.

• من منهج الأنبياء العدلُ في الأحكام، وتركُ محاباة الأنام، والالتزامُ بحُكم الله عزَّ وجلَّ، ورفضُ المجادلة عن كلِّ خائن، والبعدُ عن مجاملة كلِّ عاصٍ.

• مَن سلَّمه الله عزَّ وجلَّ من جناية الخيانة، فليُنزِّه لسانَه عن الدفاع عن الخائنين؛ فإن تركَ الخيانة لا يكون إلا بترك أهلها.

وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ
جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ
سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً
أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا
﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ
أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾

٩٦

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾

• ينبغي لمَن يحكم بين الناس بقضاءٍ أو فتوى أن يستغفرَ قبل حُكمه طلبًا للتوفيق، وأن يستغفرَ بعد حُكمه جبرًا للتقصير.

• لا تنقطع عن الاستغفار أبدًا وإن ظننتَ بنفسك خيرًا، فإن لم يكن لطلب مغفرة الذنب، فليكن طلبًا لجميل السَّتر.

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧﴾

يَخۡتَانُونَ: يخونون أنفسَهم بالمعصية.

• العصاة المجرمون إنما يخونون أنفسَهم قبل غيرهم، فإذا كان هذا فعلَهم بأنفسهم، أفيستحقُّون أن يُجادَل عنهم؟!

• يكفي الخيانةَ ذمًّا أن الله لا يحبُّ أهلَها، فمَن أحبَّ اللهَ تعالى وافقه في حبِّه وبغضه.

﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨﴾

يُبَيِّتُونَ: يُدبِّرون ليلًا.

• من العجيب أن يخافَ العبد مخلوقًا يُقبل عليه وينصرف عنه، ويستهينَ بنظر الخالق المحيط به، الذي لا يغيب عنه لحظة!

• إذا كان حياءُ المرء من الناس محمودًا فإن حياءه من الله أحمَد.

• كيف تطاوع المؤمنَ نفسُه أن يخلوَ بمعصية الله تعالى، ويخادنَها الزمنَ الطويل، وهو بها مسرور؟!

• يُمهل الله تعالى عبادَه وهم يتمادَون في معصيته، وهو يحيط بهم علمًا وقدرة، لا يغيب عن علمه شيء، ولا يُعجز قدرتَه شيء، فسبحان القدير العليم!

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩﴾

• قد يجادل المرءُ عن صاحب باطلٍ ليُخرجَه من مأزقٍ دنيوي، لكنَّه بذلك يُدخله يوم القيامة مأزقًا أصعبَ منه، فأين المجادلُ عنه هنالك؟

• ليس السموَّ والفضل أن تدافعَ عن الناس، وإنما أن تتَّقيَ الله في جدالك عنهم، فإذا أحققتَ الحقَّ وأزهقتَ الباطلَ فهذا هو الشرف.

• من أعظم ما ينفع العاقلَ تدبُّره العواقبَ؛ فلا تغرُّه المصلحةُ الحاضرة ولا الراحةُ العاجلة، التي تورثه شرَّ المصائب والمعاطب.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾

• لا أحدَ أرحم من الله تعالى؛ يعصيه عبادُه فيدعوهم إلى التوبة بين يدَيه؛ لكي يرحمَهم ويُكرمَهم، ولا حاجبَ يُنظرهم إذا راموا الدخولَ عليه، ولا يحتاجون إلى واسطةٍ إذا أرادوا شيئًا لديه.

• لم يقل لمَن عمل سوءًا ثم استغفر: (سيغفرُ الله له)، بل اكتفى بإثبات المغفرة والرحمة صفتَين ثابتتَين له، فقال: ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ وكفى بها جوابًا.

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١١﴾

• كلُّ إنسان مسؤولٌ عن أفعاله، ما عمل من خير فله، أو شرٍّ فعليه، لا يجني على غيره، ولا يجني عليه غيرُه، فكلُّ نفس بما كسَبَت رهينة.

• الإثم مُستعلٍ على فاعله، مستولٍ عليه، قاهرٌ له، تثقُل به أحمالُه، وتنوءُ به أثقالُه.

• الله يعلم دقيقَ أعمال عباده وجليلَها، لا يَعزُب عنه شيءٌ منها صغيرها وكبيرها، ولعلمه وحكمته لا يجازي أحدًا إلا بمقدار خطيئته.

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢﴾

• مِن دَغَل النفوس الشرِّيرة أن ترتكبَ الجريرةَ وتتنصَّلَ منها برميها على النفوس البريئة، فيا له من جُرمٍ عظيم تجاوز الأخلاق!

• من أسوأ الأحمال حِملُ البهتان، الذي يقصِم ظهرَ صاحبه ما بقيَ على مَتنِه من غير غُفران.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾

• سَلِ الله تعالى مقلِّبَ القلوب أن يثبِّتَ قلبك على دينه؛ فإنك ما اهتديتَ إلى الحقِّ إلا بفضله عليك، فلا تأمن على نفسك الحَوْرَ بعد الكَوْر، والضلال بعد الهُدى.

• إضلال المرء غيرَه عائدٌ على نفسه؛ إذ لا يمكن أن يَضُرَّ مَن هدى الله ممَّن اعتصم بالله تعالى ووحيه، مهما اجتهد في إضلاله وإغوائه.

• اعتصِم بالكتاب والسنَّة حقَّ الاعتصام تَنجُ من كلِّ ضلال؛ فإن القرآن والسنَّة أصلُ الهداية.

• لكلِّ مُتباهٍ بعلمه، مُتعالٍ بفهمه، متكبِّرٍ على بني جنسه: اعلم أن كلَّ ما لديك، إنما هو من فضل الله عليك، فبماذا تفخَر؟ وعلامَ تزهو وتبطَر؟!

الحزب ١٠

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ
وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

٩٧

﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

نَجْوَىٰهُمْ: حديثهم سِرًّا.

• استثمر مجالسَك الخاصَّة في العمل الصالح، والقول المفيد الناصح، واجعل لدينك ما تعمله في إسرارك وإعلانك.

• ما أكثرَ كلامَ المجالس الذي تفوح منه رائحةُ الإثم، ويُزري به الفُضول! كلُّ ذلك شرٌّ لا خيرَ فيه، فانتقِ من الكلام أطيبَه، وإلى الله أقربَه.

• مَن ظنَّ أن الأمر بالمعروف وَقفٌ على الدعاة والخطباء، وأربابِ القنوات والهيئات، فقد حجَّر من الخير واسعًا.

• إرادة الرِّياء في العمل الصالح إماتةٌ لروح العمل، وحُبوطٌ للأجر، فمَن أخلصَ لله نيَّته في سرِّه وعلنه فقد استحقَّ الثواب العظيم.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾

يُشَاقِقِ: يُخالِف عِنادًا.

نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ: نَترُكُه وما توجَّهَ إليه.

• لا تظنَّنَّ كلَّ مَن خالف رسولَ الله ﷺ يجهل ما جاء به من شريعةٍ قويمة وهَدْيٍ سديد، فكم من مخالفٍ إنما يحمله على باطله العِناد!

• لا يشِذُّ امرؤٌ عن جماعة المسلمين إلا وَكَلَه الله إلى ما ذهب إليه، وكان خِذلانُه بمقدار ما اشتطَّ في بِعاده.

• إجماع علماء المسلمين المعتبَرين حُجَّة، واجتماعُهم على مسألةٍ ما من براهين الحقّ.

• طريق السنَّة واضحُ دربه، وكلُّ طريق سواه فإنه يضادُّه في صفاته، كما يضادُّه في ثمراته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾

• أنَّى لطريقين أن يلتقيا؛ وأحدُهما ينطلق إلى أعلى ما في الوجود وأسماه، والآخرُ يغوص إلى أدنى ما في الكون وأخزاه؟

• افترى المشرك بدعواه إثمًا عظيمًا، وضلَّ بالعمل بما ادَّعاه ضلالًا بعيدًا، فهو مُفترٍ ساء اعتقادُه فساء سلوكُه.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾

إِنَٰثًا: أصنامًا، كاللّاتِ والعُزّى ومَناة.

مَّرِيدًا: مُتمَرِّدًا عاتيًا.

• من ألاعيب الشيطان بالمشركين أن جعلهم يُخضِعون وجوهَهم لأوثانٍ مؤنثة، وقد كانت تلك الوجوه تسوَدُّ إذا ما بُشِّرت بمولودٍ أنثى!

• الدعاء هو العبادة، ولهذا عبَّر عن العبادة هنا بالدعاء، وجعل طاعتَهم أمرَ الشيطان عبادةً له، وهكذا كلُّ طاعةٍ على سبيل التذلُّل والتعظيم، هي عبادةٌ للآمر بها.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾

نَصِيبًا مَّفْرُوضًا: جُزءًا معلومًا.

• ما الذي يجنيه مَن أطاع الشيطان؟ سوى أنه وضع رحلَه حيث تتنزَّل اللعَنات، فلا هو نفع نفسَه بطاعته شيطانَه، ولا دفع عن نفسه سوءَ العذاب بمعصيته ربَّه.

• إن كان إبليسُ قد قطع عهدًا على نفسه بإضلال العباد، فكيف يلتمس المرءُ في موالاته سبيلَ الرشاد؟!

• عَلِمَ اللعينُ أن عباد الله المخلَصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانُه على مَن تولّاه، وآثر طاعتَه على طاعة مولاه.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾

فَلَيُبَتِّكُنَّ: فليُقطِّعُنَّ وليَشُقُّنَّ.

• لا حِيلةَ لإبليسَ في الإضلال أقوى من إلقاء الأمانيِّ الباطلة في قلوب الخلق.

• لم يزل إبليسُ بالناس حتى زيَّن لهم الضلال، فصاروا يبتغون الجنَّة بعمل أهل النار.

• لا يتَّخذُ عقلاءُ الناس الشيطانَ وليًّا من دون الله، إلا أنهم بطاعتهم له طاعةَ الوليِّ، وتركِ ما أمرَهم به ربُّهم قد اتخذوه وليًّا من دون خالقهم.

• أيصحُّ في أذهان أولي الألباب أن يتولّى المرءُ مَن لا تعود ولايتُه عليه إلا بالضَّرر، ويدَعَ موالاةَ مَن لا غِنى له عنه طرفةَ عين؟

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾

• لا يزال الرجلُ يجري وراء شهَواته حريصًا عليها، والشيطانُ من خلفه يُمنِّيه النجاة من عواقبها ويُطمئنه إليها، حتى يُهلكَه بها.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

• بئس المأوى النارُ لمَن أسلموا قيادَهم للشيطان؛ لا يستطيعون الهربَ منها، ولا الخروجَ عنها!

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٍ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ
وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ
أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ
مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ
فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ
وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

٩٨

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾

• ما أجملَه من منزلٍ لم تبنِه أيدي البشر! نعتَه سبحانه لعباده بأبدع النعوت، وأخبرهم أن ساكنه يُنعَّم فيه أبدًا، فأيُّ عرضٍ أعظم من هذا؟ وأين المشمِّرون؟

• لو أوقفتَ مؤمنًا صادقَ الإيمان على الوعدين، فهل سيفكِّر لحظةً أيُّ الوعود أصدق؟ أوَعدُ الله لأوليائه، أم وعدُ إبليسَ لقرنائه؟

﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾﴾

• الإيمان قولٌ وعمل، ولو كانت الأمانيُّ توصل أهلَها إلى غاياتهم لما عمل العاملون، وضحَّى لأهدافهم المضحُّون.

• الوعيد بجزاء السيِّئة يدعو العاقلَ إلى المبادرة بالتوبة قبل سَبقِ المؤاخذة، فهل من عاقلٍ يسمع الوعيدَ ويستمرُّ فيما يسوقه إليه؟

• إن المؤمنَ لا تصيبُه مصيبةٌ إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، فمَن تكاثرت عليه المكدِّرات، فليُراجع سِجلَّ السيِّئات.

• إذا نزلت بك المصائبُ جزاءَ ذنوبك، فاصبر لها؛ فإنها نعمةٌ من الله تكفِّر سيِّئاتك، أو ترفع درجاتك وتزيد حسناتك.

• إذا تخلَّى اللهُ عن نصرة العبد وعونه، وحمايته والدفاع عنه، فمَن يرجو بعد ذلك، ومَن ينجيه من المهالك؟!

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾﴾

نَقِيرًا: قليلًا؛ كالنُّقرة وهي الحفرةُ في ظهرِ النَّواة.

• عَلِمَ اللهُ أن عبادَه المؤمنين لن يُطيقوا عملَ الصالحات كلِّها؛ فقال: {من الصالحات}، ووعدَهم الجنَّة عليها، فضلًا منه وكرمًا.

• إن الجنَّة منالٌ سامٍ لا يُنال بالمُنى، بل بعمل الصالحات، فمَن جدَّ للعمل وجد لعمله ثوابًا.

• إنما مثَلُ الأعمال دون إيمانٍ كأغصانِ شجرةٍ قُطع أصلُها، فهل تحيا شجرةٌ لا جذرَ لها ولا ساق؟

• إن الله عدلٌ لا يظلم عبادَه، فلا يخافنَّ عاصٍ من زيادة سيِّئة لم يفعلها، ولا يَفزعنَّ طائعٌ من نقصان حسنة فعلها.

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾﴾

أَسْلَمَ: انقادَ واستَسلَم.

حَنِيفًا: مائلًا عن الشِّركِ إلى التَّوحيد.

• توجَّه إلى الله بكُليَّتك، واجعل له وحدَه عبادتَك، وأحسن في عبادته، وأحسن إلى عباده، تكُن أحسنَ الناس دينًا.

• إنك لو عرضتَ الإسلامَ على أكمل العقول لاستحسنَته، أو على أطهر الفِطَر لاستطابَته، فما بلغ حُسنَه دينٌ ولا كمالَه شرع، فكيف يقبل الله دينًا سواه؟

• بلغ إبراهيمُ عليه السلام بصالح عمله وإخلاصه القُربى من الله، وارتقى إلى أعلى مقاماتها، فإن كانت نفسُك تهفو إلى المنازل العليا، فبهُدى إمام الحنفاء اقتدِه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾﴾

• الإيمان بتمام مُلك الله عزَّ وجلَّ، وإحاطتِه بكلِّ شيءٍ قدرةً وعلمًا، يبعث على المراقبة والإخلاص وإحسان العمل، وهذا من آثار الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى.

﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾﴾

• إنه تكريمٌ من الله تعالى لأمَّة الإسلام؛ فهو يخاطبها بذاته، ويرعاها بعينه، ويُفتيها فيما تستفتي فيه؛ لإصلاح حياتها معه، ومع خَلقه.

• يسأل الناسُ عن بعض أمور النساء، فيجيبُ عن سؤالهم خالقُ الأرض والسماء، فأيُّ تكريمٍ لهنَّ، وأيُّ تعظيمٍ لحقوقهنَّ؟

• أرأيتَ كتابًا يُعنى بالنساء، ولا سيَّما اليَتامى منهنَّ، اللواتي اجتمع فيهنَّ ضعفُ الأنوثة وفقدُ العائل؛ كالذي تراه في كتاب الله تعالى؟!

• جعل اللهُ المهرَ حقًّا مفروضًا للمرأة، فإن نقَصَ وليُّها من حقِّها فقد ظلمها، وما إغفالُه أو منعُه في بعض الأعراف المعاصرة إلا عودةٌ إلى سَنَن الجاهليَّة الغاشمة.

• صنائع المعروف أيًّا كان نوعُها؛ مع الضعفاء من الوِلدان واليَتامى والنساء، مُستحسَنةٌ في الشرع ومرغَّب فيها.

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ
وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟
بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا
كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن
قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا
﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ
ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

٩٩

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾

نُشُوزًا: ترفُّعًا وانصرافًا عنها.

وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ: جُبِلَت النفوسُ على الحِرص والبُخل.

• العاقلُ مَن يسعى إلى الإصلاح، مرتديًا لأجله أثوابَ المسامحة، خالعًا أرديةَ استقصاء الحقوق؛ لأنه لا يطلب مطلوبَه من العدالة بمقدار ما يبغي مطلوبَ ربِّه من الإحسان.

• في النفس طِباعٌ تبعد صاحبَها عن الحقِّ؛ كالبخل بما لها، والاستشرافِ لما لغيرها، ففي الأوَّل تَرومُ كاملَ حقِّها، وفي الثاني ترغب في التفضُّل عليها.

• الإبقاء على عِصمة الزوجيَّة مع التقوى وحُسن العِشرة، والإغضاء عن بعض جوانب القصور والعيوب، وهضم النفس عن بلوغ أهوائها المباحة؛ إحسانٌ نُدِبَ المرءُ إليه.

• لا يضيع إحسانُ محسنٍ مخلص أو تقوى متَّقٍ في علاقته الزوجيَّة، والله خبيرٌ بما تعمله كلُّ نفس، وخبيرٌ ببواعثه وكوامنه.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾

كَٱلْمُعَلَّقَةِ: كالتي ليست بذاتِ زَوجٍ يقوم بحقِّها، ولا غير ذاتِ زَوجٍ فتتطلَّع للزَّواج.

• إن الذي فطر النفسَ البشريَّة يعلم أنها ذاتُ ميولٍ لا تملكها، ومن ثَمَّ أعطاها خِطامًا يضبطها دون أن يُعدمَها، وهو: العدلُ في المعاملة.

• مَن مال عن زوجته كلَّ المَيل فقد جنى عليها، فلا هو ملَّكها أمرَها لتسعى في مصلحتها، ولا هو رعاها ليضعَها منه الموضعَ الذي ينبغي لها.

• إذا كان العدلُ بين النساء غيرَ مستطاع، لم يكن بُدٌّ من إصلاح ما قد يقع من الأخطاء، واستحضار تقوى الله تعالى.

• الإصلاح الذي ترافقه تقوى الله تعالى طريقٌ إلى نيل مغفرته سبحانه ورحمته؛ لما له من أثرٍ حسن في جمع القلوب وتآلفِ النفوس، وإعادةِ صفاء الحياة الزوجيَّة بعد تكدُّره.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

• لا يُوثِق الإسلامُ عُرى الزوجيَّة بالحبال، ولكن يجمع بين الزوجين بالمودَّة والرحمة، أو بالواجب والتجمُّل.

• فضل الله واسع، فلا ييئسَنَّ أحدٌ فاتته مصلحةٌ دنيوية من رحمة الذي بيده الخيرُ كلُّه؛ فقد يكون الخير في استمرار العَلاقة الزوجيَّة، وقد يكون في خلاف ذلك، وفي الرضا بالقضاء خيرُ الحياة.

• في اليقين بسَعة فضل الله عِوضٌ عند فوات مصالح الزوجيَّة، وفي العلم بحكمة الله سُلوانٌ يُذهب آلامَ الفِراق.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾

• سبحان ربِّنا، ملَك كلَّ شيءٍ خَلقًا وتدبيرًا، أفلا يملكه أمرًا ونهيًا، وطاعةً وتسليمًا؟!

• أوصى اللهُ بالتقوى أهلَ الكتاب، وجعلها في شريعتنا في كلِّ باب، فهي وصيَّةٌ مستمرَّة، لم يلحقها تبديلٌ ولا نسخ ولا تحويل.

• تعالى الله المجيد، هو الغنيُّ عن خلقه، ولا يخرج شيءٌ عن مُلكه، لا يزداد جلالُه بالطاعات، ولا تنقُص عظمتُه بالسيِّئات؛ مَن عبدَه شكر له، ومَن كفر به لم يضرَّ إلا نفسَه.

• لئن كان الغنيُّ لا يُمدح إلا بمقدار ما يَمنح، فإن الله حميدٌ في ذاته وصفاته، حميدٌ إن أعطى وإن منع؛ لأن ذلك قائمٌ على علمه وحكمته.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾

• من تمام الوكالة تدبيرُ الأمور على وجه الحكمة؛ لأنها تستلزم العلمَ بما هو وكيلٌ عليه، ثم القوَّة والقدرة على تنفيذه على وجه المصلحة.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾

• أيها الطائع، طاعتُك لنفسك وربُّك غنيٌّ عنها، أيها العاصي، معصيتُك على نفسك ولا تضرُّ ربَّك بها، ولكن ما أهونَ العبادَ على الله إذا أضاعوا أمرَه!

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

• سَلِ اللهَ خيرَ الدارين، ولا تقصُر همَّتَك على طلب نعيم الدنيا؛ فإنه البائد، ولكن انظر إلى ما وراءه من نعيم الآخرة؛ فإنه الخالد.

• مَن طلب الخسيسَ وهو قادرٌ على النفيس، وقدَّم الزائلَ على الدائم، فقد أخطأ الطلب.

الحزب

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا
فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ
أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ
ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ
كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ
سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي
ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا
تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

١٠٠

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾﴾

تَلۡوُۥٓاْ: تُحرِّفوا الشَّهادة بألسِنَتِكُم.

تُعۡرِضُواْ: تترُكوا الشَّهادة.

• العدالة لا تُراعَى مرَّةً أو مرَّتين، بل يجب أن تكونَ صفةً راسخة في المؤمنين، في كلِّ آنٍ وحين.

• إنما تكون الشهادة المأمورُ بها لله تعالى، لا لأحدٍ من المشهود لهم أو عليهم، فلا هوى ولا ميلَ من أجل فردٍ أو جماعةٍ أو أمَّة.

• لا ينبغي للعبد أن يحملَه بغضُه لأحدٍ على الحيف في الشهادة عليه، ولا حبُّه له على الشهادة له من غير حقٍّ.

• شهادة المؤمن شهادةُ حقٍّ، لا يراعي فيها الغنيَّ تعظيمًا له، ولا الفقيرَ رقَّة عليه، بل يتَّبع الحقَّ أنَّى كان، ويَكِلُ أمرَهما إلى الله.

• الهوى من أعدى أعداء الحقِّ؛ فإنه يُغري المرءَ بالظلم فيُبعده عن الجادَّة، والعاقلُ حقًّا مَن عقَلَ هواه عن الباطل؛ خوفًا من ربِّه جلَّ جلاله.

• صاحب الهوى إذا لم يجد ما يدفع به الحُجَّة البيِّنة عمَد إلى تحريفها أو أعرض عنها، فإن لم يدرِ به الخلق فليتذكَّر أن الله تعالى يعلم ما كتمَه من الحقِّ مهما أخفاه عن الناس.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

• لا عجبَ أن يُؤمَر المؤمن بالإيمان والحرص على زيادته والثبات عليه؛ حتى يزدادَ به طُمأنينةً ويقينًا، وإن في الأمر به لتذكيرًا بالخوف عليه؛ ففي ظلام الفتن قد تخبو بعضُ أنوار الإيمان.

• ألا ترى كيف يأمر الله بالإيمان بجميع الرسل والكتب المنزلة عليهم، وكثيرٌ من اليهود والنصارى بعد مبعث رسولنا محمَّد ﷺ كذَّبوا به؟! ذلك أن الحقَّ لا تُمليه ردودُ الأفعال.

• ما أضلَّ من كفر بخالقه، وبالملائكة الذين أُمرَ بالإيمان بهم، وبالكتب التي نزلت لهدايته، وبالرسُل التي جاءت لإرشاده، وباليوم الآخر الذي فيه حساب عمله!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾﴾

• مَن أبى إلا أن يرجعَ إلى الكفر بعد إيمانه، ويزدادَ كفرًا فوق جحوده ونُكرانه؛ فإنما يعاند فِطرته، ويشهد على نفسه بأنها لا تستحقُّ لذَّة الإيمان.

• لا يزال المؤمن يترقَّى بإيمانه درجات، حتى يلقى من الله ما يحبُّ من الخيرات، ولا يزال الكافر يتردَّى بكفره في الدَّركات، حتى يلقى من الله ما يكره من العقوبات.

• أعظم الحرمان حرمانُ الهداية والغُفران، فمَن حُرِمهما فقد حُرم الخيرَ كلَّه، ومَن أُعطيَهما فقد أُعطيَ الخيرَ كلَّه.

﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾

• يا له من تهكُّمٍ مُرٍّ استحقَّه المنافق بشنيع فعله؛ حين أظهر الاستقامةَ والإيمان، وهو يخفي الجحودَ والعصيان! وله في الآخرة ما هو أشدُّ وأدهى.

• لا ينتظرُ مَن كاد للإسلام إلا عذابَ القويِّ المنتقم، وفضحه له مهما بالغ في إخفاء حقيقته، وإنه وإن لم يفضَحه باسمه، فقد فضحَه بقبيح صفاته.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾﴾

• لا يرى المنافقُ أبعدَ من أرنبة أنفه، فلا هو نظر إلى الحقائق فاقتنع، ولا إلى مآلات غيِّه فامتنع.

• إذا أردتَّ العزَّةَ فاطلبها من العزيز الذي لا يُغالَب، وطريقُ نيل مطلبك الإقبالُ على ربِّ العالمين، والانتظامُ في جملة عباده المؤمنين.

﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

• الإيمان بآيات الله يوجب هجرَ كلِّ مجلس يُستخفُّ فيه بها، ويَحتِمُ الإنكارَ على مَن فيه.

• احذرِ البسمةَ إذا كان باعثَها الاستهزاءُ بآية أو شريعة؛ فإنها كفيلةٌ بالإخراج من الملَّة.

• إذا سمع المسلمُ الاستهزاءَ بدين الله في مجلسٍ ما، فعليه أن يدافعَ عن حُرمة دينه، أو يغادرَ المجلسَ غيرَ آسف.

• اصطفِ جليسَك الذي تحبُّ أن يكونَ معك في الآخرة؛ فالمرءُ مع مَن أحبَّ، والمنافقون أحبُّوا الكافرين ووالَوهم في الدنيا فجمعَهم الله في مصيرٍ واحد في الآخرة.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ: نُساعِدكُم.

• يتَّخذ المنافقون في الأزمات مواقفَ مُذبذبة، ويتلوَّنون بكلِّ لون حسَب المصلحة، ويركبون كلَّ موجةٍ للقاء المنفعة، فهم مع المسلمين عند المغانم، ومع أعدائهم عند المغارم.

• ينبغي أن نسمّيَ الأشياء بأسمائها الصحيحة؛ فإن غلبة الكافرين نصيبٌ نالوه بأسبابه، وظفرَ المسلمين فتحٌ يفتح القلوبَ للحقّ، والبلادَ لحكمها به، والطريقَ لمَن يريد سلوكَ الصِّراط المستقيم.

• المنافق والكافر صَفيَّان؛ ولذلك يقبض كلٌّ منهما يدَه عن إيذاء الآخر وإن كان عليه قادرًا، غير أنهما يبسُطانها بأذيَّة المؤمنين متى ما وجدوا إلى ذلك سبيلًا.

• معاملة المنافقين بظواهرهم التي تحقِن دماءهم، وتعصِمُ أموالهم، إنما هي في الدنيا، أمَّا في الآخرة فالحكمُ للظاهر والباطن، وهناك تُبلى السرائر، فينكشف للخَلق ما فيها.

• المؤمن مؤيَّدٌ منصور أينما كان، ما امتثل حقيقةَ الإيمان، فإذا ضعُف إيمانه فقد أهدى لعدوِّه سبيلَ التسلُّط عليه، وبحسَب ما ينقُص من إيمانه يكون ذلك التسلُّط.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾

• مَن حاول مخادعةَ الله تعالى فقد دلَّ على خُبث قلبه، وغباء عقله، وسوء مسلكه؛ فإن الله لا يُخادَع فيُخدع سبحانه وتعالى.

• من الناس مَن يأتي الصلاةَ شوقا، ومنهم من لا يأتيها إلا سَوقا؛ إذ لا محبوبَ له ينتظر الوقوفَ بين يديه، ولا ثوابَ يعتقده حين يلجأ إليه.

• قلَّة الذِّكر مظنَّةُ فسادٍ في القلب، ومؤشِّرٌ على ضعف سلامته، ولو كان القلب عامرًا بحبِّ الله ما غفل عن ذكره؛ فالمحبُّ لا ينسى ذكرَ محبوبه.

• حين يكون القلب همُّه الناس رضًا وثناءً، فإن صاحبه يُرائي بعمله، فيُكثر من ذكرهم، ويُقلُّ من ذكر الله، فالعمل والذِّكر برهانان على مَن في القلب: أهو الله أم سواه؟

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

مُّذَبْذَبِينَ: مُتَرَدِّدين.

• مواقف المنافقين من حَيرة وتردُّد وعدم استقرار، مواقفُ لا تُثير إلا الاحتقار، وهي تُوحي بضعفهم عن اتخاذ موقفٍ حاسم صريح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾

• أيها المؤمنون، ألا يمنعُكم وصفُ الإيمان من موالاة مَن يعاديكم لأجله، ويقاتلُكم عليه، ويبذل ما يملك ليصدَّكم عنه؟

• العاقل من المؤمنين يأبى أن تقومَ الحجَّة على عدم صدق إيمانه؛ فينأى بنفسه عن اتخاذ الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾

ٱلدَّرْكِ: المَنزلة والطَّبَق.

• المنافقون شرٌّ من الكافرين؛ لخفاء خُبثهم ومكرهم بالمسلمين؛ فلذلك كانت منزلتُهم في النار أسفلَ الدَّرَكات.

• نافق المنافقون في الدنيا؛ لفسادِ قلوبهم، ورغبتِهم في مصلحةٍ دنيويَّة؛ كنُصرة الكافرين لهم، لكنَّهم حين يكونون في أسفل دركات جهنَّم لن يجدوا وليًّا ولا نصيرًا.

الجزء الخامس | سورة النساء

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ
أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ
أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا
قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا
﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

١٠١

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾

• ما من دواءٍ أنجعُ من شدَّة الاعتصام بالله، واللجوء إليه، والإخلاص له، وبمقدار العناية بهذا العلاج يكون الشفاءُ من أعتى الأمراض.

• التائبون المُصلحون ما أفسدوا هم في صُحبة المؤمنين المتَّقين، الذين ينالون الأجرَ والتكريم من ربِّ العالمين.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

• الإيمان والشكر تُرسانِ واقيان من عذاب الله، فمَن كان أكثرَ إيمانًا وشكرًا كان أبعدَ عن ذلك العذاب.

• الله أكرمُ وأغنى من أن يعاملَ عبادَه معاملةَ ملوك الدنيا، فإذا شكر العبدُ ربَّه، وأقبل عليه بالإيمان، عامله بالعفو والرضوان.

• الشَّكور لا يُضيع أجرَ العاملين، والعليم لا يَنقصُ ثوابَ الشاكرين، والمحسن لا يعامل عبادَه المؤمنين إلا بمقتضى رحمته وفضله.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ
نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ
أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ
ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا
عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

الجزء ٦ الحزب ١١

١٠٢

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾

• إن ممَّا لا يحبُّه الله من الكلام ما ينشرُ الكراهيةَ بين العباد، من صنوف السِّباب والاتِّهام الباطل، وربما بدأ ذلك المكروه القوليُّ بين الأفراد حتى يشيعَ في المجتمع برُمَّته.

• إن الإسلام ليَحمي سُمعةَ الناس ما لم يَظلموا، فإن ظَلموا لم يستحقُّوا هذه الحماية، وقد أُذِن للمظلوم أن يجهرَ بكلمة السُّوء في ظالمه؛ انتصارًا للحقِّ وانتصافًا.

• قبل أن ينطقَ المظلومُ بشكواه عليه أن يستشعرَ أن الله سامعُه وعالمٌ بظُلامته، فليقُل الحقَّ في ظالمه دون أن يتمادى فيقع مثلَه في الظلم.

﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾

• بين إبداء الخير أو إخفائه، وبين العفو عن السُّوء أو إظهاره، يختار المؤمنُ الأقربَ منهما إلى عفوِ ربِّه وغُفرانه، ألا تراه سبحانه قد اتَّصفَ بالعفو مع كمال الاقتدار؟

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾

• رُسُل الله عليهم السلام أنوارٌ بزغت من مِشكاةٍ واحدة، وشرائعهم ترجع إلى أصلٍ واحد، فالواجب الإيمانُ بهم جميعًا.

• التفريق في الإيمان بين الشارع وحمَلةِ شرعه تفريقٌ باطل لا يصحُّ معه الإيمان، فهل يستقيم إيمانٌ بالله مع تكذيب رسُله؟! وأنَّى يَصدُق في اتِّباع رسول الله ﷺ الطاعنون في صَحابته حمَلةِ رسالته؟!

• مَن استهانَ بدين الله تعالى فقد باع نفسَه لهوان الآخرة وذلِّ الأبد.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

• أولئك المؤمنون بالله ورسُله، ما أعلى منازلَهم، وما أعظمَ أجورَهم، وما أهنأَهم بالرحمة والغُفران، إذا ما تحقَّقوا بذلك الإيمان!

• لولا مغفرةُ الله ورحمتُه لما نال المؤمنُ أجرَه على ما عمل من الصالحات، فلا يغترَّنَّ عاملٌ بعمله مهما كان عظيمًا.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾

• يُستدَلُّ بأخلاق سلف الأمم والقبائل على أحوال الخَلَف منهم، ألا تراه يذكِّر الأبناءَ تاريخَ الآباء، وما الذي صنعوه بالأنبياء؟

• سؤال السائل قد يكون للاستعلام والاستفادة، وطلب المعرفة والدراية، وقد يكون للتعجيز والاختبار، وللسُّخريَّة والاستهزاء. أمَّا الأوَّل فهو ما ينبغي أن يسألَه طالبُ الحق، وأمَّا الثاني فليس من أدب التعلُّم ولا صدق الديانة.

• مَن لقيَ من الدعاة عِنادًا من مَدعُوِّيه، وإعراضًا عن الحقِّ الذي يدعوهم إليه، فليتأسَّ بالرسُل الكرام؛ كموسى عليه الصلاةُ والسلام؛ فقد لقيَ من تعنُّت بني إسرائيل ما لقي!

• ضلالُ الإنسان بعد حصول العلم لديه، ورؤيته بيِّناتِ الاهتداء إلى الحقِّ؛ يدلُّ على رسوخ الانحراف في نفسه، إذ لم تجد أنوارُ البراهين طريقًا إلى قلبه لتستقرَّ فيه.

• سلوك طريق الحقِّ على مركب الهوى لا يوصل إلى النجاة، فالعِنادُ والتعنُّت والاختيار في التكليف دون تسليم وانقياد من علامات الهوى، وهي عقَباتٌ تؤخِّر المسيرَ أو تنحرف به عن الصِّراط المستقيم.

• تستهين القلوبُ بالشرائع التي يَسنُّها البشَر، فلا تنقاد لها إلا تحت عين الرقيب وسَوط الجلَّاد، أمَّا شريعةُ الله فسلطانٌ على القلوب تخضع له، ولها في النفس مَهابة.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

ٱلطُّورَ: جبَلَ الطُّور بسَيناء.

لَا تَعْدُوا۟: لا تعتدُوا.

• ما الذي يُرتجى من قوم كفروا بعد أن شاهدوا الأهوال، وأُمِروا بالأمر الهيِّن، ونُهوا عن اليسير من الأفعال، ثم أخذ الجبَّارُ عليهم مواثيقَ غِلاظا، فما كانوا لها حُفَّاظا؟!

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا
عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ
ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

١٠٣

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾

• ما أخطرَ عواقبَ المخالفة لشريعة الخالق! إنها حجابٌ كثيفٌ على القلب، فكيف تُطلَب الهداية لهؤلاء الخلق بعدما سدُّوا طريقَها إليهم؟!

• الأنبياء معصومون من كلِّ نقيصة، ومبرَّؤون من كلِّ دنيَّة، لا يتوجَّه عليهم حقٌّ لا يؤدُّونه كبيرًا أو صغيرًا، فلذلك لا يكون الاعتداء الحسيُّ والمعنويُّ عليهم إلا بغير حقٍّ.

• من أعظم عقوبات الذنوب الطبعُ على القلوب، فلا يستطيع الحقُّ حينئذٍ النفاذَ إليها والتأثيرَ فيها.

• المعاصي تلدُ المعاصي، فإذا تكاثفت على القلب حالت بينه وبين الهُدى، فلا يستهيننَّ عبدٌ بخطيئة، فمَن قارفَها فليُسارع إلى تكفيرها في مهدها قبل أن تشِبَّ فتلدَ غيرَها.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾

• عيسى عليه السلام طاهرٌ شريف، وأمُّه الصدِّيقة بَتولٌ حَصان، تلك حقيقةٌ لا ريبَ فيها، فبُعدًا لمَن كفر وكذَّب.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾

• تكذيب البشر للإنسان في الملأ شديدُ الوقع على النفس، فكيف بمَن يكذِّبه ربُّ البشر؟! غيرَ أن تلك النفوسَ الكذوبة يهون وقعُ الخَطب عليها؛ لكون الكذبِ يجري فيها مجرى دمها.

• إذا حفظكَ الله بحفظه، وتولَّاك بلطفه، فلن يبلغَ أعداؤك غايتَهم منك، فأيُّ مَكيدةٍ تؤذيك، وحِصنُ الحفيظ يُؤويك؟!

• العقائد لا تُبنى إلا على اليقين، وإن عقيدةً تُبنى على الظنِّ لهي أحقُّ بالتَّرك.

• أهل الباطل إن أخفقوا في مُقارعة الحُجَّة بالحُجَّة لا يبقى في جَعبتهم غيرُ التخلُّص منه، وقد ينجحون وقد يخفقون.

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾

• إذا ضاقت أبواب الفرَج في الأرض فُتِحت أبواب فرَج السماء؛ فالمؤامرة على عيسى وصلت طلائعُها إلى حيثُ كان، فجاء فرَجُ الله تعالى فرفعه إليه، فلا خوفَ مع الإيمان.

• طلبوا بقتل عيسى موتَه في الأرض، فأعلى الله شأنَه ورفعه حيًّا إلى السماء، فكم يريد أهلُ الباطل من شرٍّ بصاحب حقٍّ فينقلب الأمر إلى ما يكرهون!

• رُفع عيسى عليه السلام إلى السماء بعزَّة الله وحكمته، فمَن ذا الذي يغلب اللهَ على حُكمه، ومَن الذي يعارضُه في حكمته؟

• عزَّ ربُّنا سبحانه فأعزَّ نبيَّه عيسى من حيثُ أرادوا إذلالَه، فرفعَه إليه لحِكَم يعلمها، فكان آيةً للمؤمنين، وفتنةً للكافرين.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾

• الحقائق قد تنجلي للعيون في اللحظات الأخيرة بعد رحيل الظُّلمات المتكاثفة، وقد تنفع أحيانًا وقد لا تنفع.

• أيُّ موقفٍ أشقُّ على المرء من أن يشهدَ عليه رسولُه بالكذب يوم القيامة؟!

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾

• الظلم على اختلاف أنواعه وألوانه هو من أسباب حرمانِ النِّعَم، فمَن زاد ظلمُه زاد حرمانُه.

• لو ذاقت يهودُ طعمَ الإيمان لأذاقها الله حلاوةَ الطيِّبات، ولكنَّها منعَت نفسَها لذَّتَه، فمنعَها الله بعضَ ما كان أحلَّه لها.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾

• المعاملات الماليَّة المحرَّمة كالرِّبا تُكدِّر المكاسبَ وتحرِم صاحبَها التنعُّم بطيِّبات الحياة.

• الإسلام يحترم الملكيَّة الخاصَّة، ولا يُجيز أخذَ أموال الناس بطريقٍ غير مشروع، وهذا ممَّا يبثُّ بين الناس النشاط للتملُّك الحقِّ، وينشر الطُّمأنينة والسَّكينة في المجتمع.

• لا بدَّ للكافرين من عقابٍ مؤلم في الآخرة، وقد ذُكر وصفُ الإيلام، إشارةً إلى أنهم إن كانوا يتمتَّعون في الدنيا كما تتمتَّع الأنعام، فذلك إلى أمدٍ قصير.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

• العلم الراسخ يُثمر الإيمانَ الثابت الذي يبدو في صورة عملٍ صالح، فمَن رسَخ علمُه ثبت إيمانُه، ومَن ثبت إيمانُه حسُن عملُه.

• مَن أراد الأجرَ العظيم فليجمع إلى حُسن عبادته لله، إحسانَه إلى عباد الله، وليتقرَّب بالعبادات الماليَّة، كما يتقرَّب بالعبادات البدنيَّة.

• مَن وعدَك من البشر بأجرٍ عظيم فستطير لوعده فرحًا، فكيف إذا كان الوعدُ من الله الكريم؟!

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٦٥﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

الحزب

١٠٤

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾

وَالْأَسْبَاطِ: الأنبياءِ من وَلَدِ يَعقوبَ عليه السلام، الذين بُعِثوا في قَبائلِ بَني إسرائيلَ الاثنَتَي عَشرةَ.

- سلسلة الرسالات المطهَّرة بدأت بنوحٍ عليه السلام، وخُتمت بمحمَّد سيِّد الأنام ﷺ، فدعوة الحقِّ معروفةُ المقدِّمات، مشرقةُ التاريخ والنهايات.

- رسُل الله هم القدوةُ التي يتأسَّى بها مريدُ الحقِّ، ذكر الله تعالى على سبيل الثناء أسماءَ بعضهم، وذكر فصولًا من حياتهم؛ ليكونَ ذلك نِبراسًا للمقتفين أثرَهم في طريق الصلاح.

- كلُّ محسنٍ له من الثناء الحسَن بين الأنام بحسَب إحسانه، والرسُل عمومًا والمذكورون في هذه الآية خصوصًا في المرتبة العُليا من الإحسان.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾

- أيُّ صالحٍ لم يُكتَب اسمُه في سجلَّات الخلق في الدنيا؛ تعريفًا به وثناء عليه، فحسبُه أن الله تعالى يعلم به. وكم قد أرسل سبحانه من الأنبياء والرسُل، ولكن لم يذكر منهم في القرآن إلا القليل!

- يكفي من الموعظة ما تحصُل به العِبرة، فليس الاستقصاء مطلوبًا دائمًا.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾

- لا تبالغ في البشارة فتُخرجَ الناسَ عن حدِّ العمل إلى حدود الإهمال، ولا في النِّذارة فتُخرجَهم عن حدِّ الخوف إلى القنوط وترك الإقبال، ولكن توسَّط بلا تفريطٍ ولا إفراط.

- إن الله سبحانه وإن كان كلُّ ما في الكون يدلُّ عليه، قد أرسل الرسُل لدعوة الناس إليه؛ إقامةً للحُجَّة، وتذكرةً للعباد وتبصرة، فلا تكون لهم بعد ذلك معذرة.

- لا تنفكُّ عزَّةُ الله تعالى عن حكمته؛ فعزَّتُه لا ذلَّ فيها، وحكمتُه لا عبثَ يعتريها، فاقترانُ العزَّة بالحكمة كمالٌ أُضيف إلى كمال.

﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾

- الوحيُ لا يفتقر إلى شواهدَ تدلُّ على صحَّته، فقد شهد اللهُ على ذلك وأشهد ملائكتَه، وكلُّ قولٍ هو حقٌّ ما شهد له شرع؛ لأنه الأصلُ الحاكم على كلِّ فرع.

- لمَّا كانت الأحكامُ والشرائع نازلةً من عند العليم الخبير، كان كلُّ ما يعارضُها من الرأي سقيمًا مردودًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾

- أسوأ الضلال حين يتجاوز به صاحبُه نفسَه إلى غيره ترغيبًا به وتزيينًا له؛ ليحملَ وِزرَه ووزرَ مَن أضلَّه معه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾

- ما اجتمع الكفرُ والظلم في أمَّة إلا آذنت بضلالِ الطريق، وقرب العقوبة، وسوء المنقلَب.

- بيده يَخيطُ العبد ثوبَ هدايته، وبظلمه يرتدي لَبوسَ غَوايته، ومَن مدَّ يدَ الظلم للناس فلا ينتظر أن تعودَ عليه بغير الخِذلان.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾

- ما كان أغنى العبدَ عن ورود جهنَّم، وقد كان يمكنه تعديلُ المسار في حياته! فهل من مستيقظٍ قبل الندامة حين لا تنفع؟!

- لو أُدخل الإنسان جهنَّم لحظاتٍ معدودة لذاق من أهوالها ما لا يُطاق، فكيف بمَكثٍ أبدَ الآبدين؟!

- إذا هانت أوامرُ الله على الناس فكفروا به، وصدُّوا عن سبيله، وظلموا عبادَه، فما أهونَهم إذ ذاك عنده، وما أيسرَ عقابَهم حينئذٍ عليه!

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾

- أتاك الهُدى ساعيًا إليك، حاملًا معه الخيرَ من الله، فهلَّا استقبلتَه بنحو ما أظهر لك من الاهتمام، واستشعرتَ من ربِّك تلك العنايةَ والإكرام.

- إن الإيمان خيرٌ كلُّه؛ فهو خيرٌ للمؤمنين في أبدانهم، وخيرٌ لهم في أرواحهم؛ لما يترتَّب عليه في الدنيا من جليل الفوائد، ولما يُثمر في الآخرة من جميل العوائد.

- بعلمه تعالى أحاطَ بكفر الكافر، وبحكمته قضى بكفره، وبعلمه وحكمته أدخله دارَ سخَطه، لا معقِّبَ لحُكمه ولا غالبَ لأمره.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾

لَا تَغۡلُواْ: لا تتجاوَزوا الاعتِقادَ الحقَّ.

وَكَلِمَتُهُۥ: خلقَهُ بالكَلِمةِ التي أرسَلَ بها جِبريلَ إلى مَريَمَ وهي: «كُنْ»؛ فكان.

• داء الغلوِّ متأصِّلٌ في الأمم من قديم، واستئصالُه مؤكَّدٌ في قوانين الشريعة الحميدة.

• لا يجوز لأحدٍ أن يتقوَّلَ على الله بلا علم، أو يقول على الله غيرَ الحق، فمَن فعل فقد غَلا وجاوز ما حُدَّ له؛ فإنَّ التقوُّلَ والغلوَّ صِنوان.

• ليس عيسى عليه السلام سوى رسولٍ من الله، وكلمةٍ منه إلى مريمَ، وروحٍ منه سبحانه، فمَن رفعَه إلى رتبة الإلهيَّة فقد كذَب وافترى إثمًا عظيمًا.

• قد ذُمَّ الغلوُّ في عيسى رسولِ الله، وهو المخلوقُ بكلمةٍ من الله، فكيف الغلوُّ في شيخ أو زعيم أو وجيه؟!

• لا ترفعَنَّ عبدًا مخلوقًا فوق قدره، فتُبلِغَه منزلةً لا تليقُ إلا بالمعبودِ الخالق؛ فإن ذلك خروجٌ عن الإيمان، ومَظهرٌ من مظاهر الطغيان.

• سبحانه من إلهٍ حليم؛ يُشركون به غيرَه وهو القادرُ على عقابهم، فيدعوهم إلى الانتهاء عن شركهم؛ ليحوزوا الخيرَ عنده!

• هل يكون محتاجًا إلى الولد مَن يملكُ السماواتِ والأرضَ وما فيهنَّ ومَن فيهنَّ، مع غناه عنها وعنهُنَّ؟!

• لو صدَقنا في اعتمادنا على الله وحدَه لكان سبحانه حسيبَنا، ومَن كان اللهُ حسبَه كفاه.

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾

لَن يَسۡتَنكِفَ: لن يأنَفَ ويَمتنِعَ.

• التوحيد دليلٌ على رجاحة العقل وصفاء التفكير، فمَن رجَح عقلُه وصفا فكرُه أقبل على عبادة الله وحدَه، فإن أعرض عن ذلك فقد دلَّ على خِفَّة عقله، وكدَرِ فكره.

• الإنسان كلَّما ازداد علمًا وتُقى وعقلًا وصدقًا، ازداد تواضعًا واتِّباعًا للحق، فإن تكبَّر على الحقِّ والخلق فقد كشف عن جهله، وضعفِ دينه وعقلِه.

• إن عيسى عليه السلام وإن أُيِّد بالمعجزات، وأُعلم بالمغيَّبات، ورقِيَ في السماوات، فإنه لم يرتفع عن درجة العبودية، فكيف تُدَّعى له الألوهيَّة؟!

• لا يمتنع العاقلُ عن عبادة ربِّه، سواءٌ أكان امتناعُه عن أنفةٍ واستنكاف، أم عن تعالٍ واستكبار.

• إذا استشرى مرضُ الكِبْرِ في القلوب فلا دواءَ أنجعَ من التذكير بالله والقدوم عليه، فمَن لم يَشفِه هذا العلاجُ فلا شفاءَ له.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣﴾

• الإيمان والعمل الصالح يورثان التواضعَ الذي يجعل الإنسان عبدًا لربِّه، ومَن كان كذلك نال الأجرَ العظيم، والزيادةَ من المعطي الكريم.

• حين يرى المستنكِفُون ثوابَ أهل الطاعة، ثم يُشاهدون ما يستحقُّونه من العقوبة؛ فإن آلامهم تَزيد، وحسَراتِهم تعظُم.

• فليستكبر مَن شاء كيف يشاء، وليعتدَّ بأهل القوَّة والشرف كما يريد، ولكن أيُّ وليٍّ ينصرُه من بأس الله إن جاءه، في يومٍ لا يُغني فيه جاهٌ ولا مال؟

الجُزۡءُ السَّادِسُ — سُورَةُ النِّسَاءِ

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥

١٠٥

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾

بُرۡهَٰنٞ: دَليلٌ صادِقٌ، وهو محمَّدٌ ﷺ.

• مَن رامَ البراهينَ الساطعة، والحُجَجَ الصريحةَ القاطعة، فليقرأ القرآن، ولينظر فيما جاء به نبيُّنا ﷺ من الهُدى والتِّبيان، يجِدْ فيهما بُغيتَه وما يكفي حاجتَه.

• حسبُك ببرهانٍ مصدره الربُّ الخبير، لتحصُلَ به الكفاية، ويُبلَغَ به الغاية.

• بنزول القرآن ورسالةِ خير البشر لم يُبقِ اللهُ ظُلمةً إلا محاها، ولا غُمَّةً إلا جلاها، فهل نطلب الحقَّ في سواهما؟!

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾

• يقوى إيمانُ القلب والتزامُه، ما كان بالله وحدَه اعتصامُه، فإذا اتَّكل على عقلِه، واعتمد على حَولِه، فقد نزغَت به نفسُه وشيطانُه.

• ألا تحبُّ أن تدخُلَ في رحمة الله وفضله؟ اجعل الإيمانَ به يدخل قلبَك، والاعتصامَ به يملأ حياتَك، تَسعَد في العاجلة والآجلة.

يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ
لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن
لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ
وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦

سُورَةُ المَائِدَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ١١

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ
إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ
ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ
وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن
تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ
وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢

١٠٦

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾

ٱلۡكَلَٰلَةِ: مَن مات وليس له وَلدٌ ولا والِد.

وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ: أي: أُختٌ شَقيقةٌ أو لأبٍ.

- ما من مسألةٍ تُسأل يرجو بها الناسُ لأنفسهم الصلاحَ والفلاحَ، إلا وقد ملأ القرآنُ مسامعَهم بأحسن جواب وأبلغ خطاب.
- مهما ابتغى الناسُ من مناهجَ رشيدةٍ تخرجهم من عَتَمةِ الضلال، فإنهم لن يعثُروا على بيانٍ أكملَ وأنصحَ، ولا أنصعَ وأوضحَ، من بيان الله تعالى.
- لا يمكن أن يُنظِّمَ حقوقَ الناس وواجباتِهم؛ دقيقَها وجليلَها، إلا الحكيمُ العليمُ، فما أعظمَ ما شرعَه سبحانه، وما أحراه بالدراسة والنظر، والفهم والعمل!

سُورَةُ المَائِدَة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾

بِٱلۡعُقُودِ: بالعُهودِ المؤكَّدة مع الله ومعَ خَلقِه.

مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ: مُستحِلّينَ للصَّيد.

حُرُمٌ: مُحرِمون.

- الإيمان يدعو صاحبَه أن يُصغيَ إلى كلِّ أمرٍ صدر عن الله تعالى، فلا يدَعُ منه شيئًا إلا عمل به، أليس يؤمن بمَن أمرَ به، وبأنه لا يشرَع إلا ما ينفعُه؟
- حياة المؤمن حياةٌ قائمة على حُسن المعاملة مع ربِّه ومع مَن حوله من الخَلق، فتصرُّفاته فعلًا وتركًا وعَقدًا وحَلًّا، يُمليها عليه إيمانُه الذي يضبِطها بضوابط الحقِّ، وعُرى السَّداد.
- اقتفاء حِلِّ الأطعمة هو طريقُ المؤمن في مأكله، وما أوسعَ الحلالَ في باب الأطعمة!
- إن الصيدَ يكون حلالًا ما لم يكن العبدُ مُحرِمًا؛ إذ كيف يتتبَّع الأوابد، وهو لبيتِ الله قاصد؟!
- لا يُسألُ اللهُ العليم عن مُراده من التخصيص والتفضيل، فما فَهِمَ العبدُ من حكمته فذلك فضل، وما لم يفهم فليَكِلهُ إلى عالِمه، وليسأل اللهَ من فضله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾

لَا تُحِلُّواْ: لا تنتهكوا وتستحلُّوا.

شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ: حُدودَهُ ومَعالِمَ دِينِه.

ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ: ذا القعدةِ وذا الحِجةِ والمُحرَّمَ ورجَبًا.

ٱلۡهَدۡيَ: ما يُهدى للبيتِ من الأنعامِ وغيرِها.

ٱلۡقَلَٰٓئِدَ: ما قُلِّدَ من الهَدي؛ حيثُ يُعلِّقون النِّعالَ وغيرَها على رِقابها؛ عَلامةً على أنَّها هَديٌ.

ءَآمِّينَ: قاصِدينَ.

وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ: ولا يَحمِلَنَّكُم.

شَنَـَٔانُ: بُغض.

- أوامر اللهِ ونواهيه تُشعِر العبدَ أنها حدودُه التي يُطيعه فيها، فلا يتجاوزُها، ولا يستهينُ بأمرها، ولا يُضيعها، فمَن لزمَ حدودَه بقيَ على الجادة، ومَن تجاوزها تاهَ في أودية الهلَكة.
- داخلَ حدودِ الحرم أيامَ النُّسُك تجتمع قداسةُ الزمان والمكان، وتُظلِّلُ البُقعة المباركة سحُبُ الأمان؛ كونًا وشرعًا.
- في رحاب الحَرَم يذوق طعمَ الأمن البشرُ والشجر والطير وحيوانُ البَرِّ، فما أعظمَ نعمةَ الأمان!
- يا قاصدَ البيت الحرام، اجعل ربَّك تعالى وِجهتَك، ورِضوانه قصدَك، وما ابتغيتَ من مصالح دينك ودنياك فاسعَ لها متوكِّلًا عليه، غيرَ معلِّقٍ قلبَك بأحد من خلقه.
- إذا كان هذا الأمانُ لضيوف بيته من أهل طاعته في الدنيا، فكيف بضيوفه المتَّقين الذين يَنزِلون بجواره في الآخرة؟!
- لو تأمَّل الإنسانُ في شريعة الله لوجد أن المحظوراتِ قليلةُ العدد، قصيرةُ المُدَد، وأن المباحاتِ كثيرةٌ في عَددها ومُددها، فكيف يَرِدُ العاقلُ الآسنَ من الشهَوات، وعنده أنهارُ الطيِّبات؟!
- ثَمةَ قمةٌ لا بدَّ أن ترقى إليها نفوسُ الأمة، إنها ضبطُ النفس، وسماحةُ القلب في الحقِّ.
- الإسلام يربِّي أهلَه على الإنصاف مع الخصوم والأعداء، فكيف مع الإخوة والأولياء؟!
- قال بعضُ السلف: (ما عاملتَ مَن عصى اللهَ فيك بمثل أن تُطيعَ اللهَ فيه).
- الإنسان مدنيٌّ بطبعه، يعيش مع غيره ولا يستغني عن استعانته بمَن سواه، وقد أقرَّ الإسلامُ هذه الحاجةَ الإنسانيَّة، على أن تستظلَّ بمظلَّة البِرِّ والتقوى، فما كان من خيرٍ فيُعان على فعله، وما كان من شرٍّ فيُعان على تركه.
- تقوى الله هي الحارسُ الأمين على أبواب النفوس، حيثُ تسمح لها بالتعاون على البِرِّ والتقوى، وتمنعها من التعاون على الإثم والعدوان.
- على المرء ألا يستهينَ بأوامر الله ونواهيه، فمتى جمحَت به نفسُه عن الحقِّ في الأمر والنهي، فليذكِّرها بأن الله شديدُ العقاب، وهل لها على عذابه من طاقة؟!
- ما أعظمَ هذه الآيةَ الكريمة التي اشتملت على أوامرَ ونواهٍ صريحة، لترسُمَ للإنسانيَّة المنهجَ الصحيح للتعامل مع الخالق ومع المخلوقين، في الشؤون الدينيَّة والاجتماعيَّة!

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

الْمَيْتَةُ: الحيوانُ الذي ماتَ من دون ذَبح.

أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ: ذُكِر عليه غيرُ اسمِ اللهِ عند الذَّبح.

وَالْمُنْخَنِقَةُ: التي حُبِسَ نَفَسُها حتى ماتَت.

وَالْمَوْقُوذَةُ: التي ضُرِبَت بعَصًا أو حَجَرٍ حتى ماتَت.

وَالْمُتَرَدِّيَةُ: التي سَقطَت من مكانٍ عالٍ فماتَت.

وَالنَّطِيحَةُ: التي نطحَتها شاةٌ أو بقرة فماتَت.

النُّصُبِ: حِجارةٌ كان المُشركونَ يذبَحونَ عليها في الجاهليَّة تقرُّبًا إلى الأصنام.

تَسْتَقْسِمُوا: تَطلُبوا مَعرِفةَ ما قُسِمَ لكُم.

بِالْأَزْلَامِ: بِقِداحٍ كانُوا يكتُبونَ على أحَدِها: (افعَل)، وعلى الآخَر: (لا تفعَل)، ثُمَّ يُحرِّكُونَها، فأيُّها خرَج عَمِلُوا به.

مَخْمَصَةٍ: مَجاعَة.

مُتَجَانِفٍ: مائِلٍ عَمدًا.

• ما من عاقلٍ إلا ويُدرك أن الحكيم تعالى لا يأمرُ بغير الحكمة، وإن قصَّر عِلمُه عن إدراكها، ويزيده يقينًا ما تُبديه الأيام من حِكَم التشريع تحريمًا وتحليلًا.

• القَصد ميزانٌ يُعرَف به صلاحُ الأعمال من فسادها، وصحَّتُها من بُطلانها، فمَن ذبحَ لغير الله كان حرامًا ولو ذَكر اسمَ الله عليه.

• مَن استقسَمَ بالأزلام، للإقدام أو الإحجام، فقد جَنى على دينه ودنياه وعقلِه، ولا شفاءَ له إلا الفِرارُ إلى التوحيد الخالص.

• الإسلام كالشمس؛ لا يستطيع عُشاقُ ظلام الكفر حجبَها عن العالَم، غيرَ أنهم قد يُكدِّرون الأجواءَ حتى لا يراها بعضُ الناس على صفائها ونقائها، ولكن أنّى للقَتَر البقاءُ في الآفاق؟!

• هذا الإسلامُ بكماله وتمامه، فأيُّ يدٍ إليه بالإبطال تمتد؟ وأيُّ قوةٍ بشرية قادرةٌ على إطفاء نورٍ أضاءه الواحدُ الأحد، وأيُّ عاقلٍ يرفض دينًا رضيَه اللهُ إلى أبدِ الأبد؟!

• الإسلام أعظمُ نعمة، فالواجب شكرُها، والعملُ بمحتواها، فمَن كفرَها ورفضَها فقد استنزلَ أعظمَ نقمة، واستبدلها بأعظمِ نعمة.

• امتدَّ ثوبُ الكمال والتمامِ على هذا الدين فلم يبقَ فيه خَرقٌ أو نَقص، فمَن نظر فيه يبغي قُصورَه رجع بصرُه خاسئًا وهو حسير.

• إكمال الدين، وإتمامُ النعمة، ورضا الله به لعباده؛ كلماتٌ توجب شكرَ الله وتعظيمَه على هذا الإكرام، والقيامَ بما جاء به دينُ الإسلام.

• قد رضيَ الله تعالى للناس خيرَ دين وأكملَه، فما حُجةُ مَن يرفضه ويختار غيرَه؟

• الحرَجُ عن هذه الأمة مرفوع، فإن حضرَت الضرورةُ جاز فعلُ الممنوع، غيرَ أن الضرورة تُقدَّرُ بقدَرها.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

مُكَلِّبِينَ: مُعلِّمينَ لها الصَّيد.

• إذا حرَّم الله عليك أمرًا فثِق بأن الفِطرة السوية تستقذِرُه، والحسَّ السليم يستخبثه، والقلبَ المستقيم ينفرُ منه.

• لولا شرفُ العلم والتعليم؛ لكان صيدُ الكلبِ المعلَّمِ والجاهلِ سواءً، ولكن شاء الله أن يجعلَ للعلم مرتبةً وشأنًا، ومزيةً وعَلاء.

• لا يغفلَنَّ المؤمن لحظةً عن رؤية فضل الله عليه في كلِّ شيء، فربُّه هو الذي خلق وعلَّم.

• على المرء أن يتقيَ اللهَ في كلِّ أحواله، ويخشى يومَ الجزاء عقابَه، فإنه لا يدري إذا ما عصى ربَّه؛ أيؤخِّره ليتوب، أم يعاجلُه بالبلاء؟

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: ذَبائحُهُم.

أُجُورَهُنَّ: مُهورَهنَّ.

وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ: غيرَ مُتَّخِذي عَشيقات.

• أباح الله نكاحَ الكتابيَّات الملتزمات بدينهن؛ لأن لهنَّ رادعًا من دينٍ له أصلٌ صحيح يعصِمُ من الفواحش، وهذا من التيسير للمسلم.

• ما طاب كلُّه خيرٌ ممَّا طاب بعضُه؛ فالمُحصَنة المؤمنة في النكاح أفضلُ من الكتابيَّة العفيفة؛ لجمعها بين العِفَّة والإيمان.

• في إباحة نساءِ أهل الكتاب وحِلِّ ذبائحهم مصلحةٌ دنيوية للمؤمنين، لكنَّها لا تغيِّر مصيرَ أهل الكتاب في الآخرة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ
وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ
وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ
ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا
طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ
وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦
وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ
بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ
لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩

١٠٨

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾

لَٰمَسۡتُمُ : جامعتُم.

فَتَيَمَّمُواْ : فاقصِدُوا.

صَعِيدٗا : ما على وجهِ الأرض من تُرابٍ ونحوه.

طَيِّبٗا: طاهرًا.

• الصلاة مناجاةٌ لله؛ فلا بدَّ لها من طهارةٍ ظاهرة وطهارةٍ باطنة؛ تأدُّبًا معه سبحانه، وعملًا بشرعه، ورجاءَ حصولِ الصفاء من ذلك اللقاء.

• الطهارة الشرعيَّة تَشمَل أعضاءَ عمل الإنسان التي تكتسب الخطايا، فيأتي الوضوءُ لتكفير خطايا الأعضاء، أمَّا الجنابةُ فمن شهوةٍ تعُمُّ الجسدَ كلَّه فكانت الطهارة لجميعه.

• التيمُّم وإن لم يكن طهارةً ظاهرة فهو طهارةٌ باطنة، تتمثَّل في الانقياد لشرع الله والتسليم لحكمه.

• رحمة الله ظاهرةٌ في تكليفه لعباده، فلا يريد سبحانه أن يُعنتَهم، فشرَع لهم التيمُّمَ حال فقدِ الماء أو تعذُّر استعماله، فما أعظمَه من تيسير!

• تشريع العبادة وتيسيرُها ورفعُ الحرَج عن المؤمنين نعمٌ من الله تستحقُّ الشكر.

• المؤمن يعيش بين خيرين؛ نعمةٍ يشكرها، ومصيبةٍ يصبر عليها، فإذا أحاطه اللهُ جلَّ جلاله بلطفه وبرِّه، فهو فضلٌ يدعو إلى حمده وشكره.

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾

• لا تجعل إلفَكَ للنِّعم يُنسيك شكرَ المُنعِم بها، وليكن منك الشكرُ في موضع الذِّكر، فلا تزالُ له ذاكرا، ولنِعَمه شاكرا.

• أيها الدعاة، ذكِّروا الناسَ بنِعَم الله عليهم، وحقِّ المُنعِم بها؛ فذاك يقرِّبهم منه سبحانه، فيزيدهم له حُبًّا، ولآلائه شكرًا.

• متى كانت التقوى كلمةً تُلفظ باللسان ولا تلامسُ الجَنان لم تنفَع صاحبَها، إنما التقوى النافعةُ هي التي تُصلح القلبَ الذي هو مَحَطُّ نظر الربِّ سبحانه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾

شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ : شاهِدينَ بالعَدل.

شَنَـَٔانُ : بُغض.

• تمام الإيمان أن تؤمنَ بالله وبما كلَّف به من حقوقه وحقوق عباده، فأدِّ الحقَّين على التمام تكُن مؤمنًا حقًّا.

• لا ترتقي النفسُ إلا حين تقوم لله، متجرِّدةً له عمَّا سواه، عالمةً باطِّلاعه على خفايا الضمير، يُحصي الصغيرَ منه والكبير.

• كِفَّة العدل لا تُميلُها المودةُ ولا البغضاء، ولا المصالح والأقرباء، بل هي ميزانٌ دقيق يَحكُمه الشعورُ برقابة الله، لا الشعورُ بمصالح الحياة.

• كلَّما أنصف الإنسانُ وعدلَ مع مَن يُبغض ومَن يحبُّ، كان ذلك أكثرَ قُربًا له من التقوى، فإذا جارَ ومال عن العدل والإنصاف فقد مال عن التقوى بحسَب ذلك.

• التقوى رتبةٌ عالية، ومنزلةٌ رفيعةٌ سامية، لا تُنال إلا على سُلَّم أعمالٍ زاكية؛ منها العدلُ في الأحكام والأفعال.

• امتثالُ أمرِ الله تعالى بالتقوى في السرِّ والعلن يُعين عليه معرفةُ أن الله عليمٌ بحقائق الأعمال وبواطنِ العاملين، فمَن أخلص في نيَّته وأصابَ في عمله فقد سلك طريقَ القبول.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾

• الوعد بالمغفرة والأجر العظيم يحثُّ المؤمنين على العدل مع المؤالف والمخالف؛ ليكونوا بذلك متجرِّدين عن نوازع الدنيا؛ فيرتقوا إلى تلك الوعود العُليا.

• مهما اجتهد العابدُ في تحقيق الإيمان والعمل، فلا بدَّ من هَناتٍ وزلَل، يفتقرُ معها العاملُ إلى مغفرة ربِّه، ولا يعوِّل فيها إلا على واسع فضله ومَنِّه.

• مع أن الثوابَ محضُ فضلٍ من الجواد الكريم، جعله الله تعالى بمنزلة أجرة الأجير، فمَن عمل كما منه طُلِب، نال من الله فوق ما رغِب.

• صلاح العمل مع الإيمان شرطُ حصولِ المغفرة والأجر العظيم، فاللَّهُمَّ نسألك صلاحَ النيَّة وصلاحَ العمل.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

• على الإنسان الحذرُ من مُوجِبات النار، فقد يكون دخولها بمُوجِبٍ واحد، وقد تجتمع عدةُ مُوجِبات فيصير العقابُ أشدَّ وأنكى.

• صُحبة الكفار للنار أبأس صحبة؛ لأنها تُلازمهم ملازمةَ الصاحبِ صاحبَه، لا تفارقُهم ولا يفارقونها أبدَ الآباد، نسأل الله السلامة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ: يبطِشوا بكُم.

• ليست المنفعةُ في حصول النعمةِ فحسب، بل تكون المنفعةُ أيضًا في دفع النِّقمة، فانظر إلى ما منعَه عنك من البلاء، وكفَّه من الأذى والعناء، فلعلَّه أعظمُ من جليل النِّعَم.

• كم من البلاء سعى إليك بخيله ورَجِله، لا تملك له دفعًا، ولا تستطيع له رفعًا، قد كفَّه الله عنك بلطفه! أفلا تتَّقي ربَّك حقَّ التقوى؟!

• التذكير بنعمة كفِّ الأعداء عن صالحي المؤمنين قبلنا فيه حثٌّ على التأسِّي بهم في القيام بأمر الدين؛ من الحقِّ والصَّبرِ على المشاقِّ، وهذا هو المعنى العامُّ للجهاد في سبيل الله.

• ما أحوجَ الإنسانَ إلى التوكُّل على الله! فإذا أمرَ الله به عبادَه المؤمنين، فكيف الحالُ مع عباده المقصِّرين؟!

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

وَعَزَّرْتُمُوهُمْ: ونصرتُموهم.

• من التدابير الحكيمة اتخاذُ نُقباءَ يكونون مرجعًا عند النزاع، ومفوَّضين عن غيرهم في جلبِ النفع ودفع الضُّرِّ من أمور الحياة.

• معيَّة الله حِصنٌ حصين، ومأوًى أمين، فمَن كان الله معه فلا شيءَ يضرُّه، ولا أحدَ يُضلُّه.

• طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ هي طريقُ الظفر بمعيَّة الله، فمَن كان أكثرَ إسراعًا في هذه الطريق كان أسرعَ وصولًا إلى تلك الغاية العُليا.

• علامَ يسمِّي الإنفاقَ قرضًا لولا أنه يَعِدُ بردِّه؟ أتُراه وهو الغنيُّ عن القَرض يُخلف وعدَه، ومُلكُ السماوات والأرض بيده وحدَه؟!

• لا ينفكُّ المسلم عن الخطأ والزَّلل، فإذا خاض غمارَ هذه الهَنات، ثم ركب قاربَ التوبة وبادر بالحسنات، فليُبشِر بغُفران السيِّئات.

• يا طُوبى لعبدٍ جمع الله له يوم القيامة بين حصول المحبوب، واندفاع المكروه، فنال النعيمَ الذي رجاه، وأمِنَ ما كان يخشاه!

• لا بدَّ من التخلية قبل التحلية، فليحرِص المؤمنُ على تكفير السيِّئات، فهي التي تُدخله روضات الجنات.

• إنما يعظُم الكفرُ بعِظَم النعمة التي يُكفَر بها، فإن زادت النعمةُ زاد قبحُ كفرانها، فأيُّ نعمةٍ أعظم من الإيمان؟ وأيُّ كفرٍ أعظم من الكفر بها؟!

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

• نقضُ الميثاق ذنبٌ توعَّد الله عليه لعِظَم جُرمه وسوء أثره، ولأنه خطيئةٌ لا يرتضيها دينٌ قويم، ولا يُقرُّها خُلقٌ مستقيم.

• مَن عاش ملتزمًا بفرائض الله فهو في بُحبُوحةٍ من الرحمة لا تفارقه، ما لم يدَعها.

• الجرأة على الوحيَين بتحريف مبانيهما، أو لَيِّ معانيهما، مظهرٌ من مظاهر قسوة القلب.

• قد يكون نسيانُ بعضِ العلم عقوبةً على معصيةٍ ارتُكِبت، فمَن أراد أن يحفظَ عِلمه فليحفظ ربَّه، بفعل ما أمر وترك ما نهى.

• لا تأمن خيانةَ مَن لم يكن أمينًا مع ربِّه؛ فما الذي يردعُه عن خيانة عهود خَلقه؟!

• طبع اللؤم غالبٌ على صاحبه، وإن اليهود أهلُ خيانةٍ يتوارثونها كابرًا عن كابر، يأخذها الآخِرُ عن الغابر، وفي هذه الحقيقة تنبيهٌ لأهل الإسلام ألا ينخدعوا بهم.

• الإسلام يدعو المسلمَ إلى العفو إذا ما انتصر، وإلى الصَّفح إذا ما عَلا وظَفِر، وعند الاقتدار يحسُن عفوُ الأخيار، فإذا ملكتَ فأسجِح، وإذا قدرت فسامِح.

• إذا انتصر المسلمُ على عدوِّه فعفا عنه فقد يهتدي للحقِّ بعفوه، ما لم يَهتدِ إليه بسيفه؛ فإن بريقَ العفو قد يُضيء القلوبَ أكثرَ من بريق السيف.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الحزب ١١
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّى
مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ
وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ
مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم
مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا
بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

١٠٩

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ
حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ
وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ
جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا
كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ
قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥
يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ
وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ
وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ لَّقَدۡ كَفَرَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ
قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ
ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ
يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧

١١٠

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾

فَأَغۡرَيۡنَا: فهيَّجنا، وألقينا.

• الأسماء قد لا تَصدُق على المسمَّيات؛ فالنصارى ادَّعَوا نصرةَ الله بهذا الاسم، ولكنَّ أعمالهم كذَّبت اسمَهم، فلا ينخدعنَّ عاقلٌ بالأسماء والشِّعارات، ولينظر إلى حقيقة تلك المسمَّيات.

• معشرَ المسلمين، أقبِلوا على دينكم يُصلح اللهُ ما بينكم، ويُلقِ بينكم المودة، ولا تُعرضوا عن الله فيُبدلَكم بها عداوةً وفُرقةً وبغضاء.

• التهديد بالعقاب لمَن قارف ما يستوجبه، عذابٌ نفسيٌّ معجَّل، أفما كان اجتنابُ الخطيئة أهنأَ للنفس من عاجل العذاب وآجله؟

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾

• تخلِّي الإنسان عمَّا يأمر به لقبُه الحسَن أو وصفُه الجميل وصمةُ تَشينُه؛ فأهل الكتاب ما كان أحراهم بالعمل به، ومراعاةِ أحكامه، والقيام بما فيه حقَّ القيام!

• لا ينقطع وهَجُ دين الله جلَّ جلاله، ولا أنوارُ بيانه، فإن أظلمَت غفلةُ العباد ومعاصيهم بعضَ آفاقه قيَّض اللهُ للناس مَن يعيد إلى تلك الآفاقِ ضياءها وسَناءها.

• كتمان الحقِّ صفةُ ذمٍّ في أهل الكتاب، فمَن كتم العلمَ من العلماء عمَّن يستحقُّه ففيه شَبهٌ باليهود والنصارى، وقد أُمرنا بمخالفتهما.

• إبداء ضلالاتِ الكافرين والمنافقين وإعلانُها ينبغي أن تُراعى فيه الحكمةُ والتبصُّر في المآلات، فإن أغنى القليلُ عن الكثير فقد تمَّ به البيان.

• نور الهداية بالقرآن وبإرسال خاتم الرسُل فضلٌ من الله تعالى، فما أعظمَه من نورٍ عمَّ الثقلَين، وملأ الخافقَين!

• نور القرآن نورٌ خالد لا يحتجب، وضياءٌ ساطع لا يأفُل، فكم أنار اللهُ به من بصائرَ فمازت به طريقَ الحقِّ من طريق الباطل!

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾

سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ: طُرقَ الأمنِ والسلامة.

• القرآن كتابُ هداية، وسبيلُ سلامةٍ من العذاب، ولكنَّ ذلك لا يكون إلا لمَن سلك دربَ رضوان الله بالإيمان والعمل الصالح.

• في اتِّباع الوحي سلامٌ مع الحياة والكون، سلامٌ لا تجده البشرية إلا في هذا الدين ومجتمعه القائم على عقيدته وشريعته.

• مَن سلك سبيلَ الشريعة سلوكًا صحيحًا فقد سلِم سلامةً مطلقة في عقيدته وحياته وجزائه؛ لأن هذا المسلكَ سيؤدِّي به إلى دار السلام التي يدعو اللهُ تعالى إليها.

• الجاهلية بحرٌ من الظلمات المتراكمة، فيها تتلاطم أمواجُ الشبُهات والشهَوات، والأساطير والخُرافات، والحيرة ورديءِ التصوُّرات.

• كانت رسالة نبيِّنا ﷺ سفينةَ النجاة التي أنقذت العالمَ الغارقَ في أوحال الجاهلية، فمَن استمرَّ عليها إلى شاطئ الآخرة ربحَ السلامةَ الدائمة.

• يُنجي اللهُ من المهالك، ويوضحُ أبينَ المسالك، ويصرِف المحذور، ويحصِّل أنجبَ الأمور، وينفي الضلالة، ويُرشد إلى أقوم حالة، فمَن رغِب في هذه العَطايا الجزيلة فليطلبها في القرآن العظيم، وسُنَّةِ النبيِّ الكريم ﷺ.

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾

• وصف النصارى بالكفر حُكمٌ شرعيٌّ قضى به الله تعالى، فلا سبيلَ للاستخفاء به، وليس هو بالسُّبَّة، بل هو وصفٌ صادقٌ لمَن سبَّ اللهَ أعظم مَسبة.

• لا أحدَ يدفع إرادةَ الله؛ لأنه المالكُ لأمر الوجود كلِّه، ولا يستطيع أن يصرفَه عن عملٍ يريده، أو يحملَه على أمرٍ لا يريده، أو يستقلَّ بعملٍ دونه.

• إن كنت تعلم أنه لا يملك منعَ مُراد اللهِ تعالى أحدٌ من الخَلق طَرًّا، أفيَليقُ بك أن تتوجَّهَ إلى غيره، ممَّن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضُرًّا؟!

• لا يعترض على مالك السماوات والأرض، الخالقِ لكلِّ شيء، والقادرِ على كلِّ شيء، إلا ذاهبُ اللبِّ، وإن لم ينتظِم في قافلة المجانين.

الجزء السادس | سورة المائدة

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟
عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ
فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن
يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ
غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١١١

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

• إن لم يبلغ بالعبد الحبُّ ألا يفكِّرَ في سوى محبوبه، فما هو بالذي يصدُق عليه اسمُ الحبيب، فكيف يدَّعيها مَن يسعى إلى سخَطه؟!

• الحبيب لا يعذِّب محبوبَه إلا إذا استحقَّ تعذيبَه؛ بامتناعه عن القيام إلى ما يحبُّ، وإسراعه الخُطا إلى ما يكره.

• كلُّ البشر عند الله في الخَلق سواء، لا يتفاضلون بصُورهم ولا أوطانهم ولا أعراقهم، فلا يدَّعينَّ أحدٌ محبَّةَ الله له لسببٍ من تلك الأسباب، فلا تفاضلَ عنده إلا بالتقوى.

• لا ينال الغفرانَ أصحابُه، ولا العذابَ مستحقُّوه، إلا بمشيئة الله وبأسبابهما، فاعمل بأسباب رضاه تنَل غُفرانَه.

• كل الخلق صائرون إلى خالقهم؛ مَن أقبل منهم عليه ومَن أدبر عنه، ولكن ما أجملَ حروفَ (إلى الله المصير) في آذان المُقبلين، وما أشدَّ وقعَها على مسامع المُدبِرين!

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾

• إن زمنًا طال على الناس فيه العهدُ بلا أنبياء لَزمنُ فُتور. ألا إن الدين يحتاج إلى ذوي هِمَم، ينفُضون الفتور، وينهَضون لمعالي الأمور.

• ماء الوحي العَذبُ ما زال يترقرقُ أمام الظامئين، غيرَ أن تقادُمَ عهد الرسالة، والبعدَ عن خير القرون، جعل بعضَ الناس يأوون إلى فيافي الفُتور القاحلة، فمَن يحملُ لأولئك العِطاش ماءَ الوحي النمير؟

• قد زُرع النقصانُ في طبائع الإنسان، فهو بين رغبةٍ تَشوقه، ورهبةٍ تَسوقه، يبشَّر فيُهرَع، ويحذَّر فيَفزَع، فإن جاءه بشيرٌ نذيرٌ اعتدل حالُه.

• من فِقه الدعوة تقديمُ الترغيبِ على الترهيب، فكن بشيرًا قبل أن تكونَ نذيرًا. كذا دعا الأنبياء، فبُهداهم اقتدِه.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

مُّلُوكًا: تَملِكُونَ أمرَكُم بعد أن كنتُم مملُوكِينَ لِفرعَونَ وقومِه.

• إن كان للمتكبِّر قلبٌ وألقى السَّمعَ وهو حاضرُ الذِّهن فسيوقظه من رَقدته تذكُّرُه نِعَمَ الله التي يتقلَّب فيها، فإن تذكُّر النفسِ الكريمة للنعمة العميمة يقودُها إلى الهداية.

• لمَّا كان أجلَّ النِّعَم نعمةُ الهداية التي جاء بها الأنبياء، وكان السعيُ إليها سعيًا إلى أعظم غاية، لا جرمَ كان حاملوها من أعظم النِّعَم والآلاء.

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾

وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ: ولا ترجِعوا عن قتالهم.

• لا يُزيل قدسيةَ أرضٍ حُكمُ جبَّارٍ عليها، ولا انتشارُ الفسادِ فيها، وكلَّما كانت عند الله أقدسَ كانت الجرأةُ بمعصية الله فيها أفحش.

• طلب السلامة في المخالفة هلاك، والرغبةُ في ربح الحياة تحت ظلال المعصية خسارة.

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

• ليكُن يقينُك بالخير فيما يطلبه الشرعُ منك فوق ما تظنُّه أنت من سَداد رأيك، وأنَّى للفُهوم البشرية أن تبلغَ كلَّ الحكمة من الأوامر الإلهية؟

• عجيبٌ أمرُ أولئك العامَّةِ من يهود، هابوا الجبابرةَ فنَكَصوا عن مواجهتهم، وهم موعودون بالغَلَبة عليهم، ولم يوقِّروا نبيَّهم، ولم ينقادوا لأمره، ولم يثقوا بوعده!

• الترقيات لا تُنال إلا بتضحيات، فمَن ظنَّ أنه سيقتحم العقَباتِ من غير مشقَّات فمشكوكٌ في عقله، وما نصرُ الحقِّ إلا غايةٌ عليا لا يُوصَل إليها إلا على جسورٍ من الإعياء والتَّعب.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

• من نعمة الله عليك أن ترغِّبَ الناسَ بالحقِّ وإن رغبوا عنه، وتدعوَهم إليه وإن نفروا منه، وتشجِّعَهم عليه وإن زهِدوا فيه.

• إنها لقاعدةٌ في علم القلوب وعلم الحروب، أقدِموا واقتحموا، فمتى دخلتُم على القوم دارَهم انكسرت قلوبُهم بقَدر ما تقوى قلوبُكم.

• المؤمن حقًّا يوقن بأن الله منجزٌ وعدَه، لا يُخامره في ذلك أدنى ريب، يستوي في الثقة عنده ما يراه في الشهادة، وما يؤمن به من عالم الغيب.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ
يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ
٢٦ ۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ
مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ
مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ
لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي
سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا
ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١

الحزب ١٢

١١٢

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾

• ما أجهلَ العبدَ الذي يظنُّ أنه سيضرُّ ربَّه حين يعصيه، أوَ ما علمَ هذا الجاهلُ أنه إنما يضرُّ نفسَه، ولا يضرُّ اللهَ شيئًا؟!

• من أمارات النفس اللئيمة نسيانُ الإحسان إليها، حتى ولو كان هذا الإحسانُ من الله تعالى، أجارنا الله من اللؤم والجحود.

• القعود عن مواطن الجِدِّ متى ما نُدِبَ إليها ضعفٌ أو خيانة، فإذا افتخر مفتخرٌ بقعوده ذلك فقد بلغ من الضعف أو الخيانة الغاية.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾

فَٱفۡرُقۡ: فاحكم.

• إذا قلَّ المُعينُ والنصير فبُثَّ شكواك إلى القويِّ القدير، فإنه وحدَه مُغيثُك ونصيرُك، فلا ترجُ إلا إيَّاه، ولا تتعلَّق بأحدٍ سواه.

• في حَومة المعامع وتخاذل الناس عن نُصرة الحقِّ، على المؤمن أن يبرأ إلى الله من تخاذل المتخاذلين، ويسألَه أن يفصِلَ بينه وبينهم ليكونَ ذلك معذرةً إلى ربِّه.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾

يَتِيهُونَ: يَسيرُون ضائعين مُتحيِّرين.

• الجيل الذي تربَّى على الاستعباد والفساد ليس خليقًا بأن يكون جيلَ النصر، وقد يكون من الحكمة أن يهلِكَ؛ لينشأ بعده جيلُ رضَع الطاعة والعزَّة؛ ليولدَ على يديه النصر.

• لا تُهرق دموعَ الرحمة وتنهُّداتِ الأحزان لهلاك عصاةِ الله ورسوله؛ فبموتهم تستريح البلادُ والعباد، والشجرُ والدواب.

﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾

ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ: قابيلَ وهابيلَ.

• القِصص القرآنيَّة موردٌ ثَرٌّ مملوء بالعِظات والعِبَر، فالاستقاء من مَعينها لبثِّ الموعظة الحسنة بين الناس من وسائل الدعوة إلى الحقِّ.

• الحاسدُ إذا لم يُطفئ نارَ حسده بخوف الله والرضا بقسمه، فلربَّما استعرَت به نارُه، حتى يعدوَ على المحسود ليُهلكَه.

• ليس معيارُ قبول الأعمال القيامَ بها، وإنما إتقانُها وخلوص النية فيها، ورجاءُ الله عليها، فقد تتَّفق الأعمال فيُقبَل بعضٌ ويُردُّ آخر.

• رُوي عن عليٍّ رضي الله عنه قولُه: (كونوا لقبول العمل أشدَّ اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عزَّ وجلَّ يقول: {إنما يتقبَّلُ الله من المُتَّقين}؟).

• قال ابنُ عمر رضي الله عنهما: (لو علمتُ أن الله تقبَّل منِّي سجدةً واحدة، أو صدقةَ درهمٍ، لم يكن غائبٌ أحبَّ إليَّ من الموت: {إنما يتقبَّلُ اللهُ من المتَّقين}).

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾

• هابيل كان أوَّلَ مثالٍ على الورع في الدماء؛ حين خاف من عقاب الله إن قتل أخاه وهو يدفع عن نفسه، فكيف بمَن يقتل الناسَ عُدوانًا بغير حقٍّ؟!

• أرأيتَ كيف ذكَّر أخاه بإحسان الله تعالى إليه، فهو مَن خلَقه ورباه، فعساه يرتدعُ عن الإساءة إلى مولاه.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي: أن ترجِعَ بإثم قتلي.

وَإِثۡمِكَ: وذنبِكَ الذي عليكَ قبلَ ذلك.

• انتصار المسلم لنفسه بقتل أخيه المسلم قد يُسكِّن أجيجَ غضَبه ساعةَ فعله، لكنَّه سينقلبُ عليه بحزن الدنيا والآخرة، ما لم يتُب إلى الله، فلو تفكَّر في عواقب عمله لاستبشعَ الإقدامَ على قتله.

﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾

فَطَوَّعَتۡ: فزيَّنَت.

• حين تعدِلُ النفسُ عن الصِّراط المستقيم قد لا تقف عند حُرمة، حتى إنها لتُسهِّلُ لصاحبها إذاقةَ أخيه ألمَ الموت، مع أنهما من أصل واحد.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾

سَوۡءَةَ: ما تَسوءُ رؤيتُه، وهو جيفةُ أخيه.

• هل هانَ على قابيلَ قتلُ أخيه، وعزَّ عليه أن يتركَه من غير أن يستُرَه؟! أم هو ندمُه على تهوُّره يواسي نفسَه بما يُهيل على أخيه من التراب؟

• رسالةٌ لكلِّ متكبِّر بعلمه وقدُراته: قد يجدُ العالِم من العلم المحتاج إليه، عند مَن لا وزنَ له لديه، غيرَ أن العاقل مَن استفاد الخيرَ حيث كان.

• الجريمة ولودٌ للمكدِّرات، لا تورث الطُّمأنينة ولا الراحة، بل الندامة والحسرة.

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى
ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم
مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

١١٣

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

• المتورِّع عن سفك الدم الحرام حافظٌ لحُرمات الأنفس كلِّها، فهو أهلٌ للتبجيل من الأحياء، والسلامة من الاعتداء.

• يحبُّ الله تعالى الإعذارَ إلى خلقه، وإقامةَ الحجَّة على عباده؛ ولذا جعل مع كلِّ رسول آيةً يؤمن على مثلها البشر؛ لئلا يقولوا: أين بيِّنة صدقه، وبرهانُ دعوته؟

• الأرض لا تصلُح بالإسراف؛ لأنه طريقُ الإتلاف، وهادم سُورِ الألفة بين الناس، سواءٌ أكان ذلك بمجاوزة المباح إلى الفُضول، أم بعبور الحلال إلى الحرام في الأموال أو النفوس.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

يُصَلَّبُوٓا۟ : يُشَدُّوا على خشبة.

• يكفي أهلَ الحِرابة ذمًّا أن اعتداءهم على الخلق محاربةٌ لله ورسوله؛ لانتهاكهم ما أمر اللهُ ورسولُه بالحفاظ على حُرمته، ورعاية قدسيَّته، فإن محاربة الأوامر حربٌ على الآمر.

• بطهارةِ الثوب والبدن والمكان تصلُح الصلاة، وبطهارةِ الأرض من الفساد والمفسدين تصلُح الحياة، فلا صفاءَ لمرآة العيش إلا بصقلها من صدأ المفسدين في الدماء والأموال والأعراض.

• ليس من فسادٍ أشنعَ من محاربةِ شريعة الله في الأرض، واستبدالِ غيرها بها، والاعتداءِ على أهل الدار التي تُقام فيها، فلا يؤتَمَن حينئذٍ على دينٍ ولا نفس، ولا مالٍ ولا عِرض.

• لا رفقَ ولا رحمةَ مع أهل الفساد، والناشرين الذُّعرَ بين العباد، فمن الرحمة بالمظلومين الشدَّةُ على الظالمين.

• تشذيب المجتمع من أغصانه الفاسدة حياةٌ لسائر أغصانه، واستئصال الداء من أحسن طُرق الشفاء.

• إخزاء أهل الحِرابة بجُرمهم مقصدٌ شرعي، وتعذيبُهم بالعقوبة الشرعيَّة علنًا عدلُ سماوي؛ ليرتدعَ الناسُ عن سلوك طريقهم، حين يشاهدون سوءَ مصيرهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

• عناية التشريع الإسلاميِّ بطهارة المجتمع عن طريق توبته مقدَّمةٌ على عنايته بإصلاحه عن طريق عقوبته، فإن صلَح واستقام، فذلك هو غايةُ المَرام.

• لا أحدَ أرحمُ من الله ولا أحلَمُ منه؛ فمهما عظُم ذنبُ عبده فرجَع إليه صادقًا منيبًا فلن يجدَ عنده إلا الرحمةَ والغُفران، أفلا يرحمُ العاصي نفسَه فيرحمَه الله؟!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وَٱبْتَغُوٓا۟ : اطلبُوا.

ٱلْوَسِيلَةَ : القُربة والطاعة.

• التقوى زِمامٌ عن الفساد، ومِقوَدٌ إلى الخير بين العباد، فمَن اتَّقى الله لم يعتَدِ على حقِّ الخلق، ولم يتجاوز حدودَ الخالق.

• رحِمَ الله عبدًا نظرَ في جميع الطرُق الموصلة إلى رضا خالقه، فسلكَ منها ما استطاعَ إلى بلوغ مقصِده.

• العمل بشرع الله أحسنُ وسيلةٍ إليه، وبالطاعات يبلغ المرءُ الغايات.

• إن أمَّة تتَّقي اللهَ باجتناب المحظورات، وتبتغي إليه الوسيلةَ بفعل المأمورات، وترفع في سبيله رايةَ الجهاد والكفاح، لهي أمَّةٌ تستحقُّ العزَّ والفلاح.

• الفوز بالمطالب العالية عند الله تعالى غايةٌ سامية، لا تُنال بالأمانيِّ الفارغة، والدَّعاوى الكاذبة، ولكن تُنال بالجِدِّ في طاعته، والصدقِ في حُسن معاملته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

• كم إنسانٍ يعصي اللهَ من أجل الظفَر بحظٍّ دنيويٍّ قليل، أفلا يعلم أنه لو حاز الدنيا كلَّها فلن تحولَ بينه وبين العذاب؟ أفمن العقل أن ينشغلَ العاقلُ بها بعد هذا؟!

• ما أسهلَ الافتداء في الدنيا، وما أصعبَه يوم القيامة! ولو أن الإنسانَ افتدى نفسَه من عذاب الله حالَ حياته، وتقرَّب إلى مولاه بالجود مما أعطاه، لأفادَه ذلك في أُخراه.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ
أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَتُوبُ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ
لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ
ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ
ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ
فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ
فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

ربع الحزب ١٢

١١٤

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾

• يستطيع المرءُ تجنُّبَ أسباب دخول النار إن اهتدى واستقام، فإن ضلَّ وكفر فلن يخرجَ منها، فهل من متأمِّل؟

• يا له من مشهد مَهُول من مشاهد يوم القيامة، ألوان العذاب تحيط بأهل النار من كلِّ جانب، وهم يتوجَّعون ويستغيثون، ولكن هيهات، فلا مَخرَج منها ولا مُغيث!

• لو لم يكن للكفار من العذاب إلا دخول النار لكفى ذلك لهم إيلامًا وتعذيبًا، فكيف بدخولٍ لا خروجَ بعده، وأمَدٍ لا انقضاء له؟!

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾

• ما أعظمَ تشريعَ الإسلام! شرَع قَطعَ وسيلة السرقة التي تساوي نصفَ دية صاحبها؛ حفظًا لأموال الناس، فإذا علم باغي الحرام بهذا المصير كفَّ يدَه عن العدوان.

• تشريع الحدود حكمةٌ من الله العزيز الحكيم، فهي حمايةٌ للمجتمع، وتأديبٌ للمعاقب وتطهيرٌ له، وردعٌ عن تكرار ذنبه.

• العقوبة على قدر الذنب عدل، ورحمةُ المعتدي بإسقاط عقوبته جَور، ولا تصلُح حياةُ الناس إلا بالعدل والإنصاف.

• إن الله عزيزٌ لا يبالي بأحدٍ خالف أمرَه، وأقامت عليه الشريعة حدَّه، حكيمٌ يضع الأمورَ مواضعَها، فلو خُولفت أحكامُه لاختلَّ أمرُ خَلقه، وتبدَّد شملُ صلاحهم.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾

• باب التوبة مفتوح، فمَن أصلحَ بعد الفساد، وكفَّ يدَه عن حقوق العباد، ومدَّها إلى الله مستغفرًا منيبًا، فقد ولجَ روضةَ رحمةِ الله وغُفرانه، وليُبشِر هناك بعطاء الملِك الكريم.

• مغفرة الله تعالى تُزيل عن الإنسان مكروهَ الذُّنوب، ورحمتُه جلَّ شأنُه توصل إليه كلَّ خير ومحبوب، فهنيئًا لمَن استحقَّهما، وجاد اللهُ عليه بهما.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

• لله تعالى أن يشرَعَ ما يشاء من العقاب، ويذيقَ مَن يشاء أليمَ العذاب، ويقبلَ توبةَ مَن رجَع إليه وتاب، ولا عجبَ في ذلك؛ فإن لله مُلكَ السماوات والأرض.

• كمَلَ ملكُ ربِّنا وكمَلَت قدرتُه، ففرض الفرائضَ وحدَّ الحدود، وليس للعباد إلا الاستجابةُ لحكمه، والانقيادُ لشرعه؛ لأنهم ملكٌ من ملكه، وهو قادرٌ على مؤاخذة من حادَ عن نهجه الذي شرَع.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

• على داعي الحقِّ أن يحرِصَ على تبليغه، ولا يحزنَ على مَن لم يستجب له، فما عليه سوى التبليغ، أما الاستجابةُ فبيد الله وحدَه.

• الكفار لا يتنافسون في المسارعة إلى الكفر، فهم متوغِّلون فيه ومتلبِّسون به، ولكنَّهم يتنافسون في المسارعة إلى هبوط دركَاته حتى يبلغوا قعرَه.

• أقوال اللسان لا تعبِّر دائمًا عما في الفؤاد مما عليه مدارُ الأحكام، فإن الإيمان لا يكون حقًّا إلا إذا أقرَّ به الجَنان، وصدَّقته الأعمال.

• مَن استطاب رَضاعَ الباطل عسُر فِطامُه، فإن جاءه الحقُّ ردَّه أو حرَّفه عن مواضعه؛ لأنه لم يذُق لَذاته، ولا وجد فيه قضاءَ شهواته.

• لما كانت الألفاظ إنما تُراد لمعانٍ معلومة، كان تحريفُها بتأويل معانيها على غير مُراد الله منها صِنوَ تحريفها بتغيير ألفاظها التي أُنزلت عليها.

• خطر المحرِّفين للنصوص أشدُّ من خطر مكذِّبيها؛ لأن المكذِّب واضحُ الضلال، أما المحرِّف فقد كسا ضلالَه بلباس حقٍّ لكي يُقبَل.

• حين يغلِب ظلامُ الهوى نورَ البصيرة يصبح الحقُّ هو ما وافق الهوى، والباطلُ ما خالفه.

• كيف لك أن تهديَ مَن لا يقبلُ من الحقِّ إلا ما يعجبُه، ولا يجلس إلا حيثُ يسمع ما يوافق هواه، فإن كان الحقُّ يخالفه كان أبعدَ الناس عنه؟!

• عنوان طهارة القلب إقبالُه على كلام الشرع إقبالَ الظامئ على مَورِد الماء الزُّلال، وإصغاؤه لحديثه بكلِّ توقير وإجلال.

• إذا أردتَ طهارةَ فؤادك فقِف بباب إلهك متضرِّعًا؛ فهو المطهِّر للقلوب، الغافرُ للذنوب.

• ما أسوأ عواقبَ الذنوب، وأفظعَ نهايةَ المذنبين المصرِّين! فإن فضيحة الدنيا مشفوعةٌ بعذاب الآخرة، فيا ويلَ من وصل إلى هذه الحال!

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ
وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ
فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ
لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن
كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ
وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا
عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ
بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ
قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن
لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

١١٥

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾

لِلسُّحۡتِ: للحَرام.

- عادة الأرواح حين تنطمِس أنوارُها أن تهَشّ لسماع الكذب، وتلك خِلالُ المجتمعات المنحرفة؛ تثقُل عندها كلمةُ الصدق، وتخِفُّ على لسانها الأباطيل.

- ما أسرعَ انقطاعَ البركة من كلِّ مجتمع استحقَّ المقتَ والغضب، حين شردَ عن منهج الله وتعاملَ بالحرام! أوَليس قد سماه الله بالسُّحت، فأنّى له البقاءُ والدوام؟

- إن المال الحرام -وإن أُطلقت عليه الأسماءُ الحسنة والألقابُ الخادعة، كقِوام التنمية، وعصَب الاقتصاد- سيبقى يَسحَتُ البركةَ والخيرَ من كلِّ بيتٍ حلَّ فيه.

- دين الإسلام هو الحاكمُ على غيره، وأهلُه العاملون به هم مردُّ الناس جميعًا؛ لأنه لا مكانَ فيه للأهواء والشهَوات التي يولَد بينهما البغيُ والجَور.

- ما ضرَّ الإسلامَ ألا يعرفَ قدرَ عدله فئامٌ من الناس، ولكن مَن احتكم إليه وجد فيه تمامَ العدل، ومَن أعرض عن حُكمه إلى حُكم غيره فلن يضرَّ إلا نفسَه.

- القِسط عَلَمٌ على أحكام الإسلام، وإن الحبَّ والبغض لا يُميلانه عن الحقِّ، فمَن باينَ ديننا واحتكم إلى شرعنا فإنه لن يُظلَمَ لدينا، ولن يلقى إلا العدل.

- الحكمُ العدل محبوبُ الخالق، ومحبوبُ الخلق؛ لأنه عرَف الحقَّ فحكم به، واجتنب الباطلَ فلم يرضَه، وبذلك يسود الخيرُ بين العباد.

﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

- إذا كان الإيمانُ بالله تعالى يعني قَبولَ شريعته، والاحتكامَ إليها، فما موقعُ الذين يتولَّون عنها من الإيمان؟

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

- كيف للدين أن ينفعَ أهله وهم لا يُقيمونه في حياتهم، ولا يستَشفون بأشفيته؟ وكيف له أن يضيءَ لهم وهم لا يحملون مشاعلَه، ولا يقتبسون من أنواره؟!

- ليس يصلُح للحكم بين الناس إلا مَن كان من العلماء العاملين الألِباء، أتباع الرسُل والأنبياء، لا أصحاب القوانين ومبتدَع الآراء.

- إذا أردتَ معرفةَ الإمام الربانيِّ فاعلم أنه العالِمُ بكتاب الله جلَّ في علاه، العاملُ بأحكامه ومقتضاه، القائمُ بحقوقه والواقفُ عند حدوده.

- احفظ كتابَ الله في صدرك فلا تنسَه، واحفظ قدرَه في نفسك فلا تجِد عنه، وجمِّل منطقَك بتلاوته، وجوارحَك بالعمل بما فيه، ولا تتركه فتُترَك، ولا تضيِّعه فتَضيع.

- الحكم بما أنزل الله لا يواجهه أكثرُ الناس بالرضا والقَبول، بل بالإعراض أو الرفض، فعلى أهله الحاكمين به أن يستعدُّوا للمواجهة بالثبات والصبر، وألا يخافوا الناسَ، بل ربَّ الناس.

- مَثَلُ مَن يبذل دينَه مقابل عرَضٍ من الدنيا كمَثَل تاجرٍ يسعى لامتلاك البَضاعة الخسيسة بالأموال النفيسة، فيبيعُ الثمينَ ويحوزُ المَهين.

- مَن أراد أن يعرفَ ما لصلاح الأمة عند الله من أهمية فلينظر إلى شدة وعيدِ مَن لم يحكم فيها بما أنزله لسعادتها العاجلة والآجلة.

﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

- تشريع القِصاص أمرٌ يلائم الفِطرة، ويخفِّف الوجعَ والحسرة، ويُذهِب ما في القلوب من الجِراحات، ويقضي على الثارات في المجتمعات.

- مَن نظر إلى الأحكام المترتِّبة على الاعتداء على الناس سيفكِّر طويلًا قبل أن يُقدمَ على حماقةٍ تكلِّفه نفسَه أو بعضَ جسده.

- فتحَ شرعُنا بالتعويضات المالية بابًا لمداواة الأنفُس المكلومة في حصول الاعتداء بالقتل أو الجرح لها أو لذويها، فالمالُ هنا قد يكون مَرهمًا تُداوى به الجروح، وتَشفى به القروح.

- العفو عن المعتدين غيرِ المسرفين من شِيَم الأكرمين، فمَن ترك الانتصافَ عن قُدرةٍ نال الرفعةَ بكريم صنيعه.

- ألا ما أشدَّه من ظلم! ألا يُحكَمَ بتشريع يقتصُّ فيه المظلومُ من الظالم، بل يُترك الناس فيه بلا أحكام عادلة تحمي ضعيفَهم، وتنتصف من قويِّهم.

الجزء السادس | سورة المائدة

وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ
مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا
لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾
وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ
فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ
بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ
ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

١١٦

﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

وَقَفَّيۡنَا: أتبَعنا.

• إقامة البراهين على صدق الكتب المنزَّلة، والدعوةُ إلى العمل بها، ونبذُ الغلوِّ فيها والانحرافِ عنها، وظيفةُ الرسل الكرام وأتباعِهم جميعًا.

• الحق واحدٌ وإن اختلفت شرائعُه؛ فإن كُتبَ اللهِ يصدِّق بعضُها بعضًا، وفيها من الهداية أتمُّها، ومن المواعظ أبلغُها.

• النور والمواعظ موجودةٌ حاضرة، لكنَّها لا تدركها إلا بصائرُ مستنيرة، وأرواحٌ مستشرفة.

• المتَّقون هم الذين يجدون في كتب الله تعالى النورَ والهدى والموعظة، وهم الذين تتفتَّح قلوبُهم لها، وتشرقُ جوارحُهم بأنوارها.

﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

• التحاكم إلى غير ما أنزل الله فِسقٌ أخرج صاحبَه عن الشرع القويم، والنهج المستقيم، إلى الاعوجاج عن الهداية، والدخولِ في الغَواية.

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ: حاكمًا على الكتب المنزَّلة قبله، شاهدًا بصِحَّتها، أمينًا عليها.

شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا: شريعةً وطريقًا واضِحًا في الدين.

• كم معانٍ للحقِّ تتجلَّى في هذا الكتاب الكريم! ولا غَروَ؛ فإنه منزَّل من عند الله الحقِّ العظيم، فالحقُّ يُشرق في عقائده وأحكامه، وأخباره ومواعظه.

• إذا كان القرآنُ الكريم مهيمنًا على الكتب السابقة وهي كتب الله، فكيف لا يكون مهيمنًا على آراء الأنام، وتصوُّراتِ الأفهام، وأقلام الكتاب، ونتائج الألباب؟!

• تحكيم الشريعة لا يقوم على إرضاء الأهواء، وتجميع مختلِفي الآراء، وإنما يقوم على القضاء بالحقِّ، رضيَ مَن رضي، وسَخِط مَن سخِط.

• لمَّا قامت طرائقُ المُعرضين عن الشرع على الضَّلال الموافقِ للشهَوات سماها الله أهواءً؛ لصُدورها عنها.

• إذا كان الرسولُ الكريم ﷺ قد نُهيَ عن اتِّباع أهواء الناس وهو المؤيَّد من ربِّه، البريءُ من أهواء نفسه، فما بالك بغيره ممَّن ينازعُه الهوى ويغالبه، وتحاصرُه الشهواتُ وتحاربه؟

• ما من طريقٍ ثالث لصاحب الحقِّ مع المخالف. إما أن يسلكَ معه جادَّته، وإما أن يذَره ومنهاجَه.

• سُنة من الابتلاء ماضيةٌ، وطريقةٌ في الحياة باقية، أن الناسَ لا يزالون مختلفين، وعلى الحقِّ متنازعين، فجمعُهم كلِّهم على نهج واحد محاولةٌ عقيمة لا تكون، وغايةٌ بعيدةٌ لا تُدرَك.

• في طريق الخيرات لا تستعمل كوابحَ الوقوف، ولا تُبطِئ إن رأيتَ كثرة الواقفين، ولكن استبِق وسارِع، واغتنم ونافس.

• بيَّن الله للناس في الدنيا ما فيه يختلفون، بإرسال المرسَلين، وإظهار أدلَّة الحقِّ المبين، ومع ذلك قد يخفى المحقُّ من المُبطل، لكنَّه في الآخرة إذا جازاهم امتاز أهلُ الحقِّ من أهل الباطل.

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

• ما أكثرَ ما يحتال الفاجرون على ذوي الاستقامة لإقناعهم بالحيدة عن بعض الأحكام الشرعيَّة! وتلك هي الفتنةُ التي لا بدَّ فيها من الحذر.

• سُلَّم التنازلات عن الثوابت لا تنتهي درجاتُه في مطالب المُبطلين، فتنازلُ صاحب الحقِّ عن بعض الحقِّ لا يُشبع نَهَمَ ذوي الأهواء، وإن البقاء على قمة الحقِّ خيرٌ من الاستيقاظ في سَفحه.

• إذا كان عقابُ بعض الذنوب قد كفى لإهلاك العباد في الدنيا، فكيف يكون عقابُ جميعِها يوم القيامة؟

• حين كان الحقُّ مُلجِمَ الشهوات، وفاطمَ النفس عن النزَوات، صار أهلُه قليلين، والخارجون عنه كثيرين، وفي هذا تسليةٌ للمؤمن عندما يرى ازدحامَ سبيل الباطل بالسالكين.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

• في هذا الكون لا حُكمَ صالحٌ ولا تشريعَ معصومٌ إلا حُكمَ الله وشرعَه، وكلُّ حُكم يُقرُّ سواه فهو الجاهليَّة الجهلاء، والضلالةُ العمياء.

• إنه لا أعدلَ من الله في حُكمه، ولا أرحمَ ولا أحسن، ولا أحكمَ منه في شرعه، ومَن شكَّ في ذلك فلِنُقصان علمه، أو مرض قلبه.

الحِزْبُ ١٢

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾

١١٧

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

• لا ينبغي لأهلِ الإيمان أن يقرِّبوا اليهودَ والنصارى تقريبَ المسلمين، فيُصافُوهم وينصروهم، فإنَّ هذا العدوَّ لا يُقرِّبُ وقد أبعده الله، ولا يُحبُّ وقد أبغضه الله.

• لو اطَّلعتَ على نفوس اليهود والنصارى لعلمتَ ما بينهم من الكراهية والافتراق، لكنَّهم في مواجهة المسلمين أهلُ محبَّة واتِّفاق.

• المؤمن لا يمنح ولاءه لليهود والنصارى، ويبقى في قلبه إيمانُه؛ فهل يجتمع عذبٌ زُلال وسمٌّ زُعافٌ في إناء واحد؟

• مَن يوالي أعداءَ المؤمنين الذين نصَبوا لهم الحربَ، وينصرهم أو يستنصر بهم فهو ظالمٌ بوضعه الوَلاية في غير موضعها.

• من عقوبات موالاة الكافرين حرمانُ هداية ربِّ العالمين، فما أقربَ المُواليَ لهم من الغَواية! وما أبعدَه من الهداية!

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

• مرضى القلوب يسارعون في موالاة الكفار، ولا يزالون في سباقٍ وتنافُس لكسب رضاهم عنهم، وفي نوازلِ البلايا تطفو تلك الخبايا.

• أصحاب القلوب المريضة واثقون بنصرِ أعداء الله، شاكُّون في نصر الله وصدقِ وعده، فلذلك أسرعوا إلى الأعداء، وأعرضوا عن ربِّ الأرض والسماء.

• إننا على وعدٍ من الله بالفتح ما استمسَكنا بعُروة الله، وأخلصنا له الولاء، ووعَينا منهجَه، وأقمنا عليه تصوُّراتِنا وأوضاعَنا وأعمالنا.

• سرور مرضى النفوس بولاء أعداء الله سرورٌ يعقُبه الحزن والندم، وتخلُفه الحسرة والألم، فمهما طال زمنُ البلاء فخيرُ الله آتٍ لا محالة.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

• حلاوة الأقوال تكذِّبها مرارةُ الأفعال، فلا تغترَّ بمَن يعطيك من لسانه الرضا، وقلبُه وأفعاله مع عدوِّك؛ فالمنافقون يُقسِمون بالله ويُظهرون تعظيمَه، وهم يوالون أعداءه ويحاربون أولياءه.

• خسِر المنافقون واللهِ وما ربحوا، فأعمالُهم حابطة، ومراتبهم ساقطة، وأفعالُهم غادرت الطَّيَّ إلى الانتشار، ولا ينتظرُهم في الآخرة إلا النار.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

• تشريف الله لك بأن يجعلَك من أهل دينه الحقِّ نعمةٌ تستحقُّ الشكر؛ لأنها فضلٌ عظيم منه إليك، فيا هناءك إن اختارك اللهُ لتلك المكرُمة، واصطفاك لتلك النعمة!

• المؤمن الحقُّ ذلولٌ لأخيه، غيرُ عصيٍّ عليه، فلا هو صعبٌ ولا عسِر، بل هيِّنٌ حنون.

• العجب ممَّن قلبَ ما أراده اللهُ من عباده المسلمين؛ فاشتدَّ على المؤمنين، وذلَّ للكافرين!

• الجهاد في سبيل الله لإقرار منهجه، وإعلانِ سلطانه، وتحكيم شريعته، وتحقيقِ الخير لعباده، هي صفةُ العُصبة المؤمنة التي يحبُّها الله تعالى.

• الذين يحبُّهم الله لا يقفون عن مُهِمَّتهم، ولا يخافون مَن لامهم، وكيف يقفون أو يخافون وحبُّ الله يملأ قلوبهم، وطريقهم سنَّه لهم خالقُهم، ووعدَهم في نهايته الجنة؟!

• ما أوسعَ هذا العطاءَ الذي يختار الله جلَّ شأنه له مَن يشاءُ عن غنًى وعِلم!

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

• يا مَن اتخذتَ اللهَ ورسولَه وليَّين، أيليقُ بك أن تُواليَ مَن عادى ربَّك ورسولَك وإخوانَك؟

• ليس الإيمانُ مجرَّدَ عنوان، ولا كلمةً تُردَّد في اللسان، بل هو اعتقادٌ وعمل يوجب نصرةَ أهله، ومناوءةَ أعدائه.

• أعمالُ الإيمان تحتاج إلى إخلاصٍ وخضوع، فليس من الإيمان عُجبُ المرء بطاعته وامتثاله.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

• إذا استيقَن المؤمنُ بالعاقبة الحسنة قويَ قلبُه على اجتياز المِحنة، وطمعَ في أن يحقِّقَ وعدَ الله للأمَّة، فيكون له ثوابُ الجهاد والتمكين للدين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

• لا يوالي المستهزئين بدين الله أحدٌ خالطَت بَشاشةُ الإيمان شَغافَ قلبه؛ لأنه لا يجتمع في قلب إنسانٍ إيمانٌ بالله وموالاةٌ لأعدائه.

• التقوى وقايةٌ من موالاة المستهزئين بالدين، فمَن كان من المتَّقين، كان لهم من المعادين.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾
قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّٰغُوتَ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا وَقَد
دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِۦ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّٰنِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا
بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَٰوَةَ
وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

١١٨

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

• حين يعجِز أعداءُ الحقِّ عن إبطاله، وصدِّ الناس عن امتثاله، يلجؤون إلى حرب الاستهزاء لزعزعة مَن اعتنقه، وردِّ مَن أراد الوصولَ إليه.

• لو ذاق الجاحدُ حلاوةَ الصلاة ولذَّتها، وعرَف شرفها وعظمَتها، واغتسل قلبُه بنَمير راحتِها، وتطهَّر لسانُه بعذب أذكارها، لما استهزأ بها.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

• المؤمن المخلص يعمل ويَمضي غيرَ ملتفتٍ إلى ذمِّ الذامِّين، وتثبيطِ المثبِّطين، فأمامَه وِجهةٌ يسعى إليها، وربٌّ يطلب رضاه، فلا يبالي حينئذٍ بقطاع السبيل، فإن الله غايتُه.

• لا ينفكُّ الفاسق ينقِمُ على المستقيم استقامتَه؛ لأنه كلَّما رآه ذكر فسوقَه، فلم يَرُق له النظرُ إلى مَن أبان عن قصوره، وكشف للناس عن شروره.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّٰغُوتَ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾

• أيُّ قوم أولئك الذين أغضبوا الحليمَ الرحيم حتى باؤوا بغضبه، وعوقبوا بلعنته؟! إنهم ما نالوا تلك العقوبةَ إلا لشدة جَرائرهم، وشنيع جرائمهم.

• ما أعظمَ الإنسانَ عندما يحيا الحياة التي أرادها اللهُ له! غير أنه يهبط عن هذا الأفق السامي إلى رُتبة أخسِّ الحيَوانات وأحقرها حين يهبِط به عملُه حائدًا عن الصراط المستقيم.

• من العَجب سُخريَّةُ عبَّاد الشهوات بأهل الصلوات، واحتقارُ أهل الشرك أهلَ التوحيد، ولو نظروا إلى ما هم عليه لما سخِروا، ولكنَّ دَنيَّ النفس يطلب العلوَّ باحتقار الآخرين.

• ما أبعدَ ذوي الخطايا الكبيرة عن بلوغ مراتب العلو! فالأعمالُ هي التي تَبلغ بصاحبها الآفاق، أو تهوي به إلى قاع الأعماق.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِۦ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

• ظلام الضلال إذا تغلغل في القلب حجبَ عنه أنوارَ الهداية؛ فالمنافقُ قد يعيش بين أهل الحقِّ الصادقين، ولكنَّه يبقى على خُبث المنافقين.

• عِلمُ اللهِ بما يكتُم أعداؤه فيه تطمينٌ لأوليائه الذين سيحفظُهم من كيد الكائدين، ومكر الماكرين.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

• إقدام الخاطئين على خطاياهم مسرعين، حتى كأنهم فيها محقِّين، يدلُّ على تمكُّن الشرِّ من نفوسهم، ومَن خَفيَت عليه أحوالُ الذوات، فلينظر إلى الأعمال والصِّفات.

• ليس مرتكبُ الحرام الجاهلُ به كمَن عمِله وقد نُهي عنه، وعلم بحُرمته.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

• نِعمَ المجتمعُ مجتمعٌ يحرسه حمَلةُ الشريعة، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر! فإن لم يفعلوا فلهم وعيدٌ ترجُف منه القلوب.

• إذا صار السكوتُ عن الأمر بالمعروف وتركُ إنكار المنكر صناعةً يلتذُّ بها بعضُ المنتسبين إلى العلم ليجدوا فيها الراحة؛ فبئست صناعةً امتهنوها، وبئست بضاعةً حملوها!

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

• الشغَف بالحياة الدنيا يولِّد في الطبع البخلَ والجشع، والحرصَ والطمع، ولليهود في ذلك القِدحُ المُعلَّى، والحظُّ الأوفى، ولقد كانوا من أغنى الناس؛ لكن غُلَّت أيديهم عن البذل.

• سبحان ربِّنا من إلهٍ كريم، يجود على عباده بما لا يُحصى، ويتفضَّل عليهم بما لا يُعدُّ، فمَن ذا الذي يستطيع حصرَ ما أعطى، أو إحصاءَ ما أولى؟!

• إنفاق اللهِ تابعٌ لمشيئته المبنيَّةِ على حكمته، فمتى شاء أعطى، ومتى شاء منع، فله الفضلُ في العطاء، والحكمةُ في المنع.

• النفوس التي مَردت على العصيان، وطُبعَت على الخبث والطغيان، قد لا يزيدها الوحيُ إلا شرًّا إلى شرِّها، ومرضًا إلى مرضها.

• ببُغض أهل الكتاب للمؤمنين عُوقبوا بزرع الكراهية المتأصِّلة فيما بينهم، ولولا المصالحُ الدنيوية التي تجمعهم، وعداوتُهم المشتركة للمسلمين لطالت حربُهم، وامتدَّ اقتتالهم.

• لو استطاع اليهود القضاءَ على المسلمين لفعلوا، غير أنهم يجتهدون في الإفساد بينهم اجتهادَ الساعي، لا تريُّثَ الماشي، ولكنَّ الله مطفئٌ نارَ كلِّ حربٍ أضرموها، ومصلحٌ ما أفسدوه بصيِّبِ وحيه، وحَرثِ الصالحين من عباده.

وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ
سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ
ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ
مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ
وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ٦٦ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ
بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ
رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ
تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ
فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ
هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩ لَقَدۡ أَخَذۡنَا
مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ
بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ٧٠

الحزب ١٢

١١٩

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥﴾

• لا أحدَ أكرمُ من الله عزَّ وجلَّ؛ فأيُّ عبدٍ تاب تاب الله عليه، وإن بلغت سيِّئاته ما بلغت، فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله مهما جلَّ.

• مَن رامَ السعادةَ الكبرى فليأتِ بالإيمان مشفوعًا بالتقوى؛ فإن الخيمة لا تثبُت إلا بأطنابها.

• إنما تتِمُّ سعادةُ المرء برفع العقاب، ووصول الثواب، وتكفير السيِّئات، ودخول الجنات، فيا طيبَها من ثمراتٍ للإيمان والتقوى!

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ٦٦﴾

مُقۡتَصِدَةٞ: مُعتَدِلةٌ ثابتةٌ على الحق.

• لزوم شرع الله تعالى مِعراجُ السعادة والرخاء، وطريقُ البركة والهناء، فمَن أعرضَ عنه ناله الشقاء، ونزل بساحته العناء.

• ما أعظمَ العملَ بشرع الله تعالى! إنه يضمن الصلاحَ والفلاح لدين الناس ودنياهم، فيعجِّل عطاءاتٍ على الطاعات، ويدَّخر للمؤمن في الآخرة ما يرجوه من الخيرات.

• سلوك منهج العدل عند الاختلاف هو منهجُ القرآن المبين، فمَن عدلَ من المسلمين في أحكامه على الآخرين، ولم يحمِله الخلافُ معهم على ظُلمهم كان بكتاب الله من العاملين.

• للذنوب شؤمٌ على العباد ما أقبحَه! إن المجتمع لَيكون فيه الصالحون، فلا يَحول ذلك دون عذاب الله إن كثُر في الناس الخبَث.

• ما كانت الكثرةُ وحدَها يومًا معيارًا للحقِّ، ولا مقياسًا له، فاعرف الحقَّ والزم أهلَه ولو كانوا قلَّة.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾

• العلم بدين الله نورٌ يضيء للناس الطريقَ المستقيم، وحاملُ هذا النور مأمورٌ بتبليغه، فإن كتمَه فإنه لم يبلِّغ رسالةَ ربِّه، وكفى بهذا ذمًّا.

• لله في ثنايا التكاليف ألطافٌ تعين عليها، فانظر كيف أمر الله رسولَه بالصَّدع والبلاغ، والقومُ مبغضون له معاندون، ثم كفَلَ له العصمةَ من الناس إن قام بالتكليف، وقد فعل. فما أحرانا أن نتأسَّى بنبيِّنا في تبليغ رسالة ربِّنا، متَّكلين عليه وحدَه!

• يا داعيَ الحقِّ، ثِق بحُسن العاقبة إن كانت دعوتُك إليه خالصة، وعلى سبيله مستقيمة، فأنت في أمانه وكلاءته، وحفظه ورعايته، فاحفظ الله يحفَظك.

• حسبُك أيها الداعية البلاغُ المبين، فمَن اهتدى فلنفسه، أمَّا الكافرون الذين لا قصدَ لهم إلا اتِّباعُ أهوائهم فإن الله لا يَهديهم ولا يوفِّقهم للخير؛ لإصرارهم على الكفر وعنادهم.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾

• التديُّن الصحيحُ هو القائم على الانقياد لنصوص الدين والعملِ بها، وبيانِها بلا مداهنةٍ ولا مصانعة، وإلا فهو دعوى بلا فحوى.

• التسليم الكاملُ لنصوص الحقِّ يقتضي الاستجابةَ لها وإن خالفتِ الآراء، ولم تحقِّق مطالبَ الأهواء، فالحسد والبغيُ إن وقفا عائقَين عن قَبول الحقيقةِ فقد دلَّا على أن تديُّن صاحبهما مَظهَر لا مَخبَر.

• مَن أعرضَ عن الهدى وقد جاءه، وحارب داعيَه وناوأه، فليس حقيقًا بالحزن عليه، والأسفِ على سوء المصير الذي يؤول إليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾

وَٱلصَّٰبِـُٔونَ: قومٌ باقونَ على فِطرَتهم، ولا دِينَ لهم يتَّبِعُونَه.

• الإيمان والعملُ الصالح هما مَحَطُّ نظر الله ورضاه، فمَن آمن كما يحبُّ الله، وعمل بما يرضاه، فقد أفلح وأنجح.

• أعلمتُم ما حصنُ الخائفين، وملاذُ المستوحشين؟ إنهما الإيمان والعمل الصالح، وإن الاطمئنان في هذا الحصن الأمين بقدر الإيمان والعمل.

• أيحزَن المؤمن العاملُ على شيءٍ فاته، وهو يملك من الإيمان ما لو وُزِّع على الدنيا لملأها أفراحًا؟!

﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ٧٠﴾

• من أشدِّ الناس غدرًا وخيانة قومٌ أخذ اللهُ عليهم الميثاق وأرسل إليهم الرسُلَ رحمةً بهم، فكذَّبوهم وقتلوهم. أيُّ قلوبٍ يحملها هؤلاء وهذا صنيعُهم بميثاق الله وأنبيائه؟!

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ
عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾
لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ
يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ
بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ
صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ
ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ
يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ
قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

١٢٠

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾

• لا يأمنَنَّ أحدٌ مكرَ الله تعالى إذا هو عصاه، كما فعلت يهود، فيوشك أن ينزلَ به عقابُه وهو غافلٌ معرِض.

• أيتمادى في فنون الغيِّ والفساد مَن استبانَ له المنهجُ القويم؟! إنه لا يخالفه إلا فاقدُ البصيرة، الذي يأنَفُ من استماع صوت الحقِّ والنظر إلى براهينه.

• سبحان مَن حَلُم على عبده وهو يعصيه، وأمهلَه وهو قادرٌ على عقابه! فيا ليت الجانيَ على نفسه بخطيئته يستثمر فرصةَ الإمهال، في عَقد التوبة وإصلاح الأعمال.

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾

• كيف يتردَّد عاقلٌ في كفر قوم ساق اللهُ تعالى الحُكمَ بكفرهم، وبيَّن موجباتِه في مواضعَ من آياته، أيبقى بعد هذا تردُّدٌ وامتراء؟

• إن الضلال بعد إدراك الهداية ضلالٌ مبين، فما رُفع عيسى إلا وقد حذَّر قومَه الإشراكَ بالله، فعلامَ غَلا فيه مُدَّعو اتِّباعه؟!

• لا التقاءَ بين المشركين الضالِّين والموحِّدين المتَّقين، ففي الدنيا افترقوا في الاعتقاد، وفي الآخرة تباينوا في سُكنى الدار؛ الجنَّة دارُ الموحِّدين الأبرار، والنارُ دار المشركين الفجَّار.

• قد يتباهى المشركُ في الدنيا بقوَّته وأنصاره، وأسبابِ نجاته من أخطاره، لكنَّه في الآخرة لا نصيرَ له ولا مجير، فهلَّا رحم نفسَه اليوم حالَ قوَّته، بتوحيدٍ يُنجيه يومَ ضعفه وحاجته؟

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾

• عجبًا لعاقلٍ يشتبه عليه الخالقُ بالمخلوقين، ولا يَميزُ بين صفاتِ العبد وصفات ربِّ العالمين!

• إنها كلمةُ الوَحدانيَّة التي تنفي عن الله تعالى تثليثَ النصرانيَّة المحرَّفة، فكما خلق الخلقَ وحدَه، فلا معبودَ يستحقُّ العبادةَ معه.

• يدعوهم اللهُ إلى التوبة وقد عبَدوا معه غيرَه، وهو المعبودُ الحقُّ وحدَه! فهل وراء هذا الحِلم حِلم؟

• إن أمهلهم فلحِلمه ورحمته، لا لعَجزه عن تعذيبهم أو ضعفه، فإذا تمادَوا ولم يقدِّروا حِلمَه مسَّهم بعذابه، ويا له من عذاب!

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾

• ألا ترى إلى جميلِ أسلوب ربِّنا سبحانه في دعوة مَن أشرك به مع عظيم ما اجترحوا؟ أفلا يستحقُّ عصاةُ المسلمين أن يُسلكَ معهم مسلكُ القول الليِّن لعلَّهم أن يتذكَّروا أو يخشَوا؟

• أنَّى لعبدٍ أن يُصرَّ على الذنب العظيم، والمتَّصفُ بالمغفرة والرحمة ربٌّ كريم؟ يدعوه إليه ليتوبَ عليه، فإن لم يكن الانكفاف عن خشيةٍ ووجَل، فليكن عن حياءٍ وخجَل.

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾

• ثناءٌ عظيم على عيسى الرسول وأمِّه الصدِّيقة، وحسبُهما هذه المنزلةُ التي أنزلهما الله إيَّاها، لا منزلة الإلهيَّة التي زعمَها لهما ضُلَّال البشر.

• أيكون إلهًا مَن لا ينفكُّ يحتاجُ إلى الطعام والشراب، ثم يكونُ منه بعد ذلك ما يكون؟!

• ما أعجبَ حالَ مَن تُعرَض عليه البيِّنات، فينصرف عنها إلى الأباطيل والخُزَعبلات!

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾

• من فنون الدعوة الإنكارُ على المخالفين بالحجَّة، فيضع الداعيةُ ذلك موضعَه الصحيح، ويعامِلُ به مَن يصلحُ له بالأسلوب المناسب.

• لا ينقضي العجَب ممَّن يذَرُ معبودًا حقًّا يملك نفعَه وضُرَّه وحياته وموته، ويتَّجهُ إلى معبودٍ لا يجلبُ له نفعًا ولا يدفعُ عنه ضُرًّا، وليس بيده شيء؟!

• حذارِ أيها العبدُ أن تُقبلَ إلا على الله تعالى، فهو وحدَه مَن يسمع دعاءَ عباده، فيجيبُهم ويجود عليهم، وهو وحدَه العالمُ بما تُكنُّه صدورُهم.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾

• نهى القرآنُ عن الغلوِّ في الدين؛ لأنه الآفةُ التي رُفع بها نبيُّ الله عيسى وأمُّه الصدِّيقةُ إلى منزلة الربِّ العظيم، وابتُدِعَ من الشرائع ما لم يكتُبه العليمُ الحكيم.

• الهوى يجعل صاحبَه يسومُ في أودية الضَّلال، فيَتيهُ عن الحقِّ في الأقوال والأعمال؛ فلذلك لا يصلُح صاحبُ الهوى قائدًا إلا إلى المهالك.


الجزء السادس — سورة المائدة

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ
دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ
يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ
لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ
يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ
أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ
خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا
مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ
لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ
أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ
لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى
ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ
مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣

١٢١

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾

• اللعن جزاءٌ عظيم، ناتجٌ عن ذنبٍ جَسيم، وما لُعِنَ أولائك القومُ على لسان داودَ وعيسى عليهما السلام إلا لعِظَم ما ارتكبوه من المآثم، فليحذَر كلُّ إنسانٍ يرجو رحمةَ ربِّه أسبابَ لعنه.

• إن أُشرِبَت النفسُ حبَّ المعصية ففرَّط صاحبُها في الواجبات، ولم ينتهِ عن المعاصي والمحرَّمات، واعتاد الكذبَ والنفاق، فما له سوى الإبعاد.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾

• النهيُ عن المنكر صِمامُ أمانٍ للمجتمع، ومانعٌ واقٍ من نزول السخَط والنِّقَم، فمَن عمل بهذه الشَّعيرة بجدٍّ وإخلاص حاز بها الوقاية والخلاص.

• يا حسرةً على مسلم يُعرِض عن النهي عن المنكر وهو قادرٌ على إنكاره! ألم يسمع ذمَّ اللهِ للمعصية وتركِ النهي عنها؟

• السكوت عن المنكر لا يُنجي صاحبَه؛ فقد سمَّى الله التهرُّبَ من هذه المسؤوليَّة فعلًا بئيسًا، فكيف إن اجتمع إليه الرضا بالمنكر؟!

﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾

• من صنيع مرضى القلوب في كلِّ زمان موالاةُ أعداء الدين، من المشركين والملحدين، ومناصرتُهم على المؤمنين، وقد عانى رسولُ الله ﷺ وصحابتُه بسببهم ما عانَوا.

• كثيرًا ما يُؤتى الإنسانُ من قِبَل نفسه، حين تسوِّل له الشرَّ وتزيِّنه، وتُغريه به وتَفتِنه، فطوبى له إن أدَّبها وربَّاها، وعلى مراقبة الله حمَلها وزكَّاها.

• لو رأى مُقارفُ المعاصي ما تَجنيه عليه من العقاب لاشتدَّ منها حذرُه، ولكن نعوذ بالله من الغفلة.

﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾

• أيُّ قلبٍ هذا الذي يمكن أن تجتمعَ فيه وَلايةُ الله ووَلايةُ أعدائه؟! وكيف يكون عبدًا لله مَن يتولَّى عدوَّ الله؟!

• القرآن هو الفرقانُ بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، فمَن آمن به حقَّ الإيمان كان لأعداء الدين من المبغِضين المعادين، ولأولياء الله من المحبِّين الموالين.

• لا عجبَ أن يأتلف المنافقون والكافرون في عَداء المسلمين، فقد اتفقوا من قبلُ في عصيان ربِّ العالمين.

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾

قِسِّيسِينَ: عُلَماءَ النَّصارى.

وَرُهۡبَانٗا: عُبادَ النصارى.

• ما أشدَّ عداوةَ اليهود والمشركين للمؤمنين! كِلا الفريقين اجتمعا على الكفر، والانهماكِ في الهوى، والإمعان في التمرُّد، والاستعصاء على الأنبياء.

• إن مَن انحرف عن جهلٍ وضلال مع إرادةٍ للحقِّ وتتبُّعٍ لسُبله، لهو أقربُ إلى مُوادة المؤمنين ممَّن انحرف عنه كِبرًا وحسدًا.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾

ٱلشَّٰهِدِينَ: الذين يَشهَدُونَ على الأُمَم السابقة، وهم أمةُ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ.

• قد يبلغ التأثُّر بالإنسان مبلغًا يعجِز القولُ عن التعبير عنه، فتقومُ الدمعات مقامَ الكلمات، ورُبَّ لغةٍ تكلَّمت بها العينان، أفصحُ من لغةٍ نطق بها اللسان.

• لو عقَل قارئُ القرآن وسامعُه ما في الآيات القرآنية من العِظات الإلهية، والعِبَر المَرضِية، ما استطاع حبسَ دموعه، خشوعًا وخضوعًا.

• مَن جدَّ في الحقِّ طلبًا وعملًا كان تأثُّره به لازمًا، فإن لم يستشعِر قلبُه حلاوته، ولم تُقبِل جوارحُه على العمل به، فليُصلح ما في إرادته ونيَّته من زلل، وما في تصوُّره وفهمه من خلَل.

• لا يكفي أن تذرفَ دموعَ التأثُّر عند سماع الحق، بل لا بدَّ من خطواتٍ عملية تدلُّ على صدقك، إيمانًا وقبولا، وإذعانًا وامتثالا.

• ليحرص مَن كان قدوةً لغيره يتأسَّون بفعاله، ألَّا يُخفيَ ما يجب إعلانُه، فإنه لا يُحمَد إسرارُه وكتمانُه، حتى ينتفعَ به جمعُ المقتدين، وتتَّضحَ طريقُ السالكين.

• ليس الفضلُ بتقدُّم الزمان ولا سبقِ السنين، فأمَّة محمَّدٍ ﷺ آخرُ الأمم، ولكنَّها خيرُها وشاهدةٌ على مَن قبلها، ولا تنكر الأممُ هذا الشرفَ لها.

وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا
رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٤ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ
أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٨٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ
طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٨٨ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ
بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ
فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ
أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ
ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ
أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ
رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠

١٢٢

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٤﴾

• لله درُّ أقوامٍ أدركوا قدرَ المآل وأهميَّةَ حُسن العاقبة، فبحثوا عن الطريق إليها فسلكوها، يحدوهم الطمعُ بكرم الله، والفوزُ بما عنده.

• لا يرغبُ عاقلٌ عن صحبة الصالحين، لكن على مَن يطمع فيها أن يسلكَ سبيلَها ويعمل بأعمال أهلها، وما هو إلا الإيمان بالله ووحيه.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾

• إن قولًا يعقُب إخلاصًا وحبًّا للإيمان ومخالطةً له في القلب، سيثمر ثوابًا جزيلًا؛ إذِ اصطبغَ بكلِّ ما يؤهِّله لأن يُمنحَ ذلك الثواب.

• إذا رغبتَ في أن تحظى برتبة الإحسان وعظيم جزائها، فأعلِن للحقِّ انقيادَك بقولك وعملك.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٨٦﴾

• الكفر والتكذيبُ بالحقِّ الذي جاء به الرسُل طريقٌ يسلك بأصحابه نارَ الجحيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾

• لا تحرِّموا طيِّبًا أحلَّه الله فتمنعوا بذلك مصلحة، ولا تحِلُّوا خبيثًا حرَّمه الله فتُبيحوا بذلك مفسدة، ففي كليهما اعتداءٌ لا يرضي الله.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾

• ما كلُّ ما تستطيبه نفسُ الإنسان يصير حلالًا، وإن كان كلُّ حلالٍ طيِّبًا، ولذا كان شرطُ المأكول أن يكونَ حلالًا طيِّبًا.

• تناولُ الرزقِ الحلال الطيِّب يحتاج إلى أن ترافقه تقوى الله تعالى؛ ليجتمعَ قضاءُ حقِّ الجسد وحقِّ الروح، وبذلك تتمُّ العبادة.

• الإيمان الحقيقيُّ مستلزمٌ للتقوى، فمَن لم يتَّقِ الله فهو إمَّا فاقدٌ للإيمان كلِّه، وإمَّا ناقصُ الإيمان.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩﴾

بِٱللَّغۡوِ: بما لا يقصِدُه الحالِفُ؛ كقوله: لا والله، وبلى والله.

وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ: اجتنِبُوا اليمينَ من غير حاجة، وإن أوقعتُموها فوَفُوا بها، وكفِّروها إن لم تَفُوا بها.

• من مظاهر حِلم الله ورحمته بعباده أنه لا يؤاخذُهم باللغو في أيمانهم؛ لكثرتها على ألسنتِهم، وقلة التحرُّزِ عنها.

• اليمين إذا عقدَها المسلمُ ترتَّبَت عليها أمورٌ عظيمة، فينبغي له أن يتأمَّلَ فيها ويتريَّثَ قبل عقدِها.

• أفلا يحمَدُ المسلم ربَّه أن شرَعَ له تكفيرَ السيِّئات بالقيام ببعضِ الأعمال الصالحات؛ لكي يضبطَ أقوالَه وتصرُّفاتِه حسبَ ما يُرضي الله تعالى؟

• من العدل أن الإطعام يكون من الوسَط، فلا حَيفَ فيه على مَن يجبُ عليه، ولا على من يجبُ له.

• بُنيَت شريعةُ الإسلام على التيسير حتى في عقوباتها، فالتخييرُ في الحكم المترتِّبِ على المخالفة الشرعية يحكي تلك النعمةَ على هذه الأمة.

• في الأمر بحفظِ اليمين إلماحٌ إلى المقصود بالكفَّارات، ألا وهو تأديبُ النفس على العناية بالقول، وتعظيمُ الحَلِف بالله.

• التلفُّظ باليمين إنما يكون لحاجة، فلا بدَّ أن يكونَ بقدرٍ من غير إفراط؛ لأن كثرة الحلِف قد تسوق إلى الحِنث وقلةِ المبالاة بالعظيم سبحانه.

• ألا يستحقُّ الشكرَ ربٌّ أبانَ للعباد حدودَ الإسلام، وشرائعَ الأحكام، ويسَّرت لهم شريعتُه طُرقَ المخارج من المآزق والمضايق؟! بلى والله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾

وَٱلۡمَيۡسِرُ: القِمار، وهو المُراهَناتُ التي فيها عِوَضٌ من الجانِبَين.

• لو تأمَّلتَ الاقترانَ بين هذه المحرَّمات التي لا يقارِفُها مؤمن، لتبدَّى لك عظيمُ خطَرِها.

• لا تحرِّمُ الشريعةُ إلا كلَّ قذِرٍ نجِس، حسيٍّ أو معنوي؛ فإنها تريد للمؤمنِ أن يكونَ طاهرًا كلَّ الطهارة، منزَّهًا عن كلِّ رِجس.

• انظر إلى علل الأحكام تعرِف بها عظمةَ الإسلام؛ فإنه لا يُجيزُ ضياعَ العقل بالخمر، ولا ضياعَ المال بالمَيسِر، ولا ضياعَ العزَّة بالتذلُّل للأنصاب، ولا ضياعَ العلم بالجهل بالتَّمن والمتمَّن.

• حسبُ المؤمن أن يعلمَ عن عملٍ ما أنه من الشيطان حتى يَنفِرَ منه حسُّه، وتشمئزَّ منه نفسُه، ويُعرِضَ عنه كِيانُه، وتتنزَّهَ عنه أركانُه.

• الفلاح مرهونٌ بترك المحرَّمات، ولا سيَّما هذه المنكرات؛ إذ ما أكثرَ مفاسدَها الداعية إلى اجتنابها لمَن كان له عقلٌ ناهٍ وقلبٌ حي!

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

• أعدى أعداءِ الإنسان هو الشيطان، فاحذر مصايدَه؛ فإن فيها العداوة والهلاك.

• ساء نظرُ مَن يرى في هذه المعاصي أُنسًا وخيرًا، وهي التي تثير العداوة والبغضاء بين القُرناء، وتستجلب سخطَ ربِّ الأرض والسماء.

• للمؤمن في ذكر الله تعالى وإقامة الصلاة رَوحٌ وريحان، وسعادةٌ واطمئنان، فما يصدُّ عنهما فهو سوءٌ يُجتنَب، وشرٌّ لا يُرتكَب.

• لقد رَفَق بك مولاك الكريمُ فيما نهاك عنه، فارفُق بنفسك ولا تفعله؛ فإن في فعله فسادَ العاجلة والآجلة.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾

• الخطايا تُبعد الإنسانَ عن كلِّ محبوب؛ فتُبعده عن ربِّه، وتحولُ بينه وبين القُربات، فمَن تقرَّب إلى الله بالطاعات، فليحذر ارتكاب السيِّئات.

• كلَّف الله رسُلَه البلاغَ المبين، ولم يكلِّفهم محاسبةَ المخلوقين، وجعل حسابَهم عليه وحدَه؛ لأنه أعلم بهم من رسُله، وأقدر على عقابهم.

• خفَّف الله عن الأنبياء فلم يُلزمهم باستجابة الناس إلى دعوتهم؛ ولو ألزمهم لشقَّ عليهم؛ فإن قلوب الخلق بيد الخالق لا بيد أحدٍ سواه.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

جُنَاحٌ: حَرَجٌ وإثمٌ.

• إن اللهَ تعالى عدلٌ لا يؤاخذ عبدًا ارتكب محرَّمًا لم يصل إليه العلمُ بتحريمه؛ لأن الله تعالى تنزَّه عن ظلم عباده.

• الإيمان والعملُ الصالح يُثمِرانِ تقوى الله تعالى، فمَن كان مؤمنًا عاملًا كان لله متقيًا، وإذا تحقَّقت التقوى حرسَت صاحبَها من ترك الواجبات، وفعلِ المحرَّمات.

• الإحسان غايةٌ عالية، ومَرتبة في الخير سامية، فيا من تتشوَّفُ نفسُه لذلك المقام، وحيازةِ ذاك الإكرام، دونك سبيلَه فاسلكه، وقد بيَّن اللهُ لك مسالكه، فما بقي إلا الانطلاقةُ الصادقة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

• إنه وإن تيسَّرت أسبابُ المعصية فلا تَرِدها؛ فإن ذلك هو عينُ الابتلاء، فهلَّا أريتَ اللهَ عندها أنك تخافُه بالغيب؟

• يُخرج اللهُ بالامتحان ما كان من أفعالِ العباد في عالم الغيبِ إلى عالم الشهادة؛ فتقوم بذلك الحجَّةُ على الفاعل على ما جرت به العادات.

• الأحكام الشرعيَّةُ الفرديةُ الخالية من الرِّقابة البشرية تُخرِجُ ما في النفوس من صدق العبودية أو كذبها.

• ما أخبرَ ربُّنا الكريم بالعذاب الأليم حتى أخبرَ بالابتلاء، وبالحكمةِ من التعرُّض له، وحذَّر من الوقوع فيه، فمَن وقعَ منه بعد كلِّ ذلك اعتداءً، فلنفسه اختار الجزاء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

ٱلنَّعَمِ: بَهيمةُ الأنعام؛ من الإبلِ والبَقرِ والغَنَم.

بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ: واصلًا لفُقراء الحَرَم.

وَبَالَ أَمْرِهِۦ: عاقبةَ فِعلِه.

• النفس البشريةُ تحبُّ الجموحَ عن عِنان الحزم، فكان لا بدَّ لها من تأديبٍ إن تعمَّدت الخطأَ الجَم، ومقصِدُ الشريعة من الكفَّارة هو العقوبة، ألا ترى أنه قد سماها جزاء؟

الجزء السابع — سورة المائدة

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ
فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ
ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟
ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا
ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ
مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ
مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ
أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

١٢٣

• إذا كان الحقُّ سبحانه قد أمرنا أن نختارَ ذوَي عدلٍ للحكم في رقبةِ شاة، فما الشأنُ في رقاب الناس ومصالحهم؟

• الصيد خروجٌ عن قصد البيت المعظَّم؛ فلذا جُعلَ الفِداءُ بالغًا إيَّاه، فكأنه رجعَ به إلى قصدِه.

• كيف لا تكون الكفَّارةُ وبالًا وقد أنقصَ المعتدي مالَه، وحرَم نفسَه، فهلَّا أحسَّ بنتائج جُرمه؛ حتى لا يعودَ إلى مخالفته مرَّةً أخرى؟

• لا تريد الشريعةُ إعناتَ الناس؛ فهي تتجاوزُ عمَّا كان قبل تقريرِ العقوبة، لكنَّها تُعنى بالانقياد، وتحرِصُ على التأديب على المخالفة بعد تقريرها، وعلمِ الفاعل بها.

• ليس الهلاكُ بمعصيةٍ زلَّ بها الإنسان، فانكفَّ عنها وطلبَ من الله الغفران، إنما الهلاكُ بتكرار المعاصي والإصرارِ عليها من غير توبة، فإن وصل العبدُ إلى هذه الحال استدعى إليه انتقامَ العزيزِ القهَّار.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ
وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ
أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ
ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

الحزب

١٢٤

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

صَيْدُ ٱلْبَحْرِ: ما يُصادُ حيًّا.

وَطَعَامُهُۥ: ما يُصادُ ميتًا.

وَلِلسَّيَّارَةِ: لِلمُسافِرين.

- كان صيدُ البحرِ محنةً لأمّةٍ من الأمم حالَ ابتلائها، وهو مِنحةٌ لهذه الأمّة، فليتها تحمَدُ عند تذكُّرِ ذلك بارئَها.

- ما أشبهَ موكبَ الحجيج في حال الإحرام بموكبِ الحشر والقيام، تجرَّدوا عن المَخيط، وتساوَوا في اللباس، وأقبلوا إلى البيت العتيق من كل فجٍّ عميق، مخلِّفين وراءهم الدنيا ولهوها.

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ: صَلاحًا لدينِهم، وأمنًا لحياتِهم.

- الحرَمِ مِظلَّةٌ وارفةُ الظلال، ممتدَّةُ الأمان على كلِّ حالٍ، يأمنُ فيها الإنسان والطير والحيوان.

- للبيتِ الحرام وللشهر الحرام حُرمة تحصل بها مصالحُ الأمّة إذا هم رعَوها حقَّ رعايتها.

- تشريع ما يدفعُ المضارَّ قبل وقوعها، وما يجلبُ المنافعَ بأنواعها، دليلٌ على حكمة الباري، وإحاطةِ عِلمه، وسَعةِ رحمته بعباده.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

- أتُراه يعصي اللهَ سبحانه مَن خاف عقابَه، ورجا مغفرتَه وثوابَه؟!

- بين الخوفِ من العقاب، ورجاءِ المغفرة والثواب، يُولَدُ الإقدامُ إلى الأعمالِ الصالحات، والإحجامُ عن الأفعال السيِّئات.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

- ببلاغ الرسُل قامت على أقوامهم الحجَّة، واتَّضحَت للسالكين المحجَّة، فلا عذرَ لمَن أعرض وقد أتاه البلاغُ المبين، عن طريق الرسُل أو حمَلةِ أمانتهم من أتباعهم الصادقين.

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

- ميزان العدل لا يجمعُ بين المختلفات، ولا يفرِّق بين المتماثلات، فلا يستوي عند الله الخبيثُ من الأشخاص والأعمالِ والأموال مع الطيِّب منها والحلال.

- لا تهتمَّ بكميَّةِ الأشياء وأعدادِها بقدر ما تهتمُّ بكيفيَّاتها وصفاتها؛ فالطيِّبُ وإن قلَّ خيرٌ من الخبيث وإن كثُر.

- العقلاء يعتبرون بعواقبِ الأمور التي تدلُّ عليها أوائلُها بعد التأمُّلِ فيها، فلا يُصرُّون على الاغترار بكثرةِ الخبيثِ بعد التنبيهِ والتذكير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

- ليس من الرشد والعقل أن يحرِصَ المرءُ على إبداء ما طواه السَّترُ الجميل من الربِّ الجليل من أعمال العبد؛ فلعلَّ في إبدائها ما يسوءُه.

- ما سكتَ اللهُ عنه فهو عفوٌ اقتضاه حِلمُه على عباده، ويوشك المتعرِّضُ له أن يرتفعَ عنه حلمُ الله، فيكلَّف بالمسؤول عنه ويحاسَب عليه، وكان في عافيةٍ ما ترك التنقيبَ عنه.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

- رُبَّ جهلٍ بشيء خيرٌ من العلم به، فليس كلُّ علم ينفع، فما طَوى الله تعالى علمَه عن الناس من أمر الدين فالخيرُ في ترك السؤال عنه.

- العقلاء يعتبرون بما جرى لغيرهم، والجهلاءُ لا يعتبرون إلا بأنفسهم.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

بَحِيرَةٍ: التي تُشقُّ أُذُنُها، أو التي يُترَك حلبُها والانتفاعُ بها، إذا ولَدت عَددًا من البُطون.

سَآئِبَةٍ: التي تُترَكُ للأصنام إثرَ نَذْر.

وَصِيلَةٍ: التي تتَّصِلُ ولادتُها بأنثى بعد أنثى؛ فتُترَكُ للأصنام.

حَامٍ: الذَّكَرُ من الإبِلِ إذا وُلِدَ من صُلبِهِ عَددٌ من الإبِلِ، لا يُركَبُ ولا يُحمَلُ عليه.

- التشريعُ الوضعيُّ المخالف للوحي هو افتراء للكذب على الله؛ لأنه سبحانه أعلم بمصلحة خلقه، وله الحكمةُ البالغة فيما شرَعه لعباده.

- تشريع ما يخالفُ وحيَ السماء، وفرضُه على الناس، ليس من العقل والحكمة، وإنما العقلُ كلُّه والحكمة كلُّها في اتِّباع الوحي، فمَن أحلَّ أو حرَّم مع الله فقد شهدَ على نفسه بفساد عقله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

• ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة؛ أولئك يُدعَون إلى دين الله وشرعِه فيعتذرون بالاكتفاء بدين الآباء، واليومَ يُدعى قومٌ لحكم الله وشرعه فيعتذرون بالاكتفاء بقوانين البشر!

• العالِم المهتدي هو مَن بنى قوله على الحجَّة والدليل، وإلا فليس رأيُه بالذي يُحتذى في سلوك سواء السبيل.

• مَن جمعَ العلمَ والاهتداء صحَّ أن يكونَ أهلًا للاقتداء، فعلمُه يكشف أصحَّ الطرق التي ينبغي أن تُقصَد، واهتداؤه يبيِّنُ للسالكين كيف تُسلَك.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ: ألزِموا أنفسَكم العملَ بالطَّاعة.

• لا يتِمُّ اهتداءُ الإنسان حتى يقومَ بالواجبات ويترُكَ المحرَّمات، ويأمرَ بالمعروف غيرَه من الناس، فإن ضلُّوا بعد ذلك فلن يضرَّه ضلالُهم، ولا ينقصُ اهتداءَه انحرافُهم.

• أقبِل على نفسك فاستكمِل فضائلَها، واشتغل بتزكيتها وتطهيرِ أخلاقها؛ فإن ذلك يُعينك على الثبات إذا فسَد الزمان بأهله.

• سواءٌ مَن اتَّبعَ منهاجَ الحقِّ أو مَن اتَّبع مناهجَ الخَلق، الكُلُّ إلى الله عائد، ولكن شتَّانَ بين عواقب الفريقين يومَ المعاد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

• كم رخَّصَ في السفر من الأحكام، في الطهارة والصلاة والصيام، ومع ذلك يحثُّ في الوصيَّة على لزوم التمام، ويدعو إلى عدم التهاون فيها بالسفر؛ لِما يترتَّب عليها من المصالح.


الجُزْءُ السَّابِعُ — سُورَةُ المَائِدَةِ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

١٢٥

• إذا كان الموتُ مصيبةً لا تخطئُ أحدًا من البشر فإن من الواجب عليهم الاستعدادَ لها، بأداءِ الحقوق كاملةً لأهلها؛ لله ولخلقه.

• ليت الصلاةَ تفعل في نفوس الناس فِعلَها الذي شُرِعَت له؛ إذن لما أنطقتهم إلا بالصِّدق، ولما وجَّهتهم في معاملاتهم إلا نحوَ الخير.

• الأوقات تتفاضلُ بما يكون فيها من العبادات، فمراعاةُ الحُرَم فيها إذ ذاك أجدر، والمخالفةُ فيها بالعقوبة أكبر.

• الإقسام بالله تعالى يذكِّر المُقسِمَ بعظمة الله، فيخشى حينئذٍ الميلَ عن الحقيقة والإخبارَ بخلافها، فمَن عظُمَ اللهُ في قلبه سيصدقُ في قَسَمه؛ فإن الله علَّام الغيوب.

• المؤمن لا يبيع آخرتَه بدنياه، فمهما بلغت فإنها متاعٌ قليل، لا يساوي شيئًا أمامَ الدين الذي به نَيلُ النعيم الكثير في الآخرة.

• الإحسان إلى ذوي القربى لا يتناول محاباتَهم في حقوقِ الناس، فمَن أحسنَ إليهم في ذلك فقد أساء إلى نفسه، وإلى أصحاب الحقوق.

• ألا تلاحظُ تعظيمَ اللهِ لأمر الشهادة إذ أضافها إلى نفسه؟ فعلى المسلمين الاعتناءُ بها، والقيامُ بالقِسطِ فيها، وألا يتركوا هذا الواجبَ المتعلِّقَ بحقوق الناس؛ فإن كتمانَ الحقِّ إثم.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

• الشريعة تَعتدُّ بالقرائن، وتعتدل في معاملة النفس في الحقوق، فمَن ظهر كذبه في الشهادة سقط، وقام غيرُه مقامَه.

• تذكُّرُ ما يترتَّب على الاعتداء والظلم من العقوبات يزَعُ الإنسانَ العاقل عن ارتكاب الحماقات، فلو شهِد لم يجاوز حدَّ الحق.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

عَلَىٰ وَجْهِهَآ: على حَقيقَتِها.

• احتاطت الشريعةُ بالتدابير الواقية من الوقوع في الحَيف؛ حتى يقومَ العدل، فأحكمَت في الدنيا القضاء، وغلَّظَت في الآخرة العقوبةَ لمَن يستحقُّها.

• استشعار رقابةِ الله تجعل المرءَ يتحرَّى الصدقَ ويشهد بالحق، فمَن لم يكن عنده هذا الوازعُ فليخشَ مَن سيشهد على بطلان أقواله، فيفضحُه بين الناس.

• التقوى يَنبوعٌ عذبٌ يفيض بكلِّ خير، فمَن تضلَّع منه شهِدَ بالحقِّ وقام بالقِسط، وبذلك يصيرُ من المهتدين، فإن لم يَرِد هذا المنهلَ فقد يشهدُ بالجَور فيصير بذلك من الفاسقين.

۞يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ
إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ
ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ
ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ
ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ
جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ
إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ
بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١
إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ
أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣

١٢٦

﴿۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾

• إنه موقفٌ عظيم، ومشهدٌ مَهول، فإذا كانت الرسُل يوم القيامة ستُسأل: بماذا أُجيبت؟ فما موقفُ الناس حين تُسأل: بماذا أجابت؟

• للهِ أدبُ الرسُل وأخلاقُهم! فهم ينفون عن أنفسهم العلمَ بالغيب من دون الله، ولا يحكمون على ما في ضمائر الناس، ويترفَّعون عن تصفيةِ الحسابات مع الأتباع المكذِّبين.

• في مواقف الهيبة قد تخرَسُ الألسنة، ولا تَنبِسُ الأفواه ببنتِ شَفة، فكيف بموقفِ العرض الأكبر، أمامَ الربِّ العظيم؟!

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾

بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ: جبريلَ عليه السلام.

ٱلۡأَكۡمَهَ: مَن وُلِدَ أعمى.

• إذا ما أنعمَ اللهُ على والدَيك بنعمةٍ فاشكرها؛ فإنها من نِعَمِ الله عليك، وليكن شكرُك قولًا وفعلًا واعتقادًا.

• نعمةُ الله على العبد قد تكون بالأصالة، وقد تكون بالتَّبَع، فما أنعمَ اللهُ على أحدٍ نعمةً يصلك من تلك النعمة شيءٌ فهي نعمةٌ عليك بالتَّبع تستحقُّ الشكر أيضًا.

• إذا رضيَ اللهُ تعالى عن العبد أنعمَ عليه بالتأييد والحماية، ومدَّ إليه يدَ الإكرام والرعاية.

• الدعوة إلى الله وهدايةُ الخلق إليه من أعظم النِّعَم على العبد، فمَن كان داعيةً في صغره وكبره فقد نال من هذه النعمة حظًّا وافرًا.

• يا مَن امتنَّ اللهُ عليه بالعلم بدينه، قد خصَّك سبحانه بشيءٍ ممَّا جادَ به على أنبيائه، فاشكره على هذه النعمة، سائلًا إيَّاه أن يعلِّمَك أسرارَ التشريع والحكمة.

• إذا ما أتقنتَ صناعةً أو فنًّا نافعًا فاشكرِ اللهَ سبحانه عليه بتسخيره في خدمة الحقِّ.

• لكلِّ قومٍ لغةٌ من البراهين يقتنعون بها، والحكيمُ مَن اختار أقربَ البراهين إلى قلوبِ المخاطَبين.

• ليتَ الغُلاة في عيسى عليه السلام يدركون أن معجزاتِه ما كان لها أن تكونَ لولا إذنُ الله جلَّ جلاله، أفبعدَ هذا يكون إلهًا يعبدونه، أو ربًّا يخضعون له؟!

• كفُّ شرِّ الأعداء من أعظم النَّعماء، وتسلُّطُهم على الإنسان من غير حمايةٍ من الله من أعظم البلاء.

• طريق الدعوة إلى الحق معبَّدةٌ بالعناء والنصَب، والمشقَّةِ والتعب، فأيُّ داعٍ للحقِّ لم يوطِّن نفسَه على هذه السنَّة الجارية سقطَ عند أوَّل هبوب الريح على تلك الطريق العظيمة.

• قد لا يَسلمُ الداعيةُ من أذى مدعوِّيه، حتى ولو جاءهم بكلِّ آية تبرهنُ على صدقه، فمَن حصَل له ذلك فلا يستغرب هذا السلوك.

• الرميُ بالسِّحر وصفُ بَهتٍ تناقلته ألسنةُ المكذِّبين للرسُل، وذلك حين عجَزوا عن الإتيانِ بما يَدحَضُ الحُجَج التي جاء بها الأنبياء، وهكذا كلُّ مبطلٍ حين لا تسعفه حُجَّة.

﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾

• إن وضعَ اللهُ تعالى لقولك القبولَ بين الناس فاحمَده على ذلك؛ فإنها نعمةٌ ما أجلَّها!

• رحمَ اللهُ الحواريِّين، فقد استجابوا لدعوة الحقِّ باطنًا وظاهرًا، فأعلنوا بإيمانِ قلوبهم، واستَشهدوا عيسى عليه السلام على إسلامهم بأعمال جوارحهم.

﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

• إذا دلَّ سؤالُ السائل على ضعف الإيمان في قلبه فيحسُن وعظُه بالتقوى؛ حتى يسألَ السؤالَ الذي يليق بأهل الإيمان.

• ما أعظمَ التقوى زاجرًا عن كلِّ ما لا يليق، وداعيًا إلى فعل كلِّ ما هو حَقيق! فيا ربحَ المتَّقين بين جميع المخلوقين.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣﴾

• قد تحتاج بعضُ القلوبِ إلى شيء من براهين الحقِّ تراها عيانًا في عالَم الشهادة؛ حتى يقوى إيمانُها بعالَم الغيب، فتأتي المعجزةُ على يد الأنبياء والمرسلين، والكرامةُ على يد الأولياء والصالحين.

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

تَكُونُ لَنَا عِيدًا: نتَّخذُ يومَ نُزُولِها عِيدًا نعَظِّمُه نحن ومَن بَعدَنا.

وَءَايَةً مِّنكَ: عَلامةً على وَحدانيَّتِك ونُبُوَّتي.

• نادى عيسى ربَّه سبحانه بصفتَي الألوهيَّة والربوبيَّة، فبالأوَّلِ أثنى عليه، وبالثاني دعاه به، وذلك من كمالِ معرفةِ المسيح بربِّه.

• سأل القومُ أكل الطعام أوَّلًا، فقدَّموا الغاية الدنيوية على الدينيَّة، أمَّا عيسى عليه السلامُ فقدَّمَ الغاية الدينيَّة على الدنيوية، والأسئلةُ قد تحدِّدُ المقاماتِ و تكشف عن الاهتمامات.

• إذا أردتَّ حصولَ حاجاتِك، وتحقيق طلباتك، والظفرَ برزق كافٍ، ونيلَ عيشٍ صافٍ، فابحث عن ذلك في السماء.

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

• رحم الله امرأً رعى نِعمَ الله بشكرها، فإن أعظمَ أسبابِ زوالها جحودُها.

﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾

• ما كان عيسى عليه السلام ليأمرَ قومَه بغير ما أمرَه الله به، فما حصل من قولٍ باطل فهو ممَّن زعموا أنهم على دينه، وهو منهم بَراء.

• يا طاهرَ العِرض ويا عليَّ المقام، إذا رُميتَ بأوابد الزور والبهتان، فهوِّن عليك، فقد رُميَ بالبَهت مَن هو خيرٌ منك، واتُّهِمَ مَن هو أعلى مقامًا من مقامك.

• حين يبلغ التوحيدُ في القلب غايةً عُليا يُصبح همُّ صاحبه تنزيهَ الله عمَّا لا يليق به، فيقدِّمه على تنزيه نفسه وتبرئةِ ساحتها.

• إنها لَعظيمةٌ من العظائم تقعُ على النفس يوم يُنسَب لبريءٍ ما ليس منه، فكيف برسولٍ يدعو إلى التوحيد يُفترى عليه ما يناقض التوحيد؟!

• إن لم يكن للرسُل حقٌّ في الألوهيَّة فإن مَن دونَهم من باب أولى؛ فلا أحدَ يستحقُّ أن يكونَ إلهًا يُعبد من دون الله عزَّ وجلَّ.

• إنه الأدبُ الجميل في حضرة الربِّ الجليل، وغايةُ الخضوع والتواضع، وحسنُ تفويضِ الأمور بالكليَّة إلى الحقِّ جلَّ جلاله.

﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

• كيف سيلاقي الله عبدٌ أعرضَ عن أوامره، بإعراضه عن أوامر أنبيائه الذين لا يَحيدون عن قول ربِّهم قِيدَ أنمُلة؟

• ما أشقَّها على النفس يوم القيامة! أن يكونَ الرسول حَجيجَ المرء، يقول له: ألم أبلِّغك رسالة ربِّك؟

• من لطف عيسى عليه السلام بأمَّته أن ذكرَ رعايته أمرَ توحيدهم حتى رفعه الله تعالى، ثم أعرض عمَّا سوى ذلك وفوَّض الأمر إليه سبحانه.

• بؤسًا لمن جمعَ على نفسه شهادةَ الله وشهادة رسولِه، فأين يذهب بنفسه يوم القيامة؟

﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

• اللهُمَّ إنا عبيدُك الخطَّاؤون، وأنت سيِّدُنا الكريم، وشأنُ السيِّد الكريم أن يتعطَّف على عبيده، وما كان ليَشقى عبدٌ أنت سيِّدُه.

• لا يَعجِز اللهُ تعالى عن الانتقام ممَّن يستحقُّه، فإن غفرَ فإنما ذلك عن كمالِ علم واقتدار.

• ما الناسُ إلا قسمانِ: معذَّبٌ، ومغفورٌ له، فاللهُمَّ اجعلنا من أهل مغفرتك، ولا تمسَّنا بعذابك؛ فما لنا بعذابك طاقة.


الجُزْءُ السَّابِعُ — سُورَةُ المَائِدَةِ

قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ
خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ
مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي
وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ
مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي
وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ
إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ
شَهِيدًا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ
وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن
تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ
ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ
مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾
١٢٧

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾

• إذا ضاعَ منك بعضُ منافع الدنيا بسبب صدقك فلا تحزن؛ فستجني ثماره وأنت أحوجُ ما تكون إليه في الآخرة.

• لا يُزهدنَّك في المبادئ والمُثُل العليا كثرةُ تكاليفها، ولكن انظر إلى إشراق نهاياتها، فمراراتُ الأوائل، حلاواتُ الأواخر.

• كيف تجد شعورَك لو رضيَ عنك ملوكُ الدنيا؟ فكيف سيكون شعورُك لو رضي عنك ملكُ الملوك سبحانه، وأدخلك نعيمَ جنانه؟!

﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾

• مَن ذا الذي يملكُ السماواتِ والأرض، ويتصرَّفُ فيهما كيف يشاء إلا الحيُّ القيُّوم؟ فهل يعقِلُ هذا من يدَّعي الألوهيَّة لعبدٍ من عبيده؟

سُورَةُ الأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ
وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

١٢٨

سُورَةُ الأَنْعَامِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾

وَجَعَلَ: وخلَق.

يَعْدِلُونَ: يُسَوُّون به غيرَه، ويُشركون.

- الحمد لله الذي جعل في السماوات آياتٍ على إبداع خلقه وإتقانه، وفي الأرض براهينَ على قدرته وسلطانه، وفي آلائه على عباده شواهدَ على فضله وإنعامه.

- عجيبٌ أن ينطِقَ الكون كلُّه بعظمة الله وتوحيده، ويُعرِضُ عن ذلك أكثرُ من كلَّف من عبيده!

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾

- يا بنَ آدم، تأمَّل في خلق أصلِك، وتدبَّر في مبدأ أمرك؛ حتى تتواضعَ لمَن خلق السماواتِ والأرض، والظلماتِ والنور.

- لو كانت معرفةُ الموت وميعادِ القيامة ممَّا يُدركه الخلقُ لم يتحقَّق تمامُ العبودية؛ لأن النفس البشرية مطبوعةٌ على حبِّ اللهو، والرغبةِ في التفلُّت من التكاليف، فإخفاءُ ذلك من أعظم النِّعَم.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾

وَهُوَ ٱللَّهُ: الإلهُ المعبودُ بحقّ.

- لم تخلُ السماواتُ ولا الأرضُ من عبادة الله تعالى، فمَن خرجَ عن نسقِ الكون كان نشازًا.

- إذا علِمَ العبدُ أن الله يعلم سرَّه وجهرَه، استحيا منه، فلم يترُك أمرَه، ولم يفعل نهيَه، وإذا لم يُثمرِ العلمُ بذلك هذه الثمرةَ، فلا فائدةَ منه.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾

- ما أكثرَ الآياتِ الداعيةَ إلى الإيمان، ولكن ما أقلَّ المستجيبين لها! وما يُعوِزُ المعرضين كثرةُ الآيات، ولكن يُعوِزُهم الاعتبار بالبيِّنات.

- أيها العبدُ، لا تعُقَّ سيِّدَك فتُعرِضَ عمَّا جاءك به؛ فإن من حقِّه عليك -وهو ربُّك- أن تُقبِلَ بكُلِّيَّتك على ما يأتيك منه.

- حين يبلغ المُعرِضُ عن الاستجابة للحقِّ غايةَ ردِّ كلِّ برهانٍ وصلَ إليه، فاعلم أن طبعَ قلبه على ما هو عليه من الباطل قد بلغ غايةً قصوى لا تذهب إلا بالحصاد.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾

- كم إنسانٍ يمتطي مَشقَّاتِ البحث عن الحقِّ، ويَجهَدُ في طلبه حتى يجدَه، على حين يأتي الحقُّ إلى آخرين متودِّدًا إليهم كي يقبلوه، فلا يلقى منهم سوى الإعراض!

- مهما توقَّع منكرو القرآنِ نوعَ الوعيد ومكانَه وزمانَه فلن يعرفوه، وسيبقى التهديدُ به يُقلقُهم.

- المنكرون للحقِّ ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من يُضيفون إلى إنكارهم له الاستهزاءَ به والسخريَّةَ منه، فما أقبحَ جُرمَهم!

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾

- العاقل مَن اتَّعظ بغيره، والجاهلُ مَن اتَّعظ بنفسه، فاللبيبُ إذا قرأ تاريخَ مَن غبَر كان له منه مُعتبَر، فوجدَ أن موالاةَ النِّعَم على المعرضين، تعجِّل لهم النِّقَمَ في أقرب حين.

- إنما التمكينُ بتيسير الله تعالى، فهو مَن يَمُدُّ بأسبابه ليبلوَ عباده؛ أيقومون بعهده فيعبدونه، أم يجعلون من أنفسهم طواغيت فيجحدونه؟

- الذنوب مِنجَلُ حصاد، يستأصل الظالمين من العباد، وقد جرَت سنَّةُ الله تعالى بذلك في كلِّ عصر، فهلَّا من توبةٍ قبل حلولِ العقوبة.

- إذا انقرضت الأمَّةُ الظالمة فجاءت بعدها أمَّةٌ أخرى، فإن كانت عاقلةً لم تسلُك مسلكَ الأمَّة الهالكة، وإن جمَحَت بها الأهواءُ فسارت سَيرَها فلترتقب مصيرَ سلفِها، ولو طال بها الزمن.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

- إن الحُجَجَ القاطعة، والبراهينَ الساطعة، وإن بلغتِ الغايةَ في الاتضاح، والنهايةَ في الخير والصلاح، فليست بمُغنيةٍ شيئًا عند مَن لا يريدُها ولا يرغبُ في الإفادة منها.

- شأن المحجوج المغلوب أن يتعلَّق بالمعاذير الكاذبة والحِجاج الواهية، ليستترَ بها سوأةَ مكابرته، وفضيحةَ الغلَبة عليه.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾

- طلبُ ما لا يمكن حصولُه عادةً متمسَّكُ واهٍ يلجأ إليه من ألجمَته براهينُ الحق، ولم يجد في بيداءِ الباطل طريقًا تُخرجُه من حيرته.

- ليست مهمَّة رسول الله ﷺ التصدِّيَ لرغباتِ الكافرين، وتلبيةَ اقتراحات المُعرِضين، التي إن تحقَّق بعضُها طلبوا المزيد؛ عِنادًا واستكبارًا، وإنما عليه البلاغُ المبين.

وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا
يَلۡبِسُونَ ٩ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ
سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ قُلۡ سِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ
١١ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ
نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ
فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢ ۞ وَلَهُۥ
مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣ قُلۡ
أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ
يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ
رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ
وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ
لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ
١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨

الحزب ١٣

١٢٩

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩﴾

• مجيءُ الرسولِ إلى البشر من جنسهم وليس من الملائكة رحمةٌ من الله تعالى؛ إذ يحصُل بذلك كمالُ الاقتداء، وتمامُ الاهتداء، فلا عذرَ لمَن كذَّب به، أو قصَّر في اتِّباعه.

• قال قتادة: (ما لبَّس قومٌ على أنفسهم إلا لبَّس اللهُ عليهم، واللَّبْسُ إنما هو من الناس، قد بيَّن اللهُ للعباد، وبعث رسلَه، واتخذ عليهم الحجَّة، وأراهمُ الآيات، وقدَّم إليهم بالوعيد).

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾

• لا تأبَه بالمستهزئين بالحقِّ وأهلِه، فإنَّ عاقبتَهم وَبيلة.

• معرفة الداعي إلى الهُدى مَصارعَ المكذِّبين للحقِّ والمستهزئين به تُسلِّيهِ في طريق دعوته، وتحثُّه على الاستمرار في تبليغ رسالته.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾

• انظري أيتها الأمَّة في حال الأمم السابقة نظرَ تأمُّلٍ واعتبار؛ فإنهم وإن رحلوا فقد خلَّفوا من ورائهم الأخبارَ والآثار، وفيها عِبرةٌ لمَن اعتبَر، وذكرى واعظةٌ لمَن ادَّكر.

• العِبَر المشاهَدة تعضُدُ العِبرَ المُتصوَّرة، وقراءة مشاهدِ الحياة بعين البصر والبصيرة من أعظم المواعظ.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢﴾

• الإقرار بوجود الله ومُلكه يَلزمُ منه الإقرارُ بوَحدانيَّته وانفراده.

• إذا كانت رحمةُ الله في الدنيا لا تُحصى مظاهرُها، وهي رحمةٌ واحدة، فكيف رحمتُه بعباده يومَ المَعاد، وهي تسعٌ وتسعون رحمة؟!

• كتب اللهُ على نفسِه الرحمة، ولم يكتبها عليه أحد؛ فضلًا منه وكرما، ورأفةً بعباده وحِلما.

• لو شاء اللهُ لحاسب كلَّ أحدٍ من خلقه وحدَه دون ذلك الجمع، ولكنَّه جمعَ الخلق كلَّهم في صعيدٍ واحد؛ تشريفًا لأهل طاعته بين الخلائق بثوابه، وإذلالًا لأهل معصيته بعقابه.

• الإيمان بطاقةُ النجاة بين يدَي الله تعالى، فمَن أضاعها فقد خسر خسرانًا مبينًا.

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾

• لا يليقُ بالإنسان المخلوق المملوك أن يعصيَ الخالقَ المالك لكلِّ شيء.

• سبحان مَن لا يعزُبُ عن علمه وسمعه شيءٌ من كونه، فهلَّا راقبتَه في حركاتِك وسكناتك.

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤﴾

• أيُّ عاقلٍ يدعُ خالقَه الغنيَّ الجليل، ذا القدرة الباهرة التي شهدت لها سماواتُه وأرضُه وينصرفُ إلى مخلوقٍ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضَرًّا، راجيًا وَلايتَه، وطالبًا نصرتَه؟!

• لا تُطمِع الكافرين أن يستغلُّوا ما وهبك اللهُ من لطف، وما أمرَك به دينُك من رحمةٍ ولينٍ وعطف، فيستميلوك إليهم.

• إعلان الانتماءِ الكامل للتوحيد والموحِّدين، والبراءةِ التامَّة من الشرك والمشركين، عنوانٌ صريح يقطع أطماعَ الكافرين.

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾

• الخوف من عذاب يوم القيامة حاجزٌ عن العصيان، ودافعٌ إلى طاعة الرحمان.

• ألا يستحيي العبدُ أن يعصيَ مَن يعتني به ويُربِّيه؟ ألم يكن حقيقًا به أن يفعلَ ما يقرِّبه منه ويُرضيه؟

• كم تُثيرُ عظمةُ القيامة في النفس المؤمنة من مخاوف! ولا غَروَ؛ فإنه يومٌ شديدُ الأهوال.

﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾

• لا تغترَّ بعملك الصالح فتعتقدَ أنه يُنجيك وحدَه من عذاب ربِّك؛ فإنه لا يصرِفُ عن عذاب الله يوم القيامة سوى فيضِ رحمته.

• السلامة من عذاب الله فوزٌ عظيم ينقلُ إلى النعيم المقيم، فأيُّ فوزٍ للخاسرين في الآخرة؟ ولو فازوا في الدنيا أنواعَ الفوز وأعظمَه.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾

• جديرٌ بالعبد أن يتعلَّق بربِّه سبحانه في جلب منافعه ودفع مضارِّه؛ فهو وحدَه تعالى القادر على نفعه وضَرِّه، لا يُعجزه شيءٌ يريده، ولا يمتنع منه شيءٌ يطلبه.

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾

• الله تعالى هو الغالبُ لعباده بقدرته، المستعلي فوقَهم بذاته وقهره، لا عن جهلٍ وجَور، ولكن عن حكمةٍ وخبرة.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾
ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ
وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ
أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟
يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

١٣٠

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

• أعظم الشهاداتِ شهادةُ الله تعالى؛ إذ هو العالِمُ بالقائل وما قال، وبالسامع وما سمع، وهو العليمُ بالأقوال والردود، وبالإقرار والجحود.

• ما أثبتَه محكَمُ الآيات فلا يُحتاج بعدَه إلى إثبات، وما جاء به الشرع فإنه القولُ الفصل.

• لا وسيلةَ أعظمُ من القرآن في الإنذار ولا أنفع، ولا وعظَ أجدى من وعظه ولا أوقع.

• مَن بلغَهُ القرآنُ بلغةٍ يفهمها فقد قامت عليه الحجّة به، وبلغَه الإنذار، وحقَّ عليه العذابُ إن كذَّب بعد البلاغ.

• قال الربيع بن أنس: (حقٌّ على من اتبع رسولَ الله ﷺ أن يدعوَ كالذي دعا رسولُ الله، وأن يُنذِرَ بالذي أنذَر).

• أقبحُ ما عرَف الناسُ من شهاداتِ الزُّور ادِّعاءُ أن للهِ شريكًا في ملكِه وحُكمه.

• لا مُداهنةَ في العقيدة ولا مساومةَ في التوحيد، فمَن لم يشهد ببُطلانِ الآلهة سوى اللهِ عزَّ وجلَّ فما عرَف التوحيدَ ولا الإخلاص.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

• إن المعرفةَ وحدَها مهما بلغت لا تكفُل ربحًا، ولا تمنعُ من أعظم خسارة.

• الجهلُ بالحقِّ مصيبة، وأعظمُ مصيبةً منه ردُّ الحقِّ مع العلم بأنه الحقُّ.

• الرابحَ أنت أيها المؤمن؛ فحسبُك أنك تخرُج من الدنيا بشهادة التوحيد، فتربحُ نفسَك، وتسلَمُ من الخسارة والإخفاق.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

• كيف لا يكون أظلمَ الخلق وأخسرَهم مَن يعتدي على حقِّ الله تعالى بإفراده بالعبادة، وعلى النفس بإهلاكها بتكذيب آيات الله، وعلى الخلق بإفساده في الأرض.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• سؤالُ التوحيد يومَ القيامة أعظمُ سؤال، فمَن حقَّق جوابَه في الدنيا بصالح العمل نال الفلاحَ يومَ المعاد.

• سؤالٌ يَصُكُّ آذانَ المشركين، يوم يُقال لهم عند الحساب: أين شركاؤكم اليومَ؟ هل وجدتُّموهم حقًّا، أو ألفَيتُم منهم نَصرًا؟!

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

فِتْنَتُهُمْ: إجابتُهم.

• أيُّ جَراءةٍ هذه التي جعلتهم يكذِبون على الله بين يديه في موقفٍ من مواقف القيامة؟ أهي عظمةُ الموقف، أو الاستمرارُ في الكذب وإنكارِ إحاطة علم الله بهم؟!

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• يحِقُّ للمؤمن في هذا الموقف أن يستوليَ عليه العَجَب! كيف اجترأ المشركون على الكذب على أنفسهم من أجل نجاتها، وهم قد عملوا في الدنيا على إهلاكها؟! أفيظنُّون الكذبَ نافعَهم هناك؟!

• لا تغترَّ بانتفاخ الباطل اليومَ وظهوره؛ فإن أربابَه يوم القيامة لا يستطيعون نصرَ أنفسهم، ولا إنجاءَ أتباعهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

• لا أشدَّ من موتِ القلب، فإذا ما خُتم على القلب ومات، صَمَّت الآذانُ عن سماع صوت الحقِّ، وعَمِيَت العيونُ عن إبصار الآيات، فلا تصلُ إليه بعد ذلك حياةٌ.

• العِبرة في الاستجابة للحقِّ لا في مجرَّد استماعه؛ فأنَّى ينفُذ الحقُّ إلى قلبٍ قد أُغلقت منافذُه، وسُدَّت مسالكُه؟!

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

• يعرف أعداءُ القرآن تأثيرَ القرآن في النفوس؛ إذ إنه قد يملكُ بروعته وعظمَته على الإنسان قلبَهُ؛ فلذلك نأوا بأنفسهم عن سماعه، ونهَوا الناسَ عن استماعه.

• أيظنُّ كارهُ الحقِّ والصادُّ عنه أنه بذلك قد أضرَّ بالقرآن؟! إن الحقيقة التي لم يفقهها أنه إنما ضرَّ نفسَه باستمراره على الضلال والإضلال.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾

• أيُّ صورةٍ سيكون عليها أهلُ النار وهم موقوفون عليها؟ لقد تسابقَت إليهم ظلماتُ الهوان والانكسار فكسَتهم الذلَّ والحزَن.

• للعاقل الحيِّ فُسحةٌ من الوقت للاعتبار بمَن مضى؛ بألَّا يفعلَ أفعالَهم، حتى لا يَرِدَ مواردَهم.

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

• في اليوم الآخر يُكشَف ما في الضمائر، ويُعلَن خفيُّ السرائر، فيبدو للكافرين كفرُهم، ومِصداقُ ما أخبرَت به رسلُهم، فمَن كان لبيبًا عاقلًا، لم يكن عن ذلك اليوم غافلًا.

• إذا خالط داءُ الكذب شَغافَ القلوب، وتغلغلَ فيها الكفرُ بعلّام الغيوب؛ فإن أصحابَ تلك القلوب ستبقى على حالها ولو رأت مشاهدَ من يوم القيامة، ورُدَّت بعدها إلى الدنيا.

﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

• طوبى لمَن عرَف أن الحياة الحقيقيَّة هي الحياةُ الآخرة، فلها يعمل ولأجلها يعيش.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

• لو عرَف الإنسانُ عِظَمَ الوقفة يوم الحساب لما وقَف عن طاعة ربِّه، ولما كَلَّ عن طلب ما يُرضي مولاه؛ ليسلمَ من هول ذلك المقام بين يديه.

• أشدُّ الحسَراتِ وجعًا حسرةٌ لا تُعقِبُ فرجًا، ولا تخفِّف وجعًا، فاجعل لنفسك وقايةً من ذلك المصير، بطاعةِ ربِّك العليِّ القدير.

• زراعة اليوم حصادُ الغد، فمَن زرع الكفرَ حصد العذاب، واللهُ غنيٌّ عن تعذيب مَن لا يستحقُّ.

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

• كيف لا يخسر الخسارةَ الكبرى مَن كذَّب بلقاء الله، فلم يؤمن ببعثٍ ولا نشور، ومآلُ تكذيبه دخولُ النار، وغضبُ المنتقم الجبّار؟!

• تحسَّرَ خاسرو القيامة على ما ضيَّعوه من عمل الجنَّة، أما لو آمنوا بالبعثِ وعملوا له لما تحسَّروا، فهل من مكذِّبٍ عاقلٍ يستدرك ليُوقَى العذاب، قبل أن يَستعتِبَ فلا يُجاب؟

• لا يُحاسَب على ذنبك غيرُك، ولا يحملُ وِزرَك إلا ظهرُك، فخفِّف من خطاياك اليوم؛ ليخِفَّ ظهرُك غدًا، فما أثقلَ الخطايا في ذلك اليوم!

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

• تعزَّ يا محرومًا بعضَ نعيم الدنيا، وتمهَّل يا مَن جعلتَها غايتَك العليا، فما هي إلا لهوٌ ولعِب، والآخرةُ حقٌّ وجِدٌّ، فلا تؤثرِ الخيالَ على الحقيقة.

• المتَّقون لا يُهرَعون إلى اللهو واللعِب، ولا يدَعون الاهتمامَ بالحياة الحقيقيَّة حياةِ الآخرة.

• لله دَرُّ التقوى! لم ترضَ لصاحبها دارًا يعمرُها ويشغَل قلبَه بها غيرَ دار الآخرة.

• عُميُ البصائر رأوا الدنيا حقيقة، فانصرفوا إليها وتكالبوا عليها، وأصحابُ البصائر ألفَوا الدنيا ظلًّا زائلًا، وخيالًا زائرًا، فلم يغترُّوا بها.

• أعقلُ الناس مَن انشغل عن دنياه بأُخراه، وأحمقُ الناس مَن انشغل عن آخرته بدنياه، فليختَر أحدنا مع أيِّ الصِّنفَين يمضي.

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

• يكفيك أيها الداعيةُ إلى الحقِّ أن الله يعلم أحزانَك من أجل دينه، وأشجانَك على مَن أعرضَ عنه، فهو مَن يأجرُك ويبارك عملَك.

• يا داعيَ الحقِّ، إذا تكاثفَت في آفاقك أحزانُ الدعوة فاكشِفها بالاقتداء بخير الأنبياء، ففي سيرته سَلوى عند الشَّكوى، ونبراسٌ يشُقُّ بنوره ظلامَ البَلوى.

• تكذيب الكافرين لما جاء به الصادقُ الأمين، مع إقرارهم في الباطن بصدقه المبين، يكشِفُ عن ظلمهم وجحودهم.

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

• الاقتداء بالأنبياء في الدعوة ضياءٌ يهتِكُ به الداعي ظلماتِ العناء، فيستمرُّ في سبيله صابرًا كما صبروا، حتى يأتيَه النصرُ كما أتاهم.

• إذا اشتدَّ كربٌ أو نزلت بك ضائقة فأبشِر، فإن الفرج آتيك، والسَّعة ستحطُّ بناديك.

• انتصارُ الحقِّ على الباطل نعمةٌ جليلة يمتنُّ بها ربٌّ كريم، ولا يجودُ بها على العباد غيرُه.

• إن سنَّةَ اللهِ في أهل الحقِّ لا تتبدَّل؛ يصبرون فينتصرون، فيورثهم اللهُ حلاوةَ الغلَبة.

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

• جرت سنَّةُ الله بأن لا اجتماعَ على الهدى، فلو شاء اللهُ لما كان في الدنيا إلا المهتدون، ولكنَّه قدَّر بحكمته أن يكون فيها العاصون، ولدعاةِ الحقِّ في هذا عِبرةٌ عند ردِّ دعوتهم.

• لم يكن رسولُ الله ﷺ ممَّن يجزَعُ في مواطن الصبر، فتلك صفةٌ لا تليق إلا بالجاهلين، وما أبعدَ حالَه منهم!


الجزء السابع — سورة الأنعام

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ
نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

١٣١

الحزب ١٤

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ
مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ
ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ
إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ
إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

١٣٢

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

- إذا ماتَ القلبُ ماتت رسلُه، فصَمَمُ الآذانِ من صمَمِ القلب، فأقبِل على كلامِ الله بقلبك، فذاكَ أمثَلُ ما يُعينُك على الاستجابة له بجوارحك.

- حياة القلب بالاستجابةِ للحقِّ، فإن لم يستجب له فقَدَ حياتَه، وذهبَ نصيبُ الروح منه، وإن بقيَ خفقانُه لحياةِ الجسد.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

سؤالهم الآيةَ محضُ تعنُّتٍ منهم، ألا تراهم أضافوا الربَّ إليه وكأنهم ليسوا عبيدَه؟! وهؤلاء كما لم ينتفعوا بما سلف من الآيات لن ينتفعوا بما طلبوا منها، فهم ليسوا أهلًا لأن يُجاب طلبُهم.

- إن اللهَ لا يُعجِزه إنزالُ ما طلبوا من الآيات، فهو القديرُ العزيز، غيرَ أن مَن طُبع على قلوبهم الكفرُ لن تنفعهم تلك البراهينُ ولو تعدَّدت.

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

مَا فَرَّطْنَا: ما تركنا.

- كم من الأحياءِ حولك ينطِقُ انتظامُها بأن خالقَها ومُدبِّرَها واحد!

- لو قرأتَ عن عوالمِ الأحياء لرأيتَها كعالمنا؛ مقدَّرةٌ أرزاقُها، معدودةٌ أجناسُها، محدودةٌ آجالُها.

- اللوح المحفوظُ كتابٌ حفظ كلَّ ما هو كائنٌ إلى يوم المعاد، والقرآنُ الكريم كتابٌ حفظ للخلق أحكامَ الصلاح لدنياهم وآخرتهم.

- إذا كان يُقتصُّ لبعض الحيَواناتِ من بعضٍ يومَ الحشر وهي غيرُ مكلَّفة، أفلا يُقتصُّ من البشرِ إن عمَدوا إلى تعذيبِها وهم مكلَّفون باجتناب ذلك؟!

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾

- إذا تعطَّلت طرقُ استقبال الحقائق، فكيف ستُعرف أهدى الطرائق؟ فمَن ذا يستطيع هدايةَ أحدٍ لا يسمع الحقَّ ولا يتكلَّم به، وهو محاطٌ بظلماتٍ كثيفة لا يُبصرُ من خلالها نورَ الصواب؟

- إنما جُعِلت هذه الحواسُّ ليهتديَ بها الناس، فإن لم تُحقِّق الغايةَ من خلقِها، فما أشبهَ وجودَها بعدمِها!

- لمَّا كانت هدايةُ التوفيقِ والإلهامِ إلى الحقِّ ثمينةً غالية جعلَها الخالقُ بيدِه، ولم يجعلها بيدِ الخلق، فإذا أردتَّ هذا الكنزَ الثمين فاطلبه منه.

- يا سائرًا إلى اللهِ على نورٍ وهدى، هنيئًا لك الطريقُ المستقيمةُ التي لا تتحيَّرُ فيها، ولا تخطئُ هدفَك إن سرتَ عليها.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

أَرَءَيْتَكُمْ: أخبِروني.

- إذا مَسَّكم الضرُّ فمَن الذي تؤمِّلون لُطفَه إلا الله، ألا ليتَ همَّةَ الأمَّة اليوم تستيقظ فتنفُضَ عنها غُبارَ التبعيَّة، فلا ترجو لكشفِ نائباتها شرقًا ولا غربًا!

﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

- كما تنبعث النفسُ بفطرتها إلى الطعام إذا جاعت، كذاك تهفو إلى بارئها إذا خافت. ذلك هو أصلُ فطرتها، فلا عِبرةَ إن خالفَت.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

- من علاماتِ سعادة المرء، وإرادةِ الله الخيرَ به أن تردَّه المِحنُ إلى ربِّه، وتطرحَه على بابه، فيضرَعَ إليه، ويتذلَّل بين يديه.

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

- قال قَتادةُ رحمه الله: (تضَعضَعوا لعقوبةِ الله بارك الله فيكم، ولا تعرَّضوا لعقوبةِ اللهِ بالقسوة؛ فإنه عابَ ذلك على قومٍ قبلكم».

- كم يُغري الشيطان الإنسانَ بمَساوي الأخلاقِ والأعمال حتى يعملَها! ثم يزيِّنُها له حتى يقسوَ قلبُه فيُطبَعَ عليها، فيصعُبَ عليه مفارقتُها.

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

مُّبْلِسُونَ: آيِسون، مُنقطِعون من كُلِّ خير.

- قال رسولُ الله ﷺ: «إذا رأيتَ اللهَ يعطي العبدَ من الدنيا على معاصيه ما يحبُّ، فإنما هو استدراج».

- قال قتادةُ رحمه الله: (بَغَتَ القومَ أمرُ الله، وما أخذَ اللهُ قومًا قطُّ إلا عند سَكرتهم وغِرَّتهم ونعمتِهم، فلا تغترُّوا بالله، فإنه لا يغترُّ باللهِ إلا القومُ الفاسقون).

- يا سادرًا في غفلتِه وعصيانه، وهاجرًا طاعةَ ربِّه، وغارقًا في لذَّاته ونِعَمه، انتبه فإن العقوباتِ قد تفاجئك في قمَّةِ سرورك، وعنفوانِ غرورك.

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ
عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ
رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

١٣٣

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

دَابِرُ ٱلْقَوْمِ: آخِرُهم.

- إهلاك الظالمين غيثُ رحمةٍ أزاح كدرَ الظلم والظلام، فأصبح الجوُّ برّاقَ الثنايا مُشرقَ الجوانب، وتلك نعمةٌ تستحقُّ حمدَ الله وشكرَه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

نُصَرِّفُ: نُنَوِّعُ.

يَصْدِفُونَ: يُعرِضُون.

- الإمداد بنِعَم السمع والبصر والقلب، والإفضالُ بسلامتها، نعمةٌ عظيمة توجِبُ على المنعَم عليه تسخيرَها فيما يرضي واهبَها سبحانه، وجعلَها قنواتٍ مفتوحةً لاستقبالِ الحق.

- نوَّعَ اللهُ براهينَ الإيمان وآياتِه؛ رحمةً بعباده لعلَّهم يؤمنون، فمَن لم تتَّضح له آيةٌ آمنَ بأخرى، غيرَ أن كثيرًا منهم أعرضوا ولم يستجيبوا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

- يغترُّ الظالمُ بإمهالِ الله له، وينسى أن العقوبةَ آتيةٌ لا محالةَ، فقد تأتيه فجأةً بلا مقدِّمات فتفجعه، وقد تأتيه بعد مقدِّمات فتُذلُّه وتقهره، فلا يُفلتُ من تلك العاقبة المنتظَرة مهما امتدَّ به زمنُ الإمهال.

- المؤمن التقيُّ هو الإنسانُ السعيد، سواءٌ أكان في البلاء أم في الآلاء، والفاسقُ هو الإنسانُ الشقيُّ كيف دارت قضيَّتُه واختلفت أحوالُه.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

- إنما تصلُح النفوسُ باجتماع البِشارة والنِّذارة، وهذه مهمَّةُ الأنبياء، يعالجون بها الآفات والأدواء.

- يحسُن بالمتحدِّثِ عن أحكام الحلال والحرام أن يُتبِعَها بالحديث عن حِكَمِها وأسرارِها؛ فإن ذلك يرغِّبُ بحلالها، وينفِّرُ من حرامها.

- الإيمانُ والعملُ الصالح يُودِعانِ صاحبَهما في حِصن الأمان والسعادة، فلا خوفَ إلا من الله، ولا حزنَ إلا على التقصير في حقِّه.

- إصلاح الإنسان نفسَه بالإيمان والعمل، وإصلاحُ غيره بالنصيحة والإرشاد، يجعلانه في اطمئنانٍ وأمان، وعيشٍ بعيدٍ عن الأحزان.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

- لا يُنزل الله عذابًا على أحدٍ إلا بذنب؛ عدلًا منه تعالى، وتكذيبُ آياتِ الله ذنبٌ عظيم، يستحقُّ أهلُه العذابَ الأليم.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

- على داعيةِ الحقِّ أن يكونَ واضحًا في دعوته، معلنًا بصدق منهجه وواقعيَّته، فلا يستدعي الأتباعَ بمطامعَ مزعومة، ولا يُغري المستجيبين بوعودٍ موهومة؛ فإن الحقَّ غنيٌّ عن كلِّ هذا.

- العقيدة مُستغنيةٌ عن كلِّ زُخرُف، فمَن أرادها لذاتها فهي أكبرُ من كلِّ قيمة، وأعظمُ من كلِّ غنيمة، ومَن أرادها سلعةً فهو لم يُدرك طبيعتَها، وهي لن تُغنيَه بهذه النيَّة الدنيَّة.

- العمل بغير الوحي كخَبط الأعمى، وهو عملُ الأدعياء. والعمل بمُقتضى الوحيِ كسَير البَصير، وهو عملُ الأنبياء. فلنسِر على مِنهاجهم.

- أنِر تفكيرَك بأنوار الوحي؛ حتى ترى الأمورَ على حقيقتها؛ لأن النظرَ إليها بغير ضياء السماء عَمًى يمنع من رؤية الصورة الصحيحة للأشياء.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

- القرآن أبلغُ المواعظِ في الإنذار، وأكثرُ مَن ينتفعُ به مَن يخافُ الحشرَ إلى ربِّه، فما أحسنَ أن يكونَ وسيلةَ الإنذارِ الأولى لدى الداعية!

- مَن خاف ربَّه لم يتعلَّق بسواه، لا طالبًا نصرَه، ولا سائلًا شفاعتَه، بل انقطع إلى ربِّه وحدَه، متوكِّلًا عليه، فهو الشافعُ والناصر.

- لا يكفي المرءَ أن يخاف، بل لا بدَّ له من العلم بما يُنجيه؛ ليكونَ خوفُه على بصيرة، يعرفُ معه ما يأتي وما يذَر.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

- تشريفٌ من الله لأهل طاعته المخلصين، وطالبي عِلم الدين القويم؛ بأن أوصى بتقريبهم، وصَرفِ النظر إليهم بالإكرام والاعتناء والاهتمام.

- حساب الخَلقِ على الخالق، وليس على أحدٍ من الخلائق، والحكمُ على نيَّات الناس وقلوبهم هو لربِّ الناس، فإذا نُفيَ ذلك عن الأنبياء فمَن دونَهم من بابٍ أولى.

- الظلم غيرُ محصورٍ في أخذ حقوق الناس الحسِّيَّة أو منعها، بل يتعدَّى إلى منعهم حقوقَهم المعنوية؛ كمنع البِشر وحُسن الاستقبال.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل
لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ
﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ
خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ
مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ
ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

الحزب ١٤

١٣٤

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

فَتَنَّا: ابتلَينا باختِلافِ الأرزاقِ وغيرِها.

• ليس من أمارات كونِ الحقِّ حقًّا أن يكونَ السابقون إليه كُبَراءَ الناس، فإذا ما سبقَ الضعيفُ إليه فلا يكوننَّ ذلك سببًا للانصراف عنه؛ فإنه لا يأنَفُ من اتِّباع الحقِّ إذ ذاك إلا متكبِّرٌ مفتون.

• يا مَن منَّ اللهُ عليه بنعمةِ الإيمان، اعرِف لهذه النعمةِ قدرَها، واشكره عليها، وأصلح نفسَك واجعلها أهلًا لها.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

بِجَهَٰلَةٍ: بسَفاهةٍ، وكلُّ عاصٍ لله فهو جاهِل.

• من حقِّ المؤمنين أن تستقبلَهم بالبِشر والطَّلاقة، وتحتفلَ بهم بصدقٍ ولطافة، وتبشِّرَهم بما يُحبُّونه، وتصرفَ عنهم ما يكرهونه.

• ثمرة العلم النافع تُعرَف في مواجهة المحظورات، ومطامع الهوى والشهَوات، فمَن تنزَّه عنها فنِعمَ ما حمَل من العلم، ومن استهوَته حتى هوى فيها فقد غلبَه الجهل، فيا بئسَ البضاعة!

• هلُمَّ أيها المذنبُ، فبابُ التوبة مفتوح، ومهما كان من سوء وجَهالة، فإن التوبة والإصلاح تمحوه، وكأنه لم يكن.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

• المنهج القرآنيُّ يضع للناس الصورة كاملةً بيِّنة، فهو يُعنى بإظهار الحقِّ وكشفِه، كما يُعنى بتبيينِ الباطل وزيفِه؛ حتى تتَّضحَ سبيلُ المؤمنين من سبيل المجرمين.

• كلُّ غبَشٍ وغموض ولَبس وخلطٍ يُحيطُ بمدلولِ التوحيد والشِّرك، فإنما يُموَّهُ سبيلَ المجرمين حتى يسلُكَها المغترُّون، وقد لا يدرون أنهم مخدوعون.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

• اتِّباعُ أهواءِ أصحاب الضلال، مباينٌ لاتِّباع الربِّ ذي الجلال، فعبادةُ الواحد الصمد، لا يصِحُّ أن يُشرَكَ معه فيها أحد.

• إن اتِّباعَ أهواء الناسِ قد يكون مُفضيًا إلى أعظم أنواعِ الضلال؛ إذ يفارق صاحبُه به الهداية، ويستقرُّ في حَمأةِ الغَواية.

﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾

• الإسلام دينُ عزٍّ وفَخار، ووضوحٍ وصفاء، فمَن تمسَّك به فليَجهَر بإيمانه بين الأنام، ولا يستحيِ من تمسُّكه به في العقيدة والسُّلوك والأحكام.

• احمَدِ اللهَ على نعمة الهداية التي وصلت إليك بغير كُلفة، وتأمَّل في أولئك الذين كذَّبوا بالآيات البيِّنات التي عرضَها عليهم رسولُ الله، لكنَّهم لم يقبلوها، وهي من الله لم تزل غضَّةً طَرِية!

• استعجال العذاب صورةٌ تعبِّرُ عن قمَّةِ التكذيب والاستهزاء، ونهايةِ التحدِّي والطغيان، ولمَّا لم يكن أمرُ العذاب بيد رسول الله نفاه عن نفسه، ولكنَّه آتيهم لا محالةَ ولو مُدَّ لهم حبلُ الإمهال.

• هو الحَكَمُ بين عباده، يعذِّب بعدله، ويُثيبُ بفضله، ويعجِّل العذابَ لمَن يشاء، ويؤخِّره عمَّن يريد، لا رادَّ لحُكمه، ولا غالبَ لأمره.

• مَن ذا الذي لا يَحمَدُ حُكمَ الله تعالى وقولُه هو الفصل، وما هو بالهزل، يقضي بين العباد بالعدل، ويُحِقُّ الحقَّ في الدنيا والآخرة؟

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

• سبحان مَن أسدلَ على عباده ثوبَ حِلمه فأمهلَهم مع شدَّةِ تمرُّدهم؛ رحمةً منه بهم حتى يتوبَ مذنبُهم، ولم يؤاخذهم بكلِّ ما كسَبوا عاجلًا، فلله الحمدُ على حِلمه بعد علمه.

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ: خزائنُ الغيب؛ وهي خَمسٌ مذكورةٌ في آخرِ سورة لُقمان.

• مَن لا يَعزُبُ عن علمه من الأحوال ما لا ثوابَ فيه ولا عقاب؛ كسقوطِ ورقةٍ من نبتة، ووجودِ حبَّة في بقعة نائيةٍ من كونه؛ فلن تغيبَ عنه أعمالُ عباده التي جرى عليها التكليف.

• مهما بلغَت علومُ البشر وعقولُهم فلا يمكن أن تحيطَ بشيءٍ من علم الله تعالى إلا بما شاء.

• لم يعلَمها سبحانه فحسب؛ بل جعل ذلك في كتاب؛ زيادةً في ظهور علمه وقدرته، وحجَّة على أعمال عباده.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠﴾

• يتوفَّى اللهُ عبادَه في مراقدهم ليلًا ليستريحوا من العناء نهارًا، ثم يبعثُهم بعد نومهم وهو يعلم أن كثيرًا منهم سيتوجَّهون إلى غيره، ويفعلون ما نهاهم عنه، فما أرحمَه سبحانه وما أحلمَه!

• استحضِر عند الوفاةِ الصغرى (النوم) الوفاةَ الكبرى (الموت)، وتذكَّر عند البعثِ الأصغر (الاستيقاظ) البعثَ الأكبر (يوم الجزاء)؛ فكم نائمٍ لم يقُم من فراشه، ومستيقظٍ لم يعُد إلى مَضجَعه!

• نومُك ويقظتُك تحت سلطان الله وقهره، فإن شاءَ ألا تنامَ فلن تنام، وإن شاء ألا تصحوَ فلن تصحو، فلا مُكرِهَ له، ولا غالبَ على ما يريد.

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١﴾

• العبد تحت رِقابة الله وعلمه، وهو خاضعٌ لأمر ربِّه وحُكمه؛ فملائكةٌ من الله تحفظ عليه عمله حتى ينقضيَ عُمرُه، وملائكةٌ تتوفَّاه متى حضر أجلُه.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾

• قد خلقك ربُّك لعبادته وأنت عائدٌ إليه ولا بدَّ، فهل ستعودُ إليه محقِّقًا ما خلقك من أجله، أو ستعودُ بما خالفه، فتذكَّر عِظمَ المقابلة وما زلتَ في أرض السفر.

• مَن لا يشغَلُه شأنٌ عن شأن، لا يشغله حسابٌ عن حساب، وأنَّى لأحدٍ أن يماطلَ في حسابه يومئذٍ أو يغالطَ علَّامَ الغيوب؟

﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣﴾

• تعارفَ العرب في الجاهليَّة على قُبح نُكرانِ المعروف، وإخلافِ العهد المعقود، أفلا تذكَّر مشركوهم إنجاءَ الله لهم من المهالك وقد دعَوه بالغوث فأغاثهم، ووعدوه بالإيمان فأخلفوه؟!

• التذلُّل وإخفاءُ الدعاء من أسباب إجابته، والضَّراعةُ الصادقة تفتح أبوابَ السماء.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤﴾

• استمرار عطاءِ الله بالإنجاء من الكروب، واستمرارُ العبدِ في الجحود والذُّنوب، إنما يدلُّ على لؤم تلك النفس التي يحملها العبدُ الجاحد.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾

• يا مَن نفَّس الله كُربتَه، وكشف عنه شِدَّته، لا يليق بك إلا دوامُ التذلُّل بدافع الخوف أو الوفاء، فإن لم تفعل فلا تنسَ أن الله قادرٌ على أن يعيدَ عليك الشقاء.

• لو لم يكن من عقوبةٍ سوى التفرُّق لكفَت سُوءًا؛ لما فيها من الضعف والوهَن، وجرأةِ العدوِّ، وذهاب القوَّة، فكيف وقد جُمع إليها الاحترابُ والاقتتال؟!

• لا يأمنُ مؤاخذةَ الله على الجرم إلا جاهل؛ أوَ يطمئنُّ مَن لا يملكُ أمرَ السماء فوقه، ولا الأرضِ تحتَه، ولا العبادِ الذين معه؟!

• تفضَّلَ الله على عباده بتنويع براهين الحقِّ؛ رحمةً بهم، حتى يفقهَه الناس، فيتَّبعَه مَن يتَّبعه وليس في قلبه شكٌّ ولا التباس.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦﴾

• مهما أصرَّ أهلُ العناد على تكذيب الحقِّ وردِّه، فإن ذلك لا يَنقُصُ من قَدره ولا الثقةِ به؛ إذ تكفيه شهادةُ الله له.

• يا داعيَ الحقِّ، إذا ردَّ دعوتَك أكثرُ الناس فلا تذهب نفسُك حسَرات؛ فقد ردُّوا دعوةَ مَن هو مؤيَّدٌ بالآيات والمعجزات!

وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ
يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ
وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ
رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ
أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ
هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ
ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن
فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم
بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥ وَكَذَّبَ
بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦ لِّكُلِّ نَبَإٖ
مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا
فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨

١٣٥

• أيظنُّ المعرضون أنهم يَغيظون بصدِّهم مَن دعاهم إلى الحقِّ؟ أوَ لا يعلمون أن الداعيَ مكلَّفٌ بإبلاغ الدعوة لا بنتائجها؟

﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧﴾

• ما أحوجَ الدعاةَ حين يواجهون شدَّةَ إعراض المدعوِّين وقسوةَ أذاهم إلى الثقة التامَّة بأن للباطل نهايةً وأجلًا!

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾

• المؤمن طيِّبٌ يبحث عن الطيِّب في كلِّ ما حوله، فإذا جلس مجلسًا خِيضَ فيه بما يُغضبُ اللهَ أعرضَ عنه وفارقَه.

• تيقَّظ أيها المسلم، فقد يُنسيك الشيطانُ بحِيَله أوامرَ الله ونواهيَه.

• الظالمون ينبغي أن يعتزلَهم الصالحون؛ فعَدوى الظلم قد تنتقلُ بالمجالسة، وتُستَحسنُ بالمؤانسة.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ
لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ أَن
تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ
حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ
أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

١٣٦

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

• على المؤمن إن رأى مستهزئًا بآيات الله أن يعظه وينصحه؛ ليُمسكَ عن باطله، أمَّا حسابُ المستهزئ فعلى ربِّه وحده.

• الذِّكرى طريقٌ إلى التقوى، وما أحسنَها إذا كانت معبَّدةً بالأساليب المؤثِّرة، والوسائلِ الموصلة إلى هذه الغاية السامية!

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

وَذَرِ: واترُك.

تُبْسَلَ: تُرتهَن وتُحبَس.

تَعْدِلْ: تفتدِ.

أُبْسِلُوا: ارتَهنوا بذُنوبهم.

حَمِيمٍ: ماءٍ بالغِ الحرارة.

• دين الإسلام حقيقٌ بالتوقير، حريٌّ بالتقدير، فلا مكانَ فيه للَّهو واللعب فيما جاء به.

• العاقل هو من جعلَ همَّه ما يكتسبُه من الخيرات في الدنيا، لا مجرَّدَ الحياةِ فيها.

• إن اغترَّ الإنسان بما يعود عليه وَبالًا في أُخراه، فليعلم أنه قد خدعَته دنياه.

• مَن تدبَّر القرآنَ وعمل به لم يأسِره الاغترارُ بالحياة وزينتها، ولم تَفُته مراكبُ النجاةِ من مُهلكاتها.

• مَن اتخذ دينَه لهوًا ولعبًا ربحَ المؤاخذةَ الأليمة، والفضيحةَ الجسيمة، والحبسَ عن الخير، والارتهانَ بالذنوب.

• لا عاقلَ يقبل بمكسب دنيويٍّ مهما عظُم، إن كانت عاقبتُه تجرُّعَ الحميم، ومعاناةَ العذاب الأليم.

﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا: ونَرجِع إلى الضَّلالة.

اسْتَهْوَتْهُ: هوَت به فأضلَّته.

• كُلُّ معبودٍ من دون اللهِ لا يضرُّ ولا ينفع، بيد أن عبادتَه تضُرُّ ولا تنفع، فلا تتعلَّق بغير الله، فما من أحدٍ يُغنيك سواه.

• أيُّ راشدٍ عرَف طريقَ الحقِّ وخالطَ حبُّه قلبَه فلن يتنكَّبه إلى غيره؛ لأنه سفينةُ النجاة التي لا يبارحُها حتى يصلَ إلى شاطئ الآخرة.

• يا له من مشهدٍ حيٍّ للضلالة والحيرة التي تنتابُ مَن يشركُ بعد التوحيد، ويتوزَّعُ قلبُه بين الإله الواحد والآلهة المتعدِّدة.

• حين لا تَثبُت قاعدةُ الإيمان في القلب يُراوِحُ صاحبُه حائرًا بين دعاةِ الدنيا وملذَّاتها، ودعاةِ الآخرة وتكاليفها، فيعيشُ في مهبِّ الحَيرة معذَّبًا، فإن رُزِق التوفيقَ مال إلى الآخرة.

• كلَّما فاءَ الإنسان إلى هدى اللهِ اهتدى، فإذا ما انحرفَ عنه ضلَّ وغوى.

• خلَق ربُّنا ورزقَ وأنعم ودبَّر، فكان من حقِّه أن يَستسلمَ لأمره ويَنقادَ لسلطانه كلُّ العالمين.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

• إقامة الصلاة والتزيُّن بالتقوى من مظاهر الاستسلام لربِّ العالمين، فمَن ضيَّعَهما فقد استسلمَ للشياطين.

• الناجونَ في الحشر إلى ربِّ العالمين هم المستسلمون له، الذين لم يقدِّموا على الانقياد لأمره الآراء، ولا اتِّباعَ الشهَواتِ والأهواء.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

• الكون بما فيه عالَمٌ من البراهين والحُجَج الدالَّة على قدرة الله وعِلمه وحكمته، وبديع خلقه، أفلا يقودُ ذلك ذوي الألبابِ إلى توحيده وتركِ ما سواه؟

• لا مردَّ لأمر اللهِ تعالى، ولا تخلُّفَ لقضائه وحُكمه، فكلُّ ما أمرَ به حقٌّ؛ فإن الخلقَ حقٌّ، والأمرَ حقٌّ.

• إن ادَّعى الخلقُ في الدنيا مُلكًا وتصريفًا وأمرًا، فلن يدَّعوا مثلَ ذلك يومَ يُنفخُ في الصُّور، ويُبعثَرُ ما في القبور، فلا مالكَ يومئذٍ إلا الله.

• سبحان خالقِنا العليم الخبير، الذي استوى عنده علمُ الغيب والشهادة، فلا تخفى عليه خافية، ولا تفوته صغيرةٌ ولا كبيرة، فكان أهلًا أن يُتَّقى ويُخشى في العلانية والنجوى.

الحزب ١٤

۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ
أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ
٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا
رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ
أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ
٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ
أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ
فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١

١٣٧

﴿۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤﴾

• أحقُّ الناسِ بالنصيحةِ والإرشاد الأهلُ والأقارب، على أن يكونَ ذلك بلطفٍ وتودُّد، وشفقةٍ ولين.

• الصراحة في النصح مطلوبةٌ، ما لم تُخرِج الناصحَ عن حدِّ الأدب واللباقة، وخصوصًا في مقام التوحيد.

• لو اجتمع الناسُ كلُّهم على ضلالٍ لم يصِر حقًّا؛ فإن قلّة أهل الحقِّ لا تضُرُّ، وكثرة المبطِلين لا تغُرُّ.

• لإبراهيمَ الخليلِ عليه السلام مقامٌ جليل بين طوائف العالَم ومِلَلِه، ولكنَّه بحقٍّ إمامُ الموحِّدين، وشاهدٌ على ضلال الكفرة والمشركين.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾

• إذا أحبَّ اللهُ تعالى عبدًا سلك به مسالكَ التوفيق واليقين، وأطلعَه على أصدق الآيات والبراهين، وأورثه الثباتَ على الحقِّ والدين.

• حين تجتمع أنوارُ البصر والبصيرة تنجلي عن القلب غِشاوةُ الشكِّ والحيرة، ويثبُت فيه الإيمانُ واليقين.

• ما إن تشرق الحُجَجُ للعِيان، حتى تضيءَ آفاقَ الجَنان.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾

جَنَّ: أظلَم.

ٱلۡأٓفِلِينَ: الغائبين.

• الدين الحقُّ يُبنى على الأدلَّة الناصعة البهيَّة، والحُجج القاطعة الجليَّة، ولا يُبنى على التقليد والتبعيَّة، والاعتمادِ على البراهين الوهميَّة.

• إبداع الكونِ شاهدٌ صادق على عظمَة قدرة الخالق، وكتابٌ مفتوح مَن قرأه بتدبُّرٍ هداه إلى الصِّراط المستقيم.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾

• التلطُّف في إيصالِ الحجَّة وإقناع المخالف منهجٌ قد يوصلُ إلى الغاية المنشودة بأقلِّ التكاليف.

• الله تعالى وحدَه مصدرُ الهداية، فلا تبحث عنها في مصادرَ مشبوهة، ولا معتقَداتٍ فاسدة.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾

• براهين الباطل وقواعدُ احتجاجه لا تثبُت أمام براهينِ الحقِّ البيِّنة؛ فإنه بهبوب رياح الحقِّ العاتية يتهاوى بنيانُ الباطل، وتتهافت حججُه الواهية.

• التدرُّج في إسقاط حُجَج الباطل من أدناها إلى أعلاها مَسلكٌ دعويٌّ صحيح، يهدِم فيه المُحقُّ حصونَ الباطل حِصنًا بعد حِصن، حتى يبلغَ أعتى حصونه، فيجعله كَثيبًا متطايرًا.

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾

حَنِيفًا: مائلًا عن الشِّرك إلى التوحيد.

• وجِّه إلى ربِّك وجهَك، واجعله غايتَك وقصدَك، ولا تلتفت بعد ذلك إلى غيره، وسترى حينئذٍ أنوارَ الهداية تتلألأ أمامَ ناظرَيك، فتُبصرُ بها الطريقَ المستقيم إلى ربِّ العالمين.

• ما تمكَّن الإيمانُ من قلب عبدٍ إلا أنكرَ الباطلَ وتبرَّأ منه ومن أهله.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾

• مناظرة أهلِ الحقِّ للمكذِّبين المُبطلين، دعوةٌ قرآنيَّة لإقرار توحيدِ ربِّ العالمين، وإبطالِ دَعاوى الشِّرك والمشركين.

• ما أحوجَ صاحبَ الحقِّ في مناظراته أهلَ الباطل إلى تمام هداية الله له، ليظفرَ بعَونه ووقايته من الانحراف، فإن الشُّبَهَ خطّافة والقلوبَ ضعيفة.

• طِب نفسًا أيها المؤمن، فإذا كان اللهُ معك فمَن عليك، وكن دومًا على حذر فإن الله إن تخلَّى عنك فمَن معك؟

• مع رسوخ الإيمان في القلب لا مكانَ للخوف من قوَّة الباطل.

• الإغراق في الضلال يولِّدُ غفلةً تجمَحُ بأهلها عن استماع الذِّكرى والاستفادةِ منها، فما أحوجَ الغافلين إلى استمرار النصح والتذكير!

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾

• ينبغي للداعي إلى الله أن يحذِّر العاصين مغبَّة معاصيهم، ويخوِّفهم بالله أن ينالَهم سخطُه، أو يحِلَّ بهم عقابُه.

• إنما يكون الأمانُ التامُّ لمَن استأمنَ بطاعة مَن بيده كلُّ شيء، والخوفُ كلُّ الخوف لمَن عدَل عن توحيده إلى الإشراك به.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ
وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣
وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا
مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤
وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ
وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٨٨ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ
وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ
بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ
قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾

يَلۡبِسُوٓاْ: يَخلِطوا.

• يا مَن يبحثُ عن الأمان من العذاب الأليم، ويطلبُ الهداية إلى الصراط القويم؛ عليك بمنهَلِ التوحيد الصافي، تَجِد بُغيَتَك، وتَنَل أُمنيَّتَك.

﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣﴾

• معرفة حُجَجِ الحقِّ لمقارعة أهلِ الباطل وحُسنُ استعمالها، نعمةٌ من الله ترفعُ درجاتِ صاحبِها، وتُنزِلُه المنازلَ العالية، لكونِ عملِه هذا رفعًا لراية الحقِّ وإسقاطًا لراية الباطل.

• يختصُّ اللهُ تعالى بعضَ عبادِه بتكريمه بما يُظهِرُ فضلَه ويرفعُ قدرَه عند خلقِه؛ بناءً على عِلمه وحكمته، وفضلِه ورحمته، ومن ذلك التكريم العملُ النافع.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤﴾

• مَن هجرَ الأوطانَ للهِ عوَّضه اللهُ خيرًا منها، فقد تركَ إبراهيمُ بلدَه وأقاربَه وجيرانَه، فعوَّضه اللهُ في الدنيا بالذُّرِّيةِ الطيِّبة من الأنبياء المَهديِّين.

• لا يكونُ الولدُ قُرَّةَ عينٍ لوالديه حتى يكونَ على هدايةٍ وصلاحٍ في دينه، فكيف إذا كان في أعلى مراتبِ الهداية والصلاح؟!

• ما أحسنَ عبدٌ العملَ لله إلا زاده هدًى، ألا ترى كيف وعدَ المحسنين بجزاء المهتدين؟

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥﴾

• الهدايةُ فالصلاحُ فالتفضيلُ مراتبُ يَهدي بعضُها إلى بعض، ويترقَّى فيها العبدُ من درجةٍ إلى أخرى حتى ينالَ أعلاها. فما أحرانا أن نسعى بجِدٍّ إلى دروب الهدى والرشاد.

• النسبة إلى الصالحين شرفٌ عزيز ومدحٌ كبير، فإليهم نُسِبَ ساداتُ البشر وأعلامُ الهدى في الأرض.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦﴾

• أفضل الناسِ عند الله أنبياؤه ورسلُه، وأفضلُ أتباعهم لديه أحسنُهم اتِّباعًا لهم.

﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧﴾

• إنما يكونُ من الله وحده الاجتباءُ والاهتداء، ولا يكون بقرابةٍ ولا نسبٍ ولا ولاء.

• الصراط المستقيم حِسيُّه ومعنويُّه يُريحُ سالكَه، ويوصلُه غايتَه.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾

• هدايتُك توفيقٌ من ربِّك فلا تُعجَب بنفسِك، فما فتَك بالنفس مثلُ العُجب بها.

• الهدى ما كان من الله وبنورِ الله، وما يزعمُه الضالُّون عن الصراط المستقيم هدايةً هو في حقيقته عَينُ الضلالة، فانقلابُ فِطَرِهم جعلَهم يحسَبون الظلامَ نورًا والنورَ ظلامًا.

• ما أعلى مكانةَ الأنبياء، وما أرفعَها عن أن يشوبَها شِركٌ أو يخالطَها شك! وما أحراها أن تُستحضرَ قِبلةَ اهتداء، ووِجهةَ اقتداء!

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾

• مَقام النبوَّة مقامٌ عظيم، اصطفى الله تعالى له خِيرةَ خلقه ليَعُوا عنه وحيَه إلى البشر، ويبلِّغوه إليهم بأقوالهم وأفعالهم، فما أحسنَ الاقتداء بهم!

• رسالة الحقِّ ستبلغُ غايةَ ما أرادَ اللهُ لها، ولن يوقفَها عنادُ صادٍّ ولا فتورُ مؤيِّد، ولكنَّه شرفٌ عظيم للمرء أن يكونَ من حمَلةِ تلك الرسالة المُجدِّين.

• تحقَّقَ لنبيِّنا ﷺ وعدُ الله له بنصره وإظهارِ دينه، وإعلاءِ شريعته وبقاء مِلَّتِه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾

ٱقۡتَدِهۡ: اقتدِ واتَّبِع.

• مَن رامَ اتِّباعَ هدى الله فليتَّبع مَن هداه الله.

• تعفَّف أيها الداعي عمَّا في أيدي الناس إن أحببتَ أن يُلقُوا بأسماعهم إليك، فإن عِفَّتَك أمارةٌ على صدقك وإخلاصك.

• هذا دينُ الله تعالى، ويجب تبليغُه للبشرية جميعها، فلا يختصُّ به قومٌ ولا جنس، ولا قريبٌ ولا بعيد.

• لئن كان القرآنُ منزلًا للثقلَين، إن بركتَه عائدةٌ على العالَم كلِّه إن قام به المكلَّفون.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾

خَوۡضِهِمۡ: باطِلِهم.

• مَن جحدَ رسالاتِ اللهِ فما عرَف ربَّه حقَّ معرفته، ولا عظَّمه حقَّ تعظيمه، ولا نزَّهَه عمَّا لا يليقُ به.

• كُلُّ آيةٍ تؤمن بها وتعملُ بما فيها فهي تعظيمٌ منك لربِّك، وعلامةٌ على قَدرِ الله تعالى في قلبِك.

• الجهل قد يبلُغ بصاحبِه إلى إنكار الحقائق، والكذبِ على الخالق، فيُغضِبُ عليه ربَّه، ويُضحِكُ عليه أبناءَ جنسِه.

• القرآن مصدرٌ عظيمٌ في الردِّ على شبُهاتِ المبطِلين، ومعرفةِ أساليب مناظرةِ الضالِّين الملحِدين.

• إذا غلبَ الهوى العقلَ وغلبَت الشهوة القلبَ قادا إلى جحود الحقِّ وردِّه، وتحريفِه والعبثِ بمعانيه.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢﴾

• على مِقدار منزلة الله في نفسك يكون حالك مع كتابه، فأعظِم بكتابٍ منزَّلٍ من لدُنْ خالقِك العظيم! فما أجدرَه بالقراءة والعمل، والإجلالِ والتكريم!

• مَن تدبَّر القرآنَ وعمل به فما أكثرَ ما يجدُ من بركاتِه وفوائده على قلبه وعقلِه، وجسدِه ورُوحه!

• القرآن أصدقُ مَن يخبِر عن الكتب السابقة، فلا يستطيع أحدٌ أن يقيمَ حُجَّةً ناصعةً على ما فيها بعد هذه الحِقَبِ الزمنيَّة إلا من طريقِ القرآن.

• بيئة الداعيةِ هي أَولى وِجهاتِ دعوته، ومنها ينطلق إلى ما بعدها في تبليغ رسالته، فالأقربون أولى بالمعروف.

• مَن أقرَّ بالآخرة مؤمنًا بها خاف عاقبتَها، فبحث عن سبيل نجاته فيها، ولن يجدَ أحسنَ من كتاب ربِّه، فإن صدقَ في إقراره فسيؤمن بهذا الكتاب ويتَّبع ما فيه.

• لله ما أشرفَ قدرَ الصلاة، وما أشدَّ خطرَها! إنها لتُقرَنُ هنا بالإيمان، في حين تُسمَّى بالإيمان حينًا آخر.

• الإيمان بالآخرة وبما جاء في القرآن يَهدي إلى المحافظة على أعمالِ الشريعة، وأهمُّها الصلاة.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ
قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى
لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم
مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ
يَلۡعَبُونَ ٩١ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ
يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ
ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ
وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي
غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ
ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ
ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا
فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ
ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ
شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤

١٣٩

غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ: أهوالِه وشدائدِه.

• يَعجبُ الإنسانُ من تجرُّؤ بعض الناس على الكذب على الله عزَّ وجلَّ، فأيَّ قلوبٍ يحملون، وبأيِّ لسانٍ يتكلَّمون؟!

• أيظنُّ مَن يَشرَعُ للناس ما يُغنيهم عن حُكم الله أنه سيضارع منهجَ الله تعالى، وينجحُ فيما افتراه؟! لقد خاب وظلم هو ومَن اتَّبعَه.

• يزيدُ الموتَ مشقَّةً على الكافر ما يلقاه من الملائكة من الشدَّة حال نزع روحه، في حين يخفِّفُ على المؤمن سكَراتِ الموت بِشارتُهم له.

• إهانة الكافرين والشدَّةُ عليهم عند الموت مقدِّمةٌ لما سيصيرون إليه ويَقدَمون عليه.

• حين يُودِّعُ الظالمون دنياهم، ويُقبِلون على آخرتهم، تستقبلهم تحيَّةُ التوبيخ والتقريع، والإهانة والإذلال على ماضيهم المظلِم، وسالفِ حياتهم المعتِم.

• الافتراء على الله والتكبُّر على آياته مَرَضانِ يُخشى على ذي العِلم منهما، ولا معصومَ إلا مَن عصمَه الله.

﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤﴾

خَوَّلۡنَٰكُمۡ: مَلَّكناكم من مَتاع الدنيا.

تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ: زالَ تواصُلُكم.

• يا بنَ آدمَ، تذكَّر أنك جئتَ إلى الدنيا بلا مالٍ ولا ولد ولا حَشَم ولا قُوى، وستُبعث كذلك، فلا تغترَّ بدنيا تخرجُ منها كما دخلتَ.

• الدنيا دارُ غربةٍ وسفر، والآخرة دارُ وطنٍ ومَقر، والعاقل مَن تزوَّدَ من سفره بما يُريحه في وطنه، فما أحسنَ وداعَ الدنيا بزادٍ من التقوى!

• يَرحل الإنسانُ عن هذه الدنيا مخلِّفًا وراءه المالَ والولد، وما كان يتباهى به في الدنيا، ولا يصحبُه في قبره إلا ما قدَّمه في عمُره، فلنُحسن العمل.

• مَن تعلَّق بغير الله رجاءَ أن ينفعَه، تخلَّى عنه وهو أحوجُ ما يكون إليه، وعاد عليه ما أمَّلهُ بنقيضِ ما كان يرجو منه.

الحزب ١٤

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ
دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ
﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

١٤٠

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾

فَالِقُ ٱلْحَبِّ: الذي يَشُقُّه، فيخرجُ الزرعُ منه.

تُؤْفَكُونَ: تُصرَفون عن الحقِّ.

- مَن نظر إلى هذا الكون الفسيح بعين التدبُّر والتأمُّل، وجد فيه دلائلَ باهرة، وحججًا على قدرة الله ظاهرة، غيرَ أن الغفلة قد تَصرِفُ الفِكرةَ عن العِبرة.
- ذلكم الفاعلُ الأفعالَ العظيمةَ هو الذي يعرفه الخلقُ باسمه الدالِّ على أنه الإلهُ الحقُّ، فلا تعدِلوا به أحدًا، فلا موجِبَ يصرفُكم عن توحيده.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

حُسْبَانًا: بحِسابٍ مُقدَّر.

- لقد اختار لك ربُّك وقتَ عملك ووقتَ راحتك، فالنهار للجِدِّ والعمل، والليلُ للراحة والاستجمام، فأحسِن تنظيمَ وقتِك.
- سبحان مَن تكسو نِعمُه عبادَه ليلَ نهار، وسخَّر الكونَ بقهره وعلمه للادِّكار، ولكنَّ القليلَ منهم مَن ينظر إلى ذلك بعينِ الاعتبار!
- تفضَّل الله على عباده بمعرفة حساب الأوقات، من أجل تنظيم شؤون العبادات والمعاملات، وما يحتاجون إليه من مصالح الحياة، فالقمرُ للشهور والأعوام، والشمس للأيَّام وفصول العام.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

- لو كان الليل ظلامًا مُطبِقا، لكان على الخلق أمرًا مُرهِقا، ولكنَّ الله بنعمته ورحمته جعل فيه نجومًا مُتلألئةً تهدي السارين إلى غاياتِهم.
- المستفيدُ من تفصيل الآيات وتعدادِ النِّعَم السَّابغات هم أهلُ العلم الذين يحملهم علمُهم على الاعتبار، ويدعوهم إلى العمل والاتِّعاظ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

فَمُسْتَقَرٌّ: رَحِمُ المرأة، تَستقرُّ فيه النُّطفة.

وَمُسْتَوْدَعٌ: صُلبُ الرَّجل؛ تُحفَظُ فيه النُّطفة.

- لمَّا كان الأصل واحدًا هو آدمُ عليه السلام، كان التذكيرُ به دعوةً إلى التراحُم والتوادِّ.
- مَن لا يتفكَّر ولا يتَّعظ لم ينفعه التفصيلُ للآيات، ولا التبيينُ للهدايات.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

طَلْعِهَا: ما تنشأُ فيه عُذوقُ (عناقيد) الرُّطَب.

قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ: عُذوقٌ (عناقيد) قريبةُ التناوُل.

وَيَنْعِهِۦٓ: ونُضجِه.

- كم من آياتِ عظمة الله تتجلَّى في إنزال الأمطار، وإنباتِ الزروع والأشجار، وإخراج الثمار المدهشة في تركيبها ومنظرها!
- يُنعِم الله على عباده بالثمار المختلفة؛ طعومًا وأشكالًا ومنافعَ، ويُقيمُ منها دليلًا على قدرته؛ ليسوقَهم بها إلى عبادته.
- كأن الله يقول لعبده: انظر إلى نعمتي عليك، وقدرتي في سَوق هذا الخير إليك؛ ففيه ما تُقيم به أَوَدَك، وتُصلِح به حياتَك، وترى فيه منفعتَك، وتجد فيه لذَّتَك، أفلا اعتبرت؟
- الإيمان يفتحُ القلب، ويُنير البصيرة، وينبِّه أجهزةَ الاستجابة في الفِطرة، ويصلُ الكائنَ الإنسانيَّ بالوجود حتى يتأمَّلَ فيه ويعتبر.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

وَخَرَقُوا۟: واختلَقوا وافتَروا.

- كيف يُجعَل العبدُ الضعيفُ المفتقِر، شريكًا لله الخالقِ المقتدِر؟
- عجبًا لمَن يُقابل المنعمَ الكريم بالندِّ والشريك، وهو المعبودُ الواحدُ الحق؟! هل هذا فعلُ الشاكرين.
- مَن ينسُب لله تعالى ما ليس له من الصاحبة والولد فقد خَلا قولُه من كلِّ علم صحيح، فتعالى الله عمَّا يقول المفترون علوًّا كبيرًا.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

- كمُلَ غناه فاستغنى عن الصاحبة والأولاد، واستقام مُلكُه فلم يكن له فيه شركاءُ ولا أنداد، فلا صاحبة له ولا شريك، ولا معبودَ معه ولا مليك.
- ظهور خَلقِه البديع من آثار علمه الوسيع، فما يراه الإنسانُ من إبداع الله تعالى في خلقه دليلٌ عقليٌّ على سَعة علمِه جلَّ جلالُه.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ
يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ قَدۡ جَآءَكُم
بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ
وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ
وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥ ٱتَّبِعۡ
مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
١٠٦ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
١٠٨ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ
بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ
يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠

١٤١

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾

• مبدع السَّمواتِ والأرضِ، وخالقُ كلِّ شيءٍ، والعليمُ بكلِّ شيءٍ، والعليُّ ذاتًا وقدرًا وقهرًا، هو الإلهُ الحقُّ الذي لا يُعبد معه غيرُه.

• ما تفرَّغ امرؤٌ لعبادة الله متوكِّلًا عليه، منقطعًا إليه عمَّا سواه، إلا كفاه ما أهمَّه من أمر دينه ودنياه.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾

يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ: يُحيطُ بها عِلمًا.

• تعالى ربُّنا أن تدركَه الأبصار، وسمَت عظمتُه أن تُحيطَ به الأنظار، فهل ثَمَّ مَن هو أعظم منه؟

• أحاطَ علمُه سبحانه بالظواهرِ والبواطن، والمحدَثات والكوائن، ووسِعَ سمعُه جميعَ الأصوات، وشمِلَ بصرُه كلَّ المبصَرات، وأدركَ بلُطفه وخِبرته السرائرَ والخفيَّات؛ لا إله إلا هو.

﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾

• ما أعظمَ هذا التعبير: {بصائرُ من ربِّكم}! الرسالة: أنوارٌ نزلت تهدي إلى الطريق المستقيم. والمرسِل: ربُّكم الذي خلقَكم وربَّاكم، وهو حريصٌ على إيصال الخير لكم، أفيَرُدُّ خيرٌ جاءكم من الله؟!

• إن اهتدى المرءُ بالوحي فقد أنارَ لنفسه السبيلَ الذي ينبغي أن يُسلَك، وإلا عَمِيَ وتخبَّط في أوديةِ الضلال حتى يَعطَب أو يهلِك.

• ليس من وظيفة الدعاة مراقبةُ الناس، لكن عليهم النصحُ والبيان، فمَن استبانت له الجادَّةُ فأعرضَ عنها فإنما على نفسه جَنى.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥﴾

دَرَسۡتَ: تعلَّمتَ.

• تنويع الأدلَّة والبراهين من وسائل إقناعِ الآخرين، وما أكثرَه في كتاب الله تعالى! فعلى الداعية أن يُتقنَ ذلك لإثباتِ ما جاء به الإسلام، فسامعوه متفاوتو الأفهام.

• لو كان إيمانُ الناس لقوَّة الحجَّة إذن لآمنَ بدعوة الأنبياءِ أهلُ الأرض كلُّهم جميعًا، غيرَ أن الشهواتِ والأهواءَ تَحُول بين أهلها والاستجابة للحقِّ.

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦﴾

• على مبلِّغ الحقِّ أن يلتفت بقلبه إلى الله سمعًا وطاعة، وتوجُّهًا وقصدًا، وألا يلتفت بالاسترضاء الباطلِ إلى أعداء الحقِّ طمعًا في هدايتهم.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾

• يا أهلَ الحقِّ، طِيبوا نفسًا فإن الله جلَّ جلاله منَّ عليكم بهدايته، وجعلكم من أهل كرامته وولايته.

• إذا أدَّى الداعيةُ أمانةَ البلاغ المبين فلا يحزنْ بعد ذلك لإعراضِ المعرِضين.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾

• قد ينجرُّ المسلم في محبَّته للحقِّ إلى ذمِّ الباطلِ بما يضرُّ ولا ينفع، فيُفسد وهو مريدٌ للإصلاح.

• العقلاء ينظرون إلى مآلاتِ الأمور قبل الإقدام عليها، فما أدَّى إلى فسادٍ يفوِّتُ المصلحةَ أو يزيدُ عليها فإنهم يُحجِمون عنه.

• الحُكم الشرعيُّ يلائم الحكمَ الكونيَّ في الإصلاح، فالنهيُ عن سبِّ آلهة المشركين ليس احترامًا لها، بل لأن الحَميَّةَ للضلال المزيَّن تدفعُ إلى سبِّ الحقِّ سبحانه.

• ما أكثرَ تزيُّنَ الباطلِ وتزيينَه في العصر الحاضر! والعجبُ العُجابُ أن يجدَ له من بني جلدتنا سمَّاعين ومُغترِّين.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩﴾

جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ: بأيمانٍ مُؤكَّدة.

• لا يفتأُ أهلُ الباطل يَشغَبون على المصلحين، فيطلبون منهم ما لا يملكون، وهم ليسوا صادقين في الطلب، ولا راغبين في الاستجابة، ولكنَّه أسلوبٌ من أساليب ردِّ الحقِّ ودفعه.

• ما كلُّ مَن أقسم يمينًا مؤكَّدةً يصدُق في قسَمه، فإن للكذب أماراتٍ، وللتعنُّتِ دلائلَ تَنُمُّ عن حقيقة صاحبه.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾

• القلب كثيرُ التقلُّب سريعُ التحوُّل، وهذا يوجبُ على المؤمن دوامَ حراسته، واللجوء إلى خالقه؛ كي يحفظَه من التغيُّر إلى خلاف طاعته.

• الردُّ المبكِّر لأوامر الله وعدمُ التسليم لها قد يكون سببًا لطمسِ البصيرة، وصعوبةِ الهداية.

• حقيقة حال مَن لم يهتدِ بالقرآن: الحَيرةُ والتردُّد والخِذلان، والمضيُّ مع الفساد والطغيان.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ١١١ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ ١١٢ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ١١٣ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي
حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ
بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ١١٤ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
١١٥ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ١١٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١١٧ فَكُلُواْ
مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١١٨

١٤٢

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ١١١﴾

• إذا سُوِّرت القلوبُ بأسوارِ الكراهية والعِناد، وجُلِّلت الجوارحُ بالضلالة والفساد، فقد تحصَّنت عن الحقِّ بحِصنٍ حَصين، فلا تُقنعُها عندئذٍ العِظاتُ ولا البراهين.

• على العبد أن يكونَ مقصودَه اتِّباعُ الحقِّ، وأن يطلبَه بالطرق التي بيَّنها الله، ويستعينَ ربَّه في اتِّباعه، غيرَ متَّكلٍ على نفسه ولا قوَّته.

• فلتسكن قلوبُ الدعاة إذا رأوا الخَلق غيرَ مستجيبين، فلو شاء اللهُ لهداهم أجمعين، ولكنَّ حكمته اقتضَت أن يكونوا مختلفين.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١١٢﴾

زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ: القولَ الباطلَ الذي زيَّنه قائلوه.

• أهل الباطلِ مع ما بينهم من العداوات، تراهم متعاونين في عَداء الحقِّ وأهله، وليس ذلك في الإنس فحسب، بل يشاركهم فيه شِرار الجنّ.

• العدوُّ المبين ليس من شَرطِه أن يبارزَ بالعداوة ويجاهر، بل قد يتلطَّف بالقول الهيِّن الليِّن، والعاقلُ مَن ميَّز ذلك، وأخذ للأمر أهبتَه.

• تدبَّر حِكمةَ الله ممَّا يجري في كونه، فما من شيءٍ منه خارجٌ عن سُلطانه.

• مشهد التجمُّع على خُطَّة الشياطين جديرٌ بأن يسترعيَ وعيَ أهل الحقِّ لمعرفة طبيعتها، ومشهدُ إحاطةِ مشيئة الله بها جديرٌ بأن يُطمئنَ القلب.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ١١٣﴾

• يَحولُ الإيمانُ بالآخرة دون اتِّباعِ الشهَواتِ المُردية والفِرى المُزخرَفة.

• الإصغاء إلى الباطل، والتفاتُ القلب إليه، والرضا به، دلائلُ على عدم اعتقاد المرءِ باليوم الآخر، أو على ضعفِ يقينه به.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ١١٤﴾

• ليس لأحدٍ مهما بلغَ عقلُه وأُحكِم رأيُه أن يتعدَّى حُكمَ الله ويتجاوزَه؛ لأنه لا حَكَمَ أعدلُ منه.

• لم يدَع الله أمورَ الدين من المسائل الغامضات، ولم يُحوِج عبادَه إلى غير الوحي ليحكِّموه فيما يَعرِضُ لهم من مشكلات.

• ليس في الكتب كتابٌ مبيِّن ككتاب الله تعالى، ثم يأتي مَن يزعمُ أن له تأويلاتٍ باطنةً تخالف ظاهرَه، ومعانيَ غائبةً عن الأذهان، لا يدركها عقلُ إنسان!

• عَييَ المشركون عن حُجَّةٍ دامغةٍ يواجهون بها صدقَ القرآن، ولو كان لهم من ذلك شيءٌ لأظهروه، لكنَّ سكوتَهم وإقرارَ المستجيبين، من أوضح البراهين على صحَّةِ القرآن المبين.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١١٥﴾

• الشريعة مَبناها على الصِّدق والعدل، فهي لا تصدِّقُ كاذبًا، ولا تنصر ظالمًا.

• ما في النصوص الصحيحة من الخبر فهو صِدق، لا نُعرِض عنه ولا نعارضُه، ومَن دفعَه أو عارضَه بعقله لم يصدِّق به.

• مَن ابتغى غيرَ حُكم الله فقد خرج إلى حدِّ الجَور، وجانبَ القِسطَ والعدل.

• جلَّ مَن يسمع جميعَ أصواتِ الكائنات، على اختلافِ الألسُن واللغات، وعزَّ مَن يعلمُ عن خَلقه كلَّ شيءٍ منهم، ويعلمُ ما فيه صلاحُهم وخيرُهم.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ١١٦﴾

• كيف يلتفت العقلاءُ إلى كلمات الجهلاء، وقد أظهر اللهُ بكلماته الحجَّة، وأزال ببيِّناته كلَّ شُبهة؟

• مَبنى الدين على الجزم واليقين، وليس على الظنِّ والتخمين، فآراءُ الظانِّين لا تُفيدُ الإقناع، وليست جديرةً بالاتِّباع.

• مهما أُضفيَ على ما يخالفُ الوحيَ من بَهارج، وأُخرِج في قوالبَ بحثيَّة علميَّة، فلن يعدوَ كونَه ظنًّا أو كذبًا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١١٧﴾

مَن أمركم الله باتِّباعه فاتَّبعوه، وما نهاكم عنه فاجتنبوه، فمَن ضلَّ أرداه، ومَن اهتدى أنجاه، فاستمسكوا بأسبابه؛ حذرًا من وَبيل عقابه.

• سبَق لله في الأزل علمُه بمَن يصلُح للهداية فهداه، ومَن يصلُح للغَواية فأغواه؛ بناءً على علمه وحكمته، فلا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّبَ لحكمه.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١١٨﴾

• المؤمن مستقلُّ الشخصيَّة، لا يؤمن بالتبعيَّة للعادات الذميمة الجاهليَّة، وهو متقيِّدٌ بالحِلِّ والحرمة الشرعيَّة، يدور معها حيثُ دارت.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا
لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ
﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ
يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ
إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ
﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ
فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ
عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

• اسم الله تعالى يحمل الخيرَ والبركة، فبذكر اسمِه على الذبائح تَطِيب وتَحِلّ، وبذكر اسمه على سائر الأمور تَسهُل ويصحَبُها التوفيق.

• رحمَ الله عبادَه فبيَّن لهم ما حرَّمَ عليهم، وجعله ضيِّقًا محدودا، وأباح لهم ما سواه وكان تيسيرًا ممدودا، فلله الحمدُ على تبيينه وتسهيله.

• الضالُّون عن شرع الله لا برهانَ لهم، ولا حُجَّةَ ظاهرة، بل شُبَهٌ قائمة، وأهواءٌ قاتمة.

• إخبار الله تعالى بعِلمه بالمُعتدين فيه من التهديد بالعقوبة ما فيه، فهم لن يُفلِتوا من قبضته، ولن ينجُوا من محاسبته.

﴿وَذَرُوا ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾

• يريد الله تعالى من عبده أن يكونَ طاهرًا من معاصيه في ظاهره وباطنه، فإن معاصي القلب قد تتغلغل في المرء دونَ أن يشعر، وكلا الداءين يوجب الحذَر.

• إذا تفكَّر العاقلُ أن هناك جزاءً عادلًا على كسبه، وحسابًا دقيقًا على اقترافه مساخطَ ربِّه؛ فعسى أن يقيِّدَ ذاك خُطاه، عن السعي إلى خطاياه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

• المؤمن يعمل على قانون التحرّي في مأكله ومَشرَبه، فما حرَّم اللهُ ورسولُه اجتنبَه ونأى عنه؛ لئلَّا يخرُجَ عن طاعة ربِّه، ولا يخالفَ أحكامَ شريعته.

• كيف يطيبُ للمجادل بالباطل - إن كان ذا لبٍّ - أن ينطِقَ بحجَّة الشيطان، ويجعلَه عنه وكيلًا؟

• لا تدَعِ الشيطانَ يحضُر مجالسَك؛ فإنه يسوِّغ الباطلَ ويزيِّنُه، ويُعين على الجدال فيه، ولكن اطرُده بكثرة الذِّكر.

• من ضروب الشِّرك: المنافحةُ عن الباطل، وتهوينُ المحرَّمات، والمناداة بحِلِّها، وتسويغُها في المجتمعات.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

• الوحيُ هو الحياة، ولن تُخصِبَ الحياةُ إلا بغيثِ الوحي الهتَّان، فإذا ارتوى القلبُ وآمن، أنبتَ أشجارَ الخير والإحسان.

• على المؤمن المشرق قلبُه بضياء الإيمان أن يبُثَّ النورَ بين الخلق؛ ليرَوا الفضائلَ فيعملوها، ويُعاينوا الرذائلَ فيجتنبوها.

• الغارق في الظُّلمة ليس بأهلٍ للقدوة؛ فلا يليق بمَن أنجدَته سفنُ الهداية إلى الضياء، أن يطيعَ مَن أغرقته أسبابُ الغواية في الظلماء.

• عجيبٌ كيف يزيِّنُ الشيطانُ للناس الضلالَ حتى يُقبِلَ عليه كثيرٌ منهم فيحبُّوه، فإذا أقبل عليهم نورُ الهداية أشاحوا عنه ورفضوه!

• لا يُؤثِر الظلامَ على النور إلا مَن كان في عينيه غَبَش، وفي جنَبات نفسِه غَشَش.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

• إنها سنَّةٌ جارية أن يعاديَ دينَ الحقِّ في كلِّ قرية نفرٌ من أكابر المجرمين؛ لأنه يجرِّدُهم من سلطانهم الذي يستطيلون به على المخلوقين.

• إن رأى أكابرُ المجرمين في مكرهم بالحقِّ وأهله راحةً لهم، وانتصارًا لأنفسهم في أوَّل الأمر وظاهره، فإن شقاءهم وذلَّهم ينتظرُهم في عاقبة الأمر وآخره.

• لا يظُنَّ الماكرون أن مكرهم سيغيب عمَّن لا يَعزُب عن علمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء؛ فالغيبُ والشهادة عنده سواء.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

• عُداةُ الحقِّ ليسوا على حالٍ واحدة في أسلوب ردِّه؛ فمنهم من يتعلَّق بالمستحيلات ليقبلَ الحقَّ، لكنَّ النتيجة واحدة: الردُّ والتكذيب.

• سبحانَ مَن علِم أصحابَ القلوب الطاهرة الصالحة لحمل الأمانة، فاختارهم لرسالته! أفلا يستحقُّون منَّا الإجلالَ والإكرام؟

• الطاعة عزٌّ ورفعة، والمعصيةُ ذلٌّ وضَعة، فمَن تمرَّدَ على طاعة الله ورسولِه جُوزيَ بالصَّغار والهوان.

• ليشتدَّ الماكرون بالحقِّ وأهله ما شاؤوا وكيفما شاؤوا، ولكن عليهم ألا ينسُوا أن العذابَ الشديد ينتظرهم، ما لم تصِحَّ منهم توبة.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن
يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا
يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا
ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ (الحزب ١٥)
رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ
جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ
أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ
أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي
بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩
يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ
يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ
هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا
وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠

١٤٤

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾

حَرَجٗا: شديدَ الضِّيق.

يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ: يصعدُ في طَبقات الجوِّ.

ٱلرِّجۡسَ: العَذاب.

• مَن انشرح صدرُه للإسلام، واستنار بنور الهُدى والإيمان، وأحبَّ الخيرَ وأقبل عليه، فقد منَّ الله عليه بالتوفيق، وسلوكِ أقوم طريق.

• إذا ما ضاق صدرُ المرء عن قبول الوحي، قبَض الله صدرَه عن فعل الخير، حتى لكأنه من ضِيقه يُكلَّفُ الصُّعودَ في طبقات السماء، فضِيقٌ بضِيق، والجزاءُ من جنس العمل.

• إنما يتفضَّل اللهُ بالتوفيق على مَن يعلم أنه يصلُح له، فسَلهُ تعالى أن يجعلَك له أهلًا.

• حين تخلو القلوبُ من الإيمان، تصيرُ مأوًى لكلِّ فساد وطغيان، فترِدُ عليها ذنوبٌ إثرَ ذنوب؛ عقوبةً من الله تعالى.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾

• لا التواءَ في صراط الله تعالى، ولا ميلَ ولا اعوجاج، فهو أقربُ الطرقِ الموصلة إليه، وبسلوكه تتحقَّق مصالحُ الدين والدنيا.

• قد فُصِّلت الآياتُ لقوم يعلمون، ولقوم يفقهون، ولقوم يذَّكَّرون، فهل تجدُ بعد ذلك عقلاءَ مصرِّين على الإعراض والغفلة؟!

﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾

دَارُ ٱلسَّلَٰمِ: دارُ السلامةِ والأمان، وهي الجنَّة.

• بعد أن قطعَ المتذكِّرون الطائعون فيافيَ الحياة الموحِشة بكثرة الشهوات والشبهات، وعجَّت سبيلُهم بأهل الضلال والعداوات، وصلوا إلى الله فكافأهم بدار السَّلام، التي يَسلَمون فيها من كلِّ الأوصاب والآلام.

• أنعِم بالقرب من الله تعالى يوم القيامة إكراما، وأسعِد بيومٍ تكون في ضيافته دواما! فهلَّا شمَّرتَ لذلك اليوم، واجتهدتَ لتلاقيَ كرامتَه، وتنال ضيافتَه.

• الترقيات لا تُنال إلا بالتضحيات، وحُسنُ الجزاء يحصُل بعمل الصالحات.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨﴾

• حذارِ من أولياء الشيطان، ممَّن يَلبَسون لَبوسَ أولياء الرحمان، عليهم مُسوحُ الحُملان، وقلوبُهم قلوبُ الذئاب، لا يغترُّ بهم إلا مَن قلَّ حظُّه من العلم والإيمان.

• إن العَلاقات التي لا تقومُ على تقوى الله وما أباحَه، ستنتهي بأصحابها إلى عاقبة السوء يوم القيامة.

• كلُّ متعةٍ تمنع لذةَ الآخرة، وتخلِّف آلامًا أعظمَ منها، فحريٌّ بالعاقل أن يتباعدَ عنها.

• بادر بالتضرُّع إلى الله، والفرصةُ مُواتية، والأيَّامُ باقية، ولا تنتظر يومًا لا تُقبَل فيه الأعذار.

• جلَّ شأنُ مَن أحكامُه كلُّها حكمةٌ وعدل، فإن قضى على عبدٍ بجهنَّمَ فقد جرى حكمُه عليه بما يستحقُّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩﴾

• يولِّي الله كلَّ ظالمٍ ظالمًا مثلَه؛ يحثُّه على الشرِّ، ويزهِّدُه في الخير، وذلك من العقوبات العظيمة.

• متى فسد الناسُ أُمِّر عليهم شرارُهم، ومتى كانوا ظالمين سُلِّط عليهم ظالمٌ مثلُهم، فإن أرادوا التخلُّصَ منه فليدَعوا ظلمَهم.

• المعاصي من أسباب الوَلاية الظالمة، والطاعاتُ تثمر الوَلاية العادلة، فليختَر كلُّ مَن يرغب في أن يتولَّى أمرَه.

• بعض الناس ينظُرون إلى ظلم غيرهم أنه سببُ بلائهم، فلو رجعوا إلى أنفسِهم متأمِّلين لعرَفوا أنهم من جماعة الظالمين.

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾

• ما أشدَّ موقفَ التبكيتِ في أرض المحشر! فهنيئًا لمَن نالته رحمةُ الله فنجا ذلك اليوم.

• سبحان مَن رحم عبادَه فبعث إليهم رسلَه، وأنزل عليهم كتبَه لإيصال رسالة الحقِّ إليهم، فمَن لم تبلُغه تلك الرسالةُ ولم تقُم عليه الحجَّةُ لم ينله عذابُه.

• أيُّ مصيرٍ أبأسُ من أن يجدَ الإنسان نفسَه في مأزِقٍ لا يملك أن يَدفعَ عن نفسه فيه بكلمة دفاع أو إنكار، فليتَ الغافلَ يعتبر، وعن معاصيه ينزجِر.

• أكبرَ الكافرون الدنيا فاغترُّوا بها، ونسُوا بذلك الآخرة، حتى وردوا القيامة نادمين، أما لو اتَّبعوا الوحيَ لما خسروا ولا ندموا.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾

• الإهلاك نتيجةٌ حتميَّةٌ للحائدين عن المنهج القويم، وعاقبةٌ سيِّئةٌ للذين بلغهم الحقُّ فلم يقبلوه، أفلا انتبهَ المفرِّطون لما يُوعَدون، وانتفع المعرِضون بما يُوعَظون؟!

• لا أعدلَ من ربِّنا عزَّ وجلَّ ولا أرحم؛ لا يُباغِتُ عبادَه بالهلاك والانتقام، قبل التقدُّم إليهم بالإنذار والإعلام.

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢﴾

• كما عدلَ ربُّنا مع أهل معصيتِه، فإنه لم يظلِم أهلَ طاعته؛ فأعمالُهم لهم محسوبة، وحسناتُهم عليهم مكتوبة، والطائعون - وإن اشتركوا في دخول الجنَّة - إن درجاتِهم فيها متفاوتة، ومنازلَهم عند الله متباينة.

• مَن أراد الدرجاتِ العاليات، فليستبقِ الخيرات، وليهجُرِ السيِّئات، وليصبِر على غُصَص الحياة.

• مَن حسِبَ حِلمَ العليمِ تعالى عنه غفلةً فقد أوغلَ في الغفلة، وعلى المرء أن يعلمَ أن الظالمَ له أجلٌ هو بالغُه، ثم تأتي ولا بدَّ مؤاخذتُه.

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾

• ربُّنا غنيٌّ عن طاعاتنا، غيرُ محتاجٍ إلينا مع قُرباتنا، فكيف مع معاصينا ومخالفاتنا؟! فلولا رحمتُه بنا ما سعِدَ طائعٌ بطاعته، ولا أُمهِلَ عاصٍ في معصيته.

• لا خلودَ في هذه الحياة، ولا بقاءَ لهذه الدار، فما هي إلا محطَّةٌ ينزلها قومٌ فيرحلون، فيَخلُفُهم عليها قومٌ آخرون، حتى يُكتَبَ عليها الفناء، فلا يبقى بعدها إلا دارُ البقاء.

• نظرُ العاقل لأحوال مَن سبقه مجيئًا وذهابًا داعٍ للاعتبار بأنه كما جاء يذهب، مهما أُعطيَ وملَك، ولو دامت لغيرك ما وصلت إليك.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤﴾

• أين المهربُ والموعودُ آتٍ قريب، سريع الوقوع؟! وأين الفِرارُ من قبضة القادرِ الجبَّار، الذي لا يفوتُه هارب، ولو ركبَ للفِرار متنَ كلِّ صعبٍ وذَلول.

• الله رحيمٌ بعباده؛ ومن رحمته بهم أنه لا يأخذهم على حين غِرَّة، من غير سبقِ تهديد، ولا تقدُّم وعيد.

﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾

مَكَانَتِكُمۡ: طريقتِكم.

عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ: العاقبةُ والمآلُ الحسَن.

• ثِق أيها الداعي إلى الحقِّ بأنك على الجادَّة، وأن مَن لم يستجب لدعوتك إنما يضرُّ نفسَه، ويسيءُ لعاقبته، فلا تتوقَّف عن الدعوة والإنذار، ولا تحزن لقلَّة المستجيبين.

• أمَّا المؤمنُ فيعلم حُسنَ عاقبة المحسنين، فيقدِّم لتلك العاقبةِ طاعاتِه، وأمَّا غيرُ المؤمن فتراه غيرَ مبالٍ بالعاقبة، فيُسرف في سيِّئاته، ولكنَّه سيعلم عند لقاء ربِّه كم كان مفرِّطًا.

• إذا كان الظلمُ يُبعِدُ صاحبَه عن الفلاح، فكيف بالكفرِ الذي هو أشدُّ أنواع الظلم؟!

• لا تغترَّ بحال ظالمٍ مهما تقلَّب في مُتَع الحياة، وتنعَّم في أعطاف النعيم؛ فإن ذلك زائل، وإن الخسرانَ نازل، فلا فلاحَ مع الظلم.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾

ٱلۡحَرۡثِ: الزُّروع.

• للمشركين خرافاتٌ غريبة، وتصوُّرات عجيبة، تُضحِك عليهم الثَّكالى، أفهؤلاء يصحُّ لهم أن يعارِضوا حقًّا نزل من السماء، ويجادلوا سيِّدَ الأنبياء؟! فمَن عقَل عرَف بُعدَ الهُوَّةِ التي وصلت إليها تلك العقولُ الضَّحلة.

• الأصل في العبادات التوقيف، فلا دينَ إلا ما شرعَه الله، وما سواه فكذبٌ عليه أو تحريف.

ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا
غَٰفِلُونَ ١٣١ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ
إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا
يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣
إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤ قُلۡ يَٰقَوۡمِ
ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥
وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا
فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ
لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦ وَكَذَٰلِكَ
زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ
شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١٣٧

١٤٥

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١٣٧﴾

لِيُرۡدُوهُمۡ: ليُهلِكوهم.

• ألا ليتَ المذنب يعلم النتائجَ المهلكة من الأعمال التي تُزيَّن له؛ فإن مَن أبصر نهاية طريق الكفر والعصيان ابتعد عنه ولم يسلُكه.

• بئسَ الشيطانُ شريكًا للمشرك؛ يُغريه بالمعصية فيطيعُه فيها، فيُورِدُه جهنَّمَ ويَرِدُها معه!

• كم زيَّنَت التشريعاتُ الأرضيَّة من رَدًى، وجلبَت على البشرية من شَقاء، بما تُمليه عليها شياطينُها من دَعاوى! فتارةً تحت اسم تحديد النَّسل، وتارةً تحت أسماء أُخَر.

• إذا رأيت من الناس مَن يقوم بمهمَّة التلبيس، فاعلم أنه يعملُ عملَ إبليس، وإن ألبسَه لَبُوسَ الحضارة.

• لا تحزن على المفترين على دين الله؛ فإن الحكمةَ الإلهيَّة اقتضَت التخلية بينهم وبين أفعالهم؛ استدراجًا وإمهالًا لهم.

وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ
لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً
فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟
نصف الحزب ١٥ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ
مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا
أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ
كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ
وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ
حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

١٤٦

﴿وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

حِجْرٌ: مُحَرَّمةٌ.

• ما سوى شريعة الله من التشريعات البشرية بزيادة أو نقصان، إنما هي طغيانٌ وبُهتان، وعبثٌ بدين الإنسان ودنياه.

• يا لهولِ الجزاءِ الذي سينالُ المفترين، إن النفسَ لتذهبُ في عظمته كلَّ مذهب!

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾

وَصْفَهُمْ: كَذِبَهم على اللهِ بالتحليلِ والتحريم.

• ما أكثرَ الأوهامَ النابعةَ من انحرافاتِ الشرك والوثنية، وضَلالِ العقلية الجاهلية! فمن تخبُّطٍ في التحليل والتحريم، إلى هَضمٍ لحقوقِ النساء بالحظوظ والأهواء.

• عزَّ شأنُ اللهِ أن يكون تشريعُه إلا في غاية الحكمة، ومنتهى العلم، فكيف يَنسُبون إلى الله تعالى ما لا يقولُه إلا ظالمٌ جاهل؟!

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

سَفَهًۢا: جهلًا، ونقصَ عقلٍ.

• ألا إن الخسارةَ الفادحة، وطريقةَ السوءِ الواضحة، أن تنحرفَ البشرية عن صراط اللهِ القويم، وتتردَّى في سبيل الجاهلية الأثيم، وترجِعَ إلى عبودية المشرِّعين من العبيد، وتنحدرَ إلى هذا القعر البعيد.

• لا تزالُ النُّظُم الوضعيةُ المخالفةُ للشريعة الإسلامية تعصِفُ بالناس من شرٍّ إلى شر، حتى تزيِّنَ لهم قتلَ الأولاد، وتحريمَ الأرزاقِ الطيبةِ بين العباد.

• عندما يستعمرُ العقولَ ضلالُ الأفكارِ المنحرفة، وكمالُ الاستسلامِ للإملاءات الضالة؛ يتخلى أصحابُها عن بعض إنسانيتهم، فتذهبُ عواطفُهم، وتُستنكر مواقفُهم، حتى يصلَ شرُّهم إلى أقربِ الأقربين عن إرادةٍ وقصد.

• ما أعظمَ الهدايةَ سبيلًا إلى صلاحِ الدنيا والآخرة، وطريقًا إلى التراحم والتلاحم، وأبعدَ عن الشَّقاوة والعمى!

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾

أَنشَأَ: أوجَدَ.

مَّعْرُوشَٰتٍ: محتاجةً إلى العَريشِ؛ كالعِنَب.

والعَريشُ: أعوادٌ تُنصَبُ ليَتَمَدَّدَ عليها الشجَرُ، ويَرتفِعَ عن الأرض.

وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ: قائمةً على ساقِها كالنخلِ.

• ما دام أن اللهَ تعالى وحده هو مَن أنشأ مخلوقاتِه فلا يُؤخذ الإذنُ من غيره في حِلِّها وحرمتِها، فمَن خلقَ فله أن يُحِلَّ، ويحرِّم.

• أيها المؤمنون، تمتَّعوا بالنِّعم التي أحلَّها اللهُ لكم، فإن هناك مَن حرَّم على نفسه ما أُبيح له من النِّعم، فجلبَ لحياته الضيقَ والنِّقَم.

• سبحانَ مَن بثَّ الحياةَ في الأرض ونوَّعَها، وجعلَها مناسبةً لِما تتطلَّبُه حياةُ الناس، فكيف يَذهب ناسٌ إلى تحكيم غير الله في شؤون الحياة، وهم يرون هذه الحقائقَ المبثوثةَ بين الخلائق؟!

• إذا أنعم اللهُ عليك نعمةً فأرِ اللهَ أثرَها فيك، وأفضِل بعد ذلك منها على غيرك، كما أفضلَ اللهُ عليك.

• ما أحسنَ الإفضالَ من النعمة وأداء حقها حالَ حصولها، وعيونُ المحتاجين إليها شاخصة، ونفوسُهم بها طامعة!

• ما كان المسرفُ أهلًا لمحبةِ الله تعالى وهو قد خالف أمرَه، ومتى ما زاد في إسرافه سارعَ إلى بغضه، فأبعدُ المسرفين عن محبة الله أشدُّهم إسرافًا.

• القرآن يدعو إلى حفظ النعمة بتدابيرَ تبيحُ الانتفاعَ وتمنعُ الإسرافَ، فالشريعة أعظمُ مَن رعى مصالح البشر، وأزالَ عن حياتهم الضرر.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

حَمُولَةً: ما هو مهيَّأٌ للحَملِ عليه؛ كالإبل.

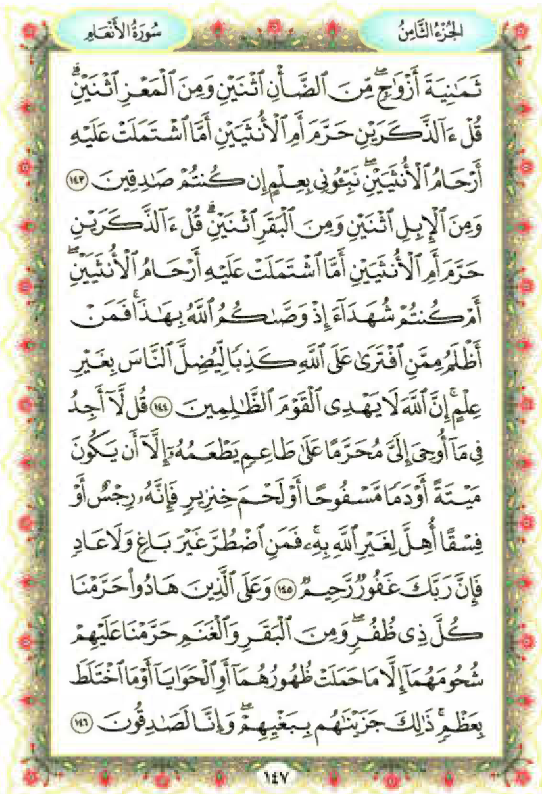
وَفَرْشًا: ما هو مهيَّأٌ لغيرِ الحملِ لصِغَرِه، وقُربِهِ من الأرض، كالغنَم.

خُطُوَٰتِ: طُرُقَ الشيطانِ وأساليبَه.

• الأنعامُ كلُّها على اختلاف أحوالها ومنافعِها هي من فضلِ الله، فكيف يُطاع فيها عدوُّ الله؟!

• تحريمُ ما أحلَّ اللهُ وتحليلُ ما حرَّم اللهُ من تتبُّع خطوات الشيطان، وهو معلوم العداوة للإنسان، فالعاقل من عصاه، ولم يتتبع خطاه.

• لِينظر المرءُ في حركاتِه أين يضعُ خطواتِه، حتى لا يطأ موطنًا سبقه إليه إبليس؛ فإنه إذا وقع في شِراكه فقد سقطَ في هلاكه، بحسب إيغالِه في اتباعه.


الجُزْءُ الثَّامِنُ — سُورَةُ الأَنْعَامِ

ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ
قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ
أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣
وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ
أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ
عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤ قُل لَّآ أَجِدُ
فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ
فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا
كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ
بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦

١٤٧

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾

أَزۡوَٰجٖۖ: أصنافٍ.

• كيف لقومٍ أن يُشرِّعوا فيُطاعون وهم في أقوالهم متناقضون، وفي أقيستهم مضطربون، فليس عندهم نظر، ولا رأيٌ معتبر؟!

• إذا عجز المجترئون على التحريم والتحليل عن الاحتجاج بصالح الدليل؛ دلَّ ذلك على أنَّهم ما حرَّموا ولا أحلُّوا إلا بالجهالة، وطاعةِ الهوى والضلالة.

• العِلمُ النافع يُنجي صاحبَه في المآزق، ويخرجُه من ظلمات المضايق، فمَن لم يكن له علمٌ فقد يقعُ في الملمات، ويصلُ إلى الأحوال المكروهات.

﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾

شُهَدَآءَ: شُهودًا حاضرين.

وَصَّىٰكُمُ: أمَرَكم.

• إن لم يغلِب على ظنِّ المفتي أنه سيقولُ الصواب، فلا يجوزُ له أن يبادرَ مَن يستفتيه بالجواب.

• مَن افترى على الله الكذبَ في تحريم مباح استحقَّ هذا الوعيد، فكيف بمَن افترى على الله الكذبَ في مسائل التوحيد، وحقِّ الله على العبيد؟

• الهداية بيد الله تعالى وحدَه، يهَبُها مَن يشاء، ويحرِمُها مَن يشاء؛ بعلمه وحكمته سبحانه، فإذا أردتَ الاهتداء فاطلبه من ربِّك الهادي إلى سَواء السبيل.

• ما لم يُقلِع العبدُ عن ظلمِه وافترائه في مسائل التحليل والتحريم، فإنه سيعاقَبُ بحرمانه التوفيق، والاهتداءَ إلى سواء الطريق.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾

دَمٗا مَّسۡفُوحًا: دمًا مُراقًا، وهو ما يخرُجُ عند الذَّبح.

رِجۡسٌ: نَجِسٌ.

أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ: ذُكِرَ عند ذَبحِه اسمُ غير الله.

بَاغٖ: طالبٌ بأكلِه منها التلذُّذَ.

عَادٖ: مُتجاوِزٍ حَدَّ الضَّرورة.

• لا يَثبُتُ التحريمُ إلا بوحي، فواعجبًا كيف يتجرَّأ بعضُ الناس على ذلك دونَ بيِّنةٍ واضحة، ولا دليل صحيح!

• حرَّم اللهُ عزَّ وجلَّ على عباده أنواعَ الخبائث، ممَّا فيه رِجسٌ حسيٌّ أو معنويٌّ؛ لطفًا بهم، وحرصًا على مصالحهم، ودفعِ المضارِّ عنهم.

• لمَّا كانت إراقةُ الدماء لله تعالى من أعظم القُربات، كان إهراقُها لغير الله من أعظم المحرَّمات.

• أباح اللهُ لعبدِه الجائع المضطرِّ أن يتناولَ ما حرَّمَ عليه، بشرط أن يكونَ ذلك بقدرِ الضرورة، وهذا يبيِّن عظمةَ هذه الشريعةِ في حرصها على هذا الإنسان.

• إباحة المحظورات عند الضرورات من مظاهر رحمة الله تعالى؛ فقد رحم عبدَه إذ أباح له الأكلَ من الميتة عند حضور ضرورته، وغفر له التناولَ منها؛ إنقاذًا لحياته.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾

كُلَّ ذِي ظُفُرٖ: كُلَّ ما لم يكن مشقوقَ الأصابع، كالإبل والنَّعام.

ٱلۡحَوَايَآ: الأمعاء.

ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖ: كألْيَةِ الضَّأنِ والجَنبِ.

بِبَغۡيِهِمۡ: بسبب عملِهمُ السيِّئ.

• التحريم حقٌّ خالص لله تعالى، فهو سبحانه يحرِّم ما يشاء على مَن يشاء، ولا يَحِلُّ لخلقه أن ينازعوه فيه، وما حرَّمه المشركون بأهوائهم محضُ ضلال يُضاف إلى أعمال كفرهم الشنيعة.

• ليس غرضُ العقوبةِ الدنيوية الإعناتَ والإشقاق، بل التأديب والتهذيب؛ ألا ترى أن الله جعل فيما حرَّم على الذين هادوا استثناءً أزالَ عنهم به المشقَّة.

• الذنوب تَلِدُ العقوبات، فترفعُ الطيِّبات، وتُنزِلُ المكروهات، ومن جزاءِ العدوان على شرع الله الحرمانُ من نعمته.

• صدقَ اللهُ في خبره، وفي نهيه وأمره، وفي تحليله وتحريمه، فما تبقَّى على الخلق إلا تصديقُه فيما أخبر، وطاعتُه فيما أمر، والابتعادُ عمَّا نهى عنه وزجر.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ
فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ
الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ
الحزب ١٥ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا
بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم
مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١٤٨

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

• سبحانَ مَن وسعت رحمتُه المحسنَ والمسيءَ! فهو لا يُعاجِلُ بعقوبة المسيئين، وإنما يُنظِرُ المذنبين، عسى أن ينضمُّوا إلى رَكب التائبين المنيبين.

• إن الركونَ إلى رحمة الله فحسب لا يُؤمِّنُ من غضبه، والاغترارَ بحِلم اللهِ لا يحرُس من مبادرة عقابه.

• رحمة اللهِ أوسعُ من غضبه، وحِلمُه أفسحُ من مؤاخذته، غيرَ أن مَن مَرَدَ على الطغيان، ولم يتُب من العصيان، فقد حالَ بين نفسِه ونيلِ رحمةِ الله وحِلمه.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

• إن مشيئةَ اللهِ تعالى النافذةَ يجب ألا تُتَّخذَ عذرًا ولا ذريعةً لتقصير العبد في جنب الله، ولا لاتِّباعه هواه، فالاحتجاجُ بالقدَر إنما يَصِحُّ في المصائب لا في المَعايب.

• لا يَحتجُّ على فعل المعصية بقدر الله إلا مكذِّبٌ بالأمر والنهي، ولا يزيد باحتجاجه هذا معصيتَه إلا قُبحًا واستمرارًا.

• مَن خالف ظاهرَ الأمر والنهي دون صارفٍ يُفيد العلم، فهو متخرِّصٌ مذموم على اتِّباع الظنون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

• حُججُ الله تعالى أعلى درجاتِ الحقِّ قوَّةً ورصانة، وبيانًا ووضوحًا؛ لأنها براهينُ مَن كمُل في قدرته وعلمه.

• لا أبلغَ من حُجج هذا التشريع البديع، فمَن احتجَّ بها على وجهها ظهرت حُجَّتُه، واتضحت مَحَجَّتُه، ومَن عارضها لم تخفَ هزيمتُه.

• قضى الله بأن يجعلَ الهدى في قلب مَن هو صادقٌ في سعيه إليه، فإنه أنفَسُ من أن يُوضعَ في قلب مَن هو زاهدٌ فيه.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

يَعدِلُونَ: يُسَوُّون به غيرَه ويُشرِكون.

• لا حُجَّةَ لضالٍّ عن الحقِّ يستطيع أن يجدَ لها شهودَ صدقٍ وشهادةَ عدل، فما أقطعَ حجَّتَهم وأبينَ كذبَهم!

• إذا شهد الناسُ بالباطل ووقفوا مع أهله فلا تشهد معهم، ولا تُداهنهم ضعفًا أو رجاءً أو خوفًا.

• مَن كان مكذِّبًا بالآيات، متَّبعًا للأهواء والشبهات، غيرَ مؤمن بربِّ الأرض والسماوات؛ فليس بأهلٍ للاتِّباع والتأسِّي.

• الإيمان بالله واليوم الآخر يحجز صاحبَه عن الأهواء المضلَّة، والأعمالِ المنحرفةِ عن الحقّ.

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

إِملَاقٍ: فقر.

• ارتقُوا أيها الناس، وارتفِعوا من حضيض التشريعات الوضعيَّة، إلى سموِّ الأحكام الربانيَّة.

• إن الله هو الربُّ لعباده فهل يكونُ الحُكم فيهم إلا له وهو خالقُهم العليمُ بما يُصلِحُهم؟!

• الشِّرك بالله هو أشدُّ المحرَّماتِ وأعلاها، وشرُّ المعاصي وأخبثُها؛ لأنه خروجٌ عن حقِّ العبودية الخالصة للمعبود الواحد إلى غيره من خلقه.

• الأمر ببرِّ الوالدين مقترنٌ بالأمر بتوحيد الله، وذلك لأن للهِ تعالى على الإنسان نعمةَ الخلق والإيجاد، وللوالدين بعد الله نعمةَ التربية والإيلاد، فاشكرِ الله بالتوحيد، واشكر والديك بالبِرِّ.

• لقد ضمنَ اللهُ للناسِ أرزاقَهم قبل الإيجاد، فليس للإنسان العاقلِ أن يخشى كثرةَ الأولاد، فالخالقُ هو الرازق سبحانه وتعالى.

• تحديد النَّسلِ من أجل الحفاظ على رُقيِّ الاقتصاد نظرةٌ مادِّية خاطئة، فكلُّ مخلوقٍ ورزقُه مقترنان، وزيادةُ الأعداد زيادةٌ في الإنتاج.

• الإسلامُ دينُ وقايةٍ قبل أن يقيمَ الحدودَ ويوقِعَ العقوبات، وهو دينُ حمايةٍ للضمائر والجوارح قبل التأديبِ على ركوبِ الموبقات.

• الإنسان المراقِبُ لله يفرُّ عن المعاصي خوفًا من ربِّه المعبود، لا فرارًا من العقوبة وإقامةِ الحدود، ويتعبَّدُ لله بترك الخطيئات، كما يتعبَّدُ له تعالى بفعل الطاعات.

• ظاهر النصِّ القرآنيِّ النهيُ عن القُرب من المعصيةِ لا عن إتيانها، ليحثَّ العبدَ على البعد عن أسبابها، وطرقِ الوصول إليها.

• لا يَسلُبُ الحياةَ من الناس إلا واهبُها، بقدَره أو بأمرِه، فمَن سَلبَها بغير حُكمه فقد تعدَّى على حقِّه، وسَطا على حقِّ غيره من المخلوقين.

• العقلاء يُدركون عظمةَ وصايا المخلوقين، فكيف إذا جاءت الوصايا من ربِّ العالمين؟! فمَن نفَّذ وصايا ربِّه فقد دلَّ بذلك على رَجاحة عقله وصحَّةِ فهمه.

وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ
وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا
وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ
ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ
تَتَّقُونَ ١٥٣ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ
أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ
رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ
وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ
١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ
مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ
فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ
يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧

١٤٩

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾

حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ: حتى يَصِلَ إلى سنِّ البلوغ، ويكونَ راشدًا.

• الإسلام يحمي حقَّ الضعيف حتى يصيرَ قويًّا، ويحذِّرُ القويَّ من أن يكونَ ظلومًا، فاليتيمُ ضعيفٌ حماه الله بنهي المجتمع عن التعدِّي على ماله بغير الإحسان، حتى يشتدَّ عودُه ويستدَّ رأيُه.

• صيانةً لحقوق العباد، ومنعًا من الظلم والفساد؛ أمرَت الشريعةُ بتوفية الكَيل والوزن بالعدل؛ إنصافًا للبائع وللمشتري.

• قد تفوتُ الإنسانَ دقَّةُ المقادير لعجزه وضعفه، مع حرصه على وفاء الحقوق، فعُفيَ عمَّا خرج عن القدرة؛ إذ لا يكلِّف اللهُ الرحيمُ نفسًا إلا وُسعَها.

• العدل في الأقوال واجبٌ مع الموافق والمخالف، ولا يدفعُ المؤمنَ عنه إلى الحَيف والميلِ قرابةُ قريبٍ ولا محبَّةُ حبيب.

• أُضيفَ العهدُ إلى اللهِ لتربية المهابة في النفس، لكي تهتمَّ بهذا العهد، وتنصرفَ إليه ولا تنصرفَ عنه؛ لِما له من أهميَّةٍ وشرفٍ على سائر العهود.

• على المسلم الأخذُ بالحذرِ من أن تركَنَ نفسُه إلى حظوظها، أو أن يُغريَها مقتضى طبعها وإلفُ عاداتِها، فتنسى وصايا اللهِ لها وتغفُل عنها، فلا تستيقظُ إلا وقد رَتعَت في ما نهى اللهُ عنه.

• كثرة معالجةِ الأعمال وممارستِها قد تحمل غيرَ المتذكِّر على الغفلة عن تكليف الله فيها، فمَن رافقه التذكُّرُ وافقه السَّداد.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾

• سبيل الله واحدٌ غيرُ متعدِّد، فلا تُلهينَّك طرقُ الباطل وإن تعدَّدت، ولا تُغرينَّك سُبلُ الضلال ولو تزيَّنت.

• مَن رزقه الله نعمةَ سلوكِ الصِّراط المستقيم فليَثبُت عليه، وليشكرِ اللهَ على نعمته لديه، فما أكثرَ سبلَ الضلال والأهواء، وما أشدَّ دعَواتِ الانحراف والإغواء!

• لمَّا كان الغرضُ من الوصايا هو الوقايةَ من عذابِ الله وسَخَطه، فما أحسنَ ختامَها بالأمر بالتقوى!

﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾

• وصايا اللهِ عهودُه إلى خَلقه، ومواثيقُه إلى عباده، آتانا منها كما آتى مَن قبلنا، فما أعظمَها من عطايا، وما أحوجَنا للعمل بتلك الوصايا.

• إنزال الكتب من أعظم نعَم الله على الأمم، ففيها تمامُ هدايةِ الأنام، وتفاصيلُ الأحكام، ومعرفةُ الحلال من الحرام.

• في التوراة المُنزَلةِ من عند الله مواعظُ وهدايات، وأحكامٌ وبيِّنات، أنعمَ اللهُ بها على بني إسرائيل، وأتمَّ بها النعمةَ عليهم؛ ولمَّا كانت كذلك ذُكرت كثيرًا في القرآن الكريم.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾

• القرآن الكريم كثيرُ البركة في ألفاظه ومعانيه، وفي تدبُّره والتأمُّل فيه، وفي استماعه والعملِ به، وفي الاحتجاج به والتحاكُم إليه.

• هذا القرآن عظيمُ الشأن، فبنُونِ التعظيم عبَّر عن إنزاله، وبوصفِ البركة أثنى على ثمراته وآثاره.

• اتِّباع القرآنِ صدقًا لا دعوى سببٌ من أسباب نيلِ رحمةِ الله، وعلى قدر اتِّباع الإنسانِ للقرآن، ينال من رحمة ربِّه الرحيم الرحمان.

﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾

دِرَاسَتِهِمۡ: قراءةِ كُتُبهم.

• القرآن حجَّةٌ تُنيرُ المَحجَّة، وتسقِطُ الشُّبهة، وتعالِجُ الشهوة، وتردُّ ضُلَّالَ الأهواء إلى جادَّة الحقِّ، بما فيها من القوَّة في الاحتجاج، والدعوة إلى صفاء المِنهاج.

• كم أغنت دراسةُ القرآن عن غيره من الكتب المُنزَلة! فهل يتنبَّهُ إلى ذلك الغافلون عن الإسلام؟

﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧﴾

وَصَدَفَ: وأعرَض.

• لم يُبقِ القرآنُ لمَن ترك الاستهداءَ به عذرًا؛ فقد أبانَ السبيل، وأقام لدعوةِ الحقِّ كلَّ دليل.

• جُلُّ مقاصد القرآن في الدعوة إظهارُ البيِّنة والهداية، وسلوكُ سبيلِ الحكمة والرحمة، وهذه دعوةٌ لكلِّ داعٍ إلى الحقِّ أن تقومَ دعوتُه على هذه المقاصد الحسنة.

• كيف يكذِّب عاقلٌ آياتِ الله ويُعرِض عنها وهي تدعوه إلى الهُدى والرشاد، وتنقذُه من الشُّرور والفساد، فأيُّ ظلمٍ أعظمُ من هذا؟!

• يا لَبُؤسِ مَن أعرض عن الحقِّ؛ إيثارًا للدنيا الفانية، وانصرفَ عن آيات الله إلى حظوظه العاجلة، فما أقربَ حالَه من حال المكذِّبين المعاندين، وما أشدَّ عذابَهم يوم الدين!

هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ
ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا
لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ
مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ
نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم
مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ
خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي
مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾

١٥٠

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

• بادِر إلى الإيمان ولا تتريَّث؛ فإن الانتظارَ غيرُ محمود، والعمر قصيرٌ محدود، والموت مفاجئٌ يختطف على حين غِرَّة.

• الإيمان ينفعُ ما كان إيمانًا بالغيب، واختيارًا من العبد، أمَّا إذا حضرَت الآياتُ فلم يَبقَ للإيمان فائدة؛ لأنه يشبه الإيمانَ الضَّروريَّ، كإيمانِ الغَريق والحريق ونحوهما، ممَّن إذا رأى الموتَ أقلع عمَّا هو فيه.

• واظِب على الصالحات ولا تُعرِض عنها، قبلَ العجز عن فعلها، والندم على ترك الإقبال عليها.

• لكلِّ مُعرِضٍ عن الحقِّ مسوِّفٍ بالتوبة: إذا انتظرتَ مستقبلَ الزمان لأوبتِك، فإن هناك تهديدًا بالعذاب ينتظرُك، فاسبِق التهديدَ بتوبتِك، قبل أن يسبقَك إلى عقوبتِك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

• البراءة ممَّن فارق الوحيَ والاهتداء، من أهل المِلَل والأهواء، تكليفٌ ربَّاني، وأمرٌ قرآني.

• تحذير القرآنِ من الاختلاف هو دعوةٌ للأمَّة أن تحرِصَ على الاجتماع والائتلاف على مائدة الحقِّ.

• كيف سيكون حالُ مَن أُحيلَت قضيَّةُ جَرائرِهم إلى الله تعالى الذي قدَّموا آراءَهم على قوله، ومُراداتِهم على مَرضاته، واحتكموا إلى أهوائهم دون حُكمه؟!

• لو كان مُفارقُ الشرع الربَّانيِّ والهَدي النبويِّ يدري مغبَّةَ سوء اختياره، وعاقبةَ بُعده وإعراضِه لما فعَل ما فعل.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

• قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: (إن العبدَ إذا عمل حسنةً كُتب له بها عشرٌ، وإذا عمل سيِّئةً لم تُكتَب إلا واحدة)، ثمَّ قال: (هلك من غلَبَت آحادُه عشَراتِه).

• إن الله هو الحكَمُ العدل، لا يُظلَم عنده أحدٌ البتَّةَ؛ فلا يَنقُص حسناتِ المحسنين، ولا يَزيدُ في سيِّئات المسيئين، ولا يعذِّب غيرَ المستحقِّين.

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾

• مَن أراد سلوكَ الصِّراطِ المستقيم فليتَّبع مَن هُدِيَ إليه، فإن وجد نفسَه على غير ذلك الأثر فقد حادَ عن الجادَّة.

• مَن عمل بالإسلام كما جاء به رسولُ الله ﷺ فهو من أهل الصِّراط المستقيم، والدين الحقِّ القويم، الذي به استقامةُ حياته، وصلاحُ آخرته.

• دين الإسلام دينٌ قائمٌ بمصالح الدنيا والآخرة، فما لعبدٍ عنه من غِنًى.

• للهِ ما أعظمَ مكانةَ إبراهيمَ عليه السلام! لقد أجمعَت الأممُ على فضل إمامته، وحُسن هَديه، وكلُّ الأمم تدَّعي بدينه وصلًا.

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾

• دلِّل على حُبِّك لله تعالى بصدقك في صَلاتك وصِلاتك، وإخلاصك في عبادتِك وأنساكك، وسائر أقوالك وأفعالك.

• الإسلام استسلامٌ كاملٌ في الباطن والظاهر، فلا يستبقي في نفس الإنسان ولا حياته بقيَّةً لا يعبِّدُها لله، ولا يوظِّفُها في مرضاته.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

• اجعل عباداتِك لله خاصَّة، ولوجهه خالصة، ولا تُشرك مع الله غيرَه، فإن اللهَ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، وابتُغِيَ به وجهُه.

• إن هذا الدينَ لو لم يَرِد به أمرٌ كان ينبغي للعاقل اعتناقُه؛ لشدَّةِ ظهور آياته، وانتشار براهين صحَّته، واتِّباع خير خَلق الله له. فكيف وقد جاءت به الأوامرُ الإلهيَّة، ودعَت إليه المواعظُ الربَّانيَّة؟!

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

• أيدَعُ امرؤٌ عاقل عبادة خالقه، ويَدينُ لمخلوقٍ مثلِه؟! ما يكونُ لذي لُبٍّ أن يفعلَ ذلك.

• شرعُ الله لا يقبل أن يُؤخذَ فيه بريءٌ بذنب غيره، فأيُّ حُجَّةٍ لمَن خالف هذا القضاءَ العادل بدعوى السياسة والمصلحة؟!

• عدم مؤاخذةِ الإنسان بجنايةِ غيره لا تشملُ المتسبِّبَ في جنايته، وداعيه إليها، فوزرُ الضلال مكتوب، ووزرُ الإضلال محسوب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾﴾

خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ: تخلُفونَ مَن سبقَكم.

• ما جعلَ اللهُ العبادَ خلائفَ إلا وقد أنعمَ عليهم مرَّتين: مرَّةً بإذهاب غيرهم، وأخرى بإنشائهم، وذلك موجبٌ للشكر، محذِّرٌ من الكفر.

• اقتضت حكمةُ الله تبايُنَ الناس في الدرجات؛ ليحصُلَ التمايزُ في التصرُّفات، ويَخدُمَ بعضُهم بعضًا في تحصيل مصالح الحياة، وليَجريَ بذلك ابتلاءُ العبد بما أُعطي، فيظهرَ المطيعُ من العاصي.

• طرُق تأثُّر العبادِ مختلفة؛ فمنهم مَن يتأثَّر بالترغيب، ومنهم مَن يتأثَّر بالترهيب، ومنهم مَن ينجَعُ معه كلاهما؛ فلذلك سلك القرآنُ المسالكَ كلَّها.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾

• القرآن العظيم كتابُ هدايةٍ ونور، وشفاءٌ لما في الصدور، فمَن كان مؤمنًا فلا ينبغي أن يشكَّ فيه، ولا يتحرَّجَ في إبلاغه والإنذارِ به.

• كان الناس قبل نزول القرآنِ في حرج وعمًى، فلمَّا نزل القرآنُ ذهب ذلك عمَّن آمن، ولكنَّه باقٍ لدى مَن لم يؤمن به، ولم يتَّبع ما جاء فيه.

• الإنذار والذكرى بالقرآن من غايات إنزاله؛ فالإنذار يُقبِلُ بالشاردين، والذكرى تنفع المؤمنين، حيث تذكِّرهم بالله وبدينه.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾

• اتِّباع الكتاب يعود بالخير على مَن اتَّبعه؛ فهو منزَلٌ من الربِّ الذي شأنُه الإحسانُ إلى عباده بتربيتهم، وإمدادِهم بأسباب صلاح حياتهم.

• مَن لم يتَّبع وحيَ الرحمن، سيتَّبع وحيَ الشيطان، ولن يكونَ العبدُ وليًّا حتى يكونَ للوحي متَّبعًا.

• حقٌّ على مَن أنزل له ربُّه كتابَه الكريم، واختاره لهذا الأمر العظيم، وتفضَّل عليه بالخير العميم، أن يتذكَّر ربَّه، وأن يشكرَ خيرَه.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾

• إن مصارعَ الغابرين خيرُ مذكِّرٍ وخيرُ منذر؛ يستصحبُها القرآنُ ويجعلُها مطارقَ مُوقظةً للقلوب البشرية الغافلة.

• لا ينبغي لعاقلٍ أن يأمَن صفوَ الليالي، ولا مواتاةَ الأيام، بل عليه أن يَلزَمَ حصنَ الطاعة والحذر، ففي القرون الدوارس لمَن ادَّكرَ مُعتبَر.

﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾

• يا له من موقفٍ مخيف! ذلك الذي يكون أقصى المحاولةِ فيه الاعترافَ بالذَّنب؛ فإن الندمَ قد فات موعدُه، والتوبةَ قد انقطعت طريقُها بحلول العذاب.

﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦﴾

• هناك سؤالٌ لا بدَّ من وقوعه، في موقفٍ لا شكَّ في حصوله؛ يومَ يقفُ الأشهادُ بين يدي ربِّ العباد، فيسألُهم ماذا أجبتُم المرسَلين؟

• إنه موقفٌ عظيم، حين يُسأل الرُّسلُ عن تبليغهم، وقد بلَّغوا البلاغَ المبين، فما حالُ مَن أُرسلَ إليهم، وفيهم مَن لم يُجب المرسَلين؟!

• المحاكمة العادلةُ لا بدَّ لها من سؤال المُحاكَم، واستشهاد الشهود، وبيان الوثائق، ووضعِها في ميزانٍ يحدِّدُ مقدارَ الجريمة، وما تستحقُّه من عقاب، ثم يصدر الحكم.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾

• سبحانَ العليم الخبير؛ فقد سأل الأممَ عن أعمالها، وسأل الرسلَ عن تبليغها، دون أن تخفى عليه خافيةٌ من خَلقه؛ فماذا يُغني الجحودُ والإنكارُ عن صاحبه في ذلك اليوم؟!

• أحاط اللهُ بكلِّ شيءٍ علمًا، بشهوده أحوالَ خلقه لا بوصولِ خبرِهم إليه؛ فهو شاهدٌ على كلِّ نفسٍ بما كسَبَت، محيطٌ بما أعلنَت وما أخفت.

﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨﴾

• ويلٌ للخطَّائين يومَ المحشر؛ فإن اللهَ يشهد والرسُل تشهد والموازين العادلة تشهد، فكم هو الخزيُ بين أيدي هؤلاء الشهود، في اليوم العظيم الموعود؟!

• الفلاحُ والخسرانُ الحقيقيَّان هناك يومَ العَرض الأكبر، فمَن رجَحَ ميزانُ حسناتِه فقد أفلح، ومن رجَحَ ميزانُ سيِّئاتِه فقد خسر.

﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ۝٩﴾

• للحقِّ ثِقَل؛ فمَن ثقُل ميزانه باتِّباع الحقِّ في الدنيا، ثقُل ميزانه بالحسنات يوم القيامة. وللباطل خفَّة؛ فمَن عمل الباطلَ في دنياه، خفَّ ميزانُه في أخراه.



• كم من إنسانٍ يقاسي أنواعَ العناء؛ ليفلحَ في الدنيا، وهو بعيدٌ عن الهدى، فإن نالَ ذلك وماتَ على حاله فقد خسر نفسَه، وأضاع حظَّه!

﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝١٠﴾

• كم أنعمَ اللهُ على عباده، وأجزلَ لهم عطايا فضلِه، فسَعِدوا بآلائه! غيرَ أن أكثرَهم لم يحمَدوه على كرمه، ولم يطيعوه شكرًا لنِعَمه.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾

• تذكير الناس بنعمة التكوين والإيجاد، بعد نعمة التمكين والإمداد؛ ليَشكُروا الربَّ الكريم الجواد، الذي أوجدهم من عدَم، وأمدَّهم بوافر النِّعَم.

• تاريخ العداوةِ الطويل، الذي بقيَ على وتيرةٍ واحدة جيلًا بعد جيل؛ يربِّي العقلاءَ على أخذ الحيطةِ والحذرِ من الشيطان الرجيم.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ
أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن
تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

١٥٢

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

• من حِلم ربِّنا وبالغ عدله أنه لم يعاجل الشيطانَ بالطرد لسابق علمه، بل سأله حتى أقام عليه الحجَّة من نفسه، وفي هذا تنبيهٌ على أن الذين يأخذون الناسَ بما ظهر لهم دون محاكمة قد حادوا عن مِنهاج العدل، فكيف بمَن يأخذونهم بالأوهام والظنون؟!

• لا يفخرنَّ أحدٌ من الناس على غيره بفضل أصلِه وسموِّ نسبه وشرف عنصره؛ فإن ذلك كان من مُهلكاتِ إبليس.

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

• من وسائل تطهير المجتمع الصالح من الفساد المتسرِّب إليه: علاجُ ذلك الفساد، فإن لم ينجع فالتخلُّص منه سببٌ للسلامة من فشُوِّه واتساع شروره.

• مَن طلب الرِّفعة على سُلَّم الكِبر أذلَّه الله ووضعَه، ومَن تواضع لله أعزَّه ورفعَه.

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾

• إنه الإصرارُ المطلَق على الشرِّ، وبذلك تتكشَّف هذه الطبيعة عن خصائصها الأولى؛ شرٌّ ليس عارضًا ولا وقتيًا، إنما هو الشرُّ الأصيل المتعمَّد؛ فاحذره لتنجوَ.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾

• إبليس أهونُ من أن يُجاب إلى طلبه كرامةً له، غيرَ أن إنظارَه أمرٌ قدَّره الله عليه قبل أن يسألَه؛ اختبارًا للخلق وابتلاء.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾

• لا يفتُر الشيطان عن وسوسته لك حتى ينالَ منك مُرادَه؛ فإنه توعَّد بالجثوم على طريقك، والمواظبةِ على إرادة إضلالك، حتى الوقت المعلوم.

• ألا سمعت ماذا يُرادُ لك؟! فخذ إذن حِذرَك، واستعدَّ لعدوِّك، واعرف مداخلَه ومخارجه، وسُدَّ أبوابَه إليك.

﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

• قال بعضُ السَّلف: (يأتيك يا بنَ آدمَ من كلِّ جهة، غيرَ أنه لا يستطيع أن يحولَ بينك وبين رحمة الله؛ إنما تأتيك الرحمةُ من فوقك).

• لولا معرفةُ الشيطان قدرَ الشكر، وأنه أجلُّ المقامات؛ لما جعل غايتَه قطعَ الناس عنه.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾

• ما عاند اللهَ تعالى معاندٌ إلا فاته الحمدُ والنصر، ولم يكن له من مآلٍ إلا الذمُّ والدَّحر.

• ليحذرِ العاقلُ موالاةَ مَن لا يبالي بنجاة نفسه ونجاة مَن يواليه، ولا يفكِّر بنهاية شقائه المحتوم.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

• ما أوسعَ الحلالَ وأضيقَ الحرام! ولكنَّ إبليسَ لا ينفكُّ يزيِّن للعبد الحرامَ حتى يقعَ فيه.

• ودَّ المنحرفُ أن ينحرف الناسُ مثلَه، وقد يسعى لذلك؛ فإبليسُ عادى آدمَ حسدًا، ووسوسَ له ليوقعَه في المعصية؛ لينالَ ما ناله من العقوبة، ولكن شتَّانَ ما بين العاصيَين والمعصيتَين!

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

• كشف العورات وظهورُ المفاتن غايةٌ قديمة لإبليسَ وذرِّيته مع آدمَ وذرِّيته، والناجي مَن خالف عن غايتهم.

• لا تغترَّ بالغايات الحميدة في ارتكاب الحرام؛ فإنها من وساوس إبليسَ، فتنبَّه لمُراداته ولطيفِ إغوائه؛ فقد يزيِّنُ لك في المعصية السعادةَ والخير، وما غايتُه إلا الإشقاءُ والضُّر.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾

• على المؤمن أن يكونَ فطِنًا لوساوس إبليسَ وجنوده، فقد يأتون إليه بثوب الصلاح، ويدعونه بلسان التقوى؛ فإبليسُ عزَّز نصيحتَه بالحرص على الأبوَين، والإقسام بالله!

• ما كلُّ نصيحةٍ تُستقبَل بالرضا حتى تُعرفَ منطلقاتُها وغاياتُها، فكيف إذا خرجَت تلك النصيحةُ من لسانِ عدوٍّ كاشح، يتربَّص بعدوِّه الدوائر، ويبغي له الغوائل!

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾

• غرَّ عدوُّ الله نبيَّ الله بالتوكيد والمبالغة حتى صدَّقه، وما كان آدمُ يظنُّ أن أحدًا يُقسِم بالله كاذبًا.

• السَّترُ من خُلق آدمَ وحوَّاء وفطرتِهما؛ فقد طلباه وحرَصا عليه، وكرها العُريَ والتكشُّف، فما أقبحَ التعرِّيَ لدى النفوس السليمة، والفِطر المستقيمة!

• كان بُدوُّ العَورة من جملة العقوبة على المخالفة، فيا سبحان اللهِ كيف انتكسَت عقولُ بعضِ بني آدمَ حتى عدُّوا الحجابَ عقوبةً واستعبادًا، والعُريَ كرامة وتحضُّرًا؟!

• شتَّانَ ما بين مَن تعالى وتكبَّر، ومَن تاب إلى الله واستغفر، بعد هذا العتاب الكريم.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ
لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ
ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ
حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا
بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾
فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟
ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

١٥٣

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

• إن لم يغفر اللهُ لعبده سيِّئاتِه، هلك في آثارها وعقابها، وإذا لم يرحمه بإيجادِ ما يُصلح نفسَه من العلم والعمل وقعَ في الخُسران المبين.

• قبيحٌ في مَعرِض الذَّنب التعلُّلُ بذرائعه، وشرحُ أسبابه؛ واللائقُ هو بثُّ عبارات الإقرار، وسكبُ دموع التوبةِ والاستغفار.

• ابتلى اللهُ الأنبياءَ بصغائر الذنوب؛ رفعًا لدرجاتهم، وتبليغًا لهم إلى محبَّته وفرحِه بتوبتهم منها؛ فإن الله يحبُّ التوَّابين المنيبين.

• كُن كأبيك آدمَ توبةً وندمًا؛ إذ نال مغفرةً وقُربًا، واحذر أن تكونَ كإبليسَ الذي أصرَّ واحتجَّ بالقدر على المعصية، فنال كُرهًا وبُعدًا.

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

• الجنَّة سموٌّ لا يليقُ فيها هبوطُ الأعمال والسلوك، ولكنَّ الأرض مكانٌ صالح لتنازُع الخير والشرِّ، والحقِّ والباطل، وفيها تتجلَّى عداوةُ إبليسَ ومَن معه لآدمَ وذرِّيته.

• الأرض منزلُ فناء؛ متاعُها يزول، وزمانُها لا يطول، فمَن اتَّقى اللهَ فيها فإلى دار الكرامة مآلُه، ومَن أطاع الشيطانَ فمعه إلى دار الهوان انتقالُه.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

• الأرض واحدة، وحياةُ الإنسان فيها واحدة، ومكانُ الاختبار وزمانُه فيها واحد، والعاقل مَن انتهزَ هذه الفرصةَ فقدِمَ على ربِّه بشهادة النجاح في اختباره؛ لينالَ الفلاحَ في جواره.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ: يَستُرُ عوراتِكم، وهو لباس الضَّرُورة.

وَرِيشًا: لِباسَ الزِّينة.

• الإنسان العاقلُ حريصٌ على دوام لباسه لتزيين بدنه، وأعقلُ العقلاء مَن زادَ على ذلك ارتداءَ لباس التقوى لتزيين روحه.

• إنما عَريَت أعضاءُ الإنسان التي أُمر بسَترها لخلوِّ باطنه من التقوى، فمَن سفرَت عن زينتها للأجانب فقد كشفَت عن نقص تقواها.

• بالنِّعمة يتذكَّر الإنسانُ فضلَ المنعِم عليه، فيسارع إلى تقواه، واللباسُ نعمةٌ توجِبُ طاعةَ الله.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

• لا يزال إبليسُ يغري النساءَ بالعُري ونزع الألبسة الساترة، حتى يُبعدَهنَّ عن رضوان الله.

• للشيطانِ وسائلُ خفيَّةٌ تحتاجُ من العبد إلى دوام اليقظة؛ كي لا يأخذَه على غِرَّة، فيوقعَه في المَضَرَّة.

• إذا كان الشيطانُ يراك ولا تراه، فاجعل مَفزعَك إلى الله وحدَه الذي يراك ويراه.

• يتسلَّط الشيطانُ على أوليائه فحسب، أمَّا أولياءُ الله فلا سلطانَ ولا قدرةَ له عليهم.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

• ليكن الحقُّ غايتَك المنشودة، والمحبوبَ إليك من كلِّ أحد، فمَن خالفَه فلا قدوةَ في مخالفته، ولا اتِّباعَ له في درب مباينته.

• ما أخبثَ أن يُخدَعَ الناسُ بعاطفتِهم الدينيَّة، بحيثُ تُفترى الفِرية، ثم يُوهَمون بأنها تشريع!

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾

• أمور الدين تحتاجُ إلى تثبُّت، فلا ينبغي للعاقل أن تستهويَه الشعارات، حتى يرى موافقتَها للحقِّ، فإن وافقته اتَّبع، وإن خالفته رجَع.

• أوامر الله ونواهيه تستحسنُها العقولُ السليمة، وتقبَلُها الفِطرُ القويمة.

• إلى الخالق القادر مَعادُ الخلق الأوَّل والآخِر، وفي ذلك اليوم حسابُهم، وبالإشراك به عقابُهم.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

• إذا هُديَ الإنسانُ إلى الحقِّ فذاك محضُ توفيق الله وفضله، وإن ضلَّ فبخِذلانه له لتولِّيه الشيطان، فليَشكُر في الأولى، وليَتُب في الثانية.

• إذا سلك الإنسانُ طريقَ الضلال استقبله الشيطانُ واحتفى به، وأراه أنه على الحقِّ المبين.

۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ
بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ
٣٤ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ٣٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧

١٥٤

﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾

• كان لبعض السلف حُلَّةٌ بمبلغ عظيم من المال، وكان يلبَسُها وقتَ الصلاة، ويقول: (ربِّي أحَقُّ مَن تجمَّلتُ له في صلاتي).

• سَتر العورة والتجمُّل بالثياب هو الزينةُ في موازين الفطرة السليمة، فمن جعل الزينة هتكَ الثياب وإبداءَ العورات، فقد انتكست فطرتُه.

• يجمُلُ بالعبد عند لقاء الله أن يزيِّن ظاهرَه باللباس الساتر، وباطنَه بالخضوع والمحبَّة.

• يا سعدَ مَن امتثل شرعَ ربِّه، وسارعَ إلى مرضاته! فإن ذلك لجسده دواء، ولروحه شفاء.

• إطلاق الإذن في المُباح لا يعني استعمالَه بلا قيود، بل للمُباحات في الشرع ضوابطُ وحدود.

﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾

• أخطأ مَن اختار خشِنَ اللباسِ على جميله، وما لا يُستلَذُّ من الطعام على شهيِّه؛ ظنًّا منه أنه لا يوافق الشرعَ إلا بذلك.

• التزيُّن والتلذُّذُ بالمباح لا يُنافيان التذلُّلَ في العبادة؛ فقد أخرج اللهُ الزينةَ لعباده ليتزيَّنوا بها حالَ عبادته، وخلق الطيِّباتِ لتطيبَ قلوبُ خلقِه فيشكروه، والشكرُ عبادة.

• لا تُباح النِّعمُ لمَن لا يطيع اللهَ فيها، بل يُحاسَب عليها وعلى التنعُّم بها يوم القيامة.

• غرِقت جوارحُ المشركين في الضلالات، وغاصت عقولُهم في الجهالات، وردُّوا بالعِناد أياديَ إنقاذِهم، فهم لا يعلمون ولا يريدون أن يعلموا، برغم ما فُصِّل لهم من الآيات.

﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾

• حُرِّمت أصولُ المحرَّماتِ هذه لفسادٍ لازم فيها، لا لعلَّةٍ عارضةٍ طرأت عليها.

• تأمَّل ما حَرَّمه سبحانه على عباده في هذه الآية، كأنه يشير إلى ما فيه فسادُ الشَّهوة والعمل والعدل والعلم؛ فبفسادِ هذه الأمور فسادُ الدين.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾

• لكلِّ أُمَّةٍ أجل، فدُولٌ تَدول، وأجيالٌ تَزول، ولا يبقى منها إلا العمل.

• الآجال مواقيتُ لا تُؤخَّر لإرضاء الناس، ولا تُقدَّم لأمانيِّ أعاديهم، بل اللهُ يقدِّرها بعلمه، ويقضي فيها بحكمته ومشيئته.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾

• إذا كان النذيرُ من القوم كان أقربَ لمودَّتهم، وأبعدَ عن تهمتهم، وأحرصَ على مصلحتهم.

• لا صلاحَ لأمَّةٍ حادت عن كتاب ربِّها، وانحرفت عن سبيل هداياتها، فكيف تصل إلى غايتها، بغير الوسيلة التي جُعلت لها؟

• بين الخوفِ ممَّا سيكون والحزنِ على ما كان يقفُ سدُّ التقوى والإصلاح؛ ليَحولَ دون تسرُّب الخوفِ والحزن إلى حصن التقيِّ المصلح.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾

• ما أبعدَ المكذِّبين المستكبرين عن أن يكونوا وِجهةً للمقتدين! وما أقربَهم من كونهم قدوةً للضالِّين والمعرِضين!

• نار جهنَّم هي السجنُ المؤبَّد الذي حُكم به على المكذِّبين بآيات ربِّ العالمين، أما إنهم لو آمنوا وصدَّقوا لما صدرَ هذا الحكمُ في حقِّهم.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾

• الكذب على الله تعالى والكفرُ به صِنوان، وهما أشدُّ صنوف الظلم والعصيان.

• لقد جعل اللهُ للكفَّار في الدنيا نصيبًا؛ يقيمُ به عليهم الحجَّةَ على عدله وإمهاله، فإذا وردوا الآخرةَ فما لهم فيها من نصيبٍ غير العذاب.

• سؤالٌ لا بدَّ أن يطرقَ سمعَ كلِّ كافر، ما كان يومًا يدورُ في خَلَده أنه سيلاقيه، وفي وداع الدنيا سيوافيه: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾.

• من على فراش الموت يبدأ عذابُ المشرك، فيصُكُّ سمعَه تقريعُ ملَك الموت بالسؤال عن إشراكه، فيا ويلَه يوم المآل بعد هذا السؤال!

• ما أضيعَ عبادًا لا تهتدي إليهم آلهتُهم، ولا تسعفُهم في مثل هذه اللحظة! وما أخيبَ آلهةً لا تهتدي إلى عبادها في مثل هذا الأوان الشديد!

قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟
فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ
﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ
وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى
مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ
وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

١٥٥

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

• كم الفرقُ بين مَن يُقال لهم: {ادخُلوا في أُمَمٍ قد خَلَت من قَبلِكُم منَ الجِنِّ والإنسِ في النَّار} ومَن يُقال لهم: {ادخُلوها بسلامٍ آمنين}!

• اجتمع الضالُّون والمضلُّون في الدنيا على الضلال، فلم يفترقوا بسببه في المآل، ولكنَّ اجتماعَ المآل ذهب فيه تبادلُ القُرب والوِداد، فلم يبقَ بينهم غيرُ التراشُق باللعن والإبعاد.

• احرِص على حبٍّ يجمع المحبّين عاجلًا وآجلًا، فيا بُشرى المتّقين المتحابّين يوم القيامة!

• إيّاك وعلماءَ السوء أن يضلُّوك عن سوء السبيل؛ فإنهم لا يُغنون مَن يُضِلُّونه من عذاب الله شيئًا، فخذ ما وافقَ الحقَّ، ودَع ما خالفه.

• كُلُّ المكذِّبين بآيات الله في العذاب مخلَّدون، وهم في أصله مشتركون، وإن تفاوتوا في مقداره بحسب أعمالهم وعنادِهم، وظُلمِهم وافترائهم.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

• أرأيتَ إلى جدالِ الضالِّين العقيم كيف لا ينتهي، ولا إلى حقٍّ يُؤدّي، حتى وردوا النار؟!

• ما كان الله تعالى ليُعاقِبَ أحدًا بغير ما جَناه، فمَن عذَّبه وضاعف عذابَه فبما كسبَت يداه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

• مَن يستكبرُ على الإيمان لا يرتفعُ له عملٌ ولا شأن، بل تُنكَّس روحُه تنكيسًا.

• من السماءِ تنزلُ الخيرات، وإليها تصعدُ الأعمالُ الصالحات، فهنالك موضعُ البهجة ومعدِنُ السعادات.

• الموقوف على المُحال محال؛ فلا دخولَ لكافرٍ الجنَّةَ يومَ المآل، إلا إذا نفذَ الجملُ من ثَقْب إبرة، فما أعظمَ هذا المثَل للعِبرة!

• ما أشأمَ الإجرامَ على فاعليه، وأسوأَ أثرَه على مرتكبيه! إنه ليُودي بهم في المهالِك، وهذه سُنَّة الله فيهم عبرَ الأمم والممالك.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

• تخيَّل صورةَ نارِ جهنَّمَ وهي لقومٍ وِطاء، ومن فوقهم غِطاء، وما لهم عنها من وِقاء، فكيف حالُهم واللهبُ يحيطُ بهم من كلِّ جانب، ولا سبيلَ لمستغيثٍ أو هارب!

• أنَّى للظالمين الراحةُ من العذاب إذا كان مِهادُهم وغطاؤهم نارًا تلظَّى؟!

• لا يكذِّبُ بآيات الله ولا يستكبرُ عنها إلا ظالمٌ مجرم، قد جنى على نفسه إذ أغضب ربَّه بما لا قِبَلَ له به.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

• إذا أردتَ رُقِيَّ درجات الجِنان، ونيلَ القَبول والرضوان، فاستعدَّ لذلك بما استطعتَ من العمل والإيمان.

• الحمد لله الذي جعل التكليفَ بالعمل الصالح في حدود طاقتنا، ولم يجعل الوصولَ إلى النعيم فوق قدرتنا، فأيُّ مكلَّف تخلَّفَ عن العمل فلا عذرَ له يُنجيه يومَ لقاء ربِّه.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

• لمَّا كانت الجنَّة لا تطيبُ إلا بصلاح الجيران، وسلامة أهلها من الأحقاد والأضغان؛ فقد غسل اللهُ صدورَهم من تلك الأدران، فدخلوها على قلب رجلٍ واحد.

• لا تجعل خلافَك مع أخيك في مسألةٍ اجتهادية يُفضي بك إلى الكره والبغضاء، ألا تحبُّ أن تلقى اللهَ سليمَ الصدر طاهرَ السريرة؟!

• المؤمنون في الدنيا بشرٌ لا ملائكة؛ فقد يثور بينهم غيظٌ فيكظِمونه، أو غِلٌّ فيغلبونه، فإذا بقي من ذلك شيءٌ أزاله الله قبل دخولهم الجنَّة.

• كم الفرقُ بين دارٍ تجري من تحتها الأنهار، ودارٍ ليس فيها إلا النار، من فوق أهلها غَواش، ومن تحتهم فِراش، فلننفرَّ منها.

• أهلُ الجنَّة يتواضعون لربهم، ويردُّون إليه الفضل، أما المعجَبون بأعمالهم فينسُبون لأنفسهم ما رُزِقوه من الخير.

• يا لَسعادةِ مَن علمَ الحقَّ في الدنيا علمَ اليقين، وما أسعدَه حين يغدو ذلك له غدًا عينَ اليقين!

• ما أجملَ ذلك النداءَ؛ يوم ينادي المنادي بتمليكِكَ تلك الأرضَ الطاهرة من الجِنان؛ عطيَّةً من الله بسبب ما تفضَّل عليك من التوفيق للعمل لها!

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا
رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ
مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا
حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ
أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾
۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا
مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم
بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ
لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ
ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا
وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ
لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

الحزب ١٦

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

• يتوالى التقريعُ على أهل النار من كلِّ جهة، من بعضهم لبعض، ومن الله وملائكته وأوليائه أهلِ جنَّته. أما كان يسَعُ أولئك الفجّارَ الإقرارُ قبل معاينة النار؟!

• أيعجزُ مَن علَّم عباده في الدنيا تكليمَ بعضِهم بعضًا بوسائلَ حديثةٍ من مسافات بعيدة أن يجعلَهم يتنادَون في الآخرة، فيُنادي أهلُ أعلى عليّين أهلَ أسفلِ سافلين؟!

• يا له من موقفٍ عظيم مشهود! إنه يومُ الأذان، الذي يُنادى فيه بطرد الظالمين من رحمة الله، أجارنا الله أن نكونَ منهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

• ما أشقى أولئك الذين انحرفوا عن الحقّ، وصدُّوا غيرَهم عن سلوك طريقه! لقد لَقوا ربَّهم بظلم عظيم، فنالوا بذلك العذابَ الأليم.

• دأبُ الظالمون على منع الناس من الاهتداء إلى الحقّ بالجبروت، فإن لم يستطيعوا بثُّوا في طريق الحقِّ الشبهات الصادَّة عن سلوكه، حتى يبدوَ في نظرهم سبيلًا عوجاء.

• لو آمنَ المرءُ برجوعه إلى ربِّه، وحسابِه على عمله؛ ما صدَّ نفسَه عن سبيله، ولا منع غيرَه من سلوكه، بل لدفعه إيمانُه إلى صراط الله ونهجِه.

﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

حِجَابٌ: حاجزٌ، وهو سُورٌ بينهما، يُقالُ له: الأعراف.

يَطۡمَعُونَ: يرجُونَ دخولَها.

• المخاطبة لا تقتضي المقاربة؛ فقد ضُرِب بين أهل الجنَّة وأهل النار حجابٌ يمنع أهلَ الجنَّة حرَّ النار، ويحول بين أهل النار ونعيم الجنَّة.

• لا سبيلَ للعبادِ إلى النجاة والنعيم، إلا بفضل الله الجواد الكريم، مهما بلغت أعمالهم الصالحة، فهل يُطمع بغيره سبحانه؟!

﴿۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

• منظر أهل النار مَهول، لا ينظرُ أصحابُ الأعراف إليهم رغبة، بل تُصرَفُ أبصارُهم إليهم صرفًا؛ فرَقًا من مآل السوء، في رُفقةِ أربابِه.

• رُفَقاء اليوم هم رفقاءُ الغد؛ فلا تكن جليسَ الظلَمة في الدنيا؛ حتى لا تكونَ معهم في الآخرة.

• ما أحسنَ هذه الدعوة! إذا دعا بها المسلم فتحقّقت له في الدنيا والآخرة: {رَبَّنا لا تَجعَلنا مع القوم الظالِمين}.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

• ذهبت عن أهل النار مفاخرُ الدنيا، فلا قوّةَ ولا مال، ولا جاهَ ولا رياسة، فماذا نفعَتهم تلك الأسبابُ التي أدَّت بهم إلى الاستكبار على الحقِّ؟

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

• ارعَ حقَّ المستضعَفين من المؤمنين، فإنهم أهلُ العزَّة والكرامة عند ربِّ العالمين.

• ظنُّوا أن علوَّهم بالباطل سيبقى لهم في اليوم الآخر، فتعجَّبوا من ارتفاع مَن حقَروهم في الدنيا عليهم.

• كيف يخاف يومَ القيامة مَن كتب اللهُ له الأمان؟ وعلامَ يحزنُ على ما فات والدنيا كلُّها لا تقارَن بما يراه من نعيم الجِنان؟

• خاف المؤمنُ ربَّه في الدنيا فأمَّنه في الآخرة، وحين صرف همَّه إلى ربِّه، صرف ربُّه عنه الحزنَ على ما فاتَه بما آتاه.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾

• تفكَّر في هذه الحقيقة: الذين يُلقُون اليوم على المؤمنين أذى السخريَّة والملامة، سيخضعون لهم فيستغيثون بهم يوم القيامة بتذلُّل ومهانة!

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

• يا خيبةَ أولئك الذين دانوا باللهو واللعب، ولم يَدينوا بدين الله الحقّ! استهواهم ذلك عن العمل للآخرة التي لأجلها وُجِدوا، فكيف بمَن يجعل الشعائرَ محلًّا للعب واللهو؟!

• لا ينسى عبدٌ ربَّه إلا عامله اللهُ يومَ القيامة معاملةَ الناسي، فماذا ينتظرُ بعد ذلك من الأمل، والجزاءُ من جنس العمل؟!

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدٗى وَرَحْمَةٗ
لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ٥٢ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ
فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي
كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ
يَفْتَرُونَ ٥٣ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ
يَطْلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ
بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤
ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعٗا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ٥٥
وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفٗا وَطَمَعًاۚ
إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابٗا ثِقَالٗا
سُقْنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥٧

١٥٧

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدٗى وَرَحْمَةٗ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ٥٢﴾

• أحكام كتاب الله مبناها على علمٍ تامٍّ، ليس فيه من خطأ، فمَن استند إليه استند إلى برهانٍ قاطع، وحجَّةٍ ما لها من دافع.

• بمقدار ابتعاد المرء عن آيات القرآن، يكونُ ابتعادُه عن الهدى والرحمة والإيمان.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٥٣﴾

تَأْوِيلَهُۥ: ما وُعِدوا به في القرآنِ من العقاب الذي يؤُولُ إليه أمرُهم.

• لا فائدةَ في إيمانٍ عند معاينةِ أوائل الآخرة؛ فقد أُغلِق كتابُ العمل، وفُتِحَ كتابُ الحساب.

• يا ذُلَّ الكافرين يوم حشرهم! يطلبون تخفيفَ عذابهم من كلِّ أحد، فيبحثون عن الشُّفَعاء والرحماء، أما لو رحموا أنفسَهم في الدنيا بالإيمان والعمل لأغناهم ذلك عن مقام الذلِّ.

• أمانيُّ العمل الصالح في الدنيا قد تنفعُ متمنِّيها، أما أمانيُّ الآخرة لذلك فقد فات محلُّها، فتبقى حسراتٍ على أهلها.

• خساراتُ الدنيا قد تُعوَّض، ومصائبها قد تُجبَر، لكنَّ خسارةَ الخلود في النار هي المصيبةُ التي لا تُجبَر، والخسارةُ التي لا تعوَّض.

• أيُّ فِريةٍ أعظمُ من ادِّعاء المعبودات الباطلة آلهةً مع الله؛ تجلب نفعًا، أو تملك دفعًا؟ فلمَّا كانت فريةً ذهبت عن إنجائهم يوم الحاجة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾

ٱسْتَوَىٰ: علا وارتفع.

حَثِيثٗا: سريعًا، دائمًا.

• أيها العباد، إنه سبحانه هو مربِّيكم والمنعم عليكم والهادي لقلوبكم إلى سواء الصراط، فلا ينبغي أن يُعبدَ معه غيرُه.

• هو القادرُ سبحانه على خلق ما يشاء كما يشاء في طَرفةِ عين، ولكن كم في التأنِّي من الحكمة ولطف التدبير، وإرشاد الخلق إلى الأخذ بذلك في أمور حياتهم.

• ألا ترهبُ النفسُ ربًّا استوى على عرش عظيم، وتمتلئ له إجلالًا وإعظامًا، وإكبارًا وتقديسًا؟

• كما للخالق كمالُ الخلق وإتقانه، وإبداعُه وإحكامه، فله ذلك سبحانه في أمره ونهيه.

• تبارك ربُّنا في نفسه؛ لعظمة أوصافه، وكمالِ ذاته، وبارَكَ في غيره بإحلال الخير الجزيل فيه، فكلُّ بركةٍ في الكون فمن آثار بركاته ورحماته.

﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعٗا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ٥٥﴾

تَضَرُّعٗا: مُتذلِّلين.

وَخُفْيَةً: سرًّا.

• هو ربُّك تعالى الذي ربَّاك وآواك، أفيَليقُ بك أن تتوجَّه إلى غيره، أو تسألَ أحدًا سواه؟!

• لا يليق بالمؤمن أن يكونَ من المعتدين في الدعاء؛ إمَّا بترك دعاء ربِّه، وإمَّا بسؤاله ما لم يَشرَعه له، وإمَّا برفع صوته وصياحه بدعائه.

• من رحمته أنه أرشدَك إلى الدعاء لتدعوَه ليعطيَك، ونهاك عما يرُدُّ دعاءك لئلا يحرمَك، فهل رأيت مثلَ هذا الكرم؟

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾

• صلاح الأرض مرتهَن بتوحيد الله وطاعة رسوله، وكلُّ شرٍّ بمخالفته، أو مخالفةِ رسوله.

• ما أسوأَ الإفسادَ بعد الإصلاح، وما أقبحَ أن يصيرَ الإنسانُ من المفسدين الذين يطمِسون عملَ المصلحين!

• العقاب يقتضي الخوف، والثواب يقتضي الطمع، وتلك مقاماتُ المحسنين، وما أقربَهم من رحمةِ أرحم الراحمين!

• المحسن بعمله يحسن اللهُ إليه برحمته؛ يقرِّبُ منه مطلوبَه، ويُنيله مرغوبَه، ويدفع مرهوبَه.

• يا مَن ترجو رحمةَ الله الرحيم الرحمن، اصعَد إليها على سُلَّم الإحسان، فكلَّما زدتَّ في إحسانك أفضلَ عليك من رحمته التي تُغنيك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾

• المطر مظهرٌ من مظاهر رحمة الله بعباده، جعل بين يديه أسبابًا ينزل بها، فما أحرانا أن نأخذ بها.

• يقيم اللهُ حُججَ قدرته ببعض مَشاهدِ خلقه؛ حتى يؤمنَ الجاحد، ويقوى إيمانُ الضعيف.

وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ
إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾
قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ
لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ
عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ
﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ
عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ
إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

الحزب ١٦

١٥٨

﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

نَكِدٗا: عَسِرًا رديئًا.

- الوحيُ كالغيث النافع الذي إذا نزل على أرض طيِّبة انتفعت فأينعت بالإيمان والعمل، وإذا نزل على أرضٍ رمالٍ وصخور لم تنتفع، فلم تحفظ ماءً، ولم تُنبت كلأً.

- من القلب الطيِّب ينبع شكرُ الهبات، وحُسنُ استقبال المكرُمات، وللشاكرين تتنوَّعُ الآيات، وهم أكثرُ المنتفعين بما في الوحي من العِظات.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾﴾

- جرَت سنَّةُ الله بإرسال كلِّ رسولٍ من قومه؛ تأليفًا لمَن لم تفسُد فِطرتُه، وتيسيرًا لفهم ما جاء به بلسانهم، ولكون الأقربين أولى بالمعروف.

- البيان الأوّل لكلِّ رسولٍ جاء قومَه: إعلانُ كلمة التوحيد، والبراءةُ ممَّا يُضادُّها من شرك العبيد.

- كلمةُ التوحيد هي الكلمة التي لا تتبدَّل في رسالات الرسُل؛ لأنها عمادُ الحياة الإنسانيَّة، ولن تقومَ إلا عليها.

- لا نجاةَ يومَ القيامة إلا بتوحيد الله وحُسنِ عبادته، وبقدر إيمان العبد بذلك اليوم يكون توحيدُه وعبادتُه.

- لا تدَعِ النصيحةَ بدعوى الحرِّية وأشباهها؛ فإن الناصح الصادق يحمله خوفُه من سوء عواقب العاصين على دوام نصيحتهم من أجل إنقاذهم.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾﴾

- علوُّ أهل الباطل بالجاه أو المال يظلُّ واقفًا في وجه دعوة المصلحين في كلِّ زمان، فبئسَ العلوُّ.

- إذا حسِب الضالُّ نفسَه مهتديًا، وعدَّ المهتديَ ضالًّا، والمصلحَ مخرِّبًا، والمخرِّبَ مُصلحًا؛ فاعلم أن الفِطرَ قد انقلبت، وليالي الانتكاسة قد ادلهمَّت.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾

- ما أجملَ حُسنَ الخطابِ مع المدعوِّين! خصوصًا إذا كانوا من الأقربين، وأعظِم بذلك الناصح الذي يرُدُّ على سَفَهِ قومه بلسان حِلمه!

- كيف يكونُ في ضلال مبين مَن يُرسلُه ربُّ العالمين بتوحيده، وهو الأعلمُ بمصالح عباده؟!

﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

- جاء الأنبياءُ إلى أقوامهم بالبيان الواضح، والنُّصح الخالص، والصدق التامِّ، والمعرفة الصحيحة، وهذه هي أعمدةُ الدعوة الحقَّة التي ينبغي لكلِّ داعٍ أن ينطلق منها.

- منهج الأنبياءِ نصيحةٌ وعمل، من غير مَلال ولا كسل، لا يصُدُّهم عن ذلك كراهيةُ القوم ولا بذاءتُهم.

﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾

- لمَّا كانت بعضُ عناصر رسالات الرسُل حقائقَ ربَّانيةً مغروزةً في عقول الناس، طلب منهم أن يتعهَّدوها بالتذكُّر.

- المقصودُ من البعثة الإنذار، ليبلغَ المُنذَرون مرتبةَ التقوى، ويفوزوا بالرحمة في الدار الآخرة.

- لا ينبغي أن يركَنَ المتَّقي إلى تقواه وحدَها فيأمنَ بها عذابَ ربِّه، بل لا بدَّ من رَدْفها بسؤال رحمة الله التي هي محضُ فضلٍ وكرم منه تعالى.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

- إذا انتفش أهلُ الباطل، وتباهَوا بقوَّتهم فليتذكَّروا أن الله يُهلك أعداءه، وينتقمُ لأوليائه، ويجعلُ لهم العاقبة، ولو بعد حين.

- ما أليقَ وَصفَ العَمى بمَن يُعرِض عن آيات ربِّه؛ فهو لا يُبصرها مهما زاد وضوحُها وازداد صفاؤها!

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

- اتفقت دعوةُ الأنبياء جميعًا على منهج واحد، وهو الدعوةُ إلى عبادة الله الواحد، فتعسًا لمَن لم يُفرده سبحانه بالعبادة والطاعة.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

- تشابهت قلوبُ المكذِّبين فتقاربت شبُهاتُهم، واتحدت تُهمُهم لمَن يريدون صلاحَهم، في قديم الزمان وحديثه.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾

- خطاب الأنبياء الليِّنُ لأقوامهم، والردُّ الغليظ من أقوامهم عليهم، يبيِّن عِظَم الصبر الذي بلغه الأنبياء على أولئك الأشرار.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبْتُمْ أَن
جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
٦٩ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ
أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ٧١ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ
٧٢ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ
هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ
ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣

١٥٩

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾

• ادعُ إلى الله، وبيِّن للناس أنك لهم ناصحٌ أمين، لا تغشُّهم ولا تخونُهم، واحذر أن يصرفَك عن دعوتهم إعراضُهم واتِّهامُهم.

• ينبغي لحامل الدعوة إلى الله أن يتحلَّى بالعلم المنبثق من الوحي، والنصيحة المنبعثة من الشفقة، والأمانة الناتجة عن حُسن الديانة.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٦٩﴾

بَصْۜطَةً: قُوَّةً، وضَخامة.

• على الداعية ألا ينزعجَ من زهد الناس عنه وعن دعوته، فيدعَ دعوتَهم من أجل ذلك؛ فقد زهد بعضُ أتباع الأنبياء فيهم، وفيما جاؤوا به من السماء.

• على أرباب النِّعم من جاهٍ وقوةٍ ومالٍ أن يشكروا الله على ما أعطاهم فيتَّبعوا الحقَّ ويذودوا عنه، وألا يكونوا أوَّلَ المُعرضين، ففي قِصص الغابرين عبرةٌ للمعتبِرين.

• نِعَمُ اللهِ من أسباب الهداية حين يتذكَّرها صاحبُها، فمَن تذكَّر وصولَ نِعَم الله إليه عرَف حقَّ الله عليه، فشكر رِفدَه، وعبده وحدَه.

• شكر النِّعَم من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، فمَن شكر آلاءَ اللهِ ازدادَ لله حمدًا وحبًّا، وطاعة وقربًا، ففاز الفوزَ العظيم.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾

• للعادة وتعظيم الآباء سلطانٌ على بعض النفوس حالَ بينَها وبين قَبول الحق، ولكنَّه الانتقاءُ الجائر حين قلَّدوا آباءهم المحدَثين المشركين، ولم يقلِّدوا آباءهم الأقدمين الموحِّدين.

• إنما يلجأُ إلى الحَميَّة الجاهليَّة والهلاك في سبيلها مَن يستفزُّه إبليس، فحين لم يجد حُجَّةً جليَّة يدفع بها الحُججَ الشرعيَّة تذرَّع بقانون الآباء والأجداد، ليسوِّغَ ما هو عليه من الفساد والعِناد.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ٧١﴾

• يا ويلَ مَن أغضب الحليمَ القادر، وأسخط القويَّ القاهر، حتى أخرجَ نفسَه عن حِلمه إلى سَخَطه، وعن رحمتِه إلى غضبه.

• دعكم من الجدال في بيان استحقاق الأصنام للعبادة؛ فإنها لدى العقلاء واضحةُ البطلان، ولا يمتري فيها إلا عُميُ البصائر.

• كُلُّ حجَّةٍ منزلةٍ من عند الله تعالى فللقائلِ بها سلطان، وبرهانٌ ظاهرٌ لا يساويه أيُّ برهان، فمَن خالف تلك الحجَّةَ فلا دليلَ له.

• الثقة مَناطُ القوَّة التي يستشعرُها الداعيةُ في مواجهة الباطل، فهو على يقينٍ من هُزال الباطل وخفَّةِ وزنه مهما انتفش؛ لأنه على الله وحدَه يعتمد، وبسلطانه يلوذ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ٧٢﴾

وَقَطَعْنَا دَابِرَ: أهلكناهم جميعًا.

• المصلحون موعودون بالنجاة والغلَبة مهما طالت أزمنةُ الشدَّة عليهم؛ رحمةً من الله بهم، ومكافأةً منه لهم على جهادهم للباطل وصبرهم عليه.

• حين يسمع المؤمنُ أن النجاةَ للمؤمنين المصلحين، وأن الهلاكَ خاصٌّ بالمكذِّبين المفسدين، تزدادُ رغبتُه في الإيمان والإصلاح، فهما سببُ النجاة والفلاح.

• إذا جاء عذابُ الله بالإهلاك لمَن يريده لم ينجُ منهم أحد، أمَّا ملوكُ الدنيا فيَعجِزون عن الاستقصاء في الطلب، فيُفلت منهم الهاربون، ويغيب عن علمهم آخرون.

• التكذيب والإشراكُ سببان لقطع الدَّابر والهلاك، فلو كان القوم مؤمنين موحِّدين لكانوا في عِداد الناجين الفائزين.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾

• كُلُّ نبيٍّ يحملُ رايةَ التوحيد عمَّن قبله، ويمضي بها داعيًا إليها في قومه؛ فدعوةُ التوحيد واحدة، وحُججُها متَّفقةٌ ظاهرة، ودعاوى المكذِّبين متشابهة، وعواقبُهم متقاربة.

• من رحمة الله بعباده وفضلِه عليهم أن جعلَ لهم براهينَ تدلُّهم على الحقِّ الذي يدعو إليه، وهو الغنيُّ عنهم، غيرَ أنه يبغي لهم الرشادَ والنجاةَ من العذاب.

• من حقِّ ما أكرمه اللهُ أن نكرمَه، ومن الواجب نحوَ مَن عظَّم اللهُ أن نعظِّمَه.

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي
آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

١٦٠

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

وَبَوَّأَكُمْ: أسكنَكم ومكَّن لكم.

وَلَا تَعْثَوْا: لا تَسعَوا.

• إن ذكريات التاريخ الإنسانيِّ تثير لدى مَن وعاها وتدبَّرها وأدرك سنَّة الله في أحداثها المطامعَ والمخاوف، فيطمعُ في النصر والنجاة إن كان من المؤمنين، ويخافُ من الإهلاك إن كان من المكذِّبين.

• ذكِّر الناسَ بنِعَم الله عليهم؛ فذلك مدعاةٌ للتأثُّر والقبول، فإن كفرانَ المُنعِم قبيحٌ في الشرائع والطبائع والعقول.

• تذكُّر الآلاء باعثٌ على الشكر والطاعة وترك الفساد، وكفرانُها سببٌ في إتلافها ومؤذنٌ بالشرِّ والإفساد.

• الإفساد في الأرض جُرمٌ كبير، نهت الرسُل عنه، وحذَّروا أقوامهم منه؛ لأن الحياة لا تصلح معه، ولا يعكِّر صفوَها إلا فُشوُّه.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾

• الضعفاء أرقُّ الناس قلوبًا، وأكثرُهم انكسارًا، وأسرعُهم إلى قبول الحقِّ، أمَّا سواهم فإلى قوّاتهم المادِّيَّة يركَنون، وبها يُعرِضون عن الحقِّ ويستكبرون.

• المؤمنون بالرسُل مصدِّقون، وبما جاؤوا به جازمون، ولن يهُزَّ اعتقادَهم بذلك تشكيكُ المشكِّكين، ولا إرهابُ المكذِّبين.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾

• الكِبْرُ يحمل صاحبَه على عدَم الانقيادِ للحقِّ والاستجابة لدعوته، وعلى غَمطِ أهله الذين استجابوا له.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾

فَعَقَرُوا: فقتلُوا.

وَعَتَوْا: واستكبَروا.

• أيُّ عنادٍ هذا لرسولٍ جاءهم بالحقِّ الذي يفيدون منه خيرَ الدنيا والآخرة، حتى عَدَوا على آيته التي هي نعمةٌ عليهم فعقروها، وتحدَّوه في إنزال العقوبة على فعلهم؟!

• لا تكن للعاصين من الموافقين؛ فلقد عقرَ الناقةَ مجرمٌ واحد من قومه، فنُسِب العملُ إليهم أجمعين؛ إذ كانوا عنه من الراضين المُحبِّين.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

الرَّجْفَةُ: الزلزلةُ الشَّديدة.

جَاثِمِينَ: لاصِقينَ بالأرض على رُكَبِهم ووجُوهِهم، لا حَراكَ بهم.

• اشتدَّ عتوُّ القوم فأُصيبوا بالرجفة المفزِعة، وقعدوا عن الاستجابة للحقِّ فأقعدَهم العذابُ عن الحراك، فما أجدرَ العاتيَ أن يرتجفَ عاجزًا عن نجاة نفسه! جزاءً وِفاقًا.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

• ما أسوأَ تلك الحالَ على قومٍ رحلَ عنهم المصلحُ الصادق حزينًا عليهم، حين لم تجد دعوتُه في نفوسهم قبولًا!

• كيف لا يُحَبُّ الناصحُ الأمين الذي لا يريد إلا الخيرَ للمدعوِّين؟! إنه لا يبغضه إلا كارهٌ للخير، قالٍ لشرع ربِّ العالمين.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

• ليس أقبحَ من فعل القبيح إلا اختراعُه، ولا أسوأَ من ارتكاب الشرِّ إلا ابتداعُه، فما أعظمَ جنايةَ قوم لوط؛ إذ صاروا في الشرِّ أُسوة، وللمجرمين بعدهم قدوة.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾

• لا يقتصر العاقلُ على قصد قضاء الشهوة، بل يبغي استمرارَ النسل بإيلاد الولد، ومَن قصدَ الشهوةَ وحدَها، وصار أسيرًا لها، فإنه قد يضعُها في غير موضعها.

• أباح اللهُ تعالى في الشرع الطيِّبَ في قضاء الوطَر، فمَن تخطَّى ذلك لم يكن له عذر، وكان صنيعُه محضَ سرَفٍ وبطَر.

• حين يتمكَّن من العبد الإسرافُ في الشهوات يسأمُ المعتادَ منها، حتى لا يكادُ يرضيه منها شيء، فيُغرِق في البحث عن ألذِّ الرغبات، حتى يغرَقَ في لُجج المحرَّمات المنكَرات.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا
تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓاْ
إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ
ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ
حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

١٦١

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

• إن الذين أفرطوا في الفسوق والعصيان، لا يحبُّون العيشَ مع أهل الطهارة والإيمان؛ لأنهم ينغِّصون عليهم جوَّ الإجرام، ويضيِّقون عليهم سُبلَ الحرام.

• اعتياد المعصية والشغفُ بالخطيئة قد يوصل صاحبَها إلى انتكاس فِطرته، وانقلاب المفاهيم في تصوُّره، فيرى القذارةَ والرِّجسَ شرفًا، والنزاهةَ والطُّهرَ عيبًا.

• كانت الطهارةُ من الفواحش عند قوم لوطٍ جريمة؛ فلا عجبَ أن نرى اليومَ مَن يرى أن إنكارَ الشذوذ جريمة، وارتداءَ الحِجاب جريمة! تشابهت القلوب، فتشابهت التصوُّرات.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾

• سبحان مَن عجَّلَ المسرَّةَ للمؤمنين، بإنجاء أسلافهم الصالحين، قبل الإخبار عن إهلاك المعذَّبين، حتى تطمئنَّ قلوبُهم إلى سُنن الله في الأمم والشعوب.

• ليست النجاةُ عند الله بصِلة القرابة من الصالحين؛ فزوجُ لوطٍ لم تُنجها قرابتُها من الهلاك مع قومها. إنه الفصلُ بين الناس على أساس المنهج والعقيدة، لا الصِّلةِ ولا القرابة.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

• ما أعظمَ جُرمَهم الذي استحقُّوا به الإمطارَ بالحجارة! وما أهونَ الإنسانَ حين يشاقُّ ربَّه، فيُنزل عليه غضبَه، ويقطع عنه رحمتَه!

• نصر الله لأوليائه حاصلٌ لا محالة، فلا تنشغل بكيفيَّة حصوله، وما عليك إلا أن تثق بنزوله.

• مآلات الأقوام المعاندةِ للحقِّ إلى زوال، وعاقبةُ أمرهم إلى نَكال، فما أحسنَ حالَ مَن يعتبرُ بهم، ويا سوءَ حالِ مَن لم يتَّعظ ويزدجر!

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

• عبادة الله وتوحيدُه هي القاعدةُ التكليفيَّة على البشرية، ومنها تنبثق مناهجُ الحياة العقديَّة والعمليَّة، والسلوكيَّة والأخلاقيَّة.

• كلُّ مَن أُبطِلَت شبهةُ ضلالِه، وأُظهرَت له حجَّةُ الحقِّ، فقد جاءته البيِّنة؛ إذ البيِّنة كلُّ ما يُبين الحقَّ.

• بعث الله الأنبياءَ بشريعةٍ تحفظ للناس الدينَ والدنيا، فتُعنى بإصلاح عباداتهم ومعاملاتهم، والقيام بحقوقهم وحقوقِ خالقهم.

• جاءت الشريعةُ بالحفاظ على حقوق الضعفاء من استطالة الأقوياء، فشرَعت العدلَ وحرَّمت الظلم.

• سلوك سبيل الغشِّ والبَخس لا يزيدُ الأرباح، ولا يورثُ الغِنى والصلاح، بل يؤدِّي إلى الفساد والخراب، والخسارةِ والعذاب.

• توحيدُك الله تعالى وعبادتُك إيَّاه يرفع قدرَك، ويطهِّر عقلَك، ويزكِّي إرادتك.

• لا يأمر اللهُ ولا ينهى عبادَه إلا لما فيه مصلحتُهم في العاجل والآجل، فسبحانه من إلهٍ كريم حليم، وهو القويُّ القادر العظيم!

• الخير الكاملُ فيما شرَع الله لا يكون إلا للمؤمنين؛ إذ هم المستفيدون منه في الدارَين.

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

• أعظم الفساد الصدُّ عن سبيل الهداية التي شرَعها الله لعباده ليصلوا عبرَها إليه.

• كثرة العددِ نعمةٌ تستحقُّ الشكر؛ لكونها دِرعَ قوَّة، فإن لم تُشكر فالاستئصال يرصُدها.

• العقلاء إذا تذكَّروا نِعمَ الله انقادوا وأطاعوا، وإذا عرَفوا عاقبةَ المفسدين انزجروا وأقلعوا.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

• الثقة بحكم الله في الظالمين ممَّا يصبِّر المؤمنين، ويزرع في نفوسهم الاطمئنانَ واليقين.

• لينتظر المكذِّبون بالإيمان، الصادُّون الناسَ عن الإسلام، ما يحُلُّ بهم من وَبيل العقاب، كما حلَّ بالأمم قبلهم من العذاب.

الحزب ١٧

۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ
كُنَّا كَٰرِهِينَ (٨٨) قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ
إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ
بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ
(٩٠) فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ (٩١) ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ
كَٰفِرِينَ (٩٣) وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا
بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلۡنَا
مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا
ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (٩٥)

١٦٢

﴿۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ (٨٨)﴾

• النفيُ عن الوطن عقوبةٌ يستعملها عُداةُ الحقِّ من المُبطلين، مع أهل الحقِّ من المؤمنين المتَّقين، في كلِّ زمان ومكان.

• لا يطيقُ الباطلُ رؤيةَ الحقِّ في مكانه، ولا يريده خارجًا عن قهره وسلطانه؛ فلذلك يظلُّ يتابعُه ويطارده، محاولًا أن يُخضعَه لإرادته، ويصرفَه عن غايته.

• الدين أغلى من الوطن، والروح أثمنُ من البدَن، والمؤمن القويُّ لا يؤثِرُ التمتُّعَ بالإقامة في موطنٍ يُسام فيه دينُه، فإن مرضاة ربِّه لا يُقدَّم عليها شيء.

• لا تتمُّ الاستقامةُ على الإسلام، إلا بكراهية الكفر والعصيان، ومفاصلةِ أهل الفجور والطغيان؛ لِما هم عليه من إجرام.

﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ (٨٩)﴾

ٱفۡتَحۡ: احكم.

ٱلۡفَٰتِحِينَ: الحاكمين.

• يا مَن ترومُ النجاةَ من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، الزم دينَك، واحذر الكفرَ وما يؤول إليه، فإنه شَرَكُ الشقاء الوخيم.

• الانتكاسة عن الحقِّ مخالفةٌ لطريق الاستقامة، ومجانبةٌ لجادَّة الهداية، وإعلانٌ بلسان الحال أن الصواب في غيرها، وذلك افتراءٌ على الله ودينه.

• مهما بلغ العبدُ من الإيمان والعمل فلا ينبغي أن يفارقَه الحذرُ من انقلاب الحال في المستقبل، فشأن الأنبياء والصالحين تعليقُ الأمور بمشيئة ربِّ العالمين.

• شعور المؤمن بكون شؤونه إلى مشيئة خالقه، يجعله يتواضع لربِّه ويتطامن بين يديه، ويدَعُ الركونَ إلى علمه وعمله في تحصيل نجاته، وإبعاد الآفات عن نفسه.

• تأدَّب مع مولاك مفوِّضًا علمَ المستقبل إليه، سائلًا إيَّاه دوامَ الإيمان به، مع يقينك بأنه مولاك ومولى عباده المؤمنين.

• يتوكَّل المؤمنُ في معركته مع الباطل على ربِّه وحدَه؛ لأنه يعرف أنه مصدرُ القوَّة والأمان، الذي يفصل بالحقِّ بين الإيمان والطغيان.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ (٩٠)﴾

• يتظاهر أئمَّة الكفر بالحرص على فوز أتباعهم حين يسمُّون اتِّباعَ الحقِّ خسارة، وأهلَه خاسرين! إمعانًا منهم في صدِّ الناس عن الصِّراط المستقيم.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ (٩١)﴾

• نزل بالمكذِّبين الهلاكُ والحَين، فغدَوا أثرًا بعد عَين، وكأنهم ما كانوا ولا عاشوا ولا استطالوا، فهل من مُدَّكِر بأحوال الغابرين المُهلَكين؟!

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٩٢)﴾

لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ: لم يقيموا في ديارهم.

• ليست الخسارةُ أن يُتوعَّدَ المؤمن بما يؤذيه، أو يُقتلَ في سبيل ربِّه، إنما الخسارةُ لمَن آذاه أو عاداه، حتى أتاه عذابُ الله وهو على طغيانه.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ (٩٣)﴾

• بعد حصول البلاغ المبين تأتي المفاصلةُ بين المُحقِّين والمبطلين؛ لتكشفَ مصيرَ كلِّ فريق، ونهايةَ كلِّ طريق.

• إذا أدَّى الداعية ما عليه بلاغًا ونُصحًا، فلم يرَ من مَدعوِّيه استجابةً وانقيادًا؛ فلا يحزن متى قضى الله بهلاكهم على عصيانهم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)﴾

• كم نفوسٍ ربَّتها الشدائدُ والمصائب، وعدَّلت مسيرَها الآلامُ والتجارب، بعد أن كانت سادرةً في حِضن الهناء، ساهيةً في أحلام الرخاء، فخرجت من محنها إلى التوبة النصوح.

﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (٩٥)﴾

ٱلسَّيِّئَةِ: الحالة السيِّئة من المرض والفقر.

ٱلۡحَسَنَةَ: الحالة الحسنة من العافية والغِنى.

عَفَواْ: كثُروا ونَموا عددًا ومالًا.

• الشكر واجبُ ابتلاءِ النعمة، كما الصبرُ واجبُ ابتلاء النقمة، وإلا ساءت العاقبة.

• إن للعقلاء في تقلُّب الأحوال معتبَرًا، وفي هلاك الظالمين مزدجَرًا، فمَن لم يتَّعظ بذلك فجأته أخذةُ المهالك.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ٩٦ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٩٨ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ
فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩٩ أَوَلَمْ يَهْدِ
لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ
أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
١٠٠ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن
قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٠١ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ
فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٠٣
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠٤

١٦٣

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٩٦﴾

• البركات مع الإيمان والتقوى بركاتٌ في الأشياء والنفوس والمشاعر وطيِّبات الحياة، وهي تنمِّي الحياةَ وترفعها، وليست مجرَّدَ وَفرةٍ مع التردِّي والشِّقوة.

• ما لم يكن هنالك إيمانٌ وتقوى فلترقُّب الأمَّةُ تقتيرًا في الرزق وعدمَ توفيق، فإن سُنَّة الله أن المعاصي تمحقُ بركةَ الدنيا والدين.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ٩٧﴾

بَأْسُنَا: عذابُ الله.

بَيَٰتًا: ليلاً.

• يقظة الفهم والتقوى هي التي تُراد من المؤمن؛ لأنها تحمله على مراقبة النفس، وترك الاغترار بلهو الدنيا، والاتِّعاظ بمجرَيات الحياة الماضية والحاضرة.

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٩٨﴾

• إذا مَدَّت الغفلةُ على المرء بِساطَها، وبسطَت المُلهياتُ على حياته جناحَها؛ فليستفِق قبل فجأة العذاب إذ ما أقربَ حالَه منه!

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩٩﴾

• ما وراءَ الأمنِ والغفلة والإصرار إلا أن يستحقَّ الغافلُ الأخذَ والخسار.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ١٠٠﴾

أَوَلَمْ يَهْدِ: أوَلم يتبيَّن.

يَرِثُونَ: يسكنون.

• ألا تخشى الأمَّةُ الوارثةُ وقد وضَح لها سبيلُ الهدى، وعرفت سببَ هلاك مَن تردَّى قبلها، أن يصيبَها مثلُ ما أصابهم، فيكونوا تبعًا لهم، وعبرةً لمَن يعتبر بعدهم.

• ما أسوأَ عقوبةَ الذنب أن تصلَ إلى طبع على القلب! فحينئذٍ لا تصلُ إليه العظات، ولا يكُفُّ عن اقتراف الخطيئات.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٠١﴾

• ما أعظمَ قصصَ القرآن الكريم! فهي للنبيِّ تخفيفٌ وتسلية، وللمستجيبين تثبيتٌ وبِشارة، وللمُعرِضين تهديدٌ ونِذارة.

• قِصص الاتِّعاظ من أحوال الغابرين، تفوت إحصاءَ المحصين، وفيما ذُكر في القرآن منها عبرةٌ كافية، وعظةٌ وافية.

• من رحمة الله بعباده وفضلِه عليهم أن ذكَر في القرآن ما فيه موعظة، وأعرضَ عن التفاصيل التي تقِلُّ الموعظة فيها.

• لقد بلَّغ الرسل البلاغَ المبين، وحرَصوا أشدَّ الحرص في نصيحة المعرِضين، وما بقاءُ المكذِّبين على تكذيبهم إلا لطبع الله على قلوبهم.

• كيف ترجو نفاذَ هدًى إلى قلوب قوم طبع اللهُ عليها؛ بسبب عِظَم الخطايا التي اقترفوها، والحُرُمات التي انتهكوها؟!

• ما أشدَّ عقوبةَ الإعراض بأن يُحالَ بين المرء وقلبه، فلا يُقبِل على الحقِّ ولا ينقاد له! وذلك من عدل الله في عباده، وشديدِ مؤاخذته العاجلة لمَن حاد عن سبيله.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢﴾

• في ميزان الحقِّ ليست الكثرةُ هي برهانَ الصواب، فإن أكثرَ الأمم نكثوا العهدَ الذي أوصاهم الله به من التوحيد واتِّباع الرسُل، فلنمضِ في رِكاب المصلحين ولو كانوا قلَّة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٠٣﴾

فَظَلَمُوا۟ بِهَا: فجحَدوا وكفروا بها.

• ما أحسنَ أثرَ كبار القوم إن استجابوا للحقِّ ونافحوا عنه! وما أسوأَ أثرَهم إذا وقفوا في طريق الهدى صادِّين، ولأهلِه مكذِّبين، ولمَن آمن به متوعِّدين!

• ليس وراءَ ردِّ الآيات البيِّنات إلا الظلمُ الذي منع من تصديقها، ومن الإيمانِ بمَن جاء بها.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾

• استفتاح الرسول خطابَه باسم الرسالة يبعث على المَهابة، ويمهِّد للحُجَّة، ويدعو إلى الاستجابة.

• سبحانه من ربٍّ رحيم؛ لا يدَعُ عبادَه في حَيرة، بل يرسلُ إليهم من عنده رسُلًا مبشِّرين ومنذرين!

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ
مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ
﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ
لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ
لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ
أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾
الحزب ١٧ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ
﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

١٦٤

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥﴾

• جديرٌ بكلِّ داعٍ ألا يخرجَ عن الحقِّ إلى أغراض دنيوية، فمنهجُ الأنبياء هو الحقُّ وحدَه، من غير مصلحة شخصيَّة أو قوميَّة.

• رسولٌ من ربِّ العالمين، جاء من عنده ببيِّنةٍ كعين اليقين، فأيُّ عذرٍ يمنع من تصديقه؟!

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦﴾

• حُسن مناظرتِك، وقوَّة حُجَّتك، تجعل المخالفَ لك يجري معك حيثُ أردتَ.

﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ١٠٧﴾

• ما أبعدَ آيات الأنبياء عن السحر والدجَل! وما أبينَها عن أن يشتبهَ فيها عاقل!

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ١٠٨﴾

• إن البرهان الواحد لكافٍ في هداية طُلَّاب الحقيقة، ولكنَّ ترادفَ الآيات وكثرةَ الدلائل والبيِّنات يوجب تمامَ الإيقان، وقوَّةَ الاطمئنان.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ١٠٩﴾

• تأمَّل كيف جعلوا آياتِ الأنبياء من جنس السحر؛ قصدًا لصدِّ الناس عن الإيمان بموسى، أو تكذيبًا به وبما جاء به من الآيات.

﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ١١٠﴾

• تشويه الحقِّ من قِبَل أعدائه، واتِّهامُ حمَلَته بالخيانة الوطنيَّة شِنشنةٌ جرى بها الزمانُ الغابر، وورثها عنه الزمانُ الحاضر.

• استفزازُ القوم بالحميَّة إلى الأرض يدلُّ على أن من أقوى الدواعي إلى ترك الدين المحافظةَ على الرياسة والمال والجاه والمغانم التي تكون بالأوطان.

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾

• لا يمكن طمسُ البيِّناتِ بتأخير المواجهة، ولا بتدبير المكايد، فتلك حِيلةٌ لأهل الباطل ضعيفة، يقيمون على أنفسهم بها الحجَّة.

﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ١١٢﴾

• الحقُّ غالبٌ بقوَّة الله، فلن تغلبَه قوى الدنيا فتمحوَه مهما اجتمعت، فكيف بالأباطيل؟

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣﴾

• قد يكون غرضُ أهل الباطل في مواجهة الحقِّ ليس بيانَ المبطِل من المُحِقِّ، ولكن الوصول إلى ظهور الغلبة ونيل المال والجاه.

﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾

• التزلُّف للكُبَراء، وحبُّ التقرُّب منهم ليس بأقلَّ من شهوة الحرص على المال، بل قد يكون أشدَّ؛ ولذا يبذل له بعضُ الناس جهدَهم في الحقِّ والباطل.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥﴾

• أهل الباطل يَبدون متكبِّرين مغرورين حين يرون النصرَ بما يملكون من الأسباب الماديَّة، ونسُوا القوَّةَ الربَّانية التي تقف في جانب الحقِّ.

﴿قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾

• ليت الأمَّة تثق بربِّها ثقة أنبيائها به، وتعلمُ أنه ما من حقٍّ إلا وله تأييدٌ من الله تعالى، فلا باطلَ يهزمه.

• الباطل ما إن ينتفش حتى يدمَغَه الحقُّ، وعندئذٍ تكون زلزلتُه في نفوس الناس أوقع.

• الباطل يسحر العيون، ويسترهب القلوب، حتى إذا واجه الحقَّ الواثق انطفأ كشعلة الهشيم، وإذا الحقُّ راجحٌ ظاهرٌ للعيان.

﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧﴾

• يا صاحبَ الحقِّ ثق أنك لا تُنصَر في مواجهة الباطل إلا بتأييد ربِّك، فأحسِن توكُّلك عليه.

• سبحان مَن أظهر حجَّةَ نبيِّه بعصا، وأبطل سحرَ فرعونَ بعصا، وسقى قومَه بضربة عصا، ونجَّى موسى وقومَه بعصا! فهو يفعل ما يريد، ويجعل من الأسباب في نصر أوليائه ما يشاء.

﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨﴾

• إذا ثبتَ الحقُّ وارتفع، سقط الباطل وانقشع؛ إذ هما نقيضانِ لا يجتمعان.

﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩﴾

• جزمَ السحرةُ بقدرتهم على الانتصار، فلمَّا واجهوا الحقَّ المؤيَّد من السماء انقلبوا بالصَّغار.

﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠﴾

• قد يكون بين المرء وربِّه سجدةٌ تغيِّر حالَه، وتصحِّح مسارَه.

الجزء التاسع — سورة الأعراف

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ
مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ
إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا
وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ
وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ
أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ
لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾
قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ
عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

١٦٥

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾

• إعلان الإيمان في هذا المجمَع الكبير أمام الطاغوت الجائر موقفٌ عظيم يدلُّ على استحواذ الإيمان على مجامع قلوبهم، حتى نسُوا به سَطوة فرعونَ وجائزتَه.

﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

• إعلان الحقيقة لا يكون بسلوك سبيل التعمية أو التعميم، بل لا بدَّ من صراحة واضحة لا تُبقي للباطل متعلَّقًا؛ فالسَّحَرة بيَّنوا المرادَ بربِّ العالمين؛ أنه ربُّ موسى وهارون.

﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

• لا يستطيع المرءُ أن يدفعَ الحقَّ وهو ينبُت من الأعماق، أو يحجُبَ النورَ وهو ينبعثُ من شِعاب اليقين! ولكنَّ عدوَّ الحقيقة المتباهي بالقوَّة والجبروت لا يفهم ذلك.

• عجبًا لذي السلطان المتجبِّر؛ يريد من الناس أن يمرَّ إيمانُهم عبره، فإن أذِنَ به وإلا رجعوا إلى كفرهم!

• تلفيق التُّهم البيِّنة البطلان ديدنُ المفسدين مع المصلحين؛ لتسويغ مؤاخذة الأبرياء أمام العامَّة! فهل موسى هو مَن أرسل لحشر السَّحَرة؟!

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

• الوعيد والتعذيب والتنكيل وسيلةُ الطواغيتِ في مواجهة سطوع الحقِّ حين لا يملكون دفعَه بالحجَّة والبرهان.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

• عندما يتمكَّن الإيمانُ من قلب صاحبه يرى أن عقوبات الدنيا أسهلُ من عقوبات الآخرة وأقلُّ بقاءً، وأن ثواب الإيمان أعظمُ وأدوم.

• إذا ما أشرقت في النفس المؤمنة حقيقةُ الإيمان استهانت بتهديد الطغاة، واحتقرت الفناء، واشتاقت لحياة البقاء، فحينئذٍ تنتصر العقيدة وتستعلي.

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

• لا تُداهن، لا تجامل، لا تَسَل عدوَّك الصفحَ في معركة العقيدة التي لا يقبل العدوُّ منك سوى تركِها.

• مهما شعرتَ بقوَّة موقفك فلا تتَّكل على نفسك، بل سَل اللهَ أن يصبِّرَك ويثبِّتك.

• الجهر بالإيمان أمامَ جبَّارٍ يكفر به يحتاج إلى صبر عظيم، ألا تراهم طلبوا من الله أن يصبَّ عليهم الصبرَ صبًّا؟

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

• لا يزال المفسدون ينعتون أهلَ الصلاح بأقبح الألقاب؛ تزويرًا وتشويهًا وتنفيرًا.

• ليس أمام أعداء الله خطوطٌ حُمر، ترسُمها الرحمةُ أو العدل، ليقفَ بطشُهم على المذنبين في نظرهم، ولكن جبروتهم يعمُّ البريءَ والمتَّهم؛ قديمًا وحديثًا.

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

• ليس لأصحاب الحقِّ إلا الملاذُ الأمين، والقويُّ المتين، الذي يمدُّهم بالعون، ويثبِّتُهم بالصبر.

• الأرض كلُّها ملك الله، فاثبُت على الحقِّ وادعُ إليه، ولا تحزن على مصيرها وتقلُّب الكفَّار عليها؛ فإنها ميراثُ عباد الله الصالحين.

• بين يدَي العاقبة الحسنة مراحلُ من البلاء، ومكابدةٌ لصُروف العناء، وهي كائنةٌ لا محالة، فكُن من المتَّقين تظفَر بها، وارتقِ في سُلَّم التقوى تصِل إلى أُفقها في وقتٍ قريب.

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

• كلمات الأمل والتفاؤل تبعثُ في النفوس السرورَ والرجاء، فما أجملَ أن يرسلَها الداعيةُ إلى أسماع المتشائمين؛ ليثقوا بربِّ العالمين!

• مَن نظر بقلب النبيِّ ﷺ رأى سنَّةَ الله تجري وَفق وعده؛ بإهلاك المكذِّبين، واستخلاف المؤمنين.

• تمكين الله للمؤمنين من الانتصار على الظالمين يحتاج إلى يقظةٍ إيمانيَّة للحفاظ على هذا النصر من المعاصي التي تنزِعُه.

﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

• إذا سلب اللهُ عبدًا نعمةً فليَرجع إلى ربِّه، وليَرجُه أن يعيدَ له نعمتَه، بعد أن أعلن توبتَه.

• إن أحدثَت الشدَّة للعبد ذكرى، والبؤسُ صلاحًا، كان ذلك لطفًا من ألطاف الله تعالى به.

• على الأمَّة أن تستشعرَ دلائلَ إعراض الله عنها إن عصَته؛ فقد يكون سلبُ النعمة دليلًا لذاك.

الجزءُ التاسع | سورةُ الأعراف

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ
يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ
مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا
عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ
ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ
١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا
عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ
وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ
ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥ فَٱنتَقَمۡنَا
مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا
غَٰفِلِينَ ١٣٦ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ
مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ
رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا
مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧

١٦٦

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾

طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ: ما أصابَهم من القحطِ والبلاء بقدَرِ الله.

• من أماراتِ اتِّساع خُبث النفس أن تنسُبَ الخيرَ إليها والشرَّ إلى غيرها ممَّن لا يكون منه شرٌّ.

• حين تنحرف الفِطرةُ عن الإيمان بالله لا ترى قدرةَ الله سبحانه في تصريف هذا الوجود، ولا قدَرَه الذي تنشأ به الأحداث، وعندئذٍ تفقد حساسيتَها بالسُّنن الكونيَّة الثابتة.

• إذا هبطَ العاصي إلى أعماق الفساد، ولم يعرف حقوقَ ربِّ العباد، تشاءم بأهل الصلاح وضاق ذرعًا بوجودهم، حتى يقول: إنهم سببُ التأخُّر والمشكلات، والتخلُّف والإخفاقات!

• الإسلام الذي جاء به الأنبياء هو دينُ الحقيقة التي تُبنى على الثوابت الشرعيَّة والواقعيَّة، فلا مجالَ فيه للخرافة المبنيَّة على الوهم والتخرُّص.

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾

• إذا لم يجد المُبطل حجَّةً يقارع بها الحقَّ فقد يتشبَّثُ بحُجَجٍ واهية قد عُرِف بطلانُها؛ فمكذِّبو موسى قد شاهدوا بطلانَ التهمة بالسِّحر بإقرار أرباب الفنِّ من السَّحَرة.

• ليدرك الدعاةُ أنه ليس كلُّ مدعوٍّ يفتقر إلى الحجَّة ليُذعِن؛ فهنالك قلوبٌ معرضةٌ مستكبرة، غيرُ مستعدَّة لقبول الحق.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾

• يا له من عذاب! فإن أخصبَت الأرضُ بعد الطوفان أفسدها الجراد، وإن طار الجرادُ بقي في الأرض القُمَّل، وما سلِم منه بعدها نالته الضفادع، وعمَّ الضررُ المشاربَ كذلك.

• مَن تمكَّن من قلبه الاستكبارُ والتعالي وازدراءُ الحقِّ والخلق لم ينتفع بالآيات، ولا ردعَته العقوبات.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾

• إن نفوسًا لا تؤدِّبها العقوباتُ ولا تردَعُها البليَّات لنفوسُ سوءٍ، فبعد كلِّ ذلك البلاء بآل فرعونَ لجؤوا إلى المراوغة والمخادعة، والعهود والأيمان الكاذبة!

• ليست كلُّ الأيمان دالَّةً على صدق الحالفين، فقد يكون وراءها نفوسٌ لا تعرف الوفاء.

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾

• لم يكن كشفُ العقوبة عنهم كشفًا مؤبَّدًا، بل كان كشفًا مؤقَّتًا؛ لعلمه بنكثهم، فلا يأمنَنَّ مكرَ الله تعالى مَن يحيد عن صراطه المستقيم.

• على المؤمن ألا يأمنَ الظلَمةَ والمستكبرين مهما بَدَوا مستكينينَ ذليلين، فما أسرعَ ما يَنكُثون، وما أقلَّ ما يتورَّعون عن الإخلاف، ولو عاهدوا اللهَ ورسولَه!

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦﴾

• هناك أعضاءٌ لا ينجعُ فيها الدواء، وإنما ينجعُ معها الاستئصالُ والبتر.

• أغضب آلُ فرعونَ ربَّهم الحليمَ سبحانه الذي أمهلَ وعفا، وأدَّب وهدَّد، فغرَّهم حِلمُه، وما شفَتهم عقوبتُه، فزاد ظلمُهم حتى نزل بهم عذابُه، وحقَّ فيهم انتقامُه.

• لا تأسَ على عاقبة مَن لا يفتحُ عينيه ليبصرَ الآيات، ومَن لا توقظُه من غفَلاته التنبيهاتُ ولا الإنذارات ولا العقوبات.

﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾

مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا: بلادَ الشام.

يَعۡرِشُونَ: يبنون من الأبنية والقصور.

• الهوان إلى زوال، والشدَّةُ إلى ارتحال، ولكنَّ ذلك مرهونٌ بالصبر وعمل الأسباب، لبلوغ تلك الغايات المحبوبات.

• عن الحسنِ قال: (لو أن الناسَ إذا ابتُلوا من سُلطانهم بشيءٍ صبَروا ودَعَوا الله لم يلبَثوا أن يرفعَ اللهُ ذلك عنهم، ولكنَّهم يَفزَعون إلى السيف فيوكَلُون إليه، واللهِ ما جاؤوا بيومِ خيرٍ قطُّ)، ثم تلا: {وتمَّت كلمةُ ربِّك الحسنى على بني إسرائيلَ بما صَبَروا}.

• مَن قابل البلاءَ بالجزَع وكَلَه الله إليه، ومَن قابلَه بالصبر وانتظار الفرَج أتاه ما كان يرجو، ورحل عنه ما ضاق به.

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ
عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا
لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ
مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ
أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم
مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ
أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ
مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١ ۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ
وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ
سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ
ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا
تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ
أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣

الحزب ١٧

١٦٧

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾

يَعۡكُفُونَ: يُقيمونَ عابدينَ.

إِلَٰهٗا: صنمًا.

• أيُّ نفوسٍ تلك التي تطلبُ من نبيِّ التوحيدِ الإشراكَ بالله العزيزِ الحميد، وهي ما زالت خارجةً من نعمة الإنجاء من الذلِّ والغرق؟!

• الجهلُ داءٌ قاتل، وعدوٌّ صائل، قد يصول على توحيد المرء فيجرحُه، وعلى عمله فيفسدُه، ولا نجاةَ من ذلك إلا بالعلم النافع.

• على الداعية أن يصبرَ على انحرافات مَدعوِّيه، فيقوِّمُها بالحسنى، ويعالجُها بالحكمة، وأن يوطِّنَ نفسَه على مفاجأة انتكاسة بعضِ مَن دعا.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩﴾

مُتَبَّرٞ: مُهلَكٌ.

• بناءُ الشِّرك على شفا جُرُفٍ هارٍ يبقى زمنًا ثم ينهار، ولا ينفعُ أهلَه في دنياهم ولا في أخراهم.

﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾

• حقُّ الله أن يُعبدَ وحده من غير شريك، فكيف يُشرِكُ العبدُ بربٍّ كريم، قد خصَّه بفضلٍ عظيم؟

• تذكُّر التفضيل يبعث على الشكر الجزيل، وأعظمُ شكر الله توحيدُه.

﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾

يَسُومُونَكُمۡ: يُذيقونكم، ويُكلِّفونكم.

وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ: ويستبقون نساءكم للخدمة والامتهان.

• إهلاكُ العدوِّ الجائر نعمةٌ عظيمة، ومنحةٌ كريمة، تستحقُّ جزيلَ الشكر، ولزومَ الطريق المستقيم.

• إذا صرف اللهُ المحنَ عن أهلك وأولادك فتلك نعمةٌ على نفسك، فألِظَّ على الله بالشكر.

• التذكرة من أعظم الوسائل الموصلة إلى المقاصد الجليلة، فأيُّ قلبٍ حيٍّ لا يتأثَّر بتذكيره بنِعَم الله الجزيلة؟!

﴿۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾

• لم يكن اللقاءُ من غير وعدٍ به، بل جاء عن موعدٍ سابق؛ حتى يعيشَ موسى بين أشواقه واستعداده لهذا اللقاء الكبير المقدَّس.

• ما أعظمَ الواعد، وما أجملَ الموعد! إنه ليس لقاءً بعظيم أو حبيب من الخلق، ولكنَّه لقاءٌ بربِّ الخلق سبحانه، الحبيب الأعظم.

• أضاف الله ميقاتَ إنزال التوراة إليه تشريفًا وتعظيمًا، كما أضاف القرآنَ إليه كذلك؛ ليعلمَ الخلقُ أن ما اتصل بكتاب الله مشرَّفٌ معظَّم، فكيف بمَن اتصل به من الخلق عالمًا عاملًا؟!

• الأخ حِصنٌ حصين، وملجأٌ أمين، فلا غنًى للأخ عن نصيحة أخيه، مهما علت رتبتُه، وسمَت مكانتُه، ولا سيَّما عند فسادِ أهل الزمن، وكثرة الشرِّ والمِحَن.

• حول محور الإصلاح تدور سياسةُ الأمَّة، وقد اختصرها نبيُّ الله في هذه النصيحة الجمَّة.

• سبحان مَن بعث رسلَه عليهم السلام بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها!

• الفساد عنوانُ ضلال، وطريقُ خَبال، والعاقلُ لا يقتربُ منه، ولا يشاركُ أهلَه فيه، ولا يسلكُ سبيلًا تُوصلُ إلى هذه الخَصلة الذميمة، التي تؤول إلى عاقبةٍ وخيمة.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾

لِمِيقَٰتِنَا: في الوقت الذي واعَدناه فيه.

لَن تَرَىٰنِي: لن تقدرَ على رؤيتي في الدنيا.

تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ: ظهر ربُّه للجبل على الوجه اللائق بجلاله.

صَعِقٗا: مَغشيًّا عليه.

• إذا تفضَّل الله تعالى عليك بنعمةٍ في دينك فارجُ المزيدَ من نعمه؛ فإن موسى عليه السلام لمَّا كلَّمه ربُّه أطمعَه تكليمُه في رؤيته.

• لكي يخفِّفَ الله على موسى ألمَ الردِّ أراه بعينه من تجلِّيه للجبل ما فهم منه أن المانعَ من جهته، فإن كان الجبلُ لم يستقرَّ، فكيف بالبشر؟

• تجلَّى الله لجمادٍ لا ثوابَ له، ولا عقابَ عليه، أفيمتنع عن أنبيائه وأوليائه في دار كرامته ومستقرِّ رحمته؟! اللهُمَّ إنا نسألُك من فضلك.

• من دلائل صحَّة التوبة المبادرةُ بعدها إلى الصالحات، والإسراعُ إلى عمل القربات.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا
لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ
شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ
دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا
وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ
ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ
عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ
وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾
وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن
لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٦٨

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾

• سبحانه من لطيفٍ كريم! يحرِمُ أولياءه من أجل أن يُعطيَهم، ويمنعَهم لكي يمنحَهم، ألا ترى موسى عليه السلام مُنعَ الرؤيةَ، لكنَّه أُعطيَ التوراةَ فيها هدًى ونور؟

• كلَّما زاد الاصطفاءُ زادت المسؤوليَّة، فمَن اصطفاه الله بقرآنه، وأنعمَ عليه بحفظه وفهمه، فليكن لتَبِعاتِ ذلك أهلًا، وبحقِّ المِنَّة به عاملًا.

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾

• أيها الداعية، هيِّئ الأرضَ قبل إلقاء البَذر، واسلُك سبيلَ التحلية بعد التخلية، فالقلوبُ بحاجةٍ إلى الإيقاظ بالعِظات، قبل إعلامها بتفاصيل الأحكام النافعات.

• الوظائف العظيمة بحاجةٍ إلى أخذها بقوَّة وعزيمة، فكتابُ الله الذي هو أساسُ الديانة إنما يؤخذ بقوَّةٍ وجِدٍّ؛ لتكوين الفرد والأمَّة تكوينًا صالحًا ثابتًا.

• المنهج الذي تَشرعُه العقيدةُ في وحدانيَّة الله منهجٌ يغيِّر أسلوبَ الحياة البشرية بجملتها، فلا ينبغي أن يُؤخذَ في رخاوةٍ ولا تميُّع ولا ترخُّص.

• من فقه الدعوة أن تبدأ بالدعوة إلى الأحسن، كالترغيب في الواجبات، والترهيب من المحرَّمات، ثم تصل إلى الدعوة إلى الحسَن؛ كالحثِّ على المستحبَّات، والتحذير من المكروهات.

• لقد ترك فسقُ الأمم شواهدَ عقوبةٍ تُنبي الآخِرَ عن غضب الله على الغابر، فهل من عِبرةٍ يستلهمُها الناظرُ إلى تلك المناظر؟!

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾

• حقائق الإيمان لا تنبُت في أرضٍ سَبِخةٍ بداء الكِبْر الذي صرفَ عن صاحبه الهداية، وأنبتَ في قلبه حُبَّ الغَواية.

• الكِبرُ في حقِّ الخلق صفةٌ ذميمة، وخَصلة غيرُ كريمة؛ لما فيها من نفخ الذات، واحتقارِ ما سواها من الذوات.

• الكِبْر في حقِّ الخالق صفةٌ حسنة من صفاته، ونعتٌ كريم من نعوته؛ لكونه الربَّ المعبود، والإلهَ العظيم القاهر لكلِّ موجود.

• إنما تلتبسُ الحقائقُ على مَن اختار الغَيَّ عمدًا، وحاد عن الرُّشد قصدًا، ولم يبذل للاسترشاد جُهدًا، فمتى تبيَّنَ للمرء الهدى فليستمسك به.

• التصديق بالآيات والتبصُّر فيها يقودُ إلى سبيل الرُّشد، ويعصِم من طريق الغَيِّ.

• كيف يهتدي إلى الحقِّ مَن هو مكذِّب به، أو غافلٌ عنه غيرُ ملتفتٍ إليه؟!

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧﴾

• التكذيب بآيات الله ولقائه ضياعٌ للآمال، وحبوطٌ للأعمال، مهما ظنَّ صاحبُها بها الفلاح؛ لأنها لم تنبعث من أصلٍ صحيح، ولم تتَّجه الوِجهةَ الصحيحة.

• عدلَ ربُّنا العظيمُ بين عباده في دنياهم وأُخراهم، ولم يظلم أحدًا منهم، حتى جعلَ الجزاءَ في الآخرة أثرًا للعمل، مرتَّبًا عليه، كترتيب المسبَّب على السَّبب.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾

• إذا ضلَّت العقولُ صنعت المضحِكات؛ فكيف يعبد إنسانٌ بهيمةً صنعها بيده، لا تصلح لو نُفخ فيها الرُّوح إلا للعلف والخدمة؟!

• كمُلَ ربُّنا في صفاته فسَمع وأسمع، ودلَّ وهَدى، فما أعجزَ ما عُبد من دون الله وما أضلَّه!

• لا تعجَب ممَّن الظلمُ عادتُه أن يضعَ الأشياءَ في غير مواضعها، ويصرفَ العبادةَ لغير أهلها.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ١٤٩﴾

سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ: نَدِمُوا.

• يا أيها الناسُ، لا تتحوَّلوا عن سُنَّةٍ ارتضاها الله لكم، وانظروا إلى عواقب ذلك في مآلكم؛ فقد تحوَّل قومٌ فندِموا وخسروا.

• بابُ التوبة مفتوح، ومهما بلغ ضلالُ العبد وعظُم جُرمه، فإنه إن ندم على فِعلته، وتعلَّق برحمة الله ومغفرته؛ قُبلَت منه توبتُه، وارتُضيَت منه أَوبتُه.

• إذا نِلتَ مغفرةَ الله ورحمتَه، ربحتَ الفوزَ العظيم، ونِلتَ الخيرَ العميم.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى
مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟
يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ
وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ
غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾
وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا
هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ
قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ
رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى
مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

١٦٩

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

أَسِفًا: حزينًا.

ٱبْنَ أُمَّ: يا بن أمي.

فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ: لا تسُرَّ الأعداءَ بما تفعلُ بي.

• إذا كان الغضبُ لله والأسفُ من أجله فهو عملٌ محمود، وشِيمةٌ من شِيَم الأنبياء وأتباعِهم.

• الفاضل قد تأخذه سَورةُ غضبٍ لله، وقد تبدُر منه بوادرُ أثناء ذلك تُغتفَر؛ لما غلَب عليه من صلاح، ألا ترى موسى ألقى الألواحَ وأخذ برأس نبيٍّ كريم، ومع ذلك غُفِر له.

• نادى هارون أخاه موسى بابن أُمِّه وهو شقيقُه؛ تذكيرًا له بالرَّحِم الموجِبة للعطف والرِّقَّة، وبخاصَّة أنها مؤمنة، وقد قاسَت فيه المخاوف.

• قد يسقط وجوبُ الإنكار باليد في حال الخوف على النفس، وفي حين لا ينفعُ الإنكار.

• مشكلات الدعوة وخلافاتُ القائمين عليها لا ينبغي إظهارُها للعلن، لئلَّا يكون الحقُّ عُرضةً للشامتين، فإن شماتة الأعداء من البلاء المبين.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

• مَن أحاطت به رحمةُ الله من كلِّ جانب، كان في حِصنٍ حصينٍ من شرِّ المصائب.

• الدعاء والاستغفار من وسائل الانتصار على الشامتين.

• التوسُّل إلى رحمة الله عزَّ وجلَّ برحمته من أبلغ أسباب نَيل الرحمة، واندفاع النقمة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

• لا يغترَّنَّ أحدٌ بإمهال الله مَن قد استوجب غضبَه؛ فإن الله تعالى يُمهِل ولا يُهمِل، وسوف يأتي الردعُ ويحِلُّ الجزاءُ العادل.

• قال سفيانُ بن عُيَينة: (ليس في الأرض صاحبُ بدعةٍ إلا وهو يجد ذِلَّةً تغشاه).

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾

• بشرى من ربِّ العالمين لكلِّ المسيئين: إن الله يغفر السيِّئاتِ صغيرَها وكبيرَها بتوبةٍ صادقة، فضلًا منه ورحمةً بعباده. فأين التائبون؟

• الإيمان أساسُ صحَّة الأعمال، فلا يُقبَل عملٌ لا يُبنى عليه، وهل تُثمِر شجرةٌ لا جذرَ لها؟

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

سَكَتَ: سَكَنَ.

• نار الغضب تحتاجُ إلى ما يسكِّن توهُّجَها، ويطفئُ لهيبَها، فطوبى لمَن أسكتَ غضبَه، وأصلحَ ما بدر منه بعده.

• كتُب الله السابقةُ قبل أن يعبث بها المحرِّفون تزخَرُ بالرحمة والهدى، فمَن استهدى بها هُدِي، ومن طلبَ الرحمةَ فيها وجدها.

• رهبة الله وخشيتُه هي التي تفتح القلوبَ للهُدى، وتوقظُها من الغفلة، وتهيِّئُها للاستجابة والاستقامة.

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾

لِّمِيقَٰتِنَا: للوقتِ والأجَل الذي واعدناه فيه.

ٱلرَّجْفَةُ: الزلزلةُ الشديدة.

• الجأ إلى ربِّك في كلِّ أحوالك؛ إن طلبت رحمتَه أو خشيتَ عقوبتَه، وفِرَّ إليه إن خفت مؤاخذتَه أو رجَوت فضلَه، فإنه كريمٌ رحيم.

• الإشراك دليلٌ على ضعف العقل، وظلام البصيرة، فكيف يقبلُ عاقلٌ اتِّخاذَ العِجلِ إلهًا معبودًا؟!

• كثرة طمع العبد في رحمة الله ويقينُه بها يجعلُه يستبعد إهلاكَ البُرَآء، بأفعال الفسَّاق السفهاء.

• الفِتَن تمحيصٌ للمهتدين، وهلاكٌ للضالِّين، ففي خِضَمِّها يصيرُ المهتدون متيقِّظين، والضالُّون غافلين.

• إذا دعوتَ اللهَ فكِل الحُكمَ إليه، واطرَح فاقتَك بين يديه، وتضرَّع إلى رحمته، وأثنِ عليه، كما فعل نبيُّ الله موسى.

• كلُّ غافرٍ سوى الله تعالى فإنما يغفِر لغرض؛ كالرغبة في الثناء الجميل، أو طلب الثواب الجزيل، أمَّا الله جلَّ جلاله فيغفر لمَحض فضله وكرمه.

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ
إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ
فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن
قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

١٧٠

﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

• ما أجملَ أن يجمعَ المسلم في دعائه بين خيرَي الدنيا والآخرة! فمَن نال نعيمَ الدنيا ونعيمَ الآخرة فقد نال خيرًا كثيرًا.

• مَن رامَ حسنةَ الدنيا والآخرة فعليه بالتوبة والإنابة، والرجوعِ إلى الله جلَّ وعلا.

• ما أحسنَ الدعاءَ إذا افتُتِح بطلب مغفرة الله ورحمته، والتسليم لأمره، والاعترافِ بحكمته من ابتلائه، واختتامِه بإعلان الرجعة إلى بابه والتوبة إليه!

• كمال الرحمةِ لا يفوز بها إلا مَن أكمل مُوجباتِها من الإيمان والعمل الصالح.

• ما من مسلمٍ ولا كافر إلا وعليه في هذه الدنيا من آثار رحمة الله ما بها يعيش ويتقلَّب، لكن رحمة الله في الآخرة خاصَّة بالمؤمنين، فلا حظَّ فيها لكافر.

• سبحان مَن وسعَت رحمتُه كلَّ شيء! إنها أوسعُ من الكون العظيم الفسيح الذي خلقه الله، والذي لا يُدرك البشرُ مداه.

• إذا أردتَّ رحمةَ الله فسارع إلى توحيده وطاعته، فإن الإشراك ومنعَ الزكاة وسائرَ المعاصي تحول بينك وبين ما أردتَّ، واجتهد في رحمة الخلق؛ فالراحمون يرحمهم الرحمن.

• دوام نَيل رحمة الله مرهونٌ بتجديد الإيمان، وزيادة الطاعة، وقلَّة العصيان.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

• قبيحٌ بالمرء أن يكذِّبَ بحقيقةٍ يوقن بصدقها، ويُبطل قضيَّةً يعلم صوابَها؛ فنبوَّة نبيِّنا محمَّد ﷺ لا ينكرُها من أهل الكتاب إلا مكابرٌ أو حاسد.

• ما أعظمَ شريعةَ الإسلام، وحرصَها على مصالح الأنام! فلقد أحلَّت كلَّ ما كان في نفسه طيِّبًا، وحرَّمت كلَّ ما كان في نفسه خبيثًا.

• في شريعتنا ليس تحريمُ المحرَّمات يجري مَجرى العقوبات، ولكنَّه إنقاذٌ للأمَّة ممَّا فيها من المفسِدات.

• ألا نشكرُ اللهَ الكريم على فضله علينا؛ فقد جعل شريعتَنا أسهلَ الشرائع، فوضع عنها ما كان يثقُل على مَن كان قبلَنا من التكاليف.

• من حقِّ رسولنا الكريم ﷺ، وما جاء به من الدين العظيم: الجهادُ بالسِّنان، والقلم واللسان؛ نصرةً للرسول الأمين، ونشرًا لهذا الدين في العالمين.

• ما أشبهَ المهتديَ بنور القرآن بسارٍ وراء نورٍ يضيءُ له طريقَ الأمان! فلا يزال يتَّبعه ويتحرَّاه؛ إذ يرى باتِّباعه نجاته وهداه.

• لقد أفلحَ أصحابُ رسول الله ﷺ كلَّ الفلاح، وورَّثوا مَن بعدهم أعلامَ الصلاح، فكم لهم من فضل، وخَلَفٍ من الخير جزل! فكُن على طريقهم، عساك تلحقُ بهم.

• لا سعادةَ ولا فلاحَ إلا باتِّباع الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا، في أصول الدين وفُروعه، ونصرة دينه واتِّباع شريعته.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

• رسالة رسولنا محمَّد ﷺ إلى الناس كافَّة، وإن كان للعرب شرفٌ بخروجه منهم، لكنَّ هذا الشرفَ لا يدركه إلا مَن اتَّبعه حقًّا من العرب أو العجم.

• كيف يُعبَد غيرُ الله، ويُعصى مَن أرسلَه، والمُلك كلُّه لله وحدَه؛ يحيي ويميت، ويبعثُ العبادَ للحساب؛ من غير شريك ولا نِدّ!

• إن العلمَ العظيمَ الذي تلقَّاه رسولنا الأميُّ الكريم ﷺ كان من كلمات الله، فهل بعد هذا العلم من علم؟

• أميَّةُ نبيِّنا الكريم ﷺ كمال، وأميَّةُ غيره نقص، فمجيئُه بهذا العلم مع أميَّته دليلٌ على نبوَّته.

• لا يكفي الإيمانُ في القلب ما لم يكن معه اتِّباعٌ عملي، فدلِّل على إيمانك بصحيح اتِّباعك.

• يا من تطلب الهدايةَ والنجاة، كن متَّبعًا ولا تكن مبتدِعًا.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

• الإنصاف هو ميزانُ العدل في الحكم على الآخرين، فبعدَ أن ذكرَ اللهُ المفتونين من قوم موسى ذكرَ المهتدين منهم، مُثنيًا عليهم.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٦٠﴾

وَقَطَّعْنَٰهُمُ: فرَّقناهم.

أَسْبَاطًا: قبائلَ بعدد الأسباطِ، وهم أبناءُ يعقوبَ عليه السلام الاثنا عشر.

فَٱنۢبَجَسَتْ: فانفجرَت. الانبجاسُ أوَّلُ الانفجار.

ٱلْغَمَٰمَ: السَّحابَ.

ٱلْمَنَّ: شيئًا يشبهُ الصَّمغَ، طَعمُه كالعسل.

وَٱلسَّلْوَىٰ: طائرًا يشبه السُّمانى.

• الله رحيمٌ بعباده؛ يبتليهم لخيرٍ يريدُه لهم، فتأتي المنحةُ بعد المحنة، فيُبرز لعباده نعمتَه وقتَ حاجتهم؛ فقد ترَك بني إسرائيلَ حتى عطشوا؛ ليستسقوا، ثم ليشعُروا بنعمة الرِّيّ، فيشكروا ربَّهم ويطيعوا نبيَّهم.

• إخراج الماء من الحجَر بعيونٍ بعدد الأسباط ليكونَ لكلٍّ منهم عينٌ؛ آيةٌ بعد آية.

• كم تابعَ سبحانه على بني إسرائيلَ من النِّعَم! فبعد إتمام تبريد الأكباد، أتبعَه بغذاء الأجساد؛ ليكونَ أكملَ في النعمة، وأعظمَ في المنّة.

• تفرَّد اللهُ تعالى بخلق عباده ورزقهم، فهل يصِحُّ أن يُعبدَ معه غيرُه، أو يشكرَ في رزقه سواه؟!

• كم تجرُّ المعصيةُ على صاحبها من مفاسدَ أُخرويَّة ودنيويَّة، فمَن أقلع عنها فقد نفع نفسَه عاجلًا وآجلًا.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٦١﴾

ٱلْقَرْيَةَ: بيتَ المَقدِس.

حِطَّةٌ: حُطَّ عنَّا ذنوبنا.

• سبحانَ مَن لا تُحصى نِعمُه، ولا تُعدُّ فضائلُه، مع يسير ما يطلبُه، وعظيم ما يُثيبُه!

• السجود عنوانٌ لكمال الطاعة والخضوع لله، والعملِ بشرائعه وأحكامه، ولهذا كان من أسباب مغفرة السيِّئات ورفع الدرجات.

• مَن أراد أن يُضاعَفَ أجرُه ويزدادَ خيرُه، فليكن محسنًا في عبادة الله، وإلى عباد الله.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ١٦٢﴾

• الإيغالُ في الظلم والفسوق أسرعُ الطرق لتعجيل العقوبات، وإحلال النقمات.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَۙ لَا تَأْتِيهِمْۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ١٦٣﴾

حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ: على ساحل البحرِ وشاطئه.

يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ: يعتدُون بالصَّيد في يوم السبت، وهو محرَّمٌ عليهم.

شُرَّعًا: ظاهرةً على وجه الماء.

لَا يَسْبِتُونَ: في غير يوم السبت.

• الوحيُ هو طريقُ النبيِّ ﷺ إلى الإخبار الصادق بما لا يَعلم عن الماضي والمستقبل، فلولاه لم يكن ليَعلمَ ذلك، ولا وحيَ بعد خاتم الأنبياء.

• ما أكثرَ الحِيَلَ الباطلة عندما يفسُد القلب، وتقِلُّ التقوى، ويصبح التعامل مع النصوص بالهوى لا بالهدى، ويُرادُ الانصرافُ عن ظواهرها بكلِّ طريق!

• ليحذرْ مَن يحتال على المناهي الشرعيَّة ممَّن يتلبَّس بالعلم وهو غيرُ عالم في الحقيقة؛ إذ العالم مَن يخشى اللهَ تعالى بحفظ حدوده، وتعظيم حرُماته، والوقوف عند أحكامه.

• تتزيَّنُ المعاصي للعبد في أبهى الصور، وتصل إليه بأسهل الطرق، وفي ذلك ابتلاءٌ يُعرف فيه قويُّ الإيمان بإعراضه، وضعيفُ الإيمان باستجابته.

• أمَّةٌ احتالت على دينها وتلاعبت به، وجنحَت إلى المراوغة والتفلُّت منه بالتأويلات الفاسدة، ماذا تنتظر من الله سوى العقوبات العاجلة؟

• أعطى اللهُ تبارك وتعالى عبادَه منافعَ الكون تفضُّلًا عليهم، ورحمةً منه بهم، فلينتفعوا بها كما شرَع لهم، وليشكروه على نعمه السابغة.

• مَن فسق ابتلاه اللهُ بأنواع المِحَن، وصرَّفه بين أصناف الفتن، ومَن استقامَ عافاه الله من عقابه، وسلَّمه من شرِّ بلائه.

الجزء التاسع — سورة الأعراف

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٦٠ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٦١ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ١٦٢ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَۙ لَا تَأْتِيهِمْۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ١٦٣

١٧١

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ
وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾
فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ
سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ
دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن
يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ
أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٧٢

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

• النهيُ عن المنكر مهمَّةٌ جسيمة، وعبادةٌ عظيمة؛ إذ هو برهانٌ على الغيرة على الحُرمات، ومخفِّفٌ من اقتراف السيِّئات، وإعذارٌ إلى الله.

• سلوك سبيلِ الوعظ والتذكير والتخويف والتحذير لمَن عصى الله تعالى، عن هوًى، أسلوبٌ حسن يُرجى أن يثمرَ في نفسه التقوى.

• الحُكم على الناس بالهلاك مدعاةٌ لترك الإنكار، وصدق رسولُ الله ﷺ: (مَن قال: هلَكَ الناسُ فهو أهلكُهم).

• كن للهِ عبدًا صالحًا، ولعباد الله ناصحًا؛ لتدفعَ عنهم عقابَ الله، وتستجلبَ خيرَه لهم.

• على الناهي عن المنكر أن يحتسبَ عملَه، وينوي به الإعذارَ إلى الله، ويجوِّدَ عملَه تجويدًا؛ حتى يصلَ منه إلى مطلوبه في تقوى الناس.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

• الناصح الصادقُ يحظى بالنجاة إذا نزل عقابُ اللهِ على مَن عصاه.

• الحِيَل المحرَّمةُ لا توصِل إلى البُغية، ألا ترى أن حيلَ أصحاب السبت لم تدفع عنهم العذابَ البئيس، ولم ترفع عنهم اسم الفسق، بل تسبَّبت لهم في المسخ؟

﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾

• بعض الحِيَل الباطلة قد تشتبه بالحقِّ في ظاهرها؛ فلذلك ناسبَ أصحابَ السبت العقوبةُ بالمسخ، فالخَلقُ الممسوخ قد يشبه الناسَ في الظاهر، لكنَّه أبعد ما يكون عن حقائقهم.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

• يَقرِنُ الله عذابَ الفاسقين بالمغفرة والرحمة للتائبين؛ لئلَّا ييئسَ مُصلحٌ من رحمته بذنبٍ عمله بجهالة، ولا يأمنَ مُفسدٌ من عقابه؛ اغترارًا بكرمه وهو مُصِرٌّ على ذنبه.

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾

• التقسيم القرآنيُّ للأمم يجعل الصالحين الأعلَين، والطالحين الأدنَين.

• النِّعَم تُرجع المؤمنَ إلى الله راغبًا، والنِّقَمُ تُرجعه إليه راهبًا، فطوبى لمَن شكر الحسنات، وانزجر عن السيِّئات.

• البلاء سَوطُ اللهِ في أرضه، يردُّ إليه الشاردين من عباده، فهو رحمةٌ من الله بخلقه، أوَ ليس خيرًا من النسيان الذي يتبَعُه الاغترار؟!

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ: ما يُعرِضُ لهم من دَنيء المكاسب؛ كالرِّشوة.

مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ: العهودُ في التوراة؛ بإقامتها والعملِ بها.

• ليست العقيدة مجرَّدَ ثقافةٍ تُدرس، أو علمٍ يُحفظ فحسب، بل هي حياةٌ تُعاش، وطريقةُ عيشٍ تُمارَس.

• يا مَن خوَّلك اللهُ منصبًا؛ احذر التشبُّهَ بقومٍ وُلُّوا فبدَّلوا أحكامَ الله، وأخذوا الرِّشوة، وجعلوا وظائفهم فيما لا يُرضي ربَّهم.

• لا يجتمعُ الإسرافُ في انتهاك حرُمات الله مع الثقةِ بمغفرة الله في قلب مؤمنٍ عارفٍ بقدر اللهِ جلَّ جلاله.

• المغرور مَن رجا المغفرةَ وهو مُصرٌّ على المعصية، والمؤمنُ مَن إذا عصى تاب واستغفر، فرُجيَت له المغفرةُ وقَبولُ التوبة.

• القول على الله بغير حقٍّ ابتغاءَ عرَضٍ دنيويٍّ ذنبٌ عظيم، جديرٌ صاحبُه بالمؤاخذة.

• إن إنسانًا ألهته الدنيا عن الآخرة لضعيفُ العقل، أحمقُ التدبير؛ إذ كيف يترك عاقلٌ الثمينَ النفيس، مشتغلًا عنه بالتافه الخسيس؟!

• إن الدنيا ليست للمتَّقين بدار، وإنما دارُهم التي فيها يستوطنون ويستقرُّون، وينعَمون ولا ييأسون؛ هي الجنَّة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

• التمسُّك بالكتاب بقوَّة، وتحكيمُه في حياة الناس، مع إقامة الصَّلاة، وسائر شعائر العبادة؛ هي أسسُ المنهج الربَّانيِّ لصلاح الحياة والنفوس.

• يا ويلَ مَن ضيَّع عبادة الصلاة التي لها في الإسلام شأنٌ عظيم؛ حتى إنها لَتُذكر بالخصوص بعد عموم يحتويها؛ تعظيمًا لشأنها.

۞وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧١
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا
بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ١٧٤ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ
مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ١٧٧ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٧٨

١٧٣

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧١﴾

• رحم اللهُ موسى! كم لقيَ من عِناد بني إسرائيل، وعصيانهم لأوامر الدين، فأيُّ قومٍ أولئك الذين لا يستجيبون لأحكام كتاب الله إلا برفع الجبل فوق رؤوسهم؟!

• التديُّن الذي يُرجى منه نيلُ الدرجات العُلا، والنجاةُ من شدَّة البلوى؛ هو الذي يُبنى على قوَّةٍ وجِدٍّ، لا على رَخاوة وترهُّل.

• في روضة العزم، والتمسُّكِ بالكتاب، تترعرعُ شجرةُ التقوى التي تُثمِر صلاحَ الدنيا والدين.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾

• لو تُرك الناسُ إلى فطرتهم النقيَّة لأقرُّوا بربِّ البَريَّة، وما أشركوا به أحدًا.

• استيقِظ من غفلتك اليوم؛ فعسى أن تُسلَكَ في نَظْم الصالحين، وإيَّاك والاستمرارَ عليها فتعتذرَ يوم القيامة بأنك كنت من الغافلين.

﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣﴾

• شِركُ الآباءِ ليس عذرًا للإعراض عن التوحيد؛ فإن التوحيدَ مركوزٌ في الفِطرة.

• الله لا يؤاخذُ أحدًا إلا بكسبه، ولا يعذِّبُه إلا بذنبه؛ وذلك لكمال حكمتِه وعدلِه ورحمته.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٧٤﴾

• الفِطَر والميثاقُ الأوَّل والعقولُ السليمةُ تكفي حُجَّةً للإقرار بالخالق وتوحيده، ولكنَّ الله برحمته فصَّل لعباده الآيات، وبعثَ إليهم الرسُلَ بالبيِّنات؛ ليعودوا إلى ما واثقوا اللهَ عليه.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ١٧٥﴾

• تلاوة قِصص الغابرين موعظةٌ للمتَّعظين، من العلماء والجاهلين.

• لَيكن دينُ المسلم ألصقَ به من جِلده؛ يلابِسُه ويلازمُه، وليحذر إن لم يشكر مولاه على ذلك اللباسِ أن يعاقبَه بخَلعه.

• الأخذ بآيات الله علمًا وعملًا حمايةٌ، فإذا ما انسلخَ منها ظَفِرَ به الشيطان ظفرَ الأسدِ بفريسته.

• العالِم الضالُّ شيطانٌ من الشياطين، يُغوي الناسَ بتضليله، كما يُغويهم الشيطانُ بوسوسته.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾

• الرفعةُ بيد الله، فمَن شاء رفعَه، ومن شاء وضعَه، فاطلُب الرفعةَ عنده بطاعته ورضوانه.

• لا رفعةَ لعالمٍ عند الله بمجرَّد علمه، بل رفعتُه باتِّباع الحق، وقصدِ مَرضاة الله بعلومه.

• العِلم إذا لم ينفع يَضُرّ، وإذا لم يرفع يضَع.

• ربَّما يضعُف العالِمُ فيختار الدنيءَ عن غَفلةٍ أو خاطرٍ عابر، ولكنَّ المصيبة أن يَهبِطَ إليه عن حُبٍّ وإصرار، وقصدٍ في الاختيار.

• النفس العُلويَّة تعشق الصعودَ إلى آفاق السُّمو، والنفسُ السُّفليَّة تميلُ إلى الهبوط إلى لهو الأرض، وبذلك تُعرف أقدارُ الناس ومنازلُهم.

• يا ويلَ عالِم تقودُه أهواءُ نفسِه! ويا ويلَ أمَّةٍ يقودُها هذا العالِم!

• لا يجعلُ المرءُ الهوى إمامَه، يقتدي به ويتَّبعُه، ويرغبُ به عن الهدى؛ إلا أورده الهَلَكة.

• كم لاهثٍ وراء الدنيا، جازعٍ على فَقدها، منقطعٍ فيها عن ربِّه، لم تَعُد تنفعُ معه العِظات، فإن وُعِظ فهو لاهث، وإن تُرِك فهو لاهث!

• لم يضرب اللهُ المثَلَ في القرآن بأخسِّ الحيَوانات كالحمار والكلب إلا مثلًا لذي علمٍ حمل الحقَّ فلم يؤمن به، ولذي علم رمى عنه هذا الحقَّ، وحمل الدنيا مكانه.

• ما أعظمَ هذه القصَّة ومَثَلَها لكلِّ عالم حادَ عن الحقِّ لشهوة نفسه! ففيها عِبرةٌ تحذِّر الناسَ وأهلَ العلم من الركون إلى الدنيا واتِّباع الأهواء.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ١٧٧﴾

• الكلب في أقبح حالاته مثَلٌ ضربه الله لمَن دفعَه إيثارُ الدنيا إلى التكذيب.

• لا يضرُّ دينَ الله مَن تركه، ولا مَن حارب أولياءَه، وناصر أعداءه، بل لا يضرُّ إلا نفسَه.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾

• الهدى نعمةٌ عظيمة؛ ألا تراه لم يَذكر جزاءَه بجنَّة أو فوز، بل اكتفى بالإخبار عنه بأنه مهتدٍ؛ ليعمَّ كلَّ خيرٍ ينتظر المهتدين.

• إذا خُذِل العبدُ فلم يعبد الله، ولم يستعِن به؛ وُكِل إلى حَولِه وقوَّته، وشقيَ في دنياه وآخرته، وذلك أعظمُ الخسران.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ١٧٩ وَلِلَّهِ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٨٠ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ١٨١ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم
مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ١٨٣ أَوَلَمْ
يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٨٤
أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ
مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ١٨٥ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٨٦ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٧

١٧٤

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

• عجبًا لمَن آتاه الله قلبًا يفقه به، وعينًا يُبصر بها، وأذنًا يسمع بها؛ ثم تراه يتخبَّط في دروب الضلالة على غير هدًى!

• إن الأنعامَ لتنقادُ لأربابها، وتعرفُ من يُحسن إليها، وتجتنبُ ما يضرُّها، والكافرون لا ينقادون لربِّهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم، ولا يجتنبون ما يَضُرُّهم في الآخرة، فمَن الأضلُّ إذن؟!

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

• ربُّنا يدعو عبادَه إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويُثنوا عليه بها، فما أحسنَ الاستجابةَ لهذه الدعوة الكريمة من الربِّ الكريم!

• يعامل اللهُ عبادَه العاصين بعدله؛ فيجازيهم جزاءً يوافقُ أعمالَهم السيِّئة من غير ظلم.

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾

• الأمَّة المستحقَّةُ للثناء هي الأمَّة الكاملة في نفسها، المكمِّلةُ لغيرها، التي تهدي نفسَها وغيرها، فهي تعلم الحقَّ وتعمل به وتدعو إليه.

• ما جاء الحقُّ ليكون مجرَّدَ درسٍ يُعلَم، وإنما جاءَ ليُهدى به، ويُتحاكم إليه، فطوبى لمَن سعى إلى تحقيق ذلك في الأمَّة.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

سَنَسْتَدْرِجُهُم: سنفتحُ لهم الأرزاق؛ ليغترُّوا، ثم نُباغتهم بالعقوبة.

• إذا رأيتَ اللهَ يتابع نِعمَه على قوم، وهم في غيِّهم منهمكون، وفي نِعمهم بَطِرون؛ فلا تحسبنَّهم في خيرٍ ومأمن، فإنما يستدرجهم اللهُ بنعمه، حتى يُنزل بهم شديدَ نقمه.

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾

• أيها المؤمن، ليطمئنَّ قلبك، فمهما عظُم كيدُ أعداء الدين، فيقينُنا بأن مكر الله بهم أعظم.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾

• تفكَّر وتروَّ؛ حتى تعرفَ الأشياء كما هي، فذاك النظرُ طريقٌ لمعرفة الحقيقة.

• لقد اطَّلع القومُ على سيرة رسول الله ﷺ اطِّلاعَ الصاحبِ على مسيرة صاحبه الذي يلازمُه، فما لهم عنه مُعرضون وقد تيقَّنوا صدقَه وأمانته؟!

• قد استبانت حقيقةُ رسول الله ﷺ، فكيف ينسبه إلى الجنون عاقلون؟ أما يفرِّق المتَّهمون له بين قول النذير المبين، وهذَيانِ أهل الجنون؟!

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

• لا ينظرُ في الكون امرؤٌ بقلبٍ عاقلٍ وعينٍ بصيرٍ إلا عرفَ فيه إبداعًا وإعجازًا يشهد على قدرة خالقه جلَّ جلالُه.

• في الكون من الدلائل على وجود الله تعالى ما لا يلتبسُ على ناظر، ولا يخفى على قارئ؛ لأنه اللغةُ التي لا تحتاجُ إلى ترجمة.

• العاقل إذا علم اقترابَ أجلِه بادر إلى طلب الحقِّ؛ عساه يفوزُ بمغفرة ربِّه، وينجو من عذابه.

• قد بلغ إلى الكافرين مُنتهى البيان بما وصل إليهم من لسان رسول الله ﷺ من الآيات، وبما نصبَ اللهُ لعباده من البيِّنات في أصناف المخلوقات.

﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

يَعْمَهُونَ: يتردَّدون متحيِّرين.

• نقِّ قلبَك يكُن موضعًا صالحًا لفضل اللهِ وهدايته؛ فإن القلوبَ المحشُوَّة طغيانًا حَجبَت نفسَها عن الحقِّ، فكانت مستحقَّةً لأن تُترك وحجابَها.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

ثَقُلَتْ: عظُمَ عِلمُها وخَفِيَ.

حَفِيٌّ عَنْهَا: حريصٌ على العلم بها.

• لا تُصغِ لمَن يزعم معرفةَ موعد نهاية الوجود وزوال البشريَّة بعلمٍ بلغَه أو بحثٍ أجراه، فإنه لم ينل علمَ ذلك ملَكٌ ولا نبيٌّ؛ فلا يعلم ذلك إلا الله.

• الواجب على المرء أن ينصرفَ اهتمامُه للتهيُّؤ للساعة قبل أن تأتيَه فجأة، فلا ينفعُ معها حذر.

• أكثرُ الناس لا يعلمون أن الساعة ممَّا اختصَّ اللهُ بعلمها، ولا يعلمون حكمةَ ذلك، والموفَّق مَن علم أن ما طوى الله علمَه فخيرٌ للعبد ألا يخوضَ فيه، وألا يعلمَه.

قُلۡ لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ
إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ
أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ
أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ
بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ
بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

١٧٥

﴿قُلۡ لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾

- اعترافُ العبد بعدمِ قدرته على ما ليس من حولِه ولا قوَّته هو من تمامِ عبوديَّته لربِّه.

- قد يريد الإنسانُ أن يجلبَ لنفسه ما يظنُّه نفعًا، وهو عليه وَبال، كما يظنُّ أنه يدفعُ عن نفسه ما لا يحبُّ، وهو خيرٌ له لو كان يعلم.

- إن كان رسولُ الله ﷺ لا يعلمُ الغيبَ القريبَ المتعلِّقَ بمصلحته، فكيف يُسأل عن الساعة التي هي غيبٌ بعيد متعلِّقٌ بشأن الخلق كلِّهم؟!

- لو صحَّ ادِّعاء مدَّعي الغيب أفكان يصيبُه ما يسوءُه، أو يفوته ما يسعى إليه؟!

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾

لِيَسۡكُنَ: ليأنَس ويطمئنَّ.

تَغَشَّىٰهَا: جامَعَها.

فَمَرَّتۡ بِهِۦ: فاستمرَّت على حملها، تمضي في حوائجها، لا تجد ثِقلًا.

أَثۡقَلَت: صارت ثقيلةً لأجل الحمل.

- تذكيرُ الإنسان بأصل خَلقه وأوَّل أمره، سبيلٌ إلى امتثاله أمرَ ربِّه، وقد خلقَه ليكونَ له عبدًا شكورًا، لا نِدًّا أو كفورًا.

- النفس واحدةٌ في أصلها ومَنشئها، وإن اختلفت في تكوينها ووظيفتها بين الذكر والأنثى، وقد كان هذا الاختلافُ المحمود ليسكنَ الزوجُ إلى زوجه، ويستريحَ إليه ويُكمِّلَه.

- باستقرار الحياة الزوجيَّة يؤهَّل الجيلُ الناشئ للقيام بواجب العبودية، واستمرار الحياة، وحمل تراث التمدُّن البشريِّ والإضافة إليه.

- متى اختلَّت الطُّمأنينةُ في الحياة الزوجيَّة، وغدت حياةً قلِقة، فإن الخلل قد بلغ مبلغًا يقتضي إعادةَ النظر فيها، والحرص على إصلاحها.

- الزوجة الصالحة تُضفي على البيت المسلم الراحة والسَّكينة والأمان.

- العَلاقة الزوجيَّة عَلاقةٌ يجب أن تُبنى على السَّتر؛ فلذلك علَّمنا القرآنُ الأدبَ في انتقاء الألفاظ الأنيقة للحديثِ عنها.

- عند الطمع في الخير تستيقظ الفِطرة فتتوجَّهُ إلى الله وحدَه، مقرَّةً له بالربوبيَّة، وطامعةً في فضلِه وكرمه؛ لإحساسها العميق بمصدر القوَّة والإفضال الوحيد في هذا الوجود.

- الولد الصالح في خَلقه وخُلُقه نعمةٌ عظيمة، ومنحةٌ كريمة، تستوجب شكرَ الله عليها.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾

- الشيطان لا يستطيع أن يصرفَ نعمةَ الله على عبده، ولكنَّه قد يصرفُه عن شكرها، والموفَّق من إذا رُزق نعمةً شكرَها.

﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١﴾

- أيُّ عقلٍ يقبلُ أن يدعَ صاحبُه عبادةَ مَن خَلقه، وخلَق أباه، إلى عبادةِ مخلوقٍ صنعَه بيديه؟!

﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾

- ألا تعجب ممَّن يتَّخذ من أصنام جامدةٍ لا روحَ فيها ولا عقلَ لها آلهةً من دون الله، ثم يطلبون منها النصرَ والتأييد؟!

﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾

- كيف يُطلَب الهدى ممَّن إذا دُعي إلى الهدى لا يستجيب؟! إن فاقدَ الشيء لا يُعطيه.

- مَن لا يهتدي بحالٍ كيف يُتَّخذ إلهًا، دُعي إلى الهدى أو لم يُدعَ؟!

- اطلُب النصرَ والهداية من الله وحدَه، فما رجا عبدٌ ذلك من غيره إلا عاد خائبًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾

- كلُّ معبودٍ من دون الله فإنما تجري عليه أقدارُ الله، فهل يصلُح مَن هذا شأنُه معبودًا؟!

- يكفي المشركين خِزيًا أن تحدَّاهم اللهُ في شأن هذه الأصنام فلم يجيبوا، فظهر حينئذٍ كذبُهم في شِركهم، وانخداعُهم بمعبوديهم.

﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾

- الله تعالى المستحقُّ للعبادة سميعٌ بصير، عليمٌ حيٌّ قدير، أمَّا الأصنامُ فهي فاقدةٌ لوسائل الإدراك والقدرة، فبانَ أنها ليست إلا أشكالًا.

- إنه تحدٍّ واضحٌ يُظهر عجزَ الأصنام، وعدمَ قدرتها على الإضرار بالأنام.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ
وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواۖ
وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ
وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ
مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ
فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ
لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ
قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ
وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ
فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ
وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢٠٦﴾ سجدة

١٧٦

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

وَلِـِّۧيَ: ناصِري، وحافِظي من كلِّ سوء.

• لمّا تولّى الصالحون ربَّهم بإخلاص الإيمان له، تولّاهم اللهُ في حيَواتهم؛ بإعانتهم على الخير، وصرفهم عن الشرِّ، وتولّاهم بعد مماتهم بحفظ ذرِّياتهم، ونشر محاسنهم.

• مَن أنزل القرآنَ لا ريبَ سيحفظُه، كما أنه سيؤيِّد مَن يُبلِّغه ويعملُ به، فمَن أراد وَلاية الله فليتمسَّك بكتابه، وليَبشر بوعده.

• تولِّي الله لأحبابه سنَّةٌ إلهيَّة، فمَن تولّى نبيَّه ونصرَه فسوف يتولّى أتباعَه الصادقين، وينصرُهم كذلك، رحمةً منه وفضلًا.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾

• ما أبعدَ ما بينَ حالِ أولياء الرحمن، وحالِ أولياء الشيطان!

﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

• مَن لا يستمعُ إذا ناديتَه فمِن باب أولى ألّا يستجيب، فكيف يكون أهلًا لأن يَهدي، أو أهلًا لأن يُدعى؟!

• إن استحقاقَ الأصنام للعبادة خيالٌ لا حقيقة له، يُشبه نظرَ تلك الأصنام بعيونها لعابديها من غير بصر، فكما أن نظرَها خيالٌ فعبادتها خيالٌ كذلك.

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

• الكبار يُطِلّون من شُرفات سُموِّهم بالسماحة والمسامحة، والتواضع والعطف، والإغضاء والسهولة.

• رياضة النفوس تقتضي أخذَها في أوَّل الطريق بالجميل من التكاليف؛ حتى يَسلَس قيادُها وتعتادَ النهوضَ بما فوق ذلك في يُسر.

• كريم الناس لا يُجاري السفهاءَ في سفههم، ولا يكافئهم بمثل غثاءِ أقوالهم، بل يَحلُم ويُعرِض، ويترفَّع ويَغُضّ.

• إن سكتَّ عن جاهلٍ لديه بقيَّةُ خُلقٍ رجع عن سفهه، فإن عدِمَ ذلك فصبرتَ عليه اعتزلَه الناس وعرَفوا علوَّ قدرك.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

• الاستعاذة بالله تعالى حِصنٌ من الغوائل، وتخلُّصٌ من شرور النوازل.

• سبحان مَن يسمعُ استعاذتَك فيُجيب، ويعلمُ ما يُصلح أمرَك فيُحسِنُ لك التدبير!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾

طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ: عارضٌ من وسوسة الشيطان.

• إذا ما خطر في بالك من الشيطان خاطر، فسارع إلى ربِّك؛ فإن الخواطر إذا أُهملت استحكمت، ثم تصير عزمًا ثم عملًا.

• مسُّ الشيطان ظلماتٌ بعضُها فوق بعض، وتذكُّر الله وتقواه نورٌ يبدِّد تلك الظلمات الداجية.

• المؤمن صعبُ القياد لوساوس الشيطان، فإن مسَّه بشيءٍ تذكَّر ربَّه، فنجا من مسِّه.

﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

• يغزو الشيطان قلوبَ الكافرين والجاهلين؛ لسلاسة قيادهم، فيُغريهم بكلِّ ضلال ويُغويهم، ويزيدُهم من الحقِّ بُعدًا.

﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

• ما كانت الآياتُ لتتنزَّلَ وَفقَ الأهواء والاقتراحات؛ لأن من ينزِّلها عالمٌ بالهدى وبما يُصلح العباد، فما خالفَها مقترحٌ إلا باينَ ذلك الهُدى.

• كم في القرآن من بصائرَ تُنير الأحلام، وتُصلِح الاعتقادات، وتهدي لأحسن المعاملات، وتدلُّ على الخير، وتحذِّر من الشر!

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

• إذا استمعَت النفسُ لقراءة القرآن بإنصات رُجيَ لها التأثُّر بما فيه من العِظات، فكانت أقربَ لنَيل رحمة الدنيا والآخرة.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾

• تأمَّل معانيَ الذِّكر الذي يَلهجُ به لسانُك، واستحضِر جلالَ مَن تذكرُه في قلبك، واذكره في كلِّ حين؛ لئلّا تُكتبَ من الغافلين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

• سلامة القلب من الكِبْر تحمل صاحبَها على الخضوع لربِّه، وتنزيهه عمّا لا يليق به، والانقيادِ لأمره، والابتعاد عن نهيه وزجره.

سُورَةُ الأَنفَال

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

ٱلْأَنفَالِ: الغنائم.

- نزعَ اللهُ الغنيمةَ ممَّن يجمعُها في المعركة، وردَّ حُكمَها إليه وإلى الرسول ﷺ؛ ليَخلُصَ الأمر إليهما، وليتجرَّدَ المجاهدون من الملابسات الأرضيَّة، ويسلِّموا أمرَهم لربِّهم ولقائدهم.

- التقوى زِمامُ القلوب الذي يمكن أن تُقادَ منه إلى إصلاح ذات بينها وهي طائعة، وهي خيرُ ما يمنع المشاحَّة في الحقوق المالية.

- إن الإيمانَ ليدعو إلى طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ، فمَن وجد نقصًا في طاعاته فليتفقَّد إيمانَه.

- الإيمان بالله ورسوله يبقى مجرَّدَ دعوى حتى يبرهِنَ عليه الانقيادُ لله ورسوله؛ بطاعتهما والبعدِ عن معصيتهما.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾

- ذِكرُ اللهِ بذكر اسمه وعظمته ورحمته، وهو شعورٌ يبعث على استحضار عظمة الله، والإكثارِ من الخير، فلا يزال صاحبُه قريبًا من الطاعات، بعيدًا عن المحرَّمات.

- إنما تظهر آثارُ حلاوة الإيمان في القلب عندما تجدُ اللسانَ يستحلي ذكرَ ربِّه، وتسارعُ الجوارحُ إلى طاعته.

- إذا عَمَرَت القلوبُ بالإيمان، أصغَت لتلاوة القرآن، فوقع أثرُه فيها، فزاد إيمانُ أصحابها.

- لا يجتمع كمالُ توحيد الله والتوكُّلُ على سواه في قلبٍ واحد، فمَن وجد في قلبه توكُّلًا على أحد أو سببٍ غيرَ الله فلخللٍ في إيمانه.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾

- لا بدَّ للإيمان من صورةٍ عمليَّة واقعيَّة يتجلَّى فيها، ليُثبتَ حضورَه ويُكشفَ عن حقيقته.

- اقترانُ الصلاة بالزكاة، والثناءُ على فاعليهما، دليلٌ على أن قيامَ مصالح الدارَين عليهما، وأنه لا فلاحَ لمَن أخلَّ بهما.

- المالُ مالُ الله، فمَن أنفق منه فمن رزق ربِّه بذَل، ومن نعمتِه أعطى، فليس له حينئذٍ أن يُعجَب ويَمُنَّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

- ليس لكلِّ أحدٍ أن يصفَ نفسَه بكونه مؤمنًا حقًّا، فإن الله وصف بذلك أقوامًا مخصوصين على أوصاف مخصوصة، لا يعلمُ صِحَّتَها من أهلها إلا الله.

- إذا حقَّقتَ أعمالَ الإيمان على ما يحبُّ ربُّك فثِق بما وعد الله به المؤمنين؛ لأن ما وعدَ به فهو عنده، لا عند غيره.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾

- لا تسخَط أقدارَ اللهِ فيك إذا بدَت أوائلُها مكروهةً لديك، فقد أخرج اللهُ نبيَّه من بيته لنصرةِ دينه وإعزازِ كلمته، فكرِه ذلك بعضُ المؤمنين، ثم كانت العاقبةُ الحسنةُ لهم.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾

- إنما يكون محلُّ الجدال وفائدتُه عند اشتباه الحقِّ والتباس الأمر، أمَّا إذا وضَح الحقُّ وبان، فليس سوى الانقيادِ والإذعان.

- المؤمن لا يغفُل عن الأسباب الإيمانيَّة، والعوامل الماديَّة في تحقيق النصر المنشود.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾

دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ: آخرَهم، أي: يستأصلُهم جميعًا بالهلاك.

سُورَةُ الأَنفَال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ١ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥
يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٧
لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ٨

- يخطئُ من يحسَبُ أن اختيارَه لنفسه خيرٌ من اختيار ربِّه له، ويخطئ كذلك من يتبرَّمُ لأذًى يصيبُه ويكمُن وراءه الخيرُ الكثير.

- المواجهة فيها شيءٌ من الخطر، لكنَّ الظفر عُقبى المؤمنين، وذلك يحتاج إلى طُمأنينة وصبر ويقين.

- إرادة الله التي يشاء سبحانه تحقيقَها على أيدي المؤمنين، قد تقف في طريقها مكروهاتٌ لدى النفس البشرية، لكنَّ النفسَ المؤمنة الصادقة تتحمَّلها حتى تصلَ إلى الغاية الربَّانيَّة.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

- الإسلام هو الحقُّ، والحقُّ ثابتٌ لا يضمحِلُّ، وفي هذا البِشارةُ ببقائه، وحصولِ جزاء أعماله.

- لا يظنُّ الداعي إلى الله أن إحقاقَه للحقِّ وإبطالَه للباطل سيقبله كلُّ الناس ويَرضَونه، فهناك من سيكرَه، وهناك من سيواجِه.

إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ
مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ
وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ
رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ
١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ
فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ
عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ
دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ
بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦

﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾

مُرۡدِفِينَ: يتبعُ بعضُهم بعضًا.

• من أسباب إجابة الدعاء الإلحاحُ على الله بالمسألة، وطلبُ الغوث منه سبحانه، مع استشعار عظيم الخسران إن لم يُجب دعاؤك.

• إن الله معينُ المؤمنين، فحين أراد أن يكتبَ النصرَ بأيديهم جعل الملائكة عضُدًا لهم؛ تطمئنُّ بهم قلوبُهم، ويستبشرون بعددهم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾

• طمأنة القلوبِ من أعظم العطايا، وقد أنزل اللهُ تعالى ملائكتَه من أجلها يوم التقاء عسكر الإيمان بعسكر الطغيان.

• لا تعلَّق قلبك بالأسباب، ألا ترى أنه مع وجود الاستجابة والمدَد فإن النصر لم يُنسَب إلا لله تعالى، فهو مصدرُه يتفضَّل به متى يشاء على مَن يشاء.

• لا تنتظر نصرَ الله من حيثُ تتوقَّع دائمًا، بل اسلُك سبُلَ نزوله، فإن الله بعزَّته إذا أنزل نصرَه لن يردَّه أحد، وبحكمته يُنزلُه متى يريد.

﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١﴾

يُغَشِّيكُمُ: يُلقي النعاسَ عليكم كالغطاء.

رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ: وَساوِسَهُ وتخويفاتِه.

• يرعى اللهُ أولياءه وهم أحوجُ ما يكونون إلى تلك الرعاية، فقد نقل المؤمنين هنا بالنوم من أجواء الحرب إلى أخصِّ أجواء الأمان.

• إن نصرَ الله قد يجيءُ بسببٍ يسير، ففي هذه الغزوة نزل ماءٌ من السماء فطابت به نفوسُ المؤمنين حين تطهَّرت به، وثبتت به أرضُهم وقلوبهم، وزَلِقت به أرضُ الكافرين وأفئدتُهم.

• أنعمَ الله على الصحابة بتثبيت القلوب، فثباتُها ثباتٌ للأبدان، كما أنعم عليهم بالطهارة، فللطهارة أثرٌ في تطمين النفوس.

﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾

• تأييدُ المؤمنين بالملائكة نعمةٌ خفيَّة أظهرها الله تعالى لهم، وكم لله على عبده المؤمن من نِعَم ظاهرة جليَّة، ونِعَم مستورة خفيَّة، تستحقُّ جميعًا الشكر.

• ما من أحدٍ من خَلق الله إلا وهو إلى معيَّة الله جلَّ جلاله مفتقر، حتى الملائكةُ الكرام.

• الخَلقُ جميعًا إمَّا موفَّقٌ بتثبيت الله تعالى له، وإمَّا مخذولٌ بترك التثبيت؛ فلذلك لا يستغني عبدٌ عن تثبيت الله له طَرفةَ عين.

• كان المشركون أكثرَ عَددًا، وأكملَ عُددًا، ومع ذلك دبَّ الرعبُ في قلوبهم، من ثُلَّةٍ مؤمنة قليلة العُدَّة والعَدد؛ لأن الله هو الذي تولَّى إلقاءَ الفزَع في قلوب المشركين.

• الرعب جنديٌّ من جنود الله، يُلقيه سبحانه في قلوب أهل الباطل لينصرَ به أهلَ الحقِّ، وقد نصر اللهُ به رسولَه والمؤمنين.

• تعطيل وسائل القوَّة والتأثير عند الأعداء من أكبر أسباب هزيمتهم، فليُعمِل المسلمون الحكمة في معاركهم، فالرأيُ مقدَّم على الشجاعة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣﴾

• نصيبُ المؤمنين المتوكِّلين من الله التأييدُ والتثبيت، ونصيبُ المشاقِّين اللهَ ورسولَه الرعبُ والتشتيت.

• مُشاقَّةُ الله ورسوله متوعَّدٌ أهلُها بشدَّة العقاب في حياة رسول الله ﷺ وبعد مماته.

﴿ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤﴾

• ألا يكون للمشاقِّين لله ورسوله عِبرةٌ فيما جرى لأسلافهم؟ فكم ذاق متقدِّموهم من النَّكال والقتل والهوان بما كانوا يكسِبون!

• عذاب الدنيا لمَن يحارب اللهَ ورسوله على عظمته ونَكاله لا يُعدُّ شيئًا أمامَ عذاب جهنَّم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾

• مقتضى الإيمان بموعود الله عدمُ الفِرار عند الزحف؛ لأن الغاية إمَّا النصرُ وإمَّا الشهادة.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦﴾

• إن التراجع المنظَّم ليس تولِّيًا؛ ففرقٌ بين مَن يفِرُّ ليكُرَّ، ومَن يفِرُّ ليَسلَم ولو أُصيب أخوه، وفرقٌ بين مَن يفرُّ ليقوِّيَ فئةً يتحيَّز إليها، ومن يفرُّ لينجوَ ولو ضعُفت فئتُه.

• الفارُّ من الزحف ولو كان واحدًا، هو في المعركة كالجماعة، فلو أدبر لكان أثرُه في غيره كبيرًا، فهو يستحقُّ غضبَ الله وعذابه.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن
تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ
وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

الحزب ١٨

١٧٩

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ: وليختبرَ الله المؤمنين بنصره وسائر نِعَمِه.

• سبحان مَن يتفضَّلُ على عباده بحُسن البلاء، ثم يثيبُهم على ما وهبَهم! فالله عزَّ وجلَّ هو الذي يوصل الرمية إلى العدوِّ فتصيبُه، ثم يُنيلُ المؤمنَ أجرَ إصابتها.

• ينصر اللهُ أولياءه مع قِلَّتهم وكثرة عدوِّهم ليعرفوا حقَّه ويشكروه على نعمته، وذلك بعد أن يقدِّموا ما يقدِرون عليه ممَّا كُلِّفوه.

• سبحان من يسمعُ دعَواتِ عباده واستغاثتهم، ويعلم نيَّاتِهم وما في قلوبهم، وأنهم للإجابة والنصر أهلٌ فيستجيبُ لهم!

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

• البِشارة للمؤمنين بالنصر تتلوها بِشارةٌ بعاقبة أعدائهم، بأنَّ أمرهم إلى ضَعفٍ ووهن.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

تَسْتَفْتِحُوا۟: تَطلُبوا أيها الكفَّارُ من اللهِ أن يوقِعَ بأسَهُ بالظالمين.

• الاستفتاح بالشرِّ عاقبتُه على صاحبه، فالبلاءُ موكَّلٌ بالمنطِق.

• لو عقَل الكافرُ لأقصرَ عن نُصرة باطله؛ لأنَّ العاقبة للمؤمنين الذين يُعاديهم، وليست له.

• لا تكون الكثرة سببًا للنصر إلا إذا تساوت مع القلَّة في الثبات والصبر والثقة بالله تعالى.

• الكثرة والقوَّة لن تُغنيا الكافرين، مادام الله مع عباده المؤمنين.

• نظرَ كثيرٌ من الناس اليوم إلى أهل الباطل فيئسوا من نصر الله لهم، في ظلِّ قوَّة عدوِّهم، وتناسَوا قوَّةَ الله، ومعيَّتَه للمؤمنين، ووعودَه بإظهار هذا الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾

• إذا أردتَ مقياسًا على إيمان المرء فانظر طاعتَه لله ولرسوله ﷺ.

• السمع الذي ينفع هو الذي تنتج عنه استجابةٌ للحقِّ، أمَّا الذي لا يُفيد إجابةً فلا فائدة فيه.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

• الإعلان بالأخذ بالحقِّ من غير برهان عمليٍّ يبقى مجرَّدَ دعوى لا تُنجي من المهالك، ولا تُرضي اللهَ عن صاحبها.

• كم من الناس مَن إذا سمعَ موعظةً ظنَّ أنها لا تعنيه البتَّة، وإنما تعني غيرَه! فذاك سامعٌ لها بأذُنيه، مصروفُ القلب عنها، غيرُ منتفع بها.

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• إذا كانت الأسماعُ والأبصار والأفئدة قد خُلقَت للطاعة؛ ليكونَ صاحبُها من خير البريَّة، فاستعملَها في المعصية؛ فأين يكون؟! وما نفعُ تلك الجوارح إن لم تعمل لما خُلقت له؟!

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

• انقياد الإنسان للحقِّ دليلٌ على ما فيه من خير وبرٍّ، ومَن عَدِمَ الخيرَ في نفسه أعرض عن الحقِّ وحُرم نعمةَ الإيمان.

• الكِبْر والإعراضُ وفسادُ القصد متى اجتمعت في امرئٍ حجبَته عن قَبول الحقِّ، حتى ولو سمعَه وفهمه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• قال قتادة: (هو هذا القرآنُ فيه الحياةُ والثقة، والنجاةُ والعِصمة في الدنيا والآخرة).

• ما قيمةُ حياة البدَنِ ومعرفة ما ينفعُه وما يضرُّه، ما لم يكن صاحبُه ذا قلب حيٍّ يميزُ به الحقَّ من الباطل؟

• الحياة الحقيقيَّة هي في الاستجابةِ لله ولرسوله ﷺ، فمَن كان حظُّه من الاستجابة أوفى كان حظُّه من الحياة أتمَّ.

• مَن تثاقل عن الاستجابة فلا يأمننَّ أن يحولَ اللهُ بينه وبين قلبه، فلا يُمكِّنه بعد ذلك منها.

﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

• عن جريرٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من قوم يُعمَل فيهم بالمعاصي هم أعزُّ وأكثرُ ممَّن يعمله، ثم لم يغيِّروه، إلا عمَّهم اللهُ بعقاب».

• لا تختصُّ المصيبةُ بمباشِر الظلم، بل تشمَلُه وغيرَه بشؤم صُحبته، وتَعدِّي رذيلته إلى من يخالطه فيسكت عنه من غير عُذر.

• في الإخبار بشدَّة عقاب الله تعالى تحذيرٌ للمقيم على الظلم من استمراره على ظُلمه، وإصراره على معصيته، ودعوةٌ إلى التوبة منها.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى

وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ
فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

١٨٠

ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

• إذا نقلك الله من شدَّةٍ إلى رخاء، ومن بلاءٍ إلى نَعماء، فكن له حامدًا شاكرًا.

• الإيواء والنصرةُ والإخاء بين المؤمنين نِعَمٌ يَهونُ في ثناياها البلاء بعداوة الكافرين.

• انقُش نِعمَ الله عليك على جدار ذاكرتك، فإنك لن تزالَ شاكرا، ما دمتَ لله ولنِعَمه ذاكرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾

• كيف يخون اللهَ مَن يعلم أنه سبحانه لا تخفى عليه خائنةُ الأعين وما تُخفيه الصدور؟ وكيف يخون العبدُ رسولًا قد أرسله اللهُ لهدايته؟

• أشدُّ أنواع الخيانات خيانةُ التكاليف الشرعيَّة، ثم تعقُبها في القُبح بقيَّة الخيانات.

• يعظُم خطرُ المخالفة مع العلم بها، فإن صاحبَها يعرِّض نفسَه لتبِعَتها في الدنيا، وعاقبتها في الآخرة.

• العِلم إن لم ينفع يَضُر، فمن نفعِه أنه يحجُز صاحبَه عن المعصية، ومن ضَرره أن معصية العالِم أقبحُ من معصية الجاهل.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

فِتْنَةٌ: اختبارٌ وابتلاء؛ أتُطيعونَه وتشكرونه، أم تنشَغِلونَ بها عنه؟

• تفكَّر فيما وهبك اللهُ من مالٍ وولد، وانظُر كيف تتعاملُ معهما، متوخِّيًا في ذلك طاعةَ الله تعالى.

• جلَّ مَن يُرشد عبادَه إلى أن بعضَ مواهبه ابتلاء، ليتعبَّدَهم بالشكر والصبر، فينظرَ كيف بها يعملون.

• ليست الفتنةُ محصورةً في الحرمان والنقمة، بل منها ما يكونُ في الإعطاء والنعمة.

• إذا تذكَّر العبدُ ما عند الله من الثواب العظيم هانَ عليه ثِقلُ الابتلاء، ولم يفتتن بمتاع الدنيا الزائل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

• تظلُّ الطرقُ متشابكةً في النظر والفكر، ويبقى الباطلُ متلبِّسًا بالحقِّ، حتى يأتيَ نورُ التقوى فيزيحَ ظلمات الالتباس فيتَّضحَ الطريق.

• استقامتُك على أمر الله، واجتنابُك ما نهاك عنه، يكفِّرُ عنك ذنوبَك، وكفى بذلك منفعة.

• ما أحسنَ موقعَ الفضلِ من قلب الإنسان! فكيف بفضلٍ واهبُه اللهُ الكريم، ووصفَه بأنه جليلٌ عظيم؟!

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

لِيُثْبِتُوكَ: ليَحبِسوك.

• أهل الباطل لا ينامون عن مُعاداة الحقِّ وأهله بأفكارهم وأعمالهم، فهم لا يدَعون وسيلةً يرون أنها تُزهقُ الحقَّ وتضرُّ أهلَه إلا اتَّبعوها.

• إنَّ مكرَ الكافرين يشمَل كلَّ ما يمتُّ إلى الإيمان بصِلة، فهم يمكُرون برسول الإيمان، وبما جاء به، وبمَن اتَّبعه وسار على هديه.

• مهما بلغ مكرُ أهل الباطل فلن يستطيعوا محاصرة الحقِّ أو إطفاءَ جذوته، فإنَّ مكرَ الله من ورائهم، وهو محيطٌ بهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾

• دعاوى أهلِ الباطل عريضة، فلا تغترَّ بها؛ فإن حالَهم على خلاف ذلك.

• ما يزال أهلُ الباطل اليوم يجترُّون تُهمَ أسلافهم لأهل الحقِّ، فيرمون المصلحين بعبارات التشويه والتنفير من الرجعيَّة والأصوليَّة، والقراءة من أوراق بالية.

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

• النفوس عندما تنقادُ للأهواء وتأخذُها العزَّة بالإثم ترى الباطلَ حقًّا، وتُؤثِرُ العذابَ على الخضوع للحقّ.

• مَن كان جادًّا في البحث عن الحقيقة عند غيابها أو اشتباهها فسيقول: إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فاهدِنا اللَّهمَّ إليه.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

• من كرامة الرسول الكريم ﷺ عند ربِّه سبحانه أن منع العذابَ عن الأمَّة لكونه فيهم.

• عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (إن الله جعل في هذه الأمَّة أمانَين؛ لا يزالون معصومين من قوارع العذاب ما داما بين أظهُرهم، فأمانٌ قبضَه الله تعالى إليه، وأمانٌ بقي فيكم).

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ
فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ
ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟
فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

١٨١

عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

• إن مَن يستحقُّ العقوبةَ قد تتأخَّر عقوبتُه العاجلة لمانعٍ ما، لا من قِبَله ولكن من قِبَل غيره.

• ليس وليَّ الحرم مَن قاربه حسًّا وفارقه معنًى، أو داناه جسمًا وباعدَه روحًا، بل أولياؤه هم أهلُ التقوى وتعظيم الحَرَم، قرُبوا أو بعُدوا.

• كم من مدَّعٍ لا تُصدَّق دعواه، حين لم يتحلَّ بالتقوى ولم يلتزم بالشريعة.

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

مُكَآءً: صفيرًا.

وَتَصْدِيَةً: وتصفيقًا.

• مَن له خِبرةٌ بحقائق الدين وأحوال القلوب، يعرف أن سماع المُكاء والتصدية لا يجلِبُ للقلب منفعة، بل هو للروح كالخمر للجسد، يفعل في النفوس أعظمَ ممَّا تفعله الكؤوس.

• مَن كان الكفر ذنبَه أذاقه الله العذابَ الوبيل، ولم ينفعه التضليلُ والأباطيل، وإن زعم أنها قُرُباتٌ وصلوات.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

حَسْرَةً: ندامةً.

• لا يزالُ الذين كفروا في كلِّ زمان يبذُلون من أموالهم ما يصُدُّون به عن الحقِّ، وينشرون به باطلَهم.

• أليس المؤمنون أولى ببَذل أموالهم وأنفسِهم في سبيل الله، وهم يعلمون ما لهم بها من سعادة الدارَين؟

• العمل الذي يُراد به معاداةُ الله تعالى، والصدُّ عن سبيله؛ مهما أُتيحَ له من مقوِّمات النجاح في الدنيا فمآلُه إلى الإخفاق والخسار.

• على الذي يُنفِق مالَه في محاربة دين الله أن يتفكَّرَ أن ما يفعله سيجلب له الخيبةَ والعذاب، ولن يصلَ إلى غاية هدفه مهما بذل.

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

فَيَرْكُمَهُۥ: فيجعلَه مُلقًى بعضُه فوق بعضٍ.

• الخبيث وإن اختلفت أصنافُه، سيُجمَع يوم القيامة مع أهله في مكانٍ واحد؛ ليكونَ عذابًا عليهم، فيُميَّزون بذلك عن المؤمنين ونفقاتهم الطيِّبة.

• ما أشدَّ خسارةَ مَن ذاقوا الحسرةَ والهزيمة في الدنيا، وذاقوا عذابَ جهنَّم في الآخرة!

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ: طريقتُنا في عقوبة مَن كذَّب واستمرَّ على كفره.

• ما أعظمَ الإسلام! فمهما ارتكب الكافرُ من جرائم، وعمل من مآثم، فإنها جميعَها تهدِمُها كلمةُ التوحيد الصادقةُ منه، ليبنيَ بعدها صرحًا نقيًّا، غيرَ متدنِّسٍ بالماضي.

• يا له من ترغيبٍ للكافر بأن يُسلِم، ويا لها من تسليةٍ لمَن أسلم؛ بأنه لا ملامةَ عليه ولا ذمَّ!

• مضت سنَّةُ الله التي لا تتخلَّفُ أن يعذِّبَ المكذِّبين بعد التبليغ والتبيين، وأن يرزقَ أولياءه النصرَ والعزَّ والتمكين.

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

فِتْنَةٌ: شِركٌ، وصَدٌّ عن سبيل الله.

• لن تنجوَ البشريةُ من أنواع الفتن، ولن يَسلمَ الإنسانُ في الأرض، إلا حين يكون الدينُ كلُّه لله، فلا يكون هنالك خضوعٌ لسلطانٍ سواه.

• ليس للمسلمين عِلمٌ ببواطن الكافرين المنتهين عن الكفر، المقبلين على الإسلام، فلهم منهم الظاهر، واللهُ تعالى هو الذي يتولَّى السرائر.

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾

• لا يحزنُ المؤمنون من إعراض الكافرين عن الإسلام فيخافوا من ذلك الضعفَ والقِلَّة؛ فإن اللهَ بوَلايته ونصره لهم هو الغني عن كلِّ قوَّة ونصرة.

• نِعمَ الربُّ ربُّنا؛ لو أطعناه كما أمرَنا، لما تخلَّى عن عوننا ولنصرِنا.

الجزء العاشر | سورة الأنفال

الجزء ١٠ الحزب ١٩

۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن
كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ
يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ
أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ
أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ
وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ
هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ
وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ
يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ
فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ
فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾

١٨٢

﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

- الإيمان بالله تعالى وآياته يوجبُ العملَ بالعلم، والرضا بالحُكم.
- توزيعُ غنائم الجهاد حيث شاء اللهُ دليلٌ على أن الجهادَ شُرع لأغراضٍ سامية لا تَلهثُ خلفَ المال، ولكنَّها تُديره إدارةً حسنة لتحقِّقَ مقاصدَه الشرعيَّة.
- كم حرَص الإسلامُ على ضعفاء المجتمع! فقد أعطاهم من الغنيمة ليُعينَهم، وليقومَ بمصالحهم حيث فُقدَ مَن يقوم لهم بها.
- العبودية لله تعالى وحدَه هي أعلى وسام شرفٍ يناله الإنسانُ عند الله، فقد وُصِف به خيرُ خلقه في أعظم المقامات.
- لمَّا كان النصرُ من عنده وحدَه سبحانه، فإن الغُنم هو بفضله وحدَه، فكيف لا يكون الحُكم فيه له وحدَه؟!
- حين كان ربُّنا هو الناصرَ والقادرَ والغنيَّ عن عباده، فإنه يجب أن يُطاعَ أمرُه، ولا يُخالَفَ حكمُه.

﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا: بجانبِ الوادي الأقربِ إلى المدينة.

بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ: بجانبِ الوادي الأبعَد.

- ذكَّر الله عبادَه المؤمنين بالمكان الذي كانوا فيه مع أعدائهم؛ ليتذكَّروا نعمتَه عليهم فيشكروه عليها، وكم نعمةٍ يذكِّر بها مكانُها!
- لو تأمَّلت كلَّ جزئيَّةٍ من جزئيَّات المعركة لوجدتَ فيها دَلالاتٍ عظيمةً على أن تدبير الله كان فوق كلِّ تدبير.
- إذا أراد الله قضاءَ أمرٍ هيَّأ له أسبابَه، ويسَّرها وقرَّبها، ولا يقفُ في طريق إرادته شيء.
- إن وقوع المعركة بين الحقِّ والباطل، واستعلاءَ سلطان الحقِّ في الواقع بعد استعلائه في الضمائر؛ يُعينُ على جلاء الحقِّ وإزالة اللَّبْس.
- إن الله تعالى رحيمٌ بعباده، يحبُّ لهم إقامةَ البيِّنة، فيقيمُها لهم؛ لئلَّا يعذِّبَهم، وهم معذورون بعدم وصول الحجَّة إليهم.
- كيف تخفى على الله تعالى أعمالُ عباده وأقوالُهم، وهو السميعُ الذي وسعَ سمعُه جميعَ الأصوات، والعليمُ الذي يعلم السرَّ وأخفى؟!

﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

لَّفَشِلۡتُمۡ: لجَبُنتُم وضعُفتُم وتردَّدتُم.

- ما ألطفَ تدبيرَه سبحانه لعباده المؤمنين! يسخِّرُ لنصرهم أسبابًا حتى في منامهم؛ ليَربِطَ على قلوبهم، ويورثَهم الإقدامَ على لقاء أعدائهم.
- لم تكن هذه الرؤيا من رسول الله ﷺ كرؤى غيره، بل كانت بِشارةَ حقٍّ من ربِّه؛ لأن رؤياه عليه الصلاة والسلام حقٌّ، وتأويلها حقٌّ.
- إن تهوينَ قوَّة العدوِّ له أثرٌ في تقوية النفوس، وليست النفوس القويَّة في المعركة كالضعيفة الخائرة، فمَن أراد نجاحًا فليقوِّ من العزائم، وليعزِّز من الثقة.
- ما يكونُ في الصدور ممَّا يدفعُ الناسَ عن الإقدام فاللهُ عليمٌ به وبعلاجِه، فينفث في الصدور ما يطمئنُها، ويزيل منها الخوفَ ويثبِّتها.

﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

- جرت حكمةُ الله في ترتيب أمورِ الحياة على أسباب؛ ففي غزوة بدر قلَّل الله كلَّ فريقٍ في نظر الآخر؛ حتى يُتمَّ نصرَه لجنده المؤمنين، وهو قادرٌ على نصرهم بلا أسباب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾

- لقاء الأعداءِ في مَيدان الحرب يحتاج إلى ثباتٍ ومصابرة؛ لأن المسلم المقارعَ للعدوِّ يمثِّل مَن وراءه من المسلمين، وبثباته يعلو صرحُ الدين، ومثل ذا في ميادين الفكر.
- إذا كانت كثرةُ الذِّكرِ مطلوبةً والعبدُ أشغلُ ما يكون قلبًا، وأطيَشُ ما يكون لُبًّا، فما الذي ينبغي أن يكونَ عليه حالَ الرخاء؟!
- للهِ درُّ المحبِّ الذي لا ينسى محبوبَه جلَّ جلالُه، وإن كان المحبُّ في خطر؛ ذلك أنه أغلى عليه من نفسه وأعزُّ، أليس في سبيله يجاهد؟
- لولا أن ذكرَ الله والصلاةَ هما من أحبِّ الأعمال إلى الله لما أمر بهما عبادَه عند القتال.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا
تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ
تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

فَتَفْشَلُوا: فتضعفوا وتجبُنوا.

- طاعة اللهِ ورسوله أعظمُ عُدَّةٍ في ساحة المعركة، وهي طاعةٌ وبركةٌ وقربة.
- إذا استسلم الناسُ لله ورسوله انتفى الهوى الذي هو سببٌ للنزاع الذي يجعل كلَّ صاحب وجهة يُصرُّ عليها، ولو تبيَّن له وجهُ الحقِّ في غيرها.
- قوَّة المؤمنين وعزُّهم في ائتلاف قلوبهم، واجتماع كلمتهم، فإذا تنازعوا فيما بينهم، ودبَّ فيهم الشِّقاق، تبدَّدت قوَّتُهم، ووهنَت عزيمتُهم، وآلت حالهم إلى هزيمةٍ وهوان.
- أيُّ بيانٍ لفائدة الصبر أبلغُ من إثبات معيَّة الله تعالى لأهله؟! ومَن كان الله معه فكيف يُهزم؟!

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

- المسلم حين يخرجُ يجاهد يظلِّله التواضع والإخلاص، وإرادةُ فسح الطريق أمام دين الله، وليس حالُه كحال المشركين الذين يخرجون متكبِّرين مُرائين، قاصدين الصدَّ عن دين الله.
- الاغترار بالنفس والإعجابُ بالقوَّة لا يُحمَد في التدابير الحكيمة، خصوصًا في مصاولة العدوِّ، بل العاقل يقدُر قدرَ خصمه، ويأخذ نفسَه معه بالحزم، مع ثقته بربِّه.
- كيف يُفسِد المرءُ ظاهرَه بالبطَر، وأعمالَه بالرياء، وهو يعلم أن الله محيطٌ بأعماله، عالمٌ ببواعثها؟!

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

جَارٌ لَّكُمْ: مجيرُكم وناصِرُكم.

- لولا أن الفِطرَ السويَّة لا تستجيبُ لما هو ظاهرُ البطلان لَمَا سعى الشيطانُ إلى تزيينه.
- لا تغترَّ بتزيين الشيطان المعصيةَ فإنه سَرْعانَ ما يتلاشى تزيينُه لها، ويتخلَّى عن فاعلها، ويشمَتُ به بعد أن يقعَ فيها، وتناله مضارُّها.
- لن يكتفيَ إبليسُ بالتخلِّي عن أتباعه بعد أن أوردَهم المهالك، بل سيعلنُ البراءةَ منهم لينجوَ برأسه، وهيهات أن ينجو.
- إذا أيَّد الله أهلَ الإيمان بقوَّة من لدُنه خارت أمامها كلُّ القوى، فلا يدفعها حينئذٍ بأسٌ ولا شدَّة، ولا عددٌ ولا عُدَّة.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

- أيها المؤمنُ، إن ما تؤمنُ به على وجه اليقين قد ترى مَن يعُدُّه غرورًا، فلا تلتفت إلى تلك الموازين الفاسدة.
- هناك قومٌ يائسون بسبب الانهزام النفسيِّ والانبهار بالكفَّار، فإذا وُجِدَت في الأمَّة بعضُ عوامل النهوض قلَّلوا من شأنها، وسخِروا منها!
- كم منافقٍ يزرعُ الوهنَ بين الناس في الأزمات! وما أحوجَ المؤمنَ حينئذٍ إلى التوكُّل والثبات، وتذكُّرِ أن الله عزيزٌ حكيم عظيم!
- ثِق بفضل الله تعالى وقدرته، وعوِّل على إحسانه ومعونته؛ فإنه بعزَّته وبحكمته حافظُك وناصرك ممَّا تخاف سوءَ عاقبته.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾

- المتكبِّرون عن الحقِّ اليوم، سيُقادون إلى العذاب أذلَّاءَ صاغرين غدًا، ويا فوزَ مَن نأى عنهم.
- يترقَّى العذابُ بالذين كفروا من الأدنى إلى الأعلى حتى يزدادَ ألمُهم؛ فالملائكة يضربون وجوهَهم وأدبارَهم عند الاحتضار، ويبشِّرونهم يومَ القيامة بعذاب النار.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾

- سبحانه من حكَمٍ عدل بين عباده، تنزَّه عن الجور والظلم؛ فلا يعذِّبهم إلا بما قدَّمت أيديهم.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾

- إن سُنَّة الله التي يمضي بها قدَرُه، ويجري بها حُكمُه، أن العذاب يصيبُ مَن حاد عن سبيله ممَّن تقدَّم أو تأخَّر.
- قوَّة الله وشدَّة عقابه تردع كلَّ مَن له عقلٌ أن يقعَ في مَساخطِه أو يتجاوزَ ما حُدَّ له، فأين العقلاء؟!

الجزء العاشر — سورة الأنفال

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ
﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ
مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم
مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ
خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ
﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ
تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ
لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ (الحزب ١٩)
فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾

١٨٤

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾

- إذا أنعمَ الله على قومٍ بنعَم ثم لم يشكروه عليها، بل بارزوه بالعصيان، فاعلم أن الله أراد أن يسلُبَهم إيَّاها، ويبدِّلَها بالنقم.
- من عقوبات الذُّنوب أنها تُزيل النِّعَم، وتُحِلُّ النِّقَم، أجارنا الله منها.
- لا يَسلُب اللهُ أحدًا نعمتَه إلا بعد أن يغيِّرَ العبدُ نيَّته، ويبدِّلَ سلوكَه وأفعالَه؛ فإن الله يعلم خفايا النفوس، وتقلُّبات الأحوال.

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

- إنه وإن أمهلَ سبحانه المكذِّبين الجاحدين، فإنه يوشكُ أن يُنزلَ بهم عذابَه، فتلك سنَّةٌ له ماضية لا تتخلَّف، فالإمهال لا يعني الإهمال.
- الظلم على اختلاف أنواعه بابُ الهلاك، ومسلكُ الوَبال، وطريقُ الزوال.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾

- إن الكفرَ بالله يحُطُّ صاحبَه في مرتبةٍ أدنى من مرتبة عجماوات الدوابِّ؛ لأن فيها منافعَ للناس، وهو لا نفعَ منه، بل شرٌّ وشؤم.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾

- حين يكون نقضُ العهد عادة، وليس هفوةً يرجعُ عنها الناكث؛ يكون الوعيدُ عليه شديدًا.

﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

- مَن لا يأمن الناسُ عهدَه ولا أمانَه، فجزاؤه أن يُحرَم الأمانَ والسَّكينة والاطمئنان.
- لا بدَّ للدين من هيبةٍ وقوَّة وسطوة تزلزلُ الطواغيت؛ ليبسُطَ جناحَ العدل والرحمة على الأنام، ويحرِّرَ الإنسانَ من عبودية العباد إلى عبودية ربِّ العباد.
- العقوبات على المعاصي تَزجرُ فاعلَها فلا يعودُ إليها، وتنبِّه غيرَه فتنفعُه إن اعتبر.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

عَلَىٰ سَوَآءٍ: لتكونوا وإيَّاهم مُستوين في العلم بأنه لا عهدَ بينكما.

- الإسلام دينُ الأمانة، وليس للخيانة فيه مكانٌ حتى مع الأعداء، فإذا خاف الخيانةَ من غيره نبذَ العهدَ القائم جَهرةً وعلانية، من غير خَونٍ ولا غدرٍ ولا غِش.
- لو تريَّث الولاةُ فيما يُخشى وقوعُه لعرَّضوا الأمَّة للخطر؛ لذا كان من الحكمة في شؤون السياسة والحرب ألا يُنتظرَ حصولُ المظنون.
- للعهود حرمتُها، والمؤمنُ أحرى برعايتها، وهو أولى الناسِ بعدم الاعتداء عليها؛ لأنه يطلب محبَّة الله، والله لا يحبُّ الخائنين.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

- لا تغترَّ بحِيَل الكافرين ولا بقوَّتهم، فإنما هم في قبضة الحقِّ، متى شاء أخذَهم، وإذا أخذهم لم يُفلتهم.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

- لا ينبغي للأمَّة المسلمة أن تقعدَ عن سببٍ من أسباب القوَّة يدخل في طاقتها، بل عليها أن تبذُلَ في تحقيقه كلَّ ما في وُسعها.
- لو شاء اللهُ لهزم الأعداءَ دون تدخُّلٍ من البشر، لكنَّها حكمتُه تعالى في ابتلائه؛ ولذا أمر عباده بالإعداد، ووعد الصابرين والمتَّقين بالإمداد.
- لكلِّ زمانٍ عُدَّتُه وقوَّته التي تُرهبُ العدو، فالخيل قوَّةُ الأمس، والعلم والصناعة والتِّقانة قوَّةُ اليوم.
- إنما كان الاستعدادُ للحرب ليَرهبَ الأعداءُ والمتربِّصون، فيكُفُّوا شرَّهم عن الإسلام وأهله، وليكونَ المسلمُ مع غيره في سلام، لكنَّه سلامُ عزٍّ لا ذلّ.
- الإنفاق في إعداد القوَّة الإسلاميَّة إنفاقٌ في سبيل الله، ولا يمكن الوصول إلى تحقيق القوَّة المرجُوَّة إلا بإنفاق الكثير من المال، وذلك الإنفاقُ في ميزان حسناتِ أصحابه.

﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

- طلبُ العافية مَطلوبٌ كلَّ وقت، فإذا كان الكفَّارُ هم المُبتدئين في ذلك بصدق، ومن غير ضررٍ على الإسلام والمسلمين، أُجيبوا إلى ذلك.
- ما أحوجَنا إلى التوكُّل الصادق على الله في صلحِنا مع الأعداء؛ لأن الله وحدَه هو الذي يعلم نيَّات الأقوام، ويسمع أقوالَهم.

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ
بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ
صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ
أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ
ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ
مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ
مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩

١٨٥

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾

• أيها المُحقّ، إن خِفتَ مكرَ المبطِل بك، فثِق بالله ربّك، فإنه يكفيك ذلك الكيد.

• في زمان الخداع ومكانه لا أنجى من التوكُّل على الله، وتعليقِ القلب به، مع العمل بالحسِّ الأمنيِّ المشروع والأخذ بالأسباب، وبذلك يأمَن المؤمنُ من مكر أهل الباطل.

• يتكفَّل اللهُ بنصر عباده المؤمنين بتدابيرَ خفيَّةٍ أو ظاهرة، فما أحسنَ الثقةَ بالله مع الأخذ بالأسباب لنيل ذلك التأييد العظيم!

• يا له من شرفٍ عالٍ للصحابة الكرام، وشهادةٍ عزيزة من الله لهم، بأن جعل تأييدَهم للرسول ﷺ عَقيبَ تأييد الله له!

﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾

• قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: (إن الرَّحِمَ لتُقطَع، وإن النعمة لتُكفَر، وإن الله إذا قارَبَ بين القلوب لم يُزَحزِحها شيء).

• القلوب هي محطَّةُ التآلف أو التخالف، فمتى تآلفت أو تخالفت تبعَتها الجوارحُ والأعمال.

• حين تخالِط العقيدة القلوبَ تستحيل إلى مزاجٍ من الأُلفة، فتُلَيِّنُ القاسيَ منها وترقِّقُه، وتربطُ بينها برباطٍ وثيق عميق رفيق.

• إن أعجزَ هذا التأليفُ لعظمَته البشر، فإنه لا يُعجِز ربَّ البشر سبحانه؛ لأنه تعالى لا يُعجزه شيء، فالأمر إليه، والقلوب بين يديه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾

• بإيمانك بالله واتِّباعِك لرسوله ﷺ يكفيك اللهُ ما أهمَّك من أمر دنياك وآخرتك، وينصرُك على أعدائك.

• على قدر اتِّباع العبد للنبيِّ ﷺ تكون كفايةُ الله تعالى له.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾

حَرِّضِ: بالغ في الحثّ.

• إن المؤمنين وإن كانوا في العدد كثيرين، إنهم بالإيمان أكثرُ وأقوى وأثبت، وهم بالصبر والعزيمة أعظمُ وأشدُّ، فالقوَّة قوَّة الجَنان بالصبر والإيمان، وإن قلَّ العدد.

• أيها القائد، لا تدَع الضعيفَ الجبان الخوَّار يجعل الوهنَ يَدِبُّ بين عساكرك، فانتقِ الصابرين، وتخيَّر الثابتين.

• كيف يفقهُ الكافر كراماتِ اللهِ لأوليائه وهو قد أهملَ النظر وعطَّل الفِكر، ولا يؤمنُ إلا بما ظهر من الأسباب؟!

• أوَّل الاستعداداتِ في المواجهة: الفقهُ عن الله، فمَن عرَف نُبلَ المبدأ الذي يقاتل لأجله تصبَّر؛ فالعقيدةُ العسكريَّة لها أثرٌ في الثبات.

﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾

• ما أهونَ شأنَ الكفَّار في القتال لو استكمل المسلمون عُدَّةَ الإيمان!

• إن الغلبة لا تكون إلا بإذن الله، فليَركَن الإنسانُ إلى ربِّه إن أراد النصر والظفَر.

• معيَّة الله تعالى المقتضية للنصر جائزةُ اللهِ لعباده المؤمنين الصابرين.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾

• الغنيمة متاعٌ دنيويٌّ زائل، والإثخانُ في الكفَّار أجرٌ أخرويٌّ باقٍ، والله يؤثِرُ ما يُفضي إلى السعادة الباقية على السعادة الزائلة.

• الله تعالى عزيزٌ ينصر أولياءه على أعدائه، وحكيمٌ يعلم ما يليقُ بكمال حالهم ويخصُّهم به، ويحبُّ لعباده أن يكونوا أعزَّةً حكماء.

﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾

• خطرُ مخالفة الواجب الشرعيِّ عظيم، فعلى المسلم أن يتحرَّى في اجتهاده الصوابَ ولا يُقصِّر؛ فإن التقصير فيه قد يؤول إلى العقوبة.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩﴾

• إن التقوى لتحمِلُ صاحبَها على امتثال أمر الله، وعدمِ الإقدام على ما لم يأذن به، وعلى ترك المشتبِهات، والأمور المنكرات.

• الأكلُ يحتاج إلى حارس من التقوى يُدخِل ما حلَّ، ويمنع ما حرُم.

• لا بدَّ من توازن المؤمنِ في مشاعره، وجمعِه بين نصوص الوحي؛ فلا تغرُّه المغفرةُ والرحمة فتنسيَه التقوى والمخافة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ
مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ
وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ
وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ
بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥

١٨٦

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾

• إن الإسلام ليستبقي الأسرى لديه، ليلمِس في قلوبهم مكامنَ الخير، وليوقظ في فِطرتهم أجهزةَ الاستقبال والاستجابة للهدى والخير.

• القلب هو محلُّ نظر الربِّ تبارك وتعالى، فاحرِص على ألا يرى فيه إلا خيرًا.

• ما أعظمَ الإسلامَ! لقد جاء لإنقاذ البشريَّة وتهذيبها، لا لإهلاكها وتعذيبها، فهؤلاء أسرى كفَّار جاؤوا يحاربون الله ورسوله، والله يأمر نبيَّه بوعظهم، وحضِّهم على الخير.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١﴾

فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡ: أقدرَك عليهم ونصرَك.

• إنما تحكم الشريعةُ على الناس بما يظهرُ منهم، أمَّا ما خَفِيَ ويُخشى من قِبلهم فلا يؤاخذون به حتى يُبدوه، مع الأخذ بالحِيطة والحذَر.

• مَن درجَ على الخيانات الكبيرة فلن يُبالي بالخيانات الصغيرة، فلا غرابةَ فيمَن يخون البشر بعد خيانته ربَّ البشر.

• ما أعظمَ دِقَّةَ القرآن في اختيار الألفاظ! فجزاءُ الخيانة قابلَه بالإمكان لا بالخيانة؛ لأن الخيانة مذمومةٌ مطلقًا.

• كيف لا يطيع العبدُ ربًّا عليمًا حكيمًا لا يدعوه إلا لما ينفعُه، ولا ينهاه إلا عمَّا يضرُّه؟

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾

• القرب من الله والعملُ الصالح ميزانٌ يوالى من أجله الناس، فبمقدار نصيبهم من ذلك اجعل نصيبَهم من وَلايتك ومحبَّتك.

• الأموال قِوامُ النفوس وعُدَّة الحياة، فمَن بذل نفيسَ مالِه في سبيل الله سهُلَ عليه أن يجودَ بنفسه بعد ذلك.

• تفتح أرضُ الإسلام ذراعيها لكلِّ راغبٍ في الدين، وتخوِّله حقوقَ أصحاب الأرض، وتمنحُه مقتضَيات الوَلاية والنصرة.

• الإسلام دينُ الوفاء مع المسلمين ومع الكافرين، فللمسلِم على أخيه حقُّ النصرة، وللميثاق الصحيح مع الكافر لزومُ الأداء.

• ألا يدعوك علمُك بأن الله يبصرُ عملَك إلى فعل ما حثَّك عليه، وتحرِّي رضوان الله فيه، من الإيمان والهجرة، والجهاد والنصرة، والبذل والإنفاق؟

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾

• أهلُ الحقِّ أولى من أهل الباطل بالائتلاف، ونبذ الفُرقة والاختلاف، ومن عجبٍ أن يكون الشأنُ على خلاف ذلك!

• لو تُركت موالاةُ المؤمنين ومعاداةُ الكافرينَ لاختلط الحقُّ بالباطل، والمؤمن بالكافر، وتوقَّف الجهادُ والهجرة، وتعطَّلت بعض شعائر الدين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾

• مَن لم يكن محقًّا في دينه، قويًّا في إيمانه، فلن يتحمَّل تركَ ما خالف الإسلامَ من الأديان، ومفارقةَ الأهلِ والأوطان، وبذْلَ النفس والمال في سبيل الله.

• اعلم أيها المسلمُ أنك إن كنتَ ذا ذنوبٍ غِزار، وسيِّئاتٍ كِبار، ففي الهجرة والجهاد في سبيل الله ونُصرة المستضعَفين وإيوائهم ما يكفِّرُها.

• هنيئًا لمَن آثرَ مراضيَ الله على لذَّاته الجسديَّة، وأهوائه الدنيويَّة، بما سيكرمُه الله به من السعادة الأبديَّة، في الحياة الأخرويَّة.

• خير الناس بعد رسول الله ﷺ صحابتُه الكرام، فطوبى لمَن أنزلهم في نفسه المنزلةَ العالية من الحبِّ والتوقير والإعظام.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾

• سنَّة الله ماضيةٌ بالتدافع بين الحقِّ والباطل، وأسبابُ الجهادِ والهجرة، والإيواءِ والنصرة ما زالت تتجدَّد؛ ليحصُلَ الابتلاء ويتلوه الاصطفاء.

• اعتنى الإسلام بالأرحام، وأعطاها حقَّ الصلةِ والإكرام، حتى جعل أولويتَها كائنةً في كتاب الله، أي في حكمه.

• ما أجملَ ختمَ سورة الأنفال باسم الله العليم! فقد تضمَّنت السورة أحكامًا كثيرة من مهمَّات الدين، ووصايا عديدة لإصلاح أحوال المسلمين، وصفةُ العلم تجمع ذلك كلَّه.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١ ﴾

• موافقةُ اللهِ ورسوله ﷺ هي عنوانُ الإيمان بهما، فالبراءةُ ممَّن تبرَّأ اللهُ ورسوله منهم برهانُ التصديق، والإيمان العميق.

• لا ينبغي لمؤمنٍ أن يبقى على صلةٍ مع قوم برئَ اللهُ منهم ورسولُه، ألا تراه افتتح السورة بالبراءة، ثم أكَّدها مرَّة أخرى؟!

• البراءة لا تكونُ من الشِّرك وحدَه، بل من حمَلته كذلك من المشركين، قاصيهم ودانيهم.

﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ٢ ﴾

• الإسلام بابُ رحمةٍ وهداية، يتيح للمشركين مهلةً للتروِّي، ويرغِّبهم في التوبة عن الشِّرك، ويرهِّبهم من التولِّي عن الهدى، ويئيِّسهم من جدوى الضلال الذي يعيشون فيه.

• فليطمئنَّ المؤمنون بأن اللهَ مخزي الكافرين لا محالة، وأن الذين يتولَّون عن الله فلن يُعجزوه، ولن يُفلتوا من عذابه المُهين.

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ ﴾

وَأَذَٰنٌ: إعلامٌ وإنذار.

• إذا قضى الله تعالى أمرًا فلا يتردَّد فيه مسلمٌ ولا يتهيَّب، ولا يتحرَّج من الإعلان به، وقَبول ما يحتويه، والعمل بما فيه.

• لا يأمننَّ عاصٍ عقابَ الله وإن أمهله، ولا يظنَّنَّ أن تدبيره يُخرجه من قبضة الحقِّ؛ فإن اللهَ لا يُعجزه شيء.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٤ ﴾

لَمْ يَنقُصُوكُمْ: لم يخونوا العهد.

وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟: ولم يُعاونوا.

• جزاءُ الوفاء الوفاء، فمَن عاهد من الكافرين فالتزَم بعهده، ولم يسعَ في نَكثه فليس على المسلمين إلا الوفاءُ بميثاقه.

• إن قاعدة الأخلاق في الإسلام لا تقوم على المنفعة، ولا على العُرف المتغيِّر حسَب المصالح، بل هي تخلُّقُ المؤمنِ بما يحبُّه ربُّه ويرضاه، ولو فاتت معها بعضُ المصالح الشخصيَّة.

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥ ﴾

ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ: الأشهُر الأربعة التي أمَّنتُم فيها المشركينَ، بدأت يومَ النحر، وانتهَت في العاشر من ربيع الآخِر.

• على المسلمين اليقظةُ في معاملة العدوِّ، وحراسةُ المراصد التي يُخشى تسلُّلُ الأعداء منها، فليس أخو الحاجات مَن بات نائمًا.

• التوبة النصوح مَطهرةٌ عامَّةٌ لكلِّ ذنب، فمَن امتلأت صفحتُه أذًى ومحاربة، وفتنةً ومخالفة، فليتُب إلى ربِّه، وليستقِم على شريعته.

• لقد جعل اللهُ في التوبة والصلاة والزكاة مخرجًا لمَن ضُيِّقت عليه الخيرات، وأُلقيَ في صنوف الآفات.

• فضيلةٌ ظاهرةٌ للصلاة والزكاة في حفظ دماء الناس وأموالهم، فما أعظمَ أن تُراعى حرمةُ المصلِّين المُزكِّين!

• إن التوبة لا تكون توبةً مقبولة حتى يُبرهَن عليها بأعمالٍ صالحة تدلُّ على صدق صاحبها.

• ينال التائبون مغفرةَ الله رحمةً منه بهم، لا بمجرَّد عملهم؛ فالحمد لله على رحمته عبيدًا

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ٦ ﴾

سورة التوبة

نصف الحزب ١٩

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى
ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ
وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا
وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ
فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟
ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥ وَإِنْ أَحَدٌ
مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ
ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ٦

• الإسلام دينٌ عظيم، يعطي الأمانَ لمَن تؤمَنُ حربُهم وكيدهم، ويتيح لهم فرصةَ سماع القرآن؛ لعلَّ قلوبهم تتفتَّح وتستجيب.

• ما أعظمَه من دين يحرُس مَن آذى المسلمين، وفتَنهم وعاداهم سنين، حين يستجيرُ بأهله! حتى يبلُغَ مأمنَه خارجَ حدود دار الإسلام!

• الإسلام إعلامٌ لمَن لا يعلمون، وإجارةٌ لمَن يستجيرون، فإن حالَ بين الأفراد وسماع كلام الله حائلٌ دعا داعي الجهاد لإزالته.

• النظر في كلام الله أعلى المقامات، حتى الكافرُ الذي أُهدِرَ دمُه يأمنُ حين يطلبُ النظرَ فيه من أجل الاستهداء به، بل يجب إبلاغُه مأمنَه.

• اعلم أن ما تقرؤه هو كلامُ الله، بمعانيه وألفاظه، وهذا يوجب مزيدَ تعظيمِه وإكرامه.

• سببُ اطِّرادِ عدم العلم بالحقِّ في المشركين نشأتُه عن الفكرة الجامعة لأشتاتِهم، ألا وهي عقيدةُ الشِّرك.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟
لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾
كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا
ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن
سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن
تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى
ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن
نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ
فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ
وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

١٨٨

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾

• مَن رهنَ نفسَه للهوى والشيطان، وبدأ بنفسه فخانها وغشَّها، غيرَ ناظرٍ في مصلحة، ولا مفكِّرٍ في عاقبة، فكيف يُؤتمَن على شيء؟!

• ليس من خُلق المؤمن أن ينزِعَ يدَه من عهد، ما لم تظهر على المعاهَد أماراتُ الغدر والخيانة، فأهلُ الإيمان أولى الناس بالاستقامة.

• الاستقامة على الوفاء بالعقد مَنشؤُها في الإسلام تقوى الله تعالى، وطلب محبَّته، وليس المنفعة والضعف.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾

إِلًّا: قرابة.

• مَن كان يريد انتهازَ الفرصة ليَغدِرَ في العقد، فإنه لا يُرجى منه دوامُ عهد، وأشباهُ هؤلاء بالبراءة أحرياء، لكونهم غيرَ أوفياء.

• عند نَيل القوَّة أيًّا كانت تظهر أخلاقُ الناس وخبايا نفوسهم؛ خيرًا أو شرًّا.

• مهما أظهر العدوُّ من لين القول فلا تغترَّ به؛ فإن كلامه هذا خارجٌ من فيه، لا من قلبه.

• ليس المؤمنُ العاقل بالذي يُغريه البيانُ المنمَّق، والخطابُ المزوَّق، وهو يرى أولئك القائلين الخادعين يفتِكون بأهل الإسلام فتكَ الضِّباع الطاوية بفرائسها.

• مخالفة موجبات العقود، وما تترتَّب عليه العهود، من أسباب الفسق التي ينبغي للمؤمن أن يتنزَّه عنها.

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾﴾

• ما أخسرَها من تجارة تلك التي يكون فيها المثمَّنُ هو الصدَّ عن سبيل الله، والثمنُ متاعَ الدنيا!

• قبيحٌ بالمرء أن يترقَّ في معاصيه، ويمضيَ فيها من سيِّئ إلى أسوأ منه، وشرُّ ذلك كلِّه أن يستمرَّ الكافرُ في كفره الذي يضيف إليه، ويزيد فيه.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

• على صاحب الإيمان أن يتوقَّعَ عداوةَ غير المؤمنين وخيانتَهم، وأن يعلمَ أن إيمانه كلَّما ازداد ترقِّيًا زادت نفوسُ الكافرين حَنقًا وغيظًا.

• المعتدون على الإيمان هم الأعداء الحقيقيُّون، وليس في مرتبتهم المعتدون لمصالح الدنيا، والعاقلُ مَن انشغل بالعدوِّ الحقيقيِّ قبل غيره.

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

• من أعظم المصالح الدنيوية للتوبة من ملَّة الكفر أن يصبحَ التائبُ أخًا للمسلم، له ما له وعليه ما عليه، أخوَّة باقية ما بقي الإيمان.

• إقامة الصلاة أداءٌ لحقِّ الخالق، وإيتاءُ الزكاة أداءٌ لحقِّ المخلوق، وبهما يقوى عودُ الأخوَّة، وتبسُق فروعُها.

• إن مناهجَ التعامل مع الكافر بيِّنٌ مفصَّل، لا يَعمى إلا على أصحاب التصوُّرات الخاطئة عن حقيقة الدين، أو حقيقة الكافرين.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

• لا ريبَ أن الطَّعن في الدين هو أعظمُ من الطَّعن بالرُّمح والسَّيف، فمَن وقع في ربِّنا أو نبيِّنا، أو كتابنا أو ديننا، فقد نقض عهدَه معنا.

• مَن تجرَّأ على مقام النبوَّة، أو طعن في دين الإسلام، أو تنقَّص منه، فقد وجب في الشرع كفُّه؛ غيرةً على الحقِّ، ومنعًا لتجرُّؤ سفهاء الخلق.

• كلُّ طاعنٍ في دين الله عزَّ وجلَّ فهو في الكفر إمام؛ لأنه يُجرِّئ غيرَه فيُقتدى به.

• ليكن غرضُ المؤمنين من قتال الكافرين الطاعنين انتهاءَهم عمَّا هم فيه، وهذا من أعظم مظاهر رحمة الله بالمسيء.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

• البادئ بالشرِّ أظلم، وهو أوَّل مَن يُبدأ بتأديبه، وشقِّ هامة عدوانه؛ ومن أمثلته: البَدء بقتال الناكثين قبل سواهم من الكافرين.

• إيمانُك يدعوك إلى ألا تخشى مخلوقًا، خشيةً تُقعدُك عن القيام بأمر خالقك.

﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾

• طعنُ أعداء الله في دينه، ونَكثُ عهودهم مع أوليائه، من مُوجِبات خِذلانهم، وأسبابِ ظهور المؤمنين عليهم.

• ما أحسنَ تلك الحالَ التي تنشرح فيها صدورُ المؤمنين، بكسر شوكة الكافرين المعتدين، الطاعنين في دين ربِّ العالمين، ويذهبُ عن قلوبهم ما غشَّاها من الحزن لما حلَّ بالمسلمين!

﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾

• انظر إلى فضل الله على أهل طاعته؛ لقد جعل من مقاصد شرائع دينه ما يُدخل السرورَ عليهم، ويُسعِد قلوبَهم.

• امتلاء القلب حَميَّةً لدين الله، ورغبةً في إعلاء كلمته، وحرصًا على صدِّ عادية المعتدين على شريعته؛ من براهين الإيمان، وهذا شأنُ الصحابة الكرام.

• إن المؤمنَ إذا علم أن مشيئة الله تعالى وحِكمته ورحمته تقتضي أن يقبلَ التوبة؛ فإنه يُسلِّم لله، ولا يجدُ في نفسه على التائبين إلا الصفاء.

• يعلم الله تعالى نيَّاتِ عباده، وله في تعامله معهم حكمة، كما يعلم مَن صدَق في رجوعه إليه، وله الحكمةُ في فتح باب التوبة لخلقه.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾

وَلِيجَةٗ: بطانةً، وأولياءَ.

• الحياة أمامَ المؤمن طريقٌ طويلة، فيها منعطفاتٌ خطيرة، يُعرَف فيها قدرُ إيمانه، وصحَّةُ سلوكه، فمن الناس من يثبُت فيستمرُّ سيرُه، ومنهم من يضعُف فيسقط على جنَبات الطريق.

• جرَت سنَّة الله تعالى بالابتلاء؛ لينكشفَ الخَبيء، وتتميَّزَ الصفوف، وتتمحَّصَ القلوب، ولا يكون ذلك إلا بالشدائد والتكاليف.

• القتال في سبيل الله ليس مقصودًا لذاته، ولكنَّه اختبارٌ لقوَّة الإيمان، وإخلاص العبودية، وصدق الانقياد، والتضحية بنفيس ما يُملَك ابتغاءَ وجه الله تعالى.

• اتِّخاذ الكافرين خُلَصاءَ ومقرَّبين مُطَّلعين على بواطن الأمور، عملٌ يَشينُ الإيمان، ويكشف عن سوء أهله.

• بالِغ أيُّها العبدُ في أمر نيَّتك، ورعاية قلبك، فإن الله وحدَه مَن يطَّلع على ما في نفسك.

﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾

• لا يَعمُر بيتَ الله إلا مَن عمَر التوحيدُ قلبَه، وقامت على الإخلاص والمتابعة عباداتُه.

• إن صورة أعمال المرء وحدَها لا قيمةَ لها، فقد يكون ظاهرُها حسنًا، لكنَّ باطنها خاوٍ، فلا يلبث أن يظهرَ فسادُها، ويتبيَّن جزاءُ صاحبها.

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾

• تعاهُد المساجد ودوامُ ملازمتها بالطاعة تشهد على إيمان المرء، كما تعينُه على تجويد صلاته، وتسهِّل عليه بذلَ ماله، وتغرس فيه تقديمَ مُرادِ الله وخشيته على كلِّ مُراد.

• المساجد بيوتُ الله، فلا يحقُّ أن يُدعى فيها سواه، فمَن دعا فيها صالحًا أو وليًّا واستغاث به، فقد تعدَّى على ربِّه في بيته، وهذا من أبشع سوء الأدب مع الله تبارك وتعالى.

• ربَط الله عِمارةَ المسجدِ بالإيمان، فمَن عمَر المساجدَ فلنُحسِن به الظنَّ، حتى يَظهرَ منه خلافُ ذلك.

قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ
عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ
قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥
أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ
وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ
وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ
أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى
ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ
ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ الحزب ١٩
ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠

١٨٩

• لا تجعل خشيتَك إلا من الله سبحانه؛ فهو الذي بيده الأمر كلُّه، ولن يستطيعَ العباد نفعَك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولا ضَرَّكَ إلا بشيء قد كتبه الله عليك.

﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾

• حين يعيش المرءُ في ظلُمات الضلال يضطرب ميزانُ حُكمِه على الأشياء، فيقدِّم ما يستحقُّ التأخير، ويؤخِّر ما يستحقُّ التقديم.

• ما أبعدَ الظالمَ عن الهداية، وإن تستَّرَ بالعبادات، وبعضِ الأعمال الصالحات!

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾

• أعمال البرِّ ليست في درجةٍ واحدة، فالإيمانُ بالله والهجرة والجهاد في سبيله أعظمُ الأعمال وأعلاها، وأصحابُها هم السابقون الفائزون.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ
اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا
لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

١٩٠

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

• الله تبارك وتعالى هو المالكُ المربّي لعباده، المدبِّر لشؤونهم بحكمته، ذو البُشرى بما يَسُرُّ لأوليائه، لا ينقطع عن خلقه بِرُّه، ولا يزال يصل إليهم خيرُه.

• ثلاث بشاراتٍ لذوي الأعمال الصالحات: الرحمةُ، والرضوانُ، والجنَّات التي تحتضِن النعيمَ المُقيم، فما أعظمَها من ثلاث!

• ليستبشر المؤمنون برحمةٍ من الله مقابلَ ما لَقُوا من الأذى والعناء في سبيله، وبرضوانه مقابلَ ما لَقُوا من سخَط الناس في مَرضاته، وبجنَّات الخُلد مقابلَ مفارقتهم لأوطانهم ومنازلهم؛ دعوةً أو جهادًا أو هجرةً في سبيله.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

• الدنيا إلى زوال، وساكنُها إلى انتقال، فاعمل لدارٍ لا زوالَ لها، ومنازلَ لا انتقالَ منها.

• يا له من أجرٍ لا يحيط به عقلٌ لسَعته، ولا تعلم نفسٌ مقدارَ عظمته، كيف لا وواهبه الربُّ الكريم؟!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

• من مُقتضى الإيمان المُفاضلةُ على أساس العقيدة، وتقديمُها على أواصر القرابة.

• الوَلاية لله هي الآصرةُ التي تجمع البشرية كلَّها، فلا تُقدَّمُ عليها آصرةُ نسبٍ ولا قرابة ولا غيرهما.

• إن كان الآباءُ والإخوان الكفَّارُ لا وَلاية لهم، فمَن هم دونَهم أولى.

• حادَ عن الجادَّة وظلم؛ مَن وضع الوَلاية موضعَ البراءة، والمودَّةَ محلَّ العداوة.

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

اقْتَرَفْتُمُوهَا: اكتسبتُموها.

كَسَادَهَا: عدمَ رواجها.

• مصلحة الدين لا تُقدَّم عليها أيُّ مصلحة دُنيويَّة عند التعارُض، وبذلك يُعرَف طالبُ الدنيا من طالب الآخرة.

• إذا تجذَّر حبُّ الله ورسوله في القلب لم يُقدِّم صاحبُه على ذلك حبَّ شيءٍ في الوجود.

• في شعور الحبِّ يحصل الابتلاء، فيتبيَّن به قَدرُ المحبوب في قلب المُحبِّ؛ بذِكره له، وانشغاله به، وتوجُّهه إليه، وانصرافِ انقياده لما يريد.

• ليس مطلوبًا من المسلم أن ينقطعَ عن محبوبات الدنيا الحسِّيَّة والمعنويَّة المُباحة، وإنما المطلوبُ ألا يقدِّمها على الحبِّ الأعلى؛ حبِّ الله ورسوله.

• برهِن على إيمانك بتقديم ما يحبُّه الشرع، على ما يستحبُّه الطبع.

• كم يجني الفسقُ على أهله! وكم يحرِمُهم من خيرٍ يُرتجى! فمَنعُ الهداية من أعظم الحِرمان.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ: فلم تنفعكُم.

وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ: فررتُم مُنهزِمين.

• عناية الله تعالى وتأييده لرسوله ﷺ وللمؤمنين بمعيَّته؛ أعظمُ شأنًا وأدنى إلى النصر من قوَّة أعدائهم الماديَّة، فمَن نال ذلك فقد رفرفَ الظفَرُ على رايته.

• التجرُّد لله تعالى، والصلةُ به سبحانه هي عُدَّة النصر التي لا تخذُل المؤمنين وإن قلَّ منهم العدَد والعَتاد، أو خذَلهم المالُ والإخوان والأولاد.

• قد تغرُّ الكثرةُ أصحابَها، فيتهاونون في توثيق صِلة الاستنصار بالله، وتشغَلُهم عن سرِّ النصر في هذه الحياة، فيُهزمون.

• يربِّي الله عبادَه المؤمنين ببعض الجِراح، ليَسلَمَ جسدُ الإيمان، فالأجسام قد تَصِحُّ بالعِلَل.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾

• ربَّما أنزل اللهُ من عندِه سكينةً على عبده، بلا أسبابٍ ولا مُقدِّمات، بل بمَحضِ تقديره وفضله.

• إذا امتحنَ اللهُ عبادَه بالهزيمة، فخضعوا له، استوجبوا منه العِزَّ؛ فإن خِلعةَ النصر إنما تكون مع وَلاية الذلِّ لله وحدَه.

• في حُنَين هُزم الكافرون بعد أن لاحَ لهم بريقُ النصر، ومن أشدِّ ما يكون على النفس وقعًا: حصولُ الهزيمة بعد الأمل العريض بالنصر.

• جزاء الكافرين وَخيم؛ فليس عذابُهم مقصورًا على الآخرة فحسب، ولكنَّهم يُعذَّبون قبل ذلك في الدنيا بأنواع العذاب، منها الهزيمةُ والقتل.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾

• ما من تائبٍ صادقٍ في توبته إلا ويقبلُه الله بجُوده، ومَن جدَّد توبتَه جدَّد الله توبتَه عليه.

• توسَّل إلى الله تعالى برحمته ومغفرته ليتوبَ عليك، فما أبلغَها وما أنفعَها من وسيلة!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾

عَيۡلَةٗ: فقرًا.

• على قاصدِ البيت الحرام أن يطهِّر باطنَه وظاهره، فإنه مكانٌ لا تصلُح فيه النجاسةُ المعنويَّة ولا الحسِّيَّة.

• مَن تنجَّس بالشِّرك لا ينبغي أن يُقرَّب ويُحتفى به، ولو كان في ذلك فواتُ مصالحَ دنيوية؛ ألا تراه سبحانه نهى عن اقتراب المشركين من المسجد الحرام، مع ما يجُرُّه دخولهم مكةَ من منافعَ اقتصادية؟!

• لمَّا كان الرزَّاق هو الله تعالى، الذي ييسِّر للرزق ما شاء من الأسباب، ويفتحُ له ما يريد من الأبواب، فلا يخافنَّ العبدُ انقطاعَه.

• مَن خاف على رزقه بفعل طاعة ربِّه، فليُراجع قلبَه ورصيدَ إيمانه.

• مَن ترك الدنيا لأجل الدين أوصله اللهُ إلى مطلوبه منها، مع ما سَعِدَ به من أمر الدين.

• لا تبِع دينَك من أجل فقرٍ تخشاه؛ فما من عبدٍ إلا والغنيُّ مولاه، وهو الذي يتولَّى كِفايتَه، ويُذهب فاقتَه.

• بعلمِه تعالى وحكمتِه شرَع شرائعَ دينه التي بها يجتلب الناسُ منافعَ الدنيا والآخرة، فمَن ظنَّ أن العملَ بما شرَع اللهُ يفوِّت مصلحتَه فليتذكر أن الله عليمٌ حكيم.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾

ٱلۡجِزۡيَةَ: ما يُفرَض على الكافر المُقيم ببلادِ المسلمين من مالٍ، جزاءَ أمنِه وحمايتِه.

صَٰغِرُونَ: خاضِعون أذِلَّاء.

• مَن صدَق إيمانُه بالله آمن بكلِّ ما جاء من عنده، فالكتابيُّ لو صحَّ إيمانُه بالله لآمن بمحمَّدٍ ﷺ.

• من مُقتضَيات الجهاد في شرع الله: امتناعُ قومٍ عن حُكم الشريعة تحليلًا وتحريمًا، وإن كان ذلك عن دين باطل، أو نظر قاصر.

• التحريم والتحليل حقٌّ لله تعالى ولرسوله ﷺ، وما على العباد إلا السمع والطاعة.

• الشدَّة على الكافرين من أجل إعزاز هذا الدين مَقصِدٌ من مقاصده، وجَعلُ كلمةِ الله هي العليا لا يتِمُّ إلا بذلك.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾

يُضَٰهِـُٔونَ: يُشابهون.

أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ: كيف يُصرَفون عن الحقِّ البيِّن إلى الباطل؟!

• الافتراء على الله تعالى جريمةٌ شنيعة، ودعوى الشريك والولد له سبحانه بُهتانٌ عظيم؛ فلذلك أغرى اللهُ المؤمنين بقتال اليهود والنصارى القائلين بهذه المقالة المُفتراة.

• مَن رضيَ بما يقوله قومُه أو يفعلونه، فهو قائلٌ قولهم وفاعلٌ فعلهم، ألم ترَ أن القرآن ينسُب الحدثَ لأهل الكتاب جميعًا وأهلُه فئةٌ منهم؟

• ما ذكرَ اللهُ قولًا مقرونًا بذكر الأفواه والألسُن إلا وكان قولًا زورًا؛ لا يطابق الحقَّ، ولا يوافق ما في القلب.

• تتشابه الأقوال لتشابُه القلوب؛ فأقوالُ أهل الكفر يشبه بعضُها بعضًا، ولو تغيَّر القالَبُ وتباعدتِ الأماكن والأزمان.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ
نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ
وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ
إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ
وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ
وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم
بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ
وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١

• ما أعجبَ حالَ مَن انصرف عن التوحيد إلى خلافه، وهو الحقُّ الذي توجبُه الفِطرة!

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾

أَحۡبَارَهُمۡ: علماءَ اليهود.

وَرُهۡبَٰنَهُمۡ: عُبَّادَ النصارى.

سُبۡحَٰنَهُۥ: تنزَّه وتقدَّس.

• الطاعة لغير الله في التحليل والتحريم على خلاف الشرع كافيةٌ لتصيير ذلك المطاع ربًّا مع الله تعالى.

• عبادة الله تعالى وحدَه ممَّا اتفقت على الدعوة إليها كلُّ الشرائع السماوية.

• التشريع من خصائص الربوبيَّة وحدَها، فمَن أطاع مُشرِّعًا غيرَ الله تعالى، يحلِّل له ويحرِّم ما شاء، فقد عبده.

• لا فرق بين مَن يشرك بالله تعالى في حُكمه، ومن يشرك به في عبادته.

• تنزَّه اللهُ عن أن يكونَ له شريكٌ في عبادته، أو شريكٌ في تشريعه، بل قضى كمالُه أن يكونَ ذلك كلُّه له وحدَه.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن
يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ٣٣ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ
يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا
فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ٣٥ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ
أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٦

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٣٢﴾

• لا يزال دينُ الإسلام يتلقَّى حربًا ضروسًا من أهل الكتاب، منها الأكاذيبُ والدسائس والفتن، وتحريضُ الأتباع والأشياع.

• أيُّ عقل ذلك الذي يتوهَّمُ أن نور الله العظيم هو من الضعف بحيثُ يمكن أن ينطفئَ بنفخة؟!

• أهل الظلم والظلام مستمرُّون في محاولة إطفاء نور السماء الذي قد كتب اللهُ له ثبوتَ تمامه وكمالَ نوره، حتى يملأَ الآفاق.

• لا تخشَ على هذا الدين، واصبر على مشاقِّه ولأوائه، فإن له ربًّا سيبلِّغه المشارقَ والمغارب، ولو أبغضَته أممُ الأرض واجتمعت على حربه.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ٣٣﴾

لِيُظْهِرَهُۥ: ليُعليه.

• لا هدًى بعد محمَّدٍ ﷺ إلا هُداه، ولا دينَ مقبولًا عند الله غيرُ الدين الذي جاء به.

• بعث الله تعالى محمَّدًا ﷺ بالهُدى ودين الحقِّ إلى الناس؛ فبالهُدى يُعرَف الحقُّ، وبدين الحقِّ يُقصَد الخيرُ ويُعمَل به.

• نصيب المرء من الهُدى بقدر استجابته لمَن أُرسِل به.

• وعد اللهُ بإظهار هذا الدين على ما سواه من الأديان، ولو كره ذلك الظهورَ مَن عاداه، فماذا نفعهم ذلك الكُرهُ الذي أورثهم تكذيبَه وحربه؟ لقد ظهر دينُ الإسلام، وخفَت أعداؤه.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾

• قال سفيان بن عُيَينة: (مَن فسد من علمائنا كان فيه شَبهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا كان فيه شبهٌ من النصارى).

• ما أسوأَ حالَ الناس إذا ضلَّ هداتُهم، وصاروا يلهثون خلف شهواتهم!

• إذا حرَص العالمُ على المال ورياسة الدنيا وجاهها أُصيبت مقاتلُه، وأفسد علمَه وديانتَه، فيا ويلَه ويا ويلَ الناس منه!

• كما أن من فتن المال أن يُطلَبَ بالباطل، فإن من فتنته أيضًا ألا يُصرفَ في وجوه الحقِّ.

• لو علم الناسُ حقَّ العلم أن كنزهم الحقيقيَّ هو ما أنفقوه في مراضي الله لما بَخِلوا، ولما أنفقوا الأموالَ في الحرام والسرَف.

• إن كان المال يُجمَع ليكونَ سببَ سعادةٍ وهناء، فيا خسارةَ مَن عاد عليه بالعذاب والشقاء!

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ٣٥﴾

• مَن أحبَّ شيئًا وقدَّمه على طاعة الله، عُذِّب به.

• كم من محبوبٍ كان سببَ هلاكِ مُحبِّه! فاجعل محبوباتِك حبلَ نجاتك، ووسائلَ سعادتك الأبدية.

• بقدر ما يكنِز المرءُ من المال، ويمتنع عن إنفاقه في حقِّه الواجب، ينالُه من العذاب، ويصيبه من العقاب.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٦﴾

كِتَٰبِ ٱللَّهِ: اللَّوح المحفوظ.

• التأريخ الهجريُّ موافق لعِدَّة الشهور التي عند الله، وبها انتظمَت منذ القِدَم حياةُ البشرية، وهو تأريخٌ تُعرَف به الأوقاتُ الفاضلة، وأزمنةُ الأحكام الشرعيَّة. فلنحافظ عليه.

• من حِكَم تشريع حُرمة الأشهر الحُرُم: أن ترك المعاصي مدَّةً أشبهُ بحِمية يبدأ بعدها النفورُ عن تلك المعاصي شيئًا فشيئًا، فيؤول ذلك إلى خُلق دائم.

• رُوعيَ في التشريع أن يأمنَ الناسُ في عباداتهم المشروعة، وأنساكهم الصالحة.

• من لم يتلبَّس بالعبادة في الأشهر الحُرُم فلا يتلبَّسنَّ بالمعاصي، فإنها في تلك الأوقات أعظمُ إثمًا، كما أن الصالحاتِ أعظمُ أجرًا.

• العاصي إنما يجني على نفسه، وعائدةُ ظلمه عليها، فارحم نفسك في زمن المُهلة.

• المشركون يتعاضدون في حرب الإسلام، فحريٌّ بالمسلمين أن تجتمعَ كلمتُهم للدفاع عنه، ونشره في العالم.

• لا تدَع تقوى الله وطاعتَه ولو كنتَ في ساعة حرب الكفَّار، بل أنت مفتقرٌ إلى تقواه في تلك الساعة أكثرَ من غيرك.

• إنما النصرُ لمَن يتَّقي حرُماتِ الله أن ينتهكَها، ونواميسَ الشرع أن يُحرِّفَها، ومَن كان الله معه كان النصر حليفَه.

إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟
عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ
سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ
﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ
ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ
شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ
فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ
إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ
مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ
لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

١٩٣

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

ٱلنَّسِىٓءُ: تأخيرُ حُرمةِ شهرٍ إلى شهرٍ آخر.

لِّيُوَاطِـُٔوا۟: ليُوافقوا.

عِدَّةَ: عدَد.

• كما أن الإيمان يزيدُ بأعماله، فالكفر يزيد بأعماله؛ فتغييرُ الأحكام الشرعيَّة والحدود القرآنيَّة بتحليل الحرام وتحريم الحلال زيادةٌ في الكفر.

• مهما زيَّن الناسُ من تبديل الشرع وتغييره، وألبسوا ذلك لباسَ المنفعة والتقدُّم، فلن يعدُوَ ذلك أن يكونَ إساءةً وضلالًا.

• إذا مرَدَ الكافر في كفره، واستمرَّ عليه بعد وعظه وزجره، فقد سدَّ على نفسه طريقَ هداية الله له.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾

ٱثَّاقَلْتُمْ: تباطأتُم وتكاسلتُم.

• ما يُحجِم المؤمنَ عن النفرة للجهاد في سبيل الله دون عُذر معتبَر إلا وَهْن في إيمانه.

• الإيمان خيرُ شاحذٍ لهمَّة المرء، إذا لم تمنعه مطامعُ الدنيا عن صالح الأعمال.

• بمقدار رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقُله عن طاعة الله وطلب الآخرة.

• التعلُّق بالدنيا يُثقِل المرءَ عن الترقِّي إلى معالي الأمور، وسنام الأعمال الصالحة.

• مَن علمَ أن لذَّاتِ الدنيا مَشوبةٌ بالآفات، منقطعةٌ عن أهلها، وأن منافع الآخرة شريفةٌ دائمة، فكيف يتثاقل عن ذِروة سنام الإسلام؟!

• متاع الدنيا قليلٌ مهما كثُر، صغير مهما كبُر، فكيف لعاقلٍ أن يؤثِرَ القليلَ على الكثير، والصغيرَ على الكبير؟

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

إِلَّا تَنفِرُوا۟: إن لم تخرجوا للجهاد.

• ما من أمَّةٍ تركت الجهادَ إلا ضربَ اللهُ عليها الذلَّ، فدفعت مُرغمةً صاغرة لأعدائها أضعافَ ما كان يتطلَّبه منها كفاحُ الأعداء.

• قتل المسلمين وتشريدُهم، وأسرُهم وإذلالُهم، والسيطرةُ على ثرواتهم وخيراتهم وقراراتهم؛ كلُّ ذلك من العذاب الناتج عن ترك الاستجابة لدعوة الله.

• إن هذا الدين لمَن ذبَّ عنه ودافع عن حِياضه، فمَن لم ينفِر لأجله استبدل الله به غيرَه.

• المستجيب لما دعا الله إليه إنما ينفع نفسَه، والمعرِض عن ذلك يَجلِب الضررَ عليها، ولن يضُرَّ اللهَ شيئًا، فإن الله قادرٌ على أن يذهبَ به ويأتيَ بسواه.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

• لا تخشَ على دين الله تعالى، فإن الله حافظُه وناصرُه، ولكن اخشَ على نفسك ألا تكونَ من أنصاره المشرَّفين بالدفاع عنه.

• إن أوائلَ الطريق إلى النصر قد لا تؤذِن به، فهذه حالُ رسول الله ﷺ؛ من طلبِ النجاة في غارٍ موحش مع صاحبٍ وحيد، إلى فتح مكَّة بجيش عَتيد!

• من غار ثور انبثق درسٌ يعلِّم الناسَ تكاليفَ الدعوة الشاقَّة، فمع نصرة الله تعالى وملائكته لرسوله ﷺ يخرجه قومُه من أرضه، ويلجأ إلى غارٍ مهجور طلبًا للأمان.

• هنيئًا لأبي بكر رضي الله عنه أن كان الثانيَ في الإسلام، وفي الصُّحبة إلى المدينة، وأن الله كان معه حين صاحبَ رسولَه ﷺ، وتلك منزلةٌ لم يرقَ إليها أحد.

• في قمَّة الخوف الذي يدور حولهما، والطلبِ الشديد بحثًا عنهما؛ تُشرق شمسُ الثقة من فم الصادق الأمين، فتبدِّد ظلُماتِ المخاوف.

• كيف يستسلم للحزن مَن كان الله معه، ذو العزَّة التي لا تُغلَب، والقدرةِ التي لا تُقهَر، والرحمةِ التي بها يقوم كلُّ شيء؟

• السَّكينةُ في أوقاتِ الشدائد من تمام نعمة الله على عبده، وتكون بحسَب المعرفة بالله، والثقةِ بوعده الصادق، والإيمان به، ورَباطة الجأش.

• لم تكن كلمةُ الله يومًا غيرَ عليا، بل هي العليا بدءًا وانتهاءً، دائمًا وأبدًا.

• عزَّته تعالى تدعوك إلى الخضوع له؛ خوفًا من سلطانه، وحكمتُه تدفعك إلى أن تطيعَه، راغبًا في الخير الكامن فيما يأمرُك به.

انفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ
وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ
يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ
﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن
يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوۡ
أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ
فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم
مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ
ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

الحزب ٢٠

١٩٤

﴿انفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

• مهما مرَّ بالأمَّة من أحوال، فلا عُذرَ لها أن تتثاقلَ عن الجهاد بالنفس والأموال.

• أعذارُ تركِ الجهاد في سبيل الله قليلة، فمَن عجَز عن الجهاد بنفسه فليجاهد بماله، غيرَ أن أكمل أوصاف الجهاد هو أن يجمعَ بينهما.

• لو أراد الصحابةُ المؤمنون المعاذيرَ للتخلُّف لوجدوها، فكم من عائقٍ اعترض طريقَهم! ولكنَّهم نفروا، ففتح الله لهم القلوبَ والأرَضين.

• العلم النافعُ يحثُّ على العمل وإحسانِه بإخلاص النيَّة، وتقوية العزائم؛ لاستغلال الغنائم من الأوقات والأعمال.

﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

عَرَضٗا: متاعًا وغنيمة.

وَسَفَرٗا قَاصِدٗا: سفرًا متوسِّطًا بين القُرب والبُعد، لا مشقَّةَ فيه.

ٱلشُّقَّةُ: المسافةُ البعيدة التي تُقطع بمشقَّة.

• ما أكثرَ مَن يتثاقل وينفُر لطول الطريق، فيتخلَّفُ عن الركب السعيد، ويلتفتُ إلى مطلبٍ رخيص!

• على مَن أذنبَ أن يُقِرَّ ويطلبَ الصفح، ولا يعتذرَ بما يزيد فعلَه قبحًا.

• الخداع بادِّعاء قيام العُذر المانع عن الواجب خداعٌ يضُرُّ النفس، والحَلِفُ الكاذب إهلاكٌ لها.

• كثير من الناس ينظرون إلى المصالح العاجلة، ولا ينظرون إلى العواقب الآجلة، ولو فكَّروا في العواقب لانصرفوا عن كثير ممَّا يضرُّهم؛ فكم من منفعةٍ دنيويَّة آلت إلى مَضرَّة أُخرويَّة.

• إن ظفِرَ الكذَبةُ بتصديق الناس لهم، ووصلوا إلى أمانيِّهم بكذِبهم؛ فإن كذبهم لا ينطلي على الله، فهم عند الله كاذبون كذَّابون.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

• تأدَّب في حديثك عن نبيِّك ﷺ، ألا ترى أن الله فاتحه ببِشارة العفو، وتعهَّده بحسن الموعظة، ولطف المراجعة.

• مَن أراد العدالةَ في المعاملة، ومعرفةَ الأمور على ما هي عليه فليتأنَّ، ولا يغترَّ بظواهر الأحوال.

﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾

• مَن آمن بالله واليوم الآخر حقَّ الإيمان، قاتل من أجل دينه، وهان عليه الموتُ في سبيله؛ لما يرجوه من النعيم، والنجاةِ من العذاب الأليم.

• التقوى لا تخفى على الذي يعلم السرَّ والنجوى، فهنيئًا للمتَّقين.

﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

وَٱرۡتَابَتۡ: وشكَّت في الإسلام وشرائعِه.

يَتَرَدَّدُونَ: يتحيَّرون.

• يبغض القتالَ مَن لم يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأنهم يرون بذلَ النفسِ والمال له مَغرمًا لا مَغنمًا، وتعبًا وألمًا، وتعرُّضًا للقتل الذي ليس بعده حياةٌ عندهم.

• انغماس المُرتاب في رَيبه، وخَواءُ صدره من الإيمان بربِّه، مانعٌ من هدايته، ومَن تحقَّق اليقينُ في قلبه لم يتوانَ عن أداء أوامر دينه.

﴿۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

• ما كلُّ نفس جديرةٌ بالتوفيق إلى الكرامة، وإنما يوفِّق الله بحكمته مَن علم أهليَّته، ويثبِّط مَن علم فساد طويَّته، فلا تنالُ شرفَ رفع راية الكرامة والعزِّ أيدٍ غيرُ طاهرة.

• قضى الله بحكمته أن يضعَ التوفيقَ في محلِّه، وهو سبحانه أعلم حيثُ يجعل هُداه وفضلَه.

• أخشى ما يخشاه المؤمنُ حين يُحالُ بينه وبين الطاعة أن يكونَ الله تعالى قد كرِهَها منه، فليُبادر إلى التوبة والاستغفار، وليُقبِل بهمَّة على الطاعات والصالحات.

﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

خَبَالٗا: شرًّا وفسادًا واضطرابًا.

وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ: لأسرعوا السيرَ بينكم بالنميمة وإفساد القلوب.

• ينبغي أن تكونَ صفوفُ المجاهدين نقيَّةً من الضعفاء والخائنين، فالقلوبُ الحائرة تبثُّ في الصفوف الضعفَ والخَوَر، والنفوسُ الخائنة على الجيش عبءٌ وخطَر.

• لا يزالُ المنافقون بين الصفوف، ولا يزال في المؤمنين سمَّاعون لهم؛ لجهلهم بحقيقة أمرهم، وعدم معرفتهم بغور كلامهم، أو لاتِّباعهم شهَواتِهم.

• عرَّفنا الله سبحانه - وهو العالمُ بالمنافقين - صفاتِهم وسِماتِهم؛ لنكونَ منهم على حذر، ولئلَّا نستمعَ إليهم؛ فإن ذلك ضربٌ من الظلم.

الجزء العاشر | سورة التوبة

لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم
مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ
أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل
لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ
إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ
بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم
مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ
مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟
بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

١٩٥

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ: ودبَّروا الحِيَلَ بمكرِهم.

• دَيدَنُ المنافقين أن يُعمِلوا فكرَهم في الكيد للدين وأهله؛ كرهًا للشرع، وبغضًا لأصحابه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

• مَن أظهر الورعَ وتذرَّعَ به للتخلُّص من الواجب، أو لفعل المَنهيِّ عنه، فقد لجأ إلى حيلةٍ من حِيَل المنافقين.

• يبحث المنافقون السابقون عن إذنٍ لتسويغ خطيئتهم، ويبحث المنافقون اللاحقون عن فتوى لتشريع جريمتهم، ولا تقديسَ لدى جميعهم للإذن أو للفتوى، ولكن ينتظرون الموافقةَ فحسب.

• ما كانت الفتنةُ يومًا في الجهاد الحقِّ، ولكنَّها في التذرُّع بالواهي من الحُجَج لتركه والتثبيطِ عنه.

• الورع الكاذبُ لا يرفعُ عن المنافق حقيقةَ الكفر، ولا يدفعُ عنه يومَ القيامة عذابَ جهنَّم.

• جعل اللهُ النارَ محيطةً بأهلها إحاطةَ السِّوار بالمِعصَم، فلا مناصَ من عذابها، ولا مهربَ لأصحابها، نسأل اللهَ أن يجيرَنا منها.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾

• مَن سرَّته أحزانُ المؤمنين، وساءته أفراحُهم، فليتَّهم قلبَه.

• مهما أبدى المنافقون من رغبةٍ في التعايش والاندماج مع مَن حولَهم، فإنهم في ذلك كاذبون، وبعد وقتٍ يُفضَحون.

• مَن حسِب البلاءَ شرًّا في كلِّ حال، فأقعده ذلك عن فعل صالح الأعمال، ولم يسلِّم لله تعالى أو يرضَ بقضائه، ففيه خَصلةٌ من خِصال المنافقين.

• لا تظُنَّ الانتماءَ إلى النسَب أو الوطن ينفع أو يجمع في صراع الحقِّ مع الباطل؛ فإن قلوبَ المنافقين ومشاعرَهم مع غير المؤمنين، ولو كان المؤمنون من قومهم.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

• لو تأمَّل المؤمن في الآية لهانت عليه مصيبتُه، فإنه سبحانه قال (لنا) ولم يقل: (علينا).

• ما يُصيب اللهُ جلَّ شأنُه مؤمنًا بمصيبةٍ إلا كانت له لا عليه، فهي من الله نعمةٌ تستحقُّ الشكر، ولو تزيَّت بلَبوس نقمة.

• كيف يسخَط المؤمنُ من قضاءِ قضاه الله له، وهو مولاه الذي يتولَّاه برعايته، ويمدُّ إليه فضلَ عنايته.

• المنافق لا يتوكَّل إلا على الأسباب الدنيويةِ واللذَّاتِ الفانية، أمَّا المؤمن فيسلِّم نفسَه لله وحدَه، ولا يعترضُ عليه.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

تَرَبَّصُونَ: تنتظرون.

إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ: إحدى العاقبتَين؛ الشهادة أو النصر.

• ما أجملَ حياةَ أولئك الذين قد تهيَّؤوا لقدَر الله بما يحبُّ! فإن قدَّر عليهم الفرحَ شكروا، وإن قدَّر عليهم الحزنَ صبروا.

• إن كتبَ اللهُ للمجاهد حياةً فهي الحياة الطيِّبةُ الحميدة، وإن كتب له الشهادةَ فهي المِيتةُ الكريمة السعيدة.

• لا شكَّ أن سُنَّة الله في الكافرين ماضيةٌ في أخذهم بالعذاب، لكن لا يعلم غيرُه متى وكيف.

• المؤمن ينتظر باطمئنانٍ ويقين ما سيكرمُه الله به من صنوف العون والإكرام، وما سيصيبُ به أعداءه من ألوان النَّكال والانتقام.

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾

• الفسق الأكبر وهو الكفر مانعٌ من قبول العمل، لا ينتفعُ معه صاحبُه بصدقة، ولا يُحمَد على عمل برٍّ.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

• الإيمان بالله ورسوله معراجُ قبول الأعمال، فلا صُعودَ لها إلى الله تعالى إلا عليه.

• خسرَ أولئك الطائعون من دون غرضِ العبوديَّة لله تعالى والانقيادِ له، فلو آمنوا وجعلوها لله وحدَه لربحوا خيرَ الدنيا والآخرة.

• كيف يُنفِق عن إخلاصٍ ورغبةٍ مَن يتهاون بالصلاة التي هي أعظمُ عبادة؟!

• الصلاة والصدقة عبادتان عظيمتان، ينبغي للعبد ألا يأتيَ إليهما إلا مُحبًّا لهما، نشيطًا للإقبال عليهما، يرجو ذُخرَهما، وثوابَهما من الله وحدَه.

• قال محمَّد بنُ الفضل: (مَن لم يَعرفِ الآمرَ قام إلى الأمر على حدِّ الكسل، ومَن عرف الآمرَ قام إلى الأمر على حدِّ الاستغنام والاسترواح).

فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ
﴿٥٥﴾ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ
قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا
لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي
ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا
هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ
الحزب إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ
وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ
وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ
مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ
ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ
بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾

١٩٦

﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ: وتخرجَ أرواحُهم.

• المؤمن لا يقتصر نظرُه على متاع الحياة الدنيا؛ فإنها ذاهبةٌ زائلة، وإنما يتَّخذها عونًا على الفلاح في آخرته.

• لا تجدُ أشدَّ تعبًا ممَّن جعل الدنيا أكبرَ همِّه، وهو حريصٌ بجُهده على تحصيلها، والاستزادة من شهَواتها.

• النفاق جالبٌ لجميع الآفات، مُبطِلٌ لجميع الخيرات، في الدين والدنيا.

﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾

يَفۡرَقُونَ: يخافون.

• المنافقون يَنسُبون أنفسَهم إلى الجماعة المؤمنة، فإذا ما أمِنوا العقوبة، وضعُفت شوكةُ الإسلام أظهروا الإساءة، وأعلنوا العداوة للإسلام وأهلِه.

﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾

مَلۡجَـًٔا: مأمنًا وحِصنًا.

مَغَٰرَٰتٍ: كهوفًا في الجبال.

مُدَّخَلٗا: نفقًا يدخلونه.

يَجۡمَحُونَ: يُسرعون.

• المنافق لا تُهِمُّه البلادُ التي يعيش فيها أحُكِمَت بالإسلام أم بغيره، إنما وطنُه الذي يحرص عليه هو الوطنُ الذي تتَّسعُ فيه ملذَّاتُه، وتتنفَّس فيه أهواؤه.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾

يَلۡمِزُكَ: يَعيبُك.

• المنافقون لا يحبُّون سدَّ فاقة المحتاجين، ولا الأجرَ للمُنفقين؛ فلذلك لا يعظِّمون شأنَ الزكاة، بل يطعُنون في قِسمتها، فإن أصابوا منها سكتوا عن إعلان طعنهم.

• مَن تعلَّق بغير الله؛ فكان رضاه بحصول مَطلَبه، وسخَطُه بضياعه وفقده، فإنما يعبُد بذلك هواه.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

حَسۡبُنَا ٱللَّهُ: كافينا اللهُ.

• من أدبِ النفس واللسان والإيمان: الاكتفاءُ بالله، والرضا بقِسمة الله ورسوله، رضا التسليم والاقتناع، لا رضا القهر والغلَب.

• الحَسْبُ والكفاية لله وحدَه، فإنه لا كافيَ إلا اللهُ تعالى، ولا حافظ إلا هو سبحانه.

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾

لِلۡفُقَرَآءِ: للذين لا يملِكون شيئًا.

وَٱلۡمَسَٰكِينِ: والذين يملِكون ما لا يكفيهم.

وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ: والمُستمالةِ قلوبهم إلى الإسلام، كمَن يُرجى إسلامُهم، أو قوَّة إيمانهم.

ٱلرِّقَابِ: عِتقِ العَبيد، وفَكاكِ الأَسرى.

وَٱلۡغَٰرِمِينَ: الذين استدانوا لأنفسِهم أو لإصلاحِ ذات البَين، ولا قُدرةَ لهم على الوفاء.

• الزكاة فريضة تعبُّدية في هيئة خدمة اجتماعيَّة، بها يرتبط العبدُ بخالقه، وبها تمتدُّ جسورُ الصلة بينه وبين أفراد جنسه.

• شريعة الله منظِّمةٌ لشؤون الدنيا والدين، فهي تُعينُ المحتاجين، وتساعد على إنجاح مشاريع المُصلحين، وترفع بالمال راياتِ الجهاد بين العالَمين.

• لو عمل الناسُ بنظام الإسلام التكافليِّ لما أكل بعضُهم أموالَ بعض من خلال القوانين الوضعيَّة، كما هي شرائعُ الأرض الظالمة.

• الزكاة تشريعُ حكيمٍ عليم؛ فإنها إذا أُخذت كما ينبغي وصُرفت كما ينبغي، صارت مصلحةً عظمى للفرد والجماعة.

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾﴾

أُذُنٞ: يستمع لكلِّ ما يُقال له، فيصدِّقه.

وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ: ويُصدِّق المؤمنين فيما يُخبرونه.

• لا تعجَب إن حرَّف المنافقون مظاهرَ الخير في المؤمنين، فجعلوها صفاتِ ذمٍّ، فذلك داءٌ فيهم قديم.

• الأصل في المسلمين حُسنُ الظنِّ، حتى يظهرَ ما يخالفُ ذلك.

• كلَّما كانت النفسُ أسلمَ قلبًا كانت في السماحة أكمل، ليس ضعفًا منها، بل من باب اللطافة وسرعةِ القَبول لما يُناسب من الخير.

• ما يجب أن يسودَ في المجتمع هو اللطفُ والتصديق، ولا يعكِّر ذلك أفرادٌ غيرُ أنقياء من تلك الثلَّة النقيَّة.

• لقد أرسل اللهُ تعالى رسولَه رحمةً لجميع الخلائق، فطوبى لمَن تلقَّى هذه الرحمة بالقَبول، وصدَّق ما جاء به.

• مَن آذى رسولَ الله ﷺ فقد آذى اللهَ الذي أرسله جلَّ جلالُه، وذلك يوجب سَخَط اللهِ وعذابَه.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾

• عادة المنافقين وأشباهِهم الإكثارُ من الحَلِف، لعلمهم أنهم كاذبون متَّهمون.

• إذا خلَتِ القلوبُ من الإيمان بالله، وامتلأت بالشكِّ من لقائه، أصبح أهلُها حريصين على إرضاء الخلق ولو بسَخَطِ الخالق؛ من أجل الظفر بمصالحهم العاجلة.

• المؤمن لا يقدِّم شيئًا على رضا ربِّه ورضا رسوله ﷺ، ومَن قدَّم رضا غيرِ الله ورسوله على رضاهما فقد يُخشى على إيمانه.

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٣﴾

يُحَادِدِ: يخالف.

• مَن حادَ عن طريق المؤمنين في الدنيا، فصار في حدٍّ وهم في حدٍّ آخرَ، حِيلَ بينه وبين منزلهم يوم القيامة.

• لا خِزيَ أعظمُ من خِزي المنافقين يوم القيامة، فضيحةٌ على رؤوس الأشهاد، ومآلٌ إلى شرِّ منزلٍ يوم المَعاد.

﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤﴾

• ما أسرَّ عبدٌ سريرةً يمكُر فيها بدين الله تعالى، ويستهزئُ به وبآياته ورسوله إلا فضح الله مكرَه، وهتك سترَه.

• ما أغبى المنافقين؛ يخشَون فضيحةَ الدنيا أمام بعض الخلق، ولا يخشَونها بين يدَي الخالق، على مَرأى جميع الخلائق!

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾

• تثبَّت من الأقوال والأعمال، قبل أن تُصدرَ على أصحابها الأحكام، فرُبَّ كلمة تهوي بصاحبها في جهنَّم سبعين خريفًا.

• شريعة الله ساميةٌ عالية، لا يجوز أن تمتدَّ إليها يدُ الخوضِ واللعب، واللهو والهُزُؤ.

• على العاقل أن يحذَرَ موارد الهَلَكة بخوضه في دين الله بالتنقُّص، فاللاعبُ والجادُّ في إظهار كلمة الكفر سواء.

• كلُّ ما فيه كفرٌ بالله واستخفافٌ به، أو بنبيٍّ من أنبيائه أو ملَكٍ من ملائكته، أو بآيةٍ من آياته، فلا يحلُّ سماعُه ولا النطقُ به، ولا الجلوسُ حيث يُلفظ به.

﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾

• الاستهزاء دليلٌ على الاستخفاف، والعمدةُ الكبرى في الإيمان تعظيمُ اللهِ تعالى بأقصى الإمكان، والجمعُ بينهما مُحال.

• ما أوسعَ بابَ التوبة للصادقين! فمَن تاب تاب الله عليه، وإن كان ذنبُه عظيمًا، ومَن عاندَ وأصرَّ فإن الله يعذِّبه عذابًا أليمًا.

• لا يعذِّب اللهُ أحدًا من خَلقه إلا بجُرم استحقَّ به العقوبة، وذلك من مظاهر عدله سبحانه بين عباده.

﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾

• لمَّا كانت غايةُ المنافقين واحدة، وطريقُهم إليها متَّحدة، تشابهوا في الخِصال الذميمة، والأوصاف النفسيَّة الخبيثة التي لا يليقُ أن يكونَ صاحبُها جزءًا من المجتمع المسلم.

• النفاق بيتُ السوء والبلايا؛ فطبعُ المنافقين سوءُ الطويَّة، واللؤمُ والأذيَّة، والاستهزاء والجبن، أمَّا سلوكُهم فأمرٌ بمنكر، ونهيٌ عن معروف، وبُخلٌ وشُحّ.

• يحسِّنُ المنافقون المنكرَ ويشوِّهون المعروف، ويقبِضون أيديَهم عن الخيرات ويَبسُطونها في الشرِّ والسوء.


الجزء العاشر
سورة التوبة

يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن
يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ
ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٣ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن
تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم
بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ
بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ
عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ
إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ
حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨

١٩٧

• لقد جنَوا على أنفسهم جِنايةً عظيمة، حيث نَسُوا الذي هو أعظمُ وأكرم، ومنه كلُّ شيء، فحرمَهم هدايتَه وتوفيقَه ورحمتَه.

• فِسقُ المنافقين أعظمُ من فسق غيرهم، وإن استتروا عنه بجِلباب الصلاح، ولذا كان عذابُهم أشدَّ من عذاب غيرهم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾

حَسۡبُهُمۡ: كافيهم.

• العدوُّ الخفيُّ شرٌّ من العدو الجليِّ، فلو أظهر المنافقون الإسلامَ فإنهم شرٌّ ممَّن يُعلن الكفرَ صراحة.

• لا أبلغَ من عذاب جهنَّم، وهو من الشدَّة بحيثُ لا يُزاد عليه.

• إذا كان السخَطُ من الله تعالى فإنه بلا ريبٍ عظيم، فهل يرجو الرحمةَ عبدٌ مسخوطٌ عليه وهو في العذاب مقيم؟!

• مهما تمتَّع المنافقون والكافرون بطول الإمهال، فإنهم موعودون بنار جهنَّم؛ فكيف لعاقلٍ أن ينعَم بحياة ويهنأ بعيش والعذابُ ينتظره؟

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا
وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

بِخَلَٰقِهِمْ: بنصيبهم من مَلاذِّ الدنيا.

وَخُضْتُمْ: ودخلتم في الكذبِ والباطل.

حَبِطَتْ: بطَلَت.

- إنما قد يسيرُ في دربِ الهلاك مَن يجهل مآلَه، فواعجبًا ممَّن يسلُكه وهو بسوء مُنقلبه عالم!
- الاستزادة من الشهوات، والاستدامة في التمتُّع بها، والجِدُّ في طلبها، هو دأبُ العُصاة وغاية أمانيِّهم.
- لا تُنكِر حُسنَ عيشِ الكافرين وكثرةَ لذَّاتهم، وتوسُّعَ تنعُّمهم وطِيبَ حياتهم الدنيا، فتلك جنَّتُهم وطيِّباتُهم المعجَّلة، وليس لهم منها شيءٌ في الآخرة.
- الفساد يكون إمَّا من جهة الاستمتاع بالشهَوات، وإمَّا من جهة الخوض في الشبُهات، والعلم والصبر زادُ الناجين.
- يلهو كثيرٌ من الناس في دنياهم، مستمتعين بما قدَروا عليه من اللذَّات، بعيدًا عن منهج الله، ويعُدُّون ذلك مكسبًا، ولا يشعرون أنهم عند الله خاسرون!

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ: قُرى قوم لُوطٍ، سُمِّيت بذلك؛ لأن الله قلَبَها عليهم.

- حين لا يفكِّرُ ذوو القوَّة بمَصارع الأقوياء قبلهم، تجري عليهم السُّنَنُ الإلهيَّة على حين غِرَّة، فيُؤخَذون وهم في نَعمائهم يتقلَّبون.
- لا تنفعُ عِظاتُ الماضي إلا مَن تتفتَّحُ بصائرُهم لإدراك سنَّة الله التي لا تتخلَّف ولا تتبدَّل، ولا تُحابي أحدًا من الناس.
- القوَّة إذا لم تُقَد بالهداية توجَّهت إلى مُراد بطشها عمياءَ؛ لا ترى عِبرَ الماضي، ولا تفكِّر في فواجع المستقبل العادل.
- أرأيتَ شدَّة مَصارع الأمم؟ أما لو نظرتَ إلى قبيح أفعالهم وشدَّةِ عنادهم لربِّهم لعلمتَ أنهم هم الذين جنَوا على أنفسهم، وأنهم أهلٌ لما حلَّ بهم.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

- المؤمنون بإيمانهم كالجسد الواحد، يُوالي بعضُهم بعضًا في تحقيق الخير ودفع الشرِّ، وإحياءِ التضامُن والتكافل فيما بينهم.
- ليست وظيفةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصَّةً بالرجال، بل على النساء أن يأمُرنَ بالمعروف وينهَينَ عن المنكر في إطارهنَّ المشروع.
- من أخصِّ أوصاف المؤمنين، وأقواها دَلالةً على صحَّة عَقدهم، وسلامةِ سريرتهم: أنهم يأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر.
- من تمام الموالاة بين المؤمنين القيامُ بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونُصرة مَن يقوم بذلك والذبُّ عنه.
- الصلاة والزكاة رُكنانِ عظيمان يقوم عليهما عمودُ الإيمان، أحدُهما يتعلَّق بالأموال، وثانيهما بالأبدان.
- ما قام المنافقُ إلى الصلاة إلا ورافقه الكَسَل، ولا طُلبت منه الزكاةُ إلا ومنعَه البَخَل.
- مَن أنكر وجوبَ طاعة النبيِّ ﷺ زاعمًا الاكتفاءَ بالقرآن، فقد خلع رِبقةَ الإيمان.
- إن دخول الجنَّة كائنٌ برحمة الله التي لا تُنال بالرجاء الخالي من الأعمال، بل تُنال بتوفيقِ الله عبدَه لصالح الأفعال والأحوال.
- رحمة اللهِ بعبده المؤمن لا تقتصر على الآخرة، بل تكون في الدنيا، في اطمئنان القلب واتصاله بالله، والرعايةِ والحماية من الفتن.
- بعزَّته سبحانه يُوصِل إلى أوليائه ما وعدَهم به من الجزاء، وبحكمته يُعطي النعَم والفضائل مَن يشاء.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

عَدْنٍ: إقامة.

- لا يكمُل أُنسُ أهل الجنَّة وهم في مساكنها الطيِّبة إلا برضوان الله؛ فلذلك امتنَّ به على أوليائه المؤمنين، وحرَمه أعداءه المنافقين.
- إذا نال العبدُ رضوانَ الله في الجنَّة فقد نال نعيمًا دونه كلُّ نعيم، إلا النظرَ إلى وجه الله الكريم.
- السعادات الروحيَّة أعلى وأشرفُ من السعادات البدنيَّة، فما أعظمَ غَبْنَ مَن آثر حظوظَ الجسد على حظوظ الرُّوح!
- هنيئًا لمَن شغلَ حياتَه كلَّها في ابتغاء رضوان الله والجنَّة؛ فهما الفوزُ العظيم، والنعيمُ المقيم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟
وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟
بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا
مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم
مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ
بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾
أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

١٩٩

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

• اللِّينُ مع الكفَّار والمنافقين له ظروفُه ومدَّته، ومتى انقضى ذلك فلتكن الغِلظةُ على أعداء الله؛ فحين لا ينفع معهم الرِّفقُ فجهادهم حقٌّ على المسلمين.

• سبب الأمر بجهاد الكفَّار متحقِّقٌ في المنافقين، فجهادُهم كجهاد الكفَّار؛ ومن هنا قرَن الله تعالى المنافقين بالكافرين في هذا الموطن.

• اعمل عملَ الصالحين، لتأويَ إلى مساكنهم في جنَّات النعيم، وجانب عملَ الطالحين، حتى لا تكونَ معهم في نار الجحيم.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

• شأن المنافق أن يُلبِس الحقَّ بالباطل، والغِشَّ بالنصيحة، فإذا جبَهَهُ المؤمنُ استترَ بأغلظ الأيمان، وتترَّس بالكذب والتزوير.

• رُبَّ كلمةٍ يطلقُها اللسان، يخرج بها صاحبُها من الإسلام، فرحمَ اللهُ امرءًا راقب كلماتِه، وانتقى ألفاظَه وعباراتِه.

• من رحمة الله تباركَ وتعالى بعباده المؤمنين ألا يبلغَ المنافقون كلَّ مُرادهم، ولا يصِلوا إلى جميع غايات مكرهم.

• إذا وصل الإحسانُ إلى اللئيم فاتَّقِ شرَّه؛ فإن طبعه يغلبه؛ فما أسرعَ أن ينسى الإحسانَ ويَطغَى إذا استغنى.

• من أعجب العجَب أن يستهينَ المنافقون بمَن كان سببًا في إخراجهم من الظلُمات إلى النور، ومُغنيًا لهم بعد الفقر! إن حقَّه عليهم أن يؤمنوا به ويجِلُّوه، استجابةً للداعي الدينيِّ وداعي المروءة الإنسانيَّة.

• التائب الصادقُ يقدِّم لنفسه خيرًا يستدفع به العذاب، ويجلِب به الثواب، ويستنزل به الرضوان، ويَسلَمُ من النيران.

• باب التوبة مفتوح، فمَن شاء الخيرَ إليه دلَف، ومَن شاء العقوبة عنه انصرف.

• قد يجدُ المتمادي في الباطل على الشرِّ أعوانًا، ولكن إذا نزل العذابُ فلن يجدَ لنفسه في جميع أقطار الأرض أنصارًا.

﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

• عَقدُ القلب على وعد الطاعات يحتاج إلى وفاء، فمَن صَدَق عَقد ووفَّى، ومن كَذَب عَقد وأخلف من غير عُذر.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾

• كيف يُرجى من المنافقين وفاءُ العهود للمخلوقين، وقد كذَبوا في عهودهم مع ربِّ العالَمين؟!

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾

فَأَعْقَبَهُمْ: فصيَّر عاقبتَهم وجزاءَهم.

• على المرء ألا يستصغرَ اقترافَ أعمالِ النفاق ولو صغُرت، فإنها قد تنتهي به إلى أن يكونَ منافقًا خالصًا.

• مَن أخلفَ مع الله المواثيق فقد عرَّض نفسَه للنِّفاق، وسمحَ له أن يتغلغلَ فيه، ويوشِكُ بعد ذلك أن يعشِّش في قلبه.

• الأفعال الذميمة تُفسد الأخلاقَ المستقيمة، وذلك يوجبُ على العاقل الحذرَ منها؛ لنتائجها السيِّئة الأثيمة.

• أخَصُّ لوازم النفاق الكذب، فإنه يتمكَّنُ من صاحبه ويتجدَّدُ عنده، وقد لا ينفكُّ عنه أبدًا.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾

• لا يظُنَّ أهلُ الكيد والنفاق الذين يبيِّتون ما لا يرضى اللهُ أن ذلك يخفى عليه، فإنه سبحانه مطَّلِع على بَواطنهم كما هو مطَّلع على ظواهرهم.

• إن اطِّلاعَ الله تعالى على السرِّ والعلَن يدعو إلى مُراقبة الله وتعظيمه، والبُعدِ عن مَساخطه، والإقبالِ على مَراضيه.

• عِلمُ الله لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، ولا ينتابُه قصورٌ ولا نسيان، وعِلمُ البشر قاصرٌ متجدِّد بحصول المعرفة بعد الجهل، والتذكُّر بعد الغفلة والنسيان.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

يَلْمِزُونَ: يَعيبون.

ٱلْمُطَّوِّعِينَ: الذين يتطوَّعون بالصدقة بالمال الكثير.

• أصحاب النفوس الطيِّبة والنيَّاتِ الصالحة يحبُّون الخيرَ ويشجِّعون أهلَه، وذوو النفوس السيِّئة والطَّوايا الخبيثة، يكرهون الخيرَ ويثبِّطون ذويه، ويسخَرون من صنائعهم الحسَنة.

• إن ربَّنا الكريمَ يغار لأوليائه من أذى أعدائه، فلمَّا سخِروا منهم جازى الساخرين بسُخريَّته، وعذابه.

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ
خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ
لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن
تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟
مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ
أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٢٠٠

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

• لا ينفعُ الكفَّارَ تضرُّعٌ ولا استغفار، فإن الطِّيب لا يعطِّر النجَس.

• مَن أصرَّ على نفاقه، وأحاطت به خطاياه الجِسامُ من جميع جوانبه، فقد فقدَ الاستعدادَ للتوبة والإيمان.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

بِمَقْعَدِهِمْ: بقُعودهم.

خِلَٰفَ: مُخالفين.

• ليس من شأن المؤمن أن يفرحَ بتقصيره، ولا عِصيانه، فإن حصَل منه ذلك فليتَّهِم إيمانَه.

• الجهادُ في سبيل الله من أجلِّ الرغائب، وأشرفِ المطالب التي يتنافسُ فيها المتنافسون، ولا يكرهُه المؤمنون الصادقون.

• كثيرون هم الذين يُشفقون من المَشقَّات، وينفِرون من الكَريهات الساميات، ويُؤثِرون الراحةَ الرخيصةَ على الكدح الكريم.

• بالصبر على الحرِّ والبرد في سبيل الله يدفع المؤمنُ حرَّ جهنَّم وبردَها المؤذيين، أمَّا المنافقُ فيفِرُّ من حرِّ الدنيا وبردها فيقع في حرِّ جهنَّم وزَمهريرِها المهلكَين.

• يا مَن لا تصبرُ على حَرِّ شمس الدنيا، وحرارةِ كلِّ ذي حرٍّ فيها؛ اجتنب ما يؤدِّي إلى حرِّ جهنَّم، فإنه أعظم وأشدُّ هَولًا.

• يا لَجهلِ مَن دفعَ مشقَّةَ ساعةٍ بمشقَّةِ الأبد!

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

• عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعتِ الدنيا وصاروا إلى الله تعالى استأنفوا بكاءً لا ينقطع أبدًا).

• لو علمَ اللاهون بدنياهم عن ربِّهم حُرقةَ بكائهم الذي سيبكونه يوم القيامة لاستيقظوا من غفلتهم، وحوَّلوا مركبَ مسيرهم.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

ٱلْخَٰلِفِينَ: المُتخلِّفين عن الجهاد كالنساء والصِّبيان وذوي الأعذار.

• الصفُّ الذي يتخلَّله الضِّعافُ لا يصمُد في المواجهة؛ لأنهم يخذُلونه في ساعة الشدَّة، فيُشيعون فيه الخِذلانَ والاضطراب.

• اقطع علاقتَك بمَن ترى منه المكرَ والخداعَ، والكيدَ والكذب، واحترز من مصاحبته، فإنه الداءُ المُعدي.

• السيرة السابقة نافذةٌ لمستقبل الإنسان، ومعرفةِ حاله ومآله.

• إذا هبَّت رياحُك فاغتنِمها فقد لا تعودُ إلى أُفقِك مرَّةً أخرى، ومَن تثاقل عن المأمور به ولم ينتهز فرصتَه لفِعله فربَّما لا يوفَّق إليه بعد تولِّيه.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾

• لا تكريمَ لمَن آثر الراحةَ على الكفاح، وأحبَّ البقاءَ بغير استصلاح.

• لمَّا كان المنافقون موصوفين بالكذب والنفاق، والخداع والمكر، وُصِفوا بالفِسق بعد إثبات كفرهم؛ لأن طريقةَ النفاق مذمومةٌ في كلِّ الأديان.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

• أشدُّ الأشياء جذبًا للقلوب إلى الدنيا: الاشتغالُ بالأموال والأولاد، وما كان كذلك وجبَ التحذير منه مرَّةً بعد أخرى.

• لا تجدُ أشدَّ رهَقًا ممَّن جعل الدنيا أكبرَ همِّه؛ فترى شملَه مشتَّتًا، وقلبَه ممزَّقًا، ولولا سَكرةُ عشَّاق الدنيا بحبِّها؛ لاستغاثوا من هذا العذاب.

• كم من نعمةٍ يفرح بها صاحبُها وهي له عذاب، وكم أمرٍ عَذبٍ حقيقتُه سَراب، وكم من مسرَّة تؤول إلى مَضرَّة.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ: أصحابُ الغِنى والسَّعةِ والمقدرةِ على الجهاد.

• الجهادُ الحقُّ دليلُ الإيمان الصادق، فمَن آمن بالله حقًّا جاهد في سبيله صدقًا، واتَّبع سُنَّة رسوله ﷺ.

• إذا بُسطت الدنيا للإنسان قيَّدته بأغلالها، فلم يستطع الانطلاقَ إلى معالي الأمور، إلا أن ينتصرَ إيمانُه، فيَكسِرَ تلك الأغلالَ الثِّقال.

• أصحابُ الأموال ما لم يكونوا أهلَ تقوى تُقعِدُهم أموالُهم عن الأعمال الصالحة التي قد تقطعُهم عن متعةِ أموالهم.

﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾

ٱلْخَوَالِفِ: القاعدين المُتخلِّفين؛ من النساء والصبيان وأصحابِ الأعذار.

وَطُبِعَ: خُتِمَ.

• المنافقون وضعفاءُ الإيمانِ جُبناء، آثروا البقاءَ مع النساء والصِّبيان، ولو فَقِهوا لم يرضَوا لأنفسهم بالحال التي تحُطُّهم عن منازل الرجال.

• سلامةُ الفهمِ نورٌ يضيءُ لصاحبه الطريقَ الذي يوصله إلى الغايات الحميدة.

• من كان ذا فقهٍ عرَف ما في الجهاد من العزِّ والفَخار، وما في التخلُّفِ من الشقاء والعار.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾

• إذا تخلَّفَ المنافقون عن الجهاد، فإن الله سيغني عنهم بقومٍ من صالحي العباد، اختصَّهم بفضله، يحبُّهم ويحبُّونه.

• ما بخِلَ رسول الله ﷺ بنفسه فقعد عن الجهاد، وحياتُه أغلى حياةٍ للدعوة وللناس، ولا بخِلَ بماله عن النفقة في سبيل الله؛ مع كثرة مَن يَعُول.

• إن الذين امتلأت قلوبُهم بحبِّ الله تعالى، فآثروه على كلِّ ما في الوجود، ورضُوا بالمشقة في سبيله مهما اشتدَّت؛ حازوا منازلَ الرِّفعة.

• الجهادُ مفتاحُ الخيرات، وسُلَّمُ الدرجات العاليات، ومَدرَج العواقب الحميدة التي تُرغِّبُ المتخلِّفين عن هذه السبيل الرشيدة.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

• للمجاهدين المخلصين تهيَّأتِ الجنات، وأُعدَّت بكلِّ صنوف الطيِّبات، فما أحسنَ العطاء، وما أعظمَ الجزاء!

• إن نَيلَ ما أعدَّه الله لعباده الصالحين من الخيرات والعطايا هو الفوزُ الحقيقيُّ الذي لا خَسارةَ بعده.

• إنها جناتٌ وليست جنةً واحدة، وأنهار وليس نهرًا واحدًا، وخلود وليس زمنًا موقوتًا، وفوز عظيم لا خسارة فيه، ألا يستحقُّ ذلك بذل نفس فانية ومال ذاهب، في سبيل الله؟

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾

ٱلْمُعَذِّرُونَ: المُعتذرون بأعذارٍ كاذبة.

• إذا كان من يختلقُ الأعذارَ ذا شرٍّ، فإن شَرًّا منه من يرى فسادَه صلاحًا لا يستوجب عُذرًا.

• المتخلِّفون عن الجهاد من غير عذر، طلبًا للسلامة وراحة الأبدان، يُشقُون أنفسهم بتعريض أبدانهم ونفوسهم لعذاب أليم.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾

حَرَجٌ: إثم.

نَصَحُوا۟ لِلَّهِ: أخلَصوا لله، ولم يثبِّطوا، وعلم اللهُ من قلوبهم أنهم لولا العُذرُ لجاهدوا.

• قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (لمَّا رأى اللهُ حرصَهم على محبَّته ومحبَّة رسوله، أنزل عُذرَهم في كتابه).

• مَن أحسنَ فيما يقدرُ عليه من النصح سقطَ عنه ما لا يقدرُ عليه من الجهاد.

• للمغفرةِ والرحمة أهلونَ من الناس، ليس أهلَ الكذب الذين لا يُبالون بالشرع، وإنما هم الناصحون إن عَجَزوا، والمحسنون إن قصَّروا.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

الجزء العاشر | سورة التوبة

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾
وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ
كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟
مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

الجزء ١١ الحزب ٢١

٢٠١

لِتَحْمِلَهُمْ: لتجدَ لهم دوابَّ يركبونها للجهاد.

تَفِيضُ: تسيلُ.

• المؤمنُ يحزنُ على فوات الطاعات، والمنافقُ يفرحُ بتخلُّفه عنها.

• إذا لم يجدِ المسلمُ في قلبه حزنًا على ترك طاعة، أو فعلِ معصية، أو فواتِ عمل صالح فليتدارك قلبَه.

• شتانَ بين مَن يبكي فقدَ رواحلَ يُحمل فيها إلى الموت، ومن يبكي فقدَ لُعاعةٍ من الدنيا ذهبت عنه، أو يخشى عليها الفوت.

﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾

ٱلسَّبِيلُ: الإثمُ واللوم.

• كان العتابُ لمن تركَ واجبَ الغزوِ مع قدرته، وليس لمن تركه مع عجزه، وهذا من رحمة الله بعباده.

• غَنِمَ مختلقو الأعذارِ لترك الواجب قعودًا أورثَهم طبعَ القلبِ، ومقتَ الرَّبِّ، وفقدَ التشريف بترك القيامِ بالتكليف.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟
لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى
ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن
تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ
﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ
سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

٢٠٢

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

• لا يبقى المنافقون بين المؤمنين مستورين دائمًا، مهما حاولوا مدَّ بساطِ الاستتار؛ فأعمالهم، وأحوالهم السيِّئةُ المتتابعةُ تنقُلهم إلى جوِّ العلانية.

• الأعمالُ هي ميزانُ الصدقِ والكذب، وأما مجرَّدُ الأقوالِ فلا تَصدُقُ دائمًا.

• ألا يرعوي عن المعصية امرؤٌ يُدركُ أن ربَّه سبحانه عالمٌ بجميع أعماله؛ ظاهرِها وباطنها، ومحيطٌ بأحواله؛ بارزِها وكامِنها؟

• كم دافعٍ للعمل يَخفى حتى على صاحبِه وهو يفعلُه، واللهُ أعلمُ به منه! وكم نتيجةٍ للعمل لا يدري صاحبُه وقوعَها، واللهُ يعلمُها دُونه!

• لا ينبغي لأحدٍ أن يزكِّيَ عملَه بمجرَّدِ حصوله، وإنما يُفوِّضُه إلى الله؛ فهو العالِمُ بصلاحِه وقبوله.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾

رِجْسٌ: خُبثاءُ في بواطنهم واعتقاداتهم.

• ليس كلُّ مخطئٍ يُترك من العتاب أو العقاب ينال الرضا والقبول، فمن الإعراض ما يكون إهانةً واحتقارًا، لا صفحًا وإعذارًا.

• المؤمن تنفعُ فيه المعاتبة، وتُصلحُه المحاسبة، ولا تزيدُه التوبةُ إلا نقاءً، وأما من لم يكُ طاهرًا فأنَّى له ذلك؟!

• أولى ما ينبغي الاحترازُ منه الأرجاسُ الروحانية؛ إذ يُوشكُ أن يميلَ الطبعُ بصاحبها إليها فيَهلِك، فالنجاسةُ الباطنة تُودي بأهلها إلى الأعمال المُهلِكة.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

• الذي لا يُراعي غضبَ اللهِ، فيحلِفُ كاذبًا ليُرضيَ بسخَطِ اللهِ بعضَ عباده، فيه شبَهٌ بالمنافقين، وقد أتى كبيرةً تُلحِقُه بالفاسقين.

• لا يُرضي المؤمنين إلا ما يُرضي ربَّ العالمين، وأعمالُ المنافقين لا يَرضاها، بل يَسخَطُها ويأباها.

• حَجبَ الفاسقون بفسقِهم رضا اللهِ عنهم، غيرَ أنهم لو تابوا لَقبِلَ اللهُ منهم.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

ٱلْأَعْرَابُ: سُكّان البادية.

وَأَجْدَرُ: وأحقُّ، وأحرى.

• إنما ذمَّ اللهُ تعالى في الأعرابِ كونَهم لا يعلمون حدودَ ما أنزلَ على رسوله من الهدى، فطوبى لمن عَلِمَها، واهتدى بها.

• أنفعُ العلومِ معرفةُ حُدودِ ما أنزلَ اللهُ على رسولِه، من أصولِ الدينِ وفروعِه، وإلا فكيف يمتثلُ المؤمنُ الأوامرَ ويزدَجرُ عن النواهي وهو لا يعرفُها؟!

• البعدُ عن المجالسِ الإيمانية والعلمية يُقرِّبُ الإنسانَ من الوقوعِ في المعصية.

• لن تَخفى على العليمِ سبحانه دخائلُ النفوس، وليس سوى الحكيمِ من يقدرُ على تمييزِ مراتبِ تلك النفوس.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

مَغْرَمًا: غرامةً وخسارةً.

وَيَتَرَبَّصُ: وينتظر.

ٱلدَّوَآئِرَ: المصائبَ والآفاتِ.

ٱلسَّوْءِ: كلُّ ما يَسوء ويَضرُّ.

• ما في القلبِ هو الذي يَحكمُ على غاياتِ الأفعال، فالمؤمنُ يرى النفقةَ في وجوه البِرِّ مَغنمًا، والمنافقُ وضعيفُ الإيمان يريانِها مَغرَمًا.

• لمَّا كان تربُّصُ المتربِّصين بالمسلمين السُّوءَ متكرِّرًا متجدِّدًا؛ جعلَ اللهُ السوءَ دائرًا عليهم، ومحيطًا بهم على الدوام.

• إن من يَسمعُ ما يُقال، ويَعلمُ ما يُضمَر، لقادرٌ على مجازاة كلِّ قائلٍ بما قال، وكلِّ فاعلٍ بما فعَل.

• اللهُ مطَّلِعٌ على باطنِ المنفِقِ يَرى إخلاصَه من غيره، ومُطَّلِعٌ على مقاله إن كان حامدًا لإنفاقه أو ساخطًا.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

• الإيمانُ بالله واليوم الآخرِ هو ما يبعثُ المؤمنَ على الإنفاق في مراضي الله، وليس خوفُ الناس ولا الرغبةُ في مديحهم.

• إذا عدَّ بعضُ الناسِ النفقةَ في سبيل الله خَسارة، فهناك من عِباد الله من يَعدُّها أربحَ تجارة.

• ليس من أدب القرآن تعميمُ الناسِ بالأحكام بلا دليل، ولكنَّ منهم من يَشمَلُه الحُكم، ومنهم من ليس كذلك، فما أجملَ الإنصاف!

• ما أعظمَ بشرى المؤمنين المتصدِّقين المخلصين بأن رحمةَ اللهِ ستغمرُهم، وتحيطُ بهم من كلِّ جانب!

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ
مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ
إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

٢٠٣

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

• لا بدَّ لمَن يدَّعي اتِّباعَ الصحابة الكرام أن يأتيَ بدلائلَ على دعواه، من محبَّتهم والترضِّي عنهم وانتهاج نهجهم.

• طوبى لمن أخبرَ اللهُ أنه راضٍ عنه، فإنه من أهل الجنة، وهل يُثني اللهُ على قوم ويمدحُهم، ويُخبرُ عن رضاه عنهم إلا وهو يريدُ كرامتهم؟

• التابعون بإحسانٍ لِما كان عليه الصحابةُ الكرامُ هم السعداء، فمَن رضيَ اللهُ عنه صارَ أهلًا للاقتداء.

• ويلٌ لمن أبغضَ مَن رضي الله عنه، فإنه لا يفعل ذلك مؤمنٌ بالقرآن.

• الرضا بالله تبارك وتعالى، وطلبُ مرضاته هو من أعظم أسباب الفوز العظيم بما عنده سبحانه من الإكرام والإنعام.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

مَرَدُواْ: مهَروا فيه، واستمرُّوا عليه.

• إذا ظهرَ النفاقُ في أرضٍ يتنزَّل فيها وحيُ السماء، ويمشي على ظهرها سيِّدُ الأنبياء، وفي زمانٍ يَسودُ فيه عزُّ الإسلام، فكيف بعد ذلك؟!

• ليس لعبدٍ أن يزعمَ أن اللهَ يُطلِعُه على الغيب، لمجرَّدِ أن قلبَه قد صفا، ونفسَه عن الشواغل قد جُرِّدت.

• مهما أحسنَ المنافقُ التخفِّيَ والتلوُّن، فإنه لن يخفى على رب الناس، وسيعذبه أعظم عذاب.

• إن الكافر أو المنافق إذا عُذِّب في الدنيا فإنما ذلك مقدِّمة للعذاب العظيم في الآخرة، فإن العذاب الدنيويَّ لا يدفع عنه العذابَ الأخرويَّ، ما دام مستمرًّا على كفره ونفاقه.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

• من خلطَ الأعمالَ الصالحة بالسيِّئة، ثمَّ اعترفَ وندم، ورجا أن يغفرَ اللهُ له؛ فإنه تحت الخوفِ والرجاء، وهو إلى السلامةِ أقرب.

• إذا أطمعَ اللهُ عبدَه بمَطمَعٍ قام على شرطٍ فحقَّقه العبدُ أعطاه اللهُ ما وعده، فإنه لا يُخلِفُ وعدَه، ولا أكرمَ منه سبحانه.

• لِيعملِ المؤمنُ، وليكن على وجَل، ولا يتَّكِل على عفو اللهِ ورحمته، فإن الله تعالى لا يجبُ عليه لأحدٍ شيءٌ إلا ما أوجبه على نفسه تفضُّلًا وتكرُّمًا.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾

وَتُزَكِّيهِم بِهَا: وتنمِّي بها حسناتِهم، وترفعُهم إلى منازل المخلَصين.

وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ: وادعُ لهم واستغفِر.

سَكَنٌ لَّهُمْۗ: سَكينةٌ لنفوسهم، وطُمأنينةٌ لقلوبهم.

• إذا كانتِ الصدقةُ أوساخَ الناس فإن في أخذها من المتصدِّق تطهيرًا له من تلك الأوساخ، وتزكيةً له ليبلغ الكمالات.

• من رحمة الله تعالى بعبده أن جعل له من أعماله الصالحة ما تُمحى به أعمالُه السيِّئة، فمَن تدنَّس بذنبٍ فعليه المبادرةُ إلى عملٍ صالح يمحوه؛ فالحسنات يُذهبنَ السيِّئات.

• من الأخلاق الحسنة: أن تشجِّعَ العاملين للطاعات، فلو رأيتَ مُنفقًا فاجعل له من دعائك نصيبًا، لعلَّه يستمرُّ على طاعته.

• ما أبردَها على الكبد، وأطيبَها في النفس أن تُدخلَ السرورَ على قلب أخيك بكلمة حسنة طيِّبة!

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

• ليس قَبولُ التوبةِ بيد أحدٍ من الخلق، وإنما هي بيد الخالق تعالى، فلا تطلبها إلا منه، ولا تقصِد بها سواه.

• ما أشرفَ طاعةَ الصدقةِ بين الطاعات! يأخذُها الله تعالى، ويأمرُ رسولَه الكريم ﷺ بأخذها.

• لِيَجِدَّ المذنبون في الأوبة، وليستبشرِ التائبون بربٍّ كريم كثيرِ التوبة، عظيمِ الرحمة، جلَّ شأنه.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

• التوبة الصادقةُ يدلُّ عليها الإقبالُ على العمل الصالح مُصدِّقًا تلك المشاعر.

• سطِّر في كتابِ عملك أحسنَ الأعمال؛ فإنك على موعدٍ بمقابلةِ ذي الجلال، وستقرأ كتابك، وتُحاسَب على ما فيه.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

مُرْجَوْنَ: مؤخَّرون.

• تخويفُ اللهِ لعباده يحمِلُهم على المبادرة إلى التوبة، وإطماعُه إياهم بها يرقِّقُ قلوبَهم شوقًا لدار الكرامة التي أُخرجوا منها.

• اللهُ سبحانه يعلَمُ ما يليقُ بعباده من التوبة أو التعذيب، ويُحكِمُ تقديرَه حين تتعلَّق به إرادتُه.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ
مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن
يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

الحزب ٢١

٢٠٤

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

ضِرَارًا: لأجل الضَّرر بالمؤمنين.

وَإِرْصَادًا: وانتظارًا وإعدادًا.

• بُني مسجدُ الضرار للمُضارَّة لا للنفع، وللكفر لا للإيمان، ولإيواء مَن حارب اللهَ ورسولَه لا لدعوة من آمن بالله ورسوله، وهذه المقاصدُ من أعظم مقاصد المنافقين تُجاه المجتمع المسلم.

• المَقصِد الأكبرُ من الجماعة تأليفُ القلوبِ على الطاعة، حتى يقعَ الأُنسُ بالمخالطة، وتصفوَ القلوبُ من الأحقاد، فلذلك يسعى المنافقون لتحطيم هذا البناء.

• كم من نشاطاتٍ ولافتاتٍ باسم الدين وهي في حقيقتها تَرميه! وكم من تشكيلاتٍ وتنظيماتٍ وكُتُبٍ وبحوثٍ تظهر باسم الإسلام وهي تنوي هدمَه!

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

• إن العملَ وإن كان ظاهرُه فاضلًا فإن النيةَ الفاسدةَ تُغيِّره، فيغدو مَنهيًّا عنه.

• كُلُّ شيءٍ يحصُل به التفريقُ بين المؤمنين فإنه معصيةٌ يجب تركُها.

• قد أثَّرتِ المعصيةُ على مكانٍ فنُهيَ عن القيامِ بالعبادة فيه، في حينِ أثَّرت الطاعةُ على مكانٍ قُباءٍ فأُمرَ بالقيام فيه.

• حين يَبعثُ حُبُّ الطهارةِ على التطهُّر، فيصيرُ للمرء خلقًا، فإنه يفعلُه من تلقاءِ نفسه، وإن لم يُطلب منه، ومن أحبَّ طاعةً لله وواظب عليها جنى بذلك حبَّ اللهِ له.

• موافقةُ اللهِ في حُبِّه من دلائل زكاءِ النفوس.

• ما من نفسٍ سويةٍ إلا كانت تكاليفُ الشريعةِ محبَّبةً لها.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

شَفَا: طرَف.

جُرُفٍ هَارٍ: حُفرةٍ متداعيةٍ للسُّقوط.

• العملُ المبنيُّ على التقوى والإخلاص والمتابعة، هو الذي يبقى وينفعُ صاحبَه عند الله تعالى.

• المقاصد والنيَّات تُميِّزُ الأعمالَ فتحكمُ عليها بالصِّحة أو الفساد.

• كيف لعملٍ أُسِّسَ على غيرِ تقوى من الله تعالى أن يَبقى أو ينفعَ في الآخرة فاعلَه؟!

• لا يوفِّق اللهُ للرشاد في أفعاله، مَن كان بانيًا بناءه في غير حقِّه وموضعه، ومَن كان منافقًا مخالفًا بفعله أمرَ الله وأمرَ رسوله.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

رِيبَةً: شكًّا ونفاقًا.

تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ: تتقطَّع بالموتِ، أو بالندامة والتوبة.

• مبادئُ الشرورِ إن استحكمَت أهلكت، فأعمالُ الباطلِ لا تزال تزيد صاحبَها ريبةً في الحقِّ، حتى تُرديَه في أودية الضلال السحيقة.

• الله عليمٌ بأعمال خلقِه، حكيمٌ في مجازاتهم عنها من خير أو شرٍّ، ومن حكمته تعالى أنه بيَّن حالَ المنافقين، وأظهرَ ما خفيَ من أمرهم.

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

فَاسْتَبْشِرُوا: فأظهِروا السرورَ والفرَح.

• ما أحسنَ هذه الصورةَ في الترغيب بالجهاد! فالجهادُ عَقدٌ عاقِدُه الله، وثمنُه الجنة، والمعقود عليه القتال في سبيله، والوثيقةُ التي سُجِّل فيها الكتبُ السماوية.

• أنَّى لمؤمن صادقٍ أن ينكُثَ بيعةَ الله تعالى، فلا يبذُلَ في سبيل جنَّته نفسًا ولا مالًا!

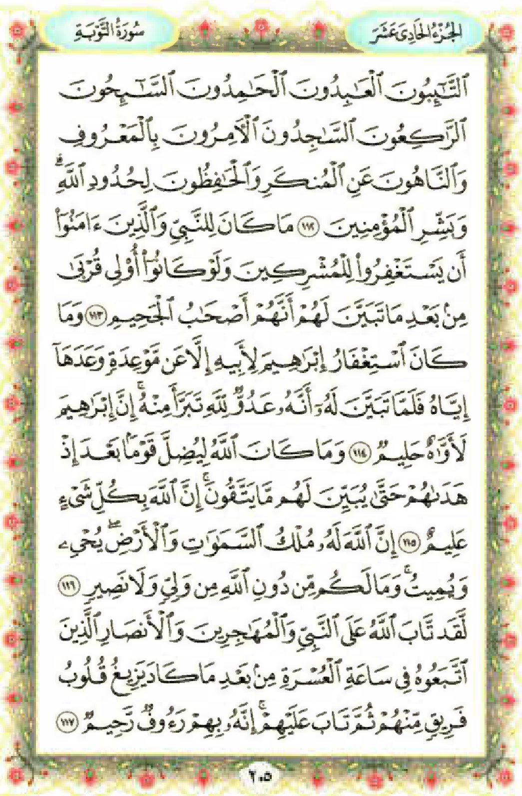
• يا أيُّها المؤمنون، استبشروا بهذا العقد، فإنه عقدٌ كريم لازم، لا يَثبُتُ فيه خِيار، ولا يَعرِضُ له فَسخ.

• يا لها من تجارةٍ رابحةٍ لمن باعَ نفسَه ومالَه من الرحمن، ويا لَخسارةٍ من باع منزلَه من الجنة بأبخسِ الأثمان!

• إذا كانت النفسُ إلى موت، والمالُ إلى فَوت، أفيَخسرُ مَن يُسلِّمهما لله ويحظى بالجنة؟!

• تاللهِ ما هانت الجنَّةُ حتى يستامَها المفلسون، ولا كسَدت فيبيعَها بالنسيئة المُعسرون، فلا ثمنَ لها إلا غالي النفوس.

• في ختمِ الآية بالبِشارة من ربِّ العالمين مزيَّةٌ للمؤمنين، وترغيبٌ لهم في الجهاد، وخَوضِ غَمَراتِ الجِلاد.



التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ
الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا
كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ
هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ
فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾
٢٠٥

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

السَّائِحُونَ: الصائمون.

• ليس الإيمانُ بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، بل بعملٍ يُرضي اللهَ تعالى.

• لا بدَّ للتائبِ من اشتغالٍ بعملِ الآخرة، وتداركِ ما فرَّط من أعمالها، وأن يحفظَ لحظاتِه وخُطُواتِه ولَفَظاتِه وخَطَراته.

• استشعِر نِعمَ اللهِ الواصلةَ إليك، واستحضر عظمةَ المُنعِمِ عليك، وليلهج لسانُك بحمده في جميع أحوالك، فإنه تعالى مُنعِمٌ بالعطاء، وراحمٌ بالابتلاء.

• السياحة خروجٌ عمَّا أَلِفَه الإنسان من وطن وأهل، فكذلك الصيام خروجٌ عمَّا أَلِفَ الصائم من طعام وشراب وشهوة.

• إن الركوع والسجود ليَصدُران عن تواضع وعبوديَّةٍ للملِك الكريم، في الصلاة التي من غاياتِها الخضوعُ والتعظيم.

• هؤلاء المؤمنون قائمون بطاعة الله في أنفسهم، ناصحون لغيرهم بالقيام بطاعته. قال الحسن رحمه الله: (لم يأمروا بالمعروف حتى كانوا من أهله، ولم ينهَوا الناسَ عن المنكر حتى انتهَوا عنه).

• تكريمٌ من الله للمؤمنين بأمرِ اللهِ رسولَه الأمين بتبشيرهم، مع ما تحملُه هذه البِشارةُ في عمومها من الخيرات، والوعودِ الصالحات.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾

• إنما ينتفعُ المشركُ في قرابته من المؤمن بالصلةِ والتراحم، وأما الاستغفارُ والولاءُ فلا يكون إلا لمؤمن.

• قال عطاءُ بنُ أبي رباح: (ما كنتُ لِأَدَعَ الصلاةَ على أحدٍ من أهل القِبلة، ولو كانت حبشيَّةً حُبلى من الزِّنى؛ لأنِّي لم أسمع اللهَ حجبَ الصلاةَ إلا عن المشركين).

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

• الاستغفارُ لمن مات مشركًا والترحُّمُ عليه، قريبًا كان أم بعيدًا، بعد أن نُهي نبيُّ الله إبراهيم عن الاستغفار لأبيه، اعتداءٌ في الدعاء.

• لا رابطةَ عند الله تعلو رابطةَ الإسلام؛ فالقرآنُ لم يقدِّم على الدين قرابةً قريبة، ولا وطنًا مشتركًا، ولا واشجةً أخرى.

• ألا ترى ما في ثناءِ اللهِ على خليلِه بكونِه أوَّاهًا حليمًا من علوِّ شأن هاتين الخَصلتين عنده تبارك وتعالى؟

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

• ما ضلَّ أحدٌ إلا بتركه الوحي، فلو اهتدى به لعلِمَ ما يأتي وما يتَّقي.

• من رحمة الله بعباده أن بيَّن لهم ما يتَّقون به غضبَه، ويحذَرون به معصيتَه، فأين المتَّقون؟

• بيانُ اللهِ لعباده قائمٌ على العلمِ المحيطِ الذي لا يُمكِنُ أن يتطرَّقَ إليه الخطأ، ولا لواقعٍ صحيحٍ أن يخالفَه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾

• كما أن أحكامَه سبحانه صادرةٌ عن كمال علمه، فهي أيضًا صادرةٌ في ملكه الكامل، فالمعترِض على حكمه جاهلٌ ومُعتدٍ أيضًا.

• السموات والأرض على عظمتهما لله عز وجل، يتصرَّفُ فيهما كيف يشاء، فكيف بما دونهما؟! فتعلَّق أيُّها المؤمن بربِّك، فلا ناصرَ لك سواه.

• متى والى المسلمون ربَّهم واتَّكلوا عليه وامتثلوا أمرَه نصرَهم ولم يَكِلْهم إلى الأسباب التي يتعلَّقُ بها الناس.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

سَاعَةِ الْعُسْرَةِ: وقتِ الشدَّة، والمُراد: غزوةُ تَبُوك.

يَزِيغُ: يَميل.

• ما من مؤمنٍ إلا وهو محتاجٌ إلى التوبة والاستغفار، حتى النبيُّ ﷺ والمهاجرون والأنصار.

• جعل الله لتوبته ورضاه أسبابًا، منها طاعتُه وعِصيانُ هوى النفس، فاتِّباعُ الصحابة رضي الله عنهم النبيَّ ﷺ في ساعة العُسرة كان سببًا لرضاه عنهم ومدحِهم، وعيبًا على من لم يصاحبهم فيها.

• ما أعظمَ لُطفَ اللهِ بعباده! فكم قد أشرفوا على العطَب والفناء، ووطَّنوا أنفسَهم على الهلاك والانتهاء، وإذا بربِّهم يمطرُ عليهم سحائبَ الإنقاذ والإحياء.

• إن توبةَ العبدِ هي بين توبتين من ربِّه، سابقةٍ ولاحقة، فإن تاب عليه إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبدُ، تاب اللهُ عليه ثانيًا، قَبولًا وإثابة.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم
مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ
بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ
وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا
يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ
لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

الحزب ٢١

٢٠٦

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

وعلى الثلاثة: أي: وتاب على الثلاثة، وهم: كعبُ بن مالك، وهلالُ بن أميّة، ومُرارةُ بن الرّبيع.

بِمَا رَحُبَتْ: مع رُحبِها وسَعَتِها.

• بحسَبِ ندمِ العبد وأسفِه تكون توبةُ اللهِ عليه، فأما مَن لم يبالِ بالذنبِ فتوبتُه مدخولة وإن زعَم أنها مقبولة.

• إذا تعلَّقَ القلبُ بالله تعلُّقًا تامًّا، وانقطعَ عن المخلوقين، فتلك علامةٌ من علامات الخير وزوالِ الشِّدة.

• متى ضاقت عليك نفسُك ولم تَسعكَ الأرضُ فاصدُق التوبة، واتَّجه نحوَ ربِّ السماء تجِد الفُسحة والسَّعة.

• كم ذنبٍ أحدثَ رِفعةً عند الله، وذِكرًا حسنًا بين الخَلق حين أورثَ ندمًا وأوبة صادقة.

• التوابون هم الذين يجدِّدون توبتَهم، ويَرجِعون إلى ربِّهم على الدوام، وجديرٌ بمن هذا حالُه أن يَقبلَه اللهُ، فإنه كثيرُ المغفرة واسعُ الرحمة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

• مما يُعينُ العبدَ على التقوى صحبةُ الصادقين في أقوالهم، المخلصين في أعمالهم.

• قال كعبُ بن مالك، يحدِّث حين تخلَّف عن غزوة تبوك: (إن الله إنما أنجاني بالصِّدق، وإن من توبتي ألا أحدِّثَ إلا صدقًا ما بقيت) فهلَّا اقتدينا به.

• مَن كان مع الصادقين في الدنيا مخلصًا، كان معهم في الآخرة مصاحبًا.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ: ولا يرضَوا بالراحة لأنفسهم، ورسول الله ﷺ في تعَبٍ ومشقَّة.

نَصَبٌ: تعَبٌ.

مَخْمَصَةٌ: مجاعةٌ.

يَغِيظُ: يُغضِبُ ويَغُمّ.

نَّيْلًا: بقتلٍ أو أسرٍ أو جِراحةٍ أو هَزيمة.

• كيف لمؤمنٍ أن يَرغَبَ عن صُحبةِ رسول الله ﷺ في البأساء والضَّراء، وعن مكابدةِ الأهوال معه برَغبةٍ ونشاط واغتباط، وألا تهونَ عليه نفسُه في سبيل متابعته؟!

• يا مَن تضعُ قدمَك حيث يغتاظُ الكافرون وأنت تريدُ التمكينَ للدِّين، إنك تصنع خيرًا، وإن لك على ذلك لأجرًا.

• ما أعظمَ ترغيبَ اللهِ لعباده في الجهاد في سبيله! يرغِّبهم بأن كلَّ مشقَّةٍ تصيبُهم في ذلك لهم بها أجرٌ كبير.

• مَن قصدَ طاعةَ اللهِ كان قيامُه وقعودُه، ومِشيتُه، وحركته وسكونه، حسناتٍ مكتوبات، فما أعظمَها من بركاتٍ للطاعات!

• إن الصبرَ على مشاقِّ الطاعات يُوصلُ العبدَ إلى درجة المحسنين الذين اطمأنُّوا إلى عدم ضياع أعمالهم عند ربِّ العالمَين.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

• كلُّ جُهدٍ في الخير من أيِّ فردٍ، على قدر استطاعته، مطلوبٌ، وكلُّ طريقٍ يؤدِّي إلى المقصودِ فهو مقصود.

• كُن من أهل الإحسان على الدوام ولو قلَّ ما لديك، وأبشِر بحِفظ الله له، وثوابِه لك عليه.

• إن المرءَ ليَخجلُ أن يكون ذلك الأجرُ على أقلَّ مما احتملَه رسولُ الله ﷺ من الشِّدة واللأواء في سبيل هذه الدعوة التي نحن فيها خلفاء، وعليها بعدَه أُمناء.

﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً: ليَخرُجوا إلى الجهاد جميعًا.

• إن من أسباب النجاح في أمور الناس العامَّة والخاصَّة توزيعَ المُهمَّات؛ بأن يتولَّى كلَّ مهمَّة مَن يقوم بها، ولا يتوجَّه جميعُهم إلى مهمَّة واحدة، ويدَعون غيرَها شاغرًا.

• بذلُ العلم النافع ابتغاءَ وجهِ الله تعالى لا يقِلُّ عن بذل النفس في ساحات الوغى.

• على المسلمين أن يُعِدُّوا لكلِّ مَصلحةٍ من مصالحهم العامَّة مَن ينهض بها، ويوفِّرُ وقتَه فيها، ولا يلتفتُ إلى غيرها، لينفعَ المسلمين النفعَ المرجوَّ.

• من أغراضِ التعليم وأهدافه: تحذيرُ الناسِ من بأسِ الله، والبعثُ على خشيته.

• الصِّلة بين طلب العلم والجهاد وثيقة؛ فإن الجهاد لا يقوم بلا علم، وإنما المجاهدُ الحقُّ مَن يُوصِل رسالةَ الله تعالى للعالمين على بصيرة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
(١٢٣) وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَلَا
يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم
مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ (١٢٧) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)

سورة يونس

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾

يَلُونَكُم: يجاوِرونكم.

• قتال الأقرب فالأقرب من الكفَّار المحاربين للمسلمين هو من فقه الأولويَّات في الجهاد؛ تأمينًا للظَّهر، وطَمأنةً لقلوب النافرين والمقيمين من المسلمين.

• مَن حاربَ الإسلامَ والمسلمين فلا يُقابَلُ إلا بالشدة والغِلظة، حتى يَرعويَ عن غَيِّه.

• المؤمنُ رفيقٌ بأخيه، غليظٌ على من يُعاديه.

• ليس في حربِ مَن شاقَّ اللهَ ورسولَه رحمةٌ ولا رأفة، لكن من غير تمثيل ولا تنكيل، وإنما تكون الرحمة بهم في غير الحرب.

• لا بدَّ للمجاهدِ الذي يريدُ الظفرَ من حظٍّ وافرٍ من التقوى، فهي العَونُ في النصر على الأعداء.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤)﴾

• ليس كُلُّ مَن سمِع الآياتِ ازدادَ إيمانًا، بل لا بُدَّ من الإقبالِ عليها، والإنصاتِ لها، والاهتمامِ بها.

• أهلُ الإيمانِ يستبشرون بنزولِ آيات القرآن، فيسمعون ما فيها من الأخبار والأحكام، والوعدِ والوعيد، فيزدادون إيمانًا إلى إيمانهم؛ إذ ليس الإيمانُ معرفةً جامدة، بل هو قولٌ وعمل يزيد ويَنقُص، وأعظم ما يزيده كتابُ الله تعالى.

• ينبغي للمؤمن أن يتفقَّدَ إيمانَه ويتعاهَدَه، فيُجَدِّدَه وينمِّيَه، ليكونَ دائمًا في صُعودٍ، فالإيمانُ يَزيدُ ويَنقُص.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)﴾

مَرَضٌ: شكٌّ ونفاق.

• القلوب تمرَضُ وتَشفى كالجسد، فأدواؤها الكفر والجهل وذميمُ الخِلال، وأدويتُها الإيمانُ والعلم وفضائلُ الخِصال.

• إذا انتكستِ القلوبُ انقلبَ تمييزُ الأمور فيها، فيصيرُ الخيرُ شرًّا، وسببُ الهداية سببًا للغَواية.

• الكفر بآيات الله تعالى، وعصيانُ رسوله ﷺ يُعقِب أصحابه هلاكًا وطبعًا على قلوبهم؛ عقوبةً من الله تعالى لهم.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾

يُفْتَنُونَ: يُبتلَون بالقَحط والشدَّة، وإظهار ما يُبطِنونه من النفاق.

• ليَفزَع إلى التوبة مَن نزلت به إحدى الرزايا، فلعلَّه أُصيبَ بها لفعلِ بعض الخطايا.

• مَن أعرض عن القرآن واستهزأ بذِكره لم يكن من أهل الذِّكر، ولم تُحدث فيه الرزايا ذِكرًا ولا عِبرة.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٢٧)﴾

• المنافقُ يراقب الناسَ كما يراقب المؤمنُ ربَّه، فيَحضُر ليَربحَهم، ويَخنِس خُفيةً كي لا يخسرَهم.

• لا يستطيعُ المنافقون البقاءَ عند سماع القرآن، فقلوبُهم لا تقبلُه، وكشفُه لعَوارهم وإخراجُه لأسرارهم يَصرِفُهم عن الاستماع له.

• من أعرضَ عن الله تعالى أعرضَ الله عنه، ومن لم يَفقه ما ينفعُه في آخرته لا يمكنه الإقبالُ على سماع كتاب ربِّه، والانتفاع بخطابه.

• الفقيهُ كُلُّ الفقيهِ مَن أقبلَ على القرآنِ سماعًا وأخذًا، وعِلمًا وعملًا.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾

عَزِيزٌ عَلَيْهِ: صعبٌ وشاقٌّ عليه.

مَا عَنِتُّمْ: عَنَتُكم ومشقَّتُكم.

• تشريفٌ للعربِ وتكليفٌ أنْ كان رسولُ الله ﷺ منهم، فتشريفُهم بأن بُعِث من بينهم؛ يفهمون عنه أكثرَ من غيرهم، وتكليفٌ بأن يتحمَّلوا من أمانة التبليغ ما لم يتحمَّله غيرُهم.

• ما أرحمَ رسولَ الله ﷺ وأرأفَه بأمَّته! يَشُقُّ عليه أن يرى المشقةَ بهم نازلة، ويَحرِصُ على إيصال الخير لهم في كلِّ أوان، فما أحسنَ أن يكون الدُّعاة كذلك!

• لا ينتفعُ برأفةِ رسول الله ﷺ ورحمتِه إلا مَن آمنَ به، فحينما يهتدي إلى الحقِّ يَظهرُ أثرُ الرأفةِ والرحمة عليه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾

• أيُّها الداعي، إن تولَّى الناسُ عن دعوتك، وأعرضوا عن اتِّباعك، فتوكَّل على ربِّ الناس، فهو الملاذُ والمُلتجأ.

• الجهرُ بالحسبلة، والتوكُّل على الذي كُلُّ الأمرِ له، بقلبٍ حاضرٍ واعٍ، يُطفِئ عن النفسِ لظى الهمِّ والغم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ
مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ
ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

٢٠٨

سُورَةُ يُونُسَ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾

• القرآن الكريمُ مِشكاةُ الحُكمِ والحكمة، فاقتبِس من أحكامه ما تُنيرُ به طريقَك، ومن حِكَمه ما تُضيء به فهمَك.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

قَدَمَ صِدْقٍ: أجرًا حسنًا بما قدَّموا من صالح الأعمال.

• عجبًا لهم كيف جوَّزوا أن يكونَ المنحوتُ من الخشب والمعمولُ من الصخر إلهًا معبودًا، وتعجَّبوا أن يكونَ محمَّدٌ ﷺ في جلالة قدره رسولًا؟! هذا هو الضلال البعيد.

• الوحيُ إنذارٌ للناس بعاقبةِ المخالفة، وتبشيرٌ للمؤمنين بعُقبى الطاعة، وبيانٌ للمكلَّفين فيما يفعلونه، وفيما يتركونه.

• قدِّم لنفسك من الإيمان والعملِ الصالح ما يَرضى به ربُّك عنك، فمَن قدَّم خيرًا أثبت اللهُ له أجرًا.

• لا يظنَّ المعاندون أن كلَّ ما ليس في مقدور البشر فعلُ مثلِه هو من باب السحر، إن كتاب الله المعجز ما هو إلا وحيٌ من عنده.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ: علا وارتفع، استواءً يليقُ بجلاله وعظمته.

• لو شاءَ اللهُ تعالى لخلقَ خلقه في أقلَّ من طَرفةِ عينٍ، لكن له سبحانه في خلقه حِكمة، نعلم منها التأنِّيَ وإحكامَ الأمور وإتقانَ الأعمال.

• سبحانه من إلهٍ مستوٍ على عرشه! لا يزالُ يدبِّرُ أمرَ خلقِه كلَّ حين في سماواته وأرضه.

• كما لا مدبِّرَ مع الله جلَّ شأنه منذ أن بدأ الخلقَ؛ فإنه لا شفيعَ معه دون إذنه يوم الحساب.

• الأمرُ كلُّه للهِ وحدَه، فهو تعالى يُلهِمُ الداعيَ الدعاءَ فيستجيبُ له، ويأذنُ للشافع بالشفاعة فيقبلُ شفاعتَه.

• ألا يتوجَّهُ الناسُ بالعبادةِ إلى مَن أوجد هذا الكونَ العظيم، ثمَّ بعثَ إليهم برحمته هذا النبيَّ الكريم ﷺ يحذِّرُهم ويُبشِّرُهم؟!

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

• أليس القادرُ على بَدءِ الخَلق قادرًا على إعادته؟ فكيف لعاقلٍ أن يؤمنَ بالأولى ويُنكر الآخرة؟!

• أحسِن العملَ، فهناك جزاءٌ ينتظرُك عند الله تعالى، وجِدَّ في سيرك إلى ربِّك، لعلَّك أن تظفر بالدرجات العُلى.

• ما أعظمَ ما ينتظرُ الكافرين من العذاب! فهل من عاقلٍ يَعرفُ خطأه، ثمَّ يتمادى في البعد عن الصواب؟

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

• الشمس والقمر آيتان عظيمتان؛ ضياءٌ لك في النهار، ونورٌ لك في الليل، فهلَّا شكرتَ الله عليهما.

• لا تَشُقُّ معرفةُ التاريخ على الناس، ما دام القمرُ الضابط له قائمًا في جوِّ السماء، فأيَّةُ نعمةٍ هذه!

• ندبَ الإسلامُ إلى تعلُّمِ العلومِ النافعة، من معرفةِ منازل القمر، وضبط الحساب، وسواهما من العلوم الكَونية.

• لقد أحكم ربُّنا الكونَ لخلقه؛ أفلا يَضبِطُ جزاءَ أعمالهم يوم لقائه بحُكمه وعدله؟!

• ما أجهلَ مَن لم يهتدِ بالدلائل الدالَّةِ على ربِّه! بل يراها ظواهرَ متكرِّرةً في حياته، لا يقفُ إلا على ظاهرها، ويغفُل عن الغاية من تسخيرها.

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾

• لا يُظلِمُ الليلُ على شيء ثمَّ يُشرِقُ عليه نهارٌ إلا وهو ينادي بعظمةِ خالقه وقدرةِ صانعه.

• المتَّقون يخافونَ العواقبَ في أمورهم، فيَحمِلهم الخوف على التدبُّر والنظر.

• القُرب من التقوى يقرِّبُ من الانتفاع بالآيات، والتذكُّرِ بالعِبَر والعِظات.


الجزء الحادي عشر | سورة يونس

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ
ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ
لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ ۞وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ
ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا
عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ
مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ
لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ
خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤

الحزب ٢١

٢٠٩

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧﴾

• لتكُن هِمَّتُك عالية، وغايتُك المَرجُوَّة سامية، فلا تَرضَ لنفسك بحياةٍ ناقصةٍ مكدَّرةٍ زائلةٍ، بل اطلب لها حياةً باقيةً، صافيةً كاملة.

• البهجةُ بالحياة الدنيا والرضا بها والتوغُّل في مُلهِياتها يَصرِف عن الاستعداد للآخرة بمقدارِ ذلك الابتهاج والرضا واللهو.

• إن رجاءَ لقاءِ الله واستشعارَ الانتقالِ إليه يزهِّدُ العبدَ في الدنيا ويرغِّبُه في الآخرة.

• مَن لا يخاف اللهَ دأبُه الغَفلةُ عن آيات ربِّه التي فيها نَجاتُه وسعادته، لكنَّه ليس بغافل عن الشهوات والشبُهات التي فيها هلاكه وشقاؤه!

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾

• مَن رضيَ بالدنيا وحدَها لم يعمل للآخرة عملًا، فصارت أعماله سببًا لدخوله النار وبقائه فيها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩﴾

• كُن مؤمنًا عاملًا بالصالحات يَهدِك ربُّك إلى جنَّاته ورِضوانه، ويجنِّبك ما يُسخِطه ويغضبه.

• من نِعَم المولى سبحانه على عباده، أن العمل الصالح تنشأ عنه أعمالٌ صالحةٌ أخرى، فهم في خيرٍ أبدًا.

• كم تزخَر الجنَّةُ بألوان النعيم! فالقلبُ مغتبطٌ بقُرب المولى ورضاه، ولُقيا الأحبة وسرورِهم، والبدنُ مستمتعٌ بما لا يخطُر على قلب بشر، ولا يقدِرُ على وصفِه واصف.

﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾

• أُعطِيَ أهلُ الجنَّةِ فيها ما يشتهون، ولم تُبقِ لهم كثرةُ العطاء ما يؤمِّلون، فَحَلا لهم في مقام القُربِ من ربِّهم الثناءُ عليه وتسبيحُه وتمجيدُه.

• سلامُ دارِ السلام غيرُ سلامِ دار الآلام، فمن مَقاصد السلام في الدنيا العبادةُ والتأمين، ومن مَقاصده في الجنَّة التلذُّذ والأُنس، فما أحسنَ التحيَّةَ في تلك الدار السَّنيَّة!

• لمَّا كان تعالى المحمودَ في كلِّ حال حمِدَ نفسَه عند ابتداء خلقِه واستمراره، وفي ابتداء كتابه وإنزاله، ويبقى حمدُه على ألسنة المؤمنين في جناتِ النعيم، فهو المحمود أبدًا.

﴿۞وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١﴾

• سبحانَ من لا يَعجَل لعجَلة عباده، بل يَرفُق بهم ويستبقيهم إلى الآجال التي كتبها، ويمُدُّهم بالخيرات والنِّعَم!

• الفِطرةُ السليمة تدعو إلى الحقِّ، لكنَّ الجاحدين يخالفونها بسلوك مسالك الرَّدى، واتِّباع الهوى، فيبقَون في حَيرة وتردُّد.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢﴾

• كن داعيًا في سَرَّائك وضَرَّائك، ولا تكُن كمَن يَضرَع في شدَّته، ويفتُر في رَخائه إعراضًا عن ربِّه.

• لا يغُرَّنَّ العبدَ إجابةُ اللهِ له ساعةَ الشدَّة، فيَستحسنَ الجحودَ حالَ النعمةِ فيَهلِك.

• من السَّرَفِ أن يُفسدَ الإنسانُ ما أعطاه اللهُ إياه بصرفه في غير وجوهه.

• المُسرِف إذا كان يوقنُ بأنه على خطأ فيوشكُ أن يعتدل، ولكنَّ المصيبة حين يعتقدُ أنه على صواب ويُزيَّنُ له إسرافُه.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣﴾

• العِلَّة في النفوس، فإذا خبُثت واختارت طريق الظُّلم لم تقبَل آياتِ ربِّها سبحانه.

• طريقُ الإجرامِ نهايتُها الآلام، فمَن سلكَها فلينتظر ما حلَّ بالمجرمين من قبله.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾

• إن فيما سَلَف عِبرةً للخَلَف؛ فللمُحسِن أمثلةٌ تحثُّ على الإحسان، وللمُسيء نماذجُ تَحجُز عن العِصيان.

• قال عمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه: (صدقَ ربُّنا، ما جعلَنا خُلفاءَ إلا لينظرَ كيف أعمالُنا، فأرُوا اللهَ من أعمالِكم خيرًا بالليل والنهار، والسرِّ والعَلانية).

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ
لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ
إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل
لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ
فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا
كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

٢١٠

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

• إنها لآياتٌ بيِّنات لا خفاءَ فيها، ولا عيبَ يعتريها، فمن حادَ عنها فباغٍ أو جاحدٌ أو متكبِّر.

• مَن يُؤمن بالآخرة ولا يزالُ يذكرُها، ويستحضرُ لقاءَ ربِّه ولا يغيبُ عنه، فذاك الذي ينتفعُ بآياتِ مولاه تعالى.

• أيها الداعيةُ؛ لا تجامِل في سبيل الحقِّ، ولا تستجِب لمن يطلبون منك تبديل شريعةِ الله وتحريفَها لتُوافق أهواءهم.

• سُنَنُ رسولِ الله ﷺ كلُّها آتيةٌ بوحي، وهي إذا ثبت وصحَّ إسنادها تلزمُ لزومَ القرآن.

• مَن استحضرَ الخوفَ من اللهِ تعالى أبعدَه خوفُه عن معصية ربِّه، وكيف يعصيه مَن يعظِّمه ولا يأمَن عقابَه؟!

• يومُ القيامةِ يومٌ عظيم، لِطُوله وكثرةِ شدائده وفصلِ الأقضية فيه، وصدورِ الأحكام النهائيَّة في عَرَصاته، فما أجدرَ العاقلَ بالخوف منه!

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

• الوحيُ والبلاغ بمشيئة الله تعالى، ولو كان من تِلقاء نفس النبيِّ ﷺ لكان في سِنِّ الحداثة والشباب أولى به، ولم يؤخِّره حتى بلغَ الأربعين.

• على مَن يهيِّئ نفسَه لقيادة الناس أن يضبِطَ تصرُّفاته في وقتٍ مبكِّر؛ فإن لهذا أثرًا بعد أخذ زِمام القيادة.

• السيرة الحسنة أدعى لقَبول دعوة الداعي، والاستجابةِ لما جاء به، وهكذا كان حالُ الأنبياء والمرسَلين، وسادةِ الدعاة والمصلحين.

• إذا رُزِقَ الإنسانُ العقلَ المستنيرَ أيقنَ أن القرآن من عند العليم الخبير سبحانه، وأن رسولَ اللهِ ﷺ هو المبلِّغ الأمين له.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

• ما أشدَّ وعيدَ مَن يحرِّفُ كلامَ اللهِ تعالى لِيُرضيَ أهواءَ الناس وينالَ حظًّا من الدنيا!

• المتمسِّكون بالوحي هم أهلُ الفلاح والنجاة، والمفترون عليه أهلُ الخِزي والنَّكال، وسوءِ الأحوال.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾

• لا ترجُ غيرَ خالقك، ولا تخشَ سوى ربِّك، فإن غيرَه لن يملِكَ لك ضرًّا ولا نفعًا، إلا ما شاء الله.

• لن تبلغَ المعبوداتُ أن تضُرَّ من شاء اللهُ حمايتَه من الضَّرِّ، أفليسَ من يمنعُ الضَّرَّ عن عباده هو الأحقَّ بالشكر؟!

• إن كانت عبادةُ غيرِ اللهِ ليست نافعةً أصحابَها؛ فإن عبادةَ الله تعالى بلا شكٍّ ستنفعُ أهلَها في العاجل والآجل.

• عجيبٌ كيف يصرُّ عبَّادُ الأصنام على الاستمرار في عبادتها، مع اعترافهم الدائم بأن المتصرِّفَ هو اللهُ تعالى وحدَه!

• ليس لما يعبُد الناسُ من دون الله عنده يدٌ، ولا نوعُ تصرُّفٍ، فمن طلبَ رضا هؤلاء الوُسطاء بعبادتهم فقد ظنَّ بالله ظنَّ السَّوء.

• اللهُ تعالى أقربُ إلى عباده مِن حاجته إلى شُفعاءَ يوصلونهم إليه، وأعظمُ من أن يكون له وُسَطاءُ يُزكُّون الناسَ لديه.

• تعالى ربُّنا أن يجهلَ أحوالَ خَلقه حتى يخبرَه بها أحد!

• لقد جهِلَ مقامَ الربوبيةِ والألوهية مَن شبَّهَ ربَّ العالمين بعبيده من الملوك الجاهلين العاجزين وغيرِهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

• كانت البشرية على التوحيد والاتفاق، وما الشِّرك والشِّقاق إلا طارئٌ بأيديهم، وأهلُ الخلاف هم أهل الشرِّ الذين حادوا عن منهج الله الذي كان عليه الناس من قبل.

• لا يستعجلُ المؤمنُ قدرَ الله في المخالفين للحقِّ، ولا يضيقُ بذلك ذَرعًا، فما التأخيرُ إلا لحكمةٍ منه سبحانه وتعالى.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

• تفويضُ الغيبِ للهِ تعالى طريقةُ الأنبياءِ والصالحين، فلا يفتاتون على القدر، ولا يرجُمون بالغيب، ولا يتوعَّدون خصومَهم بما لا علمَ لهم به من أمر الله، بل ينتظرون قضاءَ الله فيهم.

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ
فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ
وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ
دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ
بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ
عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ
بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ
إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾

• إن الرحمة بعد الضُّرِّ نعمةٌ تستوجبُ الحياءَ من الله تعالى والشكرَ له، فلا يتكبَّر أو يمكر عندها إلا ذو قلبٍ منكوس.

• ما أسرعَ تقلُّبَ ابن آدم! ما إنْ يذُقِ الرحمة حتى يبدأ حينَها مكرًا، ويحَهُ! كيف يَفعلُ لو استطعمَها؟!

• مهما خفيَ المكرُ واستترَ التآمر فإنه عند الله مكشوف، بل عليه شهودٌ يُقيِّدون.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

• الجأ إلى ربِّك ساعة الشدَّة وحالَ الرخاء، فقدرتُه تعالى على رعايتك في الحالين سِيَّان.

• المؤمنُ الصادقُ ثابتُ الدِّيانةِ في كل أحواله، فلا يتلوَّنُ في دين الله حسبَ مصالحه، كرجل السوء، الذي لم يقدُرِ اللهَ حقَّ قدره.

• التوحيد وفاءٌ بحقِّ الله، وليس مشارطةً على النِّعمة.

• ما أبعدَ أولئك القوم الذين إذا نزلت بهم مصيبةٌ استغاثوا بالأموات، دون ربِّ الأرض والسماوات!

• إذا انقطعَت بالعبد الأسباب، ورجع مضطرًّا إلى ربِّ الأرباب؛ أُجيبَ دعاؤه ولو كان كافرًا، فإن إجابة الدعاء من مقتضى الربوبيَّة، وليس كلُّ من أجاب اللهُ دعاءه يكون راضيًا عنه.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

• فسادُ الشِّركِ فسادٌ عظيم، فكأنه إذا حصلَ في بقعةٍ من الأرض عمَّ الأرضَ كلَّها، فلا يزال ينتشرُ فيها ظلامُه حتى يُطفئَه اللهُ بنور التوحيد.

• لا يكونُ البغيُ بحقٍّ أبدًا، لكنه بالباطل الصُّراح دائمًا، فأصحابُه لا يفعلونه عن شُبهة، وإنما تمرُّدًا وعِنادًا وتشهِّيًا.

• البغيُ هو البغي، سواءٌ كان على النفس بإيرادها مواردَ التَّهلُكة، والزَّجِّ بها في رَكب الندامة، أو كان بغيًا على الناس؛ فإن الناسَ نفسٌ واحدة.

• كيف يبغي مَن يؤمنُ بأن وراءه يومًا سيُقتصُّ منه فيه على ما فعل؟

• مَن أيقن أنه إلى الله راجع، وبين يديه واقف، وعلى عمله مُحاسَبٌ ومُجازى؛ انكفَّ عن معاصيه، وكان لربِّه على ما يُرضيه.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• إنها دنيا لا أمنَ فيها ولا اطمئنان، ولا ثبات ولا استقرار، وما يملك الناسُ من أمرها شيئًا إلا بمقدار، فكيف يضيِّع عاقلٌ آخرتَه لأجلها؟

• مَن عرَف الدنيا عرف أنها قابلةٌ للزوال في كلِّ آن، ولم يأمن ذهابَها في ليلٍ ولا نهار.

• يحتاج المرءُ إلى الماء والدنيا ليعيش، ولكن حسْبُه أن يأخذ من دنياه بمقدار ما يُرويه من الماء، غيرَ راكنٍ إليها، فإنها لا تدومُ إلا كما يدوم الماءُ مقبوضةً عليه الكفُّ.

• لو تمَّ لُبُّ الإنسانِ لرأى أن هذه الحياةَ لا تستحقُّ كلَّ ما يُبذلُ لها، وإنما تستحقُّه حياةٌ أخرى، تبقى ولا تفنى، وتطولُ ولا تزول.

• أهلُ الفكر هم أهلُ التمييز بين الأمور، والفحصِ عن حقائق ما يُعرَض من الشُّبَه في الصدور، فطوبى لمن تفكر في نظامِ الكون، واعتبر بسُننه ونواميسه.

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾

• سبحانَ من دعا الناسَ إلى دار كرامته عدلًا، وخصَّ بالهدايةِ بتوفيقه مَن شاءَ فضلًا!

• اللَّهُمَّ اجعلنا ممن سلِمت قلوبُهم من الشِّرْك، وطهُرت من علائق الإثم، عسى نحظى بدارٍ سلِمت من جميع الآفات، وحسُنت من كلِّ الجهات.

الحزب ٢٢

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيْلِ
مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدَۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ٢٩
هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٖ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ
ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٣٠ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ
ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ٣٢ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٣٣

٢١٢

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

ٱلْحُسْنَىٰ: الجنَّة.

وَزِيَادَةٌ: ومزيدٌ على الجنَّة وهو: النظرُ إلى وجهِ اللهِ الكريم.

يَرْهَقُ: يغْشَى ويعلو.

قَتَرٌ: غُبارٌ فيه سوادٌ.

• مَن عبدَ ربَّه على وجه المراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظرُ إليه حالَ عبادته؛ جُوزيَ يومَ القيامة بأن يراه عِيانًا، ومَن أحسنَ فيما بينه وبين الله كُوفِئَ يومَ القيامة بالحسنى.

• هنيئًا لمَن أمِنَ المَكارهَ يوم القيامة، بعد أن فازَ بالمطالب، ونالَ مرضاةَ ربه تعالى.

• من نعيم الجنَّة أنه دائم مستمر، لا موتٌ يقطعه، ولا كدَرٌ ينغِّصه.

• أولئك أصحابُ الجنَّة فلا تُعطى لغيرهم؛ إذ حرَّم الله الجنَّة على غير مؤمن، وإذا كانوا أصحابَها فهي لهم، لا تُنزَع منهم أبدَ الآباد.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

أُغْشِيَتْ: أُلبِست.

• خلقَ اللهُ الإنسانَ على الفِطرة، فالمؤمنُ وصلَها بالإحسان بعمل الحسنات، والكافرُ انتقل عنها إلى العِصيان باكتساب السيِّئات.

• تعَلَّم العدلَ من تعاليم القرآن، فأحسِن إلى مَن أحسن، ولا تَجزِ المسيءَ بغير ما اكتسب، ولا تتجاوزْ معه قدرَ إساءته.

• ما أشدَّ ذِلَّةَ أهلِ النار وأعظمَها! ذِلَّةٌ تغشى النفوسَ، ولا تقتصرُ على الوجوه.

• لا يغترَّ باللهِ أحدٌ وهو مقيمٌ على الإشراك به لا يبارحُه، فإن أخذَه تعالى أكيدٌ، وغضبَه شديد، ولا يعصِمُ المشركَ منه أحد.

• للسيئةِ أثرٌ على الوجه في الدارين، فهي تُظلِمُ النفسَ والقلبَ في الدنيا، ويَظهرُ ذلك الظلامُ على الوجوهِ يوم القيامة.

• ما أشدَّ مسَّ النار! فكيف بمَن يكونُ من أهلها المقيمين فيها أبدًا.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ: ففرَّقنا بين المشركين ومَعبوديهم.

• كُلُّ ولاءٍ في غيرِ ذات الله فهو زائل، وإلى التَّناكُرِ يوم القيامة آيل.

• ما أسوأَ حالَ المشركين يوم القيامة، حين يتبرَّأُ منهم شركاؤهم، وتذهب عبادتُهم لهم ذنوبًا فوق ظهورهم!

﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

• يا فوزَ مَن عبدَ اللهَ وحده، ويا خَسارةَ مَن عبد غيرَه؛ فالعابدون لله يَعلمُ بهم فيكرمُهم، والعابدون لغيره ربما لا يعرفُ معبودُهم الباطلُ عبادتَهم له!

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٖ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

• لا بُدَّ من يومٍ تظهرُ فيه نتائجُ الأعمال، ويعرِفُ كُلُّ امرئٍ جزاءَ ما قدَّم، والعاقل من أحسَنَ العمل، لينالَ يومَ القيامة الأمل.

• هنالك يومٌ تُردُّ فيه أمورُ الخلقِ إلى الخالق، ويخيبُ فيه كُلُّ مفترٍ على ربِّه الكذبَ، فليتأهب الإنسانُ لذلك اليومِ بما يُنجيه.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

• كم من جهةٍ يَفيضُ عليك منها رزقُ ربِّك، ويجيئُك منها جزيلُ فضله، فسبحانه من ربٍّ وسِعتنا رحمتُه، فوجبَ علينا حمدُه وشكرُه.

• تذكَّر أن الله يملك سمعَك وبصرك، فاحذر أن يسلُبَك إيَّاهما وأنت تعصيه بهما.

• السمع والبصر هما طريقا العلم والتمييز، فإذا كان الله مالكهما فكيف نجعل شيئًا من أعمالنا أو علومنا لغير الله المالك لها؟!

• يا مَن ترى مظاهرَ قدرة الله بعينك، قِس عليها قدرتَه على بعثك ومُجازاتك.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

• مَن انفردَ برزقِك وخلقِك، وإحيائك وإماتتِك، وتدبيرِ جميع شؤونك؛ يجبُ أن يُفرَد بعبادتك، ولا يكونُ ذلك إلا اللهُ وحده.

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

• لا تنفعُ الحججُ البيِّناتُ مَن أغلق دونَها عقلَه وقلبَه، وسبق في علم الله الأزلي شقاوُه وضلالُه.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾

فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ: فكيف تُصرَفون، أي: عن الحقِّ إلى الباطل؟!

• لو تأمَّل المشركون في عجز معبوداتهم الباطلة عن الإحياء والإماتة لعرَفوا بُطلانَ ما هم عليه، فسبحانَ من له الخلقُ والأمر! كيف عبدوا غيرَه؟!

• مَن سلَّم بقدرة الله تعالى على ابتداءِ الخلق، سلَّم بقدرته على إعادتهم؛ فإن القادرَ على الابتداء قادرٌ على الإعادة، بل هي أهونُ عليه.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

لَّا يَهِدِّىٓ: لا يهتدي.

• إن كان شأنُ المعبود أن يَهديَ عبادَه إلى ما فيه صلاحُ أمرهم، فكيف يتَّبع ناسٌ مَن لا يَنهى عن غيٍّ، ولا يهدي إلى سبيل؟!

• الوحيُ هدايةٌ وإرشاد، فمَن اتَّبعَه نجا وسلِم، ومَن لم يتَّبعه ضلَّ وندِم، وتاه في أودية الضلال.

• مَن يدعو إلى الحقِّ وينهى عن الباطل هو من يُتَّبع، وليس مَن يملكُ المالَ أو الجاهَ أو السلطان.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

• تمنيةُ النفسِ بالأوهام والظنون التي لا تُبنَى على العلوم؛ لا تنفعُ ولا تُفيد، ولا هي من الأمرِ الرَّشيد.

• للعاقلِ أن يقفَ متعجِّبًا من أناسٍ كثيرين يَدَعون الحقائقَ واليقين والبراهين، ويتَّبعون الظنونَ والأوهام والتخمين!

• إخبارُ اللهِ تعالى بعلمه المحيطِ بالأفعال يجعلُ العاقلَ يُراقبُ أفعالَه حتى لا يكون فيها ما يُسخِطُ مولاه الذي سيحاسبُه عليها، بناءً على علمه الواسع بها.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

• يُقال للمكذِّبين: دَعوا الظنونَ وفكِّروا: أيُعقل أن يكونَ القرآن من عند غير الله، وقد جاء مصدِّقًا لما قبله من الكتب، ومفصِّلًا لشرع الله على ما يحبُّ ويرضى؟!

• من أعظم مصادر تربيةِ الله لعباده: أن أنزلَ عليهم كتابًا يُصلح جميعَ أحوالهم، ويشتملُ على محاسن الأخلاق والأعمال.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

• تأمَّلْ في عظمة هذا القرآن الذي تحدَّى به اللهُ الفصحاءَ والبُلغاء، ولو كانوا يَقدِرون على معارضته لنأَوا بأنفسهم عن كلِّ الحروب.

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ: ولم يأتهم بعدُ حقيقةُ ما توعَّدهم الله به في الكتاب.

• أساءَ المشركون تصوُّرَ الحقيقة فكذَّبوا بها ووقفوا في طريقها، ومَن جهل شيئًا عاداه.

• ويلٌ للمكذِّبين إذا نزل بهم ما كذَّبوا به، فهو العقابُ الذي يَبهتُهم، والنَّكال الذي يَبغَتُهم.

• التكذيبُ للحقِّ نوعٌ من أنواع الظلم، وهو سببُ ما يُصيبُ العبادَ من سوء العواقب، والمكذِّبون داخلون في زُمرة الظالمين جُرمًا ووعيدًا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾

• لا يزالُ القرآنُ باقيًا وهاديًا ما كانَ الإنسانُ في الأرض، ولا يزالُ هنالك مَن يؤمنُ به ويجدِّدُ به إيمانَه حتى في حالكاتِ الأيام.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُاْ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ
مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ
لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ
بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم
بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

٢١٣

• لا إصلاحَ إلا بالقرآن، علمًا وعملًا، فمَن حادَ عنه فقد سلكَ سبيلَ الإفساد.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

• لو أدرك المتعجِّلون والمتنازلون واليائسون دَلالةَ آياتِ البراءة من الكافرين، ما ذهبت أنفسُهم حسَراتٍ على المعاندين، ولأدركوا أن مُهمَّتَهم لا تتعدَّى مُهمَّةَ نبيِّهم ﷺ، وهي البلاغ.

• الثوابت الشرعيَّةُ لا سبيلَ إلى المفاوضة فيها، والتوسُّطِ مع الخصوم حولها، فإمَّا تصديقٌ بها وإذعانٌ لها، وإمَّا مفاصلةٌ ومُتاركةٌ عليها.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

• في إعراضِ المشركين عن بيانِ رسولِ الله ﷺ -وهو أرقى بيانٍ- تسليةٌ لدعاةِ الحقِّ حين لا يُستجاب لهم، فالمانعُ قد يكون عند المتلقِّين، فلا سبيلَ عند ذلك لهدايتهم.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ
﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

الحزب ٢٢

٢١٤

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

• كيف يَصلُ إلى الحقِّ مَن سدَّ على نفسِه طريقَي العلمِ: السَّمعِ والنظرِ، وأفسدَهما؟!

• يكفي البصيرَ دليلًا على صدقِ رسولِ الله ﷺ ما يراه من أخلاقه وهَدْيه وأعمالِه، وحُسنِ ما يدعو إليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

• ما من ظلمٍ دقَّ أو جلَّ إلا واللهُ تعالى منزَّهٌ عنه في شرعِه وقدَرِه وجزائه.

• ظلَمَ نفسَه من كذَّب بآيات الله؛ لأنه أفسدَ فطرتَه، وأسدلَ الغِشاوةَ على قلبه، وأساءَ إلى نفسِه، وعرَّضها لأنْ تتردَّى في أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة.

• أكثرُ الناسِ يُسيئون إلى أنفسهم ويحسَبون أنهم أحسنوا إليها، ولو اتَّضحَت الصورةُ في البصيرة لعرفوا حقيقةَ الإحسانِ والإساءة.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

• إذا حقَّقتَ مُدَّةَ الدنيا لم تجدها إلا (الآنَ) الذي هو فصلُ الزمانين فقط، أمَّا ما مضى وما لم يأتِ فمعدومانِ كما لم يكن؛ فمَن أضلُّ ممَّن يبيع باقيًا خالدًا بمدَّةٍ هي أقلُّ من طَرْفة عين؟!

• ما أسوأ اليقظة المتأخِّرة! ولكن ما أحسنَها لو كانت في الدنيا، حيث يمكنُ تدارُك التقصير!

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

• لا تستعجلنَّ قضاءَ الله في المُعرِضينَ عن الحق، فإنه آتٍ بلا شكٍّ، وإن لم ترَه بعينك؛ ذلك أن أمرَ الخلقِ إلى الخالق، يُنفذُ قضاءَه فيهم متى شاء.

• على داعي الحقِّ أن يبلِّغَ فحسب، دون انتظار أن يرى مَصارعَ المكذِّبين له.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

• حاجة الناس إلى الرسول أشدُّ من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ إذ به الهداية لمَصالحهم العُظمى في الدنيا والأخرى.

• بلَّغ رسولُ الله ﷺ في الدنيا عن الله أمرَه، وهو يومَ القيامةِ خَصمٌ لمن كذَّب رسالته.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

• المكذِّبون بالساعة لا يأبَهون بها، ولا يكترثون لها، ويغالطون بالمُجادَلة في وقتها، وليس من شرطِ العلمِ بحصول الشيء العلمُ بوقتِ حصوله.

﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

• إن خير الخلقِ لا يملك لنفسه شيئًا، فكيف بسواه؟ فعلِّق قلبَك بالله وحدَه توكُّلًا واستعانة، وتوجُّهًا واستغاثة، ولا ترجُ سواه لرفع النوازل، فإنه وحدَه القادر على كلِّ شيء.

• لا يستطيعُ أحدٌ تغييرَ أجَلِ الله، ولو ساعةً، تقديمًا أو تأخيرًا، فمهما حاولَ الهربَ لتأخيره، أو تجرَّأ لاستعجاله أدركَهُ أجلُه المقدَّرُ في حِينه.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

• أيأمنُ مَن يستعجلُ عذابَ اللهِ ألا يأتيَه؟! إنه قد يأتيه وهو مطمئنٌّ في بيته، أو غارقٌ في أمانه ولهوه.

• ما أشدَّه من عذاب؛ ذاك الذي لا يَعلمُ أحدٌ موقعَه ولا موعدَه، ولا يردُّه سوادُ الليل، ولا صحوُ أصحابِه في النهار!

• على المجرم أن يخافَ من العذاب بسبب إجرامه لا أن يستعجلَه، ولكنَّ التكذيب والاستهزاء حمَلاه على ذلك.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

• لا تنفعُ الندامةُ عبدًا حقَّ عليه العذابُ، وذهبت عنه فرصةُ الإمهال، فالعاقلُ من بادرَ بالتوبةِ قبل فواتِ الأوان.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

• ما يزرعه الناسُ في الدنيا يحصِدونه في الآخرة، فمَن زرعَ شرًّا لقيَ مثلَه، ولن يحصِدَ العِنبَ مَن زرعَ الشوك.

﴿۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾

• المُعاند يُكثِر من التشكيك في الحقِّ الذي يراه أو يسمعه؛ فحينئذٍ يَحسُن استعمال الحلِف الجازم لنقض تشكيكه الباطل.

• لا يكفي أن يَعلمَ المرءُ أن وعدَ الله آتٍ، بل لا بدَّ أن يستعدَّ بعملٍ يُنجيه عند إتيانه، فإنه لا يمكنُ الهروبُ منه.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى
اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

٢١٥

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

بِالْقِسْطِ: بالعدل.

• ألا يستثمرُ العبدُ ساعاتِ حياته وما أنعمَ اللهُ عليه بما يدفعُ عنه عذابَ يومِ القيامة؟ فإنه لا يدري أيَّ عملٍ سينجيه يومَ يَرخُصُ كلُّ غالٍ في سبيل تلك النجاة.

• كم من حالةٍ من العذاب النفسي يتقلَّبُ فيها الكافر، فتارةً يُسِرُّ الندامة، وتارةً يُعلنُها!

• ربَّنا، لا يكونُ منك إلا العدلُ والفضل، لكننا نطمعُ في رحمتك وفضلِك، وجودك وإحسانك، فبلِّغنا ما نطمعُ، وأمِّنَّا ممَّا نخاف.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

• مَن يملِكُ ما في السماوات والأرض يملِكُ أن يجعلَ وَعده حقًّا، فلا يُعجِزُه عن تحقيقه مُعجِز، ولا يُعوِّقُه عن تصديقه مُعوِّق.

• العِلمُ النافعُ هو ما يُعينُ صاحبَه على الاستعدادِ للقاءِ الله، وذاك العلمُ لا يُعذَر في الجهل به والتفريطِ فيه أحد.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

• مَن يملِكُ الحياةَ والموت يملِكُ الرَّجعة والحساب، ولا يكونُ ذلك إلا لربِّ الأرباب.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

• أبلغ موعظةٍ وأوقعُها في النفوس كلام الله العظيم. وقد أُثر عن بعض السَّلف: (مَن لم يردَعه القرآنُ والموت، ثم تناطحَت الجبال بين يديه؛ لم يرتَدِع).

• نُقل عن ابن القيِّم أنه قال: (جِماعُ أمراض القلب الشُّبهات والشَّهوات، والقرآنُ شفاءٌ لهما، ففيه من البيِّنات والبراهين القطعيَّة، والدَّلالة على المطالب العليَّة ما لم يتضمَّنه كتابٌ سواه، فهو الشفاء بالحقيقة).

• الهدى أجلُّ الوسائل، وبه يكون كمال العلم والعمل، والرحمة أكمل المقاصد، وبها يحصُل الخير والإحسان، فإن اجتمعا في مؤمن نال السعادةَ والفلاح.

• يرحمُ الله بالقرآن مَن آمن به، فيُنجيه من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، ويخلِّصه من دركات النيران إلى درجات الجِنان.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

• الإيمان والقرآن فضلٌ ورحمةٌ لا يُقارَن بهما كلُّ ما يجمعه الناسُ من حُطام الدنيا، فليكن فرحُك بهما عظيمًا، فإنهما أعظمُ ما يُفرح به.

• لو ملكَ المؤمنُ ما في الدنيا من مالٍ وعقارٍ، وأثاثٍ ومَراكب، فلا يَعدِلُ ذلك عنده نعيمَ القرآن وحلاوته.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾

تَفْتَرُونَ: تكذِبون.

• ألا يستحقُّ العبادةَ وحدَه مَن يُنزِّلُ الرزق وحدَه؟!

• ليحذرْ مَن يُفتي الناسَ بتحريمِ الحلال، كما يحذرُ من تحليل الحرام.

• الاحتياطُ في إطلاق الأحكام لا بدَّ منه، فإن الأمر إمَّا شرعٌ أذِنَ اللهُ به، وإما افتراءٌ وقولٌ على اللهِ بلا علم.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾

• ألا يُفكِّرُ المُفترون على الله الكذبَ بلقاءِ الله يوم القيامة، وقد جَنَوا في حقِّه هذه الجِناية؟!

• كم للهِ على عباده من فضل! أنزل لهم من الأرزاق ما يكفيهم، وأنزل لهم من الوحي ما يَهديهم، وحَلُم عليهم فلم يُعاجِل العاصين بالعقوبة، ولم يقطع عنهم نَواله وفضله، فكيف لا يشكرونه؟!

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

شَأْنٍ: أمرٍ من أمورك.

تُفِيضُونَ: تَشرَعُون فيه وتعملونه.

يَعْزُبُ: يَغيب ويَبعُد.

مِثْقَالِ ذَرَّةٍ: وَزنِ نملةٍ صغيرة.

• إذا عملتَ العملَ الصالحَ فاستشعِر أن اللهَ يراقبك وينظرُ إلى عملك، فأخلص له نيَّتَك، وأحسِن من أجله قُربتَك.

• علا اللهُ في السماءِ على عرشِه، ولم تخفَ عليه أحوالُ خلقه فوقَ أرضه، فأين يذهبُ العُصاةُ عن مراقبته وعِلمه؟!

• اعمل الخيرَ ولا تستصغِر منه مثقالَ ذرَّة، فما منه شيءٌ عند الله يَضيع.

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ
ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ
ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ
وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ
سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٢١٦

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

• إذا أردتَ معرفة قُربك من ربِّك فانظر إلى نفسك، فإن كنت مُتَّبعًا أوامره، مجتنبًا نواهيَه، راضيًا عن أقداره، فذلك من علامات الوَلاية.

• الفوزُ بوَلايةِ اللهِ من أعظمِ أرباحِ الحياة؛ لأنها تَشفي النفسَ من الخوف والحزَن، وهما من أدوى أدواءِ النفس.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

• ترقَّ في درجاتِ الإيمان والتقوى، حتى تسموَ في آفاقِ الوَلاية.

• لا تفارقُ التقوى قلوبَ الأولياء، بل تُصاحبُهم مدةَ حياتِهم، ماضيها وحاضرِها ومستقبلِها.

﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

• إذا ظفِرَ المرءُ بوَلايةِ اللهِ أنالَه سعادةَ الدنيا والآخرة.

• أين لذاتُ أهل الدنيا ممَّا يجدُه وليُّ اللهِ من البشارة في حلاوة فعلِ الطاعات وتركِ السيئات، وآثارِ ذلك في حياته الخاصة والعامة؟

• وعدُ اللهِ لأوليائه لا يتخلَّف؛ لأنه من كلماته، فكُن من ذلك على يقين، وبموعود اللهِ أوثقَ منك بما تراه.

• مَن سابقَ في أمرٍ عظيم وهو طاعةُ اللهِ ورسولِه، كان فوزُه دون شكٍّ عظيمًا.

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

• أيها الداعيةُ، لا تُقِم وزنًا لِما يقولُه المتهكمون، وقِفْ موقفَ العزمِ والثبات، فإن ضعيفَ الإيمان هو الذي ينصرفُ عن الدعوة بمجردِ تثبيطِ الناس له.

• على داعي الحقِّ أن يوطِّن نفسَه على أن إحزانَ الناسِ له سينتظرُه في الطريق، فعليه أن يركبَ مركبَ الجَلَد والعزيمة حتى يتجاوزَه.

• يسمعُ اللهُ تعالى كلَّ قول، ويعلمُ سبحانه كلَّ كيد، فيحمي أولياءَه مما يُقال عنهم، ومما يُكادون به.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

• لا فخرَ في وَلايةِ الإنسان لمخلوقٍ ضعيف عاجز، وإنما الفخرُ في ولايةِ مَن ملك المخلوقين كلِّهم؛ في السماوات أو في الأرض.

• كم الفرقُ بين عابدٍ مطمئنِ القلب، ساكنِ النفس، عبدَ الإلهَ الحقَّ على يقين، وبين عابدٍ مفرَّقِ الفكر، مضطربِ القلب، عبدَ غيرَ اللهِ بأوهامٍ وظنون، وبدعٍ وأباطيل!

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

• ألا يملكُ قهرَ عباده وتدبيرَ أحوالهم كلِّها مَن يتصرَّفُ في حركة الليل والنهار، فيجعلُ الليلَ للناس سكنًا، والنهارَ لهم حركةً وعملًا؟!

• أشدُّ الناس صممًا مَن يُعرِض عن سماع الأدلَّة خشيةَ أن يهتديَ بها لو سمعها!

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

سُبۡحَٰنَهُۥ: تنزَّه وتقدَّس.

إِنۡ عِندَكُم: ليس لديكم.

سُلۡطَٰنِۭ: حُجَّةٍ ودليل.

• ما في الكونِ من شيءٍ إلا وهو في ملكِ اللهِ تعالى، فليس ثمَّةَ أغنى منه، فعلامَ يُشرِكُ به الجاهلون، وبأيِّ حُجةٍ على باطلهم يستدِلُّون؟

• لا يجوزُ القولُ على الله بغيرِ علم، فكيف يُقالُ عليه ما هو ظاهرُ البطلان؟

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

• كتب اللهُ على مَن افترى عليه الكذبَ ألا يُظفِرَه ببُغيته، ولا يُوصِلَه إلى مآربه، ولا يجعلَه من الفالحين، أفلا تكفي المفترين هذه العقوباتُ؟

﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

• ليس الفلاحُ أن يتمتَّعَ المرءُ بالدنيا ثم ينقطعَ في نهايةِ الطريق، لكنَّ الفلاحَ أن يتزوَّدَ من دنياه بما يُنجيه في أُخراه، ويبلِّغُه آمالَه لدى مولاه.

• كيف يطيبُ متاعٌ يَعقُبه عذاب، وكيف يَعصي عبدٌ ربًّا وهو عمَّا قريبٍ سيصيرُ إليه، ويقف بين يديه؟!

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾

غُمَّةً: مستترًا خفيًّا.

ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ: اقضوا عليَّ بما ترون من عقوبة.

• حين يخاطِبُ الداعيةُ الناسَ بألفاظٍ صادقة تدلُّ على حرصه عليهم، ونُصحِه لهم، وتحبُّبه إليهم، فسيكونون أقربَ إلى الإصغاءِ والاستجابة له.

• ليكن أهمَّ شؤون الداعية مع قومه تذكيرُهم بآياتِ ربِّهم، فلا يقف عن دعوته، ولا يتردَّد في نُصحه لهم، سواءٌ أعَظُم عليهم الأمرُ أم لا.

• من عجائب أمر البشرية أن يستثقلَ بعضُهم مقامَ مَن يَبذُل لهم خيرَه، ويكفُّ عنهم شرَّه، وربما يستروِحون إلى مَن يسومُهم سوءَ الشقاء، ويذيقُهم مُرَّ العَناء!

• بعملٍ قلبيٍّ واجهَ نوحٌ عليه السلام أمةً كاملةً، وتحدَّاها بكلِّ جبروتها وطغيانها؛ إنه صِدقُ التوكلِ على الله، والثقة به.

• مهما أجمعَ عدوُّك كيدَه، وأحكمَ مكرَه، فلا تقلقْ ما دمتَ واثقًا بربِّك، ثابتًا على مبادئِ دينك.

• ما يستقوي به العدوُّ لا يُرهِب المؤمنَ ما دامَ متوكِّلًا على القويِّ العظيمِ سبحانه.

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾

• إذا تيقَّن داعي الحقِّ صحَّةَ ما يدعو إليه، فلن يُضعِفَ انقيادَه لأمر الله تولِّي الناس عنه.

• إذا أردتَ أن يقبلَ اللهُ عملَك، ويستجيبَ الناسُ دعوتَك، فأخلِص لربِّك، وازهدْ فيما عند خلقه.

• أيمكِنُ أن يُتَّهمَ في دعوته مَن لا يبتغي بعملِه شيئًا من مال الدنيا، ومَن هو أسرعُ الناسِ إلى العمل بما يدعو إليه؟!

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣﴾

• في نجاةِ قِلَّةٍ من المؤمنين واستخلافِهم، وغرقِ أعدائهم المكذِّبين على قوتهم وكثرتهم، عبرةٌ للمعتبرين في كونِ العاقبة للمتقين.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٧٤﴾

• لا يمَلُّ الداعي إلى الحقِّ من تكرار دعوته مرَّةً بعد أخرى، حتى وإن كان المدعوُّون ممَّن خبُثت نفوسُهم، وتجذَّر فيها الغيُّ والصُّدود.

• حين يتمادى المرءُ في كفره وفجوره، ويستحكم الاعتداءُ على الحقِّ في نفسه وفؤاده، فإنه قد سدَّ بابَ قلبه، فلا ينفذ إليه الإيمان.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٧٥﴾

وَمَلَإِيْهِۦ: وأشرافِ قومِه.

• أعظمُ الكِبرِ أن يتعاظمَ المرءُ عن قبولِ رسالةِ ربِّه، وقد استبانت له.

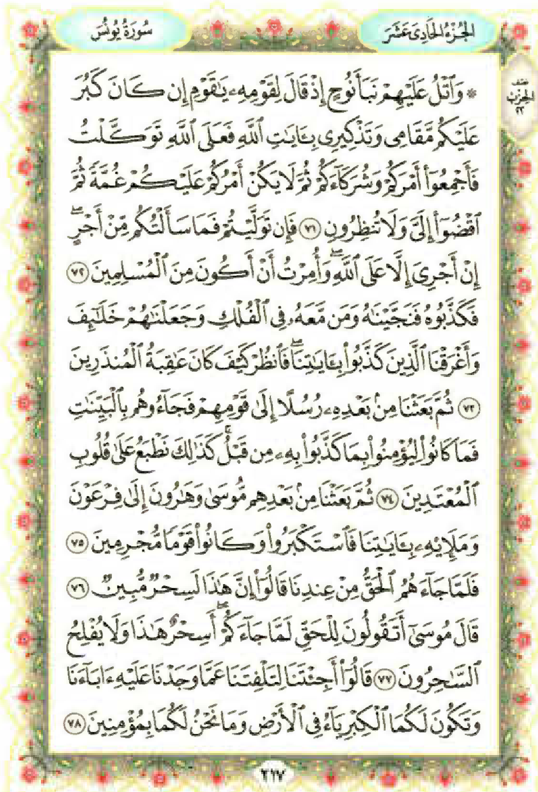
﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧٦﴾

• كيف يجرؤ أحدٌ أن يردَّ قولًا صادرًا من عند ربِّه تبارك وتعالى؟! أما لو عظَّمَ ذلك المرءُ ربَّه لعظَّم ما جاء منه ولآمنَ به.

• متى كانت أقوالُ المبطلين تستندُ إلى دليل متين حتى يؤكِّدَها أصحابُها وكأنها يقين؟!

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧﴾

• مهما اتُّهِم الحقُّ فإن تلك الاتهامات لا تَغشى عينَ العاقلِ المتبصِّر؛ لأنه ينظر بوعيٍ وحكمة، وتتبُّعٍ وإنصاف.


الجزء الحادي عشر — سورة يونس
۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ
عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ
فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ
ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ
إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ
وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ
٧٣ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٧٤ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٧٥
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧٦
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ
ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨
٢١٧

• لا يرتفعُ بالسحرِ حقٌّ بين الناس، ولا يَروجُ به باطلٌ عند أهل الحق؛ فإنه بعيدٌ كلَّ البعد عن الحق وأهلِه، وصاحبُه خاسرٌ دنيا وأخرى.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨﴾

• مَن نشأ على شيءٍ ألِفَه وتعلَّق بأحوالِه ومُلابَساته، وما أقبحَ أن ينشأ المرءُ على باطلٍ فيقبله دون تفكُّرٍ ولا نظر!

• نزع جذور البيئة السيِّئة من العقول والقلوب يحتاج من الداعية إلى صبر؛ لأنها صارت لدى بعض الناس كالدِّين المتَّبع.

• التمسُّكُ بتقليد الآباء أو العظماءِ في النفوس، والحرصُ على الرئاسة الدنيوية؛ يمنعانِ أصحابَهما من قبول دعوةِ الحق.

• اتهامُ داعيةِ الحق بالحرص على الشهرة، وخطفِ أضواء الإعجاب، ونَيلِ مآرب الدنيا الظاهرة أمرٌ قديم جديد، لم تتجدَّد إلا وسائلُه، وكثرةُ المتفوِّهين به.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن
كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾
فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ
وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ
قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

٢١٨

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

• دَيدنُ أهلِ الباطل الاستنصارُ بالكثرة والأسبابِ الماديَّة في مواجهة الحق.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾﴾

• لا يرهبُ المؤمنُ قُوى الباطل التي أُعِدَّت لمواجهته ما دامَ مستمسكًا بربِّه، واثقًا بأنه تعالى معه.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

• مهما قويَ السِّحرُ وأُحكِمت عُقدُه فإن الله سيُبطلُه، ويُذهِبُه عمَّن أحسنَ الالتجاءَ إليه، وأدامَ التضرُّعَ بين يديه، ووثِقَ به لا بغيره.

• المصلحون الذين قصدوا بأعمالهم وجهَ الله تعالى يُصلح الله أعمالهم ويرقِّيها وينمِّيها لهم على الدوام.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ: يُثبِّته ويُظهره ويُعليه.

• الحقُّ في تقدير اللهِ الكونيِّ منصورٌ ظاهر، ويكونُ كذلك في الواقع عند الأخذِ بالأسباب الشرعية لتحقيقه.

• كراهيةُ المجرمين لإحقاق الحقِّ تبعثُهم على معارضته ومحاولة دَحضِه، ولكن لا يقفُ أمام إرادة الله شيء، فإن الله بالغُ أمرِه.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

• قد لا يَستجيبُ لحُجةِ الحق في بداياتها إلا النَّزرُ اليسير، ولكن لا تلبثُ تلك الحجةُ بعد ذلك أن يقتنعَ بها الجَمُّ الغفير.

• قد يعتنقُ الناسُ الباطلَ رهبةً لا رغبة؛ خوفًا من مخالفة مَن أمرَ به، فما أعظمَ جُرمَ من حمل الناس على ذلك، حتى أوصلهم إلى المهالك!

• للهِ قومٌ صبروا على إيمانهم، وتحمَّلوا المشقاتِ في سبيل تمسُّكِهم بدينهم، تحت ظلِّ الطغيان والجبروت، والمخاوفِ والمُفزِعات!

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

مُّسْلِمِينَ: مُذعِنينَ له بالطاعة.

• ما أحوجَ الناسَ في زمن محَنِهم إلى قُدوة تُثبِّتهم على الحق، وتسكِّنُ جأشَهم، وتُطَمئِنُ نفوسَهم، وتحثُّهم على التوكُّل على ربِّهم!

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾

لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً: موضعَ ابتلاءٍ واختبار؛ بأن تنصُرَهم علينا، فيظنُّوا أنهم على الحقِّ؛ فيفتتِنوا أو يَفتِنونا عن الدِّين.

• توكَّل على اللهِ في أمرك، وتوجَّه إليه في طلبك، لتكونَ قد أخذتَ بالأسبابِ التي تمنحُك الجواب.

• على المؤمنِ أن يَثبُتَ على الحق، ويتوكَّل على ربه، لكن لا يُعرِّض نفسَه للفتن التي قد لا يستطيعُ الثباتَ على الحق فيها.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

• لا يُدِلُّ المؤمنُ على الله تعالى بإيمانه مهما كان قويًّا إذا ما نزلَ به البلاءُ، وإنما يتوسلُ إليه برحمتِه أن يَكشِفَه عنه.

• سَلامةُ الدِّينِ أهمُّ من سلامة البَدن؛ ألا ترى دعاءَ المؤمنين بأن يُسلِّمَ اللهُ لهم دينهم، ثم يُخلِّصَهم من ظلمِ الكفار.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قِبْلَةً: مساجدَ تصلُّون فيها عند الخوف.

• في صراع الحق مع الباطل لا بدَّ لأهل الإيمان من نصيبٍ وافرٍ من صقلِ الروح بكثرة الطاعة، والاتقاءِ بالحسِّ الأمني الذي يمنع وصولَ الضرر بإذن الله.

• بالصلاةِ بجميع حدودِها وأركانها، والاستخفاءِ بها عند خوفِ أذيةِ الظالمين بسببها؛ يجمعُ المؤمنُ بين آلتَي النصر: الصلاةِ، والصبر.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ: واختِم عليها حتى لا تؤمنَ.

• على الإنسانِ حين يُنعمُ اللهُ عليه بنعمةٍ أن تسوقَه إلى الإيمان والشكر، لا إلى الجحودِ والكفر.

• مَن أراد إجابةَ دعائه فليقدِّم بين يديه مُقتَضياتِه التي تُناسبُ الدعاءَ، وتَستنزلُ النَّعماء، فألِحَّ على ربِّك بالدعاء، وكرِّر باسمه النداءَ، حتى يجيبَ دعوتَك، ويحقِّقَ لك طلبتَك.

• من مظاهر الغَيرةِ على الدين: الدعاءُ بزوال النعمة عمَّن يستغلونها في إيذاء المؤمنين، فالرحمةُ بالمؤمنين المعذَّبين تُوجبُ الدعاءَ على المجرمين الظالمين.

﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾

فَٱسۡتَقِيمَا: فاثبُتا على الدين، واستمِرًّا على الدعوة.

وَلَا تَتَّبِعَآنِّ: ولا تَسلُكا.

• إذا أجابَ اللهُ دعاءك، وحقَّق رجاءك، فقد أحسنَ إليك، فقابِل ذلك الإحسانَ بالشكر لنعمته، والاستقامةِ على شريعته.

• على المؤمن عندما يدعو على أعداء الدين أن يثِق بربِّه، ولا يستبطئ إجابة دعائه؛ فإن من العلم اليقينيِّ عند المؤمن أن الله ناصرُ أوليائه، وهازمُ أعدائه.

﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾

وَجَٰوَزۡنَا: وقطعنا.

بَغۡيٗا وَعَدۡوًا: ظلمًا وعُدوانًا.

• الطغيان يصاحبُه الظلم والعدوان، وهما لدى الطاغي الردُّ الجاهز لمن حاول المساس بسلطانه الباطل.

• شتَّانَ بين مَن آمن باللهِ ربِّ العالمين صادقًا، ومن أظهر الإيمانَ بالنجاة طامعًا.

﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١﴾

• مشهد عِبرةٍ أن تجدَ جبَّارًا يَسترحِمُ عندما تحيطُ به العقوبة، وقد كان لا يَرِقُّ للمسترحِمين، ولا يلينُ جانبُه للمستضعَفين.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾

نُنَجِّيكَ: نجعلُك على نَجوةٍ (مرتفَع) من الأرض.

ءَايَةٗ: عِبرةً.

• نهاية الجبَّارين عظةٌ للمتعظِين، وعِبرةٌ ناطقة للمعتبرين، فطوبى لمَن اعتبر، وعن جبروته انزجر.

• مَن لا يتفكَّرُ في أسباب الحوادث، والعقوبةِ بالكوارث، ولا يستبين سُنَنَ الله في خلقه؛ فهو غافلٌ عن نجاته.

﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٩٣﴾

بَوَّأۡنَا: أنزلنا وأسكنَّا.

مُبَوَّأَ صِدۡقٖ: منزلًا صالحًا بالشام ومِصر.

• تأمَّل في عاقبة مَن آمن بالحق، وحمله تحت وطأةِ الظلم والخوف، وفي عاقبة مَن كذَّب بالحقِّ وآذى أهلَه.

• يُتوَّجُ أهلُ الصبرِ واليقين، تاجَ العزِّ والتمكين، بعد مرور سنوات التضحيات؛ إكرامًا عاجلًا من الله تعالى.

• النعمة والاستقرار، وتوفُّر العلم والإيمان، توجب الاجتماعَ والائتلاف، لا الفُرقةَ والاختلاف.

• من العلمِ ما يكونُ وَبالًا، متى ما خالفَ صاحبُه أمرَ اللهِ تعالى فيه.

• ثَمة اختلافٌ لا حيلةَ في إزالته في الدنيا، يَقضي اللهُ به بين أهله في الآخرة، فيُعرَفُ المُحقُّ من المُبطِل.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤﴾

ٱلۡمُمۡتَرِينَ: الشاكِّين.

• يا مَن خالجته في الدين شُبهةٌ، بادر إلى أهل العلم، يصِفون لك من كتاب الله ما يَشفي الصدور، ويُنير العقول.

• في كتاب اللهِ من دلائل التوحيدِ والنبوَّة ما يزيد اليقينَ قوَّة، والنفسَ طُمأنينة، والصدرَ سكونًا.

الجُزۡءُ الحَادِي عَشَر — سُورَةُ يُونُس

قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨٩ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ
فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ
قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ
خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ
٩٢ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي
بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٩٣ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ
مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن
قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ
٩٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦
وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧

٢١٩

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٥﴾

• إن كان قد نُهي عن التكذيب بآياتِ الله مَن لا يُتصوَّرُ منه ذلك، فكيف بغيره؟!

• الخسرانُ كلُّ الخسران في تكذيب آيات الله الشرعية، وردِّ دَلالاتها القطعية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦﴾

حَقَّتۡ: وَجَبت.

• لا تأسف على مَن هلك كافرًا بعد أن أُريَ الحقَّ ظاهرًا، فلمصيرِه ذلك قد سعى، وربُّك بما صار إليه قد قضى.

﴿وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧﴾

• إنما يَهدي الدليلُ بإعانة الله، فمَن لم تَحصُل له تلك الإعانةُ ضلَّ عن السبيل ولم ينفعه الدليل.

• لا ينفعُ إيمانٌ لا يأتي عن اختيارٍ وإذعان، ولا إيمانٌ يأتي بعد فوات الأوان، فتذهب فرصةُ تحقيقِ مدلوله في الحياة.

فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ
لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ
﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ
﴿١٠١﴾ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ
أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

٢٢٠

﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾﴾

فَلَوۡلَا: فهلَّا.

ٱلۡخِزۡيِ: الذلّ والهوان.

• لو تعلَّقَ المكذِّبون بخيوطِ النجاة والمتاب، ورجعوا قبلَ حلول العذاب، فلعلهم يَنجُون كما نجا قومُ يونسَ عليه السلام من قبل.

• بالإيمانِ تنتفعُ النفوسُ فتتطهَّر، ومن ربها تتقرَّب، وينجو المؤمنُ من خزي الدنيا، وينالُ طيبات الآخرة.

• ما يحِلُّ بالكفرة من عذاب الخِزي هو عقابٌ دنيوي، سيَعقُبه عقاب أخروي، ومن لم يُعذَّب منهم في الدنيا فقد ادُّخِر له في الآخرة عذابٌ غيرُ منقوص.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

• إذا لم يُرِدِ اللهُ تعالى أن يشرحَ قلبَ عبدٍ للإيمان، فلا أحدَ يقدرُ على هدايته، ومخالفةُ اللهِ في إرادته.

• الكارهُ للإيمان لا يُقبلُ إيمانُه عند الله، ما دام قلبُه منطويًا على الكفر، غيرَ راغبٍ في الإيمان.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

ٱلرِّجۡسَ: عذابَ الله وغضبَه.

• الكفر رجسٌ يُدنِّسُ النفوسَ والأحوال، ويُخبِّثُ الأقوالَ والأعمال.

• لا ينبغي لذي عقلٍ أن يُنكِرَ دلائلَ الحق، فإنها بلغَت رتبةً عالية من البيان والإيضاح.

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

• هذا الكون كتابٌ مفتوح، تَلوحُ على صفحاتِه صورُ عظمةِ الخالق وجلالِه، وآياتُ إبداعه وكمالِه،فالمؤمن ينظر فيجدِّد إيمانه وينمِّيه، والكافر يرى فيجدِّد إعراضَه وجُحوده.

• ما أيسرَ دلائلَ الهدى لمن رغبَ فيه! فإنه لو نظرَ إلى أقربِ الأشياء منه فسيجدُها واضحةَ البرهان، داعيةً إلى الإيمان.

• استجابة القلبِ للآيات والعظات من أدلة قوة الإيمان، فإذا ضعُفت الاستجابةُ فليستشفِ المرءُ لقلبه، وإن انعدمت فليبحث له عن قلبٍ، فإنه لا قلبَ له.

﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

• ماذا ينتظر المُعرِضون عن الله تعالى إلا أن تجريَ فيهم سُنَنُه في إهلاك المكذِّبين، وعقابِ المعرضين؟فلا تعجل عليهم.

• صاحبُ الحقِّ الذي يسعى لمرضاة ربِّه ينتظرُ منه نصرَه، فماذا ينتظرُ صاحبُ الباطل الذي يعيشُ في مَساخطه، ويحاربُ خِيرةَ عباده؟

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

• مهما طالَ زمنُ البلاءِ فلا بدَّ من يومٍ يأذنُ اللهُ فيه بالنجاة، وتكونُ تلك النجاةُ يومَها عظيمةَ الوقع على النفوس والحياة.

• يُدافع اللهُ تعالى عن الذين آمنوا، وبحسَب ما يكون للعبد من الإيمانِ والعمل الصالح تحصُل له النجاةُ من المكاره.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

• إعلان البراءةِ من الكفر والكافرين، والجهرُ بالاستقامة على طريق الحقِّ والدين، من مطالب الإيمان بربِّ العالمين.

• سبحان الخالقِ القادر، المحيي المميت القاهر، الذي يخلُقُ عبادَه ويتوفَّاهم، ويعذِّبُ من عصى منهم! فمَن عقَلَ هذه الحقائقَ استقامَ على طريق الهدى.

• انتظامُ الإنسانِ في عِقدٍ اتصفَ بالخير والصلاح شرفٌ له، ولو كان أفضلَ أهله.

﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

• لا تلتفت إلى غيرِ ربِّك، ولا تقصِد سوى وجهِ خالقك، بل وجِّه إلى مولاك وجهَك، وانصرف إليه بكُلِّيتك.

• الشِّركُ أعظمُ ما يُنهى عنه، وأشدُّ ما يُؤمرُ العبدُ بالتبرُّؤ منه.

﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

• لا يملِكُ النفعَ والضَّرَّ إلا اللهُ تعالى، فليتعلَّقِ العبدُ بربِّه سبحانه، ولا يتعلَّق بالأصنام؛ فإنها لا تصنعُ شيئًا من تلقاءِ نفسها.

• لا يُقبَل الشركُ ولو جاءَ من أشرف المخلوقين، وحاشاه؛ لأن ذلك تَعدٍّ على أعظم حقٍّ من حقوق الله.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾

• ما من ضُرٍّ يريدُه اللهُ لعبده مهما قلّ يمكنُ دفعُه، وما من خيرٍ يريده له مهما عظُم يمكنُ ردُّه.

• ما ينعَمُ الإنسانُ فيه من الخير، فمِن فضلِ الله وحدَه، لا بعمله استحقَّه، ولا بقوّته نالَه.

• جلَّ مَن يعفو عن سيِّئاتِ عباده، ويحلُمُ عن خطاياهم، فيُنزِلُ عليهم نعمَه ويدفع عنهم نقمَه، ولولا رحمتُه ومغفرتُه ما نالوا ذلك الخيرَ العميم.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨﴾

• سبحانه من إلهٍ يحبُّ صلاحَ عباده، ويدعوهم إلى ما فيه نفعُهم! صنيعَ من يُربِّيهم فيسوسُهم ويدبِّرُ أمورَهم.

• يا من تعلَمُ أن الهداية هي خيرٌ سيق لنفسك، هلَّا عرفتَ فضلَ رسولِ الله ﷺ عليك، وشكرتَ لله الذي أرسلَه إليك؟

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾

• اتِّباع الوحي يحتاج إلى صبر وعناء، فطريقُه مفروشةٌ بخصوماتِ أهلِ الباطل إلى أن يحكمَ اللهُ بالحق، ويُظهرَ أهلَه في الخلق.

• اتباع الوحي مع التدرُّج بالصبر يَقي المؤمنَ من سهام اليأس والشك، ويمنحُه الحياةَ المطمئنةَ السائرة على وقود التفاؤلِ، وانتظارِ حكمِ الله بين عباده.

• الحاكم بشَرٌ تغيبُ عنه بواطنُ الأمور، فتتعرَّضُ أحكامُه للخطأ والقصور، لكن اللهُ تعالى يطَّلعُ على السرائر اطِّلاعَه على الظواهر.

سُورَةُ هُودٍ

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾

فُصِّلَتۡ: بُيِّنت فيها الأحكامُ والقِصَص والعِبَر.

• ما من كلمةٍ في كتاب الله ولا إيماءةٍ فيه إلا وهي ذاتُ مغزى؛ قد أعجز الناسَ بمعانيه ومبانيه، وكيف لا، وهو كلامُ الحكيمِ الخبير.

• كتابٌ أُحكمت آياتُه، وسمَت بيناتُه، وائتلفت مبانيه، واتسقت معانيه، في الدَّلالة على حكمة الحكيم الذي أنزلَه، وخبرةِ الخبير الذي تكلم به.

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢﴾

• مَن عبدَ غيرَ اللهِ تعالى فالآياتُ تُنذِرُه، ومَن لم يعبُد سوى مولاه فإنها تُبشِّرُه.

• عبادةُ اللهِ هي الغايةُ، والبشارةُ والنذارة هما الوسيلة، وعلى الداعي لتلك الغايةِ العليا أن يُحسنَ استعمالَ تلك الوسيلة.

﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾

تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ: ارجِعوا إليه نادمين.

• يدعوك ربُّك الكريمُ إلى الابتهال بين يديه، ورفعِ كفِّ الضراعة إليه، حتى يُنزِلَ عليك الخيراتِ، ويَغمُرَك بالبركات.

• ما أعظمَ طاعةَ اللهِ إسعادًا لأهلها في الدنيا والآخرة! فمن أرادَ راحةَ الدنيا فعليه بالطاعة، ومن أراد راحةَ الآخرة فعليه بالطاعة.

• ما أعظمَ البَونَ بين فضل يبذُلُه العبد، وفضلٍ يؤتيه إياه الربُّ الكريمُ مكافأةً وجزاءً، وكرمًا وإحسانًا!

• اعملِ العملَ الصالحَ مخلصًا لربِّك، وأبشِر بالجزاءِ الحسن على ذلك، ولا تخَف ضياعًا له ولا خُسرانًا.

• لقد أغنى ذِكرُ العذابِ الأخروي عن ذكر كلِّ عذاب دنيوي، فلا عذابَ يوازي فظاعةَ عذاب الآخرة.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤﴾

• لا مرجِعَ للعبدِ إلا إلى اللهِ تعالى، فهو وحدَه سبحانه المدبِّرُ والمتصرِّف، فيا ضيعةَ من تعلَّق بغيره حتى وردَ عليه!

وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ
بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ
وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ
مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ
إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩

سُورَةُ هُودٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١
أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ
رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ
كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ
كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ أَلَآ إِنَّهُمۡ
يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ
يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥

٢٢١

• اللهُ جلَّ جلاله قادرٌ على ما يشاء، من الإحسان إلى أوليائه، والانتقام من أعدائه، وإعادةِ الخلائق يومَ القيامة، فما ظنُّكم برجوعكم إلى القادر على كلِّ شيء وقد عصيتُم أمره؛ أليس يعذِّبكم عذابًا كبيرًا؟!

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾

يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ: يُضمِرون فيها الكُفرَ والعداوة.

• السرُّ عند الله تعالى كالعلَن، فهل يستطيع العبدُ إخفاءَ معصيته، وكتمانَ جريرته؟

• يا لها من موعظةٍ عظيمة! أن يستشعرَ المرءُ أن الله تعالى عالمٌ بكلِّ ما يعمله، لا تغيب عنه أفعالُ عباده طرفةَ عين، بل لا تغيب عنه مكنوناتُ الصدور وراء الثياب خلف البيوت.

• إذا ضمَّت الأسرارَ الصدور، فإنها لا تخفى على العليم بكلِّ الأمور.

الجزء ١٢ الحزب ٢٣

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ
مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ وَهُوَ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ
عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن
قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ
مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ
٨ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ
١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم
مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ
وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢

٢٢٢

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾

مُسۡتَقَرَّهَا: مكانَ استقرارِها في حياتها وبعد مماتها.

وَمُسۡتَوۡدَعَهَا: وموضعَ استيداعِها بعد موتها.

- لا تخَف على نفسك من ذهابِ الرزق، فإن رزقَك قد ضُمِن لك، ولكن خَف عليها من انحرافك عن طريقِ النجاة، فإن النجاةَ لم تُضمَن لك.

- ما من حركةٍ لمخلوقٍ من مخلوقاتِ اللهِ ولا سكنةٍ، إلا وهي عند الله مكتوبة، فالسعيدُ من راقبَ حركاتِه وسكناتِه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧﴾

لِيَبۡلُوَكُمۡ: ليختبِرَكم.

- الخالقُ لكلِّ شيءٍ من غير شيء، قادرٌ على إعادة المكلَّفين بعد موتهم، فيجازيهم على أفعالهم؛ إنه عظيمُ الشأن، حكيم التدبير لشؤون خلقه.

- احرص أن تكونَ أحسنَ عملًا قبل أن تكونَ أكثرَ عملًا، فإن العمل بإخلاص واتّباع يُبارك فيه وإن قلّ، والعمل بلا إخلاص واتّباع يُمحق ولو كثُر.

﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨﴾

أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ: وقتٍ معلوم.

مَا يَحۡبِسُهُۥٓ: ما يمنعُه؟

وَحَاقَ: أحاط.

- مَن أدرك حكمةَ اللهِ ورحمتَه في إمهال مَن عصاه، لم يستعجل عذابَه لمن شاقّه وعاداه.

- على كل غافلٍ أن ينتبه، ولا يغترّ بالسلامة والإمهال، وليتّعِظ بعافيته وتأجيله، فربما أُريدَ له الخيرُ بذلك.

- لخبرِ اللهِ من الجلالة والفخامةِ والصدقِ ما ليس لغيره، فما يخبرُ به أنه سيكون فهو واقعٌ لا محالة.

﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩﴾

لَيَـُٔوسٞ: لشديدُ اليأس والقُنوط.

- شأن الإنسانِ العَجُول القاصر أنه يعيش لحظتَه الحاضرة، دون أن ينظرَ أوّلَ أمرِه وآخرَه، فلا يتذكّرُ ما مضى، ولا يفكّر فيما يأتي، فهو يؤوسٌ من الخير، كفورٌ بالنعمة إذا فقدها.

- لو أيقنَ العبدُ أنه لا يمنحُ النِّعَمَ ولا ينزعُها إلا اللهُ جلَّ في علاه لاطمأنَّ قلبُه لقضائه، ورجا فضلَه العظيم.

﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠﴾

ضَرَّآءَ: ضِيقٍ وبَلوى.

ٱلسَّيِّـَٔاتُ: المصائبُ والشدائد.

لَفَرِحٞ: لبَطِرٌ بالنِّعَم، مُغترٌّ بها.

فَخُورٌ: مُبالِغٌ في الفخر والتعالي على الناس.

- من غفلةِ العبد أنه إذا جاوز الشدةَ إلى رخاء، والنقمةَ إلى نعماء؛ أحدثَ ذلك له فرحًا وأَشَرًا وبطَرًا، ولم يُحدِث فيه تواضعًا واستكانة وشكرًا.

- إنما يريد الله تعالى بعباده اليُسرَ لا العسر، وأن يصلَ الخيرُ إليهم على أكمل وجهٍ وأحسنِه، أمّا ما ينالُهم من الضُّرِّ فذاك ابتلاءٌ أو عقوبة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾

- الإيمان الصادق المقترنُ بالعمل الصالح عاصمٌ عظيم للنفسِ من اليأس في الشدة، والبطرِ في النعمة، ورابطٌ متينٌ للقلب بالله في السراء والضراء.

- طُوبى للصابرين العاملين ما ينالونه من المغفرة والثواب، والنجاةِ من العقاب، بخلاف الجَزِعين البَطِرين.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢﴾

- لا ينبغي للداعية أن يصُدَّه اعتراضُ المعترضين، ولا أن يَضيقَ صدرُه بقَدْح القادحين، بل يمضي على طريق الصبر مطمئنًا، وبما عند ربه واثقًا.

- لا يفهمُ الكافرُ المتعنِّتُ سوى منطقِ القوة، ولا يخضع إلا للمال، وإلا فعلامَ يشترطون في المعجزة أن تكون كنزًا، وفي المُساعدِ أن يكون مَلَكًا؟

- أيها الداعية، لا تدعِ الإنذارَ فإنه رسالتُك، فإن لم تجد في الناس إجابةً فلا تيأس، فلستَ عليهم رقيبًا ولا حسيبًا.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾

• لو اجتمع الشعراءُ والأدباء، والخطباءُ والعلماء، والفلاسفةُ والحكماء، على معارضة القرآن، واستعانوا بمَن أرادوا؛ لما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

• ما أكثرَ تُهمَ أهلِ الباطل للحقِّ وأهله! وما أبينَ افتقارَها إلى الأدلَّة التي تشهد لها!

﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾

• حُجج القرآن تقتضي أن ينتقلَ متأمِّلها من الظنِّ إلى العلم، ومن يقينٍ إلى يقينٍ أرسخ منه.

• إذا كانت الدلائلُ قد تظاهرت على أن هذا القرآن المعجزَ هو من عند الله، فما فيه من التوحيد يُوجبُ على العباد توحيدَ ربهم، وعبادتَه دون مَن سواه.

• ليكُن مقصِدُ الداعية من إقامة الحجَّةِ على الناس بإعجاز القرآن حضَّهم على الإسلام، وترغيبًا لهم في الهداية إلى سُبلِ السلام.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥﴾

لَا يُبۡخَسُونَ: لا يُنقَصون شيئًا من جزائهم الدنيويِّ.

• مَن أراد الحياةَ الدنيا وزينتها، متوجِّهًا إلى منافعه القريبة وذاته المحدودة، فسيلقى نتيجةَ عملِه في هذه الدنيا وحدَها، وإلى أجلٍ محدود.

• مَن قصُرَ نظرُه جعل همَّه الدنيا، والظفرَ بشهواتها، ومن بعُدَ نظرُه جعل غايتَه الآخرة، والفوزَ بخيراتها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾

وَحَبِطَ: وذهَب نفعُ ما عمِلوه.

• مَن لم يقدِّم لآخرته شيئًا، ولم يَحسُب لها حسابًا، ولم يُقم لها وزنًا، فما الذي ينتظرُ أن يلقاه فيها؟!

• كيف لعملٍ أن يُقبلَ وهو لم يُعمل لإرادةٍ صحيحة، ولم يدفع إليه إيمانٌ صادق؟!

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧﴾

بَيِّنَةٖ : يقين.

ٱلۡأَحۡزَابِ: الكفَّارِ الذين تحزَّبوا على نبيِّنا محمَّد ﷺ تكذيبًا وكيدًا.

• لا يستوي مَن تواردت عليه شواهدُ الإيمان، وقامت لديه أدلَّةُ اليقين والاطمئنان، مع غارقٍ في الظلمات، أسيرٍ في قبضة الجهالات.

• إنما يكونُ الإيمانُ بالقرآن إيمانَ معرفة وإذعان، وعلى علمٍ بما فيه من الهدى والفرقان.

• مَن كان على بيِّنة من ربِّه كانت جوارحُه وقفًا على الطاعات والمُوافَقات، ولسانُه ناطقًا بالذكر والثناء، ونشرِ الآلاء والنعماء.

• لا يكفرُ بالقرآن الكريم أحدٌ إلى قيام الساعة إلا دخلَ النار.

• كيف يرتابُ عبدٌ في كتاب الله تعالى وقد نهاه مولاه ومربِّيه ومدبِّرُ أموره عن الشكِّ فيه، وأكَّدَ له أنه الحق؟!

• حين كانت الأفهامُ عقيمة، والمقاصدُ غيرَ مستقيمة لدى المكذِّبين، كفروا بالقرآن، ولو حسُنت مقاصدُهم، وصفَت أفهامُهم لآمنوا؛ لأنهم يرون فيه ما يدعوهم إلى الإيمان به.

أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ
وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣
فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا
لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا
ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦
أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ
كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ
ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧ وَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ
أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩

٢٢٣

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾

ٱلۡأَشۡهَٰدُ : الملائكةُ والنبيُّون والجوارح، الذين يشهَدون يوم القيامة.

• كلُّ الخلائق ستُعرَض على ربِّها، ولكن يا لِخزيِ مَن كذَب على ربِّه الذي أحسنَ إليه، وبيَّن له السُّبل، وأرسل إليه الرسُل!

• ما أشقَّه من موقفٍ يومَ يُطردُ من رحمة اللهِ ناسٌ هم أحوجُ ما يكونون فيه إلى رحمته!

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾

وَيَبۡغُونَهَا : ويُريدونها.

عِوَجٗا: مُعوَجَّة، مُوافِقة لأهوائهم.

• إن كان من الظلم التعدِّي على حقوق الخلق، فإن من أعظم الظلم أن يتعدَّى المرءُ على حقوق الخالق تعالى، بصدِّ الناس عن سبيله، ورفض الاستقامة فيها.

• بلغَ الغايةَ في الكفر، والنهايةَ في الضلال، مَن صدَّ عن سبيل الله، وابتغى الزيغَ في شرعه.

أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ
وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾
فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا
وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ
وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ
عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

ربع الحزب ٢٣

٢٢٤

﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

مُعْجِزِينَ: فائتينَ من عذابِ الله بالهَرَب.

• حين يُمهل اللهُ العصاةَ في الدنيا وهو قادرٌ على عقابهم، فذاك منذرٌ بمضاعفةِ العذاب عليهم يومَ القيامة.

• إن عذابَ اللهِ عذابٌ عظيم، فكيف إذا ضوعفَ هذا العذاب؟

• الموفَّقُ حقًّا من أعانه اللهُ برحمته على سماع الحق، وأنارَ بصيرته حتى يراه، والمخذولُ من منعَه توفيقَه حتى امتنعَ عن قَبول الحق.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾

وَضَلَّ: وذهَب.

• ماذا كسَبَ مَن خسر نفسَه عند ربِّه وأضاعها وأوردها المهالك؟

• يا لها من حسرةٍ أن يُضيعَ المرءُ ما كان يؤمِّلُ نفعَه، ويكتشفُ أن ما كان يعوِّلُ عليه ما هو إلا هُراء، وكذبٌ وافتراء!

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

لَا جَرَمَ: حقًّا، أو لا محالة، أو لا بدَّ.

• لا يُقارَنُ أخسرُ الخاسرين بخاسرٍ، فكيف يُقارَن بمَن بلغَ الدرجاتِ العُلا في الجنان والرضوان؟!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

وَأَخْبَتُوٓا۟: وخضَعوا وأنابوا.

• يا طيبَها من حالةٍ للعبد مع ربِّه! فيها الطُّمأنينة والاستقرار، والثقة والتسليم، وهدوءُ النفس وسكونُ القلب وراحةُ البال.

• لا تنفعُ الأحوالُ الخاشعة في القلب دون الأعمال الصالحة المُصدِّقة لها.

﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• تتيهُ الروحُ في حَضيضِ الظُّلُمات إذا ما تعامَت عن آيات الله، وتصامَّت عن سماعها، كما يتحيَّرُ الجسدُ في مصالحه إذا لم يكن ذا سمعٍ وبصر.

• إذا شئتَ أن تختبرَ قوّةَ سمعِ روحك وبصرِها، فانظر استجابتَها لما تسمعُه من الحقِّ وما تراه.

• المتشكِّكُ في تباين فريق الحق وفريق الباطل غيرُ عاقل، وهو عن معرفة حقائقِ الأمور غافل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾

• تأتي القصّة القرآنيّة عقِبَ عرضِ أدلّة الحقِّ لتؤكِّدَ القضيَّةَ بالمثال، فيتَّضحَ بذلك المقال.

• لقد بذل الأنبياءُ عليهم السلام غايةَ الجهدِ في دعوة قومهم، فنِذارتُهم كانت نِذارةً بيِّنةً، لا يعتريها الغموضُ ولا القصور.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

• الناصحُ الأمينُ لا يدَّخرُ وُسعًا في نصح الناس، وتجنيبِهم الأخطارَ، وإبعادِهم عن الأضرار، فإذا كان كذلك مع عموم الناس فإنه مع قومه أشدُّ حرصًا وأكثرُ شفقة.

• إنه يومٌ أليم لِما فيه من العذابِ العظيم الذي عمَّ جميعَ وقتِه، فصارَ مؤلمًا كلُّه لصاحبه بلا زمنِ راحة.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

بَادِىَ ٱلرَّأْىِ: من غير تفكيرٍ ولا رَويَّة.

• ليس الجنسُ البشريُّ بأصغرَ من أن يحملَ رسالةَ ربه، فإن اللهَ كرَّم الإنسان ورفعَ منزلتَه.

• توارثَ المكذِّبون عن أسلافهم اتهامَ المتمسكِّين بالدِّين بالتخلُّف الفكريِّ والمادِّي، وضعفِ الرؤية الثاقبة لشؤون الحياة، وضِيقِ الأفُق في فهم الحاضر والمستقبل.

• رمتني بدائها وانسلَّت! أليس أولى بوصفِ الأراذل من يعبدُ الحجر والشجر، ويتقرَّبُ إليها، ويدافعُ عنها، ويموتُ في سبيلها؟

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾

أَنُلْزِمُكُمُوهَا: أنُجبِركم على قَبولها.

• ما أعظمَ خطابَ نوحٍ لقومه! ففيه وضوحُ الحُجَّة، ولغةُ الثبات والعزَّة، والثقة بالله، ورفضُ المساوماتِ وأنصافِ الحلول، مع مجيئه في ثوب الحكمة والأسلوب الحسن.

• توحيدُ الله تعالى هو مشهدُ الرحمةِ الذي تَعمى عنه أبصارُ المشركين.

• لو نزعَ المُعرِضون مرآةَ الكراهية والعداوة لرَأوا صورةَ الحقِّ خالصةَ النقاوة.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾

• مَن استغنى عن مالِ الناس استوى في نظره أغنياؤهم وفقراؤهم، فلم يجاوزِ الحقَّ نظرًا إلى مستويات الناس المادية.

• لا يريدُ الأنبياءُ مالًا عِوضًا على دعوتهم، وإنما يريدون من الناس الاستجابةَ، ومن الله الثواب.

• التذكير بالآخرة من أصول الدعوة والتربية، بل ذلك محورُ الصدق والنجاح.

• يسأل الله تعالى الناسَ يوم القيامة عن أعمالهم، لا عن أحسابهم وأنسابهم، وذلك ميزانُ الحقِّ يومئذ.

• بناء التفاضُل على غير معيارِ التقوى هو حُكمُ الجهل، ومنطِقُ المتكبِّرين.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾

• لا يجوز الاستخفافُ بالمؤمن مهما كان فقيرًا، أو لا جاهَ له، فإنه في حماية الله تعالى ورعايته، فحقُّه التوقير بلا استهانةٍ ولا طرد.

• لا قوّةَ بين البشر أعظمُ من قوّة مؤمنٍ جعل حَولَه واتّكالَه على الله.

• على الكافرين أن يعلموا أن المؤمنين لهم ربٌّ ينصرهم وينتقم لهم، ولو بعد حين.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾

• ما كانتِ الرسالاتُ يومًا بحاجة إلى مزيد قِيَم، ولا هالاتٍ مبتكرة؛ حتى يقبلَها الناس، فإنها قويةٌ بذاتها، مقنعةٌ بحُجَجها ودلائلها.

• لا تجعل عينَك طريقًا للاحتقار، وسُلَّمًا يُرتقى بها إلى الاستصغار، فأقدارُ الناس لا تُقاس بالعيون.

• سبحان من يعلمُ ما في نفوسِ عباده، فيؤهِّلُ مَن شاءَ لقَبول دِينه وتوحيده، وتصديقِ رُسله!

• ابنِ أحكامَك على ظاهر الخَلق، ودع سرائرَهم لعلّام الغيوب؛ إذ لا يعلمُ ما في النفوس سواه.

• من احتقرَ مؤمنًا لضعفه وقِلةِ حيلته، وسلبَ عنه الفضلَ لاعتباراتٍ دنيوية، فقد أمعنَ في الظلم.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢﴾

• استكثرَ الصادُّون عن الحقِّ دعوةَ نُوح لهم، وهو لم يستكثر مدةَ دعوته فيهم، ألفَ سنة إلا خمسين عامًا!

• ما أعظمَ جِنايةَ مَن يردُّ الوحي ويكذِّبُ الرسل! إنه ليُلقي بنفسه في أودية الهلاك والضُّر.

• ليس من الأدبِ أن ينادِيَ الرجلُ نبيَّه باسمه، ولا من العقلِ أن يسألَه نزولَ العذابِ ليصدِّقَه، بدلَ أن يسألَه الآياتِ ليتَّبعَه.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾

• الإتيانُ بموعودِ العذاب خارجٌ عن القُوى البشرية؛ لا يُقدِّر وقته ولا يَقدرُ عليه إلا الله.

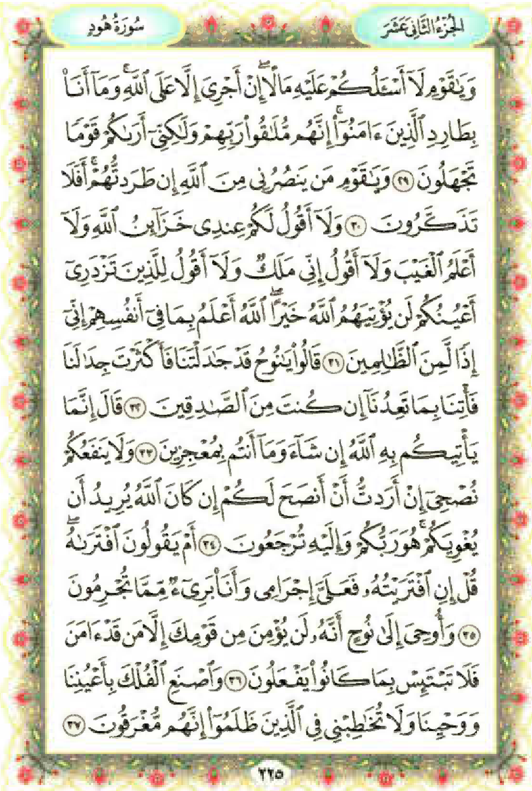
• أيعجزُ اللهُ أن يُقدِّرَ ما يشاءُ على عباده وهم في قبضته؛ لا يملكون فِرارًا من لقائه، ولا حسابِه ولا جزائِه؟

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤﴾

• الداعي إلى الله يوصِلُ الحقَّ إلى الأسماع، واللهُ وحدَه هو الذي يوصلُه إلى القلوبِ فتهتدي.

• الله تعالى هو المتصرِّف في شؤون عباده بما يشاء وَفْق حكمته، فهلا تجهَّزَ الناسُ لليوم الذي يرجِعون فيه إليه؟

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ٣٥﴾


الجزءُ الثاني عشر — سُورَةُ هُود

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠
بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا
تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ
إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا
فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا
يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ
قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ
٣٥ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ
فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧

٢٢٥

• لا يفتري على دِينِ اللهِ تعالى إلا مجرمٌ، ولا يدَعُ اللهُ المجرمين بلا عقاب، ما لم يتوبوا.

• لا تتمُّ الدِّيانةُ إلا بالبراءة من إجرام المجرمين، وما يأتون به من الشرك والإيذاء والموبقات، والصدِّ وسائرِ السيِّئات.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾

فَلَا تَبۡتَئِسۡ: فلا تحزَن.

• لا تحزن على مَن أسرفَ على نفسه واختار طريقَ الكفر، وباءَ بمقتِ ربِّه وغضبه، حين تأتيه أخذةُ اللهِ وعقوبتُه.

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾

بِأَعۡيُنِنَا: بمرأى منّا وأنت في حِفظِنا.

• إن عملًا يترتَّب عليه صلاحُ أمرِ البشر، لا شكَّ أنه سيُحاط برعاية الله وكَلاءته، وتوفيقِه وتسديده.

• ليس للمسلمِ مع أمرٍ قضاه اللهُ وأبرمَه، وفرغَ من تقديره وأحكمه، إلا الانقيادُ والتسليم.

وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ
قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ
٣٨ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ
مُّقِيمٌ ٣٩ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا
مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ
وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ
فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ
٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ
وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢
قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ
مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ
ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي
وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ
بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي
مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥

نصف الحزب ٢٣

٢٢٦

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾

• لا يَعدَمُ صاحبُ الحقِّ جوابًا يُلجِمُ به أهلَ الباطل، فمَن أراد الحُجَّةَ أُعطيت له، ومَن أراد السُّخريَّةَ فلينتظر من الله عاقبةً تَشفي صدورَ المؤمنين، فإنه يدافعُ عن أوليائه المتَّقين.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩﴾

• لا سُخريَّةَ أضرُّ على أهلها من السخريَّة بالحقِّ وأهله، فإنَّ عاقبتَها وخيمة، وعقوبتَها عظيمة.

• أتباعُ الأنبياءِ الصادقون لا تزعزعهم رياحُ الساخرين، ولا يهزُّ يقينَهم استهزاءُ المستهزئين.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾

وَفَارَ: ونبع الماءُ بقوَّة.

ٱلتَّنُّورُ: المكانُ الذي يُخبَزُ فيه.

• ما أعظمَ وحيَ اللهِ! حيثُ لم يُغفِل شؤونَ البشريةِ ومصالحَها في تشريعاته وتوجيهاته.

• إذا كفر الإنسان بالله تعالى، وأعرض عن اتِّباع رسوله ﷺ؛ هان على ربِّه، فصارت الحيَواناتُ أحقَّ بالنجاة منه.

• لا تنسَ العناية بأهلك ودوامَ الحرصِ عليهم؛ جَلبًا لما ينفعهم، ودفعًا لما يضرُّهم.

• انظر إلى نوح عليه السلام ودعوتِه، فقد مكث في قومه داعيًا مذكِّرًا زُهاءَ ألفِ سنة، فلم يلقَ منهم قبولًا، بل لم يَسلَم من شرِّهم وسُخريَّتهم وتوعُّدهم.

﴿۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾

• لازِم ذكرَ اللهِ في كلِّ الأحوال، ولا سيما عند الخطوب والملمّات، والأخطارِ والكريهات.

• تتجلَّى رحمةُ الله بعباده المؤمنين بمغفرة ذنوبهم، وإنجائهم من مكر أعدائهم، وإهلاكِ الماكرين بهم، ولولا مغفرتُه ورحمتُه سبحانه لم يكن لهم هذا الفضل العظيم.

﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾

• حين تُصنَع أسبابُ النجاة برعاية الله وعنايته، لا يضرُّ طريقَها عتوُّ الأهوال، ولا تباينُ الأحوال.

• الوالد المؤمن يُهمُّه هدايةُ ولده أكثر من كلِّ مصلحة له، فنوحٌ عليه السلام خشيَ أن يموتَ ابنه على الكفر أكثر من خَشيته أن يموتَ غرقًا.

• وجود الولد العاصي للوالد الطائع، خاصَّةً الداعيةَ إلى الله، لا يعني دائمًا تقصيرَ الوالدِ في دعوته، وعدمَ حرصه على هدايته.

﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾

• مَن اعتصمَ بالله تعالى أحاطَه بعنايته، فوصلَ به إلى غايته، ومَن ركَنَ إلى الأسباب المادية وكَلَه اللهُ إليها، فأوردته إلى مَساءته.

• إذا هاجَت الفتن فاسلُك سبيلَ المؤمنين، مهما قيل في سُبل نجاتهم؛ فإنهم في كنف الله، ولا تركَن إلى العاصين، ولو اعتصموا بأمثالِ الجبال الرواسي.

• ليس بين اللهِ وأحدٍ نسبٌ ولا قرابة، فالخلقُ عنده سواسية، فمع الكفر بالله العظيم لا ينفعُ والدٌ ولدًا، ولا ولدٌ والدًا.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾

أَقۡلِعِي: أمسِكي عن المطر.

وَغِيضَ: ونَقَصَ وغارَ في الأرض.

وَٱسۡتَوَتۡ: ورَسَت واستقرَّت.

ٱلۡجُودِيِّ: اسمُ جبل.

بُعۡدٗا: هلاكًا.

• ما أعظمَ المؤمنَ عند الله! فلَهُ يسخِّرُ اللهُ جنودَه؛ فلِنوحٍ ومن معه من المؤمنين أمرَ تعالى السماءَ فأمسكت عن الإمطار، والأرضَ فأغاضتِ الماء، والسفينةَ فرست على ظهر جبل!

• يا ويلَ الظالمين من عقوبة ظلمهم! فبظلمِهم أبعدوا أنفسَهم عن رحمة الله، وأبعدوها عن إنجائه، وما أحسنَ الحياةَ بعد بُعدِهم عنها!

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾

• من أحسنِ وسائلِ الدعاءِ أن يتخيرَ السائلُ من أوصافِ اللهِ تعالى في دعائه ما يرجو به إجابتَه وتلطُّفَه به.

• اطلُب من اللهِ تعالى أن يحقِّقَ لك مُرادَك، ثم فوِّض الأمرَ إليه، راضيًا بحكمه وقضائه، فذاك هو الأدبُ في الدعاء.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾

• إنما يجزي اللهُ تعالى الناسَ في الدنيا والآخرة بإيمانهم وأعمالهم لا بأنسابهم وأجناسهم.

• لا ينبغي للعبدِ أن يُقدِم على عملٍ حتى يعلمَ حُكمَ اللهِ تعالى فيه.

• على العالِمِ أن يحذرَ من بادرةٍ تخالفُ العِلمَ بدافع العاطفة أو الشفقة، فإن ذلك يُودِي به إلى الجهل.

• لا يستغني العالمُ عن الموعظة مهما علا كعبُه في العلم، فقد ينسى أو يغفُل، أو يضعُف أو يجهَل.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾

• ما أسرعَ استجابة العالِم المخلص للحق حين يُرشَد إليه!

• مَن أرادَ أن يسلكَ طريقَ الأدبِ في دعاء الله فليقرأ دعاءَ الأنبياءِ في القرآن الكريم.

• اطلُب المغفرة لتبرأ من الذنوب، واطلب الرحمةَ لتزدانَ بالطُّيوب، فمَن غفر الله له ورحمه صار من الفائزين.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨﴾

• عن محمَّد بن كعب القُرَظي قال: (دخل في ذلك السلامِ كلُّ مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، ودخل في ذلك العذابِ كلُّ كافر وكافرة إلى يوم القيامة).

• إذا نزلت على المرءِ بركاتُ اللهِ صار مباركًا أينما كان، كالغيثِ حيثما وقع نفع.

• لا تظنَّ متاعَ الحياةِ الدنيا الذي يزهو به أهلُ الباطلِ سيدوم مهما طال، فوراءَه من العذاب الأليم ما يُنسِيهم ذلك الترفَ والنعيم.

﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾

• القرآن كتابُ اللهِ حقًّا، نزل من عنده على رسوله محمَّدٍ ﷺ صدقًا، فأنَّى لنبيٍّ أميٍّ في قوم أميِّين أن يأتيَ بأنباء التاريخ المُغيَّبة؟!

• مهما عانى المتَّقون في أوَّل الدعوة فليطمئنُّوا إلى أن العاقبة في النهاية لهم، فالعبرة بخواتيم الأمور لا بمبادئها.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠﴾

• تذكير الداعي لقومه بالأواصر التي تجمعُهم تجعلهم في طُمَأنينة، فتُقبِل نفوسُهم عليه؛ وإن الرائد لا يَكذِبُ أهلَه، والناصحَ الأمين لا يغُشُّ قومَه.

• فليكُن التوحيدُ أساسَ الدعوة إلى الله تعالى؛ فبه تُحرَّكُ القلوبُ، وتُقنَعُ العقولُ، ويُعمَلُ بمقتضاه في الحياة.

• لا مفتريَ أعظمُ ممَّن زعم أن مع الله إلهًا آخرَ يستحقُّ العبادةَ معه؛ فإنه بذلك يكذِّب الفطرةَ والعقلَ والشرع.

﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١﴾

• كم ظنَّ بعض الناسِ بالمصلحين الصادقين الطمعَ بما في أيديهم، فأبعدَهم ذلك عن تصديقهم! فعلى المُصلح المخلص أن يُعلن براءةَ ساحته ممَّا ظنوه به.

• ما في الكون من رزّاقٍ إلا اللهُ الواحدُ الخلّاق، ومَن آمن به وحدَه خالقًا، وثِق به وحده رازقًا.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ
٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا
تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ
وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨ تِلۡكَ
مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ
وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩
وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ
إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١
وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ
مُجۡرِمِينَ ٥٢ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ
بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣

٢٢٧

• لو عقل الناسُ ما ارتضَوا سوى ما ارتضاه اللهُ لعباده من الدين؛ فإنه التشريعُ المنزَّهُ عن النقائص، والمحلَّى بالكمال.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾

• لا يَسألُ الداعيةُ الناسَ رزقًا، بل يدلُّهم على الرزَّاق سبحانه، ويعرِّفُهم أنهم حين يؤمنون به لن يخسروا شيئًا، بل إذا سألوه أعطاهم، وإذا خضعوا له قوّاهم بقوّته عزَّ وجلَّ.

• التولِّي عن التوحيد ودعوةِ الحقِّ إجرام، وإثمٌ من أعظم الآثام.

﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣﴾

• إن تحويلَ النفوس الضاربةِ جذورُها في أعماق الشِّرك إلى توحيد الله ليس بالأمر الهيِّن، خصوصًا وهي تُنكر بيِّناتِ الهداية، وتعلنُ الثباتَ على الغَواية.

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ
مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
٥٦ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ
رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ
٥٧ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا
وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩ وَأُتۡبِعُواْ فِي
هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا
بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ
ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ
٦١ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ
مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢

الحزب ٢٣

٢٢٨

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤﴾

إِن نَّقُولُ: ما نقولُ.

ٱعۡتَرَىٰكَ: أصابَكَ.

بِسُوٓءٖ: بجُنونٍ؛ لنَهيِكَ عن عِبادتِها.

• إصرار المُبطِلِ على باطله يجعله يتصوَّر الأمورَ على غير حقيقتها، فيرى العاجزَ قادرًا، والمهتديَ ضالًّا.

• البراءة من الشِّرك من مُهِمَّات تحقيق التوحيد، حتى تتميَّزَ الأمور، ويتبيَّنَ الحقُّ، ويصدُقَ صفاءُ الباطن من عَلائقِ الإشراك.

﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾

فَكِيدُونِي: فاجتهِدوا في إلحاقِ الضَّرَرِ بي.

لَا تُنظِرُونِ: لا تُمهِلوني.

• أعلن هودٌ يقينَه بربِّه أمامَ المشركين وآلهتِهم أن يصيبوه بسوء عاجلٍ أو آجل، فما أجلَّه من يقين تذوب أمامَ عظمته مخاوفُ المفترين.

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾

ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ: مالِكُها والمُتَصَرِّفُ فيها.

• وثِق الأنبياء عليهم السلام بمَن أرسلهم، فتوكَّلوا عليه سبحانه في أمر حِفظِهم، وخِذلانِ أعدائهم.

• كيف يتكبَّر الخلقُ - مهما ملكوا - على الخالق الذي لا مخلوقَ على وجه الأرض إلا وهو له خاضعٌ وذليل، ومذعنٌ لأمره ومستسلم له؟!

• من عدل الله تعالى في عباده أن ينصُرَ أهلَ الحقِّ على أهل الباطل ما داموا متمسِّكين بالحقِّ، متوكِّلين على الله ربِّهم.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾

وَيَسۡتَخۡلِفُ: ويأتي بقومٍ آخرين يَخلُفونكم في دياركم.

حَفِيظٞ: رقيبٌ مُهَيمِنٌ، يحفَظ من كلِّ سُوء.

• على الداعية تبليغُ رسالةِ الحقِّ إلى الخلق، مع بذلِه أسبابَ قَبولها بينهم، وبعد ذلك تمضي سنَّة الله في المكذِّبين المعرِضين.

• عاقبة أعداءِ الله الاستئصالُ والزوال، وورودُ العذاب والنَّكال، ولا يلحَقُه سبحانه وتعالى أدنى ضرر على إهلاك أعدائه، والانتصارِ لأوليائه.

• تكفَّل اللهُ بحفظ أوليائه في دينهم لما أجابوا رُسلَه، فما ضاع شيءٌ استُودِعَ عند الله.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨﴾

غَلِيظٖ: شديد، والمُراد به: الريحُ الباردة التي أهلكت بها عاد.

• عوِّل على رحمةِ الله تعالى وحدَها، فوالله ما نجا مَن نجا في الدنيا والآخرة إلا بها.

﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩﴾

• جحود آيات الله ربِّ العالمين، وعِصيانُ الناصحين المشفقين، واتِّباعُ الجبَّارين الغاشِّين، طريقُ الهالكين المُبعَدين.

﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠﴾

• ما كان أقربَهم إلى الله تعالى وإلى كلِّ خيرٍ لهم لو استجابوا لرسولهم! ولكنهم طُرِدوا عن كلِّ خير بتكذيبهم له.

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾

أَنشَأَكُم: ابتدأ خلقَكم.

وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا: جعلكم عُمَّارًا لها.

• النِّعمُ والخيرات وسيلةٌ لتذكير أهلِها بعبادة الله وحده، كما انفردَ بمِنَّته عليهم وحدَه.

• رحمَ اللهُ امرأً حبَّبَ الناسَ إلى ربِّهم، ودعاهم إلى الرجوع إليه، وعرَّفهم فضلَه وكرمَه، وقُربَه منهم، وإجابتَه لسؤلهم.

• سبحانَ ربِّنا الكريم! القريبِ ممَّن دعاه دعاءَ مسألة أو دعاءَ عبادة؛ يجيبُه بإعطائه سؤلَه، وقبولِ عبادته، ويثيبُه عليها أجلَّ الثواب.

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢﴾

مَرۡجُوّٗا: نرجو أن تكونَ فينا سيِّدًا مطاعًا.

• يا مَن اخترتَ طريقَ الأنبياء، تهيَّأ للقاءِ بعض العداوات، وانقلابِ بعض المَوَدَّات، مهما كنتَ بين قومك جليلًا، وبمكارم الأخلاق معروفًا.

• لا تغترَّ برضا أهلِ السوء عنك، فإنك لم تصل إلى ذلك إلا لأنَّ طاعاتِك لم تتعدَّ إلى التأثير في شهواتِهم وأهوائهم.

• حين يُغطِّي الهوى والتقليدُ عينَ العقل، فإنها لا ترى نورَ الحقيقة نورا، بل تراه ليلًا دَيجورا.

• أيُّ زَيغ هذا الذي يدعو صاحبَه إلى أن يطمئنَّ للشرك، ويرتابَ في التوحيد؟!

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ
فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ
عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا
نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ
خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا
بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ
سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ
أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ
قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ
فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾

٢٢٩

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣﴾

تَخۡسِيرٖ: تضليلٍ وإبعادٍ عن الخير.

• عظمة المنعم سبحانه وتعالى وفضلِه تحثُّ العبد على اجتناب عصيانه، فمَن عصاه فقد جحد نعمتَه، واستدعى عقوبتَه.

• لا يمنعُ العبدَ من عذاب ربِّه أحدٌ إذا جحد آياتِه وأخفى بيناتِه، أو ردَّ رحمته وأنكر نعمتَه.

• مهما يكُن في المعصية من مُغرياتٍ فإن حاصلَها الخسارة، ومن عرَف خسارتَها لم تُقنعه مغرياتُها.

﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤﴾

• ما جاء من عند اللهِ يجبُ استقبالُه بالتكريم والتعظيم، لا بالإساءة والتحقير.

• ما الذي غاظ قومَ صالح من الناقة حتى عقروها، أليست الأرضُ لله، ترعى فيها أنعامُه، وليس عليهم من مَؤونةِ الناقة شيء؟

• ما أسرعَ عقابَ اللهِ لمن شاء عقابَه! إنه ليأخذُه من مأمَنه، ويعجِّلُ بهلاكه ولو في مكمَنه.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥﴾

فَعَقَرُوهَا: فنحَروا الناقة.

تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ: استمتِعوا بالعيش في بلدِكم.

• إن المذنبَ وإن كان واحدًا، لكنَّ رِضا مَن حولَه بفعلِه جعل منهم شركاءَ له في جُرمه.

• إذا توعَّدَ اللهُ أحدًا بالعقوبة، صار وعدًا صادقًا لا شك في حلوله، فيا ويلَ الموعود، من الربِّ المعبود!

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾

• سبحانَ مَن جعل القوم فريقين: مَن شمِلته رحمةُ اللهِ فرضيَ عنه ونجَّاه، ومَن وقعت عليه آثارُ قوته وعزَّته فأخزاه وأفناه!

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧﴾

ٱلصَّيۡحَةُ: الصوت الشديد المُهلِك.

جَٰثِمِينَ: ساقطين على رُكَبِهم ووجوهِهم، لا حَراكَ بهم.

• لا يُشرِكُ بالله تعالى إلا ظالمٌ لنفسِه، ولا يَظلمُ امرؤٌ نفسَه بالشرك إلا عرَّضها لمصيرِ مَن قبلَه من الظالمين.

• همدَ المكذِّبون بعد أن كانوا يشتعلون كِبرًا وغرورًا، وصارت ديارُهم لهم قبورًا، وذهبَ عنهم ليلُ التكذيب بصبح التعذيب.

﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾

• ما أشدَّ عذابَ الاستئصال الذي زحف على المعذَّبين بالزوال حتى لم يُبقِ منهم عينًا تطرِف!

• الكفر أعظمُ ذنبٍ يُبعِد العبدَ عن ربِّه، وعن رحمته وإنجائه.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾

حَنِيذٖ: مَشويٍّ بالحجارة المُحْماة.

• الولد الصالح بُشرى عظيمة، ومن تكريم الله لإبراهيم أنْ جعل ملائكتَه الكرامَ حاملي بِشارته إليه.

• مُلقي تحيَّةِ السلام مبتدئٌ بخير، والكريمُ يكافئ على الخير مثلَه أو أحسنَ منه، فما أجملَ تشريعاتِ الله!

• المضيفُ الكريمُ لا يَضَنُّ على ضيفه بأطيبِ ما عنده، ولا يُبطئُ عن الإسراع إلى قِراه وإتحافِه بما يجد.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾

نَكِرَهُمۡ: أنكرَ فعلَهم.

وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ: أحسَّ في نفسه خوفًا منهم.

• من مقابلة الكريم الضيافة: تناولُ ما أكرمَ به ضيوفَه، فإن لم يتمَّ ذلك فلسببٍ ما، ينبغي على المضيف تلمُّسه حتى تطمئنَّ النفوس.

• تعلِّمُنا الملائكةُ أن من الآداب إيناسَ الجليس، وإزالةَ ما يدعوه إلى الخوف والارتياب.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾

وَمِن وَرَآءِ: ومن بعد.

• نِعمَ المرأةُ الصالحةُ الشريفةُ التي تقوم على خدمة أضيافِ زوجها ورعايتِهم في حضوره.

• ما أحسنَ البِشارة عندما تكون مضاعَفة، وما أحسنَها حين تكون صادقةً لا تتخلَّف، وإن طال بها الزمن!

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾
قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٖ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾

٢٣٠

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾

• التعجُّب من أمرٍ يُحدِثه اللهُ على خلاف العادة لا يعني استبعادَ القدرة، ولكنَّ مجيئَه مباينًا للأسباب المعروفة صنعَ ذلك العجب.

﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾

حَمِيدٌ: محمودُ الصفاتِ والأفعال.

مَّجِيدٌ: ذو عظمةٍ وشرَفٍ وكرَم.

• ليس عجيبًا أن يستحقَّ رحمةَ اللهِ تعالى بيتٌ تُقيمُ فيه المروءةُ والطاعة، والكرم والإحسانُ.

• من كرمِ اللهِ وفضلِه على عباده أن يَحمَد مَن أطاعه، ويُعطيَ عبادَه ما شاء، لا حدَّ لجوده، ولا نهايةَ لحمده ومجده.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾

ٱلرَّوْعُ: الخوف.

• المؤمنُ الصادقُ إذا فرِحَ واستبشر لا ينسى وهو في بحبوحة سعادته آلامَ الآخرين وهمومَهم.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾

أَوَّٰهٌ: كثيرُ التضرُّع والدعاء.

مُّنِيبٌ: تائبٌ رجَّاعٌ إلى الله في أموره كلِّها.

• رقَّة القلب للخَلق، مع الخضوع للخالق، من صفات الكمال في الرجال، ونُعوت الجلال والعظمة فيهم.

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

• إن كان أبو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد نُهيَ عن التعرُّض لما قضاه الله تعالى وقدَّره، فكيف حالُ غيره في أقدارِ الله وأقضيته؟!

• مقتضى ربوبيَّة الله سبحانه وتعالى أن يأخذَ الظالمَ بظلمه، ولا يساوي بين الصالح والطالح، وإهلاكُ القوم الفاسدين والمفسدين رحمةٌ من الربِّ تعالى بأوليائه الصالحين.

• لا تُلتمَس الرحمةُ للمجرمين وقد نزل بهم العذاب، {فإن كذَّبوك فقل ربُّكم ذو رحمةٍ واسعة ولا يُردُّ بأسُه عن القوم المجرمين}.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾

سِيٓءَ بِهِمْ: ساءَه مجيئُهم وأحزنَه.

وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا: وضعُفَت طاقتُه عن تدبير خَلاصِهم.

• ما أشدَّ أسى المؤمنِ حين يُحاطُ بطَوقٍ جُغرافيٍّ يَفيضُ بالذنوب التي يصرُّ عليها أهلُها! فذلك الظرفُ عصيب، ومن العقوبة قريب.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾

يُهْرَعُونَ: يُسرِعُون.

• إدمانُ الفواحش والمسارعة إليها، وخلعُ رداءِ الحياء من فعلها، من براهين ذهاب العقل وانعدام الرشد.

• في حَلالِ الشهوات ما يُغني عن حرامها، فمَن عقَلَ أقبل على ما حَل، ومَن استحق اختار طريقَ الزلل.

• في الدين وكريمِ العادات وفضائلِ الخُلق ما قد يحجُزُ العاصيَ عن عصيانه، فلوطٌ جمع بينها تحذيرًا لقومه، فإيذاءُ الضيفِ لا تُقرُّه التقوى ولا العادةُ الحميدة.

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾

مِنْ حَقٍّ: من حاجةٍ أو رَغبة.

• مَن استطاب رَضاعَ الفجور استخبث رَضاعَ العِفَّة.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾﴾

إذا اشتدَّ بك البلاءُ فأويتَ إلى ربِّك، فقد أويتَ إلى رُكنٍ شديد، لا تُخافُ عنده المكارهُ والخطوب.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾﴾

بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ: ببقيَّةٍ من آخرِ الليل.

• إن نصر الله مهما تأخَّر عن أوليائه فإنه لا بدَّ آتيهم في الوقت الذي يريده الله، لا الوقتِ الذي يريدونه هم.

• من رام بلوغَ الغاية جدَّ في السير ولم ينشغل عن هدفه بما يَعرِضُ له في طريقه، حتى لا يتأخَّرَ وصولُه، أو تضعُفَ عزيمته.

• ليس للقرابة عند الله نفعٌ ما تباينَ الدين، فلم يُفد امرأةَ لوطٍ قربُها منه، بل لحقت بقومها المعذَّبين.

• لا يأمَنِ العاصي أن يَفجأه عقابُ اللهِ في وقتِ دَعَته، فيكونَ وقوعُ العذاب عليه أشدَّ وأفظع.

• مهما بلغ بك الكربُ فلا تيئَس، فقد يكونُ الفرَجُ أقربَ ممَّا تظنُّ، وما عليك إلا أن تأويَ إلى الركن الشديد، وهنالك تجد مفاتيحَ الفرَج.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢﴾

مِّن سِجِّيلٖ: من طينٍ متحجِّر.

مَّنضُودٖ: مُتتابعٍ في النُّزول.

• ما أشبهَ عذابَ قومِ لوطٍ بجريمتهم! فحين انتكست فطرتُهم كانت العقوبةُ قلبًا لقريتهم عاليَها سافلَها.

• لم يُكتفَ بقلب قراهم حتى رُجِموا بالحجارة من السماء، فكانت عقوبةً مزدوجة، فما أهونَ الإنسانَ عند الله إذا عصاه وأبى أن يتَّبع رضاه!

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾

مُّسَوَّمَةً: مُعلَّمةً بعلامةٍ تميِّزها.

• كلُّ مجرمٍ من قوم لوط كانت له حجارةٌ مُعَدةٌ تصيبه، وإنها لحجارةٌ لا تدَعُ جسدًا تلذَّذ بالفاحشة إلا آلمته وأهلكته.

• ما من ظالمٍ في كل زمانٍ ومكانٍ إلا وسينالُه وعيدُ الله له بأشدِّ العقوبات وأفظعِ المَثُلاتِ.

﴿۞وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾

• التوحيدُ مِلاكُ الأمر، فمن أقامَه صلُحت أعمالُه، واستقامت وَفْقَ منهج الله تعالى أفعالُه.

• لا بدَّ أن تستندَ المعاملاتُ إلى أصلٍ لا يتأرجحُ مع المصالح والأهواء، ليكونَ ضمانةً لحياةٍ إنسانية أفضلَ، وذاك الأصلُ هو العقيدة وخَشيةُ الله تعالى.

• عجبًا لمَن رزقه اللهُ ما يكفيه كيف يسعى لما يُفنيه، بطلبِ زيادته بالكسب الحرام!

• أظهِر للعاصي شفقتَك عليه من أن يصيبَه عذابُ الله، فلعلك بذلك الرفقِ تستميلُ قلبَه، وتُعينُه على الاستجابة.

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾

• مَن دعا الناسَ إلى أداء الحقوق، ونهاهم عن بَخسها فقد دعا إلى العدل الذي يتفقُ عليه المنصفون، ولا يكابرُ فيه إلا الطغاةُ المجرمون.

• كل شيء للناس فهو مَنهيٌ عن البخس فيه، سواء أكان كيلًا أم وزنًا، أم سلعةً أم منفعة.

• الاستمرارُ على المعاصي يُفسدُ الأديان، ويُهلِكُ الحرثَ والنسل.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾

بَقِيَّتُ ٱللَّهِ: ما يُبقي اللهُ لكم بعد إيفاءِ الكَيل والميزان من الربح الحلال.

• الخيرُ والبركة فيما يُبقيه اللهُ تعالى للمؤمن بعد أدائه الحقوق، من الربح والمال الحلال.

• المالُ من فضل الله تعالى وجودِه، وليس بكدِّ العبد ولا قوته، ولا بذكائه ولا علمه.

• يَعصِمُ الإيمانُ صاحبَه من المكسب الحرام، فلا تدخلُ الشوائبُ مالَه، وما كان من المال نقيًّا كان أدعى للنفع والقَبول.

• ما بعثَ اللهُ أنبياءه مراقبين ولا محاسِبين، ولكن بعثَهم ناصحين، وعنه مبلِّغين.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾

• الصلاة تَنهى صاحبَها عن الفحشاء والمنكر، ذاك أنها تُكسِبُه مراقبةَ اللهِ تبارك وتعالى، ومن نهى نفسَه كان جديرًا بأن ينهى غيرَه.

• ليس لصاحب المال أن يتصرَّف فيه على هواه، فإنه أمانةٌ بيده من عند الله، فلا بدَّ أن يسيرَ فيه على رضاه؛ لأنه هو الذي أعطاه.

• يعتقدُ أهلُ الباطلِ أنهم أرجحُ عقولًا، وأصفى أفهامًا، وأن أهل الحقِّ سفهاءُ أحلام، ضُلّالُ الأنام، لا يعرفون الأمورَ معرفتَهم إياها.

فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا
حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣ ۞وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ
شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ
وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ
وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ
أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ
أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ
ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم
بِحَفِيظٖ ٨٦ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ
مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ
لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ
عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ
أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ
مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨

الحزب ٢٤

٢٣١

• في الغابرين سلفُ سوءٍ لمن يدَّعي اليومَ الثقافةَ والحضارة، ويرى التعقُّلَ والرشادَ في فصل الدين عن الحياة.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾

• ممَّا يقوّي تأثيرَ الداعية إظهارُه ثقتَه بدينه، واغتباطَه به، وثباتَه عليه، وصدقُ رغبته في الإصلاح، مع تعلُّقه الوثيق بالله تعالى.

• الناصحُ الصادقُ لا يحلِّقُ بالمخاطَبين في سماء القول الذي لا يفعلُه، وفي قدرته أن يفعلَه.

• ارتقِ من رتبة الصلاح إلى رتبة الإصلاح، فكُن مُصلحًا بين الناس ما استطعت، سواء أُجبتَ أو لم تُجَب.

• إذا كتب اللهُ لك النجاحَ في دعوتك، ورأيتَ ثمارَ جُهدك، فلا تعجَب ولا تغترَّ، فما التوفيقُ لذلك إلا بالله المعين.

• بتوكُّلك على الله وأخذِك بالأسباب المشروعة تبلغُ النجاح، وبإنابتك إلى الله تصحِّحُ المسارَ وتنالُ الفلاح.

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ
قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم
بِبَعِيدٖ ٨٩ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ
وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
مُحِيطٞ ٩٢ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ
وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا
شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧

٢٣٢

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾

لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ: لا يحملنَّكم.

شِقَاقِيٓ: عداوتي.

• أيُّ عاقلٍ يرفضُ أمرًا لا تصلُح حياتُه إلا به، بسبب أنه كارهٌ لمن يَعرِضُه عليه؟!

• كم في تاريخ الأمم من عِبرٍ وعظات، ترغِّب في الطاعات، وترهِّب من السيِّئات، وطوبى لمَن اعتبرَ بغيره.

• العِبرةُ من الأحداث القريبة أكثرُ وقعًا في النفس من الأحداث البعيدة.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾

• يذكِّر الأنبياءُ الناسَ بأن الله هو ربُّهم ومالكهم ومدبِّر أمرهم، لعلَّهم يُقبِلون عليه، وينتسبون إليه، مستغفرين تائبين، فيَشرُفون بتلك النسبة إليه في ظلِّ رحمته ومودَّته.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾

ضَعِيفٗا: لستَ من الكُبَراءِ ولا الرُّؤساء.

رَهۡطُكَ: عَشيرتُكَ الأقرَبون.

بِعَزِيزٖ: بصاحبِ قَدرٍ ومنزلة.

• مَن طُبع الإعراضُ في قلبه لم يقبَلِ الحقَّ مهما كان بيِّنًا واضحًا، ومهما أقام ذوو الحقِّ الحُجَّة على صحَّة ما هم عليه، فإن كارهَ الحقِّ سيتَّهمهم بالقصور، وضعفِ حُجَّتهم في الظهور، وها هم أولاءِ قومُ شعيبٍ ردُّوا قولَه مع أنه جاءهم بأفصح كلامٍ وأبلغِه.

• حين ترى المُناظرَ يُقابلُ الحججَ بالشتائم والسِّباب، والتهديد والوعيد؛ فاعلم أنه محجوجٌ قد عدِمَ الحجة.

• ما أحوجَ الدعوة إلى قوَّة تحميها وتدافع عنها، وتنصرها وتنشرها، وتعظِّم وقعَها في القلوب! إذ لا يقوم الدينُ إلا بكتابٍ يهدي، وقوَّةٍ تحمي.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾

وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ: منبوذًا خلفَ ظُهوركم.

• لا يُعوِّلُ المؤمنُ في تحقيق الغلَبة على الأعداء على ما عنده من القُوى، كقوة قومه ومنَعة رَهطه، بل يعتزُّ بالله وحده، غيرَ غافلٍ عن الأسباب المادية المشروعة.

• لا يتخلَّى اللهُ عن وليِّه الذي يُبلِّغُ عنه، ويتحملُ المشقةَ في سبيله.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾

مَكَانَتِكُمۡ: طريقتِكم وحالتِكم التي أنتم عليها من الكفر.

• لا تفزَع أيها الداعي إن هدَّدك أصحابُ الباطل بباطلهم، فإن الحقَّ الذي عندك أولى بأن تُهدِّدهم بعقوبة مخالفته إذا ما اجترأوا على عظائم الأمور.

• لا يكونُ كاذبًا ولا ضعيفًا من يَصدعُ بالحقِّ ويعتزُّ به، ويُنذرُ مخالفيه ولا يأبَهُ لقوتهم ولا جَمعِهم، ولا يكترثُ لكونه وحده طالما أن اللهَ معه.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾

• يُيسِّرُ اللهُ تعالى برحمته وفضله لمن يتَّبعُ الحقَّ، ويأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر، أسبابَ النجاة والخروجِ من الخُطوب.

• لا مَأمنَ للعاصي من عذابِ الله إن أراده به، مهما بلغ صاحبُه من الحذر واتخاذِ الحيطة.

• صيحةٌ واحدةٌ من عذابِ الله تعالى كفيلةٌ بإسكاتِ كلِّ الأصوات الداعيةِ إلى الباطل.

﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾

• أيأمنُ مَن يُشاقُّ اللهَ تعالى، وهو يرى أقوامًا تقلَّبوا في النعيم، ورتعوا في المغاني والخيرِ العميم، ثم أخذهم اللهُ بمعاصيهم على حين غِرة، وكأن نعيمًا لم يكن؟

• لن يسلُكَ طريقَ التكذيب أحدٌ على مدى الدهر إلا وصلَ في نهايته إلى الهاوية التي وصل إليها مَن قبلَه، وإن تنوعت صورُ النهاية البائسة.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦﴾

• للحقِّ سلطانٌ يُوجبُ اتِّباعَه، وفيه من الآيات والحججِ ما يُعلي شأنَه على كلِّ سلطان.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧﴾

• بؤسًا لمَن يغترُّ بمَنصِب الطاغية فيتَّبعه لأجل منصبه وقوته، حتى وإن كان سفيهًا غيرَ رشيد!

• قد تجدُ في الناس مَن يتركُ الوحيَ ولا يأخذُ به حتى يتبعَ شخصًا من الخلق؛ رغبةً أو رهبة، فيقدِّسُ قولَه، ويطيعُه فيه، كأنه نصٌّ نزل من السماء.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ
ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾
وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

الحزب ٢٤

٢٣٣

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾

• مَن أورد قومًا أبوابَ الكفر، سيوردُهم يوم القيامة أبوابَ النار، ومَن تقدَّمهم في الباطل واتبعوه سيكون سابقهم إلى جهنَّم.

• بئس الموردُ الذي يُوردُه الضالُّ المضِلُّ أتباعَه الذين يسيرون خلفَه دون تفكير! إنه النارُ، وكفى بالواردين إليها ضياعًا وبلاء.

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾

• مَن أبعدَ نفسَه عن رحمة الله بإسخاطه، وعن رضوانه بعِصيانه، فهل ينتظرُ إلا البُعد عن إنجائه، والقربَ من نيرانه؟

• إذا كان شأنُ أتباعِ الضالِّين فظيعا، وحالُهم شنيعا، فما ظنُّك بمَن ألقاهم في ذلك الضلال البعيد؟!

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾

• لِينظر الإنسانُ بعين الاعتبار في الأمم الخالية، والقرونِ الماضية، والأماكنِ الدارسة، كيف رحل أهلُها عن الدنيا أحوجَ ما كانوا إليها، وتركوها أحبَّ ما كانت إليهم!

• هلَّا اعتبرَ الناظرُ في أحوال الغابرين بما بقيَ من آثارهم شاهدًا على قوَّتهم وعظيم عُمرانهم، وبما اندثرَ منها فلم يبقَ منها أثر!

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾

• لا يعصي العاصي ولا يبغي الباغي إلا ويصيبُ بفعله نفسَه، فمَن أراد أن يحفظ نفسَه فليُبعدها عن موارد الهلكة.

• ذهبت الآلهةُ الباطلةُ عن عابديها أحوجَ ما كانوا إليها، فلن ينفعَ التجاءُ من التجأ إلى غير الله تعالى شيئًا عند نزول الشدائد، وإنما يزيدُه ضررًا إلى ضرره.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾

• عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذَه لم يُفلِتْه).

• فليبادِر كلُّ ظالم بالتوبة، ولا يغترَّنَّ بالإمهال، وليحذَر أخذ ربِّه له؛ فإن أخذَ العزيز المقتدِر أليمٌ شديد.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾

• إنما يعتبرُ من حوادثِ التاريخ مَن يؤمن بعذاب الآخرة، وأمَّا غيرُه فلا يزال يقول: هذه الحياةُ فيها الخيرُ والشرُّ، والنعيمُ والبؤس، وينسُب تلك المتضادَّات إلى طبيعة الحياة.

• يا له من جمعٍ مَهيب! تَشهدُه جميعُ الخلائق من الأوَّلين والآخرين، ويَنزلُ فيه ربُّ العزَّة فيفصِلُ بين العباد.

• إنَّ مَن استحضرَ عظمةَ ذلك اليوم وهَيبتَه، أخذ له أهبتَه، فلم يظلِم نفسَه ولا غيرَه.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾

• أيا من أجدَّ في عملِك؛ لن يطولَ انتظارُك لنيلِ ما ترجوه، ويا من أساء ولم يحسُب للآخرة حسابًا؛ إنها لأيامٌ معدودة، وآجالٌ محدودة، حتى تَلقى ثمرةَ ما زرعت.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾

• على العرَصاتِ في موقفٍ مَهيب وصمتٍ مطبِق؛ يترقَّب الناس إعلانَ النتائج في الدار التي ستكون مأوى كلِّ مكلَّف؛ ففريقٌ في الجنَّة وفريق في السعير.

• برزَت النتيجة العامَّة للمكلَّفين بالسعادة أو الشقاء، فما أجملَها من لحظاتٍ لأهلِ السعادة! وما أسوأَها لأهل الشقاوة!

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾

• يا بؤسَ مَن أشقاه عملُه حتى أورده نارَ جهنَّم التي يشتدُّ فيها كَربُه ويعظُم غمُّه، ويضيقُ حالُه وتنقطع آمالُه!

• لو تفكَّرَ الإنسانُ في مآلٍ يفقِدُ فيه راحتَه، ويَلقى فيه شِقوتَه، ويصدُر منه أشنعُ الأصوات، وهو في غَمراته؛ لما سلك طريقًا يوصله إليه.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

• ما الدنيا كلُّها بما فيها أمامَ ما ينتظرُ المرءَ من خلودٍ في شقاءٍ سرمدي، أو في نعيمٍ أبدي؟

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾

• ما يزيدُ المؤمنين في الجنَّة طُمَأنينةً أن نعيمَهم فيها لا ينقطع ولا ينقُص.

• أيها المؤمن، إذا قطعتَ نفسَك عن الشهَوات المحظورة، فأبشِر في الجنَّة بلذَّاتٍ غيرِ مقصورةٍ ولا محصورة.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ
١٠٩ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
١١٠ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ١١١ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ١١٣ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ
لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ
١١٥ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ١١٦ وَمَا
كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧

٢٣٤

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ١٠٩﴾

• مَصارعُ الآباء وبطلان حُجَجِهم في معبوداتهم، دليلٌ على بُطلان معبودات أبنائهم الذين اتَّبعوهم، فانظُر أخبار الأولين تنتفِ الرِّيبةُ في الآخرين.

• ما للأشقياءِ وحبِّ مُخادنةِ الشقاء! أغرَّتهم الأمانيُّ بتخفيف الجزاء؟ ألا علموا أنهم سينالون عقابهم غيرَ منقوص ولا مبخوس؟

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ١١٠﴾

مُرِيبٍ: مُوقِعٍ في الرِّيبةِ وقَلَقِ النفس.

• إن كان اليهودُ قد اختلفوا في الكتاب الذي نزل على نبيِّهم عليه السلام، فكيف سيكون حالُهم مع القرآن؟

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١١١﴾

• مَن أحصى العملَ وكان به خبيرًا، فلن يضيعَ عنده شيء، ولن يفوتَه شيء، فهل نَعي هذا ونشتغلُ بما أُمرنا به؟

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢﴾

• من لوازم الاستقامة أن تكونَ وَفق ما أُمرتَ به، وإن لم يكن على نحو ما ترغبُ فيه.

• المطلوبُ من الأمَّة جمعاءَ الاستقامةُ التي لا يمازجُها عِوَج، فمن أرادَ قدوةً في ذلك فلينظر إلى استقامةِ رسولِ الله، فإنه أعظمُ الناسِ امتثالًا لأمرِ ربِّه.

• أساس الاستقامةِ الوحيُ {كما أُمِرت}، وشرطها عدمُ تجاوزِ الحدِّ {ولا تطغوا}، والمعين عليها الصُّحبةُ الصالحة {ومن تاب معك}، وشعار أهلِها المراقبةُ الدائمة لله تعالى {إنه بما تعملون بصير}.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾

• إن كان مجرَّد الرضا بأعمال الكفرة أو الظَّلَمة يستوجب مسيسَ النار، فما ظنُّك بمَن يشاركُهم كفرَهم أو ظلمَهم؟

• لا يهلِكُ بالظلمِ فاعلُه فحسب، بل يهلكُ معه موافقُه، والمطمئنُّ إليه.

• لا أمانَ في صحبة الظالمين، ولا نصرَ يُرتجى لمائلٍ إليهم، فمآلُ الظالمين خسارةُ الدنيا والآخرة.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾

• ليس ثمَّةَ أبلغُ أثرًا في تطهير النفس من خطاياها من حسَنة إقامة الصلوات، فإنها كالنهر الجاري الذي يغتسلُ فيه العبدُ كلَّ يومٍ خمسَ مرَّات.

• مَن ضعُفت نفسُه أمامَ السيِّئات فلم يصبِر عنها فعليه بالتوبة، وليتقوَّ بفعل الحسنات، وليصبر عليها حتى يغسلَ ذنوبه.

• أهل الذِّكر هم أجدرُ الناس بالاعتبار والاتِّعاظ بما في القرآن الكريم.

﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ١١٥﴾

• ما أعلى منزلةَ الذِّكر! وما أعظمَ مقامَ الصبر! إنهما لَيرفعانِ صاحبَهما إلى درجة الإحسان، وأكرِم بها من رتبة!

• أبشِر أيها المحسنُ بالخيرِ العظيم، مهما كان إحسانُك قليلًا أو كثيرًا، لازمًا أو متعدِّيًا؛ فإن الله لن يُضيعَ أجرَك، ولن يُذهبَ إحسانَك.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ١١٦﴾

أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ: بقايا من أهلِ الخيرِ والصلاح.

أُتْرِفُواْ فِيهِ: مُتِّعوا فيه من لَذَّاتِ الدنيا.

• بقيَّة السلفِ هم الذين يَثبُتون في زمن الضَّعف كما ثبتَ الأوائل، وينشرون الفضائلَ في وجه طغيانِ الرذائل؛ ألا طوبى لهم، فإنهم هم الغرباء.

• يجب ألا تخلوَ الأمَّةُ من بقايا مصلحين يَنهَون عن الفساد، ويَدعون إلى الهدى والرَّشاد، ويصبِرون على الأذى، ويُبصِّرون من العمى.

• مجرمٌ ذاك الذي يتتبَّعُ أسبابَ التَّرف حتى تُغرِقَه الملذَّات، وينساقُ خلفَ الشهوات، بلا وازعٍ ولا رادع.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧﴾

• مَن أراد السلامةَ له ولبيئته، فلا يكن ذاك العبدَ الصالح المنزويَ في محراب عبوديَّته، ولكن ليأخذ دورَه في إصلاح مجتمعه ومَن حوله، إلا إن دعَت الحاجة إلى العُزلة الشرعيَّة.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨﴾

• شاء الله تعالى أن تتنوَّعَ استعداداتُ العبد واتجاهاتُه، وأن يُوهَب القدرةَ على حرية الاتجاه، ويختارَ طريقه، ويحملَ تَبِعةَ ذلك.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾

• قال قَتادةُ رحمه الله: (أهل رحمة الله أهلُ الجماعة، وإن تفرَّقت ديارُهم وأبدانُهم، وأهلُ معصيتِه أهلُ فُرقة، وإن اجتمعت ديارُهم وأبدانهم).

• ليس من الرحمة الاختلافُ المبنيُّ على الباطل.

• إنما أقام الله التكليف والابتلاء، وجعل الناسَ سعداءَ وأشقياء، ليَظهرَ عدلُه سبحانه وكمالُ حكمته، ويَظهرَ ما في الطِّباع من أخلاق، فيكون للجنَّة أهلُها، وللنار مستحقُّوها.

﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾

• تدبُّر سِيَر الأنبياء مع أقوامهم، وصبرِهم في دعوتهم، يثبِّت المؤمنَ على طريق الحقِّ، ويقوِّي عزيمتَه على التضحية من أجله.

• إذا كان الرسولُ الكريم ﷺ يجدُ من أعباء الدعوة ما يحتاج معه إلى التسلية وتثبيتِ الفؤاد وهو الصابرُ المطمئنُّ، فكيف بمَن سواه؟

• إذا مررتَ بقصص الأنبياء فلا تجعلها من نصيب عينيك فحسب، بل اجعل معانيَها تتغلغلُ في قلبك؛ كي تثبِّتَه على منهاج السَّداد، فتثبُتَ جوارحُك كلُّها.

• لا ينتفعُ بالموعظة حقَّ الانتفاع إلا المؤمنُ ذو القلب المطمئنِّ، الذي يأتيه واردُ الموعظة فيتَّعظُ ويتذكَّر.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١﴾

• حين لا تُجدي أدلَّةُ الحقِّ في نفوس المبطلين، ويسيطر الاختلافُ بينهم وبين المحقِّين؛ يأتي منهجُ المُتاركة وانتظارِ العاقبة.

• مهما عاند المُعرضون، ووقف في الطريق الصادُّون، فلا يُحدِثُ ذلك في عزيمة المؤمن فتورًا، ولا في عمله قصورًا، بل يدفعُه للعمل لدينه، وتجاوزِ العقباتِ في طريقه.

﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢﴾

• ينتظر المؤمن مواعيدَ ربِّه في شأن دينه بإيمان ويقين، وينتظرُها الكافرون بريبٍ وتكذيب، فما أبعدَ الفرق!

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾

• وأنت تترك أهلَ الباطل وتنتظر قضاءَ الله فيهم فلا تستعجله، فموعدُه عند علَّامِ الغيوب، وحسبُك أن تَنصَبَ في عبادته، وتتوكَّلَ عليه في الأمر كلِّه.

• إنما ينفع التوكُّلُ على الله مَن عبدَه، وما أحسنَ العبادةَ عونًا في الأعمال، وصلاحًا للأحوال!

• يعمل الكافرون ويعمل المؤمنون، ولا يغفُل الله تعالى عن عملهم أجمعين، فيُجازي المؤمنين بفضله، والكافرين بعدله.

سُورَةُ يُوسُفَ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾

• أعظِم ببيانِ القرآن بيانًا، وبآياته صدقًا وبرهانًا! فقد بيَّن للناس ما يجهلون، وعرَّفهم من قصص الأنبياء ما لا يعرفون.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾

• من إنعام الله تعالى على عباده أن نزل القرآنُ الكريم بلسانٍ عربيٍّ مبين؛ لأن اللسان العربيَّ أكملُ الألسنة، وأحسنُها بيانًا للمعاني.

وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ
١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩ وَكُلّٗا نَّقُصُّ
عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ
ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ
١٢٢ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ
فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا
عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ
ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ
لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾

• لا يتدبَّر قِصصَ القرآن متدبِّرٌ إلا ووجد فيها من حُسنِ النَّظم وكمال الحِكَم والعِبر ما لا يجدُه في غيرها من القِصص.

• كتاب الله تعالى فيه تذكيرٌ وإرشاد، وهدًى ورحمةٌ للعباد، فكن عليه حسنَ الإقبال، وتحلَّ بما يدعو إليه من اعتقادات وأعمال.

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾

• تأدَّب مع أبيك مخاطبًا له ومحدِّثًا عنه، وضَعهُ في منزلة التلطُّف، ورتبةِ المهابة؛ فذلك دأبُ الأنبياء مع آبائهم.

• الرؤيا الصالحةُ بشرى للصالحين، فكلَّما حلَّت ضائقةٌ بالنبيِّ الكريم ابن الكريم عليه السلام تذكَّر ما مضى من مبشِّرات الرؤيا، فاطمأنَّت نفسُه إلى طيب عاقبته.

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ
وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ
وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ
إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨
ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ
وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ
لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ
ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ
يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ
وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤

الحزب ٢٤

٢٣٦

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾

• لا تقصص رؤياك الحسنةَ إلا على ناصحٍ لك، محسنٍ تأويلَ ما رأيت، ولا تحدِّث بها حاسدًا أو معاديًا أو جاهلًا، ولو كان قريبًا.

• في النفس البشرية حبُّ الاستئثار بالمنافع، ومعاداةُ من فاتته للذي نالها؛ لذا فبعضُ النِّعم تحتاجُ إلى أن تُحاط بسياجٍ من الكِتمان حتى يُظهرها الله، خوفًا عليها من صِيالة العُداة والحُسّاد.

• الوالدُ الصالحُ هو مَن يسعى إلى قطع أسباب العداوة بين أولاده، ومنعِ ما يؤجِّجُ الصراعَ بينهم.

• إن الشيطانَ ليُشعل فتيلَ العداوات، ويُذكي نيرانَ الخلافات، فمَن وجد بينه وبين أخيه شيئًا فليعلم أن الشيطان قد قدَح على الزِّناد؛ ألا فلنحفظ أخوّتنا ولنستعذ بالله من شرِّه.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾

• يحتاج المرء إلى تحذير وتبشير؛ فبالتحذير ينتبه من الغفلة، وبالتبشير تخِفُّ عليه الأحمال، وتستَروح نفسُه بالآمال.

• قد يُنعم الله تعالى على عبده بنعمةٍ تشملُه وأهلَ بيته وأقاربَه وأصحابَه، فيكونُ لهم من العزِّ والتمكين والغِبطة ما له، فما أجملَ أن يفرحَ القريب بنعمة قريبه!

• إذا رأى المربِّي في ولده أو طالبه تميزًا، فليُعلِمه أن ذلك من فضل الله تعالى عليه.

• الله عليمٌ بمواضع الفضل، حكيمٌ في إيصال النعمة إلى خلقه، فالحمد لله على فضله ونعمته.

﴿۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾

• ينبغي لكلِّ مسلمٍ أن يسألَ عن مواضع الموعظة، كأنباءِ الرسُل وقصصهم، فهي من أعظمِ العِبر، وأسبابِ هداية البشَر.

• الحريص على الانتفاع يَسأل عنه، فيحصُلُ له ما حرَص عليه، والمُعرِض يبعُد عن الانتفاع بإعراضه عن السؤال عنه.

﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾

• مهما بلغ الأب في العدل، فإن ميلَه لابنٍ دون غيره لن يخفى على بقيَّة أولاده، فسيظهرُه لهم انبساطُه وأُنسُه، ولا لومَ عليه فيما لم يقصِده، إنما اللومُ على من ترك العدل.

﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾

• تأمَّل في عاقبة الحسد، والحرصِ على مصالح الدنيا المعنوية أو الحسيَّة، كيف سوَّلت لهم أنفسُهم أن يعقُّوا أباهم النبيَّ، ويقتلوا أخاهم الصفيَّ؟!

• مَن يقول: (أعمل المعصيةَ ثم أتوب) فقد أخطأ، وما يُدريه أيعيش حتى يتوبَ أم يموت وهو على معصيته؟ وما يُدريه هل ييسِّر الله له أسبابَ التوبة وقَبولها أو لا؟

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠﴾

• قد يقود الشيطانُ ودواعي الهوى المرءَ إلى معصيةٍ ما كان للنفسِ أن تنشرحَ إليها، ولا أن ترتاحَ إلى فعلها، ولا أن تُقدِمَ عليها.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١﴾

• ليس كلُّ مَن أعلن النصحَ بناصحٍ أمين، فقد يكونُ إعلانُه شَرَكًا يحقِّق به رغباتِه الشرِّيرة، فليكن المرءُ ذا فطنةٍ يَعرفُ بها صادقَ النُّصح من مدَّعيه.

﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾

• اجعل لأبنائك من اللعب حظًّا ما وجدتَ لهم فيه حفظًا؛ فليس في الدين ما يمنعُ منه.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾

• فَقدُ المحبوب يُحزِنُ القلوب، فكيف بالبنينَ الذين زُيِّن حبُّهم؟ وكيف بمَن أوتي كمالًا في دين ودنيا؟ لقد أحزن يعقوبَ أن يَفقِدَه في رحلة يوم، فابتلاه الله بفقده عشرات السنين، فانظر إلى بشرية الأنبياء، وانظر إلى صبرهم ورباطة جأشهم.

• تخيَّر من ألفاظِك أحسنَها، وأقربَها إلى نفس سامعك، ولا تُجبهُ بما يكره، وإن كان ظنُّك به غيرَ حسَن.

﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾

• نعوذ بالله من قلبٍ مُندفعٍ نحو المخالفة، مصرٍّ عليها، مع معرفته بسوئها.

• العازمون على الشرِّ يستعرضون قدراتِهم أمام الملأ حتى يظفَروا ببُغيتهم السيِّئة.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾

• سبحان الله! أين ذهبت مشاعرُ إخوةِ يوسفَ حين آثرهم أبوهم بمحبوبه الذي لا يحبُّ فراقَه، حتى أجمعوا على الإيقاع به، وجَرح قلب أبيهم العطوف عليه!

• الله يلطُف بأوليائه في المضايق، حيث يكسوهم الطُّمأنينة التي تنزل على قلوبهم، وتفوحُ لهم بالأمل المشرق بالغدِ الجميل.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾

• يَعرفُ الخطَّاءُ أن تعابيرَ وجهه ستكشفُه، فيجتهدُ في التستُّر ولو بظلامِ الليل، لعل ذلك يُخفي ملامحَ وجهه التي تكادُ أن تنطقَ بالجريمة.

• دمعُ العيونِ لا يَصدُقُ دائمًا، فليس كلُّ مَن بكى صُدِّقَ مقالُه، ورُحِم حالُه، فكم كذَّبت الأفعالُ سَيلانَ الدموع على الخدود.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾

نَسۡتَبِقُ: نتسابقُ في الجَري والرَّمي بالسِّهام.

بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا: بمُصَدِّقٍ لنا.

• المخطئون قد يركبون إلى الاعتذار من الخطأ الكبير صَهوةَ الخطأ الصغير، فإخوةُ يوسفَ أخذوه ليحفظوه، لا ليَحفظَ متاعهم، فجمعوا بين الكذب والخديعة؛ هربًا من فضيحة إلقائه في الجُبِّ.

• اضطراب المُريبِ يظهرُ على صفحة وجهه، أو في فَلَتاتِ لسانه، حتى لقد كاد أن يقولَ: أنا المذنبُ فخذوني.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾

• الذَّنبُ ولودٌ، فكم يجُرُّ خلفَه من ذنوب! ألا ترى ما فعله إخوةُ يوسف من الكذب والاحتيال حتى لبَّوا داعيَ حسدهم؟

• مَن آتاه الله تعالى بصيرةً وفطنة، سهُلَ عليه كشفُ المذنبين، ولم تنطلِ عليه أساليبُهم مهما أحكموا تدبيرَها، وأخفوا طرُقَ معرفتها.

• ليكن صبرُك أيها المبتلى صبرًا جميلًا، لا شكوى فيه إلى البشر، ولا ضجرَ من مُرِّ القدر.

• يغالب المُبتلى صراعًا شديدًا مع حَرِّ مصيبة شديدة نزلت عليه، فلولا عونُ الله لما أطاق المؤمنُ الصبر على جمرها المتوقِّد.

﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩﴾

سَيَّارَةٞ: جماعةٌ من المسافرين.

وَارِدَهُمۡ: مَن يتقدَّمُهم لطلبِ الماء.

فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥ: فأرسلَ دلوَهُ في البئرِ ليملأَها بالماء.

• ظاهر المكارهِ قد يُفضي إلى المحامد، فكم من أسبابٍ خفيَّة للنصر والتمكين يسخِّرها الله تعالى لأوليائه المظلومين! فقد علم الله مُصابَ يوسفَ عليه السلام وما لحقه في الجُبِّ، فنقله منه إلى سبيل العزَّة والرفعة.

﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾

وَشَرَوۡهُ: وباعَه إخوتُه.

بَخۡسٖ: قليلٍ.

• ما كان بَيعُ رجلٍ من خِيار أهل الأرض بثمنٍ بخسٍ بمُنقِصٍ من قدره شيئًا، ولا يَضيرُ العظماءَ ألا يعرفَ قدرَهم الجهلاء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ
وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ
وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ
فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ
بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ
دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ وَقَالَ
ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ
ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢

٢٣٧

مَثۡوَىٰهُ: مقامَه.

• إذا صبرَ المؤمنُ على مرارةِ الآلام، رقاه اللهُ إلى درجة الإكرام، فسخَّرَ له من يُكرمُه، ولو لم يعرفه، ولا سبقت له معه مودة.

• أراد إخوةُ يوسفَ له البئر، وأراد اللهُ له القصر، مع العزَّة والتمكين، فكان ما أراده لا ما أرادوه.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾

• إحسانُك في عُنفُوان شبابك يحقِّق لك أعظمَ أهداف مستقبلك، ومَن أحسنَ عبادةَ الله في شَبيبتِه، لقَّاه اللهُ الحكمة عند كِبَره.

• بإحسان يوسفَ عليه السلام مُدِح، لا بحُسنه وجماله، وقد أوتيَ شطرَه. وبالعلم والحكمة فضَّله الله، لا بالأموال والدنيا، وقد أُعطي خزائنَها.

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ
مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا
عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

الحزب ٢٤

٢٣٨

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

رَاوَدَتْهُ: ودعَتْهُ إلى نفسِها برفقٍ ولِين.

هَيْتَ لَكَ: هلُمَّ إليَّ، وأقبِل عليَّ.

مَعَاذَ اللَّهِ: أعتصِمُ بالله.

رَبِّي: سيِّدي.

مَثْوَايَ: منزلي ومَقامي.

• مَن حاصرَتْه الفتنة، واجتمعت عليه جيوشُ الهوى، وراودَته الفاحشة، فليعتصِم بالله كما اعتصم يوسفُ عليه السلام، وما هي إلا لحظاتُ مصابرةٍ حتى يتصدَّعَ ذلك الجمعُ الشيطاني.

• طوبى لعبدٍ حفظ إحسانَ مولاه إليه، ولم ينسَ فضلَه القديمَ عليه.

• المعتدي على أعراض الناس ظالمٌ يُفارقُه الفلاحُ، ويُباينُه عند الله النجاح.

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

هَمَّتْ بِهِ: مالت نفسُها إليه، وعزَمَت على فعلِ الفاحشةِ معه.

وَهَمَّ بِهَا: وخطرَ بقلبِه إجابتُها.

بُرْهَانَ رَبِّهِ: حُجَّةً من الله زجرَتْهُ عن ذلك الخاطر.

الْمُخْلَصِينَ: الذين أخلصُوا في عبادةِ الله، فأخلصَهم واختصَّهم برحمته.

• لولا عونُ اللهِ وحفظُه لعبدِه المؤمن لزلَّت قدمُه عن الثبات، ومالت نفسُه إلى الشهوات المحرَّمات.

• لا يفرحْ عبدٌ انفتحت له أبوابُ معصية، أو تيسَّرت له أسبابُها، فتلك علامةٌ من علاماتِ هوانِ العبد على الله تعالى.

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ: وتسابقا إلى البابِ مُسرعَين؛ هو يريدُ الخروجَ وهي تمنعُه.

وَقَدَّتْ: وشقَّت.

وَأَلْفَيَا: ووجدا.

سَيِّدَهَا: زوجَها.

• مهما بلغت منزلةُ المرءِ من العلم والتقوى، والدين والورع، فلا ينبغي أن يُعرِّضَ نفسَه للفِتن، فإن عَرضت له فلا يتوانَ في الفِرار منها.

• كم اجتهدت امرأةُ العزيز في إخفاءِ معصيتِها، وسدِّ كلِّ طريقٍ تفضحُها! لكنَّ اللهَ أتى بسيِّدِها إلى بابِها، وطفِقَت ألسنةُ النساءِ تتناقلُها.

• لا تثِق بمن يدعو لمعصية، وإن أظهرَ لك الحبَّ، فإنه لا يلبثُ أن يخذُلَ صاحبَه عند أول اختبار؛ ألا ترى امرأةَ العزيز استثارت ما تقدرُ عليه من غضبِ زوجِها وحَميَّته؟

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

• قد يَسكتُ الرجلُ عن حقِّه فلا يَفضحُ من آذاه؛ إلا أن يُتَّهمَ في عِرضه، فلا بدَّ عند ذلك من أن يَذُبَّ عن نفسِه.

• تأمَّل لُطفَ اللهِ بيوسفَ عليه السلام حين شهِد قريبُ المرأةِ شهادتَه العادلة، فبرِئَت بها ساحةُ نبيِّ الله، وشهادةُ القريب في مثل هذه الحال أولى من البعيد.

﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

• لا تَغلبُ النساءُ الرجالَ بقوةٍ وقدرةٍ فيهن، ولكن بلُطفِ كيدهن، وخفاءِ حِيَلهن.

﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

الْخَاطِئِينَ: الآثمين.

• في حياة المُترَفين البعيدين عن ربِّ العالمين صفحاتٌ ملطَّخةٌ بضَعف الغيرة، وقلَّةِ الأنفة عند فساد الأعراض، وإراقة ماء العفاف، ألا ترى برودَ العزيز العجيبَ في موقف تثور له الدماء؟!

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

شَغَفَهَا حُبًّا: بلغَ حبُّها له شَغافَ قلبِها، وهو غِلافُه.

• من طبائع الناس أنهم يميلون لسماع أخبار أولي الأخطار، فما يتعلَّق بهم يكون أكثرَ شيوعًا، وأسرعَ ذيوعًا، فكان الحرصُ على سَتر الأحوال أولى بهم من بقية الناس.

• حين يتعرَّضُ الصالحون لتشويه السمعة بالافتراءات، وإلصاقِ التُّهم بالإشاعات؛ ما تلبثُ براءتُهم أن تظهرَ للناس كالشمس ساطعةً، وينقشعَ عنهم ضبابُ المفترين.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

وَأَعْتَدَتْ: وهيَّأت.

مُتَّكَـًٔا: ما يتّكئنَ عليه من الوسائد.

وَقَطَّعْنَ: وجرَحْنَ.

- من الناس مَن يتوصَّلُ بنيّته الخبيثة من الإكرام إلى غرَضٍ فاسد، يحقّق به ما يريدُه من الرغباتِ والمقاصد.

- السامع بالفتنة غيرُ الشاهد لها، فالمنكِرُ بغيابه قد يُفتَنُ بشهوده، فنسوةُ المدينة لُمْنَ امرأةَ العزيز غائباتٍ، ولكنهنَّ وافقنها بالافتتان بيوسف حاضراتٍ.

- سيطرةُ الانشغال على القلب بذهولٍ أو فرح، أو تفكيرٍ أو تَرَح، يُنسي المرءَ آلامَ جسده، ومصالحَه وحاجاتِه.

- لقد فُتنت النسوةُ بالنظر إلى يوسف، وفُتنت امرأةُ العزيز بذلك، وبالخَلوة به كذلك، غير أن يوسف لم يرتضِ الخلوة، فسبحان من أمرَ بغض البصر، وحرَّم الخَلوةَ بين الأنثى والذكر؛ حتى لا تسيطرَ الفتنة على القلوب، فتجمحَ الجوارح.

- لقد سَعِدت امرأةُ العزيز بقول النسوة أيّما سعادة؛ إذ دعاها ذلك إلى الإصرار على المعصية والبوح بها، فما أضرَّ تشجيعَ العُصاة تحت أيِّ اسم كان!

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

- لمّا أظهرت امرأةُ العزيز للنساء جمالَ يوسفَ الظاهر الذي لُمنَها عليه، أتبعته بما خفيَ عليهنَّ من جمال باطنه، من عِفّةٍ ونقاء وأدبٍ وحياء.

- لا بدَّ من مجاهدةِ المرء لنفسه، وركوبِ المشقةِ في ترك معصية ربِّه، ولا سيما معصيةٌ يميلُ إليها الإنسانُ بطبعِه.

- يُضِلُّ الحبُّ الباطلُ أصحابَه، ويُشقي الشيطانُ طُلابَه، فلا يَشفي غليلَ من يدَّعي تلك المحبةَ إذا لم يحقّق له محبوبُه رغبتَه إلا أن يؤذيَه!

- ذو الفاحشة إذا لم تنتصر شهوتُه انتصر لها غضبُه وانتقامُه، غيرَ مبالٍ بحدودٍ تمنعه من إجابةِ تلك الرغباتِ الجامحة.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾

- رضا يوسف بالسجن دون فعل الفاحشة أعطى ظالميه درسًا في العِفة والإباء، ودرسًا في الكرم وحسنِ رد الجميل، ودرسًا في قوة النفس التي لم يَغلِبها الهوى والوعيد.

- يوشك مَن يُكثر التعرُّضَ للفتن أن يألَفها، ثم ما يلبث أن يستسهلَ الوقوعَ فيها.

- ما أجهلَ مَن يؤثِر لذّةً قليلة مُنغَّصة، على لذّاتٍ كثيرات تامّات، في روضات الجنّات!

- لا تثِق بعلمك وتقواك في ميدان فتنِ الشهوات، فقد يزِلُّ فيها العالمُ والعابد، ولكن ليكن مع علمك وتقواك، استعانةٌ صادقة بالله مولاك، فهو الذي يُنجيك وحدَه.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾

- مَن صدَق في توكُّله واستعانته بربِّه في معركة الشهَوات، كتب اللهُ له الغلبةَ والفرجَ من شدَّته، فهو سبحانَه يسمع دعاءَ مَن يدعوه، ويعلم صدقَ مَن يرجوه.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

- رؤية الآيات والحُجَج لا يستلزم اتّباعَ الحقِّ وتركَ الباطل؛ فقد تقف في النفس عوائقُ تمنع من ذلك.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا
وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ
أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ
عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
٣٣ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ٣٤ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ٣٥ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ
أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى
خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٣٧

٢٣٩

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾

أَعْصِرُ خَمْرًا: أعصِرُ عِنبًا ليصيرَ خمرًا.

- المحسنُ في أعماله وأفعاله، حريٌّ بالتوفيق في أقواله وأحواله.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

- يا مَن آتاك اللهُ علمًا لا تنسُبِ الفضلَ لنفسك، فما أوتيتَه ليس بفضل فَهمٍ منك، ولا بزيادةِ عقلٍ فيك، وإنما هو تفضُّلٌ من الله عليك؛ لو شاء سلبَه منك.

- تركُ الشِّرك الذي هو مسلكُ الجاهلين، واتّباعُ التوحيد الذي هو سبيلُ أهل العلم من الأنبياء والصالحين، سببٌ لإكرام الله لعبده وفضلِه عليه.

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ
لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ
﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ
سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

- ليس من الكِبر أن يذكُرَ العالمُ مكانته العلميةَ لمن يجهلُها؛ حتى يُنزِلوا قولَه من نفوسهم منزلةَ القبول.
- ما أجملَ الأسرةَ الموحِّدةَ التي يأخذ اللاحقُ التوحيدَ عن السابق، فتكون ذرِّيَّةً بعضُها من بعض، وسلسلةَ طهرٍ تتوارث الحقَّ عبر الأجيال!
- قال قتادةُ رحمه الله تعالى: (إن المؤمن ليشكرُ ما به من نعمةِ الله، ويشكرُ ما في الناس من نِعَم الله).
- كم من الناس مَن يغفُل عن شكر الله مولاه، على ما أعطاه من نِعَم في دينه، وهي أجلُّ ما أولاه!

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾

ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ: أعبادةُ آلهةٍ شتَّى.

- لقد بدا إحسانُ يوسفَ للسائلَين في التودُّد إليهما بالنداء، وذِكر ما بينه وبينهما من الصُّحبة، وهذا من أجمل ما يحبِّب المرءَ إلى مخاطبِه، ويغرس حبَّه في نفس مخالطه.
- الدعوة إلى التوحيد على رأس قائمة اهتمامات المؤمن في أيِّ مكان نزل فيه، فلا يَشغَل عنها همٌّ ولا غمٌّ، ولا ظلام ولا وَحشة.
- المحاجةُ العقليَّة أسلوبٌ من أحسن الأساليب للإقناع بتوحيد الله تعالى، وقد سلكه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوة أقوامهم المشركين.
- استعلاء المؤمن بدينه لا يمنعه سجنٌ ولا استرقاق، ولا ظلمٌ ولا قهر.
- تدرَّج في محاجةِ الجاهل، وانقُله بخُطا متَّئدة من درجةٍ إلى درجة، حتى يصلَ إلى الحقّ.

﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

سُلۡطَٰنٍ: حُجَّةٍ وبُرهان.

- من فِقهِ المعلِّم أن ينتهزَ فرصةَ إقبال السائل عليه بمسألته، ويبلِّغَه ما تشتدُّ حاجته إليه، وإن لم يسأله عنه.
- الحكم بما أنزل اللهُ مرتبطٌ بتوحيد الله، فمَن وحَّدَ اللهَ حقًّا في عبادته فسيوحِّدُه في الحكم بما أنزله على عباده.
- شأنُ المؤمنين المخلَصين أنهم لا يفقِدون صفاءَ دينهم إن فقدوا صفاءَ دنياهم، بل لا يزالون يذكِّرون بالله، ويبصِّرون عبادَه بما لربهم عليهم.
- يمضي الداعيةُ في دعوته، ولا يُقعدُه عنها معرفتُه بأن أكثر الناس لا يعلمون، أو لا يعقلون، أو لا يشكرون.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

- من الإحسان الذي يُقدِّمه المعبِّرُ الماهرُ للناس: تعبيرُه لرؤاهم؛ ترغيبًا لهم في الخير، وتحذيرًا لهم من الشر.
- لا بدَّ للمفتي أن يكون واثقًا مما يُصدِرُه من الأحكام.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

رَبِّكَ: سيِّدكَ الملِك.

- لا حظرَ على المسلم أن يستعينَ بالبشر فيما يقدِرون عليه، مع تعلُّقِ قلبِه بربِّه، ولكن اللهَ قد يختصُّ بعضَ عباده المؤمنين بخلاصٍ من شدائدهم دون أن تكون للبشر يدٌ في ذلك.
- قد يتسلَّطُ الشيطانُ على الإنسان بإلهائه بأمور تُنسيه بعضَ المُهمات، والعصمةُ أن يُكثِرَ المرءُ من التحرز من الشيطان بالطاعات، والاستعاذة من شرِّ هذا العدو المبين.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

عِجَافٞ: ضعيفاتٌ مَهازيلُ.

تَعۡبُرُونَ: تُفسِّرون.

- اعتقد الملكُ العاقل أن الرؤيا لها أهلُها المختصُّون، فما بالُ كثيرٍ من الناس يَعرضون رؤاهم على كلِّ غادٍ ورائح؟!
- تأويل الرؤى إفتاء، والفتوى لا تجوز بغير علم.

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦ قَالَ
تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠
قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ
لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ
ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ
لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢

٢٤١

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾

أَضۡغَٰثُ: أخلاط.

• من الآفاتِ التي ينبغي أن يتنزَّهَ العاقلُ عنها ادِّعاءُ العلم بما يُسأل عنه وهو به جاهل، والحكمُ فيه بيقينِ العارف، والإعجابُ بالنفس.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ٤٥﴾

وَٱدَّكَرَ: وتذكَّر.

بَعۡدَ أُمَّةٍ: بعد مُدَّة.

• حين يأذَنُ اللهُ تعالى بالفرج ييسرُ له أسبابَه.

• أحسِن صحبةَ من تُخالِط، فقد ينفعُك في دينك أو دنياك، ولو بعد حين.

• العالِم إذا أحسن إلى الناس اطمأنُّوا إليه، فلجؤوا إلى سؤاله واستفتائه، وذكروا فضلَه وإحسانَه.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦﴾

• عاشرَ يوسفُ مَن معه في السجن بصدق المقال والفِعال، فوصفوه بالصِّدِّيق عن معرفةٍ وتجربة، فما أجملَ أن يكونَ صاحب العلم كذلك بين الناس!

• أصدق المعبِّرين تأويلًا أصدقُهم حديثًا واستقامة، فمَن صفَّى نفسَه صفَّى اللهُ تعبيرَه.

• حُسنُ خطاب المفتي، ونقلُ صورة المسألة كاملةً له من الآداب التي على المستفتي أن يتحلَّى بها.

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧﴾

دَأَبٗا: مُتتابعةً، وأنتم جادُّون في العمل.

• العلماءُ الربَّانيُّون لا يتَّخذون التعليمَ وسيلةً لتحقيق غاياتهم الدنيوية، ولا يكتُمون العلمَ عمَّن أساء إليهم، ولا يعنِّفون سائلًا لم يَقضِ لهم حاجاتِهم.

• على معبِّر الرؤيا التي تحمل الشدَّةَ أن يرشدَ أهلَها إلى بعض وسائل التخفيف، وحسنِ التدبير التي تهوِّنُ وطأتَها عليهم.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨﴾

• من تمام الإحسان إيضاحُ الفتوى على وجه الكمال في النصح، بتجليةِ الأمرِ على ما هو عليه، وبيانِ مآله وعاقبتِه.

• ادخارُ شيءٍ حالَ الرَّخاء لحالِ الشدة من تدابيرِ المعيشة الحسنة.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾

يَعۡصِرُونَ: يعصِرون الثمارَ لكثرةِ الخِصب.

• على المعبِّر أن يُتمَّ للرائي تعبيرَ رؤياه؛ حتى تكمُلَ لديه الصورة، وتتَّضحَ له أبعادُ رؤياه.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾

• قد يسوقُ اللهُ لعبده الصالح خيرًا منعَه غيرَه ليرفعَ شأنَه، ويهَبَه به مكرُمة، فيوسفُ لم يعبِّر الرؤيا إلا بعد أن عجَز الملأ عنها، فكان لها في نفس الملِك موقعٌ عظيم.

• على ذوي الأمر رعايةُ أهل العلم والحكمة، وتفريجُ ضِيقهم، والاستماعُ لظُلامتهم.

• لا يفرحُ أهلُ المروءات بحرِّيتهم بمقدار ما يَحرِصون على حسنِ سمعتهم، وبراءةِ ساحتهم.

• لو أراد النبيُّ الكريمُ عليه السلام الانتقامَ لنفسه لصرَّح بمَن أساءَ إليه، ولكنه أعرضَ عن التصريح إلى التلويح أدبًا وحِلمًا وكرمًا.

• سوف يكشِفُ علَّامُ الغيوب الحقائق، ويُجازي الظالمَ وينتصفُ للمظلوم.

﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾

حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ: ظهرَ بعد خفائه.

• اطمئنَّ أيها البريءُ، فستظهرُ براءتُك ولو طال زمنُ التهمة، فقد أنطق اللهُ الكائداتِ ليوسفَ عليه السلام ببراءته بعد حين.

• حينَ أراد اللهُ تعالى إظهارَ براءةِ نبيِّه جمعَ له بين دليلَي البراءة: الشهادةِ والإقرار.

• من أراد فضيحةَ مؤمنٍ بريءٍ، وإدخالَ العار عليه، عُوقِب بما قصد إليه.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾

• عاش العفيفُ البريء في سِجنه مطمئنًّا قريرَ العين بعد صدقٍ وأمانة، وعاشتِ المتَّهِمةُ في قصرها قلقةً مضطربة، تحومُ حولها الشُّكوك، بعد كيدٍ وخيانة.

الجزء ١٣ الحزب ٢٥

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ
إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾
قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ
إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا
تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي
بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

٢٤٢

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾

لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ: لكثيرةُ الأمرِ بالمعاصي.

• لا تزال النفسُ بالعبد تأمرُه بالسوء وتُلِحُّ عليه حتى يطيعَها، أو يعصِمَه اللهُ من شرِّها، فالجأ إلى ربِّك، وسَلْه أن يَقِيَك شرَّ نفسك.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾﴾

أَسۡتَخۡلِصۡهُ: أجعلُه من خُلَصائي وأهلِ مَشورتي.

مَكِينٌ: عظيمُ المكانة، نافذُ القول.

• جمال يوسفَ عليه السلام عرَّضهُ للمحنة، وأدخله السِّجن، أمَّا عِلمُه فقد أنقذه الله به، وبلَّغه العزَّ والرفعة، والتمكينَ في الأرض.

• الإباءُ والكرامة، مع وَفرةِ العقل والأمانة، صفاتٌ جليلة، يَعرِفُ العُقلاءُ قدْرَ أصحابها، ويَخُصونهم بمنزلةٍ لا تكون للمتزلِّفين ولا المتملِّقين.

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾﴾

• رعى الله عبدًا ناصحًا للأمَّة، غيورًا عليها، يعلم من نفسه أنه أهلٌ للقيام بحاجتها، فيَعرِض عليها خِبراته وخِدماته.

• الأموال العامَّةُ إذا لم يكن عليها حفظةٌ أُمناء، وقائمون صُلَحاء، يحسنون التصرُّف فيها، ذهبت إلى غير غاياتها.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

يَتَبَوَّأُ: ينزل.

• بعد ساعاتِ الخوف في الجُبِّ، وسنواتِ القيد والهمِّ في السجن، عوَّضه الله بملكٍ يتبوَّأ منه حيث يشاء، فللهِ درُّ الطاعةِ ما أحلى عواقبَها!

• أحسِن عبادةَ الله، وإلى عباد الله، وأبشِر بحُسنِ الجزاء عند ربٍّ كريم، لا يُضيعُ ما قدَّمت من إحسانك ابتغاءَ وجهه.

﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

• إن العبدَ وإن أُعطيَ من خير الدنيا ما أُعطي، وكان عملُه فيها متقبَّلًا مَرضيًّا، فإن أجرَ الآخرة خيرٌ له؛ لأنه الأكملُ والأبقى والأصفى.

• رُتبةُ الإحسانِ تُنال بالإيمان والتقوى، وبها يُوصَلُ إلى أجر الدنيا والآخرة، فكن من المؤمنين المتقين.

﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

• ما أحسنَ أن يكونَ وليُّ الأمر مُباشِرًا عملَه بنفسه، مستقبلًا ذوي الحوائج، غيرَ مغلقٍ بابَه دون حاجاتهم!

• لم يَدرِ إخوةُ يوسفَ حين أبعدوه أنهم سيرجعون إليه، ولم ينسَ يوسفُ عليه السلام رؤياه، ولا ما وعده اللهُ إيَّاه، فعرفهم ولم يعرفوه.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾

جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ: هيَّأ لهم ما هم بحاجةٍ إليه من طعام ومَتاع.

• لا بأس أن يُثنيَ العامل على ما يقوم به من نُصحٍ لمَن يعاملهم، حتى يُطمئنَهم إلى عدالته وحسنِ معاملته.

﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾

• كم تُتيحُ القوةُ الاقتصاديةُ للأمةِ من أهدافٍ لم تكن لتُحقِّقَها لو كانت فقيرة! فبها تملِكُ أمرَها، وبها تُرغِمُ مَن شاءت على تنفيذِ مطالبها المشروعة.

• من حُسن سياسةِ الناس أن يجمعَ صاحبُ الأمرِ بين الترغيب والترهيب، ليكون ذلك أقربَ إلى استجابة الناس.

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ: سنبذُل جُهدَنا لإقناع أبيه.

• مطالبة المرء بخلاف رغبته تحتاج إلى مُراوَدة، فكيف بالوالد إذا خاف على ولده؟!

﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

رِحَالِهِمۡ: أمتعتِهم.

• شأن العاقل أن يُراعيَ الاحتمالاتِ الممكنة، ويضعَ لما يتوقَّعه الخُطط البديلة.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾

• مَن سبق منه تفريطٌ احتاج إلى ما يُكسِبه الثقة؛ فقد يستعمل من الجمل والأساليب ما يؤكِّد قوله ويقوِّيه.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ
لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى
بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا
نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ
وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن
شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ
يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ
قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ
قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

٢٤٣

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

• مَن جعل الصدق سجيَّةً له صان نفسَه عن أن يكذِّبه الناس، إن جرَّبوا عليه الكذب مرَّة، ألا ترى أن مَن أُثِرَ عنه الكذبُ ولو في حديثٍ واحد فإنه يُطرحُ حديثُه؟

• لا ترسُم لك في أذهانِ الناس صورةً قاتمةً بألوانِ الإساءة، فإنهم لا ينسَونها وإن تقادم عهدُها وعفوا عنك فيها.

• لا تُعوِّل سوى على حفظِ اللهِ وتدبيره، فحاشى الرحيمَ سبحانه وتعالى أن يُضيعَ ما استودعَه عبدُه إياه.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾

مَتَٰعَهُمْ: أوعيتَهم.

مَا نَبْغِى: ماذا نطلبُ أكثرَ من هذا؟

بِضَٰعَتُنَا: الثمنُ الذي دفعناه.

وَنَمِيرُ: نجلِبُ طعامًا وفيرًا.

كَيْلَ بَعِيرٍ: حِملَ بعير.

• من وسائل إقناع المخاطَب بأمرٍ ما ذِكرُ المصالح المترتِّبة على الموافقة؛ حتى يَطمعَ في المرغوب، ويأمَنَ من وقوع المحذور.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾

• خُذ بأسباب الحيطةِ التي تستطيع، ثم توكَّل بعد ذلك على الله تعالى.

• على المؤمن أن يعظِّمَ شأنَ اليمين، فيرضاها من أخيه إذا أتاه بها.

• لا ينبغي الاستيثاق فيما يَخرُج عن قدرة المرء واستطاعته؛ حتى يفيَ بما أخذ الميثاق عليه.

• كفى بعلم الله تعالى ورقابته رادعًا عن كل خيانةٍ داخلية، وبحفظه ورعايته مُطمئنًا عن كلِّ مخاوف خارجية، فمَن عرف ذلك حفظ الميثاق لأهله.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

• من الخير أن يزوِّدَ الوالدُ أولادَه بنصائحه حين يفارقونه مسافرين؛ فإن ذلك من أحسن ما يهَبه لهم عند الفِراق.

• مهما أساء الولدُ لأبيه، فلا يزالُ والده له ناصحًا، وعليه مُشفِقًا، وبه رحيمًا.

• على المسلم الأخذُ بالأسبابِ الشرعيَّة لحِفظ النفس البشرية، مع كمال التوكُّل على ربِّ البَرية، وعليه تعليمُها لمَن هم تحت حفظه ورعايته.

• العين حقٌّ، لكنها تُتَّقى بالتوكُّل على الله، وتفويض كلِّ شيءٍ إليه، والبعدِ عن أسباب الإصابة بها.

• إن العبدَ وإن أخذ بالأسباب، فإنه لا يعتمدُ عليها ولا يَركَنُ إليها، بل يذكرُ دائمًا أن الحكمَ لله تعالى، الذي يجعل الأسبابَ مؤثِّرة أو غيرَ مؤثِّرة.

• أخبر يعقوبُ عليه السلام أبناءه أن توكُّلَ المتوكِّلين كلِّهم إنما هو على الله وحدَه، فمَن توكَّل على غيره فليس منهم.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

• استقبِل إرشاداتِ الوالدين مطمئنًّا بمَحضِ نُصحهما، وكمالِ حرصهما، وحسنِ مَقصِدهما.

• الناسُ يجهَلون عواقبَ الأمور، وما يُخبَّأ لهم في المستقبل، ففعلُهم الأسبابَ الواقيةَ لا يكون مانعًا لما سبق به القدر، وعَلمَه اللهُ في الأزل.

• اتَّبِع نصيحةَ العلماء؛ فإنهم يرون بنور الله، واحذَر رأيَ الجهَلة؛ فإن أكثر الناس لا يعلمون.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

ءَاوَىٰٓ: ضمَّ.

فَلَا تَبْتَئِسْ: فلا تغتمَّ وتحزن.

• ينبغي على الأخ أن يكونَ حِضنَ حنانٍ لأخيه، وكهفَ أمانٍ يُنجيه ممَّا يؤذيه، وموضعَ سعدٍ يسلِّيه مما يحزنُه.

• الأخ الكريمُ إذا علا شأنُه واتَّسعت دنياه لا ينسى أخاه، بل يضمُّه إليه، ويخفِّف من أحزانه، ويسعى في إسعاده.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ
ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟
وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
الحزب ٢٥ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

٢٤٤

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾

ٱلسِّقَايَةَ: الإناءَ الذي يُكالُ به الطعام.

رَحْلِ: متاع.

ٱلْعِيرُ: القافلةُ فيها الأحمالُ.

- قد لا يصل الإنسانُ إلى أمرٍ محبوبٍ لديه إلا على طريقٍ مكروهٍ له، فبنيامينُ لم يَظفَر بالبقاء عند أخيه يوسف إلا بعد تُهمته.

﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾

- على المرء أن يسارعَ في إبعاد التهمة عن نفسه في أول أمرها، ولا يسكُتَ عنها حتى يَعظُمَ خطرُها.

﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾

صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ: صاعَه ومِكيالَه الذي يَكيل به.

زَعِيمٌ: ضامنٌ وكفيل.

- يستحَبُّ بذلُ المكافآتِ الماليّة والترغيبُ فيها لمَن ردَّ على الإنسان ضائعًا، أو صنع له معروفًا.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾

- اتّهامُ مَن لا تبدو عليه مَخايلُ الإجرام ممَّا يدعو إلى العجَب، ويبادر العقلاءُ بنفيه، ما لم تظهر لهم حُجَّةٌ على الدعوى.

- السرقة نوعٌ من أنواع الفساد في الأرض، والشرائعُ السماوية جاءت لتكفَّ عن المجتمع أيديَ المفسدين.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾

- من العدل وحُسن التربية أن تحكِّمَ المخطئَ في ذنبه، ما لم تخالِف في ذلك الشرع.

﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ: يكون السارقُ عبدًا للمسرُوق منه.

- على المسلم أن يعترفَ بالذي عليه ولا يكتُمَه، ولو كان فيه مضرَّتُه، فالمسلم يقول ما له وما عليه.

- السارق ظالمٌ ومفسد، وحتى يَصلُحَ المجتمعُ لا بدَّ أن يتعافى من هذا الوباء، بإقراره عليه نوعًا من الجزاء.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

دِينِ ٱلْمَلِكِ: شريعتِه وقضائه؛ لأنه ليس فيها استعبادُ السارق.

- الدين ليس شعائرَ تعبُّديةً ذاتيَّةً فحسب، بل هو شريعةٌ وأحكام، ومعاملةٌ مع الأنام، لا يجوز تبديلُها ولا تحريفُها.

- سَل اللهَ تعالى أن يدبِّرَ لك أمورَك، فإنه هو من يُحسنُ التدبير؛ ألا تراه كيف لطَفَ بيوسفَ عليه السلام حيث كادَ له؟

- كما رفعَ اللهُ تعالى درجةَ يوسف عليه السلام بالعلم، كذلك يرفع سبحانه درجات من شاءَ من عباده.

- إذا كان الناسُ يتفاوتون بينهم في مراتبِ العلم، فيزيدُ بعضُهم على بعض، فيؤذِنُ ذلك بأن علمَ من علَّمهم لا ينحصر، فوجبَ لذلك التسليمُ لحكمه عزَّ وجل.

﴿۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

- لم يلتمسوا لأخيهم العذرَ ويبحثوا له عن البراءة؛ إذ قد يكون مغلوبًا على أمره، بل رمَوه بالتُّهمة من غير مراجعة! وهذه زلَّةٌ أخرى لهم ينبغي للمؤمنين التنزُّه منها.

- يُعرَف الكريمُ الكبيرُ القدرِ بصبره على أذى من يقدرُ على عقابه وتأديبه.

- سبحانَ العليم الخبير الذي علِم ما في نفس يوسفَ عليه السلام من القول، حتى أخبر به وأطلع عليه!

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾

- الدنيا لا تدوم على حال، فأقوياءُ الأمس يُبدُون اليوم ضعفَهم أمام مَن ظلموه رَغمًا عنهم من حيثُ لا يعلمون، أعاذنا الله أن نكونَ من الظالمين.

- تهونُ على النبيل نفسُه في سبيل الوفاء بعهده، وحفاظِه على مشاعر والده، وحرصِه على إخوته، وفدائه إيَّاهم بنفسه.

- آثار الإحسان تبدو على صاحبِه، حتى لا تكاد العينُ تخطئُه.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ
إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ
قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم
مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ
ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ
فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ
﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي
وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٢٤٥

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾

مَعَاذَ ٱللَّهِ: نعتصِمُ بالله ونستجيرُ به.

• المؤمن يعتصم بالله من الوقوع في الشهوات، أو الضلال في التصوُّرات، فيوسف عليه السلام قال: (معاذَ الله) مرَّتين؛ من الوقوع في الفاحشة، والوقوع في الظلم.

• كُن دقيقًا في اختيار عباراتك، فلا تُلقِ وصفًا على إنسانٍ ليس فيه، فيوسفُ عليه السلام لم يقُل: إن أخاه سَرَق.

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠﴾

• العاقلُ الكاملُ لا تسيطرُ عليه العاطفةُ التي قد تفوِّت عليه المصالحَ الكبرى، فإن يوسفَ عليه السلام لم يستجب لتوسلاتِ إخوته؛ حرصًا على مصلحة الوصول إلى أبيه، وإعلامِه بحياته، وجمع شمل الأسرة.

• من الحكمةِ أن تُناقَش قضايا الأسرة داخلَها، من غيرِ إطلاع البعيدين عليها، طلبًا لجمع الكلمة، وإبعادِ الحُسَّاد والكارهين.

• على الأخِ الكبيرِ اتخاذُ القرار، وجمعُ إخوتِه على صالح الرأي الذي فيه رضا الوالدين وإسعادُهما.

• لا ينفكُّ وخزُ الضميرِ يُذكِّرُ صاحبَه بسوء فِعلته، ما لم يُطهِّر نفسَه منها، وذاك من شُؤم المعصية على صاحبها.

• يَكبُرُ على كريمِ النفس ألا يفيَ بعهده، وأما لئيمُها فإنه لا يبالي بخُلفه، ولو لأدنى عارضٍ!

﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١﴾

• الشهادةُ مُرتبطةٌ بالعلمِ عقلًا وشرعًا، فلا تَسمع إلا ممن علِم، ولا تَقبل إلا منه.

• ما أبرمتَ عقدًا واجتهدتَ في حفظه قدرَ استطاعتك، فلا ملامةَ عليك إن انفرطَ من غير رضاك بذلك.

﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾

• على المرءِ إذا كان على حقٍّ، وخشيَ أن يُظنَّ به خلافُ ذلك أن يرفعَ التهمةَ عن نفسه، ويصرِّح بالحقِّ الذي هو عليه.

﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾

• لا ملاذَ للعبدِ عند استحكام الأزمات سوى الصبرِ الجميل، فهو الذي يَحبِسُ النفسَ عن الجزَع، ويُعينُ على صواب النظر وحسنِ التدبير.

• إذا عظُمَ الرجاءُ في الله في قلب المؤمن، صار عنده أصدقَ من الواقع المحسوس الذي تلمُسُه الأيدي وتراه الأبصار.

• من أدبِ العبد ردُّه الأمرَ إلى علم الله الواسع وحكمتِه البالغة، فلعله سبحانه ينظرُ مقدارَ صبرِ العبد ليُفيضَ عليه من الأجر بقدْره.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾

• أيها المكلومُ، لك عزاءٌ في نبيٍّ من أنبياء الله الكرام، اشتدَّ حزنُه، وذهب بصرُه، وهو صابرٌ محتسبٌ، لا يرجو سوى رحمةِ ربِّه.

• لم تُنسِ المصائبُ المتواليةُ مُصابَ الأب بابنه الأوَّل، بل حرَّكتِ الأحزانُ الجديدةُ ما كان عنده من حزنٍ دفين، ولا غروَ، فالشَّجى يبعثُ الشَّجى.

• لا تُسيطر على المؤمنِ الأحزانُ، فتُطلِق لسانه بما لا يُرضي الرحمن، بل يَلتزمُ حدَّ الأدب والتسليم والإذعان.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾

• كم لمشاعرِ النفسِ وأحاسيسها من آثارٍ على الجسد وبنيانه، وجوارحه وأركانه! فالمحبة والشوق والحزن والأسف تُبلي المرءَ، وقد تُهلكُه.

• لا يشعرُ الخَليُّ بما يشعرُ به الشجيُّ، ولا يدري بأوجاع الملتاع مَن لم يحترق بتلك الأوجاع، فكم عاذلٍ ولائم لو ذاق تلك المرارةَ ما لامَ ولا عذَل.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾

• إن استبدَّ بك الألمُ فلم تستطع كتمانَه، ولو صارت العينُ من لفحه هتَّانة؛ فلا تبُثَّه إلا إلى ربِّك سبحانه؛ فإنه العالمُ بأوجاعك، الشافي لأدوائك.

• كم تسكب معرفةُ الله تعالى ورجاءُ ما عنده في قلب المؤمن من الطُّمأنينة، وتُنبتُ فيه من أزهار السَّكينة، فمهما هزَّته المصائبُ والأحزان، يبقى صابرًا ثابتَ الأركان.

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ
مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ
مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا
ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ
﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ
جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ
وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ
ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ
﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ
بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

٢٤٦

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾

فَتَحَسَّسُواْ: فاستقصوا خبرَه.

وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ: ولا تقطعوا رجاءكم.

رَّوۡحِ ٱللَّهِ: رحمةِ الله وفرجِه.

- برغم كثرة المصائب التي تعاقبت على نبيِّ الله يعقوبَ عليه السلام إن حُسنَ ظنِّه بالله تعالى ما تغيَّر أبدًا، فتفاءل وأحسِن بباريك الظنون.
- اليأسُ والقنوط استصغارٌ لسَعةِ رحمة الله ومغفرته، وتضييقٌ لفضاء جوده، وليس هذا طريقَ المؤمنين إلى ربِّ العالمين.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾

ٱلضُّرُّ: الشدّة والجوع من القحط والجدب.

بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ: بثمنٍ رديءٍ قليل.

- تقديم الوسائل بين يدَي المآرب، من أسباب نيل المطالب، فلسؤالِ الله ما يليق به من التوسُّل، وللبشر ما يليق بهم كذلك.
- ما تزيدُ في عطائك وإحسانك إلا ضاعفَ الله تعالى لك أجرَك، وأجزل عطاءَك.

﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾

- لقد نبَّأ يوسفُ إخوتَه بفعلتهم، وذكَّرهم بجنايتهم، مِصداقًا لوعد الله الذي وعده، والله لا يخلف الميعاد.
- انظر إلى لطيف الخطاب الذي بدأ بالاستفهام لا بالعتاب المباشر، وخُتم بفتح باب الاعتذار، حيث وصفهم بالجهل في الماضي لا الحاضر.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾

- استغلَّ يوسف حالَ إخوته فأوصاهم بالتقوى والصبر، وهكذا ينبغي لكلِّ واعظ اغتنامُ الفرصة لإلقاءِ الموعظة أقربَ ما يكون السامعُ إلى قبولها والتأثرِ بها.
- اقتران الصبر والتقوى سببٌ للحفظ والنجاح، وصلاح حال العبد في الدنيا والآخرة.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾

- يُنطِق اللهُ الحاسدين برفعةِ المحسودين، ولو بعدَ حين.
- السماحة وطيبُ النفس ترفع قدرَك، وتُعلي من شأنك، وتدفع المذنبَ في حقِّك إلى الاعتراف بذنبه، والإقرار بخطئه.

﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾

- ليس من شأنِ الكريم التَّشفِّي إذا ما انتصرَ بعد الخصام، ولا السعيُ إلى الثأرِ والانتقام.
- إذا كانت هذه رحمةَ الأنبياء، فكيف هي رحمةُ أرحمِ الرحماء؟!

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣﴾

- أراد يوسف إفراحَ أبيه بقميصه، كما جاءه القميصُ قبلُ بحزنه، ومحوَ خطيئةِ إخوته إذ أتوا أباهم مسيئين، فبعثَهم به ليكونوا محسنين.
- أدخِل على قلوب الناس ما استطعتَ من البُشرى؛ فإن لها أثرًا على صحَّة الأجساد، كأثرها في صحَّة الأرواح.
- لم يكتفِ نبيُّ الله بكظم الغيظ عمَّن أساء حتى رقِيَ رتبةَ العفو، وما زال يترقَّى حتى وصل إلى منزلة الإحسان، ثم أشاع إحسانَه ليشمَلَ جميع أهله.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤﴾

فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ: خرجَت القافلةُ من أرض مِصرَ قاصدةً الشام.

تُفَنِّدُونِ: تُسفِّهوني وتسخروا منِّي.

- أوصلَ اللهُ ريحَ يوسفَ إلى أبيه عند انقضاء البلاءِ من مكانٍ بعيد، في حين منعَه خبرَه أيامَ المحنة زمنًا طويلًا، فما أيسرَ العسيرَ إذا شاء الله! وما أعسرَ اليسيرَ إذا لم يشأ!
- بعض مشاعرك قد لا تجدُ صدرًا يتَّسعُ لها، ولا أحدًا يُقدِّرُها، وإن كان من أقرب الناس إليك.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾

ضَلَٰلِكَ: خطئِك.

- ليت مَن لا يعلم حقائقَ الأمور يلوذُ بالصمت، فلا يكذِّبُ ما لم يُحِط بعلمه.
- لا تغرَّنَّك كثرةُ التأكيدات المغلَّظة، فإنها لا تجعلُ من الباطل حقًّا.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ
لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ
فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ
تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ
وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

الحزب ٢٥

٢٤٧

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

• سارِع بإلقاء البِشارةِ على مَن ينتظرُها، فإنك لا تدري أيَّ حزنٍ ترفع، وأيَّ حِملٍ ثقيلٍ عنه تضع.

• إن كان العتابُ فليكن بلطفٍ، كي تُستفادَ منه العِبرة، وتحصُلَ به العِظة، ولا يُقصدَ منه التَّشفِّي، ولا يُفهمَ منه التبكيت.

• نِعمَ العَبدُ عبدٌ لا تُنسيه ساعةُ الفرج فضلَ ربِّه تعالى عليه!

• كم في قميصِ يوسف في أحواله الثلاثة من آياتٍ وعِبرٍ! لقد كان قميصَ حزنٍ وبلاء، ثم براءةٍ ونقاء، ثم سرورٍ وشفاء.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾

• مَن آذى مسلمًا في نفسِه أو مالِه، اقترفَ ذنبًا لا يحلِّلُه منه إلا أن يغفرَ له صاحبُه.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

• اعفُ عمَّن ظلمك، وادعُ له بالمغفرة، وارجُ له رحمةَ الله، فتلك أخلاقُ الأنبياء.

• مهما فعلَ العبدُ في بداياتِ أمره فلا يقنَط من رحمةِ ربه، فرُبَّ توبةٍ نصوحٍ ودعوةٍ خالصةٍ تغسلُ عنه كلَّ كدَر، والعِبرةُ بكمالِ النهاية لا بنقصِ البداية.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

• إنها قصَّةٌ بدأت بفراقٍ وامتحان، وحُزنٍ وشوق، فلم يزل أصحابُها في ذكرِ لله تعالى وتوكُّلٍ عليه، حتى انتهت بهم إلى لقاءٍ وعزٍّ، وفرحٍ وأمان.

• مهما بلغ منصِبُ الابنِ ومنزلتُه الدينيَّة أو الدنيوية، فإن لوالديه حقًّا من خفضِ الجناح وحسنِ الاستقبال.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

ٱلْعَرْشِ: سريرِ المُلك.

وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا: حيَّوهُ بالسجود تكريمًا لا عِبادةً، وهو في شرعهم جائز.

نَّزَغَ: أفسدَ وأغوى.

• لا تذكُر أخاك بإساءته بعد صَفحِك عنه، فذِكرُ الجفاء أيامَ الصفاء جفاء، والكريمُ يُغضي عن الملام عند الإخاء، فيوسفُ ذكرَ السجنَ وتغاضى عن الجُبِّ!

• تأمَّل رِقَّةَ مشاعر يوسف، حيث راعى مشاعرَ إخوته، فنسبَ تلك الأفعالَ إلى الشيطان، فما أحرى أن يكونَ ذلك من أخلاقِك مع أقاربك وخُلطائك!

• نظرَ يوسفُ عليه السلام إلى ألطافِ الله تعالى من وراء أقداره، فذكرَ من أسمائه تعالى اللطيفَ بعبادِه.

• تربيةُ الأولادِ على شيءٍ في الصِّغر، يبقى لديهم عند الكِبَر، فيعقوبُ ربَّى يوسفَ على أن الله عليم حكيم في أول القصة، فأعادها يوسفُ في آخرها.

﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

• دأبُ الأنبياءِ والأولياء ذِكرُ ما كان من النِّعم، ونسيانُ ما ابتلاهم اللهُ به من عارضِ الألم، ولذَّةُ الظَّفر لا تُقارَن بمُرِّ الصبر.

• قال قَتادة: (لمَّا جمعَ شملَه وأقرَّ عينَه، وهو يومئذ مغموسٌ في نبت الدنيا وملكها وغضارتها، اشتاقَ إلى الصالحين قبله).

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

أَجْمَعُوٓاْ: دبَّروا وعزموا.

• كم من تفصيلٍ دقيقٍ لقصصِ الأنبياءِ السابقين لا يَعلمُه إلا اللهُ، يذكرُ اللهُ لنا منه في القرآن ما فيه لنا مُعتبر وآية على نبوة النبي ﷺ.

• مهما تعرَّضَ الأنبياءُ للمكر فإن اللهَ تعالى لهم حافظٌ وناصرٌ، وجاعلُ العاقبةِ لهم.

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

• لا يضرُّ أهلَ الحقِّ قلَّةُ عددِهم، كما يزعمُ الجاهلون؛ إذ لا يُعرفُ الحقُّ بكثرةِ أهله، بل الجماعةُ ما وافقَ الحقَّ وإن كنتَ وحدَك.

• الحرصُ الشديد على هداية الناس لا يسوقُهم إليها، ولو كان الأمرُ على ذلك لما ضلَّ أقاربُ الأنبياء، ولكنَّ الهدى هدى الله.

وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ
﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا
وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ
ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ
هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ
وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن
قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ
جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ
مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ
وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾

٢٤٨

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾

• الناسُ يريدون أن يكون داعيهم غيرَ طامعٍ في دنياهم، حتى يعلموا صدقَ دعوته، فمتى أراد دنياهم عرَفوا انحرافَ نيَّته.

• لا يحتكرُ هذا الدينَ جنسٌ ولا أمَّةٌ ولا قبيلة، ولا يمتازُ به الأغنياءُ ولا ذوو القدرة والجاه والمكانة، بل هو للخلق أجمعين.

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾

وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ: وكثيرٌ من الآيات.

• كم في كونِ اللهِ تعالى من آياتٍ ناطقةٍ بقدرته، وبراهينَ شاهدةٍ بوحدانيته! ولكن هل يراها ويسمعُ نداءها، ويُحسُّ بها ولا يُعرِضُ عنها إلا صادقُ الإيمان؟

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾

• لِتحرصِ الأمَّةُ على توحيد ربها، من غير شَوبِ شركٍ فيه، معتقدةً أنه لا خافضَ ولا رافعَ، ولا شافيَ ولا نافع، ولا معطيَ ولا مانعَ، إلا اللهُ تعالى.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾

• الخوف من عقاب الله الدنيويِّ أو الأخرويِّ داعٍ إلى كمال الإيمان به سبحانه، بلا شِرك ولا نفاق.

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾

• من مزايا هذا الدين أنه يدعو إلى الإيمان به على بصيرة، وبرهانُ ذلك أنه عرض نظامَ الكون وما فيه من الإتقان على أنظارِ العقول، وطالبَها بالإمعان فيه لتصلَ إلى اليقين.

• سبيلُ محمَّد بن عبد الله ﷺ واضحةُ المعالم والغايات، قائمةٌ على أنصع البراهين والبيِّنات، فعلى كلِّ داعٍ إلى هذا الدين أن يتَّبعَ سيِّدَ المرسلين، ويقتديَ به على علم وهدى.

• على من تصدَّر للدعوة أن يدعوَ إلى الله مخلصًا، لا أن يدعوَ إلى نفسه لإيصالها إلى رُتبةِ إعجاب الناس ورضاهم.

• أيها الداعية، نزِّه اللهَ تعالى عن كلِّ ما لا يليقُ به ممَّا ينسُبه إليه الجاهلون، وابرأ إلى الله تعالى من جميع ما يفعلُه المشركون.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾

• أرسل الله رسُلًا من أهل الحضَر؛ لأن القُرى أوسع في المدعوِّين، وأعظم تأثيرًا في غيرها، وأجمع لموارد العلم ومصادره، وقد بُعث صفوةُ الرسُل في أمِّ القرى.

• تبصَّر السبيلَ الذي سلكه الأقوامُ من قبلك، فأيُّ طريقٍ أفضى إلى هلاكِ أصحابه فلا تَرِده، فالعاقل من اعتبرَ بما جرى لغيره، والجاهل من لا يعتبرُ إلا بنفسه.

• يا بشرى المتَّقين بالمستقبل المشرقِ الذي ينتظرُهم في الدار الآخرة!

• أحوال الأمم السالفة، وما أعدَّه اللهُ للأبرار في الآخرة، كلاهما مما يَبعثُ الناسَ على استعمالِ عقولهم، والتفكيرِ في مآلهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾

• كم تُكسِبُ الحوادثُ المؤلمةُ المؤمنَ من حظوظٍ جليلة، كنصرٍ مرتقَب، وثوابٍ مُدَّخر، أو تطهيرٍ من ذنب! فعلامَ اليأسُ؟!

• الشدائدُ طريقُ الدعواتِ الحقةِ، غيرَ أن الشدةَ لا تدومُ وإن طالت، فإذا يئس الناسُ من كلِّ الأسباب الظاهرةِ التي يتعلَّقون بها جاء النصرُ من الله وحده.

• إن نصرَ اللهِ لن يُشرق من آفاق الرَّخاء، بل سيَبزُغُ نورُه من ظلمات البلاء، فدعواتُ الأنبياء لم تنتصر إلا بعد مقاساة الشدَّة، وتطاوُلِ المدَّة.

• مهما كان المجرمون في قوةٍ ومنعة ظاهرة، فليس ذلك برادٍّ عنهم شيئًا من عذابِ الله.

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾

• ليس مقصودُ قِصصِ القرآنِ أن تكونَ سَمَرًا، بل المقصودُ بها أن تكونَ عِبَرًا.

• ما ترك القرآنُ تفصيلًا يُزكِّي به المرءُ نفسَه، أو يستوجبُ به رحمةَ ربِّه، أو ينيرُ به طريقَه، إلا وذكَره أو دلَّ عليه.

• لا يستفيدُ من قِصصِ القرآن إلا أصحابُ العقول المستنيرة التي تعتبرُ بما جرى لمَن قبلها، فتسلكُ طريقَ الناجين، وتحذرُ طريقَ الهالكين.

سُورَةُ الرَّعۡدِ

﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾

• يا لَفخامةِ ما أُنزل! ويا لَجلال مَن أنزل! ويا لَشرفِ مَن أُنزل عليه!

• مَن علمَ أن هذا الكتابَ مُنزلٌ من ربِّه سبحانه، وأن ما فيه هو الحقُّ؛ أقبلَ عليه واعتبرَ بآياته.

• لم يدرك معنى الحقِّ مَن ظنَّ أن معيارَه في كثرة الإقبال عليه، وازدحام سبيله بالسائرين إليه، فتركَ الحقَّ لقلةِ أهله، وبحثَ عن مكان الكثرة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾

• أوَ يَعدِلُ العاقلُ عن حقِّ أنزله مبدعُ ما نشاهده في خلق السماوات والأرض لأجلِ أهواءِ أكثرِ الناس؟

• يا مَن ترى من عالم الشهادة خلقًا في السماء يستحقُّ الإكبار، إن في عالم الغيب خلقًا آخرَ تتقاصرُ دونه المداركُ والأبصار.

• أيُّ تدبيرٍ وأيُّ تقديرِ ذاك الذي يُدبِّره ويقدِّره مَن يُمسكُ الأفلاكَ الهائلة، والأجرامَ السابحةَ في الفضاء، فيُجريها لأجلٍ لا تتعداه!

• ما أكثرَ البراهينَ العقدية في القرآن الكريم التي تبعثُ على الإيمان بالله تعالى، وتدعو إلى اليقينِ بما وعَد وأوعد!

• من رحمةِ الله تعالى بعباده أن فصَّلَ الآياتِ الدالةَ عليه، وصرَّفها في خلقه حتى لا يبقى لهم عذرٌ عنده.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾

رَوَٰسِيَ: جبالًا تثبِّتُ الأرض.

• سبحانَ مَن بسطَ الأرضَ فجعلها قرارًا، وأجرى لعباده فيها أنهارًا، وأرسى فيها جبالًا لئلا تميدَ بأهلها!

• انظر أيها الإنسانُ إلى فضلِ الله عليك فيما رزقَك من الثمرات، كيف سخَّرها ونوَّعها، فلم تكن بعيدةَ المنال، ولا على صِنفٍ واحد فتضيق حالك لقلة أشكالها.

• العاقل يجعلُ من مرور الليل والنهار مثارَ تأملٍ وتفكيرٍ في ناموسِ هذا الكون، وفي قدرةِ الله المبدعة التي ترعاه، ولا يدعُ إلفَ رؤيةِ هذه الآية يُبعدُه عن ذلك الاعتبار.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾

قِطَعٌ: بقاعٌ مختلفة.

صِنۡوَانٌ: مجتمعةٌ في مَنبَتٍ واحد.

• مَن نظرَ إلى تلك القطع المتلاصقة المتجاورة ذاتِ الأرض المتنوِّعة بين الطيِّب والرَّديء، والصُّلب والرِّخو؛ يجد فيها دليلًا شاهدًا على الخالق المصوِّر، القادر المقتدر سبحانه.

• ما خلق اللهُ في الدنيا من شيءٍ عبثًا، حتى مظاهرُ الاجتماع والاختلاف في الكائنات هي من تمام نِعَم الله تعالى على عباده لمَن تدبَّرها وتفكَّر فيها.

• كيف تكون أرضٌ واحدة، تُسقى بماءٍ واحد، تُنتجُ أنواعًا شتَّى من النبات مختلفةَ الألوان والأطعمة، والأشكال والأحجام، لولا أنها من صُنع الحكيم الخبير؟!

• كم ذا يمرُّ على صفحاتِ هذا الكونِ من قُرَّاء له! ولكن أيُّهم هذا الذي يُعمِلُ فيه عقلَه حتى ينتفعَ به في دنياه وأخراه؟

سُورَةُ الرَّعۡدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم
بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ
ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ
قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ
وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ
فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ ربع الحزب ٢٥
فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ
أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥

٢٤٩

• الإيمانُ بالله تعالى وتوحيده هو المعيارُ الحقيقي على مدى تعقلِ المرء وصحةِ تفكيره.

﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾

ٱلۡأَغۡلَٰلُ: السلاسلُ والقيود.

• كيف يُنكر قدرةَ الله على بعثِ الموتى مَن نظرَ إلى عجائبِ فعلِ الله في الحياة؛ أفلا تهدي الناسَ تلك الآياتُ إلى تصديقِ قدرة الله على إحيائهم بعد الممات؟

• كم من متعجِّبٍ من شيء هو أحقُّ بأن يُتعجبَ من تعجُّبه، لقيام ذلك الانفعال النفسي لديه من غير سببٍ صحيح يُوجِبه.

• الذين أطلقوا لأنفسهم العِنانَ في الدنيا لترتعَ في مساخط الله حيث شاءت، يُساقون يومَ القيامة في الأغلال، وعليهم سحائبُ القهر والإذلال، فمَن لم يَغُلَّ هواه في الدنيا غُلَّ في الآخرة.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ
أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ
أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ
بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ
يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟
مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا
لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

٢٥٠

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

ٱلْمَثُلَٰتُ: عقوباتُ الله التي تكون مثَلًا يردَع.

• لا يحملنَّ تأخيرُ العقوبة عن العاصي على اعتقادِ صحَّة ما هو فيه، فإنما هو إمهالٌ وحِلمٌ من الله، وفيمَن سبق موعظةٌ لمَن اتَّعظ.

• معرفة أسماء الله وصفاته تجعل العبدَ معتدلَ السير على جناحَي الخوف والرجاء.

• هل تأمَّلتَ كيف تسبق مغفرتُه عقوبتَه، فتعلمَ أن رحمتَه سبحانه تسبق غضبَه، وهل لاحظتَ كيف تتقدَّم التربيةُ الغفرانَ والمؤاخذة، لتعلمَ أن في كليهما للعباد تهذيبًا وتربية وتأديبًا.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾

• حين تُغلَقُ القلوبُ بمغاليقِ الإعراض والصدود، ترى أن الآياتِ البيِّناتِ التي تهديها لم تنزل عليها، مع أنها قد وصلت إلى بابها، ولكنها لم تفتح لها طريقًا.

• عمل الأنبياءِ وأتباعِهم تبليغُ ما جاء عن الله، والتحذيرُ من مخالفة ذلك، وبيانُ البراهين، لا الإتيان بها وَفق أهواء الناس.

• لولا أن الناسَ لا تَصلُح حياتُهم إلا بدعاة، ما اختصَّ سبحانه كلَّ قوم بهُداة.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾

وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ: وما تنقُصه الأرحامُ فيسقُط قبل تمامه.

• حين يتتبَّع الخيالُ كلَّ أنثى في الكون، ويتصوَّر عِلمَ الله محيطًا بكلِّ حَملٍ في رحِمها، وكلِّ قطرة دم تصل إليه، وما يسقط منه أو يولد؛ فإنه سيعلم قدرةَ الخالق العظيم، وإحكام تقديره.

• خلقَ اللهُ تعالى خلقَه على نظام دقيق يسيرُ عليه، فالحياةُ فيه لم تنشأ مصادفةً، وكلُّ شيءٍ فيها لا يجاوزُ ما قدَّره اللهُ له.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾

ٱلْمُتَعَالِ: المُستعلي على جميع خَلقه بذاته وقُدرته وقهره.

• ألا يستحي العبد من عِصيان ربٍّ عالمٍ بكلِّ شيء؟ أفلا يعظِّم إلهًا أكبرَ من كلِّ شيء قدرًا وصفاتٍ وذاتًا؟

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾

وَسَارِبٌۢ: ذاهبٌ في طريقه وعمله نهارًا، يُبصِره كلُّ أحد.

• قُل ما شئتَ في علنِك وسِرِّك، واعمل ما شئتَ في ليلك ونهارك، ولكن تذكَّر أن اللهَ محيطٌ بكلِّ ذلك، ولا تخفى عليه خافيةٌ من أحوالك.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

• ما يُصابُ العبدُ بأذى إلا بقدرِ الله، ولا يسلمُ إلا بحفظه وأمره، ومَن حفظَه اللهُ لم يؤذِه مخلوقٌ، ومَن تركه فربما تسلَّط عليه أقربُ شيءٍ إليه.

• متى رأيتَ تكديرًا في حالك، فاذكر نعمةً ما شُكِرت، وزلَّةً فُعِلت، وغيِّر ما بنفسك يغيِّرِ اللهُ في أحوالك.

• لا يُزيلُ النِّعَم مثلُ كفرها، وإهمالِ أوامرِ المنعم بها، فعليك بالإحسان، واستجِدَّ بالدوامِ عليه عطاءَ الكريمِ المنَّان.

• التغيير الخارجيُّ يبدأ بالتغيير الداخليِّ، فإذا أردتَّ تغييرَ واقعك لصلاح دينك ودنياك فابدأ من قلبك.

• إن ربًّا يحفظ كلَّ ما يصدُر من العبد، ويتصرَّفُ فيه بما يشاء، ولا يردُّ أحدٌ أمرَه فيه؛ لجديرٌ بالرهبة، وإفرادِه بالعبادة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾

• المطر وبوادرُه من آيات الله الدالة على قدرته، فأحيانًا يُرسلُه برحمته، وأحيانًا يُنزلُه بعذابه.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

ٱلْمِحَالِ: الحولِ والقوَّة والمُكايَدة والبَطش.

• من الخلق مَن يسبِّح بحمد ربِّه ويخشاه، وكثيرٌ من المكلَّفين غافلٌ عن ربِّه، ساعٍ في سبُل سَخطه، فمَن أحرى بالتسبيح والخشية؟!

• أفعال الله العجيبةُ في الكون، يتأمَّلها المؤمنون فيسبِّحون ربَّهم ويحمَدون، ويهابون ويخشَون، ويراها الكافرون فيجادلون في وَحدانيَّة الله وقدرته على البعث، فيستعجلون العذابَ المُهين.


الجزء الثالث عشر — سورة الرعد

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا
وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ١٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ
تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ
ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ
كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ
وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ
ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ
لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨

سجدة

٢٥١

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾

• يدعو اللهُ تعالى عبادَه إلى توحيده الذي هو دعوةُ الحقِّ، فكلُّ مَن خالفها فهو في سبيل الباطل، وضالٌّ في أمره وخاسر.

• مَن تعلَّق بغير الله فقد أسلمَ ضعفَه إلى ضعف، وعجزَه إلى عجز، وحاجتَه إلى فقر، فكيف سيُصلِحُ حالَه، ويبلغُ آمالَه، وقد أوصل نفسَه إلى هذا المصير؟!

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ١٥﴾

بِٱلۡغُدُوِّ: جمعُ غُدوة، وهي: أوَّل النهار.

وَٱلۡأٓصَالِ: جمعُ أَصِيل، وهو آخِر النهار.

• الكونُ وما فيه ساجدٌ لربِّه طوعًا أو كرهًا، وسجود كلِّ نوع بحسَبه، فطوبى لمَن أطاعَه طَوعًا، وأقبلَ بقلبه عليه خضوعًا وحُبًّا.

• ما أشقى ذلك العبدَ الذي يسجدُ ظِلُّه لله، وهو لا يعرفُ السجودَ لربِّه في صلاة!

﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾

• مَن اعترفَ بكون الله خالقًا مدبِّرًا، ألا يدعوه ذلك إلى أن يعترفَ بكون الله إلهًا معبودًا لا شريك له؟

• مَن كان لا يقدِرُ على الضَّرر ولا النفع، فأيَّ شيءٍ يستطيعُ، وأيَّ تعظيم يستحق، فضلًا عن عبادته؟

• مَن لا يملكُ شيئًا لنفسِه، فهو أعجزُ عن أن يملك شيئًا لغيرِه.

• الإيمانُ نورٌ وضياءٌ يُرى به الطريقُ إلى الله، والكفرُ عمى وظلماتٌ يحولُ بين المرء وبين رؤيةِ تلك السبيلِ الهادية.

• احتجَّ سبحانه على تفرُّده بالإلهيَّة بتفرُّده بالخلق، وعلى بطلان إلهيَّة ما سواه بعَجزهم عن الخلق، وعلى أنه واحدٌ بأنه قهَّار؛ إذ القهر التامُّ يستلزم الوحدة، فما أبدعَه من استدلال!

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾

بِقَدَرِهَا: بقدرِ تفاوُتها صِغَرًا وكِبَرًا.

زَبَدٗا: ما يعلو على وجهِ الماء عند جريانه، وهو الغُثاء الذي لا نفعَ فيه.

رَّابِيٗا: مُرتفِعًا طافيًا فوقَ الماء.

جُفَآءٗ: مُتلاشيًا لا بقاءَ له، أو يُرمى به إذ لا فائدةَ منه.

• قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: (هذا مثَلٌ ضربه الله، احتملتِ القلوبُ من الوحي على قدرِ يقينها وشكِّها، فأمَّا الشكُّ فما ينفع معه العمل، وأمَّا اليقينُ فينفع الله به أهلَه).

• بحسَب إقبالك على القرآن الكريم علمًا وعملًا يفتح اللهُ تعالى لك من هداياته وبيِّناته، وأسراره وأنواره.

• كلُّ ما وقع في قلب المؤمن من خواطرِ الكفر والنفاق فكرهَه وألقاه؛ ازدادَ به إيمانًا ويقينًا، وكلُّ مَن حدَّثته نفسُه بذنبٍ فكرهه ونفاه عن نفسه، وتركَه لله؛ ازدادَ به صلاحًا وبرًّا وتقوى.

• لا تخشَ على الحقِّ، فإن اللهَ تعالى قد تولّاه بعنايته، فحفظَه كما حفظَ ما ينفعُ الناسَ، وما لا تقومُ الحياةُ إلا به.

• أيُّ دعوةٍ ليس مصدرُها وحيَ السماء فمصيرُ ما فيها من أقوالٍ واعتقادات، وأفكارٍ وادعاءات؛ الذهابُ والامِّحاء.

• لا شيءَ أنفعُ من العمل الصالح، فاحرِص عليه يَدُم لك خيرُه في عاجل أمرك وآجله.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾

ٱلۡحُسۡنَىٰ: الجنَّة.

ٱلۡمِهَادُ: الفِراشُ، والمُستقَرُّ.

• بقدر استجابتك لربِّك يكون نصيبُك من الحسنى، فارفع حظَّك من الاستجابة يرتفع حظُّك في منازل الحسنى.

• افتداء عذابِ الآخرة بشيءٍ من الدنيا في الدنيا ينفع صاحبَه، والافتداءُ بذلك يوم القيامة غيرُ نافع، فقدِّم شيئًا من حُطام الدنيا اليوم ينفعك غدًا.

• يا من شغلَه عرَضُ الدنيا عن الاستجابة لله ورسوله، أما تعتبرُ بحال أقوامٍ يودُّون أن لو ملكوا الدنيا بأسرها ليبذلوها فداءَ ما ينتظرُهم من العذاب، فلم يُعطَوا ذلك؟

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾
وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ
مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا
مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ
إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

٢٥٢

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾

• اللبيب مَن نظر في طريقَي الهداية والغواية، وعرَف حقيقة كلٍّ منهما، فآثر الهدى، واتَّبعَ سبيلَه حتى نجا.

• مَن لم يُعمِل عقلَه فيتَّبع به ما يُنجيه يومَ القيامة، فليس من أولي الألباب، وإن أنتجَ عقلُه في الدنيا ما به العَجَبُ العُجاب.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾

• من رجاحةِ تفكيرِ المرءِ أن يَفيَ بجميع المواثيق والعهود، والأيمان والنذور، فلا ينقضُها ولا يَنقُصُها.

• الإيمانُ يحُثُّ على الوفاء بالعهود، وينهى عن نقض المواثيق والعقود، فمَن كان أكثرَ إيمانًا كان أكثرَ وفاءً.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾

• مَن كان ذا لُبٍّ حصيفٍ فسيصلُ رحمَه، ولا يقطعُها وإن قَطعت؛ لأن وصلَه لها جالبٌ للخير له في الدنيا والآخرة.

• لو لازمَ المؤمنُ الخوفَ من الله تعالى لَما أقدمَ على المحرَّمات، ولا تركَ الواجبات، ولَما أحسنَ ظنًّا بعمله، ولا اتَّكلَ إلا على رحمةِ ربِّه وعفوه.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾

• لا يُحمَدُ على الصبرِ عند الله مَن لم يكن صبرُه في سبيلِه، وابتغاء وجهِه تعالى.

• مَن صبرَ على مصيبته كانت نعمةً في حقِّه؛ لأن الصبرَ شفاءٌ لنفسه، وزيادةٌ في حسناته، ومَن جزعَ جمعَ مصيبتين: مرارةَ المصيبة، وذهابَ الأجر وحصولَ الإثم.

• صبرًا على فعلِ العبادات، وعلى بذلِ المالِ في الطاعات، فمَن صبرَ فبعقبى الدارِ ظَفِر.

• مَن يقابل المسيءَ بالإحسان؛ فيعطي مَن حَرَمه، ويعفو عمَّن ظلمَه، ويَصِلُ مَن قطعَه، فكيف سيعامِلُ مَن أحسنَ إليه؟!

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾

• ما أسعدَ تلك اللحظاتِ التي يلتقي فيها الصالحون بأهليهم وذراريهم في جناتِ النعيم! فيجتمعُ الشملُ بعد الغياب، وتمتلئُ خيمةُ الحُبِّ بالأحباب.

• إنها لدار عظيمة، يزورُ أهلَها بالتهنئة رسلُ المَلِك العزيز سبحانه، فيأنَسون بهم، ويفخرون بنزولهم عليهم كل مرة.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

• سلامٌ عليكم أيها الصابرون على مشاقِّ الدعوة، سلامٌ عليكم أيها المُلزِمون أنفسَكم أمرَ الله، الزامُّون قيادَها عن معصيته، الصابرون لألمها عند أقداره، فدَعُوا اليوم تعبَكم وآلامكم، وخذوا السلامَ الأبديَّ في دار النعيم والخلود.

• الأَولى باللبيب أن يُجاهدَ نفسَه؛ لعلَّه يحظى بتلك الدار؛ فإنها مُنيةُ النفوس، وسرورُ الأرواح، ومَجمَع اللذَّات والأفراح.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾

• متى نقض العبدُ عهدَ الله تعالى، فبأيِّ عهدٍ بعده سَيَفي، وأيَّ ميثاقٍ سوف يرعى؟

• الشقيُّ من العباد يصلُ أهواءه بشهواته، ويقطعُ ما أمرَه اللهُ بوصله؛ لأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخافُ عقابًا.

• بمقدارِ إقامةِ شرائع الله تعالى التي أمرَ بها ينتشرُ الصلاحُ بين العباد، وبمقدار الإخلال بها يكونُ الشرُّ والفساد.

• المطرودُ من رحمةِ الله بسوء عمله لا دارَ له إلا التي تسوءه، مهما تمتَّعَ في الدنيا.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾

• لا يحزَن مؤمن لضيق رزقه؛ فضيقُه سببٌ لعِظَم أجره، ولا يفرح كافر ببسط رزقه، فذلك إملاءٌ من الله تعالى له.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾

• ما لم يكن القلبُ مُقبلًا على الآيات التي أنزلها الله له فلن يهتدي، وكيف يصل إليه الهدى وهو لم يسعَ إليه، ولم يتحرَّك نحوَه!

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

• أيُّ قلبٍ لا يطمئنُّ وهو يركَنُ إلى مولاه، ولا يزال يذكره، ويأنَس به وبالقرب منه؟

• إذا دَهَمت قلبَك جيوشُ الحيرة فادحَرها بذكر الله الكثير، ترتدَّ على أدبارها خائبة.

• المؤمنون الذاكرون اللهَ في كلِّ وقت تبقى قلوبهم على عُروةِ الاطمئنان، وآفاقِ الأمان، فلا تحُلُّها المخاوف، ولا تنزلها المصائب.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٖ ٢٩
كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتْلُوَاْ
عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ قُلْ هُوَ رَبِّي
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ٣٠ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانٗا
سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ
بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ
ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم
بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ٣١ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٖ مِّن
قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ٣٢ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْۗ وَجَعَلُواْ
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٖ ٣٣ لَّهُمْ عَذَابٞ فِي ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤

٢٥٣

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾

• العمل الصالحُ هو قِوامُ الإيمان، فلا بدَّ من الإذعان للحق، ثم العمل به، ثم السيرِ على مقتضى الإيمان في الحياة كلِّها.

• ما أنعمَ حياةَ المؤمنِ الدنيوية والأخروية! فدنياه محفوفةٌ بطيب العيش المطمئن، وآخرتُه معمورةٌ بكلِّ ما تقرُّ به الأعين.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ٣٠﴾

• تلاوةُ رسولِ اللهِ القرآنَ على أمته من مقاصدِ رسالته، فمَن لم يجعل هدى القرآن أصلًا من أصول دعوته، فما أبعدَه عن كتاب ربه وهدي رسوله الكريم!

• سبحانَ ربِّنا الحليم على مَن عصاه! إنهم ليكفرون به، ويقابلون إحسانَه إليهم بالإساءة، وهو مع ذلك يرحمُهم ويُمهلهم!

• صلَّى الله وسلَّم على مَن أقرَّ بالتوحيد لربِّه، وسعى في إبطال كفر الجاحد وشركِه، وبيَّن أن التوكُّل كلَّه على الله، وأن المتابَ إليه لا إلى أحدٍ سواه ﷺ.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانٗا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ٣١﴾

• لقد صنع القرآنُ في النفوس التي تلقَّته عجائبَ ما أبعدَ آثارَها في أقدار الحياة! فكم غيَّر وجهَ الأرض وصفحةَ التاريخ!

• القرآن أصلُ الهداية، فمَن لم يَهدِه القرآنُ الذي لو نزل على جبلٍ لتصدَّع من خشية الله، فما الذي سيهديه إذن؟!

• ليس لأهواءِ الناسِ مكانٌ أمامَ أمرِ الله تعالى وحُكمِه، فإنه العليمُ بما يُنزلُ من الآيات، وما في إنزالها من البركات.

• الهداية بيد الله تعالى، فلو شاء أن يهديَ عبدًا لهداه، ولو لم ينصَحه أحد، فالأمرُ له سبحانه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

• حينَ لا يُجدي الدليلُ ولا ينفعُ البرهانُ، فلا بدَّ عند ذاك من شدَّةٍ تُصيبُ، أو قارعةٍ تُزلزِل؛ جزاءً للمعاندين، وعِبرةً لمَن يعتبر.

• المشركون هم أولى الخلق بالخوف؛ لعِظَم ذنبهم، وشناعة جُرمهم، فلا أمنَ لهم ولا طُمأنينة، بل هم مهدَّدون بشنيع النَّقِمات، في جميع الأوقات.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢﴾

• يُستدرَج الظالمون إلى العذاب بالإملاءِ لهم، وهم يظنون ذلك حُبًّا فيهم وإهانةً لغيرهم! ألا ساء ما يظنون!

• في إمهالِ المستهزئين بالرسُل عبرةٌ للمستعجلين عقوبةَ الظالمين، فالاستهزاءُ بالرسل ذنبٌ عظيم، ومع ذلك لم يُعاجَل أهلُه بالعقوبة من أول الأمر.

• {فكيف كان عقاب؟} سؤالٌ لا يحتاجُ إلى جواب، بل هو تحذيرٌ للسائرين على مِنوالِ المعاقَبين.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٖ ٣٣﴾

• استحضِر أن الله تعالى قائمٌ على نفسك؛ يرعاها ويكلؤها، ويراقبُها وينظرُ إليها، ثم يحاسبُها على ما فعلَت، ثم انطلِق بعد استحضارك هذا إلى العمل.

• حقُّ مَن قامَ عليك بالرزق والتدبير والرعاية أن تقومَ له بالشكر والعبودية، وكمالِ التعظيم والحب.

• لا يزيدنَّ امرؤٌ على دين الله ما ليس منه، إلا إن ظنَّ أنه يَستدركُ عليه ما لم يُحِط به، وحاشاه، وليس ذلك فِعلَ المؤمنين.

• إذا فسَدتِ الفِطَرُ، وأوغلتِ العقولُ في انتكاسها، حسَّنتِ القبيحَ وقبَّحتِ الحسَن، فرسَخت أقدامُها في أرض الباطل.

• سَلِ اللهَ تعالى أن يجعلك أهلًا لهدايته ويوفِّقَك إليها، فكم ممن علم اللهُ فسادَ طويته، فتركَه يتمادى في الضلالة!

﴿لَّهُمْ عَذَابٞ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤﴾

• سيدرك مَن اختار الضلالَ على الهدى أنه اختار عذابَ الدنيا، وأن عذابًا في الآخرة أشقَّ ينتظره بعد انقضاء حياته.

• لو يوقنُ الضالُّون بالعذاب الشاقِّ الذي ينتظرهم في الآخرة ما تمادَوا في ضلالهم.

• سبحان مَن لا يُحادُّه أحدٌ إلا قهره وغلبه، ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، وليس يأذَن بالشفاعة لمَن كفر به فمات على كفره!

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى
الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ
﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ
وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾

٢٥٤

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾

أُكُلُهَا: ثمرُها.

عُقْبَى: عاقبة.

• مَن ذا يقارن جِنانَ الآخرة الدائمةَ الكاملة، بجنان الدنيا التي تتقلَّب وتفنى، ويعتريها ما ينغِّصُها؟

• الآخرة عُقبى تعقب الأعمال، فمَن فعلَ الخيرَ واتَّقى أعقبَه بعده الخير، ومَن فعل الشرَّ ولم يتُب منه أعقبه بعده الشرُّ.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾﴾

الْأَحْزَابِ: المُتحزِّبين المُتجمِّعين على الكُفر.

• حقّ لأهل الكتاب المؤمنين أن يفرحوا بالقرآن الكريم، ويتَّسعوا سرورًا؛ لموافقته للحقِّ، ومجيئه بالصدق، ولنوره العظيم، وخيره الكريم.

• الذين تهتزُّ نفوسُهم بصدقٍ فرحًا وسرورًا بالهدى ووسائله يُبرهنون بذلك عن صدقِ إيمانهم.

• كم في القرآنِ من الآياتِ الحِسان الباهرات ما لا يسَعُ أحدًا إنكارُها حتى المُغرقين في تحزُّبهم للباطل!

• أرضِ مولاك، وليكُن رضاه وحدَه مُبتغاك، ولا تبحث عن رضا الناس في سخَطه؛ فمَردُّك ومعادُك إليه سبحانه لا إليهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

• جمعَ اللهُ تعالى في القرآن الكريم كمالَ المعنى فجعله حكمًا، وجمالَ المبنى فأنزله عربيًّا مُبينًا، فأيُّ كتابٍ يبلغُ شأوَه؟!

• اتِّباعُ أهواءِ المشركين وتمويهاتِ المضلِّلين ممَّا نزل القرآنُ بالتحذير منه، لِما له من أثرٍ في الصدِّ عن الحق.

• مَن أرادَ الظَّفرَ بولايةِ الله ومعيَّتِه فليدَعِ الأهواءَ، وليتبع وحيَ السماء.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾

• مَن شرَّفه اللهُ تعالى بولايته، ورفعةِ رُتبته لديه لا يقدحُ فيما ناله مباشرةُ أحكام البشرية من الأهل والولد.

• طلبُ الزهدِ بتركِ النكاح وأحوالِ العيش المباحة، والإعراضُ عما تدعو إليه الفطرة، ليس من سُنن الأنبياء، ولا هَدي الأولياءِ الأتقياء.

• إنما الرسُل بشر، فما جاؤوا به من الآيات والحقائق، والمعجزات والخوارق، فهو من عند الله تعالى، والعاقل يتَّبع الحقَّ ولا يطلب من أحدٍ ما ليس له.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾

أُمُّ الْكِتَابِ: اللَّوحُ المحفوظ.

• عن عمرَ بن الخطَّاب أنه قال، وهو يطوف بالبيت ويبكي: (اللَّهمَّ إن كنتَ كتبتَ عليَّ شِقوةً أو ذنبًا فامحُه؛ فإنك تمحو ما تشاءُ وتُثبِت، وعندك أمُّ الكتاب، فاجعله سعادةً ومغفرة).

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا: نفتح أرضَ المشركين من جوانبها، ونُلحقها ببلاد المُسلمين.

لَا مُعَقِّبَ: لا رادَّ ولا مُبطِلَ.

• حين يَدِبُّ الفسادُ في أمة فلا بدَّ من أن يأتيَ يومٌ وتُنقَصَ من قوتها وثرائها وقدْرها، وتُحصَرَ في رُقعةٍ ضيقةٍ من الأرض.

• لقد جرت سنَّةُ الله الماضيةُ في التمكين لعباد الله الصالحين، فمَن ذا الذي يستطيعُ أن يرُدَّ حكمَ اللهِ النافذ، أو يُبطلَ وعدَه الحق؟!

• لا يستبطِئ مستبطئٌ نزولَ العقوبةِ بالكافرين، فإن لهم عند الله أمَدًا هم بالغوه، وسيُنزلُه بهم من غير تأخيرٍ ولا إبطاء، فإنه سريعُ المجازاة.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

• مهما اشتدَّ مكرُ المبطلين وحِيلُهم فإن دولتَهم لن تلبثَ أن تزول، أوَلم ينظر هؤلاء حالَ الأمم قبلهم، ما الذي حلَّ بهم؟

• مهما مكر أعداءُ الحقِّ بالحقِّ وأهله، فمكرُهم عند الله معلوم، وسيجازيهم عليه، فليطمئنَّ ذوو الإيمان، فإن لهم ربًّا قد أحاط بمكر أعدائهم.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣﴾

• يا صاحبَ الحقِّ لا تكترث لما يقول أعداؤك فيك، من نزع صفاتِ الثناء، وإلصاقِ التُّهَم التي أنت منها بَراء، بل يكفيك أن الله راضٍ عنك.

• أهل العلم محلٌّ للثقة وقولِ الحقيقة، فعليهم ألا يهبطوا عن هذه الرتبة العليَّة، بكتمان الحقِّ والشهادة بخلافه.

• ما أجلَّه من تناسبٍ بين مطلع السورة الذي يبدأُ بإثبات الرسالة، وختامِها الذي ينتهي بإنكارِ الكفارِ لها!

سُورَةُ إِبۡرَٰهِيمَ

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾

• القرآن الكريم كتابُ النور الذي أنقذ الحائرين في أمواج الظلمات، وأنار لهم طريقَ الهداية إلى ربِّ السماوات.

• طرق الجهلِ والكفر كثيرة، وطريقُ العلم والإيمان واحدة، فالحقُّ واحد والباطلُ متعدِّد.

• كيف لا يكون الصراطُ آمنًا، وإلى السعادةِ موصلًا، وقد تكفَّل ذو العزَّة والجلال به، وحمِدَ سالكيه، ووعدهم بحسنِ العاقبة؟

• القرآن كتابُ الله العزيز الحميد، فأنَّى لشخصٍ أن يغلِبَ كتابَ العزيز بحُجَّة؟ وأنَّى لأحدٍ أن يَشقى إذا ما اتَّخذ كتابَ الحميد مَحَجَّة؟

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢﴾

• هلَّا تأمَّلت في هذا الكون مظاهرَ عزَّة الله تعالى وقدرتِه وعظمة ملكه؛ لتعلمَ أنه لا يُعجزُه من خالفَ أمرَه، وأنه يُحمدُ على فضلِه وجوده وإنعامِه.

• مَن بيدِه ملكوتُ السماواتِ والأرض، فله أن يحكمَ على عبادِه بما يشاء؛ يأمرُ فيُطاع، ويَنهى فيُسمعُ له، وليس لمخلوقٍ أن يخالفَه في أمرِه ونهيه.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ ٣﴾

وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ: ويريدُونها مُعوجَّةً مائلةً وَفق أهوائهم.

• ما استحبَّ دنياه على أخراه إلا ضالٌّ، وما صَدَّ عن سبيل الله تعالى إلا مُضلٌّ، وويلٌ لمَن جمع بين هاتين السيِّئتين.

• إيثار المرء دنياه على ما ينفعُه في آخرته قائدٌ له إلى الانحراف عن الصِّراط المستقيم.

• قد يقبَل الضُّلَّال بإسلام يُصنع على أعينهم، يوافق أهواءهم ويستجيب لشهَواتهم، أمَّا الإسلام الحقُّ القويم الذي أرسله الله تعالى للعالمين، فهم ألدُّ خصومه.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾

• معرفة لسان المدعوِّين، وخطابُهم بما يفهمون، من آلاتِ الدعوة المهمَّة.

• يكفي من البيان حصولُ البلاغ، ولا يَلزمُ من ذلك حصولُ الهداية، فثمَّة قلوبٌ أفسدها الهوى، لا تَعبأُ بالإيمان، ولا يقنعُها إلى جلالتِه البيان.

• لو أراد العزيزُ سبحانه بعبدٍ أمرًا، فلا رادَّ لأمره، ولكنَّه مع عزَّته تعالى لا يقضي إلا بحكمة.


الجزء الثالث عشر — سورة إبراهيم

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا
بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣

سُورَةُ إِبۡرَٰهِيمَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١
ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ
لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ ٣ وَمَآ
أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ
فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ٤ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ
قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥

٢٥٥

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥﴾

• بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ: بنِعَمِه ونِقَمِه التي قدَّرها في الأيَّام الخوالي على الأمم السابقة.

• مَن أرادَ أمثلةً على حُسنِ التدبير، وحكمةِ التقدير، فليقرأ قِصصَ الأنبياء، فكم في طَيَّاتها من عِبَر!

• لا بدَّ لكلِّ داعٍ إلى الحقِّ من براهينَ وحُجج يأتي بها المدعوِّين، حتى يبصَّر بها من العمى، ويُنير بها ظلامَ القلوب والعقول.

• المؤمن يقرأ قصصَ التاريخ على أنها من أيام الله تعالى، فيقفُ منها على عِبرها وعِظاتها، فيتَّعظُ بها ويَعِظ.

• لا يخلو المؤمنُ من حالين، وفي كليهما يتقرَّب إلى الله بعبادة، فإن جرى القدرُ بما يلائمُ طبعَه ويوافق إرادتَه انشغل بالشكر، وإلا كان مشتغلًا بالصبر.

• مَن كان على البلاء صابرًا، وللنعم شاكرًا انتفع بالآيات، واعتبر بأيَّام الله، وما جرى فيها من العِظات.

وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ
إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي
ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ
لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٞ ٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا
بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩
الحزب ٢٦ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ
مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠

٢٥٦

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦﴾

يَسُومُونَكُمۡ: يُذيقونكم.

• كم أنعمَ اللهُ عليك بعافيةٍ بعد بلاء، وسَرَّاءَ عقبَ ضَرَّاء! فلو ذكرت ذلك على الدوام، لما توقَّفت عن حمدِ الله وشكره.

• المصائب والنجاة منها اختبارٌ من الله تعالى لعباده، ليرى الصابرين على المصيبة، والشاكرين على الخلاص منها، فيثيبَهم أجرًا عظيمًا.

﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾

تَأَذَّنَ: أعلمَ إعلامًا مؤكَّدًا.

• إذا رزق اللهُ بعضَ عباده التمكينَ في الأرض، فإن دوام ذلك عليهم ببقائهم شاكرين، فإن حادوا عن ذلك سلَّط عليهم من يسومُهم سوءَ العذاب.

• من شُكرِ اللهِ على نعمته أن يراقبَ العبدُ ربَّه فيها، فلا يَبطَر بها، بل يندفعُ للعملِ الصالح حتى يُرضيَ اللهَ تعالى عنه فينمِّيها له، وبذلك يحبُّه الناس ويعينونه.

• عليك بالمَطالب العاليةِ التي لا تُنال إلا بطاعة الله، فإن الله سبحانه قضى ألا يُنال ما عنده إلا بطاعته، ومَن كان لله كما يُريد، كان الله له فوق ما يريد.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾

• سبحانَ من لا تزيدُ طاعاتُ عبادِه في مُلكه شيئًا، ولا تَنقُص معاصيهم منه شيئًا، وتقدَّسَ مَن ليس له من الصفاتِ والأسماء والأفعال إلا كُلُّ كاملٍ وحسنٍ وجميل!

• انتفعَ بشكرِ اللهِ فاعلُه، وجنى ضررَ الكفرِ به عاملُه، فاستكثِر من شكر الله، واحذر جحودَ نعمته.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩﴾

فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ: فعَضُّوا أيديَهم تغيُّظًا على الرسل ودينِهم، واستكبارًا عن الإيمان.

مُرِيبٖ: مُوجِبٍ للرِّيبة والشكِّ.

• لا تستغرب كفرَ الكافرين، وتغيُّظَهم من هذا الدين؛ فلقد مرَّ في الأزمان السابقة رسلٌ كثيرون لَقُوا من أقوامهم الغيظَ الشديد، والكفرَ الصريح.

• الشكوك قد تكون لمرضِ صاحبها وعِناده، لا لضَعف الأدلَّة المعروضة عليه؛ فقد جاء الرسُل أقوامَهم بلسانهم الذي يعرفون، وأتَوهم بالبيِّنات التي لا ينكرها عاقلٌ منصف.

﴿۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠﴾

فَاطِرِ: خالقِ ومُبدِع.

بِسُلۡطَٰنٖ: بحُجَّةٍ ودليل.

• الفِطرة السليمةُ لا تشكُّ في وجود الله تعالى، فلا ينكر وجودَه ويستنكر عبادته إلا جاحدٌ مكذِّب، وضالٌّ مستكبِر.

• كم من دليلٍ ناطقٍ بوجودِ الله ووَحدانيته، مع أنه تعالى أظهرُ من أن يُستدلَّ عليه؛ إذ كيفَ يُطلَبُ الدَّليلُ على مَن هو دَليلٌ على كُلِّ شيءٍ؟

• ألا ما أقربَ الدلائلَ على وجود الله تعالى! إذ تكفيك نظرةٌ إلى السماء، وأخرى إلى الأرض، لتدلَّك على عظمة الخالق بعظمةِ المخلوق.

• أتدري مَن يدعوك إلى الدين؟ إنه اللهُ، الرقيبُ المهيمن، الحكيمُ التوَّاب، فهلَّا استجبتَ إليه راهبًا وراغبًا؟!

• انظر إلى رحمة الله بعباده؛ إنه يرسل إليهم رسُلَه ليبلِّغوهم الحقَّ؛ لئلَّا يعذِّبَهم على مخالفته؛ فهو يحبُّ لهم الغفرانَ والصَّفح.

• قد يرزقُ اللهُ عبدَه الطائعَ التأخيرَ إلى أجلٍ مسمًّى، فصنائعُ المعروف تقي مصارعَ السوء.

• من الناس مَن يعظِّم أسلافَه فوق ما يقدِّس دينَه، فترى اتِّباعَه لآبائه فوق اتباعِه لدينه.

• الجاحدون لا يبحثون في الحقيقة عن برهانٍ للحقِّ يسلِّمون له فيذعنون لحُجَجه، ولكنَّهم يسلُكون سبيلَ المغالطة والأوهام؛ من أجل أن يُسكتوا صوتَ الحقِّ فحسب.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ
أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ
ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ
كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

٢٥٧

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

• ينظر الرسُل إلى مِنَن الله تعالى عليهم في اصطفائه إيَّاهم للرسالة، لا إلى تكاليفها ومشاقِّها وصعوباتها، فانظر إلى مِنَّة الله عليك بالهداية.

• على داعي الحقِّ أن يتواضعَ بين الناس في دعوته، فيبرهنَ عليها مما علمَه من دينه، فلا يدَّعي الخوارقَ الخارجةَ عن قدرته، ولا الإتيانَ بالبراهينِ البعيدةِ عن مُكنته.

• على أهلِ الإيمانِ أن يكونوا أهلَ التوكل الكامل، ليقتديَ الناسُ بإيمانهم وتوكلهم.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

• الرسُل عليهم السلام هم أهلُ التوكُّل التام، فمَن أراد الأسوةَ الحسنة في طريق التوكُّل فليقتدِ بهم.

• مَن هَداهُ الله تعالى وفَّقه للتوكُّل عليه، فتعلَّقَ به وترك ما سواه.

طريقُ الدعوةِ محفوفٌ بالأذى الذي يحتاجُ في تخفيفه إلى صبرٍ وجَلَد، حتى يستمرَّ الداعيةُ في طريقه المشرق، فمَن لم يصبِر لن يستمر.

• مَن أرادَ أن يكونَ قدوةً لغيره في الخير، فليبادر إلى فعل ما يأمرُ به الناسَ، فذاك أدعى إلى القبول والتأثير.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾

• إلى القوَّة يفزع عُداة الحقِّ حين يظهر ضعفُ حُجَجهم وسوءُ مذهبهم؛ ذاك أنهم يتَّبعون الأهواء، وينتصرون للآراء، ولا يُهِمُّهم الحقُّ، ولا نتائجُ قبوله أو ردِّه.

• يا حاملَ الحقِّ إلى الناس الذين لم يُقابلوك عليه إلا بالأذيَّة، هدِّئْ رُوعَك، وطمئن نفسَك، فإن الله يتولَّى الدفاعَ عنك.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

• المؤمنُ الذي قدَّم خوفَ اللهِ ووعيدِه على خوف غيره ووعيدِهم، فعاقبتُه ظهورٌ على الكفار، ووراثةٌ للأموال والديار.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

وَٱسْتَفْتَحُوا۟ : وسأل الرسُل ربَّهم النصرَ على الظَّالمين، وطلبوا منه الحُكمَ بينهم.

• يسلُك المؤمنون سبيلَ اللجوء إلى الله، ويسلُك الكافرون سبيلَ التجبُّر والعِناد، فيُعِزُّ الله جمعَ المؤمنين لخضوعهم له، ويُهلِك كلَّ جبَّار عنيد.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾

وَرَآئِهِۦ: أمامه.

صَدِيدٍ: ما يَسيلُ من أجسادِ أهل النار من قَيح ودم.

• مآلُ الجبابرةِ المعاندين أن يقصِمَهم الجبَّارُ بعقوبته، ثم يُصليَهم العذابَ في ناره.

• قال قَتادة: (هل لكم بهذا طاقة، أم لكم عليه صبر؟! طاعة الله أهونُ عليكم، فأطيعوا اللهَ ورسولَه).

• لن يستسيغَ أحدٌ شُربَ ماءٍ كالمهل والقيح والصديد، ولكنَّ أهلَ النار يُسقَونه راغمين لا راغبين.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

يَتَجَرَّعُهُۥ: يحاول ابتلاعَه.

وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ: ولا يستطيعُ ابتلاعَه بسهولة؛ لحرارته وقذارته، بل يشربه بعد عَناء، فيقطِّع أمعاءه.

وَمِن وَرَآئِهِۦ : ومن بَعدِه.

• ما أشقَّ أن يصيرَ المرءُ إلى حالٍ يكون الموتُ الذي يفرُّ منه الناسُ هو منتهى آماله وغايةَ أمانيِّه!

• غُلِّظَتِ العقوبةُ لغِلاظة أولئك الذين كانوا يهدِّدون دعاةَ الخير والصلاح، ويسومونهم سوءَ العذاب، والجزاءُ من جنس العمل.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

• لو جُمعَ الرمادُ فلا نفعَ له، فكيف به إذا نثَرته الرياحُ في كلِّ مكان! كذلك هي أعمالُ الكفَّار، مآلها أن تذهبَ هباءً.

• الأعمال التي لا تقومُ على قاعدةٍ من الإيمان، ولا تلتحم بالعُروة الوثقى؛ مفكَّكةٌ كالهباء والرماد، لا قِوامَ لها ولا نظام.

• من أعظم الضلال والخسران أن تضيعَ أعمالُ الإنسان وهو أحوجُ ما يكون إليها، بفَقدِها شرطًا من شروط القبول.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا
قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ
أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم
مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ
بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

٢٥٨

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾

• السماوات والأرض في خلقهما برهانٌ على قدرة الله ووَحدانيَّته، وإبداعه العظيم في خلقه، أفلا يستحقُّ مَن هذا صنعُه أن يُعبَد وحده دون شريك؟!

• لا يظُنَّ المتمرِّدون على الله تعالى، البعيدون عن توحيده، أنهم يُعجِزون الله في أرضه؛ فإنه سبحانه قادرٌ على أن يُفنيَهم جميعًا، ويأتيَ بخلق آخرَ أطوعَ له منهم، يعبدونه ويوحِّدونه.

• سبحانه من إله عظيم؛ يخلُق ويُفني، خلق ما هو أكبرُ من الناس: السماواتِ والأرض، وهو القادرُ على إفناء مَن لم يعبدوه ويوحِّدوه!

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

• لا يقفُ أمام قدرة الله تعالى شيء، وليس بممتنع عليه أن يفعلَ ما يريد بمَن أشرك به، فكن يا عبدَ الله لربِّك على التوحيد، وامضِ إليه على النهج السديد.

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

سَوَآءٌ عَلَيْنَآ: يستوي علينا وعليكم.

مَّحِيصٍ: مَهرَب ومَنجًى.

• ذهبت المناصبُ والألقاب، وبرزوا للمليك الغلَّاب، وما زال الجهلة يظنُّون أن أسيادهم سينفعونهم بشيء!

• الاعتراف بالحقِّ، والندمُ على مخالفته، لن يُجدِي بعد فواتِ الأوان، فطوبى لمن عرف الصوابَ واتبعه في الدنيا، حتى قاده إلى الجنان في الآخرة.

• كُن هاديًا مَهديًا، تكُن ناجيًا ومُنجيًا، فسبيلُ الهداية في الدنيا طريقُ النجاة يوم القيامة.

• اصبرِ اليومَ إذ ينفع الصبر، وفِرَّ إلى الله اليوم إذ ينفع الفِرار، قبل أن تصيرَ إلى يوم لا ينفع فيه صبرٌ ولا يُجدي فِرار.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

سُلْطَٰنٍ: تسلُّط وإجبار، أو حُجَّة.

بِمُصْرِخِكُمْ: بمُغيثكم.

كَفَرْتُ: تبرَّأتُ.

• تحذيرًا من طاعة الشيطانِ عرَّفَك اللهُ مآلَه ومآلَ أتباعه، وأسمعَك تنكُّرَه لمن أطاعه يومَ لا ينفعُ ندمٌ ولا تلاوُم.

• ليس للشيطان قوةٌ تقهرُ الإنسانَ على العِصيان، ولكنه التزيينُ والتسويل، حتى يركنَ الإنسانُ بهواه إلى الذنوب، ويُصغي إلى مُغرياتها، لتقذفَ به بعد ذلك في أودية السخَط.

• ألا يعتبرُ في الدنيا كُلُّ ذي لُبٍّ بهذه النهاية التلاوميَّة البائسة بين الشيطان ومَن أطاعه؛ حتى يسلكَ طريقًا لا تُوصلُه إلى هذه العاقبة بين أتباع الشيطان؟

• أتباع الشيطانِ أطاعوه في أعمال الشر، كما يُطاع اللهُ في أعمال الخير، فصار الشيطانُ لديهم شريكًا لله تعالى في الطاعة.

• لا يتبعُ الشيطانَ إلا ظالمٌ يقوده مَن هو أظلمُ منه، ثم هم يوم القيامة في العذاب مشتركون.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾

• ما أحسنَ متعةَ الأبصار بذلك المنظر البهيج في الجنَّة، حيثُ الظِّلال والماء والخُضرة! وما أسعدَ النفوسَ بالائتلاف والأمن والسلام في ذلك المكان الأمين!

• اعمل صالحًا ولا تغترَّ به، فتحسبَ أنه وحدَه وسيلتُك إلى الجنة؛ لأن دخولَ الجنة لا يكونُ إلا بإذن الله ورحمته.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾

كَلِمَةً طَيِّبَةً: هي كلمةُ التوحيد (لا إله إلا الله).

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ: كشجرةٍ حسَنة المنظر والثمَر، وهي النخلة.

• كلمةُ الإخلاصِ كشجرةٍ عميقةٍ جذورُها، مرتفعةٍ أغصانُها عن شوائب الأرض، طيبةٍ ثمارُها، فتعهَّدها بالسقاية، والرعاية حتى تنموَ وتعرُجَ إلى الله تعالى، لا يحجُبُها حجاب.

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا : تُعطي ثمرَها.

• المؤمن يطيع ربَّه ليلًا ونهارًا، فتأتيه بركةُ طاعاته كلَّ وقت من غير انقطاع، فلنستمرَّ في طاعة الله ليستمرَّ لنا تواترُ فضله.

• ألا ترى كم يغدو المعنى المعقولُ مؤثِّرًا ومعبِّرًا حين يُقرَّبُ إلى الأذهان بصورةٍ محسوسة؟ ألا تستشعرُ بهذا الأسلوبِ رحمةَ الله تعالى وحُسنَ تعليمه؟

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ : كلمةِ الكُفر.

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ : كشجرةٍ رديئة الثمر طعمًا ورائحة، وهي شجرةُ الحنظل.

ٱجْتُثَّتْ : اقتُلِعَت.

قَرَارٍ : استقرار وثبات.

• قال الربيع بنُ أنس: (مثَلُ الشجرةِ الخبيثة مثَلُ الكافر؛ ليس لقوله ولا لعمله أصلٌ ولا فرع، ولا يستقرُّ قولُه ولا عملُه على الأرض، ولا يصعد إلى السماء).

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

• اللهُمَّ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلوبَنا على طاعتك، فإننا لا نستغني عن تثبيتك لها طرفةَ عين؛ لا في الحياة الدنيا وبلوائها، ولا عند الموت وشدته، وفي القبر وامتحانه.

• ثبات المؤمنِ على الطريق المستقيم إنما هو بتثبيتِ الله له، لا بحرصِه ولا بقدرته، فعليه أن يشكرَ اللهَ على هذه النعمة.

• على العبدِ أن يكثرَ من الإقبال على ربه، وإلقاءِ أزِمَّة الافتقار بين يديه، طمعًا في تثبيته، وخوفًا من أن يُوكَلَ إلى نفسه، ويؤاخذ بظلمه.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾

ٱلْبَوَارِ : الهَلاك.

• إن الله تعالى بعث محمَّدًا ﷺ نعمةً للناس، فمَن قبِلها وقام بشكرها دخل الجنَّة، ومن ردَّها وكفَرها دخل النار.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾

• لا دارَ أشدُّ بوارًا وقرارًا من جهنَّم، فكلُّ البوار وأسبابِ الهوانِ فيها، والعاقل مَن نأى بنفسه عن طُرقها، والوصولِ إلى عذابها.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

• توحيد اللهِ هو طريقُ الهدايةِ الموصلُ إلى الجنة، والزعمُ بأن له أندادًا هو طريقُ الضلالة التي توصلُ إلى نار جهنم.

• مهما نالَ الكافرُ من الدنيا، فإنه لا يعدو أن يكونَ متاعًا قليلًا؛ عن قريبٍ ينقطع، لينتقلَ عقبَه إلى نار السعير وبئس المصير.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ﴿٣١﴾﴾

خِلَـٰلٌ: صَداقةٌ.

• إذا تمتَّعَ الكافرون في حياتهم بما يشتهون من الحرام فإن أهلَ الإيمان متمتعون بالقرب من الله بفعلِ طاعاته، فيَسعَدون بصلتهم من الخالق، ومن المخلوقين، وبذلك يغنمون الدنيا والآخرة.

• جميلٌ بك أيها المُنفِقُ أن تصونَ كرامةَ الفقراء حين تُنفقُ عليهم سرًّا، وأن تكون قدوةً طيبة للمجتمع حين تنفقُ علانيةً، فانظر المصلحة وقدِّرها.

• إذا كنتَ تريدُ الاتِّجارَ في سوقِ الآخرة فتعامل مع الله، وإن كنتَ تُحبُّ بقاءَ الألفة، فأحبَّ في الله ولله.

تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن
قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ
مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا الحزب ٢٦
وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ
ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ
تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ
فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

٢٥٩

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾﴾

• تأمَّل تصويرَ آياتِ الله القرآنية لآياته الكونية، حتى إذا رأيت بعينيك الإبداعَ في الخلق سبَّحتَ الخالقَ جلَّ جلاله.

• في البحارِ والأنهار مصالحُ للعباد، وكلُّها مسخَّرةٌ في زيادة نِعَم الله عليهم، فالواجب شكرُها، لا أن تُتخذَ مواطنَ يُعصى اللهُ تعالى فيها.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾

دَآئِبَيْنِ : دائمَين في حركتِهما ومنافعِهما لكم.

• خلق اللهُ الشمسَ والقمر لغاية، وهما باقيانِ عليها في دَأبٍ منذ خلقهما. وأنت يا بنَ آدم، خلقك اللهُ لغاية، من أجلها سخَّر لك الشمسَ تضيء، والقمرَ ينير، والليلَ لسكونك، والنهارَ لمعاشك، فهل أنت تعملُ لهذه الغاية؟

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ
رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ
ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن
تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ
إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ
﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي
وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ
ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا
وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

• ألا تذكرُ كم مرَّةٍ توجَّهتَ صادقًا بقلبك إلى ربِّك تسألُه، وهو يجيبُك ولا يردُّك؟ فاعدِل يا بنَ آدم ولا تجحد نعمَه.

• كان الحسنُ البصريُّ يردِّد هذه الآية في ليلة، فقيل له في ذلك، فقال: (إن فيها معتبرًا، ما نرفع طَرْفًا ولا نردُّه إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمُه من نِعَم الله أكثر).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

• نعمةُ الأمنِ من أعظم النِّعَم على الخلق، إذ لا تَتمُّ مصالحُ الدين والدنيا إلا تحت ظلاله.

• إن كان خليلُ الله وقد حطَّمَ الأصنامَ بيديه، يخاف الشِّركَ على نفسه، فمَن يأمن البلاءَ بعد إبراهيم؟

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

• حقٌّ على مَن يخاف على نفسه وعلى أبنائه التقصيرَ في تحقيق التوحيد أن يجأرَ إلى الله تعالى ضارعًا يطلب الحمايةَ والتوفيق.

• من تمامِ تحقيقِ المسلم للتوحيدِ الولاءُ لمَن حقَّقه، والبراءةُ ممن خالفه، وإن كان من بَنِيه.

• على المسلم أن يدعوَه تحقيقُه التوحيدَ إلى الحِلم والرحمة، لا إلى الغِلظة والقسوة.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

• مَن افتقرَ إلى ربِّه، وانكسر بين يديه، وعرض حالَه عليه، وتذلَّل إليه؛ ليجيبَ له دعاءه، كان أقربَ إلى أن يحقق اللهُ له رجاءه.

• طلبَ إبراهيمُ عليه السلام تيسيرَ المنافع على أولاده حتى يتفرغوا لإقامة الصلوات وأداءِ الواجبات، وذاك مقصودُ العاقلِ من منافع الدنيا.

• إذا رأيتَ جموعَ الوافدين المشتاقين من أقطار الدنيا إلى الكعبة، وكم بذلوا من أموال، وكم من سنينَ انتظرها بعضُهم ليصلَ إليها، أدركتَ مدى دعوة إبراهيم.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

• مَن عرفَ اللهَ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا حقَّ المعرفة تهيَّأ للسفر إليه، وأعدَّ زادَ نجاته يوم لقائه.

• يا مَن يجترئ على معصيةِ ربِّه إذا خلا بنفسه، ألا تعلمُ أن السرَّ والعلانيةَ عند ربِّك سواء؟

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾

• ما أحلى لذَّةَ الظفر بالحاجة بعد انقطاع الأمل منها! فكيف إن كان حصولُها لم تجرِ به عادة؟

• إذا عرَضَت لك حاجةٌ فتذكَّر سابقَ نعم الله عليك، وتوسَّل بشكرك إيَّاه عليها، ليزيدَك من نعمه، ويحقِّقَ لك سائرَ حاجاتك.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾

• إن شأنَ الصلاة لعظيم، حتى إن خليلَ الرحمن دعا بالثبات عليها، لنفسه ولذرِّيته.

• لا يمنعنَّك عملٌ تؤدِّيه من أن تسألَ اللهَ تعالى الثباتَ عليه، فذاك شأنُ الصالحين.

• إن سؤالَ اللهِ تعالى القبولَ هو من سيما العبادِ الموفَّقين، الذين يخافون أن يعتريَ عباداتِهم ما ينقُصُ أجرَها، أو يمنعُ رَفعَها.

• اسمُ الربِّ يناسبُ أحوالَ الرعاية، ورزق الدنيا والدين، وحسنِ التدبير؛ فلذلك كرره إبراهيمُ الخليلُ في أدعيته المختلفة، فللّه الحمدُ على أسمائه وصفاته.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

• ما أسلمَ قلبَ ذلك الإنسان وأصفى صدرَه يومَ يدعو اللهَ تعالى لنفسه ولغيره!

• الإنسانُ الشاكرُ -ولو تقادم سِنُّه- لا ينسى مَن أحسن إليه كوالديه، من دعوةٍ صالحة، وذكرٍ جميل.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾

تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ: ترتفع عيونُهم فيه ولا تغمَضُ، من هول ما يرون.

• ألا يُسرِّي عنك أيها المظلومُ أن اللهَ تعالى ناظرٌ إليك، غيرُ غافل عمَّا يفعله الظالمون بك؟

• المشرك لا أمانَ له؛ فإنه وإن أمِنَ في الدنيا قليلًا، فإنه يسير إلى فزَعٍ كبير وهولٍ عظيم.

مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ
وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ
فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ
دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ
مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ
ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ
وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦ فَلَا
تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ
ذُو ٱنتِقَامٖ ٤٧ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ
وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ
مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٥١ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ
وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢

٢٦١

﴿ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣ ﴾

• سيقوم الظالمُ المستعلي بقوّته يومَ القيامة مقامَ الذُّل والهوان، ويومَئذٍ لن يدَعَ الخوفُ منه مبلغًا إلا بلغَه.

• لا مَهربَ من الحساب يومَ المعاد، ولا تأخُّرَ عنه للعباد، ولا مفرَّ لهم عن المُثول بين يدَي الله تعالى.

• يومُ القيامة يومٌ تتزلزلُ فيه الأفئدة، وتضطربُ فيه النفوس، وتتزعزعُ عن أماكنها القلوب، فيا سعدَ مَن كان يومئذٍ من الآمنين المطمئنِّين!

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤ ﴾

• الساعاتُ التي كان يقضيها ناسٌ في ضلالاتهم، سيكون أقصى أمانيِّهم يومَ القيامة أن يحظَوا ببعضها ليتداركوا ما فرَّطوا، فالسعيدُ مَن وُفِّق إليها زمنَ المُهلة قبل فوات الأوان.

• سيأتي على المشككين بالحساب، المكذبين بالآخرة والمآب، يومُ الحاقة، الذي يندمون فيه ولاتَ ساعةَ مَندم.

﴿ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥ ﴾

• كم من ديارٍ لأهل الكفر قامت من بين أنقاض القرى الظالمة، ثم هم يسيرون سِيرتهم غير متَّعظين ولا متبصِّرين!

• ليعلَم الكافرُ الظالم أن نفسه التي بين جنبَيه هي من أشدِّ المتضرِّرين بظُلمه، فلقد أوردها عاقبةً ما أسوأها!

• رحم الله امرءًا اتَّعظ بما رأى من هلاك عُصاة الأقوام، فأطاع ربَّه، وشكره على نعمة الإيمان، وعلَّق قلبَه بمقام الإحسان.

﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦ ﴾

• إنه لتمضي على مَكر الماكرينَ الأحقاب، ولكنَّ مكرَهم مثبتٌ عند الله، لم يَغلِب أمرَه، ولم يظهر على الدين الذي رفعَه، والله محيطٌ به، وجاعلٌ من أصحابه عِبرةً وعِظة.

﴿ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٤٧ ﴾

• تنزَّه اللهُ تعالى عن إخلاف وعده لجميع عباده، أفيُخلفُه مع رسله، وهم خِيرتُه من خلقه، وصفوتُهم من العالمين؟

• أنَّى لظالمٍ أو ماكرٍ أن يفرَّ من انتقام الله وعقوبته؟ فلتَسكُن قلوبُ المؤمنين، ولتهدأ نفوسُ المصلحين.

﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨ ﴾

• ما قدرةُ الإنسانِ الضعيفِ أمامَ مشاهد القيامة الهائلة كتبدُّلِ السماوات والأرض؟

حين يكونُ الملكُ لواحدٍ لا شريكَ له في ملكه، قهارٍ لا يغلبه أحدٌ، فإلى أين سيلجأ عبدُه الظالمُ الآبق؟

﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ ﴾

مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ: مُقيَّدين بالقُيود، قد قُرِنت أيديهم وأرجُلُهم بالسَّلاسل.

• تفكَّر في مصير أولئك الذين أطلقوا لخيالهم العِنانَ حتى ركب بهم صَهَواتِ الكفر والإلحاد، وأرسلوا ألسنتَهم لتفوهَ عن الله بوجودِ الشركاءِ والأنداد، ها هم بعد الإطلاقِ مقرَّنون في الأصفاد!

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠ ﴾

• تأمَّل في سرِّ اختيار القَطِران، فهو حارٌّ سريعُ الاشتعال، منتنُ الرِّيح، أسودُ اللون، تُطلى به الأجسامُ حتى تكونَ كالسَّرابيل، وما بينه وبين قَطِران الآخرة إلا كما بين نار الدنيا والآخرة.

• يا مَن تحرِصُ على وجهك من كلِّ أذى، وتجمِّله بما تقدرُ عليه من المجمِّلات، ألا تعمل على ما يمنعُه حرَّ النار؟

﴿ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٥١ ﴾

• قل ما تريدُ، واعمل ما تريد، ولكن لا تنسَ أن كلَّ نفس ستُجزى بما كسَبت.

• كيف سينجو الماكرون ومدبِّرو الشرِّ من ربٍّ شديدِ العقاب، سريع الحساب؟

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾

• القرآنُ كتابُ بلاغٍ وإنذارٍ، فأحسِن توظيفَ هذه الأهدافِ في دعوة الناس.

• لا فضيلةَ للإنسان ولا مَنقبةَ له إلا بما يُحسِنُه من إعمال عقله، ولتذكيرِ أمثالِ هؤلاء العقلاءِ جاءت الكتبُ والرسل.

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴿١﴾ ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴿٢﴾ ذرهم يأكلوا
ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴿٣﴾ وما أهلكنا
من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴿٤﴾ ما تسبق من أمة
أجلها وما يستأخرون ﴿٥﴾ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه
الذكر إنك لمجنون ﴿٦﴾ لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت
من الصادقين ﴿٧﴾ ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا
إذا منظرين ﴿٨﴾ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴿٩﴾
ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴿١٠﴾ وما يأتيهم
من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴿١١﴾ كذلك نسلكه
في قلوب المجرمين ﴿١٢﴾ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين
﴿١٣﴾ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴿١٤﴾
لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴿١٥﴾

٢٦٢

سُورَةُ الحِجْر

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾﴾

• ما أبينَ ألفاظ القرآنِ وأحسنَها وأوضحَها! فما حُجَّةُ مَن أعرض عنه؟

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾﴾

رُّبَمَا: رُبّما. وهو حرفٌ يدلُّ على أن ما بعده قليلُ الحصول.

• كم من متمنٍّ خائبٌ في أمنيَّته، معذَّبٌ بحسرته على عدم بلوغها! فلو تمنَّى الكفّار كونَهم مسلمين في الدنيا فأسلموا لانتفعوا.

﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾﴾

وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُ: ويَشغَلهم الطمَعُ في الدنيا وطُولِ البقاءِ فيها.

• كيف يهنأ بعيش، أو يتمتَّع بدنيا، أو يعكُف على حظٍّ وهوى، مَن يحيط به التهديدُ العظيم، والخطرُ الجسيم؟!

• ليس من أخلاق المؤمنين إيثارُ التلذُّذ والتنعُّم، وما يؤدِّي إليه طولُ الأمل، بل التمرُّغُ في ذلك من أخلاق الهالكين.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾﴾

كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ: أجلٌ مقدَّر.

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾﴾

• ليَحذَر الكافرون من إمهال الله لهم؛ فإن لهم عند الله قدرًا معلومًا، ولا يستبطئوا ذلك؛ فإن له أجلًا موقوتًا.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾﴾

• كيف يُوصفُ مَن نزل عليه أعظمُ كتابٍ بالجنون، وقد كان لديهم في المنزلة العليا من العقل والحصافة؟! غيرَ أن البغيَ يطمِسُ معالمَ الحقيقة.

• مهما أُكِّدت الدعاوى الباطلة بمؤكِّدات، فإنها تبقى مجرَّد افتراءات، لا قيمةَ لها ولا وزن، ما لم يأتِ أصحابُها عليها ببرهان، فكيف إذا أسقطتها أدلَّةٌ وبراهينُ لا تقبلُ الرد؟

• صبرًا قليلًا يا حمَلةَ الرسالةِ المحمَّدية، حين تواجهون التُّهمَ والسخريَّة، فكم لقيَ قبلكم سيِّدُ الخلق من السخريَّة والتكذيب!

﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾﴾

لَّوۡ مَا: هلَّا.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾

مُّنظَرِينَ: مُمهَلين ومؤخَّرين.

• الملائكة تنزل بالرحمة أو بالعذاب، فمَن لم يؤمن ويصدِّق بالكتاب المبين، الذي نزل به الروح الأمين، فإن الملائكة لا تنزل عليه إلا بالعذاب المُهين.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾

• لقد حفظ الله القرآن، فقيَّضَ له مَن يحفظه، حتى لو زِيدَ في القرآن حرفٌ واحد لأخرجه آلافٌ من الأطفال الصغار، فضلًا عن القُراء الكبار.

• لله الحمدُ الجزيل على حفظِ كتابه من التحريف والتبديل، مع كثرة أعداء هذا الدين الذين يتربَّصون به الدوائر، ويبغون له ولأهله الغوائلَ والفواقر، وهذا من آيات صدق القرآن أنه نزل من عند الله.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾

• من رحمةِ الله بعباده أن أرسلَ إليهم رسلًا يدلُّونهم عليه، ويرشدونهم إليه.

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾﴾

• لا ينقُص قدرَ الحقِّ استمرارُ استهزاءِ الناس به، وعلى الداعية ألا يحزنَ لذلك، فهذه سنَّةٌ جارية في دعوة الحق.

﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾﴾

نَسۡلُكُهُۥ: نُدخِلُه، أي: الكُفرَ والاستهزاء.

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

• ما كان من أمراضٍ في قلوب المجرمين الأوَّلين، سرى في قلوب الفاجرين اللاحقين، تشابهت قلوبهم فتشابه جحودُهم أنبياءهم، فكان مصير اللاحقين كمصير الأوَّلين.

• لم يكذِّب المجرمون القرآنَ جاهلين بصدقه، بل قد عرفوا أنه حقٌّ ثم كذَّبوه، فكانوا بذلك شرًّا ممن جهِلَه.

﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾

يَعۡرُجُونَ: يصعَدون فيرَون عجائبَ ملكوت الله.

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

سُكِّرَتۡ: سُدَّت ومُنعَت عن الإبصار.

• أيُّ بشرٍ ذاك الذي يجحَدُ الحقَّ الذي نزل من السماء كِبرًا وعنادًا؟! فإنه لو رأى فيها بعينيه ما رأى من آيات الله لكذَّب عينيه، واتَّهم عقله بأنه قد سُحِر!

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾

• لو تأمَّل المشركون في هذه السماء ذاتِ الأبراج لأيقنوا أنها من صنع الله، وليست بسحرٍ يصرفهم عن الحقيقة.

﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾

• سبحان مَن حفظ العوالمَ التي يَصدُر عنها الوحيُ من كلِّ عنصر خبيث، فلا يمكن لأحدٍ أن يجرؤَ على نَقص الوحي ولا الزيادةِ عليه!

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

• لم يأذَن الله لعبدٍ من عباده أن يطَّلعَ على الغيب، فضلًا عن التوغُّل فيه، فعلامَ يبحث بعضُ الناس عمَّا أراد اللهُ سترَه؟

• لا يمنعُ تفسيرُ الحوادثِ الكونية بالأسباب الطبيعية النظرَ إلى تفسيراتها الدِّينية، للانتقالِ من النظر في خلق الله إلى التفكرِ في الحكمة من ذلك الخَلق.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾

• لم يكن للبشرية العيشُ على الأرض لو كانت مضطربةً، تُدمِّرُ ما يُشادُ عليها، وتُخسَفُ كلَّ حين بأهلها، وتميدُ بهم فلا يستقرُّ لهم حالٌ عليها.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾

مَعَٰيِشَ: ما تعيشونَ به من معادنَ وحجارةٍ ونبات.

• على الناس أن يطمئنُّوا إلى أرزاقهم في هذه الأرض، فإن خالقَ الإنسان قد جعل فيها النبات بقَدر موزون يكفيهم، لكن أين المستثمرون لخير الله في الأرض؟

• وهل يَرزُق الدوابَّ والأنعامَ وسائرَ المخلوقات سوى خالقها؟ أما لو وُكِل الأمرُ إلى العباد لعجَزوا أو بخِلوا.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾

• إن رزقَ الله لعباده يدعو كلَّ عاقل إلى شكر هذا الربِّ الكريم، وعبادته دون شريك، ولكن أكثرَ الناس نظروا إلى الرزق، ولم ينظروا إلى الرازق الذي يملك الخزائن بعزَّته، ويتصرَّف فيها بحكمته.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

• مَن تأمَّل كيف ارتفعت مياهُ البحار والأنهار، وكيف غدت سحابًا ثِقالًا، وهي مع ثِقلها معلَّقةٌ في السماء، بدا له من أدلَّة القدرة ما فيه عِبرة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾

• ألم يلتفت نظرُ منكري البعث إلى الأرض كيف تحيا بالمطر؟ أوليس مُحييها بقادرٍ على أن يُحييَ موتى البشر؟

• علامَ يتمسَّك الناسُ بدنيا لن يبقى لهم منها نصيب، وما منها إلا وهو عائدٌ إلى الله وحدَه، لا ينازُعه فيه أحد؟!

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

• سبحان مَن كمَلت قدرتُه فلا يُفلت منه أحدٌ يطلبه، وكمَل علمُه حتى أحاط بكلِّ صغيرة وكبيرة، فلا يغيب شيءٌ عن نظره!

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

• مَن كمَلت قدرتُه وعلمُه لن يُعجزَه حشرُ عباده جميعًا؛ ليَقِفَهم بعد ذلك بين يديه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾

• ارتقاء الطين من طبيعته إلى أفق الحياة العضوية أوَّلًا، فإلى الحياةِ الإنسانيَّةِ أخيرًا، هو سرٌّ يعجز عن تعليله البشر، فسبحان مَن جعل من الطين إنسانًا تامَّ الخِلقة!

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

• يخلُق من التراب إنسانًا، ومن النار جانًّا، ومن النور ملائكة! إنه سبحانه الخلَّاق العليم.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا
عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ
لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ
﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن
قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا
مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

٢٦٣

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾

• شرف الموجودات بمزاياها وأعمالها، لا بمادَّتها وعنصر انحدارها، فاعمل لتشرُف، ولا تغترَّ بمادَّتك وعنصرك.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾

• روحك أيها الإنسان مخلوقٌ كسائر مخلوقاته، لكنَّه أضافه الله إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا، فلا تُهن نفسَك بمعصيته.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

• على المسلم سرعةُ المبادرةِ إلى تنفيذ أمر الله من غير تخلف أو تأخر، فهذه حقيقةُ العبوديةِ والانقياد لربِّ العباد.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾

• من العجيب أن يُواليَ المرءُ مَن هو مغرقٌ في عداوته، أو ينتظر منه حسنَ نصيحته، وهو الذي ناصبَ أباه آدمَ العَداء، وتوعَّد أبناءه بالاعتداء!

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
الحزب ٢٧ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾

• أُنظِر إبليسُ إلى حِلم الله وعدله، فلم يعاقبه إلا بعد أن قرَّره بخطيئته، مع علمه بحقيقة أمره.

﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾﴾

• ألم يدُر في خلَد إبليسَ أن ما يرفع آدمَ هو النفخةُ العلوية لا صورتُه أو مادة تكوينه؟ أم تعامى عن ذلك شأنَ مَن يتغاضون عن صفات الكمال فيمن سواهم كِبرًا؟!

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾

• وصفُه بالرجيم برهانُ تلوُّث الطويَّة وخُبث النفس، فإنه أظهر خُبثًا لا يُرجى بعده صلاح، فأنَّى له أن يستحقَّ البقاء، في عالم الطُّهر والنقاء؟!

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾

• لبئس ما جناه الشيطانُ بحسَده وكِبره؛ لعنةً تستمرُّ معه أبدَ الآباد.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾

• مجرَّد معرفة يوم البعث لا يكفي، بل لا بدَّ من العمل لأجله والاستعداد لملاقاته.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

• ليست إجابةُ اللهِ تعالى لاستنظارِ الشيطان إكرامًا له ولا رضًا عنه، بل ليكونَ امتحانًا يصطفي به عباده الطائعين، ويستخلص منهم الصادقين المتَّقين.

• إذا وسوَس لك الشيطانُ بأن الله لن يجيبَ دعاءك بسبب ذنوبك فقل له: قد استجاب الله لك بعضًا من دعوتك، وأنت شرُّ خلقه!

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾

• هل عرَفتَ واقعَ عدوِّك، ومدَّة عداوته لك، وسبيله إليك؟ لقد أعلن إبليسُ العداوة للبشر بعد أن لعنه الله إذ لم يسجد لأبيهم، وعزم على التربُّص بهم إلى يوم فَنائهم، واختار التزيين سبيلًا لإغوائهم، ومَن لم يعرف عدوَّه حقَّ المعرفة لم ينتصر عليه.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

صِرَٰطٌ: طريق.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

• إذا شئت الخلاصَ من إغواء الشيطان فاستقم على أمر الله، وسيرعاك ويحفُّك بحفظه وعنايته وكلاءته.

• بقدر تحقيقك لعبودية الله يضعُف سلطان الشيطان عليك.

• إذا شئت الخلاصَ من إغواء الشيطان، والنجاة من نار الجحيم، فأخلص لله على طريق العبودية، واستقم له في اتباع أمره، فهو الحافظ وهو النصير، وإليه المرجع وإليه المصير.

• الغاوون صنوفٌ ودرجاتٌ، والغَواية أشكالٌ وألوان، ولكل غاوٍ وغَواية ما يُناسبُ من الجزاء.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

نَصَبٌ: تعبٌ وإعياء.

• يا بشرى المتَّقين بوعد ربِّ العالمين! فهم بعد البلاء في الجنَّات سالمون آمنون، وفي هناء النعيم خالدون، فانصَبِ اليوم في طاعة الله تنعَم في الجنَّة بالراحة والرخاء.

• لا يليق بالجنَّة أن يدخلَها أحدٌ وفي قلبه شيءٌ من الفساد، ولا يطيب لقاء الإخوة إلا بعد صفاء المودَّة، فإذا كنَّا سنقابل إخواننا في الجنَّة إن شاء الله متآلفين، فعلامَ نتمادى في الخصومة متنافرين؟!

﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

• أبشِر يا بنَ آدم بمغفرةِ الله ورحمته إذا تُبت إليه واسترحمته، فلا تحرِم نفسَك هذا الفضلَ بالاستمرار على السخَط والعِصيان.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾

• مَن ذا يعذِّبُ كعذابِ الله؟ ذاك العذابُ الذي لا يقدِر قدرَه أحد، ولا يبلغُ كُنهَه تَصورٌ ولا خيال؛ نعوذ بالله من غضبه وعقابه.

﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾

• قِصصُ الأنبياءِ جديرةٌ بالتحديث والإنباء، لما فيها من العِبر والعظات، والمصالح والهدايات.

• يقُصُّ الله من أخبار السابقين ما يدلُّ على رحمته بأوليائه، وغضبه على أعدائه.

إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

٢٦٥

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

وَجِلُونَ: فزِعونَ خائفون.

• سلام الداخل على غيره مفتاحُ أمان، وشعارُ اطمئنان، وسنَّةٌ قديمةٌ بين عباد الله الصالحين.

﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾

• بشِّر مَن تزوره بما يُفرحه ويُطمئِن نفسَه، وآنِسه بما يُزيل هواجسَه، ولا تدَع خواطره تذهب به كلَّ مذهب.

• ما أحسنَ البِشارةَ التي تَهطِلُ على النفس بعدما أصابها الوجل! فتزيحُ عنها خوفَها، وتفتحُ أمامَها أبوابَ الأمل.

﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

• تعجَّب خليلُ الرحمن من عطاء ربِّه؛ لأن عطاءه سبحانه عظيمٌ لا تحدُّه حدود، فلمَّا أجملوا له البِشارةَ سأل عن بيانها.

﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾

ٱلْقَٰنِطِينَ: اليائسين.

• إذا جاءت البِشارةُ عن طريق الوحي فهي كائنةٌ حقًّا؛ لأن مصدرها الحقُّ الذي لا باطلَ فيه.

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

• إن القلبَ النديَّ بالإيمان، المتصلَ بالرحمن، لا يقنَطُ مهما أحاطت به الشدائد، وثقُلَ عليه الواقع؛ لأنه يستشعرُ رحمةَ ربِّه ورأفتَه، وبرَّه وإحسانه.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾

• الإنسانُ الرزينُ، اللبيبُ الحليمُ، لا تُنسيه أفراحُه الخاصةُ شؤونَ الناسِ العامة، وهكذا ينبغي أن يكون أهلُ العلمِ والدعوة.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

• الإجرام بريدُ الهلاك، وعنوانُ الزوال، وطريقُ المكروهات، ونزولِ العقوبات.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾﴾

• في نزول العقاب على أهل العصيان نجاةٌ لذوي الإيمان، وتحريرٌ إلى بيئة الطهر.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

• إذا انفصمت عُرا الإيمان لم ينفع نسبٌ ولا قرابة ولا مصاهرة، ولا يُغني عن المرء إلا عملُه.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾﴾

• حين كفر قومُ لوطٍ برسُل الرحمة أرسل اللهُ جلَّ وعلا إليهم رسُلَ العذاب.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

• إن الكريم يُستنكر وجودُه بين اللئام، ويُخاف عليه من سفاهاتهم وبذاءاتهم.

﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

• مهما شكَّ المجرمون بعذابهم واستبعدوه فإنه آتٍ إليهم، ونازلٌ بهم.

﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾

• نزولُ الخسفِ والمسخ، والعذابِ والهلاك والدمار بالمجرمين، هو من الحقِّ الذي يستحقونه، والعدلِ الذي يستأهلونه.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

• الأنبياء وورَثتُهم مسؤولون عن أتباعهم من المؤمنين، بالأخذ بأيديهم إلى سبُل النجاة، وحثِّهم على سلوكها، والصبر على مشاقِّها.

• متى ما وضَحت لك الجادَّةُ فسِر ولا تلتفِت، فلربَّما كان في التفاتِك التعثُّرُ أو التأخُّر.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾

• ما أشأمَ المعصيةَ على عموم أمَّة العاصين! إنها تُهلكها فما تُبقي منها ولا تذَر، ولا ينجو من بلائها إن حلَّ كبيرٌ ولا صغير.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

• أمَّةٌ فشا فيها منكرٌ تستقذرُه الفِطَر، واستُسيغَ بين أهلها وانتشر، حتى صار يتداعى له الرجالُ بلا خجل؛ ألا تستحقُّ البلاءَ المُهلِك؟

﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾

• قد لا تستطيعُ إيقافَ تيارِ الفُجور، ولا أن تردَعَ مَن لا نخوةَ فيه ولا شعور، ولكن حسبُك فِعلُ ما تقدرُ عليه من الإنكار، ووسائلِ الكبح، فتبرِئُ بذلك ذمتَك.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾

• على الداعيةِ أن يَطرق بابَ الوازع الديني حتى مع الكفرة، لعل مغلاقَ القلب يَفتحُ له.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾

• مَن يصدعُ بالحقِّ المخالفِ للباطل المنتشر فإنه سيُعيَّرُ بمخالفة القوانين والعادات، وعدمِ الإنصات لتعليمات النواميسِ السائدة، ومتى احتاج النطقُ بالحقِّ الذي لا لَبسَ فيه إلى ترخيص؟!

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ٧٢ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ٧٣ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ٧٨
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ٧٩ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ
٨١ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ٨٣ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤
وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي
وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا
مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَقُلۡ
إِنِّيٓ أَنَآ ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ٨٩ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠

٢٦٦

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١﴾

• يُوجدُ لدواعي شهواتِ الفطرة طريقٌ حرام، بجانبه طريقٌ حلال يدعو إليه الأنبياءُ، ولا يأباه من الناس سوى مَن فسَدت فطرُهم، وضعُفت عقولُهم.

﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾

• تفعلُ الشهواتُ بصاحبِها فعلَ الخمرة في عقل محتسيها، حتى لا يباليَ إذا استهوته بمن يلومُه فيها وينهاه عنها.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ٧٣﴾

• ليستيقظِ الغافلُ قبل أن تَقرعَ مسامعَه صيحةٌ تجعلُه يُفيقُ من سكرته مذعورًا، ليساقَ بعدها إلى عذابٍ مُهين.

﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤﴾

• الجزاءُ من جنسِ العمل، فإن قوم لوط انتكسَت فطرتُهم فانتكسَت بهم قريتُهم، وتحجَّرت قلوبُهم فرُموا بالحجارة القاسية، فهل من معتبِر؟

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾

• العِبَر لا ينتفعُ بها إلا من تفكَّر، وقاسَ المذكورَ له على ما لم يُذكر، ووازن بين المنكرات ليعلمَ أن بعضَها أنكرُ من بعض.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ٧٦﴾

• كم من الآياتِ التي جرت لبعض القرى، تمرُّ عليها الأجيالُ بعدَ الأجيال، فترى شواهدَها، وتسمعُ أخبارَها، وتنطقُ آياتُها بما فعل اللهُ بأهلها!

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧﴾

• من شأن المؤمنِ العاقل أن يقرأ أحداثَ التاريخ قراءةً واعية، فيُعمِلَ عقلَه بالتفكر والاعتبار فيما خُلِق لأجله.

﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ٧٨﴾

• يا مَن أعطاه اللهُ من النِّعمِ ما فُضِّل به على غيره، لا تظلِم نفسَك ولا مَن حولك؛ فعاقبةُ الظالمين وخيمة.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ٧٩﴾

• وقوعُ القرى الداثرة على الطريق المطروق أدعى للعبرة، فهي شاهدٌ حاضرٌ يراه الرائحُ والغادي، والحياةُ تجري من حولها وهي دارسةٌ كأن لم تكن يومًا عامرة.

﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠﴾

• لقد كذَّب أصحابُ الحِجر رسولًا واحدًا، فصاروا مكذِّبين جميعَ المرسلين؛ لأن تكذيب رسولٍ منهم تكذيبٌ لجميعهم، فما أشنعَها من فِعلة!

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٨١﴾

• ما أكثرَ آياتِ اللهِ في الكون! فهي معروضةٌ للأنظار والأفكار، فلو فُتِحت لها العيونُ والقلوب، واستشعرتها العقولُ والضمائر لاعتبرت.

﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢﴾

• ما منعت وقوعَ النكال بيوتٌ منحوتةٌ من الصخر، محصنةٌ في صُلب الجبال، فمن ذا يأمنُ بعد ذلك على نفسِه؟!

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ٨٣﴾

• إلى أين يفرُّ المغرور، والكونُ كلُّه في قبضة خالق الخلق الذي أخمدَ جبروتَ المتجبرين حيث تحصَّنوا بصيحةٍ واحدة؟

﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤﴾

• مهما استغرق العبدُ من زمانٍ في إحكام صنعةٍ يرجو بها الحماية من العذاب، فما هي بنافعته شيئًا إن وقع عليه عذابُ الله.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾

• كما أن السماواتِ والأرضَ خُلقت لإقامة العدل والثواب والعقاب، فإن الساعة آتيةٌ كذلك، فأين المهربُ للمكذِّبين والشاكّين؟!

• نِعمَ العبدُ مَن إذا عفا وصفحَ لم يُتبِع صفحَه ذلك منًّا ولا أذًى، بل هو سليمُ الصدر، لا يحملُ فيه غِلًّا ولا حقدًا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾

• الخلّاق أعلم بما سيَجري على خلقه، وبما يَصلُح لهم، فأولو الألباب يصدِّقون أخبارَه، ويستسلمون لأمره.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾

• كما أحسن اللهُ إلى نبيِّه وعوَّده جميلَ صنائعه، فإنه سيمتنُّ عليه، ويُنجز له جميلَ ما وعده.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾

• لا تُرسِل نظراتِ الاستحسان إلى ما مُتِّع به العُصاة، فإن في موعود الصالحين غُنيةً وكفاية.

• لأهلِ الإيمان حقٌّ من التخلُّق بالتواضع لهم، وأما الكافرون المعرضون فلا تحزن عليهم، ولا تطلب ولايتهم.

﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ٨٩ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠﴾

• لا يُصدِّقُ بعضَ كتابِ الله دون بعض إلا سائرٌ على نهج مَن حلَّ بهم العذابُ ولم يعتبر.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ السَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب
أَتَىٰٓ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوٓا أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
الْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَٰمَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

٢٦٧

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾

• مَن فرَّق بين آيات كتاب الله فآمنَ ببعض وكفر ببعضٍ، هو كمَن أراد الانتفاعَ بحياة حيٍّ وقد فرَّقه أعضاءً، فأنَّى يكون ذلك؟!

• تفرَّق أعداءُ القرآن في أوصاف ذمِّه، وعبارات التنقُّص منه، ولكنَّهم اتفقوا في الكفر به، وجحود ما جاء فيه.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾

• ألا فليستعدَّ لسؤالِ الربِّ الخالق كلُّ مَن عادى القرآنَ وكذَّب به أو ببعضه.

﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

• ما أشقَّ أن يُحاسَبَ العبدُ على كلِّ صغيرةٍ اجترحها، وكلِّ كبيرة اقترفها! فإنه مَن نُوقش الحسابَ عُذِّب، فكيف بما وراءه؟!

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

• يا سائرًا على الطريق المستقيم وسهامُ الأذيَّة مسدَّدةٌ إليه من كلِّ جانب؛ اصدَع بالحقِّ واصبِر عليه، فقد أصاب نبيَّك ومَن معه ما لم يُصِبك، وإن الله ناصرُ المتَّقين، ومذيقُ الكافرين عاقبةَ أفعالهم.

• من دلائل النبوَّة أنه ما تظاهر أحدٌ بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾

• إن من لطف الله وإكرامه أنه يعلم ما يحمله قلبُ الداعي إلى الحقِّ من الغموم والهموم الدعوية، فيثيبُه عليها ويأجُره على حملها.

• ليس هنالك من نفيس لا تؤلمها الكلماتُ الجارحات، فالمؤمنُ يؤلمه سماعُ الطعن في الدين، والتكذيبُ بربِّ العالمين، واتهامُ دُعاته المخلِصين.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾

• بذكر الله تعالى وبالصلاة الخاشعة يتَّسعُ الصدر، وتَسعَدُ النفس، وينشرحُ القلب.

• إذا نابتك نائبةٌ وضاق صدرُك بضيقٍ فافزع إلى السجود، ففيه الراحةُ والسكينة، والطُّمأنينة والانشراح.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

• إذا أردتَّ أن ترى بعضَ مظاهرِ لطفِ الله تعالى بنبيِّه ﷺ فتأمَّل خطابَه له، وإضافتَه إليه.

• تقرَّب إلى ربِّك لتقوى عزيمتُك، ولا تفتُر عن عبادته، فكيف يفتُر مَن هو في وظيفة العمر التي لا استقالةَ منها حتى تؤدَّى على أكمل وجه؟!

سُورَةُ النَّحْلِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾

• حين يريد الله شيئًا كقيام الساعة، يتحقَّق موعودُه، وتمضي مشيئتُه التي لا يقدِّمها استعجال، ولا يؤخِّرها رجاء، ولا يحجُزه عنها من الخلائق أحد.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوٓا أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾

• سورةُ النِّعم هذه تبدأ بأجلِّ النِّعم، وهو التعريف بـ (لا إله إلا الله)، فلا نعمةَ أعظمُ من التوحيد.

• سبحان مَن يغيث بالوحي العباد، لتنهلَ منه القلوبُ التوحيد، فتحيا به النفوسُ والعقول والضمائر، كما تحيا بالغيث البلاد!

﴿خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾

• إن متمماتِ النِّعم ومكملاتها لَتدلُّ العبدَ على أصولها وقواعدها، ألا ترى كيف تنادي عظمةُ خلقِ السماوات والأرض بأنه لا إله إلا الله؟

﴿خَلَقَ الْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾

• لو تفكَّر الإنسانُ في خلقه وعرَف أوَّلَ أمره ما تكبَّر، ومَن كان أصلُه من نطفةٍ فعلامَ يترفَّع؟!

﴿وَالْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾

• قد جعل الله في الأنعام منافعَ تشمَلها، ففي جميع جلودها الدِّفء الذي تمَسُّ الحاجة إليه، ومنافعَ تختصُّ ببعضها؛ من الدَّرِّ والركوب والحَمل والحراثة والأكل الذي يستفيد منه معظم الناس، فهل شكرَ العبدُ ربَّه على هذه النعم؟

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾

• كم في الأنعام من منظرٍ بهيج وهي رائحةٌ غادية، قد أخذت العيونَ إليها؛ حافلةً ضروعُها، ممتلئةً بطونُها، فلصاحبها بين الناس زينةٌ ومكانة.

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ
وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم
مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ
١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا
أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣
وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا
وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ
فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤

٢٦٨

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾

أَثۡقَالَكُمۡ: أمتعتكم الثقيلة.

• تأمّل كيف يخفّف الله عن العباد، وييسّر لهم سبل العيش المريح، أفلا يشكرونه ويطيعونه؟!

• هل لاحظتَ عظيمَ رحمةِ الله تعالى بك في تذليله الوسائلَ لك؟ وما العقلُ البشريُّ في اختراعاته إلا امتدادٌ لتلك الرحمة.

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾

• لا حرَجَ في طلب الجمال والزينة والتمتع بنعم الله تعالى، ما لم يصاحب ذلك محظورٌ من فخر وخُيلاء، أو سرَفٍ وأخذٍ من غير حِل.

• ما تركبُ من مركبٍ في السماء ولا في الأرض؛ برِّها وبحرِها، مما لم يكن في عهد الصحابة؛ إلا وهو داخلٌ في بعض كلماتِ هذه الآية.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩﴾

قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ: بيانُ الطريقِ المستقيم، وهو الإسلام.

جَآئِرٞ: مائلٌ عن الاستقامة، وهو ما خالفَ الإسلام.

• أيظنُّ عاقلٌ أن مَن يسخِّر له ما يُعينه على وصوله إلى بغيته في دنياه، يغفُل عن أن يبيِّن له ما يُعينُه على وصوله إلى مبتغاه في أخراه؟! حاشاه سبحانه.

• سبيل الحقِّ من صنع الله تعالى، لكنَّ السبلَ الجائرة قد ابتدعها أهلُ الضلالة، فلا العقلُ يَشهدُ لها، ولا الفطرةُ تميلُ إليها.

• خلق اللهُ سبحانه في العبد الاستعدادَ للهدى والضلال، وجعلَ منه قادرًا على اختيار ما يُريد من قاصدِ السبيل أو جائره.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠﴾

تُسِيمُونَ: تَرعَونَ دوابَّكم.

• ما أعظمَ نعمةَ الماء! فإنه لا تقوم حياةٌ في الدنيا لإنسانٍ أو حيوانٍ أو نباتٍ من غير ماء، ولو شاء اللهُ أمسكه أو جعله أُجاجًا، ولكنّه لطفُ الله بخلقه.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾

• أما تفكّرَ الإنسانُ في الزروع والثمار التي تفيده؛ هل يُنبتها غيرُ الله؟ لو شاء اللهُ لجعلَ في البذور ما يُهلكُها، فلا قدرة للعباد حينها على ردِّ قضاء الله وقدره.

• المتفكرون ينظرون إلى حكمةِ التدبير، ويقرؤون ما وراءَ التقدير، فيرون في المطر وما يبعثُه من الحياة دَلالةً على البعث ليوم المعاد، وعلى توحيدِ ربِّ العباد.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾

• سخَّرَ اللهُ هذا الكونَ لعباده تسخيرَ تكريم؛ حتى ينتفعوا به، وتسخيرَ تعريف به؛ حتى يُعمِلوا فيه عقولَهم، فيستدلّوا به على قدرةِ الله وعظمتِه، ووحدانيَّته ورحمته.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾

ذَرَأَ: خلَق.

• ما في الأرض جميعًا ذرأه اللهُ لمصالح عباده، ولهم فيه مصلحةٌ بوجهٍ ما، علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها.

• انظر إلى ألوان النِّعم التي حباك الله إيّاها، في مطعمِك ومشربك وملبسك ومسكنك، وتأمّل نعمةَ الألوان فيما أنعم به عليك؛ يُسَرَّ قلبُك ويَبهجْ ناظرُك.

• مَن تفكَّر تبصَّر، ومن تبصَّر تذكَّر، ومن تذكَّر حَمِدَ وشكر، على أن من النِّعم ما لا يحتاجُ إلى كبير تفكرٍ وتبصُّر، بل يكفي أن يراها الناظرُ فيتذكر.

• الآيات الكونيَّةُ كالآيات القرآنيَّة، تحتاج إلى مزيد تفكُّر، فما أعظمَ اعتبارَ مَن تفكَّر فيها جميعًا، فجمع في تفكُّره بين الآيات المسطورة، والآيات المنشورة!

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾

• كم في جوفِ البحر وسطحه من آية! ففي باطنه يضمُّ شهيَّ الأطعمة ونفيسَ الحِلية، وفي سطحه ينشر السفُن التي تقطعُ مسافاتٍ بعيدةً محمَّلةً بالناس والبضائع، يحميها الله من المهالك والأخطار.

• لقد أعطى اللهُ العبادَ من مصالحهم ومنافعهم فوق ما يطلبون، وآتاهم من كلِّ ما يسألون، فلله الحمدُ والشكر، لا نحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه.

وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ
غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم
مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم
مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا
أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم
بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

٢٦٩

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

أَن تَمِيدَ: لئلَّا تَميلَ وتضطرِب.

• لو لم تكن الأرضُ قرارًا فهل كان سيطمئنُّ عليها أحد، أو يثبُت عليها بناء، أو يُعمَل فيها بصناعةٍ أو تجارة أو حراثة؟!

• لقد سخَّر الله الجبالَ مع قساوتها، والأنهارَ مع سَيَلانها في مصالح العباد، وجعل بين ذلك طُرقًا يهتدون بها إلى ما ينفعهم، فالحمد لله على تيسيره.

﴿وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

وَعَلَامَاتٍ: ومَعالِمَ تستدِلُّون بها على الطريق نهارًا.

• سبحان خالقِ الأرض والسماء والمسخَّرِ ما فيهما لخلقه! ففي الأرض معالمُ تَهدي السالكين، وفي السماء مناراتٌ تهدي الحائرين.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾

• بعدَ الدلائلِ الباهرة على كمال القدرة الإلهية فإنه ما ثمةَ إلا خالقٌ واحد، فكما أنه واحدٌ في خلقه وتدبيره، فإنه واحدٌ في إلهيته، فعلامَ يُعبدُ غيرُه؟!

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

• إذا كنَّا لا نستطيع حصرَ نِعَمِ الله عدًّا، فإنا غيرُ قادرين على حصرها شكرًا، ولكن حسبُنا ألا تزالَ ألسنتُنا بالشكر رطبة؛ لنؤدِّيَ بعضَ الحقِّ علينا.

• سبحان مَن يغفر لعباده تقصيرَهم في الشكر، ويشملهم برحمته، فيُجري نعمَه عليهم في كلِّ لحظةٍ ونفَسٍ وحركة، مع أن أكثرهم ظلومٌ كفَّار!

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾

• توجَّه بقلبك وعقلك إلى مَن يعلم سريرتَك وعلانيتَك، وليس كذلك إلا اللهُ.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

• هل من العقل أن يترُكَ العبدُ مَن هو القادرُ على كلِّ شيء، ويتعلَّقَ بمخلوقٍ عاجزٍ ضعيفٍ غيرِ قادرٍ على نفع نفسه؟

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾

• بئسَ العبدُ الذي ينصرف عن عبادة الحيِّ القيُّوم الذي لا يموت إلى عبادة مَن هو بسلطان الموت مقهور، وإلى عَرَصات القيامة محشور.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• لا ينفكُّ الإيمانُ بالله تعالى عن الإيمانِ بالبعث والجزاء، فهناك تتجلَّى حكمتُه، ويظهرُ عدلُه، سبحانه وتعالى.

• إن المؤمنَ بالآخرة له قلبٌ مطمئنٌّ بوحدانيةِ الله، يَطلبُ الدلائل ولا ينكرُ البرهان، ويخضعُ للحقِّ ولا يستكبر عنه.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

لَا جَرَمَ: حقًّا.

• لن يحظى متكبرٌ بمحبة الله، فإن الله لا يحب إلا المتواضعين الخاضعين لجلاله.

• مَرَّ الحسينُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما على مساكينَ يأكلون، فدعوه فأجابهم وأكلَ معهم، وتلا: {إنه لا يحب المستكبرين}، ثم دعاهم إلى منزله، فأطعمَهم وأكرمَهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ: أخبارُ السابقين الباطلةُ المكذوبة.

• من أهلِ الباطل مَن لا يجدون في الوحي ولا فيمَن أنزله أيَّ مطعَن، فيجعلون حربهم في إنكار مجيئه من عند الله، وفي وصفه بأوصافٍ كاذبة تنفِّر الناس عنه.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

• ما أثقلَ الأوزارَ حين يحملها صاحبُها كاملةً غيرَ منقوصة! فكيف بمَن يزيد على ذلك ويحمل من أوزار غيره؟!

• ما أسوأ حالَ داعي الضلال يومَ المآل! فقد ضلَّ وأضلَّ، فحمل إثمَ نفسه، وإثمَ مَن ضلَّ بإضلاله.

• لفقدِ العلم النافع ضررٌ كبير، يؤدِّي إلى الضلال والإضلال، وحمل السيِّئات والأوزار.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

• عاقبة الذين يُدبِّرون أمورًا يَكيدون بها الأنبياء ودعواتهم وحملتَها أن يعود كيدُهم عليهم حتى يهلكَهم اللهُ به.

• من العذاب ما لو جاء تدريجيًّا لخفَّ على النفس، لكنَّه حين يأتي فجأةً فإنه أشدُّ نكايةً وأعظمُ وقعًا.

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُوا۟ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ
لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾
ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ
ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن
تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

الحزب ٢٧

٢٧٠

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

يُخْزِيهِمْ: يفضحهم ويُذِلُّهم بالعذاب.

تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ: تحاربون وتجادلون الأنبياء لأجلهم.

• لا يخالفُ عبدٌ صريحَ ما أمر الله به إلى ضدِّه، فيكون في شِقٍّ والوحيُ الإلهيُّ في شِق؛ إلا كان مآلُه الخزي.

• نجا مَن استمعَ موعظةَ أهلِ العلم اليوم، وأما مَن جعلَها دَبْرَ أذنيه فيوشكُ يومَ القيامة أن يسمعَ منهم ما يخزيه.

• لأهلِ العلم فضيلةٌ عظيمة، فإنهم الناطقون بالحقِّ في الدنيا، ويومَ القيامة، ولقولهم اعتبارٌ عند الله، وعند خَلقه.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ: فاستسلَموا لأمر الله.

• الرَّزيَّة كلُّ الرزيَّة أن يظلِمَ المرء نفسَه، ثم تُقبَض روحُه وقد خُتم له بذلك الوصف الشنيع.

• لا يَسَعُ المشركين بعد الدنيا غيرُ الاستسلام لأمرِ الله فيهم، فالإنكار لا ينفعُهم لدى علّام الغيوب.

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

مَثْوَى: مَقَرُّ.

• اتسعَت جهنَّمُ حتى صار لها أبواب، ولكلِّ بابٍ أصحاب يتباينون في العذاب، وكلٌّ منهم له حساب.

• بئس مَقامُ الذلِّ والهوان لمَن تكبَّرَ عن اتباع الرسالات، وأبى الاهتداءَ بالمواعظ والآيات!

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُوا۟ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾

• المتَّقون يدركون أن الخير هو قِوام دعوة الحق، وأساسُ ما أنزل ربُّهم من أمرٍ ونهي، وتوجيهٍ وتشريع.

• مَن أوتيَ القرآنَ فقد أوتيَ الخيرَ كلَّه، فلا ينبغي له أن يَرى أحدًا من أهل الدنيا خيرًا منه، وإلا سخِطَ نعمةَ الله تعالى عليه.

• إذا رأيتَ عاقبةَ مَن يرى القرآنَ أساطيرَ الأولين، ومَن يراه الخيرَ كلَّه، علمتَ أن لكل قولٍ ما يستحقُّ صاحبُه من العقابِ أو الثواب.

• مَن أحسنَ في هذه الدنيا بالإيمان والطاعة جوزيَ بحالةٍ حسنة من النصر والعزِّ، مع الهداية إلى القول السديد، والفعل الحسَن الرشيد، الذي يكون به الفوز في الآخرة.

• مهما كانت دنيا المؤمن رضيَّة، وعيشتُه فيها هنيَّة، فإن الآخرة خيرٌ له منها؛ صفاءً ودواما، وعطاءً وإنعاما، وملذَّاتٍ ومسرَّات.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾

• لا يجدُ المرءُ جميعَ ما يشتهي إلا في الجنَّة، فهنالك لذَّة القلوب، وسرورُ الأرواح، وما لا يخطُر على قلب بشرٍ من ألوان السعادة.

• تقوى اللهِ تعالى هي بابُ دخول الجنَّة، فما طرقه صادقٌ إلا عظُم رجاؤه بدخول تلك الدار.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

• لا تزيد البلايا المؤمنين إلا طِيبًا، فبها يؤهَّلون لدار الإكرام، ويُتلقَّون هناك بالترحيب والسلام.

• كيف لا تطيب قلوبٌ أُشربت معرفةَ الله ومحبَّتَه، وألسُنٌ لَهِجَت بذكره والثناءِ عليه، وجوارحُ عملت بطاعته؟!

• لا يدخل الجنَّةَ إلا نفسٌ طاهرةٌ من خَبَث الذنوب، فما أعظمَ ما يُقال للمتَّقين: {طِبتُم فادخُلوها خالدين}.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

يَنظُرُونَ: ينتظِرون.

• ليحذَرِ الظالمُ من التمادي في ظلمه، فإنه متى حقَّ العذابُ على أهله، نزل عليهم من الله بعدلِه، وما ظلمَهم بأخذِه، ولكن ظلموا أنفسَهم بمعصيته.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

• مَن أساء أصابه سوءٌ من جرَّاء فعله؛ فإن السيِّئة تجرُّ صاحبها إلى المهالك حتى تُرديَه.

• ألا يخشى مَن يستهزئُ بالوعيد أن يصيبَه ويُحيطَ به، فلا يُفلِتَ من شدَّته؟!

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن
شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ
حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ
وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ
لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

٢٧١

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

• لا حُجَّةَ للعبد على الله تعالى ولا عُذرَ إذا خالف أمرَه فآخذه؛ لأنه قد جعل له قوّةً ومشيئة، وقدرةً وتمكينًا، وإنما الاحتجاجُ بالقدَر على المعاصي من فعل المشركين، إذا جاءهم الحقُّ المبين.

• الحكيم من البشر لا يسلُك مسلكَ قومٍ عُذِّبوا على سلوك ذلك الطريق؛ إذ لو كان الله راضيًا عن أفعالهم لما انتقم منهم.

• ما على الداعية أن يستجيبَ الناسُ لدعوته، بل حسبُه أن يجتهدَ في إبلاغ الحق، والله تعالى وحدَه هو الهادي إلى سواء السبيل.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾

الطَّاغُوتَ: كلّ ما يُعبد من دون الله، وكلّ داعٍ إلى ضلال.

• أوجبُ الواجباتِ على الأمم التوحيد، فمتى فرَّطت فيه أمَّةٌ فقد فرَّطت في رأس الأمر الذي أرسل به رسولُها.

• يزوِّد الله تعالى العبدَ بمعالم الطريق؛ في نفسه وفي الآفاق، وله مشيئتُه الحرّة في الاختيار، والأمر لله تعالى في هدايته أو تركه.

• كما أن الغذاءَ الصالح ينفع المزاجَ السَّويَّ ويُقوِّيه، ويضُرُّ المزاجَ المنحرف ويُفنيه، فكذلك ما بُعث به الأنبياء يقبلُه السعداء، ولا يستسيغُه الأشقياء.

• سَلِ اللهَ تعالى التوفيقَ وألّا يَكِلَك إلى نفسك، فإنه مَن لجأ إلى الله هداه، ومَن وكَله إلى نفسه وكَله إلى عجزٍ وضَيعةٍ وجهل.

• مَن تأمَّل آثارَ الأمم الغابرة وعرَف أخبارَها زادته بأخبارِ القرآن يقينًا، وبقصصه اعتبارًا.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

• مَن أضلَّه الله تعالى لاستحقاقه الضَّلال فلن ينفعَه حرصُ الحريص على هدايته، لأن الله تعالى بعدله قد حكم بغوايته.

• هل يصبر مَن اختار الضلالَ في الدنيا على المآلِ العصيب في الآخرة، يومَ لا يجدُ له فيه ناصرًا ولا معينًا؟!

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ: غاية اجتهادهم بالأيمان المؤكَّدة.

• عجبًا لمَن يُظهر تعظيمَ الله تعالى بالقَسَم باسمه، ولكن على عقيدةٍ تؤمن بعجزه سبحانه عن بعث الأموات! فأيُّ تعظيمٍ هذا؟!

• قد ألزم الله نفسَه ببعث الأموات لعدله وحكمته، وهو الذي لا مُلزِمَ له سبحانه، أتراه يدَعُ هذا الحقَّ الذي عليه؟!

• حين يجهل العبدُ عقيدةَ البعث والنشور، فإنه يستمرُّ في الضلال والفجور، لذلك كثُرت الآياتُ الدالّة على قدرته سبحانه على إحياء عباده؛ لئلّا يغفُلوا عنه.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾

• أتُراه سبحانه يدَعُ كلَّ مخالفٍ للحقِّ ممَّن يدَّعي لنفسه الادِّعاءاتِ الكاذبة، ويفتري على أهل الحقِّ الافتراءات الباطلة؟! كلا، بل سيبعثهم جميعًا ليوم عظيم يُظهر فيه حقَّ المحقِّ وباطلَ المُبطِل، فلا يختلف في الحقِّ أحدٌ بعد ذلك.

• إن لم يعلمِ الكافرون مدى كذبهم في الدنيا فسيعلمونه يوم المعاد؛ ففي الدنيا قد يظنُّون أنهم صادقون فيما هم فيه مشركون.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

• أيها الإنسانُ استجِب لله وتوكَّل عليه، وفوِّض جميعَ أمرك إليه وثِق به؛ فإنه لا يَعسُرُ عليه شيء، ولا يصعبُ عليه أمر.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

• انظر إلى مَن ضحَّوا من أجل دين الله كيف أكرمهم ربُّهم، فقد هاجروا وأُخرجوا من ديارهم ظلمًا فصبروا، فأبدلهم اللهُ خيرًا ممَّا تركوا؛ في الدنيا والآخرة.

• مَن فارقَ وطنَه ابتغاءَ مرضاةِ الله تعالى احتاجَ إلى ما يُعينه عليه من الصبر والتوكل؛ فإن النفوس نزّاعة إلى مألوفاتها ومغانيها السالفة.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ
ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾
أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ
يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ
ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا
كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

سجدة — الحزب ٢٨

٢٧٢

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

• هنيئًا لقومٍ ائتمنهم الله تعالى على وحيه، وأمر الناسَ بالرجوع إليهم وسؤالهم، فكانوا كما أحبَّ ربُّهم، فنالوا منه التعديلَ والتزكية، والأجرَ والمثوبة.

• الرجال أقدرُ من النساء على الاضطلاع بأعباء النبوَّة، وصعودِ منابر البلاغ، ومواجهةِ المخالفين؛ فلذلك كانت الرسالةُ فيهم.

• الجاهل القادر على معرفة الحقِّ لا يُعذَر بترك السؤال، فما الظنُّ بمَن يعلم الحقَّ ويتَّبع الجهل؟!

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

• لم يبعث الله نبيًّا إلا بآية تبيِّن صدقَه، وتقوم بها الحجَّة؛ وذلك لكمال عدله سبحانه ورحمته، وإحسانه وحكمته، ومحبَّته للعذر وإقامته للحجَّة.

• لا غَناء عن السنَّة النبوية، فهي أعلى ما يبيَّن به القرآنُ الكريم، ويُعلَم به مرادُ الله.

• كم وجَّه الكتاب والسنَّة العبادَ إلى إجالة الفكر في الآيات الشرعيَّة والكونيَّة للاعتبار بها، والاستدلال على الحقِّ من خلالها!

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ: دبَّروا المكايدَ بخفاء، وأشركوا مع الله.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

• لا يأمننَّ ذوو البغي والعصيان، وهم تحت مظلَّة السلامة والأمان، أن يُكشفَ عنهم ذلك فيبغَتَهم عذابُ الله وعقابه.

• هل يمكن لخُطَّة الماكرين أن تنجحَ مهما أُحكِمَت إذا كان العذاب الإلهيُّ يتربَّص بأصحابها حتى يأتيَهم وهم غافلون؟

• جلَّ مَن يُمهل عبادَه ليتوبوا إليه، فمَن بادر رحمتَه واتَّقاه، وعمل بما يحبُّه ويرضاه؛ قبِلَه وأقبل عليه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾

• هذا الكون برُمَّته منقادٌ لخالقه، طائعٌ لأوامره، فكلُّ عصيان وكلُّ تكذيب فإنما هو شذوذٌ عن ذلك النهج القويم.

• مشهد الظِّلال وهي تمتدُّ وتتراجع وتثبُت وتتمايل، مشهدٌ موحٍ لمَن يفتح قلبَه ويوقظ حِسَّه ويتجاوبُ مع الكون حوله، يُستدَلُّ به على مُدبِّره العظيم، فيا خسارةَ مَن استمتع بنِعَمه ثم كفرها!

• ما سجد لله جلَّ جلاله مَن أظهرت جوارحُه التذلُّل بين يديه، في حين قلبُه قد مُلئ كِبْرًا، ونفسُه أُشبِعَت عُجبًا.

• يَرقى الموحِّدُ بتوحيده إلى أشرف المراتب، وينزلُ المشركُ بشِركه إلى ما دون رتبةِ البهائم.

• لو أنفق المؤمن التقيُّ عُمرَه كلَّه في الطاعة لخشيَ التقصيرَ في جنب الله، وحُقَّ لمَن عرَف مقامَ الله أن يخافَه.

﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾

• ما لله تعالى من شريكٍ ولا له من نظير، فلا يُدعى سواه ولا يُرتجَى غيرُه.

• الرهبة عبادةٌ من العبادات، فاصرِفها لربِّ الأرض والسماوات، ولا تَصرِفها لغيره من المخلوقات.

﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾

وَلَهُ ٱلدِّينُ: لله وحدَه العبادةُ والطَّاعة.

وَاصِبًا: دائمًا، أو واجبًا لازمًا.

• مَن كان له المُلك كاملًا على الدوام، وجبَت له الطاعاتُ كلُّها على الدوام؛ {هو أهل التقوى وأهل المغفرة}.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾

• كم نعمةٍ دينيَّةٍ ودنيوية تتقلَّب فيها، وتتواتر عليك أعدادُها، ولا قدرةَ لك على إحصائها، أفلا تدعوك إلى شكر مَن أنعمَ عليك بها؟!

• أيليق بالعبد أن يتوجَّهَ في سَرَّائه إلى غير مولاه، حتى إذا أصابَه أدنى ضُرٍّ جأرَ إلى الله، يستغيثُه في كشف كُربته ويسترحمُه؟

لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ
وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَۚ وَتَصِفُ
أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ
وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ
فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

• ما أعظمَ الوعيدَ الذي يُبهِمُه الله لأعدائه؛ ليذهبَ الذهنُ في تقديره كلَّ مذهب.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

• كيف يُعرِضُ المرءُ عمَّن أنعمَ عليه ورزقَه، ثم يتقرَّبُ بتلك النِّعَم إلى مَن لا يملكُ له ضَرًّا ولا نفعًا؟!

• لا افتراءَ أعظمُ من الافتراء على الله سبحانه وتعالى، ومُقارِفُ هذا الافتراء تحت طائلةِ المحاسبة التي لا فِكاكَ له منها إلا بتوبة.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾

• ما أجهلَه بالله تعالى مَن ينسُب إليه ما لا يليق به، من البنينَ أو البنات، أو ما لا يحبُّ العبد أن ينسُبَه لنفسه!

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

كَظِيمٌ: ممتلئٌ غمًّا وحزنًا وغضبًا.

﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

• كيف يغتمُّ مَن يُبشَّرُ بالأنثى وقد جاء منها، وكيف يتوارى من القوم بسبب ولادتها ونظامُ الحياة لا يقومُ إلا على وجود الزوجين دائمًا؟!

• على المرأة أن تحمَدَ الله على نعمة الإسلام الذي أنقذها من كراهية الجاهليَّة لها، وتشاؤمِهم بولادتها.

• كم من إنسانٍ يُرضي الناسَ بسخَطِ الله، فقد يترك واجبًا أو يرتكب محرَّمًا حتى لا يَسخطَ الناسُ عليه، ولا يَنقُصَ قدرُه لديهم حسب زعمه!

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

مَثَلُ ٱلسَّوْءِ: الصفةُ القبيحة.

ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ: الصفاتُ العُليا.

• إن العقيدةَ لتَسري آثارُها في الحياة الاجتماعيَّة وتقاليدِها، فإذا انحرف المجتمعُ عن العقيدة هانَ عليه ارتكابُ القبائح.

• سبحانَ مَن لا تنفكُّ عزَّتُه وقدرتُه عن كمالِ حكمته، فلا تجري أقدارُه على عباده إلا بحكمةٍ بالغة منه!

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

• ما أعظمَ شؤمَ المعاصي! إنه قد يَهلِكُ بها الحرثُ والنسل، فلا تبقى في الأرض دابَّة.

• دوابُّ الأرض مخلوقةٌ لنفع الإنسان، فإذا بلغ الغايةَ في العصيان، فما أهونَ أن يهلِكَها الله معه!

• هل تأمَّلت رحمةَ الله بعباده وهم يعصُونه؟ إنه لو آخذَهم بمعاصيهم لما بقيت منهم عينٌ تطرِف، ولكنَّه سبحانه يحلُم ويُمهِل.

• لا يؤخِّرُ أجلَ العبد حِذقُ الأطبَّاء، ولا يعجِّلُه مكرُ الأعداء، ولا شدَّة البلاء، وإنما لكلِّ أجلٍ كتاب.

• ما دام العبدُ في زمنِ الإمهال فليعمل، قبل أن يأتيَ عليه وقتٌ لا مهلةَ فيه.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

مُّفْرَطُونَ: متروكونَ في النار منسِيُّون.

• هيهاتَ أن تُقِرَّ العقول بأن يكونَ لأحدٍ العاقبةُ الحسنة عند الله وهو يفتري عليه أشنعَ الكذب، إنه إقرارٌ لا تستطيعه إلا الألسُن المريضة فقط!

• ما الذي ينتظره مَن أساء الأدبَ مع مقام الربوبيَّة الجليل إلا أن يتعرَّض لسوء العقاب، وشديد العذاب؟

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

• مَن نظرَ فيما ابتُلي به الأنبياء، وما تعرَّضوا له من الأذى والعناء، صبرَ واحتمل، وزالَ عنه الغمُّ والأسى.

• من أطاعَ الشيطانَ فقد والاه، وما والاه عبدٌ إلا انقطعت عنه أسبابُ هذه الوَلايةِ يوم القيامة، واستحالت عداوةً وتلاعُنًا.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾

• إذا مسَّ الأمَّةَ الاختلافُ فعلاجُه الرجوعُ إلى دواء الوحي، ففيه الشفاءُ والرشد، فمَن تركه إلى غيره فلا شفاءَ له.

• العمل بالقرآن هدًى ورحمة، وتركُه ضلالٌ ولعنة، فأهلُ الإيمان مَهديُّون مرحومون لعملهم به، وأهلُ الضلال بعيدون عن ذلك لتركهم له.

الجُزْءُ الرَّابِعَ عَشَرَ — سُورَةُ النَّحْلِ

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم
مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ
﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ
كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ
أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾
وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟
بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

٢٧٤

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

• إن الأرض بخصبها بعد جدبها، وحياتها بعد موتها، آيةٌ مشهورة في ألسنة الناس، مَن سمعها وتدبَّرها لم يخالف في قدرة الله على إحياء الإنسان بعد موته.

• مَن سمعَ آياتِ القرآن بقلبٍ حاضر، وتدبَّرها وتفكَّر فيها انتفع بها، ومَن لم يكن كذلك فكيف سينتفعُ بها؟!

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

• مَن تدبَّر في بدائع صنع الله في الألبان التي صارت آيةً من آيات الله، حمِدَ اللهَ تعالى، واعترف بكمال علمه وقدرته وحكمته، وتناهي رأفته ورحمته ولطفه.

• لو تدبَّرتَ في تفاصيل طعامك الواصل إليك لرأيتَ فيه من عجائب التسخير ما رأيت، فمنَ الله النعمة وقد أسداها، ومن العبد الشكرُ والتوحيد، فهل فعل؟

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

سَكَرًا: خمرًا مُسكِرًا (وهذا امتنانٌ قبل التحريم).

• سبحان من جعل في الثمرة الواحدة مَن يصيِّرها سَكَرًا خبيثًا أو رزقًا طيِّبًا.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾

يَعْرِشُونَ: يبنون من البيوت والخلايا للنَّحل.

• ألا تفيدُ من النحل حسنَ اختيار المكان لاتخاذ البيت وجودة إتقانه؟ فليست النحلُ كغيرها من الحشرات التي تتخذ أوهنَ البيوت وأرداها مكانًا.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

فَٱسْلُكِى: فادخُلي.

ذُلُلًا: مُذلَّلةً مُسخَّرة.

• ما أبدعَ صُنعَ الله! يسَّر للنحل أنواعَ الثمرات، فجاء منها عسلٌ مختلفُ الألوان، ولم يقصِرها على ثمرة واحدة، أو كلَّف الناس بكل غذائها، فتحصُل عليهم مشقة بذلك كله.

• العسل من موارد الشفاء، ومعادنِ الدواء، فللهِ الحمدُ على نعمته، وله الشكرُ على مِنَّته.

• إن مملكة النحل بحاجةٍ إلى من يتفكرُ في إبداع الله في خلقها، فكم في نظامها وأسلوب حياتها من آياتٍ لمن تدبَّر فيها!

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ: أردئه وأحقره، وهو الهرَم.

• يا من يفخرُ بعلمه وقوّته، ويتكبرُ على خلق الله بهما؛ لا تنسَ أن غايةَ ذلك إلى نسيانٍ وذهاب، وموتٍ وضَعف.

• إن الذي ردَّ الإنسان إلى أرذل العمُر هو القادر سبحانه على أن يميتَه ثم يبعثَه، ولا يغيب عن علمه شيءٌ من أحواله بعد مماته حتى يحشُرَه إليه.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

• تفاوتُ الناس في الأرزاق مبنيٌّ على حكمة الخلّاق، فمَن رُزق فمن الله رزقُه، وليس بجِدِّه زيادتُه، ولا بحُمقه نقصانُه.

• إن من العجَب أن يأبى المشركون مشاركةَ مملوكيهم في أموالهم، ولا يأبون أن يكونَ لله شريكٌ في عبادته! فإذا لم يرضَوا بالشركة لأنفسهم، فكيف رضوها لخالقهم؟ إن هذا لهو أعظمُ الظلم والجحود لنِعَم الله تعالى.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

• من نعمة الله على ابن آدم أن جعلَ زوجته من نفسه حتى يأنسَ بها، وليست من جنسٍ آخرَ فيستوحشَ منها.

• إن الله خلقنا ويسَّر لنا سبيلَ بقاء جنسنا البشريِّ بالتزاوج، ولم يتركنا همَلًا، بل رزقنا ورزق أولادنا وأحفادنا، فلله الحمدُ والمنَّة.

• عَلاقة الأولاد بالأمَّهات أشدُّ من عَلاقتهم بالآباء، فقد تخلَّقَ المولودُ في رحِم أمِّه، ووُجِد ذا روحٍ وصورةٍ في أحشائها.

• كيف يعدِل عاقلٌ عن عبادة مَن خلقه ورزقه، ووهب له الأولاد والأحفاد، إلى عبادة مَن لم يُعطه شيئًا، ولم ينفعه بشيء؟!

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣﴾

• رزقُك بيد ربِّك لا بيد غيره من خلقه، فاطلُبه من الله ولا ترجُه من سواه.

• المعبودات من دون الله سبحانه وتعالى مهما قيل فيها فإنها لا تستطيع أن تملك رزق مَن يعبدها، وهذا برهانٌ ملازم يدلُّ على عجزها، فما أجهلَ من يعبدها ويبتغي الرزق منها!

﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾

ٱلۡأَمۡثَالَ: الأشباهَ الذينَ تُشرِكونهم مع اللهِ تعالى بالعبادة.

• سبحان الله الذي لا مثيلَ له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله! فهو سبحانه يعلم سوءَ أفعال المشركين وعاقبتَها الوخيمة، وهم لجهلهم لا يعلمون مآلات شركهم، وعواقبَ عدولهم عن توحيد ربِّهم.

• الجهل بالله تعالى يوقع صاحبَه في ضلالاتٍ من العقائد والأعمال، فسَل اللهَ أن يرزقَك العلمَ به، ويعرِّفَك طريقَ الوصول إلى محابِّه.

﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾

• ضربُ الأمثالِ يُقرِّبُ للعقول المقال، ويختصرُ جُملًا من الكلام بقول موجز.

• إن كان لا يستوي العبد الحرُّ الغنيُّ مع العبد المملوك العاجز، أفيستوي خالقُ العباد مالكُ الملكِ مع أحدٍ من عبيده؟!

• أيُّ ثناءٍ على الله تعالى أبلغُ من ثنائه سبحانه على نفسه؟! ومَن ذا يستحقُّ كمالَ الحمد سواه؟!

• غاية العلم ومُنتهاه عبادة الله المستحقِّ لكلِّ حمدٍ وثناء، فيا خيبةَ مَن لم يعلم الغاية!

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾

كَلٌّ: عِبءٌ، يعتمِد على غيره في مَعيشتِه.

• أيها المربُّون والمعلِّمون، دونَكم أمثالَ القرآن، ضمِّنوها أحاديثَكم، وانسُجوا على مِنوالها في تعليمِكم، فنِعمَ أسلوبُ تربية الأجيال ضربُ الأمثال!

• إذا كنت تعلم أن الله تعالى هو القادرُ العليم، الهادي الكريم، وكلَّ ما سواه لا يملكُ لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؛ فلمَن توجِّه وجهَك؟ وممَّن تطلب حاجتَك؟

• الله تعالى يأمرُ بالعدل، وهو عالمٌ به، معلِّمٌ له، راضٍ عنه، محبٌّ لأهله، وهو على الحقِّ في أقواله وأفعاله، لا يكونُ منه إلا ما يستحقُّ الحمدَ والثناء.

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧﴾

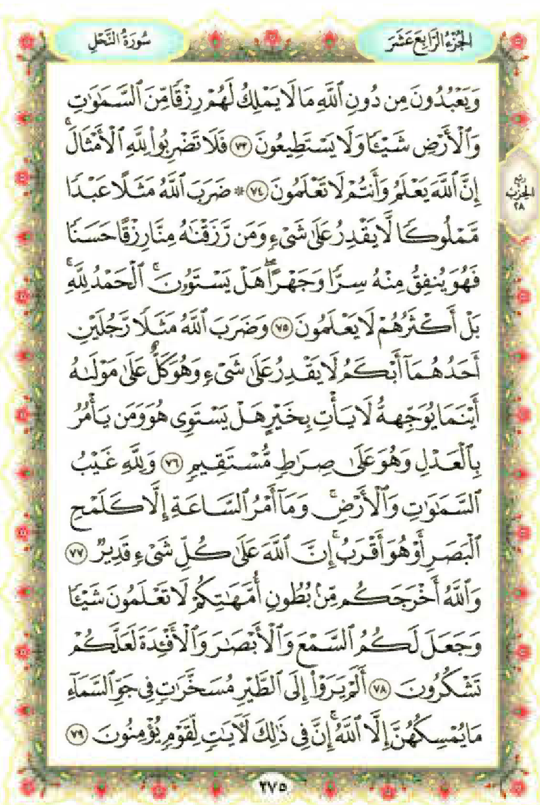
كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ: كخطفةٍ بالبصَر ونظرةٍ سريعة.

• الله عزَّ وجلَّ له مُلك ما غاب عن العباد في السماوات والأرض، وله الأمرُ في الساعة التي هي مُنتهى أمرهم، فعلمُه نافذ، وقدرتُه نافذة، فهل يملك أحدٌ من المعبودات من دونه شيئًا من الغيب، وهل يقدر على شيء من دونه؟!

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾

• ما مِن عالمٍ وإن ملأ سمعَ الدنيا وبصرَها إلا وقد جاء الدنيا بلا عِلم، فهلَّا شكر ربَّه على ما وهبَه من العلم؟

• لا ينبغي استفتاءُ مَن لم يُعرَف بين الناس بالعلم، فإنَّ الأصلَ في الناس الجهل، حتى يتبين خلافُ هذا الأصل.


الجُزۡءُ الرَّابِعَ عَشَرَ — سُورَةُ النَّحۡلِ — الحِزۡبُ ٢٨

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩

٢٧٥

• يا مَن حباك اللهُ تعالى السمعَ والبصر والفؤاد؛ لقد أوتيت مفاتيحَ العلم جميعَها، فسَله سُبحانه أن يُعينَك على أن تفتحَ بها مغاليقَ العلم، ويذلِّلَ لك صعابَه.

• بجوارحك تعرفُ اللهَ وتعملُ بأحكامه، فاجعلها لربها شاكرةً تقية، ومن مساخطه طاهرةً نقية.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩﴾

مُسَخَّرَٰتٖ: مُذلَّلاتٍ للطَّيَران.

• تأمَّل ما في الطير من عجائب الخلق لترى حكمةَ الله في خلقها، ودِقةَ علمه في صنعها، فأعضاؤها بذلك ناطقةٌ وشاهدة.

• سبحان مَن يسَّر للطير الوسطَ الملائمَ للطيران! فلو كان الهواءُ كثيفًا كالبخار ما انتفعت بخلقتها فيه، ولكنه حاطَها بكلاءته وحمايته، فتبارك الخلَّاق الحكيم.

• ينبغي أن يُنظَرَ للطَّير وسواها من المخلوقات نظرَ اعتبار واستذكار لقدرة الله العظيم، لا نظرَ استمتاع وتلَهٍّ.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
الْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ
٨٠ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
الْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
الْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ٨١ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ٨٢ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَٰفِرُونَ ٨٣ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
٨٤ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ٨٥ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا
رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ
فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ٨٦ وَأَلْقَوْا إِلَى
اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ٨٧

٢٧٦

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ٨٠﴾

سَكَنًا: مَسكنًا وراحةً واستقرارًا.

تَسْتَخِفُّونَهَا: يَخِفُّ عليكم حَملُها ونقلها، وهي الخِيام.

ظَعْنِكُمْ: ترحالِكم وسفرِكم.

أَصْوَافِهَا: أصواف الضَّأن.

وَأَوْبَارِهَا: أوبار الإبِل.

وَأَشْعَارِهَآ: أشعار المَعز.

• البيت مكانٌ للسكن والسكينة النفسيَّة، ففيه تطمئنُّ النفس، ويسكُن مَن فيه بعضُهم إلى بعض، وليس مكانًا للنزاع، وبعثِ الاضطراب، ومن ثَمَّ كان في الإسلام للبيت حرمتُه.

• تفضَّل الله على عباده بأن يسَّر لأهل الحضَر مساكنَ ثابتةً يأوون إليها، ولمَن يسافر بيوتًا مؤقَّتة، يخِفُّ عليهم حَملُها، ويسهُل نقلها.

• حاول أن تسأل نفسك، وتتساءل مع مَن حولك عمَّا في الأنعام من نِعَم، لترى كم يزداد حبُّك لربِّك.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ٨١﴾

ظِلَٰلًا: ما تستظِلُّون به من الحرِّ.

أَكْنَٰنًا: أماكنَ وقايةٍ وسترٍ تستكِنُّون بها، كالكهوف.

سَرَٰبِيلَ: كلُّ ما يُلبَس من ثيابٍ ودروع.

بَأْسَكُمْ: الشدَّةَ في حروبكم.

• هل تأمَّلتَ في نعمة الظلِّ فشكرتَ اللهَ عليها؟ فمَن غفَل عن ذلك ففي لهيب الشمس ما يذكِّره بهذه النعمة.

• لا يريد الله بعبده عُسرًا؛ ولهذا جعل لجسمك ممَّا خلق وقايةً وحماية، ففي المساكن والملابس ما يقيك البردَ والحرَّ، ويدفع عنك الشرَّ والضرَّ، ويستر منك ما تكره اطِّلاعَ الناس عليه.

• العاقل من الخلق إذا رأى إحسانَ الله إليه، وإنعامَه عليه، سلَّم أمرَه لربِّه، وانقادَ لوجيه.

• من غايات النِّعَم سَوقُ الناس إلى الله، لتكمُلَ لهم النعمةُ في جنَّته، فيا ويلَ مَن أعرض عن ربه وهو يريد أن يوصله إلى نجاة نفسه وتمامِ نعمته!

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ٨٢﴾

• على الداعية أن يسعى إلى أن يكون بلاغُه مبينًا، فيستعملَ من الوسائل والآلات ما يوصله إلى ذلك، وعندئذٍ يكونُ معذورًا عند تولِّي المدعوِّين عنه.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَٰفِرُونَ ٨٣﴾

• كم من الناس من يُقرُّ في نفسه بعظيم ما أولاه الله من النِّعَم، ولكن أفعاله تكذِّبُ ذلك.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٨٤﴾

وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ: ولا يُطلَب منهم العُتبى، أي إرضاءُ ربِّهم بالتوبة.

• يومًا ما سيكون الأنبياء على أقوامهم شهداء، فطوبى لمَن أعدَّ لهذا الموقف ما يسُرُّه ولا يُخزيه.

• باب التوبة اليومَ مفتوحٌ على مِصراعَيه لمَن أناب، والاستغفار نافعٌ لمَن تاب، فالبِدارَ البِدارَ قبل أن يوصدَ الباب، ويُردَّ الاستعتاب.

﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ٨٥﴾

• يا ويلَ الكافرين إذا وردوا العذاب! فحينئذٍ لا إنظارَ ولا رجوعَ ولا تخفيف، ولو تقطَّعت قلوبهم ندمًا وحسرة.

﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ٨٦﴾

• ما أضيقَ حالَ أولئك المشركين يومَ تُكذِّبهم معبوداتُهم الباطلة بين يدَي الله يوم القيامة!

﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ٨٧﴾

السَّلَمَ: الاستسلامَ والخضوع.

• ليس للمشركين الذين بَطَلت حُجَجُ شركهم أمام ربهم، ولم يُفدهم الاعتذار؛ إلا الاستسلامُ والخضوع لِما يَقضي اللهُ فيهم.

• أينَ تلك الفِرى التي زعمت أن للهِ شركاءَ ينفعون ويضرون؟ لقد غابت فلم يعد لها يوم القيامة من أثر.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾

• اقتضت حكمةُ الله وعدله أن يجعلَ على الداعي إلى الضلال مثلَ آثام مَن استجاب له، وهو عذابٌ يتضاعفُ بحسَب مَن اتبعه وضلَّ به.

• الفساد درجات، فمنه ما هو كفرٌ، ومنه ما هو إضلال، فمَن جمع بينهما استحقَّ أن يُجازى بمضاعفة العذاب.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

• لمّا كان رسولُ كلِّ أمّة هو أكثرَ أمّته اطّلاعًا على أعمالها، وأشدَّهم عليها شفقة، كان من عدل الله تعالى ولطفه أن جعله عليهم شاهدًا.

• كم في كتاب الله تعالى من ذخائرَ وكنوز، في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارَين وكلِّ ما يحتاج إليه العباد، قد بُيِّنت فيه أتمَّ تبيين، بألفاظٍ واضحةٍ ومعانٍ جليلة.

• قال مسروقٌ: (ما نسألُ أصحابَ محمَّدٍ ﷺ عن شيءٍ إلا عِلمُه في القرآن، إلا أنَّ عِلمَنا يَقصُر عنه).

• شريعة الله تعالى كاملة، ولا حاجة إلى طلبِ الزيادةِ عليها، أو النقصانِ منها.

• ينتفع المسلم بهُدى الله ورحمته وبُشراه بمقدارِ تمكُّنه من إسلامه واتّباعه واستجابته.

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

الْفَحْشَاءِ: ما قَبُح من الذنوب قولًا وفعلًا.

وَالْبَغْيِ: الظُّلم والتعدّي.

• قال الحسنُ: (إن الله جمع لكم الخيرَ كلَّه والشرَّ كلَّه في آيةٍ واحدة، فوالله ما ترك العدلُ والإحسان من طاعة الله شيئًا إلا جمعَه، ولا ترك الفحشاءُ والمنكر والبغيُ من معصية الله شيئًا إلا جمعَه).

• تبارك مَن جعل في كلامه الهُدى والشفاء، والنورَ والفرقان، ولم يأمر إلا بما هو حسنٌ، ولم ينهَ إلا عمّا هو قبيح.

• أحسنُ الوعظ وعظُ الله بأوامره ونواهيه، فحين تسمع القلوبُ تلك الأوامرَ تخشى التقصيرَ فيها، وحين تسمع النواهيَ تخاف الوقوعَ في حَمْأتها، ومن ثَم يحدوهم حادي الخوفِ والطمع إلى الوقوف على حدِّ الحق.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾

• على المسلم أن يحذَر من الإخلال بما عاهد اللهَ عليه، فإن إخلالًا بعهد الله ليس كإخلالٍ بعهدِ غيره، فإن الله عالمٌ بأعمال عباده وبنيّاتهم.

• ما أجرأَ مَن يستحلُّ باسم الله تعالى ما يريد، فيُقسِم به ليصلَ إلى غرضه، ثم يَنقُض ذلك العهدَ بعد أن بلغ به مرادَه!

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

أَنكَاثًا: أنقاضًا بعد فتلِها.

دَخَلًا: خديعةً ومكرًا، والدَّخَلُ: ما يَدخُل في الشَّيء للفساد.

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

الحزب ٢٨

٢٧٧

أَرْبَىٰ: أكثرَ عددًا ومالًا ومنفعة.

• إن أمّةً تتّخذ من نقض عهدها سبيلًا لتطوُّرها ونمائها إنما تسقي جذورَها بأسباب هلاكها.

• قد تَعرِض للمرء سوانحُ تُغريه بالتفلُّت من العهد الذي يُبرِمُه مع الله، وخيرُ عاصمٍ من ذلك بعد الصبر أن يعلمَ أنه ابتلاءٌ إمّا يُرفع به وإمّا يُخفَض.

• كما لا ينبغي الإخلالُ بما هو صريحٌ في وجوب الوفاء به، كذا ينبغي تخليةُ الذمّةِ فيما يشتبهُ على الناس ويختلفون فيه.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

• الصراع الفكريُّ والعقائديُّ قد يَحزن بعضَ الناس، ويصيب باليأس آخرين، ولكن مَن علم أن الأمر لله، وأنه ابتلاءٌ واختبار، اطمأنَّ قلبُه وأدّى ما عليه؛ فإنه لن يُسأل عن عمل غيره، بل عن عمل نفسه.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ
ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ
عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥ مَا عِندَكُمۡ
يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم
بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا
مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ
وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧
فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ
٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ
يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ
هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ
لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ
لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢

٢٧٨

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾

• سَلِ اللهَ أن يُعيذَك من الزلل، وسوء القول والعمل، فإن الذنوب تهبط بأصحابها من العافية إلى البلاء، ومن النعمة إلى الشقاء، ومن النصر إلى الهزيمة.

• أيُّ مصيبةٍ تصيبُ المرءَ في حياته أعظمُ من انتكاسته عن الهدى بعد معرفته، أفبعدَ عزِّ الطاعة يهبطُ إلى ذلِّ المعصية؟ وبعد القُربِ من الله ينحدر إلى البُعدِ عنه؟!

• بئس العبدُ عبدٌ يصُدُّ الناسَ عن الإسلام، بإظهاره المسلمَ بصورة مَن يُخلفُ وعودَه، وينكثُ عهوده، ولا يبالي بأن يُقسم بالله ليحقق مآربَه وهو كاذب!

• للتلاعبِ بالأيمان عاقبةٌ سيئة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا قد يُجازى بخلافِ المقصود، وفي الآخرة يُجزى بالعذاب العظيم؛ إلا أن يتوبَ إلى الله تعالى.

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾

• من شرِّ العملِ أن ينقُضَ الإنسانُ عهدَه من أجل مال يكتسبُه، أو عرَضٍ يُصيبه، وحقيقةُ ذلك المأخوذ الباطل قليلٌ مهما كثُر، وإلى الزوال مصيرُه.

• مهما بلغ ما يناله المرءُ من مالٍ مقابلَ المعصية فليس بخير ممَّا عند الله تعالى من ثواب الطاعة، لكن أين مَن يعلم ذلك ويوقنُ به؟! فلنتدبَّر الفرق بين خيرَي الدنيا والآخرة.

﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾

• ما تريدُ حفظَه وتثميرَه، فوجِّههِ إلى الله تعالى، فما عند الله يُحفظ وينمو ويَعظُم.

• كيف يحرِصُ عاقلٌ على ما يَنفَد، ويتركُ ما يبقى إلى الأبد؟! فالدنيا كلُّها إلى نفاد، والآخرةُ إلى بقاء أبدَ الآباد.

• كان لحفصةَ بنتِ سيرين ابنٌ عظيم البرِّ بها فمات، فقالت: (لقد رزَقَ اللهُ عليه من الصبر ما شاء أن يرزُق، غيرَ أني كنت أجد غُصَّةً لا تذهب، فبينما أنا ذاتَ ليلةٍ أقرأ، إذ أتيتُ على هذه الآية، فأعدتُها، فأذهب اللهُ ما كنت أجد).

• لو استصبرك على شيءٍ مَلِكٌ صادقٌ جليل، ووعدك على صبرك بالعطاء الجزيل، أفلا تصبر الصبرَ الجميل؟ فكيف بوعدٍ وجزاءٍ صاحبُه ملكُ الملوك سبحانه؟!

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾

• أيُّ حياةٍ أطيبُ من حياةِ مَن اجتمعت همومُه فصارت همًّا واحدًا، وهو مرضاةُ الله والقربُ منه والتودُّدُ إليه بالإيمان والعمل الصالح، وصار ذِكرُ محبوبِه الأعلى، والشوقُ إليه هو المستولِيَ عليه؟!

• المؤمن في حياة طيِّبةٍ وإن كان مُعسرًا، فقناعتُه ورضاه بما قسَم اللهُ له، وأمله بحُسن الثواب وعظيم الأجر هو رَوحُه وريحانه.

﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾

• طيِّب فمَك استعدادًا لتلقِّي كلام الله، مستعيذًا ومستعينًا به، معترفًا بالعجز بين يديه، لائذًا بجنابه من كلِّ صارفٍ لك عنه.

• ما شُرِعَت الاستعاذةُ عند قراءة القرآن، دون غيرها من كثير من الأعمال الصالحة؛ إلا لأهميَّة إقبالِ القارئ عليها بقلبه، والتحرُّز من الصوارف عند تلاوته.

﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾

• يا له من وعدٍ كريم بإعاذة المؤمنين المتوكِّلين، يكفُلُه لهم اللهُ ربُّ العالمين.

• كلُّ شيء بثمن، فعلى العبد السعيُ في تحقيق إيمانه، ودوام توكُّله على ربِّه؛ حتى تحصُلَ كفايتُه، وعصمتُه من كيد الشيطان وتسلُّطِه.

﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾

• لا يتمكَّنُ الشيطان إلا من عبدٍ أعانه على نفسه، بطاعته له، وتسليم زِمامه إليه، ومَن لم يتولَّه الله برعايته، أسقطَه الشيطانُ في حَبائله.

﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾

• المسلم الموقنُ بكمال علم الله وحكمته يُدرِكُ أن نسخَ الآية أو تبديلَها لا يصدُر إلا عن علم تامٍّ، وحكمة بالغة.

• الجاهل قد يطعَنُ فيما يجهلُه، ولكن لا عبرة عند ذوي العقول بطعنِ مَن لا علمَ له.

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾

• يا مَن ترجو الثبات، أقبِل على القرآن وتدبَّره، ولا سيَّما في زمن الفتن، تَنَل النجاة.

وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ
ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ
١٠٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥
مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ
مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ
صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ
١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى
ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ
١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ
وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ
أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ
وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠

٢٧٩

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾

يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ: ينسُبونَ إليه أنه علَّمَ النبيَّ ﷺ.

• مهما حاول الأدعِياءُ إسقاطَ هيبة النصِّ القرآنيِّ من نفوس الناس فلن يستطيعوا، فكم مرَّ على التاريخ من أشباه هؤلاء، وبقيت مكانةُ القرآنِ في النفوس كما هي!

• كيف يمكن لدى العقلاء لأعجميٍّ أن يأتيَ بمثل كتابٍ عربيٍّ قد عجَز أربابُ الفصاحة والبلاغة والبيان عن معارضته؟!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾

• مَن آمنَ بالحقِّ حقَّ الإيمان انقادَ إليه، فهداه إلى الرُّشد في الأفعال والأقوال، ونجّاه يومَ القيامةِ من الأهوال.

﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾

• أعظم أنواعِ الكذبِ ما كانَ منه على الحقِّ عزَّ وجلَّ، ولو آمنَ بالله تعالى عبدٌ لعظَّمه، وعظَّم قولَه أن يُفترى عليه.

• المؤمن لا يركبُ مركبَ الكذب؛ لأنه يرجو ثوابَ الله ويخشى عقابَه، ومَن لم يكن كذلك سهُلَ عليه امتطاءُ صهوةِ الفِرى.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾

• لا بدَّ لمَن عرَف الحقَّ أن يعملَ بمقتضاه، فإن خالفه باختياره فأيُّ نفع لمعرفته تلك؟!

• الإسلام يراعي نفوسَ البشر، فلا يؤاخذُها بما خرج عن طاقتها، وصعُب عليها احتمالُه، معتبرًا أن الأصل ما يكمُنُ في النفوس من الإيمان، لا ما خالف ذلك من أعمال الجوارح عند الإكراه.

• لا يكون الإكراهُ عذرا، لمَن قد شرح بالكفر صدرا.

• لا ينشرح قلبٌ اطمأنَّ بالإيمان إلى عقائد الكافرين ولا إلى مقولاتهم، ولا يتشوَّفُ إليها، ولا يرضى بها.

• ليست العقيدةُ بصفقةٍ قابلةٍ للبيع والمساومة، والربح والخسارة، والأخذِ والردِّ، بل هي أعلى من ذلك وأكرم، وأعزُّ وأعظم.

• عجبًا لمَن يطلب رضا الكافرين بكفره بربِّ العالمين! واللهُ هو الأحقُّ بالإرضاء تبارك وتعالى، فمَن فعل ذلك باءَ بغضبه، واصطلى بعذابه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾

• لا حرجَ أن يجمعَ المؤمنُ بين الدنيا والآخرة في طلبه، ولكن من غيرِ إيثارٍ لدنياه على أخراه، فإنه لا يفعلُ ذلك مَن كان صادقَ الإيمان.

• العابد إذا آثرَ حظوظَ نفسه على حقوق ربِّه بعُدَ عن خالقه، ولم ينَل هدايةَ ربِّه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨﴾

طَبَعَ: ختَمَ، أي: أحكم إغلاقَها فلا تستقبلُ هُدًى، ولا تعي علمًا، ولا تنتفعُ بموعظة.

• أيُّ نفعٍ للسمع والبصر والقلب، وقد عشعشَ مرضُ الكفر في صاحبه، فأضعفه وأمرضه وأشقاه؟

• لا غفلةَ أعظمُ من الغفلةِ عن آيات الله تعالى ولقائه، فما ظنُّك بحالِ من طَبع اللهُ على قلبه؟!

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩﴾

لَا جَرَمَ: حقًّا.

• ربحت تجارةُ مَن اشترى سعادتَه في آخرته بطاعة ربِّه في حياته، وخسر مَن اشترى لذَّة أيَّام بعذاب الأبد.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾

فُتِنُواْ: عُذِّبوا وابتُلوا.

• ليس لمَن قد فُتن من دواءٍ خيرٌ من الصبر، فإن صبرَ كانت الفتنة مُمحِّصةً له ومخلِّصةً من الذنوب، كما يخلِّص الكيرُ خبثَ الذهبِ والفضَّة.

• سبحانَ مَن يُفيض آثارَ ربوبيَّته على عباده، وقد أُوذوا فيه وصبَروا، فأنالهم من مغفرته ورحمته أضعافَ صبرهم كثيرًا!

• ما أعظمَ مغفرةَ الله ورحمتَه لعباده! فبهما وبدوامهما يُخفَّف عن المهاجر والمجاهد والصابر ما يلقون من البلاء الشديد.

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن
كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ
رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ
﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ
ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ
هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

٢٨٠

﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

وَتُوَفَّىٰ: وتُعطى الجزاءَ وافيًا كاملًا.

• في يوم القيامة لا يُظلم العبدُ مثقالَ ذرَّة، فلا يُزاد في سيِّئاته، ولا يُنقص من حسناته، فاجتهد اليومَ في تثمير حسناتك، تنفعك أفقرَ ما تكونُ إليها.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

رَغَدًا: واسعًا كثيرًا، أو هنيئًا سهلًا.

• إذا حصل الأمنُ كان على إثره الطُّمأنينة والسَّكينة، وإذا نبتَ الخوفُ في النفس نتجَ عنه الاضطرابُ والقلق.

• وفرة الأرزاق وإتيانها من كلِّ مكان نعمةٌ جزيلة، فليحذر مَن رُزق ذلك أن يَبطَر تلك النعمة، وليسأل ربَّه أن يُديمَ عليه نعمتَه، ويرزقَه شكرها.

• إن كان من الخوف ما يُتوقَّع ولا يُباشَر، فإن منه ما يُذاق ويُباشَر، ويحيط بالعبد كما يحيط به لباسُه، فأين منه المَهرَب؟

• كما أن المعاصيَ تُوصِلُ إلى العذاب بالخوف والجوع، فإن الطاعاتِ توصلُ إلى التنعُّم بالأمن والكفاية.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

• عجبًا لمَن أنعم الله تعالى عليه، وأرسل إليه رسولًا من قومه، يعرف أمانته وصدقَه، كيف يكذِّبُه؟!

• اتِّباع ما جاءت به الرسُل هو شكرٌ يُرتجى به دوامُ النِّعَم وزيادتُها، وحفظُ أصحابها.

• مَن اجترأ على عبدٍ اشتهر بين الناس بصدقِه فكذَّبه، فذلك من أعظم الظلم.

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾

• يا مَن تريد أن يُديمَ الله عليك نعمةً تمتَّعت بها، اشكُر اللهَ عليها، ولا تكن كمَن كفرها فحرِمَها.

• أطِب مَطعمَك، واحمَد اللهَ على ما رزقَك، فذاك شأنُ العابدين، ودَيدنُ الموحِّدين.

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

ٱلْمَيْتَةَ: ما لم يُذبَح بطريقةٍ شرعيَّة من الحيوان.

وَٱلدَّمَ: أي: المُراق والمسفوحَ من الذبيحة.

أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ: ذُكِر عليه اسمُ غيرِ الله عند ذبحه.

غَيْرَ بَاغٍ: غيرَ مُريدٍ ولا طالبٍ للمُحرَّم.

وَلَا عَادٍ: وغيرَ مُتجاوزٍ حَدَّ الضَّرورةِ مما يسُدُّ الرمَق.

• للشركِ أثرٌ يتعدَّى إلى الأعمال فيفسدُها، ويخبِّثُ ما لابسَه منها، فالميتةُ والدم والخنزير خبائثُ، وما أُهلَّ لغير الله به لاحقٌ بها.

• المضطرُّ في الإسلام لا يُخرجُه اضطرارُه عن ضوابط الشرع؛ إذ لا يُباح له أن يَعصيَ اللهَ تعالى بما رخَّصه له.

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

• ما من حكم بالتحليل والتحريم لا يوافق الشرع إلا كان وصفًا كاذبًا لا يُلتفتُ إلى مدَّعيه، ولا يؤبَهُ بقائليه.

• من يحرِّمُ الحلالَ آثم؛ لأنه يُضيِّقُ على الخلق ما وسَّع اللهُ لهم، ومثلُه من يحلِّلُ الحرام؛ إذ يوقع الناسَ في تجاوزات غيرِ مأذونٍ فيها. وكلاهما يُبعدان عن طريق الفلاح في الدنيا والآخرة.

• عن أبي نضرةَ قال: (قرأتُ هذه الآية فلم أزل أخافُ الفُتيا إلى يومي هذا).

﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

• الذي يفتري الكذب بالتحليل والتحريم هو يبتغي بذلك متاعَ الدنيا، وإن ادَّعى غيرَ ذلك، أفلا يدري أنه متاعٌ قليلٌ مهما بلغ، سواء في ذاته، أم في زمانه، ومن ورائه عذاب أليم.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

قد يُحرَم العبدُ النِّعمَ بسبب ظلمه، فكم حُرِمت أمَّةٌ نِعمَ ربها بسبب ظلمها في عصور انحطاطها.

• مَن تأمَّل وجدَ أكبرَ مَغبَّةِ الظلم تعودُ على الظالم نفسِه، ومن عرَف ذلك ارعَوى عن ظلمه، واستقام على صراط ربِّه.

• كم يحرمُ العاصي نفسَه من الطيِّبات، بارتكابه بعضَ الخطيئات، ولو كان منع نفسَه عنها لوجدَ من اللذَّة في الطاعة ما لا يجده في المعصية.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ١١٩﴾

• لا تيأَس من غُفران ربِّك لذنبك إن فعلته جاهلًا، ولكن تُب إلى الله تعالى، وأصلح نفسَك وعملَك.

• مَن شاء أن يمحوَ عملَ السوء فليعمل بعده صالحًا؛ فإن الصالحات تغسل درَنَ السيِّئات.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾

أُمَّةً: إمامًا قدوةً جامعًا لِخصال الخير.

قَانِتًا: خاضعًا مُداومًا على الطاعة.

حَنِيفًا: مائلًا عن الأديان الباطلة إلى الدين الحقِّ.

• إمام الهدى يقود أمَّته إلى البِرِّ والتقوى، فيكون له أجرُ عمل مَن اهتدى بهَديه منهم، ولعلَّ عملَ هذا الإمام يعدِل عمل أمَّته كاملة؛ بخيرها وطاعتها وبركتها.

• شقيَ أولئك المشركون المدَّعون اتِّباعَ ملَّة إبراهيم الذي لم يكن يومًا مشركًا، فلو كانوا له متَّبعين، لكانوا لله موحِّدين.

﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾

ٱجۡتَبَىٰهُ: اختاره.

• نِعَم الله على عبده كثيرة، ولا يعرف العبدُ منها إلا نعمًا قليلة، فعدمُ إحاطته بكثيرها لا يجعله مُخلًّا بشكر قليلها.

• دُم على الطاعة والاستقامة والتوحيد، تُكرَم بالهداية والاجتباء والتوفيق.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢﴾

• ما يراه المؤمنُ من حياة طيِّبة في نفسه وولده وماله، فهو من آثار عمله الصالح، ولا يُقاس على جلالته بما أُعدَّ له في الآخرة.

﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾

• من أشرف النعم التي أُوتيَها خليلُ الرحمن عليه السلام اتِّباعُ رسول الله محمَّد ﷺ لملَّته، بحيث يبقى هديُه إلى آخر الدهر.

• كن أسوةً حسنة بين الناس في أقوالك وأفعالك وأحوالك، فما أعظمَ الأجرَ لمَن سار الناسُ على مثاله، ونسجوا في الخير على مِنواله!

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤﴾

• كم يجُرُّ الاختلافُ من شؤم على أصحابه! ويحُول بينهم وبين الظفر بالفضائل.

• إذا كان مَردُّ كلِّ الخصومات إلى الله، وهو مَن يحكم فيها يوم القيامة، فإن النجاة في اتِّباع الوحي والاحتكام إليه والصدور عنه.

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾

• ادعُ إلى سبيل ربِّك، لا إلى نفسك، فما أثمرت دعوةٌ بمثل إخلاص أصحابها، وكم من داعٍ لنفسه، وهو يحسَب أنه يدعو إلى الله!

• لا يُكتفى بالعلم في الدعوة، بل لا بدَّ من حكمةٍ وموعظة حسَنة، وإن الناس إلى قليلٍ من الحكمة أحوجُ منهم إلى كثيرٍ من العلم.

• من الحكمة الدعوةُ بالعلم، والبداءةُ بالأهمِّ والأقربِ إلى الفهم، ومن الموعظة الحسنة التنويعُ بين الترغيب والترهيب.

• الدعوة إلى الله كالدواء، وحاملُها كالطبيب، فعلى الطبيب أن يترفَّق بمرضاه، ويعطيَهم من الدواء ما يناسب حالَهم.

• أيها الداعية، لا تظُنَّ أنك ستهدي كلَّ مَن تدعوه، وأن تلك مهمَّتُك، فاللهُ أعلم بالضالِّين والمهتدين، وهو من يَجزيهم أجمعين.

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾

• الإسلام يُجيز العدلَ في المعاقبة، ويرغِّب في الفضل بالعفو عنها، فما أعظمَه من دِينٍ يراعي المشاعر، ويدعو إلى سَنام الفضيلة!

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ١١٩ إِنَّ
إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ
فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ
وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ
١٢٥ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن
صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ
إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ
١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨

٢٨١

• مَن علم أن عاقبة عفوه مع قدرته معيَّةُ الله تعالى الخاصَّةُ له، هان عليه ما يجد في نفسه، وانشرح صدرُه إلى مآل صبره.

﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾

• لا تترك الاستعانةَ بالله على الصبر وضبطِ النفس، واستحضِر على الدوام بُشرى الصابرين.

• مَن أسقط اللهُ تعالى قدرَه، فلا تحزن على إعراضه، ولا يضِق قلبك من عداوته، فقد ضمِن الله كِفايةَ المؤمنين، وألا يجعلَ للكافرين عليهم سبيلًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾

• مَن كان الله تعالى معه كان غالبًا، وأمره عاليًا، وصفقتُه رابحة، وحالتُه صالحة، ومَن لم يكن كذلك صار في أسوأ الأحوال.

• بالتقوى والإحسان تنال معيَّة الرحمن، وعلى قدرهما منك تتنزَّل معيَّة ربِّك لك.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ١٥ الحزب ٢٩

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ
ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ
عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا
﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا
جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

٢٨٢

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

سُبْحَٰنَ: تنزيهًا لله تعالى وتعظيمًا لكمال قدرته.

• يا له من خبرٍ عجيب دالٍّ على عظيم قدرة الله، إنه خبرُ الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدِس في بعض ليلة، فاقتضى الحالُ أن ينطِقَ المتأمِّلُ بتسبيح الله تعالى.

• بلغَ نبيُّنا ﷺ بكمال عبوديَّته لربِّه رفيعَ الدرجات، ونال بها أعظمَ الأوسمة والمقامات.

• ما اصطفاه الله تعالى من الأماكن يكثُر خيرُه، وتعظُم بركتُه، فالقدس أضحت بالاصطفاء أرضَ الرسالات.

• لقد أكرم الله نبيَّنا الكريم بأن أراه آيةً من آياته عينَ اليقين، ولو أعلمه إعلامًا لكفاه، ولكنَّه مزيدُ العناية والرعاية.

• حادثة الإسراء حادثةٌ عظيمة جرت فيها أحداثٌ كبار، وصدَّقها المؤمنون وكذَّبها الكفَّار، وكلُّ ذلك بسمع الله وبصره.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾

وَكِيلًا: معبودًا تُفوِّضون إليه أمورَكم.

• شريعة موسى وشريعة محمَّد عليهما الصلاة والسلام أكملُ الشرائع، وكتاباهما أفضلُ الكتب، وأتباعهما أكثرُ المؤمنين؛ ولهذا يقرِن بينهما كثيرًا.

• وسيلة الهدى لا تصل إلى هداية المدعوِّ إلا بجعلِ الله ذلك فيها، فالهدايةُ هدايةُ الله.

• لمَّا اشتملت التوراة قبل تحريفها على تحقيق التوحيد، بأن لا يتوكَّل العبدُ إلا على الله تعالى، ولا يعوِّل إلا عليه؛ كانت هدًى ونورًا.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

• مَن عرَف اللهَ تعالى، فشكر له نِعمَه، واستعملها في مَرضاته، نجَّاه ببركة شكره، وأحاطه برحمته.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

وَقَضَيْنَآ: وأخبَرنا وأعلَمنا.

• صدَّق التاريخ ما أنزله اللهُ على نبيِّه موسى عليه السلام، ولن يكذِّبَ أحدٌ ما أنزله الله على رسُله إلا أهلكه، مهما طال إمهالُه.

• الفساد والاستعلاء يقترن ذكرُهما كثيرًا في القرآن؛ لأنه كثيرًا ما يقترنان في الواقع فينتجان مُرَّ الثمار.

• إن في مصارع الأمم وفُشُوِّ الفساد فيها، ما يجعل للعاقل فيها معتبَرا، وعن سلوك طريق الفساد مُزدَجَرا.

• من سنَّة الله في خلقه أن عاقبة الفساد والعصيان، العقوبةُ والخسران، فمَن رام سعادة الدارَين فعليه بالصلاح والاتِّباع.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾

فَجَاسُوا۟: فطافوا.

• أيُّ أمَّةٍ أرادت تحصينَ نفسها من غارات المغيرين، ونهب الناهبين، فلتستقِم على شريعة ربِّ العالمين، ولتحكُم بالأمانة والعدل بين المحكومين.

• مَن تأمَّل في تاريخ مَن غبَر، وقرأ واقعَ من حضر، رأى أن الله قد ينتقم من الظالم بظالمٍ آخَر.

• سبحان القادرِ الذي إذا أوعد وأراد حصولَ ما توعَّد، لا يرُدُّ قضاءه رادّ، ولا يصدُّه عما يشاء صادّ!

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾

• قد يطول بالعباد البلاء، ثم يتفضَّل اللهُ تعالى عليهم بالفرج والنَّعماء، ويبقى ما كان من سنوات البلاء للأجيال عِبرةً وعِظة.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ: موعدُ الإفساد الثاني.

لِيَسُۥٓـُٔوا۟: ليُذِلُّوا ويُهينوا.

ٱلْمَسْجِدَ: بيت المقدِس.

وَلِيُتَبِّرُوا۟: وليُدَمِّروا ويُهلِكوا.

مَا عَلَوْا۟: ما استولَوا عليه.

• الفلاح يعقُب الإحسان، والخسار يعقب العصيان، وتلك سنَّةٌ من سُنن الله الحكيم الخبير، لا تتخلَّف ولا يعروها تغيير.

• إذا كانت النفسُ الأمَّارة بالسوء تعود أوَّلَ ما تعود بالسوء على صاحبها، فما أجدرَ المؤمنَ بمحاربتها!

• الوجوه مرايا؛ عليها يظهر ما في النفوس من المساءة، ويُقرأ ما في الضمائر من الأحوال.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

• كم من محنةٍ خرج من رحمها مِنحة، فمَن اعتبر بالبلاء واتَّعظ، فتابَ وأناب، كان البلاءُ له رحمةً وخيرًا.

• الإفساد طريقُ العقوبات، فمن عاد إلى إفساده عاد اللهُ إلى عقوبته، فهل من معتبر؟

• ليس عذابُ الدنيا خاتمةَ المطاف للمفسدين غيرِ التائبين، فهنالك نارٌ تنتظرهم فتحصُرهم، فلا يُفلِت منها أحد.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾

• من تدبَّر القرآن وعمل به سلمَ من الحيدة عن الطريق الأقوم، فإن في القرآن حمايةً للعقول، ورعايةً للآداب، وعنايةً بجميل الطبائع والأخلاق.

• تأمَّل، فإن القرآن لا يهدي للطريق القويم فحسب، ولكنَّه يهدي إلى أقوم الطرق وأحسنها؛ لأنه يدلُّ على أعلى سُبل الاستقامة والكمال في كلِّ شيء.

• أعظِم بأجرٍ وعدَ الله به! فما ظنُّك بذلك الأجر وقد وصفه الله بالكبير؟!

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

• العذاب مهيَّأٌ لا ينتظر إلا أهلَه القادمين عليه، فاحذر أن تكونَ منهم.

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

• قال الحسنُ: (ذلك دعاءُ الإنسان بالشرِّ على ولده وعلى امرأته؛ يغضَب أحدُهم فيدعو عليه، فيَسُبُّ نفسَه، ويسُبُّ زوجته وماله وولده، فإن أعطاه اللهُ ذلك شقَّ عليه، فيمنعه الله ذلك، ثم يدعو بالخير فيعطيه).

• العجلة آفةٌ تدفع إلى الدعاء بالشر، ولو صبر المرء، وتريث قبل دعائه وتفكَّر، لوقعت دعوتُه على وجه خيرٍ وصلاح.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

• الليل والنهار خَلقانِ من خلق الله، وآيتان على وجوده، جعلهما الله على هذا الوجه تسخيرًا لعباده، فطوبى لمَن دلَّتاه على ربِّه، وانتفع بهما في وجوه الخير في حياته.

• ليس لمَن يبتغي تحصيلَ الرزق سوى أن يطلبَه ويبذل فيه جُهده، أمَّا العطاءُ فهو من الله وحده، يتفضَّل به على من يشاء.

• آيات الله تبارك وتعالى الشرعيَّةُ تضع للبشرية نظامًا مفصَّلًا، فكلُّ ما يحتاج إليه العباد لتحصيل السعادتين من عقائد الحق، وأخلاق الصدق، وأحكام العدل، ووجوه الإحسان، كلُّ هذا فُصِّل في القرآن تفصيلًا على غاية البيان والإحكام.

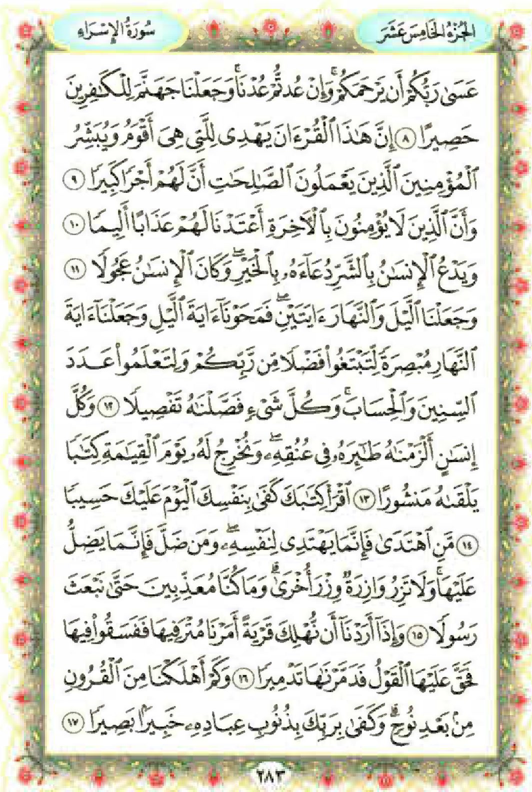
﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

• لعلَّ من أوثق ما يُعلَّق بالإنسان ما يُجعل في رقبته؛ لأنه لا يكاد ينفصل عنه إلا بالموت؛ وكذلك عملُ الإنسان يَلزَمه على الدوام. أعاذنا الله من سوء العمل!

• من أعظم العدل والإنصاف أن تُوكَل محاسبةُ المرء إلى نفسه. قال الحسن البصريُّ: (ابنَ آدم، لقد أنصفك وعدَل عليك مَن جعلك حسيبَ نفسك).

﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

• يا حريصًا على نفسه، احرِص على تحصيل الهدى؛ فإن نفعه يعود عليها، وإيَّاك والضلال؛ فإنه يجلب البوار لها.


الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ
مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾
٢٨٣

• أنت مسؤولٌ عن عملك خيره وشرِّه، ولا يحمل ذنوبَك غيرُك، فتخفَّف منها اليوم قبل ورود الآخرة.

• لا يؤاخِذ الله عبادَه حتى يُقيمَ عليهم الحُجَّة، ويقطعَ عنهم المعذرة؛ بإرسال الرسُل، وبلاغ الدعوة، وهذا من رحمته بهم.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

• لمَّا كان المترَفون أولى الناس بالشكر، كانوا أحقَّ الناس بالانتقام عند الكفر.

• حين يستخفُّ المترَفون بالقِيَم، ويرتعون في المحرَّمات، ولا يجدون مَن يكُفُّ أيديَهم عن الأذى، فإن الفواحش تنتشر، والأمَّة تسترخي وتفقِد حيويَّتها وعناصرَ قوَّتها حتى تهلِك.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

• هل يعسُر على مَن يتَّصفُ بالعلم التامِّ والخبرة الكاملة، أن يوصلَ الجزاءَ إلى مستحقِّيه، ويتفضَّل بالثواب على مبتغيه؟ حاشا وكلَّا.

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ
ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ
سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ
عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ
فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ
تَفۡضِيلٗا ٢١ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا
٢٢ ۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا
يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا
جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرٗا ٢٤ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧

الحزب ٢٩

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨﴾

• لن يحصلَ إلا ما شاء اللهُ وأراد، فليتمنَّ مَن شاء ما شاء.

• مَن مَلكَ الدنيا بأسرها، وخسر معها الآخرة فإنه مغبون، فكيف إذا أُوتي بعضَها وانتظره عذابٌ في الآخرة يُنسيه لَذاتِ الدنيا كلِّها؟!

﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾

• قد ينال طالبُ الدنيا بعض حظوظه منها وقد يُحرَم، لكنَّ من يَصدُق في طلب الآخرة فسيجني يومًا ما ثمارَ ما رجاه.

• لا يمكنُ لعبدٍ أن يحظى بخير الآخرة دون أن يسعى لها، فيتحمل تبعاتِها، وينهض بأعبائها، ومن يبتغِها بالأماني فهو مغرور.

• قال قتادة: (شكرَ اللهُ له اليسير، وتجاوز عنه الكثير).

﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠﴾

• ينال كلٌّ من المؤمن والكافر من الدنيا ما قُسم لهما من الرزق، فإذا جاء الموت افترقت بهما الأحوال.

• يظهرُ مولانا الحقُّ سبحانه وتعالى على عباده بصفة ربوبيته، فلا يمنعُ من عطائه أحدًا من خلقه.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾

• مَن شاء التفاوتَ الحقَّ فهو في الآخرة، في الرُّقعة الفسيحة، والآماد المتطاولة، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وليس ذلك في متاع الدنيا القليل الهزيل.

• لا تنظر إلى مَن فُضِّل عليك في حظّ الدنيا، ولكنِ انظر إلى مَن سما عليك في حظّ الآخرة، فعسى أن تجِدّ وتلحَق بركب الصالحين.

﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾

• أعظم الناس خِذلانًا مَن تعلَّق بغير الله، يرجو نصرَه ورِفدَه، وما درى أن ذلك يعود عليه بخلاف ما يشتهيه!

﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾

• أوّلُ ما يُؤمَر به العبدُ هو إخلاص العبادة لله، فذاك الإخلاصُ في المعتقد هو أصلُ إصلاح العمل.

• إذا أردتَ أن تعرفَ عظمةَ الوالدين فانظُر كيف قرَن اللهُ حقَّه بحقِّهما، فاللهُ أنعمَ عليك بنعمة الإيجاد، ووالداك أنعما عليك بنعمة التربية والإيلاد.

• لا تقُل لوالديك أدنى كلمةٍ يمكن أن تغضبَهما، ولا تسكُت بين أيديهما إن كان سكوتُك لا يُرضيهما.

• قال ابنُ عَقيل: (من أحسَنِ ظنّي بربِّي أنه بلغَ من لطفه أن وصَّى بي ولدِي إذا كبِرتُ، فقال: {فلا تقل لهما أُفٍّ}).

• كم كنتَ ضعيفًا حتى قويتَ في كنَف والدَيك! أفتدعُهما وهما بأمسِّ الحاجة إليك؟

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾

• كن بين يدَي والدَيك في غاية الأدب، في أقوالك وأفعالك، وحركاتك ونظراتك.

• يا صاحبَ الجاه العريض، والعلم الغزير، والمال الوفير، تواضَع لوالدَيك اللذين لم يصلا إلى ما وصلت إليه؛ فما أنت إلا غَرسُهما الذي أينَع.

• ما أمرَ اللهُ تعالى بالدعاء للوالدين، إلا وقد أذِن بالإجابة متفضلًا، فاللَّهُمَّ انظر لوالدينا بعين عنايتك وفضلك ورحمتك.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥﴾

• ليحذرِ الإنسانُ من أن يُظهر لوالديه البرَّ ويُضمر لهما الكراهة؛ فإن الله عليم بما يخفيه.

• مَن كان صالحًا منيبًا، محبًّا ما يقرِّب إلى ربه، فإنه -وإن جرى منه أحيانًا قصور- فإن الله يعفو عنه إن رجَع إليه من معصيته.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾

• لا مِنَّةَ للعبد في صلته ذوي القربى والمساكينِ وابن السبيل، بل هو فرضٌ يؤدِّيه حقًّا عليه، لا تفضُّلًا منه.

• قال مجاهد: (لو أنفق إنسانٌ مالَه كلَّه في الحقِّ ما كان تبذيرًا، ولو أنفق مُدًّا في باطل كان تبذيرًا).

﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾

• الشيطان يوسوس للعبد بأن يصرِفَ ماله في الملَذّات والمعاصي، والعاقل مَن عصاه.

• كفرَ الشيطانُ بنعمة ربِّه، وقد كانت ربوبيتُه سبحانه داعيةً إلى حمده وشُكره، لو أنه عقَل!

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ
وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ
مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ
ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

٢٨٥

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

• مَن لم يكن عنده مالٌ يَجبُر به خاطرَ الفقير، فليُسعِد قلبَه بالقول الجميل.

• لا تظُنَّ أن الصدقة محصورةٌ بتقديم المال، فالقولُ الليِّن والكلمةُ الطيِّبة صدقةٌ أيضًا.

• لا ينبغي أن تكونَ قلَّة الرزق مدعاةً لراحة النفس من البذل، بل يرجو المُعسر ربَّه أن يُفيضَ عليه حتى يبلغَ فضيلةَ الإنفاق في سبيله.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

• تأمَّل في صورة البخيل وقد شُدَّت يدُه إلى عنقه، فهو لا ينتفع بها ولا ينفع غيره؛ أفيرضى أحدٌ أن تكونَ هذه صفته؟!

• بالحكمة والعدل في المنع والبذل يضع المرءُ مالَه موضعَه الحقَّ، فيكون بذلك مُقتصِدًا، والاقتصاد فضيلةٌ بين رذيلتَي الشحِّ والسَّرَف.

• مَن خالف التوجيه الربانيَّ لم يجنِ سوى الملامة أو الندامة، فإنه إذا بخِلَ لامَه الناس، وإذا أسرف في العطاء لم يبقَ معه ما ينفقه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

• فليرضَ العبدُ من الله تعالى بما قدَّره، سواء أبسطَ له رزقَه أم قدَره، فإنه عن علم وحكمة اختارَ له.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

• الله تعالى أرحمُ بالولد من والدَيه، فقد نهاهما عن قتله خشيةَ الإنفاق عليه، وتكفَّل سبحانه برزق الوالد وما ولد.

• إن المجتمع الذي يُبيح قتلَ الأولاد وإجهاضَ الأجنَّة ومنعَ النسل؛ خوفًا من الفقر، لا يمكن أن يصلحَ شأنُه؛ لأنه مجتمع نفعيٌّ تسوده الأثَرة والأنانيَّة.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

• النظر واسترسال التفكير والخَلوة رسُل الفاحشة، فإيَّاك وإيَّاها.

• ما أقبحَ الزنى لدى كلِّ عاقل، فقد جمع بين كونه فاحشًا في نفسه، ومُوصِلًا إلى الهلاك.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

• الإسلام دينُ الحياة والسلام، ولا يسمح لعبد أن يسلُبَ حياةَ أحدٍ إلا بإذن الشارع سبحانه، فهو باري الحياة ومالكها.

• الإسلام دينُ عدل، أنصف المظلومَ بقدر حقِّه، من غير تجاوزِ قدرَ ظُلامته.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾

• اليتيم إنسانٌ ضعيف مَهيض الجناح، قليلُ المعين والناصر؛ ولهذا كان معظَّمَ الحقِّ؛ وإن الاقتراب من ماله بالباطل فضلًا عن الولوغ فيه، خطرُه كبير وضريبتُه باهظة.

• ليتخيَّر مَن يملك التصرُّفَ بمال اليتيم أحسنَ الطرائق وأنفعها لليتيم؛ فإنه لم يُؤذَن له بغير ذلك.

• يربِّي الإسلام أتباعَه على الالتزام بمسؤوليَّة ما يصدُر عنهم من كلام، وفي ذلك تهذيبٌ للأخلاق، ومراعاةٌ للحقوق.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

• على كِفَّة الميزان تُعرَف أمانةُ المرء من خيانته، فمَن وقف على حدِّ الحقِّ فذلك الأمين، ومن طفَّف فهو الخائن.

• كما يَدين المرء يُدان، وكما يَكيل للناس يُكال له، فإن وفَّى وُفِّي له، ومَن أحسنُ من الله وفاء؟!

• حين يستشري الفساد الماليُّ في مجتمع ما يؤول ضررُه على الجميع، حتى على الفاسد نفسه، وحين يغلب الوفاء والعدل فإن الخير يعمُّ الجميع في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

• تركُ تتبُّع ما لا علمَ به يُصلح عقولَ الأمَّة، فلا يختلط عندها المعلومُ والمظنون والموهوم، ومن ثَمَّ تسلَم من الوقوع في المهالك.

• سيسأل الله عبادَه عمَّا استعملوا جوارحَهم فيه، فإن كانوا قد عبدوه فيها وأطاعوه وأخلصوا له، فما أيسرَ الإجابةَ عليهم يومئذ!

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾

• هلَّا نظر العبد أين هو، وما حجمُه على الأرض التي تُقلُّه، وتحت السماء التي تُظلُّه، إذن لما تفاخر ولا تجبَّر.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

• لو كان في قلب العبد نوعُ محبَّةٍ لربِّه لأقلعَ عمَّا يكرهه، فكيف بما توعَّد عليه العاصين؟!

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم
بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا
﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا
مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ
وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾
نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ
إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

٢٨٦

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

- شريعة الله أوامرُها ونواهيها مبنيَّةٌ على الحكمة، فما أعظمَها من شريعة!

- التوحيد رأسُ كلِّ حكمة ومِلاكها، ومَن عدِمَه لم تنفعه حِكمُه ولا علومُه، وإن بذَّ فيها الحكماء، وحكَّ برأسه السماء، وما أغنت عن الفلاسفة أسفارُ الحِكم، إن كانوا عن دين الله أضلَّ من النَّعَم.

- من تكبَّر على دين الله تعالى سيُلقى في جهنَّم إلقاءَ الحطب في اللهب، لا قيمةَ له ولا كرامة.

- ألا ما أشدَّ ما يَلقى المشركُ يوم القيامة! إنه يُرمى في جهنم والملامةُ تعذِّبه، والخلودُ في الجحيم ينتظره.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

- عجيبٌ أن ينسُب امرؤٌ لربِّه ما هو منزَّهٌ عنه، وهو ذو الربوبيَّة والكمال، والغنى والجلال! فكيف ينسُب العبد لخالقه ما يكرهه هو لنفسه؟!

- لا يستهن عبدٌ في كلمة يقولها في حقِّ الله تعالى وتوحيده، فقد تكون عظيمةً في شناعتها وجُرأتها، وضخامة الافتراء فيها، وخروجها عن التصوُّر والتصديق.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

- كم في كتاب الله تعالى من دلائلَ على التوحيد! فقد أمر به ودعا إليه، ورغَّب فيه واحتجَّ له ودلَّل عليه، فلم يدَع في النفس منه شكًّا ولا ريبة، ثم تجد بعضَ الخلق ينفِر منه متمسِّكًا بعقيدته الباطلة.

- مَن صدَّ عن الحقِّ فلنقصٍ فيه، ولا يعيب الحقَّ ولا الدعاة الصادقين إليه إعراضُ المعرضين عنه؛ إذ لو طهُرت القلوب وزكت النفوس لأقبلت عليه.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

- سبحان من تنزَّه أن يكون معه في عبادته شريك ينازعه، أو نِدٌّ يقاسمه حقَّه الذي انفرد به سبحانه وتعالى.

- الله سبحانه هو ذو العرش المجيد، الذي يجب التوجُّه إليه وعبادته وحدَه دون مَن سواه، وإن التفكُّر في عظمة عرشه داعٍ إلى توحيده.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

- تبارك الله ذو الأسماء الحسنى والصفات العُلا، الذي نزَّه نفسه أن يماثله أحدٌ من خلقه في ذلك.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

- آفاقُ السماء وفِجاجُ الأرض تسبِّح بحمد ربِّها؛ فلِمَ لا ندخل في سِلك المسبِّحين كما يسبِّح الكونُ كلُّه؟ ألا ما أعظمَ حِلمَه سبحانه عن قول المفترين! وما أعظمَ مغفرتَه للعباد المقصِّرين!

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾

- أبعدُ الناس عن الانتفاع بالقرآن مَن لا يؤمن بالآخرة، فمَن لا يؤمن بالحساب، لا يُبالي بالصواب.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾

- الحرمان كلُّ الحرمان أن تُحرمَ القلوب لذَّةَ المعرفة بكتاب الله وأُنسَ القرب منه، فاستعذ بالله أن يُختمَ على قلبك.

- على المسلم أن يجلوَ مرآةَ قلبه من كلِّ قتَر، لتبدوَ دلائلُ الآيات عليها واضحة، فيَحصُل له الفهم والاعتبار.

- إذا أردتَّ اختبارَ إيمانك فانظر كيف قلبُك عند تلقِّي الآيات والحديثِ عنها، أتجد شوقًا لسماعها أم نفورًا؟!

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾

- ما لم يكن السماعُ لطلب الحقِّ، فهو سماعٌ لا ينفع، بل تقوم على صاحبه به الحجَّة.

- لولا أن المشركين وجدوا في القرآن ما ليس لبشرٍ أن يأتيَ بمثله ما نسبوا قائلَه إلى السحر، ولكنَّهم أدركوا تميُّزه وتفوُّقه.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

- اضطربَ المشركون فيما جاء به الرسول ﷺ، فسارعوا إلى اتِّهامه بكلِّ وسيلة، وكلَّما ظهر عَوارُ واحدة سلكوا أخرى حتى انتهى ما لديهم، وزاد أمرُ رسول الله ﷺ ظهورًا.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾

- لقد جهل أشدَّ الجهل من قاسَ قدرة المخلوق الضعيف العاجز على قدرة القويِّ القادر، فأيُّ عاقل ينكر أظهرَ الأشياء؟!

نصف الحزب ٢٩

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى
صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ
إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا
مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن
دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

٢٨٧

﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾

فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ: فسيحرِّكونها مستهزئين متعجِّبين.

• مَن قدر على الخلق من غير مثال، فإنه قادرٌ على بعث مَن خلق على كلِّ حال، سواءٌ كنتم بشرًا من تراب أو حجرٍ أو حديد، فإن المبدأ واحد: القادر على الابتداء قادرٌ على الإعادة.

• المكذِّب إذا أُلزم بحجَّة، أو قطع شبهتَه برهان، انتقل إلى المحاججة بشبهةٍ أخرى حتى يقرِّر باطلَه، وأنَّى لحقٍّ أن يصلَ قلبًا يسعى صاحبُه جاهدًا لقطع كلِّ طريق إليه؟!

• ليس في تعيين وقت القيامة فائدة، وإنما الفائدةُ في الإقرار به وإثباته، وإلا فكلُّ آتٍ قريب.

• ما أجملَ أسلوبَ القرآن الكريم في الحوار! إنه الحوارُ الهادئ، الذي لا غِلظةَ فيه ولا فظاظة.

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾

• ليس ثَمَّةَ غطرسةٌ يوم القيامة، بل سيطلب الناسُ الإجابةَ بأنفسهم مسرعين في القيام؛ طاعةً لله وانصياعًا لأمره، فلله الكبرياءُ والعُلوُّ، وله الحمد والثناء.

• الأعمار الطويلة للأفراد والأمم وللدنيا كلِّها لن تكونَ إلا في خانة (القليل) في ذلك اليوم الطويل.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾

• الشيطان متربِّصٌ بالبشر، يريد أن يوقعَ بينهم العداوةَ والبغضاء، وأن يجعلَ من النزاع التافه عِراكًا داميًا، ولا يسدُّ الطريق أمامه مثلُ القول الجميل.

• قد ينزَغُ الشيطانُ في الكلمة الحسنة إذا أمكن التخاطب بالأحسنِ منها، فانتقِ أحسنَ ما تعرفه من الكلمات.

• القولُ الحسنُ داعٍ لكل خُلق جميل، وعملٍ صالح، فإن مَن ملكَ جارحةَ لسانه ذلَّت له جميع جوارحه، وملك جميعَ أمره.

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

• يخوض بعضُ الناس في حالِ غيره ومآله، في هدايته وضلاله، وإنما أمرُ ذلك كلِّه إلى الله الذي يملك القلوب، ويعلم الغيوب، فلندَعِ الأمرَ لصاحب الأمر.

• ليس الداعيةُ ربًّا على الخلائق، ولا رقيبًا عليهم، وهو لا يدري عاقبة نفسه، وهو مسؤولٌ عن دعوته لا عن حال مدعوِّيه، ولقد ارتاحت نفسٌ أدَّت ما عليها، وتركت همَّ ما ليس لها.

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾

• الموصي بالحِكَم، والقاضي بين العباد، ومدبِّر الأمر كلِّه، هو من وَسِعَ علمُه كلَّ شيء في السماوات والأرض، وفي ذلك أعظمُ داعٍ للرضا والتسليم.

• من مظاهر علمه سبحانه وقوعُ التفضيل منه بين عباده، فالناسُ يعلمون ظاهرًا من الأمر، وهو يعلم ظاهرَ الأمر وباطنَه.

• العلم بالله وبدينه خيرٌ من الدنيا وما فيها، فإن داود عليه السلام مع ما ناله من المُلك، لم يُفضَّل هنا به، وإنما فُضِّل بالعلم الذي أُوتيَه.

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾

• دعاء غير الله ممَّن لا يملك من أمره شيئًا نقصٌ في الدين، وسفهٌ في الرأي، وقلَّةٌ في العقل.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾

• الخوف والرجاء والمحبَّة من صفات المقرَّبين من الله تعالى، فمَن جمعها في قلبه فقد جمع الخير كلَّه، فطوبى له ثم طوبى له!

• مع رجاء المقرَّبين رحمةَ الله تعالى، فإنهم يخشَونه، وهذا شأن الأديب بين يديه، لا يزيده القربُ منه إلا إجلالًا له وخوفًا منه.

• إذا كان الملائكة والرسُل عليهم السلام يحذَرون عذابَ الله، فنحن أجدرُ بالحذر.

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾

• يا من لا يزال سادرًا في غفلته، مسرفًا على نفسه بمعصية ربِّه، بادِر إلى الإنابة قبل حلول العقوبة، وذهابِ زمان المهلة.

• طول الأمل للأفراد والقرى جهلٌ بالشرع وبالتاريخ، والعاقل مَن أدرك أن الأيام دُوَل، وأن القرى التي تُعمَر اليوم قد تُهدَم غدًا.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ
وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ
إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا
ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ
فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠
وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ
قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي
كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ٦٣ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ
مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ
فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي
ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٦٦

٢٨٨

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾

• يا أمَّةَ محمَّد، أروا اللهَ من أنفسكم خيرًا، وبرهنوا بحسن أفعالكم على استحقاق الخيرية، فإن أمَّتكم أمَّةٌ مرحومة من عذاب الاستئصال، والأخذِ العامِّ بالنَّكال.

• ألم تسمعوا أيها العربُ بأخبار الأمم التي تغدون وتروحون قريبًا من ديارهم، كيف هلكوا؟ أما لو نظرتم قريبًا منكم لرأيتم آثارهم ظاهرةً ناطقة.

• الخسارة حقًّا أن تكونَ الآية الواضحة التي هي سببُ الاهتداء والإيمان سببًا للكفر والطغيان، ثم الهلاك بعد ذلك والخسران.

• قال قتادة: (إن الله يخوِّف الناسَ بما شاء من آياته؛ لعلَّهم يعتبرون أو يذكرون أو يرجعون. ذُكر لنا أن الكوفة رَجَفَت على عهد ابن مسعود، فقال: يا أيها الناس، إن ربَّكم يستعتِبُكم فأعتِبوه).

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠﴾

• ليعلم مَن لم يعتبر بآيات الله الكونيَّة أنه بقبضةِ مُجريها سبحانه، يأخذه متى شاء.

• الآيةُ من آيات الله تكون فتنةً للناس إذا لم يعتبروا بها، ولم تُخِفهم رهبتها، وغدَوا فيها يشككون، وفي قدرة الله يترددون.

• ما يزالُ تخويفُ الله تعالى لعباده يتجددُ في كل عصر، ومع ذلك لا ينفك الطغاة عن طغيانهم، وكثيرٌ من الناس يشاهدون آياتِ العذاب فيجعلونها ظواهر طبيعية، غافلين عن أسبابها!

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١﴾

• الإعراض عن الحقِّ طغيانًا وكِبرًا، داءٌ قديم، بدأه إبليسُ وسار على نهجه أتباعُه إلى اليوم.

﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾

لَأَحۡتَنِكَنَّ: لأستولِيَنَّ عليهم بالإغواء والإضلال.

• عجبًا لمَن يتَّخذ إبليسَ وليًّا مع أنه أساء الأدب مع ربِّه، وأظهر عداوته لجميع بني آدم من خَلقه.

• لم يستطع الشيطانُ الاستيلاءَ على أوَّل الأنبياء، فتوعَّد بإغواء ذرِّيته، وانحرافُ الأبناء ما زال مَطمعَ الشياطين وأشباههم.

﴿قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ٦٣﴾

• مَن أراد أن يراغمَ ربَّه، فليعلم أنه لا يراغم إلا نفسَه، ومن ذا الذي يقوى على معاداة الله عزَّ وجل؟!

﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾

• تتنوَّع أدواتُ إبليسَ في الإضلال؛ فمن التهييج بتزيين الباطل والإغراء به، إلى أصوات دعاة الشهَوات والشبُهات، إلى جلَبة الساخرين والمخوِّفين لأهل الحق، إلى كلِّ راكب وماشٍ في معصية الله.

• لقد أعدَّ الشيطان لك أيها الإنسان كلَّ وسيلة يصل بها إليك ليُغويَك، بأسبابٍ مختلفةٍ وطرائق شتَّى، فتحصَّن منه بالحذر والتقوى.

• العاقل من حذِرَ مشاركةَ الشيطان له؛ لأن الرضا بذلك هو عينُ الخسارة، فمَن دخل في تلك الشركة فليَفُضَّها، وليستنقِذ ما استطاع من رأس ماله وولده.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥﴾

• يا من تقاوم غرورَ الشيطان وخداعه وإغواءه، أبشِر بدخولك في جملة عباد الله الطائعين المكرَّمين.

• مَن رأى للشيطان غلبةً على نفسه، فليراجع عبوديَّته لربِّه، وليتحقَّق من عَلاقته به؛ فإن إغواء الشيطان دليلُ ضعف العَلاقة بالرحمن.

• من أعظم العواصم من الشيطان وما يجُرُّه على العبد لزومُ القلب في الاعتماد على الله تعالى والتوكُّل عليه.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٦٦﴾

• هل تفكَّرت وأنت على مراكب البحر المختلفة عِظَمَ هذه النعمة التي أنت عليها، وكيف سخَّر لك هذا المخلوقَ العظيم لتسيرَ على ظهره دون أن تغرقَ فيه؟

• سبحان مَن وسعت رحمتُه كلَّ عباده، وتفضَّل بنِعَمه عليهم جميعًا، فما من عبدٍ من عباد الله إلا وهو منتفعٌ بشيء منها!

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا
نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧ أَفَأَمِنتُمۡ
أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ
لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً
أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ
ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ٦٩ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِىٓ
ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ يَوۡمَ نَدۡعُواْ
كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ
يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ٧١ وَمَن كَانَ
فِى هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢ وَإِن
كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِىَ
عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ
لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ
ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥

الحزب ٢٩

٢٨٩

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧﴾

• لحظة البحر الذي تحيط بك من كلِّ جانب مياهُه، هي مثال لكلِّ كَربٍ تحيط بك أهوالُه، ولا ينجيك في تلك اللحظات الحرِجة غيرُ الله تعالى، فاستمسك بحباله.

• الفزع إلى الله في الشدَّة دون الرخاء ليس من خُلق المؤمنين، بل المؤمن يتعرَّف إلى الله تعالى في الرخاء؛ ليُجابَ وقتَ الشدَّة.

• أيُّ جحودٍ أعظم من أن يُلحَّ المرءُ في حاجته، فإذا أجابه مولاه نسيَه، وتوجَّه بالشكر إلى السبب ونسي المسبِّب سبحانه؟!

﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨﴾

• ما من مكانٍ يعصِمُ من غضب الله تعالى إن حلَّ، فإنه كما يُغيِّب مَن شاء بالغرق في البحر، كذلك يغيِّب مَن أراد بالخسف في البرِّ، وكلاهما أمام قدرته سِيَّان.

• إذا أراد الله أن تنهارَ بعباده الأرضُ خسفًا، أو يُمطرَهم بحجارة من السماء فتقتلَهم، فلن يجدوا أحدًا يحفظهم مِن عذابه؟ أفما كان الأجدى لهم أن يوحِّدوه، حتى يَسلَموا من المكروه؟

﴿أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ٦٩﴾

• إنك لا تزالُ بحاجةٍ إلى الله عزَّ وجلَّ ما حَييت، ولولا حفظُ الله وتوفيقُه ما بقيت.

﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾

• يا بنَ آدم، انظر إلى تفضيل الله لك على سائر خلقه، وتكريمه لك بأنواع التكريم، وتسخيره لك جميعَ ما في الكون من دوابَّ في البرِّ وسفُنٍ في البحر، ورزقه لك بأنواع الطيِّبات من المطاعم والمشارب؛ فهلَّا شكرتَ الله على ذلك فعبدتَه وحدَه.

﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ٧١﴾

• هذا أكبرُ شرفٍ لكلِّ من سلكَ تعلُّمَ علوم الشريعة، فإن النبيَّ ﷺ إمامٌ له؛ إذ هو المشرِّع الذي تُستقى منه هذه العلوم.

• يا سعدَ من يؤتى كتابَه بيمينه، فيقرأ ما فيه فرحًا بما يحتويه! ويا بُشراه بنيل ثواب أعماله الصالحة من غير نقص فيها.

﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾

• مَن عَمِيَ في الدنيا عن طريق الهداية والسلامة، عمِيَ عن طريق النجاة من العذاب يوم القيامة.

• أمَّا ضلالُ الآخرة فلا خلاصَ منه، وأمَّا ضلالُ الدنيا فالخلاصُ منه بسلوك طريق النور، الذي جعل الله عليه أئمَّةً هادين.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِىَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣﴾

• أهل الشرِّ يعرفون أن مصدر قوَّة أهل الخير هي دينُهم، فلا يفتؤون يسعَون إلى زعزعة تمسُّكهم به؛ ببثِّ الشُّبَه ليفتنوهم عنه.

• ما أكثرَ فرحَ الكافرين والمنافقين بالمفترين على الدين، والمنحرفين عن مساره الصحيح! وما أعظمَ حبَّهم لمَن يطعَن في الإسلام وشرائعه ممَّن غرَّتهم الشهوات، وأعمتهم الشبُهات!

﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾

• لا يعصِمُك من الركون إلى الكافرين إلا توفيقُ الله تعالى لك، وتثبيتُه إياك، فتلك العنايةُ الربَّانية هي التي عصمت نبيَّك الكريم من أدنى مراتب ذلك الركون.

• صاحب الحقِّ الذي يقبَل التنازلَ في جزء منه ولو يسيرًا، وفي إغفال طرف منه ولو ضئيلًا، لا يملِك أن يقف عندما سلَّم به أوَّل مرَّة؛ لأن استعداده للتنازل يتزايد كلما رجَع خطوةً إلى الوراء.

• ينبغي للعبد أن يكونَ في كلِّ أوقاته متضرِّعًا إلى ربِّه أن يثبِّته على الإيمان، ساعيًا في كل سبب موصِلٍ إلى ذلك؛ لأن النبي ﷺ -وهو أكملُ الخلق- قد خُوطب بهذه الآية، فكيف بغيره؟!

﴿إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥﴾

• مهما علَت منزلتُك عند الله تعالى فلا تُداهِن مَن يعاديه، فإنه فعلٌ لا يرتضيه الله من أحدٍ، وإن كان من أعظم المقرَّبين إليه.

• يا أيها الثابتون على الحقِّ إنكم بإذنِ الله تعالى منصورون، والراكنون إلى الباطل وأهله هم المخذولون.

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ
إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ
بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾
وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ
ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ
شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾
وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ
ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ
أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾

• أهل الباطل يسلكون مع صاحب الحقِّ طريقَ الترغيب، فإن أوصلهم إلى بُغيتهم وإلا سلكوا معه طريقَ الترهيب، والمؤمن الصادق ثابتٌ على الحقِّ إن رغَّبوا أو رهَّبوا.

• أرادوا إخراجَ النبيِّ الكريم ﷺ ليُغلقوا عن أنفسهم باب الضجَر بوجوده، فلم يلبثوا إلا قليلًا حتى فُتح عليهم باب العذاب.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

• لله في الظالمين سنَّة تتكرَّر، لكن المحروم محرومُ النظر في التاريخ والاعتبار بأحداثه، ظنًّا منه أنه في منأى عن العذاب، ولكن هيهات!

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾

• إذا دهمَتك الأحداثُ فافزَع إلى الصلاة، فإنها كهفُ الناجين من كيد الكائدين، ومنارُ السالكين في ليالي الماكرين.

• يريد اللهُ منك أن تكونَ على صلةٍ دائمة به؛ فلذلك شرَع لك في نهارك وليلك فرائضَ تجعلك به موصولًا، فكلَّما صرفتك همومُ الحياة عنه أعادك الأذانُ إليه.

• إن ركنَ الصلاة الأعظمَ ومقصودَها الأكبر هو ما يُتلى فيها من القرآن الكريم، ولمَّا كانت صلاة الفجر أطولَ قراءةً سمَّاها قرآنًا.

• كم غافلٍ عن صلاة الفجر فاته هذا المشهدُ العظيم الذي تشهده ملائكةُ الليل والنهار، وكم ينال شاهدُه من الخير والبركة والسعادة!

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾

• تأسَّ بنبيِّك ﷺ في عبادة قيام الليل؛ عسى أن يرفعَك اللهُ إلى مقام عظيم، كما رفع بذلك رسولَك الكريم.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

• ما أنفعَ هذا الدعاءَ لمَن يبتغي النجاحَ في كلِّ أحواله! فإن العبد لا يزال داخلًا في أمر وخارجًا من آخر، فمتى كان دخولُه لله وبالله، وخروجه كذلك، فقد أُدخل مُدخلَ صدق، وأُخرج مُخرَجَ صدق، وكان علمه نافعًا وعمله صالحًا.

• ليس للعبد قوَّةٌ من نفسه، ولا سلطانٌ ولا نصير، فالعاقل من استمدَّها ممَّن له القوَّة والسلطان.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

• الحقُّ موعودٌ بإظهار الله له، والباطل موعودٌ بإزهاقه، فكن من أهل الحقِّ ولو تأخَّر ظهورُه، فإنه ظاهرٌ ولو بعد حين.

• الأصل في الباطل الزُّهوق؛ لأنه يحمل بذور هلاكه في نفسه، وقد يكون له صولةٌ واستعلاء، ولكنَّها مؤقَّتة لضعف أهل الحقِّ، فمتى قويت شوكتُهم ذهب الباطلُ واضمحلّ.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

• في القرآن شفاءٌ للقلوب والعقول من أمراض الشبُهات والشهَوات، والموفَّق من يداوم على تلاوته وتدبُّره، والاستشفاء بألفاظه ومعانيه، وما يدعو إليه ويحذِّر منه.

• القرآن شفاءٌ ورحمةٌ لأهله المصدِّقين له، العاملين به، أمَّا مَن لم يصدِّق بآياته، ولم يعمل بتوجيهاته، فلا يزيدُهم إلا خسارًا؛ إذ ما كلُّ مَن تلا القرآن أو استمع إليه شُفيَ به وانتفع.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾

• المؤمن إذا أصابته مصيبةٌ صبر لها، ودعا الله أن يكشفَها، وإذا منَّ عليه بنعمة شكرها، وصرفها فيما يرضي واهبَها.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

• العمل الظاهرُ قبيحُه وحسنُه دليلٌ على قبح الهيئة الباطنة للعامل أو حسنِها.

• إلى علم الله ينتهي الحكمُ على الأعمال بالصلاح أو الفساد، والقَبول أو الرد، فاحرِص على صواب العمل وإخلاصه، تظفَر بصلاحه وقبوله.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

• كثيرًا ما يسأل الناس عمَّا ليس لهم فيه نفع، وإنما هو امتحانٌ للمسؤول أو تزجيةٌ للوقت، ومن الحكمة أن يرشدَ العالم سائلَه إلى ما هو أنفع له من جواب ما سأل.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾

• مهما علَت في العلم رتبتُك، وقوي حفظُك واستحضارُك، فافتقِر إلى مَن علَّمك، فإنه لا يُعجزه أن يسلُبَ عبدًا ما أعطاه.

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل
لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ
ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ
لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ
وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ
كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ
وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ
سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ
أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا
رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

٢٩١

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾

• على كلِّ ذي علم ألا يغفُلَ عن شكر الله على مِنَّته عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

ظَهِيرًا: مُعينًا.

• كيف يقدِر مخلوقٌ ناقصٌ على معارضة كلام خالقه الكامل الذي يفنى المِداد والأقلام دون أن تفنى كلماته؟ فيا له من تحدٍّ طالت السِّنونَ ولم يقف له أحدًا!

• لا يقفُ إعجاز القرآن عن كونه باللفظ والمعنى فحسب، بل هو كذلك في منهجه وعلومه وبراهينه التي لا يمكن لأحدٍ من الخلق أن يأتي بمثل ما فيه من الإبداع والإعجاز.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾

صَرَّفْنَا: نوّعنا وبيّنّا.

• كم في كتاب الله تعالى من ألوانِ الإعجاز والفضائل، وتنوُّع الأمثلة والقصص والدلائل!

• ليس كلُّ مَن باينَ الإسلامَ وصَدَّ عنه كان لجهله بحقائقه، وقلّة البصر بدلائله، بل هناك براهينُ وحُجَجٌ كثيرةٌ تشهد بصحّة الإسلام، ولكن العَداء والاستكبار يحولان دون التسليم لها.

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾

يَنۢبُوعًا: عينًا جارية.

كِسَفًا: قِطَعًا.

قَبِيلًا: مُقابلةً وعِيانًا.

﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

زُخْرُفٍ: ذهبٍ.

• ما أكثر دلائلَ القرآن على أنه كتابٌ من عند الله! فهل وجدوا فيه ما يقدحُ حتى يسألوا رسولهم غيرَه؟!

• من أساليب بعض المعاندين في مجادلة أهل الحقّ الحَيدةُ عن جوهر المسألة إلى قضايا أخرى حين يَعيا عن الجواب.

• لم يُبالِ المُعرِضون كيف يتحدَّون نبيَّهم، بما ينفعهم أو بما يضرُّهم، فما أعجبَ شأنَ التعنُّت والمتعنِّتين!

• تبدو على المشركين طفولةُ الإدراك والتصوُّر، كما يبدو التعنُّت في هذه المقترحات الساذَجة، وهم يسوُّون بين البيت من الذهب، والعروج إلى السماء!

• يقف الرسولُ الكريم عند حدود بشريَّته، ويعمل وَفقَ تكاليف رسالته، لا يقترح على الله تعالى، ولا يتزيَّد فيما كلَّفه إيَّاه.

• إن الله تعالى لا يُعجزه شيءٌ طلبه خلقُه أو لم يطلبوه، ولكنَّه تعالى يَرفُق بعباده؛ خشيةَ أن يكونَ عذابُهم فيما سألوه، إن لم يؤمنوا بعد ذلك بما طلبوه.

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾

• رسالة الله تحمل في طَيّاتها هدايةَ الناس، فتسلِّم لها العقولُ الحكيمة والفِطَر الصافية، لكنَّ مكذِّبي الحقيقة يبحثون عن أيِّ حُجَّة ولو وَهَت ليَدفعوا بها حُجَّةَ الله، وإلا فأيُّ سببٍ لبطلان الرسالة في بشريَّة الرسول؟!

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾

• من فضل الله على البشر أن جعل رسُلَه من جنسهم، تميل إليهم نفوسُهم، وتقدِر على التعامل معهم، وترى فيهم نموذجَها للاقتداء.

• لله الحمدُ أن أرسل إلى عباده مَن يصلهم به؛ إذ لا غنى لأحدٍ عن ربِّه تعالى.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾

• رسول الله ﷺ لا يفتقرُ إلى شهادة بشر بصحَّة رسالته؛ إذ تكفيه شهادةُ الله تعالى بأنه رسوله الذي بعثه إلى خلقه.

• إن الله تعالى عالمٌ بمَن يستحقُّ من عباده الإحسانَ والرعاية، ومَن هو أهلٌ للضلال والغواية، فليطمئنَّ المؤمنون وأهلُ الحقِّ والدعاةُ إليه.

وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا
وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ
وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ٩٩
قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ
ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ
ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ
إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤

الحِزْبُ ٣٠

٢٩٢

﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧﴾

• ليس موفَّقًا من الله تعالى مَن يُصِرُّ على الكفر مع وضوح الدليل، ومَن يتَّخذُ هواه رائدًا له في مواقفَ يجب فيها تحرِّي الحق.

• لا يتعلَّق العبدُ بغير الله تعالى إلا خذله وأخزاه، ولا يضرُّ العبيدَ مثلُ البعد عن حقيقة التوحيد.

• مَن لم يستعمل جوارحَه في فهم الحق جُوزيَ بألا ينتفع في الآخرة بشيء منها، ويُحشر وقد حيلَ بينه وبين الانتفاع بها، فيكون حائرًا متخبِّطًا، كحاله يوم كان عن دينه معرضًا.

• ما أفظعَه من مكان! نارٌ لا يفرح ساكنُها بخُبُوِّها حتى تزيدَه غمًّا بمزيدها، فيا أيها العاقلُ اجعل بينك وبينه وقايةً، تنَل السلامةَ والأمان.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨﴾

وَرُفَٰتًا: وأجزاءً مُفتَّتة.

• مَن آمن أن المعاقِب عدلٌ، ورأى عِظَم العقوبة، علم عِظَم الذنب وبشاعته، فلا تستخفُّ بكفر الكافرين بآيات الله يوم جزائه.

﴿۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ٩٩﴾

• المتأمِّل في السماوات والأرض كيف كانتا، ثم إلى ما صارتا من عجائب الخلق وإبداع الصُّنع، أيقن أن الله لا يُعجزه شيء أن يخلُقَه وينشئَه من العدَم.

• أمر البعث ليس بِدعًا من أمر الله في شريعته وخلقه، بل هو أساسٌ فيهما، وجزءٌ لا يمكن فصلُه عنهما.

• لكلِّ خلقِ الله أجلٌ لا ريبَ فيه، فمَن ارتاب به في الدنيا رأى منه في الآخرة ما يسوءُه، ومَن تهيَّأ له عاملًا مصدِّقًا رأى منه ما يسرُّه.

• وضوح الآيات وتقارُب الأجل، يدعوان العاقلَ إلى المبادرة إلى الإيمان والإخلاص في العمل.

﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾

• هؤلاء المتفاخرون بالكرم، المستعرضون بالدَّعاوى، لو ملكوا رزقَ الدنيا لمنعوه، فمَن لم يمنعه بخلًا وحبًّا في التفرُّد، منعه خشية النفاد وجهلًا بالعواقب.

• لو خبَرتَ أكثرَ الناس لرأيت غلبةَ الشحِّ عليهم، وحبَّ الإمساك والادِّخار عن غيرهم، فلا تطمع فيما جعله الله تعالى في أيديهم، واطمع فيما عند الله وحده.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١﴾

• مَن أُشربَ قلبُه التكذيبَ والعِناد فلا تنفعُه العظات والعِبر مهما كثُرت وعظُمت واتضحت؛ إلا أن يشاء الله.

﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢﴾

بَصَآئِرَ: دلالاتٍ وعِبَرًا تدلُّ أهلَ البصيرة على وحدانيَّةِ الله وقدرته.

• الداعية الألمعيُّ الموفَّق يتفرَّس في وجوه مَدعُوِّيه، ويتفطَّن بذكائه لأحوالهم، فيعرف الجاحدَ من الجاهل من المشبَّه عليه، فيعامل كلًّا منهم بما يلائمُ حالَه.

• من شأنِ آيات الله تعالى أن تُبصِّرَ مَن له بصيرة، فينظر بعين قلبه متذكِّرًا متدبِّرًا، مُذعنًا غيرَ متمرِّد.

• مَن تجاهل الحقائق، وكذَّب ببراهين الحقِّ التي ظهرت له، يُشرَع الإغلاظُ عليه دفعًا لعِناده، وتهوينًا من شأنه في قلوب المفتونين به.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣﴾

يَسۡتَفِزَّهُم: يُزعجَهم بعداوته ليُخرجَهم.

مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ: من أرض مِصرَ.

﴿وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤﴾

ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ: اسكُنوا أرضَ الشام.

لَفِيفٗا: جميعًا.

• أراد فِرعونُ أن ينفيَ بني إسرائيل عن مصرَ، فانقلب عليه مكرُه، واستُفزَّ هو وقومُه عن مصر، وذهبوا إلى الغرَق والبَوار، {ولا يَحيقُ المكرُ السيِّئ إلا بأهله}.

• لا فخرَ يوم القيامة بقبائلَ أو انحيازات، أو عشائرَ أو تجمُّعات، كما كان الناس في الدنيا، بل يجيئون كلهم خليطًا واحدًا، ثم يميَّزون إلى سعداء وأشقياء.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

• بالحقِّ نزل القرآن من السماء، وبالحقِّ وصل إلى الناس عن خير الأنبياء، حتى قام عليه الصلاة والسلام بتبشير مَن أطاعه بالجنَّة، وإنذار مَن عصاه بالنار، فما أحسنَ ما نزل! وما أجملَ ما بلَّغ رسول الله وفعل!

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

عَلَىٰ مُكْثٍ: على تمهُّل وتأنٍّ.

• من حِكم الله تعالى في إنزال كتابه مفرَّقًا أن يتدبَّره المرء، ويتفكَّر في معانيه، وهو ينهل من فُيوضه، ويستفيد من علومه. ومنها أن ذلك أقربُ للحفظ، وأعظم تثبيتًا للفؤاد، وأشرح للصدر؛ لأن أخبار الحبيب إذا كانت متواصلةً كان المحبُّ كلَّ يوم في عيد، وهناء جديد.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾

يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ: يَسجُدون على وجوهِهم.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

• مَن آمن بالقرآن نفع نفسَه، وبقدر إيمانه يكون انتفاعُه، ومَن كفر وأعرض فليس لله فيه حاجة، وليس بضارِّه شيئًا، وإنما ضرر ذلك على نفسه.

• تدبُّر القرآنِ يُثمرُ تسبيحَ الله تعالى وتنزيهَه عمَّا لا يليق به، واليقينَ باليوم الآخر، والتصديقَ بموعودات الله تعالى.

• قال عبد الأعلى التيميُّ رحمه الله: (مَن أوتيَ من العلم ما لا يُبكيه، لَخليقٌ ألا يكونَ أوتيَ علمًا ينفعه).

• من سِمات العلماء الربَّانيِّين دوامُ الخضوع لله تعالى، والتقرُّب إليه، والانطراح بين يديه، حتى إنهم ليمكِّنون وجوهَهم من الأرض من قوَّة الرغبة في السجود له.

• كم تزيد تلاوةُ القرآن المرءَ خشوعًا وإيمانًا! وما من أحدٍ بغنيٍّ عن هذا الخير الذي يزيده إيَّاه القرآن.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا: كن وسَطًا في القراءة بين الجهر والمُخافتة.

• خير ما دعوتَ به الله تعالى والتجأتَ به إليه أسماؤه الحسنى وصفاتُه العُلا، فتعبَّده بها، وسَله بها حوائجَك، يُستجَب بإذن الله دعاؤك.

• على الداعي أن يتَّبعَ آدابَ الدعاء في دعائه، فيعلم بمَ يدعو الله، وكيف يدعو، وإن التوسُّط بين السرِّ والجهر في الدعاء من تلك الآداب.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

• يستحقُّ الحمدَ والثناءَ والتعظيمَ والإجلال، مَن بلغت نعوتُه الغايةَ في حُسنها وكمالها، وذلك اللهُ جلَّ جلاله.

• مهما أثنيتَ على ربِّك، واجتهدتَ في طاعته وحمده، ونزَّهته ومجَّدتَه، فاعلم أنك مقصِّر، فإن العبدَ لا يُحصي على الله ثناءً.

سُورَةُ الكَهْفِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾

قَيِّمًا: مُستقيمًا مُعتدلًا.

• الحمدُ لله أوَّلًا وآخرًا، دائمًا وأبدًا، مَن علَّمنا كيف نحمَده على نعمه الجليَّة، ومِننه الخفيَّة، ومن أعظمها بركةً نعمةُ القرآن، المستقيم على الحقِّ المبين، المنزَّه عن أدنى مَيل للأباطيل.

الجزء الخامس عشر | سورة الإسراء

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
سجدة خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مكية الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ
﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾
مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

٢٩٣

• من تمام فضل الله تعالى على عباده أن أنزل عليهم كتابًا مبيِّنًا كريمًا، ومنهاجًا مُصلِحًا قويمًا، فأين المستمسكون بهَديه، العاملون بما فيه؟

• إن إنذارًا بالبأس لجديرٌ بالاهتمام، فكيف ببأسٍ شديد من لَدُن القويِّ العزيز؟!

• لن تكونَ أيها المؤمن مؤمنًا حتى تقيمَ على إيمانك دليلًا ساطعًا، وبرهانًا صادقًا، بأنه لا يزالُ قولك صالحًا، وعملك مَرضيًّا.

﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾

• دوام البُشرى أعظمُ وأرضى من البشرى نفسِها، والعاقل مَن عمل لنعيم الآخرة الدائم الثابت، ولم يخدَعه بريقُ الدنيا الزائلُ البائد.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾

• حاشا لله أن يتَّخذَ ولدًا؛ فإنه سبحانه أحدٌ صمَد، لم يلد ولم يُولَد، فمَن أعظمَ على الله تعالى الافتراء، استحقَّ عليه شديدَ الجزاء.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ
أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ إِنَّا
جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا
٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨ أَمۡ حَسِبۡتَ
أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩
إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ
رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ
فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ
ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم
بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣
وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤
هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم
بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥

٢٩٤

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥﴾

• ليس حسنًا أن يقفوَ المرء ما ليس له به علمٌ من شؤون الدنيا، فكيف بمَن يقول على الله الكبير بغير علم ولا كتابٍ منير؟!

• تقليد الآباء بغير تعقُّل، وترداد مقولاتهم من غير تفكُّر، قد يُودي بالإنسان إلى أقبح الافتراء والخطَل، وأشنع الكذب والدجَل.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾

• يتبدَّى صدقُ محبَّة العبد لربِّه في شفقته على خلقه، وحرصِه على هدايتهم، لكن عليه ألا يُهلكَ نفسَه في سبيل ذلك.

• تأمَّل في رحمة الله تعالى برسوله، وحبِّه إبعادَ الحزن عن حبيبه عليه الصلاة والسلام، فإنه نهاه عن إهلاك نفسه غمًّا على إعراض قومه، وصدودهم عن دعوته.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾

• جعل اللهُ ما على الأرض زينةً لها؛ فمِن مفتونٍ بها يلهو ويلعب، ومن متأمِّلٍ في عظمة فاطرها، وشاكرٍ لجميل صنع باريها.

• ما كان ينبغي أمام هذه النعم الجليلة أن ينقسم الناس فيها إلى جاحد وحامد؛ فشكرُ النعمة يقتضي أن يكونَ المرء مبتغيًا أحسنَ العمل.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨﴾

• هذه الدنيا بزخارفها وبهارجها، وصخَبها وضوضائها آيلةٌ إلى التلاشي والفناء، فلا تُعلِّق قلبَك بها، واجعل عملك خالصًا في طاعة باريها ومُفنيها.

﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩﴾

• لا تحسبنَّ نومَ فتيةِ الكهف مئاتِ السنين، وغرائبَ ما جرى لهم أنه من عجائب آيات الله، فإن فيما حولك من سماوات وجبال لهو أعجبُ وأعجب!

• أولى بك أيها المسلم أن تشتغلَ باستجلاء العِبَر من قصص القرآن، بدل الولع بعجائبها وتتبُّع غرائبها، فإنما قصَّها اللهُ عليك لتتَّعظ بمغزاها، وتنتفعَ بجدواها.

﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾

• مَن صدقَ بإيمانه، واستعلى بيقينه، آثر الهجرة والفرار على أن يعرِّضَ نفسه لفتنةٍ في دينه.

• إذا رأيت نفسَك على طاعة فسَل اللهَ مزيدَ فضله، ولا تدعِ التوكُّل عليه ولا الضراعة إليه.

﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١﴾

• حين يكون العبدُ في كنَف الله تعالى، يُذهب عنه الهمَّ والخوف، ويحُفُّه بألوان من اللطف؛ ألا ترى كيف نام أهل الكهف وهم مطارَدون، وبالقتل مهدَّدون؟

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢﴾

• لنستحضر دومًا أن الذي يبعثنا كل صباح من موتتنا الصغرى لقادرٌ على أن يَبعثنا من موتتنا الكبرى، فلنتهيَّأ للعرض الأكبر.

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾

• إذا جاءك القَصصُ عن الله فهو الحقُّ الذي لا باطل معه، والصدق الذي لا كذب فيه، والحدث الذي تُستقى منه العِبرة والعظات.

• أيها الشاب؛ لتحملك قوةُ شبابك على البحث عن الحق، والتضحية من أجله، ولا تُصغ لمَن ينادون باستفراغ الشباب في اللهو.

• ما أقبل عبدٌ على ربِّه بإيمان وعمل صالح إلا زاده هدًى وقُربًا، ومَن أتى ربَّه يمشي أتاه الله هرولة، فما أحرانا أن نخطوَ إلى رضا ربنا خطوات وخطوات!

﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤﴾

• مَن لم يربط اللهُ على قلبه برباط التوفيق والتوحيد اضطربت جميعُ شؤونه، ومَن ثبَّت الله قلبَه جمع له شملَه، فلم يتعلَّق بأحدٍ غيره.

• الإعلان بالحقِّ في وقته المناسب شرعًا في وجوه أعدائه القادرين على الإيذاء عملٌ عظيم، يحتاج إلى قلوب ثابتة، ونفوس متألِّقة في سماء التضحية ابتغاءَ وجه الله.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾

• أيها المسلم، إن لقومك عليك حقًّا من الدعوة والنصيحة، وليس ارتباطك بهم مسوِّغًا لترك الإنكار عليهم.

• الاعتقادُ الصحيح لا ينهَض إلا بدليل ينير للعقل والفؤاد سبيلَ النجاة والأمان، أمَّا من خبَط بلا حُجة فمصيره وخيمٌ وبيل.

• أعظم الظلم وأولاه بالإنكار الإشراكُ بالله الواحد القهَّار، فهو الشطَط البعيد.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾﴾

مِّرۡفَقٗا: ما تنتفِعون به من أسباب العَيش.

• اعلم أنه لا آصرةَ تُقدَّم على آصرة الدين، وأن البراءة واجبةٌ من القوم الكافرين، كالبراءة من معبوداتهم الباطلة.

• العُزلة لمَن خشيَ الفتنة في دينه خيرٌ من الخُلطة، فإن الفتنة في الدين أشدُّ من القتل.

• أصبح الكهفُ على ضيقه أفسحَ من قصور الأرض، وأرحبَ من بساتين الدنيا، حين انتشرت فيه رحمةُ الله؛ فالعِبرةُ بسَعة القلب بطاعة مولاه، لا بسَعة المكان أو ضيقه.

• مَن فرَّ بدينه من الفتن سلَّمه الله منها، ومَن سأل اللهَ العافيةَ عافاه، ومَن أوى إلى الله آواه، ومَن تحمَّل الذلَّ في سبيل مرضاته كانت عاقبةُ أمره عزًّا ومجدًا.

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾﴾

تَّقۡرِضُهُمۡ: تترُكهم وتتجاوزُهم.

• انظر إلى لطف الله بهم، واجتباء الله لهم؛ فلا الشمسُ تؤذيهم، ولا ضيقُ المكان يزعجهم!

• مَن الذي جلب الهدايةَ لفتيةٍ في مستنقع الشِّرك والعدوان؟ ومَن الذي خذل بالضلالة قومًا تنزَّل فيهم القرآن؟ فاستهدِ بالله، فهو وحدَه الهادي.

• لا رادَّ لأمر الله تعالى، فمَن أعمى بصيرته، وأضلَّ عن الهدى قلبَه، لم يفلح ولو أعانه أهلُ الأرض جميعًا.

﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾﴾

بِٱلۡوَصِيدِ: بفِناءِ الكهف.

• إذا كان النومُ في الحال المعتادة نعمة، فإنه في حال الخوف والهلع أظهر في المنة؛ إذ به تسكنُ النفوس، ويذهب ما بها من قلق واضطراب، وتنعَم بالأمان.

• إذا شَمِلتك رحمةُ الله لَحِقتك عنايته، ولازمتك رعايته، في يقظتك ومنامك، وفي حركتك وسكونك.

• من نعمة الله على الفتية أن حرسهم من أيادي اللامسين، حيث ألقى عليهم المهابةَ بحيث لا يقع نظرُ أحدٍ عليهم إلا هابهم فذهب عنهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

• لقد جعل الله هؤلاء الفتيةَ آيةً شاهدة لأنفسهم ولغيرهم ببعثهم بعد هذه المدَّة الطويلة، وهم لنا آيةٌ إلى قيام الساعة، تستوجب التأمُّلَ والاعتبار.

• كم مضَت من أجيال، وتصرَّمت من أعمار، ودالت من دُول، وانقضَت من أزمات، ولم يشعُر بها هؤلاء الفتية، فسبحان مَن أراحهم من كلِّ هذا العناء!

• على المرء إذا عرض عليه أمرٌ غيرُ واضح الأدلة ألا يَجزِم به، بل يفوِّض علمه إلى بارئه. فإياك أن تخوضَ فيما لا تعلم، فإنك يوم المعاد موقوف، وعن أقوالك مسؤول.

• العملُ بالأسباب لا ينافي صدقَ التوكُّل على الله تعالى، ولكنَّه من تمام التوكُّل والتسليم؛ فلا تواكُلَ في الإسلام، ولا اعتمادَ على الأسباب دون رب الأرباب.

• أحلَّ الله لعباده الطيِّبات، وحرَّم عليهم

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾

الخبائث والمنكرات، فلا جُناحَ على مَن تخيَّر من الطيِّبات أطيبَها، ومن مُتَع الدنيا أحلَّها وخيرَها.

• قضاء الحوائج العظيمة في الأحوال المتغيِّرة يحتاج إلى تلطُّف وكِتمان، وبُعدٍ عن الإظهار والإعلان؛ خوفًا على فوات الحاجات، أو نزولِ ضرر بأهلها.

• المؤمن كيِّسٌ حذِر؛ يتلطَّف في تدبير شؤونه، ويُحسن التأنِّيَ مع أعدائه وخصومه، يغلِّب العقل، ويتوخَّى الحكمة.

﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾﴾

• سنَّة ابتلاء المجرمين لأهل الحقِّ ماضية باقية، وفي ظهور المبطِلين واستيلاء الطَّغام والجاهلين، مظهرٌ بليغ من مظاهرها.

• غاية الغايات الفوزُ برضا الله ودخولُ الجنَّات، فيا لَخسارةِ مَن ارتدَّ بعد الإيمان فانحرف عن تلك الغاية، ولم يوفَّق للثبات حتى يبلغَها.

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ
ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ
رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ
رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ
أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ
ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ
إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا
٢٤ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا
٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ
فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧

٢٩٦

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾

أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ: أطلَعنا عليهم أهلَ زمانهم.

ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ: أصحابُ الكلمة والنُّفوذ فيهم.

• كم لله تعالى في تصاريف الأمور من حِكم، وكم له في ثنايا أقداره من ألطافٍ خفيَّة وكرم!

• خيرٌ للمسلمين أن يردُّوا ما يتنازعون فيه إلى الله تعالى، وإلى رسوله الكريم ﷺ؛ فإن ذلك هو الأسلم والأحكم.

• تعظيم الصالحين يكون بتعظيم منهج الحقِّ الذي سلكوه، واتِّباع الهدي الذي أمُّوه، لا في الغلوِّ فيهم، وبناء القِباب على قبورهم!

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾

رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ: قولًا بالظنِّ من غير علمٍ ولا دليل.

فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ: فلا تُجادل في عِدَّتهم.

إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا: إلا جدالًا واضحًا بذِكر ما قصصنا عليك من شأنهم دون زيادة.

• إن كان لا يجوز التخرُّص في أمور الناس وأخبار الأمم، أفيجوز في قضايا الدين وأحكام الشريعة؟!

• مَن كان من البشر يعلم، فإن الله جلَّ شأنه هو الأعلم، ولا يماثلُ اللهَ تعالى في صفاته ولا علومه أحدٌ.

• إنما أُنزل القرآنُ لتدبُّر آياته وفهم مقاصده، واستجلاء عِبَره والعمل بإرشاداته، لا للخوض فيما لا يضُرُّ الجهلُ به من قصصه، والسؤال عمَّا لا ينفع العلم به من أخباره.

• المجادِل ينبغي ألا يجادلَ إلا بالعلم؛ قال قَتادة: (حَسبُك ما قصصنا عليك من شأنهم).

• مَن كان مستفتيًا فلا يستفتِ إلا عالمًا صالحًا، ولا يسأله إلا عمَّا ينفعه ويفيده.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾

• لا تقطع بعملٍ ستفعله حتى تقول: (إن شاء الله)، فإن عمل الغد من الغيب، و{لا يعلمُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ الغيبَ إلا الله}.

• نِعمَ العبدُ من يعلِّق قلبَه بالله، ويضع حوائجه كلَّها على بابه، راضيًا بما يقضيه ويقدِّره.

• من النسيان ما هو من كيد الشيطان، يعطِّل به على العبد مصالحه في دينه ودنياه، فإذا ذكر الله تعالى تطهَّر قلبُه، وصحا من غفلته لبُّه.

• ما استفرَغ عبدٌ وُسعَه في طلب الهدى، وبذلَ جهده في إدراك الرشَد، إلا وفَّقه الله إلى ما يرجوه، وبلَّغه ما يؤمِّله، وسدَّده وثبَّته.

• ما ذاق عبدٌ حلاوةَ الهدى والرشاد إلا طلب المزيد، ولا ترقَّى في منزلةٍ إلا تاقت نفسُه إلى ما هو أعلى منها.

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾

• لو حرسهم الله وأنامهم لياليَ معدودة لكان في ذلك عجَبٌ وتذكِرة بقدرة الله، فكيف وهي مئاتُ السنين، يُحفَظون من العدوِّ والشمس وأذى الأرض؟!

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾

• اختصَّ اللهُ تعالى نفسَه بعلم الغيب، وأطلعَ مَن اختاره من رسله على شيء منه، فمَن ادَّعى من البشر سواهم معرفته فلا تصدِّقه، فإنه دجَّال كذَّاب.

• تعجَّب ما شئت أن تتعجَّبَ من كمال بصر الله تعالى وسمعه، وتمام إحاطته وعلمه، واجمع إلى العجب العمل، فحذارِ أن يرى منك أو يسمعَ ما لا يرضيه، فهو لا يحجُبه شيء، ولا يحول دونه حائل.

• ويلٌ لمَن علم أن الله وحده هو مَن يتولَّى أمور الخلق ويرعى شؤونهم، ثم يأبى إلا أن يتخذَ من دونه شريكًا في حُكمه وندًّا في تشريعه!

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾

• هذا القرآن كلامُ الله، وكلامه كلُّه صدقٌ وعدل لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، فما أحرانا أن نُقبِل عليه تلاوةً وفهما، وتفقُّهًا وعلما!

• شرِّق أو غرِّب فإن مآلك إلى ربِّك، ولن تجدَ من دونه ملاذًا آمنا، ولا ملجأ مأمونا، ففِرَّ منه إليه، وأقبِل بعقلك وقلبك عليه، واسأله الهدايةَ وحُسنَ الختام.

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن
شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ
وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضۡرِبۡ
لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا
بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ
تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾

الحِزب ٣٠

٢٩٧

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾

فُرُطًا: هلاكًا وضياعًا.

• الخير كُلُّ الخير في صُحبة الصالحين الذاكرين؛ فبهم تكثُر الحسنات، وتقِلُّ السيِّئات، وتنهَض الدعوات، وهم القومُ لا يشقى بهم جليسُهم.

• مجالسة الصالحين عبادةٌ تحتاج إلى صبر؛ لأن النفس قد لا تجد عندها شهَواتها، ولا ترى في أهلها زينةَ المال والنفوذ، فاحتاجت إلى مزيد تصبير.

• ليكن لأهل الطاعة منك إكبارٌ وتبجيل، وتقديمٌ وتعظيم، فمثلُهم بهذا أولى، وهو لك أزينُ وأسمى.

• لم يقُل سبحانه: (ولا تُطِع من أسكتنا لسانه عن ذكرنا)، ولكنه قال: {أغفَلنا قلبَه}؛ إذ كم من إنسانٍ يذكر بلسانه لكنَّ قلبه غافلٌ لاهٍ! فلا يكون للذِّكر حينئذٍ أثرٌ بيِّن، وإنما حياة القلب باجتماع ذِكر الجَنان واللسان.

• اعمُر قلبَك بذكر الله تعالى، فهو العاصم لك من اتِّباع الهوى، والغفلة عن ربِّك المولى.

• لو تأمَّلت أمَّةً في انحلال، وأمرُها في انفراط واختلال، فستجد الغفلةَ قد استحكمَت من قلوب أصحابها، والأهواءَ قد سكنت فيها.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

سُرَادِقُهَا: سُورُها المحيط بها.

وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا: وقبُحت منزلًا ومَقامًا.

• الحقُّ لا ينثني، ولا ينبغي له أن ينحني، ولكنَّه يمضي في طريقه مستقيمًا، فمَن شاء أن يتَّبعَه فلنفسِه بغى الخير، ومَن نأى عنه فإنما وبالُ ذلك عليه.

• لقد رضي اللهُ تعالى لعباده الإيمان، ولم يرضَ لهم الكفر، فمَن اختار الكفرَ فقد ظلم نفسه ظلمًا عظيمًا.

• جعل الله الوجهَ عنوانَ كرامة الإنسان، فإن لم يرعَ العبدُ حُرمة الدين أذاقه الله مُرَّ العذاب والإذلال.

• ما أسوأ حالَ الظالمين في النار! فإنهم إذا طلبوا قِسطًا من الراحة أغيثوا بماء قد تناهى في حرارته ليرتفقوا به؛ هُزءًا بهم، وجزاءً من جنس عملهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

• أحسنُ العمل ما أُريد به وجهُ الله تعالى، وأصاب السنة، ومَن وُفِّق إليه فليهنأ بجزاء الله الكريم في الدنيا قبل الآخرة.

• ماذا ينتظر العبد أكثر من هذه البشرى؟! ألا فلنسابق إلى فعل الطاعات، والإكثار منها، فقد تعهَّد الله لنا بحسن الجزاء، وهو سبحانه أهلُ الكرم في الوفاء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾﴾

• ما أعظمَ ما يتنعَّم فيه أهل الجنة! طِيب منظر، وحُسن مظهر، وراحة نفس، واستقرار واطمئنان، فلمثلِ ذلك فليعمل العاملون.

• كم في ثناء الله تعالى على جمال الجنَّة وحسنها، ونعيم أهلها فيها، من تعظيم لها! كيف لا، ومادحُها ملك الملوك؟

﴿۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾

تَظۡلِم: تنقص.

• في قصَّة الرجُلين نموذجان صريحان للنفس المغترَّة بزينة الحياة الدنيا وزخارفها، والنفس المعتزَّة بربِّها ودينها، فتأمَّل مصيرَ كلٍّ منهما، واعتبِر بهما.

• ما ظاهرُه نعمةٌ وعطاء قد يكون سببَ الفتنة والبلاء، فلنحذر أن تَصرِفنا النِّعم عن شكر المنعم وإخلاص الطاعة له.

• ما أشدَّ ظلمك أيها الإنسان! يمُنُّ الله عليك بالنعم الكثيرة، فتقابلها بالجحود والكنود! أفلا تقابلها بالشكر ليديمها عليك وتنعَم ببركتها؟!

• المؤمن إذا منَّ اللهُ عليه بنعمةٍ تواضع للخلق ونفعهم بها، وغيرُ المؤمن يؤذي الناسَ بنعمته ويتكبَّر عليهم بها.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ
خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ
بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ
جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ
عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ
مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ
فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ
فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾

٢٩٨

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾﴾

• ما أعظمَ ظلمَ المرء نفسَه؛ كفرًا بالساعة، وارتيابًا بالبعث، فأوجب لها بذلك سخَطَ الله وأليمَ عقابه.

• أنَّى لعبدٍ عاكف على المعاصي، غافل عن غاية خلقه أن يطمعَ بحُسن العاقبة والختام؟ إنه عمى الاستكبار والتِّيه والغرور.

• مهما بلغتَ من ثراء وجاه، فتذكَّر أنك من التراب خُلقت وإليه تعود، فاخلع عنك ثوبَ الكِبْر، فما ارتداه إلا خاسر.

• لا ينبغي أن يُترَكَ مَن يجاهر بالكفر من غير إنكار وتحذير ومناصحة؛ معذرةً إلى الله، ورجاءَ أن يتوب، وإلى الحقِّ يؤوب.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾﴾

• تتجلَّى عزَّة المؤمن في قول الحقِّ بجَراءة وحزم، من غير مداراة لمعظِّم مستكبِر، ولا مصانعة لثريٍّ موسِر، ولا مجاملة لصاحب وخليل.

• إذا تباهى العصاةُ بأموالهم، واعتزُّوا بأعوانهم، فإن غِبطة المؤمن وفرحه بإيمانه وتوحيده، وكفى بذلك رفعةً وعزًّا.

﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾﴾

• مَن رأى ما يعجبه من نعمة الله تعالى عليه، فليدفع العُجب والبطَر، وليردَّ الفضل إلى أهله، وليعلِّق قلبه بربه، خائفًا طامعًا، قائلًا: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾﴾

• النفوس الكبيرة تستمدُّ العزَّة من خالقها، ولا تضع أملها إلا في باريها، فيَصغُر كلُّ شيء من حُطام الدنيا في عيون أصحابها، مهما كان عظيمًا أو خطيرًا.

• حين يصير المال سببًا للطغيان والكفر، فلا عليك أن تدعوَ على ذلك المال وأصحابه؛ كفًّا لشرِّهم، وقطعًا لدابرهم، وانتصارًا للحق.

• ادفع ما شئت أن تدفعَ من غوائل الأرض، ولكن اعلم أن سخَط الله تعالى إذا حلَّ بقوم لم يزل بهم حتى يهلكهم، لا رادَّ لأمره، ولا دافع لقضائه.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾

• إنها سنَّة الله فيمَن يكفرون نعمَه، جماعاتٍ وفُرادى، بينما هم آمنون، إذا بلباس الخوف والجوع يحيط بهم، بما كانوا يصنعون.

• ما أشقى الجاحدَ لنعمة الله بآثار جحوده؛ يذهب عنه الثواب، ويَحِلُّ بنعمته العقاب!

• الشركُ بالله وتعظيمُ غيره، والاعتزاز بقيم الأرض، مآلُه إلى ذلٍّ وهوان، فليت الظالمَ لنفسه يُفيق قبل البغتة، ويرجع قبل الندامة.

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾

• مَن استوجب نقمةَ الله فهو مخذولٌ مخذول، لا فئةٌ قويةٌ تنصره، ولا قوَّةٌ له ينتصر بها.

﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾

• أليس خيرًا لك أيها الإنسان أن تتولَّى ربَّك في كلِّ حين؟! فمَن كان الله وليَّه فاز بخير عاقبة في الدنيا، وخيرِ مآل في الآخرة.

• لا أحدَ أكرمُ من الله، فمَن سواه تعالى يثيب على العمل بعشرة أمثاله، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة؟

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

• من أعظم ما يُبعد المرءَ عن ربِّه الانهماكُ في الدنيا؛ إقبالًا على نعيمها، واغترارًا بزخارفها، ومَن تأمَّل في هذه الصورة القرآنيَّة والظاهرة الكونيَّة، وجد فيهما عبرةً للحال والمآل.

• لو فكَّر العاقلُ في دنياه لما غفَل عن أخراه؛ فحياته الدنيا قصيرة دنية، وحياته الأخروية خالدة علية، فماذا سيختار ذو اللبِّ الحصيف؟

• التفكر الدائم في حقيقة الدنيا، وأنها أشبهُ بروضةٍ خضِرة لا يلبَث أن يضمحلَّ نبتُها ويَذهب رونقُها؛ يبعث في النفس العزيمةَ للعمل للآخرة ونعيمها الباقي.

• لو تدبرتَ هذه القصةَ عرَّفتك قدرةَ الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها، وجعله أوائلها مُفضيةً إلى أواخرها.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

الحِزْب ٣٠

٢٩٩

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾

• المال والأولاد جمالٌ ومتعة وقوَّة، لكن لا ينبغي أن يوزنَ بهما الناسُ في الدنيا؛ فإن الميزان الحقَّ هو الإيمان والعمل الصالح.

• إن ما يُنال بالمال والبنين من الآمال الدنيوية أمرُه إلى الزوال، وما يُنال بالباقيات الصالحات من الرغائب والمكرُمات لا يزول ولا يحول.

• أيها المؤمنُ، لا تبتئس إن حُرمتَ شيئًا من زهرة الدنيا وزينتها، فحسبُك ما يدَّخره الله تعالى لك من أجر الصالحات، والعمل بالطاعات.

• آمالُنا في الدنيا منها ما يتحقَّق، ومنها ما لا يتحقَّق، والعاقلُ اللبيب مَن جعل رجاءه في رضا مولاه، حتى ينال في أخراه خيرًا ممَّا كان يرجوه في دنياه.

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾

• ألا فليحذرِ العاقل، وليتنبَّه الغافل، قبل مجيء يوم شديدِ الأهوال، تُقتلع فيه الجبال من أماكنها!

• ما أعظمَ ذلك الموقفَ، يوم يُحشر الناس كلُّ الناس وقوفًا بين يدي رب العالمين! فلا مفرَّ لأحد من ذلك الوقوف، والانتظام في تلك الصفوف.

﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

صَفًّا: مُصطفِّين جميعًا لا يغيب أحدٌ منهم.

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ: كتابُ أعمالِ كلِّ واحدٍ في يمينِه أو شِماله.

لَا يُغَادِرُ: لا يترُك.

حَاضِرًا: مُثبَتًا.

• لا يزال المجال أمامَك رحبًا لاستدراك التقصير وإصلاح المُعوجِّ ما دام فيك عقلٌ يعي ونفس يتردَّد، فالزَم بابَ التوبة والاستغفار، فإنه نعمَ الباب.

• لا تستهن بصغائر الأعمال؛ فإن الناس تضِجُّ يوم القيامة من آثارها، كما تضِجُّ يومها من كبارها.

• قال قَتادة: (اشتكى القومُ الإحصاء، ولم يشتَكِ أحدُ ظلمًا، فإيَّاكم والمحقَّراتِ من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه).

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾

أَوْلِيَآءَ: أعوانًا تُطيعونهم.

• أُمر الملائكةُ بالسجود لآدم فسجدوا، ولم يتأخَّروا أو يتعلَّلوا، وهكذا ينبغي للعبد مع أوامر الشرع الحنيف أن يبادرَ إليها من غير إعراض ولا تريُّث.

• مَن والى أعداءَ الملِك كان هو وأعداؤه عنده سواء، فكيف لو كان عدوُّ الملك هو عدوَّ العبد كذلك؟ أليس من الظلم بعد كلِّ العداوة تلك أن يتولَّاه، ويُغضبَ سيِّدَه ومولاه؟!

• أعظم الجُرم الخروجُ عن أمر مَن تجب طاعتُه، باتِّباع مَن تجب معصيتُه، {ومَن يكنِ الشيطانُ له قرينًا فساء قرينًا}.

• كيف يسعى عاقلٌ في طاعة عدوِّه، الذي يعلمُ أنه يورده مواردَ هلكته؟!

﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾

• المخلوق مربوبٌ ضعيفُ التدبير، قليل الحيلة، مفتقرٌ إلى خالقه، فكيف يصِحُّ أن يُتخذ وليًّا من دون الله؟

• ما ينبغي لمفتقرٍ عاقل أن يتَّخذَ صاحبَ الضلال نصيرًا، أفيتَّخذُه مَن كان غنيًّا قديرًا؟!

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾

مَّوْبِقًا: مَهلِكًا في جهنَّم يَهلِكون فيه جميعًا.

• ما أشقى مَن توهَّم أن أحدًا يدفعُ عنه يوم القيامة، ثم عرَف -يوم لا تنفع المعرفة- أن ما انتظره عمرَه كلَّه كان سرابًا!

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾

• توقُّعُ العذاب قبل حصوله عذابٌ ناجز مقدَّم، ومن هنا تتبدّى النار للكفَّار ليرَوا مصيرهم المحتوم؛ تعجيلًا لهمِّهم، واستجلابًا لغمِّهم.

• لا عاصمَ من العذاب لمَن أشرك بالله تعالى، ومَن تسوقُه الملائكة إلى حتفه، فأيُّ مهرَب له منه؟

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ
وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا
أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا
لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ
مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا
لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٣٠٠

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

صَرَّفْنَا: وضَّحنا ونوَّعنا.

• في القرآن من أنواع الأمثال الواضحات، وصنوفِ الحُجج البيِّنات، ما يوجب التسليمَ لأوامره، والانقيادَ بالطاعة لشرائعه، واجتنابَ المماحكة فيه والمنازعة بالباطل.

• اشتملت أمثالُ الفرقان على مواعظَ جليلة وزواجرَ عظيمة، ولكن أين القلوبُ العقولة لتنتفعَ بها؟ {وتلك الأمثالُ نضربها للنَّاس وما يعقِلُها إلا العالِمون}.

• كفكِف أيها الإنسان من شِرَّة غرورك، وطامِن من كبريائك وافتخارك؛ فما أنت إلا خَلقٌ من خلق الله، بيدَ أنك أكثرُه جدالًا، وأطوله مماراة.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ: سُنَّة الله في إهلاك المكذِّبين السابقين.

قُبُلًا: صُنوفًا وأنواعًا، أو مواجهةً ومقابلة.

• ما يمنع كثيرًا من الأمم من الإيمان إلا الطغيانُ والاستكبار، وما يحُول بينها وبين الاستغفار إلا الإباء والإصرار، على كبائر الآثام والأوزار.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

لِيُدْحِضُوا: ليُزيلوا.

• إذا كان الرسُل مبشِّرين ومنذرين، فإن في الناس من يتمادى في الإساءة، فتحسُن في حقِّه النِّذارة، ولا تليق به البِشارة.

• ديدَن أهل الكفر في كلِّ زمان ومكان التشغيبُ على أهل الحقِّ، لا جهلًا به، ولكن قصدًا إلى دفعه وصدِّ الناس عنه، وإطفاء نوره المبين.

• عجبًا لقوم يسخرون من كلِّ ما يتَّصل بالحق، حتى من الآيات التي تُنذرهم بعذابٍ من الله تعالى، فما أشدَّ إيغالهم في الكفر!

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

أَكِنَّةً: أغطية.

وَقْرًا: ثِقلًا في السَّمع.

• ما أظلمَ أعداءَ الحقِّ وأسرعَهم في الإعراض بعد التذكير! أوَما كان الأجدى بهم التريُّث والتأمُّل والتفكير؟

• سبحان الله! إن المؤمنَ ليُخطئ فيستحيي من ربِّه كلَّما ذكر ذنبَه، فهل يَنسى المجرم قبيحَ ما يفعله إلا حين يهُون عليه؟!

• ادعُ إلى الله تعالى، واستمرَّ على ذلك، واعلم أن للهدى قلوبًا متفتِّحةً مستعدَّة للتلقِّي، وللضلال قلوبًا أقسى من الصخر، وحسبُك أنك قد أقمتَ الحجَّة، وبيَّنت للناس صحيحَ المَحَجَّة.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾

مَوْئِلًا: ملجأً ومَخلَصًا.

• سبقت رحمةُ الله تعالى غضبه؛ إمهالًا للعصاة لعلَّهم يتوبون، وإلى روضات الحقِّ يؤوبون، ولكنَّه سبحانه يمهل ولا يهمل، فلا يغترَّنَّ ظالمٌ بحِلم الله؛ فإن للظالمين موعدًا لا إمهال فيه، ولا خلاصَ منه.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

• لكلِّ أجلٍ كتاب، ومَن فَقِهَ سُننَ الله في خلقه لم ييئس لظهور الأشرار وقِلَّة الأخيار؛ فإنها سنَّةُ الاستدراج التي تقود الكفَّار إلى شرِّ عاقبةٍ ومآل.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾

لِفَتَاهُ: لتلميذِه وخادِمه يُوشَع بن نُونٍ.

لَا أَبْرَحُ: لا أزال أتابعُ المسيرَ.

مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ: مُلتقاهما.

حُقُبًا: زمنًا طويلًا.

• أيُّ إصرارٍ هذا على طلب العلم، وأيُّ عزيمة؟! ألا ما أهونَ العناء عند أصحاب الهِمَم من الرجال، إذا ما طلبوا معاليَ الأمور وشريفَها!

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾

سَرَبًا: طريقًا مفتوحًا في الماء.

• سبحان مَن إذا أراد تقديرَ أمرٍ يسَّر له من الأسباب ما يريد! فلقد أذهل كليمَه عليه السلام عن آيةٍ من آياته؛ ليَنفُذَ قدَرٌ من أقداره.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا
وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن
تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ
صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

٣٠١

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

• في صبر موسى عليه السلام على مشاقِّ الطريق وبُعد الغاية، آيةٌ ساطعة على رِفعة العلم وعلوِّ منزلته.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾

• احرص في تَرحالك على العاقل اللبيب الذي يُحسن الأدب ويتحمَّل المسؤوليَّة، فإن ظفِرتَ به فأحسِن صحبتَه.

• كم يُنسي الشيطانُ العبدَ الخيرَ، ويصرفُه عنه بالوساوس! وما من دواءٍ يطرد هذا الداء أنجعُ من ذكر الله تعالى.

• يذكِّر الله عبادَه بعضَ آياته الدالَّة على قدرته؛ ليزدادوا يقينًا وإيمانًا، فإحياء الحوت بعد موته آيةٌ عجيبة من آيات الله.

• عسى أن تكرهَ أيها المسلم شيئًا، ويجعلَ الله تعالى فيه خيرًا كثيرًا، وإن الفتى يُوشَعَ كره فَقدَ الحوت، فكان هذا الفقدُ العلامةَ المرجوَّة لبلوغ الهدف الرفيع.

• كلُّ مهارة تُعين العبد على طاعة الله تعالى وتحصيل مرضاته فممدوحة؛ ألا ترى كيف ذكر سبحانه قَصَّهما للأثر لبيان طريقة اهتدائهم للصخرة؟

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

• ما أفاضه اللهُ من الخيرات على الخَضِر إنما هو بفضلٍ منه سبحانه، ثم ببركة عبوديَّته الكاملة لله تعالى، وهل من شرفٍ أعلى من ذلك الشرف؟

• كلُّ كلمة تتعلَّمها إنما هي فضلٌ من الله، فتعبَّد بالافتقار إليه، واشكره إذا وفَّقك إليها.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾

• تأدَّب بين يدَي معلِّمك، وخاطِبه بأرقِّ الألفاظ وأحسنها، ولا تُظهر له كِبرًا ولا جَفاء فتُحرمَ بركةَ العلم.

• العلم يُؤتى ولا يأتي، فاحرص على التعلُّم؛ سؤالًا للعلماء، ورحلةً إلى مَرابعه وأهله، ولا تنتظر أن يصلَ العلم إلى دارك.

• قال قتادةُ: (لو كان أحدٌ يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه السلام).

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

• لا ينبغي للمتعلِّم أن يطلُب علمًا دقيقًا لم يتهيَّأ له بأدواته، فقد لا يصبر عليه، وإنما العلم مراحلُ؛ يُؤخَذ أدناه إلى أعلاه.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

• قال مجاهدٌ: (لا يتعلَّم العلمَ مُستَحيٍ ولا مستكبر)، وقد ضرب نبيُّ الله موسى أروعَ دروس التواضع والاستزادة من المعرفة.

• سِيما الربَّانيِّين تسليمُ الأمور أبدًا لله تعالى، والأدبُ معه سبحانه بتقديم مشيئته على مشيئة النفس ورغَباتها.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

• مَن استعجل الشيءَ قبل أوانه عوقب بحِرمانه، ومن هنا كان على طالب العلم أن يصبرَ في الأخذ عن شيوخه، وألا يقفزَ إلى مرحلةٍ حتى يُتمَّ ما قبلها.

• على مريدِ العلم أن يستمعَ لشيخه حتى يُكمل، وألا يبادرَه بالسؤال قبل انقضاء كلامه؛ حتى لا يقطعَ عنه سَيلَ معلوماته، وربَّما وجد إجابةَ سؤاله في ثنايا حديثه.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾

• إن رأيتَ من أهل العلم والقدوة ما يَريبك، فلا تُسارع إلى الإنكار، بل تريَّث واستفصِل، فإنك لا تدري لعلَّك أنت من أخطأ التفسيرَ أو التقدير.

• أحكام الأنبياء مبنيَّةٌ على الظاهر الذي يحفَظ على الناس دماءهم وأموالهم، وهكذا كان أمرُ موسى عليه السلام في هذه القصَّة.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾

• على المعلِّم أن يصبرَ على أخطاء المتعلِّمين، وعلى عِتابه لهم؛ فإن ذلك أدعى لبقاء الطلب، وتربية المتلقِّي.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾

• لنجعَل منهجَنا في معاملاتنا، وتربيتِنا لأسَرنا، وتوجيهنا لطلَّابنا، قولَ النبيِّ المربِّي ﷺ: (بشِّروا ولا تنفِّروا، ويسِّروا ولا تعسِّروا).

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

• المبادرة إلى الصَّدع بالحقِّ، والنهي عن المنكر من صدق الإيمان، وتعلُّق القلب بالله، خاصَّةً في قضايا الدماء المعصومة.

الجزء ١٦ الحزب ٣١

۞قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن
سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا
٧٦ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ
قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي
وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ
أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا
ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا
وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ
رُحۡمٗا ٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن
يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ
وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢
وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣

٣٠٢

﴿۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥﴾

• إن رأى العالمُ في التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعًا وإرشادًا إلى الخير ذكره له؛ فإن السكوت عنه يوقِع المتعلمَ في الغرور والنشوة، وذلك يمنعه من التعلم.

﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦﴾

• مهما علا مقامُك ولك أُمنيَّة سامية فاحتمل العتابَ في طريقها، حتى تبلغها؛ فإن ذلك لا ينقُص من قدرك.

• مَن أمهل أخاه إذا ما أخطأ في حقِّه ثلاث مرَّات، فقد أعذره.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾

ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا: طَلَبا طعامًا على سبيل الضِّيافة.

يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ: يوشك أن يَسقُط.

• عارٌ على مَن ينزل بساحته ضيفٌ أن يتقاعسَ عن أداء حقِّه؛ إكرامًا وإحسانًا، قال قتادة: «شرُّ القُرى التي لا يُضاف فيها الضيف، ولا يُعرف لابن السبيل حقُّه» فإكرامُ الضيف والقيام بحقِّه من مكارم الأخلاق وكمال الإيمان، وترك ذلك من الذمِّ الذي يلصَق بفاعله، ويُهجى به.

• لم يمنع بُخلُ القرية، وسوءُ أخلاق أهلها الخَضِرَ من الإحسان فيها، فديدنُ المحسن رجاءُ رضا ربِّه تعالى بإحسانه إلى عباده، وإن لم يلق منهم جزاء ولا شكورًا.

• إن عاملَك أحدٌ ما يومًا بإساءة، فلا بأس أن تعامله أنت بعدلك لا بفضلك إن شئت، لكن المعاملة بالفضل أعلى وأتم.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨﴾

• ما أنفعَ الصبر لطالب العلم وأغلاه! إذ بمقدار ما يتحلى به يُدرك به مبتغاه.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾

• لا يُضيفُ المؤمنُ ما يُستهجن لفظُه إلى ربه، فذلك من حسن أدبه.

• المؤمن يحب الإحسان إلى الخلق، وإزالة الأذى عنهم، حتى إنه قد يصنع خيرًا موثوق النفع في أموال بعض الناس من غير إذنهم، إذا كان في فواته ضرر عليهم.

• من القواعد العظمى لصلاح أمر الدين والدنيا أنه عند تعارض الضررين لا بدَّ من أحدهما، فإنه يُتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى.

﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠﴾

• قال مُطرِّف بن الشِّخِّير: «إنَّا لنعلم أنهما قد فرحا به يوم وُلد، وحزنا عليه يوم قُتل، ولو عاش لكان فيه هلاكهما، فرضي رجل بما قسم الله له؛ فإن قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه، وقضاء الله لك فيما تكره خير من قضائه لك فيما تحب».

﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١﴾

• هلَّا أحسنتَ الظنَّ بربِّك إن أخذ منك ما تحب، فلعله ادَّخر لك خيرًا مما أخذ منك.

﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾

تَسۡطِع: تستطع. ولعلَّ التاء الثانية في هذا الموضع حُذفت لأن الأمر خف على موسى بعد التأويل فخُفِّفت الكلمة.

• ما أعظمَ عائدة صلاح الإنسان على حياته وحياة ذريته! فيا مَن تريد السعادة لأولادك في مستقبل حياتهم، أصلِح نفسك ينفعِ اللهُ تعالى بذلك ذريتك بعدك.

• من رحمة الله بيتيمين من عُرض الناس أن سخَّر لهما من أفضل أهل زمانهما؛ ليحفظوا حقَّهما بجهد شاقٍّ يستحقُّ الأجر، فبشرى لمَن يرعى حقَّ اليتيم، وبؤسًا لمَن اعتدى عليه.

• ما يُجريه اللهُ تعالى من الإحسان على يد عبدٍ من عباده، فإنه سبحانه هو الأولى بأن يُشكر عليه؛ أليس هو مَن وفَّق إليه، وأعان عليه؟

• العلم بمآلات الأمور بمقدمات أو أمارات، يعينُ على الصبر عليها، ويَهدي المرءَ إلى مواقف أو أعمالٍ قد تُنكر أوائلها، ولكن تُحمد بعد ذلك عواقبها.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣﴾

• لكلِّ مقام مقال؛ ففي بعض مواضع الحديث يحسُن الإيجاز الموافق لمقتضى الحال، وفي مواضع أخرى يحسن التفصيل غيرُ المؤدي إلى الإملال.

الجُزْءُ السَّادِسَ عَشَرَ — سُورَةُ الكَهْفِ

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ
أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا
لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ
وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن
تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي
بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ
بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ
قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾

٣٠٣

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾﴾

سَبَبٗا: أسبابًا وطُرُقًا توصِّله إلى ما يريد من فتح المُدُن وقهرِ الأعداء.

﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

• نِعم العبدُ الذي يعمل بالأسباب التي سخرها الله تعالى له، فيستعملها على وجهها الذي أراده مسبِّبها سبحانه وتعالى منه، فذاك الذي يوفَّق للريادة والتمكين.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾﴾

حَمِئَةٖ: ذاتِ طينٍ أسود.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾﴾

• بقدرِ بذل الجهد يكون الظفَر؛ ألا ترى كيف استلذَّ ذلك الملكُ في سبيل بلوغه هدفه الأسفار، وعناء الأخطار، وركوب البحار، حتى حاز مبتغاه؟ فهلا اعتبر أولو الأبصار!

• العقوباتُ الدنيوية تطهِّرُ المؤمنين، وأما مَن لم يؤمن فيقدَّم له عذابٌ في الدنيا بين يدي عذاب الآخرة.

• مَن قدَر على أعدائه، وتمكَّن منهم، فلا ينبغي أن تُسكره لَذةُ القدرة، فيسوقهم بعصا الإذلال، ويجرعهم غُصص الاستعباد والنَّكال ظلمًا، بل يعامل كُلًّا بقدر إساءته.

• حين يجد المحسن جزاء إحسانه إكرامًا وتقديرًا، ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة وإهانة؛ عندئذ يرى الناس ما يحفِّزُهم إلى الصلاح والإنتاج.

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾﴾

• لا ينحصرُ طموحُ المؤمن في نشر الخير ومنع الشرِّ في رُقعة من أرض الله تعالى، بل يسعى لتحقيق ذلك في أرجاء الدنيا، لو استطاع.

• مهما كانت عوائدُ الناس وطبائعهم، فإن المؤمن لا ينفك يسعى إلى إصلاح ما يستطيعُ إصلاحه مما فسَد منها.

• لا يكلِّف اللطيفُ الخبير سبحانه وتعالى عبادَه شيئًا إلا وهو عالم بما يملكونه من قوًى عقلية ونفسية وبدنيَّة.

• وهل في الدنيا من مرغَّبٍ في العمل أعظم من علم العبد أن مولاه محيطٌ بعمله؟

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾﴾

يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ: أمّتانِ عظيمتان من بني آدم.

خَرۡجًا: أجرًا.

• لله تعالى خلائقُ شتَّى؛ فانظر في الأرض ترَ فيهم منها أجناسًا وأنواعا، وأفهامًا وطباعا، وما لا تعلمه شيءٌ لا يُحصى.

• نِعم الملِكُ الذي يبسط في رعيَّته عدله، ويستجيب لشكواهم، فيحقِّق لهم الراحة والأمان، ويصون مجتمعهم عن البؤس والخراب، ويحميهم من العوادي على الدين والدنيا.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾﴾

• على الراعي الصالح أن يسعى في توفير مصالح رعيَّته وإزالة المفاسد عنهم، من غير عوائدَ ماديةٍ منهم على ذلك، ما دام في غنى وسَعة عنها.

• الحاكمُ الصالح يختار لرعيَّته الأصلحَ لهم، ولو أرضاهم ما هو دونه؛ فقد اختار ذو القرنين الردمَ على السدِّ الذي طلبوه لكون الردم أشدَّ من السد.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾﴾

زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ: قِطَعَه العظيمة.

ٱلصَّدَفَيۡنِ: جانبَي الجبلين.

قِطۡرٗا: نُحاسًا مُذابًا.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾﴾

• شاطرَ الملكُ العادل الناسَ في الأعمال، وأشرف على العمل بنفسه لمَّا اقتضى الحال، فكان في ذلك تنشيطٌ لهمَّتهم، وترويحٌ لقلوبهم.

• حين كان القائد مؤمنًا محسنًا للتدبير، والأتباعُ مطيعين مجتهدين، ظهرت آثار العمل بالإتقان.

• القيام بمصالح الناس عبادة، وقد كان ذو القرنين مؤمنًا معظمًا لربه، متوكلًا عليه، ولم يمنعه ذلك من استعمال أسرار المعادن والصناعات، والخطط المانعات من فساد الأفراد والجماعات.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا
﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا
أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا
﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ
بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا
لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ
الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا
أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

٣٠٤

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

• على الرغم من ضخامة ما قام به الملِك لم يأخذه البطر، ولكنه شكر الله، ونسب إليه التوفيق، متبرِّئًا إليه من حوله وقوّته.

• لا ينسى العبدُ الصالح وهو في أوج نجاحاته قوّةَ ربِّه سبحانه وتعالى وجبروته، ولا يغفل البتةَ عن حقيقة أن مردَّه ومرجعه إلى الله وحده.

• إخبار الخلق عما سيجري للدنيا في نهاية عمرها، وما سيجري عقبها من أمور الآخرة؛ جاء لتبقى النفوسُ طامحة إلى ذلك العالم الباقي.

• إن الله عزَّ وجلَّ لا يُخلف الميعاد، بل يوفِّيه؛ لكمال قدرته وكمالِ صدقه.

﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

• إن هذه الحياة التي تموج بمن فيها، تنتظر ساعةَ الانتقال إلى دار القرار، فمتى نُفخت النفخةُ انتقل الخَلق من عالَم إلى عالم آخر.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾

• إن تذكُّر مشهد النار المعروضة يوم القيامة ليمنعُ النفوس أن تحضر عرض المشاهد المَلأى بمَساخط الله في هذه الدنيا.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

• أيُّ نظرٍ أو سمعٍ لا يفيدان المرءَ تعظيمًا لله تعالى وذكرًا له ورهبة منه، فأيُّ قيمة لهما؟

• كيف يستمعُ المبطلُ إلى كلام الحقِّ وقد حشا أذنيه بسدود من بغضه ولهوه، وانشغاله وهواه؟!

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

• ما أسفهَ عقولَ المشركين، وما أقل استبصارَهم بحقائق أمور الربوبية والألوهية!

• إذا كان دخول جهنَّم والاحتراق فيها والتلظي بمثابة الضيافة والقِرى، فبئس النزُل نزُلهم، وبئست جهنم ضيافتهم.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾

• استمع إلى نبأ الله وهو يبين صفاتِ الخاسرين لتجتنبها، كما أنك تعرفُ صفات الفائزين لتعمل بها.

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾

• مَن سعى نحو مقصِد فاسدٍ فما الذي يرتجي أن يحصل عليه؟ ومَن ابتغى الخيرَ من غير طريقه فكيف يطمع أن يصل إليه؟

• كم متنسكٍ يظن أنه يقترب من الله وهو يبعد نفسَه عنه! وذلك لسوء قصده، أو لجهله وابتداعه، والأدهى أن يعلم المرءُ بضلاله فيستمر على سوء حاله.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾

• مَن لم يكن في صحائفه عملٌ صالح، أو حبِط ما كان له من عمل يظن أنه ناجح، فما الذي ينتظر أن يُوضع في ميزانه يوم المعاد؟

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

• حذارِ من الاستهزاء بالله تعالى وآياته، وشعائره وشرائع دينه؛ فإن ذلك يباين واجبَ التعظيم، ويورد صاحبَه العذاب الأليم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾

• أيُّ ضيافةٍ أعظمُ من ضيافة فيها نعيمُ القلوب والأرواح والأبدان، ونعيم القرب من الله ورؤيته، وسماع كلامه ونيل رِضوانه؟

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

• إن كان المقيمُ في مكانٍ زمانًا طويلًا قد يسأمه من طول لبثه فيه، فإن أهل الجنة ليسوا كذلك.

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

• سبحان مَن لا تحصى كلماتُه، ولو كانت مياهُ البحار كلها مِدادَها، وجميعُ شجر الأرض أقلامَها! أفلا يستحق مَن هذا بعض شأنه أن يُعبد ويوحَّد، ويعظَّم ويمجَّد؟

• للهِ كم تكتنز كلماتُه تعالى التشريعية والتكوينية من علوم عظيمة، لم يدرِ منها العلماء على امتداد تاريخ البشرية إلا قليلًا!

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾

• أعظمُ مزيَّةٍ للرسول ﷺ هي بعثته بالوحي والرِّسالة، وأعظم الوحي كلمةُ التوحيد، فمَن حقَّق التوحيد فقد كمُلت له أعلى مراتب البشرية للرسُل وعلى رأسهم محمد ﷺ.

• مَن آمن أنه قادم على أعظم لقاء وأهيبه، وهو لقاؤه بربه؛ فليُعد للقائه عملًا صالحًا، وقلبًا موحدًا، لا الأمانيَّ والغرور.

• لا يقبلُ اللهُ من العمل إلا ما كان موافقًا لسنَّة نبيه ﷺ، ومرادًا به وجهُ الله الكريم، وما سوى ذلك فلا يرتضيه ولا يحبه، ولا يوصل إليه، ولا يثيب عليه.

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ
نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي
وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا
﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي
عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ
ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا
وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ
رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ
شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ
ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾

٣٠٥

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾

• ما أعظمَ إعجاز هذا الكتاب العظيم، الذي عجَز مكذبوه أن يأتوا بمثله، مع أنه مؤلَّف من حروفهم التي بها يتكلمون!

﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾

• تأمل قصصَ القرآن الكريم عن أولياء الله تعالى؛ كيف غمرتهم رحمتُه في جميع أحوالهم، وكم عِبرٍ ضمتها أنحاءُ حياتهم، فاقتدِ بهم؛ فعساك أن تحظى بما حظُوا به من ربهم.

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾﴾

• بالدعاء يستمطر العبد رحمة ربِّه، كما فعل زكريا عليه السلام في دعائه والتجائه، فما أقربَ الداعيَ الصادق من رحمة الله!

• ما أحسنَ إخفاءَ الدعاء، والإسرارَ بالمسألة! فهو مناجاة للرب الكريم، وإيمان بأن الله سميع عليم، مع ما يحفُّ الداعيَ من لَذة الاستكانة، وحلاوة المناداة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾﴾

وَهَنَ: ضَعُفَ.

• حين تنادي ربَّك الكريم بـ (ربِّ) استحضر فضله عليك، وافتقارك بين يديه، وتوسَّل إليه بضعفك وعجزك، فهذا من أحبِّ الوسائل إليه؛ لِما فيه من التبرِّي من الحول والقوة، وتعلقِ القلب بحول الله وقوّته.

• تطايرُ شهبِ الشيب على ظلام الرأس يؤذن بالضعف الذي يؤول إلى الخمود، فما أحسنه من نذير، يوقظ الغافل عن يوم المصير!

• يرفع الشيبُ على الرأس رايةَ الضعف، ويعلن للرائين عن وجود الوهن في الجسم الذي علاه البياض، فطوبى لمَن زجره بياضُ شعره عن سواد فعله.

• لا يمنعنَّك علمُ الله بحالك وحاجتك من سؤاله ودعائه، فإنه يحب سماعَ شكواك وضراعتك ونجواك.

• توسَّل إلى الله تعالى بجميل عوائده عليك، وبما سلف من نوائله إليك، فمَن أجابك فيما مضى يجُد عليك فيما سيأتي.

• قال سفيان بنُ عيينة: (أي: سعدتُ بدعائك، وإن لم تعطني)، ألا يكفي أنْ منحك لذة مناجاته، والإقبال عليه، وأن ألهمك أن ترفع يديك؟ وجلَّ الله أن يردَّ الأياديَ المرفوعة إليه صفرًا.

﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾﴾

ٱلۡمَوَٰلِيَ: أقاربي وعَصَبتي.

وَلِيّٗا: ولَدًا وارثًا ومُعِينًا يلي الأمرَ من بعدي.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾﴾

• من أنفع الدعاء أن يسأل المسلمُ ربَّه أن يهَبه من ذريته نسلًا صالحًا، يحفظُ دينه وعقيدته، ويفيد من صلاحه دعوة صالحة بعد وفاته.

• مما يُهم المؤمنَ الصادقَ من بعده الحقُّ الذي كان عليه، هل سيحمله أهله بعد وفاته؟ وأمّا أعراض الدنيا فهي أهون عنده من أن يشفق عليها.

• ما أحسنها من دعوة بمولودٍ رضي! ينشر ظلالَ الرضا فيما حوله ومَن حوله، غير غليظ ولا جبار، ولا بطِر ولا طَموع.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾﴾

• تأمَّل في إكرام الله لنبيِّه زكريا الذي دعاه فأجابه، وزاده بأن اختار سبحانه اسمَ مولوده، فمنَّ عليه بنعم أخرى لم يطلبها زكريا.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾﴾

أَنَّىٰ: كيف؟

عِتِيّٗا: النهاية في الكِبَر واليُبس.

• ادعُ ربَّك ولا تستعظم مطلوبك، ولا تستكثر سؤالك، بل ادعُه وكلُّك ثقة بجوده وكرمه، وغناه وقدرته، فإنه لا يعسُر على الغني القادر أن يعطي مَن شاء ما شاء.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾﴾

• لو أنك كلما تعسَّر عليك أمرٌ ذكرتَ هذه الآية، لأحييتَ قلبَك بالآمال، وملأتَ جوانبَه ثقةً بالله.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾﴾

• كم للهِ من آيةٍ عجيبة أعقبتها دعوةُ النبي زكريا عليه السلام! فدعوة واحدة خالصة قد تثمر آيات وبشارات.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾

• تسبيحُ الله تعالى مَظهرٌ من مظاهر شكره، خصوصًا في نعمة جاءت على خلاف العادة؛ فما أبقى النعمةَ بذكر الله وشكره وتسبيحه!

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ ۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ
مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥

الحزب

٣٠٦

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾

• إن عِظَمَ النعمة يورث عِظم المُهمَّة، فيحيى الذي عظُمت نعمة الله عليه ناداه الله ليحمل العبء، وينهض بالأمانة في قوة وعزم.

• من نعمة الله على المرء أن يُرزق حسنَ الفهم وجودة الرأي في صغره، فيكون ذلك ديدنه في كبره، فمَن شبَّ على شيء شاب عليه.

﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣﴾

• حين يتحنَّن الله تعالى عليك، يهبك من الحكمة والفهم والنقاء والصفاء ما يشاء؛ فاستوجب رحمتَه تَنل بفضله مِنّته.

• النفسُ لولا الزكاة الموهوبة من الله جانحةٌ إلى التلطخ بسواد الشهوات والشبهات، فادعُ الله: اللّهُمَّ آتِ نفسي تقواها، وزكها أنت خير مَن زكاها، أنت وليها ومولاها.

﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤﴾

• لتعلم أيها المسلم أن بر الوالدين أعظمُ وجوه الإحسان إلى الخلق، فكن بوالديك برًّا رحيمًا.

• إياك والتجبُّرَ والعصيان، فإنهما لا يليقان بعبدٍ يريد اللهَ والدار الآخرة.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾

• قال سفيان بنُ عُيَينة: (أوحشُ ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يُولد فيرى نفسَه خارجًا ممَّا كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يُبعث فيرى نفسَه في محشر عظيم، فأكرم الله فيها يحيى فخصَّه بالسلام عليه).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾

• من أعظم فضائل مريم أن تُذكر بأحسن الذكر وأفضل الثناء في الكتاب العظيم الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إلى قيام الساعة، جزاءَ عملها الفاضل، وسعيها الكامل.

• الأُنس بالله يحتاج بين وقت وآخر إلى أفق خالٍ من ضوضاء الناس والانشغال بهم؛ ليتعلق القلب بالله من غير التفات إلى أحد سواه.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾

• الاستعاذةُ بالله والالتجاءُ إليه وحده مركبُ السلامة من المخاوف، وصهوة النجاة من المتالف.

• إنما يؤثِّر التذكيرُ بالله تعالى فيمن كان له قلبٌ مؤمنٌ تقيٌّ، إذا ذُكِّر تذكر، وإذا وُعظ انزجر.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾

• ما أحسنَ البشارةَ بغلام تكفَّل الله بتزكيته وتطهيره، وخلقه وتصويره! فكيف بوجيهٍ في الدنيا والآخرة، ونبي من الصالحين، فما أعظمه من تأمين لمريم بعد خوفها!

﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾

• يُري الله عباده من آياته أنه هو المتفرِّد بالخلق والتقدير، وأن الأسباب جميعها وإن توافرت فلا تستقلُّ بالتأثير، وأنه القادر على كل شيء، فأي شيء وإن استعظم الناس تقديره فهو عليه يسير.

• ما قد تراه في قضاء الله من ضر عليك، فقد يكون رحمة ورفعة من حيث لا تحتسب.

• علامَ الحزنُ والأسى، إذا كان الخبير العليم هو مَن قدَّر وقضى؟ فإذا شئت أن ترتاحَ نفسك، ويطمئنَّ قلبك، فارضَ ببلائه، وسلِّم لقضائه.

﴿۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢﴾

• المرأةُ العفيفة تهتم لسمعتها، ويقلقها أن يقال فيها ما لا يليق بها، فلذلك تعمل ما تقدر لحفظ نفسها، ومنع قالة السوء أن تَلَعق في عرضها.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾

• انظر كيف يسَّر الله لمريم ما تَلجأ إليه في مخاضها، وتنتفع به بعد ولادتها، فكن كما يحب الله في أقداره، وأبشر بلطفه فيما تكره.

• رُبَّ كرب كرهته، وفيه من الخير ما تحبه، فأي سعادة كتبت لمريم بولادة عيسى وما تلاه من الذكر العظيم عند الأمم، والآخرةُ خير.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾

• نهاها وليدها عن الحزن وهي في كَرب عظيم، وتستقبل بعده كروبًا أخرى، فكيف يحزن مؤمن كربتُه دون كربتها؟

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾

• لا تدَع الأخذ بما تقدر عليه من الأسباب، وإن لم تكن موصلةً إلى الغاية، فيدا مريم النُّفَساء ما كانت ستفعل بجذع نخلة باسقةٍ سَحوق؟

﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾﴾

• سبحان الله! في قمّة الغم الذي يكتسح جوانبَ مريم يأمرها الله أن تكونَ قريرةَ العين، ويحثُّها على الطعام والشراب اللذين تقلُّ رغبة المغموم فيهما! إنه الانتصار على الهموم.

• أرشد اللهُ مريم إلى الصمت في وقتٍ يُظنُّ فيه أن البيان هو النجاة، فامتثلت، فرأت من حسن تدبير الله لها خيرًا مما يمكن أن تدبِّره لنفسها.

• ليست كلُّ المعارك يحتاج الانتصار فيها إلى اندفاع وقوة، بل بعضها يحتاج إلى هدوء وسكينة فقط.

﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾﴾

• بهتوها وقذفوها بالباطل قبل أن يسألوها لمَن الطفل ومن أين جاء! وما كان ينبغي لهم ذلك مع العابدة العفيفة مريم عليها السلام.

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾﴾

• تدبَّر كيف جمع قولُهم أطراف القرابة المباشرة في هذه الآية، لعظيم أثرها على المرأة صلاحًا أو فسادًا، مما يقتضي أهمية التحري عن البيت الصالح؛ لأثره المباشِر.

﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾﴾

• لما جاءت مريمُ بأمر غير معتاد في الخلق، دفع الله عنها بسبب غير معتاد فيهم كذلك، فتكلم ببراءتها رضيعها عليه السلام وهو في مهده.

• قال مقاتل: (أقرَّ عيسى عليه السلام على نفسه بالعبودية لله عزَّ وجل أولَ ما تكلم لئلا يُتخذ إلهًا).

• لم يصرِّح عيسى ببراءة أمِّه، بل أشار إلى ذلك بالتلميح الذي يكون أبلغَ من التصريح؛ حين تحدَّث عن النبوَّة، وفي ذلك تمهيدٌ للدعوة، ودفع للتهمة؛ إذ لا يكون نبيًّا مَن كانت أمُّه بغيًّا.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾﴾

• داوِم على الصلاة مدة حياتك؛ فهي وصية الله لعيسى كلمتِه، وآخرُ وصية نبيك محمد لأمته.

• مَن كانت الصلاةُ والزكاة من لوازم سيرته كما يحب الله، فيُرجى منه الصلاح والعدالة والصدق؛ لأن بهاتين العبادتين صلاحَ علاقة العبد مع خالقه، ومع بني جنسه.

﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾﴾

• الاتّصاف بالجبروت والشقاء قرينُ عقوق الوالدين، فمَن كان بارًّا لا يُرى جبارًا شقيًّا.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾

• يحُفُّ السلام بعيسى في أعظم نُقْلات حياته؛ النَّقلة إلى الدنيا وإلى القبر وإلى الآخرة؛ ولهذا سلِم من نزغ الشيطان عند ولادته، وسلم من طالبي قتله، وسيموت في سلام، ويُبعث في سلام.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

• جَلا القرآنُ للناس حقائقَ قد حجبَتها الخيانة والحقد والضلال، والتفرُّق والاختلاف، فعيسى الذي ضلَّ فيه الجُفاة والغُلاة من اليهود والنصارى إنما هو عبدُ الله ورسولُه.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾

• إنما يطلب الولد مَن يستعزُّ به أو يتقوّى، فأمّا الذي يقضي الأمورَ العظام بكلمةٍ فإنه الغنيُّ سبحانه عن ذلك.

الجزء السادس عشر — سورة مريم

فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ
بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ
أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ
وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ
فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ
بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ
وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾

٣٠٧

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾﴾

• الربوبية سلطانٌ من الله مهيمنٌ على العباد في كل وقت، فبقاؤهم يحصُل بإمدادات ربوبيته لهم، ومقتضى الإيمان بها عبادته دون ما سواه.

• غايةُ الخلق وغاية الرسالة عبادةُ الله وحده بلا شريك، وهذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه، فلا تعدِل عن هذه الغاية التي لها خُلقتَ في هذه الحياة.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

• لماذا الفُرقة والاختلاف وقد أنعم الله على عباده بما يجمع بينهم؟! فما أشقى مَن جعل سبب الهداية والسعادة طريقًا إلى الضلالة والشقاء!

• ما من اختلاف في الدنيا إلا وسيُعرف الحكم فيه يوم القيامة، فيا ويلَ مَن كان في جانب الباطل في يوم الفصل العظيم!

﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾﴾

• ما أشبهَ الضالَّ عن الحقِّ بحال مَن لا يسمع ولا يبصر، حتى إذا ورد على ربِّه، ووقف بين يديه، عرَف ضلالَه، فندم ولاتَ ساعة مَندَم!

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
(٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) وَٱذْكُرْ
فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ
إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا
سَوِيًّا (٤٣) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا (٤٤) يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ
سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ
أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)
وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١)

٣٠٨

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩)﴾

• كم حسرةٍ يوم القيامة تصيب أهلَ العذاب على ما فرَّطوا في جنب العظيم التوَّاب، أما لو تحسَّروا على ذنوبهم في الدنيا فتابوا لما تحسَّروا في الآخرة وعُذِّبوا.

• التذكيرُ بحسرات القيامة، ووعظُ الناس بذلك، قد يوقظ بعض القلوب الغافلة، فلا تنسَ أيها الداعيةُ، وعِظِ الناس بهذه الموعظة.

• تلك حقيقةُ الكافر؛ غافل عمَّا يُراد به وما يُراد منه، لا يستفيق من غفلته إلا يوم يُدخل في قبره، فحينئذٍ يعرف حقيقةَ أمره.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)﴾

• أترى كلَّ ما تملكه؟ ستدعُه برمَّته، ثم ستقف بين يدي مَن ائتمنك عليه ليسألك: ما الذي فعلته به، فماذا أنت قائل؟

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١)﴾

صِدِّيقًا: عظيمَ الصدق لا يكذب.

• ما أسمى مرتبةَ الصدِّيقية! غير أنها لا تُبلَغ إلا بصدقٍ في الأقوال والأفعال والأحوال، والجمع بين العلم النافع والعمل الصالح والقلب الخاشع.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا (٤٢)﴾

• لا بد أن يكون الهادي إلى الحقّ رفيقًا لطيفًا لينًا؛ ليُقبل الناس عليه، ويُصغوا بقلوبهم إليه.

• أحقُّ الناس بدعوة الداعي أهلُ بيته وأقاربه، فليَحرص على دعوتهم بلين ورفق.

• كيف يَعبد ذو سمع وبصر، مَن لا سمعَ له ولا بصر؟ وكيف يعبد مَن لا ينفعك بشيء، فضلًا عن أنه لا ينفع نفسه؟!

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا (٤٣)﴾

• لم يصِف إبراهيم عليه السلام أباه بالجهل، وإن كان فيه مُفرِطًا، ولا نفسَه بالعلم، وقد كان فيه مبرِّزًا، لكنه جعل نفسه لأبيه كالدليل يعرِّفه ما يجهل من الطريق.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤)﴾

• تحت ستار الهوى تكون عبادة الشيطان، فلو فطن متَّبعو وساوسه وتزيينه أن ذلك من جملة عبادته، ما رضي بعضُهم بهذا المنحدر لنفسه.

• أمَا لو علم العاصي مقدارَ رحمة الله به لاستحيا من معصيته، فمَن كان عظيمَ الرحمة بالإنسان أيستحقُّ أن يواجَه بالعناد والعصيان؟

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا (٤٥)﴾

• أرأيتَ كيف نسب إبراهيم الخوفَ إلى نفسه دون أبيه، كما يفعل الشفيق الخائف على مَن يشفق عليه؟ فهكذا يصنعُ برُّ الأبناء بالآباء.

• يا شقاءَ مَن وصل إلى استحقاق عذاب مَن رحمته وسعت كلَّ شيء! إنه لا يصل إلى ذلك إلا إذا سُدَّت عنه كلُّ رحمة، وتخلى عن وَلاية الله إلى وِلاية عدوه.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦)﴾

• بهذه القسوة والجهالة قابل أبو إبراهيم القولَ المؤدَّب المهذب! وذلك شأن القلب الذي أفسده الكفر والطغيان، والقلبِ الذي هذبه الإيمان.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)﴾

• ديدنُ الصدِّيق والداعية الموفَّق الأدبُ والرفق، فلا يخرج عن حدِّه ولو لقي من عنَت المدعوين ما لقي.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)﴾

• إذا خالط صاحبُ الحق أهلَ الباطل فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فتمادوا في باطلهم، فليعتزلهم؛ خوفًا على دينه من الفتنة، وعلى نفسه من المحنة.

• في إخبار إبراهيم عن دعائه درسٌ في التواضع لله، وأن الإجابة والإثابة ليست إلا تفضلًا منه.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)﴾

• مَن ترك شيئًا لله عوضه خيرًا منه؛ فإبراهيمُ حين هجر قومه ودياره في سبيل مرضاة الله لم يدعه وحده، بل أنعم عليه، فعوضه خيرًا منهم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)﴾

• لا يعوِّض عن كل فقيدٍ في الدنيا مثلُ رحمة الله تعالى، التي تؤنِس العبدَ وتسعده.

• من فضل الله على عباده المحسنين أن ينشر لهم الذِّكرَ الحسن، والثناء الكريم في أعقاب حياتهم؛ ليكونوا أئمةً للمهتدين.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١)﴾

• صفات موسى الكريمة دعت إلى ذكره في أعظم كتاب، وكم في قصة موسى من عِبر بليغة تستدعي الوقوفَ عندها؛ لتدبرها والانتفاع بها.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾

• أيُّ سعادةُ تلك التي عمرت قلبَ موسى حينما أكرمه رب العزة والجلال بالمناداة، وشرَّفه بالقرب والمناجاة! فما أعظمَها من كرامة، وأسماها من عطية!

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣﴾

• هنيئًا لك يا مَن رزقك اللهُ مَن يعينك من أهلك على تكاليف دعوتك، ومُهمات رسالتك.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾

• صِدق الوعد وحفظ العهد من سيما الصالحين، وصفات الأنبياء والمرسلين، فما أحرانا أن يكون ذلك من أخلاقنا بين الناس!

﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾

• قال الحسن: (مَن كان له واعظٌ من نفسه كان له من الله حافظ، فرحم الله من وعظ نفسه وأهله، فقال: يا أهلي؛ صلاتَكم صلاتكم، زكاتَكم زكاتكم، مساكينَكم مساكينكم؛ لعل الله أن يرحمكم يوم القيامة؛ فإن الله عز وجل أثنى على عبد كان هذا عمله).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾

• يا مَن تحبُّ أن يرفع اللهُ قدرك، ويُعلي ذكرك، كن بالحقِّ المُنزل من العلي الكبير مصدِّقًا قولًا وعملًا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾

• الأنبياء عليهم السلام إنما نالوا تلك المنازلَ العالية بنعمة الله عليهم، فإذا أردت النعم فاطلبها عند المنعم بطاعته وسؤاله.

• إنه التأثر الأوفى بآيات الله؛ ما إن تطرق الأسماع حتى يتأثر بها الظاهر سجودًا، والباطن بكاءً. قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد وقال: (هذا السجود، فأين البُكِيُّ)؟

• أولئك الصالحون لم تغرَّهم رحمة الله فيتركوا العمل، بل زادتهم خضوعًا لله عز وجل، وسباقًا إلى ما يقربهم إليه تعالى.

﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾

• لم يقدُر الصلاة حقَّ قدرها مَن أضاع وقتها، ولم يبالِ بفواتها، ولو كانت لديه عظيمة لصلَّاها في وقتها، وشقَّ عليه فواتها.

• كيف يحافظ على واجباته مَن ضيَّع عمادها وخيرها؟ فمَن ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع.

• مَن أضاع الصلاة صار نُهبة للشهوات، وبالعكس، وما دُفعت الشهوات بمثل حسن الصلاة، وما حسنت الصلاة بمثل دفع النفس عن اتباع الشهوات.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾

• حتى لو أهملتَ صلاتك دهرًا وأضعتها، حتى وإن قادتك شهواتك فاتبعتها، فإن الله يدعوك لتوبة صالحة، ليس جزاؤها فقط ألا تعاقب، بل جزاؤها الجنة.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١﴾

• من رحمة الله بعباده إخبارهم عن الجنة، ووعده عابديه بها، ليجِدُّوا في العمل لها، وإلا فعبادته حق واجب.

• أهلُ الإيمان الراسخ هم مَن يؤمنون بالغيب الذي قامت عليه البراهين، وشتَّان بينهم وبين مَن لا يؤمن إلا بما تراه عيناه.

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾

• اجتناب المؤمن للغو ومجالس اللغو يعيشه في جنة معجلة قبل الجنة التي لا لغو فيها.


الجُزۡءُ السَّادِسَ عَشَرَ — سُورَةُ مَرۡيَمَ

وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن
رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ
كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ
ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن
ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا
٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ
وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا
سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي
نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ
مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤

سجدة — ربع الحزب ٣١

٣٠٩

• كم كلماتٍ وأصوات في الدنيا تكدِّر على الإنسان صفوَ حياته، وتضيِّق عليه سَعة راحته، فيا سعدَ أهلِ الجنَّة حين تتنعَّم أسماعهم بأطيب الكلام، وتتنزَّه عن باطله وسيِّئه!

• أنعِم بدارٍ رزقُك فيها مكفول، لا يحتاج منك إلى طلبٍ ولا كد، ولا يَشغل نفسَك خوفٌ من أن يَنفد، ولا قلقٌ من أن يقلَّ أو يتخلَّف.

﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾

• إذا كان ميراثُ الجنة سببُه التقوى والعمل الصالح، فإن سهم كلِّ وارث فيها بحسب نصيبه من التقوى والعمل.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾

• الملائكة العظام -وفي مقدَّمهم جبريل- لا يتنزَّلون إلا بأمر الله، ولا يلقَون رسول الله إلا بأمر الله، فتعلَّم منهم كمال الطاعة.

• أيها المؤمن، اذكر ربَّك ولا تنسَه، فإنه لا ينساك في مصالحك، بل هو دائم الاطِّلاع على كلِّ أحوالك، يصرِّفها حسب حكمته، لا يكون شيء من ذلك إلا في الوقت الذي حدَّه له وأراده.

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ
هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ
أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ
وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ٧٠ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣
وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ٧٤
قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ
مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ
مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ
وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ٧٦

٣١٠

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾

- مَن كان ربَّ السماوات والأرض وما بينهما فهو الأحقُّ بأن يُعبد وحده، ويُصبر على عبادته صبرًا عظيمًا، سبحانه وتعالى.

- اللهُ جلَّ جلاله لا ندَّ له ولا شبيه، ولا شريك له ولا نظير، أفلا يبذل العبدُ في مرضاته ما يقدر عليه من مسارعته إلى طاعاته، ويصبر نفسَه عليها ابتغاءَ جناته؟

﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦﴾

- العقول الصغيرة تنكر بلا دليل، فهي مأسورة بالحاضر المشاهَد عن غيب دلت الأدلة عليه، فالعجَب منك أيها المتعجب، والإنكار عليك أيها المنكر.

﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾

- النصوص الشرعية ليست أخبارًا وأحكامًا مجرَّدة، فهي مِلأى بالبراهين العقليَّة الدالَّة على الأمور الغيبيَّة، فضلًا عن غيرها.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨﴾

- ما أكثرَ السبل الهادية إلى الإيمان بالحشر! فمَن أعرض عن الآيات السَّمعية والبراهين العقليَّة تكبّرًا وعنادًا، فلعلّ الموعظة بالترهيب تهديه.

- يا لقدرِ النبي العظيم وقد أضيف اسمُه إلى اسم الله جلَّ جلاله تشريفًا! ويا لوضاعة مَن لم يؤمن برسالته، فإنه ليحشر مع شرِّ الخلائق!

- مَن تكبَّر في دنياه على أمر مولاه سيحشر خائفًا ذليلًا في أخراه، جاثيًا على ركبتيه، لا يطيق القيامَ على قدميه.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩﴾

- في موقف الحشر يُنتزع أشدُّ العصاة يوم القيامة انتزاعًا شديدًا، فيُجعل نكالًا لغيره من المعذَّبين، قبل أخذه إلى العذاب المُهين.

﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ٧٠﴾

- إذا كان جبابرةُ الخلق يعذِّبون الناسَ ظلمًا، ويسومونهم النكال عسفًا؛ فإن الملِك العدل سبحانه لا يعذِّب إلا عن عدل وحكمة، وعلم وقدرة.

﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾

- كان عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه إذا قرأ هذه الآية يبكي ويقول: (قد علمتُ أني وارد النار، ولا أدري كيف الصدر بعد الورود)؟!

- ورودُ النار مظهرٌ من مظاهر عظمة قهره على جميع خلقه، فالمؤمنون يعرفون يومئذٍ عظمةَ ما نجاهم الله منه، والكافرون يعرفون هولَ ما وقعوا فيه.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾

- نجا المتَّقون برحمة الله وحدَه، ولولاها ما جاز الصراط المَهولَ منهم أحد.

- لما توقَّى أهل الإيمان المعاصي في الدنيا، وقهروا شهواتهم، وقاهم الله نار الآخرة.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣﴾

- ليست الهدايةُ لمَن كان أحسنَ حالًا؛ قوةً أو مالًا، جاهًا أو جمالًا، بل هي نورٌ يقذفه الله تعالى في قلب مَن يشاء من عباده؛ ضعيفٍ أو قوي، فقيرٍ أو غني.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ٧٤﴾

- إن الاغترارَ بمظاهر الحياة الدنيا سِمةُ مَن ليست لهم عقولٌ يعقلون بها أهواءهم وشهواتهم عن أن تنطلق بهم إلى مهالكهم.

- الأثاث الذي ربما تفاخر به المرء بإظهاره أو نشر صوره، ومرأى الإنسان الذي طالما زينه وحسَّنه، لم تُغن مَن هم أحسن أثاثًا ورئيًا حين هلكوا، فهل لاحقٌ يَعتبر بسابق؟

- طِيبُ الحال، وزيادة المتاع، وحسن المنظر مع المعصية أقربُ إلى الهلاك منه إلى النجاة.

﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥﴾

- يا مَن يعيش مغرورًا بشهَواته وحسنِ حاله، ويتقلَّب في رحمة الله وإمهاله، إنها لفرصةٌ عظيمة للتوبة والإنابة إلى ربِّك، قبل يومٍ تنقطع فيه المعاذير، وتحاسَب فيه على الصغير والكبير.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ٧٦﴾

- من فضل الله تعالى على عبده المخلص أنه إذا سلك طريقًا في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله تعالى منه، وسهَّله عليه، ويسَّره له.

- إنما يبقى ذِكر الله تعالى وطاعتُه، وأما الدنيا فصائرةٌ إلى يباب، ومتاعها آيلٌ إلى ذهاب، لا يبقى منه مقام ولا ناد، ولا سلطانٌ ولا أجناد.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾

• عجبًا لكافرٍ حمله إعجابُه بنفسه وبعمله على أن يجزم بأن له مآلًا حسنًا إن كان ثمة مآب!

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾

• على الإنسان ألا يأمن المآل، ولو أحسن الأعمال؛ لأنه لا اطلاعَ له على الغيب فيطمئنَّ لعاقبته، فليعمل وليرجُ ربَّه حسنَ المنقلب.

﴿كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾

• طوبى لعبدٍ راقب عمله فأحسنه، وتجنَّب كلَّ ما يشين صحيفته؛ إذ ما من قول أو عمل إلا وهو مدوَّن في كتاب، وعليه يكون الحساب.

• زيادة العقوبات في الآخرة تنتظر مَن ازداد من الغيِّ في الدنيا، فليكن العاقل على حذر.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

• يأتي الإنسانُ يوم المعاد لا مالَ يغنيه، ولا قوة تحميه، ولا ولد يصحبه، ولا جاه يرفعه، بل يترك ذلك كله في الدنيا، ويَرِد الآخرة وحيدًا فقيرًا.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾

• إن السرَّ الخفيَّ خلف الآلهة المصطنعة من الحجر أو البشر هو استمدادُ القوى والعزِّ بهم، فيا لتفاهة مَن طلب عزًّا ممَّن لا يملك عزَّ نفسه، وترك طلبها من العزيز المُعز.

﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

• ما تعلَّق القلبُ بشيء غير الله إلا عُذِّب به، ولا طلب النصرَ من غير بابه إلا أتاه الخِذلان من ذلك الباب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾

• لـمَّا لم يعتصموا بحبل الله احتبلتهم الشياطين، فهم يتحرَّكون عند هزِّها لهم، تخور قواهم عن الخير، ويستجمعونها عند أمر الشياطين لهم بالشر.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

• إذا علم المظلومُ حكمة الله في إمهال الظالمين، وإرجاءِ عقوبة المجرمين، اطمأنت نفسُه، وخفَّ وجعه، وأشرقت حياته بنور التفاؤل واليقين.

• ويلٌ لمَن يعدُّ اللهُ تعالى عليه ذنوبه وأعماله، ويتتبع حركاته وأقواله، ليحاسبه عليها.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾

• كيف بك لو كنت في هذا الوفد المكرَّم؟! إذا أردت ذلك الإكرام هنالك فكن من المتقين.

• حُشر المتقون إلى الرحمن، وهو أعظم من أن يقال: حشروا إلى الجنة، وأما المجرمون فإنهم يُساقون رغمًا عنهم عِطاشًا إلى النار، وما أبعد الماء عن النار! وشتان ما بين الفريقين.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

• ما أعظمَ كلمة التوحيد في انتفاع المؤمنين بها، ودوام المودة بينهم بسببها، فالمؤمن الموحد يشفع لأخيه يوم القيامة بإذن الله تعالى ورضاه.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾

• جهلوا قدرَه، وتناسَوا فضله، فزعموا له الولد، فما أشنعها من كلمة، وما أسوأه من جهل صيَّرهم إلى هذا المنحدر السحيق!

• ليس الكفر بالله تعالى حريَّةً فكريَّة، ولا سَعة تعبيرية، بل هو الجرم الكبير، والذنب الخطير الذي تتنزه عنه وَحدانية الله تعالى، وتستنكره مخلوقاته.

• قال ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما: (إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه لعظمة الله).

الجُزْءُ السَّادِسَ عَشَرَ — سُورَةُ مَرْيَمَ

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

٣١١

• إذا كانت الجبالُ تنهدُّ غيرةً على التوحيد والإيمان، فكيف بقلب المؤمن الذي يخاف الله تعالى ويرجو رحمته؟! أما إنه لأولى وأحرى.

• عجبًا للنصارى الذين يزعمون أن لله تعالى ولدًا صلبَه ليخلص سائر البشرية من خطاياها، مع أن رحمة الله تعالى ووَحدانيته تأبى ذلك!

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾

• ليكن همُّك رضا الله تعالى وحده عنك، فكلُّ مَن سِواه من الخلائق عبيدٌ له.

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

• مَن أحاط علمًا بخلقه جميعًا، ولم تخفَ عليه حركاتهم ولا سكناتهم، فإنه -لا شكَّ- سيحاسبهم ويجازيهم.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

• تذكَّر أيها الإنسان أنك ستقدَم على ربك وحيدًا فريدًا، لا ناصر لك ولا مدافع عنك غير طاعتك واستقامتك، ورحمة الله بك إن كنت من أهل الإيمان والتوحيد.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٣٢

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ
لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ
أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

٣١٢

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾

• لا تطلبِ مودَّة الناس بإظهار الغنى وتزويق الكلام، والمداهنة بترك الحِسبة وتحليل الحرام، بل اطلبها بمحبَّة الله لك بإيمانك وعملك الصالح. (إذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريلَ: إني أحبُّ فلانًا فأحِبَّه، فيحبُّه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحبُّ فلانًا فأحبُّوه، فيحبُّه أهل السماء، ثم يوضَع له القبول في أهل الأرض).

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾﴾

لُدًّا: شديدي الخصومة بالباطل.

• بشائرُ القرآن تدعو المؤمنَ إلى أن يجِدَّ في سيره إلى الله، كما أن إنذاراته تنبه كلَّ غافل ألا يقع في منحدرات الخطيئة السحيقة.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾﴾

رِكزًا: صوتًا خفيًّا.

• كانوا ملءَ السمع والبصر، ملؤوا الدنيا ضجيجًا، فأسكتهم الذي أنطقهم، وأبادهم الذي سوَّدهم، أفلا يعتبر العبد وينزجر؟!

سُورَةُ طه

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾

• قال قَتادة: (لا واللهِ ما جعله اللهُ شقيًّا، ولكن جعله رحمةً ونورًا، ودليلًا إلى الجنَّة).

فمَن اتَّبعه واتَّبع النور الذي أُنزل معه كان إلى الرحمة أقرب، ومن الشقاء أبعد.

﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾﴾

• التوحيد مستقِرٌّ في الفطرة، والإسلامُ إحياء له وتذكير به وتنبيه إليه.

• إذا أردتَ الانتفاعَ بالقرآن فكن من أهل الخشية؛ لأنها طريق الاستفادة بمواعظ القرآن؛ فأهلُها على كتاب الله مقبلون، وبتذكيره منتفعون، وبما فيه عاملون.

﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾﴾

• إن هذا الكتاب عظيم، وعظيمٌ مَن أنزله، ومَن أُنزل عليه، فيا مَن أُنزل لأجله القرآن هل تستحضر ما فيه من المهابة والروعة، فيدعوك ذلك إلى الإقبال عليه، والعمل بما فيه؟

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾

• سبحان مَن عرشُه أعظم المخلوقات، ورحمته من أعظم الصفات! الذي وسع كلَّ شيء رحمة وعلمًا، وقهر كل شيء سلطانًا وحُكمًا!

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾

• ما على وجه الأرض وما في باطنها مما لا تدركه كما تدرك ما في ظاهرها؛ هو لله تعالى خلقًا وملكًا وتدبيرًا، فسبحانه من خالق عظيم، وربٍّ مالكٍ عليم!

﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾﴾

• إخباره تعالى بعلمه سِرَّك وعلنَك دعوةٌ لك لإصلاح باطنك، وتصفية سريرتك؛ حتى تكونَ له باطنًا وظاهرًا كما يحبُّ، لا كما تحب.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾

• الخالق العظيم، والمالك العليم، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، هو وحده مَن يجب التوجُّه إليه وإفراده بالعبودية.

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾

• تدبَّر قصة موسى تجد فيها من تجلِّي أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلا على أنبيائه وأوليائه.

• تأمَّل في هذا الاستفهام الذي صُدِّرت به قصَّةُ موسى عليه السلام، فإن فيه من التشويق لسماع خبره ما فيه.

﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾﴾

• بحث موسى عليه السلام عن نارٍ تهديه وأهلَه الطريق، فأُعطي نورًا ووحيًا، أضاء به لمَن اتبعه سواءَ السبيل، والنورُ إلى النور يهدي.

• من المروءة أن يقوم المرءُ -وإن علت منزلته- على خدمة أهله، وأن يسعى لأجلهم وفي سبيل مصلحتهم.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾

• لا تستبعد رحمات الله بك، جاء موسى عليه السلام على قدر لم يعلم به؛ لينادى بأعظم نداء سمعه في حياته.

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾﴾

• كم في خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام بالربوبية من إيناس له، وطَمأنةٍ لقلبه، فمَن دعاه هو مَن يتولَّى رعايته وتربيته.

• على بساط الطهارة والنقاء يليق الحضورُ بين يدي رب الأرض والسماء، فطهارة الظاهر وسيلة لاستجلاب طهارة الباطن.

• قد تراه عيون أناس واديًا كسائر الوديان؛ لكن الله يختار ما شاء لحكمة وعلم، فيقدسه ويبارك فيه ويبارك حوله، فلله الأمر من قبلُ ومن بعد.

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ
لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

٣١٣

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾﴾

• اصطفاء الله للعبد واختيارُه له يوجب عليه الاستماعَ لوحيه، والانقيادَ لأمره ونهيه.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾

• يا مَن آمنتَ بأن الله لا إله إلا هو، لا تتوجَّه في عباداتك وصلواتك إلا إليه، ولا تشغلنَّك أعباء الحياة ومشاغلها عن ذكره.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾

• لقد أخفى الله علمَ الساعة عن جميع خلقه عدلًا منه، فمَن كان مؤمنًا بها استعدَّ لها ففاز، ومَن لم يكن كذلك غفَل عنها فخسر.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

• فليُقبِل على الآخرة طالبُها، ولا يصرفه صارفٌ عنها؛ فإن الاستجابة لمَن يصدُّ عنها يُبطِئ المرءَ عن العمل لها، فيورثه ذلك الردى والخسران.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

• سأله عن عصاه وهو يعلمها؛ لينبِّهَه على حقيقتها، ويقرِّره أنها مجرَّد خشبة للاتكاء والهشِّ، فيعرِّفه قُدرته ونفاذَ أمره حين تتحوَّل إلى حيَّة عظيمة تتحرَّك.

• اعتياد الأمر الهائل يخفِّف من هوله، ويطبع النفسَ على احتمال فجأته وشدته؛ فموسى قد ثبت قلبُه من تحول العصا إلى أفعى بين الناس بعد أن رأى ذلك وحده.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾

• ما أحسنَ التطمين المصاحب للتكليف! فالآمرُ إذا طمأن مَن يأمره ساعده على الأداء، ونزع الخوف عنه.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾

• ما أحسنَ في نصرة الحق أن يكون للمحقِّ أكثرُ من حُجة! فمَن لم ينقد من المبطلين لحجةٍ فلعلَّه أن ينقاد لأخرى.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾

• الآياتُ المعجزات مصدرُها الله تعالى، ولكنه تعالى يُجريها على أيدي أنبيائه تصديقًا لهم، وترغيبًا للناس في الحق الذي يُدعَون إليه.

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

• الطغيان مدعاةٌ إلى حُجج كبار، وأهله أولى بالإقبال عليهم بالدعوة والنصيحة؛ لِعظَم ذنبهم، ولكفِّ شرهم.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾

• إذا ما شرح الله تعالى صدر الداعية هانت عليه تكاليفُ الدعوة، وسرَت روح تلك الطمأنينة التي يعيش بها إلى المدعوين.

﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾

• الإنسان الضعيف في الطريق الطويل الشائك العسير، أحوج ما يكون إلى ما ييسر أمره، ويجبُر كسره، ويوصله إلى غايته.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾

• سَلِ اللهَ تعالى أن يفتحَ عليك فيُلهمَك الفصاحةَ والبيان، لا ليُشارَ إليك بالبنان، بل لتُفهمَ الحجّةُ عنك، وتُقبلَ الدعوةُ منك.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾

• إذا وهبك اللهُ أخًا يعينك على أمر دينك، ويخلص لك الودَّ، فقد رزقتَ خيرًا عظيمًا.

• استعانتُك بغيرك من أقاربك أو غيرهم في أعمالك الطيبة مشاركة في الخير لا دليل العجز.

• عن عائشة أنها سمعت رجلًا يقول: (إني لأدري أيَّ أخٍ في الدنيا كان أنفع لأخيه: موسى حين سأل لأخيه النبوة). فقالت: (صدق والله).

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

• لتكن من غاياتك المطلوبة في دعائك ما تستعينُ به على أمر دينك.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

• اختِم دعاءك بالثناء على ربك، ومدحِه بصفاته اللائقة بدعائك؛ فإن ذلك من حسن التوسل إليه.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

• أطال موسى سؤلَه، وكشف عن ضعفه، وطلب العون من ربه، وأحسن المسألة والتعليل بين يديه، فوافته الإجابةُ قبل أن يبرح موضعه.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾﴾

• التكليف بالدعوة، والمؤازرة بالأخ الصالح، وتيسير كثير الذكر، منَّةٌ من الله تعالى على العبد، وليست مِنَّةً يمن بها العبد على الدعوة.

إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ
فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ
عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ
هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا
وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ
فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠
وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا
تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا
لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ
عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ
٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ٤٨ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ
كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١

٣١٤

﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾

• إذا أراد الله حفظ شيء ذلّل له ما شاء من قوّة خلقه؛ ففي اليمّ أمِن الرضيعُ موسى ونجا، ولكنَّ فرعون بجيشه العرمرَم هلك فيه!

• ما أعظمَ ذلك اليقينَ الذي استكنَّ في قلب أمِّ موسى حتى ألقت فِلذة كبدها في موضع الهلاك المحقَّق! غير أن وعد الله لها صيَّر اليمَّ قارب نجاة، ومهدَ أمان.

• حين يأذن الله تعالى بالسلامة والأمان لعبدٍ من عباده فإنه يحميه ولو كان في يد ألدِّ أعدائه، وأحنق خُصمائه.

• إنها كرامة وأي كرامة! أن ينال إنسانٌ لحظة من العناية الربانية، فكيف بمن يُصنع صنعًا على عين الله تعالى؟

﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠﴾

وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗا: ابتليناك ابتلاء.

عَلَىٰ قَدَرٖ: على وَفْق الوقت المقدَّر لإرسالك.

• لم تُلقِ أمُّ موسى في البحر وليدها من غير واقٍ من الماء، وهي الموقنة بوعد الله، ولم تتركه دون أن تجمع عنه الأنباء، بل صنعت له التابوت، وأرسلت ابنتها للبحث عنه بين البيوت، وذلك قصارى ما استطاعت.

• إذا كنت في غمٍّ فاطلب من اللهِ النجاة منه؛ فإن الغم عذاب معنوي مؤرِّق مقلِق.

• المؤمنُ متى ثبت عند الفتن ولو تتابعت، حتى تجاوزها؛ فذاك ذو مقام عند الله عظيم.

• تطول مدَّةُ تربية الله تعالى لعبده بمقدار ما تقتضيه حكمته؛ ألا ترى موسى عليه السلام كم رعى الغنم حتى جاءه التكليفُ بالرسالة؟

﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾

• أيها المؤمن، سلِّم لأقدار ربك فيك، فإنك لا تدري ما الذي يدَّخره الله تعالى من الخير لك.

﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢﴾

• مع ما أيَّد الله تعالى به نبيَّيه الكريمين من أسباب الإجابة وظهور الحجَّة، فإنه أرشدهما إلى طريقٍ للتثبيت، فأمرهما بملازمة الذكر، ونهاهما عن الفتور فيه.

﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣﴾

• الابتداء بدعوة رأس الطغيان، والحرصُ على هدايته منهجٌ قرآني يُرجى به هداية الأتباع، فكم يهدي الله بسيِّد القوم إذا اهتدى!

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾

• القول اللين في الدعوة من أسباب نجاحها؛ لأنه لا يثير العزة بالإثم، ولا يَهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، بل يوقظ القلب ويجذبه، ويحركه ويذكِّره.

• قال يحيى بن معاذ: (إلهي! هذا رفقك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله؟ وهذا رفقك بمن قال: {أنا ربكم الأعلى}، فكيف بمن قال: (سبحان ربي الأعلى)؟

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾

يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ: يعاجلُنا بالعقوبة.

• الخوف توقُّعٌ نفسي يعتري كلَّ البشر حتى الأنبياء، ولكنه لدى النبيين انفعال نفسي فلا يقعدهم عن تبليغ رسالتهم، بل يستعينون بالله ويواجهون المكروهات.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾

• يقينُ الداعيةِ بأن الله السميع البصير يحفظه ويحميه، يشحذ همَّته للمضيِّ في طريقه غيرَ متباطئ ولا هيَّاب.

﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾

• استنقاذُ المستضعفين، والدفاعُ عن حقوق المظلومين المضطهدين؛ لأجل هدايتهم للإيمان والتوحيد، وإقامة شرع الله فيهم، من غايات بعثة الرسل.

• السلامةُ من العذاب في الدارين هي لِمَن اتبع الهدى، بتصديق آيات الله الهادية إلى الحق.

﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩﴾

• على الداعي أن يكونَ مستعدًّا للإجابة عن أسئلة المدعوِّين، المستبينين منهم والمتعنِّتين.

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾

• لو نظر المتكبر على ربه إلى خلقه، وإبداع خالقه في تصويره، وتفكرَ في هدايته له إلى مصالح نفسه؛ لتواضع لله وأقبل على عبادته.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١﴾

• لا يُعارض حججَ الأنبياء بأحوال الأمم، وأقوالِ الزنادقة والملاحدة، وخرافاتِ السحرة ومَن عُرفوا بالضلال، إلا كلُّ مبطِلٍ معرِض.

الجزء السادس عشر — سورة طه

الحزب ٣٢

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢ ٱلَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ٥٣ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ٥٤ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ٥٥ وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ٥٦ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ٥٨ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ٦١ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ٦٢ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ٦٣
فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ٦٤

٣١٥

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾

• إن الله تعالى يحفظ أعمالَ الأمم وأخبارها في كتاب، وهو الحفيظ العليم الذي لم يحتج إلى كتاب، لكنَّ في الكتاب مزيدَ حجَّة عليهم.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ٥٤﴾

• مَن رأى بعين التأمل هذه الأرضَ وما فيها من المنافع والمسالك التي خلقها الله تعالى فيها؛ كيف يجحد خالقها ويُقبل على عبادة غيره؟

• المطر وآثاره على الأرض آيةٌ أخرى تدعو إلى توحيد الله تعالى؛ إذ كيف ينصرف العبد عمن قيامُ الحياة بيده، ومعاشُ أهلها نازل من عنده؟

• بين الأرض الممهدة والسماء الهاطلة يُرزق ابن آدم وترزق أنعامه، فكيف يجحد نعمة الله!

• أهلُ العقولِ السليمة هم المستفيدون من آيات الله على هذه الأرض، فقد جعلوا نعمةَ الله عليهم بسلامة النُّهى وسيلةً إلى الهدى، وتوحيد الله جل وعلا.

• من شأن العقول أن تنهى صاحبَها عن الغيِّ، فمَن عمِيَ عن الهداية فبماذا نفعه عقلُه؟

﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ٥٥﴾

• كلما أبصرتَ أين تضع قدميك، فاعلم أنك من هذا التراب خُلقت، وإلى حفرة ضيقة فيه ستعود، ومنها ستبعث، فنِعمَ المذكِّر لك ما تراه.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ٥٦﴾

• خصومةُ الطغاة مع الدينِ نفسه، لا بسبب خفاء الحقِّ وبراهينه وحُججه؛ إذ ما أكثرَ البراهين الدالة على الحق لمَن أراده!

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧﴾

• هكذا يغالِط الطغاة، أو يفهمون أن دعوة أصحاب الحق إنما تخفي وراءها هدفًا من أهداف هذه الأرض، وأنها ليست سوى ستار للملك والحكم، والأمر ليس كما فهموا.

• حين يفشو الفساد بين العباد في مجتمع ما، فيقوم مصلحٌ صادق ينادي بتطهير المجتمع، فإنه يُرمى بعَداء البلاد، وتمزيق الرابطة المجتمعية!

• ما زال فرعون يتجاهل الحقَّ، ويتصامم عن سماع حججه، ويتعامى عن رؤية براهينه، حتى وصمَ ما جاء به موسى من الحق بالسحر المبين! تلبيسًا على الجماهير، وتكبرًا على الحق المنير.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ٥٨﴾

• عجبًا لجَلَد الفاجر في معارضة الحق! ففرعونُ يفوِّض أمر الوعد إلى موسى للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب، وإظهار الجلادة، وأنه متمكِّن من تهيئة أسباب المعارضة، طال الأمد أم قصر.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ٥٩﴾

• حسنُ الاختيار من جودة العقل؛ فقد اختار موسى زمانَ الدعوة والمجلس في وقت اجتماعهم لعيدهم بدل تفرقهم في غيره.

• دعا موسى للمناظرة العلنيَّة في صدر النهار؛ ليكون ذلك أبينَ في الحجة، وأوضحَ للجمهور، وهكذا شأن الأنبياء، كلُّ أمرهم واضح بيِّن ليس فيه خفاء ولا ترويج.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠﴾

• إذا كانت الحجة عند العقلاء تُدفع بمثلها، فإن مبلغ ما يملكه المبطلون إذا دُعوا إلى مواجهة الحق، أن يَسعوا في إعمال المكيدة.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ٦١﴾

• السحر افتراء على الله؛ فهو يستمدُّ من باطل لتحصيل باطل، فالويل حاصلٌ لأهله دنيا وآخرة.

• هذا وعدٌ إلهي، وسنَّةٌ مطَّردةٌ في خيبة كلِّ مُفترٍ، وهو بشرى لكلِّ مفترًى عليه بأنَّ الله ناصرُه، ولو بعد حين، فلا يستعجل ولا ييئَس.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ٦٢﴾

• هكذا تنزِلُ الكلمةُ الصادقة الصادرة عن عقيدة صحيحة كالقذيفة الحارقة في معسكر المبطلين، فتزعزعُ اعتقادَهم في أنفسهم وفي قدرتهم، وفيما هم عليه من عقيدة وفكرة.

﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ٦٣﴾

• تلك سنَّة أهل الباطل، يلفِّقون التُّهمَ على المؤمنين، ويقبِّحون ما عندهم من الحسن، في حين يُزيِّنون ما هم فيه من القبيح.

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ٦٤﴾

• علمَ أهلُ الباطل أن فلاحهم منوطٌ بتنظيم صفوفهم، وتوحيد كلمتهم، وإحكام أمرهم، فهلا سعى أهل الحقِّ إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ
أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا
تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ
كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ
لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا
عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

٣١٦

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥﴾

• وثِق فرعونُ بما عنده، فجعل لموسى اختيارَ الموعد، ووثق السحرة بقدرتهم السحرية فخيروا موسى في أول مَن يُلقي، وهكذا يصنع الكِبر والغرور بصاحبه.

﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾

• استماعُ حجَّة المبطلين، والإجابةُ عنها بما يمحَقها عقب ذلك أولى من تقديم حجة الحق؛ لئلا يبقى في النفوس شبهة باطل، فقد أتى المبطل بكل ما عنده، ثم جاء الحق فأزهق كل ما عنده.

• إن كانت ألاعيبُ السحرة لاحتراف أصحابها قد خفيت على أثبت الناس في ذلك الوقت بصرًا، وأنفذهم بصيرة، فما الظنُّ بغيره؟!

﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾

• لا عتابَ على خوفٍ طُبع عليه البشر، وخوفُ موسى كان من ذلك، ومع هذا لم يدفعه خوفُه إلى الخور، بل ثبت معه، وأقام أمر ربه حتى انتصر.

﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨﴾

• صاحب الحق هو الأعلى، وحجتُه هي الأقوى؛ لأنه قائمٌ بأمر الله، ومستمدٌّ حجتَه من مولاه، سبحانه وتعالى.

﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩﴾

• قد يبدو الباطل ضخمًا مخيفًا، لكنَّ للحق قوةً كامنة لا تتبختر ولا تتظاهر، إلا أنها تدمغ الباطل في النهاية فإذا هو زاهق، وتلقَفُه فتطويه فإذا هو يتوارى.

• لا يأتي الساحرُ البتةَ بخيرٍ ولا فلاح، فعلامَ يستعين به بعض الناس في طلب النجاح؟!

﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾

• مهما بلغ معاندُ الحق من المعارضة فلا تيئس من إيمانه وتوبته؛ فالقلوبُ بيد علام الغيوب.

• لما كان السحرة بارعين في حرفة السحر، فإنّ معرفتهم كشفت لهم أن ما جاء به موسى ليس من جنس عملهم، فعلموا أنه دليل وآية وبرهان على الحق، وصدق ما جاء به.

﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١﴾

• قضيَّة الإيمان قضيَّة يقين وعمل، لا سلطانَ فيه لأحد من الخلق، ولا يحتاج إلى إذنٍ من أحد، مهما بلغ الكاره للإيمان من التسلط والجبروت.

• إذا أفلس المبطلُ المتسلِّط من الحجج، وانفضَّ مَن كان معه عند ظهور الحق، سارع إلى اتهامهم بالباطل.

• الوعيد والتنكيل هما آخرُ ما يعلنه المبطل المتجبِّر محاولاً بهما إطفاءَ نور الحق، وما يدري أن ذلك النور سيصل إلى الناس من بين الآهات والجثث!

﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢﴾

• مَن تمكَّن الإيمانُ من قلبه علم أن عقوبة الدنيا أسهل من عقوبة الآخرة، وأن ما يحصُل له في الآخرة من ثواب الإيمان هو أعظم وأنفع وأكثر وأبقى.

• بينات الحق سببٌ للاستجابة له والثباتِ عليه، وكلما قويت قوي إيمان المهتدي بها.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣﴾

• يوقنُ المؤمنُ بأن ما عند الله خيرٌ، فلا تُرهبه حينذاك عداوةُ مَن يظنُّ أنه أشدُّ عذابًا وأبقى.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾

• حين ينقشع ظلامُ العصيان عن القلوب، تُشرق منها أنوار تضيء لأصحابها دروب الحياة، فتنطق حينها بالحكمة، فيصبح أهل تلك القلوب دعاةً هداة، بعد أن كانوا عُداةً غُواة.

• ما أشدَّ هذا المصير يوم لا يموت صاحبُه فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها، وإنما حياته محشوَّةٌ بعذاب القلب والروح والبدن!

﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾

• إنما العبرةُ بحال العبد عند ملاقاة ربِّه، فإن أتاه مؤمنًا فطوبى له، وإن أتاه مجرمًا فويلٌ له.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾

• لو أنصف العاقل لرأى أن جنَّات الخلود لا توازيها الأعمال البشرية، ولو أُعطيَت القوى ومُدَّ لها في عمر العمل، لكنَّ الله يعطيكها لو زكَّيت نفسك فقط في عمرك القصير.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾

أَسْرِ: اخرج ليلًا.

فَٱضْرِبْ: فاتَّخِذ.

يَبَسًا: يابسًا.

دَرَكًا: إدراكًا.

• في امتثال أمر الله -مهما شقَّ- الخيرُ كله؛ فلو طلب منك مولاك جلّ جلاله أن تقتحم لجج البحار فاعلم أن هنالك خلاصَك ونجاتك، وفلاحك وصلاحك.

• إذا قام المرءُ بما أمره الله تعالى به، فضاقت عليه سبلُ النجاة من كروبه، فإن الله سيجعل له مخرجًا، ولو كان ذلك المخرج خارجًا عما اعتاده البشر، فيجب التوكل على الله.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾

فَغَشِيَهُم: فغمرهم وغطاهم.

ٱلْيَمِّ: البحر.

• عجبًا كيف يتبع فرعونُ وجندُه موسى وبني إسرائيل في بحرٍ قد انفلق طرقًا، ولم تَهُلْهُ هذه الظاهرة المخالفة للعادة؛ أذاك منه تبلدُ الشعور، أم الكبر والغرور؟!

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

• لم يكتفِ فرعونُ بضلاله حتى أضل غيرَه من قومه، فما الهداية التي كان يتباهى بها، وقد أوردهم معه إلى الهلاك الذي ليس لهم منه انفكاك؟

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾

وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ: لا تعتدوا بأن يَظلِم بعضُكم بعضًا.

فَيَحِلَّ: فينزلَ.

• ما أعظمَ ما أنعم الله تعالى به عليهم! الأمن بحصول نجاتهم، والعلم والهدى بنزول التوراة عليهم، والرزق الطيب بإنزال المن والسلوى إليهم، والله يحب أن تذكر نعمه، وفي تفصيل تذكرها مزيد من حصول الامتنان.

• الطغيانُ في النعم وجحودها والبطر فيها جالبٌ لغضب الله، وغضبُه تعالى يمحق تلك النعمَ ويهلكها، فما أحرى العاقلَ بالبعد عن الطغيان والجحود!

• ويلٌ لمَن حلَّ عليه غضب الله، وأحاط به سخطُه! فإلى الخسران والهلاك سقوطُه؛ ففرعون غضب الله عليه، فأهوى به من عرش الكبرياء إلى الغرق في الماء.

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

• لك الحمد ربَّنا على رحمتك الواسعة وحِلمك الجم؛ حتى مَن طغى واستحق غضبك فإن باب رحمتك مفتوح له متى تاب إليك ورجع إلى رضاك، فلا يأس مع رحمتك.

• التوبة عزيمةٌ في القلب، يتحقق مدلولُها بالإيمان والعمل الصالح، ويتجلّى أثرُها في السلوك، ثم يستقيم الإنسان بعدها في الطريق على هدى في العلم والعمل.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾

أُو۟لَآءِ: هؤلاء.

عَلَىٰٓ أَثَرِى: خلفي سوف يلحقون بي.

• رضا الله في المبادرة إلى أوامره والعجلة إليها، وهي أولى من الطاعات المستحبة التي تزاحمُ تلك الأوامر.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ
أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

نصف الحزب ٣٢

٣١٧

• قد تَروج الشبهات في غياب المعلم الحازم، وينشط دعاة الفتن والانحرافات، ويستجيب لهم الجهّال وضعفاء الإيمان.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾

أَسِفًا: حزينًا.

وَعْدًا حَسَنًا: الوعدَ بإنزال التوراة.

• من كمال النصح وعظيم الشفقة أن يكون غضبُ المربِّي مشوبًا بالحزن والأسف على تقصير الناس في حق ربهم، والخوفِ عليهم من سخط الله تعالى وغضبه.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾

• حين يحيط بالإنسان الجهل، ويستولي عليه الهوى، يتورَّع عن الأمر الحقير، ويرتكب الأمرَ الشنيع الكبير؛ فهؤلاء القوم تورعوا عن زينة القِبط فألقوها عنهم، وعبدوا العجل، فيا لله للعجب!

فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا
وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ٨٩ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ
مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ
إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢
أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي
وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ قَالَ
بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ
ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦ قَالَ
فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ
عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨

٣١٨

﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨﴾

فَأَخۡرَجَ: فصنع.

جَسَدٗا: مُجسَّدًا من الذهب.

لَّهُۥ خُوَارٞ: له صوتٌ كصوت البقر.

• من بلادة هؤلاء القوم وسخافة عقولهم أنهم رأوا هذا الغريب الذي صار له خوار بعد أن كان جمادًا، فظنوه إلهَ الأرض والسماوات، فسبحان الله!

﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ٨٩﴾

أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا: ألا يرُد عليهم جوابًا.

• من أعظم ما يرجو العابدُ من معبوده أن يدفع عنه الضَّر، ويجلب له النفع، ويجيبه فيما يدعوه، فكيف يُعبد مَن لا يملك من ذلك شيئًا؟!

﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ٩٠﴾

فُتِنتُم بِهِۦ: اختُبِرتُم به.

• على الداعية أن يُميط أذى الفتن والشبهات العالقة في أذهان مدعويه، ثم يعرِّفهم بالله تعالى ورسوله، وشريعته التي كُلفوا بها، فما أحسن التصفية قبل التحلية!

﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١﴾

لَن نَّبۡرَحَ: لن نزال.

عَٰكِفِينَ: مُقيمينَ على عبادتِه.

• من الأدواء الغابرة فيمن سلف، الباقية فيمن خلف، الإقامةُ على الشبهة الضعيفة رغم ورود النصوص الواضحة الصريحة.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣﴾

• مَن رأى من الناس منكرًا فلا بدَّ من تغييره؛ إما باليد واللسان إن أمكن بهما، وإما بمفارقة المنكر مع إنكاره بالقلب؛ وإلا كان عاصيًا لله ورسوله، راضيًا بفعل العصاة فهو مثلهم.

﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾

وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي: لم تحفظ وصيَّتي بحُسنِ رعايتهم.

• تذكير الأخ لشقيقه عند النزاع برابطة الأمومة التي تجمعهما يبعث على الرفق واللطف؛ لأن الأم بيت الحنان، وموئل العطف.

• قد يكون للمؤمن عذرٌ مقبول في ترك اتخاذ الموقف الحازم في بعض القضايا، يسقط عنه اللوم، فهارون ذكر لأخيه موسى الأسباب الموجبة لعذره.

• قال قتادة: (قد كره الصالحون الفُرقة قبلكم).

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥﴾

فَمَا خَطۡبُكَ: فما شأنك الخطير؟

• العلمُ والإيمان يضبِطان تصرُّف صاحبهما مهما كان قويًّا قادرًا، حتى يجعلاه على ميزان الحق والعدل، فلا يعاقب حتى يسأل المجرم عن جريمته، وهكذا فعل موسى مع السامري.

﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾

• ما اتبع امرؤٌ هوى نفسه وما تُزينه وما تأمر به؛ إلا أوردته المهالك.

• عندما يغيب الإيمانُ والعلم عن الإنسان، فإنه قد يبني على ما يشاهد أو يسمع أفكارًا أو أعمالًا، يضِل بها عن الطريق المستقيم.

﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧﴾

ظَلۡتَ: أقمت.

• الهجرُ أقلُّ ما يستحقه أئمة الضلال وأصحاب البدع، فلا يخالطون الناس ولا يتصلون بهم؛ حتى يُحفظوا من شرورهم، ويكون ذلك هجرًا جماعيًّا منهم لأولئك المضلين.

• العذاب النفسي الذي يعانيه المنبوذُ اجتماعيًّا بسبب ذنوبه عذابٌ شديد، يطول عليه به عناؤه، ويشتد معه بلاؤه.

• عقوبة الكافر الدنيوية لا تدفع عنه العقوبةَ الأخروية، وإنما ذلك جزءٌ مقدَّم يسير من كلٍّ مؤخر كبير.

• إتلاف آلة المنكر من أحسن وسائل تغيير المنكر، وما أحسنَ أن يكون ذلك أمام صانعها أو العاصي بها؛ من أجل الردع، وقطع نياطها من القلوب.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨﴾

• إبطال الباطل مقدَّم على إحقاق الحق، وهو معنى كلمة التوحيد، وهكذا صنع موسى، فإنه أبطل الباطل وبيَّن عواره، ثم أحق الحق وأبدى كماله.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ
ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا
فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

الحزب ٣٢

٣١٩

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾

• كم في أسلوب الدعوة بالقَصص الحقّ من منافع ودروس، وكم يستلهم منه العالم والداعية الحصيف من عِبرٍ يُصلح بها النفوس!

• لما كان القرآن ذكرًا للرسول الكريم ولأمته، فينبغي تلقيه بالقبول والتعظيم، والبعد عن الإعراض عنه تلاوةً وعملًا.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾

• لو دامت اللذاتُ طوال الحياة، وكان العقاب عليها غمسةً في النار، لم يطلبها عاقلٌ، فكيف وعاقبتها خلودٌ في الجحيم؟

• أيظنُّ المعرض عن القرآن أنه يتخفف بذلك من التكاليف مدة حياته؟ ألم يدرِ أنه حمَّل نفسه عِبئًا ثقيلًا في آخرته لن يستريحَ منه.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾

وَنَحْشُرُ: نسُوق.

زُرْقًا: زُرقَ العُيونِ مع سواد وُجوههم.

• يا ويل المجرمين من يومٍ تتغير فيه ملامح وجوههم ذلًّا وخزيًا، وخوفًا وهلعًا، فمَن خشي ذلك المصير فإياه والجريمةَ والمجرمين.

• ما أبشعَ صورة المجرم يوم بعثه وقد علاه الكَرب والغم، وأحاط به الحزن والهم! وفكرُه يتقلب في أمواج المستقبل المظلم الذي ينتظره.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾

• اغتنم أوقاتك قبل أن ينزل القضاء، ويحضر يوم الجزاء، فحينها يندم مَن ضيَّع ذلك العمر القصير عن الخير ساهيًا، وعن الآخرة لاهيًا.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

• ما أطولَ الدنيا عند المجرمين اليوم، ولكن ما أقصرها عندهم يوم القيامة! فهل من عبرة؟

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾

• إن يومًا يبلغ من عظمة هوله أن تزول فيه الجبال عن أماكنها، فتصير هباء منبثًّا، لخليقٌ بأن يشفق العاقل منه ويستعد له.

• على تلك العرَصات تذهب الفروق والمقامات، ولا يبقى مُعليًا لصاحبه في تلك الأرض المستوية إلا العملُ الصالح.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾

• بادرِ اليوم طوعًا إلى الاستجابة لداعي العمل، قبل يومٍ يسارع الناسُ فيه إلى إجابة داعي الحساب، دون أن يملكوا في ذلك الخيار.

• يا له من يوم مَهول يجتمع فيه كل البشر في صعيدٍ واحد، دون أن تسمع لهم صوتًا إلا وَطءَ الأقدام؛ فقد أخذهم الخوف وعمَّهم الخشوع.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾

• تتعلَّق آمال الخلائق برحمة الرحمن في ذلك اليوم العصيب، منتظرةً منه الفرَج القريب، بإنزال رحمةٍ من رحماته تزيل عنهم الغم، وتكشف عنهم الكَرب.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾

• سبحان مَن يعلم سرَّ عباده ونجواهم، وماضيَ أعمالهم وما في مستقبلهم! فأين يذهب المرء عن علم الله تعالى؟

• يحيط اللهُ بجميع الخلائق علمًا، ولا يحيطون به، فهذا كمال الخالق، وذلك عجز المخلوق.

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾

• ما هي الوجوه التي بعثت بعد موت، ولا تملك شيئًا، تستسلم للحي الذي لا يموت، والقائم بكل شيء، فطوبى لمَن أظهر استسلامه لله في هذه الدنيا طوعًا، قبل أن يظهره كرهًا.

• تخفَّف من مظالم الناس وأنت في الدنيا، قبل أن تردَ الآخرة وهي تثقل كاهلك، فيا شقاء مَن جاء ذلك اليوم وهي لم تزل على ظهره!

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

• أيها المؤمنُ العامل، دُم على سعيك، وأبشر بثواب ربِّك، ثوابًا لا تخاف فيه ظلمًا بزيادة سيِّئاتك، ولا هضمًا بنقصان حسناتك.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾

• أيُّ لغةٍ تبلغ في فصاحتها وحلاوتها، وحسنها وجمالها، مبلغ لغةٍ جعلها الله لغة كتابه العزيز؟

• يقول أبو عليٍّ الجُذامي: (مَن لم يردعه القرآنُ والموت، فلو تناطحت الجبالُ بين يديه لم يرتدع).

• القرآنُ منبع التقوى، وموئل الذكرى، وأهله المتدبرون له، العاملون بما فيه أكثر الناس تقوى.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن
يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾
فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ
﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ
ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ
لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ
﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا
جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ
عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾

٣٢٠

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾

- وعدُ الله تعالى حقيقٌ بأن يُرجى، ووعيده جديرٌ بأن يخشى، فأقبِل على القرآن الكريم لتعرف وعده فتعمل له، ووعيدَه فتتجنب طريق الوصول إليه.

- سلِ اللهَ تعالى أن يفتح عليك من أسرار كتابه وكنوز آياته، ودعِ الاستعجال في قراءته وتلقيه؛ فإن الاستعجال من آفات الفهم، وقواطع الرسوخ في المعرفة.

﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾﴾

- جُبلتِ البشريةُ على الوهن والضعف، فما من قوة لأفرادها تبلغ بهم حاجاتهم إلا إذا أعانهم بارئهم جلَّ جلاله.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾

- إذا كان إبليسُ قد أبى أن تكون الكرامةُ والرفعة لآدم وذريته من بعده، فهل يُنتظر منه بعد ذلك إلا الكيد والضرر والإيذاء؟

﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾

- لا عذرَ لامرئ في جهله هذه الخصومةَ بينه وبينَ الشياطين، وكيف تُجهل وقد أعلنت على الملأ منذ قيام البشرية؟

- إنك لا تلقى إنسانًا إلا وهو يعاني من شقاء الدنيا وتعبها، فما أحقر هذه الدنيا!

- في ظل تعاليم الإسلام لا تجد المرأةُ الشقاء في معيشة الدنيا؛ فحقوقها محفوظة، والنفقة عليها من الرجال واجبة، والعناية بها مطلوبة، فهل وجدت المرأة لحقوقها أحسنَ من الإسلام؟

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

- الجوع والظمأ والعُري وشدة الحر تذكّر المؤمنَ بالآخرة، وأنه لا يُكفى هذه الأمور إلا إذا دخل الجنة.

﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾

- إياك أن تنجذب للمعصية التي تتزين لك؛ فإنما زينها الشيطان ليوقعك فيها؛ ألا ترى كيف زيَّن الشيطان الشجرة التي نُهي عنها آدمُ في اسمها ووصفها، وبالغ في إطرائها!

- النعيم الدائم وبقاء الملك نافذتان تسللَ منهما إبليس إلى نفس آدم، وهما مما يفتقر الإنسان إليهما، فليُحذَر من هذين المدخلين.

﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾

- الستر أمرٌ فطري، وفعل جِبِلّي في النفس البشرية، فلا تجد امرأً ذا فطرة سليمة إلا وهو متلبِّس به، حريصٌ عليه.

- إياك والمعاصيَ، كبرت أو صغرت؛ فإن لها آثارًا تضُرك في عاجل أمرك وآجله.

﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾

- ما أرفع منزلةَ العبد إذا عصى ربَّه فتاب بعدها توبة نصوحًا، وشمر عن ساعد الجد في فعل الخيرات، والمسابقة إلى أعلى الدرجات!

- انظر إلى رحمة الله وكرمه؛ يأمر فيُعصى، فيتوب عبده إليه، فيَقبله ويأجُره!

﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

- العداوة تقتضي التحرزَ طلبًا للسلامة، ولا سبيل للتحرز من عداوة الشيطان، إلا باتباع هدى الرحمن.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أجار اللهُ تابعَ القرآن من أن يَضل في الدنيا، أو يشقى في الآخرة).

- لا يشعر القلبُ بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله، ولا يُحسُّ براحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى، ولَكَم تحلو الحياة بالإيمان، وكم تشقى إذا حُرمته!

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾

- ما أقبل عبدٌ بقلبه على كتاب الله إلا شُفي وسعِد، وما أعرض عنه امرؤٌ إلا شقي ونكِد.

- إذا أردتَ أن ينشرح صدرك، ويستقيم أمرك، فذِكر الله إلى ذلك سبيل، وأيما قلب خلا من ذكر ربه فقد حلَّ فيه الضيق والشقاء.

- ذِكر الله وهداه نورٌ يضيء لصاحبه طرقَ السلامة، فمَن أخذ به أبصرت عيناه ما ينفعه في الدنيا والآخرة، ومَن أعرض عنه عميَ عن الحق في دنياه، وعن الرؤية والحجة في أخراه.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾﴾

- تفضَّل الله على خلائقه بنعمٍ جليلة، فمَن لم يقدرها حق قدرها، ولم يستعملها فيما خُلقت له، فإنه سيُسلَبها يوم القيامة.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ (١٢٦)
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ (١٢٧) أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ (١٢٨)
وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى (١٢٩)
فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ
وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرۡضَىٰ (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ (١٣١) وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ
لِلتَّقۡوَىٰ (١٣٢) وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم
بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ (١٣٣) وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ
مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ
ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ (١٣٤) قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ (١٣٥)

٣٢١

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾

• الجزاء من جنس العمل، فمَن أقبل على آيات الله بالاعتبار بها والعمل بما فيها، أقبل الله عليه بمغفرته وثوابه، ومَن أعرض عنها وضيَّع العمل بها، نسيه الله وتركه.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ (١٢٧)﴾

• ويل للمسرفين من جزاء يوم الدين! فإن رأوا من العقوبات الدنيوية ما كدَّر حالهم فإن العقوبات الأخروية أشد وآلم، وأبقى وأدوم.

﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ (١٢٨)﴾

• اقرأ تاريخَ الأمم الغابرة، وقلِّب صفحات الأقوام الدائرة؛ فإنك ستجد في حياتها ومصيرها عبرةً للرشاد، وموعظة تهديك إلى رب العباد.

• ما نزل بالأمم المكذبة من الهلاك آيةٌ ناطقة بصحة ما جاءت به الرسل، وسببٌ من أسباب الهداية إلى طريق الحق، فإذا وقفت على شيء من ذلك فأعمِل عقلك في الاعتبار بها، وانهَ نفسك عن عمل أهلها.

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى (١٢٩)﴾

• تأجيل هلاك الكافرين والظالمين من مظاهر رحمة الله وعدله؛ فإنها سبحانه يُمهلهم برحمته ليتوبوا، فإن لم يفعلوا عذَّبهم بعدله، فتبارك الرحمن العدل.

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ (١٣٠)﴾

• لن يسلم المؤمنُ من طعن أهل الباطل، وحرب ألسنتهم الذربة، وإيذاء إعلامهم الأفّاك، ولكن في حصن الصبر منجى للمؤمنين من سهام أولئك الطاعنين المؤذين.

• ما أسعدَ تلك اللحظات التي يُعطى فيها المؤمن ثواب أعماله الصالحة بين يدي ربه، فيرضى بما أعطاه الله تعالى، ويتسع صدرُه سرورًا بما نال، على صالح الأعمال!

• حينما يوقنُ الإنسان بأن الله تعالى يُعطي عبده العامل يوم لقائه ما يُرضيه يطمئن قلبه، وتقرُّ عينه بعبادة ربه، ويتسلى بها عن أذية الأعداء، فيخِف عليه حينئذ الصبر.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ (١٣١)﴾

• كما تدعو الشريعةُ إلى غض البصر عن الحرمات والعورات، تدعو كذلك إلى غضها عن مناظر الفتنة من زينة الدنيا لدى الكافرين.

• التطلُّع إلى ما عند الله من الثواب خيرٌ للمؤمن من الاستشراف إلى زينة الدنيا الصادَّة عن طاعة الله تعالى؛ فعرضُ الدنيا زائل بائد، وما عند الله باقٍ خالد.

• ما أعظمَ ما عند المؤمن من الرزق العاجل والرزق الآجل! ففي الدنيا إيمانٌ يورث السعادةَ والاطمئنان، وفي الآخرة ثوابٌ يورث الجِنان، فأي شيء يستحقُّ أن ينظرَ إليه بعد ذلك؟

﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ (١٣٢)﴾

• تزكية الإنسان نفسَه يكمل تمامها بنصحه لغيره، بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وأحقُّ الناس بذلك الأهل، وأعظم النصائح بعد التوحيد النصيحة بالصلاة.

• مَن ظن أن إقامة الصلاة، والأمر بها، وتفريغَ جزء من الوقت عن المصالح الدنيوية لأجلها هدرٌ اقتصادي، وتأخير لعجلة التنمية، فليراجع نفسه، وليعلم أن الرزق بيد من شرع الصلاة.

• انشغل بما أُمرت به، ولا تشغَل بالك فيما ضُمن لك، فأقم صلاتك واصطبر عليها، وأبشر برزقك المقسوم؛ فإنه لك مضمون.

• كن من المتقين الذين زهدوا في الحياة الدنيا، وأقاموا الصلاة، وأمروا بها، وأبشر بعدها بالعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ (١٣٣)﴾

• عجبًا! يطلبون أي آية، كأن الرسول أتى بلا آية، وهو جاء ببينة تربو على كل بينة: مذكور في كتب السماء التي ملأ ذكرها الأرض، ومبين لها غاية التبيين.

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ (١٣٤)﴾

• إن اتباع الآيات حق الاتباع بما يكون به المعذرة عند الله لا يكون إلا باتباع الرسول الذي أرسل بها.

• الذل مصيرٌ ينتظر الحائدين عن شرع الله وآياته، والمعرضين عن رسله، المكذبين لهم.

﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ (١٣٥)﴾

• مَن استمرَّ على غيِّه، ولم يسلك طريقًا إلى رشده، وظنَّ بأنه على الحقِّ المبين، فسيعلم يوم القيامة حين لا ينفع العلم، انحرافَ مسلكه.

الجزء السابع عشر | سورة الأنبياء

سورة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء ١٧ الحزب ٣٣

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ
افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

٣٢٢

سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾

• كل يوم تزداد هذه الآية تحققًا وتنبيهًا للعقلاء، وإلهابًا لعزائمهم، فاستعدَّ للحساب؛ فإن الدنيا إلى ذهاب، والآخرة على اقتراب، وكل ما هو آتٍ قريب.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾

مُّحْدَثٍ: حديثِ التنزيلِ يُجدِّدُ الذكرى لهم.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾

وَأَسَرُّوا النَّجْوَى: بالغوا في إخفاء ما يتناجون به.

• النفوس الفارغة تلهو في أخطر المواقف، وتهزل في مواطن الجد؛ إذا أتاها ذكرٌ من ربها استقبلته لاعبة، فلا وقارَ ولا تقديس.

• إذا أدمنَت القلوب ما هي عليه من الفساد، وسارت الأنفس في طريق الهزؤ واللعب؛ لن تنتفع بالعظات ولو تجدَّدت، ولن تتعظ بالذكرى وإن تعددت.

• لو سمع أتباعُ أهل الضلال ممن فيهم قليل من خير ما يحيكه أئمتهم من مكائد ومؤامرات عن الحقِّ وأهله ظلمًا وعدوانًا؛ لعرفوا خبثهم وانفضوا عنهم، فلأجل هذا أسرُّوا ذلك الجور والعدوان.

• لا ينفكُّ أهلُ الباطل يعترضون على الحقِّ بما ليس فيه معترَض، ويحتجون عليه بما ليس بحجة.

• فيا لله العجب من قوم رأوا ما أعجزهم من مجيء القرآن، فلم يجوِّزوا أن يكون عن الله، وجزموا بأنه سحر المبطلين، وتلبيس المفسدين!

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾

• لا يضرُّك أن تجهل ما الذي يُحاك لك من مكر وكيد، إذا كنت واثقًا بأن العليم الحكيم سبحانه وتعالى هو مَن يدافع عنك.

• سبحان مَن يسمع كل شيء، ويعلم كل شيء من القول وغيره، فهو يسمع سر أعدائه، ويُبطل مكرهم، ويسمع ما ينسُبه إليه خلقه من حق أو باطل، فيعامل كلًّا بما يستحق!

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

• الآية تصويرٌ لمقدار ما أصاب المشككين من الحيرة، وصورة لشاهد الزور إذا شعر بحرج موقفه كيف يتقلَّب يمينًا وشِمالًا، وكيف تتفرَّق به السُّبل في تصحيح افترائه، وذلك محال.

• كيف يطلبُ مشركو قريش آياتٍ على صدق رسول الله ﷺ من جنس ما كذَّب به الأوَّلون، وهم يكذِّبون بما هو أبلغ من تلك الآيات؟!

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾

• أين عقولُ المقترحين بأن يكون الرسول إليهم من الملائكة لا من البشر، وهم يعلمون في تاريخ مَن قبلهم أن الله لا يرسل إلا بشرًا؟! وهل تقتضي الحكمة إلا ذلك؟!

• المعروف بالجهل لا يُسأل، ولا يحق له أن يصدِّر نفسه للسؤال، بل ذلك لأهل العلم الموثوق بعلمهم وعدالتهم.

• من وسائل إظهار الحقِّ لأهل الكفر الاحتجاجُ على الكافر بكافر يعلم بطلانَ دعوى الكافر الآخر.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾﴾

• لو كان الرسل من غير البشر لا يأكلون الطعام، ولا يمشون في الأسواق، ولا يعاشرون النساء، ما كانت هناك وشيجةٌ بينهم وبين الناس، فلا هم يُحسُّون دوافعَ البشر التي تحركهم، ولا البشر يتأسَّون بهم.

• حياة الرسُل وقواهم محدودة؛ فهم رسلٌ من البشر بلَّغوا الرسالة، وهكذا ورثتهم من الدعاة، والعاقل يتجاوز النظرَ إلى عوارض بشريتهم إلى النظرِ لبيِّنتهم.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

• للهِ كم صبر الأنبياء على أقوامهم، وطال ابتلاؤهم بهم! وكم انتظروا صدقَ موعود الله لهم، حتى حلَّ العذاب بمكذبيهم!

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾

• في القرآن ذكرٌ ينتبه به الغافل، ويعلو به النازل، وعلى مقدار ما تأخذ الأفراد والمجتمعات بكتاب الله يرتفع ذكرُهم عند الله وعند الخلق، وعلى مقدار نقصهم من ذلك يَخملون.

• لا يتدبر القرآنَ إلا عاقل، ولا يُدبِر عنه إلا غافلٌ أو جاهل.

وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا
ءَاخَرِينَ ١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢
لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ
تُسۡـَٔلُونَ ١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ
دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥ وَمَا خَلَقۡنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ
لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ
عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ
١٨ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ
عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١
لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣ أَمِ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ
مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤

٣٢٣

﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾

• لو اجتمعت كلمةُ أمَّة، وتناهت قوَّتها، حتى غدت سيِّدةَ زمانها بما عندها، ثم أذن اللهُ بقصمها، فلن يمنعَها عن ذلك شيء.

• الظلم باب الهلكة؛ فالعاقل من الأفراد والأمم لا يدخله مهما امتدَّ بالظالم الزمان، وأُرخيَ له حبلُ الإمهال والأمان.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢﴾

• لن يفيدَ مَن كتب الله عليه نزولَ العذاب هلعُه وفزعه، ولا اختباؤه وهربه وركضه؛ فبأس الله سيدركه ويتبعه إلى أيِّ جهةٍ ركض إليها، وعلى أيِّ حال كان عليها.

﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣﴾

• ما أسوأ حالَ أولئك الظالمين، الذين نزل بهم عذابُ ربِّ العالمين، وهم يسمعون عباراتِ التهكُّم والاستهزاء بهم في وقتٍ أحوج ما يكون فيه إلى الرأفة والرحمة والتلطُّف!

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤﴾

• لن يجديَ ندمٌ ولا إقرار ولا اعتقادُ حقٍّ ولا فهمٌ صحيحٌ إن جاء متأخِّرًا عن وقته، فانتهز يا عبدَ الله مهلةً أنت فيها، قبل أن تصير إلى حال تندم عليها.

﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾

• إن من عذاب النفس أن يشكو المرءُ فلا يُسمع، ويبكي فلا يُنفع، ويدنو فيُقصى، ويعتذر فلا يُقبل، ثم يؤول حاله إلى تلف وفناء.

• هكذا أمرُ الله تعالى؛ إذا جاء فلا حيلة لظالم للفرار، بل شأنه كشأن الزرع مع الحاصد، بينما هو يموج بالحركة، إذا به يُجتث ويُستأصل.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾

• لو أراد الله من خلق السماء والأرض اللعب ما خلق جنة ولا نارًا، ولا جعل موتًا ولا بعثًا ولا حسابًا، ولو أراد اللهوَ ما اتخذه من هذه الدنيا التي لا تزن عنده جناحَ بعوضة، تعالى الله عمَّا يصفه الظالمون علوًّا كبيرًا.

• ما أسرعَ ما يمحق الحقُّ الباطلَ إذا ورد عليه! فحججُ الحقِّ لا تواجِه باطلًا إلا أردته وصرعته، ولا تُوضع على برهان للباطل إلا قطعته.

• ويل لمَن يصف اللهَ تعالى بما لا يليق به، ويتجرأ على نسبة شيء إلى ربه، لا تصح نسبته إليه! فالكلمة في وصف الله أو أفعاله، والإضافة إليه بغير علم عظيمةُ الخطر.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾

• الملائكة عليهم السلام مطيعون لله، مجتهدون في عبادته، مع سلامتهم من معصيته؛ فالبشر مع نقصهم وعصيانهم أولى بأن يطيعوه دائبين مجتهدين.

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾

• لا تدعُ الملائكة التسبيحَ في أي جزء من الليل أو النهار، فماذا عن تسبيحك في ليلك ونهارك أيها العبد المكلَّف؟

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١﴾

• يا لسفهِ تلك العقول التي رضي أصحابها لأنفسهم آلهةً من أجزاء الأرض، وتركوا اللهَ العظيم في ذاته وصفاته!

• الله تعالى وحده مَن يملك أمرَ العباد جميعه، حياتَهم وموتهم، أفيليقُ بهم أن يتجهوا إلى غيره؟

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾

• تأمَّل انسجامَ هذا الكون وحُسنَ نظامه، على كثرة أجزائه وموجوداته، ترَ فيه دليلًا واضحًا على أن مدبِّره هو ذو الكمال وحده.

• لا شيءَ تملكه هذه الآلهة أو تدبِّره، فالعاقل يتسامى عن ذلك إلى ربِّ العرش العظيم؛ فربوبيته سبحانه لما دون العرش أولى، فما أقبحَ الشركَ بآلهة مفتراة، وما أعظم تنزُّهَ الله عنها!

﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾

• سبحان مَن لا يُعترض بالسؤال على أفعاله؛ لعظيم حكمته وكماله، وحسن قضائه وعدله!

• المخلوقُ يُسأل عن أفعاله؛ لكونه عبدًا لربه، فقيرًا إليه، عاجزًا عن مصالح نفسه من دون معية خالقه، غيرَ معصوم من معصيته.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾

• أنَّى لمشركٍ أن يجد برهانًا من الوحي على نفي وَحدانية الله واستحقاقِه للعبادة من غير شريك؟

• ما بالحقِّ من خفاء ولا غموض؛ فمَن أقبل عليه هُدي إليه، ومَن التفت إليه تبيَّن له، ومَن أعرض عنه جهِله وعاداه.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ
بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ
وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ
٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ
ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ
ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥

٣٢٤

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾

• على قاعدة التوحيد قامت رسالات أنبياء الله تعالى جميعًا، وهي قاعدة عظيمة لم تتبدل ولم تُنسخ على مرِّ الأزمان، واختلاف الرسل.

• أرأيتَ عناية الله بعباده ورحمتَه بهم؟ إنه ليرسل رسلَه للتحذير من الشرك؛ حتى لا تتلوَّث عقولهم به، ولا تتدنَّس قلوبهم بما يورثه.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾

• أيُّ جرأة لهؤلاء جعلتهم يتخيَّلون بل يفترون الولد في حقِّ ربِّهم؟ ويتمادون في الخيال المفترى حتى جعلوا ذلك الولدَ من الملائكة؟!

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾

• عبادُ الله المكرَّمون لا يقترحون عليه شيئًا تأدُّبًا وطاعة، ولعلمهم بكماله وغناه؛ فكلامُه عندهم في موضع التسليم والإجلال، لا في موضع الردِّ والجدال.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾

• كما لا يخرجُ الإنسانُ عن علم الله وإحاطته، وقضائه وتدبيره، فإنه لا يحقُّ له أن يخرج عن أمره ونهيه؛ لأنه عبده تدبيرًا وتكليفًا.

• احرص على نَيل رضوان الله جل وعلا، فمَن رُزق ذلك نال شفاعةَ أهل الملأ الأعلى.

• كلما كان علمُ العبد بالله تعالى أكثر كانت خشيتُه منه أعظم؛ وذلك لأنه يستحضر مهابته وجلاله، فيحذَر من مخالفة أمره ونهيه.

﴿۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

• جميع أنواع العبادة حقٌّ خالص لجناب المولى جلَّ وعلا، لا يُصرف منها شيءٌ لأحدٍ من خلقه، سواء كان عبدًا صالحًا، أو ملَكًا مقربًا، أو نبيًّا مرسلًا.

• أيُّ ظلم أعظم من ادِّعاء العبد المفتقر إلى سيِّده من جميع الوجوه مشاركةَ ربِّه جلَّ جلاله في خصائص الألوهية والربوبية؟

﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾

• مَن فتق السماء عن الأرض، ورفع السماء بغير عمَد، وجعل الأرض مستقرة على هذه الحال، أليس بقادر عليم؟!

• الكون مشحون بدلائل الإيمان، فهو مشحون بالآيات الدالة على قدرة الله، ومنها آية الماء الذي حيَّ منه الحيوانُ والنبات، وبه يُبعث الناس للحساب.

﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١﴾

• تأمَّل رحمةَ الله بعباده في هذه الأرض التي تراها وتسير عليها؛ كيف أرساها بالجبال؛ لئلا تضطربَ بسُكانها، وتقضي على عيشهم فيها.

• في الاهتداء بالفِجاج والسُبل إلى مصالح الدنيا ما يدعو العقلاء إلى الاهتداء إلى الحقِّ، وذلك جزء من شكر الله تعالى عليها.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢﴾

• كم في السماء من آية، وكم فيها من عبرة وهداية! فقد جعلها الله تعالى للأرض سقفًا محفوظًا من السقوط والتشقق، والشياطين، وتجاوزِ البشر لها، مهما بلغوا من علوم الفضاء.

• تأمل في آثار الإعراض عن التفكر في آيات الله الكونية، كيف حجبت هؤلاء عن الاهتداء بها إلى عظمة خالقها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾

• التأمل في توالي الليل والنهار، وفي حركة الشمس والقمر، بهذه الدقة التي لا تختل؛ جديرٌ بأن يهدي القلب إلى توحيد الخالق المبدع.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾

• خلَّد اللهُ تعالى رسالته إلى خلقه، ولم يجعل الخلد لأحدٍ حمَلتها وإن جل؛ إيذانًا بأن حفظها ونصرها إنما هو عليه عز وجل.

• إذا مات داعي الحق فلا يفرح أهل الباطل بالعيش بعده، فإنهم إلى الموت عقِبه صائرون، وبعد الموت محاسبون.

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾

• الموت هو الإحساس الذي يَعقُب كل حياة، ولا تنفك منه نفس حية، فما أجدرَ الأحياء أن يحسبوا حساب هذا المذاق!

• البلاء يكون بالشر وبالخير، وكم غافل عن التقوى في بلاء الخير، ناسٍ واجبَ الشكر.

• إذا صبرتَ في ضرائك، وشكرت في نعمائك؛ ابتغاءَ مرضاة ربك؛ فأبشر بثواب الله لك عندما ترجع إليه، وتُوقف يوم المعاد بين يديه.

﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

• حين تقهر الحجةُ السفهاءَ والجهلاء فإنهم يواجهونها بالسخرية والاستهزاء، فذاك سلاح العاطل عن الجواب والبرهان، ومنطق المتعالي عن التسليم والإذعان.

• الرسالة السماوية نعمة مسداة، ورحمة عظمى من الله تعالى إلى خلقه، ولا سيما محمدٌ ﷺ، فما أعظمها من رحمة! وما أحسنها من نعمة!

• لا يقابل رحمةَ الرحمن جلَّ وعلا بالكفر والإساءة إلا امرؤٌ امتلأ باللؤم، فلا هو يشكر المعروف، ولا هو يجتنب الجحود.

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾

• كأن العجلة جزءٌ من خلق الإنسان، قامت به كما قامت به الأعضاء والأركان، فهي من لوازمه التي لا انفكاك له عنها؛ ألا ترى إلى فرط استعجاله للعذاب الذي وعد به؟!

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

• ما أعجلَ الإنسانَ إلى ما يضرُّه! وما أبطأه إلى ما ينفعه! أيوعَد المعرضون عن دعوة الحقِّ بالعذاب ثم هم يستعجلونه؟! أما لو تفكروا وتمهَّلوا ما سألوا ذلك.

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

لَا يَكُفُّونَ: لا يدفعون.

• ما أسوأ تلك الحال لدى أهلها يوم يأتيهم العذاب يوم القيامة من كل جانب! فلا يملكون أن يقُوا وجوهَهم، ولا ظهورهم منه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم من أضراره شيئًا، فلو أيقن الكفَّار بما سيلاقونه في النار ما أقاموا على كفرهم واستعجلوا عذابهم.

• تباهى الكفَّار بنُصرائهم في الدنيا، ولكنهم لن يجدوهم في الآخرة، فهل تأمَّل الإنسان العاقل في هذا المآل، فعلِم أنه لن ينجيَه من العذاب بعد رحمة الله إلا عملُه الصالح، فسارعَ إليه؟

﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

• ما أسوأ حالَ الكافرين حينما تأتيهم الساعة فجأة من غير إعلام، فيتحيرون ولا يمهلون لتوبة وندم!

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

• على السائرين على خطى المصلحين أن يتأملوا في سير أولئك السالفين وما لاقوا من الاستهزاء، وما لقوا بعده من الكرامة، وما لقي أعداؤهم من الخزي والبوار؛ ليصبروا على مشقة الطريق.

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

يَكْلَؤُكُم: يحفظكم ويحرسُكم.

• مَن تأمَّل أسباب الهلاك الممكنة في هذا العالم؛ من أوبئةٍ وحوادثَ وحروبٍ وغيرها؛ علم أنه لولا رحمةُ أرحم الراحمين سبحانه، لما كانت هنالك رعايةٌ لكائنٍ، ولا كلاءة لمخلوق.

• لا يخاف بأسَ الله مَن هو معرضٌ عن ذكره، ولا يتقرَّب إليه بشكره مَن لم يقرَّ بتوحيده، ولو أن المعرضين وحَّدوه وذكروه لخافوا بأسه، وشكروا فضله.

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

• أمِنَ الحكمة أن يدع المرء عبادةَ مَن ينصره ويكفيه، ويتجه إلى عبادة مَن لا يحوطه بعناية، ولا ينفعه برعاية، ولا يمنع عنه بلية؟

• مَن لم يستطع نفعَ نفسه فلن ينفع غيره، ومَن لم يقدر على حماية ذاته فلن يحمي سواه، وفاقدُ الشيء لا يعطيه.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا
ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ
كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ
ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

٣٢٥

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ: ينقُص اللهُ الأرضَ من جوانبها بما يُنزِله من عذاب وهزيمةٍ بالكفار في كل ناحية.

• كم يفسد المتاعُ الطويل من الفطرة، ويَطمِس من نور البصيرة، ما لم يراقب الإنسان نفسه، فإنه إذا راقبها فلن يدع النعمةَ تَشغَله عن المنعم بها سبحانه.

• للهوى سكرة، وإلا كيف يعمَون عن شواهد ضعفهم البشري؟ فمع انتقاص ما لديهم من موارد وقوى وأرض وسكان هم في سكرة التمتع والإحساسِ بالغلبة سادرون.

• لا يسَعُ الكافرين الخروجُ عن قدَر الله وغلبته بمكرٍ ينجيهم أو قوة تمنعهم، فكما نقص الله الأرضَ من المشركين السابقين بإنزال بأسه عليهم، فكذلك مَن بعدهم على أثرهم.

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ
مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
الحزب ٣٣ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ
لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا
بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾
وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

٣٢٦

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

• ما أعظمَ أن يكون الإنذار بالوحي السماوي! فإنه أبلغ الإنذار وأحسنه، وأخلصه وأصوبه.

• إن لم ينفع سماعُ الحقِّ صاحبَه في التمسك بالخير الذي يؤمر به، والتحرُّز عن الحرام الذي يُنهى عنه؛ فأي معنًى لسماعه؟

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

• انهمك قومٌ في غفلاتهم، ولم يكترثوا بإنذار ربهم، فلما أصابهم أدنى عذاب أظهروا سرعة تأثرهم به وخوفهم منه، أما لو حضرهم هذا الخوف عند الوعيد به لنجَوا مما صاروا إليه.

• الآن تفتَّحت العيون، وزالت عن القلوب الغِشاوات؟! ولكن هيهات الإقرار والانتفاع بعد فوات الأوان، وتقحم العذاب.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

• أدبنا الله، فعلمنا أن يكون ميزاننا قِسطًا قدر المستطاع، مع كل الأنفس، برِّها وفاجرها، فلا نَحيف لمَن نحب على مَن نكره.

• في بعض الموازين التي يصنعها المخلوق دقة باهرة، فكيف بميزان الخالق؟ الذنب الذي يستهان به سيُرى هناك فلا تُقدم عليه، والحسنة التي يستهان به ستُرى هناك فلا تتأخر عنها.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

• إن القلب البشري ليظلُّ مظلمًا حتى يشرق فيه نور الإيمان والوحي فينير جوانبه، ويتكشَّف له منهجه، ويستقيم له اتجاهه، ولا تختلط عليه بعد ذلك القيم والمعاني والتقديرات.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

• مَن كان يخشى اللهَ تعالى حيث لا يراه أحدٌ فكيف يكون حالُه بين الناس؟

• إنما يُشفق من يوم القيامة مَن يستصغر حسناتِه، ويستكثر سيئاته، ويستحي أن يلقى بها سيِّده.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

• كيف يمكن إنكارُ هذا الكتاب العظيم مع كثرة منافعه، واشتماله على النظم العجيب، وبيان الشرائع؟

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾

• مَن بدأ بدعوة الأقربين إلى الله فقد اختار المنهجَ الأمثل في الدعوة؛ فالأقربون هم الأولى بالمعروف، والتعريفُ بالحقِّ من أعظم المعروف.

• من مخايل الرشد على المرء أن تظهرَ عليه النفرةُ من المنكر؛ فإبراهيم أعلن بين قومه أن التماثيل ليست أهلًا للعبادة والرجاء.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

• إن تعظيمَ الآباء -وإن كان مغروسًا في النفوس- لا يسوِّغ قَبول اعتقاداتهم، في مخالفة الحق.

• احرص على أن يكون لك أثرٌ صالح بعدك، تقتدي بك فيه الأجيال، وإياك أن تخلِّف تركةً من الآراء والأفكار السيئة، فتؤخذَ عنك.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

• الباطل لا يصير حقًّا بسبب كثرة المتمسكين به، والحق لا يكون باطلًا لقلة المعتنقين له.

• من دلائل التوفيق عند المؤمن أن يتبرأ من الضلال وأهله، وألا يمدَّ إليهم يد الصلة والولاء، أباعدَ كانوا أو أقارب.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾

• لا يجتمع الدين الحقُّ مع اللعب والباطل، فكيف يريد بعضُ المنهزمين أن تعيش الأمة بدين ملفَّق يجمع تلك الأنواع كلها معًا؟

• حينما لا يدين المرء بالتوحيد فإنه يعيش في التِّيه مظلمَ الفكر والروح، لا يدري ما الحقُّ؛ لأنه لم يتدبَّره، ولو فعل لعرفه، ولو عرفه لاطمأنَّ به وسكن إليه.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

• الخالق للسماوات والأرض لأجل منافع العباد هو الذي يجب أن يُعبد؛ لأن مَن يقدر على ذلك يقدر على أن يضر وينفع في الدار الآخرة بالعقاب والثواب.

• شتانَ بين مَن يؤمن بالغيب إيمانَ الشاهد، وذاك المتهوك الذي يتردد في الحقِّ الواضح.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

• ما أصلبَ الأنبياء في الحقِّ، وما أوثقَهم بالله تعالى! ألا ترى أن نبي الله إبراهيم لم يكتفِ بالمحاجَّة باللسان، بل كسَّر الأصنام وهو يعلم عاقبة فعلته، وما سيصيبه بعدها من المكاره؟

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا
بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ
فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا
عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

٣٢٧

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

جُذَاذًا: قِطَعًا صغيرة.

• تحوّلت الأصنامُ إلى حجارة صغيرة بعد تكسيرها، مذكِّرةً لهم بأصلها، فليتهم إذ رأوها تذكروا مبدأ أصنامهم، فجعلوها تحت أقدامهم، ولم يحنوا إليها بعد ذلك هاماتهم.

• لا ينبغي للمؤمن تعظيمُ ما حقَّره الله، وتكبيرُ ما صغَّره، فإن ذُكر شيء بعد هذا بالتعظيم فلكونه كذلك لدى أصحابه؛ فالصنم كبيرٌ عند عابديه، لا عند الله والمؤمنين.

• لم يكن تحطيمُ إبراهيم الأصنامَ ردةَ فعل غضبية غير محسوبة، بل كانت لغرض صحيح؛ ولهذا أبقى مَن هو أحق بالتحطيم في حق الطائش المنتقم، ليتم غرضه وتُفقه عنه الدعوة.

﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾

• أيُّ الناس أولى بوصف الظلم: مَن اتخذ الأصنام آلهة من دون الله المجيد، أم مَن كسَّرها ليقيم للناس دين التوحيد؟

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

• كم من مكاسبَ تأتي المرءَ من أعدائه من غير إرادتهم ذلك، فقد حقَّق الله لإبراهيم ما أراده، وهو أن يشهدَ أكبرُ عددٍ من الناس الحقَّ، فتبلغهم الدعوة، وتقوم عليهم الحجَّة.

• تأليب الرأي العام على صاحب الحق مقصد من مقاصد أهل الباطل، حتى يُسقطوا الحقَّ بإسقاط أهله.

﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

• ممَّا أراده المجرمون في جعل المحاكمة علنيةً ضَعضعةُ نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام، فكان جوابه المسدَّد مضعضِعًا لأركانهم، وقاطعًا لحجَّتهم، وفاضحًا لعقولهم.

• حقائق بديهية، لكنها غابت عن القوم، فمَن يسألونها الهداية والتوفيق والنفع ودفع الضر لم تستطع هدايتهم إلى مَن حطمها، فهل بعد هذا العجز من عجز؟! وهل تستحق الإلهية بعدئذ؟!

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

• إذا أُشربت القلوبُ الباطلَ حتى وصل إلى شغافها عسُر عليها فراقُه؛ حتى وإن تبين لأصحابها أنهم ظالمون.

• سبحان الله! كيف يقرون بألسنتهم على عجز معبوداتهم؟! فبأي عقول كانوا يفكرون؛ أفمن كان أبكمَ أصم يستأهل أن يُعبد؟!

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

• يا لها من قولة لله؛ يبغض فيها لله، ويعادي أعداء الله، ويتبرأ من كلِّ ما يُعبَد من دون الله!

• هل من عاقل يدعُ عبادة مَن بيده الأمر كلُّه، إلى مَن لا يملك ضَرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا؟!

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

• استثاروا الحميَّةَ عليه، ولو تدبَّروا لما فعلوا، فيا لها من آلهة ينصرها عُبَّادها، وهي لا تملك لأنفسها نفعًا ولا ضرا، ولا تحاول لها ولا لعُبادها نصرا!

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾

• مَن قال للنار: كوني حارقة هو مَن قال لها: كوني بردًا وسلامًا، فسبحان مَن بيده مفاتيح الفرَج!

• كم من ضيقات وكربات، تحيط بالأشخاص والجماعات، من شأنها أن تكون القاصمةَ القاضية، وإن هي إلا لفتةٌ صغيرة، فإذا هي تحيي ولا تميت، وتنعش ولا تخمد، وتعود بالخير وقد كانت الشرَّ المستطير.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

• شتَّان بين كيدين: كيدٍ يُراد به الخير، وآخرَ يُراد به الشرُّ، وشتَّان بين عاقبتيهما.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

• أرأيتَ إلى فضل الله على مَن آثر رضاه؟ لقد وهبه موطنًا خيرًا من موطنه، وأرضًا مباركة عمَّ خيرها جميع الخلائق.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾

• هبة الولد نعمة، وهبة الحفيدِ نعمة أخرى، وصلاحُهما نعمة فوق ذلك، فلله هذا البيت المؤمن! اللَّهمَّ أصلح لنا في ذريتنا.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ
إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

٣٢٨

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

• إنما تكون الهدايةُ بأمر الله، لا بآراءِ العباد، وإن جلَّت أقدارهم.

• الإمام الحقُّ مَن كان الوحيُ مصدرَه، والخيرُ عملَه، وأداء حقِّ الله وحق المخلوقين ديدنَه.

• أشرفُ العبادات البدنية الصلاة، وقد شُرعت لذكر الله، وأشرف العبادات المالية الزكاة، وبهما يكون التعظيمُ لأمره، والشفقةُ على خلقه.

• أسبغَ عليهم نعمَه، وأسبل عليهم إحسانَه، فشكروه على إنعامه وإحسانه بأن كانوا على عبادته ثابتين، وإلى خلقه محسنين، فنعمَ ما أُتوا، ونعم ما أتوا.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾

• قد يؤتى المرء حُكمًا وفصلًا بين الناس، لكنه لا يؤتى علمًا يهديه ويسدِّده، وقد يؤتى علمًا؛ لكن لا يمكَّن من حكم تظهر فيه آثار علمه، فجمع اللهُ تعالى للوط عليه السلام نعمتَي العلم والقدرة على الفصل بين الناس.

• في ذِكر الله تعالى إنجاءَه للوط عليه السلام من المجتمع الخبيث دون التعرُّض لإنجائه مما حلَّ بديارهم من الدمار دليلٌ على أن النجاة العظمى تكون بالبعد عن أهل العصيان.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

• الصلاح سبب لنيل رحمة الله، فاطلب رحمة ربك الكريم بصلاحك وتقواك.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾

• من سنن الله تعالى الماضية التي لا تتغير ولا تتبدل أن ينصر أولياءه العاملين على مدى العصور، من أول رسله فمَن بعده، ونصرُه لهم أنواع، لا نوع واحد.

• مَن أراد النجاةَ من الكروب فعليه بمناجاة علّام الغيوب.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

• ما ألذَّ طعم النصر في لسانٍ ضجَّ إلى ربه بالدعاء من طغيان الأعداء، وما أحسن وقعه في قلب قد تحمل طول الصبر والإيذاء.

• ما أشدَّ شؤمَ المعاصي وأسوأ آثارَها حين تفشو! فإن الله تعالى إذا أراد إهلاك قومٍ عمَّ فيهم الفساد، أنجى منهم المؤمنين، وأهلك الفاجرين.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾

نَفَشَتْ: انتشرت فيه ليلًا بلا راعٍ.

• يرعى اللهُ تعالى أولياءه، ويَلطُف بهم في حال الشدَّة والبلاء، كما يؤيدهم ويعينهم في حال الأمن والرخاء؛ بالتسديد وفصل الأمور.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

• حُسن الفهم نعمةٌ يهبها الله مَن يشاء، فقد يفتح على عبد من عباده في نازلةٍ ما لا يفتح على غيره من نظرائه أو أشياخه، وهذا يدعو ذا العلم إلى سؤال الله التفهيمَ والهداية في المسائل.

• العلم أفضلُ الكمالات وأعظمها، فإذا كان العلم نعمةً مقدمة على نعم تسخير الجبال والطير والريح والجن، فما ظنك بمنزلته أمام بقية النعم؟

• تفهيم سليمان لا ينقص من قدر أبيه داود؛ فإن داود هو الذي عرفت الجبالُ الصمُّ والطير العُجم فضيلةَ تسبيحه وقراءته وذكره.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

صَنْعَةَ لَبُوسٍ: صناعة الدروع يعملُها حِلَقًا متشابكة.

• يظنُّ بعضُ الناس أن اتخاذ الصنائع والأسباب المعيشية إنما شُرع للضعفاء، وليس ذلك القولُ بمحمودٍ عند أهل العقول المنيرة، والأفهام السليمة.

• الصنائع التي تقي الناس بأسهم، وتحافظ على حياتهم وضرورياتهم، أشرفُ من صنائع الدمار ووسائل الفتك في الحروب.

• يعلِّم الله عباده دفع الشدائد عن أنفسهم، وهم يوقعونها بها؛ ألا ترى كيف نسب الله تعالى التعليم إليه، والبأس إليهم؟

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾

• ما أعظم النعمةَ على سليمان بالريح عاصفةً ورُخاء! فهي في قوة اندفاعها عاصفة، وفي رقَّة نسيمها ولينها في سيرها بأمره رُخاء!

• عِلم اللهِ واسع لا يحيط به أحد، ولا يحُده شيء، فقد علَّم أنبياءه ما شاء، ولا يزال سبحانه يلهم عباده، ويهديهم إلى عجائبَ علمية لم يقف عليها كثيرون، فسبحان العليم الخبير!

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ
ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ
رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ
وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ
﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

• عادة الشياطين أن يُرهقوا أولياءهم من الإنس، غير أن الله جعلهم لسليمان خدمًا، فسخرهم له، وأقدره عليهم، فلا يخرجون عن أمره، ولا يناله سوء منهم.

﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾

• ليس في ابتلاء المؤمن التقي أمارةُ سُخطٍ من الله تعالى عليه، بل هو تخليص له حتى تسموَ روحه، وتعلوَ درجته، وفي حياة الأنبياء من البلاء ما يسلِّي الصالحين في ابتلاءاتهم.

• مع ما فقده أيوبُ من الصحة والأهل والمال، عبَّر عن شديد هذا البلاء بالمس، وهو تعبيرٌ خفيف لطيف يدل على السكون والرضا.

• من أمارات الرضا في البلاء قلةُ الشكوى، والحديث عنه بعبارات حسنى، غير مصحوبة بالتضجر والتأوه وتقطيب الوجه.

• إذا أُصبتَ ببلاء فتذلَّل إلى ربِّك غاية التذلُّل، وتأدَّب في خطابه غاية التأدُّب، وتلطَّف في مسألتك إيَّاه أيَّما تلطُّف، وتوسَّل إليه بعظيم رحمته، لعلَّك تنال رحمته وفرَجه.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

• يا مَن تطلب رحمةَ الله وترجو فرَجَه، كن له من العابدين، وعلى البلوى من الصابرين، وعلى بابه من الواقفين الضارعين، ولا تيأس؛ فإن البلاء سيزول، وإلى عافية سيؤول.

• قد يبتلي اللهُ مَن يحبُّ من عباده في نفسه وأهله وماله، من غير هوان به عليه، ولكن اختبارًا منه له؛ ليبلغ بصبره واحتسابه وحسن يقينه منزلته التي أعدَّها له من الكرامة عنده.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

• لو درستَ حياة الأنبياء لوجدتَ كلَّ واحد منهم مدرسةً في الصبر، وفي سيرته العطرة يتجلَّى مظهرٌ من مظاهره، وفصلٌ من فصوله.

﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

• الصلاح معراج الرحمات، وسبيل الوصول إلى الخيرات، فمَن أراد رحمة ربِّه وفضلَه وإكرامه فليكن صالحًا.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

• الاعتدال مطلب من مطالب العبودية، ففي الغضب يجب ألا يخرجَ المؤمن عن حدود المشروع إلى الممنوع، حتى ولو كان الغضب من أجل الله تعالى وفي سبيله.

• قد يضيقُ صدر الداعية بتصرُّفات الناس، ويقلُّ احتماله لصدودهم، ولكنَّ الصبر والكظْم أليَق به وبدعوته؛ لأن ذلك من آداب الدعوة، ووصول الأثر الحسن إلى قلوب المدعوِّين.

• اعتراف العبدِ بظلمه نفسَه يتضمن إيمانَه بالشرع والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله، والاعتراف بعبوديته له.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

• ما وجده يونس في نفسه من الغمِّ كان أكبرَ عليه ممَّا لاقاه من المشاقِّ والصِّعاب، إلى أن نجَّاه ربُّه جلَّ وعلا من كلِّ ذلك.

• ورد في الحديث عن النبيِّ الكريم أنه قال عن دعوة ذي النون: "فإنه لم يدعُ بها مسلمٌ ربَّه في شيء قطُّ إلا استجاب له".

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

• ما أعظمَ الدعاء وأحسنَه وسيلةً للخروج من البلاء! فقد دعا أيوبُ في مرضه فشُفي، ودعا يونسُ في ضيقه فنُجِّي، ودعا زكريا في حال فقدِ الولد فرُزق بيحيى نبيًّا من الصالحين.

• كم من دعوة صالحة تفتح بابَ نعمة أخرى، فيتمُّ بهما الفضل، ويكمُل بهما الخير.

• إصلاحُ الزوجة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقرًا من أعظم النعم على الزوج الراغب في الولد.

• مَن كان خارجَ الفعل فإنه يسارع إليه حتى يأتيَه فيقومَ به، لكن الأنبياء لمَّا كانوا لا ينفكون عن الخير فإنهم يسارعون فيه لا إليه.

• كان الصدِّيق رضي الله عنه يقول: (أوصيكم بتقوى الله، وأن تُثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبةَ بالرهبة، وتجمعوا الإلحافَ بالمسألة؛ فإن الله عزَّ وجلَّ أثنى على زكريا وأهل بيته)، ثم ذكر الآية.

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

• حملت مريمُ من غير رجل، ووُلِد عيسى منها من غير أب، فسبحان مَن لا يُعجز قدرتَه شيء! فهو وحده مَن وضع سنَنَ هذا الكون، وهو القادر على إلغائها متى شاء.

• تبقى آيةُ الله حجةً دامغة، وهداية واضحة، سواء اهتدى بها الخلق أو أعرضوا عنها.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾

• التوحيدُ يجمع الأمة ويقطع عنها سبل التفرق، فإذا ما كملت فيها كلمةُ توحيدها كانت أقربَ إلى توحيد كلمتها.

• لستَ وحدك حين تتوجه لربك وحده بالعبادة، بل أنت امتدادٌ لدعوة الأنبياء وسنة الصالحين قبلك، فلا توحِشنك قلّة الرفيق.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

• قد جاء الناسَ من الوحي ما يجمعُهم على الحقّ، فعلامَ التكلُّف في التفرُّق والتنازع؟!

• سيعلم المخطئُ صوابَ مَن كان على الدين القويم، حين يرجع الجميعُ إلى الله الذي سيفصل بينهم.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

• الإيمان الخالص يثمر العملَ الصالح، وذلك من براهين وجوده، والعملُ الصالح لا بد أن يقوم على قاعدة الإيمان الصادق، وذلك طريق صحته وقبوله.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

• حذارِ من التمادي في الباطل، فقد يكون ذلك سببًا لهلاكٍ لا رجعةَ بعده ولا استدراك معه.

• لعلَّ سرَّ الإخبار بعدم الرجوع مع وضوحه هو الصدع بما يزعج المكذبين، ويؤسفهم ألا يفلت أحدهم من العذاب الذي بين يديه، ولا يتوب منهم أحدٌ عما قدمه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

• بخروجِ يأجوجَ ومأجوج المصحوبِ بالكرب الشديد على الناس إيذانٌ بقرب القيامة، فهلا تنبَّه الغافلون، واستدرك المقصرون، وآب البعيدون.

• في شأن يأجوج ومأجوج شيءٌ عظيم من كثرتهم وإسراعهم في الأرض، إمَّا بذواتهم وإمَّا بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرِّب لهم البعيد، وتسهِّل عليهم الصعب، فسبحان الله كيف تتغيَّر القوى، وتتبدَّل الأحوال!

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

• إذا دنا يوم القيامة وبدَت أهواله ترى أبصارَ الكفّار من شدَّة الفزع مفتوحةً لا تكاد تَطرِف، يدعون على أنفسهم بالويل، ويعترفون عليها بالغفلة والظلم، ففي هذا تحفيزٌ للصالحين بالاستعداد للثواب، وإنذار للمعرضين بدنوِّ العقاب.

• حين تكونُ الغفلة ناشئةً عن ظلم وإعراض ومكابرة وعدمِ اكتراث بالعواقب، فالويلُ حين ذاك لصاحبها.

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾

• ما يتعلّق به العبد من دون الله تعالى من الجمادات عبادةً وتقرُّبًا سيلاقي معه المصيرَ نفسه، لا لذنب جناه ذلك المعبود الباطل، ولكن لبيان كذب عبادته ليزداد عذاب عابده.

﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾

• يا حسرةَ عبّاد الأصنام عندما تُلقى معهم إلى النار التي لم تستطع تلك الأصنام أن تنقذ نفسها منها، وإذا كانت كذلك فأولى ألا تنقذهم.

• كم انتظر المشركون من الأصنام أن تشفع لهم وتنقذهم من العذاب، فإذا بها تصبح وبالًا عليهم، فرؤيتها لا تزيدهم إلا حسرات، ومقارنة العدو والنظر إليه عذاب.

﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

• لا ينتهي عن أهل النار الضيقُ والسقام، ولا العذاب والآلام، فهم من شدة العذاب يَزفِرون، وليس لهم ما يؤنسهم أو يخفف عنهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾

• الحمد لله الذي يُطمئن أولياءه ممَّا يخافون، فبعد ذكر هول النار أخبر أن أهل الإحسان عنها مبعدون.

• البعد عن النار والسلامةُ من لفحها محضُ فضلٍ من الله، فلو وُكل المرء إلى نفسه ما تباعد عنها.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ١٠٣
يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا
أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ١٠٤ وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ١٠٥ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ
عَابِدِينَ ١٠٦ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
١٠٧ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ
أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٨ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ
وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩ إِنَّهُ يَعْلَمُ
الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ١١٠ وَإِنْ أَدْرِي
لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ١١١ قَالَ رَبِّ احْكُم
بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢

سُورَةُ الحَجِّ

٣٣١

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ١٠٢﴾

• من فضل الله تعالى على أهل الجنة أنه سبحانه يحب لهم دوام السرور من غير منغِّص، فلا يُسمِعُهم صوتًا من النار مهما دق؛ لئلا تشمئز نفوسهم من سماع أصوات كريهة.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾

• ما أحسنَ حال الصائرين إلى الجنة إذا قام الناسُ من قبورهم خائفين، وهم قاموا آمنين مطمئنين!

• هلا تفكرتَ في ذلك اليوم العظيم، يوم تجد بعضَ الناس بالقيامة مسرورين، وأمامهم ملائكةُ الرحمن لهم مستقبلين، يعتنون بضيوفهم أيما عناية، ويبلغون في إكرامهم الغاية، فهلا عملتَ اليوم لتكون من أولئك الناس غدًا؟

• ما أجملها من كلمات تبلغ أسماعَ المؤمنين، فتنسابُ إلى صدورهم فتملؤها حبورًا وطُمأنينة! وغيرهم من الناس في غمَرات القيامة يتخبَّطون.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ١٠٤﴾

• لا بقاء لهذا الكون الذي يألفه الإنسان؛ فإن الله إذا قضى أمره في خلقه ولم يبقَ هناك تكليفٌ ولا عمل وآن أوان الجزاء؛ طوى السماوات وجعلها بيمينه، فإذا عالَمٌ جديد غير العالم الأول.

• يومُ الحشر يومٌ عظيم تتجلى فيه قدرة الخالق جل وعلا، ويَحضُر الناسَ من الذهول ما يشغلهم عن ظاهر أبدانهم، وذلك حينما يُحشرون حفاةً غير منتعلين، عراةً غير مكتسين، غُرلًا غير مختتَنين.

• ما يعد به الله تعالى أن يكون في المستقبل فهو في حكم الواقع وكأنْ قد كان، فاجعل من وعده بالثواب ما يدعوك إلى الطاعات، ومن وعيده بالعقاب ما يحجُزك عن السيئات.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ١٠٥﴾

• لتعلمِ الأمةُ أن بقاءها بصلاحها لا بقوتها، فبه تنال حظها من وعد ربها، فإن أعرضت فقد عرَّضت ما بأيديها للزوال.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ١٠٦﴾

• من شأن العابد أن يكون خاشعَ القلب، طائعًا للأمر، متهيِّئًا للتدبر، والانتفاع والتفكر.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٧﴾

• ما أعظمَ هذه التزكيةَ وأعلى هذا التكريم من رب العالمين لرسوله الأمين عليه الصلاة والسلام! فما من أحدٍ من المكلفين إلا أصابته هذه الرحمة العامة.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٨﴾

• التوحيد هو الرحمةُ التي تنقذ البشرية من أوهام الجاهلية والخرافة، ومن رحمته كذلك أن يكفُل للإنسان ألا ينحني إلا لله الواحد.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾

• من معالم المنهج الشرعي في الدعوة إلى الله تعالى تحذيرُ المعاندين للحق من حلول العقوبة، إذا لم تُجدِ معهم سبل الملاينة ووسائل الملاطفة.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ١١٠﴾

• إذا اشتدتِ الأصواتُ وتداخلت، ولم يعُدِ الناسُ قادرين على تمييز صوتٍ من صوت؛ لم يشغل مولانا سمعُ كلامِ متكلم منهم عن آخر.

• يا مَن تعلمُ أن الله تعالى مطَّلع على ما في الضمائر، هلا بذلت وُسعك في إخلاص العمل الباطن والظاهر؟

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ١١١﴾

• لتأخير عذابِ الكافرين من هذه الأمّة حكمة، فهو ابتلاء ومحنة، واستدراج بالمتاع؛ زيادةً في العذاب، وإقامةً للحُجَّة.

﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾

• في نهاية البلاغ وختام الدعوة لقوم لم يزدهم لينُ الداعية إلا شدَّةً واستمرارًا في الضلال؛ يُرفع التقريرُ النهائيُّ إلى الفتّاح العليم، باستعجال الحكم والقضاء بين الداعي ومَن دعاه.

• المطالبة بالحكم بالحقِّ جملةٌ دعائية مشبعة بالثقة بالنصر الموعود الذي تحقَّق يوم بدر على المشركين، ورفرفت على إثر ذلك رايةُ النصر.

• قال ابنُ هُبَيرة: (كن أنت أيها القائل على الحق ليمكنك أن تقول: احكم بالحق؛ لأن المبطل لا يمكنه أن يقول: احكم بالحق)!

• من رحمة الرحمن إعانةُ أوليائه على أولياء الشيطان الذين يتوعَّدون المؤمنين بالغلَبة، ويجاهرون بالشرك والإعراض عن الدعوة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٣٤
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ
١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم
بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ
إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ
مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ
لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ
بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۢ بَهِيجٖ ٥

سُورَةُ الحَجِّ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ ﴾

• كيف لا نتّقي ربنا العظيم وخالقنا الكبير، ومالكَ أمرنا الذي إليه مرجعُنا، وبحكمته يحسِن تدبيرَ شؤوننا، فلا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاحُ عباده، وسعادتهم ونجاتهم؟

• حدوث الزلزلة في ناحية من الأرض أمرٌ عظيم مخيف، وأعظم منه وأشدُّ هولًا أن الأرض كلَّها تتزلزل عند قيام الساعة، فما ظنّك بما بعد زلزلة الأرض من الحوادث؟!

• مَن أراد الاستعانة على تقوى الله تعالى فليذكر الآخرة؛ فإن ذكرها يعين على تحقيق التقوى، ويحفظ النفس من التخلي عنها.

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾

• إذا ذَهلتِ الأمُّ عن رضيعها الذي بين يديها، وأسقطت حَملها الذي في بطنها، وهي أرحم الناس بذلك الضعيف العاجز، وهو أحوجهم إلى حنانها وعطفها، فذهولُ غيرها عن غير الرضيع أعظم وأعظم، وانشغال كل واحد بنفسه أمرٌ أعظم من ذلك.

• عقول الناس ذلك اليوم ذاهبةٌ ذهولًا وفزعًا، يتخبطون في كل جهة، ويتعثرون تعثر السكران ارتباكًا ورهبًا من الهول المفظع، واليوم المفزع.

• أين القلوب التي تهزها هذه الآيات الواعظات، وتورثها التوبة والرجوع والإخبات، فتُقبل على ربها تائبة، وإلى بابه راغبة وراهبة؟

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ ﴾

• رغم أهوال الساعة العظام التي نزل بذكرها القرآن، وحذَّر منها الصادق المصدوق، ترى من الناس مَن يجادل في قيام الساعة، وفي قدرة الله تعالى على البعث، فذاك إمامٌ في الجهل، تابعُ رأيِ كلِّ مُضِل.

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ ﴾

• ما يزال الشيطانُ بأوليائه في إغراءاته حتى يصل بهم إلى غاياته، وما وراء تلك الولاية إلا الضلالُ في الدنيا، والسعير في الآخرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۢ بَهِيجٖ ٥ ﴾

أَشُدَّكُمْ: وقتَ شَبابِكُم واكتمالِ قوتِكم.

أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ: سنِّ الهَرَمِ وضَعفِ العقل.

وَرَبَتْ: ارتفعَت وزادَت لارتوائها.

بَهِيجٖ: حَسَنٍ يَسُرُّ الناظرين.

• كم فيما يراه الناس ويألفونه ويمرون به دون وعي ولا انتباه، ما لو تدبروه وتأملوه لوجدوا فيه دلائل قدرة الله تعالى وعظمته التي تسوقهم عند التأمل إلى توحيده وطاعته.

• كيف يتسربُ إلى نفس العاقل شكٌّ في البعث، وقد جاءت الدلائل المستفيضة عليه في الأنفس والآفاق؟!

• تواضع لربك ولا تتطاول على بني جنسك، فقد عرفت أول خلقك الضعيف، وتعرف نهاية عمرك القصير، فأي شيء يدعوك إلى الغرور؟!

• الله جلَّ جلاله قادرٌ على أن يجعل خلقنا كله في كلمة (كن) دون تنقُّلٍ في مراحل من الخلق، ولكنه سبحانه يبيِّن لنا كمالَ حكمته، وعظيم قدرته، وإبداع خلقه، وسَعة رحمته، فما أعظمه من بيان!

• إن كان الرحمُ قرارَ النطفة، والتراب قرار الجثة، فإن مَن أخرج النطفة طفلًا لقادرٌ على أن يخرج رميم الجثة خلقًا آخر يوم الحشر.

• هل يُعقل أن يمدَّ الله هذا الإنسان، ويبلِّغه التمام، وهو في ذلك يأمره وينهاه، ثم يقبضه ويتوفاه، ثم تنتهي القصة، فلا رجعة بعد ذلك؟!

• هي الحياة تأخذ من العبد كلَّ يومٍ شيئًا، وتستردُّ منه ما كانت أعطته، حتى يصل إلى أرذل مراحل حياته، بعد أن كان امتدادها يزيد في علمه وعقله، وقوته وصحته، وخَلقه وخُلقه.

• إنما أنتَ تحت تصرُّفِ الله تعالى وعنايته؛ متى شاء علَّمك ما لم تكن تعلم، ومتى شاء أنساك ما كنت تعلمه.

• بين الآدمي والنبات قاسم مشترك في بدء الأمر ونهايته، تؤخذ منه العبرة؛ فالنبات يكون في نقصان، فما يزال ينمو بقدرة الله حتى يتم، فكذلك الآدمي يَرقى من نقصٍ حتى يبلغ الكمال.

• في الأرض حالَ خصبها بعد جدبها مثالٌ حاضر متجدِّد مستمر، لا تخطئه عينٌ، يشهد على صحة البعث يوم القيامة.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي
ٱلۡقُبُورِ ٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى
وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ
أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣
إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥

٣٣٣

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾

• ألا تهديك دلائلُ الخلق التي تراها بعينيك إلى أن الله تعالى هو الحقُّ، وأنه يحيي الموتى، وأن الساعة آتية، وأنه قادر على كل شيء؟

• هل تفكَّرت في الحياة بعد الموت، وبقيام الساعة بعد الدنيا، وبيوم النشور بعد القبور، فماذا قدَّمت لنفسك لتنجوَ في تلك الأحوال من الأهوال؟

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾

• أيبقى في الله تعالى مَن يجادل، وقد حُشدت أمامه كلُّ تلك البراهين والدلائل؟

• مهما أسبغ المجادلون في وجود الله تعالى على باطلهم من العناوين المعرفيَّة، وكسَوها بالألفاظ العلميَّة، ستبقى من الهدى والعلم خالية، ومن نور الوحي عارية.

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩﴾

ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ: لاويًا عُنقَهُ في تكبُّر.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠﴾

• التكبُّر عن الحقِّ، ودفعُه، ومجادلة أهله فيه تَدفع المتكبِّرَ إلى نشر الضلال بين الناس؛ حتى يحذِّرهم من الحق، ويقنعهم بما هو عليه من الباطل.

• ما أشدَّ ما ينتظر المعرضين عن الحقِّ، غير المنقادين له من سوء العاقبة! ففي دنياهم خزيٌ وهوان، وفي أخراهم غضب ونيران، فأصلح عملك اليوم تسعد به في دنياك وآخرتك.

• سبحان القويِّ القادر الذي تنزَّه عن ظلم عباده مهما تركوا من الأوامر وارتكبوا من المناهي! فلا يعاقب عبدًا لا يستحقُّ العقاب، ولا يمنع المؤمنين المخلصين العطاءَ والثواب.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾

عَلَىٰ حَرۡفٖ: على ضعفٍ وشكٍّ وتردُّد.

خَيۡرٌ: صحَّةٌ وسَعةُ رزقٍ.

فِتۡنَةٌ: ابتلاءٌ بمكروهٍ وشدَّة.

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢﴾

• لقد خاب مَن يعبد الله تعالى طامعًا في الكرامات، ومحامد العباد والأُعطيات، فمتى وجد ذلك سكَن إلى العبادة وإلا تركها أو تهاون فيها.

• المؤمن لا يجرِّب إلهه؛ إذ ليس الأمرُ صفقةً في السوق بين بائع ومشترٍ، وإنما هو إسلام المخلوق لخالقه، صاحبِ الأمر فيه، ومصدر وجوده.

• المتخلِّي عن دينه بسبب فواتِ مصلحته أو نزولِ مصيبةٍ عليه غيرُ مستفيدٍ من ارتداده، بل هو خاسر الدنيا بما يقاسيه من شقائها من غير أجر، وخاسر الآخرة بدخوله النار.

• إلى الله تعالى وحده توجَّه في عباداتك وتضرعاتك، وخضوعك وطلبِ حاجاتك؛ فإنه لا ينفعك ولا يبعد الضُّرَّ عنك سوى ربك تعالى.

• أعظمُ الضلال أن يتعلق العبدُ رغبًا ورهبًا بما لا يملك له نفعًا ولا ضرًّا، بل لا يجلب له ذلك التعلق به إلا وصولًا إلى الضرَر، وبعدًا عن النفع.

﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾

• أيُّ ضُرٍّ أعظم من توزيع القلب وإثقاله بالوهم، وأسره في قيد الإذلال، وتشتيته في أودية الضلال، وإلحاق الخسران به في الدنيا والآخرة؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾

• مَن عبدَ الله انتفع بعبادته، فأدخله ربه دار كرامته، وأما غيره فلا ينفع ولا يُنجي.

• للهِ تعالى سلطانٌ لا يُحَد، وقدرة ومشيئة مطلقة على كل أحد، يفعل ما يريد دون معترض أو معوِّق، وما سواه من المعبودات الباطلة عاجز لا يملك ضرًّا ولا نفعًا.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾

• ألا فليستبشرِ المؤمنون بأن الله تعالى ناصرُ دينه ورسوله، وعباده الصالحين، ومتمُّ نوره ولو كره الكافرون.

• مهما ملأ الغيظ قلوبَ أعداء الإسلام من انتشاره وانتصاره، ومهما كادوه من أجل انحساره أو اندحاره؛ فإن ذلك لن يطفئَ نورًا كتب الله له التمام، ولن يوقف خُطًا قُدِّر لها التقدُّم والاستمرار.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ
وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ
ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن
مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ (سجدة – الحزب ٣٤)
ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ
مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ
مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ
أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ
ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾

٣٣٤

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ١٦﴾

• ليس في شأن البعث وحدَه يظهرُ كمالُ بيانِ الله تعالى، بل لو تدبَّرت آياتِه لوجدتَّها جميعها في أعلى أنواع البيان.

• إن الآيات وإن كانت بيِّنات، لكنَّ الهداية بيد ربِّ الأرض والسماوات، والموفَّق مَن لا يزال يسأل اللهَ تعالى أن يهديَه بها، ويأخذ بيده إليها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾

• التنازع بين أصحاب المِلل المختلفة، بل المِلَّة الواحدة سُنَّةٌ ماضية، وسيفصل بينهم يوم القيامة مَن يطَّلع على بواطن الأمور وظواهرها، فمَن سرَّه أن يحكمَ اللهُ له فليحذر شهادةَ الله عليه.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾

• أيها المؤمن؛ لست وحدك الساجدَ لله في هذا الكون، فكلُّ الخلائق خاضعة لربها ساجدة له، ولا يشِذ عن ذلك النظام سوى العصاة.

• أما تأمَّل عابدو الشمس والقمر والنجوم في حال هذه المخلوقات التي يعبدونها أنها ساجدةٌ لخالقها، مربوبةٌ مسخَّرة لربِّها، فكيف يعبدونها من دون الله، وهي تعبده وتخضع لسلطانه؟!

• ألا يستحي الإنسانُ العاقل المكلَّف من ترك الخضوع لربِّه والاستجابة لأمره وهو يرى المخلوقاتِ الجامدةَ غيرَ المكلَّفة ساجدةً لربِّها خاضعةً لأمره؟!

• ما من عزٍّ للعبد كخضوعه لربِّه بسجوده بين يديه، وانقياده لشرعه، وذلك خضوعٌ لا يعرف لذَّته سوى المؤمنين، ولا يُحرم منه إلا مَن هان على ربِّه من المخلوقين.

• مَن هان عليه السجودُ لله تعالى واستخف به ولم يفعله أهانه الله؛ إذ لا كرامةَ للعبد إلا بإكرام الله إياه، فالعزيزُ مَن أعزَّه، والذليل مَن ابتغى العزَّة عند غيره، فاستحق منه أن يهينه ويعذِّبه.

• الأمور كلها بيد الله؛ يوفِّق مَن يشاء لطاعته برحمته، ويخذُل مَن يشاء بعدله، ويُشقي مَن أراد بحكمته، ويُسعد مَن أحب بفضله، فالخلق خلقه والأمر أمره، وما استُمد التوفيقُ لعبادته وإعانته بمثل سؤاله.

﴿۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾

ٱلۡحَمِيمُ: الماءُ المُتناهي في حَرِّه.

﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠﴾

يُصۡهَرُ بِهِۦ: يُذاب به.

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١﴾

مَقَٰمِعُ: مَطارِق.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾

• كم من كافر جادل أهلَ الحق منافحًا عن كفره، معتقدًا أنه على النهج القويم، والاعتقاد المستقيم، ولم يستفق من إصراره على باطله إلا وهو في النار يقاسي عذابها ويلبَس ثيابها.

• يا لَبؤسِ أهل النار! حين لا ثيابَ لهم إلا من لهبها، ولا شراب إلا من حميمها، فهلا حذِرَ العاقل الطرقَ الموصلة إلى ذلك، حتى يسلمَ من تلك المهالك؟

• إنها صورة تكفي العاقلَ عِبرة، يوم يتأمَّل في هذا العذاب الشديد الذي ينتظر أهلَ النار فيها، فطوبى لمَن جعل بينه وبينها وقايةً من إيمان وعمل صالح.

• ما أشقَّ اليأسَ من النجاة في نفس المرء بعد الطمع فيها، ورؤية طلائعها، حتى إذا كادت تصل ترجع وتعتزل.

• إذا نزل بك خطب، وطوَّقك بالغمِّ والكرب، فتذكر غمَّ أهل النار الذي لا يجدون منه مخرجا، وأنت قد تجد لكربك اليوم سَعةً وفرَجا.

• في الدنيا كان الكفار يسمعون كلمةَ الدعوة إلى الحق فيعرضون عنها ويسخَرون منها، وفي النار لم يعودوا يسمعونها، ولكنهم يسمعون كلمات التبكيت التي تعذبهم عذابًا نفسيًّا على ترك الاستجابة لتلك الكلمة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾

• ما أجملَ أسلوبَ القرآن الكريم في الوعظ والإرشاد! فبعد أن كادت القلوبُ تنخلع خوفًا من ذكر النار وما فيها جاء ذكرُ الجنَّة وصفة أهلها وما يلقون فيها، فملأ القلوبَ بالرجاء، فأصبحت راغبة وراهبة.

• شتَّانَ بين حال مَن ثيابُه النيران واللهب، وحالِ مَن يتزيَّن باللؤلؤ والحرير والذهب.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾

• هذا هو طريق الدار الطيبة: الجنة، فلا سبيل للوصول إليها إلا بالطيِّب من النيات والأقوال، والأعمال والأخلاق.

• بحمدِ الله ومنَّته ظفِر المؤمنون بهدايته، فلولا تفضُّله عليهم بالهداية ما سلكوا الطريق المستقيم المحمود الذي يَحمَدونه عليه في دار كرامته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

بَوَّأۡنَا: هَيَّأنا وبَيَّنَّا.

• ما أسوأ حال مَن جمع بين الكفر المُحبِط لعمله وبين صد غيره عن طاعة ربه، في خير مواضعها وأقدس أماكنها!

• للعباد في بيت الله الحرام مصالحُ دينية ومنافع دنيوية، فما أحسن أن يُوصلوا إليها، ويُعانوا عليها، ولا يصدوا عنها ولا يصرفوا منها!

• ما أعظمَ مكةَ وما أعظم حرمتَها، وما أطهرَ مسجدَها، وأشدَّ المعصيةَ فيه! فإن العبد ليَنوي فيه السيِّئة فتُكتب عليه، فكيف بمَن جاوز النيَّةَ إلى مباشرة العمل؟!

• أشنع الظلم وأشدُّ الميل عن الحقِّ أن يشركَ بالله في البيت الذي أسَّسه بانيه على توحيد الله، وطهَّره لعبادة الله وحدَه لا شريك له.

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾﴾

رِجَالٗا: يمشون على أرجُلهم؛ جمعُ راجِل.

ضَامِرٖ: بعيرٍ مهزول أتعبه طول السَّفَر.

• قدِّم للحق ما تستطيع من العون المتصل، يتبعك ذِكرُه وأجره بعد أن ترتحل؛ ألا ترى أن الخليل قد أذَّن بالنداء، وما يزال يستجيب لندائه المؤمنون الحجاج حتى قيام الساعة؟

﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾

• الغرض الأعلى في العبادات ذِكرُ رب الأرض والسماوات؛ فإنه المقصود من ذكاة بهيمة الأنعام، وهو الأساس في شكر الله عليها.

• إذا أكلت مما أنعم الله به عليك فتلمس مَن هو أحوج إلى الإطعام فأطعمه؛ لتزيل عنه بؤسه، وتخفف عليه من فقره.

﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ: ليُكملوا حَجَّهم بإحلالهم من إحرامهم وإزالةِ وسَخِ أبدانهم.

بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ: هو الكعبة، وقد أعتقها اللهُ من تَسلُّطِ الجبَّارين عليها.

• هلا نظرتَ وأنت تطهِّر جسدك، وتحلق شعرك وتطيب بدنك، إلى موضع نظر الله منك، فاعتنيت بقلبك فطهرته مما ران عليه، لتحقق الهدف الأسمى من حجِّك، فتعود كما ولدتك أمك؟

• ليتذكر الطائفُ وهو يطوف بهذا البيت الحرام الذي أعتقه الله من تسلُّط الجبارين عليه، فيشكر الله على هذه النعمة.

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ
وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ
﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ
بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا
وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ
وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾
ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ
رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ
فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

• ليس الحجُّ أقوالًا وأفعالًا لا معانيَ لها، بل هو أعمالٌ ظاهرة توصل إلى معانٍ سامية، من تعظيم حرُمات الله تعالى وشعائره، والحرصِ على اتقاء معصيته، والنهوض بأوامره.

• الثواب الجزيل والأجر الكبير ليس على فعل المأمورات فحسب، بل هو أيضًا على ترك المحظورات، وتعظيم الشعائر والحرُمات.

• إذا كان الإحرام يحرِّم لحومَ الصيد تعظيمًا للحرَم، فما كلُّ اللحوم تُجتَنب، بل هناك لحومٌ تُباح، وذلك مظهرٌ من مظاهر لطف الله بعباده، ورحمته بهم، ورعايته مصالحهم.

• ما أشبهَ تعلُّقَ النفوس بالأوثان، بتعلُّق الخبائث والأرجاس بالأجسام!

• الشِّركُ والكذب قرينان، كالصدق والإخلاص، وانظر إلى قول المصطفى ﷺ: (عدَلَت شهادةُ الزور الإشراكَ بالله).

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ
٣١ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢
لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ
٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ
مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ
أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ
قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ
وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ
جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا
لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ
عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨

الحزب ٣٤

٣٣٦

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾

• الإقبال على الله تعالى، والميل إلى الشرك به لا يجتمعان؛ لأن التوحيد والشرك أمران متغايران لا يلتقيان.

• المُعرِض عن وحي السماء، واللاهث خلف مَن يراهم لله شركاء، كالمتردي من قمم عاليات إلى منحدرات ساحقات.

• مَن ترك الاعتصام بالإيمان تخطَّفته الشياطين من كل مكان، ومزقت شمله وأمره، وأذهبت دنياه ودينه.

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾

• لا يعظِّم شعائرَ هذا الدين تعظيمًا يحبه اللهُ تعالى إلا امرؤٌ تقيٌّ صحيح الإيمان، وذلك أن تعظيمها من تعظيم الله جلَّ في علاه.

• حقيقة التقوى في القلب، فمتى اتقى القلبُ اتقت الجوارح، قال النبي ﷺ: (التقوى ههنا) ثلاثًا، وأشار إلى صدره.

﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾

• ما أحسن الإسلام لمَن يعتنقه وينقاد لما جاء به؛ فإنه يسعى لمصلحة الإنسان وتيسير أموره، فقد أباح للحاج أن ينتفع بركوب هديه حتى يبلغ البيت ولو بعد تقليده، بعدما كانت الجاهلية تمنع من ذلك.

• بيت اللهِ العتيقُ أشرفُ الحرَم، وأجلُّ المواضع، وعنده يجتمع الناس، فلا غروَ أن يُساق الهدي إليه، ويذبح تقربًا إلى الله فيه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾

• من عظيم البراهين على منزلة عبادة من العبادات أن تراها مشروعةً في جميع الشرائع، وهكذا كان النحر، فهل يقدر المسلم هذه الشعيرة قدرها؟

• مالُك هو من رزق الله لك، ومن فضله عليك، فمن شُكره أن تبتغي به رضاه، فتنسُبه إليه.

• ذبحُ النسيكة مشهدٌ من مشاهد التوحيد؛ فبها يتقرَّب المسلم الموحِّد إلى الله، وعلى اسمه يذبحها، وله وحده يصرف شكرَها.

• طوبى للحجيج المخبِتين الذي استسلموا لربِّ العالمين، وانقادوا له راضين، وكانوا له متواضعين.

• مَن أخبتَ لله قلبُه استنارت بالأعمال الصالحات جوارحُه، فنالته البشارات، وهطلَت عليه الخيرات، فأصلِح قلبك؛ فإنه موضع نظر ربِّك منك.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾

• من صفات المُخبِتين الوجَل عند ذكر الله عزَّ وجل، وذلك يقتضي معرفتَهم بعظيم شأنه، واستشعارهم تقصيرَهم في جنبه، وبُعدهم عن العُجب بما هم عليه.

• إذا أردتَ البشرى فأحسن بارئك الظنون، ولا تتبرَّم من أقداره فيك؛ فإنه بحكمته يبتليك فيصطفيك.

• حين لم يتمكَّن حبُّ الدنيا من قلوب المخبتين ظلُّوا بين العباد منفقين، غيرَ بخلاء بما رُزقوا؛ لعلمهم أن المال ماله، والفضل فضله.

﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦﴾

• ما أخلقَ العاقلَ بأن يحرِصَ على ما شهد الله تعالى بأن فيه خيرًا ومنافع، وبما يجمع بين كونه لله تعالى شعيرة، وللعبد فيه مصالح!

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧﴾

• قال ابن زيد: (إن اتقيت الله في هذه البُدْن، وعملت فيها لله، وطلبت ما قال الله؛ تعظيمًا لشعائر الله ولحرمات الله، وجعلته طيبًا، فذلك الذي يتقبل الله، فأما اللحوم والدماء فمن أين تنال الله)؟

• يا مَن أحسنتَ في عبادة الله وأحسنت لعباد الله ابتغاء وجه الله؛ أبشر بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة بفضل الله.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾

• ما زاد إيمانُك بالله تعالى إلا زاد دفاعُه عنك، ولا ضعُف إيمان عبدٍ إلا حُرم هذه النعمة بمقدار ضعف إيمانه.

• إذا أردتَ الوصولَ إلى محبة ربك فكن أمينًا في حفظ حقه وحقوق خلقه، وشكورًا له على نعمه، وللمحسنين إليك من عباده.


الجُزْءُ السَّابِعَ عَشَرَ — سُورَةُ الحَجِّ

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟
رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ
لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ
مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ
لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٣٣٧

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

• ليس المؤمنون بالمعتدين الظالمين، ولكن لهم الحق في الدفاع عن أنفسهم ما داموا مظلومين.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾

وَصَلَوَاتٌ: مَعابِدُ اليَهودِ.

• من أجل كلمة التوحيد وحدَها كان إخراج المشركين للمؤمنين من ديارهم وبلادهم، ولهذه الكلمة تحمَّل المؤمنون الإبعاد؛ إرضاءً لربِّ العباد.

• بالقوَّة العادلة لأهل الإيمان تُحمى المقدَّسات، ويُقطع على الشرِّ طريقُه إلى انتهاك الحُرمات، والإفسادِ في المجتمعات.

• لا يشفعُ لبيوت الله تعالى عند أهل الباطل أن يُذكَر فيها اسم الله العظيم، بل لعلَّ ذلك يَزيدهم عليها حَنقًا، وبها مكرًا، ولأهلها أذًى.

• لا يقدر أحدٌ على مغالبة مَن ينصره الله؛ فإنَّ مَن كان ناصرَه فهو المنصور، وعدوه هو المقهور، ولقد صدق سبحانه فيما وعد به، فأذلَّ بأنصار دينه رضي الله عنهم جبابرة أهل الأرض وملوكهم.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

• للنصر تكاليفُه وأعباؤه حين يأذَن الله تعالى به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه، وتهيُّؤ الجوِّ حوله لاستقباله واستبقائه.

• الأمَّة المسلمة على الحقيقة لا تُبقي على منكر وهي قادرةٌ على تغييره، ولا تقعد عن معروف وهي قادرةٌ على تحقيقه.

• عامَّة أهل الإسلام يصلُّون ويزكُّون، لكنَّ الموعودين بالنصر منهم هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

• العاقبة الحسنةُ للمتَّقين، والنصر هو موعودُ المؤمنين، ولكن قد يُجعل للشيطان حظٌّ في البادئة ليتبيَّن الصادق من الكاذب، والمُزلزَل من الثابت، فالمؤمن الصادق موقن، وغيره متشكِّك.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾

• يسلِّي الله تعالى نبيَّه وصفيَّه الكريم ﷺ، ويصبِّره على ما يقاسيه من فنون البلاء العظيم، كذلك هو تسلية لمَن جاء من بعده وسار على نهجه.

• مع كلِّ ما أُوتيه موسى عليه السلام من الآيات البيِّنات، والدلائل الباهرات، فقد كذَّبه قومه، ورمَوه بالسحر والافتراءات.

• إذا رأيت عُداةَ الحقِّ وشدَّة تكذيبهم ومحاربتهم له، فلا تقصُر نظرك على مشهد الحال، ولكن انظر إلى أفق المستقبل؛ فإن العاقبة الوخيمة تنتظرهم، والعقوبة المخزية هي نهايتهم.

• لقد كان إنكارُ الله على الكافرين عظيما، وعذابه لهم عذابًا أليما، فهل من معتبِر في الآخرين، بما جرى للمكذِّبين السالفين؟

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

• لقد أهلك الله القرى الظالمة، ولم يعبأ بما عندها من كثرة السكَّان، ولم تمنعهم قوَّة البنيان، ولم تنفعهم عظمة العُمران، بل هلك مَن فيها على بَكرة أبيهم.

• تلك الربوعُ الخرِبة تستدرُّ الدموع والخشوع، وتلك الآبار المعطَّلة تذكِّر بالورد والورَّاد، وتتزاحم حولها الأخيلة وهي خواء، وإلى جانبها قصور مَشيدة خالية من الأحياء، تطوف بها الذكريات، وتنطق جوانبُها بالعظات.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

• عِظِ الناسَ إن استطعتَ بحوادث التاريخ وأحوال الأمم، وتدبَّر آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس؛ ففي ذلك عِبرٌ لمَن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

• العمى إنما هو عمى القلب لا عمى البصر، فمَن أبصر قلبُه فما ضرَّه أن يعمى بصره، ومَن عمِيَ قلبُه فما الذي تنفعه بعد ذلك رؤية الأشياء من حوله؟ قال قَتادةُ رحمه الله: (البصر الظاهر بُلغةٌ ومتعة، وبصر القلب هو البصر النافع).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٤٧ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ
٤٨ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٤٩ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٥٠
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ٥١ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا
إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥٣ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ٥٤ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ٥٥

٣٣٨

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

• ما أجدرَ بعذاب الله العظيم مَن كان في عمى عن الدين القويم! لا يعقل أدلته، ولا يسمع حجَّته، بل قد يتحداه أو يستهزئ به.

• حكمةُ الله جلَّ جلاله عظيمة؛ إذ لا يستفزُّه لإخلاف وعده قولُ قائل، ولا لتغيير أجله الذي كتبه على خلقه جهلُ جاهل!

• ما أطولَ أيام الآخرة وأقصر أيام الدنيا! فيا سعدَ مَن عمل في اليوم القصير ما ينجيه من عذاب ربه في اليوم الطويل!

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

• كم من أمَّة ظلمت وللعذاب استوجبت، ولولا لطفُ الله تعالى بها وإمهاله لها ما امتدَّ بها أجلها! وكم من أمَّة لم يفدها الإمهال، فأخذها الله تعالى بالهلاك والنَّكال!

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾

• مَن واجهَ دعوةَ الرسل بالتكذيب والاستهزاء واستعجال العذاب فهو إلى الإنذار أحوج منه إلى التبشير، ففي الإنذار ترهيبٌ يحجُز عن الاستمرار في الإصرار على تلك الخطايا.

• ليس بين الأنبياء وأقوامهم صراعاتٌ شخصية ليطلبوا النكاية بهم، ولا مصالح دنيوية ليتزلفوا إليهم، وإنما هم مبلِّغون ومنذِرون، فمَن آمن من قومهم فلنفسه، ومَن كفر فعليها.

• رزق الله الكريم الذي وعد به عباده المؤمنين وافرٌ، فما أسعد مَن ناله، وحقق في ظله آماله!

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

سَعَوْا فِي آيَاتِنَا: اجتهدوا في الكَيدِ لإبطالِ القرآن.

مُعَاجِزِينَ: مغالبينَ ظانينَ أنهم يعجِزوننا.

• مَن ظنَّ أنه يستطيع معاجزةَ ربه بصد الناس عنه أو عن رسوله، أو منع نفسه من حلول عذاب الله به وغلبته له فقد خاب ظنه، وبطل سعيه، واستحق عذاب الجحيم إن مات على ذلك.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

تَمَنَّىٰ: قرأ الآياتِ المُنزلةَ عليهم.

• من رحمة الله برسوله محمَّد ﷺ أنه يسلِّيه بما جرى لإخوانه من الرسُل، مبيِّنًا له أنه لم يسلم أحدٌ منهم من محاولة الشيطان أن يفسد بعضَ ما يحاولونه من هدي الأمم.

• لقد حفظ الله رسُله من دسِّ الماكرين، وتلقين المعاندين الذين يحاولون تشويه الحقيقة، بعد أن عجَزوا عن إخفاء نورها بأيِّ طريقة.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾

• لا تثبت صورةُ الحقِّ في القلب المريض، ولا تنطبع على القلب القاسي، فلا غروَ أن هذين القلبين لا يزالان يعذَّبان ويَشقَيان.

• حين يكونُ القلب مريضًا بالشكوك فإن أقلَّ شيء يَريبه ويؤثِّر فيه حتى يفتتن به، وإن لم يكن للالتفات أهلًا، ولا يستحق الاهتمام.

• الظلمُ والكفر وعناد الحقِّ علل تجعل صاحبها في شقاق بعيد، فما أبعدَ الظالمين عن الاهتداء.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

• إن الحقَّ إذا جودل أهلُه العالمون به، القادرون على المحاججة عنه؛ ظهرت حُجَجُه، وأسفرَت وجوهه، ووضَحَت براهينه.

• لو أن امرءًا حظيَ بهداية الله له إلى طريق الاستقامة والإيمان، لما زلَّت قدمه بما يلقيه إليه الشيطان، ولا قبِل قلبه إلا ما يوحي به الرحمن.

• سبحان مَن يهدي عبادَه المؤمنين إلى النظر الصحيح، الموصل إلى الحقِّ الصريح، فيلهمهم دحضَ ما توسوس به الشياطين من الشُبهات، وإن بدَت من المعضلات والمشكلات!

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

يَوْمٍ عَقِيمٍ: لا خيرَ فيه ولا يومَ بعدَه، وهو يومُ القيامة.

• لو أشرقت قلوبُ الكافرين لأبصرت ما في القرآن من صدق وحقيقة، وعظمة وجلال، ولانقشع عنها قتَرُ الرَّيب وظلام التكذيب.

• لا ليلةَ بعد يوم القيامة، ولا بعد يوم الاستئصال، وإنما هو اليوم العقيم للكافرين الذي لا مولود له، فلا يكون العذاب من بعده إلا خالدًا لا ينقطع.

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُهِينٌ (٥٧) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا
أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ
وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ (٦١) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤)

الحزب ٣٤

٣٣٩

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦)﴾

• ما أعظمَ ذلك اليومَ الذي لا ملكَ فيه لأحد إلا لله، ولا يدَّعي ذلك أحدٌ سواه، وقد كان في الدنيا خَلقٌ يدَّعون الملكَ وينازعون فيه!

• إن نعيمَ الجنة نعيمٌ لا يقدر على وصفه الواصفون، ولا تستطيع إدراكه عقولُ المخلوقين، وهو نعيم للقلب والروح والبدن، فما أحسنه من نعيم، وأعظمه من تكريم!

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٧)﴾

• لا يستهين امرؤٌ بآيات الله تعالى ورسله الأكرمين، إلا جوزيَ يوم القيامة بعذاب مُهين.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)﴾

مُدْخَلًا: مكانَ دخولٍ وهو الجنَّة.

• إذا كان اللهُ سبحانه وتعالى يرزق الخلق عامَّة؛ البرَّ منهم والفاجر، فكيف بالذي إليه يُهاجر؟

• تركوا ديارهم في سبيله، وفارقوا محبوباتهم من أجل مرضاته، فجازاهم بدار كرامته يدخلونها راضين، ويعيشون في بُحبوحتها مغتبطين.

• انظر إلى إكرام الله لأهل جناته، كيف يتوخى رضاهم، ويحقق لهم ما إليه يسكنون، وما به يطمئنون، وهم عباده وهو ربهم؟!

• سبحان ربنا العليم، وتبارك إلهنا الحليم، الذي يعلم مقاصد عباده ونياتهم، فيَحلُم عما فرَّطوا في جنبه وقصَّروا في حقه!

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠)﴾

بُغِيَ عَلَيْهِ: اعتُديَ عليه.

• ليعلم المظلومُ أن له الحقَّ في الانتصاف، ويطمئنَّ أن له ربًّا ينصره إن بُغي عليه، وهو يقصد العدل في المعاقبة، والقِسْط في المؤاخذة.

• يُؤثَر عن كسرى أنه قيل له: بمَ دام ملككم؟ فقال: (لأننا نعاقب على قدر الذنب، لا على قدر الغضب).

• إذا ظُلمتَ فانتصرت لنفسك بعدلٍ ولم تعفُ عن ظالمك فلا إثم عليك؛ لأن ذلك مما أُذن لك فيه، فإن استطعت أن تعفو عمن ظلمك ابتغاء غفران ربك فافعل.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١)﴾

يُولِجُ: يُدخِل.

• من المظاهر الدالَّة على أن الله وحدَه له الحكم في الخلق، ما أودع في هذا الكون من ليل ونهار، وتقليبه لهما بنظام مُحكَم يسيرُ عليه العباد في مصالحهم، ويبتغون تحت ظلاله منافعهم.

• سبحان مَن لا تخفى على سَمعه الأصواتُ مهما دقَّت، ولا تخفى عن بصره المبصَرات مهما خفيت!

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)﴾

• الله هو الحقُّ الذي يُحقُّ الحقَّ وينصره، ويُزهِق الباطلَ ويكسره، وهو الإله المعبود الواحد، وما سواه من المعبودات هو الباطل البائد.

• كمُلَ ربُّنا في ذاته وأسمائه، وصفاته وعَليائه، وهو القاهر فوق عباده، فلا يتصرَّف عبدٌ بغير مشيئته، ولا يتحرَّك أو يسكن إلا بإرادته.

• لن يدَعَ العليُّ سبحانه البغيَ يعلو، ولا الظلمَ يستطيل على الدوام؛ فإنه تعالى أعلى من الطغاة، وأكبر من الجبَّارين البغاة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣)﴾

• هلا شكرتَ الله تعالى وأنت تمتِّع ناظريك بجمال الأرض وحسنها الفتَّان، بعدما كساها خالقها حُلَّة خضراء للعِيان، تملأ النفس ضياء، والكون بهاء.

• في كلِّ عام تتجدَّد شهادة الأرض بأن الله تعالى حقٌّ، ووعده حق، وذلك حين تعلن بلسان جمالها أنه تعالى قادرٌ على أن يحييَ الخلائق بعد موتها، ويبعثها من رقدتها.

• كم لطفَ اللهُ بك، فساقَ إليك من الخير وأنت لا تدري! وكم لطف بك، فحماك ورعاك وقد أشرفت على الهلاك! وكم لطف بعباده حين أغاثهم، فأنبت لهم الزرع، وأدرَّ لهم الضرع!

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤)﴾

• مالك المُلك سبحانه غنيٌّ عن جميع خلقه؛ عن عبادتهم وعن حمدهم، غير أنهم كلُّهم محتاجون إلى تدبيره ومعونته، وعبادته وشكره، وهو تعالى المستحقُّ للحمد؛ لكماله وعظيم إحسانه.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى
فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ
فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ
ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ
عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا
بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٣٤٠

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

• ألا يحمد مَن ذلَّل لعباده ما أودعه في الأرض من منافع وبركات، حتى اغتنوا بما فيها، وتنعَّموا بما سخره لهم من الخيرات؟

• انظر إلى الكون وما فيه نظرَ المعتبرين، لا نظر الغافلين، فلو رأيت السفن وهي تمخر عُباب الماء فلا تغوص فيه ولا تغرق لرأيت في ذلك آية عظيمة تدل على رأفة الله ورحمته.

• إذا نظرتَ إلى السماء وعظمةِ خلقها، فتفكَّر في عظمة خالقها الذي رفع سَمْكها، وأمسكها عن أن تقعَ على الناس فتفسدَ عليهم معايشهم، ثم احمَده على لطفه وفضله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

• كم نعمةٍ على الإنسان في هذه الحياة! ولكن أفعال الإنسان مُعرِضة عن الرب؛ بالعبادة لغيره أو التقصير في حقِّه، والمهتدي مَن قابل هذه النعم بالشكر لا بالجحود.

• من طبع الإنسان أن يعُدَّ مصيباته وينسى نِعمَ الله عليه، ويذكر شدائد أحواله ويغفل عن شكر الله الذي أخرجه منها.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

مَنسَكًا: شَريعةً وعِبادة.

﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾

• شريعة الله تراعي اختلاف الأمم، وأحوالها وأوقاتها، فكل ذلك منظور غير مغفل في التشريعات السابقة، ولا الشريعة الخاتمة، فلا يعترض أحد عليها بروح العصر! فإنما وضعت يوم وضعت لكل عصر يأتي بعدُ إلى قيام الساعة.

• لا تلتفت إلى مَن ينازعونك في الحق وينتصرون للباطل، وعاملهم بالإغفال ما داموا مصرين على الجدال، حتى ينقادوا للحق ويستسلموا له ويتركوا المنازعة فيه، ويا حبذا المتاركة بالوعيد والإنذار الصادر في قالبِ رفقٍ ولين.

• اطمئنانُك إلى أن ما أنت فيه من الهدى هو الحقُّ يعينك في الثبات عليه والدعوة إليه.

• إنما يجدي الجدل مع القلوب المستعدة للهدى، التي تطلب المعرفة، وتبحث بصدق عن الدليل، لا مع القلوب المصرة على الضلال والمكابرة، فليَكِلِ الداعي في نهاية الأمر حالهم إلى الله تعالى.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

• أيُّ طُمأنينة سيشعر بها المؤمنُ يوم القيامة حين يوقنُ أن اللطيف سبحانه عالمٌ بكلِّ ما عمله من أجله، وأيُّ خوف سيعتري الظالمَ حين يعلم أن الله قد أحاط علمًا بكلِّ أفعاله؟

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾

• الدليل من الوحي هو الحجَّة القاطعة، والسلطان الذي له القهر والغلبة، والعلم الذي يُرجع إليه، وعند ظهوره تضمحلُّ الآراء، وتتلاشى الأقيسة والأهواء.

• ما لوضعٍ ولا لشرعٍ من قوَّة إلا أن يستمدَّ قوَّته من الله تعالى، فما لم ينزل به الله سبحانه قوَّةً من عنده فهو ضعيفٌ هزيل، خالٍ من عنصر القوَّة الأصيل.

• ليس للظالمين في الدنيا نصيرٌ ينصرهم على الحقِّ حتى يذهب؛ فإن الحقَّ ظاهر لا يُغلب، ولو اجتمع عليه كلُّ أهل الباطل، وليس لهم في الآخرة مَن ينصرهم بدفع العذاب عنهم، فيا خسارةَ الظالمين في الدنيا والآخرة!

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

• كيف للإنسان أن ينكر الآياتِ الهادية، وهي بيِّنة واضحة؟! أما لو كان فيها اشتباه لوجد في ذلك متعلَّقًا، ولكن لا اشتباه فيها لمَن تأمل.

• حين لم تتَّسع صدورُ الكافرين للحقِّ الذي يُدعون إليه لم تتسع نفوسُهم للصبر على مَن يدعونهم؛ فحَنِقوا عليهم وآذَوهم.

• على مَن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على علم وبصيرة أن يوطِّن نفسه على تحمل المكاره التي سيواجهها.

• لو تفكَّر المعرضون عن الحقِّ بما يَعقُب كراهيتَهم وضيقهم بمَن يدعوهم، ممَّا يكون في الآخرة من النار التي تنتظر الصادِّين عن الحقِّ؛ ما كرهوا الحقَّ وأهله، ولا ضاقوا بدعاته ذرعًا.

• كم يجلب الكفرُ على صاحبه من الويل والوعيد، والهوان والتهديد، ومن أصناف العذاب والنَّكال، ممَّا لا يخطِر في الإنسان على بال!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ ﴾

• يا مَن تعظِّمون أربابَ الصناعات، هلَّا نظرتم في عظمة خلق الله تعالى، وهي تتجلَّى في أضعف الكائنات؟

• كل مَن ترجوه من الناس وتطمع في سلطانه أو ماله هو ضعيفٌ مثلك، لا يملك لك شيئًا؛ فإنسانٌ لا يقوى على استرداد ما سلبه ذباب كيف سيلبِّي حاجةَ المضطرِّين من العباد؟

﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ﴾

• ما عرف اللهَ تعالى حقَّ معرفته، ولا قدره حقَّ قدره، مَن سوَّى به أحدًا من خلقه.

• ما أضعفَ الخلائق أمام قوة الخالق! فإنه تعالى القوي الذي لا يغلبه أحد، والعزيز الذي لا يُعجزه شيء!

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾

يَصۡطَفِي: يختار.

• الرسالة اصطفاءٌ يختار لها الله من عباده مَن يشاء؛ فليست بقوَّةٍ تُنال، ولا بعلمٍ يُبلَغ، ولا بهوى يصل إليها إنسان، بل هي عن علم الله وخبرته بمَن هو لها أهل.

﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦ ﴾

• الله جلَّ وعلا هو الرقيب على صنيع أنبيائه، الشهيد على جواب أقوامهم، الحافظ لهم من كيد أعدائه، والناصر لجنابهم بين خلائقه.

• إلى الله مرجع عباده بعدما بلغتهم دعوةُ رسله، فمَن أجابهم فنعمَ المرجع الذي سيصير إليه، ومَن أعرض عنهم فبئس المآل الذي سيقدُم عليه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ ﴾

• من أدلِّ الدلائل على صدق إيمان العبد، صلاته وخضوعه لله في ركوعه وسجوده، وهي أرجى ما يُقابل به العبد ربَّه يوم لقائه.

• بالعبادةِ لله تقوم حياة الأمة المسلمة الفردية على قاعدة ثابتة وطريق واصل، وبفعل الخير تستقيم حياتها الجماعية على قاعدة من الإيمان وسبيل قاصد، وتلك أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة.

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾

ٱجۡتَبَىٰكُمۡ: اصطفاكم.

حَرَجٖ: ضِيقٍ وشِدة.

مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ: هذه المِلَّةَ السَّمحة مِلَّة أبيكم.

هُوَ سَمَّىٰكُمُ: اللهُ سَمَّاكم المسلمينَ في الكُتُبِ السابقة.

مَوۡلَىٰكُمۡ: مالككم وناصرُكم ومُتوَلِّي أمورِكم.

• ختمُ هذه السورة بالأمر بالمجاهدة هو كالتنبيه على أن السلامة من أهوال القيامة، وأن أداء الواجبات في الحجِّ والهجرة، لا بدَّ لها من مجاهدة.

• يا مَن خصَّه الله تعالى بالتكليف، لقد حظيت بأعظم تشريف، أوليس قد اختارك مولاك لخدمته، والاشتغال بطاعته، فأيُّ رتبة أعلى من هذه الرتبة؟

• مَن اعتقد أن فيما أمر الله به مثقال ذرة من حرج، فقد كذب اللهَ ورسولَه، فكيف بمن اعتقد أن المأمور به قد يكون فسادًا وضررًا لا منفعة فيه ولا مصلحة لنا؟!

الجزء السابع عشر — سورة الحج

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ
وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا
وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ
أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ
وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي (سجدة)
ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ
فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ
وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨

سورة المؤمنون

٣٤١

• مَن اعتذر عن الإسلام بتقليده دينَ الآباء؛ أفلا كان اقتدى بأبيه إبراهيمُ عليه السلام الذي أعلن التوحيدَ وكسر الأصنام؟

• ليس من الإسلام الافتخارُ بغيره من نسب أو بلد، أو جنس أو مذهب، أو طريقة أو انتماء آخر.

• على تتابع الأجيال والرسل والرسالات، كانت الأمة المسلمة ذات منهج واحد، وهو إسلام الوجه والقلب لله تعالى وحده، لا شريك له.

• بالصلاة تتوثق العلاقة بين العبد وربِّه، وبالزكاة تتعمق صلته بأفراد جنسه، وبالاعتصام بالله تعالى تتوحد الأمة على المنهج الربَّاني.

• كمالُ النصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله تعالى.

• إذا تولى الله تعالى عبدًا كفاه، وإذا نصر أحدًا أعلاه، ومَن أراد تلك الوَلاية فليُقِم الصلاة، وليؤت الزكاة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ
ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾
ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

الجزء ١٨ الحزب ٣٥

٣٤٢

سورة المؤمنون

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾

• مَن اتصف بما أمر الله تعالى أن يُتصف به فقد أفلح الفلاحَ كلَّه في كلِّ آنٍ، فمتى زاد حظُّه من تلك الصفات زاد حظُّه من الفلاح والنجاح.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

• تستحضِر قلوب المؤمنين رهبةَ الموقف في الصلاة بين يدَي الله، فتسكن فيها، ويسري خشوعها إلى جوارحهم وملامحهم وحركاتهم، فلا يشغلها عنها شاغل.

• إنما يزداد خشوع المرء في صلاته بازدياد إيمانه ومعرفته قدرَ ربِّه، ومدى تقصيره في حقِّه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾

• إن لقلب المؤمن ما يَشغَله عن لغو القول، ولغو الفعل، ولغو الاهتمام والشعور، وذلك بذكره الله جلَّ وعلا، وتصور جلاله، وتدبر آياته في الأنفس والآفاق.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾

• بالزكاة يتطهَّر المرء من الشحِّ، ويستعلي على حبِّ الذات، وينتصر على الشيطان الذي لا ينفك يوسوس بالفقر، وبها يدلِّل على ثقته بما عند الله تعالى.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾

• تدعو الشريعةُ الربانيَّة إلى طهارة الروح والبيت والجماعة بأمرها بحفظ الفروج من دنس الفواحش، وحفظِ القلوب من التطلع إلى الحرام، وحفظ الجماعة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب.

• المؤمن يحصِّن فرجه ويحميه ويصونه عن الابتذال وما يؤذيه، فهو لا يأتي الفواحش ولا يقارفها، ولا يبدي العورات ولا يكشفها، فيَسلَم بذلك من العقاب والمؤاخذات، والأمراض والآفات.

• إذا أغلق الله على عباده بابَ حرام وفي فطرتهم السليمة توَقان إلى مثاله فإنه يفتح لهم باب حلال يجيبون به داعيَ تلك الفطرة؛ رحمةً منه بهم، وتيسيرًا منه لهم.

• تجاوزُ المباحات لإشباع الشهوات نوعٌ من الاعتداء الذي يُوقع صاحبَه في اللوم، ويُبعده عن الفلاح.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾

• لا يرعى الأمانةَ المتعلِّقة بحقوق الخالق، والأمانةَ المختصَّة بحقوق الخلق إلا مؤمنٌ يرجو من الله الفلاحَ والثواب، ويخشى من الظلم والعقاب.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾

• المفلحون على صلواتهم يحافظون، فلا يتركونها، ولا يقصِّرون في حقوقها، بل هم لأركانها وشروطها وآدابها مقيمون، وعلى أدائها في أوقاتها محافظون.

• كم في اتِّباع أوامر الله تعالى من منافع للعباد في الدنيا! غير أن أعظم المنافع منافعُ الآخرة، حين تورث صاحبَها الجنَّة، وتلك غايةٌ عالية، ومُنية سامية.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

• الفردوس غايةُ الفلاح، ومأوى المفلحين، الذين ظلوا لها عاملين، فما أعظمَها من غاية شُمِّرت لها هِمم الصالحين!

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

• تواضَع يا بن آدم، وتأمَّل في أصل خلقك وفي أوَّل أمرك، لتعرف بذلك مدى ضعفك، وعِظم قدرة ربِّك.

• انظر أيها الإنسان، كيف حفظك ربك في رحم أمك، في ذلك المستقر المكين، ورعاك في أطوار نشأتك فيه، حتى صرت بشرًا سويًّا، أفلا شكرت بالطاعة مَن حفظك وسوَّاك؟

• ما أبعدَ ما بين بداءة المخلوق من طين، وصيرورته ذا جسد وروح، يسمع ويبصر!

• البَركةُ تكون من الله، فهو مَن يوجدها، وهو مَن يجعل العبد سببًا من أسباب حدوثها.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

• كما تتقلب بالعبد الأطوار، تتصرَّم الأعمار، وتنتهي الآجال، حتى يشهد الناسُ يومَ الدين، حين يقومون لربِّ العالمين، فمَن قدر على خلق الإنسان من عدم، ونقله في إنشائه من طَور إلى آخر، فإنه قادر على إحيائه بعد موته.

• مَن خلق السماواتِ السبعَ لحكمة، فقد خلق الإنسان لحكمة كذلك، وكيف يَرِد عليه في خلقه غفلة وعبث وهو الخالق الحكيم العليم؟

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ
ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً
تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ
﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ
ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ
فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ
ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

٣٤٣

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

• نزول الغيث من السماء من دلائل فضل الله على خلقه، ومن براهين رحمته وحكمته، فقد أنزله نافعًا بقدَر، لا قليلًا فلا يقوم بحاجتهم، ولا كثيرًا فيغرقهم ويفسد عيشهم.

• بمشيئة الله وحدَه نبت النبات بالماء، وتشرَّبته الأرض ليُخزنَ فيها، ولو شاء الله تعالى ما أذن للأرض أن تمسكه ولا أن تنبتَ به كلأً، فيهلك الناس ومواشيهم جوعًا وعطشًا.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾

• متى نظرتَ إلى الرياض النضرة، والأشجار المثمرة فاشكر الذي أنبتها وسقاها ورواها، ونفعك بها.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

• كم في شجرة الزيتون من مصالحَ وبركات، ومنافعَ وخيرات! فلله الحمد على نعمته وفضله على خلقه.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾

• انظر إلى ما سخَّره الله تعالى لك من المخلوقات نظرَ اعتبار لترى ما فيها من الآيات البليغة، وتفكَّر فيما وراء خلقها من الحِكم والتدابير الحسنة، فبذلك يكتمل انتفاعُك بها في دينك ودنياك.

• لا تنشغل بالنعمة عن المنعِم حين تنتفع بها وتنسى واهبها، بل اجعل النعمة بابًا إلى شكر ربك والخضوع له، والاستسلام لشرعه الحكيم.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• كما سخر الله للإنسان مراكب البَر على الأنعام، سخر له مراكب البحر على السفن، فسبحان من أبدع نظام هذا الكون وأتقن، وتفضل على عباده بما ينفعهم وأحسن!

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

• مَن أنعم على عباده بما يُصلح أبدانهم بما ذلَّل لهم في هذه الحياة هو مَن طالبهم باتِّباع وحيه الذي يصلح أرواحهم، فمَن اتَّبع فقد شكر الله تعالى.

• لا يقي المرءَ من عذاب الله تعالى سوى تحقيق توحيده، والعمل على ما يحبُّ في أمره ونهيه، فمَن تعامى عن ذلك كان حقيقًا بالإنكار عليه.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾

• كيف لامرئٍ أن يدركَ طبيعة الدعوة العظيمة، ويرى حقيقتها الخالصة، وهو مُعرض عنها، ولا ينظر إليها إلا من زاوية ضيقة بنفسيَّة حاسدة رديَّة؟

• عجبًا لقوم لم يرتضوا النبوَّة لبشَر، وقد ارتضَوا الإلهيَّة لحجر!

• إن عدم العلم بالأخبار السابقة لا يقتضي أن ما تتضمنه الأخبار غيرُ موجود في الواقع والحقيقة.

• لو كانوا متبعين حقيقةً دينَ الآباء لكان أوَّلُ الآباء أحقَّ بالاتِّباع؛ فآدم كان من الأنبياء، وهو أحرى بأن يُقتدى به، ويُدان لله بما دان به.

• أوليس عجيبًا أن يدَّعيَ أعداء الرسول أن له عقلًا يكيدهم به؛ ليعلوَ عليهم ويسودَهم، ثم يُتَّهم بعد ذلك بالجنون؟!

• عناية الرسُل بحقِّ الله فوق عنايتهم بحقِّ أنفسهم؛ ألا ترى كيف طلب النبيُّ الكريم النصرة على أعدائه لكونهم كذبوا ما جاءهم به من عند الله، لا لكونهم آذوه وتربَّصوا به؟

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

• تأمَّل كيف علَّم الله تعالى نوحًا صناعة السفن، وحمل له على السفينة ما ينفع من الكائنات، وحدَّد الموعد والعدد، وأحاطه بحفظه وكلاءته، فكان نصرًا عزيزًا أمام أعين الكافرين، لم يستطيعوا أن يدفعوه أو يفسدوه منذ بدأ.

• مَن أعرض عن ربه هان عليه، فصار أهونُ المخلوقات في عينيه أكرمَ عند الله منه، فإنجاءُ حيوان بهيم منتفَع به أحسن من إنجاء الظالمين المشركين الذين لا وزن لهم عند الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

• سننُ الله تعالى لا تحابي أحدًا من أجل وليٍّ أو قريب، أو صديق أو حبيب.

• من طبع المؤمنين الرأفةُ بالمعذَّبين، حتى ولو كانوا كافرين، ولكن ذلك لا يكون مقبولًا في كل حال، فللرحمة مكانها المناسب، وللحزم مكانه الملائم.

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ
خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ
مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾

الحزب ٣٥

٣٤٤

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

• النجاة من القوم الظالمين من النعم التي يجب أن تُشكر على ألسنة الناجين.

• لا يُسَرُّ المؤمن بمصيبة عدوِّه من حيث كونُها مصيبةً له، بل يكون سروره بكونها عقوبةً كفَّ الله بها عن الناس ضرر الظالم وعدوانه.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

• على المؤمن أن يبتغي الخيرَ والبركة من ربه في تحوله وتنقله، فمنه الخير سبحانه، ولا حول للعبد إلا به.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

• في قصة نوح من العبر ما ينتفع به عقلاء البشر، فإظهار تلك المياه العظيمة، ثم إذهابها بعد حصول غايتها عِبرة كبيرة، وغسلُ الأرض من كل كافر عبرة أخرى بليغة.

• الابتلاء يكون للصبر وللشكر، وللتوجيه وللثواب، وللتأديب والتمحيص، وفي قصة نوح ألوان من الابتلاء له ولقومه، ولأبنائه القادمين من بعده.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾

• ما كان إلا أمدٌ يسير حتى أفنى الله جيلًا ذا عمر مديد، ظل يكذِّب أوّل رسول إلى أهل الأرض؛ ففي ذلك عبرةٌ لكل مَن حارب رسالة الله، وناصب الحقَّ العداء.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾

• الحدثُ وإن كان عظيمَ الكارثة قد تنسيه الأيامُ من الذاكرة، فتقسو القلوبُ وتظهر الآفات، فيحتاج الناس إلى مَن يذكِّرهم بالله، ويرقِّق قلوبهم بالعظات، وبما جرى لغيرهم من المَثُلات.

• مهما اختلفت القرون، وتغيَّرت اللغات، فإن مضمون الدعوة واحد، وهو التوحيد لله الواحد، الذي لا يُنجي العبدَ من عذاب ربِّه سواه.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ: أشرافُ قومِ هُودٍ ووُجَهاؤُهم.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

• متى كان أهلُ الترَف هم ملأَ القوم ومدبِّري أمرهم وليس أصحابَ الحكمة والعلم النافع والرأي السديد؛ فاعلم أن السفينة يُجدَّف بها إلى غير شطآن السلامة.

• لا تغترَّ بترَف مَن كفر، ولا تنظر إلى حُسن حضارته ومعالم متاعه وتطُّوره، فإن ذلك ليس دليلَ رضا الله ولا محبَّته.

• عجبًا كيف ينهونهم عن تبعيَّة البشر ويدعونهم إلى تبعيَّتهم، ويخبرونهم أن في حياة التوحيد عينَ الخسارة؟! فأين الربح إذن؟!

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾

• هل يعجز عن إحياء الموتى بعد أن وُجِدوا مَن أحيا أجيالًا من ماء مَهين لم يكونوا قد وُجِدوا؟

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

• سبحان الله! أيريدون أن ينزِّهوا الله عن الافتراء عليه وهم يشركون به، وينكرون قدرتَه على بعث خلقه، ورسولُهم يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان بقدرته، فمَن هو المفتري إذن؟!

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

• ليحذَر مَن يكذِّب الحق من استنصار داعي الحق إلى ربه، فما أسرع ما أجاب الله سبحانه وتعالى دعوة رسوله الكريم بأن ينصره! إذ لا بد للحق أن ينتصر، وللباطل أن ينكسر؛ فالله ناصر أوليائه، ومذل أعدائه.

• هكذا يُؤخذ المكذِّبون على حين غرَّة، فبينا هم مطمئنون نائمون، إذا بالعذاب يأتيهم وهم عنه غافلون، دونما تأهُّب منهم ولا توبة.

• لمَّا تخلَّى القوم عن الخصائص التي كرَّمهم الله بها، وقطعوا ما بينهم وبين ربِّهم لم يبق فيهم ما يستحقُّ التكريم، فإذا هم غُثاء كغُثاء السيل، مُلقًى بلا احتفال ولا اهتمام.

• ليت الظالمين يدركون أيَّ عاقبة ستكون نهايتهم، وأيَّ إهانة تنتظرهم في آخرتهم، وأي بعدٍ عن النعيم والثواب سيحيط بهم؟

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾

• هل من ظالم يعتبر بما جرى لأسلافه، فيدَعَ ظلمه ويتوبَ إلى ربِّه؟ فإن القرون الخالفة إن عقَلت تعتبر بالقرون السالفة فيما به أُخذَت.

مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا
تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ
وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا
وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا
ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ
﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا
تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم
بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٣٤٥

﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

• كلُّ أمّة من الأمم السابقة المكذِّبة كان لها أجلُ لهلاكها، وميقاتٌ لعقوبتها، ولو كانت آمنت ما عُوقبت، ففي ذلك عبرةٌ لمَن جاء بعدها.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

• حين يحِقُّ العذاب على قوم يريد الله لهم الفناء فإنه لا يُبقي منهم عينًا تطرف، ولا نسلًا بهم يُعرَف، ولكن يبقى الحديث عنهم على ألسنة البشر، يتذاكرونه لأخذ العِظات والعِبَر.

• رحمة الله بعباده متتابعة إليهم، فكما تتابعت الأمم وجاء بعضها إثر بعض، كذلك تتابعت رسل الله إليها بعضهم وراء بعض، فما أبعد المكذبين عن رحمة الله التي وسعت كل شيء!

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾

• إنما يكون السلطان لمَن يملك الحجة والبرهان، وأما مَن لا يملكها فلا سلطان له ولو كان له ما لدى فرعون وقارون وهامان.

• على الإنسان أن يحذَر كلَّ الحذر من الكِبر وبوادره، فإنه قد يسبق عقلَه وقلبه إلى ردِّ الحقِّ البيِّن، خصوصًا إذا رافقه علوُّ المنزلة وبسطة المال أو السلطان.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾

• مَن لم يعتبر بسُنن الله في إهلاك المكذِّبين، واقتفى آثارهم في أعمالهم، فسيكون الهلاك مصيرَه والعقوبة نهايتَه.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

• قرَّب الله تعالى إلى فرعون وقومه سبيلَ الهداية، وعيَّن لهم الجادة المُوصِلة إليها، فهل يرجون هداية إلى الله بغير ما يسَّر لهم؟!

﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾﴾

• جعل الله تعالى في مريم وعيسى آية دالة على كمال قدرته وحكمته، وآواهما في ظل حفظه وكرامته، وجعلهما آية مشاهدة يراها بنو إسرائيل، لعلهم إلى الحق يهتدون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾﴾

• كن وسطًا في التعامل مع الطيبات، فلا تمتنع منها، فما ذاك بمنهج الرسل الكرام، ولا تُسرِف في العناية بها إلى حدٍّ قد يغريك بارتكاب الحرام.

• تذكر وأنت تتناول الطيبات، وتعمل الأعمال الصالحات، أن الله يراقبك، ويعلم ما تفعله فيها، فكن في ذلك على ما يحب ربك ويرضاه منك.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾

• تتلاشى آمادُ الزمان وأبعادُ المكان أمام وحدة الحقيقة التي جاء بها الرسُل، ووحدة الطبيعة التي تميزهم، ووحدة الخالق الذي أرسلهم، ووحدة الاتجاه الذي يتجهون إليه أجمعون.

• ليس لشرك المشركين من دليلٍ تاريخي عن الأنبياء؛ فإن التوحيد دين الأنبياء أجمعين، وإن اختلفوا في بعض الأحكام والتشريعات.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾

• الناس من بعد الأنبياء أحزاب متنازعة، لا تلتقي على منهج، ألا ترى كيف تنازعوا الأمرَ حتى مزقوه بينهم مِزقًا، ثم مضى كل حزب بالمزقة التي خرجت في يده فرحًا؟!

﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

• إذا رأيت أناسًا يصرُّون على الخلاف المذموم، والتفرُّق المشؤوم، وتمزيق وحدة الكلمة، ولم ينفع فيهم وعظٌ ولا بيان، فاعلم أنهم في الضلالة غارقون، وإلى حين هلاكهم ماضون. نسأل الله السلامة.

﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

• قال قتادةُ: (مُكِر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم، فلا تعتبرِ الناسَ بأموالهم وأولادهم، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

• قال الحسن البصريُّ: (إن المؤمن جمعَ إحسانًا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا).

• لا يزال المؤمن في ازدياد من الإيمان قولًا وعملًا، ولا يفتأ يجدِّده كلَّ حين، شاكرًا لله تعالى إحسانَه وفضلَه، وجودَه وتوفيقَه.

• ألا يستحقُّ الموصوف بالربوبيّة جلَّ وعلا أن يُخشى وأن يُتقى، وأن يؤمنَ به، وألا يُشرك به؟

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ
هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ
يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ
آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ
جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ
فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾

٣٤٦

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠﴾

• يستشعر المؤمن فضل الله عليه، ويُحِسُّ آلاءه في كلِّ نفس وكلِّ نبضة، ومن ثَمَّ يستصغر كلَّ عباداته، ويستقلُّ كلَّ طاعاته، إلى جانب آلاء الله.

• كان سهلُ بن عبد الله التُّستَريُّ يقول: (إنما خوف الصِّدِّيقين من سوء الخاتمة عند كلِّ خطرة، وعند كلِّ حركة).

﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١﴾

• تبقى الخشية والإيمان وتحقيق التوحيد مجرَّد دعاوى، ما لم يصدِّقها السباقُ إلى الخيرات، والمسارعة إلى الطاعات.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٢﴾

• ما الذي يمنعُك من فعل الطاعات المؤدِّية إلى نيل الخيرات، وهي التي لا تخرج عن حدود وُسعِك وطاقتك؟

• لو أن العبد يوقن إيقانًا لا يخالطه ريبٌ بأن أعماله محفوظة، وعند الله مكتوبة، لما قصَّر في فعل الخير، ولأقصرَ عن عمل الشر.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ٦٣﴾

• خيرٌ للمرء أن يُخلي قلبه من مُلهيات الدنيا؛ فإنها إن غمرَت القلب غطَّته عن هدي هذا القرآن، وأوجبت لصاحبها أعمالَ أهل الضلال.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ٦٤﴾

• يجيء العذاب فجأة، فيأخذ المترفين، ويحوِّل حالهم من اعتزاز وغفلة واستكبار، إلى صَغار وانتباه وانكسار.

﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥﴾

• لو تفكَّر الكافر فيما سينتهي إليه أمره حين ينزل به عذابُ الله من الحسرة والندامة، والصُّراخ والاستغاثة، والاستنصار من غير فائدة؛ ما بقي على كفره.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ٦٦﴾

• مَن اتبع القرآن لن يزال في تقدُّم ورفعة، ومَن أعرض عنه فسيتقهقر، حتى ينحدر إلى أسفل سافلين.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ٦٧﴾

• استكبر المشركون عن قبول الحقِّ في موضع أمر الله أن يكونَ مكانًا للتواضع، ولكن حين طُبع الإعراض على قلوبهم ذهب كلُّ ذلك.

• لم يكفِ أهلَ الباطل هَجر الحقِّ، حتى جمعوا إليه هُجرَ القول ومنكرَه وسيِّئه ورديئه.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ٦٨﴾

• كيف يُعرِض عاقلٌ عن قولٍ جُمع فيه التناسُق والكمال، والبهاء والجلال، والحسن والجمال، وما يغذِّي الفِطرة، ويستجيش العِبرة؟

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ٦٩﴾

• كيف يجهل المشركون رسولهم الذي يعرفون أنه أصدق الخلق، وأعلاهم في كل معنى جميل، ثم يكذبونه ويعاندونه، مع أن سيرة المرء وسابق أمره يُعرف به صدقه من كذبه؟!

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ٧٠﴾

• عندما يغشى القلوبَ ظلامُ رَين الباطل لا يمكنها قَبول فجر الحق، ومن ثَم تتهم الحق وحامله إليها بما تعرف كذبَها فيما تقول.

• مَن أراد الحقَّ فليغسل قلبَه من أدران كرهه من حسد أو حقد، فبعض المعرضين عن الحقِّ يمنعهم منه كرههم له، لا جهلهم به فالمانع لديهم قلبيٌّ إراديٌّ لا عقليٌّ علميّ.

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ٧١﴾

• رحم الله تعالى العباد حيث لم يَكِلهم إلى عقولهم؛ لأنهم لو وكِلوا إليها لفسدت السماوات والأرض، فكل إنسان يقول: العقل عندي والصواب معي؛ ولكن الله تعالى بعث النبيين، وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

• ما كان للعرب من ذكر بين الأمم حتى جاءها الإسلام فأعلى شأنها، فمتى تخلت عنه لن يعود لها ذكر خطير، إلا حين تفيء إلى عنوانها الكبير.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٧٢ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٧٣ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ٧٤﴾

• الأنبياء أنصح الخلق للخلق، فقد أرشدوهم إلى الصراط المستقيم الذي به نجاتهم في حاضرهم ومآلهم، دون أن يطمعوا في جاههم أو مالهم، فثواب الله عندهم أعظم من ذلك.

• في الخروج عن منهج الرسل الكرام ضياعٌ في المجاهل المُهلكة، والمسالك الوعْرة، فمَن أراد الوصول إلى المقصِد المأمول، فأقرب طريق إليه هو صراط الله المستقيم.

﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

مُبْلِسُونَ: آيِسُونَ من كُلِّ خيرٍ، مُتَحَيِّرون.

• العاقل تؤوب به المصائب إلى ربه، والغافل لا تزيده إلا طغيانًا في أمره، وتماديًا في شره.

• العبد أضعف من أن يستكبر على ربه، والرب جلَّ وعلا لم يرد من عبده ذلك، بل أراد منه أن يستكين له ويتضرع اليه.

• لا يعذِّب اللهُ أحدًا في الدنيا إلا بذنبه؛ لعله بذلك يتوب من معصيته وينيب إلى ربه، وذلك هو مقتضى حكمته وعدله ورحمته بين خلقه.

• الطغيان والعناد يسوق صاحبه إلى الاستمرار على شره حتى يفارق دنياه إلى آخرته، غيرَ مستفيد في دائه من تأديب العقوبات العاجلة، فلم يبق له من شفاء لسقمه إلا دارُ السعير.

• فليحذر العبد من أن يبلغ بكفره ومعاصيه حدًّا يوجب عليه درجةً من العقاب تجعله ييئَس عند نزولها به من كلِّ خير.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

• ما أعظمَ نعمةَ الله علينا بالسمع والأبصار والأفئدة التي هي وسائل العلم والإدراك! فهل شكرنا الله عليها بثنائنا عليه، واستعمالها في مراضيه؟

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

• يا مَن تنتشرون في بقاع هذه الأرض ساعين فيها إلى مصالحكم؛ لا تغفُلوا عن الاستعداد لآخرتكم؛ فإنكم إلى الله عائدون، وعلى أعمالكم محاسبون.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

• ليس إلا الله يملك الموتَ والحياة، فالذي يهَب الحياة هو الذي يعرف سرها، ويملك أن يهَبها ويستردها.

• الكون كلُّه بيد الله تعالى وحده، يحكم في نظامه بما شاء وكيف شاء، فيبدئ ويعيد، وينقُص ويزيد، بحكمته تعالى وقدرته، فمَن يعقِل هذا النظام، ويستسلم لله على الدوام؟

﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

• يُعرض المشركون عن تدبر آيات الله تعالى الكونية والشرعية، ولا يُعملون عقولهم، وإنما يقلِّدون آباءهم، ولو تدبروا فانتفعوا وتركوا التقليد لهُدوا إلى التوحيد.

﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

• أيستبعدون على الله بعثهم بعد أن صاروا عظامًا وترابًا وقد خلقهم الله تعالى أول مرة، أفينكرون إعادتهم ولا يتفكرون في ابتدائهم؟!

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

• لقد أراهم الله من الآيات الدالة على البعث وإحياء الموتى ما لو تفكروا أقلَّ تفكر في ذلك لعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها.

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

• الإقرار بأفعال الرب لا ينجي من عذاب الآخرة حتى يضاف إليه الإقرار باستحقاق الله وحده للعبادة، فعبَدة الأصنام كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء وربُّه، فما أغنى عنهم.

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾

• إذا كانت السماوات ذات عدد يدل على عظمتها، فإنها لا تُعدُّ شيئًا إذا ما قيست بعظمة عرش المولى جلَّ وعلا.

الجُزْءُ الثَّامِنَ عَشَر — سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

الحزب ٣٥

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن
فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ
بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

٣٤٧

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

• نِعمَتِ التقوى حائلًا بين الإنسان وعبادة غير الله تعالى، فما عبد غيرَ الله مَن اتقاه.

﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

يُجِيرُ: يَحمِي ويُغِيثُ مَن يَشاءُ.

وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ: لا يُغاثُ أَحَدٌ ويُحمَى منه.

• سبحان مَن لا يملك التصرُّفَ في ملكوت السماوات والأرض غيرُه! فهو وحده سبحانه ذو الملك النافذ في كلِّ شيء، ظاهرِه وخفيِّه، كبيره وصغيره، قريبه وبعيده.

• مَن سوى الله تعالى يأخذ مَن أراد وإن نصره جميع الخلائق، ويعلي مَن أراد وإن تحاملت عليه كل المصائب؟

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

• عجبًا لقوم يعترفون بكمال أوصاف الله، ثم يتجهون إلى جمادات لا تضرُّ ولا تنفع، ولا حياة لها ولا منها! وكيف يُخدعون عن الحق الذي هو توحيد الله تعالى وهم يعترفون بأنه الخالق الرازق، المحيي المميت، المالك لكل شيء؟!

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن
وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾
عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ
﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

٣٤٨

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾

• مَن جاء بالحقِّ من عند الله تعالى فهو المحق الصادق، ولا يكذِّبه إلا مكابر مائق، مفترٍ على الله العظيم، ورسوله الكريم، ودينه القويم.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾

وَلَعَلَا: لغالَبَ وطَلَبَ العُلُوَّ.

عَمَّا يَصِفُونَ: عن وصفهم إيَّاهُ بالشَّريكِ والولَد.

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

• سبحان مَن تنزه عن الصاحبة والأولاد، وتعالى عن الأمثال والأنداد، لكمال وَحدانيته، وغناه وقيوميته!

• ليس من مخلوقٍ شذ عن سلطان الله فيُقال فيه: خَلَقَهُ غيرُ الله، وليس من أحدٍ نازَعَ الله في سلطانه فتكون له العظمة من دون الله، {ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين}.

• مَن تمَّ علمه تمَّت قدرته، وكملت قوته وقهره، فسبحان ربِّنا العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الذي لا شريك له ولا نظير.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

• على المؤمن أن يحرص على النجاة من عذاب الله وسخطه بالبعد عن معصيته، ومفارقة أهل غضبه وعقوبته؛ فإن البعد عن الظالمين من دعاء المؤمنين، والعجب من صالح يتقرب إليهم، ويحرص على صحبتهم! أفلا يخشى أن يصير إلى مصيرهم، أو ينزل به ما ينزل بهم؟

• أكثر من الدعاء بالحماية من المكاره، ولا تأمن على نفسك، وأصلح عملك؛ لأنك لا تدري أتُقبِّل منك أم رُدَّ عليك؟

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

• لو شاء الله تعالى لأرى نبيه بعينه مسيرة الصراع بينه وبين المشركين خطوة خطوة حتى يجيء نصر الله والفتح؛ فإنَّ مصارعهم عنده حاضرة؛ إلا أنه كتب لها آجالًا موقوتة.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾

• مما يعينك على أن تدفع بالتي هي أحسن علمُك بأن الله تعالى عالمٌ ومطَّلعٌ على عملك، وأنه لا يدع أولياءه نهبة لأعدائه.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾

هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ: وساوِسِهم ونَزَغاتِهم.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

• الشيطان مسيء أبدًا؛ فحضوره هلكة، وبعده عن المسلم بركة؛ لأن ذلك العدو مطبوع على الفساد، فلا تفيد معه المداراة ولا المدافعة بالتي هي أحسن، بل أحسن ما يدفع به أن يستعاذ بالله تعالى منه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾

• قال أهل العلم من السلف: (لا يسأل الرجعةَ عند الموت عبدٌ له عند الله ذرة من خير؛ لأنه إذا كان له خير عند الله فهو يحب القدوم عليه).

﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

• قال قتادةُ رحمه الله: (طلبَ الرجوعَ ليعمل صالحًا، لا ليجمعَ الدنيا ويقضي الشهوات، فرحم الله امرءًا عمل فيما يتمنَّاه الكافر إذا رأى العذاب).

• كلمة الموقف الرهيب ليست ككلمة الإخلاص المنيب، وإنما هي كلمةٌ تقال في لحظة الضيق، حتى وإن كان لها في القلب رصيدٌ من الصدق، فلن تقبل؛ لانقضاء وقت الإيمان وانقطاع التكليف.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾

• الأنسابُ كلُّها يوم القيامة منقطعة، إلا مَن كان يحظى بولاءٍ صحيح إلى العبودية، فذاك امرؤٌ تُرجى نجاته وينفعه ولاؤه، وليس مَن افتخر بمَن ولده أو مَن وُلد منه.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

• يا مَن تبغي الفلاح اسعَ نحوه جاهدًا بتثقيل موازين حسناتك؛ فإن الخسارة الكبرى أن يطيش ميزان السيئات بميزان الحسنات، فهلَّا تفكرت في هذه الحقيقة!

• ما الذي يتبقَّى لإنسان قد خسر نفسَه التي بين جنبيه، وفقد أعزَّ ما لديه، في وقت لا يمكنه تعويضُ ما خسر، ولا السلوُّ عمَّا ضيَّع.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

كَٰلِحُونَ: عابِسون قَلَصت شِفاهُهم، وبَرَزَت أسنانُهم.

• وجهك هو أشرف صورة تحميها، وتعابيره هي أحسن ما تظهر به، فاحذر عليه من لفح نار جهنم، ومن البؤس والشقاء والعبوس الذي يكون فيها.

أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ
رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ
أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا
فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ
سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠
إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ قَٰلَ
كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ
يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ
إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨

سورة النور

٣٤٩

﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾

• ما أشدَّ العتابَ على أهل النار وهم في حرِّها يصطلون، أما كان الإيمانُ بآيات الله في الدنيا أهونَ عليهم وأسلَمَ لهم ممَّا صاروا إليه؟

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦﴾

• يومَ القيامة يعتذرون بغلبة الأهواء والشهوات عليهم، وبانحرافهم عن الرشاد والهدى، غير أن ذلك الاعتذار لن يفيدهم في دار القرار، فطوبى لمَن سلك الصراط المستقيم الذي ينجيه من مآل أهل الندم والحسرة.

﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾

• يُقر أهل النار على أنفسهم حين لا ينفع الإقرار، ويطالبون بالخروج من النيران بعد فوات الأوان، ألا فليعتبر المعرض عن ربه اليوم، فيتوب إليه وهو حي قبل هذا المصير المُهين.

﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾

• حينما يغضب الجبَّار على المجرمين في النار، فإنه يُسمعهم من الكلام الأليم ما يزيدهم عذابًا إلى عذابهم، وحسرة إلى حسراتهم، فيا ربِّ، سلِّم سلِّم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾

فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا: اشتغلتم بالاستهزاء بهم.

﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾

• شتان بين مَن كان لاهيًا في الدنيا، غافلًا عن ربه، حتى صار إلى العذاب والهوان في الآخرة، وبين مَن كان مؤمنًا عاملًا، مستغفرًا ربه، مسترحمًا له، حتى ورد الآخرة من السعداء الفائزين.

• مَن اشتغل بالاستهزاء بالصالحين أنساه ذلك ذكرَ ربه، ومَن نسي ذكر ربه أساء إلى عباده.

• انظر إلى الجائزة التي تنتظر المؤمنين الصابرين على سخريَّة أهل الضلال بهم، إنه الجزاء من ربهم لا من غيره، فلا يعلم أحد سواه سبحانه عدَّه ولا حدَّه، فنعمَ الجزاء من رب السماء!

• أيها المؤمن الثابت على دينه؛ اصبر على استهزاء مَن استهزأ بما أنت عليه؛ فإن الفوز عقبى المؤمنين الصابرين، والخسارة عقوبة المستهزئين الساخرين.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾

• ما قيمة الدنيا حين ورود الآخرة، وحين يبكِّت المجرمون بالسؤال عن الدنيا التي رأوا أنها كل شيء، وأنها هي الغاية العليا، فما مقدارها عند ذاك السؤال؟

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾

• يا سوءةَ مَن ضيَّع الأيام المعدودات التي عاشها في دنياه الفانية، حين قضاها في سبيل معاصٍ أورثته عذابًا طويلًا.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤﴾

• لو علم المرء علمَ اليقين قلَّةَ لُبثه في الدنيا بالنسبة للآخرة ما اغترَّ بها، ولا عصى الله من أجلها، بل استعدَّ لها، ولم يقعُد قعودَ الجاهل بها.

﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾

• تأبى حكمةُ الله وعدلُه ورحمته ولطفه أن يكونَ خلقه للناس عبثًا، بل قضى بأن يكونَ هنالك يومٌ يرجع فيه الخلائق جميعًا إليه سبحانه، ليُحقَّ الحقَّ ويُبطِلَ الباطل.

• لا يدَع الملِك العظيم سبحانه وتعالى عباده همَلًا دون حساب وجزاء، فملكُه جل وعلا قد قام على الحقِّ والرحمة، والعدل والحكمة.

• العرش أعظم المخلوقات، والله تعالى هو ربه ومالكه، فمَن الإنسانُ أمام ذلك المخلوق حتى يظن أنه سيُعجز اللهَ أو ينجو من حسابه؟!

﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾

• كلُّ دعوى بألوهيَّة أحد مع الله هي دعوى ليس معها برهانٌ من الدلائل الكونيَّة، أو من منطق الفِطرة السويَّة، أو من حُجَّة العقل النقيَّة.

• ما يصيب المشركين من العذاب في الدنيا ليس هو الجزاءَ كلَّه، وإنما لهم حسابٌ عند ربِّهم هو أشدُّ وأخزى.

• ما أوسعَ ما بين فلاح المؤمنين الذي ابتدأت به السورة، وخسارة الكافرين التي انتهت بها!

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾

• هلَّا انقطعتَ إلى الله والتجأتَ إلى سبيل غفرانه ورحمته؛ فإنه العاصمُ لك عن المخالفات، والمنجي ممَّا آلت إليه أحوال مَن قبلك.

• يا مَن تدهشه رحمةُ إنسانٍ به؛ اعلم أن رحمة الله أوسعُ وأسبغ، فتجنَّب معصيته ومخالفته؛ لتنالَ مغفرته ورحمته.

الحزب ٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
(١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
(٣) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ
شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ
(٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ
(٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

٣٥٠

سورة النور

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾

• ما أعظمَ سورة النور وأفخم شأنها! فقد عظَّم الله إنزالها وفريضتها وآياتها؛ لِما احتوت عليه من الأحكام والآداب التي تحوط المجتمع المسلم بسياج من الحفظ.

• ما أحوجنا إلى تدبُّر هذه السورة الكريمة، والوقوف على هداياتها العظيمة! ففيها حجج عقلية ترشد إلى توحيد رب البرية، وفيها دلائل حكمية تهدي الخلق إلى الطريق السوية.

• حقُّ الآيات الكريمة والأحكام الشرعية أن تكون من الناس على ذُكر واستحضار؛ ليستضيئوا بنورها ويعملوا بمقتضاها.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾

• الإسلام منهج حياة متكامل، لا يقوم على الدعوة إلى أسباب الحياة النظيفة وحدها، بل يراعي طبائع النفوس وغرائزها، ويعرف تفلُّتها، فيعاقب بعد ذلك مَن خرج عن تلك الأسباب وخالفها.

• ألمُ العلاج النافع -وإن كان شديدًا- أيسرُ وأخفُّ من ألم المرض الباقي.

• سبحان مَن شرع الحدود تطهيرًا للمحدود، وزجرًا لأصحاب الشهوات من اقتراف الفواحش! وبذلك يصلح الفرد والمجتمع.

• ربما زيَّن الشيطان للناس التهاون في معاقبة المحدود؛ رأفة به، لكنَّ الإيمان بالله واليومِ الآخر يقتضي معاقبته رحمة به؛ حتى لا تنعدم الغَيرة ويَفسُد المجتمع.

• إن الحزم في تطبيق الشرع هو عين الرحمة؛ فصيانة الإنسان عن آثام الجرائم، وحفظ المجتمع منها ومن آثارها هو رحمة عظمى بالفرد وبالأمة.

• في حضور المؤمنين عذابَ المحدودين عظة واعتبار، ودعوة لهم واستغفار، وتأديب نفسي يَزجُرهم عن المعاودة.

﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

• لمَّا كانت الكفاءة في الدين معتبَرة، لم يَجُز فيه أن يزوَّجَ الفاجر من العفيفة، والمشرك من المسلمة.

• الزاني والمشرك يجمعهما الاستخفافُ بحدود الله تعالى، والانطلاقُ مع شهوات النفوس ومراداتها، فما أحرى المؤمنَ بالبعد عنهما، والتنزُّه عن أفعالهما!

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤﴾

• انظر إلى حرص الشريعة على صيانة الأعراض من التدنيس، وإطلاق التهم بلا أدلة قاطعة، ولولا ذلك لصدَّعت الألسنةُ جدارَ العفة بين الناس، ولتهاوتِ الأعراض مجرَّحة ملوَّثة.

• اطِّرادُ سماع التهم يوحي للنفوس المتحرجة بأنَّ جوَّ المجتمع ملوَّث، فتهون في أحاسيسهم بشاعتها، فيقدمون عليها من غير مانع من حرج.

• ردُّ شهادة القاذف قطعٌ معنوي للسان؛ لكونه قذفًا، كقطع اليد حقيقة في السرقة لأنها سرقت، فالآلة الخائنة أحق بالقطع حقيقة أو حكمًا.

• ما أعظم ذنب قذف المحصنات بين ذنوب الفسق! فكأنه هو الفِسق عينه، وأهله هم الأحقّاء بهذا الوصف لا غيرهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

• توبة القاذف من تهمته مشروطة بإصلاح عمله؛ فإن المغفرة والرحمة للمصلحين.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧﴾

• حرس الشرعُ الحكيم العِرض من الطعن حراسة شديدة؛ لأن بخدشه طأطأة رؤوس العزة والشرف، فلا تُقبل فيه تهمة متهم إلا بشهود أربعة، أو شهادة زوج على زوجه بالملاعنة.

• مَن كان كذبه سببًا في تعريض امرأته للعن غيره بسبب طعنه استحق لعنة ربه جزاء بَهته.

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨﴾

• يتشوَّف الشارع لدرء الحدود، ولا يتشهى إقامتها لتعذيب أهلها إذا وُجد سبب شرعي لدرئها؛ فالملاعِنة يسقط عنها الحد بشهادتها، وإن كانت في باطن الأمر على خلاف ما شهدت.

﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٩﴾

• ما أحقَّ المرأة بغضب الله تعالى حينما تدنِّس فراش زوجها ثم تكذبه بعد ذلك، وتنتهك ما نهاها الله عنه ثم تستهين بعظمته عز وجل!

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

• الله كثير التوبة على عباده، وهو يدعوهم إليها، فلا ييئَسنَّ مذنب من رحمة الله مهما فعل.

• التشريعات التي شرعها الله لحفظ العرض والأسرة جاءت عن حكمة بالغة من رب حكيم فهي بذلك صِمام أمانٍ للحياة الخاصة والعامة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ
هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ
كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا
جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤
إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ
وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ
قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ
١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠

٣٥١

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾

• قد يتوارى جمعٌ من أعداء الإسلام وراء ستاره، فيكيدون في الخفاء له ولأهله من أجل تفتيته وتشويهه، والقضاء على عناصر القوة فيه.

• ما أعظمَ الإفك الذي رُميت به الطاهرة العفيفة عائشة الصديقة! فإنه لم يأت في القرآن تعريف الإفك بالألف واللام إلا في هذا الموضع؛ لبيان شناعة ما رُميت به، رضي الله عنها.

• إنه لخيرٌ عظيم أن يُنزل الله تعالى براءة عبده من السماء، ويجزل له الأجر في الآخرة، ويجعل من خبره قرآنًا يُتلى، موعظة للمؤمنين، ونقمة من المفترين.

• كم كان لهذا الحدث من أثر عظيم في يقظة الأمة، وتبصيرها بحقيقة عدو كاشح في الماضي والحاضر! وكم من الأحداث ظنها الناس شرًّا، فأصبحت خيرًا عظيمًا.

• يترتب الإثم على ما حصل فيه تصميم وعزمٌ قوي صدَّقه العمل، وكلما عظم العمل عظم الإثم والعقوبة.

﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾

• المؤمنون والمؤمنات يحسنون الظن بإخوانهم، فلا تنطلق ألسنتهم بالتهم التي ينزهون أنفسهم عنها؛ لأنهم كنفس واحدة، صالحة طاهرة.

﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣﴾

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾

• لا يجوز لمسلم أن يرمي مسلمًا في عرضه، وليس له حجةٌ تصدقه، وإذنٌ من الشرع يؤيده؛ وذلك حفاظًا على سمعته، وأمانًا للمجتمع، فما أعظمَ حرمةَ المسلم عند الله!

• كيف لا يترتب على هذه الإشاعة الكاذبة عذاب عظيم، وقد سببت الأذية لرسول الله الكريم وصاحبه الصدِّيق، وخدشت عرض الحصان الطاهرة بفرية على صحابي كريم؟

﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾

• حين يغيب التثبُّت يتلقَّى لسانٌ عن لسان بلا تروٍّ، حتى لكأن القولَ لا يمرُّ على الآذان، ولا تتملَّاه الأذهان، ولا تتدبَّره القلوب.

• على المرء ألا يقولَ بلسانه إلا ما يعلمه ويتحقَّقه، فلا يتكلَّم بالباطل، ولا يقول ما لا يدري به، وفي هذا زجرٌ بليغ عن التهاون في إشاعة الباطل.

• إذا كان الكلامُ في أعراض الناس خطيرًا، فإنه في عِرض بيت النبوَّة الطاهر أعظمُ خطرًا، ولا يصدر إلا عن غافلٍ أو منافق.

﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦﴾

• من الأدب العظيم في الإنسان أنه متى سمع كلامًا سيئًا أو وصل إليه بأي طريق فعَلِق بذهنه أن يتبرأ منه، ويدافع عن المسلم المفترى عليه.

• أيُّ بهتان أعظم من أن يَطعُن امرؤٌ في عِرض سيِّد الخلق ﷺ، وزوجه الطاهرة الشريفة، وصحابي جليل كريم؟

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧﴾

• حريٌّ بمَن كان بالإيمان موصوفًا أن يكون بالتقوى وحفظ اللسان معروفًا، فيُمسك لسانه عن فضول الكلام، ويجنبه الوقوع في الآثام.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨﴾

• إذا عُرفت الأحكام والمواعظ، وسُمع الترهيب، كان الزلل بعد ذلك أشد من الزلل قبله.

• سبحان مَن يعلم البواعث والغايات، والأهداف والنيات، ويعلم مداخل القلوب والنفوس، الحكيم في علاجها وتدبير أمرها، ووضع النظم والحدود التي تصلح بها!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾

• عن عطاء رحمه الله تعالى قال: (مَن أشاع الفاحشة فعليه النَّكال وإن كان صادقًا).

• ما أبغضه الله تعالى من فعل الفاحشة، أو القذف بها أو إشاعتها، أو الرضا بفعلها، فعلى المؤمن أن يبغضه ولا يرضاه.

• ليحذر الذين يتبنون مشاريع الفساد والإفساد في الأرض من عذاب أليم في الدنيا قبل الآخرة.

• أيظنُّ مَن يضمر الرغبة في شيوع الفاحشة أن الله تعالى غير مطَّلع على ما في نفسه؟!

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠﴾

• سبحان مَن كان فضله ورحمته سببًا لبيان الأحكام والمواعظ، وإمهال المخالفين لها، ولولا ذلك لحصل الحرج، ونزلت العقوبة بلا مهلة!

الحزب ٣٦

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ
مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ
لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ
ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا
كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ
لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ
أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧

٣٥٢

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾

• لو تفكَّر المؤمن في طبيعة المعصية، وأنها اتباعٌ لخُطا عدوِّه الشيطان لنفرَ منها طبعُه، وارتجف وِجدانه، واقشعرَّ خياله.

• الشيطان يتربَّص بالمؤمن حتى يوقعَه في شَركه خطوةً خطوة، فيوشك مَن خطا أولى الخطوات أن يصلَ إلى آخرها، فاقطع عن نفسك طريقَ الشيطان إليك من أُولى الخطوات إليه.

• مهما بدا للمرء أن ما يدعو إليه الشيطان يسير، أو ليس في فعله ضررٌ كبير، فليعلم أن مآل تتبُّعه الوقوعُ في حبال الفحشاء أو المنكر.

• ومَن ذا الذي يُغرِّر بنفسه بعد هذه الآيات ثقةً بعلمه وتديُّنه وصبره دون أن ينظرَ إلى فضل الله عليه ورحمته؟!

• سَلِ الله من فضله دون أن يَعزُبَ عنك أن أعظم فضلٍ عليك طهارةُ قلبك وزكاة نفسك.

• إن السميع للهمسات، العليمَ بالفعال والخطرات، المزكي للأنفس، يجب أن يُقدرَ حقَّ قدره، ويُرجى منه فضله ورحمته.

﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾

• إن للقرابة والمسكنة والهجرة والأعمال الفاضلة حقوقًا لا تمحوها الإساءة ولا تمنعها الزلَّة عند الأماثل من أهل الفضل.

• مهما كان العفو والصفح على النفس المكلومة شديدًا فتخلَّق به؛ فإنه خلقٌ عظيم وثوابه كبير.

• طوبى لمَن أسدل ستار الحِلم على إساءة مَن أساء إليه عفوًا منه عن صاحبها، وأعرض عن تلك الإساءة، حتى لا تكاد تخطُر على باله صفحًا منه عن فاعلها.

• للأقارب حظٌّ من عفو الإنسان وصفحه، فلا يكون الأباعد أوفرَ حظًّا منهم فيه، والإساءةُ قد تكون واحدة أو متقاربة.

• ما أسعدَ أهل العفو والصفح ابتغاء وجه الله بمغفرة الله ورحمته!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾

• الغفلةُ عن القبائح مانعةٌ من فعلها؛ إذ لا يتأتَّى فعلها إلا بالعزم عليها، وتحصُل هذه الغفلة بإيجاد الأسباب الشاغلة عنها؛ من الواجبات والمسنونات والمباحات.

• كيف لامرئ لديه إيمان أن يقذِف امرأة مؤمنة؟ كان الأجدر به أن يحسن الظنَّ بها لإيمانها، ولا يقع في عرضها، بل يدافع عنها، ويرد عادية التهم المتجهة إليها.

• رميُ المرأة بالفاحشة أشدُّ من رمي الرجل؛ لِما يترتب عليها وعلى أهلها من العار؛ فلذلك صرح الله تعالى بالمحصنات دون المحصنين.

• يقام الحدُّ على القاذف، فتسقط شهادته، واعتباره في المجتمع، وتلك هي عقوباته في الدنيا، التي تسبق عذابه في الآخرة من غير توبة نصوح.

• مَن أحبَّ أن تنتشر قالةُ السوء في المجتمع، وتَشيع الفاحشة بين المؤمنين، فسعى إلى ذلك، فإنه سيحمل وزر ما اقترف، ووزر مَن به اقتفى.

﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾

• إذا أشرقت شمسُ القيامة شهدت على الأفاكين ألسنتهم التي نطقت بالفِرية، وعضد شهادتَها شهادةُ اليدين والرجلين، فكانت على كذب اللسان كالشهود الأربعة.

﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾

• إذا وُفِّيَ العبد ما يستحقه من جزاء الخطايا فإنه يهلك، وإنما النجاة برحمة الله وغفرانه.

﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾

• جرى ميزان العدل على أن كل خبيث من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب للخبيث وموافق له، وكل طيِّب من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب للطيب وموافق له.

• ما يصيب المؤمنَ من قالة سوء هو منها بَراء، فليصبر عليها، فما وراءها إلا تكفيرٌ لذنوبه، ورفعة لمنزلته، ورزق حسن له في جنات النعيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾

• من منهج التربية الإسلامية تضييقُ فرص الغَواية، وإبعاد عوامل الفتنة، وإزالة العوائق التي تحول دون الإشباع الطبيعي بالوسائل النظيفة المشروعة.

• للبيوت حُرمةٌ تمنع من أن يُفاجأ الناسُ فيها بدخول الغرباء عليهم إلا بعد استئذانهم، حتى لا يطَّلعوا على عورات أهلها وهم غافلون.

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ
وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾
وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٣٥٣

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

• رعايةُ الخصوصيَّات وتعظيمُ الحُرمات الشخصيَّة دعت إليها الشريعة الإسلاميَّة قبل الأنظمة الوضعيَّة، فلا ينبغي دخولُ بيت إنسان إلا بإذن صاحبه وإن كان خاليًا.

• تكرارُ الاستئذان من غير ضرورة إلحاحٌ غير محمود، والوقوف الطويل على أبواب الناس خُلقٌ غير مرغوب.

• رجوع المستأذِن إن لم يُجَب خير له من الإلحاح؛ فإن للمَزور أحوالًا لا يُحب غشيان الضيوف عليه فيها، ويكره الكريم منهم الردَّ الصريح على الزائرين.

• لا يكن في نفسك غضاضة ولا على أهل البيت ملامة إن طرقت بابًا وقيل لك: ارجع؛ فإن للناس أعذارًا، وللبيوت أسرارًا، وهو أطهر لقلبك من كره أهل البيت؛ لعدم إذنهم لك.

• إذا رجَع المستأذن امتثالًا لوجه الله فإن الله هو العليم بنيته، فيرجى له بصلاحها الثواب والأجر، وزكاة النفس.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

• من تيسير الله أن أباح دخولَ البيوت غير المخصَّصة لسُكنى أناسٍ بعينهم من غير استئذان؛ لحاجة الإنسان إلى التردُّد إلى تلك البيوت والارتفاق بها، وأخذ حوائجه منها.

• خيرُ ما يعين المرء على ضبط تصرُّفاته، وحفظه حقوقَ غيره، وصيانته حرُماتهم، أن يراقبَ الله، ويستحضرَ اطِّلاعه على أقواله وأفعاله.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

• إنما جُعل الاستئذان من أجل النظر، فعلى المؤمن أن يغضَّ بصره عمَّا لا يحلُّ له النظر إليه.

• أهل الإيمان هم أولى الناس بغضِّ البصر، فمَن رتَعَ بصرُه في محاسن النظر فليراجع إيمانه.

• البصر رائد الشهوة إلى المنظور، فمَن حفظ بصره أعين على حفظ فرجه من الحرام، ومَن أطلق البصر يوشك أن يقع في الخطر أو الغم.

• في الالتزام بالشريعة طهارة لمشاعر العبد بأن لا تتلوث بالمحرَّمات، ولا ترتكس إلى الدركات، ومن مظاهر ذلك الالتزام الحفاظ على الأعراض.

• مَن حبس بصره عن محارم الله تعالى أطلق الله له نورَ بصيرته، وفتح له باب العلم والإيمان والمعرفة.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

• لمَّا كان في بعض الرجال ما يُعجِب الأنثى إذا نظرت إليه، كانت مأمورةً بأن تغضَّ بصرها عنه.

• ميلُ الرجل إلى المرأة، والمرأة إلى الرجل أمرٌ جِبِلِّي، وخُلقٌ طَبَعي، فكما يؤمَر الرجل بغضِّ بصره وحفظ فرجه، فكذلك المرأة.

• انظر إلى دقة التعبير القرآني؛ فإن المرأة لما كانت مأمورة بالصيانة والتستر في كل مكان يمكن أن تصل إليها عينٌ لا يحل لها النظر إليها، فقد ذكرت الزينة دون مواقعها.

• المرأة الحريصة على تمام سَترها وحشمتها هي التي تُعِمُّ حجابها الساتر على كلِّ موضع منها، وإطالةُ الخمار حتى يصلَ إلى الجيب من أقوى أدلَّة الحجاب الساتر للوجه وما حوله.

• ما من أنثى إلا وهي مولعةٌ بجمالها، ويطربها ثناء الناس على حُسنها ورونقها، فخصَّ الإسلام بذلك زوجَها، وأباح إبداء بعض ذلك لمحارمها.

• حفظُ المرأة زينتها لزوجها إكرامٌ لها، وحرصٌ عليها، وطريقٌ إلى إدامة العَلاقة بينهما، وحمايةٌ لها من العيون القاتلة، والذئاب الصائلة.

• تعداد مَن يُباح إظهارُ بعض الزينة لهم دليلٌ على شدَّة حُرمة اطِّلاع غيرهم عليها، فقد وصفهم الله وسمَّاهم بدقيق الوصف.

• من زينة المرأة ما تُغرى به العيون، ومنه ما تُغرى به الآذان، فوجب عليها سَتر ذلك كلِّه.

• شريعة تنهى عن ضرب الرِّجل؛ حتى لا يُعلمَ ما تخفي من زينتها، لا يمكن أن تبيحَ ما هو أشدُّ فتنةً للرجل من مجرَّد صوت خلخال.

• أيتها المؤمنة؛ توقَّي كلَّ حركة تهيج الشهوة الكامنة، أو تعلن الزينة المستورة، أو توقظ المشاعر النائمة.

• انظر كيف ذكر القرآنُ الوسائل الوقائيَّة، من فعليَّة وقوليَّة وإراديَّة، تمنع وقوع الزنى في مجتمع الطهارة والعفاف.

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟
فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
الحزب ٣٦
مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾

٣٥٤

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

• الزواج هو الطريق الطبيعيُّ لمواجهة الميول الجنسيَّة الفِطرية، وهو الغاية النظيفة لها، فيجب أن تزولَ العقبات من طريقه لتجريَ الحياة على طبيعتها.

• عن أبي بكر رضي الله عنه قال: (أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، يُنجز لكم ما وعدَكم من الغنى).

• الله سبحانه هو الغنيُّ الذي لا يَنقُص ملكه، ولا تنفَد خزائنه، مهما بلغ إنفاقه على خلقه، وهو العليم الذي يبسط الرزق لمَن يشاء ويَقدِر، حسبما تقتضيه حكمته.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

• أبشروا معاشرَ المستعفين وأمِّلوا خيرًا؛ فقد وعد الله تعالى بالتفضل عليكم، فأنتم من أولى الناس بفضله؛ لحرصكم على العفة والصيانة.

• حين تأمر الشريعة السادةَ بالاستجابة لطلب عبيدهم في المكاتبة، وتحقيق حاجتهم في الزواج؛ فإنما تُعين الأَمَة على الحرية، وتربِّيها على العفَّة.

• المال مالُ الله تعالى، وهو الذي يسِّر للعباد أسبابه، فمَن تصدَّق منه فقد شكر معطيَه، ومَن منعه فقد جحد نعمتَه، والجحود من أسباب الحرمان، وأولى الناس بمالك مَن تحت يدك.

• يريد الإسلام للبيئة المؤمنة الطهارةَ من كلِّ رجس، وإغلاقَ كلِّ باب للمتعة المحرَّمة؛ حتى يبحثَ الناس عن الطريق الواحد النظيف.

• من رحمة الله تعالى بعباده أنه لا يؤاخذهم بأفعالهم القائمة على الإكراه المُلجِئ الذي يخلو من الاختيار والرضا.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

• أهل التقوى هم أهل الإفادة من الآيات الواضحات، والدلائل الواعظات، والأمثال المضروبة عن الأمم الخالية.

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

كَمِشْكَوٰةٍ: المشكاة هِيَ: الكُوَّةُ في الحائطِ غيرُ النافِذة.

• الله تعالى نور، وكتابه نور، وهدايته نور، وحجابه نور، وبنوره سبحانه استنارت السماواتُ والأرض وما فيهما، فلولا نورُه تعالى المبثوث في الأرض لتراكمت الظلماتُ بعضُها فوق بعض.

• نور الله تعالى الذي يودعه في المؤمن هو من معرفته ومحبته وذكره، فإذا تمكَّن من القلب وأشرق فيه ظهر على الوجه والجوارح، وتجلَّى في القول والعمل.

• قلب المؤمن يشرق بنور مصدره، ومصدرُه شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة، فأي جانب من جوانب الحياة شعَّ فيه هذا النور تلألأ بالصفاء، وتسربل بالبهاء.

• لا أصفى من الوحي السماوي ولا أنقى، ولا أعذبَ ولا أزكى، فمَن أراد صفاءَ دنياه وآخرته فليكن الوحي دليلَ طريقه وحياته.

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كذلك يكون قلب المؤمن؛ يعمل بالهدى قبل أن يأتيَه العلم، فإذا أتاه العلم ازداد هدى على هدى، ونورًا على نور).

• مشيئة الله تعالى هي مناط الهداية ومِلاكها، فمَن لم يُعِنه من الله توفيقٌ إليها فما له من معين.

• يا سائرًا على طريق النور، احمد الله عليه، وتشبث به؛ حتى تأتي يوم القيامة وهو يسعى بين يديك، فكم حُرم هذا النورَ أناسٌ هم أذكى منك وأقوى، وأعلم وأغنى!

• لضرب المثل اتصالٌ وثيق بباب الإرشاد؛ لأنه يبرز المعقول في هيئة المحسوس، ويصوِّر أوابد المعاني بصورة المأنوس.

• كلام الله تعالى في غاية البيان، فتدبَّره بإمعان؛ يفتّح الله لك ما استغلق على فهمك منه.

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾

• بيوت الله هي مشكاةُ الأنوار التي يُقتبس منها نورُ الإيمان ونور القرآن، فمَن كان أكثرَ اتصالًا بها ازداد نورًا وإشراقًا.

• ليست عِمارةُ المساجد ببنائها فحسب، ولكن بصيانتها وذكر اسم الله تعالى فيها بالصلاة وغيرها، فهذا أشرف أنواع عِمارتها.

• طوبى لعبدٍ استفتح نهاره بذكر الله تعالى واختتمه به، راجيًا أن يحفظَه الله ويبارك له فيما بينهما.

الجزء الثامن عشر — سورة النور

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ
وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَٰرُ ٣٧
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ
يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا
وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٣٩
أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ
سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ
يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ
قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ٤١ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٤٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَٰرِ ٤٣

٣٥٥

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَٰرُ ٣٧﴾

• كان الصحابة رضي الله عنهم يمارسون التجارة والصفق في الأسواق، غير أن فرائض الله تعالى متى حضرت فلا يَشغَلهم عنها شيء.

• المؤمن لا تُلهيه عن عبادته تجارةٌ مهما أربحت، ولا صفقةُ بيع مهما أغرت.

• حقٌّ على كل عاقل أن يخاف يومًا تضطرب فيه الأبصار والقلوب عن مواضعها من شدة الخوف والوجل، كما يتقلب المرء في مكانه.

• امتلاء القلب رهبةً من أهوال الآخرة يدفع صاحبه إلى الإكثار من ذكر الله تعالى والصلة به، وترك الانشغال بلهو الدنيا، والانشغال بما يؤمِّن الإنسانَ يوم الفزع الأكبر.

• إن انصراف المرء إلى ملهيات الحياة، تاركًا بذلك حقَّ الله يدل على أنه قليل الخوف من يوم القيامة، ولو أن ذلك اليوم العظيم حاضرٌ في قلبه لصرفه عن ذلك اللهو.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨﴾

بِغَيْرِ حِسَابٍ: بلا عَدٍّ، ويُعطى من الأجرِ ما لا يَبلُغه عملُ العامِل.

• هل تأملتَ في كرم ربك في ثوابه لك، حين تعمل ما أمرك به، فإنه سبحانه يعطيك ثواب أحسن العمل، ويزيدك من فضله عليه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٣٩﴾

كَسَرَابٍ: السراب هو ما يُشاهَدُ كالماء على الأرض المُستويةِ في الظَّهيرة.

بِقِيعَةٍ: القيعة الأرضُ المُنخفِضةُ المُستويةُ.

• لتكن عنايتُك بصحة عملك وإخلاصك فيه بالغة؛ لتجد ثوابه يوم القيامة حاضرًا غير غائب، مقبولًا غير حابط.

• كُل عمل لا يزكّيه الإيمان هو أشبه بالميتة، لا يؤكل لحمها وإن كانت من أطيب الحيوان لحمًا!

• ما من صاحب باطل يرجو من باطله أن ينفعه يومًا ما إلا وجده خائنًا له في وقت هو أحوج ما يكون إليه.

• إذا كان الظمآن ينتهي أمرُه عند رؤية السراب بخيبة الأمل فإن الكافر بعد النصَب والتعب سيجد مع خيبة الأمل هذه جزاء وافيًا لا تخفيف فيه، فما أعظمَها من خيبة!

• ما أشقى العاطلَ من العمل الصالح حين لقاء ربه، يوم يلاقيه وهو له بالمرصاد، ليجزيه جزاء عمله السيئ كاملًا غير منقوص!

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾

• ما أشبهَ تلاطمَ الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة في القلوب المظلمة التي تراكمت عليها سحب الغيِّ والهوى والباطل بتلاطم أمواج البحر ومن فوقها سحاب مظلم!

• لمّا كان الجهل والكفر والظلم والهوى ظلماتٍ بعضُها فوق بعض، كان المتقلِّب فيها منغمسًا في ظلمات القول والعمل، والمدخل والمخرج والمصير.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ٤١﴾

صَٰٓفَّٰتٍ: باسِطاتٍ أجنِحَتَهُنَّ في الهواء.

• لستَ وحدك العابدَ في هذا الكون الواسع، فحيث امتدَّ بك النظر، أو طافت بك الفِكَر، فثمةَ خلائق تعبد الله تعالى وتذكره في السماء والأرض وما بينهما.

• تلك الطيور الباسطة أجنحتَها في السماء تذكر الله تعالى بتسبيحها، متواضعة لربها وهي في علوها وارتفاعها.

• لقد علمت المخلوقات ما تقوم به من صلاة وتسبيح، فسبحان مَن علَّمها وهداها، وأحاط علمًا بعملها!

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٤٢﴾

• كيف لا يُعبد مَن لم يخلق الكونَ سواه، ولا يملك التصرُّف فيه غيرُه، ومَن لا مرجعَ للخلق إلا إليه، ولا مفرَّ للعبد من أن يُعرض عليه؟!

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَٰرِ ٤٣﴾

• يصيب سبحانه وتعالى بالمطر والبَرَد مَن يشاء من خلقه، ويصرفه عمن يريد من عباده، حسب حكمته وتقديره، لا حسب طلب المخلوق ومشيئته.

• في دويِّ الرعد وزمجرته ولمَعان البرق وتألقه تنبيهٌ للعقول السابحة في متاهات الغفلة، كي تتذكر قدرة الخالق وقوته، وعجز المخلوق وضعفه.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن
يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ
وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ
يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا
كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن
يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل
لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

الحزب ٣٦

٣٥٦

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

• تقليب الليل والنهار؛ بمجيء أحدهما بعد الآخر، واختلافهما طولًا وقِصرًا من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى، فهل تأمّلنا ذلك؟

• ما من ذي بصيرة مشرقة إلا وهو يعتبر بما يراه من مظاهر القدرة الإلهيَّة، ويشهد لمبدعها سبحانه وتعالى بالقدرة التامَّة والعلم الكامل، وأنه الإله الواحد لا شريك له.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾

• هذا الماء قد جعله الله تعالى أصلَ وجودك، ومنه ما هو سببٌ لدوام حياتك، فهلّا حمِدتَّ الله تعالى على نعمة وجوده؟

• تشترك الحيَوانات جميعها في مادَّة تكوينها، وتختلف في أشكالها وأفعالها وأسلوب حياتها، وكلُّها لله تعالى مطيعة منقادة إلى ما خلقها له، فسبحان الخالق العليم!

﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾﴾

• حين يتحاكم الناس إلى شريعة الله، فإنما يتحاكمون إلى شريعة مبيَّنة واضحة مضبوطة، لا شبهةَ فيها ولا إبهام، ولا التباسَ ولا غموض.

• جعل الله للهدى طريقًا، مَن اتصل به أوصله بمشيئة الله، ومَن حاد عنه فقد ولج في الضلال، وذلك حسب مشيئته تعالى في الهدى والضلال.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

• لا ينفكُّ المنافقون يعاودون الكذب؛ يكرِّرونه ويجدِّدونه، ويستمرُّون فيه ويستمرئونه.

• ليس الإيمان متاعًا يأخذه المرء متى يشاء ثم يدعه، وإنما هو تكيُّفٌ في النفس، وانطباعٌ في القلب، وعملٌ في الواقع.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾

• الرضا بحكم الله ورسوله من أدلة الإيمان الحق، وهو المظهر الذي ينبع عن استقرار الإيمان في القلب.

• المُريب يتهرَّب من الحقِّ إذا دُعي إليه، ويجتهد في الفرار منه كلَّما عُرض عليه، خشيةَ أن يَفضح نيَّته.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

• لا يجد الحقُّ قبولًا لدى المنافقين حين الاحتكام إليه إلا إذا وافق أهواءهم، ونهض بمصالحهم، ووصلوا به إلى رغباتهم.

• هنالك مَن يبحث في النصوص الشرعية عن براهين قناعاته السابقة، فهو يعتقد أولًا، ثم يبحث عما يثبت به ذلك المعتقد، لكن المنتفع بالوحي حقًّا هو مَن تجرَّد للحقِّ وأخلص وانقاد.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

• حين تختلُّ الفطرة عند امرئ وينحرف عن الجادَّة فإن المرض يعشش في قلبه، فلا يتذوق حلاوة الإيمان، ولا يسير على نهجه القويم.

• الاعتقاد الذي لم يُبنَ على يقين محكم يتملَّكه الارتياب، ويصرفه عن الرسوخ في الصواب.

• إذا أعرض المرءُ عن شريعة الله تعالى ورسوله خشيةَ ألا تعدل في أحكامها فيه فقد أساء الظن بربه، وأخرج مرض قلبه، وظلم نفسه.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾

• المؤمنُ يثق بعدل الله في حكمه، وبصواب ما جاء في تشريعه، فيُقبل عليه، ويتحاكم إليه، قضى له أو قضى عليه.

• أفلح مَن يُدبِّر الله له أمره بحكمته وعلمه ورحمته، فيرضى بذلك ويسلِّم، ويطمئن إلى عدالة حكمه القويم، ومنهجه السالك السليم، لا يمزقه الهوى ولا تقوده الشهوات؟

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

• المؤمن يتردَّد بين الخشية والتقوى، فيخشى الله على ما مضى من ذنوبه، ويتَّقيه بفعل الخير من أجله، وتجنُّبِ ما نهى عنه من معصيته، وذلك طريقه إلى الفوز برضا ربِّه، ودخول جنَّته.

﴿۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

• من الناس مَن يدَّعي البطولة في الرخاء وقبل المواجهة، فإذا جدَّ الجِدُّ كان من أجبن الناس، وأحرصهم على حياة، فلا يكُن ذلك حال مَن يرجو الله والفوز بنعيمه.

• لا قيمةَ للقَسَم إذا كان عملُ صاحبه يخالفه ويكذِّبه، فعظِّم اليمين، واعمل أعمال المؤمنين.

• لئن راج الحَلِف على المخلوق إنه لا يخفى كذبُ صاحبه على الخالق العليم الخبير الذي يعلم السرَّ وأخفى.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

• الطاعة الصادقة تكشف عمَّا في الضمير من نية، فمَن صدق كان إسراعُه إلى العمل لا إلى الوعد به؛ إذ طاعةٌ في الوقت أولى من تسويف بالوعد.

• على الرسول مُهمَّة هي البلاغ المبين، وعلى الناس مهمَّة هي الاستجابة له، فإن أعرضوا فليس عليه حسابهم، وإن أقبلوا فعلى الله أجرُهم وثوابهم.

• سئل بعض الصالحين: كيف الطريقُ إلى الله؟ فقال: أصحُّ الطرق وأعمرها وأبعدها من الشُّبه اتّباعُ الكتاب والسنَّة، قولًا وفعلًا وعقدًا ونيَّة.

• مَن أراد الهداية إلى كل خير فطاعةُ الرسول عليه الصلاة والسلام هي طريق ما أراد، ومَن حاد عن ذلك فلا هدى له بين العباد.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

• لمَّا كان الصحابة أقومَ الناس بعد رسول الله ﷺ بأوامر الله تعالى وأطوعهم له مكَّنهم الله من سيادة العباد وحكم البلاد، ونصرهم حين أظهروا كلمتَه وانتهجوا محجَّته.

• من أنفع الأشياء في رسوخ الإيمان بعد تدبُّر القرآن العظيم وكلام رسوله الكريم مطالعةُ السِّيَر والفتوحات.

• إنما يكون تمكين الدين في القلوب قبل أن يكون في تصريف الحياة وتدبيرها، فمَن كان طالبًا له لأمته فليحققه أولًا في نفسه قولًا وعملًا.

• أول طريق المؤمنين المُمكَّن لهم خوفٌ وتضحيات، وعُقباه أمنٌ وأعطيات.

• من فضل الله تعالى وكرمه على عباده أن جعل لهم حقًّا عليه بأن يُعزَّهم ويحفظهم ويحميهم ويمكِّن لهم، إذا ما وحَّدوه وعبدوه.

• اعتبِر بحال المسلمين يوم ملكوا خلافة الأرض مشارقها ومغاربها، فلما فسقوا عن أمر ربهم ذلوا وضاعوا، ولو عادوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم لعاد إليهم عزهم وسلطانهم.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

• لن تعزَّ الأمة إلا بإيمانها وعملها الصالحات، وأعظم تلك الأعمال إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

• لا يتمُّ صلاح العمل إلا إذا كان موافقًا لما أمر به رسول الله ﷺ، وإلا فهو مردودٌ على صاحبه.

• مَن عمل بأسباب رحمة الله تعالى من صلاة وزكاة واتباع رحِمَهُ اللهُ في الأرض من الفساد والخوف والضلال، وفي الآخرة من الغضب والعذاب والنكال.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

مُعْجِزِينَ: فائتِينَ من العَذابِ بالهَرَب.

• لا يُحزِنَنَّ المؤمنين ما هم فيه من الضعف والقلة، ولا يَهُولنهم ما عليه الكافرون من القوة والقدرة، فوعدُ الله بخزي الكافرين في الدنيا وعذابهم في الآخرة حقٌّ كائن لا محالة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ: دُونَ سِنِّ الاحتِلامِ والبُلوغ.

جُنَاحٌ: حَرَجٌ.

• لا يُعفى الصغير العاقل من الالتزام بما يأمره به الشارع ممَّا فيه مصلحة له ولغيره؛ ألا تراه يأمره بالاستئذان في بعض الأوقات؟

الجزء الثامن عشر | سورة النور

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ
لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ
بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ
الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

٣٥٧

• يؤدِّب العليم الخبير المؤمنين بهذه الآداب وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأخلاق، نقية الصدور، مهذبة المشاعر، طاهرة القلوب، نظيفة التصورات.

• يحرص الإسلام على أن يكونَ المسلم في هيئة حسنة أمام الناس، وألا يبدوَ منه ما يَشينه بينهم، فما أعظمَ هذا الدينَ في تزيين أهله بين الآخرين!

• حدَّد الله أوقاتًا للصغار لا يدخلون فيها على الوالدين حفظًا للأبصار، فكيف بمن يتركهم أمام الفضائيات التي تُكشف فيها العورات، ويُعرض فيها ما يغري بالفواحش والمنكرات؟!

• تأمَّل كيف يجمع الإسلام في تعاليمه بين التستر والتأدب بآدابه، وبين السماحة وإزالة الحرج في الأوقات غير المحظورة، دون أن يلغي الحدود المعلومة.

• مقام هذه الآداب هو من مقامات علم الله بنفوس البشر وما يصلحها، ومن مقامات حكمته في علاج النفوس والقلوب وما ينفعها.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا
ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ
ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ
ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ
لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا
عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ
أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ
أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم
مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن
تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١

٣٥٨

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩ ﴾

• إنما يؤمر الطفل بالاستئذان في بعض الأوقات حتى يبلُغ، فإذا بلَغ أُمر بأن يستأذن في جميع الأوقات كالكبار، وتلك آيةٌ يغفُل عنها كثير من الناس.

• ما أجملَ شريعتنا التي تأمر بآدابٍ تحافظ على خُلق الحياء وتنميته؛ ليظلَّ ماؤه ساريًا في كِياننا، تتغذَّى منه مشاعرنا، وتسمو به إنسانيَّتنا!

• إن على البالغ أن يترفَّعَ عن مشابهة الأطفال فقد جاوزهم، وليجعَل له من الكبار قدوة فقد صار منهم، فليأخذ بأدبهم وليتَّبع أثرهم.

• ما أجلَّها من آيات حسمت مادَّةَ شرٍّ وأغلقت باب فتنة، وفطمت نفوسًا عما ألفت، وأخرجت الكلام في أحكام الحلال والحرام، في غاية من التهذيب والبيان!

• في روعة بيان الله تعالى للحلال والحرام يتجلَّى علمُ الله وحكمته، فإنه عليمٌ بأحوال عباده ظاهرها وباطنها، فلذلك شرَع لهم ما تقوم به حياتُهم من آداب الطُّهر والحياء والمودَّة.

• لو صفت النفوس من المكدِّرات، وأقبلت على الآيات التي أنزلها إلهها الحكيم العليم، وتدبَّرت ما فيها من الحِكم والمواعظ والعلوم النافعة لأدركت عظمتها وعظمة مَن أنزلها.

﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ ﴾

وَٱلۡقَوَٰعِدُ: العَجائزُ من النساءِ اللاتي قَعَدنَ عن الحَيضِ والوَلَدِ والاستمتاعِ لكِبَرِهن.

مُتَبَرِّجَٰتِۭ: مُظهِراتٍ للزينةِ الخفيَّة.

• إذا كان الله تعالى قد رخَّص للقواعد في وضع بعض ثيابهنَّ كالرداء ونحوه، وبيَّن أن لُبسهنَّ تعفُّفًا أفضل من الوضع، فكيف بالنساء اللاتي هنَّ مطمعُ الرجال وقضاء الأوطار؟

• بين التبرُّج والفتنة صلة كبرى، وبين الحجاب والعفاف عُروةٌ وُثقى، وخير سبيل للعفَّة هو تقليل فرص الغَواية، والحيلولة بين المثيرات والنفوس التوَّاقة.

• إذا كان الحجاب للقواعد من النساء خيرًا لهنَّ من وضع الثياب، فتلك إشارةٌ إلى أنَّ الشابَّات بذلك أولى، وهو عليهنَّ أوجبُ وآكد.

• على المرأة أن تراقبَ الله في حجابها؛ فإنه يسمع ما تحدَّث به نفسَها من الرضا أو الكراهية لِما شرَع ربُّها، ويعلم وضعَها ثيابها وتبرُّجها في حضَرها أو سفرها، في حضور الرقيب عليها أو في غيابه.

﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١ ﴾

مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ: البُيوتِ التي وُكِّلتم بحِفظِها في غَيبةِ أصحابِها.

أَشۡتَاتٗا: متفرِّقين.

• الرحمة بالضعفاء، ومراعاة أحوال ذوي الأعذار مما عُنيت به الشريعة الإسلامية.

• إذا تعمَّق التآلُف انتفت الفُرقة والتنافر، وصحت المسامحة والتغاضي، فلا يُتحرَّج مما جرت به العادة في الأكل ونحوه.

• عن جعفر الصادق رحمه الله قال: (مِنْ عِظَم حُرمة الصديق، أنْ جعله الله من الأُنس والثقة والانبساط وطرح الحِشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن).

• لقد جاء الإسلام ليرفع عن الناس الحرَج، ويفتح لهم من المضايق أبواب اليسر والسَّعة، فمَن كان يعاف الأكل منفردًا كما كان الحال قبل الإسلام فليس عليه حرج أن يأكل بعده وحده؛ إذ ليست كل الأوقات صالحةً للاجتماع.

• المؤمنون كنفس واحدة، لِما بينهم من قرابة الإيمان التي تجمعهم كأنهم بها جسد واحد.

• هذا السلام الذي تُلقيه على أخيك المسلم هو من عند الله تعالى، علَّمه رسولَه ﷺ بالوحي، فبلَّغه رسولُ الله أمَّته، فكم فيه من البركات والحسنات!

• معرفةُ أحكامِ الله تعالى الشرعيةِ على وجهها يَزيد في العقل؛ لكون معانيها أجلَّ المعاني، وآدابِها أجلَّ الآداب، ومَن استعمل عقله للفهم عن ربِّه زاده فهمًا وعقلًا.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٢﴾

أَمۡرٖ جَامِعٖ: أمرٍ مُهِمٍّ من مَصالِح المُسلِمين جُمِعُوا له.

• إذا تحقَّق الإيمان بالله ورسوله في قلب عبدٍ لم تنطلق جوارحه في مخالفة هَدي رسول الله، فإن تلك المخالفة ليست من إذنه ولا رضاه.

• الالتزام بطاعة رسول الله ﷺ يعلِّم الأمَّةَ النظامَ والاجتماع، ويُبعد عنها الفوضوية والتفرُّق.

• ينبغي أن يكونَ الناس مع أئمَّتهم ومُقدَّميهم في الدين والعلم؛ يظاهرونهم في الحقِّ ولا يَخذُلونهم في نازلة من النوازل، ولا يتفرَّقون عنهم، حتى لا يقعوا في فوضى.

• إنما ينتفع بآيات الله مَن سلَّم نفسه لصاحب الشريعة ﷺ، فهو لا يُحجم ولا يُقدِم دون إشارته ومعرفة موافقة أمره.

• من حقِّ النبيِّ الكريم لُزومه في المُهمَّات، وأيُّ استئذان منه عندها فهو مرتهَن بمشيئته ﷺ، ومستدعٍ لاستغفاره، فكيف بالذهاب دون إذن؟

• انظر إلى رحمة الله بالمؤمنين كيف وسَّع لهم بالاستئذان من رسوله عند حصول عذر لهم في حال نازلة من النوازل التي تتطلب اجتماعَهم، وتفضَّل عليهم بأمر رسوله بالاستغفار لهم.

﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾

دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ: نداءكم له بأن تقولوا: يا محمدا! ولكن قولوا: يا رسول الله!

يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ: يخرجون خُفيةً بغير إذن.

لِوَاذٗا: يستتِر بعضهم ببعض في الخروج.

• لا بدَّ من امتلاء القلوب بالتوقير لرسول الله ﷺ، حتى تستشعر كلَّ كلمة في ندائه، وكلَّ صوت في مناداته.

• كما كان الصحابة يخاطبون رسولَ الله ﷺ في حضرته بكلِّ أدب وتوقير، وتشريف وتعظيم، كذا يجب أن يكونَ الأمر بعده عند ذكره في غَيبته.

• من الناس مَن يتسلَّلون من أوامر رسول الله ﷺ وزواجره، مُستخفين بتأويلات بعيدة حتى لا ينكشفوا فيُفتَضح أمرهم بين المسلمين.

• فليحذر العقاب مَن يخالف أمر النبي عليه الصلاة والسلام بمخالفة الواجب من سُنته، أو ترك ما أمر به، واقتراف ما نهى عنه.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٦٤﴾

• لو عرَف المخالف لأمر الله تعالى قدرته تعالى عليه وعلى جميع ما في الكون، وعلمه سبحانه وتعالى بكلِّ ما يفعل، وأنَّ وراء ذلك حسابًا وجزاءً؛ لانزجر.

• إن الضمان الأخير، والحارس الأمين للأوامر والنواهي والأخلاق والآداب التي فرضها الله في هذه السورة، هو تعليقُ القلوب والأبصار بالله، وتذكيرها بخَشيته وتقواه.

سُورَةُ الفُرۡقَانِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾

• ما أعظمَ بركاتِه سبحانه وتعالى، وما أوسعها وأكملَها وأكثرها! وما أسعدَ مَن يتدبَّر كتابه بها، وأقربه منها!

• إذا أردتَ أن تعرفَ عظمةَ القرآن الكريم وبركته وقدْره وجلاله فاعرِف عظمةَ قائله ومُنزله وحافظه سبحانه وتعالى.


الجزء الثامن عشر — سورة النور

إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٢ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٦٤

سُورَةُ الفُرۡقَانِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٣٦

تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢

٣٥٩

• القرآن العزيز يفرِّق بين الحقِّ والباطل، والهدى والضلال، ومناهج البشر وعهودهم، فما أهدى مَن اتَّبع هذا الكتابَ العظيم، في هذا التميُّز القويم!

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾

فَقَدَّرَهُۥ: فسوَّاه على ما يُناسِب من الخَلق.

• سبحان مَن ملكَ السماواتِ والأرضَ، وانفرد في تدبيرهما وتصريف شؤون مَن فيهما! أفيستحقُّ بعد هذا أن يُعبدَ غيره؟!

• كيف يكون له ولدٌ أو شريك وهو المالك وغيرُه مملوك، وهو القاهر وغيره مقهور، وهو الغنيُّ وكلُّ ما سواه مفتقرٌ إليه؟! فمَن كان كذلك لم يجُز أن يُجعلَ له ندٌّ، ولا معه معبود.

• تدبَّر ما تراه في خلق الله تعالى تجد كل مخلوق قد أُعطيَ ما يليق به ويناسبه من الخلق، مما يدل على علمه تعالى وقدرته، ومشيئته وحكمته.

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا
إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا
وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾
وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾
أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

٣٦٠

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

• لا شُبهةَ لأحدٍ في اتخاذ غير الله تعالى إلهًا، ولا عذر له في جعل ذلك المألوه مع الله معبودًا؛ لأن مَن عقل لن يعبد ما لا يملك شيئًا من خصائص الربوبيَّة.

• إن مَن لا يقدر على نفع نفسه، فهو عن نفع غيره أعجز.

• إنما يُخلِص التوحيدَ لربه تعالى مَن يعتقد أن لا شيء ينفع أو يضرُّ إلا بإذنه سبحانه.

• إذا تقرر أنه لا بد من الموت، وأن بعده حياةً أخرى، فإنه لا يكون إلهًا إلا مَن يَتوفى الأنفس، ويملك الحياة الدنيا والحياة الأخرى.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾

إِفْكٌ افْتَرَاهُ: كذبٌ اختَرَعَهُ من عند نفسه.

• من أصحاب المعتقدات الباطلة تخرج الدعاوى الباطلة، والفِرى الظالمة الملفَّقة.

• المشركون المعاندون أظلم الظالمين في معتقداتهم وأقوالهم، فهم يشركون، ويرمون داعيَهم إلى التوحيد بالافتراء المشترك!

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾

• اتهامات المشركين لسيد المرسلين تفضح ما هم عليه من الزور والبهت، والظلم والحقد، فهل يصِحُّ أن يقال عن كلام رب العالمين إنه أساطير الأولين، ويقال عمن جاء به إنه من المفترين، وهم يعلمون أنه الصادق الأمين؟!

﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾

• مهما يُسِرُّ الذين يَكيدون للنبي ﷺ ولِما جاء به من افتراء وكيد، فإن ذلك لا يعزُب عن علم الله تعالى، الذي لا يُعجِزه إبطال كيدهم وإزهاق أمرهم.

• انظر إلى سَعة حِلم الله ورحمته، حيث يدعو هؤلاء المشركين المفترين إلى التوبة والإنابة، حتى ينالوا رحمتَه وغفرانه، فما تظنُّه فاعلًا بأهل طاعته إن هَفَوا أو قصَّروا؟!

﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾

• المعاندون للحقِّ يبحثون عن حُجَّة تصرِفهم عن الحق، فهم يُعرِضون عنه لكون الرسول بشرًا، ولو جاءهم ملَكًا لقالوا هلَّا كان مثلَنا بشرًا لنقتديَ به!

• مَن ظنَّ أن النبوَّة لا يمكن أن تكونَ لبشر فقد جهل قيمةَ الإنسان وكرامته عند الله تعالى.

﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾

• ليس من شرط الهداية أن يكونَ داعيها غنيًّا، ولو كان كذلك لتبعَه بعض الناس من أجل غناه، لا من أجل هداه.

• لو كان الغنى محمودًا لذاته لاختاره الله لجميع خِيرة خلقه، فسلموا به من نبز أعدائهم لهم بفقده.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾

ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ: قالوا في حقِّكَ الأقوالَ العجيبةَ التي تُشبِهُ لغَرابَتِها الأمثال.

• يا صاحب الحق؛ إذا رأيت خصمك المبطل متخرِّصًا في حديثه، متناقضًا في حُجَجه، فليزدك ذلك طُمأنينة إلى صحَّة طريقك وسلامة منهجك.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾

• قضى الله بحكمته أن يكونَ إقبال الناس على الحقِّ مَبنيًّا على النظر والاستدلال، لا على ما يُلهي المشاعرَ والخيال بأنواع التشغيب والجدال.

• لو كانت الجنَّات والقصور خيرًا لرسول الله لأعطاها له، لكنَّ تكليفه بالنبوَّة ورعايته وهدايته، وتوفيقه لحلاوة مناجاته، والانشغال بطاعاته هي الخير الذي خصَّه الله به.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

• حين لم يؤمنوا بالساعة قصُرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية، وظنُّوا أن الكرامة ليست إلا في نَيلها، فلمَّا خلا رسولُ الله ﷺ من تلك الأعراض كذَّبوه واتهموه، أفبهذا يُرَدُّ الحقُّ لو كانوا يريدون الحق؟

• الكفر باليوم الآخر سببٌ لكلِّ البلايا وأنواع الكفر والجحود؛ لأن مطامع العقلاء محصورةٌ في جلب النفع ودفع الضَّر، والذي لا يصدِّق بيوم القيامة لا يرغب في خير، ولا يخاف من شرٍّ في ذلك اليوم؛ فهو لا ينزجر عن شيء؛ ولذا كان التكذيب بالبعث من أشنع أنواع الكفر بالله جلَّ وعلا.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ١٢
وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا
١٣ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ١٤
قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ١٥ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ١٦ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي
هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ١٧ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ١٨
فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ١٩
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ٢٠

٣٦١

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ١٢﴾

• يلاحق البغضُ الكافرَ في دنياه وآخرته، فليس مكروهًا عند الله وعند أوليائه فحسب، بل تَبغَضه الأرض التي يمشي عليها، والسماء التي يستظلّ بها، والنار التي أعدت له.

• سيُساق الكافرون إلى نار جهنَّم من مكان بعيد نكايةً بهم؛ ليَشُقّ عليهم الوصول إليها، ويطول عليهم زمن الرعب في سماع صوتها قبل الاصطلاء بحرِّها.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ١٣ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ١٤﴾

• أيُّ إهانة يلقاها أهلُ النار حين يُلقون فيها إلقاءً عنيفًا؟ في حين يُحشَر أهل الجنة إليها وفدًا شريفًا.

• الكَرب يكون مع ضيق المكان، والرَّوح مع سَعته، وإن من سعادة المرء المسكنَ الواسع في الدنيا والآخرة.

• ما ينتقل الكافر من دارٍ إلا إلى أشدَّ منها، حتى يتمنى بعدها الموت أو الرجوع إليها، وأما المؤمن فما يزال يترقَّى من سعة الأرض إلى فُسحة القبر إلى بُحبوحة الجنة.

• على أهل النار تتجدد ألوانُ العذاب ولا تخفّف، وتدوم ولا تنقطع، ولهم في كل لون منها ثبور ما أشدَّه وما أفظعه!

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ١٥﴾

• ما أحسنَ التقوى سبيلًا إلى جنة المأوى التي يُجزى بها المتقون على صالح أعمالهم، ويصيرون إليها بعد ذهاب دنياهم!

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ١٦﴾

• من أعظم النعيم أن ينال الإنسان كل ما يروم، وذلك غير متحقق في الدنيا، ولكنه حظ مما يلقاه المتّقي في الجنة، فهنالك يحصُل على ما يشاء.

• مَن نال نعمةً تامّة خاف زوالها وانتقالها، وذلك ممّا يكدِّر عليه تمام التلذُّذ بها، لكن أهل الجنّة في نعيمهم التامِّ خالدون، وهم على زواله لا يقلقون ولا يخافون.

• سبحان الإله الجواد الذي يعِدُ عباده المؤمنين بالنعيم المقيم والثواب العظيم، فضلًا منه وكرمًا، وهو في ذلك غيرُ مخلفٍ لهم وعده!

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ١٧﴾

• يوم القيامة سيحاكَم بين يدي الله تعالى كلُّ عابد وما عبد، وكلُّ تابع ومَن اتبع من دون الله، وعندها تنكشف الحقائق، وتسقط الدعاوى، ويُفتَضح الذين هم بربهم يشركون.

• لا يخرج المرء عن عبودية الخضوع والاضطرار لربِّه، وتصريف الله لشؤونه وأحواله، ولو اتخذ ذلك العبدُ من دون الله إلهًا، وجعل له من خلقه ربًّا ومعبودًا.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ١٨﴾

• يا ويل المشركين يوم القيامة، حين يتبرأ منهم مَن كانوا يعبدونه ويعتقدون فيه النصرة والغوث!

• لم يكن أئمة الخير متخذين من دون الله أولياء، أفيدعون الناس لاتخاذهم من دون الله شركاء؟!

• دوام العافية قد يُلهي ويُنسي، وفي البلايا لأقوام مِنحٌ وعطايا، وذلك إذا حثَّتهم على الذكر.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ١٩﴾

• عاقبةُ مَن أشرك بربه وتعلَّق بغيره الخزي والندامة، والتقريع والملامة، والتكذيب والإهانة، والعذاب يوم القيامة.

• ما أشقى الكافرَ في دار ليس له فيها ناصر! بل العذابُ عليه واقع، ماله من دافع، فلا يملِك صرفَه عن نفسه، ولا دفعَه بالاستنصار بغيره.

• في مآلات الكافرين الأليمة عِبرةٌ لذوي القلوب السليمة؛ فمَن رام أن ينجوَ منها فليعتبر اليومَ بها، فبابُ الخلاص مفتوحٌ غير موصَد ما دام في العمر بقيَّة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ٢٠﴾

• لا بدَّ للداعية من مخالطة الناس في مجتمعاتهم، ومشاركتهم في أحوالهم، عند رجاء نفعهم وهدايتهم، فذاك خيرٌ لهم وله من عزلته، وإيثاره السلامة.

• لم تكن حياة الأنبياء محفوفة بالسلامة والرخاء، بل كانت مملوءة بالشدة والابتلاء، فصبروا على ذلك حتى صاروا قدوة حسنة لكل داعٍ بعدهم في الصبر على الأذى، وتحمُّل عناء الدعوة إلى الهدى.

الجزء ١٩ الحزب ٣٧

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا
(٢١) يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا (٢٢) وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ
هَبَآءٗ مَّنثُورًا (٢٣) أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا
وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا (٢٤) وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا (٢٥) ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا (٢٦) وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ
يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا (٢٧) يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ
أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا (٢٨) لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ
وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا (٢٩) وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ
إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا (٣٠) وَكَذَٰلِكَ
جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا
وَنَصِيرٗا (٣١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ
وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا (٣٢)

٣٦٢

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا (٢١)﴾

• كم يجرُّ فساد العقيدة والتصوُّر على صاحبه من فسادٍ في الأقوال والأفعال والأخلاق!

• عجبًا للمشركين الذين ينازعون الله في أفعاله فيقترحون عليه مَن يرسل ومَن لا يرسل عتوًّا واستكبارًا! أوليس الله بأعلمَ بما يَصلُح لعباده؟!

• كيف لمخلوق ضعيف يعيش على نِعم سيِّده، يبلغ منه التكبر والجحود أن يطلب من مولاه أن يظهر له حتى يؤمن بألوهيته ورسوله الذي بعثه إليه؟

﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا (٢٢)﴾

• لئن فات مكذِّبي رسول الله ﷺ نزولُ الملائكة لتصديق رسالته لن تفوتهم رؤيةُ مصداق خبره يوم يرون ملائكة العذاب عند الاحتضار وفي القبور ويوم النشور.

• كانوا يرجون رؤيةَ الملائكة لِما يسرُّهم، فرأوهم لِما يسوءُهم، حين بشَّروهم بحرمانهم من دخول الجنَّة، فيا لَحسرةِ المشركين!

﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا (٢٣)﴾

• إن أعظم الحسَرات على العبد يوم القيامة أن يرى سعيَه كلَّه ضائعًا لم ينتفع منه بشيء، وهو أحوج ما يكون إليه، في حين يسعَد أهل السعي النافع بسعيهم.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا (٢٤)﴾

• لكلِّ أحدٍ مستقرٌّ يوم القيامة، فالمؤمنون في جنَّات النعيم، والكافرون في نار الجحيم، فيا طِيبَ مَن كانت الجنَّة مستقرَّه! ويا شقاء مَن كانت النار مقرَّه!

• إن طال الحساب على الناس في العرَصات، فإنه سيكون يسيرًا قصيرًا على أهل الجنات.

﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا (٢٥)﴾

﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا (٢٦)﴾

• لولا رحمة الملك الرحمن لكان يوم القيامة على كلِّ الخلائق عصيبًا، ولكنه سبحانه يُطمئنُ قلوب المؤمنين بأنه يتجلى لهم برحمته، ويسهل عليهم ذلك اليوم برأفته.

• جرت العادة بأن بعد العسر يسرًا، لكنَّ ذلك ليس للكافرين يوم القيامة، بل إنهم يُنقلون بعده إلى عُسر أشدَّ منه.

﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا (٢٧)﴾

• ما أشدَّ ندمَ الكافر في اليوم الآخر! إنه لا يعَضُّ على إصبعه ولا يده، بل يجمع في عضِّه كلتا يديه حسرةً وندمًا، وتأوُّهًا وألمًا.

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا (٢٨)﴾

• صاحب في الدنيا مَن لا تندم على صحبته في الآخرة؛ فإن أصحاب التقوى يوم القيامة أولياء، وأصدقاءَ العصيان فيها أعداء.

﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا (٢٩)﴾

• أيُّ حال من الندامة سيكون عليها مَن عرَف القرآن فأغواه خليله عنه، حتى تمكن الضلال من قلبه؟!

• يبالغ الشيطان في خِذلان مَن يواليه؛ إذ يدَعه أحوجَ ما يكون إلى نصرته، وهو الذي كان قد حمله على مخالفة ربِّه!

• مَن لم يعتبر بالخبر في الدنيا عن خذلان الشيطان، سيعتبر في الآخرة بالعيان، ولكنه اعتبار غير نافع، لفوات محله وذهاب وقته.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا (٣٠)﴾

• على الإنسان العاقل أن يحذَر هَجرَه للقرآن، بترك الإيمان به، أو ترك العمل بما فيه، أو ترك قراءته وتدبُّره والتحاكم إليه؛ فإن رسول الله ﷺ قد شكا إلى ربِّه مَن هجَر كتابه.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا (٣١)﴾

• كفاح أصحاب الدعوات للمجرمين الذين يتصدون لها هو الذي يميز الدعوات الحقة من الزائفة، وهو الذي يمحِّص الصادقين من المدَّعين.

• إذا واجه الحقَّ أعداؤه بالإضلال فإن الله هو الهادي لأوليائه، وإن واجهوه بالقوَّة والجبروت فإن الله هو النصير لأهل الإيمان به.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا (٣٢)﴾

• التدرُّج في التعليم والتربية والتقويم أسلوبٌ قرآنيٌّ وهَديٌ نبوي؛ إذ فيه من الحفظ والتأثير ما ليس في الجمع والتكثير.

• حين لم يجد المشركون في القرآن مطعنًا بعد أن جرَّبوا كل مَطعَن أرادوا ثلبَه بكيفيَّة الإنزال على خلاف ما سبقه من الكتب، ولكنهم خابوا آخِرًا كما خابوا أوَّلًا.

• على المربِّي حين تشتدُّ بين الناس الفتن أن يثبِّتهم بالقرآن، فإنه يربط على القلوب، ويزكي النفوس، ويَشفي الصدور.

وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا
(٣٣) ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ
شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا (٣٤) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ
وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا (٣٥) فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ
إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا (٣٦)
وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ
ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا (٣٧) وَعَادٗا وَثَمُودَاْ
وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا (٣٨) وَكُلّٗا
ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا (٣٩) وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى
ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ
بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا (٤٠) وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ
يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَءَيۡتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا (٤٣)

٣٦٣

﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا (٣٣)﴾

• في القرآن الكريم تقرير للحق، لا مجرد الانتصار في الجدل، والغلبة في المحاجة.

• القرآن العزيز هو خير ما يكشف عَوار المضلين، وأحق ما يُستدل به على إبطال شُبهات المبطلين.

• دحضُ شبهات أهل الباطل وإبطالها مظهرٌ من مظاهر تأييد الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام.

﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا (٣٤)﴾

• لا يَحزُنك تعالي المستكبرين المعرضين، فيومَ القيامة سيُحشرون على وجوههم مهانين، أذلاء محقورين.

• بسوء أعمالهم حادوا عن سبيل الهدى فكانوا في شر المنازل، فما أبعدَ مكانهم في الشر! وما أضل طريقهم عن سبُل الخير!

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا (٣٥)﴾

• يُطمئن الله قلبَ النبيِّ محمَّد ويسلِّيه ممَّا يجده من المَشاقِّ في الدعوة بما لقيه موسى منها، حتى لقد أعانه الله تعالى بأخيه هارون؛ لتسهيل مهمَّته والتخفيف من معاناته.

﴿فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا (٣٦)﴾

• خُلاصة بَعثة المرسلين أن الله يرسلهم إلى القوم المعرضين، فمَن كذَّب وعتى استحقَّ التدمير والفناء.

• أيُّ قوَّة تقف أمام قوَّة الله تعالى؟ وأيُّ قدرة تردُّ عن الله ما أراده؟

﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا (٣٧)﴾

• تكذيب رسولٍ واحد تكذيبٌ لجميع الرسل؛ لاتِّفاق الرسُل جميعًا على التوحيد وأصول الإسلام.

• إن آية الطوفان لا تُنسى على الدهر، وكل مَن نظر فيها اعتبر، إن كان له قلبٌ يتدبَّر.

﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا (٣٨)﴾

• ما أكثر مَن كذَّب الرسل من أصحاب القرون الأولى! فأين المعتبرون بهلاكهم ممن جاء بعدهم؟!

﴿وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا (٣٩)﴾

• يا شقاءَ المكذِّبين للحقِّ بعد أن رأوا براهينَه وعلِموه حتى استبان لهم صدقُه! فعاقبتهم ستكون وخيمة، وعقوبتهم ستصير أليمة.

﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا (٤٠)﴾

• إنما ينتفع برؤية مَصارع الظالمين مَن كان ذا قلب حيٍّ يعرِف به شؤم المعصية وخطر الكفر، وأما مَن كان في عمى الغفلة فإنه لا يتَّعظ وإن سار في أحياء الهالكين.

﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا (٤١)﴾

• لم يجدوا في رسول الهدى نقصًا، ولم يروا في صفحات حياته عيبًا، فليس لهم من سبيل لصد الناس عن دعوته والحالُ كذلك إلا السُّخريَّة والاستهزاء به.

• إن استهزاء المشركين بالنبي الكريم وسيلةٌ قميئة يحاولون بها مقاومة الدعوة الجديدة، التي يظنون أنها تهدد مراكزهم الاجتماعية والاقتصادية، وتجردهم مما تقوم عليه أوضاعهم تلك من خرافات وأوهام.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)﴾

• إذا تغلغلَ الباطل في العقول، وتمكَّن حبُّه من القلوب، صار عندهم هدًى، وتركه ضلالًا! فسبحان الله كيف أظلمت المفاهيم، واختلت الموازين!

• حين ترى شدَّة تصبُّر الكفَّار على باطلهم، وجِدَّهم في الثبات على انحرافهم، تَعجب من قلَّة صبر بعض أهل الحقِّ على حقِّهم ودفاعهم عن منهجهم، وهم يعلمون أنهم على الهدى!

• لا يغرُنَّ أهلَ الباطل من الكافرين والمشركين إمهالُ الله لهم، فلا بدَّ لوعيده جلَّ جلاله أن يلحقهم مهما طال الزمان.

﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا (٤٣)﴾

• شتَّان بين توحيد الله تعالى والتوجُّه إليه وحده، وبين صنم الهوى الذي يصنعه المرء في قلبه، ويبذُل حياته كلَّها في سبيل إرضائه.

• أرأيتَ حبَّ الله العظيم لرسوله الكريم كيف يخفِّف عنه غمومه، ويزيح عنه همومه الناتجة عن صدود قومه المشركين، وإعراضهم عن دعوته.

• ليس بيد الداعية غرس الهداية في قلب أحد، وإنما هو عبد نذير، وليس برب قدير.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم
الحزب ٣٧ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا
عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

٣٦٤

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

• إن مَن يسمع آيات الله تعالى حقَّ السماع، ويعقِل بحقٍّ كلَّ ما يبصره، فذاك جديرٌ بأن يُعتنى بهدايته ويُطمعَ في إيمانه.

• ليست الأنعام التي تهتدي لمراعيها وتنقاد لأربابها أضلَّ ممَّن لا يطيع ربَّه ولا يشكر نعمه، ويُقدِم على ما يضرُّه ولا ينفعه.

• الميزان القرآنيُّ هو المعتبَرَ في تقدير عقل الإنسان قوَّةً وضعفًا، فبمقدار الالتزام بالشرع وسماع الحقِّ يكون تمام العقل أو نقصه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

• تأمَّل كيف مدَّ الله الظِّلَّ من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ولو شاء لجعله ثابتًا مستقرًّا لا تزيله الشمس، فسبحانه من ربٍّ قدير رحيم!

• في الظلِّ منافعُ للناس ومصالح، ففي مَدِّه وقَبضه تُضبَط أوقات الناس وأعمالهم، ويصِلون إلى حاجاتهم وآمالهم، فمنهم مَن ينتفع بمَدِّ الظل، ومنهم مَن ينتفع بانقباضه.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

• إذا أسدَل الليل عليك ستورَه، وتنعَّمت بما في حلوله من النعم، فاتخذ من تلك النعم سبيلًا لمعرفته، وسببًا لحمده، وبابًا لشكره.

• احمَد الله على نعمة النوم؛ ففيها راحةٌ لبدنك، وتذكيرٌ لك بموتك، وعلى نعمة النهار والاستيقاظ؛ ففيها مجالٌ لصلاح معيشتك، وتذكيرٌ ببعثك.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾

• هلَّا تذكَّر العبد وهو يفرح بالسُّحُب التي تجري بها الرياح مبشرةً بهَطْل الأمطار أنها رحمةٌ من الله تعالى، فأثنى عليه بما هو أهله؟

• الماء الطَّهور نعمةٌ عظيمة ومنَّة جسيمة، لكونه أهنأ وأنفع، كما فيه للإنسان إشارةٌ إلى تطهير باطنه بالإيمان من المكروهات، كما يطهر بالماء الطَّهور ظاهرُه من الأقذار والنجاسات.

﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

• في تصريف الله تعالى نعمةَ المطر بين عباده تذكيرٌ لمَن نزل عليهم بالنعمة لكي يشكروها، وتذكيرٌ لمَن مُنِعوها بالمسارعة إلى التوبة ليحصُلوا عليها.

• من العجائب أن يتنعَّم العبد بما يفيضه عليه مولاه، فيجحَدَ ما أنعم به عليه أو ينسُبَه إلى سواه!

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾

• تخصيص رسول الله محمَّد ﷺ بالبعثة دون غيره من أمَّته إلى جميع أهل الأرض تشريفٌ له وإعظام، وحثٌّ له على الثبات والقيام بالأمر حقَّ القيام.

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

• لا يُطاع الكافر في كلِّ ما يأمر به؛ لأنه مظِنَّة التُّهمَة، فلا يوافَق في أمر الدنيا إلا على ما عُرف وجهُه وبدت مصلحتُه.

• في هذا القرآن من السلطان ما يهُزُّ القلوب هزًّا، ومن القوَّة ما لو سُلِّت حُجَجه على التصوُّرات الفاسدة لقطعتها قطعًا .

﴿۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

• في اختلاط ماء النهر العذب السائغ بماء البحر المِلح آيةٌ دالَّة على قدرة الله تعالى حين جعل بينهما حاجزًا يمنع إفسادَ أحدهما الآخر وتغيير صفته التي هو عليها، فسبحان الخالق العظيم!

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾

• جلَّ الذي خلق من ماء مَهين هذا الإنسانَ فصيَّره بشرًا يرغب ويُرغب إليه، ويناسب ويصاهر، بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

• أليس عجيبًا بعد كلِّ هذه المخلوقات الباهرة، وآيات خلق الله الظاهرة، أن يعبُدَ الإنسان غيرَ الله؟!

• كُن مع الله تعالى على نفسك وهواك وشيطانك وأعداء ربِّك، فإنه جلَّ وعلا ينصر أولياءه على أعدائه وعلى مَن يواليهم.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ
عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ
بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ
فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا
وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ
الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا
مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ
أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ
عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا
﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا
أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

سجدة

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾

• كان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال له رجل: لِمَ تقنِّط الناس؟ فقال: إنكم تحبون أن تُبشروا بالجنة على مساوئ أعمالكم! وإنما بعث الله محمدًا ﷺ مبشرًا بالجنة لمَن أطاعه، ومنذرًا بالنار مَن عصاه.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

• لا ينبغي أن ينظر الداعية إلى ما في أيدي الناس؛ فإن ذلك يفتح عليه باب القيل والقال.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

• لا يتَّكلنَّ العبد على مخلوق مُدبَّر لا يدري أيموت في يومه أم يبقى إلى غده! بل ليعلِّق آماله بالله القادر على كل شيء.

• علِّق بخالقك تحقيقَ ما ترغب، ودفعَ ما ترهَب؛ فإنه الحي القادر على كل ما تريد.

• احمَد الله على كماله وإفضاله، ونزهه عن كل نقصان لا يليق بجلاله؛ فمَن عرف كماله وجلاله فلن يتوكل على غيره.

• كم تحمل هذه الكلمات في طياتها من التسلية للنبي الكريم ﷺ، والوعيد لمَن كفر به!

• هو تعالى بذنوب خلقه عليمٌ خبير، وعلى محاسبتهم قوي قدير، فأين المهرب من حسابه، وأين المفر لمستحقي عقابه؟

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

• هلَّا توكلت على مَن خلق الأجرام العظام بإبداع وإحكام، على نمط فائق، ونسق رائق، بتدبير متين، وترتيب رصين.

• يا مَن تريد أن تعرف الله تعالى حقَّ المعرفة، تدبَّر في كتابه الكريم معانيَ جميلِ أسمائه، وجليل صفاته، وحسن أفعاله في خلقه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾

• إن عبدًا لا يوقِّر ربه ولا يُجلّ أسماءه كيف سيقدر لرسوله الكريم ﷺ قدره، أو يعرف له عظيم مقامه؟!

• الخضوع تابع للمعرفة، فمَن عرف ربه خضع له، وعلى حسَب تلك المعرفة يكون الخضوع، ومَن لم يعرف إلهه خضع لهواه.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

• انظر كيف زين الله السماء بالنجوم الكبار بمنازلها، وجعل فيها شمسًا تضيء في النهار، وقمرًا ينير في الليل، ألا يدعو ذلك إلى تعظيمه وتوحيده؟!

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

• قال قتادةُ رحمه الله: (فأرُوا الله من أعمالكم خيرًا في الليل والنهار، فإنهما مطيَّتان تحملان الناس إلى آجالهم، تقرِّبان كلَّ بعيد، وتُبليان كلَّ جديد، وتجيئان بكلِّ موعود إلى يوم القيامة).

• قال الحسن البصري رحمه الله: (مَن عجز بالليل، كان له في أوَّل النهار مُستعتبٌ، ومَن عجز عن النهار، كان له في الليلِ مُستعتب).

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾

• السَّكينةَ السَّكينةَ في عباداتكم، فإن العبد مأمورٌ بالسكينة والوَقار في الأفعال العادية التي هي من جنس الحركة، فكيف الأفعال العبادية؟ ثم كيف بما هو فيها من جنس السكون كالركوع والسجود؟

• لا يَسلَم أهلُ العلم والفضل والدين والصلاح من الجاهلين الذين لا ينفكُّون يخاطبونهم بالسوء ويرمونهم بالأذى.

• جواب المؤمنين بالسلام ليس عن ضعف ولا عجز، ولكن عن ترفُّع وتعزُّز طلبًا للأجر، وصيانةً للوقت والجهد أن يُنفقا فيما لا يليق أن يفعله الرجل الكريم المشغول بالخيرات عن الترَّهات.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾

لله درُّ الإخلاص! كم له من أثرٍ في قيام العبد بالأعمال الصالحة وحفظ حدود الله تعالى، فعباد الرحمن قاموا لربهم لا لغيره، وسجدوا له لا لسواه.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

• مَن علم سوءَ حال أهل النار -أجارنا الله منها- استعاذ بالله تعالى منها صادقًا بلسانه وقلبه؛ وصالح عمله، وشديد اعتصامه بربِّه؛ وخوفه منه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

• عباد الرحمن عقلاءُ حكماء في الإنفاق، لا يتأثَّرون بدوافع البذل من أهواءٍ وعواطفَ فيُسرفوا، ولا يتأثَّرون بدوافع الإمساك من بخلٍ وخوف من الفقر فيقتُروا.

الجزء التاسع عشر | سورة الفرقان

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ
فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ
إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا
بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا
وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سورة الشعراء

٣٦٦

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

أَثَامًا: عقابًا.

• توحيد الله تعالى هو أساسُ هذه العقيدة، ومَفرِق الطريق بين الوضوح والاستقامة في الاعتقاد، وبين الغموض والالتواء والتعقيد الذي لا يقوم على أساسه نظامٌ صالح للحياة.

• حين يكون هنالك تحرُّجٌ من قتل النفس بغير حق، تغدو الحياة آمنةً مطمئنَّة، إذ تُحترم فيها الحياة الإنسانيَّة، ولا تكون كحياة الغابات التي لا اطمئنانَ فيها ولا أمان.

• كم في جريمة الزنى من بُعد عن الرحمة التي تقوم عليها المجتمعات المسلمة، إذ كم شُرِّد بسببها من لقيط، ووُئد من إنسان، وتهدَّمت من بيوت!

• جمع الله في هذه الآية أصولَ المحرَّمات؛ فالشرك يفسد الأديان، وقتلُ النفس بغير حقٍّ يفسد الأبدان، والزنا يفسد الأعراض والأنساب.

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾

• ماذا وجد مَن أعطى نفسه هواها من الحرام ومآلُه إلى العذاب المضاعف، والخلودِ المخزي في نار جهنم؟!

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

• باب التوبة مفتوحٌ يدخل منه كلُّ مَن استيقظ ضميرُه وأراد العودة والمآب؛ لا يُصدُّ عنه قاصد، ولا يُغلق في وجه لاجئ أيًّا كان، وأيًّا ما ارتكب من الآثام.

• انظر إلى عِظَم رحمة الله ومغفرته لمَن يؤوبون إليه ويوحِّدونه ويستغفرونه؛ إذ يُبدلهم بالعمل السيِّئ عملًا صالحًا، وبالشرك إخلاصًا، وبالفجور إحصانًا، وبالكفر إسلامًا!

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

• العمل الصالح والمثابرة عليه قولًا وفعلًا شرطٌ في التوبة الكاملة، فلا اعتدادَ بتوبة ينقصها العمل؛ إذ ليست التوبة استغفارًا أو تخشُّعًا بلا إقلاع وعملٍ صالح يُرضيان الله!

• إن توبةً تحقَّقت في ماضي حياة العبد مع إخلاصه فيها لمبشِّرةٌ بأن يُوفَّق صاحبُها للتوبة في مستقبل أيَّامه بمشيئة الله تعالى.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾

لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ: لا يشهدون بالكَذِب، ولا يحضُرون مجالسَ الكذب.

• لمَّا وصفهم سبحانه بالصِّفات المتقدِّمة الدالَّة على كمال أخلاقهم واستقامة أعمالهم في ظواهرهم وبواطنهم؛ وصفهم هنا ببعدهم عن الباطل ومشاهِده، ومجانبتهم لأهله، فاجتمع لهم التعبُّد بالفعل وبالترك.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾

• ما يُذكِّر ذو القلب الحيِّ بربِّه جلَّ جلاله إلا ذكَره، فتأدَّب واعتبر واتَّعظ وانتفع، فمَن شاء أن يقيس حياة قلبه فلينظره إذا ذُكر الله عنده.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

• ما أجملَ أن تُلبِسَ فطرتَك النقيَّة الراغبة في الذرِّية ثوبَ النيَّة الصالحة، بأن يجعلَهم الله تعالى من عباده الصالحين، وأن يكثِّرَ أمثالهم من السالكين على رضوان ربِّ العالمين!

• يا لها من همَّة عالية أن يطلبَ العبد من ربِّه أن يُنيلَه شرفَ الإمامة، لا رغبةً في العلوِّ على الناس، وإنما إمامة يتوسَّل بها إلى رِفعة المقام عند الله جلَّ وعلا.

• إذا دعوتَ الله تعالى فاسأل ذُرا المطالب، ولا تستكثر على الله ولا تَحقِر من شأنك، فإن عباد الرحمن لم يسألوه أن يجعلهم أئمَّةً لعموم المسلمين فحسب، بل أئمَّةً للمتَّقين.

﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾

• إن العزم على فعل الأوامر وترك النواهي ليحتاجُ إلى صبرٍ على شهوات النفس وأهوائها، ومُغريات الحياة ومُلهياتها، وتلك استقامةٌ لا يقدِر عليها إلا الصابرون.

• الحمد لله أن بيَّن لعباده المؤمنين ما يحبُّ من الأوصاف وما يجمعها، ورغَّبهم في أجورها؛ ليسعَوا إلى التحلِّي بتلك الفضائل، وينالوا ما وعدهم عليها من الثواب.

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

• يا مَن ترجو معيَّة ربِّك وعنايته وقربه ومحبَّته؛ اعبُده كما يحب، وادعُه بما تحبُّ من الخير، تنَل ما ترجوه، وتأمَنْ ممَّا تخافه.

• على المكذِّبين بالوحي أن ينتظروا آثارَ وعيد الله تعالى لهم في الدنيا والآخرة، فسيرَون ما يسوءُهم من ألوان الذلِّ والهوان، والعذاب والعناء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا
يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ
﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

٣٦٧

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾

• بالقرآن الكريم يستبين الهدى من الضلال، والرُّشد من الغيِّ، والحقُّ من الباطل، فمعالمه واضحةٌ لا التباسَ فيها ولا غموض، ولا بواطنَ له تخالف مقتضى الظاهر.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

• الاستقرار النفسيُّ مطلوب للداعية، فلا يصل به الحرصُ على صلاح المدعوِّين إلى الحدِّ الذي يُهلك فيه نفسه همًّا وغمًّا وأسفًا وحزنًا على عدم استجابتهم.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾

• لو شاء الله تعالى لأنزل آيات يُذعن لها الناس مُكرَهين، لكن حكمته تعالى قضت ألا يحملَ عباده على الإيمان به إلا طائعين.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾

• إعراض الكافرين عن القرآن الكريم هو إعراضٌ منهم عن رحمته، والعاقل مَن يتوخَّى مواضعَ رحمة ربِّه فيتعرَّض لها.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾

• إعراضٌ فتكذيبٌ فاستهزاءٌ، دركاتٌ بعضها أسفل من بعضٍ، يتدلى صاحبها من واحدة إلى أخرى حتى يصل به الانحدار إلى قعر الشقاء.

• من أسباب وقوع الوعيد الاستهزاءُ به، وتلك مَهلَكة لا يلقي نفسه فيها سوى مَن نزَع من قلبه تعظيمَ وحي ربِّه، وأصرَّ على تكذيبه به حتى خفَّ على لسانه الهُزء به.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾

• كلما نظر المؤمن إلى مشاهد هذا الكون تنبه إلى بدائع صنع الله تعالى المبثوثة فيه، فلا يزال يستشعر عظمة الخالق كلما وقعت عيناه على روائع هذا الخلق.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

• مَن تأمّل في نبات الأرض كيف أنشأه الله بعد أن لم يكن رأى آيةً لله دالّةً على إمكانيّة البعث، ولكن الآية مهما عظمت لا تنفع المُعرض.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾

• إنما يرحم الله تعالى عباده مع عزته وقدرته وسلطانه رأفةً وتلطفًا ورحمة.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾

• الظلم عملٌ مقيت وخُلقٌ كريه لا يرضى به الله العزيز؛ فلذا أرسلَ رسُله تحذر الناس من ظلم أنفسهم وظلم غيرهم.

• إذا أردتَ طريقًا للنجاة من عذاب الله فاحذر الظلمَ بأنواعه، واتركه ابتغاء وجه الله تَصِر متّقيًا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾

• حين يبلغ إخلاصُ الداعية الذِّروة يصير خائفًا على دعوته أكثرَ من خوفه على نفسه، فيخاف أن تضعُفَ دعوته بضَعف بيانه، أو أن تتوقَّفَ بقتله وذهاب حياته.

• تكذيب الصادق وردُّ الناصح المشفق سببٌ لضيق الصدر، ومعه تقِلُّ الرغبة في النصح، ولكن يُعين على تخفيف ذلك الرفيقُ المساعد.

• لم يكن موسى طالبًا الانفرادَ لنفسه، وحبَّ التصدر لشخصه، بل استعان على مُهمته بأخيه، حتى يتم نجاح رسالته.

﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾

• الداعية الناجح يخطط لمستقبل دعوته؛ فموسى لم يرد التخلي عن التكليف، ولكنه أراد الاحتياط لرسالته واتخاذ التدابير الوقائية؛ لئلا تتوقف دعوته في حال لم يستطع إبلاغها.

﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾

• لقد أيَّد الله موسى وهارونَ باستماعه لهما، فما أعظمَ القوّة والأمان اللذَين نالاهما بمعيَّة الله لهما!

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

• قرعت جملة (رب العالمين) سمعَ فرعون ليعلم أنه مربوب وليس بربٍّ، مشمول بوصف العالمين وليس بخارج عنهم، فكان هذا من حسن الابتداء في مجابهة طغيان فرعون.

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾

• ما أسوأه من ظلم يوم تُفرض على أمة إقامةٌ جبرية تُستذل تحت ظلها، وتُستعبد تحت قهرها، وهي تريد الحرية في عقيدتها وإنسانيتها!

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

• ليس من ردِّ الجميل لمَن ادعى عليك فضلًا أن تدَع ما أنت فيه من الهدى، وتتبع ما هو فيه من الضلال، بل أن تدعوه إلى الهدى وتجنبه الردى.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

• التنقيب في تاريخ الدعاة الهُداة، واستخراج مَواطن الزلل، وبعثرة فعال الخطأ منهاجٌ فرعوني غرضه الإيذاء وتشويه السمعة.

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
(٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
(٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ
(٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ
(٢٨) قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ
(٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢)
وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم
بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩)

٣٦٨

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٢٠)﴾

ٱلضَّآلِّينَ: الجاهلين، وذلك قبل أن يوحى إليّ.

- حين يكون توكُّل العبد على ربِّه صادقًا فإنه لا يبالي بتشغيب العدوِّ واتِّهامه، كما لا يَقِفه ما كان منه في ماضيه عن إحقاق الحقِّ في حاضره.

- لم يجادل موسى عليه السلام ولم يسوِّغ الخطأ، بل تجاوز تلك الفعلة بالإقرار، واطمأنَّ بما سلف له من ربِّه من الإعذار، وما حباه به بعد الاستغفار.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢١)﴾

- النفوسُ حين تحنِّكها التجارِب، وتصقُلها الشدائد في سبيل الحق، تستحقُّ فضل الله وهِباته.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٢)﴾

- أيتناسى فرعونُ فعلته الشنيعةَ بتعبيده بني إسرائيل ويمتنُّ على موسى بتربيته إيَّاه؟ أوَلا يعلم أنه لولا تقتيلُه للأطفال ما دخل موسى قصره؟!

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣)﴾

- لا يقدِّر الطغاة ربَّهم تعالى حقَّ قدره، بل يُخلُّون بمقام الأدب عند الحديث عن جنابه.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤)﴾

- لفت موسى بإجابته الملهَمة أنظار السامعين جميعًا إلى عظمة خلق الله الذي يُعجز البشر جميعًا عن أن يصنعوا مثله، فهل آمنوا؟

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥)﴾

- ما أشدَّ ما يدافع فرعونُ عن باطله، ويصُدُّ قومه عن الخروج عنه إلى الحقِّ! فهو يحاول قطع تأثُّر السامعين بما يقول موسى بتعجيبه!

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦)﴾

- إنما يستحقُّ العبادةَ ربٌّ أوَّلٌ باقٍ، يدبِّر أمور خلقه بإحاطته بهم، ولا يكون كذلك المخلوق المحدَثُ الفاني الذي يدبِّر أمرَه خالقُه.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧)﴾

- حين يُفلس أصحابُ الباطل في دفع حُجَج الحقِّ ينتقلون من مناقشة القول إلى اتهام القائل.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)﴾

- كيف يدَّعي فرعونُ لنفسه الربوبيَّة وهو في غاية النقص والعجز؟! فربوبيَّة المشرق والمغرب لله وحده.

- العاقل يرى في ملكوت الله دليلًا على وجوده وعظمته وتوحيده، فمَن لم يرَ ذلك كان في عداد الجاهلين.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩)﴾

- صار فرعون يناقض نفسَه، فاتِّهامه لموسى بالجنون لا يقبله مَن يعرفه، ولمَّا أخفق في هذه الوسيلة انتقل إلى وسيلة الترهيب بالحبس.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾

- في الردِّ بالتي هي أحسنُ إرخاء للعِنان لإرادة البيان، فلعلَّ الطاغية عن بغيه يَنزِع، والمُعرض إلى ربِّه يرجِع.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١)﴾

- من خُبث فرعونَ أنه طلب البيِّنة، ولم يعِد نبيَّ الله تعالى بتصديقها، مع أنه هو الذي أظهر عند طلبها تشكيكه بحصوله!

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (٣٣)﴾

- قدَّم موسى بيِّنة العصا على بيِّنة اليد حتى إذا ردَّ فرعونُ آية العصا لكونها غيرَ متعلِّقة به، أتبعها بآية لا يمكن أن تكونَ متعلِّقة بغيره.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)﴾

- لما صَعقت فرعونَ حُججُ موسى لم يعُد عنده مجنونًا مَهينًا يستهزئ به، بل صار ساحرًا عليمًا يحذِّر منه!

- أهل الباطل في كلِّ زمان يستبدلون التهمَ لأهل الحقِّ استبدالَ الثياب، كلَّما بَليَت تُهمة ولم يعد لها رواجٌ أتَوا بتهمة جديدة رجاءَ نفوقها بين الناس.

- خوف الطاغية على مُلكه جعله يستشير عبيدَه بعد أن كان يتألَّه عليهم، وينسُب الأرض إليهم بعد أن كان لا يراهم شيئًا!

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧)﴾

- لولا اعتراف ملأ فرعونَ بقوَّة الحقِّ الذي جاء به موسى لما كان آخرُ أسلحتهم التي يسلُّونها عليه هي الاستعانة بالسحَرة!

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩)﴾

- الإرهاب بالتحشيد المعادي لحامل الحقِّ مسلك فرعوني، يُراد منه بثُّ الرعب في قلب المُحِقِّ ليضطرب الحقُّ باضطرابه، ولكنه لا يفلح دائمًا، بل قد يأتي بالنتيجة العكسيَّة.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

• لم يكن القوم باحثين عن الهدى، وإنما كانوا متّبعين للهوى، فهم لا يريدون اتّباعَ الحقّ إن كان هو الغالب، بل يتّبعون السحرة حال كونهم غالبين.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾

• شتّانَ بين مَن يسعى للآخرة ومَن يلهث خلف دنيا زائلة، فمبتغى موسى عليه السلام من معجزته إظهارُ الحق، ومراد القوم من سحرهم أن يغلبوه لإطفاء النور الذي جاء به.

• لا يبالي أهل الدنيا بالحق، بل ينظرون إلى أعراض الدنيا، فيغريهم المال والتقرُّب من أصحاب النفوذ والسلطان، ولو كان في ذلك إغضابُ الرحمن.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾

• الواثق بنصر الله تعالى وتأييده لا يخيفه أن يلقاه عدوُّه بكامل قوّته.

﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

• إن قومًا حلفوا بعزّة طاغية ليرفعوا من قدره قد جُوزوا كما جُوزيَ بالخيبة والصَّغار.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾

• عصا واحدة جعلها الله تعالى أفعى عظيمة، التهمَت كلَّ حبالهم وعصيِّهم شيئًا فشيئًا، فما أعظمَها من آيةٍ وأظهرَها من حُجَّة!

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

• لولا أن السحَرة رأوا أن ما جاء به موسى عليه السلام هو أمرٌ إلهيٌّ لا قِبَل للسحَرة به ما خرُّوا سُجَّدًا دون تردد وتباطؤ، حتى لكأن مُلقيًا هو مَن ألقاهم.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

• إن القلب البشريَّ لعجيبٌ غايةَ العجب إذا خالطته بشاشةُ الإيمان؛ ألا ترى كيف قلَّب الله قلوبَ السحَرة المأجورين، حتى صيَّرهم في ساعةٍ من خيار المؤمنين؟

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾

• هكذا اعتقد فرعونُ أن إيمان السحَرة إنما هو استسلامٌ لموسى، وليس إيمانًا بما جاء به! ولا غروَ، فإن ما يحرِّك عقولَ الناس قد لا يلامس قلوبَ الطغاة.

• لم يخجل فرعونُ الطاغية من اتّهام موسى عليه السلام بتهمةٍ ما من أحد يسمعها إلا ويعرف كذبها.

• حين تنقطع عن المبطل الجبّار الحجّةُ والدليل، يلجأ إلى الترهيب والتنكيل، تعبيرًا عن آخر ما يملك في جَبهِ الحق.

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾

• عندما تخالط بشاشةُ الإيمان القلوب، تهون على أصحابها الكروب، فتثمر عجائب في الثبات؛ ذلك أن أصحابها يدركون هوانَ الحياة كلِّها في سبيل أن يلقوا ربَّهم وهو عنهم راض.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

• لا بدَّ من تربية المؤمن على أن يبتغيَ بعمله وثباته الطمعَ بمغفرة الله تعالى ورحمته، حتى يستطيعَ مواجهة الطغيان.

• لو عرَفتَ فضل الريادة في الخير، ومنزلةَ السابقين إليه، لسارعتَ إليه كلَّما دعا داعيه.

• تفاءل بإكرام الله لك إن كنتَ فاتحَ باب خير لغيرك ومعبِّدَ الطريق إليه، فاهتدى الناس بك.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾

• بالعبودية الخالصة لله يفتح الله تعالى أبواب الفرج لأهلها فينجيهم من المهالك، ويهديهم إلى آمن المسالك.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

• وما تُغني الطغاة تعبئةُ الناس جميعًا على ازدراء المؤمنين والغيظ منهم إذا كان الله تعالى مع المؤمنين مؤيدًا وناصرًا ومعينًا وحافظًا؟!

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾

•استدرجهم البغيُ والغرور، والعصيان والفجور، فخرجوا للقضاء على موسى ومَن معه في صلَف وعُجب، فكان خروجهم خروجًا من النعمة الوارفة التي كانوا فيها إلى النقمة التي آلوا إليها.

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

• لم يكن بعد الكنوز والمقام الكريم إلا الندامةُ والعذاب الأليم؛ ليبقى ما خلَّفوا حسرةً يرثه قومٌ آخرون كانوا عندهم لا يُعبأ بهم.

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾

• كان توكُّل نبيِّ الله مصحوبًا بالأخذ بالأسباب حين استتر بجُنح الليل حتى يحقِّق مقصوده.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

الحزب ٣٧

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١
قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ
ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ
٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ
٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨
وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ
٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ
يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ
بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ
تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ
إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ
يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي
يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣

﴿لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾

• حين رأى أصحاب موسى عليه السلام عظيم البلاء عرَفوا قيمة النصر بعده، وحين رأى قوم فرعون قلة أصحاب موسى أغراهم ذلك بالاندفاع، غيرَ عارفين بما وراءه من الهلاك.

﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾

• الواثقون كلَّما ضاق عليهم خِناقُ البلاء انفتحت أمامهم أبوابُ الرجاء، فأيقنوا بقُرب الفرَج ودنوِّ المخرَج.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣﴾

• مَن خلق الكون وَفق سُنن دقيقة قادرٌ على إجرائها متى شاء، وإبطالها حين يريد.

﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤﴾

• تقريب فرعونَ وجنده حتى يجوزوا البحر وراء بني إسرائيل آية من آيات الله التي شفا بها صدور القوم المظلومين بهلاك القوم الظالمين.

﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧﴾

• حُسِمت المعركة لصالح موسى ومَن اتَّبعه دون إزهاق أنفس مؤمنة، أو خَسارة أرواح وعتاد، على خلاف ما عهِدَ الناس في معاركهم وحروبهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨﴾

• بعزَّته جلَّ جلاله يُهلك المكذِّبين، وبرحمته سبحانه يُنجي عباده المؤمنين، فسبحان مَن له الكمالُ في أسمائه وصفاته وأفعاله.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾

• فيما يقصُّ الله تعالى من خبر إبراهيم هداياتٌ للمتدبِّرين، ومواعظُ نافعةٌ للمتعظين.

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠﴾

• منهج الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى يقتضي البدء بالأقربين فمَن بعدهم؛ الأقرب فالأقرب.

﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١﴾

• كانوا يسمُّون أصنامهم التي يصنعونها بأيديهم آلهة، وهذا نهاية السخف؛ ذلك أن العقيدة متى زاغت عن التوحيد لم يفطَن أصحابها إلى ما تنحط إليه عبادتُهم وتصوُّراتهم ومقولاتهم.

﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢﴾

• عجبًا لتلك العقول التي رضي أصحابُها بأصنام يتوجَّهون إليها بالعبادة، ويدعونها للنفع والضَّر، وهي لا تسمع ولا تبصر، وهم يسمعون ويبصرون، فكيف يكون العابد أكملَ من معبوده؟!

﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣﴾

• مَن لا يسمع كيف له أن يجيب فينفع؟!

﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾

• تقليد الأبناء للآباء من غير مصباح الهدى ظلامٌ يمنع من رؤية الحقيقة، وجمودٌ يحبِس أهله في دياجير التبعية، والعاقل مَن اقتدى في الحق وخالف في الباطل.

﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾

• لا مجاملة في العقيدة لوالد ولا لقوم، ولا رابطة فوقها ولا قيمة تعلوها، وما سواها تبَع لها.

• ليس بين المسلم الموحد والأصنام صفاء ولا محبة، ولا قُرب ولا مودة، ما هناك إلا العداوة والبغضاء، والمباعدة والبراء.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨﴾

• إن مَن تفرَّد بالخلق هو مَن تفرَّد بالهداية، فلا يوفِّق إليها سواه، فعلى جميع المخلوقين المكلَّفين أن يتَّبعوا هداه.

﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩﴾

• كلما طعِمتَ فشبعت، وسُقيت فرَويت، فاحمد الله تعالى الذي سخَّر لك ما يقيم أوَدَك ويقويك.

﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾

• يحسُّ المؤمن بكفالة الله سبحانه وتعالى له، ورِفقِه به، ورعايته له في صحَّته ومرضه.

• من الأدب الرفيع أن ينسُبَ المؤمن إلى ربِّه ما جرى له في حال الإنعام والإفضال، كإطعامه وإسقائه وشفائه، ولا ينسب ذلك في حال ما يظهر أنه شر.

﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١﴾

• مَن بيده الإحياء والإماتة هو المستحق للعبادة، فكيف ينصرف عاقل عنه إلى عبادة مخلوق جماد لا يسمع ولا يبصر؟!

﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾

• مهما قدَّم المؤمن من أعمال خالصة فإنه لا يَعقِد عليها الأمل الجازم بالمغفرة، بل يرجو ذلك من فضل الله تعالى وحده، ويطمع فيها طمَع مَن لا يرى لنفسه عملًا.

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾

• سَلِ اللهَ سبحانه وتعالى أن يكرمك بإدراك الحقِّ والعمل به، فيجتمع لك بذلك خيرُ العلم والعمل.

وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٖ فِي ٱلْأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٖ
سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ
أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ الحِزْبُ ٣٨

٣٧١

﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٖ فِي ٱلْأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾

• طوبى لمؤمن أنعم الله تعالى عليه بذكرٍ حسنٍ في العالمين، لا يقتصر على زمانه ولا مكانه، ولكنَّه يكون معه في حياته، وله بعد وفاته.

﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾

• نعيم الجنَّة هو النعيم الدائم الكامل، وكلُّ نعيم سواه ناقصٌ وزائل، وهو مُعدٌّ لكل مَن يطلبه، فسَلِ الله أن يجعلك ممَّن يرثه.

﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾

• خصَّ أباه لِما تقتضيه الأبوَّة من خصوصيَّة وما تسبِق معها من سابق نعمة، ولمَّا لم يستجب الأبُ لدعوة ابنه لجأ الابن إلى الله ليستجيبَ لدعائه فيه، فيا ليت الأبَ كان لهذا البِرِّ البالغ أهلًا!

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾

• إذا كان خليل الرحمن وهو الإمام في التوحيد، مُناظرًا عنه، داعيًا إليه، يخشى العَرض على الله، فمَن من الناس بعده يأمن على نفسه؟

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

• يوم القيامة لا مالٌ ينفع، ولا ولدٌ من العذاب يَدفع، فكيف سينفع المرءَ ما دون ذلك؟

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾

• أجمع السائرون إلى الله على أن القلوب لا تُعطى مُناها حتى تصلَ إلى مولاها، ولا تصلُ إليه حتى تكون طاهرةً من الشبُهات والشهوات.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾

• ما أقربَ المتقين من الجنان، وأدنى الغاوين من النيران! فزد تقوًى تزدد من الجنة قربًا، وإياك وزيادة الغَواية؛ فإنها تدني من النار.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

• أين الآلهة المزعومة التي كان عابدوها بها يستنصرون، وأين نفعها لهم الذي كانوا به يوقنون؟ فإذا لم تنفعهم وقتَ حاجتهم ولم تنقذهم حين شدتهم فأي آلهة هذه؟!

﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

• أيُّ رجاء سيبقى للمشركين في معبوداتهم وهم يرونها تُدفع إلى النار معهم، ويُدفعون إليها جميعًا؟

﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

• اجتمعوا في النار على العَداء والمنازعة بعدما كانوا يجتمعون في الدنيا على الولاء والمتابعة، حتى وردوا جميعًا دار الندامة.

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾

• انكشفت عن المبطلين الغِشاوة، فأيقنوا أنهم كانوا في ضلال واضح، وما أعرضوا عنه من الحق كان في منتهى البيان.

﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾

• هل هناك ضلال أوضح من تسوية المخلوق بالخالق العظيم سبحانه؟

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

• سبحان الله كيف تغيَّر وصفهم لمتبوعيهم! فبعد أن كانوا في الدنيا لديهم أصحابَ الهداية والإعظام، أصبحوا يوم القيامة أهل الإضلال والإجرام!

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾

• لن يجد أصحابُ الضلال يوم المآل مَن يشفق عليهم أو يهتم لأمرهم، فضلًا عن أن يكون هنالك مَن ينفعهم ويشفع لهم.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

• أنت في بُحبوحةٍ من الوقت والإمهال، فكم من أُناس يتمنَّون بعد الموت لو يعودون إلى الدنيا فيعيشوها ويتداركوا تقصيرهم فيها!

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

• ألا هل من مُعتبِر بهذه العِبر، ففيها آيات تهدي ذوي القلوب الحية إلى النجاة؟

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

• سبحان القادر على إيقاع النقمة بكل مَن خالفه حين يخالفه، الرحيم بإمهاله لمَن عصاه!

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

• من مشكاة واحدة خرجت دعوة الأنبياء، وعن مرسِل واحد بلَّغوا، وإلى غاية واحدة دعَوا، فتكذيبُ واحد منهم تكذيبُ لجميعهم.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾﴾

• شهرة الأنبياء بين أقوامهم بالأمانة والصدق فيهم دليلٌ على أنهم مأمونون على ما يبلِّغون من الوحي.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

• من الحكمة أن يعلنَ الداعية تجرُّده من أيِّ مصلحة شخصيَّة من مدعوِّيه إن احتيج لذلك.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾

• حين يتردَّد التذكير بالتقوى على المسامع بين الفينة والأخرى، فلربما تنبَّه مَن كان غافلًا، واستجاب مَن كان متردِّدًا.

﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

• ما تمكَّن داء الكِبر والاستعلاء من قلب عبدٍ إلا حُرم أعظمَ الخير.

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ
﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

٣٧٢

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢)﴾

• لا يهتمُّ المؤمن بتفاصيل أعمال الناس التي لا تعنيه، ولا يجعل لها وزنًا في دعوته، فما يعنيه منهم هو أن يستجيبوا لدعوة ربِّه.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣)﴾

• لا بدَّ أن يشعرَ الناس بما لا يدَع لديهم مجالًا للشكِّ في أن الداعية الصادق لا يفاضل بينهم على أساس دنيوي.

• سرائر العباد وخفاياهم وثوابهم على ذلك وعقابهم ليس لرسولٍ ولا لغيره من الخلق، وإنما ذلك للخالق سبحانه علّام الغيوب.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)﴾

• المستجيبون للدعوة الصادقون، المؤمنون بربِّ العالمين، لهم حقُّ المراعاة والإيواء، وليس من شأن الرسول اتِّباع شهوات المعاندين، فيطرد المؤمنين طمعًا في إيمان المعرضين.

• صمود صاحب الحق أمام المبطلين بحججه، ووقوفه في وجوههم بساطع براهينه؛ جعلهم يلجؤون إلى الوعيد والترهيب لمّا لم يجدوا حُجّة يقفون بها داعي الحق.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧)﴾

• عندما لم يجد نبي الله من قومه استجابة غيرَ التهديد، مع طول مدة الدعوة؛ توجَّه إلى الركن الشديد، وحاشاه أن يُخيب مَن لجأ إليه.

﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨)﴾

• على الداعية أن ينظر في سلامة أتباعه كما ينظر في هلاك أعدائه.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩)﴾

• حفظ الله سفينة الإيمان والحياة من الغرق، وقد شُحنت بالناس والحيوان، وامتلأت زادًا وعَتادًا، وسارت في طوفان وموج كالجبال.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠)﴾

• هكذا يصطفي الله المؤمنين بالإنجاء من الجمع المليء بالخَبَث، فيبقى الخَبث وحده، لينزل عذاب الله بصف المجرمين وهو خالٍ من المؤمنين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)﴾

• مع ما في الآيات من عظيم العِبرَ والدَّلالات فإن هنالك أقوامًا لا يتَّعظون ولا يعتبرون!

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)﴾

• لم تتَّعظ عادٌ بما جرى لقوم نوح المكذِّبين من العذاب، فسلكت طريقهم، لتلقى في النهاية مصيرَهم، ومَن لم يعتبر بغيره صار عبرةً لغيره.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤)﴾

• لله درُّ الأنبياء ما أرفقهم بقومهم وألطفهم في عرض الدعوة عليهم! ومع لين خطابهم لم يقابلوا بالاستجابة لهم.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥)﴾

• الرسُل أمَناء الله تعالى على خلقه في إرشادهم وتقويمهم، وعلى الدعاة أن يكونوا كذلك.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦)﴾

• ما أعظم عناية الشرائع السماوية بمبدأ تقوى الله التي توجب توحيده! ألا ترى الأنبياء يبدؤون بها دعوتهم؟

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)﴾

• لم يبتغِ الرسُل على دعوتهم للناس أجرًا دنيويًّا قليلًا أو كثيرًا، وإنما يطلبون أجرهم ممن أرسلهم، وعلى نهجهم تكون دعوة الدعاة المخلصين.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩)﴾

• لم يأمر هود قومه بتغيير ما بنَوه من الأبنية العاليات، ولا ما اتخذوه من القصور والحصون، لكنه توجه إلى ما في نفوسهم من الأدواء الروحية من التفاخر والالتهاء عن الآخرة ليعالجها.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١)﴾

• يحسُن بالمرء ألا يزال في كلِّ حين يذكِّر سامعيه بتقوى الله وطاعته، إذ هما الغاية، وبهما النجاة.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢)﴾

• ما أحسنَ أن يُوعظَ المتجبِّر بتذكيره بأن ما هو فيه من القوَّة إنما هو من ربِّه وإمداده! لعلَّه أن يكفَّ عن جبروته وظلمه.

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤)﴾

• يا مَن متَّعك الله بعزِّ الولد وقوَّة المال، وبطِيب العيش ورفاهية الحال، قابل ذلك الإحسانَ بالخضوع.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)﴾

• ليس خوف الأنبياء على أقوامهم من أن يُسلبوا النعمَ بأشدَّ من خوفهم عليهم مما ينتظرهم؛ بسبب كفرهم من الحساب والعذاب.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦)﴾

• متى أُوصدَت القلوب بمغاليق العِناد والتكذيب للحقِّ فإن الموعظة لا تجد طريقها إليها، فيستوي عند ذلك وعظُها وتركُها من غير موعظة.

إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٤٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ١٤١ إِذْ
قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٤٣
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٤٤ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٤٥ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ١٤٦
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ١٤٨
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ١٤٩ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
١٥٠ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ١٥١ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ١٥٢ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَا أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٥٤ قَالَ
هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا
نَادِمِينَ ١٥٧ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٥٩

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ١٣٧﴾

خُلُقُ: دين وعادة.

• العاقل لا يصل إلى الحقِّ بعادات الأوَّلين، بل بالأدلَّة والبراهين؛ فإنه لا يحتجُّ بما عليه الآباء على عِلَّاته إلا مَن طُمسَت بصائرهم، وعطَّلوا ما وهبهم الله من التفكير والعقل.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨﴾

• إذا بلغ الغرور في العاصين مداه اعتقدوا لأنفسهم السلامةَ والنجاة، وأن ما هم عليه لا يسوق إلى العذاب، ولا يستوجب العقاب!

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾

• ما أقربَ الهلاكَ من المكذِّبين! وما أبعدهم عن الاتِّعاظ بما جرى لأمثالهم السابقين!

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٤٠﴾

• مَن عاند رسالات الله كان ربه له بالمرصاد قاهرًا مذلًّا، ومَن آمن به فإن الله غفور له، رحيم به، يتولاه ويحفظه.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ١٤١﴾

• القرآن لا يعالج أمَّةً واحدة في بيئة واحدة بخُلق واحد، بل يعالج أممًا مختلفةَ البيئات، مختلفةَ الأدواء، متنوِّعةَ المواهب والميول، وفي ثمودَ عِبَر، كغيرها ممَّن غَبَر.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٤٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٤٤﴾

• رسالة الله إلى البشر هي أن يتَّقوه ويوحِّدوه، وأمانةُ كل رسول إليهم توجب عليهم أن يطيعوه ويصدِّقوه.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٤٥﴾

• لو عرَف المرء عظمة ما يعطيه الكريم سبحانه وتعالى لأخلصَ له، ولآثر فضله على كلِّ أجرٍ يمكن أن يرجوَه من العباد.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ١٤٦﴾

• لقد جرت السنَن أن مَن يكفر بنعم الله ويكذِّب رسله ألا يدوم له نعيم، وألا يسلَم من الفوت والسلَب.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ١٤٨﴾

• ازدهى الكافرون بالرياض، وتباهَوا بالعيون الجارية، والخيرات الكثيرة، فكذبوا الحق، فجاءهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ١٤٩﴾

• لقد أنعم الله تعالى على عباده بما أودع في الأرض من أسباب النعيم، وبالقوة البدنية والعلمية التي سخر لهم بها الجبال والصخور وغيرها حتى صنعوا منها ما يبتغون، لكن الظالمين لم يكونوا لذلك شاكرين، بل عاشوا في تلك النعمة أشرين بطرين.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٥٠﴾

• على الأمة أن تتقي الله العظيم، وتتَّبع رسولها الكريم؛ حتى يدوم عليها فضلُ الله ونعمه.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ١٥١ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ١٥٢﴾

• مَن أسرف في عصيان ربه، والإفساد في أرض خالقه، والتمرد على رسله، والصد عن الحق الذي جاؤوا به، فليس أهلًا لأن يُطاع، ويصير له من العقلاء أتباع.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ١٥٣﴾

• مَن انتكست فِطَرهم، وانغمست في حمأة الشهوات نفوسهم، يرون الأمر بتوحيد الله وتقواه، ونبذَ ما خالفهما ضربًا من الجنون!

﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٥٤ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥٦﴾

• لقد أكرم الله سبحانه وتعالى البشرية حين اختار منها رسُلًا له، يوحي إليهم ويبلِّغون عنه، ولكن المعرضين لم يدركوا هذا الإكرام، بل جعلوه من أسباب الصُّدود والإحجام!

• لم يؤتهم الله الناقةَ كرامةً لهم ولا حبًّا، ولكن أرسلها ابتلاء واختبارًا، فإن شكروا وآمنوا كانت لهم نعمة، وإن كفروا واستمرُّوا في طغيانهم كانت عليهم نقمة.

• ما كان من عند الله سبحانه وتعالى فالواجب شكرُه ورعايته، وإكرامُه واحترامه.

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ١٥٧﴾

• ليس العصيان دائمًا محصورًا على الفاعل المباشِر فحسب، بل مَن رضيَه وأحبَّه فقد شارك فاعله ومُباشِره.

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٥٩﴾

• لعلَّ أكثر القوم لو آمنوا واتَّقوا لعصم ذلك بقيَّتهم من العذاب، فما أحسن أثر الخير إذا زاد!

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

الحزب ٣٨

٣٧٤

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

• إذا غلب الشرُّ أهلكَ وعذَّب، وإذا كثُر الخير حَمَى وأنجى.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾

• مَن رأيتَه يتجرَّأ على فعل الذنوب العظيمة فمُره بتقوى الله؛ فإنها سبيلُ النجاة، فإن لم يستجب فلا تأسَ عليه، فقد عرَّض نفسه للهلاك.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾﴾

• عرضُ الداعية سيرتَه الحسنة أمام مدعوِّيه؛ للوثوق بصحَّة ما جاءهم به من الهدى، لا حرجَ فيه، بل قد يُستحسَن ذلك عند مناسبته.

﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾

• لا وقايةَ من عذاب الله جلَّ جلاله إلا باتِّباع نبيِّه ﷺ.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾

• دعوة الرسل خالصة لأجل الله، وكل ما يلقَونه هو في سبيله، فما أعظم إخلاصهم! وما أحسن أن يقتدي بهم في ذلك الدعاة!

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾

• مَن لم يقبل ملازمةَ الفِطرة السليمة فقد رضيَ لنفسه الهلاكَ في أوحال الرذيلة، وبئستِ الهلكة!

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

• لا تفسيرَ لترك الحلال الطيب وارتكاب الحرام الخبيث سوى العدوان، واطِّراح شريعة الله تعالى.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

• كلُّ مَن يتمتَّع بالفِطرة السويَّة الطاهرة فإنه ينفِر من الفاحشة أيًّا كانت.

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

• إن النجاة الحقيقيَّة هي نجاة المرء من العمل السيِّئ، فهي سببٌ في دفع الشقاء عن العبد في الدنيا والعذاب في الآخرة.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾

• لا يُنجي الإنسانَ عند الله إلا عملُه الصالح، فلا زوجة تُنجي زوجًا، ولا قرابة تُنجي قريبًا.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

• قضى الله على قوم لوط بالتدمير، ولم يُستثنَ من ذلك صغيرٌ ولا كبير، وهكذا شؤمُ المعصية حين تطِم، فإن العقوبة تعُم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾

• ما أسوأ نهاية القوم المجرمين! وما أشد ما نزل بهم من العذاب المُهين! لقد مُطروا مطرَ نقمة لا مطر رحمة، ولم تهطل عليهم قطرات ماء، وإنما حجارة من طين صماء.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾﴾

• كل قصة ذكرتها السورة الكريمة هي ذات عبرة كاملة للمعتبرين، وآية تامة للمتدبرين، تطرق القلوب فتنبهها، وتكرر عليها العبرة لتذكُّرها بعد غفلتها.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

• عزَّ ربنا تعالى فلم ينجُ من عذابه معرض مكذِّب، ورحم سبحانه فلم يَشق بالإيمان به وتصديقِ رسوله مؤمنٌ مصدِّق.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾

• ألا يستحيي العبد من كفرانه لربه وتكذيبه لرسله وهو يصاحب نعمته، وفضل الله ما زال يفيض عليه، وخيره لا ينفك عنه؟

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

• لا يصلُح عصر، ولا يُفلح قوم، ولا تنجو من عذاب الآخرة أمة؛ إلا بتقوى الله جلَّ وعلا.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾﴾

• داعية الحق إذا ظهر صدقُه وأمانته كيف لا يُسمع فيما دعا إليه من الحق قولُه، ولا يُطاع في ذلك أمرُه؟!

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

• إذا كان أكرم الأكرمين قد عرض عليك جزيل العطاء إذا عملت لديه، فكيف يليق بك أن تطمع بعدها بما في أيدي الناس؟

﴿۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾﴾

• تتلازم الدعوة إلى التوحيد الذي هو حق الله على العبيد مع التوكيد على رعاية حقوق الخلق وتحريم بخسهم.

﴿وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾

• المؤمن الحقُّ مستقيمٌ في جميع معاملاته؛ في بيعه وشرائه، وكَيله ووزنه، فهو على ذِروة الوفاء مع الخالق والخلق.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

• ليس مثلَ شرائع الله سبحانه ما يرعى حقوق الناس جميعَها؛ ماديَّها ومعنويها، خاصها وعامها.

﴿وَٱتَّقُوا ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾

• المتفرد بخلق العباد أولِهم وآخرهم هو أحق بأن يُتقى ويوحد، ويطاع ويعبد.

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ
ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ
عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً
أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ
﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ
فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

٣٧٥

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾﴾

• لا يعرف المضلِّون سبيلًا يقطعون به الصلة بين داعي الحقِّ والناس إلا اتَّبعوه، فإن لم يجدوا حُجَّة فالتهمة أسلكُ مَحَجَّة.

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾

• كيف يرمونه بالكذب وقد علموا صدقه؟ وكيف يَطعُنون في رسالته لكونه بشرًا وهم يعلمون أن المصلحة للبشر إرسالُ رسول منهم لتتِمَّ الهداية بالاقتداء به؟!

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾

• لقد بلغوا من العناد مبلغًا، وارتقوا في رُتَب التكذيب مُرتقًى، حين طلبوا ما لا فائدة لهم فيه وهو العذاب، وهذا غاية الحمق.

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

• ما أحلمَ الأنبياء وما أرحمهم بأقوامهم! فشعيبٌ لم يدعُ على قومه وقد كذَّبوه وتحدَّوه، وأساؤوا إليه وعاندوه، بل فوَّض أمرهم إلى ربِّهم العليم بعملهم، ونوح لم يدعُ على قومه إلا بعد أن مكث دهرًا طويلًا في دعوتهم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾﴾

• لا تغترَّنَّ بكثرة أتباع الباطل، ولا بقلَّة أصحاب الحق، فما كانت الكثرة معيارَ الحق، ولا القلَّة دليلَ الباطل.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

• مَن لم يقبل رحمة الله فيؤمن به وبرسله أخذه الله بعزته وغلبته.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾

• القرآن الكريم مصدر صلاح وهداية وتربية لكلِّ عباد الله تعالى، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام ربِّ العالمين؟

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾

• الوحي روح القلوب وحياتها، وغذاء الأرواح ومادتها، وحملتُه إلى المكلفين أرواح كذلك لحملهم إياه.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

• نزل القرآن على القلب أشرفِ الأعضاء؛ ليستنهض بقيَّة الجوارح للتدبُّر والعمل، فمَن لم يحضرُ قلبه عند التلاوة أو السماع فلن ينتفع بالقرآن حقًّا.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾

• لغة العرب أفصحُ اللغات وأشرفها، وأوعبها لاشتمال المعاني الدقيقة وأجمعُها، فلا يجوز حملُ كلام الله على خلاف مقتضاها، ولا تركُ المعاني الظاهرة للخفيَّة إلا بأدلَّة تدلُّ عليها.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

• أعظِم بهذا القرآن المبين الذي بشَّرت به كتب الأوَّلين، وصدَّقته رسالاتُ الرسُل السابقين! وقد نزل موافقًا لما أخبرت به، وصدَّق ما قالته عنه.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾

• ما يحصل به اشتباه فمردُّ الحكم عليه إلى أهل الخبرة فيه والدراية به، فأهل الكتاب المؤمنون أعلم من المشركين بصحَّة القرآن المبين، وصدقِ النبيِّ الأمين.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾

• أيُّ عذر لعربيٍّ لا يؤمن بهذا الكتاب ولا يتدبَّره، ولا يُقبل عليه فيعمل به، وقد نزل بلغته، لا بلغة قوم آخرين؟ فالحجَّة عليه أعظم، واللوم عليه أكبر إن لم يؤمن به.

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾

• الإجرام سببٌ من الأسباب التي تجعل الكفر يُتشرَّب في القلوب، فكأنه بعد ذلك في ملازمته إيَّاها يجري فيها فلا يفارقها.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

• بادر أيها المذنب العودةَ إلى الله تعالى قبل حلول النقمة وانقطاع المهلة، فإن العذاب إذا نزل لم تنفع معه توبة، ولا تُرده ندامة، ولا يجدي عنده جزَع، ولا يُسمع طلبُ إمهال.

﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

• الآن يطلبون التأجيل والإنظار، وقد جاءتهم الرسل فقابلوهم بالإعراض والاستهتار! فهيهات هيهات النجاة بعد ذهاب وقتها!

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

• جمعوا بين شدة التكذيب ونهاية الكبر والعناد حين استعجلوا العذاب ونزول العقاب؛ إذ كيف يستعجلون فناءهم لو كانوا يعقلون؟!

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

• مدة التمتع في الدنيا متناهية قليلة، ومدة العذاب الذي يحصل بعد ذلك غير متناهية، وليس من العقل ترجيح لَذات متناهية قليلة على آلام غير متناهية.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ
ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ
يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ
بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧

سورة النمل

٣٧٦

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾

• ليس كل مَن أُوتي متاعًا يُغبط عليه، فكم من أناسٍ غرَّهم ما آتاهم الله وأساؤوا استخدام النعم، فكانت وبالًا عليهم!

• أين تلك المتعُ والنعم؟ وأين السلطانُ والحشَم؟ وأين الأموالُ والدنيا العريضة عند نزول عذاب الله تعالى؟ فهل أغنت عن أهلها شيئًا؟

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨﴾

• جرت سنَّة الله بأنه لا يُهلك قريةً وهي غافلةٌ لم يأتها نذير، وذلك من مظاهر رحمته بعباده ولطفه بهم، فإذا جاءها النذير فكذَّبت وأعرضت، نزل بها غضبُ الله فأُفنيت وأُهلكت.

﴿ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩﴾

• حين ينسى الناسُ عهد الفِطرة التي فطرهم عليها، تأتي الرسُل فتذكرهم ما نسُوه، موقظة لغافلهم، ومعلِّمة لجاهلهم.

• تعالى الله عزَّ وجلَّ أن يكونَ الجور من وصفه، أو يكونَ الظلم من فعله، فإنه لا يعاقب مَن لا يستحقُّ العقاب، ولا يعذِّب إلا مَن يستأهل العذاب.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١﴾

• حفظَ الله هذا الكتابَ من أيدي الخائنين، حيثُ نزل به جبريل الأمين ولم تتنزَّل به الشياطين؛ إذ لا ينبغي في حكمة الله أن يجعلَ ذلك لهم، ولا في مقدورهم.

﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾

• خباثة نفوس الشياطين لا تؤهِّلهم لقبول أنوار الحق، فهم مرجومون مُبعَدون.

﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾

• خاطب نبيَّه عليه الصلاة والسلام مع عِصمته من الشرك؛ ليعتبرَ غيره، والخوفُ من الوقوع في الشرك أشدُّ.

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾

• تقتضي الحكمة في الدعوة والبصيرةُ بها أن يبدأ الداعي بأقرب الناس إليه، فهم أولى الناس بالخير الذي يحمله، وليكونوا قاعدة عون وتصديق ينطلق منها إلى بقية المجتمع.

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾

• بمثل أخلاق النبي الكريم ﷺ فليأتسِ الدعاة في الرفق بالمؤمنين، والتواضع لهم، والتلطف معهم، ولين القول لهم.

﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦﴾

• لا ينبغي أن يكون خفض الجناح للمؤمنين مسوِّغًا للرضا بما يصدُر عنهم من عصيان، فكما لا تنفير فكذلك لا مداهنة.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧﴾

• مما يؤنس المتوكل على الله أن يستحضر دائمًا أن مَن يتوكل عليه هو العزيز الرحيم، فبه يثق ويحسن الظن؛ لأن بعزته يدفع ما يرهب منه، وبرحمته ينال ما يرغب فيه.

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾

• لقد كان رسول الله بمحل العناية من ربه، وبمكان الاهتمام به، فيراه وهو يتقرب إليه، فيُقبل الله عليه ويتقبل منه.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾

• أقبل على صلواتك، وقُم في جوف الليل بين يدَي ربِّك، واستشعر سمعَه لكلِّ ما نطق به فمك، فكم في تلك الصلواتِ من موجبات الرحمات.

﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢﴾

• الشياطين محلُّ الإفك المبين، ولا يتنزَّلون إلا على أمثالهم من الكذَّابين، ولا عجَب، فشِبهُ الشيء منجذبٌ إليه.

﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣﴾

• أخبار السماء التي تلقيها الشياطين على آذان الكهنة الخبثاء جُلها كذب وافتراء، فلا يصِح الإقبال عليها والجزم بصدقها.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤﴾

• إذا كان الشاعر يزين الباطلَ مدحُه، ويشوِّه الحقَّ هَجوُه، فإن أهل الزَّيغ حينئذ أتباعه، وما أحسن ما وجدوا في قوله من الزاد لبلوغ المراد!

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾

• الشاعر إذا لم يكن على هدى تنقَّل شعره في أودية الهوى والردى، فيخوض في كل فن من فنون الكذب والزور، وتمزيق الأعراض.

• الشعراء غير المهتدين في معزِل عن الصدق المبين؛ فهم يقولون ما لا يعتقدون، ويتمدَّحون بما لا يفعلون، ويذكرون ما لا حقيقةَ له في الواقع.

• الشاعر المؤمن له هدفٌ نبيل يريد تحقيقه في عالم الواقع بشِعره، وله منهجٌ مشرق بنور الوحي يمضي عليه في تصوير القضايا.

• إن المنقلَب الذي يرجع إليه الظالمون أنفسهم بالشرك والمعاصي منقلبُ سوء وهلاك، وسيعلمون ذلك علمَ معاينةٍ لا علم خبر.

سُورَةُ النَّمۡلِ

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ ﴾

• من عظمة هذا الكتاب الكريم أنه كتاب كامل البيان لأحكامه وحِكمه، وذلك من مظاهر إعجازه وتمام تأثيره.

﴿ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾

• مَن أراد الهدى والبشارة فليَرِد نبعَ القرآن، فمَن زاد قربُه منه زادت هدايته، ورُجيت له بشارته.

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ ﴾

• المهتدون بالقرآن يؤدون صلاتهم على الدوام، ولا يقصرون في الحفاظ على ما وجب فيها.

• الإيمان بالآخرة يصدُّ المؤمن عن جموح الشهوات، ويغمُر روحه بتقوى الله وخَشيته، ويجعله يستحيي من الوقوف بين يديه موقفَ العاصي.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ ﴾

• حينما تخلو القلوب من الإيمان بالآخرة تُقبل على المعاصي فتستحسنها كأنها طاعات، وتكره القُربات كأنها لديها سيئات!

• ما من مُعرِض عن منهج الله سبحانه وتعالى إلا وهو متخبِّط خبطَ مَن لا بصيرة له، فلا تراه ذا رأي سديد، ولا عمل رشيد.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ ﴾

• أيُّ خسارة للمرء أعظم من خسارته لنفسه في الآخرة، حينما أرداها في سوء العذاب في الدنيا؟!

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ ﴾

• كفى بهذا الكتاب شرفًا أنه جاء من عند الله الحكيم العليم، الذي أودعه من بدائع حكمته وعلمه ما جعله تشريعًا تامًّا يراعي مصالحَ الناس في معاشهم ومعادهم.

• ما في القرآن الكريم من التوجيهات والأخبار، والمواعظ والأسرار، هو من آثار حكمة الله وعلمه، فما أحسنَ مَن تدبَّر كتاب ربِّه فعرف العبرَ في تلك الآثار!

﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ ﴾

• على المرء أن يحرص على مصالحه الدنيوية المشروعة ويسعى إليها، ويريح أهله بجلبها إليهم وإسعادهم بها.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ ﴾

• رُبَّ خير يكون في بعض البِقاع ينشر الله بركته في أقاصيها، ويبثُّ آثار يُمنه في أباعدها.

• كم ساعٍ لخير بلَّغه الله فوق مُناه، فقد ذهب موسى عليه السلام ملتمسًا نوعًا من الهدى، فبلَّغه الله تعالى خيرَ الهدى.

• سبحان مَن لا يحيط به شيءٌ من مصنوعاته، ولا يكتنف بأرضه وسماواته، بل هو العليُّ العظيم المباين لجميع مخلوقاته، الأحد الصمد المنزَّه عن مماثلة مُحدَثاته!

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ ﴾

• أوحى الله تعالى إلى موسى بمقصد إرساله بأنه الإله المعبود الأحد، القاهر لكل عاتٍ متمرد، الحكيم في البعثة والإرسال.

﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ ﴾

تَهۡتَزُّ: تتحرَّكُ في خِفَّة.

جَآنّٞ: حيَّةٌ خفيفة.

يُعَقِّبۡ: يرجع على عقبه.

• لا عجب أن يخاف نبيُّ الله تعالى ويأخذ بأسباب السلامة، فذلك ما تقتضيه طبيعة المخلوق حيال أمر يفزعه.

• لرسل الله خصوصية تمام العناية وكمال الرعاية من ربهم تعالى، فهم بحفظه وعصمته ينطلقون إلى مَن أرسلوا إليه غير هيَّابين؛ إذ كيف يؤدون رسالته وهم من خلقه خائفون؟

الحزب ٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ
وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن
لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَآءَهَا
نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ
سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ
غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ
١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ ﴾

• على الظالم أن يخشى مغبة ظلمه وعاقبةَ جُرمه، وأن يدرك ألا أمان له من عذاب الدنيا والآخرة إلا أن يدع ظلمه ويحسن عمله.

﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ١٢ ﴾

• في العصا واليد آيتان مرئيَّتان عجيبتان، لو رأتهما عيونٌ لا يغطيهما رهَج الكِبْر والغرور، ولا دُخان التقليد أو الخوف من البشر؛ لأذعنت العقول وآمنت القلوب.

• عدَّد الله تعالى لقوم فرعون الآيات، وأراهم تسع آيات؛ رجاء أن يؤمنوا ويستجيبوا، غير أن القوم كانوا في الفِسق متوغلين، وعن التسليم للحق معرضين.

﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ ﴾

• عجبًا لمَن لا يرى في الآيات البيِّنات إلا سحرًا وخُزَعبِلات، وأباطيلَ ظاهرات!

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ
وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ
ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ
لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ
أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ
صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ
مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ
أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

٣٧٨

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

• الكِبْر من أعظم أسباب جحْد الحقِّ وإن كان كالشمس في رائعة النهار ظاهرًا، فما أعظم فسادَ المتكبِّر، وما أسوأ عاقبته!

• إذا كان المكذِّبون بموسى عليه السلام قد استحقُّوا العذاب، فكيف بمَن كذَّب بمحمَّد ﷺ وما جاء به، وهو أشرف الخلق، وأبينُ من موسى حجَّةً، وأكثر برهانًا؟!

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾

• لقد آتى الله داودَ وسليمان من النِّعم ما لا ينحصر، ولكنَّه خصَّ العلم من بينها بالذكر ليبيِّنَ أنه أعظمُ فضل.

• عنوان سعادة العبد أن يكون شاكرًا لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب، بل يرى أنها تستحق منه شكرًا كثيرًا.

﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

• تحدَّث بنعم الله سبحانه وتعالى عليك شاكرًا له عليها، معترفًا له بالفضل فيها، لا مباهيًا ولا متكبرًا على الخلق بسببها.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

وَحُشِرَ: جُمِع.

يُوزَعُونَ: يرَدُّ أوَّلُ كلِّ جنسٍ على آخرهم ليقفوا جميعًا منتظمين.

• كانت جنود سليمان تجتمع بين يديه، لا تفرُّق فيها ولا تشرذُم بينها، وإنما هي أشبه ما تكون بحشد عسكريٍّ ذي ترتيب مُحكَم وتنظيم مَهيب، فما أعظم ملكه، وأحكمَ إدارتَه له!

• الترتيب والتنظيم من السياسات الحكيمة في تدبير أمر المُلك، والفوضى وسوء الإدارة ممَّا ينافي ذلك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

• إذا كانت نملةٌ قد حملت همَّ أمتها فأنقذتها من خطر كاد يهلكها، فذكرها الله في كتابه؛ أفلا يشحذ ذلك همة العقلاء فيعملوا على دفع الأخطار المحدقة بأمتهم؟

• اعتذرت النملة لجند سليمان بأنهم لا يشعرون، مع ما تتوقع أن يصيبها من الهلاك مع قومها، أفلا نتلمس نحن المعاذير لمَن نثق بأنهم من أهل الفضل؟

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

• حال الأنبياء فيما يعرِض لهم من المواقف المعجبة جمال خُلق وحسن أدب، دون خفة تخرجهم عما لا يليق بقدرهم.

• الولاة الصالحون حينما يرون اتساعَ مُلكهم والآثارَ الحسنة لسلطانهم، يزدادون تواضعًا وتضرعًا إلى الله، ويتبرؤون من حولهم وقوتهم، وينسُبون تلك النعم إلى الله تعالى وحده.

• استعن بمولاك جلَّ جلاله ليوفقك إلى عمل صالح يرضاه، فإنه إن يسَّره لك فقد أعظم نعمته عليك.

• لا يكتفي المؤمن بحمد اللسان، بل يُعمل في حمد ربه ما أنعم به عليه من الجوارح والأركان.

• المؤمن دائم الخوف من أن يقصِّر به عمله وشكره، فسليمان يضرَع إلى ربه بدعائه، مع ما أنعم به عليه من النعم الغزيرة، غير آمن من مَكره حتى وإن اصطفاه!

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾

• على مَن ولَّاه الله أمر عباده أن يتفقد أحوال رعيته وعُماله باستمرار ليصلح ما وجد من الفساد، ويطمئن إلى فشو عدله بين العباد.

• من ثمرات تفقد الولاة والعُمال أن يعرف الإمام حاضرهم من غائبهم في الأمور الجامعة، ويعلم قيامهم بأعمالهم من غيابهم عنها.

• سمة القائد المحنَّك اليقظة والدقَّة، والحزم والمتابعة، فلا يَغفُل عن غيبة جنديٍّ من جنده.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾﴾

بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ: حُجَّةٍ ظاهِرة.

• الحاكم العادل لا يأخذ أحدًا من رعيَّته أو ولاته بمجرَّد الظنون، ولكن بالذنب المتيقَّن الذي تقوم عليه بيِّنة، وليس لصاحبه عذرٌ صحيح فيه.

﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

• قد يَهبُ الله تعالى بعضَ ضعاف خلقه ما لم يهَبه لمَن آتاهم ملكًا عظيمًا، وفي هذا عِبرة لأهل العلم بألا يتيهوا بما عندهم من المعرفة، ويستصغروا مَن هو أقلُّ منهم شأنًا، فقد يكون عنده ما ليس عندهم.

• إيصال الخبر إلى الولاة يحتاج إلى تحرٍّ شديد؛ لأن للخبر الذي يصل إليهم تَبِعات، وآثارًا عظيمات.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾

• تعجَّب الهدهدُ من قوم ولَّوا أمرهم امرأة، حين لم يصفها بالملكة؛ لأن هذا المقام ليس مقامها، بل مقامُها من الحياة أن تضعَ نفسها موضعَها الذي تقتضيه فِطرتها، كما أنه لم تذهله عظمةُ العرش ووَفرة الأشياء عن المقصود الأعظم وهو التوحيد.

• عجيبٌ أمر هذا الهدهد، مخلوقٌ غير مكلَّف يَغار أن يُعصى الله وأن يُشرك به، ويكون سببًا لإسلام أمَّة كاملة! فماذا عنك يا بن الإسلام، ماذا فعلت لدينك؟!

• أليس عجيبًا أن يميز الحيوان التوحيد من الشرك، وسبيلَ الله من السبل المباينة له، وأن يَغفُل عن ذلك التمييز بعضُ الذين قد بُيِّن لهم ذلك أتم البيان؟!

﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥﴾

ٱلۡخَبۡءَ: المخبوءَ المستورَ عن الأعيُن.

• عجبًا لأولئك القوم كيف تركوا عبادة إله يُنزل المطر من السماء فيخرج به النبات من الأرض، ويعلم ما تُسره نفوسهم وما تعلنه، ثم راحوا يعبدون الشمس من دونه؟!

• إن مَن يُخرج الخبء من الأرض يعلم ما تخبئه النفوس من الأمر، فمتى شاء أظهره، وإن كان المخلوق قد ستره.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ٢٦﴾

• مَن كان يوقن بأنه لا يُخرج مستورَ السماوات والأرض إلا الله، فكيف ينصرف إلى عبادة ما سواه؟

• مهما عظُم مُلك الدنيا فمُلك الله أعظم، فأين عرش ملكة سبأ من عرش رب الأرض والسماء؟!

﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧﴾

• الملك العادل لا يستعجل الحكم على الأمور بالتصديق أو التكذيب مهما بلغ شأنها حتى يتيقن منها، ثم يُصدر حكمه بعد ذلك عليها.

﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾

تَوَلَّ عَنۡهُمۡ: تنحَّ عنهم قريبًا منهم.

فَٱنظُرۡ: تأمَّل واسمَع.

مَاذَا يَرۡجِعُونَ: ما يتردَّد بينهم من الكلام.

• خليقٌ بالإنسان أن يمتثل مبادئَ الأدب عند مخاطبة كبار القوم، فقد لقَّن سليمانُ عليه السلام الهدهدَ بعض ذلك، فالإنسان بذلك أولى.

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩﴾

ٱلۡمَلَؤُاْ: أشراف الناس.

• كيف لا يكون كتاب سليمان إلى ملكة سبأ كريمًا وهو دعوةٌ كريمة إلى غايةٍ عظيمة، من نبيٍّ كريم؟!

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾

• افتتاح الكتب والرسائل بالبسملة من مأثورات الأنبياء، وبقيَّةٌ صالحة من سُنن مَن قبلنا، أكَّدها شرعنا.

﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾

• على المدعوِّ إلى الحقِّ ألا يتعاظمَ عليه، وألا يتكبَّرَ على ما دُعي إليه، ويستقبل دعوة الحقِّ بالانقياد، ويخضع بصدقٍ لربِّ العباد.

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ٣٢﴾

• من فقه الشورى أن يرفع المستشير من مكانة مَن يستشيره، ويظهر له ثقته بأنه أهلٌ لحلِّ المشكلات الملمة، والنوازل المدلهمة.

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ٢٦ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ٣٢ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ
إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥

سجدة

٣٧٩

﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾

• لا تغترَّ بقدراتك وتعتمد عليها في مواجهة خصمائك، فقد يكونون أكثر قدرة وقوة، ولكن وازن واستشر، وأعمِل بعد ذلك الرأي الناضج، وأحسن التدبير الحكيم.

﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤﴾

• لا بدَّ للحاكم أو القائد أن يكون عارفًا بالتاريخ وسِيَر الملوك والقادة من قبله، ليجعل من أخبارهم له عبرة، فيعرف متى يُقدِم ومتى يحجم.

﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾

• قال قتادة: (ما كان أعقلها في إسلامها وشركها! علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس).

• أخوف شيءٍ على الداعي إلى الحق أن يُمتحن بحطام الدنيا؛ إذ بمثل ذلك يُعرف الصادق في دعوته من غيره.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم
بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧
قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ
٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ
وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠
ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ
قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا
عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا
جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا
وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن
قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ
وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ
إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤

٣٨٠

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾

• لا يمكن البتّة أن يساوَمَ أمرُ العقيدة الصحيحة بالمال، وليس الداعية الحقُّ بالذي تثنيه أعراضُ الدنيا عن هدفه في الحياة.

• ليت كلَّ مَن يولّيه الله تعالى من أمر الأمّة شيئًا يقنع بما آتاه ربُّه من الحلال، فلا تمتدُّ عيناه إلى الحرام، بل يحفظ دينَه وأمانته، وعِرضَه ومروءته.

• ما كلُّ هدية يُفرح بها، ولا كلُّ مال من الناس يُقبل، والمسلم الفطِن يميز بين هدية يُساوَم بها على شيء من دينه، وهدية يخلص صاحبها بها له التودُّدَ والتقدير.

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾

لَا قِبَلَ لَهُم بِهَا: لا طاقة لهم بمقاومة الجنود.

صَٰغِرُونَ: مُهانون.

• القائد المؤمن الحكيم يتّخذ القرار المناسب للإسلام والمسلمين؛ ففي بعض الأحايين لا أحسنَ من قرار القوّة والحزم، والإقدام والحسم.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾

• القوّة والأمانة شرطانِ في إتقان الأعمال والحفاظ على مضامينها، فمَن توفّرا فيه كان أهلًا للعمل والوظيفة.

• يُستطاع بالحكمة والعلم ما لا يستطاع بالقدرة والقوة في بعض المواقف.

• كثرةُ العلم النافع تختصر المسافات، وتسهل الصعوبات، وتقرّب الأمور البعيدات، وتوصل إلى الأمنيّات.

• إذا صلَحت النيّة فليس من الغرور أن يعرضَ المرء ما عنده من القوّة والقدرة التي يمكن أن ينفعَ بها الخلق وينصرَ بها الحقّ.

• مَن أنعم الله عليه بنعمة فليعلم أن النعمة ابتلاء يحتاج إلى شكر، فمَن غفَل عن ذلك انساق إلى الكفران لها، وسوء التصرُّف بها.

• مَن شكر نعمة ربّه عاد نفعُ شكره على نفسه، فبشُكره يحفظ النعمة الموجودة، ويصل إلى النعمة المفقودة.

• لا حاجة لله في شكر عبده، وإنما دعاه لشكره حرصًا على جلب الخير له، فله الحمدُ سبحانه على عطائه، ودعوته عبدَه إلى شكر نعمائه.

• الله تعالى يعطي عباده عن كرم، لا عن ارتقاب شكرهم على النعم؛ لأنه الغني عنهم، وهم الفقراء إليه.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١﴾

نَكِّرُواْ: غيّروا.

• ما أحسنَ نتائجَ العقل الحكيمة إذا استُعملت في الهداية إلى الحق، وإزاحة حُجب الباطل عن عيون الخلق!

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢﴾

• بالسؤال والجواب تُعرف العقول وتُقرأ الفهوم، فيُعلم مداها من الذكاء والفطنة، فما أحسن ما امتحن به سليمان عليه السلام، وما أجمل ما أجابت به ملكةُ سبأ!

• مَن نظر إلى نعمة الله على غيره فأُعجب بها، فلا ينسى نعم الله عليه كي لا يحتقرها؛ فإن سليمان لما رأى معرفة الملكة وذكاءها ذكرَ نعم الله عليه قبلها، وأعظمُها نعمة الإسلام.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾

• رُبَّ عقلٍ رزين وفهمٍ رصين طُمست أنواره في ظلام العقيدة الباطلة، والبيئة الفاسدة.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾

ٱلصَّرۡحَ: القصر، وكان صَحنُه من زجاج تحته ماء.

مُّمَرَّدٞ: مُملَّس مُسوًّى.

• كان إسباغ الثياب في الماضي حليةَ النساء الكاملات، والعاقلات المترفات، وإن لم يكنَّ مؤمنات، فضلًا عمن دونهن، وفي الحاضر أصبح ذلك لدى بعض الناس تخلفًا ورجعية، والتقصيرُ تحضرًا ومدنية!!

• ما أعقل هذه المرأة! لقد أيقنت أن الاستسلام والانقياد لله رب العالمين، وليس لأحد من المخلوقين، مهما علت مكانته وارتفع قدره.

• إذا قبِل المغلوب الحقَّ صارت له عزة الغالب، وكيف للأخ أن يعلو على أخيه بعد أن استويا معًا في مقام العبودية لله الواحد المتعالي؟

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨)
قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا۟
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ (٥٣) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ
ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)

٣٨١

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥)﴾

• الأمر بعبادة الله وحده أمرٌ تقرَّر في النفوس، وعضَدَته دعوةُ الرسُل، فلا ينبغي أن يفترق فيه بعد هذا اثنان، فمن العجب أن يخالفَ بعضُ البشر في ذلك!

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦)﴾

• أيُّ عقل يستعجل صاحبُه ما يُنزِل عليه النَّكال، ويؤخِّر ما يوصل إليه صلاحَ الحال، وحسنَ المآل؟!

• الاستغفار باب عظيم من أبواب الرحمة، وحلول النعمة، وزوال النقمة عن الأمة.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧)﴾

ٱطَّيَّرْنَا: تشاءمنا.

طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ: ما أصابكم من خير أو شرٍّ فاللهُ مقدِّره عليكم.

تُفْتَنُونَ: تُختَبَرون بالسرَّاء والضرَّاء.

• لا شيءَ أضرُّ بالرأي ولا أفسدُ للتدبير من اعتقاد الطِّيَرة، ومَن ظن أن خُوار بقرة أو نعيق غراب يؤثر في القضاء فقد جهِل.

• هكذا تَرُدُّ العقيدة الصحيحة الناس إلى الوضوح في تقدير الأمور، واليقظة والتدبر فيما يقع، وتُشعرهم أن يد الله وراء هذا كله، وأن ليس شيء مما يقع عبثًا أو مصادفة.

• إن الفطنة وتدبُّر السنن وتتبُّع الحوادث والشعور بما وراءها من ابتلاء هو الكفيل بتحقيق الخير في النهاية، وليس التشاؤم الذي لا يدري صاحبه ما قُدر له من خير أو شر.

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨)﴾

• عدد قليل من المفسدين في مجتمع مملوء بالتابعين المخدوعين بدعوى الإصلاح أدى إلى تدمير تلك المدينة وأهلها، فما أخطرَ الإفساد إذا فتح له المجتمع باب القبول!

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٤٩)﴾

• يا للعجب من قوم مشركين عقدوا اليمين بالله العظيم على أن يقتلوا رسوله الكريم، فأي تناقض وجهل قد غشي هؤلاء القوم؟!

• لقد علم أولئك المفسدون قُبحَ ما سيقدمون عليه، وشناعة ما سعَوا إليه؛ فهو إجرامٌ عن سابق إصرار، وفعلٌ سيِّئ بلا أعذار، فما الإصلاح الذي يُرجى منهم وهذا حالهم؟!

• بعض المجرمين ينفِّذون جريمتهم في الظَّلماء، ويصبحون بين الناس بثوب الأبرياء الأنقياء، وربما ذرفوا على قتلاهم الدموع، ومشَوا في جنائزهم على خشوع!

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠)﴾

• كم ذا يخطئ الجبارون إذ ينخدعون بما يملِكون من قوة وحيلة، ويَغفُلون عن عين الله التي ترى ولا تغفل، وقوته التي تملِك الأمر كله، وتباغتهم من حيث لا يشعرون!

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)﴾

• وهكذا يصيب الشرُّ أهله المباشِرين، ثم يمتدُّ فيَشمَل مَن كان معهم من الساكتين الراضين، الذين لم يتصدَّوا للأشرار، ولم يأخذوا على أيديهم.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢)﴾

• من الأدلَّة العقليَّة على قُبح الشِّرك ما أبقاه الله من آثار عقوبات أهل الشرك وآثار ديارهم.

• أهلُ الاعتبار هم المنتفعون بما بلغهم عن السابقين من الأخبار، ومَن قرأ عادة الله في عاقبة الظالمين فلم يتعظ فهو معدود في الجاهلين.

﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ (٥٣)﴾

• الإيمان والتقوى يدا الإنقاذ من الكرُبات، وطوق النجاة في لُجج الكريهات.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤)﴾

• تلك الفاحشةُ الشنيعة تستقبحها الفطرةُ السليمة والشريعة الحكيمة، وما من ذي عقل حصيف إلا يرى فيها المساوي الكثيرة، والمفاسد الكبيرة.

• فعلُ الفاحشة من عالمٍ بشناعتها أعظمُ من فعلِ جاهل بها.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)﴾

• إذا لم يكن ثمَّة مقصِد من الشهوة إلا إتيانَها من غير إرادة إعفاف ولا طلب إيلاد فما أدناها!

• مَن جهل حقَّ الله وعظيم قدره فلا تعجب أن يأتيَ بأشنع الفواحش وأعظم المنكرات.

* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ
لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٥٧ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ٥٨ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ
٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن
تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ٦٠
أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ
لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ
رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٣

٣٨٢

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾

• عندما تُشرب القلوب حبَّ الرذيلة والفساد، وتقيم عليها الجوارحُ بلا حياء بين العباد، تصبح الفضيلة تهمة، والطهارة عارًا!

• أهل الرذيلة لا يحبُّون أن يكونوا وحدَهم فيها، بل يسعَون لتعميم الفاحشة في مجتمعهم، ويستاؤون من وجود الطاهرين بين أظهُرهم.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٥٧﴾

• إن وجود المصلح في مجتمع الفساد قد يؤجِّل العقوبة لأهله، فإذا تمحَّض المجتمع للمفسدين، وخلا من المهتدين المصلحين جاءت العقوبة العامَّة متى شاء الله.

• اعمل لنفسك، وإيَّاك والركونَ في نجاتك على غيرك، فليست القرابةُ من الصالحين بمُنجيةٍ صاحبَها إن كان من الطالحين.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ٥٨﴾

• أُنذروا وخُوِّفوا فلم ينزجروا ولم يرتدعوا، فأحلَّ الله بهم عقابه الشديد، فبئس المطرُ مطرهم، وبئس العذاب عذابهم!

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٩﴾

• ألا تحمَد الله تعالى على جميل نعمه وآلائه، ولا سيَّما هدايتك إليه، وطريقه الذي عرَّفك إيَّاه وارتضاه لك؟

• كم تعنَّى رسُل الله تعالى في نشر دينه بين العالمين، والصبر على المعرضين المكذِّبين! فكانوا جديرين بالسلام عليهم بعد حمد الله تعالى.

• ما أحسنَ ما أخذ به الخطباء والكتَّاب من الابتداء بحمد الله تعالى، والصلاة على رسوله ﷺ بين يدي كلِّ عِلم، وفي مُفتتح كلِّ خُطبة!

• أيُّ عاقل يؤثِر ما لا ينفعه ولا يضره على مَن أمرُه وخيره ونفعه كله بيديه؟

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ٦٠﴾

• كلما تأملت في جمال الطبيعة فبعثت في قلبك الفرح والبهجة فتذكر أنها إبداع مولاك الخلاق جلَّ جلاله، واشكره ملء نفسك التي استمتعت بذلك الجمال الأنيق.

• إذا نظر المؤمن إلى أسباب وجود الأشياء في هذه الحياة فإنها لا تَصرفه عن مسببها جل وعلا، فالشجر ينبت بالماء، والله خلق السبب والمسبَّب كليهما، وجعل للسبب تأثيرًا بمشيئته وحده.

• الله هو الخالق لأصول النعم وفروعها، فكيف تحسُن عبادة ما لا منفعة منه البتة على الحقيقة؟

• ثمَّة أقوامٌ لا يُقلعون عن شركهم، ولا يَرعَوون عن تسويتهم خالقَ العالمين بما سواه من المخلوقين، وإن تتالت عليهم الدلائل والبراهين.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٦١﴾

خِلَٰلَهَآ: وسَطَها.

رَوَٰسِىَ: جبالًا ثوابت.

ٱلْبَحْرَيْنِ: العَذب والمالح.

• لقد هيَّأ الله الأرضَ لمصالح عباده، وجعل خلالها ما ينفعهم من مخلوقاته؛ فخلق لهم الماء والجبال والبحار والأنهار، وفي كلِّ واحدة من هذه الآيات ما يدلُّ على أنه سبحانه الواحد، فيا عجبًا كيف يُعصى، وكيف يُدعى غيره؟!

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾

• في لحظات الكُربة والضيق لا يجد المضطرُّ له ملجأً أمينًا إلا الله، يدعوه ليكشفَ عنه الضُّرَّ والسوء.

• أيها المكروب، يا مَن أحاطت به المكروهات؛ انظر إلى السماء، وارفع يديك بصدق وكمال توجه، ولُمَّ شعثَ قلبك على الله تعالى وحده، واقطع آمالك بسواه، وسترى ماذا يحدث بعد ذلك.

• كم في سجِلِّ الحياة البشرية من قصص أناس كانوا في حاجة وفقر واضطرار، ثم غيَّر الله تعالى من أحوالهم حتى بلَّغهم منزلة أصحاب التمكين!

• تأمَّل كيف جمع الله تعالى بين إجابة المضطر، وكشف الضُّر، وخلافة الأرض في آية واحدة، فهل بعد هذا ييئسُ مضطرٌّ أو مذنب تائب؟

• لو تذكَّر الإنسان وتدبَّر تلك الحقائقَ لبقيَ موصولًا بالله تعالى صلةَ الفطرة الأولى، ولما كان عنه غافلًا، ولا به مشركًا.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٣﴾

• مَن للإنسان إذا تاه في مجاهل البَرِّ أو في ظلمات البحر ولا دليلَ له يهديه، ولا معلِّم له يرشده سوى ربِّه بما ركَّب فيه من إدراك، وجعل من نجوم وأعلام؟

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل
لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى
شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا
كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا
نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

٣٨٣

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

• دلائل وجود الله تعالى ووحدانيته تنطق في مشاهد الإحياء والإمداد، وحقائق الخلق والرزق التي يتكرر أثرها في الوجود والناس عنها غافلون.

• مَن يتصرف في هذا الكون ويدبر شؤونه، وينفرد برزق أهله، وبدء الخلق وإعادته؛ هو الذي لا يستحق غيرُه عبادة معه.

• أظهر الله لخلقه أفعال ربوبيته التي يقرون بها ليُفردوه في ألوهيته التي يشركون بها، فلو صدقوا الله لكان خيرًا لهم.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

• يوم البعث حقيقة لا شك فيها، ولا يعلم وقت مجيئها إلا عالمُ الغيب وحده، وليس للمعبودات الباطلة ولا لعابديها علمٌ بوقت بعثهم وقيامهم من قبورهم.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

عَمُونَ: عَمِيت بصائرُهم عنها.

• حينما جثم ظلام الكفر على قلوبهم محا عن بصائرهم رؤية دلائل القيامة، فصاروا بها شاكِّين، ولبراهينها مكذبين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾

• عجبًا من ابن آدم الذي نسي أن أصله من تراب، وأنكر أن يعود حيًّا بعد موته، فأنكر النهاية وتناسى البداءة!

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

• سبحان الله كيف صار أمر البعث اليقين أساطير الأولين في نظر المكذبين؛ مع أنه الخبر الصادق المتواتر الذي وعدت به الرسل عليهم السلام أممَها!

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

• يوجّه القرآن الناس إلى البحث عن السنن المطردة، وتدبر خطواتها وحلقاتها، ليعيشوا حياة متصلة الأوشاج متسعة الآفاق، غير غافلة عن عواقب المجرمين، ولا لاهيةٍ بالدنيا عن حقائق الدين.

• لا ينبغي للإنسان العاقل أن ينظر في أخبار الأمم وعواقبها، وكأنها سِير قد انقضت، ونهايات لا تتكرر، بل عليه أن يعتبر بأحداثها، ويتعظ بأيام الله فيها، مهما تباعد زمانها ومكانها.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

• مَن آثر الضلالة لا يستحقُّ أن يُحزنَ عليه، وإن مكر بأولياء الله فلا خوفَ من مكره، فإن الله مُبطلُ مكرِه وناصرُ جندِه.

• انظر كيف يسلِّي الله رسوله، ويُسدل عليه ثوبَ الاطمئنان، فيزيل عنه الحزن والخوف لئلا تتكدَّر نفسه وينشغل باله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾﴾

• المؤمنون مشفقون من الآخرة؛ خوف التقصير في الأعمال والمؤاخذة عليها، والمكذِّبون بها الذين لم يعملوا لها يستعجلونها تحدِّيًا وتشكيكًا، وسُخريَّة واستهزاء، فشتَّان ما بين الفريقين!

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

رَدِفَ لَكُم: اقترَب لكم.

• إن العاقل ليحذَر الأمر المَخُوف مهما تباعد زمانه، ويخشى من اقترابه في أيِّ ساعة، فيستعدّ له بما يُنجيه من مخاوفه، ويؤمِّنه الوقوع في متالفه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

• تأخير العقوبة على المعاصي فضلٌ من الله على عباده، اقتضته رحمته وسَعة حِلمه، ومع ذلك فقليل منهم مَن يشكر، وكثيرهم يجحد ويكفر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾

• مَن علمَ النيات والدوافع الباطنة، فإنه لا تخفى عليه أعمال أهلها المعلنة، وذلك هو الرب العليم جل جلاله، الذي هو أهلٌ لأن يُعبد ويُخشى، ويراقَب في الباطن والظاهر.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

• جلَّ الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علمًا في سمائه وأرضه، وأثبت ذلك كله في كتابه، وما كتابة أعمال عباده في ذلك الكتاب إلا مظهر من مظاهر عدله سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾

• ما أعظمَ النعمة بالقرآن! فإنه يكشف الحقائقَ ويبيِّن الصواب فيما اختلف فيه الناس؛ ليهديهم إلى الطريق السديد، ويدلَّهم على النهج الرشيد.

• لو طهُرت قلوب المعرضين من أهل الكتاب لكانوا من أكثر الناس قبولًا للقرآن؛ فقد أتى على اختلافات أسلافهم، فبيَّن الحقَّ فيها من الباطل.

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ٧٨ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ٧٩ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ٨١ ۞ وَإِذَا وَقَعَ
ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ
أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
٨٤ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ٨٥ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٨٦ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ٨٧ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨

الحزب

٣٨٤

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٧٧﴾

• القرآن هدايةٌ للمؤمن في جميع شؤونه الدنيوية والأخروية، ورحمةٌ له فيما يسلكه من هدايته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ٧٨﴾

• احرِص على سلوك طريق العدل والإنصاف عند الاختلاف، متذكرًا يوم الفصل والقضاء بين يدي الحكم العدل الذي لا يغلبه في حكمه أحد لعزته، ولا يخفى عليه شيء لتمام علمه.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ٧٩﴾

• لمَّا كان الله تعالى هو الحقَّ وكان وليَّه وناصرَه ومؤيِّدَه، فما على صاحب الحقِّ إلا أن يتوكل عليه، ويكتفيَ به ويأويَ إليه.

• يا لها من شهادة عظيمة من الله تعالى لنبيِّه الكريم بكمال الاهتداء! فهو عليه الصلاة والسلام متمكِّنٌ من الحقِّ الجامع لحقائق الأشياء، وذلك الحقُّ واضح ليس فيه خَفاء.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ٨٠﴾

• لا يعرف الحق ويُقبل عليه ويحبه ويؤثره على غيره إلا ذو قلب حيٍّ، وأما القلب الميت فلا إحساس فيه ولا تمييز.

• ما أشبهَ المعرضين عن كتاب الله تعالى بحال الأصم الذي لو أقبل على محدِّثه ما سمعه، فكيف به وهو مدبر عنه؟

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ٨١﴾

• مَن غاب عقله وانطمسَت بصيرته وأصبح يقوده هواه فقد عميَ عن طريق الهداية، فأنَّى يُهدى مَن هذا حاله؟!

• ما يصغي امرؤٌ لآيات الله بقلبه ويُقبل عليها بروحه إلا وجدتَه مسارعًا إلى الإيمان بها، فإن صفاءها يحتاج إلى قلب صافٍ حتى تستقرَّ فيه.

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾

دَآبَّةً: الدابَّةُ علامةٌ من علامات الساعة الكبرى، تخرج وتحدِّث الناس، وتسِمُهم على وجوههم.

• بعض مَن يرون أنفسَهم عقلاء وهم بربِّهم جهلاء، يجهلون ما تعرفه دوابُّ الأرض عن خالقها من الجلال والعظمة.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ٨٣﴾

• أيُّ موقف ذُلٍّ يَقِفُه المكذِّبون بآيات الله تعالى يوم الحساب، حين يُحبَس أوَّلُهم على آخرهم، ويساقون إلى دار الهوان في ذلَّة وانكسار؟!

• يُجمَع المكذِّبون يوم القيامة إلى أرض المحشر، ويُساقون من دون إرادة منهم ولا كرامة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٨٤﴾

• لو أن امرءًا أنعم النظر في آيات الله تعالى بصدق وتأملها بحقٍّ لما كذَّب بها، وأما مَن أعرض عن تصديقها والإيمان بما جاءت به فكيف سيعمل بها؟

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ٨٥﴾

وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم: حقَّت عليهم كلمة العذاب.

• بمقدار ظلم العبد يكون استجلابه لعذاب الله تعالى، ومن الظلم الإشراك بالله والاعتداء على حقوق عباده.

• بماذا سينطِق العبد الظالم يوم القيامة ولا حُجَّة عنده يدفع بها العذابَ عن نفسه من جرَّاء ظلمه؟

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٨٦﴾

• إن مشهد الليل الساكن والنهار المبصر لخليقان بأن يوقظا في الإنسان الرغبة في الاتصال بالله تعالى، وتقوية الإيمان به، فهو الذي يقلب الليل والنهار، عبرة لأولي الأبصار.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ٨٧﴾

• دعاهم فأتوه مطيعين غير متأبِّين، فقد مضى زمنُ الاختيار، حين وقفوا بين يدَي الملك القهَّار؛ فمَن تذلَّل له في الدنيا أكرمه بين يديه، ومَن تكبَّر عليه ساقه إلى ذلِّه وهوانه.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨﴾

• ما أشد ذلك اليوم الذي تزول فيه الجبال عن أماكنها، ويذهب عنها ثباتها وشموخها! فأيُّ قوة تصنع فيها ذلك إلا قوة الله العظيم؟!

• يتجلى إتقان صنعته سبحانه في كل شيء في هذا الوجود، فلا فلتة ولا مصادفة، ولا ثُغرة ولا نقص، ولا تفاوت ولا نسيان.

• كيف يعصي عاقل ربه وهو يرى آثار علمه المحيط، وقدرته العظيمة فيما خلق وصنع، فأين يذهب عن علمه ويفر عن قدرته؟!

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾

بِٱلۡحَسَنَةِ: بالتوحيد والإيمان والعبادة.

• يا مَن تجتهد في فعل الطاعات، ليَهنِكَ أن الله تعالى قد تكفَّل بجزاء يضاعفه لك، هو خيرٌ لك من عملك، فانظر إلى كرم الله تعالى وأبشر بفضله.

• لو لم يكن من ثواب الطاعة إلا الأمنُ يوم الفزع، لكفى بذلك حاديًا لفعلها، فكيف بما بعد ذلك من دخول الجنَّات، ورضا ربِّ الأرض والسماوات!

• قدم لنفسك اليوم عملًا صالحًا في حال قدرتك وأمنك؛ لينفعك نجاةً في يوم العجز، وأمنًا في يوم الفزع الأكبر.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠﴾

• مَن تنكَّب الهدى وأشاح عنه بوجهه جوزيَ به كبًّا لذلك الوجه في النار، حين أعرض عن الحقِّ الواضح وضوحَ الليل والنهار.

﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾

• عبادة الله تعالى وحده هي أمره لعباده، وحقُّه عليهم، فقد أمر بها الأنبياء وكلَّفهم تبليغَها مَن أرسلوا إليهم.

• تشريف الله تعالى لمكانٍ ما يدعو أهله إلى شكر الله على نعمته، واتباع أمره ونهيه، والاستجابة لمَن دعاهم إلى طاعته.

• ما أعظم ملة الإسلام بأن جعل الله تعالى خير خلقه رسوله محمدًا ﷺ على هذه الملة، ومنتظمًا في عقدها النفيس!

﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢﴾

• لكلِّ داعية من توجيه هذه الآية نصيب؛ بأن يُبلِّغ وحيَ ربِّه، وينذرَ قومه، ولا يضرُّه بعد ذلك مَن لم يستجب له.

• تلاوة القرآن من أعظم أسباب الهداية، ومن أقوم الطرق لإيصال الرسالة، فما أحسنَ أن يكونَ ذلك مصحوبًا بتبيُّن مبانيها، وكشف أسرار معانيها!

• إن القرآن لعظمته وجلاله لا يستطيع أحدٌ أن يقف منه موقف حياد من غير أن يغنَم أو يغرَم، فالقرآن حجَّة لك أو عليك.

• شأن الأنبياء وأتباعِهم أنهم يوقظون في الناس الفطرة، ويبلِّغونهم الوحي، دون أن يَحملوهم على الحقِّ كُرهًا، أو يسوقوهم إلى الدين مرغمين، فمَن آمن من الناس نجا، وإلا فحسابه على الله.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣﴾

• صدق الله تعالى، ففي كلِّ يوم يُري عبادَه بعضَ آياته في الأنفس والآفاق، ويكشف لهم عن بعض ما في هذا الكون من أسرار.

• مَن كان على بصيرة من أن مَن سيحاسبه غيرُ غافل عنه ولو للحظة استقام على أمره، وخشيَ أن يقعَ في نهيه وزجره.

سُورَةُ القَصَصِ

﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾

• ما من كتابٍ مبيَّنٍ ككتابِ الله، ثم يأتي مَن يزعمُ أن له تأويلاتٍ باطنةً تخالفُ ظاهرَه، ومعانيَ غائبةً عن الأذهان لا تُفهم!

﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣﴾

• حين يكون الإيمان عامرًا في القلب يُقبل صاحبه على القرآن متدبِّرًا إيَّاه، مستزيدًا به من يقينه، مهتديًا بعِبَره، منتفعًا بمواعظه.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾

• علا فرعونُ بالباطل فكان مصيرَه الغرقُ المُذل، كما ترَفَّع قارونُ على خلق الله فكان مآله الخسفَ تحت الأقدام، فما أخنعَ المتكبِّرين عند الله!

• تفريق الجمع الواحد، وبثُّ الشِّقاق والتناحر بين أهله غايةٌ للمستبدِّين، ليكتملَ لهم بنيانُ السيادة على الجميع، بانشغال ذلك الجمع بنفسه.

الجزء العشرون | سورة النمل

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا
مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ
ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ
٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣

سُورَةُ القَصَصِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ
طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥

٣٨٥

• ينخدع الطغاة بقوتهم وبقدرتهم حتى يتغلغلوا في الفساد، ويوغلوا في ظلم العباد، فيستضعفوا الخلق ويُذلوهم، ناسين قدرة الخالق عليهم، وانتصاره لمَن ظلموهم!

• ما أشد خُبث فرعون وأسوأ فعلته في أبناء بني إسرائيل ونسائهم! فمَن للنساء بعد قتل الرجال، وما الذي يضمد جرح أفئدة الأمهات بفقد أولادهن؟

• لو أراد فرعون حيلة أخرى للتخلص مما يخافه من بني إسرائيل غيرَ القتل لوجدها، لكن قساة القلوب غلاظ الأكباد لا يرويهم سوى سفك الدماء، وذلك من أشد الفساد بين العباد.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥﴾

• حين يبلغ البغيُ مداه، ويصل الشرُّ إلى منتهاه، وليس في يد المستضعفين المؤمنين حيلةٌ لكبح ذلك؛ يأتي أمر الله لينقذَهم.

• جرت السُّنن بأن عاقبة المستضعفين العلوُّ والانتصار، ونهاية الظالمين الجبَّارين العقوبة والانكسار، ولو طال الزمن وتعاقبت الأجيال.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا
أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ
﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

الحزب ٣٩

٣٨٦

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

• لا بدَّ من ابتلاء المؤمنين قبل حصول النصر والتمكين، فلا ييئسَنَّ مؤمنٌ في ليالي الابتلاء، فإن لظلام محَنِها صباحًا سيبدِّد تلك الظلمات، وينتشر نوره في جنَبات الحياة.

• لو كان المفسدون المتجبِّرون عقلاء لابتعدوا عن الإفساد؛ فإن إسرافهم في الجبَروت يسرع بعقوبتهم، ويقرِّب من نهايتهم، وإن كانوا يظنُّون أنه يحفظ لهم سلطانهم وعلوَّهم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾

الْيَمِّ: النهر، وهو نهرُ النيل.

• سبحان مَن يتولى أمر عباده الصالحين، فيلهمهم السداد والرشاد فيما ينفعهم من أمر الدنيا والدين!

• حينما تبلغ الثقة بوعد الله وحفظه مبلغًا لا يخالطه الشك والتردد، تلقي الأم وليدها في موضع الهلاك من أجل حفظه وبقائه، فهكذا فعلت أم موسى الواثقة بربها، المنفذة لأمره.

• إن الله تعالى يهيِّئ لأوليائه من أسباب النجاة ما لا يخطِر على بال؛ ألا ترى كيف جعل البحرَ للطفل الوليد أكثر أمانًا من حِضن أمِّه؟!

• يتلطَّف الله تعالى بأوليائه، ويرعى مشاعرهم، ويُطَمئنُهم أنه معهم، يدبِّر أمرهم، ويختار ما هو خيرٌ لهم؛ فما أحرى ذلك الصنع الجميل من الخالق بالثناء الجزيل من المخلوق!

• لا حزن مع ما رضيه الله لعبده المؤمن الراضي بقضائه وقدره؛ فإن الله تعالى لا يُقدِّر عليه قدرًا إلا أراد له به خيرًا.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾﴾

• لن تمنعَ جحافلُ البشر الحريصةُ على دفع الخطر ما نزل من القدَر مهما بذلت من الحيل، فقُدرة الله تلقي في أيدي فرعونَ وجنده بالطفل الذي على يديه هلاكهم ليربُّوه لمصيرهم المحتوم!

• لن يقوى الظالم في ظلمه إلا بأنصار وأعوان، يشيرون أو يباشرون أو يدافعون، فلا غروَ أن يكونَ الجميع خاطئين.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

• استطاعت امرأة بحسن منطقها أن تُقنع أكبر طاغية عرفه التاريخ البشري في أن يَعدِل عن رأيه الجائر، فلله درُّ الحكمة وحسن الأسلوب!

• كم قتل فرعونُ في طلب موسى من ولد، ولسانُ الحال يقول له: لا يتربَّى إلا في حِجرك!

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

• لولا لطفُ الله تعالى ومعيته وربطه على قلب الأم لانكشف أمرها، وأيُّ أم والهة متلهفة تفقد ابنها وتعلم أن العدو يقتل أمثاله ثم تتصبر؛ إلا أن يثبتها الله.

• قليل من الصبر والكتمان قد يوصل الآمل إلى أمله، وشيءٌ من ضعف الصبر وقلة الحفظ قد يذهب بالبُغية، ويوقع في البلية.

• الأخذ بالأسباب المنجية من البلاء لا ينافي الإيمانَ بالقضاء، وتصديقَ وعد الله؛ فأمُّ موسى لم تترك الاجتهادَ في البحث عن ولدها.

• الأخت كنزٌ ثمين، فإن لم ينتفع بها أخوها في حاضره، فقد ينتفع بها في مستقبله، فإيَّاه والتفريطَ فيها.

• حينما بذلت أم موسى ما تستطيع وتوكَّلت على الله تعالى تكفَّل لها بما لا تستطيع، فقد منع الله موسى الارتضاع إلا من ثدي أمه.

• مَن كان النصح له سجيَّة لم يدَع موقفًا يستطيع أن يستثمرَه فيه إلا فعل.

• في مواطن الحذر يجب التلطُّف وحسن التصرُّف، وإبعاد علامات التُّهَمة من قسَمات الوجه وكلمات اللسان.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

• قليل من الابتلاء الذي قابلته أم موسى بالصبر أنالها الأمان والرزق الحسن، فبعد أن كانت تخاف على موسى وهو معها، صارت بعدُ آمنَ شيء وهو في حضنها، مع أجرة إرضاعه!

• يُظهر الله تعالى من آياته ما يطمئن به قلوب أوليائه إلى صدق وعده، فينتقلون برؤيتها من علم اليقين إلى عين اليقين.

• ما أكثر مَن يسيء الظن بربه، فلا تراه يَركَن إلى وعده، جهلًا منه به!

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾

بَلَغَ أَشُدَّهُۥ: قوِيَ بدنُه.

وَٱسۡتَوَىٰٓ: وتكاملَ عقلُه.

• لا يستتمُّ علم المرء، ولا يستدُّ رأيه ويُحكم وضعَ الأمور مواضعَها إلا إذا بلغ أشده؛ ولهذا قالوا: رأيُ الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام، فعلى صغار السن الرجوع إلى ذوي الأسنان.

• بمقدار إحسان العبد في عبادة ربِّه، وفي معاملة خلقه، يجزيه الله تعالى علمًا وحكمًا.

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾

فَٱسۡتَغَٰثَهُ: فطلبَ العونَ والنصرَ من موسى.

مِن شِيعَتِهِۦ: من قوم موسى عليه السلام، وهُم بنو إسرائيل.

فَوَكَزَهُۥ: ضربَه بجُمع كفِّه.

• نصرة المظلوم دين أوجبه الله تعالى على كل الأمم، وفرضه في جميع الشرائع.

• الأصل في النفس الإنسانيَّة هو الخير، وتلك هي الفِطرة التي فطر الله الناسَ عليها، فمَن انحرف عنها فذاك من نَزْغ الشيطان في نفسه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾

• لقد عرف موسى المخرج فاعترف بظلمه واستغفر، ولم يُلق ذنبه على ربه.

• اعلم أن الله جلَّ وعلا جميلُ السِّتر، عظيم التجاوز، كثير الإحسان؛ فلا تجعل الذنبَ مهما عظُم بابًا لليأس والوقوف، ولكن اجعله بحسن التوبة مفتاحًا لتطهير النفس والحذر من الانسياق خلف أهوائها، وطريقًا للارتقاء بها إلى علِيائها.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾

ظَهِيرٗا: نَصيرًا.

• يا مَن أنعم الله عليه بنعمة؛ كنعمة سلطان أو وظيفة أو مال أو قوة أو ذكاء؛ لا تجعل لأهل الإجرام منها نصيبًا يستعينون به على معصيتهم، وتأدب مع المنعم جل جلاله؛ فأطعه فيها ولا تعصه، وأوصل لخلقه خيرك، وأبعد عنهم شرَّك؟

﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ١٨﴾

يَتَرَقَّبُ: يتوقَّعُ المكروه.

يَسۡتَصۡرِخُهُۥ: يطلُب منه النصر.

لَغَوِيّٞ: كثير الغواية، ضالٌّ عن الرُّشد.

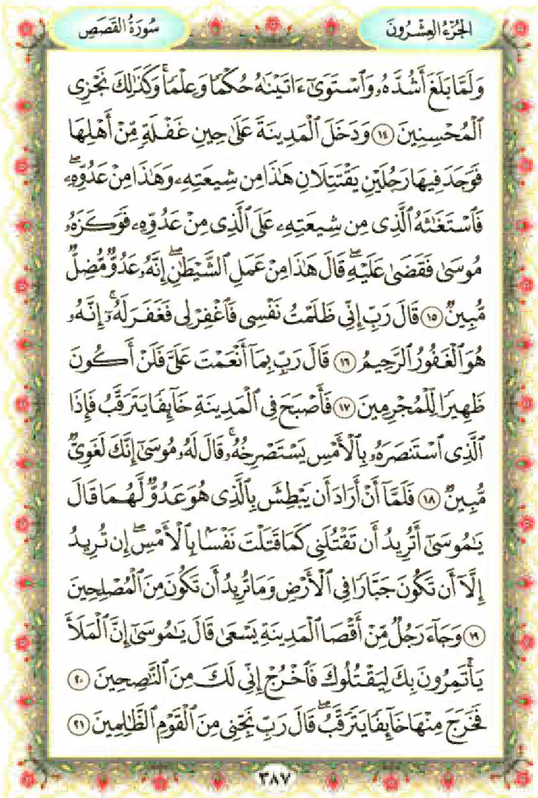
• قتل النفس التي لا تستوجب القتل لا يجعل صاحبَه في مأمن؛ فالخوف يلاحق الفاعلَ ولو كان في موضع أمن وقرار.

• ليس من القوة والشجاعة في شيء أن يخوض المرء حومة المواجهة وليس لديه إلا استنصار الآخرين، فذلك منه حمق وغواية، بل قد يوقع غيره في تحمل آثارها ونتائجها.

﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩﴾

• عداوة المخالف في الدين لازمة، وهي أعظم من العداوات الناشئة عن الخصومات؛ فلهذا أثبت عداوته لموسى مع أن الخصومة بين الإسرائيليّ والقبطيّ، وليست بين موسى والقبطي.

• المؤمن القويُّ العاقل يستعمل قوّته في الصلاح والإصلاح، وليس من عادته أن يستعملها في الجبروت والإفساد، وهذا هو الذي يرجوه عقلاء الناس منه.



وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ
فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ
مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ
مُّبِينٞ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ
ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ
مُّبِينٞ ١٨ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ
إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ
١٩ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ
يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠
فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١

﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾

أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ: آخِر المدينة.

يَأۡتَمِرُونَ: يتشاورون في شأنك.

• الداعية الموفَّق لا يضَنُّ بالنصيحة التي تدفع عن الناس الضرر، وتنجيهم من نزول الخطر، ولو تحمَّل في ذلك بعض العناء، وخاف على نفسه حصولَ شيء من البلاء.

• إذا نزلت بك المخاوفُ من الظالمين، فاستعِن على دفعها بدعاء ربِّ العالمين، فإنه مَنجاك الذي لا خوف في ظلِّه.

• لم يدَع الله تعالى نبيَّه موسى عليه السلام وهو يتربَّى بين جنبات القصر، أفلا يرعاه ويحميه وهو وحيدٌ مطارد؟

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ
مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

٣٨٨

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

تِلْقَاءَ مَدْيَنَ: جهتها.

سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ: الطريقَ الأحسن إلى مَدين.

- إن أردتَ شيئًا حالَ رغَبك أو رهَبك فادعُ الله تعالى، ولكن لا تدَع العملَ لما ترجو اتّكالًا على الدعاء فحسب، بل اجمع بين العمل والدعاء، فذاك هو منهجُ الأنبياء.

- متى أشكلت عليك الأمور، والتبسَت في عينك الوُجهات، فاستهدِ ربَّك في أن يختارَ لك ويُلهمَك الصواب، فإنه لا يُخيِّب عبدًا استهداه، وكان من أهل رضاه.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

تَذُودَانِ: تحبِسانِ غنمَهما عن الماء.

مَا خَطْبُكُمَا: ما شأنُكما؟

- تقديم الضَّعفة والنساء، ونجدة المحتاجين والبؤساء، من شيم الرجال الكرماء، ثم يلي أولئك الضعفةَ الرجالُ القادرون.

- لا تخرج النساء إلى موضع تزدحم فيه أقدامُ الرجال إلا أن يكونَ ثمَّة حاجة، وإلا فالأصل المنعُ من ذلك، حتى إن موسى عليه السلام استفسر عن وجودهما بين جمع الرجال.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

- لم يمنع تعبُ المطاردة والرغبةُ في الاستراحة موسى عليه السلام من أن يُنقذَ امرأتين من موقف لا يرتضيه أصحابُ المروءة.

- ما أحسنَ الدعاء إذا قُدِّم بين يديه عملٌ صالح يكون كالشفيع لدى الشكور سبحانه!

- من شِيَم الكرام أنهم لا يوجِّهون طلبهم وحاجتهم إلا إلى الله تعالى، حتى في وقت الحاجة الشديدة، فهم أفقرُ ما يكونون إليه، وهو الغنيُّ الكريم، الجواد الرحيم.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

- فليطمئنَّ الشابُّ الشهم المخلص إلى جزاء معروفه، فقد تأتيه مكافأته إلى مكانه، كما أتت موسى إلى ظلّه.

- لم يغفل القرآن الكريم كيفية مشية المرأة الحيية، فكم فيها من دلالات على عفتها، وشخصيتها واستقامتها!

- أجملُ مركب تمشي عليه النساء في الشوارع والأماكن العامَّة، وأهيبُه وأكثره حفظًا لحرمتهنَّ وقدرهنَّ: مركبُ الحياء.

- مَن بذل لك معروفًا وكنت على ردِّ جميله بالفعل مستطيعًا، فلا تكتفِ بالدعاء له، بل كافئه بما يؤلِّف القلوب ويدفع المِنن.

- الإيجاز في الكلام مع النساء هو أسلوبُ الكرام، والإطناب في الحديث مع الرجال هو الجادَّة إن اقتضى ذلك المقام؛ فموسى ما نَشرَ معهما ثوبَ الكلام، ولا زاد على قوله: {مَا خَطْبُكُمَا}؟ هكذا يصنع المخلصون، حافظون لعورات المسلمين.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾

- نِعمَ الفتاة التي تتأدَّب في حديثها مع الرجال كما تتأدَّب في الحديث عنهم، فهي تَكني وتوري، وتلمِّح ولا تصرِّح، فإنها لم تقل: إن موسى قويٌّ أمين!

- القوَّة والأمانة أهمُّ صفات العمَّال في نجاح الأعمال، وقد وصف الله بهما سادات الخلق في أعظم الأعمال والوظائف.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

- دأب عقلاءِ الرجال أن يختاروا أزواجًا أكْفاء صالحين لبناتهم، وليس في مثل هذا الطلب وإبداء الرغبة منقصة لهم، بل فيه سمو الرعاية وحسن التدبير.

- لا تستكثر على العفَّة غلاء المهور وأنت قادر، فإن مهر موسى لبنت شيخ مَدْيَن كان عملَ عدَّة سنين!

- من صفات المستأجر الصالح ألا يَشُقَّ على الأجَراء والعمَّال والموظَّفين، بل المسامحة والتسهيل والإعانة هو الخُلق السابغ لتعامله معهم.

- من أدب الصالحين مع الله تعالى أنهم لا يعِدون بما يريدون أن يكونَ منهم في المستقبل إلا علَّقوا تيسيرَ ذلك بمشيئة الله.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

- ما أحسنَ أن تكونَ عقود العمل واضحة الشروط، سالمةً من العدوان، بعيدةً عن الغموض، قائمةً على صدق الوفاء من جميع الأطراف!

- يا مَن تُشهد اللهَ تعالى على قولك، لقد وثَّقتَ عهدك بوثاق غليظ، فاحذر من أن تنقضَ عهد الله وميثاقه.

الحزب ٣٩

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ
٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ
ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ
إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ
بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ
فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ
كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا
فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا
فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥

٣٨٩

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾

ءَانَسَ: أبصر.

جَذۡوَةٖ: شُعلةٍ من النار.

تَصۡطَلُونَ: تستدفئون.

• قضى موسى الأجل مع طول مدّته، ووفى بعهده على أكمل غاياته، وكافأ بالجميل مَن آواه وأحسن إليه.

• الأصل أن المرأة ظلُّ زوجها تتبعُه حيثما سار؛ فهو الذي يقودها؛ لما له عليها من القِوامة.

• ما كان أحرصَ موسى على سَتر أهله وحفظهم وراحتهم إذ آواهم وذهب بنفسه ليقضيَ حاجتهم!

• لله تعالى قدرٌ يُمضيه فيك، ويجري بأقداره الخفية أسبابه عليك.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾

شَٰطِيِٕ: جانب.

• عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: (كُن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو؛ فإن موسى بن عِمران عليه السلام خرج يقتبس نارًا فرجع بالنبوّة).

• كلام الله سبحانه وتعالى طاهرٌ مبارك لا تليق به سوى الأمكنةِ الطاهرة المباركة.

• أسمَعَ اللهُ موسى بأنه سبحانه هو ربُّ العالمين، الذين هم تحت سلطانه وقهره، حتى يُثبِّت قلب موسى لتلقي الرسالة، وما سيلقى من آياتها.

﴿وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١﴾

جَآنّٞ: حيّةٌ خفيفةٌ في سُرعة حركتها.

وَلَمۡ يُعَقِّبۡ: لم يلتفت.

• يربِّي الله تعالى نبيَّه موسى عليه السلام على رؤية العصا تتحوَّل إلى أفعى قبل أن يذهبَ إلى فرعونَ وملئه ليذهب عنه الرَّوع والهيبة.

• ما أحسن عباراتِ التأمين التي تنزل على قلوب الخائفين! فتُذهب عنهم الفزع، وتسكن أفئدتهم من هول الرَّوع.

﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢﴾

ٱسۡلُكۡ: أدخِل.

جَيۡبِكَ: فُتحةِ قميصك التي يُدخَل منها الرأس.

مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ: من غير برَص ولا مرض.

وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ: وضُمَّ يدك إلى صدرك.

مِنَ ٱلرَّهۡبِ: لتأمَنَ من الخوف.

فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ: فهاتان آيتان.

• الداعية إلى الحقّ يحتاج إلى براهينَ لإقناع المعاندين، وإقامة الحجّة على المعرضين.

• الثقة بوعد الله تعالى لا تجعل الواثق يعطِّل أسبابَ تحقُّق الوعد بما يستطيع فعله، فإن الله وعد موسى بالأمان وأمره بوضع يده على صدره؛ ليُدخلَ الطّمأنينةَ على قلبه، ويزيلَ خوفه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣﴾

• لم يكن موسى ليعتذرَ من القيام بالرسالة، ولكنّه قدَّم بين يدَي ربّه ما يخشاه على نفسه وعلى دعوته؛ ليظفرَ بالعون والحفظ والتوفيق.

• الإنسان الذي تقلُّ أخطاؤه لا ينسى خطأه الماضي ولو مرّت عليه السُّنون.

﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤﴾

• دعوة الناس كما تحتاج إلى صدق الداعي تحتاج إلى حسن عرضه دعوته بكل وسيلة يمكن فيها بلوغ التأثير والوصول إلى الإقناع.

• الاعتراف للآخرين بالفضل على النفس، والترويج لهم في الناس بالحقّ ليُعرف فضلُهم وتميُّزهم؛ هو شيمةُ العظماء الكبار.

• يخشى نبيُّ الله على قومه من تكذيبه فيطلب الأسبابَ التي تدعوهم إلى تصديقه؛ خوفًا عليهم من عقاب الله، وهذا من نُصحه لهم ورحمته بهم.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥﴾

• إخوانك هم عُدّتُك للمهمّات، وعونك بعد الله في تجاوز الكريهات، فاستكثر من الصادقين منهم ولا تفرِّط فيهم.

• بشِّر مَن يتّبع الرسُلَ الكرام حقَّ الاتِّباع بأن له الغلبة والظفر ما كان أخذُه بالآيات الكريمات عملًا واحتجاجًا واستدلالًا.

• في معركة الحقّ والباطل لا يكون الانتصارُ لكثرة العدد والعُدَّة، بل قد يكون بقوّة البرهان والحجّة التي تبدِّد جموعَ الباطل شذَرَ مذَر.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ
مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن
تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧
وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ
أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨
وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ
فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا
مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣

٣٩٠

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦﴾

مُّفۡتَرٗى: مختلَقٌ تنسبه إلى الله كذبًا.

• من غير بيِّنة ولا تثبُّت واجه فرعون وملؤه آياتِ الله البيِّنة بتهمة السِّحر المفترى! وهكذا كلُّ مبطل جبَّار يدفع الحقَّ بالتُّهَم الباطلة والطعون الكاذبة.

• من أكثر ما أضلَّ الناسَ عن الحقِّ تحكيمُ العوائد والتقليد الأعمى، حتى قدَّموا ذلك على الأدلَّة القاطعة والبراهين الساطعة.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧﴾

• جواب الأنبياء عن افتراء المعاندين الجهلاء مملوءٌ بالأدب الجمِّ، ونصاعة البرهان وحسن البيان، والثقة بالله والطُّمأنينة إلى العاقبة الحسنة للحقِّ وأهله.

• من فضل الله تعالى على أهل الهدى أنه يوفِّقهم ويحسن عاقبتهم؛ لأن الهدى هداه، والعاقبة له دون سواه.

• ما من امرئ إلا وهو يرجو حسن العاقبة، ولكن لا يبلغها إلا مَن عمل لها على النحو الذي يرضي مولاه جلَّ جلاله.

• من أعظم ما يطمئن المؤمنين ويثبتهم على الحق في مواجهة الكافرين أن الله كتب الفلاح لهم، ونفى الفلاح عن أعدائهم الظالمين.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨﴾

صَرۡحٗا: بناءً عاليًا.

• لقد لبَّس فرعونُ على قومه أيَّما تلبيس؛ حتى لا يروا شمسَ الحقيقة فيتَّبعوا نورها، فجعل مَن سيصعد إليه إلهَ موسى وحده، وقبل أن يصل إليه جعل موسى كاذبًا في وجود ذلك الإله!

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩﴾

• تكبَّر فرعون فتكبَّر لكِبْره جنودُه، ولو تواضع لتواضعوا، وهكذا كلُّ رأس في الناس يقتدي به أتباعه.

• قل لمَن يتكبَّر: انظر إلى موقعك على الأرض، أترى فيه ما يدعوك إلى التفاخر والتعاظم والتكبُّر؟

• إنما يتمادى في الاستكبار مَن لا يحسب للآخرة حسابًا، فأمَّا مَن يثق بأن هنالك يومًا سيُعرض فيه على الله تعالى فإنه لا يستطيل على عباده.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾

فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ: فألقيناهم وأغرقناهم في البحر.

• في اليمِّ أنجى الله تعالى طفلًا رضيعًا، وفيه أغرق جيشًا عَرَمرمًا، فمَن جعله ملاذًا وأمانًا هو الذي جعله مخافةً ومهلكة.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١﴾

• يا شقاء مَن صار إمامًا في الشر وقائدًا في طريق الجحيم، فيقتدي ناس به في ضلاله فيحمل وزره ووزر مَن تبعه إلى يوم القيامة!

• لا يظنَّ أئمة الضلال أنهم سيجدون نصراء في دار المآل كما عهدوا ذلك في الدنيا، فقد ذهبت عنهم النصرة والنجدة بورودهم الآخرة، فهل من توبة منهم قبل هذا المصير؟

﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢﴾

وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ: وألحقناهم.

لَعۡنَةٗ: طردًا وإبعادًا من الرحمة.

ٱلۡمَقۡبُوحِينَ: المبعَدين المستقذَرة أفعالُهم.

• مَن سلك إلى الرفعة طريقَ الكِبْر والإضلال، وصل إلى عاقبة الهوان والإذلال، والطرد والإبعاد، فما أسوأه من مصير!

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣﴾

بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ: نورًا لقلوبهم يُبصِرون به الحقائق.

• إهلاك القرون واندراسُ الأمم يطمِس معالمَ الشرائع، فما أحوجَ الناسَ بعد ذلك إلى كتاب منير وداعٍ بصير!

• كلام الله تعالى به يستبصر المؤمنون، ويهتدي المستهدون، ويُرحم المتَّبِعون المستمسِكون.

• إن من رحمة الله بعباده أن أنزل على رسُله كتبه ليبلِّغوها لهم حتى يتذكروا ويتَّعظوا بما فيها فيَسلَموا من غضب الله وعذابه، فما أحرى هذه النعمة بالشكر!

• مَن رام التذكر والاعتبار فليُقبل على تدبر كلام الله، ولئن كان كتاب موسى بتلك المثابة، فالقرآن أجل وأبلغ في ذلك المقصود.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

٣٩١

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾

ٱلْغَرْبِيِّ: الجبل الغربيّ من موسى عليه السلام.

قَضَيْنَآ: عهِدنا.

• القرآن الكريم يثبت لرسول الله محمَّد عليه الصلاة والسلام صدقَ رسالته؛ إذ كيف يأتي بتفاصيل وحي الله لموسى عليه السلام وهو لم يحضُر مكانه، ولم يشهد زمانه؟

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

أَنشَأْنَا: خلقنا.

قُرُونًا: أممًا.

فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ: فمكثوا زمنًا طويلًا.

أَهْلِ مَدْيَنَ: هم قوم شُعَيبٍ عليه السلام.

• ما كان أشدَّ الحاجة إلى بعثة محمَّد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، حينما تطاول على الناس قبل زمانه العمر، وتمادى عليهم الأمد، فتغيَّرت الشرائع والأحكام، ونُسي الحلال والحرام!

• لم يكن رسول الله ﷺ في تلك البُقعة من الأرض ساعةَ الحدث، حتى أتى بتلك التفاصيل الصحيحة الدقيقة، ولكنَّه تنزيلُ العليم الخبير عليه.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

• نزول الآيات بالإخبار عمَّن سبق مظهرٌ من مظاهر رحمة الله بهذه الأمَّة؛ لتسلكَ طريقَ الرشاد الموصل إلى النجاة، وتَحيدَ عن طريق التكذيب الذي يهلك سالكه، كما أهلك مَن قبله.

• لقد كانت قريشٌ والعرب أحوجَ الناس إلى الرسالة؛ إذ لم يسبق لهم تشريع، وكان نظامهم مختلًا غير مَشوب بشريعة معصومة.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ: ينزلَ بهم عذاب.

• اقتضَت رحمة الله وحكمته ألا يدَعَ قومًا على غفلتهم من غير نذير يذكِّرهم بما ينفعهم وما يضرُّهم، فالحمد لله على رحمته وحكمته.

• المعاصي بعد العلم والبلاغ طريقٌ إلى العذاب، ولا يُنجي منه إلا التوبةُ والعودة إلى الغفور التوَّاب.

• العقل مهما بلغ من الحكمة لا يُغني عن إرسال الرسل في الوصول إلى الهداية، وتجنب الضلالة والغواية.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا: تعاونا؛ يقصِدون التوراةَ والقرآن.

• شأن مَن لا يريد الحقَّ أن يتعلَّق بحجَّة لردِّه، فإذا زالت تعلَّق بغيرها ليستمرَّ في ضلاله وصدِّه.

• ما أعظمَها من نعمة أن يجيء الحقُّ إلى الإنسان في أرضه، ولا يخرج هو منها للبحث عنه واقتباس نوره! غير أن مَن كره الهدى لا يدرك قدرَ هذه النعمة.

• يلتقي أهل الضلال والفساد سابقُهم ولاحقهم على طريق التهمة لدعاة الحق؛ استمرارًا في طغيانهم، وصدًّا للناس عن الحق الذي جاءهم.

• لم يتَّبعوا موسى حتى يكذِّبوا محمَّدًا ﷺ ويقلِّلوا من شأن ما جاء به، ولكنه التكذيبُ بأصل الرسالة، والإمعانُ في الغيِّ والضلالة.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

• مَن أنزل التوراة وبيَّن فيها الأحكام هو مَن يأمر باتِّباع القرآن الكريم؛ ذلك أنه ليس في كتب الله تعالى كتابٌ أهدى منه.

• لن تستطيعَ البشرية كلُّها ولو اجتمعت أن تأتيَ بتشريع هو أهدى من تشريعات الله تعالى وأحكم منها.

• كم يعلِّمنا الأنبياء في مجادلتهم أقوامَهم دروسًا من الإنصاف، وحسن البيان، وقوَّة الاحتجاج، والصدق في البحث عن الحق!

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

• لا طريقَ إلى الحقِّ سوى الاتِّباع لرسول الله ﷺ فمَن لم يأتمَّ به في أحكامه، ويستجِبْ له فيما جاء به، فقد جعل الهوى له إمامًا.

• أيُّ ضلال أعظمُ من ضلال مَن ترك الطريق الموصلة إلى الجنَّة والرضوان، واتَّبع سبُل الهوى المفضية إلى العذاب والهوان؟

• مَن اتَّبع الهوى وترك الهدى فقد ظلم نفسَه، ولو أنه ابتغى العدل، ووضعَ الأمور مواضعها، ما اختار غير طريق الحق.

• ما أشأم الظلمَ في منع الهداية عن صاحبه!

الحزب ٤٠

۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ
مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا
اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ
نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا
مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن
قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن
بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

٣٩٢

﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

• تأمَّل طريقة القرآن الكريم في سرده الزواجرَ والمواعظ والأحكام والبراهين، بحيث تُقبل عليها النفوسُ بشغف فلا تملُّها ولا تسأمُ منها.

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

• لا يدَعُ الإيمانَ بالقرآن من أهل الديانات الأخرى إلا مَن يجهل ما أصابها من تحريف أو مَن كان صاحبَ هوًى.

﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

• إن القرآن من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى أكثر من الإصغاء إليه، فيعرف الذين عرَفوا الحقَّ من قبلُ أنه من ذلك المَعين الصادق والمصدر الواحد الذي لا يكذب.

• الذين عمَروا قلوبهم بالانقياد لله ربِّ العالمين من أهل الكتاب سَرعانَ ما يستجيبون لنور الإسلام إذا لاحت لعيونهم أنوارُه من غير تردُّد.

﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

• ما أعظمَ ثوابَ الكتابيِّ حين ينتصر على هواه وبيئته الفاسدة وتقليده لقومه، ثم يُقبل على الإسلام منقادًا محبًّا!

• علت نفوسُهم حتى صبرت على الأذى، وتحمَّلت في سبيل التمسُّك بالحقِّ صنوفَ البلوى، فدفعت السيِّئة بالحسنى.

• حين يستعلي المرءُ على شهوات النفس، ويعتزُّ بقيمةٍ هي أكبر من قيَم الأرض، فإنه يعوِّد بذلك نفسه أن تكون سمحةً بالمال كما كانت سمحة بالإحسان.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

• أنَّى للمؤمن أن ينشغلَ بحديث فارغ لا يضيف إلى قلبه ولا عقله زادًا جديدًا، ولا معرفةً مفيدة، وهو المشغولُ بتكاليف الإيمان؟ المرتفعُ بأشواقه، المتطهِّر بأنواره؟

• لو سمع أهل الحقِّ ذمَّ أهل الباطل لهم وانشغلوا به لضيَّعوا بذلك أوقاتهم، وصرفوها فيما لا ينفعهم، ولكنهم عكفوا على أعمال الخير والصلاح، وتركوا اللاغين ولَغوَهم.

• قال الحسن: (كلمةُ "السلام عليكم" تحيَّةٌ بين المؤمنين، وعلامةُ الاحتمال من الجاهلين).

• لا تحسُن مراجعة الجاهل المُماحِل، وإنما يُبيَّن له الحقُّ، فإن لجَّ في غوايته لزِم الإعراض عنه.

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

• هداية القلوب بيد الله، والحرص على هداية امرئ لا يُدخل الإيمان في قلبه، فقد آمن برسول الله بُعداء، ولم يؤمن به أقرباء!

• أكثِر من سؤال الله الهداية فإنها بيده لا بيد غيره، وهو أعلم بمَن يستحقها ممَّن لا يستحق.

﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

• يعلم أهل الضلال أن ما يُدعون إليه هو الهدى، لكنهم يؤثِرون العيش في الغواية خوفًا من فوات مصالح الدنيا، أو وقوع الضرر عليها، فما أجهلهم!

• إذا أيقن الإنسان بأن الرزق من عند الله وحده، لم يَخف أحدًا أو يرجُه في رزقه، فيبقى قلبه متعلقًا بربه وحده، وذلك يوجب كمال الإيمان، والإعراضَ عن غير الله تعالى.

• ما أطيبَ الرزق الحسن في ظلال الاطمئنان والأمن! إذ لا لذَّة في رزق مهما حسُن، والخوفُ يحيط به من كلِّ جانب.

• لو يعلم الناس علم اليقين بأن الرزق الحسن والأمن التام إنما هو باتباع شرع الله؛ ما خافوا على أنفسهم وأرزاقهم من العمل به.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

• إن أمةً بطِرت في زمان عيشها الرخي، وجاوزت الحدَّ في فرحها ومرحها، وكفرت النعمة ولم تشكرها؛ لهي أمة تعرِّض ما أوتيته للهلاك.

• تأمل مصير الجبارين الذين خلت دورهم، وعُطِّلت قصورهم، قد أفنتهم والله كؤوس الحِمام، وأذلَّتهم مصارعُ الأيام، فيا ويح مَن لم يعتبر بأيامهم، ولم يزدجر عن مثل آثامهم!

• إنما يلحق الخوف مَن لم يتبع الهدى، وأما مَن اتبعه فله الأمن والعاقبة الحسنة من الله.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

• بزوغ نور الدعوة المستقيمة في المدن يُشع نوره إلى بواديها؛ لأنها تبَع لها، والمدن مرجعها، فما أجمل أن يُعنى بالأصل ليَصلح به الفرع!

• إذا عمَّ الظلم من العباد، وفشا بينهم الإعراضُ والفساد، نزل بهم العذابُ العامّ؛ جزاء مظالمهم.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ
ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا
هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ
مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ
فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ
٦٤ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥
فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ٦٦ فَأَمَّا
مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ
٦٧ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٦٩ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ
ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠

٣٩٣

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾

• العاقل لا تلهيه حياة زائلة، ولذّات ناقصة، وأيّام قليلة ذاهبة، بل يسعى لنعيم لا يفنى، ودار طيّبة تبقى.

﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾

• قد يعُوق المخلوقَ الوفيّ عن الوفاء بوعده عوائق، ولكنّ الله تعالى إذا وعد لا يقف أمام وعده عائق، فإنه إذا وعد وفى، ومتى أعطى كفى وأغنى.

• مَن كانوا بمتاع الدنيا متعلّقين، ولأهوائهم مؤثِرين، وللهدى غير متّبعين، وردوا العذاب مكرَهين خائفين.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢﴾

• لا تعلّق قلبك إلا بالله تعالى، ولا تلتفت إلا إليه، ولا تتوجه إلا له، فإن أشقى الناس مَن يزعم أن لله تعالى ندًّا يدعوه ويرجوه، فإذا ما احتاج إليه خذله.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣﴾

• إن موقف الذلّ والخزي الذي يقفه المتكبّر شاقٌّ مرهق؛ جزاء ما استعلى على ربّه سبحانه.

• يعترفون في الآخرة بأنهم كانوا غاوين مُغوين، وأما في الدنيا فجعلوا أنفسهم هادين مهتدين، فماذا ينفعهم الاعتراف وقد وقفوا في ذل الحساب؟

• تنصَّل المضِلون عن أتباعهم بعدما أيقنوا بسوء مصيرهم، فهل تفكر أتباع المضِلين اليوم في هذا المآل غدًا فأقلعوا عن ضلالهم واتّباعهم أئمة الغَواية؟

﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ٦٤﴾

• إن الرجاء بالمعبود الباطل ينقشع سَحابُه الكاذب عن عابده يوم القيامة، فلا يرى منه نصرًا ولا شفاعة، فماذا جنى المشرك بربه من جعلِ شريكٍ لله من خلقه غيرَ الخسارة والندامة؟

• ما كان أغنى أهلَ الشركِ عن عذاب القيامة لو أنهم اتبعوا أسباب الهدى، وتبرؤوا من الشرك والشركاء!

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥﴾

• طوبى لمَن أعدّ جوابًا صائبًا للسؤالين العظيمين: السؤالِ عن الإخلاص لله، والسؤال عن متابعة رسله عليهم السلام.

﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ٦٦﴾

• لا حُجة يوم القيامة لمَن خالف أمر رسول الله ﷺ؛ اتباعًا لهوًى، أو تعصُّبًا لرأي يخالف الهدى بعدما تبين له العلم.

• ما أكثرَ حُججَ المبطلين في الدنيا وأفصحَ ألسنتَهم بها! فإذا ما وقفوا بين يدَي خالقهم ذهبت تلك الحجج، وخرِست ألسنتهم أجمعين، فلا نفعَ حينذاك من سؤال بعضهم بعضًا عنها.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ٦٧﴾

• أبعد الناسِ عن الفلاح أبعدُهم عن التوبة والإيمان والعمل الصالح.

﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨﴾

• على الإنسان أن يعلم أن الخلق والاختيار، والإعزاز والإذلال، مفوَّضٌ إلى الله، ليس لأحد فيه شَرِكةٌ ومنازعة، فكيف لا ينزَّه عن شريك مخلوق لا يخلُق شيئًا، ولا اختيار له فيما يجري؟

• الله تعالى أعلمُ بمواقع اختياره، ومحالِّ رضاه من بين خلقه، وما يصلُح للاختيار ممّا لا يصلح، وليس للعبد إلا التسليمُ لخالقه، والرضا بما اختاره لنفسه أو لغيره.

• لو استقرّت هذه الحقيقة في العقول والضمائر ما سخِط الناس شيئًا يحِلّ بهم، ولا أحزنهم شيء يفوتهم أو يُفلِت منهم؛ إذ ليسوا هم الذين يختارون، إنما الله هو الذي يختار.

﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٦٩﴾

• أيها المؤمن؛ إذا كان ربك سبحانه هو المطّلع على ما يضمره لك عدوك من الشر، أفتظن أنه يدَعك في المعركة وحدك؟

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾

• مَن كان له الحمد كاملًا دائمًا، فله وحده الدِّينُ واصبًا، فما أخسر مَن دعا غيره! وما أضلَّ مَن زعم أن له شريكًا!

• في الإخبار بمرجع الخلق إلى الخالق تقوية لقلوب المطيعين، فربهم الذي يرجِعون إليه عادلٌ في حكمه، عالمٌ بكل عملِ عبده.

• إذا كان مرجعك إلى ربك، وإليه الحكم في عملك، وهو العليم بكل صغيرة وكبيرة منك، فماذا أعددت ليوم لقائه حتى تنجوَ من سَخطه؟

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ
﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم
مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ
فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ
بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ
وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

٣٩٤

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾

سَرْمَدًا: دائمًا باقيًا.

• من أبدع الاستدلال على وَحدانيَّة الله آيةُ الليل والنهار؛ هذا الصُّنع العجيب المتكرِّر كلَّ يوم، الذي يستوي في إدراكه كلُّ مميِّز، حتى بدا أجلى مظاهر التغيُّر في هذا العالم.

• لا يُنسينَّك إلفُ النِّعم المتكرِّرة شكرَ الله عليها، فمَن تدبَّر الحياة دونها أفزعه فِقدانها، فسارعَ إلى شكر ربِّه عليها، وسأله دوامها، واستعاذ به من انتقالها.

• مَن سمع آياتِ الله المسطورةَ سماعَ فهم وقبول رأى في آيات الله المنشورة من ليلٍ ونهار، وبَرٍّ وبحار، أنوارًا ساطعة تهديه إلى معرفة عظمة الله وقدرته، وإبداع خلقه وسابغ نعمته.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

• من أعظم نعم الله على عباده نعمةُ السكون والهدوء في حِضن الليل، فهناك يخلُد الإنسان إلى راحة جسده وباله، ويستعيد نشاطه لجديد يومه.

• كيف لا يهتدي الكافر إلى الإيمان بربِّه وآيةُ النهار كلَّ يوم تنقله بضيائها إلى رؤية صنع الله البديع في خلقه، أفما كان يُبصر تلك الآياتِ فيخرُج بها من الظلمات إلى النور؟

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

• جعل الله الحياةَ على نظام دقيق، فلم يكن الزمانُ ليلًا كلَّه، ولا نهارًا كله، بل جعل فيه ليلًا للراحة والسكون، ونهارًا للعمل والإنتاج، فمَن عكس بعمله ذلك فقد خالف سُنَّة الحياة.

• ما طلعَت الشمس ولا غرَبت إلا وهي تحمل إليك من الله تعالى رسالةً تدعوك إلى حمده وشكره.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

• ما أقساه من توبيخ يلقاه كلُّ مشرك يوم القيامة بين يدَي ربِّه! فطوبى لمَن وحَّد الله تعالى اليوم ليلقى الإكرام غدًا.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

• ماذا يتوقَّع المكذِّبون بنبيِّهم أن يقولَ عنهم بين يدَي ربِّهم؟ فهل لديهم حُجَّة يدفعون بها عقوبةَ شركهم وشهادةَ نبيِّهم عليهم؟

• يومَ القيامة يذهب عن المشركين الاستكبار، وتنقشع عنهم غِشاوة الأبصار، فيعرفون أنهم كانوا على ضلال، وأن افتراءهم على الله تعالى أوردهم سوء المآل.

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾

• إذا استحوذ حبُّ المال على الفؤاد أورث صاحبه الزَّهوَ والاغترار، وأنساه حقَّ المنعم عليه من الشكر واستعمالِ ما أعطاه فيما يرضاه.

• لا ينبغي لأقارب المرء وجيرانه تركُه من غير نُصح إذا زلَّ، وردُّه إلى الحقِّ إذا ضلَّ؛ فإن ذلك من حقِّ القريب على قريبه، والجار على جاره.

• مَن علم أن لذَّات الدنيا ستفارقه، ولن تدوم فيها راحته؛ لم يفرح بها، ولم يَبطَر بزيادة حظِّه فيها.

• كفى البَطِرين مَذمَّةً وغُبنًا أن الله تعالى لا يحبُّهم، ومَن كان الله مبغضًا له فماذا ستنفعه الدنيا كلها لو كانت مِلكه؟

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

• رابحٌ مَن آتاه الله نعمةً مثل المال فسخَّرها في مرضاة ربِّه، والوصولِ إلى ثوابه وجنَّته.

• لا لومَ على مَن أخذ من متاع الدنيا المباح ما يُصلِح به حياته من غير سرَف، ولم يكن بذلك المتاع مشغولًا، وعن آخرته به منصرِفا.

• لم يمنع الإسلام أتباعَه من أن يأخذوا بقِسط من متاع الدنيا، بل حضَّهم على السعي في الرزق، حتى لا يكونوا عالةً على غيرهم.

• الشاكر لنعمة ربه يحسن لبني جنسه من نعمته، كما أحسن الله إليه برزقه إياها، فمن شكرِ الإحسانِ الإحسانُ منه.

• إن الله تعالى يحسن ويحبُّ الإحسان، ويعطي ويحبُّ الإعطاء، فمَن أفضل على عباد الله بإحسانه وعطائه، زاده الله من فضله وآلائه.

• إذا لم تستطع أن تُهديَ إلى هذا الكون صلاحًا وفلاحًا، فلا تصنع فيه ضلالًا وإفسادًا.

• كيف يحبُّ الله عبدًا يهدِم بُنيانَ الصلاح بين العباد، ويقيم على أنقاضه أبنيةَ الإضرار والإفساد؟

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾

• قال سهل التُّستري: (السعيد مَن صَرَف بصره عن أفعاله، وفُتح له سبيلُ رؤيةِ مِنَّة الله عليه. والشقيُّ مَن زُيِّن في عينه أفعالُه وأقوالُه، فافتخرَ بها وادَّعاها لنفسه، فسوف تهلكه).

• لو كان الله يؤتي الأموال مَن يؤتيه لفضلٍ فيه وخيرٍ عنده ولرضاه عنه، لم يكن ليُهلكَ مَن أهلك من أرباب الأموال؛ لأن مَن كان الله عنه راضيًا فمحالٌ أن يهلكه.

• جاهلٌ مَن يغتر بقوته وماله، وهو عالم بعاقبة أفعاله، ومطَّلع على مصارع مَن قبله من أمثاله، ولكنه لا يعتبر!

• مَن أجرم ولم يستمع إلى صوت فطرته، ولا اعتبر بقصص من أساء قبله، ولا أصغى إلى تحذير الأنبياء والمصلحين له، فليرتقب عقاب الله تعالى في أي لحظة أن يأتيه.

• يعلم الله تعالى أعمال عباده سرَّها وعلَنَها، صغيرها وكبيرها، ولا يحتاج إلى أن يسأل عباده ليعلمَ ما لم يكن يعلم، بل يسألهم سؤالَ توبيخ لهم؛ لأنه علَّام الغيوب.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾

• في كلِّ زمان ومكان هنالك قلوبٌ تستهويها زينة الأرض وتَبهَرها، وتلك قلوبُ الذين يريدون الحياة الدنيا، ولا يتطلَّعون إلى الآخرة التي هي أكرم منها.

• أكثر الناس يرَون الحظ العظيم في كثرة متاع الدنيا، ولا يرونه في الإيمان والعمل الصالح، وهذه نظرة مَن استولت الدنيا على قلبه، وشغلت الحيِّز الكبير من تفكيره.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾

• شأن مَن وهبهم الله العلم النافع ألا يغتروا بزخارف الدنيا؛ لأنهم يعلمون سوء عاقبة مَن يفتتن بها.

• أهل العلم النافع إذا رأوا أسيرًا في قبضة الانبهار بزينة الحياة الفانية أطلقوه بنصحهم، وأزالوا عن عينيه قتامَ الاغترار بالدنيا، حتى يرى أن ما عند الله خيرٌ وأبقى.

• ثواب الله ورضوانه هو ما يَنشُده مَن آمن وعمل صالحًا، ولا تَشغَله عنه زخارفُ الحياة ومتاعُها الفاني.

• كلَّما عَرضت لك الدنيا مفاتنَها فتفكَّر في الآخرة وما أعدَّه الله تعالى لعباده المؤمنين فيها.

• طوبى لمَن يصبرون على معايير الناس ومقاييسهم، وعلى فتنة الحياة الدنيا وإغرائها، أولئك الذين يوفِّقهم الله للاستعلاء على كلِّ ما في الأرض، والتطلُّع إلى ثواب الله تعالى ورضاه.

﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١﴾

• عندما تبلغ الزينة ذِروتها، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى، يضع الله حدًّا لها؛ رحمةً منه بمَن ثبت ألا يفتتن، وموعظةً بليغة لمَن يعتبر.

• هوى قارونُ في بطن الأرض التي علا فيها؛ جزاءً وفاقًا، وذهب ضعيفًا عاجزًا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال!

• زال قارون وخزائن داره معه، ولم يبق وراءه إلا العبرة، فماذا نفعه ماله وداره عن أخذةِ الله؟!

﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢﴾

ليس بسطُ الرزق وتضييقه براجع إلى علم العباد أو جهلهم باكتساب الأرزاق، بل هو خاضع لمشيئة الله وحكمته.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ
مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ
وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ
فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا
مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ
وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ
مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ
وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ
٨٣ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤

٣٩٥

• العالِم العامل يعرف الفتنة حينما تُقبل، والجاهل لا يعرفها إلا حينما تدبر.

• كم دعوةٍ يُحزن صاحبَها أن الله تعالى لم يستجبها له! وما علمَ العبد الضعيف أن خِيرةَ الله خيرٌ له ممَّا يتمنَّاه لنفسه.

• لا فلاح مع الكفر، فلا يغترنَّ امرؤٌ بما أعطيه هؤلاء من عاجلة، فما أسرع زوالها!

﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾

• من أراد الآخرة لم يَدَع العلوَّ والفساد فحسب، وإنما يدَعُ كذلك إرادتهما، ويحفظ قلبه من الميل إليهما.

• حينما يبغي المرء العلوَّ في الأرض ليحقِّقَ لنفسه حظوظها، فإنه لا بدَّ أن ينجرَّ إلى فعل الفساد، حتى يحقِّقَ ذلك المراد.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤﴾

• كيف يعمل العاقل السيِّئة وقد علم أنه معاقب عليها، وكيف يترك الحسنة وهو يعلم أن له ثوابًا خيرًا منها إن جاء بها؟

إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ
أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥ وَمَا كُنتَ
تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا
تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ
كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ
لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦

٣٩٦

﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥﴾

فَرَضَ: أنزل.

لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ: لَمُرجِعُك إلى الموضع الذي خرجت منه، وهو مكة.

• ما أحسنَ التطمين من الربِّ الكريم لرسوله الأمين بأنه سيعود إلى مكة بعدما أُخرج منها! ليشيرَ بذلك إلى نصره وعلوِّ دينه حين يتحقق وعده الذي وعده.

• إذا ما أدّى داعي الحقِّ رسالة ربِّه وبيَّنها أتمَّ البيان وأوضحَه، فلم يرَ ممَّن دعاه إلا التماديَ في العِناد والمراء فلا أحسنَ من المتاركة على تفويض أمر الاهتداء والضلال إلى الله تعالى.

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦﴾

ظَهِيرٗا: عونًا.

• ما في القرآن من أوامرَ ونواهٍ وحِكَمٍ وعِبَر هي مظهرٌ من مظاهر رحمة الله بخلقه؛ لأنها تدعوهم إلى رضوانه والبعد عن معصيته.

• رحم الله رسوله بإنزال القرآن عليه؛ لأنه به أيَّده وأظهر حُجَّته، وبيَّن عجز مَن خاصمه وكذَّبه.

• من شُكر الله تعالى على نعمة هذا القرآن أن يعملَ المؤمن بما فيه، وألا يكون مُعينًا ولا ناصرًا لمَن يعاديه.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧﴾

• على الداعي المؤمن أن يعلم أن طريق الدعوة إلى الحق محفوف بالصادين عنه، فلا يهولنَّه ذلك، وليمضِ في تبليغ رسالة ربه التي ائتمنه عليها، فإن الله ناصره.

﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾

• حذارِ أن تدعوَ مع الله سبحانه وتعالى أحدًا؛ فإن ذلك يخالف مقتضى شهادة التوحيد، ويوصل صاحبه إلى أسوأ مصير.

• لا معبودَ يستحقُّ أن تَصرف له عبادتك ودعاءك، وتوجُّهك ورجاءك، إلا الله وحده الذي بيده كلُّ شيء.

• إن الله تعالى هو الحيُّ القيُّوم الذي لا يموت، وما سواه إلى فناء وزوال، ونقص واضمحلال، فأيُّ عاقل يدَعُ الباقي، ويتوجَّه إلى الفاني؟

• مصير الخلق إليه، وحسابهم عليه يوم يقفون بين يديه، فيا سعادةَ الموحدين! ويا شقاء المشركين!

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾

• لن ينفكَّ مدَّعي الإيمان من الابتلاء؛ فإن الإيمان رتبةٌ جليلة لا تُنال بمجرَّد قول اللسان، بل لا بدَّ معه من اعتقاد وعمل.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾

• إنما يحاسب اللهُ تعالى الناس على عملهم، لا على علمه بهم، عدلًا منه سبحانه، وتربية للناس ألا يأخذوا أحدًا إلا بما استعلن من أمره.

• ابتلاء الناس وامتحانهم ليتميز صادقهم من كاذبهم هو سنة ماضية في سابق العباد ولاحقهم.

• لا تنظر إلى الابتلاء نظرة مقصورة على وجهه، دون أن تنظر إلى حكمته وعاقبته، فأرِ ربَّك عند ابتلائك الصبرَ والرضا بما نزل به القضاء.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤﴾

• مَن اعتزَّ بباطله، واغترَّ بإمهاله، وظنَّ أنه لن يُجازى على مساويه، فقد أساء حُكمه على خالقه، حين ظن أن أحدًا من خلقه على ضعفه سيُعجزه.

• أضعف الناس عقلًا لا يرضى لعبيده أن يظلمَ بعضُهم بعضًا ثم لا ينصف بينهم، فكيف يظنون بالله جلَّ جلاله ما لا يرضَونه لأنفسهم؟!

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥﴾

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾

• بما أن الأجل آتٍ فإنَّه قريب؛ إذ كلُّ غاية لها انقضاء، فليصبر العبد، وليبادرِ العملَ الصالح؛ ليحقِّق اللهُ تعالى له رجاءه، ويبلِّغه آماله.

• عِلم العبد بأن الله يسمعه ويبصره يدعوه إلى مراقبته، وإتقان العمل له، وعِلمه بأنه لا يجاهد إلا لمصلحة نفسه يدعوه إلى الافتقار إلى ربه، وتحرِّي فضله وعظيم أجره.

• فلتعلمِ القلوب التي تحتمل تكاليف الإيمان ومشاقَّ الدعوة بأنها إنما تجاهد لنفسها ولاستكمال فضائلها، وإلا فما لله من حاجة إلى أحد، وإنه لغني عن كل أحد.

• مَن لم يجاهد نفسه، وإنما يسعى لجلب راحتها بإعطائها شهواتها، فقد أضرَّ بها من حيث أراد إمتاعها وإسعادها.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ
أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

٣٩٧

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

• فليطمئنَّ المؤمنون العاملون إلى حسن جزائهم، وليصبروا على تكاليف دعوتهم، وليثبُتوا على ابتلائهم، فثمَّة أملٌ مشرقٌ تتغلغل أنواره من خلال التكاليف والمشاقِّ لا يراه إلا ذوو البصائر الصابرون.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

• أرحمُ بك من نفسك مَن أوصى بك ولدك، ووصى والدك بك، مع ما جعل في الفطرة من حبِّ الإنسان لابنه ولأبيه.

• ما لا يعلم المرء صحَّته فلا يجوز له اتِّباعه، فكيف بما يعلم بُطلانه؟

• ما دام الابن يعلم بأن مردَّه إلى من هو ناظرٌ إليه، ومحصٍ عمله عليه، فإنه لا يألو جهدًا في خدمة والديه بالمعروف؛ طاعةً لمَن إليه المآب، وعليه الحساب.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾

• سَلِ الله تعالى أن يُدخلَك في عباده الصالحين؛ فإنها منزلةٌ في الكمال عالية، قد سأل الأنبياءُ ربَّهم أن يُبلغهم إيَّاها.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

فِتْنَةَ النَّاسِ: عذابَ النَّاسِ له وأذاهم.

• كن صابرًا على إيمانك، ثابتًا على دينك، ولا يزعزعك عن ذلك أذى المؤذين، فتخشى ضررهم كما تخشى عذاب الله، بل اجعل خَشيتك لله وحده.

• عند الابتلاء تظهر قوة الإيمان من ضعفه، فمَن ثبت فذلك المؤمن حقًّا، ومَن خشي أذى الناس فسايرَهم في ضلالهم، ورضخَ لأمانيِّهم فذلك الذي سمى اللهُ وذمَّ.

• ثمة مَن يساير التيار الغالب، ويسقُه مَن يعارضه من المؤمنين، حتى إذا جاء نصر الله تعالى والفتح، حاول أن يتصدر المشهد الجديد، مؤكِّدًا كذبًا ولاءه للحق وأهله.

• مؤمنو الرخاء والسَّعة يُفتَضحون أيام الشدة والانهزام والضيق، حيث ينكفئون إلى الباطل المنتصر، فإذا ما اضمحل رجعوا إلى المؤمنين وقالوا: ألم نكن معكم؟!

• الاعتبار بما في القلب، فالمنافق الذي يُظهر الإيمان ويُضمر الكفر هو كافر، والمؤمن المكرَه الذي يُظهر الكفر ويضمر الإيمان هو مؤمن.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾

• في علم الله تعالى بما في قلب المؤمن وعدٌ حسن له، وفي علمه بما في قلب الكافر والمنافق وعيدٌ شديد لهما، فرحم الله امرءًا أصلح باطنه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾

سَبِيلَنَا: دِينَنا.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

• يعرِض الإسلام فساد تصوُّر الكفار للتبعية والجزاء، ويقرر حكم الله تعالى فيه بما يحقق العدل في أجلى مظاهره.

• قد ترى من الناس مَن يقول لصاحبه مشجعًا إياه على فعل القبائح: افعل هذا وإثمه في عنقي! فبئس الضمان، وبئست الاستجابة.

• إذا كانت الأوزار يشقُّ على المرء ثقلها، حتى ما يكاد يطيق حملها، فكيف بمَن سيحمل أثقاله وأثقالَ من أغواه وأضلَّه؟

• قال رسول الله: (مَن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر مَن عمل بها من بعده، من غير أن يَنقُص من أوزارهم شيء).

• بئست عاقبةُ أولئك الذين يزيِّنون للناس طريق الغواية، ويكذبون عليهم حين دعوتهم إليه، فهم بما فعلوا آثمون، حاملون أوزار مَن يُضلُّون، مؤاخَذون بما كانوا يفترون.

• يا ويلَ دعاة الضلال من سؤال يوم القيامة! فإن سؤالهم أكيد، والعذابَ من بعده شديد، فهل أعدُّوا له الجوابَ الذي ينجيهم؟

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

• من أكثرِ الفتن التي تعرض للدعاة طولُ الطريق، فإذا ما شعر الداعيةُ بالملل من طول الطريق، فليتذكر ما فعله الأنبياء والصالحون من أتباعهم؛ فإن له بهم أسوة، وليتفاءل حين ينظر إلى لطف الله يوم أنجى المؤمنين، وأهلك الظالمين، وليكن على يقين بأن الله ناصرُ أوليائه، وهازمُ أعدائه، مهما طالت الأيام والسِّنون.

فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ
﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ
خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ
وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ
فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ
ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ
مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

• كلَّما ركبتَ البحر فاذكر أن السفينة كانت يومًا مَنجى المؤمنين، وأن البحر كان مَهلَك الطغاة والظالمين.

﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾

• لا سبيل إلى نيل الكرامة في الدنيا والآخرة إلا بعبادة الله تعالى وحدَه وتحقيق تقواه، فمَن أحسنهما فقد نال الخير كله.

• في ذكر الداعية للخير المنتظر لمَن استجاب لتوحيد الله وتقواه ما يَحفِز المدعوِّين إلى نفي الجهل عنهم، واختيار الخير لأنفسهم، وهو في الوقت ذاته حقيقة عميقة، لا مجرَّد تهييج خطابي.

﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

• كيف أيقنت قلوبهم بوثنٍ يعبدونه، وقبلت عقولهم إفكًا يفترونه، وما عبدوه لا يرزقهم ولا يعطيهم، ولا يحفظهم ولا يحميهم، ولا يميتهم ولا يحييهم؟!

• ما يصلك من النعم فهو رزقٌ يسوقه الله إليك، وما يندفع عنك من النقَم فإنه رحمةٌ من الله بك، وأمَّا الأوثان فإنها لا ترزُق ولا ترحم، فأحسِن عبادة الله وحدَه، وأكثِر من شكره.

• جميع الخلق إلى الله تعالى عائدون، وعلى أعمالهم محاسبون ومجزيُّون، فمَن كان له عابدًا شاكرًا أثابه خيرًا، وإلا جوزي بما يستحقه.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

• من كذَّب محمَّدًا عليه الصلاة والسلام فما هو بأولِ مَن كذَّب رسولَه؛ فقد سبق المكذِّبَ مكذِّبون، فحلَّ بهم سخَط الله وعقابه، وعلى سَننهم تكون عقوبة مَن وافقهم في التكذيب.

• ليس على الرسول حسابُ قومه، وإنما عليه إيصالُ البلاغ المبين إليهم، فعلى مَن ورث الأنبياء في البلاغ أن يُبلِّغ رسالتهم كما بلَّغوها، بنصاعتها وتمامها، من غير نقص ولا إخفاء ولا تغيير.

• مَن نظر في دين الله تعالى بعين التأمَّل وجده واضحًا بلا غموض، جليًّا بلا خفاء؛ لأن من مهمَّات الرسول البلاغَ المبين، وقد فعل عليه الصلاة والسلام.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾﴾

• تأمَّل انتشار الخلائق كلَّ صباح من رُقادها، وحياة النباتات كلَّ سنةٍ بعد ذبولها، تتيقَّن أن الله تعالى باعثُ عباده بعد أن يصيروا رِممًا.

• لا شيء على الله تعالى عسير، فالبدء في قدرته كالإعادة، ولكن للبشر مقياس يعتقدون به أن الإعادة أهون من البدء، وبهذا المقياس يخاطبهم.

• أنعِم نظرَك في الأرض وما فيها، وأرسل طَرْفك للتأمُّل فيما عليها، تجد أن مَن أنشأ هذا الخلق المتقن البديع قادرٌ على إعادة خلقه عقِب فنائهم، وبعثِهم بعد موتهم.

• ليس في قدرة الله ما يُعجز عن النشأة الآخرة بعد أن سُبقت بالنشأة الأولى من العدم، فمَن خلق خلقه بلا مثال قادرٌ على إعادته.

• مَن كان على شيء قديرا، صار كلُّ شيء في مُكنته يسيرا.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾

• سيرجع العباد إلى الدار التي تجري فيها أحكام عذاب الله تعالى ورحمتِه، فطوبى لمَن نال الرحمة بما قدَّم من الطاعات، ووُقِيَ العذاب بما ترك من السيِّئات.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾﴾

• مَن كتب الله عليه العذاب فلن يجد له ملجأ يقيه مما كُتب عليه، ولو التحق بالسماء.

• لا معين على الخير، ولا دافع للضُّرِّ إلا الله جلَّ وعلا، فلا تفزع إلا إليه، ولا تعلِّق آمالك إلا به.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾

• شتَّان بين المؤمن والكافر، فالمؤمن لا يزال يطمع في رحمة ربِّه في دنياه وآخرته، والكافر لا يسترحم اللهَ في دنياه، ولا يطمع في رحمته حين يرى ما أُعدَّ له في أُخراه.

• مَن رحمه الله في الدنيا بتوفيقه لطاعته كان من أهل رحمته في الآخرة، ومَن سخط الله عليه في حياته كان من اليائسين من رحمته يوم لقائه.

• لا نجاةَ من الخلود في العذاب للكافر بآيات الله ولقائه، اليائسِ من رحمته، وأما المؤمن -وإن دخل النار بذنوبه- فقد تدركه رحمة الله، فيخرج منها لحسن رجائه بربه.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ
إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ
ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

الحزب ٤٠

٣٩٩

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• حينما يقابل أهلُ الباطل حججَ أهل الحقِّ بالقهر والتنكيل، فكأنهم أقرُّوا في أنفسهم بتلك الحجج، ولكنهم عجَزوا عن الجواب عنها، فانتقموا من أهلها.

• مَن كان متمسِّكًا بالحق، معتصمًا بربِّ الخلق، فكاده المبطلون بكيد، فإن الله سيجعل له من كيدهم سبيلَ نجاة، وأمانًا ممَّا يخافه ويخشاه.

• مهما كانت المعجزة ظاهرةً فإنها لا تهدي إلا مَن كان مستعدًّا للإيمان.

• لم يكن في إنجاء إبراهيمَ من النار آيةٌ واحدة، بل آياتٌ متعدِّدة، وذلك يدلُّ على قدرة الله، وكرامة خليله، وتصديق وعده، وإهانة عدوِّه.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

• لا يَثني الداعيةَ عن بيان الحقِّ اشتدادُ الظلم، بل يبقى رابطَ الجأش، قويًّا في الحقِّ، عظيمَ الثقة بالله جلَّ وعلا؛ فإبراهيمُ عاد إلى مجادلة الكفَّار بعدما أُلقي في النار.

• ما من عاقلٍ يؤمن بأن صنمًا يضرُّ أو ينفع، لكنها التقاليد الموروثة، والروابط الاجتماعية المأثورة، تبلُغ ببعض الناس أن يقدموها على اتِّباع الحق.

• لن ينتفعَ امرؤٌ بمودَّة أقامها على مخالفة الشريعة، بل ستنقلب يوم القيامة تلاعنًا وعداوة، ولا يبقى من العَلاقات يومئذٍ إلا ما كان لله وفي الله.

• نصر الله تعالى خليله إبراهيم من نارٍ في الدنيا أضرمَها بعضُ العباد، فهل سينتصر هؤلاء العبيدَ من أحدٍ حين يأمر الله تعالى ملائكته بأن يُلقوهم في نار الآخرة؟

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

• ما أعظمَها من ثمرة لدعوة إبراهيم أن يؤمنَ بها لوطٌ عليه السلام الذي أصبح نبيًّا رسولا!

• إنها هجرة إلى الله بالقلب قبل أن تكونَ بالجسد، فما أعظمَها من هجرة!

• إذا أيقن الإنسان بأنه لا يحمي من شرور الخلائق إلا الخالق، ولا يقضي الله بقضاء إلا وله فيه حكمة؛ عمل بأوامر ربِّه مطمئنًّا إلى قدرته، واثقًا بحكمته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

• عوَّض الله إبراهيم عليه السلام عن أبيه ووطنه ذرِّيةً تمضي فيها رسالةُ الله إلى أن يرثَ الله الأرض ومَن عليها، فأكرم به من عِوض!

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾

• اجتماع جميع أفراد العالمين على تحاشي فاحشةٍ ما دليلٌ على أن مَن يأتيها شديدُ الضلال بها، شديد العِناد عليها، فكيف إذا اجتمع عليها قوم؟

• ما أقبحَ أن يُحدثَ امرؤٌ معصيةً يُقتدى به فيها، فينال بذلك وِزرَها ووِزرَ مَن عمل بها إلى يوم القيامة!

• إن ما أتى به قومُ لوطٍ من الفاحشة إسرافٌ في تصريف الشهوة في غير موضعها، على نمط لا تستمرُّ به حياة، ولا تحصُل به مصلحة.

• لا يُغفل الداعية قضيَّةً من القضايا التي يحتاج إليها المجتمع على حساب أخرى، بل يسعى في إصلاحٍ شامل لما يقع فيه الناس من المعاصي والأخطاء.

• ظهور فاحشةٍ في مجتمع ما يؤدِّي إلى استمرائها من غير فرق لدى أهلها من أن تكونَ في السرِّ أو في العلن.

• لا ينبغي أن يتعاشرَ الناس على المنكر، ولا يجتمعوا على الهُزء والتلهِّي، وإنما يجتمعون على ما قرَّب إلى الله، وباعَدَ من سَخَطِه.

• إذا قابل العاصي ناصِحَه الأمين بالتحدِّي والاستكبار وقلَّة المبالاة بعواقب عصيانه، فإنه على شفا هلكة، فليراجع نفسَه قبل أن يقعَ فيها.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

• حين يتمكن الفساد من قومٍ ويستطيلون به على العباد، لا يبقى أمام المصلحين سوى أن يستنصروا بالله تعالى عليهم لإراحة المسلمين من شرورهم.

• المفسدون في الأرض إن لم يتوبوا إلى ربِّهم متوعَّدون بالهلاك؛ لأن شرَّهم لم يعد مقصورًا عليهم، بل حملوا الناس عليه، ودعَوهم إليه.

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ
أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ
وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا
ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ
هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ
٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
٣٥ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ
٣٦ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ
جَٰثِمِينَ ٣٧ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم
مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ
فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨

٤٠٠

﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١﴾

بِٱلۡبُشۡرَىٰ: بالخبرِ السَّارِّ، وهو البشارة بإسحاق عليه السلام.

• انظر إلى شؤم المعصية إذا عمَّت وجاهر بها أهلها ففشَت، فإنها تُهلك المجتمعَ كبيره وصغيره من غير استثناء.

• الظلم بالمعاصي والفساد طريقُ العقوبات، ونزول المصائب، وقد يؤدِّي الإسراف في الخطايا إلى الهلاك والفناء.

• من عدلِ الله ورحمته أن يخبرَ عباده بسبب عقوبته بعضَ خلقه ليطمئنُّوا إلى قضائه، ويعتبروا بما جرى لأهل سَخَطه.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢﴾

ٱلۡغَٰبِرِينَ: الباقينَ في العذاب.

• قال قَتادةُ رحمه الله: (لا تلقى المؤمنَ إلا يرحم المؤمن ويحوطه حيثما كان).

• مَن عاقب وهو عادلٌ في عقوبته أخرج منها مَن لا يستحقُّها، وقصَرها على مَن هو أهلٌ لها.

• يلحق بفاعل الشرِّ دالُّه عليه، ومُرشده إليه، فله نصيبٌ من عقوبة الشرِّ كفاعه.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤﴾

رِجۡزٗا: عذابًا شديدًا.

• ليلتمس الكرام عذرًا لمَن عُرف بالفضل إذا رأوا منه تبرمًا، وليحسنوا به الظن، فإنه لم يكن ليضيق صدره إلا وله عذر قد لا يستطيع إيضاحه.

• يضيق الرجل الكريم ويغتم عندما يُضام بريء لا يستطيع نصرته ودفع ظالمه عنه، فكيف إذا كان ضيفه؟!

• تأمين الخائف وتسكين المرتاع من السلوك الحسن في معاملة النفوس، حتى ولو شُغل الإنسان بأمر جسيم، فمع مجيء الملائكة بعذاب المفسدين لم يُغفِلوا تطمين لوط عليه السلام.

• انظر إلى آثار رحمة الله كيف تقدَّمت على آثار غضبه، ولا غروَ؛ فقد سبقت رحمتُه غضبه.

﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾

تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ: أبقينا من ديارهم.

ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ: آثارًا واضحة.

• مَن يدعو اليوم إلى الفاحشة أو يعملها، أو يسُنُّ القوانين التي تحمي أصحابها، لم يكن من العقلاء ولا المتَّعظين بعقوبة الله لقوم لوط.

• إن العاقل هو مَن يستجيب لأوامر الله تعالى، وتعظه آياته، وليس ذاك الذي تتحكَّم به أهواؤه ونزواته وشهواته.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦﴾

• إن داعيَ القوم الصادقَ الذي ينتمي إليهم، فيعرفون نسبَه وحالَه وهو أولى بالتصديق وقبول ما جاء به من غيره.

• القائم بعبادة الله على ما يحب الله تعالى يرجو اليوم الآخر؛ لأنه يلقى فيه ثوابه وحسن جزائه عند ربِّه الذي عبده.

• لو كان القوم راجين اليوم الآخر لم يؤثِروا الدنيا عليه، ولم يفسدوا في الأرض، فإن رجاءه تعالى يقتضي أن ينخلعوا من مطامع الدنيا المحرَّمة التي تضيِّع عليهم الآخرة، وأن يطلبوا سبيله بالإصلاح في الأرض.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧﴾

جَٰثِمِينَ: صَرعَى هالِكِين.

• حقُّ الله أعظمُ وأجلُّ من حقِّ العبيد، فردُّ دعوة التوحيد أعظم من معصية التطفيف في الكيل والوزن، وهي التي أوجبَت العقوبة على قوم شعيب، وإن كانت لهم إساءاتٌ أخرى.

﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾

• تلك مساكنُ القوم عادٍ وثمودَ بعدما أصابهم العذاب ينطِق صمتها بالموعظة، ويرسُم خواؤها العِبرةَ وهي دارسةٌ بعد فناء أهلها.

• لا عذرَ لأمَّةٍ إن سلكت سبيل الغيِّ والضلال، بعد أن حذَّرتها رسُل الله وأنذرتها، وأوضحت لها محجَّة سلامتها وحسن عاقبتها.

• قد يكون للرجل عقلٌ ينتفع به، وبين يديه دلائل هدًى ترشده، ولكن الشيطان يأتيه فيستهويه، ويجعله يغترُّ بعمله وماله، وقوته ومتاعه، حتى يَضل ويَهلِك.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾

وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ: فائِتِينَ من عَذابِ الله.

• إن مَن أهلكَ جبابرة الأرض السالفين قادرٌ على أن يُهلكَ مَن تلاهم ونسج على مِنوالِهم غيرَ معتبرٍ بما جرى لهم.

• كيف يتكبَّر الإنسان في الأرض وهو المخلوق الضعيف، وأهلُ السماء على رفعة منزلتهم لا يستكبرون على الله وعن عبادته؟!

• ذهب أولئك المفسدون إلى الهلاك والفناء، ولم يفوتوا أخذة ربهم بما لديهم من الثراء والقوة والدهاء.

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾

أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ: أخَذنا المذكورين بِعَذابِنا بِسَبَب ذنوبِهِم.

حَاصِبٗا: حِجارةً من طِينٍ مَنضُود.

ٱلصَّيۡحَةُ: صَوتٌ من السماء مُهلِك.

• لله دَرُّ الناظرين في أوامر الله تعالى النافذة، والمتفكرين في سنَّته الماضية، فبها يوقنون أن الله تعالى لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

• عندما يرسَخ الظلم في أمَّة ويستشري، ويعُمُّ ويستفحل، فذلك مؤذِنٌ بحكم الله العادل فيها بأن يقطعَ دابرها، ويريحَ منها البلاد والعباد.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤٢﴾

أَوۡهَنَ: أضعَف.

• هنالك قوَّة واحدة هي قوَّة الله، وما عداها من قوَّة الخلق فهو هزيلٌ واهن؛ مَن تعلَّق به أو احتمى فهو كالعنكبوت الضعيفة تحتمي ببيت واهٍ، فهي وما تحتمي به سواء.

• أشبهَ المشركون العنكبوت في الغرور بما أعدُّوه، وأشبهَ أولياؤهم بيتَ العنكبوت في عدم الغَناء عمَّن اتخذوها وقت الحاجة إليها، وزوالها بأقلِّ تحريك.

• أيُّ جهلٍ عند مَن يدَع عبادة الله تعالى القدير، الذي لا يفعل شيئًا إلا بحكمة وتدبير، ثم يعبد ما سواه ممَّن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضَرًّا!

• مَن عرَف الله تعالى حقَّ معرفته لم يركَن إلى غيره، ولم يلجأ إلا إلى عزيز جنابه، وأمَّا مَن احتمى بسوى الله فما أجهله بصفات مولاه!

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾

• أهل العلم يتدبَّرون أمثال الله ويعقِلونها، ويَعون ما فيها من العِبَر ويفهمونها، ويستعملونها في الدعوة والتعليم ويعظون بها.

• لا يفهم مغزى أمثال الله تعالى في كتابه إلا الذين كمُلت عقولهم فكانوا علماء، وأما مَن لم ينتفع بها فإنه من الجهلاء، فما بالك بمَن اعتاض عن تدبُّرها اتخاذَها هُزوًا وسُخريَّة؟

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٤﴾

• خلقُ السماوات والأرض آيةٌ لكلِّ عاقل، ولكنَّ المؤمنين هم مَن يعقِلون تلك الآية ويتفكرون فيها.

﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾

• لا تكون تلاوةُ القرآن الحقَّة إلا باتِّباع ما فيه، وتدبُّر معانيه، وإقامة أحكامه، وتصديق أخباره.

وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩
فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا
وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ
ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ
وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ
لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤٢ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ
٤٣ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٤ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ
وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥

٤٠١

• الصلاة تعني أن ترحلَ عن خطاياك إلى الله؛ لتَخرجَ من دركات العادة إلى درجات العبادة، وليتغيَّر طعم المنكر في قلبك فلا تجد له لذَّة، فالصلاةَ الصلاةَ؛ فإنها تصنعك.

• مَن لم تستمرَّ صَلاتُه في نهيه عن الفحشاء والمنكر فليراجع صلاته.

• بالصلاة تدفع المكروهَ من الفحشاء والمنكر، وبها تحصِّل المحبوب. ذِكرُ الله سبحانه أكبر من أن يبقى معه فاحشةٌ ومنكر، بل إذا تمَّ الذكر محَق كلَّ خطيئة ومعصية.

• عن معاذ رضي الله تعالى عنه قال: (ما عملَ آدميٌّ عملًا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله)، قالوا: يا أبا عبد الرحمن، ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال: (ولا؛ إلا أن يضربَ بسيفه حتى ينقطع؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه: {ولذكرُ الله أكبر}).

• لازم العمل كما يلازم الصانع صنعته، وأقِم الذكر حتى يصير لك طبعًا صحيحا، ومقصودًا صريحا.

الجزء ٢١ الحزب ٤١

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ
﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ
ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا
يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن
قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ
ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ
لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ
وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ
لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ
شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ: عانَدوا الحقَّ وأعلَنوا الحرب.

مُسۡلِمُونَ: خاضِعونَ مُتذلِّلونَ بالطَّاعة.

• إذا كان المطلوب منك في مجادلة أهل الكتاب أن تقابلَ الخشونةَ باللِّين، والغضب بالكَظْم، والمشاغبة بالنصح، وتكونَ لطيفًا رفيقًا، فكيف يجب أن تكون مع أهل القرآن، وإخوانك في الإيمان؟

• اخترِ الأحسنَ دومًا في حوارك ومجادلاتك، ومحاولاتك إقناعَ الناس بالمنهج الحق.

• إن قابل أهلُ الباطل الرفقَ واللِّين بفاحشٍ من الأقوال، وإقذاعٍ في الجدال، فقد دلُّوا على أن التلطُّفَ معهم غيرُ مجد.

• المُناظر عن الحقِّ يحتاج في مجادلة خصمه إلى معرفة تحرير محلِّ النزاع، وإدراك طرق الإلزام في المناظرة، من أجل أن يظهرَ الحق، ويزهق الباطل.

• من الظلم أن يقدح المناظر بجميع ما عند خصمه، والعدل ردُّ باطل الخصم، وقبول ما معه من الحق، وهذا من أعظم آداب المناظرة.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ: ومن العرَبِ من قُرَيش.

• إذا كان مَن أوتي الكتابَ هو مَن يعمل بما فيه ويؤمن بما جاء مصدِّقًا له، فما أشبهَ الذي لم يؤمن ويعمل بمَن لم يؤته!

• حين أشرقت أنوار صدق القرآن وصحته على قلوب بعض مشركي قريش أضاءت بالإيمان، فآمنوا به كما آمن أهل الكتاب الصادقون، فيا له من كتاب عزيز اجتمع على الإيمان به وتصديقه الأوفياء والمنصفون!

• كتاب الله تعالى آية عظيمة من آياته، لما احتوى عليه من المعاني الدالة على أنه من عنده سبحانه، فما أعظمها من آياتٍ ينسُبها العظيم إلى نفسه، فلا يجحد بها إلا مَن كفر به جل جلاله.

﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

• أزاح الله عن رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام كل شبهة توصل إلى اتهامه؛ تنزيهًا لجناب رسوله، ورحمةً للناس ليؤمنوا بالحق الذي أرسل به.

• مَن عرف حال رسول الله من القراءة والكتابة لم يشُكَّ في كون هذا الكتاب الذي جاء به هو من عند الله تعالى لا من عنده، بل حتى لو كان رسول الله كاتبًا، فإن أهل الإيمان لا يشكُّون بأن القرآن من عند الله.

• في قوله تعالى: {إذًا لارتاب المبطلون} توجيهٌ لأهل الإسلام ألا يفعلوا شيئًا يجعل غيرهم من أهل الملل يرتاب في صحَّة هذا الدين، أو تشويه صورته.

﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

• ينبغي أن تُعمر صدورُ أهل العلم بحفظ آيات الله تعالى، فإنها الأوعية الأمينة التي فيها تُحفظ، والآفاق المشرقة التي منها يقتبس الأنام.

• الظلم دعا الجاحدين إلى الإنكار؛ إذ ليس في القرآن إشكال يمنع العقلاء العادلين من الإقرار.

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

• ليس كُلُّ ما يطلبه المكذِّبون من البراهين يُحقَّق لهم؛ إذ لو كان لديهم إقبالٌ على الحقِّ ورغبة فيه لاكتفَوا ببعض البراهين الدالَّة عليه.

• إن النَّذارة المرجوَّة لا بدَّ أن تكونَ واضحةً بيِّنة؛ حتى تقطعَ عن المبطلين الحجَّة.

﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

• لقد عظُمَت نعمة الله تعالى على عبدٍ أغناه بفهم كتابه عن الفقر إلى غيره.

• إن القرآن الكريم ذكرى يتذكر به الورى ما بقيَ الزمان وتعاقبت الأجيال، فمَن أراد الموعظة فليَرِد منهلَه في أيِّ زمان كان فيه.

﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

• يكفي رسولَ الله ﷺ شهادةً على صدقه أن الله تعالى يحميه ويؤيِّده، ويُجري على يديه المعجزات ويصدِّقه، فيا خسارةَ من كذَّبه وأعرض عن دعوته!

• كم يورثُ الإيمان بالحقِّ من ثبات وسكينة، ويقين وطُمأنينة، وتلك من غنائم عباد الرحمن التي يخسرها الكافرون.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

٤٠٣

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

• لا تعجَب إذا قوبلت دعوتُك الصادقة بالتحدِّي والتكذيب، والاستهزاء والسُّخريَّة، فقد لاقى الأنبياء من ذلك ما لاقوا، لكنهم صبروا ولم يجزعوا.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

• يستعجل الكافرُ عذابَ الله تعالى، ولا يدري أن جهنَّم تحيط به، فلا يجد من عذابها خلاصا، ولا من ورودها مناصا.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

• أهل جهنَّم بين عذاب حسِّي يغشاهم من جميع جوانبهم، وعذاب معنويٍّ بما يسمعون في النار من تقريع وتهديد وتوبيخ يؤلمهم.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

• مَن ضاقت عليه أرضُه عن عبادة ربِّه فإن أرض الله الواسعةَ لن تضيق به، فليرحل إلى حيث يُعبَد الله وحده، ويُقام دينه وشرعه، فالله مقصِده، ورضاه مطلبه.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

• إذا قدَّر المؤمن الذي أوذي في دينه أنه ميِّت سهُلت عليه الهجرة عن أرضه، فإنه إن لم يفارق بعضَ مألوفه بها فارق كلَّ مألوفه بالموت.

• ليست الدنيا دارَ بقاء، بل هي منتقلة بالموت إلى دار الجزاء، فكل نفس ستذوق الموت وتفارق الحياة لترجِع إلى ربها، فمَن كانت هذه حاله فليستعدَّ بزاد التقوى.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾

• شتَّان بين مَن يحيط به العذابُ الأليم، ومَن يحيط به النعيم المقيم، فعذاب الكافرين يحيط بهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ونعيمُ المؤمنين يغشاهم في غرفٍ عالية، وفي أنهار من تحتهم جارية.

• فرق واسعٌ وبَون شاسعٌ بين قوم يؤمَرون بذوق العذاب المُهين، وقومٍ يُثني مليكهم سبحانه على نعيمهم، ويجعله بفضله أجرًا على عملهم.

• طلَّق العقلاء الخمولَ والفتور، وركبوا إلى أجر ربِّهم صهوات العمل والجِدِّ، راجين الخلود في النعيم المقيم، والنجاة من العذاب الأليم.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾

• ما تلقاه اليوم من الضُّر فاصبر عليه تنَل أجره، وما تخشاه غدًا فتوكل على الله فيه يكفِكَ أمره.

• توكُّل المؤمنين يتجدد بتجدد الأحوال، فيستمرون عليه في مدافعة الآلام وبلوغ الآمال.

• الصبر والتوكُّل حظُّ مَن عرَف كمال الله، فمَن علم أن ما سوى ربِّه زائلٌ هان صبره على فقده، ومَن علم أن الله تعالى هو الحيُّ الباقي أحسن توكله عليه.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

• ممَّا يعين العبد على التوكُّل أن ينظرَ في حال الدوابِّ التي يرزقها خالقها كلَّ يوم رزقًا جديدا.

• الرزق لا يكون بقوَّة ولا بذكاء، فالبشر مهما بلغت قوَّتهم، وبقيَّة المخلوقات مهما بلغ ضعفها؛ يستوون في أصل الرزق ومصدره، وهو الله وحده، الذي بيده أسباب رزقهم أجمعين.

• الله جلَّ وعلا لا ينسى هوامَّ الأرض من الرزق، فكيف ينساك يا من تطيعه وتوحِّده، وتجاهد نفسك من أجله؟!

• من أسباب الرزق صدقُ الدعاء وحسن التوكل، فاصدُق الله تعالى في دعائك له وتوكلك عليه؛ فإنه سميعٌ لدعائك، عليمٌ بتوكلك.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾

• الإقرار لله بأفعال الربوبية لا يكفي صاحبه للنجاة حتى يقوم بأفعال العبودية.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

• سبحان مَن يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم، فيعطي بحسب ذلك أو يمنع، وكم رامَ بعضُ الأقوياء إغناءَ فقير وإفقار غني، فما استطاعوا، وما شاء الله كان!

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

• إذا كان الله تعالى قادرًا على أن يحييَ الأرض بعد جفافها، فلن يُعجزَه سبحانه أن يبعثَ الخلائقَ من بعد موتها.

• يا مَن يُقرُّ بعقله أنه لا خالقَ إلا الله، ولا مُبدئَ ولا معيدَ إلا هو؛ أفلا تتوجَّه إليه وتتوكل عليه وتخلص العبادة له؟

وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ
ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ
مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥
لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ
حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧
وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ
أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩

سُورَةُ الرُّومِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٤١
الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ
بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ
مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤
بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥

٤٠٤

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾

ٱلۡحَيَوَانُ: الحياةُ الحقيقيَّةُ الكاملةُ الدَّائمةُ.

• يا غارقًا في لُجج الدنيا كفاك لهوًا ولعبًا، أَفِق من موت الغفلة، واعمل بجدٍّ للحياة الحقيقيَّة، فإنها شطُّ السلامة، والفوزُ الكبير.

• لا حياة كاملةً سوى حياة الآخرة؛ فهنالك تكتمل اللذَّات وتزول المنغِّصات، وتتمتَّع الأبدان بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾

ٱلۡفُلۡكِ: السُّفُن.

• قد فطر الله تعالى الناس على التوحيد، فإذا ما غفلوا عن هذه الفطرة في السَّراء أفزعتهم إليها حالةُ الضرَّاء، فلا تراهم يلجؤون إلا إلى الله وحدَه إذا ما دهمهم البلاء.

• انظر إلى رحمة الله تعالى بمَن أشرك به دهرًا طويلًا كيف نجَّاه من كربه حين وحَّده، فكيف لا يرجوه في كُرباته عبدُه الذي يوحِّده في جميع أحواله؟

• ألا تعجب من بعض مَن ينتسب إلى الإسلام إذا دهمته الخطوب، ونزلت بساحته الكروب، كيف يلجأ إلى غير ربِّه سبحانه من الأموات أو الأحياء، وهؤلاء المشركون يوحِّدون الله في الضرَّاء؟!

• قد تعتري بعضَ المسلمين الحاجةُ فيفزعون إلى الله تعالى، فإذا قضاها لهم فرحوا بالعافية، ونَسُوا واجبَ الشكر!

﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦﴾

• سوف يدري الجاحد لنعمة الله عاقبة جحوده وبُعده عن شكر ربِّه مهما تمتَّع وامتدَّ به العمر.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾

حَرَمًا ءَامِنٗا: هي مكَّة.

وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ: ويُستلَبون بسُرعةٍ قتلًا وأسرًا.

• لو تأمَّل العبد كيف أنعم الله عليه بالرسالة النبوية، فنجَّاه بها من ظلمات الكفر والجهل والمعاصي، لشكره شُكر مَن ينجيه بنعمته من مخاطر البحر ومهالك الصحراء.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾

مَثۡوٗى: مَسكَنٌ ومُستقَر.

• العاقل إن جاءه خبرٌ تدبَّره وتأمَّله قبل أن يردَّه أو يقبله، فمَن ردَّه من أوَّل وهلة فذلك دليلٌ على النزق والخفَّة في عقله.

• مَن اجترأ على الله تعالى بافتراء الكذب عليه، ونسبة الباطل إليه، وتكذيب آياته ورسله فنارُ جهنم مثواه، وداره التي إليها مأواه.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾

• مجاهدة النفسِ التي يُعين الله صاحبَها عليها هي ما كانت فيه وفي مَراضيه.

• من أفرض الجهاد جهادُ النفس والهوى، والشيطان والدنيا، فمَن جاهدها كلَّها في الله هداه سبحانه سبُلَ رضاه الموصلةَ إلى جنَّته، وإلا فاته من الهدى بحسب ما عطَّل من الجهاد.

• مَن أراد معيَّة الله تعالى وتوفيقه، وحمايته وتسديده، فليكن من المحسنين في عبادة الله، المحسنين إلى عباد الله.

سُورَةُ الرُّومِ

﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣﴾

• الأيَّام دُولٌ بين الناس، لا تدوم لأهلها حالٌ فيها؛ فمن ذلٍّ إلى عز، ومن ارتفاع إلى انخفاض، ومن غلَبة إلى هزيمة، ومن هزيمة إلى نصر.

• أخبار القرآن المستقبليَّةُ صادقة لا خطأ فيها ولا كذب، وهي للمؤمنين بِشارات، وللكافرين حسرات، فغلبة الروم للفرس خبرٌ تحقَّق كما أخبر به القرآن الكريم.

﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤﴾

• قد يطول أمدُ زهو المشركين أو يقصُر، ولكنَّ خِذلانهم آتٍ لا محالة.

• لا يكفي وجودُ أسباب النصر والهزيمة، بل لا بدَّ من موافقة قضاء الله تعالى وقدره؛ فإنَّ كل حادث وحالة ونشأة وعاقبة ونصر وهزيمة محكومةٌ بالقضاء والقدر.

﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾

• إنما النصر بيد الله، فمَن شاء نصره، ومَن شاء خذله؛ قويًّا كان أو ضعيفًا، فالخلقُ خلقه والأمر أمره، ولا يُسأل عمَّا يفعل سبحانه وتعالى.

وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ
غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا
مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ
أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا
عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ
عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ
بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ
﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن
شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ
﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾

٤٠٥

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

- وعدُ الله صادقٌ لا يتخلَّف، متحقِّق لا يكذب؛ لأنه وعدُ الغنيِّ القادر الذي بيده كلُّ شيء تبارك وتعالى، فيا بُشرى مَن وعده بالوفاء!

- أكثر الناس يجزمون بوقوع ما انعقدت أسبابُ وجوده فحسب؛ لأنهم واقفون مع الأسباب، غيرَ ناظرين إلى مسبِّبها.

﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾

- لا فرق بين جاهل وعالم في شؤون الدنيا، لا يعلم عن آخرته شيئًا، فماذا سينفعه علمُه بالحياة الدنيا ومصيره جهنَّمُ في الحياة الأخرى؟

- مَن أراد الحقَّ وجد عليه من الدلائل ما ينبِّه كلَّ غافل عنه، ويعلِّم كلَّ جاهل به؛ إذ ما أكثرَ أسبابَ معرفته، والمُعينات على تذكره! ولكن كيف يذكره مَن آثر الغفلة عنه؟

﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى: وقتٍ مُقدَّرٍ تَنتَهِي إليه.

- طبيعة تكوين الناس، وطبيعةُ هذا الكون توحي بأن هذا الوجود قائمٌ على الحق، له غايةٌ من ورائه، وله أجلٌ ينتهي إليه، وليس الشأن في مجرَّد معرفة ذلك، بل بالإيمان به والعمل له.

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ: وحَرَثُوها وزَرَعُوها.

- يا مَن يقف عند النظر في ظاهر الملك ببصره، ويقصر عن الاعتبار في باطن الملكوت بفكره؛ هلا امتطيت هذه الدرجة العليَّة، التي تدعوك إليها هذه الآية الجليَّة؟

- الأرض مجال رحْب للتأمل والتفكر، والاعتبار والتدبر، فمَن سار فيها، وجال في نواحيها، وقرأ ببصيرته عِبرها عاد متَّعظًا بما رأى منها، وبما جرى لأهلها عليها.

- سنة الله تعالى جارية على الجميع، ثابتة يقوم عليها هذا الوجود، لا تحابي أمة، ولا تجامل جيلًا.

- مَن نظر في آثار السابقين وجد أممًا بائدة، وخلقًا مُهلَكين، ومنازل موحشة، وكل ذلك إشارة إلى حياة أخرى يكون فيها الحساب والجزاء.

- إن كان العرب الأوائل قد اغترُّوا بدنيا، إنما هي جبالٌ سوداء، وفيافٍ غبراء، فلقد أهلك الله قبلهم مَن شقَّ الصُّخور وبنى العمَد، ورفع الصَّواري والأهرام، فما أغنت عنهم من عذاب الله شيئًا.

- لقد ظلم نفسه مَن لم يستعمل عقله فيما خُلق له، ولم يقبل من الهُداة ما جاؤوا به، وانتقل من الغفلة إلى العناد، ولم يعتبر بآيات الله الباهرات المبثوثة بين العباد.

- من رحمة الله وحِلمه أنه يُمهل عباده الظالمين، وإن تكرر منهم الظلم وتجدد، فإذا لم يُقلعوا مع تتالي النُّذر والعِبر أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

- مَن أساء إلى رسُل الملك العظيم سبحانه عذَّبه الملك بما يسوءه؛ جزاءً وفاقًا.

- يستحقُّ أسوأ العواقب مَن جمع بين التكذيب بما حقُّه التصديق، والاستهزاء بما حقُّه التوقير.

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

- لا ينازع عمومُ البشر في أن الله تعالى هو مَن بدأ الخلق، فعلامَ ينازع بعضهم في الإعادة بعد الموت، مع أن التسليم بها أولى وأجدر؟

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾

- سيأتي على المجرمين المتشدقين بالباطل، المتبجِّحين بحسن العاقبة يومٌ ييئسون فيه من النجاة، وتنقطع حجتهم فلا ينبِسون ببنت شفة.

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

- ما أخسرَ صفقةَ المشركين يوم عبدوا آلهتهم الباطلة راجين نفعَها وقت الحاجة! فخذلتهم، ولم تشفع لهم في دفع عذاب الله عنهم.

- ما من عبد يعتمد على غير الله، أو يركن إلى مَن سواه فينفعَه يوم القيامة، وإنما يتبرَّأ منه وهو أحوجُ ما يكون إلى مَن ينصره.

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾

- يجتمع الناس في الدنيا حسب قرابتهم ومصالحهم، ولكنَّهم يتفرَّقون يوم القيامة حسَب جزاء أعمالهم، فريقٌ في الجنَّة وفريق في السعير.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾

- الذين لاقَوا ربَّهم بما يحبُّه من الطاعات، لا تنقطع عنهم أنواع الملذات، في روضات الجنَّات.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ
وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ
ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ
١٩ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ
تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ
أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ
خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم
بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ
خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ
بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤

٤٠٦

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾

مُحۡضَرُونَ: مُقيمُون.

• ما أضعفَ أهلَ النار وما أذلَّهم! يوم يُساقون إليها سَوقًا، ويُحضَرون إليها قسرًا، دون أن يملكوا للقوَّة التي تقودهم إلى عذابها دفعًا.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾

تُظۡهِرُونَ: تدخلُون وقتَ الظَّهيرة.

• تأمَّل كيف يرتبط التسبيحُ والحمد بالأوقات، وبآفاق الأرض والسماوات؛ حتى يظلَّ القلب متصلًا بالله في كلِّ زمان ومكان.

• سبحان مَن جمع لنفسه الحمدَ كلَّه في الزمان والمكان، مثنيًا بذلك على نفسه، ومعلِّمًا عباده كيف يثنون عليه!

﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾

• تبارك مَن خلق الشيء وضدَّه، وبرأ الأمر وما يقابله؛ إيذانًا بكمال قدرته في خلقه، وتمام قوَّته في صنعه.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠﴾

• يا لها من نُقلة ضخمة من صورة ترابٍ ساكن زهيد، إلى صورة إنسان متحرِّك جليل القدر! تثير التأمُّل في صنع الله، وتستجيش الضميرَ لحمده وتسبيحه وتمجيده.

• قل لمَن تكبر فوق التراب: انظر إلى التراب الذي تسير عليه فإنه أصلك قبل وجودك، ومنزلك بعد موتك، فعلامَ الغرورُ على خلق الله؟!

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾

• المرأة هي السكن الآمن الرحيب لزوجها وأسرتها، وهذا مقصدٌ سامٍ من مقاصد العَلاقة بين الزوجين في الإسلام، وهدفٌ نبيل لبناء الأسَر عند الأنام.

• ليس لفاجرٍ وبغيٍّ كرامةُ المودة والرحمة التي يُنعم الله بها على الزوج والزوجة اللذين أقاما العلاقة بينهما وَفق شرع الله تعالى.

• متى ما اضطربت بين الزوجين أعمدة المودة والرحمة، فاعلم أن ما في البيت من سكن بدأ يتداعى، وقد يؤول إلى الانهيار.

• تفكَّر في حكمة الله سبحانه في خلقه كلا الجنسين موافقًا للآخر، ملبيًا لحاجته الفِطرية، من نفسيَّة وجسديَّة، بحيث يجد كل شريك مع شريكه الراحة والطُّمأنينة والاستقرار.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾

أَلۡسِنَتِكُمۡ: لغاتكم.

لِّلۡعَٰلِمِينَ: جَمعُ عالِم، وهُم ذَوُو العِلمِ والبَصيرة.

• ما في خلق السماوات والأرض هو دعوةٌ إلى تدبُّر هذه الآيات الكونيَّة الشاهدة على جلال الله وكماله، وجماله وعلمه وإتقانه، وعموم رحمته وفضله.

• اختلاف الناس في أصواتهم وأشكالهم آيةٌ عظيمة، ومنَّة على الخلق جسيمة؛ إذ لو كانوا كلُّهم متَّفقي الألوان والأصوات فكيف ستكون الحياة؟

• مَن لم يوصله علمُه بالخلق إلى معرفة قدرة الخالق ومشيئته ووَحدانيته وحكمته وكمال علمه وواسع فضله فليس بعالم وإن أشير إليه بالبَنان.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣﴾

وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ: طَلَبُكم للرِّزق في النَّهار.

• على العبد ألا يرى لنفسه فضلًا فيما يناله من رزق، فلولا فضلُ الله عليه ما وصل إليه.

• المؤمن يتفكر في آيات الله تعالى في منامه وارتياحه، ويقظته وعمله، وسائر أمره، ويستجيب لما تدعو إليه تلك الآيات، ويصغي لما فيها من عبر وعظات.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤﴾

• البرق آية من آيات الله تعالى، يحمل في لمعانه لقوم بشرى بقرب نزول الغيث، ولقوم آخرين خوفًا من حصول صواعق محرقة.

• لا يملك العبد الضعيف أمام أفعال الله جلَّ جلاله سوى الخوف أو الطمع.

• البعث من أعظم ما ينبغي أن يعقلَه المرء، وفي الغيث الذي يتكرَّر على الناس ما يدلُّ عليه.

• لا ينتفع بآيات ربِّه التي بثَّها بين خلقه إلا امرؤٌ أعمل عقله فيها متأمِّلًا متفكرًا، فاهتدى منها إلى تعظيم خالقه وزيادة إيمانه به.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا
مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ
كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ
فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

الحزب ٤١

٤٠٧

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

• البعث بعد الموت نظامٌ عظيم ثابت سيجري على هذا الوجود، فالذي أقام السماء والأرض بأمره، فلم تزولا ولم تضطربا، سيُخرج الناس من قبورهم بدعوته فلا يُفلت منهم أحد ولا يتأخر، فإذا الأرض غيرُ الأرض، والسماوات غير السماوات.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾

• ما دمت محكومًا بإرادة الله تعالى الكونية وَفق السنة المرسومة التي لا تتخلف ولا تحيد، غير خارج عن مشيئته سبحانه؛ أوليس من الخير لك أن تكون أعمالك وَفق الإرادة الشرعية؟!

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

• لئن كان الناس يرَون أن البدء لا بدَّ أن يسبقه تفكيرٌ وتخطيط بخلاف الإعادة، إنَّ الأمر عند الله تعالى سواء، والكلُّ عنده هيِّن، فلا يفتقر إلى شيء في البدء ولا في الإعادة.

• كلُّ صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه فالله أولى بها إن كانت تليق به، وكلُّ نقص في المخلوق يُنزَّه عنه، فتنزيه الخالق عنه من باب أولى.

• سبحان الذي إذا أراد شيئًا كان له في غاية الانقياد كائنًا ما كان، وإذا خلق شيئًا أو قدره كان في غاية الإحكام والإتقان!

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

• أيجعلون لله تعالى شركاء من عبيده وهو الخالق الرازق وحده، ويأنَفون أن يجعلوا لأنفسهم من عبيدهم شركاء في مالهم وما لهم ليس من خلقهم، إنما هو من رزق الله؟! إن ذلك لتناقض عجيب في التصور والتقدير.

• مَن يقيم على شركه بالله سبحانه وتعالى فليس هو من أصحاب العقول، ولا ممن ينتفع بها.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

• لا ضابط للهوى ولا مقياس، وإنما هو شهوة متقلبة ونزوة مضطربة، فمَن جعله إمامًا له قاده إلى كل ما فيه مخالفة للعقل والعلم.

• المشركون الذين يتَّبعون أهواءهم قد جنَوا على أنفسهم؛ إذ حرموها من الهداية، وأوجبوا لها العذاب، فمَن الذي يهديهم وقد اختاروا الضلال؟! ومَن الذي يُنجيهم من العذاب على شركهم؟! فلا تحسبنَّهم رابحين.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

• ليكن تمسُّك المسلم بدينه كمَن يسدِّد نظره إلى أمر يُهمُّه ويوجِّه بصره إليه، ولا يلتفت عنه ولا يعتني بغيره.

• سبحان مَن وضع في قلوب خلقه النقية محبةَ الحق وإيثاره، وفطَرهم على استحسان أحكامه واستقباح مخالفته!

• كل مولود فإنما يولد على الفطرة، وما من شيء يَصرفه عنها في قضايا العقيدة أو السلوك، إلا اكتسابُ القبيح واعتياده.

• مهما أحدث الناس من نظم وتشريعات، وقرروا من عقائد ومناهج، فإن الطريق الموصل إلى توحيد الله تعالى، والتمتع بخيري الدنيا والآخرة؛ هو دين الله، لا سواه.

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾

• لا بدَّ من الثبات على الحق بعد التزامه، ولا يكون ذلك إلا بالإنابة إلى الله دائمًا، والخشية من الزيغ عن سبيله، والوقوع في أيدي المضلين عن دينه.

• ما يميِّز المؤمن من غيره هو إقامة الصلاة، فكلما صدق العبد في صلاته واتصل بربه أكثر، وكان أعظمَ إقبالًا وتألُّهًا؛ كان للتوحيد أحفظ، وعن الشرك أبعد.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ: بدَّلوا دينهم وغيَّروه فأخذوا بعضًا وتركوا بعضًا.

شِيَعًا: فِرَقًا وأحزابًا.

• متى رأيت الأمَّة فِرَقًا تجتزئ الدين، وأحزابًا مختلفة داخل جمع المسلمين، كلها تزعم أنها على الحق؛ فاعلم أنه أصابها من أمراض المشركين ما أصابها، ولم ينجُ من ذلك إلا الذين اجتمعوا على الدين كله، ولم يفرِّقوا بعضَه عن بعض.

• علامَ تمزِّق الوحدة الإيمانيَّة بالتفرُّق والشِّقاق، والتضليل والتبديع، في مسائل خلافية، لا توجب ذلك الشَّتات؟

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ
ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٤ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ
سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ٣٥ وَإِذَآ أَذَقۡنَا
ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ
إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا
لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن
زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩
ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ
أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣﴾

• يجأر العبدُ إلى ربِّه إذا أصابه ضُرٌّ صغير، فضلًا عن الضُّرِّ الكبير، وذلك أن الحاجة إلى الله تعالى متغلغلةٌ في فطرة الإنسان.

• إن الناس ليَفزعون إلى ربِّهم في ضُرِّ الدنيا الذي يُشقيهم ويسلُبهم راحتهم، فليفكِّر المقيمون على مَساخط خالقهم في الفزع إليه اليوم من ضُرِّ يوم القيامة وليُنيبوا إليه قبل أن يقفوا بين يديه؟

• بعض الناس أوَّلَ ما يذوق باكورة الفرَج من الشدَّة يسارع إلى الإشراك بربِّه، والعودة إلى سخَطه، ولكنَّ العقلاء منهم يستمرُّون على الإنابة، ويسلكون طريق الاستقامة، فما أحسنَ ما غنِموا من البلاء!

• أليس الأجدى بعبد مسرف على نفسه أنقذه ربُّه من البلاء، أن يشكرَه بتوحيده ونبذ الإشراك به، والانتقالِ إلى ملازمة طاعته، بدل العودة إلى معصيته؟

﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٤﴾

• مَن لم تصنع النعمةُ بعد النقمة في قلبه شكرًا، ولم يجعل لربِّه فيها ذكرا، لم يزدَد لخالقه إلا عصيانًا وتمردًا وجحودًا وكفرا.

• ليتمتع الكافرون بالنعم ما شاؤوا، وليَبطَروا وليجحَدوا كما أرادوا، فإن أمامهم عاقبةً شديدة العذاب تنتظرهم، ومآلًا عظيم الهول يَشمَلهم.

﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ٣٥﴾

• ليس مع المشركين من دليل صحيح يُقبل إلا أهواء يُلبسونها ثوب الحُجج، مسوغين لأنفسهم الإعراض عن تدبر براهين الحق والانقياد لها.

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦﴾

• شأن القلوب المنقطعة عن الله التي لا تدرك سننه، ولا تعرف حكمته، ولا ترجو لقاءه؛ الإغراقُ في حبِّ الدنيا، فإن نالوا منها فرحوا، وإن حُرموها أيسوا.

• سبب إصابة السيِّئة هو ما قدَّمته أيدي العباد، وأمَّا الرحمة فهي محضُ تفضُّلٍ وجودٍ من الجواد الكريم.

• مَن عَرف أن ما تقدَّمه يداه هو سبب ما يصيبه من البلاء لامَ نفسه وحاسبها وتعاهدها، وتدارك ما فرَط منها، وأصلحها ولم ييئس ولم يقنط.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧﴾

• مَن علم أن الله تعالى هو الباسط القابض فلا يقنط من رحمته مهما عصاه، فما للعبد لا يرجع إلى ربه تائبًا من معصيته التي عوقب بالشدة من أجلها حتى يعيد إليه رحمته؟

• لو اعتبر العباد حال بسط الله لم يقنطوا، ولو اعتبروا حال قبضه لم يبطروا، بل لكان حالهم حينئذٍ الصبر في البلاء، والشكر في الرخاء، والإقلاع عن السيئة التي نزل بسببها القضاء.

• في النظر إلى أحوال الناس كيف تتبدَّل ما بين الفقر والغنى، والصحَّة والمرض، والقوَّة والضعف؛ عبرةٌ لكلِّ مؤمن.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾

• مَن يبسط الرزق ويقبِض، ويعطي ويمنع، وَفْق مشيئته هو مَن يبيِّن للناس الطريق الذي تَربو أموالهم فيه وتربح.

• العبرة بقصد المنفق لا بإنفاقه، فمَن أنفق جميعَ أمواله رياءً وتفاخرًا فلا فلاح له، ومَن أنفق القليل مُريدًا به وجهَ الله تعالى تقبَّله منه.

• لو أيقن العبد بأن صدقته تقع في كفِّ الرحمن فيربِّيها له، ويثيبه عليها؛ لذهب كثيرٌ من شحِّ النفوس، وإرادة غير وجه الله في العطاء.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠﴾

• لمَّا كان الخلق خلقَ الله، والرزقُ رزقَه، والمرَدُّ إليه، والموقف بين يديه، والحساب عليه، فلمَ الجَورَ بنسبة الشريك إليه؟

• تنزَّه الله تعالى عن شرك المشركين، وهو سبحانه الكامل في ذاته وصفاته، وسواه من المعبودات الباطلة ناقصٌ عن كل كمال.

﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾

• إن صلاح الأرض كلها بطاعة الله تعالى، وما أقيم العدل إلا كثرت البركات وعمَّت الخيرات.

• كلما أحدث الناس ظلمًا وفجورًا أحدث لهم ربهم جلَّ جلاله من الآفات في أغذيتهم وأهويتهم ومياههم وأبدانهم وأخلاقهم من النقص والآفات ما هو موجب أعمالهم، ومن حكمة هذا البلاء: إرجاع الخلق إلى الخالق.

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٤٠٩

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

• طوبى لعبد نظر في آثار القوم المعذَّبين فاستنارت بصيرته وحضره تأمله وتدبره، فكان له من تلك الأطلال البالية عبرة أصلح بها نفسه وقوَّم بها سَيره.

• أي عاقل يسير في الأرض، فيرى مصارع المكذبين وعواقبهم ونهاية الطريق الذي سلكوه فأهلكهم ثم يسلك ذلك الطريق؟!

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾

• مَن اهتمَّ بشيءٍ عقدَ عليه طرفَه، وسدَّد إليه نظرَه، وأقام له وجهَه، مُقبلًا به عليه، غيرَ ملتفتٍ عنه إلى غيره يمينًا وشمالًا، ألا فليكن المسلم مع دين الله كذلك.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

• لا يحسَب الكافر أن كفره سينفعه، أو ينجيه أو يرفعه، بل سيُهلكه ويوبقه، ويعود على نفسه بالخسارة العظمى، والمصيبة الكبرى.

• يا مَن تجتهد في العمل الصالح؛ إنما تُعِدُّ لنفسك بعملك هذا في الآخرة مكانًا معبَّدًا، ومَضجعًا تتنعَّم فيه، تنسى فيه عناء الدنيا.

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

• ثواب الله للمؤمن هو محضُ تفضُّل من جنابه الكريم، فإنَّ أحدًا لا يستحقّ الجنَّة بعمله، فلا يغترنَّ امرؤٌ بما يعمل، ولا يُدِلَّنَّ به.

• جزاء المؤمن على عمله الصالح من غير فضل ربِّه لا يُنيله من المنزلة ما ينيله فضلُ الله عليه، فليعوِّل المؤمن على فضل الله لا على عمله مهما كان مخلصًا وصوابًا.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

• يَنزل المطر فتخضر الأرض، ويَدِر الضرع، وتحيا الكائنات، وتطيب الأجواء والنفوس، وكل ذلك مجرد إذاقة من رحمته تبارك وتعالى! فكيف بمن نال رحمته في دار كرامته؟

• حين يذوق المؤمن بعض آثار رحمة الله في الأرض من نزول المطر وصلاح حياة الناس به، يزداد يقينًا بأن رحمة الله هي سفينة النجاة لعباده، فيسارع للعمل الصالح؛ شكرًا لله، وطلبًا لمزيد رحمته.

• مَن نظر إلى البحر العظيم وعليه تلك المراكبُ الصغيرة التي يبلغ بها الإنسانُ إلى مقاصده ومنافعه؛ شكر الله تعالى على هذه النعمة المسخَّرة في هذا الخضمِّ المَهُول.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

• كفى بمخالفة الرسُل إجرامًا أنها توجب انتقامَ الله تعالى وحلول عقابه!

• أوجب الله على نفسه الحقَّ والعدل، وحرَّم عليها الظلم؛ تفضُّلًا منه تعالى، فلا يتعالينَّ عظيمٌ من عظماء الناس عن أن يوجبَ على نفسه ما يكون من مقتضَيات الحقِّ والعدل.

• الإيمان مِعراجُ الوصول إلى النصر المأمول، فمَن أراد النصر فليحقِّق الإيمان الذي يرضاه الملك الديَّان.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

• اسمُ ببصرك لترى السحابَ في طبقات الجوِّ كيف يرسل الله عليه الرياح فيجعله متكاثفًا أو متناثرًا، تارةً في جهة الشَّمال، وتارةً في جهات غيرها، على الكيفيَّة التي يختارها سبحانه وتعالى.

• الصور العجيبة المتجدِّدة التي يدلُّ عليها التعبير بـ (يرسل، وتثير، ويبسطه، ويجعله)؛ تبعث في النفس الاعتبارَ بتلك المشاهد على قدرة الإله الواحد سبحانه وتعالى.

• لو تأمَّلت في كيفيَّة إنزال الله للأمطار على عباده نِقاطًا صغيرة متفرِّقة لأدركت نوعًا من اللطف والرحمة، يدعوك إلى شكر الله تعالى.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾

• ما أعجزَ الإنسانَ وما أضعفَه حينما تحيط به الحاجة! فإذا أجدب وقف متحيِّرًا يائسًا منقطعًا لم يكن له على الإتيان بشيء من المطر حيلة، ولا للمعبودات الباطلة صلاحيَّة لذلك ولا وسيلة.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

• انظر بتفكر إلى الأرض بعد نزول المطر، كيف ابتسمت بعد عبوسها، وأشرقت بعد ظلامها؛ لتأخذ منها العبرة، فيمتد نظرك من الإحياء الأصغر إلى الإحياء الأكبر، وهو بعث النفوس ليوم المحشر.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
٥١ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟
مُدْبِرِينَ ٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ٥٣ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ
٥٤ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ
سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ
فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦ فَيَوْمَئِذٍ
لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
٥٧ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ
وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا
مُبْطِلُونَ ٥٨ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
٥٩ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠

الحزب ٤١

٤١٠

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ٥١﴾

• انظر إلى جحود الإنسان البعيد عن الإيمان حينما يصاب ماله بآفة كيف يجحد نعم ربه، وييئس من فَرَجه، أما لو استسلم لقضاء الله، وتوجه إليه بالضراعة لرفع عنه البلاء.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ٥٢﴾

• ما أشبهَ المعرضين عن سماع الوحي والانتفاع به والتأثُّر بما فيه بالأموات! حيثُ لا حياةَ للقلب، ولا إدراك للحقِّ، ولا إحساسَ بالنعمة، ولا خوفَ من النقمة.

• كيف يسمع الحقَّ مَن أصمَّ أذنيه عنه، فإذا زاد إلى ذلك الإدبارَ عنه وعدم الإصغاء إليه، فكيف سيكون حاله؟

﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ٥٣﴾

• حين تتعطَّل قنوات استقبال الحقِّ فأنى للمرء أن يهتدي؛ إلا أن يشاء الله؟!

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ٥٤﴾

• الضعف مادَّة الإنسان التي صِيغَ منها كِيانه، وقام عليها بنيانه، ولولا تقويةُ الله له ما وصل إلى قوَّة ولا قدرة، فعليه أن يعرف قدره، ولا يتعدَّى طوره، بل ينصاع لمَن فطره وخلقه.

• تلك الأطوارُ التي تمرُّ بها البشرية تشهد على أن للعباد خالقًا حكيمًا يفعل ما يشاء، ومَن تأمَّل أفعاله تلك تبدَّى له علمُه تعالى وقدرته.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ٥٥﴾

• قال قَتادةُ رحمه الله: (استقلَّ القوم أجَلَ الدنيا لمَّا عاينوا الآخرة).

• يقصر الزمان عند الموت لدى مَن أسرف على نفسه، حتى يصير كأنه يوم واحد، فحينئذٍ يَستعتب فلا يُعتب، ويطلب الرجعى فلا يُجاب، فيا لحسرته وخسارته!

• سيُحشر المكذِّبون على الخُلق الذميم الذي تخلَّقوا به في الدنيا، فليتحامَ المسلم الرذائلَ والكبائر؛ خشية أن يُحشرَ عليها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦﴾

• تأمل كيف أن العلم والإيمان يقتضيان من حاملهما القيام بالحق معرفةً وقولًا، وانظر كيف أن مَن شهد به في الدنيا سيشهد به كذلك في الآخرة.

• العلم والإيمان جناحان يحملان صاحبَهما إلى آفاق النجاة والرفعة في دنياه وأخراه، حتى يكون شاهدًا بالحقِّ على الخلق.

• لو أيقن الناسُ بيوم البعث فاستعدُّوا له لما خسروا فيه، لكن مَن كذَّب به وشكَّ فيه ولم يعمل له ستطوِّقه أغلال الخسارة، ويحرق ضميره لفحُ الندامة.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٥٧﴾

وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ: ولا يُطلَبُ منهم إرضاءُ الله بالطَّاعةِ والتَّوبة.

• أقبِل على الله تعالى بالإنابة والاعتذار الآن في زمن الإمكان، فباب التوبة مُشرَع، والداعي إليه يناديك، ولا تنتظر فواتَ الأوان، فكم في فواته للعبد من خسران!

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ٥٨﴾

• كم في هذا الكتاب العظيم من صروف الأمثال، وأنماطٍ حسنة من الخطاب، ووسائلَ نافعةٍ لإيقاظ القلوب والعقول، وتعابير موحيةٍ عميقةِ التأثير في النفوس!

• لمَّا كان مَن لا يريد الحقَّ ولا يقبله غيرَ قادر على مقابلته بالحجَّة والمنطق، فإنه يلجأ إلى الدَّعاوى العريضة والاتِّهامات الباطلة؛ ليثبُتَ على باطله.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٥٩﴾

• لن يدركَ الحقَّ مَن لا يطلب العلم ولا يتحرَّاه، وإنما يُصرُّ على خرافاتٍ يعتقدها، وترهات يبتدعها.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾

وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ: ولا يَستفزَّنَّك، ولا يَحمِلنَّك على الخِفَّة والطَّيش.

• ممَّا يعين العبدَ على الصبر، ويهوِّن عليه من المكاره، وييسِّر عليه كلَّ عسير؛ أن يعلم أن عمله الصالح لن يضيع.

• المؤمن الموقن بما عند الله سبحانه وتعالى يتحلى بالرزانة وحسن الصبر وحصافة العقل، بخلاف مَن هو ضعيف اليقين.

سُورَةُ لُقْمَان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ
لِّلۡمُحۡسِنِينَ ٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا
كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ
بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١

٤١١

سُورَةُ لُقْمَان

﴿الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾

• إذا قرأت القرآن متدبِّرًا وجدتَ الحكمة تتفجَّر من بين ألفاظه ومعانيه، وأخباره وأحكامه، وعلومه ومعارفه، فابحث وراء كلِّ حرف منه عن الحكمة؛ لعلَّ الله يفتح بها عليك.

﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ٣﴾

• المحسنون في عبادة الله وإلى عباده هم الظافرون بهداية القرآن، والرحمة الآتية بنزول آياته.

• مَن اهتدى بالقرآن عاش في راحة وطُمأنينة، وفلاح وألفة مع مَن حوله من المهتدين، بما يعقِد بينهم من حسن الصلات، والقيم الفاضلات.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾

• لا يكون العبد محسنًا ما لم يأتِ بأفضل الحسنات، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، واليقين بالآخرة.

• لو آمن القلب بالآخرة حق الإيمان لراقب الله سبحانه وتعالى في سرِّه وعلانيته، مراقبةً تصل به إلى درجة الإحسان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

• يربي الله جلَّ جلاله عباده بالنعم، ولا سيما الهداية، وأي تربية لهم أعظم من ذلك؟

• لن يبلغ العبد رتبة الفلاح إلا بعلم نافع يهتدي به، وبإقامة صلاته، وأداء زكاته، والإحسان إلى الخلق.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾

لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ: ما يُلهي عن طاعةِ الله، كالغِناء.

هُزُوًا: سُخريَّة.

• بئسَ الرجل الذي لا يقتصر على استماع لهو الحديث، بل يسعى إلى إضلال غيره به بعد ضلال نفسه، فيجمع بين سيِّئتي الضلال والإضلال.

• ما أجهل مَن يسعى إلى الهوان في الدنيا والآخرة بإضلال نفسه، ودعوة غيره إلى طريقه!

• من أساليب المضلين أنهم يصُدون الناس عن الحق بالقدح فيه والسخريَّة من أهله، مع مدح الباطل والترغيب فيه.

• استخف أهل الباطل بالحق واستهزؤوا به، فجوزوا بعذاب يهينهم ويُذلهم، والجزاء من جنس العمل.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾

• حين يُقبل المرء على سماع لهو الحديث، ويُصم أذنيه عن سماع الحق، بل يسخر منه ومن أهله؛ فلن تزيده كثرة الوعظ إلا عُتوًّا.

• مَن سمع آيات الله بأذنيه، وأصغى إليها بقلبه حقَّ الإصغاء، فلا يُتصوَّر منه التولِّي والاستكبار؛ لِما فيها ممَّا يوجب الإقبالَ عليها والخضوع لها.

• يا مَن تبحث عن اللذة في سماع اللهو واتباعه أقصِر، فما وراء تلك اللذات إلا العذاب الأليم.

• ما في جنة الله سبحانه التي أعدها لعباده المؤمنين إلا النعيم المقيم، وأما الأكدار فدارها النار، وليس لها إلى جنان النعيم من سبيل.

• بلغ من فضل الله جلَّ وعلا على العباد أن أوجب على نفسه الإحسانَ إليهم جزاءَ إحسانهم، وما كان إحسانهم إلا لأنفسهم، وأمَّا هو سبحانه فما أغناه عنهم! بل هو سبحانه الذي هداهم ليُحسنوا.

• بعزَّة الله سبحانه وبحكمته وفَّق مَن وفَّقه وأثابه، وخذل مَن خذله وعاقبه.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠﴾

رَوَٰسِيَ: جبالًا ثابتة.

أَن تَمِيدَ: لِئَلَّا تضطرِب وتتحرَّك.

• من مظاهر عزَّة الله وحكمته ما تراه من سماء فوقنا قد أمسكها بقدرته، وحفظها دون عمَد بتدبيره ومشيئته، وما تشهده حولك من قرار الأرض تحتك، وثباتها لأجل منفعتك.

• تأمَّل كيف سخَّر الله بحكمته ممَّا بثَّ في الأرض دوابَّ للناس يحملون عليها، ويتجمَّلون بها، وينتفعون بألبانها وأصوافها وجلودها.

• ما أكثرَ منافعَ ما يخرجه الله تعالى للناس من النبات، وما أحسنَ ذلك النبات المتعدِّدَ الأصناف، الحسنَ المنظر!

﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾

• أيُّ ظلم وجهلٍ عند مَن يسوِّي المخلوق العاجز بالخالق العزيز الحكيم، الذي ظهرت في مخلوقاته آثارُ عزته وحكمته وإحسانه؟

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

٤١٢

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

• شُكر الله تعالى على نعمه هو رأس الحكمة، فإنه يتضمَّن النظر في دلائل النفس وحقيقتها، قبل النظر في حقائق الأشياء، وقبل التصدِّي لإرشاد الناس؛ فلذا كان ذلك أوَّل ما لقَّنه لقمانُ ابنه من الحكمة.

• آثار شكر الله تعالى هي كمالاتٌ تحصُل للشاكر، ولا تنفع المشكورَ سبحانه شيئًا، فإنه الغنيُّ عن شكر الشاكرين.

• يحمَد اللهُ عبده ما شكر، ويستغني عنه إن كفر؛ تفضُّلًا منه على الشاكر، واستغناءً عن الجاحد الكافر.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

• لا بدَّ من تخلية النفس التي يراد تكميلها قبل تحليتها، وذلك بأن يبدأ الواعظ بالمنع من الشرك، والتخلي عن مبادئ الفساد والضلال.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

• ألا تستحقُّ أمُك منك مزيدَ اهتمام وعناية، واعتناء ورعاية، وقد عانت من المشقَّة في ولادتها إيَّاك وتربيتها لك ما لا يصبر على مثله سوى الأم؟

• انظر كيف اقترن شكر الله بشكر الوالدَين؛ لأن شكر الله من أعظم واجبات العبد أمام ربِّه، وشكر الوالدَين من أعظم واجبات العبد تجاه بني جنسه.

• ليذكر مَن يخالف وصايا الله ويعصيه أنه راجعٌ إليه، وواقفٌ بين يديه.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

• مَن خلقك هو صاحب الحقِّ الأوَّل عليك في الطاعة، فلا يُطاع امرؤٌ في معصيته، حتى مَن ولدك وربَّاك.

• الاختلاف في العقيدة بين الابن ووالديه لا يُسقط حقَّهما في البِرِّ وحسن المعاملة.

• كُلُّ مَن ادَّعى الألوهيَّة فلا حُجَّة له، ولا علم معه، ولا برهان لديه، بخلاف ألوهيَّة الله تعالى التي تظاهرت الأدلَّة عليها، حتى غدا العلم بها محتَّمًا، والإيمان بها واجبًا.

• كم مشى قبلك في طريق الحق والبر والإنابة من الصالحين والأولياء حتى انتهت بهم إلى رحمة الله تعالى، فلا تستوحش فيه من قلة سالكيه!

﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾

• لو أن شيئًا من أدقِّ الأجسام اختفى في أصلب مكان أو أقصاه وأعزِّه منالًا لعَلِمَه الله، فكيف بما هو أقوى منه في الظهور، أو أدنى من التناول؟

• تربية الأولاد على مراقبة الله تعالى وإحاطة علمه بكلِّ شيء ممَّا ينبغي أن يهتمَّ به الآباء؛ لأن ذلك هو الحارسُ الدائم في السرِّ والعلن.

• مَن تفكَّر في لطف الله تعالى في علمه وخبرته، واطِّلاعه على البواطن والأسرار، وخفايا القِفار والبحار؛ ألبسه ذلك ثوبَ التعظيم والخشية، والطاعة والاستجابة.

﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾

• إن أوَّل ما ينبغي على المربِّي أن يأخذَ به أبناءه بعد غرس توحيد الله في نفوسهم هو الصلاة؛ فإنهم إن أقاموها فُتح لهم باب الإعانة والتوفيق.

• من الحكمة أن يتحلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالصبر على ما يناله؛ فإن الصبر مع الصلاة نعم المعين.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ: لا تُمِل وجهَك كِبرًا وتعاظُمًا.

• تصعير الخدِّ والتبختُر في المشي من مظاهر التعالي والعُجب، وذلك مما يسبِّب العزلة بين صاحبه وبين الناس، ويبعده عن محبَّة الله عزَّ وجلَّ، وكفى بها مذمَّة.

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

وَٱقْصِدْ: وتواضَع وكن بينَ المُسرِع والمُبطِئ.

أَنكَرَ: أقبحَ وأبغضَ.

• كما على المرء أن يُحسن مع الناس معاملاته، كذلك ينبغي عليه أن يُحسِنَ من هيئته، في مِشيته وفي كلامه.

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾

سَخَّرَ لَكُم: ذَلَّلَ لَكُم.

وَأَسۡبَغَ: عَمَّكُم بِنِعَمِهِ.

• هلَّا استشعرتَ نعم الله عليك ظاهرَها وباطنَها في دينك ودنياك، فشكرت للمنعم جلَّ وعلا، واستعنت بنعمه في طاعاته، ولم تصرفها في معاصيه.

• ما أسوأ حال مَن يجادل في توحيد الله وإخلاص العبادة له، بغير حجَّة ولا بيان، ولا كتاب مبين يبيِّن حقيقةَ دعواه!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١﴾

• يا مَن منَّ الله عليه بالعلم والفهم، لا تخالف قولَ الله تعالى وقولَ رسوله الكريم بعدما تبيَّن لك؛ إيثارًا لتقليد مَن تحب، فإن ذلك استجابةٌ لدعوة الشيطان.

• ليست دعوة الشيطان للإنسان إلى عملٍ ما محبَّةً له ومودَّة، وإنما ذلك عداوةٌ له ومكرٌ به.

﴿۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾

يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ: يُخلِص عِبادَتَهُ وقَصدَهُ إلى اللهِ.

ٱسۡتَمۡسَكَ: تعلَّقَ واعتصَم.

بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ: بأوثَقِ سبَبٍ مُوصِلٍ إلى رِضوانِ اللهِ.

عَٰقِبَةُ: مَآلٌ ومَرجِع.

• ما أحوجَ المؤمنَ في رحلة الدنيا الحافلة بالأخطار إلى الاستمساك بعُروة الإسلام الوثقى، القائمة على الطاعة والإحسان، فإنها السند الذي لا يهون، والحبل الذي لا ينقطع!

• مَن يعلم أن عاقبة الأمور إلى الإله الواحد، ثم يسارع إلى الإحسان في عبادته ومعاملة خلقه قبل الوصول إليه؛ يجد فائدته عند القدوم عليه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣﴾

• لا تحزن إن تجرأ قومٌ على دعوة الحق وحاربوها، فإن مرجعهم إلى الله تعالى فيجازيهم، وهو الذي لا تخفى عليه ما تُكنه ضمائرهم.

﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤﴾

غَلِيظٖ: فَظيعٍ ثَقيل.

• مهما طال متاعُ الدنيا فهو إلى جنب الآخرة قليل، فلا تفتتن به، ولا تغبط أحدًا عليه.

• لا ملجأ للكافر من عذاب الله إذا أحاط به، فإنه لو حاول دفعَه أو الفرار منه أو التلكؤ دونه ما استطاع، فإنه مضطرٌّ إليه، مُكرَه عليه.

• يا شقاء مَن توعده الله تعالى بالعذاب حينما يصير إليه! فكيف إذا وصف سبحانه ذلك العذاب بأنه غليظ؟

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥﴾

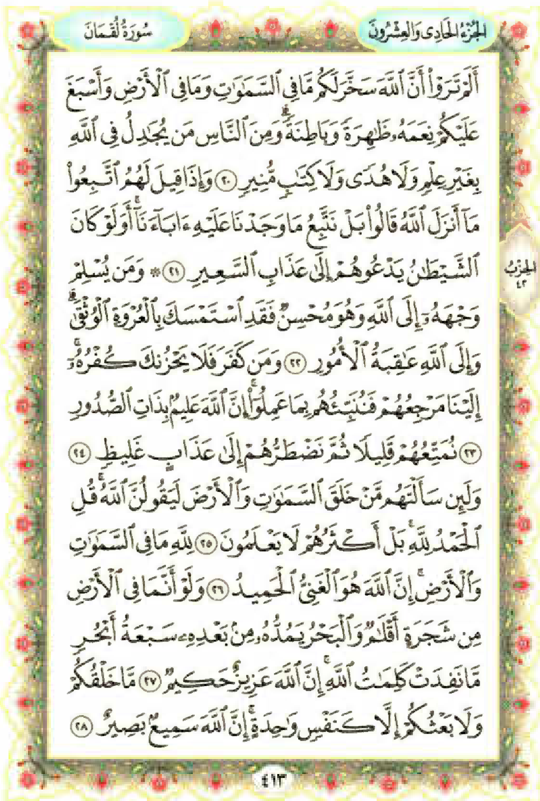
• من قواعد المنهج الجدليِّ البدءُ بالحوار من قاعدة يتَّفق عليها المتناظران، ثم ينطلقان بعد ذلك إلى ما يختلفان فيه.

• ألا يُحمد مَن أقام من دلائل الكون على وجوده واستحقاقه للعبودية دون غيره ما تشهد به الفطرة، ويقرِّه العقل، ويطمئن إليه القلب؟

• لا ينفع علمُ صاحبَه، مهما عظم، ما لم يعرِّفه بمعبوده الواحد سبحانه وتعالى.

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾

• إنما يستحقُّ العبادة مَن له الخَلق والمُلك والتصرُّف في الكون وحده سبحانه وتعالى.


الجزء الحادي والعشرون — سورة لقمان — الحزب ٤٢

أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ
عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ
بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ
ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١ ۞وَمَن يُسۡلِمۡ
وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ
إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤
وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ
مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧ مَّا خَلۡقُكُمۡ
وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨

٤١٣

• مَن كفر فإن الله تعالى غنيٌّ عن حمده، ومَن حمِده من عباده المؤمنين فقد أصاب الثناء عليه بحقه، فإنه جلَّ جلاله حميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾

• لقد شهدت على ضلال المشرك شواهدُ عديدة لا تُحصى، فما أضلَّ مَن عبدَ غيرَ الله! وما أضلَّ مَن كذَّب بآية من آياته!

• يا مَن تريد العزَّ والحكمة، دونك كلامَ الله تعالى؛ خذ به تعزَّ، واتبعه ترشد.

﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾

• خَلقُ العبادِ عند الله تعالى وبعثُهم كخلقه نفسًا واحدة، فكيف يُستبعَد نشرُه لخلقه وهذه قدرته؟ فمَن أنكر البعثَ والجزاء فهو جاهلٌ بقدرة الله الخلَّاق المحيط.

• تبارك مَن سمعُه لعباده وإبصارُه لهم على كثرتهم كسمعِه لنفسٍ واحدة وبصره لها.

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ
ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ
فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ
وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ
وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجۡدَةِ

٤١٤

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾﴾

• مَن تأمَّل في تصريف الله لليل والنهار، ودقَّة سيرهما بلا اختلال، علمَ عظمةَ الله وقدرته، وعلمه ورحمته.

• المتفكِّر في النظام الدقيق الذي يسير عليه الوجود القائم على قدرة الله وعلمه يدرك أن الله عليمٌ بكلِّ ما نعمل، فلا تخفى عليه خافيةٌ من أعمالنا دقيقها وعظيمها، خيرها وشرِّها.

• اعلم أن الله خبيرٌ بعملك، مطَّلع على سرِّك وعلنك، فما أحراك أن تراقبَ عملك، وتحاسبَ نفسَك.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾

• هو الحقُّ سبحانه في ذاته وصفاته، ودينُه حقٌّ، ورسُله حقٌّ، ووعده حقٌّ، ووعيده حقٌّ، وعبادته حقٌّ، وما يدعو المشركون من دونه هو الباطل في ذاته وصفاته وعبادته.

• كلُّ ما دون الله تعالى فهو متذلِّل له، منقاد إليه، متصاغر له، لا يدانيه في عليائه ضد، ولا يباريه في كبريائه ند.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣١﴾﴾

بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ: بأمرِ اللهِ ورحمتِه.

• ألا تفكَّر راكبُ البحر وهو يَمخر عُبابَه أن الذي يحرُس الفُلكَ في البحر ويحميها وَسْطَ الأمواج والعواصف، هو الله وحده لا شريك له؟

• ومَن نظر إلى جرَيان السفُن في ظهور البحار ومتون المحيطات ألفى آياتٍ تدلُّ على عظمة الخالق وقدرته، ورحمته بعباده ولطفه بهم.

• المؤمن القويُّ لا يجزَع عند البلاء، بل يستشعر على الدوام لطفَ الله تعالى وحسنَ تدبيره وإحسانه إليه، فلا يزال يحمَده ويشكره.

• هنالك أقوامٌ طبَعهم الله على الخير، ووفقهم للهدى، وأعانهم على الاستقامة، فهم يعرفون عظمته سبحانه في الرخاء كما يعرفونها في الشدة.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾﴾

غَشِيَهُم: علاهُم.

كَٱلظُّلَلِ: كالسَّحابِ أو الجبالِ المُظِلَّة.

مُّقۡتَصِدٞ: مُتوسِّطٌ لم يقُم بشُكرِ اللهِ على وجهِ الكَمال.

خَتَّارٖ: غدَّارٍ ناقِضٍ للعَهد.

كَفُورٖ: جَحُودٍ لنِعَمِ الله.

• حين يضطرب البحر وتصبح الفُلك كالريشة الحائرة في الخضَمِّ الهائل، تتعرَّى النفوس من القوَّة الخادعة، وتتجرَّد من القدرة الموهومة، فتظهر الفطرةُ من غير حوائل متَّجهةً إلى ربِّها وحده لا شريك له.

• مَن يجحد بآيات الله جلَّ وعلا بعد تلك المشاهد الكونية الهائلة، وإنجاء الله له من الهلكة المحققة، فوصفُ شدَّة الغدر والكفر أليقُ به.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾

• مَن تفكَّر في يوم القيامة وأهواله، واستحضر عظمةَ لحظاته وأحواله، سهُلت عليه تقوى الله تعالى واجتناب معاصيه.

• ما أعظم يومَ القيامة! فمن الإشفاق لا يستطيع المرء التفكير إلا في نفسه!

• لا يتوهمنَّ امرؤٌ أن ولده الذي كان قد ادَّخره في الدنيا لينفعَه يستطيع أن يدفعَ عنه الأذى، أو يكفيَه ما يُهِمُّه يوم القيامة، فكلُّ امرئٍ مشغولٌ بنفسه عن غيرها.

• لا يُخلف وعد القيامة ولا يتخلف، ولا مفر من مواجهة ذلك الهول العصيب، ولا مفر من الحساب الدقيق، والجزاء العادل فيه.

• أيها العاقل، لا تنخدع بزينة الدنيا وزُخرُفها، وأعراضها ومتاعها الفاني، فتنسيك الآخرة والاستعداد الصالح لها؛ فإن اللبيب لا يلهو بالفاني عن الباقي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾﴾

• إن النفس البشرية لتقفُ أمام أستار الغيب عاجزةً خاشعة، مدركةً حقيقة علمها المحدود، وعجزها الواضح، ويسقط عنها تجاهها غرورُ العلم والمعرفة المدَّعاة.

• كلَّما احتاجت الأرض إلى الغيث أنزله الله تعالى إليها، فهو نزولٌ متجدِّد متكرِّر، ولكن وَفق ما تقتضيه الحكمة الإلهيَّة، والسنن الربانيَّة.

• مَن لا يستطيع معرفةَ المكان الذي سيَلقى فيه أجلَه فلن يعرفَ زمانه كذلك، وحريٌّ بمَن يجهل ذلك كلَّه أن يستعدَّ له.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣ ٱللَّهُ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ
ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ
إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذَٰلِكَ
عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ
كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ
نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن
رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا
مَّا تَشۡكُرُونَ ٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي
خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١

٤١٥

سُورَةُ السَّجۡدَةِ

﴿الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾

• ليس في الكتاب من ريب، ولا في تنزيله من شك، بل هو حقٌّ وصدق، فاطمئنَّ إلى ما فيه، واتبعه وسلِّم له.

• يربي الله تعالى عباده، ويدبر مصالحهم، فلا يتركهم دون كتاب يرشدهم ويقومهم ويزكيهم.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣﴾

ٱفۡتَرَىٰهُ: اختلقَهُ من عِندِ نَفسِه.

• دلائل انتفاء الريب عن كون القرآن كلامَ رب العالمين واضحةٌ لدى العقلاء ذوي الأحلام الراجحة، فكيف يزعم الجهلاء افتراءه؟

• كتاب الله تعالى هو الحقُّ، لما فيه من الصدق وموافقة الفطرة، والسلامة من التعارض، والعدل في الأحكام، ثم إنه كلام الرب الذي يرعى عباده، فيشرع لهم ما ينفعهم ويسعدهم.

• أحوج الناس إلى الدعوة قومٌ لم يصل إليهم داعٍ يدعوهم، ولا هادٍ يهديهم، فليكونوا على الحق أشد قبولا، وأحرص تحصيلا.

• لو فتح الناس عقولهم وقلوبهم للحق الذي في هذا القرآن العظيم واعتبروا بمواعظه؛ لاهتدوا به واستضاؤوا بنوره.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤﴾

ٱسۡتَوَىٰ: علا وارتَفَع، استواءً يَليقُ بجَلالِهِ وعَظَمَتِهِ.

• تأمل كيف يعرِّف الله سبحانه وتعالى عباده كمال قدرته؛ حتى يسمعوا كلامه، ويتأملوا ما فيه من الحق، ويتعظوا بما فيه من الوعظ.

• لمَّا كان المشرك يتعلَّق بغير الله تعالى رغبةً في أن ينصرَه أو يشفعَ له أو ينفعه؛ أخبر الله عباده بأن ذلك لن يكونَ لمشركٍ عنده تبارك وتعالى.

• أفلا يتَّعظ عن ضلاله مَن أشرك في ألوهية الله ولم يخلص له العبادة، في أن مَن خلق السماوات والأرض وما بينهما، وانفرد في الأمر كلِّه هو أحقُّ بالعبودية وحده!

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥﴾

يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ: يَصعَدُ إليه.

• ليس شيء من الخلق متروكًا سدى، ولا مخلوقًا عبثًا، بل يُدبَّر بأمر الله إلى أجل مرسوم يرتفع إليه حين يشاء.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦﴾

• إذا كان الله تعالى يعلم ما سيكون في المستقبل، فكيف بما قد كان في الماضي، ومَن كان يعلم الغيب ألا يعلم الحاضر؟

• بكمال عزَّته وقدرته جلَّ وعلا خلق العوالم، وبرحمته سبحانه سخَّرها لمنافع العباد.

﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾

• كلُّ ما خلقه الله سبحانه وتعالى فهو حسنٌ، ولا سيَّما ابن آدم، وذلك لشرفه وفضله، وفي ذلك دعوةٌ للنظر في النفس وفي الآفاق.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨﴾

• سبحان مَن جعل من ماء مَهين لا يُعبأ به جنسًا ذا تركيب بديع، وهيئة حسنة، وعقل يفكر، ومشاعر تفيض!

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩﴾

• لا يليق بعبد كان ماء مهينًا، ثم غدا بشرًا سويًّا، أن يُعرض عن شكر مَن سوَّاه وأكرمه ورفع قدره.

• خلق الله للإنسان السمعَ والأبصار والأفئدة، وجعلها طرقًا للعلم ونوافذَ للمعرفة؛ ليتعرَّف بها العبد ربَّه، ويُكثر من شكره عليها.

• لو أن امرءًا قضى عمره شاكرًا لله تعالى على نعمه ما وفَّى النعمة بعضَ حقِّها؛ أفيليق به مع توارد نعم الله عليه كلَّ لحظة ألا يشكرَها إلا قليلًا؟

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠﴾

• كيف يستبعد عاقلٌ على ربِّه الذي خلقه من العدم أن يحييَه بعد موته للبعث والنشور؟

﴿۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١﴾

• لن يَغفُل ملَكُ الموت عن قبض روح عبدٍ حين أجله، وكيف يغفل عنه وذلك عمله الذي وكَّله ربُّه تعالى به؟

• مَن أيقن أن له مصيرًا سيعود إليه ويحاسَب على ما قدَّم في سالف زمنه، فلن يغفُلَ عن الاستعداد لذلك المعاد، فكيف إذا كان المصير إلى الربِّ القدير، المحاسِب على الكبير والصغير؟

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
(١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ
ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
(١٣) فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ سجدة
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا
لَّا يَسْتَوُۥنَ (١٨) أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا
وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٠)

٤١٦

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)﴾

نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ: قد خفضوها وأطرقوا خزيًا وندمًا.

• إذا أردتَ النجاةَ من خزي يوم القيامة فبادر بالعمل الصالح، وتُب إلى ربِّك من العمل الطالح.

• عن قتادةَ رحمه الله قال: (أبصَروا حين لم ينفعهم البصر، وسمعوا حين لم ينفعهم السمع).

• طوبى لعبد أبصر الحقَّ وسمعه، فاعتنقه واتَّبعه، قبل أن يحاسَبَ عليه: هل أخذه أو ضيَّعه؟

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)﴾

حَقَّ ٱلْقَوْلُ: ثَبتَ وتحقَّق ووجَب.

ٱلْجِنَّةِ: الجِنّ.

• سَلِ الله تعالى أن يجعلَك من المهتدين، وأن يُعيذك من عذاب جهنَّم، فإن السعيد مَن هداه، ومِن عذابه أنجاه.

﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾

• مَن تمادى في إهمال الاستعداد ليوم القيامة ولم يكترث بعاقبته فيه استحقَّ الإهمال والترك في ذلك اليوم العظيم.

• لمَّا كان خُبث الكافر الذي عُذِّب بسببه باقيًا دائمًا لا يزول في جميع المُدد، كان عذابه دائمًا لا يزول كذلك.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥)﴾

• في السجود لله تعالى والخضوع له والتواضع لجنابه لذَّةٌ لا يعرفها الجبَّارون ولا المتكبِّرون.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)﴾

تَتَجَافَىٰ: ترتفع وتتنحَّى للعبادة.

ٱلْمَضَاجِعِ: فُرُش النوم.

• ينتظر المحبُّ ساعات الليل ليخلوَ عن شواغل الدنيا كلِّها بربِّه، ويتفرَّغ للأنس به، وتذوُّق حلاوة مناجاته والتنعُّم بقربه، مغتنمًا سعادةً لا يعرفها إلا مَن هجر فراشه لعبادة خالقه.

• مهما أغرت المضاجع قومًا بالرقود والراحة ولذيذ المنام، فإن قومًا آخرين يقاومون تلك الإغراءات طمعًا بما هو خير لهم وأطيب.

• كم من تقصير للعبد يوجب عليه الخوف من عواقبه، ويدعوه إلى تلمُّس الفضل من الله تعالى والطمع بما عنده!

• لم يغترُّوا بعملهم ويَركَنوا إلى ركعاتهم والناس في سباتهم، بل جمعوا إلى العمل العظيم الخوفَ من الله وعقابه، والرجاء في قبوله وفضله.

• إن دعتك نفسك إلى النوم فادعُها إلى لذَّة القيام والمناجاة، وإن أغرَتك بجمع المال فعرِّفها لذَّة الإنفاق.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٧)﴾

مَّآ أُخْفِىَ لَهُم: ما ادُّخِر لهم من الجزاء.

مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ: ما يُفرح ويَسُرّ.

• تأمَّل كيف قابل ما أخفَوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم ممَّا لا تعلمه نفس، وكيف قابل تجافيَهم عن مضاجعهم وخوفَهم وطمعهم في صلاتهم بقرَّة الأعين في الجنَّة.

• نيل الإنسان نعيمًا تقرُّ به عينه، وتسكن ولا تمتد إلى غيره ولا تطمع فيما سواه، جزاءٌ عظيم يستحق ألا يترك المرء قيام الليل، وينشغل بغيره عنه.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ (١٨)﴾

• لم يستوِ المؤمن والكافر في الدنيا بالطاعة والعبادة، فكيف يستوون في الآخرة بالثواب والكرامة؟!

• الطاعة والمعصية هما أساسُ رفعة الإنسان أو ضَعَته في ميزان الشرع، فلا سواء بين مؤمن وفاسق، ومسلم وكافر.

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٩)﴾

• أيها المؤمن، أنت في هذه الدنيا ضيفٌ في دار غربة، وأمَّا مأواك ومستقرُّك ففي الجنَّة، فتزوَّد من الخير في دار غربتك، إلى دار إقامتك.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٠)﴾

• تنتظر النار أهلها لتكونَ لهم مأوى، ولكنَّه مأوًى لا نعيمَ فيه ولا هناء، فمَن حاول الفرار من مأواه أُعيد إليه؛ إذ ليس له مأوًى سواه.

• كم يقاسي أهل النار من ألوان العذاب، فليس عذابهم ما تلقاه أبدانهم وحواسهم فحسب، بل لنفوسهم حظها كذلك من التعذيب بما تناله من التقريع والتوبيخ.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ: البَلايا والمَصائِبِ في الدُّنيا.

• يذيق الله الكافر في الدنيا من ألوان العذاب النفسيِّ والجسديِّ ما يدعوه إلى الاعتبار، والرجوع إلى ربِّه الغفَّار، وهذا من رحمة الله تعالى به.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• ظلم نفسه مَن دُعي إلى دواء الإيمان فلم يستجب له، بل أعرض راغبًا عنه وراضيًا لنفسه بالاستمرار على دائها.

• مَن دُعي إلى الإيمان فأعرض عنه، وذُكِّر به فأباه، فقد اتخذ سبيل الإجرام، واستحق الوعيد من الجبار بالانتقام.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾

• ما أنزل الله على رسُله من الكتب ففيه الهدايةُ للناس، فكما كانت التوراة هدى لبني إسرائيلَ فإن القرآن هدًى لأمَّة محمَّد عليه الصلاة والسلام.

• ما أخبر الله تعالى به أنه سيكون فهو حقٌّ لا يقبل الشكَّ والامتراء، فآمِن بما أخبر الله ولا تتَّخذ سبيل الجاهلين الممترين.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• إنما تكون هداية العباد بما يأمر الله تعالى به، وليس بمقتضى عقول البشر وآرائهم، وسياساتهم وأذواقهم، وما تركه أسلافهم.

• الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فما من مؤمن أخذ به إلا جعله الله تعالى من رؤوس الناس، وصيَّره إمامًا وهاديًا.

• لو صبرت الأمة على ما يَلحقها من أذًى في ذات الله تعالى، وتحملت مشاق التكليف؛ لاستحقت هذه البِشارة العظيمة.

• نُقل عن بعض السلف أن بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين.

• الطريق إلى الله تعالى معمورٌ بأهل الصبر واليقين، خالٍ من أهل الشكِّ والرِّيَب.

• الصبر يدفع الشهَوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات الصادَّة، فمَن أخذ بهما حصَلت له الهداية التامَّة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

• احرِص كلَّ الحرص في خصومة الدين أن ترعى حقَّ الله تعالى وفلاح الآخرة، لا أن ترعى حظَّ نفسك والغلبة في دنياك، فإنَّ الله تعالى هو مَن سيفصل في خصومات عباده يوم القيامة.

• لا يستطيع العباد القضاء على كلِّ اختلاف، فإذا جاء يومُ القيامة فصَل الله بينهم فيما اختلفوا فيه بالحقِّ حسب علمه سبحانه وتعالى.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

• كم من أقوام مضَوا كانوا ملء السمع والبصر، ثم غدَوا أثرًا بعد عين؛ أوَليسَ فيهم لذي العقل مُعتبَر؟

• النظام الثابت في حياة البشر، المطَّرد على توالي القرون إهلاكُ المجرمين، ولو طال عليهم مرور الأيام والسنين.

• يكفي العاقلَ عبرةً ما قرأ أو سمع من أحداث الأمم الماضية، فكيف إذا كان مَن أخبر بها هو الله سبحانه في كتابه المبين؟!

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

• يا له من مشهد يفتح نوافذ القلب للاعتبار بهذه الحياة النامية، والإحساس بإنعام واهبها، وذلك ما يزيد القلب حبًّا له، وإيمانًا بقدرته وحكمته وإتقانه.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

• منظر السحاب يجتمع، والغيث ينهمر، والماء يأتي إلى الأرض العطشى فيرويها، والنبات يشقُّ الأرض، والبهائم ترعى في خمائلها، نعمة منظورة تملأ البصر حسنًا، والقلب بهجة وفرحًا، وإيمانًا بالله تعالى.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾

• يستعجل المشركون القضاء بتعذيبهم ونزول العقوبة بهم؛ تكذيبًا للخبر، واستهزاء بالمُخبِر، جاهلين متناسين وعيد الله للمستهزئين.

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

• يومُ القضاء والفصل أمرٌ واقع لا شك فيه، فماذا ينفع المكذبين إيمانهم به يوم وقوعه وقد جحدوا به في الدنيا؟!

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

• أيها الداعية، مَن استكبر أو أعرض عمَّا جئتَ به فأعرِض عن تكذيبه واستكباره، وسترى عاقبة أمرك وأمره؛ بنصر الله لك، وحلول جزاء المكذِّب بالحقِّ عليه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ الحزب ٤٢
ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ
مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن
قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ
مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم
بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤
ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ
فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ
أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ
وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ
فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦

٤١٨

سُورَةُ الأَحْزَابِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾

• دُم على تقوى الله ولو بلغتَ من العمل الصالح منتهاه، فإن المرء ما يزال على خير ما دام متَّقيًا ربَّه.

• لا ترى كافرًا ولا منافقًا ينصح مؤمنًا بخير، فلا تتبع أهواء الكافرين، واحذر لحن القول من المنافقين.

• إلى نصح الله تعالى فاستمع، وبما أمرك به فاتَّبع، فهو العليم بعواقب الأمور ومصالحها من مفاسدها، وبما يخطِّطه الأعداء، وهو الحكيم فلا يأمر عباده إلا بما فيه صلاحهم.

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢﴾

• وحيُ الخبير سبحانه أولى بالعبد أن يتَّبع ما فيه؛ حرصًا على مصلحته، وأن يحذرَ مخالفته؛ خشيةً ممَّن يعلم خفايا النفوس، ودوافع أعمالها.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣﴾

• مَن توكَّل على الله جلَّ وعلا أغناه عن غيره، ممَّن يُرغب فيما عنده، أو يُخشى ممَّا لديه، فإن الله سبحانه هو مَن ينفع عبده، وهو مَن يدفع عنه ضُرَّه.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤﴾

أَدۡعِيَآءَكُمۡ: مَن تبنَّيتُموه من أولادِ غيرِكم.

• شرعُ الله تعالى وفطرةُ الخلق تفرِّق بين حُرمة الأمِّ وحقِّها، وحلِّ الزوجة ومكانها، ومَن جعل هذه كهذه فقد ناقض حكم الشرع والفطرة.

• لا يكون للإنسان من النسب أمَّانِ ولا أبوان، ولو كان ذلك لضاعت الأنساب، وعمَّ الارتياب، وانفتح باب إلى الفساد.

• إن أقوال الناس لا تغيِّر الحقائق التي شرَعها الله سبحانه وتعالى لعباده، ولا تسوِّغ الأخطاء التي يرتكبونها.

• الله سبحانه وتعالى وحده هو الهادي إلى سواء السبيل، ومَن يخالفه من أهل الأهواء فاتباعه ضلال يوصل إلى سوء المآل، فلا عبرة بقوله.

﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥﴾

• يقيم النظام الربانيُّ الأسرة والمجتمع على أساس ثابت فطري، وكلُّ نظام يتجاهل ذلك فهو نظام ضعيفٌ لا يمكن له أن يعيش.

• لئن ألغى الإسلام التبنِّيَ إنه أقام مقامه رابطةً أدبيَّة شعورية، لا تترتَّب عليها سوى التزاماتُ الأخوَّة وموجباتها.

• جلَّ مَن إذا أخطأ عبده غيرَ متعمِّد للمخالفة جاد عليه تفضُّلًا وكرمًا بمغفرته ورحمته، فلو آخذ الله العبادَ على ما أخطؤوا لهلكوا، ولكنه بعفوه ورحمته لم يؤاخذهم على ما لم يتعمَّدوه أو يقصِدوه.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾

وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ: مِثلُ أمَّهاتِهم في تحريمِ نِكاحِهنَّ وتعظيمِ حقِّهنَّ.

كِتَٰبِ ٱللَّهِ: حُكمِ اللهِ وشَرعِه.

مَّعۡرُوفٗا: برًّا وصِلةً وإحسانًا، فليس لهم حَقٌّ في الميراثِ.

ٱلۡكِتَٰبِ: اللَّوحِ المَحفُوظ.

مَسۡطُورٗا: مُقدَّرًا مَكتوبًا.

• ألا يكون رسول الله ﷺ أولى بنا من أنفسنا، وأحبَّ إلينا منها، وحكمه أنفذ، وحقُّه آثر، وأحقَّ بأن تفديَه أموالنا وأولادنا ونفوسنا؟!

• ما أشرفهنَّ من نساء وهبَهنَّ الله من الكمالات اللائقة ما جعلهنَّ أهلًا ليكنَّ زوجاتٍ لأحبِّ الخلق إليه، وأمَّهاتٍ للمؤمنين به! فلا يستأهلنَ منَّا إلا التوقير والإعظام، والمبرَّة والاحترام.

• للقرابة المسلمة حقوقٌ لازمة مقدَّمة معظَّمة؛ ألا ترى كيف جعل أخوَّة النسب في الميراث أولى من أخوَّة الهجرة؟

• ابسُط يدك إلى ذويك بالمعروف؛ بصدقة أو مواساة أو هدية أو وصية، فذلك من شريعة الله تعالى التي كتبها، ولعباده قد رضيها.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾

• ما أخذه الله تعالى على أولي العزم من الرسُل من العهد لإقامة الدين وإبلاغ رسالة ربِّ العالمين هو أمانةٌ حُـمِّلوها فبلَّغوها أتباعهم، فعلى أتباعهم حملُها وتبليغها كذلك.

• كلَّما اعترضت حاملَ الأمانة الأهواءُ والمشاقّ والشهوات والشبُهات والأعداء تذكَّر غِلَظ الميثاق الذي عليه، فصبر فاستراح.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

• إذا سُئل الصادقون عن صدقهم، فما حجَّة المكذِّبين في تكذيبهم؟!

• لم يُسأل الكاذبون سؤالَ مَن يُستمع جوابه، وتُقبل معذرته، فقد مضى في علم الله عذابهم، وتقرر فيه هلاكهم، بل هو سؤال تقريع وتوبيخ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

• مَن لاحظ نعم الله عليه، وما أولاه إياه من التوفيق للخير ودفع الضُّر، دعاه ذلك إلى الثبات على أمره، وتقديم طاعة ربه على طاعة غيره.

• سبحان مَن سخَّر الريح لإهلاك عدوِّه، ونجَّى منها أولياءه، وهم أقربُ ما يكونون إليها!

• أما لو تذكَّرت ما دفع الله عنك فيما سلف لهانت عليك مقاساةُ البلاء في الحال، ولو تذكَّرت ما أولاك في الماضي لقرُبت من قلبك الثقةُ في إيصال ما تؤمِّله في المستقبل.

• علم الله تعالى ما لاقاه المسلمون من مشاق، وما بذلوه في سبيل نصرة دينه من أسباب، فجازاهم بالنصر المبين من عنده.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾

• لا يَهُولنَّك خطر الموقف ولا شدته، ولا أثره في النفوس ولا مدته، فمهما كان عظيمًا فما أهون فرجه على الله وأقربه!

• تحت ظلِّ البلاء الشديد تتنوَّع الظنون وتتعدَّد، فأهل الإيمان يحسن ظنُّهم، وأهل النفاق يسوء ظنُّهم، وتتملَّكهم الشكوك والاضطراب.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾

ٱبْتُلِىَ: امتُحِنَ.

وَزُلْزِلُوا۟: واضطَربوا.

• كم لله سبحانه وتعالى من حكم في البلاء! منها أن يَميزَ الصادقَ من الكاذب، والمؤمنَ من المنافق.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

• ينظر المؤمن إلى وعد الله تعالى، فيؤمن به، وكأن تحقيقه ماثلٌ بين يديه، ويرى المنافق ما عليه حاضره فيغترُّ به، ويثق به فوق ثقته بموعود الله جلَّ جلاله.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

يَثْرِبَ: هوَ الاسمُ القديم للمدينة النبوية.

لَا مُقَامَ لَكُمْ: لا إقامة لكم في معركةٍ خاسِرة.

بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ: غيرُ مُحصَّنة.

• لـمَّا عدل المنافقون عن الإسلام ظهر ذلك في فلتات ألسنتهم التي عدلت عن الاسم الحسن (المدينة) الذي سمَّاها به رسولُ الله ﷺ وارتضاه، إلى الاسم الذي كانت تُدعى به في الجاهليَّة (يثرب).

• التلاعب بالألفاظ، وتحريف المصطلحات من شأن أهل النفاق، فإنه لا يسمِّي الهربَ من المعارك والفرارَ من الزحف رجوعًا إلا مَن يريد تزيينَ الباطل للناس والترويجَ له.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

٤١٩

• المنافقون أصنافٌ في الصدِّ عن الحق، فمنهم المشكك بوعد الله، ومنهم الغاشُّ لعباده بسوء نصيحته، ومنهم المتنصِّل من مشاركة المؤمنين في مواقف الصدق، باختلاق الأعذار الواهية.

• كم حرَص المنافقون على ألا يُذموا بفرارهم، فتذرعوا لهروبهم بما استطاعوا من الأعذار؛ حتى يُخفوا حقيقة ما يُبطنون، فجاء ذمهم في كتاب يتلى إلى يوم القيامة!

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾

أَقْطَارِهَا: جوانبِ المَدينة.

ٱلْفِتْنَةَ: الشِّرك باللهِ والرُّجوعَ عن الإسلام.

• لا يسلَم المؤمنون من أذى قومٍ يعيشون بينهم ليس لهم عهد ولا ذمة، فهم مستعدون لخيانة أمتهم ونصرة أعدائها عليها، عند أدنى خوف أو فزع.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾

• مَن كان لا يرعى عهدَ الله سبحانه وتعالى، فكيف يعبأ بعهد مَن دونه؟ أوَلا يتفكر أنه سيُسأل عن عهده مع ربِّه سبحانه وتعالى؟!

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ الحِزْبُ ٤٢
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم
بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

٤٢٠

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾

• الأمور سابقةٌ ومقدَّرة، فلا يمكن الفرار، ممَّا وقع عليه القرار، وما قدَّره الله كائنٌ لا محالة.

• العاقل لا يرغب في شيءٍ قليل إن كان يفوِّت عليه شيئًا كثيرًا.

﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

يَعْصِمُكُم: يمنعُكم.

• مَن أطاع غير الله تعالى وتقرَّب منه بمعصية الله راغبًا في ولايته ونصرته، فلن ينتفعَ من ذلك بشيء.

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾

ٱلْمُعَوِّقِينَ: المُثَبِّطِينَ عن الجهاد.

هَلُمَّ إِلَيْنَا: تعالَوا إلينا.

ٱلْبَأْسَ: القِتال.

• من الناس مَن ينظر إلى نِقاط قوَّة الكافرين ويسعى في تضخيمها في أعين المؤمنين، محاولًا أن يبعث فيهم اليأس والقنوط والتكاسل والتخاذل.

• إنْ تظاهرَ المنافق بوجوده بين صفوف المؤمنين فلا تغترَّ بذلك، فإنه لا يدخلها إلا رغبةً في شقِّها، أو لنيل مطمعٍ منها.

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾

أَشِحَّةً: بُخَلاءَ بأموالهم وأنفسِهم وجُهُودِهم.

جَآءَ ٱلْخَوْفُ: حَضَرَ القِتالُ.

تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ: خوفًا وهَلَعًا.

سَلَقُوكُم: رَمَوكُم.

حِدَادٍ: ذَرِبةٍ سَلِيطةٍ مُؤذِية.

أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ: بُخَلاءَ وحَسَدةً عِندَ قِسمةِ الغَنائِم.

• هنالك أيدٍ باذلةٌ بسخاء لكلِّ باطل، ولكنها شحيحةٌ في أوجه الخير والنفقةِ على المستحقِّين من المسلمين.

• إن قومًا يفزعون من مجرد لقاء العدو، كيف تؤمل فيهم نصرة، أو ترتجى منهم شجاعة عندما تتصادم الصفوف وتتعانق الأرواح والحتوف؟

• المنافقون يبخلون بأرواحهم وأموالهم في سبيل الله، وفوق ذلك يطلقون ألسنتهم بالسوء على أولياء الله، فأين هم من الإيمان بالله؟

• المؤمنون أفعالهم أفصحُ من أقوالهم، والمنافقون أقوالهم أفصحُ من فِعالهم.

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾

بَادُونَ: في الباديِة.

أَنۢبَآئِكُمْ: أخبارِكم.

• عندما استحكم الجبن في قلوب المنافقين ظنُّوا أن الأحزاب لم ينصرفوا عن الخندق وقد انصرفوا، فما أضعفَهم في دينهم! وما أضعفَهم في أنفسهم.

• المسلم الصادق يتتبع أخبار المسلمين ويسأل عنهم ليفرح لفرحهم، ولينصرهم بما يقدر عليه عند حزنهم، وأما مَن تتبعها ليُسرَّ بنكستهم، ويحزن لرفعتهم فهو مشكوك في إيمانه.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

• مَن أراد صلاح دنياه وآخرته فليقتدِ برسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد زكَّاه الله تعالى بأنه للأمة أسوة حسنة.

• في يوم الأحزاب تجلى تفاؤل رسول الله الكبير بحسن العاقبة وانفراج الملمة، فقد كان يبشر الناس بسقوط مملكتي فارس والروم! فهلا اقتدينا به في حسن ظنه بربه وتفاؤله وأمله.

• كلما كان إيمان المرء بالله تعالى أعظم، ويقينه بالآخرة أكبر، كان اقتداؤه بالنبي المصطفى ﷺ أكثر.

• المثابرة على كثرة ذكر الله عز وجل تؤدي إلى ملازمة الطاعة، وبها يتحقق الائتساء برسول الله ﷺ.

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾

• لئن كان المنافقون في شكٍّ من وعد الله تعالى، إن المؤمنين يحسنون به الظنَّ، ويثقون بموعوده.

• يُبتلى المؤمن بالضرَّاء مع علمه بأن هنالك خيرًا من ورائه ينتظره وإن لم يره، واثقًا بأنه سيأتي يومٌ يظهر صدقُ وعد الله تعالى الذي كان في الغيب ليبدوَ في عالم الشهادة.

• المؤمنون الصادقون يَزيدهم البلاء إيمانًا بالله، واستسلامًا له، وأما مَن كان فيه نفاق فإن البلاء يوقعه في شَرَكِ الخوف والاضطراب.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

• الرجل حقًّا هو مَن صدَق الله في عهده، ووفى له بوعده، وأمَّا مَن نقض مع ربِّه عهده، وما وفى له وعدَه فليس من أهل الآية.

• الرجال تُجلِّيهم المواقفُ لا الأقوال، فالذكور كثير، ولكن الرجال منهم قليل، وأهل الأقوال كُثْر، ولكن أهل المواقف عددٌ يسير.

• تأمَّل شدَّة رغبة المؤمنين الصادقين في الشهادة في سبيل الله تعالى، إنهم لَينتظرونها كما ينتظر المشتاق مَن يشتاق إليه.

• حقيقة الصدق هي في حفظ العهد، وترك مجاوزة الحد، وإنما يستحقُّ الثناء مَن ثبت على ذلك طولَ عمره حتى يلقى الله تعالى.

﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

• طوبى لمَن صدق اللهَ سبحانه وتعالى في أقواله وأحواله، واستوى في الصدق في ضميره وأعماله.

• لا يقطع الله تعالى رجاء مَن رجاه، فهو جلَّ وعلا واسعُ الرحمة، ألا ترى كيف علَّق كرمًا منه تعذيبَ المنافقين على مشيئته؟

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾

• غيظُ الكافرين على المؤمنين شديدٌ، ولو أجراهم الله مع غيظهم لآذوا أهلَ الإيمان أيَّما إيذاء، ولكنه بقدرته وعنايته حفظ عباده المؤمنين.

• إذا كُفيَ المؤمنون قتالَ عدوِّهم فهو من نعم الله تعالى عليهم، فالعافية على عزٍّ خيرٌ من تمنِّي لقاء العدوِّ.

• لا يغالب اللهَ تعالى أحدٌ إلا غُلِب، ولا يستنصره أحدٌ إلا غلَب، ولا يُعجزه سبحانه أمرٌ أراده، ولا ينفع أهلَ القوَّة والعزَّة قوَّتُهم وعزَّتُهم إن لم يُعِنهم بقوَّته وعزَّته.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾

ظَٰهَرُوهُم: عاوَنُوا الأحزابَ.

مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ: هم يهودُ بني قُرَيظة.

صَيَاصِيهِمْ: حُصُونِهم.

ٱلرُّعْبَ: الخوفَ الشديدَ.

• رُعب الكافرين من المؤمنين جنديٌّ من جنود الله لا تستعصي عليه الحصونُ المنيعة، ينصر الله به أولياءه، ويهزم به أعداءه.

• لمَّا أراد العدوُّ إخافةَ المؤمنين وإذلالَهم واستئصالَهم انتصر الله تعالى لأوليائه، فأخاف عدوَّهم وأذلَّهم، وردَّهم خائبين.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

• ما أهونَ العبدَ حين يكفر بالله ويحارب أولياءه ودينه! فإن نفسه وما يملكه من دنيا وأعراض تصير رخيصةً لا قيمة لها، يورث الله عباده المؤمنين مُلكها وتصريفها.

• فلتطمئنَّ قلوب المؤمنين على مستقبل الإسلام الذي وعِدوا بنصره وإعزازه والتمكين له، فإنه وعدٌ من الله تعالى الذي يجعل بقوَّته وعزَّته من قلَّة المسلمين كثرة، ومن ضعفهم قوَّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

• قد تجول الخواطر الدنيوية في أذهان كرام الناس، غيرَ أنهم في قرارة نفوسهم لا يمكن أن يختاروا زينة الدنيا على نعيم الآخرة.

• لو أن امرأةً آثرت ترك زوجها لأسباب مباحة وبطرق مشروعة، فإنَّ الزوج الكريم لا يسيء إليها، ولا ينتقص من حقها، فالشهم النبيل يسرِّح السراح الجميل.

الجزءُ الحادي والعشرون | سورةُ الأحزاب

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

٤٢١

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

• يا هناء مَن آثر رضا الله تعالى والقربَ منه على كلِّ حظ دنيويٍّ بما يكرمه الله تعالى به من رفع درجته وحسن مثوبته.

• حين يسمو إيمانُ المرأة المؤمنة فإنها تؤثر الآخرة على العاجلة، وتسعى إليها ظاهرًا وباطنًا، وتقدِّم مرضاة ربِّها على شهوات نفسها.

• من كرم الله وجوده عنايتُه بالأجر الذي يمتنُّ به على عباده، فكم أعدَّه لهم وعظَّمه، ورغَّب فيه وحثَّ على الأعمال الموصلة إليه!

• بمقدار إحسان العبد يكون إحسانُ الله سبحانه وتعالى إليه.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

• مَن وقع في مخالفة ربِّه ولم يتُب إليه من ذنبه، فإن عقابه على الله يسيرٌ غير عسير؛ إذ لا يقف أمام قدرة الله تبارك وتعالى شيء.

الجزء ٢٢ الحزب ٤٣

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

٤٢٣

﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

• على قدر المكانة تكون المضاعفة أجرًا ووزرًا؛ فمَن علت مكانتُه وشرفه فعمل خيرًا تضاعف أجره، وإن عمل سوءًا تضاعفت عقوبته، فعلى العالم والعابد حفظُ المقام من التقصير والآثام.

• أعطى الله تعالى أمَّهات المؤمنين أجورهنَّ التي تناسب عظيمَ مقامهنَّ، وجليل قدرهنَّ.

• لا وصفَ لعطاء الله تعالى يوم القيامة ولا حدّ، ولا نكَد فيه ولا كَدّ، يعطيه الله لمَن صبر على ضيق الدنيا مبتغيًا سَعة الآخرة.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

• مَن كان في منزلة فليعطها حقَّها من الحفظ والرعاية.

• الذي في قلبه مرضُ الفاحشة ينتظر أدنى محرِّك يحرِّكه إليها؛ لأنَّ قلبه مريض لا يتحمَّل ما يتحمَّل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، وأدنى سبب يدعوه إلى الحرام يجيب دعوته.

• ليكن للمؤمنة أسوةٌ حسنة بأمَّهات المؤمنين، فقد أمرهنَّ الله تعالى بالحجاب، ونهاهنَّ عن الخضوع بالقول، وهنَّ أطهر خلق الله وأشرفهنَّ وأنقاهن، فغيرهنَّ من باب أولى.

• لينُ مقال المرأة وتكسُّره، وتنميقُ الكلام وتزويقه يفتِنُها ويَفتِنُ بها، فلتحذر العفيفةُ الطاهرة من الفتنة وأسبابها.

• على المرأة المسلمة أن يكونَ حديثها في الأمور المعروفة غيرِ المنكرة؛ فإن موضوع الحديث قد يُطمِع مثل لهجة الحديث.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

• إن في مُكث المرأة في بيتها وعدم خروجها لغير حاجة راحةً لنفسها، وانشراحًا لقلبها، واستقرارًا لها ولمجتمعها.

• البيت حِصن المرأة الحَصان، وكِناس الاطمئنان والأمان، ومهد الجمال والسناء، ومعهد النقاء والعفة.

• التبرُّج من مخلَّفات الجاهليَّة التي يرتفع عنها مَن ارتفعت تصوُّراته ومشاعره عن تصوُّرات الجاهليَّة ومشاعرها.

• ما أوثقَ العَلاقة بين العبادة والخُلق الحسن! ألا ترى كيف كانت الأوامرُ بالطاعات لآل البيت الكرام خاتمةً للتوجيهات الأخلاقيَّة؟

• نساء النبيِّ من أهل بيته، وما دُعينَ إليه من أدب السماء يُناسب مقامهنَّ، ويتلاقى مع انتسابهنَّ إلى النبي ﷺ.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

• إن ضمان العاقبة الحسنة والجزاء العظيم، يدعو العاقلَ إلى السعي إلى أسباب نيل ذلك الموعود، وفي العلم بالشريعة والعمل بها، ودراسة القرآن والاهتداء بنوره طريقٌ إلى تلك الغاية.

• ليس شيءٌ أنفعَ ولا أجدى لتمتين العَلاقات الزوجيَّة، وتربية الأسرة من تدارُس القرآن.

• لَطفَ الله بأمَّهات المؤمنين إذ جعلهنَّ في بيوت تُتلى فيها آياتُ الله تعالى وسنَّة نبيِّه الكريم ﷺ، وبخبرته تعالى وحكمته اختارهنَّ زوجاتٍ لأشرف خلقه وأحبهم إليه.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

• من دلائل الإقبال على الإيمان والإسلام الطاعةُ الناشئة عن رضا داخليٍّ وقناعة قلبيَّة.

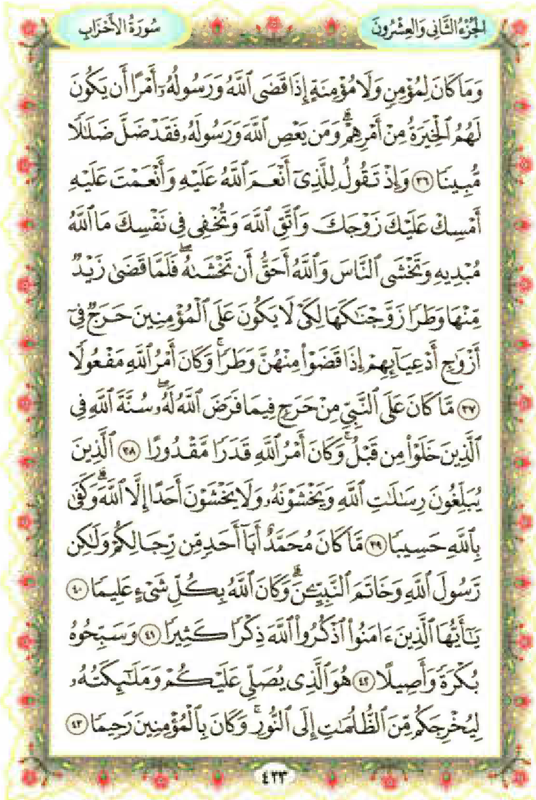
• منزلة العبد من الإيمان هي منزلتُه من الصدق، فمَن ترقَّى جميع درجات الصدق فقد استكمل الإيمان.

• بالصبر يستعين المرء على تحقيق شرائع الإسلام الظاهر، وأعمال الإيمان الباطنة؛ إذ لا تُبلغ الأمورُ الكبار إلا على طريق المصابرة.

• تعاهَد قلبَك وجوارحك، فإن وجدت فيها هيبة وإجلالًا لله تعالى، ووقوفًا عند حدوده، فذلك من مبشرات المغفرة والأجر العظيمهُم

• ذِكر الله معينٌ على الصدق والصبر والخشوع والبذل والصوم، فمَن كان مكثرًا من ذكر ربِّه في لسانه وقلبه سهُل عليه أداء تلك العبادات.

• لولا مغفرةُ الله سبحانه لعباده لنقصَ تقصيرُهم وتفريطهم من أجورهم، ولكنه تعالى، تفضُّلًا منه، يعفو عن الهفوات والزلَّات، ثم يُتبع عفوَه هذا بالأجر العظيم.


سُورَةُ الأَحْزَابِ — الجُزْءُ الثَّانِي وَالعِشْرُونَ

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ
مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ
أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ
لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٤٢٣

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

• من مقوِّمات العقيدة أن تستسلم لله تعالى بالكلية، مطمئنًّا لحكمته وتقديره وتدبيره، واثقًا بما عنده، موقنًا بما لديه.

• الله تعالى هو المَقصِد، والنبي هو الهادي الموصل إليه، فمَن ترك المقصد ولم يسمع قول الهادي لم يصل إلى شاطئ النجاة.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

• تحرر الإنسان من رِبقة الذل لغير الله، وإطلاق أفعاله لتكون تحت مشيئته لا مشيئة سواه؛ نعمةٌ عظيمة ومِنَّة جسيمة.

• قالت عائشةُ رضي الله عنها: (لو كتمَ النبيُّ ﷺ شيئًا ممَّا أوحي إليه لكتم هذه الآية: {وَتُخفي فِي نَفسِكَ ما الله مُبدِيه}).

• لا ينبغي لامرئ أن يخشى الناسَ في فعل ما شرَعه الله تعالى له من الحلال، أو يتحرَّج منه.

• قد يُذهب الله عن مؤمنٍ شرفًا كان يسمو به، فيبدله شرفًا أسمى منه وأرقى، فزيدٌ لمَّا ذهب عنه شرف (زيد ابن محمد) أبدله الله بشرف ذكر اسمه في القرآن الكريم.

• التعليم الفعليُّ أبلغ من القوليِّ، فإن اجتمعا فكمال، وها هو ذا رسولُ الله أبطل التبنِّي بقوله وبفعله.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾

• كل ما يبيحه الله تعالى للنبي ﷺ لا حرج فيه، ولا التفاتَ معه إلى أي قول يقال من عدو أو صديق.

• لا يَضيقنَّ مسلمٌ بشيء من تشريع الله تعالى، ولا يتحرجنَّ منه أمام المنافقين والكافرين، وليكن صريحًا في الحق كما كان الأنبياء، فإن له بهم أسوةً حسنة.

• أمر اللهِ نافذٌ مفعول، لا يقف في وجهه شيء ولا يحول دونه أحد، وهو مقدَّر بحكمة وخبرة ووزن، منظورٌ فيه إلى الغاية التي يريدها الله منه، ويعلم ضرورتها وقدرها وزمانها ومكانها.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾

• إذا كمَل خوفُ العبد من ربِّه لم يخَف شيئًا سواه، ومتى نقصَ خوفه منه سبحانه زاد خوفه من كلِّ ما عداه.

• لو أن الداعي عظُم يقينه بأنَّ الأمر كلَّه بيد الله، ولا يضرُّ ولا ينفع سواه، لجدَّ كلَّ الجدِّ في تبليغ رسالة ربِّه، غيرَ خائف في طريقه.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

• لمَّا نفى الله عن النبيِّ ﷺ تلك الأبوَّة، نوَّه بأن له قدرًا عاليًا، وهو شرف الرسالة والنبوَّة، بل إنه خاتم الأنبياء، وسيِّد المرسلين.

• بمحمد عليه الصلاة والسلام خُتمت النبوة؛ لأن الشرع الذي جاء به قد اشتمل على مصالح الناس في كل زمان وكل مكان، فما من فضيلة إلا جلَّاها، ولا مكرمة إلا أحياها.

• يعلم الله تعالى ما يصلح للبشرية وما يُصلحها، فيقضي للعباد بما فيه صلاحُهم من النظُم والشرائع والقوانين، وَفقَ رحمته وتخيُّره للمؤمنين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾

• عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (لا يَفرِضُ الله على عباده فريضةً إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذَر أهلها في حال عذر، غيرَ الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه).

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

• إن غفَل الناسُ عن الذكر في أوقات راحتهم فلا تغفُلنَّ عنه، وإن شغلتهم عنه المشاغل فلا تنشغل عنه أنت، وإن سبَّحوه في وقت من الأوقات فسبِّحه أنت في جميع الأوقات.

• استقبل نهارك بالتسبيح، فذلك يُعينك على مراقبة ربِّك في سائر نهارك، واختتمه بالتسبيح، فذلك يعينك على جمع قلبك من شَتات الدنيا.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾

• صلاة الله وملائكته هي سببٌ لإخراج العباد من الظلمات إلى النور، وحصول كلِّ خير واندفاع كلِّ شر، فيا لَحسرةِ الغافلين عن ربِّهم! ماذا حُرموا من خيره وفضله؟!

• هلَّا استشعرَت القلوبُ رحمة الله تعالى ورعايته وعنايته بخلقه، وهو الغنيُّ عنهم، وهم الفقراء المحاويج لرعايته وفضله؟

• بلوغ العبد درجة الإيمان توصله إلى نيل رحمة الربِّ الرحيم، وعطاء الملك الكريم.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ
إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

٤٢٤

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

• يا بشرى المؤمنين بسلام ربِّ العالمين، وبالأجر الكريم، الذي أعدَّه لهم في جنَّات النعيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

• الداعية الناجح هو مَن يقدِّم البِشارة على النِّذارة، والترغيبَ على الترهيب، ما لم يستدعِ المقام خلاف ذلك.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

• على الداعية أن يعرِّف الناسَ اللهَ تعالى، وأسماءه الحسنى وصفاته العليا، ويدعوهم إليه وحده، لا إلى حظوظ نفسه ومصالح دنياه.

• ينبغي أن تكونَ الدعوة بإذن الله تعالى وبأمره، بلا ابتداع ولا نقصان عمَّا يرضاه.

• ما كان الناس قبل بعثة النبيِّ ﷺ إلا في ظُلمة حالكة، فلمَّا جاء الدنيا أضاءها وأنارها.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾

• إذا كان الله الكبير تعالى يبشِّر عباده بفضل يصفه بالكبير، فما ظنُّك بعظمة ذلك الفضل؟

• ما أرجاها من آيةٍ في كتاب الله! يأمر الله نبيَّه ﷺ بأن يبشِّرَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في روضات الجنَّات لهم ما يشاؤون عند ربهم.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

• لا خيرَ للمؤمنين في طاعة الكافرين والمنافقين، فقد تكرَّر في السورة النهيُ عن ذلك مرَّتين، فليذكر المؤمن ذلك.

• الإعراض عمَّن يؤذي هو في غاية المشقَّة على النفس، لكن مَن استحضر الدواء وهو التوكل على الله تعالى هان ذلك عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

تَمَسُّوهُنَّ: تدخُلوا بهنَّ وتُجامِعُوهُنَّ.

عِدَّةٍ: مُدَّةٍ تنتظِرُ فيها المرأة.

تَعْتَدُّونَهَا: تُحصُونها عليهِنَّ.

فَمَتِّعُوهُنَّ: أعطوهُنَّ من أموالِكُم ما يتَمتَّعن به بحَسَبِ وُسعِكُم جبرًا لخَواطِرِهِنَّ.

وَسَرِّحُوهُنَّ: طَلِّقوهُنَّ.

جَمِيلًا: بلا أذًى أو ضَرَرٍ.

• الإيمان وصفٌ شريف يقتضي صدقَ الرغبة في المرأة، ودوامَ العِشرة، وتمامَ الاتصال والصحبة.

• يراعي الإسلام حفظ نسب الزوج، وتوقيرَ الزوجة، فجعل العِدة للزوج لحفظ نسبه، وجعل التمتيع بالمال للزوجة جبرًا لكسرها، فإذا لم يدخل الزوج بزوجته، فتسقط العِدة، وتبقى لها عطية المال.

• مراعاة المشاعر وجبرُ الخواطر حتى ساعة الكره والغضب دعا إليه الإسلام، فاشترِ القلوب بقليل ممَّا في اليد، فامرأة انقطعت عنها عِشرةٌ كانت ترجو دوامها أحقُّ بأن تُعطى شيئًا من الدنيا يخفِّف عنها مصيبتها.

• إن كان التسريح بإحسان مطلوبًا من رجلٍ فارقَ مَن عقد عليها قبل مسِّها، فكيف بمَن عاش مع أهله دهرًا وخدمته عُمرًا، وربما كان له منها ولد؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ: الإماءَ التي تكون مِلكًا خالِصًا لك.

أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ: أنعَمَ به عليك بالجهاد.

خَالِصَةً لَّكَ: خاصَّةً بك.

حَرَجٌ: ضِيقٌ.

• لمَّا كان رسول الله ﷺ لا يرضى إلا بالأكمل من الأمور، فقد كان يعجِّل المهور، ويوفي الأجور، ولم يزل التعجيل دَيدنَ السلف وسنَّتهم.

• علمَ الله ما يَصلُح لعباده، فجعل للمؤمنين في النكاح ما يليق بحالهم، وجعل للنبيِّ ﷺ ما يليق به؛ تفضيلًا له وإكرامًا منه تبارك وتعالى، والأصل التسوية في الأحكام، إلا ما دلَّ الدليل على خصوصيَّة رسول الله فيه.

• انظر إلى حبِّ الله تعالى رسولَه الكريم؛ شرَع له ما يرفع به الحرجَ عنه والضِّيق، ويجلِب له السَّعة وتمام النعمة، فوسَّع له ممَّا أنعم به عليه من الفَيء، وآنسه بما يُباح له من ذوي القرابة والهجرة، وخصَّه بالمرأة التي وهبت نفسها له، فليس لغيره أن يتزوَّج امرأة بالهبة.

۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤

٤٢٥

﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١﴾

تُرۡجِي: تُؤخِّرُ القسمَ في المَبيتِ عمَّن شِئتَ من زوجاتِك.

وَتُـٔۡوِيٓ: تضمُّ في المَبيت.

ٱبۡتَغَيۡتَ: طَلَبتَ المَبيتَ عِندَها.

عَزَلۡتَ: أخَّرتَ قِسمَها.

أَدۡنَىٰٓ: أقرَبُ.

أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ: أن يَفرحنَ.

• من توسعة الله على رسوله ورحمته به أن أباح له ترك القَسْم بين زوجاته ولم يوجبه عليه، وما قسمَ بعد ذلك فهو تبرُّع منه، ومع هذا فقد كان عليه الصلاة والسلام يجتهد في القَسْم بينهنَّ في كلِّ شيء.

• المرأة المؤمنة إذا علمت أن تشريعَ حكم من الأحكام هو من الله تعالى قبلت به ورضيته، وطابت نفسُها وقرَّت عينها، مهما نفَرت الطبيعة الأنثوية من ذلك.

• اعمُر قلبك بالإيمان بالله والرضا بشرائعه والمحبَّة لأوامره، فإن قلبك محَطُّ نظر الله منك، فإيَّاك أن يرى فيه ما يكره.

• عِلم الله بأفعال عباده يوجب على الإنسان اتِّقاءه خشيةَ عقابه، وحِلمُه تعالى مع ما يجترحون من الخطايا يوجب عليه الحياء من مخالفته.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾

وَلَآ أَن تَبَدَّلَ: ولا أن تُطلِّقَ إحداهُنَّ لتَستَبدِلَها بغيرِها.

رَّقِيبٗا: مُطَّلِعًا لا يَغيبُ عن عِلمِه شَيءٌ.

• ما أعظمَ المكافأةَ لزوجات رسول الله ﷺ حينما اخترنَ الله ورسوله والدارَ الآخرة! لقد قصَرَ رسولَه عليهنَّ وحدهنَّ دون نساء العالمين، فطوبى لهنَّ هذا الشرفُ العظيم.

• ليحذر العبد مجاوزةَ حدود الله، فإنه جلَّ وعلا مراقبٌ لكلِّ أمرٍ، عالمٌ بكلِّ جزئيَّاته وتفصيلاته ومآلاته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾

نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ: مُنتَظِرينَ نُضجَهُ.

• الإيمان يحثُّ أهله على البعد عن التطفُّل، ومباغتة الناس على موائدهم من غير سابق دعوة أو تقدُّم إذن ورضا.

• يعلِّم الله عباده من الآداب الرفيعة الحضورَ للطعام عند موعده؛ مراعاةً لحال المُضيف وأهل بيته، ووقته وانشغاله، فما ألطفَه من أدب!

• من أدب الدعوة مراعاة وقتها بدءًا وانتهاء، فلا يحضُر المدعو قبل وقته، ولا يتأخر في المُكث عند داعيه.

• لمَّا منع الحياء النبيَّ ﷺ من أن يفصحَ عن حاجته إلى انتشار مَن نزل عليه؛ تولى الله تعالى القولَ عنه حمايةً له، ودفعًا للأذى عن جانبه الكريم.

• إذا أُمر الصحابة بسؤال أمَّهات المؤمنين من وراء حجاب وهم أطهرُ الأمَّة قلوبًا، فغيرهم مع سائر النساء أولى وأحرى.

• العينان نافذة طهارة القلب أو نجاسته، فمَن حفظ عينيه طهَّره، ومَن أطلقهما في الحرام قذَّره.

• الذي خلق النفوس البشرية وعلم ما تنطوي عليه أخبر بأن سؤال الرجال للنساء من وراء حجاب أطهرُ لقلوبهم وقلوبهن، فمَن زعم خلافَ ذلك فزعمُه باطل مردود.

• لا يحِلُّ لأحد أن يؤذيَ رسول الله ﷺ حيًّا ولا ميتًا، بل الواجب إكرامه وإعظامه، وتوقيره واحترامه، ورعاية حقوقه في حياته وبعد مماته.

• إذا كان الإثقال على رسول الله ﷺ عند الله ذنبًا عظيمًا، فكيف ذنبُ من آذاه بقوله، أو استصغره في شأنه؟!

﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤﴾

• ليحذر الإنسان مخالفة ربِّه أو إيذاء رسوله في سرِّه وعلنه، فإن الله مُطَّلع على جميع أمره، محيط بكلِّ أحواله.

• مهما بالغ المرء في إخفاء ما في نيته، فإن الله سبحانه وتعالى يعلم ما ينويه من السوء الذي يخفيه ويُظهر خلافه، وسوف يجازيه على سيئ ما يكتمه.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَا
أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ
مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا
يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ الحزب ٤٣
وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَۖ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي
ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

٤٢٦

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

• الحجاب صيانةٌ للمرأة وحفاظٌ عليها، وأحرص الناس على حفظها أقربوها، فلا إثم عليها إذن في عدم الاحتجاب من هؤلاء المذكورين؛ لأنهم مأمونون عليها.

• على المرأة أن تتّقيَ الله في حجابها، فتعلم متى يجب أن تحتجبَ ومتى لا يجب، وأن تجعلَ ربَّها هو الرقيبَ عليها، راقبها وليُّ أمرها أو لم يراقبها.

• مَن استحضر اسم الله تعالى الشهيد، وتيقن دوام مراقبته لأعمال العبيد؛ اجتهد في ألا يراه على غير طاعته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

• يكفيك شرفًا في صلاتك على رسولك ﷺ أن الله تعالى وملائكته الكرام يصلون عليك.

• على المؤمن أن تتجدّد صلاته وتسليمه ويتكرّرا على رسول الله، كما تتجدّد وتتكرّر صلاة الله وتسليمه عليه، ﷺ.

• جميلٌ أن يجمعَ المسلم في الصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام بين الصلاة والتسليم، كما أمر الله تعالى بذلك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾

• من لوازم الإيمان بالله تعظيمُ رسوله وتوقيره، وإبعاد الأذيّة عنه وتنزيهه، فمَن آذاه فهو مُبعد عن رحمة الله في الدنيا والآخرة، وأعدَّ الله له العذاب المُهين، وهل يكون كذلك إلا الكافر؟!

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

بُهْتَٰنًا: أفحشَ الكَذِبِ والزُّور.

• إيذاء المؤمنين والمؤمنات قد يكون بباطل، وقد يكون بحق، أمَّا إيذاء الله تعالى ورسوله الكريم فلا يكون إلا بباطل أبدًا.

• إن العقاب الشديد ينتظر أولئك الذين يؤذون المؤمنين في خَلق أو خُلق، أو حسَب أو نسَب، أو غير ذلك، فليحفظ العاقل لسانه قبل أن يورده موارد الهلكة.

• المؤمن عند الله كريم، فالحذرَ الحذرَ من إيذائه، أو انتقاصه وازدرائه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

• مَن كان آمرًا بالمعروف فليبدأ بأهله وأقاربه، فإنهم أولى الناس بعنايته، واهتمامه ونصحه.

• عجبًا لمَن يشتري لنفسه الأذيّة، ويسعى إلى بابها لدفع ثمنها، فإذا حازها ولوَل وأعوَل! تلك هي المرأة النازعة حجابها، أو العابثة به خارج بيتها.

• المرأة بحجابها الساتر تعرِّف نفسها إلى مجتمعها بأنها المؤمنة الطاهرة العفيفة، المتميزة بالستر والصيانة، فلا تتعرَّض لمكروه أو أذى.

• لا تيئسَنَّ امرأة قصَّرت في حجابها من مغفرة الله لها ورحمته بها، فلتُقبل على ربِّها بتوبتها، وتلبَس حجابها، وتبشَّر بمغفرة الله ورحمته.

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾

• إنه حِلم الله تعالى الذي يدعو شِرارَ عباده إلى الانتهاء عن شرِّهم، حتى لا يُسلط عليهم غضبه ونقمته، فسبحانه من إله حليم لا يحبُّ تعذيب عباده حتى يُعذِرَ إليهم!

• إصلاح الفاسد من الأمة أولى من قطعه منها؛ لأن إصلاحه يُكسِب الأمة فردًا صالحًا أو طائفة صالحة تنتفع الأمة بها.

• ما ألصق صفةَ الإرجاف بالمنافقين الذين يَسعَون إلى زعزعة الثوابت! وذلك بنشر الإشاعات والأكاذيب والأباطيل التي تهدد استقرار المجتمع المسلم.

• المعصية إذا فحشَ أمرها سلط الله على أهلها مَن يُذلهم ويذيقهم ما يقهَرهم؛ جزاء عصيانهم.

﴿مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾

• ما أسوأ حالَ مَن تطارده لعنة الله تعالى حيثما حلَّ، وتلحقه إلى أيِّ مكان نزل! فهو دائم الخوف والقلق أن يؤخذ بسبب كفره، فيتظاهر بالإيمان وهو أبعدُ ما يكون عنه.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

• إن الله ناصرُ دينه، ومُظهرُ سنَّة رسوله، ولو كره الكافرون والمنافقون، ومَن أراد أن يغالبَ دينَ الله فإن دينه هو الغالب.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾

• عِلم الساعة إلى الله تعالى وحده، فلا يعلم بها نبيٌّ ولا غيره من الخلق حتى يُسأَلَ عنها، فالعاقل يستعدُّ لها ولو لم يعلم وقتَ قيامها.

• هل أعد للساعة مَن يرجوها، وتهيَّأ لها مَن يخشاها؟ فإنها -وإن كان علمها مجهولًا لنا، لكن وقتها قريبٌ منا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾

سَعِيرًا: نارًا مُوقدةً شَديدةَ الحَرارة.

• السعيد بقيام الساعة مَن رحمه الله فعمل لها، والشقي مَن لم يعمل ما ينجيه بعد قيامها.

• إن الألوهيَّة والتعظيم لله وحده، فويلٌ للكافرين به من لعنته التي تدوم عليهم، وويلٌ لهم من جهنَّم التي تتسعَّر بهم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾

• لو كان بقاء الكافر في النار ممتدًّا آلافَ السنينَ لهان عليه الخطب؛ لأمله في الخروج منها يومًا من الدهر، ولكنه خلود لا خروج معه ولا انتهاء.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾

• لو أن الكافر أمكنه أن يقيَ شيئًا من جسده من النار لوقى وجهه؛ فإنه أكرمُ أعضائه وأشرفها، وأجمعها لأرق حواسّه وألطفها.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾

ٱلسَّبِيلَا۠: طَريقَ الهُدى.

• لا ينفع التابعَ الضالَّ إلقاءُ الملامة على المتبوع يوم القيامة؛ فإنه لولا التابعون الضالون ما كان هناك متبوعون مضلُّون.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

ضِعْفَيْنِ: مِثلَين.

• كما ذهب السادة والكبراء بالنصيب الأوفر من متاع الدنيا، فقد ذهبوا كذلك بالنصيب الأكبر من العذاب واللعنة في الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾

وَجِيهًا: عَظيمَ القَدرِ.

• الحذر كلَّ الحذرِ من إيذاء النبيِّ ﷺ؛ فإن قومًا آذوا نبيَّهم حذَّر الله تعالى منهم، وجعلهم مَثَل سوءٍ نهى عن سلوك طريقهم.

• ليعلم مَن أراد إيذاء نبيٍّ من أنبياء الله أن الله تعالى يغار عليهم، ويدافع عنهم، وينتقم لهم.

• ليست العِبرةُ بما يقوله الناس فيك، ولكن انظر أين مقامك عند ربِّك، فكلُّ مذامِّ الناس فيك لا تنقص من قدرك إذا كنت عند الله وجيهًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾

سَدِيدًا: مُوافقًا للحقِّ، خاليًا من الكَذِبِ والباطِل.

• ينبغي أن تكونَ أفعال المؤمن دائرةً على التقوى، وأقوالُه موافقةً للحقِّ والهدى.

• ما من شيء أذهبُ بالرشد، وأجلب للضُّر، وأقتل للتقوى من اللسان السائب.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

• لو أن امرءًا جعل لله تعالى فعلَه، ولأجله تركه، لأصلح الله له عملَه، ولعوَّضه خيرًا على ما فاته، فكان رابحًا أيَّ ربح!

• يا مَن أسأتَ في حقِّ ربكَ فيما مضى، أحسِن عملك فيما يأتي، يغفر لك ماضيَك السيِّئ.

• بالطاعة تنالُ الأمَّة أقصى ما تنتهي إليه هِمَمُها، وأرفع ما تمتدُّ إليه أعناق أمانيِّها، وتشرئبُّ إليه عيون عزائمها.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

ٱلْأَمَانَةَ: ما أمَرَ اللهُ بِهِ ونَهى عَنهُ.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

• أودع الله تعالى عباده حقوقًا وائتمنهم عليها، وأوجب عليهم تلقِّيَها بحسن الطاعة والانقياد، وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها، وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها.

• الناس أمام الأمانة أصناف؛ منافقون يتظاهرون بالقيام بها، ومشركون لا يعتنون بها، ومؤمنون يسعَون في أدائها خير أداء.

• لمَّا كان أداء الأمانة يعتريه شيءٌ من القصور أو التقصير، خُتمت هذه الآية بما يسلِّي المؤمن الحريص على أداء أمانته، ولكنَّه قد لا يبلغ الكمال.

الجزء الثاني والعشرون | سورة سبإ

سورة سبإ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا
يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ
ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

٤٢٨

سورة سبإ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾

• سورة سبأ تَعرِض إشراك المشركين بالله وتكذيبَهم لرسوله، وشكَّهم في الآخرة، واستبعادهم للبعث، وتستهلُّ ببيان أن الله تعالى يُـحمَد لذاته، ولإبداعه خلقًا يسبِّح كلُّه بحمده، فما قيمة مَن شذَّ عن حمده من البشر؟!

• الـمُلك بلا حمد يستلزم نقصًا، والحمد مع الملك غايةُ الكمال، فلذلك قرن الله تعالى بينهما.

• إن الله تعالى محمودٌ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ محامده تتجلَّى في الآخرة حين ينكشف للعباد من حكمة الله تعالى وكمال عدله ما كان عنهم مستورًا.

• الحكيم الخبير اسمان كريمان دالَّان على كمال الإرادة والعلم، فكمال الإرادة أن تكونَ واقعةً على وجه الحكمة، وكمال العلم أن يكونَ كاشفًا عن الخبرة، فما أجلَّ صفاتِ الله ربِّ العالمين!

• يستحقُّ الحمد كلَّه مَن له الدنيا والآخرة، ويدبِّر أمر الوجود كلِّه بحكمة، ويعلم كلَّ شيء فيه عن إحاطة.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

يَلِجُ: يدخُل.

• لو أن أهل الأرض جميعًا وقفوا حياتهم كلَّها يتتبَّعون ويُحصون ما يقع في لحظة واحدة مما تشير إليه الآية لأعجزهم تتبُّعه وإحصاؤه عن يقين.

• كلُّ قلب وما فيه من خواطرَ ونيَّات، وما له من حركات وسكنات، هو تحت عين الله، وهو مع هذا يستُر ويغفِر، سبحانه وتعالى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾

لَا يَعْزُبُ: لا يغيب.

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ: وزنُ نملةٍ صغيرة.

• ما أشنعَ التكذيبَ بأمرٍ يردُّ الله تعالى على المكذبين به ردًّا عظيمًا، حتى يُقسمَ بنفسه المقدَّسة على ذلك!

• لو تفرَّقت العظام وتمزقت الأجسام، فإن الله تعالى عالمَ الغيب يعلم أين ذهبت وأين تفرَّقت، فيجمعها من أيِّ مكان صارت فيه، ويُرجعها إليه، فسبحان مَن لا تخفى عليه خافية!

• الله تعالى وحده أحاط علمًا بالجزئيَّات والكلِّيَّات، والعظائم والمُحقَّرات، وأثبتها في كتاب مبين، وبعد ذلك يكون الجزاء على أعمال العباد بالثواب أو العقاب.

﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

• لا تعجَب إن رأيت مسيئًا يُمتَّع بلذَّات الدنيا، ومحسنًا يعيش في آلامها، فمن حكمة الله تعالى أن جعل الآخرة هي دارَ الجزاء، وأمَّا الدنيا فإنها دار ابتلاء.

• للعبد عند بارئه مغفرةٌ يجود بها عليه لحسن إيمانه، ورزقٌ كريمٌ يتصدَّق به عليه لصالح عمله، وحاشا لله أن يضيعَ أجر مَن أحسن عملًا.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾

مُعَٰجِزِينَ: مُشاقِّينَ اللهَ مُغالِبينَ أمرَه.

عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ: أسوأُ العذابِ وأشدُّهُ ألمًا.

• عندما عظُم جُرم المكذِّبين للحق، الصادِّين عنه والساعين في إبطاله؛ جُوزُوا بأغلظ العذاب وأشده.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾

صِرَٰطِ: طريق.

• ما أحسن العلم النافع حينما يغرِس في قلوب أصحابه اليقينَ بأن ما جاء إلى رسول الله من عند ربه هو الحق الهادي إلى أهدى سبيل!

• القرآن كتاب مفتوح للأجيال، فيه من الحق ما يكشف عن نفسه لكل ذي علم صحيح، وهو يكشف عن الحق المستكِنِّ في كيان هذا الوجود كله.

• يا مَن أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بالهداية؛ إنك بعزة الله منصور، وعلى اهتدائك محمود.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾

مُزِّقْتُمْ: مُتُّم وتفرَّقت أجسادُكم في الأرض.

• استغرَبوا منكرين إعادةَ الإنسان بعد البِلى، وإحياء الله للموتى! ولم يفكروا بأن مَن خلقهم من العدم هو القادر على بعثهم من الرِّمَم.

﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨﴾

• لا يقيم العاقل وزنًا لأقوال أهل الباطل، بل يزيده تخبُّطهم واضطرابهم وتهافتهم على الحقِّ ثباتًا، وللباطل وأهله معرفةً ودرايةً.

• سبحان الله تعالى! أصار المبطلون يغارون على الله فيدَّعون تنزيهه عن افتراء المفترين، وهم أهل الافتراء والتكذيب؟!

• إذا دُعي امرؤ إلى الصلاح والرشاد، ونبذ الهوى والفساد، فاتهم داعيه إلى ذلك بالفِرية والجنون، فهو مغرق في الجهالة، ومُبعِد أيَّ بُعد في الضلالة.

• مَن يسمِّي المهتديَ ضالًّا يكون هو الضال، ومن يجعل الهاديَ ضالًّا يكون أضل، فأيَّ ضلال وصل إليه مَن يتّهم سيِّدَ الهداة والمهتدين بالكذب على ربِّه؟!

﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩﴾

كِسَفٗا: قِطَعًا من العَذابِ.

مُّنِيبٖ: راجِع إلى ربِّهِ بالتَّوبةِ والطَّاعةِ.

• مَن قدر على خلق الأجرام العظام، لا يُعجزه إعادة ما بَلِيَ من الأجسام.

• لو أراد مَن يملك السماواتِ والأرضَ أن يسخِّرَهما في عقاب عباده العاصين له لفعل، فكيف يأمنون خسفًا من الأرض أو عذابًا ساقطًا من السماء، وقد فعل بقارون وأصحاب الأيكة ما قد علموا.

• كلَّما كان العبد أعظمَ إنابة إلى الله كان انتفاعه بآياته أكبر، فإنه بتوجُّه إرادته إلى ربِّه، وجعلِ همِّه الاشتغالَ بمرضاته؛ يصير نظره إلى مخلوقاته نظر فكرة وعبرة.

﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠﴾

أَوِّبِي مَعَهُۥ: سَبِّحِي مَعَهُ.

• كلُّ نعمة إنما هي فضلٌ من الله سبحانه وتعالى، فليُدرك العبد مصدرها، تعظُم في عينيه.

• الجبال والطير وكل ما خلق الله تعالى من الخلق منقادٌ لأمر ربه، لا يسعه إلا تنفيذ ما أمر به.

﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾

• المؤمن يتقن عمله، ويضبطه على أحسن وجه، ويطوِّر فيه ما استطاع، ويجعله في خدمة دينه وإعلاء كلمته.

• راقب الله سبحانه وتعالى في أعمالك كلِّها، واجعلها صالحةً وخالصة له، كما تحبُّ أن يراها جلَّ وعلا.

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢﴾

• كلُّ نعمة يُنعمها الله سبحانه وتعالى على الأبناء، فإنما هي نعمٌ على الآباء كذلك، وأيُّ أبٍ لا تقرُّ عيناه بسعادة ابنه؟!

• طاعة مَن أمر الله بطاعته طاعةٌ لله، ومعصية مَن نهى عن معصيته معصيةٌ كذلك له.

﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾

رَّاسِيَٰتٍ: ثابتاتٍ لا تتحَرَّكُ من أماكِنِها لِعِظَمِها.

• انظر إلى ما استعمل سليمانُ عليه السلام الجنَّ فيه، لقد سخَّرهم في نفع الناس في أمر دينهم ودنياهم، وهكذا ينبغي أن يفعلَ مَن آتاه الله تعالى نعمة.

• كما يوالي الله سبحانه وتعالى على عبده من نعمه، فإن عليه ألا يزال مجددًا له شكره بحاله وقاله، عارفًا أنه لو أنفق عمره كله في ذلك لكان مقصِّرًا في حقه.

أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ
وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ
لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ
سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞ ١١ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ
وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ
رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢
يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ
وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ
ٱلشَّكُورُ ١٣ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ
أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤

ربع الحزب ٤٣

• الكثرة لا تستلزم الصواب، والقلَّة ليست مظنَّة الخطأ دائمًا، فعليك بسيرة الشاكرين، ولو كانوا قليلين.

﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾

• لو كان لأحدٍ بما أُوتي من القوَّة والسلطان أن ينجوَ من الموت؛ لكان نبي الله سليمان، لكن الموت قضاء الله سبحانه وتعالى، ولا يردُّ قضاء الله أحد.

• لو كان الجنُّ يعلمون غيبَ الحاضر، ما انتظروا دابَّة الأرض أن تأكلَ عصا سليمان عليه السلام، فضلًا عن أن يعلموا غيبَ المستقبل.

• العصيان للحق، والتمرد عن طاعة الخالق وطاعة أنبيائه مستوجب للعذاب المهين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ
وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

٤٣٠

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

سَيْلَ الْعَرِمِ: السَّيلَ الجارِفَ الشَّديدَ الذي خَرَّبَ السَّدَّ وأغرَقَ البَساتِين.

ذَوَاتَيْ: صاحِبَتَي.

أُكُلٍ خَمْطٍ: ثَمرٍ مُرٍّ كَريهِ الطَّعم.

وَأَثْلٍ: وشَجَرٍ مَعرُوفٍ شَبيهٍ بالطَّرفاءِ لا ثَمَرَ له.

• مَن قارن بين حال مَن شكر أنعُمَ الله عليه، وحال مَن كفرَها، وعرَف مآلهما؛ اتَّعظ واعتبر.

• الأرض الصالحة التي لا يشكر سكّانُها ربهم عليها، بالقول والعمل الصالح لا يستحقون البقاءَ فيها.

• لولا رجاء المؤمن غفرانَ ربِّه ما طاب له في الدنيا نعيم، لكنَّ أمله بأن يتجاوزَ الله عن تقصيره ويقبلَ توبته هو ما يجعله يهنأ بما خوَّله.

• من الناس مَن يكون في رغدٍ من الحال فيُصِرُّ على الكِبْر والعصيان، ولا يعرف قدر ما هو فيه، فيُغيِّر عليه الحال، فتذهب عنه النعم، وتحِلُّ عليه النقم.

• إن قومًا بدَّلوا الشكرَ الحسن بالكفر، بدَّل الله تعالى نعمهم بعقابه الأليم، وما عاملهم إلا بما استوجبوا، ولا أطعمهم إلا ممَّا زرعوا، ولا أوقعهم إلا في الوَهْدة التي حفروا.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾

• لا يعاجل الله جلَّ جلاله مَن يخطئ طريقه، لكن يمهله عسى أن يتوبَ وينيب، فإذا ما تمادى في الكفران جازاه بما يستحقُّ.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا: قُرى الشَّام.

قُرًى ظَاهِرَةً: مُدُنًا مُتَّصِلةً يُرى بَعضُها من بَعضٍ.

وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ: وجَعَلنا السَّيرَ بينَها على مَراحِلَ مُتَقارِبة.

• هل ندرك نعمةَ الله في اتِّصال العُمران، وتتابع القرى والبلدان؛ فإنها من جملة نِعَم الله على الناس، حيث يرتفقون فيها، ويأمنون فيما بين موضع سفرهم ونهاية وجهتهم.

• إذا ألفى المسافرون الأمنَ في الليل في سفرهم، فقد أنعم الله عليهم بنعمة عظيمة؛ لأن حاجة المسافرين إلى الأمان في الليل فوق حاجتهم إليه في النهار.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

• إذا طُمست عن بصيرة الإنسان أنوارُ الشكر هام في ظلام البَطَر، حتى يوقن بأنه في غنى عن نعم ربه، وكفاية عن كرم عطائه.

• كم من الألم تراه اعترى أولئك القومَ وهم يُمزَّقون تمزيقًا، فيصبحون به مَضرِبَ مثلٍ في الفراق الذي ليس بعده وصال!

• هكذا يتبدَّد الشمل المجتمع، وتتساقط أوراق دوحةِ نعمٍ بَطِرَها أهلها وكفروها، ولم يشكروا الله تعالى عليها.

• يتعلَّم المؤمن من قصص السابقين وما فيها من الآيات الصبرَ على نعمة الله لا المللَ منها، والشكر على النعمة لا البطر فيها؛ حتى يصرفَ الله عنه البلاء، ويزيدَه بفضله من النعماء.

• النعمة تحتاج إلى صبر على شكرها، كما تحتاج النقمة إلى اصطبار على ترك الجزع منها.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

• ليحذَر المؤمن من أن يكونَ عند ظنِّ عدوِّ الله إبليسَ فيه.

• في كل أمَّة قِلَّةٌ مؤمنة تستعصي على الغواية، وتُثبت أن هنالك حقًّا ثابتًا يعرفه مَن يطلبه، ويمكن لكل مَن أراد أن يجدَه أن يستمسكَ به.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

• ما سلَّ الشيطان على أتباعه من سيف ولا ضربهم بسوط، وإنما وعدهم ومنَّاهم فاغتروا، كما قال الحسن رحمه الله تعالى.

• يحفظ الله تعالى على العبد عمله حتى يوافيه، فيجازيه به دون أن يفوت منه صغير أو كبير.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

• يتعلَّق المشرك بمعبوده ظانًّا ملكه للأسباب أو شريكًا لمالكها، أو ظهيرًا أو وزيرًا أو معاونًا، أو وجيهًا ذا حرمة وقدر، فمَن علم أن كلَّ ذلك عنه منتفٍ فعلامَ يشرك بالله ويتعلَّق بغيره؟!

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ
(٢٣) ۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ
وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (٢٤) قُل
لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٢٥) قُلۡ
يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ
(٢٦) قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٢٧) وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ
بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٢٨)
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٢٩)
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ
(٣٠) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ (٣١)

٤٣١

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ (٢٣)﴾

• لا يملك الشفاعة من أحدٍ، حتى الملائكة؛ إلا بإذن الله جلَّ جلاله، فكيف بالأصنام؟

• لكلام الله بالوحي هيبةٌ عند أهل السماء من الملائكة، وهم غير مكلَّفين به، أفلا يكون الإنسُ والجنُّ أشدَّ هيبةً لوحي الله وهم به مكلَّفون؟

• عادةً ما يشفع الناس بما لهم من أيادٍ بيضاء وأفضال سابقة، وأما العلي الكبير سبحانه فإنما يأذن بها برحمته وفضله وإحسانه.

﴿۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (٢٤)﴾

• الانطلاق في مجادلة أهل الباطل من الموضوعات المسلَّمة لديهم مفتاحٌ لمجادلتهم فيما ينكرون أو يتشككون.

• ليس بين الحقِّ والباطل طرفٌ محايد، فإمَّا أن يكونَ المرء على الحقِّ، وإمَّا أن يكونَ على الباطل، ولا طرفَ بينهما إلا الوهم.

• تخيَّر من أساليب الجدال أحسنَها حكمة، وأقربها إلى إنصاف الخصم؛ ألا ترى كيف كان التقرير بأن المشركين في ضلال مبين من غير مواجهتهم بذلك؟

﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٢٥)﴾

• لكلِّ امرئٍ أجرُ عمله، وعليه تبِعته، فرحم الله امرءًا نظر في أمره وتأمَّل ما هو فيه، فإن كان يقوده إلى الخير مضى فيه، أو إلى بَوارٍ أعرض عنه.

﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ (٢٦)﴾

• لأعمال العباد دارُ آخرة يحكم بينهم فيها أحكمُ الحاكمين، ويفصِل بين المختصمين أعدلُ العادلين.

• يجمع الله تعالى بين المحقين والمبطلين يوم القيامة، حتى يقوم الحق بدعوته، ثم يُمضي سبحانه بعد ذلك أمره بحكمته وعدله.

• يحكم الله تعالى بين عباده وهو بهم عليم لا تخفى عليه خافية، فلا يحتاج إلى شهود ولا بينات، فكل ما عملوا عنده مرقوم معلوم.

﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٢٧)﴾

• ألا يُقنع المشركين النظرُ إلى ما يعبدونه من الأصنام أنَّها غير جديرة بالاهتمام، فهي جمادات لا تضرُّ ولا تنفع، ولا تخفِض ولا ترفع.

• ما كانت الأصنام يومًا موصوفةً بالألوهيَّة، وإنما خلع أهل الأهواء عليها تلك الصفة وألحقوها بها ظلمًا وزورًا.

• كيف يُلحَقُ شريكًا مَن لا يوصف بعزة ولا غلبة ولا حكمة بالله سبحانه العزيز الحكيم؟!

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٢٨)﴾

• إرسال الله تعالى رسوله ﷺ إلى الناس كافَّة يعني أن رسالته تصلُح لهم أينما كانوا، وفي أيِّ زمان وجدوا.

• يا دُعاة الحق، إن ما تحملونه من العلم والهدى هو للناس كافَّة، فاعملوا على إبلاغه قدرَ استطاعتكم، واجتهدوا في إيصاله لكلِّ الناس يعظُم ثوابكم.

• الجهل بما جاءت به النبوة من أعظم الآفات التي عدلت بأهلها عن طريق النجاة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٢٩) قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ (٣٠)﴾

• يؤكِّد القرآن مسألة تجريد عقيدة التوحيد حين يبيِّن أن الرسول ﷺ ذو رسالة محدَّدة يؤدِّيها بأمانة، ومن الناس مَن لا يدرك وظيفة هذا الرسول الكريم ولا حدودَ رسالته.

• مهما استبعد المكذِّبون اليوم الموعود، فإنه آتيهم لا محالة في وقته المعلوم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ (٣١)﴾

• عناد المكذبين بيوم القيامة وما فيه جعلهم يجزمون عن قصد بأنهم لن ينظروا في دلائل الهدى كائنة ما كانت، فكيف سيهتدي امرؤ هذا حالُه؟!

• ما أقربَ ساعاتِ الندم والتلاوم من أولئك الذين يسارعون إلى تكذيب الحقِّ عن عمد وإصرار، ويعين بعضُهم بعضًا على ذلك!

• لا ينفع العتاب يومَ المآب بين الضالِّين من ضعفاءَ تابعين وأقوياءَ متبوعين، فالضعفاء إنما أطاعوا الكُبراء لحظوظهم منهم، والكبراء إنما غدَوا كُبراء بطاعة هؤلاء لهم.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ
عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ
تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ
هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤
وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥
قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ
عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ
ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ
يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨
قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ
وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩

٤٣٢

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢﴾

• لا قوّة في الأرض تستطيع أن تحجب الإيمان عن قلب امرئٍ قد اقتنع به وهداه الله إليه.

• من الإجرام متابعةُ المجرمين وخدمتهم، والبقاء في زمرتهم لحظوظ دنيوية وأهواء شخصيَّة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣﴾

بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ: بل تدبيرُ الشَّرِّ لنا بالليلِ والنهارِ هو الذي أهلكَنا.

ٱلنَّدَامَةَ: التَّحسُّرَ.

• الآن في القيامة عرَف المستضعفون الحقيقة، فأين كانت عقولهم الحصيفة وهم في الدنيا قبل أن يصلوا بتبعيَّتهم إلى هذا المآل المُخزي؟ أم أنهم لا عقولَ لهم؟!

• ماذا ينفع الإعلانُ بالندم قومًا قد وجب عذابهم، ولا تُقبل شفاعةُ شافعٍ لهم؟!

• مَن أذلَّ نفسه بعبادته لغير ربِّه أذلَّه الله تعالى يوم لقائه.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾

• لطالما كانت الدنيا ومُغرياتها حجابًا بين العبد وإيمانه بالله، فكم غلَّظ التهالك عليها من قلوبٍ، وأفقدها حساسيَّتها، وأفسد فِطرتها!

﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾

يَبۡسُطُ: يُوسِعُ.

وَيَقۡدِرُ: ويُضَيِّقُ.

• إذا كان أمر الضيق والسَّعة متعلقًا بحكمة الله تعالى ومشيئته التي هو أعلم بها، فإن الثواب والعقاب يرتبطان بطاعة العبد ومعصيته، فلا يقاس هذا على هذا.

• لقد جهل مَن ظنَّ بسطَ الرزق على عبدٍ لكرامته، وتضييقه عليه لهوانه، ولم يعلم أن طريق كرامة الإنسان عند الله تعالى هي صدقُ إيمانه وحسن اتِّباعه.

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾

جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ: الثَّوابُ المُضاعَفُ.

ٱلۡغُرُفَٰتِ: المَنازِلِ الرَّفيعةِ في الجَنَّةِ.

• صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)).

• انظر إلى إكرام الله لمن آمن به وعمل صالحًا من أجله؛ إنه يجزيه بالحسنات جزاء مضاعفًا، وينزله في جنته العالية منزلًا آمنًا، فما الفخر بالأموال والأولاد عند ذلك النعيم؟!

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨﴾

مُعَٰجِزِينَ: مُشاقِّينَ يَظُنُّونَ أنهم يَفُوتُوننا.

مُحۡضَرُونَ: تُحضِرُهُمُ الزَّبانيةُ إلى جَهَنَّمَ.

• لن يفلح الساعون في إبطال آيات الله تعالى مهما بالغوا في سعيهم ومكرهم إذا كان عذاب الله تعالى ينتظرهم ملازمًا لهم ومحيطًا بهم.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾

وَيَقۡدِرُ لَهُۥ: يُضَيِّقُهُ عليه.

• يا صاحبَ المال، أنفق ولا تخشَ من ذي العرش إقلالًا، فإن الرزق بيده يوسعه ويضيِّقه، ولن يُفقرَك إنفاقك في سبيله وبذلُك في مرضاته.

• لا يُبسَط الرزق لامرئٍ لذكائه وكرامته، ولا يُضيَّق عليه لغبائه وهوانه، بل ذلك يرجع إلى علم الله وحكمته؛ فكم من ذكيٍّ يعيش في أحضان الفقر، وسواه في أثواب الغنى مختال.

• المؤمن بربِّه، الموقن بوعده، المصدِّق بكلامه، لا يبخل عن الإنفاق وقد أخبره الله بأن ما أنفقه من أجله فإنه سيعوِّضه في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب.

• ما أهونَ الإنفاق على مَن يعلم أن الله تعالى يرضى عنه ما تصدق، ويخلف عليه نفقته عاجلًا أو آجلًا!

• خالق الرزق وخالق أسبابه التي ينتفع بها المرزوق هو مَن بيده رزق عباده، فاطلب الرزق منه وحده، ولا يتعلق قلبك بسواه.

• يرزق الله تعالى مَن يطيعه ومن يعصيه، ولا يَشغَله فيه أحدٌ عن أحد.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠﴾

• كم يلقى المشركون يوم القيامة من التقريع المباشِر وغير المباشِر، ليزدادوا عذابًا إلى عذابهم، وحسَرات إلى حسرتهم!

• سبحان الملك العدل الذي لا يُدخل الكافرين النار حتى يقيمَ عليهم الحجج، ويسقط عنهم الأعذار، وتشهد عليهم الشهود! وإلا فعلمه بحالهم يكفي عن سؤالهم وسؤال سواهم عنهم.

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾

• ما أحسنَ افتتاحَ جواب الملائكة بتنزيه الله تعالى عن الشريك حينما كان مضمون السؤال عمَّا يتنزَّه الله تعالى عنه!

• لو علمتَ مدى قرب الله تعالى منك وإكرامه لك، وعلمه بك وقدرته عليك؛ ما واليتَ غيره حبًّا به وخشيةً منه.

• لا يبغي الشياطين لبني آدمَ إلا الغوائل، ولا يريدون لهم إلا شرَّ العواقب، فقد دعَوهم إلى الإشراك بالله تعالى الذي هو أعظم الظلم.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢﴾

• لقد خاب عَبَدة الأصنام دنيا وأخرى، فلم تنفعهم بمنفعة، ولم تدفع عنهم مضرَّة، ولم تُفِدهم بشفاعة، ولا أنجدتهم بنصرة.

• في جهنَّم ألوانٌ من العذاب النفسيِّ الشديد، فأهل النار يُبكَّتون ويُوبَّخون، ويعذَّبون بالنار التي كانوا بها يكذِّبون.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٤٣﴾

• حين تُحاط القلوب بظلام التكذيب المُطبِق لا يمكن لأنوار التصديق أن تهتِكَ حجُبَ ذلك الظلام، ولو كانت براهينُ التصديق واضحة، وآياته بيِّنة؛ إلا أن يشاء الله تعالى.

• عصبيَّات الأبناء للآباء من أقوى دوافع الأقوام التي تجعلهم يحرصون على مواريثهم من العادات والمعتقدات والروابط القوميَّة، ولو لم تكن لها قيَمٌ حقيقيَّة تجعل المحافظةَ عليها أمرًا حسنًا.

• أيُّ قوم أولئك الذين يأتيهم الحقُّ فيسارع رأيهم إلى الحكم الجازم عليه بالسحر البيِّن ليردُّوه، ولم يفكروا فيه أو ينظروا في أدلَّته حتى يرفضوه أو يقبلوه؟!

﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤﴾

• عجبًا لجاهل يهرِف بما لا يعرف، ويُقدِم على القطع في المسائل العلميَّة ولا يُحجِم؛ فالمشركون لم يأتهم قبل القرآن كتاب، ومع ذلك يقطعون بأن ما جاءهم به محمَّد ليس كتابًا ولا وحيًا من عند الله!

• لا تحكم على صحَّة شيء أو بطلانه حتى تدرسَه، ومن ثَم تحقُّه أو تبطله.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾

• لا تمنع قوَّةُ المتأخِّرين المسرفين ولا كثرة أموالهم عقابَ الله تعالى لهم، أوَلم يكن لهم مُعتبَر بإهلاك الله لمَن كان قبلهم أشدَّ منهم قوَّة وبطشًا؟!

﴿۞قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾

بِوَٰحِدَةٍ: بخصلةٍ واحدةٍ.

• مَن أراد الوصول إلى الحقِّ فليخلص له النيَّة، وليَصدُق فيه القصد، وليجتنِّب الهوى وحظَّ النفس والشيطان، فإن فعل ذلك فاز بالهدى.

• لو جُليت مرآةُ الفكر من غبار التقليد والكبر لاتضحت عليها صورة الحقيقة، فشهدت لمن تفكر بأن محمدًا أصدق البشر وأعقلهم، وآمنهم وأنصحهم.

الجُزۡءُ الثَّانِي وَالعِشۡرُونَ — سُورَةُ سَبَإٍ

وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ
يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ
يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ
بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ
قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ
وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٤٣ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ
يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ
رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥ ۞قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن
تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن
جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦ قُلۡ
مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٤٨

الحزب ٤٤

٤٣٣

• لا تبادر إلى الحكم على الأشياء بحكم الجمِّ الغفير، بل زنها بميزان التفكير، فتخرجَ برأي قد محَّضه العقل، وأحكمته الرويَّة، فتعتنقه عن قناعة لا تهزُّها رياح العواطف أو المواقف.

﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧﴾

• يا مَن تعمل بما كلَّفك الله إيَّاه، اصبر حتى تنال أجرك ممَّن تعمل له، دون أن تنتظرَ من الناس شيئًا، فالعاقل لا يدَع عظيم فضل الربِّ ابتغاء ما بيد العباد.

• إن الله تعالى شاهدٌ بما عليه رسوله من الحقِّ، وما عليه المشركون من الباطل، وسيؤيِّد نبيَّه الكريم بالغلبة والنصر، وسيُلحق بأعدائه الهزيمة والقهر.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٤٨﴾

• لا يقف للحقِّ الذي يقذف به علَّامُ الغيوب أحد؛ فإنه يقذف به عن علم، ويوجِّهه على علم، ولا يخفى عليه هدف، ولا يعترضه معترِض.

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِيٓ
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ
يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

٤٣٤

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾

- منذ أن جاء القرآن استقرَّ منهج الحق، ولم يعُد للباطل أمامه إلا منازعة ومماحلة، فإن غلب الباطل أحيانًا فتلك ليست غلبةً على الحقِّ، بل هي غلبةٌ على المنتمين إليه، ولا تلبث أن تزول.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

- يعلِّمنا القرآن الردَّ بالرفق والنزاهة والحكمة، وتركَ ردِّ الشتيمة بمثلها.
- كلُّ ما هو وَبالٌ على النفس وضارٌّ بها فهو بسببها ومنها؛ لأنها الأمّارة بالسوء، وكلُّ ما هو لها ممَّا ينفعها فبهداية ربِّها وتوفيقه إيَّاها.
- إذا كان هديُ المصطفى ﷺ إنما يحصُل بالوحي فما حجَّة مَن يرجو الهداية بالآراء المختلفة والأقوال المضطربة؟
- إن الله تعالى سميعٌ ما يقول عباده من الحقِّ والباطل، قريبٌ منهم، لا يخفى عنه من أقوالهم وأعمالهم شيء، وعلى ذلك يجازيهم عن علم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾

- أين يفرُّ المكذِّبون بالحقِّ حين يؤمَر بهم إلى الآخرة، فأيُّ ملجأ يعصِمهم أو حصنٍ عن أخذة الله يمنعهم؟
- حيثما كان الكافرون فهم في مكان قريب من الله تعالى لا يفوتونه؛ فالأرض أرضُه والسماء سماؤه، وكلُّ ما حولهم هو ملكه وسلطانه.

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

- الدنيا دار الابتلاء بالعمل، والآخرة دار الجزاء على ذلك العمل، فمن آتاه الله الحكمة استعد في دنياه بعمل ينجيه في أخراه.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾

وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ: يرمُونَ بِالظُّنونِ الكاذِبة.

- لن ينتفعوا بالإيمان وقت الفوات، وقد كان ينفعهم لو قدَّموه قبل الممات.
- يا حسرةَ أولئك الذين رمَوا بالتُّهَم صاحبَ الرسالة الذي حذَّرهم النار حتى عاينوها، وعلموا أنهم مُواقعوها.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

- من أعظم العذاب أن يُحالَ بين الإنسان والتوبة في وقت هو أحوجُ ما يكون إليها، فقدِّم لنفسك توبةً وأنت مستطيع، قبل أن يأتيَ زمنٌ لا يُقبل فيه من تائب توبة.
- إذا جاء الموت وطُويت صحائفُ الأعمال، ووجِد عِظَمُ ثواب الحسنات، وعقاب السيِّئات، سيتمنَّى المرء لو رجَع إلى الدنيا ليعمل خيرًا مهما قلَّ.
- لو يعلم مَن يقتدون بأسلافهم في الضلال ندمَ أولئك السالفين على سوء اختيارهم، واعوجاج سبيلهم، ومغبة انحرافهم؛ لعدلوا عن طريقهم إلى صراط الله المستقيم.
- ما أسوأَ العواقبِ التي يوصل إليها الشكُّ والارتياب!

سُورَةُ فَاطِرٍ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

- الثناء الكامل على الله المنعم على عباده بنعمه الظاهرة والباطنة، حيث خلق السماواتِ والأرضَ فسخَّر ما فيهما لمصالحهم، وأرسل الملائكة بالوحي لهدايتهم وإرشادهم.
- سبحان الخالق القادر الذي يخلُق فيَزيد في خلقه ما يشاء صفةً أو قدرًا! وليس لمشيئته سبحانه انحصارٌ ولا توقيت.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

- لتسكن نفسُك وليطمئنَّ قلبك، فإن الأمر كلَّه بيد ربِّك، فمتى شاء أن يرحمك فلن يقدرَ أحدٌ أن يمسكَ عنك رحمتَه.
- تعلَّق بالله في رغَبك ورهَبك وأمانيِّك وتحقيق مطالبك، ودع الخلق، فليس لهم من الأمر شيء.
- سبحان مَن يفتح للناس رحمته أو يمسكها حسب عزته وحكمته، فإن رحم أو أمسك فعن حكمة فعل، ولا أحد يغالبه في اختياره الذي اختاره عز وجل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾

- الزم تذكُّر نِعمَ ربِّك عليك في جَنانك ولسانك، فلا مُوجدَ لك إلا الله، ولا رازقَ لك سواه، فلا تَصرِف قلبك في رزقك لمخلوق مثلك.
- لو أنصف المشرك وعقَل لعلمَ أن مَن خلقه ورزقه هو أولى بعبادته من غيره، فكيف ينصرف عنه إلى سواه؟!

الجُزْءُ الثَّانِي وَالعِشْرُونَ — سُورَةُ فَاطِرٍ

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ
ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ
إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

٤٣٥

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

• أيها الداعية، إن لم تُقابَل دعوتُك بالقَبول وقد بذلت ما تستطيع من أساليب النجاح فلا تحزن، فقد رُدَّت دعوة رسُلٍ مؤيَّدين بالمعجزات البيِّنات!

• في مآل الأمور إلى الله تعالى سَلوى لكلِّ داعٍ صادق لم تُقبل دعوته، فعند الله يُجزى العباد؛ الداعي ومَن صدَّقه ومَن كذَّبه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾

• أيها العاقل، إذا كان وعدُ الله بالبعث والحساب حقًّا فتهيَّأ له، وبادر وقتك الشريفَ بالعمل الصالح، ولا يقطعنَّك عنه قاطع، فإنه لا يليق بذي لبِّ الانشغالُ بالفاني عن الباقي.

• قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنّى تأتيه).

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾

• مَن أخبر الله تعالى بأنه عدوٌّ، والواجب معاداته، فأي عاقل يوالي ذلك العدو ويطيعه بعد هذا؟!

• سلوك طريق الضلال الذي ينتهي بأهله إلى نار موقَدة هي غايةُ الشيطان من دعوة الإنسان، فليحذر الإنسان الاستجابةَ لدعوة عدوِّه.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

• كن من أهل الإيمان الصادق، والعمل الصالح الخالص، وأبشر بمغفرة ربِّك وأجره الكبير لك.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ: فلا تُهلكها.

حَسَرَٰتٍ: حُزنًا على كُفرِ هؤلاءِ الضَّالِّين.

• شقيّ مَن يعمل السوءَ عن عَمدٍ ويعلم أن فعله سوء، وأشقى منه مَن يرى سيِّئاته حسنات، ومعاصيَه قرُبات.

• يحبُّ الله تعالى لرسوله الكريم انشراحَ الصدر، وراحة النفس من الأحزان، فينهاه عن التحسُّر على مَن دعاهم إلى الحقِّ فأعرضوا عنه.

• لا تحزن على مَن بلغه الحقُّ فعاداه وحاربه حتى انتهى مآله إلى العقوبة، فإن الله تعالى عليمٌ بعمله، بصيرٌ بحاله، حين صارت عاقبته إلى ذلك المصير.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾

فَتُثِيرُ: فتحرِّكُ.

• يقرِّب الله تعالى لخلقه صورةَ إحيائه الموتى بصور حسيَّة؛ رجاءَ أن يؤمنوا ولا يكذِّبوا؛ رحمةً منه بهم وهو الغنيُّ عن إيمانهم تبارك وتعالى.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

• العزُّ المحمود مصدره الله المعبود، فمَن أراد الوصول إليه فليطع الله كما يحب.

• مَن اعتزَّ بالمخلوق أذلَّه الله، ومن اعتزَّ بالخالق أعزَّه الله، فاطلب عزَّتك من ربِّك تعِش عزيزًا.

• على مِعراج القَبول إلى الربِّ الكريم يصعد كلُّ ما طاب من القول والعمل، فاجمع بينهما ترقَ بهما لدى ربِّك، وطيِّب ما ترسله إليه.

• المكر السيِّئ قولًا وعملًا ليس سبيلًا إلى العزَّة، ولو حقق القوَّة الطاغية الباغية في بعض الأحيان، فإن نهايته إلى البَوار، وإلى العذاب الشديد.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾

مُّعَمَّرٍ: طويلِ العُمُر.

• سبحان مَن يخلُق من الشيء اليسير الخلقَ الكبير، فمن ترابٍ كان أصل الإنسان، ومن نطفةٍ جاء هذا المخلوق بعد ذلك في كلِّ زمان.

• الزواج هو السبيل النقيُّ الذي جعله الله تعالى كفيلًا باستمرار النوع الإنساني.

• توقَّف قليلًا، واسرح بخيالك وتفكَّر كم من أنثى من آدميٍّ أو جانٍّ أو حيَوان في هذه الحال تحمل، وأخرى تضع، وثالثة تُجهض! كل هذا مغمورٌ في سَعة علم الله تعالى.

• قال عطاءٌ الخُراسانيُّ: (لا يذهب من عمُرِ إنسانٍ يومٌ ولا شهرٌ ولا ساعة إلا ذلك مكتوبٌ محفوظ معلوم).

• مَن كان كلُّ شيء عليه يسيرًا فهو المستحقُّ أن يكونَ هو المعبودَ حقًّا لا غيره.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

الحزب ٤٤

٤٣٦

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

فُرَاتٌ: شَدِيدُ العُذُوبة.

سَآئِغٌ: سَهلٌ مُرُورُه في الحلق.

أُجَاجٌ: شَدِيدُ المُلوحة.

لَحْمًا طَرِيًّا: هُوَ السَّمَك.

مَوَاخِرَ: تَشُقُّ المِياهَ.

• من رحمة الله تعالى بعباده أن خلق في النهر صفة العذوبة التي تناسب تحقق بعض مصالح الإنسان بها، وخلق في البحر الملوحة التي ينتفع بوجودها فيه في منافع أخرى.

• يا بنَ آدم، انظر إلى عظم نعمة الله عليك بالسفن التي تقطع مياه البحار، ويحفظها الله تعالى حتى تصلَ بها إلى مصالحك وحاجاتك.

• الموفَّق مَن انتفع بما في الأنهار والبحار من المنافع، فشكر ربه عليها، واستعملها في مرضاته.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾

قِطْمِيرٍ: هي القِشرةُ الرَّقِيقةُ البَيضاءُ على النَّواةِ.

• مَن أنعم بتسخير تلك الأجرام العظيمة حريٌّ بأن يُشكر فيُعبد وحده كما أبدع وحده.

• العبد له في كل نَفَس ولحظة وطرفة عينٍ عدة حوائج، فليرفعها إلى الرب الذي له الملك كله، وما سوى الله فهو مملوك لا مالك، ومرزوق لا رازق.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

• أيُّ عقل لدى عابد الصنم يوم يدعوه فلا يستجيب له، ويستغيث به فلا يغيثه، ويسأله منه حاجته فلا يعطيه؟!

• الأصنام بلاء على عابديها في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يصنعونها ويحمونها ويقرِّبون لها القرابين، وفي الآخرة تكون لهم أعداء وخصومًا وتتبرأ منهم.

• لن تجد خبرًا أصدق من خبر الله، ولا أعلم في حديثه عن المعبودات الباطلة وعواقب عابديها في الدنيا والآخرة.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

• أيها الإنسان، أنت فقير إلى ربك مهما أوتيت من أسباب القوة، فافتقر إليه وتوكل عليه، وأقبل على عبادته، وتذلل بين يديه دون غيره.

• حاجة العبد إلى ربه حاجة لِذاتِه، لا لعلةٍ أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب تعالى لذاته لا لأمرٍ أوجب غناه سبحانه.

• إن الله تعالى هو الغنيُّ المحمود في غناه، وكم من غنيٍّ سواه لا يحمد في نعمة الغنى، بل يذمُّ لسوء تصرُّفه فيه.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾

• إذا لم يؤدِّ الناسُ واجب الشكر لله، ولم يقوموا على الوظيفة التي خُلقوا لها، لم يكونوا أهلًا ليَشغَلوا هذا المكان، ويخشى أن يُستبدل بهم غيرهم، ممن يعرف الحق الذي عليه ويقوم به.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾

• الحاذر من فعلِ ما هدَّد الله تعالى به هو امرؤٌ عاقل؛ لعلمه بأن الله عزَّ وجل إذا أراد شيئًا كان، ولا يقف أمام إرادته شيء.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

وَازِرَةٌ: نَفسٌ مُذنِبةٌ.

• إن الله تعالى عادل في حكمه، فلا يؤاخذ عبدًا بجريرة غيره ما لم تكن له يد فيها، فاطمئن على نفسك فإنك لا تحاسب إلا عليها.

• قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (يلقى الأب والأمُّ ابنه فيقول: يا بنيَّ؛ احمل عنِّي بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع حمل شيء؛ حسبي ما علي).

• لا تظنَّ اليوم أن أحدًا سيحمل عنك ذنبك غدًا، ولو كان أقربَ قريب لك، فتخفَّف منه اليوم بالتوبة قبل أن تلقى الله بالندامة يوم القيامة.

• ما أحسنَ خشيةَ الله وإقامةَ الصلاة في الانتفاع بالنِّذارة والموعظة! فمَن كان أكثرَ خشيةً وأحسن صلاةً صار أكثر انتفاعًا بالذكرى.

• إذا تطهَّرت من المعاصي، ونقَّيت باطنك وظاهرك من المساخط، فإن عائدة ذلك النقاء على نفسك، فاحرِص على ذلك فأنت الرابح.

• من تفكر بأن مصيره إلى ربِّه الذي سيحاسبه على عمله انتفع بالنِّذارة، وطهَّر نفسه من الذنوب حتى يوافيَ مولاه على أحسن حال.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا
ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي
ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ
جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ
إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

٤٣٧

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾

• شتَّان بين أعمى عن الحقِّ الذي ودَعَه، وبصيرٍ أبصرَ طريقَ الصواب فاتَّبعه.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾

• إن للإيمان نورًا في القلب والجوارح، يكشف حقائقَ الأشياء والأحداث، كما للكفر ظلامٌ يجعل صاحبَه يتخبَّط في طريقه، ويتعثَّر في خطواته.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾

• لا يستوي مَن يعيش في ظلٍّ يقيه من حرِّ الشبُهات والضلال والبدع والشرك، ومَن تهُبُّ عليه رياحُ الضلال والشرِّ من كلِّ نواحيه.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾

• كيف يستوي مؤمنٌ حيُّ الفكر والقلب والوِجدان، وكافرٌ ميت الفكر والفؤاد وسائرِ الأركان؟

• إن المعرضين عن الحقِّ، المعاندين لدعوته، إن كانوا أحياءَ الأبدان، فإن قلوبهم فيها ميتةٌ لا حياة فيها، فكيف يصل صوتُ الحقِّ إلى مَن قد مات؟!

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

• قلوب الخلق بيد الخالق، فلن يستطيعَ منذرٌ هدايةَ ما ضلَّ منها، وإنما عليه أن يُسمعَها الحقَّ فقط.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

• إن الحقَّ أمر عظيم، مَن حمله كان جزاؤه أن يبشَّر، ومَن تركه كان جزاؤه أن ينذَر، فلذلك كان التبشير والإنذار في حقيقته جزاءً.

• اقتضت رحمة الله تعالى بعباده ألا تخلوَ أمَّة منهم من نذير يحذِّرها عاقبة كفرها وضلالها.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾

• ما أعظمَ مقامَ رسول الله ﷺ عند ربِّه، وهو يبعد الغمَّ عنه! فإنه يُسلِّيه حين أعرض عن دعوته معرضون، بأن مَن قبله من الرسُل قد جرى لهم مثلُ ذلك.

• سبحان مَن قلوبُ العباد بيده! فقد جاءت لأقوامٍ معجزاتٌ ماديَّة محسوسة، وآيات وبراهينُ عقليَّة مقنعة، ومع ذلك لم يؤمن أكثرهم!

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

• من رحمة الله تعالى بعباده أنه يذكِّرهم بما أحلَّه بأهل نقمته؛ حتى يحذرَ من سلوك طريقهم الذي يؤول بسالكه إلى مآلهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

• فيما خلق الله تعالى من الأشياء المتنوِّعة التي أصلها واحدٌ ومادَّتها واحدة وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهَدٌ معروف، وهذا ممَّا يدلُّ العباد على كمال قدرة الله وبديع حكمته.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

• خلق الله الناسَ من شيء واحد، وفاوت بينهم في ألوانهم وصفاتهم، وطباعهم وميولهم، فلا يتَّفق شخصٌ مع شخص في كلِّ شيء منذ أوَّل مخلوق إلى آخر مخلوق، فسبحان الخالق العظيم!

• إنما العلم الخَشية، فإذا لم يَقُد العلمُ صاحبه إلى خشية الله، فيتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته، فلا خير في ذلك العلم.

• مَن أيقن بأن الله تعالى بعزته يعاقب مَن عصاه ويقهره، وبمغفرته يثيبه ويأجُره، دعاه ذلك إلى خشيته وحسن عبادته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾

• محافظة المرء على تلاوة القرآن، وتتابع قراءته له، تثمر ثناء الله تعالى على صاحبه.

• إن التجارة الرابحة أن يداومَ المسلم على تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة التي يظهر أثرُها في القلب والجوارح، وإنفاق المال فيما يحب الله تعالى في السرِّ والعلانية.

• مَن أراد الخير من ربِّه فليُخلص له عمله ويوجِّه إليه قصده في قراءته وصلاته وإنفاقه وسائر أعماله الصالحة، فذلك الذي يبيع لله، فما أعظمَ ربحَه!

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

• حين يوفِّي الله عبده ثوابَ عمله كاملًا غير منقوص، ويضاعف له الحسنات من فضله غير مبخوس، فإن ذلك خيرٌ عظيم من الربِّ الكريم.

• انظر إلى معاملة الله لأهل طاعته الذين عملوا من أجله، فإنه يغفر لهم تقصيرهم في حقه، ويشكر لهم عملهم الذي قصدوه به.

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم
مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ
فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾
وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ
عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ
أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ
فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ
غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

٤٣٨

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾﴾

• القرآن الكريم هو الحقُّ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه.

• إن هذا القرآن مصدِّقٌ لما في الكتب السابقة من الحقّ، وموافقٌ لها فيما جاءت به من عند الله، فمَن كان مؤمنًا بتلك الكتب حقًّا فيلزمه الإيمانُ بهذا الكتاب العظيم.

• إن القرآن الكريم هو الحقُّ، وما فيه هو الحق؛ لأنه نزل من عند الله الخبير بعباده، العليم بمصالحهم.

﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

• اصطفاء هذه الأمّة إكرامٌ من الله تعالى لها، وهو في الوقت نفسه حثٌّ لها على تحمُّل مسؤوليّة اصطفائها، فهو تشريفٌ يتبعه تكليف.

• لا ييئسُ الظالم لنفسه من رحمة ربِّه ما دام معه أصلُ الإيمان، فإن الاصطفاء يَشمَله، فليحرِص على ترك ظلمه حتى يعلوَ حظُّه في درجات الاصطفاء العليا.

• السابق بالخيرات همُّه في تحصيل الأرباح الأخروية، وشدِّ أحمال التجارات العليا، فليس هو المقصِّرَ في الزاد ولا المقتصدَ فيه، بل يرى خسرانًا أن يدَّخر شيئًا ممَّا بيده ولا يتَّجر به فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجاراتهم.

• لا يغترَّ سابقٌ بنفسه أنه سبق، فما بلغ إلا بتوفيق الله ومعونته، فليشكر الله الذي أنعم عليه.

• إن الفضل الكبير ليس بالمال الكثير، ولا بالجاه الخطير، ولكن بكون الإنسان ممَّن اصطفاه الله، وقام بكتابه حقَّ قيام.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾﴾

• يا من يكُدُّ ليله ونهاره لدار الدنيا التي سينتقل عنها؛ اعمل لدار الجنَّة التي متى دخلتها خلدتَ فيها.

• ما أحسنَ أهلَ الجنَّة وهم في سعادتهم يَرفُلون بحِلية الذهب واللؤلؤ وثياب الحرير! فقد تجمَّلت ظواهرهم بالجواهر، وتزيَّنت بواطنهم بالاطمئنان والرضا عن ربِّهم الكريم.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾

• لا تكتمل راحةُ المؤمن إلا بمفارقة الدنيا، ولا يَخلع عنه لباسَ الحزن والنَّصَب إلا بخلعها، فيا مَن يحاول في الدنيا أن يعرى من كلِّ حزن، لقد طلبت ما لا تُعطى.

• ما دخلَ أهل الجنَّة الجنَّة، ولا ذهب عنهم الحزن إلا بمغفرة الله وشكره، فبمغفرته غفر لهم الزلَّات، وبشكره قبِل منهم الحسنات.

﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾﴾

• الدنيا دار النُّقلة، والجنَّة دار المقامة لمَن عمل لها، فيا مَن يبني دارًا ينصَب فيها ثم يرتحل عنها، ألا تبني دارَ سرور تخلُد فيها؟

• إن أعمال العبد مهما بلغت من الصلاح والإخلاص فلن تكونَ وحدها كفيلةً بدخوله الجنَّة، بل يدخلها مع ذلك بفضل الله ورحمته.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾﴾

• ما أعظمَ هولَ الموقف، وأخوَفه من مصير! حين يبقى المعذَّب في عذابه، لا يموت فيسكن، ولا يخفَّف عنه فيستريح، نسأل الله السلامة من سخطه وعقابه.

• لا يؤمِّل الكافر أن له في الآخرة جزاءً دون هذا الجزاء الأليم الذي لا يفكر فيه عاقلٌ إلا وتجنَّب سبل الوصول إليه.

﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

• ماذا ينفع الصراخُ والاستغاثة في دار الندامة، وأهلهما كانوا في غفلة عمَّا ينتظرهم يوم القيامة؟!

• مَن لم يُورِّثه التعمير وطول البقاء إصلاحَ معائبه واغتنامَ بقية أنفاسه، فيعمل على حياة قلبه وحصول النعيم المقيم؛ فلا خير له في حياته.

• لديك عُمرٌ واحد فقط، فاستغله بما يسعدك في دار المقامة، قبل الصراخ والندامة، فها أنت قد جاءك المذكِّر والنذير قبل أن تستنصر ولا تجد النصير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾

• أعمال العباد التي آلت ببعضهم إلى الجنَّة، وبآخرين إلى النار، بُنيت على سَعة علمه واطِّلاعه على غيب السماوات والأرض، وخُبره بذات الصدور، وذلك غائبٌ عن أبصار الخلق وعلمهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩﴾

خَلَٰٓئِفَ: يَخلُف بعضُكم بَعضًا في الأرض.

مَقۡتٗا: بُغضًا وغَضَبًا.

• هذه الحياة يدبِّرها الله، أعمارها وآجالها بيده، فيخلق لها أجيالًا متتابعة، يخلُف بعضُها بعضًا إلى أن ينتهيَ كلُّ خلق في الأرض ويزول، ولا يبقى إلا الحيُّ القيُّوم.

• مَن تأمَّل في مسيرة الحياة بالأحياء؛ أرحامٌ تدفع وأرض تبلع، وأمَّة تعقُب أمَّة؛ أيقن أن الحياة الدنيا إلى فناء، فليس لأحد فيها بقاء، فالمغرور مَن انخدع بها، ونسي ما بعدها.

• اعلم أيها الإنسانُ أن وِزرَ معصيتك على نفسك لا على غيرها، فارحم نفسَك اليوم بالطاعة، قبل أن تعذِّبَها غدًا نتيجةُ المعصية.

• كلَّما استمرَّ المرء على انحرافٍ وضلالةٍ، ازداد عند الله بغضًا وخسارة، بخلاف المؤمن الذي كلَّما ازداد طاعةً وعمرًا، ازداد عند الله حبًّا وأجرًا.

• لو لم يكن الكفر مستوجبًا لشيء سوى مَقْت الله تعالى لكفى ذلك في قبحه، ولو لم يستوجب شيئًا سوى الخسار لكفى ذلك في البعد عنه والحذر منه.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠﴾

أَرَءَيۡتُمۡ: أخبِروني.

بَيِّنَتٖ مِّنۡهُ: حُجَّةٍ منه.

غُرُورًا: خِداعًا وباطلًا.

• إذا كان المشركون مقرِّين بأن معبوداتهم الباطلةَ لم تخلُق شيئًا ممَّا في الأرض، وليس لها مشاركةٌ في خلق السماء؛ فلماذا يَدعُونها من دون الله ويعبدونها ويذَرون مَن خلق ما في الأرض جميعًا؟!

• البيِّنات والحُجَج المسطورة عمدةٌ في إحقاق الحقِّ وإبطال الباطل، وأعظمها حُجَج الوحي القطعيَّة.

• أهل الباطل يثبِّت بعضهم بعضًا على باطلهم بعظمة قوَّتهم وانتصار منهجهم وحسن عاقبتهم، ولكنَّ ذلك خداع إعلاميٌّ، وسراب يتبيَّن في نهاية الأمر أنهم كانوا به مغرورين مخدوعين.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾

• لا قوَّة للخلق يمكنها إمساكُ السماوات والأرض ولا إزالتهما، فمَن خلقهما هو القادر وحدَه على إمساكهما وإزالتهما متى شاء سبحانه.

• سبحان مَن جمع إلى قوَّته وقدرته عظيمَ حِلمه ومغفرته، فمَن خلق السماوات والأرض وأمسكهما هو الحليم في تأخير عقوبة العصاة من عباده، الغفور لمَن تاب من ذنبه ورجع منهم إليه.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢﴾

• لا تجعل أقوالَ الألسنة وأيمانها دائمًا هي التعبيرَ الصادق عمَّا في الضمير حتى تأتيَ الأعمال فتختبرَها بها، فعند ذلك يتبيَّن صادق القول من كاذبه.

﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾

يَحِيقُ: يُحيط وينزل.

• سنَّة جارية، وقانون حياتيٌّ مطَّرد، مهما طال الأمد؛ أن مكر الماكر يعود عليه بالنَّكال والوَبال، فليحذَر العاقل سلوك هذا الطريق المَخُوف.



هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا
يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ
كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ
نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ
مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ
وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا
٤٣ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤

ربع الحزب ٤٤

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾

• السير في الأرض بعينٍ مفتوحة وقلبٍ يقظ، والوقوف على مَصارع الغابرين، وتأمُّل ما كانوا فيه وما صاروا إليه، يكسو القلبَ بالاعتبار والاتِّعاظ.

• يا مَن ينظر إلى أعداء الدين بعين الاستعظام وإلى الإسلام بعين الاسترحام فيذوب خنوعًا وخضوعًا؛ أعِدِ النظر واقرأ القرآن وأجِل بصرَك في تاريخ الأمم، لتعلم أن قوَّة الله لا تقف أمامها أيُّ قوَّة.

• قوَّة الله عزَّ وجلَّ لا يغلبها شيءٌ ولا يُعجزها، فقد أخذ الله بقوَّته الغابرين، وهو قادرٌ على أخذ الآخرين كالأوَّلين.

• كمُلَت قدرة الله تعالى وعلمه، فما أعجزَه شيء ولا خفيَ عنه، فأين المَهرَب لمن عصاه وهذه قدرته وعلمه؟!

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا
مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا
جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى
الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا
وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

٤٤٠

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

• لا يحسبنَّ الظالم أن تأخير عقوبته إقرارٌ له ورضا بفعله، أو عجزٌ عن مؤاخذته، ولكنه حِلمٌ من الله ينتهي إلى الأجل المعلوم الذي قدَّره سبحانه.

• هناك زمنٌ ينتظر العاصي لمؤاخذته على معصيته، فليسارع إلى التوبة والإنابة قبل مجيئه إليه.

• مَن علم أن الله به بصير، وسيحاسبه في عمله على الكبير والصغير؛ حريٌّ به أن يصلحَ عمله قبل حسابه، ويستعدَّ بالتوبة قبل رجوعه إلى ربِّه.

سُورَةُ يسٓ

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾

يسٓ: من الحروف المُقطَّعة، والمرادُ منها بيان أن القرآنَ مُكوَّنٌ من هذه الحروف، ومع هذا فهو مُعجِزٌ، وليس «يس» اسمًا للنبيِّ ﷺ.

• إنه لقسَمٌ لو تعلمون عظيم، إنه لقرآنٌ حكيم، قد أحكم الله آياته نظمًا ومعنى، فلا تشوبه شائبةُ نقص أو خلَل، ولا قصور أو خطَل.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾

• لو لم يكن لرسالة النبيِّ ﷺ دليلٌ ولا شاهدٌ إلا هذا القرآن، لكفى به دليلًا وشاهدًا على صدق الرسالة والرسول.

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾

• كتاب الله الحكيم دليلٌ على الصِّراط القويم، فما قبس المرء من ضيائه إلا وجد الاستقامة في عِبَره ومواعظه، وفي حِكَمه وأحكامه.

• طبيعة شريعة الإسلام السدادُ والاستقامة، فلا عِوَج فيها ولا انحناء، ولا انحراف ولا التواء، الحقُّ فيها واضحٌ وضوح الشمس في كبِد السماء.

﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾

• أنزل الله القرآن رحمةً للعالمين، وبلاغًا إلى الحقِّ المبين، وحماه بعزَّته من التغيير، ومن كلِّ عبثٍ أو تبديل.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾﴾

• كثيرًا ما تحتاج القلوب المستغرقة في الغفلة إلى هزَّة توقظها من سُباتها، وليس كالنذُر موقظٌ لها، ومن هنا كان نبيُّنا ﷺ مبشِّرًا ونذيرا.

• على الدعاة أن يتنبَّهوا في دعوتهم إلى سلوك سبيل الإنذار والتحذير، مع التبشير لا التنفير، فإنَّ النفوس إذا طال عليها الأمد نسيَت.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾

فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا: جُمِعَت أيديهم إلى أعناقِهم؛ تمثيلٌ لِشِدَّةِ إعراضِهم.

مُقْمَحُونَ: رافِعُون رُؤُوسَهم، لا يستطيعُون خَفضَها.

• أطلق الله أرجُلَ عباده وأيديَهم ليمضوا في وجوه الخير والطاعات، فما بالُ أقوام يأبون إلا أن يقيِّدوا أنفسَهم بأغلال المعاصي والسيِّئات؟!

• الذين أعرضوا عن الحقِّ وردُّوه مغلولون عن كلِّ خير، لا يبصرون الحقَّ ولا يهتدون إليه.

﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾

• صورة مَقيتة لمآل العاكفين على الآثام، المستخفِّين بالذنوب العِظام؛ أن يُعميَ الله أبصارهم عن الحقِّ، وأن تُسَدَّ في وجوههم كلُّ طرق الهداية والنجاة.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

• لا تزال النفوس تُقبل على الشبُهات، وتغرَق في مستنقع الشهَوات، حتى تُحجَبَ عن الاتِّعاظ، فلا يُجدي معها إنذار، ولا يؤثِّر فيها إنكار.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾

• مَن أقفل مغاليقَ قلبه دون اتِّباع الذِّكر، ولم يخشَ الله في الغيب، لم ينتفع بإنذارٍ أبدًا، وكان كالأصمِّ الأعمى لا يهتدي سبيلًا.

• ليست خشيةُ الله دعوى بالألسنة، ولكنَّها واقعٌ يصدِّقه اجتنابُ الذنوب في حال الغيبة كاجتنابها في حال الشهادة.

• العاقل حقًّا لا يزيده يقينه برحمة الله الرحمن إلا خشيةً لعظمته، واستقامةً على شريعته.

• خشية الله بالغيب، واتِّباع ما أنزل سبحانه، أمران متلازمان في القلب، فما حلَّت الخشية فيه إلا تبِعها العمل.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

• تفقَّد آثارك بعد موتِك، وأبقِ في صحيفتك ما يشفع لك بين يدَي ربِّك، فما أبعدَ البَون بين ظالمٍ وعادل، وبين داعيةٍ إلى بدعةٍ وآخر إلى سنَّة!

الجُزْءُ الثَّانِي وَالعِشْرُونَ — سُورَةُ يسٓ

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟
إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟
رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ
وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن
ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ
رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟
مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ
ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً
إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

٤٤١

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

• ضربُ الأمثال للاعتبار بمصير السابقين الغابرين سُنَّةٌ قرآنية؛ ما أحرى الدعاةَ أن يولوها من اهتمامهم في نصحهم ومواعظهم!

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

• المؤمن ضعيفٌ بنفسه قويٌّ بإخوانه، فكما يتعاضد أهل الباطل في نصرة باطلهم كان لزامًا على أهل الحقِّ أن يتعاضدوا في نصرة حقِّهم.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾

• حياة الرسول البشريِّ هي النموذج الواقعيُّ للحياة وَفق المنهج الذي ارتضاه الله لعباده، ليكونَ خيرَ قدوةٍ لهم، فهل يُعقل أن يكونَ الرسول من غير البشر؟!

• يا لَجراءة أهل الباطل، ويا لَدعاواهم العريضة! ليتهم سكتوا إذ لم يعلموا، ولكنَّهم تمادَوا في الضلال تكذيبًا للرسول ولما أُرسل به.

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

• الصبر سلاح الداعية الناجع، فمهما قوبلت دعوته بألوان الإعراض والتكذيب، فإنَّ ذلك لا يفُلُّ له عزمًا ولا يُضعف له همَّة.

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

• يقينُ الداعية أنه مطالبٌ بالدعوة والتبليغ دون النظر إلى النتائج يورثه الطُّمأنينة ويجنِّبه الإحباط، ويحثُّه على دوام العمل والدأب.

• الدعاة الصادقون لا همَّ لهم سوى هداية الناس إلى الصراط القويم، لا يبتغون من دعوتهم جزاءً ولا شكورًا؛ {وما أسألكم عليه من أجرٍ إنْ أجريَ إلا على ربِّ العالمين}.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

• القلوب الطاهرة تستبشر بدعَوات المصلحين، وتتفاءل بمرأى الصالحين، وأمَّا القلوب المريضة فتشمئزُّ من دعوتهم، وتتطيَّر برؤيتهم.

• طبيعة الضالِّين المجرمين واحدةٌ في ضيق الصدر ونفاد الصبر أمام حُجج المؤمنين وبيِّنات المصلحين، فلا يملكون معها إلا الفتكَ والبطش.

﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

• الشؤم في الذنوب، فهي بريد الشرِّ وعنوان المهالك، فمَن أسرف على نفسه فيها ولم يتُب إلى ربِّه منها فلينتظر ما يكره.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

• النفوس العظيمة تبادر إلى المعالي وقبول الحق، ولا تتهيَّب الدعوة إليه، ولا تخشى فيه عَذلَ عاذلٍ، ولا تهديد طاغيةٍ فاجر.

• الداعية الصادق لا يدعو الناسَ إلى نفسه، ومعرفة قدره وفضلِ شخصه، وإنما يدعوهم إلى اتِّباع الحقِّ الذي جاءت به الرسُل.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾

• أرأيت إلى امرئ يتجشَّم من العناء ما لا تتحمَّله الجبال الراسيات، يصبِر على الأذى والتكذيب، متعفِّفًا عمَّا في أيدي الناس، هل يكون كاذبًا؟

• القدوة الصالحة جديرةٌ بالاتِّباع؛ فإنَّ صدق العمل والحال، أبلغُ من ألف كلمة ومقال.

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• الفطرة منجذبةٌ أبدًا إلى فاطرها؛ إقبالًا عليه، وإذعانًا للحقِّ بين يديه، فإن تنكَّبت عن صراطه فلِما استهانت به من ذنوب.

• لا مفرَّ من رجوع الخلائق جميعًا إلى خالقها العظيم، فلنعمل لساعة اللقاء، يوم لا يُغني عن المرء إلا عملُه.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾

• أيها العبد، إنك خاضعٌ لمشيئة ربِّك، يصرِّف أمرك كيف يشاء، فلا ترجُ سواه، ولا تعلِّق أملك إلا به.

﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

• إذا استعذتَ فاستعذ بمعاذ، وإذا لجأت فالجأ إلى قويٍّ عظيم، وهو الله تعالى، وإيَّاك أن تكِلَ أمرك إلى مَن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضَرًّا.

﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾

• لا تكن إمَّعة، بل احذر أن تضِلَّ إذا ضلَّ الناس، وأعلن البراءة من ضلالهم وسوء فِعالهم.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

• المؤمن الحقُّ لا تلقاه غاشًّا ولا مخادعًا، ولكن ناصحًا مشفقًا، يحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه، ويرجو لهم من الخير ما يرجوه لها.

• ليعلم المؤمن أن مقاساة الوحشة لا تدوم، فما هي إلا عوارضُ الطريق سَرعان ما تزول، ليبلغَ منازلَ الأنس والحبور.

۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ
٢٩ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ
٣٢ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا
فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ
وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ
ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ
ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠

٤٤٢

﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ ﴾

• أين قوَّة البشر من قوَّة ربِّ البشر، وأين سطوتهم من سطوته؟! إنه إذا شاء أن يُهلكَ الكافرين منهم لم يحتج إلى أن يُنزلَ من السماء جنودًا؛ فشأن الكفَّار أقلُّ وأحقر.

﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ ﴾

• انظر إلى هذه الأجساد المختالة بقوَّتها، المعتزَّة بكثرتها، لقد خمَدت بصيحةٍ واحدة لم تُبقِ منها باقية، فما أضعفَها! ولكن أين المعتبِر؟

﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ ﴾

• فليتحسَّر الكفَّار ما شاؤوا؛ إن أبواب الهداية والرحمة كانت لهم مفتَّحة فتجافَوا عنها إلى أبواب الشقاء، مسيئين الأدبَ مع خالقهم.

• أقرب الخلق إلى الكمال البشريِّ رسُل الله وأنبياؤه، فمَن اتَّخذهم غرضًا للسُّخرية والاستهزاء لزمته ندامةُ الأبد.

﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ ﴾

• فلتطِب نفوسُ المؤمنين اليوم؛ فإن مصير المستهزئين برسولهم كمصير سلفهم الأوَّلين؛ إهلاكًا وتدميرًا، سنَّة الله في الأمم، ولن تجدَ لسنَّته تبديلًا.

• ما بالُ الإنسان يرى مصارعَ الضلَّال قبله تلوَ المصارع، ثم يسير مندفعًا في ذات الطريق؟

﴿ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢ ﴾

• إهلاك الله الكافرين المكذِّبين ليس نهايةَ المطاف، ولكنَّه بداية طريق العذاب والعقاب، وإن ما بعده يومَ الجزاء لأشدُّ وأنكى.

• شاء الناس أو أبَوا سيُحضَرون، وفي ساحات القيامة يُحشَرون، وعن أعمالهم يُسألون، فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابَه بشماله.

﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ ﴾

• مثالٌ حيٌّ تدركه الحواسُّ على الدوام، ولكن أين القلوبُ الغافلة منه؟ إن الذي أحيا الأرضَ بالنبات، سيُحيي الخلق بعد الممات.

﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ ﴾

• جعل الله النخيلَ والأعناب قوتًا وفاكهة، وخصَّهما بما ليس في غيرهما، نعمةً منه وفضلًا، فلنشكر أياديَه سبحانه، فبالشكر تدوم النعم.

• ليسأل كلُّ امرئ نفسَه؛ مَن الذي فجَّر الأرضَ عيونًا، وأخرج منها ألوانَ الفواكه والنبات؟ إنه الله، أفلا نستحيي منه؟!

• اعمل أيها الإنسانُ واكدح، فما عملك إلا أخذٌ بالأسباب، وهيهاتَ أن تقطِفَ من ثمراته إلا أن يشاء مسبِّب الأسباب.

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ ﴾

• عجبًا لمَن رأى آثار نِعم الله تعالى متجلِّيةً في صنوف خلقه، ناطقةً بوَحدانيَّته وكمال قدرته، ثم اتجه إلى غيره بالتعظيم والرجاء!

• إن ما تجهله أيها الإنسانُ من عظيم صُنع الله في خلقه أكثر ممَّا تعلمه، ولكن حسبُك أن تقفَ عليه في نفسك وفيما حولك.

﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ ﴾

• ظاهرة جديرةٌ بالتأمُّل، وسؤال حقيقٌ بالإجابة: {أرأيتُم إن جعلَ الله عليكم النهارَ سَرمَدًا إلى يومِ القيامة مَن إلهٌ غيرُ الله يأتيكُم بليلٍ تسكنونَ فيه}؟

• في تقلُّب الليل والنهار برهانٌ ظاهر ودليلٌ باهر على حُسن صفات الله تعالى؛ وكمال قدرته، وجلال حكمته، وعظيم سُلطانه، وتمام إتقانه.

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾

• إذا كانت الآثار تدلُّ على المؤثِّر فإن في خَلق الله لكونه لدليلًا صريحًا على أنه عزيزٌ لا يُغالَب، وأنه أحاط بكلِّ شيء حكمةً وعلمًا.

﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ ﴾

• أرأيتم إلى القمر في السماء وإلى منازله ومساره، وكيف يبزغ هلالًا صغيرًا، ثم يكمل بدرًا مستديرًا، ثم يعود ضئيلًا؟

• مشاهدة مخلوقات الله العظيمة من شمس وقمر ونجوم كفيلةٌ بتحريك القلب، واستجاشة الشعور، وإثارة الوِجدان للتدبُّر في خلقها، والتفكُّر في خالقها.

﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾

• قُل للمتعالين على البشر: تأمَّلوا في ملايين النجوم الدوَّارة والكواكب السيَّارة، متناثرةً في الفضاء، سابحةً في جوِّ السماء؛ أين أنتم منها؟ ألا فلتتواضعوا لمَن خلقها وأجراها.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ
يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ
الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

٤٤٣

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾

حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ: حَمَلنا مَن نَجا من ولَدِ آدمَ عليه السلام في سَفِينةِ نُوحٍ عليه السلام.

• آلاء الله وعطاياه عمَّت البشر سلفًا وخلفًا، أصولًا وفروعًا، لتكونَ علامةً على كمال نعمه، وواسع عطائه ومِننه.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

• ليس العجَبُ في بناء السفن بأنواعها، ولكنَّ العجَبَ في حملها على الماء وجريها، فمَن الذي حملها فلم تغرق، ومَن الذي أجراها فلم ترْسُ؟

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

فَلَا صَرِيخَ: فلا مُغيث.

• مهما عظُمت السفن وثقُلت، ومهما أُتقنت صنعتُها وأُحكمت، فإنها كريشةٍ في مهبِّ الريح، إذا لم تتداركها رحمةُ الله هلكت بمَن فيها.

• يُفسح الله لعباده المسرفين ما شاء، فإن لم يتوبوا، وإلى الحقِّ يؤوبوا، أخذهم بالبأساء والضرَّاء، فهل ترى لهم من شفيع أو منقذ؟

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

• يثير المولى في قلوب عباده الخوف، ويحذِّرهم موجبات الغضب، وهي محيطةٌ بهم من أمامهم ومن ورائهم، ولكن لا تجد أكثرهم مستجيبين.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

• إنها آياتُ الله البيِّنات، وحُججه الواضحات الجليَّات، تَعرِض للمستكبرين صباحَ مساءَ، فلا تزيدهم إلا إعراضًا وبُعدًا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

• علامَ يقبض المرء يدَه عن الإنفاق في سبيل الله؟ أما علم أن المال مالُ الله أودعَه عنده لينظرَ فيما يُنفقه؟!

• لا يكتفي أهل الباطل بالمضيِّ قدُمًا في باطلهم حتى يزوِّروا الحقائق، ويَصِموا المصلحين المخلصين بالضلال المبين! فليصبروا وليحتسبوا.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

مَا يَنظُرُونَ: ما ينتظِرون.

يَخِصِّمُونَ: يختصِمون في شؤونِ حياتِهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾

• لقد بلغ من ضلالهم أنهم يستعجلون ما فيه أخذُهم وهلاكهم، وأنهم يكذِّبون بأمر يقين لا يسَع فيه التراجع إن حضر، فأين العقولُ من أولئك القوم؟!

• إن الساعة لا تُمهل كافرًا حتى يتوب، ولا ذاهبًا إلى حاجته حتى يؤوب، بل تأتي بغتة، وتدهَم فجأة، حتى إنها لتأخذ المختصمين قبل أن ينفضَّ خصامهم، ولا تدَع لمسرف فرصةً ليوصيَ ولو بكلمات قليلة، فيا حسرةَ الكافرين! ويا ندامة المفرِّطين!

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

• صيحة واحدةٌ كفيلة ببعث الموتى من قبورهم جميعًا، على مدار الأزمان، واختلاف الأماكن والبلدان؛ للوقوف بين يدَي الله الديَّان، وهم إلى ذلك الموقف يخرجون سراعًا لا يُمهلون.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

• كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من عذاب القبر لشدَّة أهواله، وما هو على الضالِّين والمكذِّبين إلا كرقدة نائم قبل أن يصيروا إلى عذاب الجحيم.

• لو أنهم آمنوا بالرحمن لأمَّنهم وشمِلَهم برحمته، ولكنَّهم قالوا من قبلُ: (وما الرحمن)؛ تكبُّرًا وجحودًا، فلينظروا اليوم في صدق أمره وما أخبرت به رسُله.

• طالما كذَّب الكفَّارُ المرسَلين، وتظاهروا على إيذائهم والكيد لدعواتهم، آلآن بدا لهم صدقُهم بعد أن رأوا العذاب عِيانًا؟! إنه لن ينفعَهم نقيرًا.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

• أعظِم بمَن يحشر الخلائقَ الذين لا يُحصَون عددا، ليُجازيَهم فردًا فردا، فطوبى لمَن كان في الصالحين، وخاب مَن كان في الظالمين.

• حرَّم الله على نفسه أن يظلمَ عباده في الجزاء، وإنما هي أعمالهم توفَّى لهم، فمَن وجد خيرًا فليحمَد الله، ومَن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ
وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟
ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ
الحزب ٤٥
أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ
ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ
جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى
كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾
ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ
فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

٤٤٤

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾

• اشتغل الصالحون في دنياهم بمجاهدة أنفسهم وتزكية قلوبهم، فكافأهم ربُّهم يوم القيامة بأن جعل شغلهم التقلُّبَ في لذَّات النعيم، وألوان التكريم.

• غالبًا ما يرافق الشغلَ في الدنيا النصَبُ والتعَب، والانصراف عن متع الحياة، أمَّا شغلُ المكرَّمين في الجنَّات فهو خالص للتفكُّه الأبديّ، والتمتُّع السرمديّ.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾

• يا لها من صورة مبهجةٍ لأصحاب الجنَّة مع أزواجهم، وقد تمَّت سعادتهم في الآخرة واكتمل أنسهم، باجتماعهم وتسامرهم!

• بشِّر القانتين المخبتين الذين أنصبوا أجسادهم في طاعة الرحمن، وفي اتِّباع خير الأنام، بظلال وعيون، وعطاء غير ممنون.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

• إذا كانت فواكه الدنيا هي من نعيمها وسعادة الإنسان فيها، فما الظنُّ بفاكهة الجنَّة التي أعدَّها الله تكريمًا لأهلها؟!

• كلُّ أمنيَّاتك أيها الإنسان ستغدو حقيقةً في الجنان، تسأل فتُعطى، وتطلب فتُمنح، فاجتهد في طاعة الله لتفوزَ بهذا المقام.

﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

• ربُّنا الرحمن هو السلام، وتحيَّته للصالحين سلامٌ وأمان، لا يحولان على الدوام، جزاء صدق عبوديَّتهم وإخلاص طاعتهم.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

وَٱمْتَٰزُوا۟: تميَّزوا وانفصِلوا عن المؤمنين.

• استدبر المجرمون في الدنيا جادَّة المقسِطين، وها هم أولاء يُقال لهم في الآخرة: امتازوا اليوم عن المؤمنين، وانأوا عن سبيل الصالحين.

﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾

• أولى بك يا بنَ آدم أن تعصيَ الشيطان وأن تتَّخذه عدوًّا، فإن من تمام عبوديَّتك لربِّك أن تكفرَ بالشيطان وشركه، ولا يجتمع في قلبٍ تعظيمُ الله وتعظيم عدوِّه!

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

• أمرنا الله بالتزام صراطه المستقيم، وأقسم الشيطان أن يُضلَّ عنه الخلقَ أجمعين، فاختر لنفسك ما تكون؛ وليًّا للرحمن أو عبدًا للشيطان!

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

• عداوة الشيطان للإنسان عداوةٌ ظاهرة واضحة وضوحَ الحقِّ والصراط القويم، فاعجَب لمَن يُقبل عليه بالطاعة، أليس لديه ذرَّة عقل؟!

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

• يا له من تبكيتٍ وتنديد بمَن لم يعبؤوا بالتحذير والتهديد! ليجتمعَ لهم إلى عذاب الجسد عذابُ الروح والنفس.

﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

• حذَّر الله الكفَّار من النار وتوعَّدهم بها، ولكنَّهم كذَّبوا أمرَها واستصغروا شأنها، فليَصْلَوا اليوم بحرِّها، وليكتووا بلهبها.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾

• هذا لسانُ الإنسان الذي كثيرًا ما كذَب به وافترى؛ سيطبع الله عليه لتنطِقَ أعضاؤه بجرائمه وتشهد بآثامه.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

• علامَ استكبارك أيها الإنسان على ربِّك؟ إنه ليس لك من الأمر شيء، ولو شاء الله أن يشوِّه خِلقتك، فيَطمِسَ بصرك، ويشُلَّ أركانك لم يمنعه مانع، فسارع إليه بالتوبة والإنابة.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

• خُلق ابنُ آدم ضعيفًا، لا يكاد يكتمل قوَّةً وعقلًا حتى يرجعَ القهقرى عجزًا وضعفًا، وإن الذي ردَّه سيرته الأولى لرادُّه بعد الموت للحساب، فتأمَّل.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾

• نزَّه الله نبيَّه عن قول الشعر، واستخلصه لتبليغ القرآن، وشتَّان بين شعرٍ يدغدغ العواطف، وتشريعٍ يخاطب العقل والوِجدان.

• القرآن ذِكرٌ وآيات؛ فهو ذكرٌ يذكِّر القلبَ ويبعث فيه أنوار اليقين، وهو آياتٌ تُتلى فتبيِّن الحقَّ والصراط المستقيم، فأين المقبلون عليه تلاوةً وعملًا؟

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

• مثَلُ الكافر بالقرآن مثَلُ الميِّت المسجَّى في قبره لا ينتفع بموعظةٍ ولا يستفيد من حكمة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ
﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة الصافات

٤٤٥

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

وَذَلَّلْنَاهَا: وسخَّرناها.

رَكُوبُهُمْ: ما يركبونَهُ في الأسفار.

• تذكيرُ الله لخلقه بنعمه وآلائه، وواسع فضله وعطائه، هو نعمةٌ منه أخرى، ومنَّةٌ جليلة كبرى، تستوجب منهم دوامَ الشكر له.

• لو تأمَّلنا في مأكلنا ومشربنا وملبسنا ومركبنا لاستشعرنا أننا مغمورون بفيض وافر من نعم الله تعالى، فما أعظمَ فضلَه سبحانه! وما أقلَّ شكرَنا!

• إن الذي ذلَّل الدوابَّ للبشر، فأسلس قيادها، ويسَّر ظهرها، لقادرٌ على تطويعك، فانقَد إليه حبًّا قبل أن تخضعَ له كرهًا.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

• ملَّة الكفر واحدة، فلا يقتصر الشرك على السجود للأصنام والأوثان، ولكن بالإقبال بالخوف والرجاء على سوى الله تعالى، ولا عصمةَ للبشرية إلا بالتوحيد الخالص الذي يُفرِد الله وحدَه بالألوهيَّة والعبادة، ويفرده وحده بالتوجُّه والاعتماد، ويفرده وحده بالتعظيم والطاعة.

• يحشر الله العابدين لغيره مع معبوديهم يوم الحساب، ليكونَ ذلك أبلغَ في خزيهم، وأدهى في ذلِّهم، فلينفعوهم حينئذٍ ولينصروهم إن كانوا صادقين!

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

• طيبوا نفوسًا أيها المصلحون، ولا تبتئسوا لعداوة المبغضين وكيد الحاقدين؛ فإن الله محيط بعملهم، جليلًا كان أو حقيرا، صغيرًا أو كبيرا، وإنه مجازيهم به.

• أنعِم بها من تسلية للمؤمنين من ربِّهم العزيز الرحيم؛ إن أعداءكم في قبضته وهم لا يشعرون، وإنه يعلم ما يُسرُّون وما يعلنون.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾

خَصِيمٌ: كثيرُ الخصام.

• مهلًا أيها الجاحد المعاند؛ إن الذي سوَّاك في أحسن تقويم من نطفةٍ ضعيفة حقيرة لرادُّك إلى مَعاد، فحذار أن تطغى بعد ضعفك وافتقارك.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾

رَمِيمٌ: باليةٌ مُتفتِّتة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

• فنَّد القرآن شُبَه المشكِّكين، وأجاب عن تشكيك الملحدين، وردَّ أباطيل المكذِّبين، وحسبُنا به حُجَّةً دامغة، تعلو ولا يُعلى عليها.

• إن الذي خلق الخلق وعلم مبتدأهم ومنتهاهم، وما سيصيرون إليه بعد فنائهم لقادرٌ على بعثهم وردِّهم، فمنهم مستعدٌّ للجزاء، وغافلٌ عن القضاء.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

• سبحان مَن أخرج الضدَّ من الضدِّ، فأخرج النار المتأجِّجة المحرقة من الشجر الأخضر الرطب، وإن إخراج الموتى من قبورهم لأهونُ عليه وأسهل.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾

• أيستعصي على مَن تتجلَّى في الكون آثارُ عظمته وآيات قدرته، والذي أوجد الخلائق كلَّها، أن يوجدَ جديدًا مثلها؟ حاشا وكلا.

• يخلق الله خلقًا بعد خلق، لنوعٍ بعد نوع، فتأمَّل في بديع خلقه ثم قُل: {هذا خلقُ الله فأروني ماذا خلقَ الذين من دونه بل الظَّالمونَ في ضلالٍ مبين}.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

• ما شاء الله أن يخلقَ ويكونَ كان، فأين الكافرون بالبعث؟ وأين ما يؤمنون به من الباطل؟ {أفمَن يخلُق كمَن لا يخلق أفلا تذكَّرون}.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

• ما تأمَّل عبدٌ في ملكوت الله وسلطانه إلا خشع بصره، وخضع قلبه، ونطق لسانه بتمجيد ربِّه وتنزيهه، فله وحدَه كمالُ المحامد والمدائح، والبراءة من كلِّ العيوب والقبائح.

• مهما طالت بنا الحياةُ فإن مردَّنا إلى مَن بيده ملكُ كلِّ شيء؛ أفلا يورثنا ذلك الرهبة منه والرغبة إليه؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ
إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ
مَنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ
﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾
وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا
أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا
هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
نصف الحزب ٤٥ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

٤٤٦

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾﴾

• في اصطفاف الملائكة درسٌ للمسلمين في ضرورة اصطفافهم في صلاتهم بنظام، واجتماع كلمتهم في سائر شؤونهم بإحكام.

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾﴾

• سبحان مَن خضع له الملائكة العِظام الذين يُنفِذون أمره في ملكوته، كما يريده الله جلَّ في علاه!

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾

• لذكرِ الله وكلامه فضلٌ ومزيَّة؛ ولذلك كانت تلاوته ديدنَ الملائكة المكرَّمين، وعباد الله المقرَّبين، فما أعظمَها من طاعة!

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾﴾

• الله تعالى هو الخالق لهذه المخلوقات، والرازق والمدبِّر لها، فكما أنه لا شريك له في ربوبيَّته إيَّاها فكذلك لا شريك له في ألوهيَّته لها.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾

• جمال خلق الله يهتِف بالقلوب الحيَّة لتدبُّر صنعة الخالق المبدع، وإدراك جلاله ووحدانيَّته، فتبارك الله في عليائه.

﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾﴾

• احذر أن تسيرَ سيرة الشيطان، فإنه لا يتَّعظ على كثرة المواعظ، كالفَراش المتهافت على النار، لا يمنع اللاحقَ منه احتراقُ السابق!

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾﴾

• لقد شرَّف الله السماء ومَن فيها، ونزَّهها عن كلِّ شيطان رجيم، فلا يقربون ساحتها، ولا يسمعون حديثها إلا قُذفوا وأبعدوا.

﴿دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾﴾

• هذا مصير المتطاولين على جلال الله المحادِّين لرسُله، أن يُقذفوا ويطردوا.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

• إن الشياطين المسترقين للسمع لا يتمكَّنون إلا من اختلاس يسير، يتبعهم الشِّهاب على إثره، فيُلقون بأيديهم إلى التهلكة! فانظر إلى ضلالهم، وإلى إضلالهم الناسَ بسبب تلك الكلمة اليسيرة!

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾﴾

• إن خلق الإنسان من طين ليس بأعظمَ من خلق السماوات والأرضين.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

• كيف تعمى القلوبُ عن حقيقة الوجود، ولا تنتفع بنصح ولا تذكير، وآياتُ الله من حولها جليَّة الدلالة على صدق الرسالة والرسول؟

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾

• إذا غطَّى الرانُ القلبَ انطفأ واعظُ الفطرة من داخله، واحتجب عن واعظ الرسالة من خارجه، فمهما يُذكَّر لا يتذكَّر.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

• صفة ذميمةٌ وافق بها ضُلَّالُ اليوم كفَّارَ الأمس؛ إن أتتهم الحُجج لم يملكوا لعجزهم عن ردِّها إلا السخريَّة منها وممَّن جاء بها!

﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

• ليس أشنعَ من العمى عن الحقِّ سوى تشويهِ صورته ووَصْمه بكلِّ سُبَّة شنيعة لدى مبغضيه.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾

• دأب المبطلين إلقاءُ شُبَهِهم في لَبوس الاستفهام وطلب الحقِّ بغرض التشكيك فقط.

﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾

• سيُبعث الخلق جميعًا للحساب، فمنهم صاغرٌ ومنهم عزيزٌ، فاختر لنفسك مع مَن تكون.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾

• ما أمرُ البعث على الله بكبير، ولكنَّه على المكذِّبين به إذا عاينوه عسير، فإنما هي صيحةٌ واحدة تبعثهم من أجداثهم مسرعين.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾

• ما أبعدَ البَون بين أقوال الكفَّار في الدنيا؛ يستسخرون ويكذِّبون ويستهزئون، وأقوالِهم في الآخرة؛ يدعون على أنفسهم بالويل والثبور!

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

• كلُّ جدال وخصومة بين المسلمين وأعدائهم من كفَّار ومنافقين ومفسدين لها يومُ فصل، يُحِقُّ الله فيه الحقَّ ويُبطل الباطل.

﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• يُجمَع الظالمون يوم القيامة مع قُرنائهم وأشباههم وأتباعهم، فاحرِص في دنياك على الفرار منهم، والنأي عنهم، تصُن عرضَك، وتنجُ بنفسِك.

• لا بدَّ من وقفة محاسبة، وموقف معاتبة، قبل المصير إلى نار السعير، يُسألون هناك عما قدَّموا في دنياهم، لينالوا جزاءه في أخراهم.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٢٧) قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ (٢٨)
قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١)
فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
(٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ (٣٦) بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ
لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
(٣٩) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١)
فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
(٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ (٤٥) بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ
(٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ (٥١)

٤٤٧

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)﴾

• أنَّى لهم أن ينصرَ بعضهم بعضًا وهم أعجزُ ما يكونون عن نصرة أنفسهم، والخلاص من هوانهم؟ ليس لهم إلا الاستسلامُ لسوء مصيرهم.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٢٧) قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ (٢٨)﴾

• صاحب الباطل لا يتمكَّن من ترويج باطله ونشر غيِّه وضلاله، إلا بتزيينها وزخرفتها، وإلباسها لباسَ الحقِّ والصواب، فلنكن حذرين متيقِّظين.

﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ (٢٩)﴾

• الإيمان الراسخ أمانٌ من الضَّلال والكفر، ونجاةٌ من الوقوع في حبائل الشيطان، وما أحرانا أن نزيدَه بالإقبال على الطاعات.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠)﴾

• تأمَّل كيف يحتجُّ المتبوعون في الباطل يوم القيامة على أتباعهم بالحقِّ وقد أضلوهم عنه في حياتهم الأولى! فما أضلَّ أولئك التابعين في الدنيا، وما أخزاهم في الآخرة!

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١)﴾

• إنه مصيرٌ واحد لأهل الضلال من تابع ومتبوع؛ فقد لزِمهم وعيدُ ربِّهم، وحقَّ عليه عذابه؛ بسبب معاصيهم في الدنيا.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢)﴾

• ما الإغواء سوى صدًى للغيِّ، فإن انغمس المرء في الشهوات، وأمعن فيها لم يلبث حتى يزيِّنَ لغيره الضلال، ليصيرَ داعيًا إلى جهنَّم.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣٤)﴾

• اقتضى عدلُ الله تعالى أن يكرِّمَ المحسنَ ويعاقبَ المسيء، وإن المشتركين في الباطل ليشتركون في العذاب، كلٌّ بمقدار إساءته وطول غفلته.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾

• أعظم جريمةٍ يُجرمها الإنسان هي الاستكبارُ على التوحيد، والتمرُّغ في أوحال الشرك، ومَن استخفَّ بالتوحيد استخفَّ بما وراءه.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ (٣٦)﴾

• المقدِّمات الفاسدة تُفضي إلى نتائجَ فاسدة، فلمَّا استكبروا عن توحيد الله، استكبروا عن اتِّباع رسوله، وأساؤوا إليه بالكذب.

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٧)﴾

• قليلٌ من التأمُّل يقطع بصدق الرسول والرسالة، ولو كان كاذبًا متقوِّلًا ما صدَّق مَن أُرسل قبله من الرسُل، ووافق هُداهم.

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ (٣٨)﴾

• ما أشدَّ عذابَ الكافرين في جهنَّم وهم يشعرون شعورًا بليغًا بكلِّ ما يأتيهم من لظاها وسعيرها!

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾

• إن العذاب وإن كان بالغ الغاية في الإيلام، فإنه جزاءٌ موافق لأعمالهم السيِّئة التي كانوا يعملونها على الدوام.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾

• من المؤمنين رجالٌ صدقوا ربَّهم وأخلصوا له الطاعة، فامتنَّ عليهم بأن أخلصهم لنفسه وخصَّهم برحمته، ووصفهم بوصف العبودية له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣)﴾

• قصص الكرماء جميعًا لا تعدِل ذرَّة واحدة من إكرام الله لعباده في دار كرامته، التي رزقُهم فيها مضمون، وهم في غاية النعيم يتفكَّهون.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٤)﴾

• كمال اغتباط المرء بصُحبة الإخوان، ومرافقة الأحباب والخِلَّان، ومن هنا كان أهل الجنَّة على سُرُر الحبور، يتبادلون أحاديثَ السرور.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ (٤٥) بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ (٤٦)﴾

• آثر المؤمنون طاعة الله في الدنيا باجتناب ما حرَّم من مأكل ومشرب، فأكرمهم الله بأنهار من خمر لذيذ طعمُها، بهيٍّ لونُها، لا تنقطع عنهم.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧)﴾

• خمر الآخرة نعيمٌ كريم، لا ضررَ منها ولا تأثيم، وقد صرف الله تعالى السُّكرَ عن شاربيها؛ لئلَّا ينقطعَ الالتذاذُ عنهم بنعيمها.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩)﴾

• من نعيم أهل الجنَّة أن أزواجهم لا يطمَحْنَ إلى غيرهم؛ فإن الله قد جمَّل الرجال وجمَّل نساءهم، فسُرَّت أعينُهم بحسنهنَّ، واطمأنَّت أنفسهم بحفظ ذلك الحسن على نَضرته لهم.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ (٥١)﴾

• لـمَّا فرَغ أهل الجنَّة من الشواغل والقواطع أخذوا يتذاكرون وهم في تمام النعمة كيف سلَّمهم الله من البلاء، ودفع عنهم النقمة.

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

٤٤٨

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

• شتَّان بين مؤمن بالبعث وآخر ملبِّس يتخبط في ضلال مبين؛ فالأوَّل يتقلَّب في النعيم، والآخر في سواء الجحيم، فاصبر على الحق، واحذر تلبيسَ أهل الباطل.

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾

• كم من إنسان كاد ينحرف عن صراط ربِّه المستقيم ويضيِّع دينه ودنياه بسبب صديق سوءٍ لا يعرف الله ولا يلزم هداه!

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

• لا تفرح بعملك مهما كان حسنًا، فإنك لن تنجوَ إلا برحمةٍ من الله وفضل؛ فكن شاكرًا لنعم الله مثنيًا بها عليه.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

• إذا كان لذكر الأشياء المحبوبة لذَّة، فما الظنُّ بذكر نعمة الخلود في جنَّات النعيم؛ حيث لا ينقطع عن أهلها الرَّخاء، وهم أبدًا في سرور ورفاء؟!

• ما أعظمَ الفوزَ برضا الله تعالى! فمعه يندفع عن العبد كلُّ محذور، ويحصُل له كلُّ خير موفور؛ {فَمَن زُحزِحَ عن النَّار وأُدخِلَ الجنَّة فقد فاز}.

﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

• ينبغي للعاقل أن يُذهِبَ أنفاسَه ونفيسَه سعيًا إلى الفوز العظيم، فإنه غاية الغايات، ونهاية النهايات، وسعادة السعادات.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾

• حاصل الرزق المعلوم لأهل الجنَّة اللذَّة والسرور، وحاصل شجرة الزقُّوم الألم والغمُّ، ولا نسبة لأحدهما إلى الآخر في الخيرية، فليختر العاقل أيَّ الأمرين شاء!

﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾

• شتَّان ما بين مصدِّق ومكذِّب بخبر الله! فأهل الإيمان يؤمنون بوجود شجرة الزقُّوم، وأهل الكفر يسارعون إلى تكذيب ذلك.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾

• شرُّ المَغرِس يدلُّ على شرِّ الغِراس، وإن طعام الكفَّار في جهنَّم من شجرةٍ تنبت من قعر جهنَّم، فلا تسأل بعدُ عن طعم ثمرها وقبح أثرها.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾

• ليس منَّا مَن رأى الشياطين على صورتها، ولكن اتفقت النفوسُ على شناعة خِلقتها وبشاعة هيئتها، فكيف تُستساغ ثمارٌ على شاكلتها؟

﴿فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾

• على شدَّة نفورهم من طعمها وكراهيتهم لمذاقها، إنهم ليأكلون منها ويأكلون؛ زيادةً في العذاب، ومضاعفةً للعقاب.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

• يفصِّل المولى سبحانه في وصف عذاب المستكبرين؛ تنفيرًا للمسلمين من أن يلقوا مصيرَ المكذِّبين، فهل من متَّعظ؟

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾

• ما من بدايةٍ في الخلق إلا ولها نهاية، وما أبعدَ البَونَ بين مَن يَرِدُ إلى ظلٍّ ظليل، وغَضارةٍ ونضارة، ومَن يَرِدُ إلى عذابٍ ونَصَب، وسعيرٍ ووَصَب.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

• من أكبر أسباب الضلال التقليدُ الأعمى، والتمسُّك بإرث الآباء والأجداد دون تمحيص ولا تمييز بين حقٍّ وباطل وصواب وخطأ.

• الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع؛ وما أكثر الضالِّين بإسراعهم إلى اتِّباع العادات البالية والتقاليد المنحرفة والتشبُّث بها.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾

• لا تغترَّ بكثرة الشاردين، الجانفين عن الحقِّ المبين، واسمع لما قال ربُّ العالمين: {قُل لا يستوي الخبيثُ والطيِّبُ ولو أعجبَكَ كثرةُ الخبيث}.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

• أرسل الله إلى عباده رُسُلًا مبشِّرين ومنذرين، يدعونهم ويَهدونهم، فمَن ضرب عُرض الحائط بإنذارهم فلا يلومنَّ إلا نفسَه.

• قد أقيمت الحجَّة بإنزال الكتب وإرسال الرسُل، ولم يبقَ لمعتذرٍ عذرٌ، وليس بعدُ إلا الخزيُ والهلاك.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

• مَن صدق اللهَ وأخلص له صدقه اللهُ وأخلصه.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾

• أيها الناسُ، دعكم من سؤال البشر، وأقبلوا بالدعاء على خير مسؤول، فإنه حاشاه سبحانه أن يردَّ دعاء مخلصٍ صادق إلا

بحُسن الإجابة.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾

• مهما أُديل الكفَّار، وكسَب أهل الباطل من جولات فإن البقاء للحقِّ وأهله، والعاقبة دومًا للمتَّقين المخلصين.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾

• إنها سنَّة لله ماضية؛ أن مَن استقام على شرع الله، وصبر على الإيذاء والصدِّ، رفع الله ذكرَه في الدنيا، وامتنَّ عليه في الآخرة بما هو خير.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾

• كافأ الله نبيَّه نوحًا بأن منحه أمانًا منه وسلامًا إلى يوم القيامة، وإن الله لمانحٌ مثلَ ما منحه لكلِّ مَن سار سيرته واقتفى أثره.

• أيها العبد، التقوى التقوى، والصبرَ الصبر، واجعل نُصبَ عينيك قولَ الحقِّ تعالى: {إنَّه مَن يتَّقِ ويصبِر فإنَّ الله لا يُضيع أجرَ المحسنين}.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾

• لا ينال العبدُ المراتب الشريفة والذِّكر الحسن إلا أن يكونَ محسنًا، ولا يكونُ محسنًا حتى يكونَ عبدًا لله مخلصًا.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

• في إهلاك الله للكفَّار عظةٌ بليغة للأمم المتتالية على تعاقب الدهور؛ أن مَن حادَّ الله وشرعه أهلكه ولم يُبال.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾

• اتفقت رسالات الرسُل كافَّة على تباعد ديارهم واختلاف أزمانهم؛ لأنهم يقبِسون من مشكاةٍ واحدة، ولا يتمُّ إيمان امرئ إلا بالإيمان بهم جميعًا.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾

• طوبى لمَن أقبل على ربِّه يوم الجزاء بقلب طاهر نقيٍّ من كلِّ آفة ونقيصة، قد امتلأ حبًّا لله وتوحيدًا خالصًا له.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾

• القلب السليم يعمُّ خيره وينتشر ألقه، ويفيض على مَن حوله نصحًا ووعظًا، وقدوة صالحة حسنة.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾

• لا ينقضي العجب ممَّن يصرف العبادة والتعظيم لآلهة مختلَقة لا تدفع عنه ضرًّا ولا تجلب له نفعًا، ويذَر الله ربَّ العالمين.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

• مَن حَسُن ظنُّه في جزاء الله حَسُن عمله في طاعة مولاه، ولم يخالجه شكٌّ في وعد ربِّه، وازداد اغترافًا من مَعين فضله.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾

• المؤمن الصادق يحتال في النأي عن المنكرات، والاحتراز من مواطن الشبُهات، وله في التورية والمعاريض مندوحة عن الكذب.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

• الآلهة الباطلة في نفس الموحِّد هي أحقر من أن تُعظَّم، وأذلُّ من أن تُحترَم، وما خطاب إبراهيم عليه السلام الأصنامَ مخاطبة مَن يعقل إلا استهزاءٌ بها وتهوينٌ من شأنها.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾

• إنكار المنكر بحسم، وإزالة المفسدة بعزم، واجبُ ما قدَر المسلم عليه، ولم يترتَّب على فعله مفسدةٌ أكبر.

﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾

• إنها حميَّة جاهليَّة يقودها الهيَجان ولا يحكمها العقل، فبالأمس كانوا يسألون تلك الآلهةَ دفع الضر، واليوم هم يتوافدون لينصروها!

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

• حقيقة بديهيَّة لا تحتاج إلى كثير تأمُّل



سُورَةُ الصَّافَّاتِ — الجُزْءُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ
إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ
ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

الحِزْبُ ٤٥

٤٤٩

وتفكُّر؛ إن المصنوع هو مَن ينبغي أن يخضعَ للصانع، طاعةً وعبودية.

﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

• ماذا يملك المتجبِّرون أصحاب القوَّة والسلطان، إذا كانت رعايةُ الله تحوط عباده الموحِّدين المخلصين؟

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾

• إن الله لا يضيِّع عبدًا صالحًا آثر الهجرةَ إليه ليقيمَ شرعه ويظهر شريعته، ولكن سيجعل الهداية طريقَه، والفوزَ حليفَه ومصيرَه.

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

• الولد الصالح نعمةٌ عظيمة ودرَّة ثمينة، فلنمضِ في ركب القانتين الذين يقولون: {ربَّنا هَبْ لنا من أزواجنا وذرِّيَّاتنا قُرَّةَ أعيُن}.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

• بلغ إبراهيم المنتهى في الإقبال على الله

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾
قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ
بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا
عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا
ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ
﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

٤٥٠

والانقياد لأمره، فمَنَّ الله عليه بولدٍ هو صدًى له في حنيفيَّته وصلاحه.

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾

• تتجلَّى ها هنا صورةٌ مشرقة للاستسلام المتعقِّل الواعي، المطمئنِّ لما يكون، المتذوِّق للطاعة، والمستبشر بالجزاء الجميل.

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

• أيُّ شرف أجلُّ وأسمى من أن ينادي الربُّ في السماء عبدَه في الأرض نداء رحمةٍ وإحسان؟ إنه شرفُ الطاعة والاستسلام لله الملك الديَّان.

﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

• مَن أحسنَ في عبادة الله من المتأخِّرين، جازاه الله تعالى جزاء المحسنين السالفين؛ فضلًا منه تعالى ورحمة.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾

• بعض البلاء نعمةٌ من الله على العبد لتصفية قلبه من شوائبِ التعلُّق بسواه، وليكونَ هواه خالصًا في طاعة مولاه.

﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾

• لا يريد الله أن يعذِّبَ النفوسَ بالابتلاء، ولا أن يؤذيَها بشدَّة البلاء، ولكنَّه يريد أن تأتيَه طائعةً منقادة، فإذا عرَف منها الصدق قَبِل منها، وأنجاها وأكرم مثواها.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

• لما لازم إبراهيم توحيدَ الله لازَمَه الذكر الحسَن إلى يوم القيامة، وإنها لكرامة له ولكلِّ مَن تأسَّى به ونسج على مِنواله.

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

• ولَّت أيام العناء عن إبراهيم، وبقي معه الأمانُ والسلام العظيم، سلامٌ من الله وسلام من عباده إلى يوم الدِّين.

﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾

• ينشر الله للمحسنين من طيب الثناء وكريم الذكر بمقدار إحسانهم وبرِّهم وإخلاصهم، فمُقِلٌّ ومستكثر.

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

• البُشرى إنعامٌ معجَّلٌ قبل الإنعام بالعَطيَّة، والبركة من الله بعد العطيَّة هبةٌ بعد الهبة، فما أعظمَ جودَ الله!

﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾

• الخبيث والطيِّب لا يجري أمرهما على العِرق، وما على الآباء إلا أن يأخذوا بأسباب الصلاح في أنفسهم وذريَّاتهم.

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ ﴾

• وجوه إنعام الله على عباده كثيرة؛ بإيصال المنافع إليهم، وصرف المضارِّ عنهم، والواجب علينا استحضارُ هذه النِّعَم بشِقَّيها؛ شكرًا له.

﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾

• ليست الغلبة قوَّةً ذاتيَّة يُؤتاها المرء بسعيه، ولا حُنكةً من قَدْح زِناد فكره، ولكنها توفيقٌ من الله لخواصِّ خلقه.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ ﴾

• الهُدى إلى الصِّراط المستقيم يتناول: التعريف بما جاء به الرسول مفصَّلًا، والتعريف بما يدخل في أوامره، وإلهامَ العمل بعلمه؛ فإن مجرَّد العلم بالحقِّ لا يحصُل به الاهتداء دون عمل.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

• الذكر الحسَن بيد الله يؤتيه مَن يشاء؛ فقد أبقى الله على موسى وهارون ذلك الذِّكر في المِلل الثلاث، فمَن أراد تلك العطيَّة فليطلبها من الله.

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾

• ما أعظمَها من تحيَّة لموسى وهارونَ من عند الله! وما أحسنَه من ثناء ودعاء لهما بالسلامة من كلِّ آفة!

﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

• الإيمان الصادق يدفع صاحبَه للعمل والبذل لله، وبه يُجزى المرء عند ربِّه الجزاء الحسن، فاحرِص على أن تكونَ من المؤمنين الصادقين.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

• إلياسُ عليه السلام رسولٌ من رسُل الله، ولو لم يعرفه كثيرٌ من الناس، فالله يعرفه، ويؤكد رسالته، ويخلِّد ذكره في كتابه، فليست العِبرةُ أن يعرفك الخلق، إنما العِبرة أن يعرفك الخالق.

﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

• التقوى أساسُ الإيمان، والحدُّ الفاصل عن العصيان؛ ولذلك كانت وصيَّةَ الله إلى جميع خلقه، وأمرَ الرسُلِ جميعًا إلى مَن أُرسلوا إليهم.

﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ
﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ
لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ
يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ
﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ
أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا
وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

الحِزْبُ ٤٦

٤٥١

• بئست تلك العقولُ التي ترك أهلها عبادة الربِّ المتَّصف بأحسن الصفات وأكملها، وأقبلوا على عبادة صنم مخلوقٍ لا يخلق شيئًا!

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾

• نصحَ لهم فكذَّبوه، فماذا نفعهم التكذيب؟!، لقد أحضروا للعذاب الدائم العظيم، ونال رسولهم السلامَ الكريم، والذكر الحسن؛ هذه قصَّة الدعوة، وهذا مآل أهلها.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

• الإيمان أرفع منازل العباد؛ لأنه مشتملٌ على جميع شرائع الدين وأصوله وفروعه؛ ولذلك مدح الله به خواصَّ خلقه.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

• تتواتر قصص المرسَلين تذكرةً للداعي الصالح ومن أطاعه، وتذكرةً للعاصين؛ كي يتوبوا فلا يصيبهم ما أصاب الهالكين قبلهم.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

• مَن كفر بالله ناله ما نال الكافرين، ولو كان أقاربه مؤمنين؛ فامرأة لوطٍ لمَّا لازمت أعمال الكفر بقيت في العذاب مع المعذَّبين.

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

• لقد ترك الله آثار قوم لوط باقيةً دائمة في كلِّ حين؛ ليعقلَ مَن يعقل عن الله وقائعَه، ولكن كم ترى من قوم يمرُّون بها فلا يُعمِلون أفكارهم، فضلًا عن أن تنزجرَ عن الغَيِّ أهواؤهم.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾

أَبَقَ: هَرَبَ من بَلَدِهِ من غَيرِ إذنِ رَبِّه.

فَسَاهَمَ: اقترَعَ رُكَّابُ السَّفينةِ لِتخفيفِ الحُمولةِ خوفَ الغَرَق.

ٱلْمُدْحَضِينَ: المَغلُوبِينَ بالقُرعة.

• لقد عاقب الله يونسَ عليه السلامُ مع أنه من الرسُل الكرام لأنه أذنب ذنبًا واحدًا، فكيف يأمن مَن هو شاردٌ في الضلال مجاهرٌ بالعصيان؟!

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

مُلِيمٌ: آتٍ بما يُلامُ عليه.

ٱلْمُسَبِّحِينَ: العابِدينَ الذَّاكِرين، الذين يقولُ أحدُهم إذا وقَعَ في كُربةٍ: {لا إلَهَ إلا أنت سُبحانَكَ إنِّي كُنتُ من الظالِمين}.

• قد يأتي المؤمنُ وغير المؤمن بشيء يُلام عليه، ولكنَّ المؤمن يلازم التوبةَ والتسبيح فينجيه الله من كرب الدنيا والآخرة.

• تأمَّل كيف يُري الله عباده صورتين: صورةَ النجاة بآثار الطاعة والتسبيح، وصورة كادت لتكون لولا التسبيح من طول المكث في الحبس والجوع والسقم؛ لتقارن النفوس بين هذا وهذا.

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

بِٱلْعَرَآءِ: بالأرضِ الخاليةِ من الشَّجَرِ والبِناء.

سَقِيمٌ: ضَعيفُ البَدَن.

• هذا نبيُّ الله، يبتليه الله بما شاء من النَّبذ بالعراء والسُّقم، فلماذا نتسخَّط نحن على الله العظيم الحليم لو أصابنا ببعض ذنوبنا؟

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾

يَقْطِينٍ: قَرْع.

• لقد اختار الله ليونسَ القرْعَ دون غيره؛ لسرعة نباته، وتظليل ورقه لكبره ونعومته، ولأنه لا يقربه الذباب، ولجودة تغذية ثمره، ولكونه يؤكل نيئًا ومطبوخًا، فما أعظمَ لطفَ الله بعبده!

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

• انظر إلى أثر الإيمان؛ فإن القوم لمَّا آمنوا بالمرسَلين متَّعهم الله إلى حين بلوغ آجالهم، فالإيمان هو أصلُ الحياة الطيِّبة.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

• لقد أنكر الله عليهم جعلَهم له ما يكرهون ممَّا لو بُشِّر به أحدهم به لظلَّ وجهه مسودًا وهو كظيم، فأيُّ تعظيم هذا؟! وتعالى الله عن أن يكونَ له ولدٌ من البنات أو البنين!

• كيف يزعمون أنوثةَ الملائكة ولم يشهدوا خلقهم؟! فدلَّ ذلك على أنهم قالوا هذا الزعمَ بلا علم، بل افتراءً على الله.

• هل شيءٌ أقبح، وهل ذمٌّ أكبر من أن يصف الربُّ العليم العدل عبدًا بأنه كاذبٌ وصفًا مؤكدًا بالمؤكِّدات ومسجَّلًا في الكتاب العظيم الخالد؟

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾
فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾
وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ
فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ ص

٤٥٢

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

• سبحان الله! كيف للنفوس أن تَسدَر في غَيِّها، فتتخيَّل الشيء ثم تحكمَ به وتقوله؟! أليس للحكم حُرمة، فلا تتجرَّأ النفوس عليه بلا علم؟!

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾

• تذكير الإنسان لنفسه وتذكُّره من غيره يمنعانه عن كثير من الأقاويل الباطلة والأحكام الفاسدة، ولكن أين وقفةُ التذكر الصادقة؟

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

• الحكم بلا سلطان الحجَّة كذبٌ عريض، ولا بدَّ لسلطان الحجَّة أن يكون ظاهرًا وليس بالدعوى، وأن يكون مبيِّنًا للحق وليس مُلبسًا، وإلا لم يُنتفع به.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

الْجِنَّةِ: الملائكة، سُمُّوا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار.

نَسَبًا: قرابة.

لَمُحْضَرُونَ: إن الكفَّار سيُحضَرون للعذاب يومَ القيامة.

• حينما لا يكون للاعتقاد أصلٌ صحيح من وحي يقوم عليه، فإن المعتقدات الباطلة ستطغى على أهله؛ وهاهم أولاء المشركون جعلوا بين الله وملائكته نسبًا وقرابة! تعالى الله عن إفكهم علوًّا كبيرًا.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

• بعض الأقاويل الباطلة يكفي في ردِّها تعظيمُ الله، فهي أقلُّ من أن تكون حجَّة، بل إن تذكُّر عظمة الله هو دليلُ إبطالها.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

• المخلَصون عند الله هم الذين عظَّموا جنابه، فلم يصفوه إلا بما يليق به، وتعبَّدوا له في ذلك باتِّباع كتابه وسنَّة رسوله، فمَن حاد عن ذلك فهم المُبعدون.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

• المشركون وآلهتهم والشياطين وأولياؤهم عاجزون عن إضلال أحد أراد الله له الهدى، فليطمئنَّ عباد الله المخلَصون وحزبه المفلحون.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

• إن الله لغنيٌّ عن عبادة عباده؛ فعنده الملائكةُ المنتظمون في طاعته، المسبِّحون له حق تسبيحه، ولكنه يدعو عباده إلى تسبيحه وعبادته رحمةً بهم، وترقيةً لدرجتهم، وإذاقة لهم لذَّة التسبيح، وإنفاذًا للحكمة العظيمة، فلله الحمدُ على هذا الفضل العظيم.

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾

• الذكر المُنزل من الله يدعو النفوسَ لعبادة الله والإخلاص له.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

• لا تغترَّ بأمانيِّ المتمنِّين؛ فكم من قائل: لو أن عندي كذا لأطعت الله، فلمَّا آتاه ذلك زاد عصيانًا!

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

• الوعد واقع، وكلمة الله قائمةٌ متحقِّقة في كلِّ دعوةٍ لله يخلص فيها أتباع المرسَلين، ويتجرَّد لها الدعاة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾

• إذا تولَّى الرسول عن قومه المعرضين فإن ذلك نذيرٌ لهم، وإيذانٌ بهلاكهم؛ لأن بقاءه فيهم رحمةٌ بهم، فإذا زالت الرحمة وهم في كفرهم يتمادَون، لم يبقَ لهم إلا العذاب الذي به يُجزَون.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

• قد تغفُل النفوس فلا تدري أن مقتضى قولها وعملها استعجالها لعذابها.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾

• العذاب إذا كان بعيدًا تصاغرَته النفوس، وربما استعجلته، فإذا وقع ساءها ذلك أعظمُ المساءة.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾﴾

• أيها الداعية، لا تكلِّف نفسك ما لا تُكلَّف، فقط أبلغ الناس الدعوة، ودع أذاهم، وانتظر حتى يحكمَ الله فيهم بما شاء.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

• أيُّ تهديد في هذا حين يأمر الله رسوله أن يرتقبَ أمر الله فيه وفيهم، ويعِدَه بأنه سيريهم؟

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

• لقد سبَّح نفسه تعالى عمَّا وصفه به المخالفون للرسُل، وحمِدَ نفسه؛ إذ هو الموصوف بصفات الكمال التي يستحقُّ لأجلها الحمد، وسلَّم على المرسَلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

سُورَةُ صٓ

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾

• في القرآن العظيم من المواعظ والذِّكر ما يوقظ القلوبَ، ويوجِّهها إلى غاية خلقها، ألا وهي معرفة الله تعالى، وإخلاصُ العبادة له.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢﴾

• أجل، إن في القرآن لتذكرةً وعبرة لمَن كان له قلب، أمَّا مَن ران على قلبه لاستكباره وعِناده فأنَّى له الانتفاعُ أو الاعتبار؟!

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣﴾

• ما من أمَّة انحرفت عن صراط ربِّها القويم، وأصرَّت على ذلك إلا أهلكها وجعلها أحاديث، مهما أوتيت من قوَّة، فإنه سبحانه العزيز القهَّار، والمهيمن الجبَّار.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤﴾

• حين تنتكس الفطرة تَعمى القلوب فتُنكر الحقَّ وتَنفِر منه، فكيف يَعجَبون من إرسال رسولٍ من بين ظَهرانيهم، يعرِف أحوالهم ويحاكي لسانهم؟

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾

• يعجَب الكفَّار أشدَّ العجَب من دعوة الرسُل إلى التوحيد، ولو صَدَقوا مع أنفسهم لأدركوا بفِطرتهم أنه ما من إلهٍ إلا إلهٌ واحد.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦﴾

• أهل الباطل أصبرُ على نصر باطلهم من صبر كثير من أهل الحقِّ على نُصرة دينهم، فإيَّاكم والاغترارَ بنصر جولة، فإن المعركة طويلة.

• حين يَعجِز الفُجَّار عن غلَبة أهل الحقِّ، فإنهم يتَّجهون إلى اتِّهام نيَّاتهم، وأن لهم مآربَ مشبوهةً من دعوتهم، ليؤلِّبوا عليهم الخاصَّة والعامَّة.

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧﴾

• يعمِد الجهَّال دومًا إلى هذه الحُجَّة الواهية، فإذا ما نُهوا عن المنكر قالوا: ما سمعنا بهذا، والحُجَّة عليهم قائمة في كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨﴾

• حسَدُ الكافر يَحمِله على تكذيب الحقِّ، والحقدِ على أهله، والكيدِ لأتباعه، ولو طهَّر قلبه لعلم أن الحقَّ جاءه من خير كتاب على خير الخلق ﷺ.

• يغترُّ بعض الكفَّار بطول الإمهال، ويَزيدهم حِلم الله عليهم إمعانًا في الضلال، ولو أنهم ذاقوا من العذاب على الشِّرك، لزال عنهم كلُّ شك.

• التخويف من أساليب التربية الناجعة، فإن النفس يهُزُّها الخوف هزًّا، فينفُض عنها رُكام القَتام، وغِشاوة الظلام، ويجلو بصرها لرؤية ضياء الحقِّ والدين.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩﴾

• إذا أراد الله أن يفتحَ أبوابَ رحمته على عباده فتحها وأنعم عليهم بشتَّى الإنعامات، ولم يمنعه شيء، وحريٌّ بنا أن نجعلَ آمالنا ورجاءنا فيه وحده.

﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠﴾

• عجبًا للذليل يدَّعي العزَّة، وللحقير يزعُم الرفعة! ومهما تعالى المرء فإنه يُدرك يقينًا أنه ليس له من ملك السماوات والأرض شيء، فعلامَ يَحشُر أنفه في شؤون المالك المتصرِّف؟!

﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١﴾

• لو تظاهر الكفَّار جميعًا على حرب الإسلام، وتعاضد الضُّلَّال كافَّة لطمس نور الإيمان، فإن عاقبتهم الخِزي والهزيمة.

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢﴾

• حاشا أن يكونَ تَكرار قِصص النبيِّين وعاقبة أقوامهم المكذِّبين ضربًا من العبَث، ولكنَّه تَكرارٌ مقصود مُعتبَر، مَن تدبَّره استخلص منه أبلغ المواعظ والعِبَر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢
كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤
أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ
مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦
مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ
عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ
٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠ جُندٞ
مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ
وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ
لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ١٤ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٖ ١٥ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦

٤٥٣

﴿وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣﴾

• في الذاهبين الأوَّلين من القرون لنا بصائر، فهذه الأمم من قبلُ اجتمعت أحزابًا للصدِّ عن الحقِّ ومناوأة أهله، فمحقَها الله مَحقًا وأبادها إبادة، وإنها لسُنَّة ماضية إلى قيام الساعة.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤﴾

• التولِّي عن منهاج المرسَلين مُؤذِنٌ بالهلاك، فلنكن على حذر.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾

• هي نفخةٌ واحدة؛ {ونُفخَ في الصُّور فصَعِقَ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ إلا مَن شاء الله}، فلا تعدُ قدرك أيُّها الإنسان، واسلك جادَّة النجاة والأمان!

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾

قِطَّنا: نَصيبنا من العَذاب.

• لو قدَروا الله حقَّ قَدْره لخافوا عقابَه، وما استعجلوا عذابَه؛ {أفبِعذابنا يستعجلون * فإذا نزَل بساحتِهم فساءَ صباحُ المُنذَرين}.

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا
سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ
مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ (الحزب ٤٦)
ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (سجدة)
﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾
يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

٤٥٤

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾

ذَا ٱلْأَيْدِ: صاحِبَ القُوَّةِ على الطَّاعةِ وفي الحرب.

• أيُّها الدعاة، إذا ضعُفتم فانظروا إلى مَن قبلكم من الرسُل كيف كان جَلَدهم وقيامهم بالحقّ، ومتى حَزبكم الهمُّ وازداد عليكم الغمُّ فاستحضِروا معاناة الأنبياء وصبرهم على أقوامهم، فإن في ذلك تثبيتًا لأفئدتكم وتسلية لنفوسكم.

• ليست القوَّة في صرع الناس والهيمنة عليهم، ولكنَّها في أخذ الكتاب بحزم وعزم؛ إقبالًا على الطاعات والواجبات، واجتنابًا للمحرَّمات والمكروهات.

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾

• ما من شيء إلا ويسبِّح بحمد ربِّه في ليله ونهاره، وما أحرانا أن نكون في جملة المسبِّحين، الذاكرين لربِّهم والمخبتين!

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾

وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ: البَيانَ الشَّافيَ والفَصلَ في الكَلام والحُكم.

• لمَّا قام داود بأمر الله بقوَّة قوَّى الله مُلكه، ولمَّا كان كثيرَ الرجوع إلى الله، دائمَ الانطراح بين يديه، هداه مولاه لأرشد الأمر، وللقول الفصل.

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾

• هكذا هم العلماء الربَّانيُّون؛ لا تشغلهم كثرة الأعباء عن تزكية نفوسهم وإصلاح قلوبهم، بالتزام محراب العبوديَّة في خلوةٍ من الناس، واجتنابٍ لصخب الحياة.

﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾

وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ: غَلَبَني في الكلام واشتدَّ عليَّ فيه.

• إن لصاحب الحقِّ مقالًا، وعلى القضاة أن تسَعَ صدورهم المتخاصمين لديهم، ويتيحوا لهم المجال رَحبًا للتعبير عن قضاياهم، وإخراج ما في أنفسهم.

• الكبير حقًّا مَن كان كبيرًا بسماحته وسَعة صدره؛ يقبَل النصيحة بأريحيَّة، ولو كانت ممَّن دونه في العمر والعلم والمنزلة، فإن الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبَع.

• أين نحن من أخلاق السلف؟ اشتدَّ يومًا الخلاف بين الشافعيِّ والصَّدَفيِّ في مسألة، فلمَّا التقيا قال الشافعيُّ: (يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكونَ إخوانًا، وإن لم نتَّفق في مسألة)؟

• الغلَبة باللسان لا تجعل الباطلَ حقًّا ولا الحقَّ باطلًا! ومن هنا حذَّر رسول الله ﷺ أمَّته بقوله: (لعلَّ بعضَكُم يكونَ ألحَنَ بحُجَّته من بعض، فمَن قضَيتُ له بشيءٍ من حقِّ أخيه فلا يأخذْهُ؛ فإنما أقطعُ له قطعةً مِنَ النَّار).

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾

وَأَنَابَ: رَجَعَ وتاب.

• مسؤوليَّة القاضي عظيمةٌ في إقامة ميزان الحقِّ والعدل، فلا يُحابي ولا يُداري، ولا يَعبأ باعتراض معترض، ولا يخشى في الله لومةَ لائم.

• الإيمان ومخافة الله والعمل الصالح من أعظم ما يَضبط مسارَ المعاملات الماليَّة بين الناس، فأين دعاةُ الفصل بين الدِّين والحياة من هذا؟!

• إنما غلا الألماسُ لنُدرته وصعوبة تحصيله، وكذلك كلُّ قليل نفيسٌ ثمين، والصالحون المُقسِطون المتَّقون قُلٌّ من كُثْر، فاستحقُّوا رفعةَ الله في الدنيا والآخرة.

• إقامة الصلاة ودوام الاستغفار يكفِّران الذنوب، ويصونان العبدَ من البغي وقبائح العيوب؛ ليتقرَّب إلى ربِّه المجيد، ويَنعَم في الآخرة بالمزيد.

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

• إنما أرسلَ الله المرسَلين، وأنزل الشرائع العظام، لإقامة التوحيد والعدل بين الأنام، وإشاعة الوئام والسلام؛ فمَن أبى إلا الجَورَ والطغيان، استحقَّ من الله شديد العذاب.

• لا يزال المرء يتَّبع هواه، حتى يضِلَّ ويفقِدَ هُداه، ويَخبِط خبطَ عشواءَ في دنياه، وله أشدُّ العذاب في أُخراه.

• الاستغراق في اللذَّات المحرَّمة يؤدِّي إلى الغفلة عن يوم الحساب، والإعراض عن إعداد الزاد ليوم المعاد.

وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ
ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ
حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ
فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ
وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ
لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ
كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ
مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ
بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾

٤٥٥

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾

• مَن أساء الظنَّ بربِّه وبكماله وحكمته فلا يلومنَّ إلا نفسَه؛ {وذلكُم ظنُّكُمُ الذي ظننتُم بربِّكم أرداكُم فأصبحتُم مِنَ الخاسرين}.

﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾

• العقل السليم يوقنُ أنه لا بدَّ من مَعاد وجزاء، يُثيب الله فيه المؤمنين الأتقياء، ويعاقب المفسدين الأشقياء.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾

• مَن اقتصرَ من القرآن على تلاوة كلماته، دون الإبحار في فهم آياته، والغوص في حِكمه ودَلالاته، فقد ضيَّع على نفسه الكثيرَ من بركاته.

• علامة صحَّة العقل ورُشده التذكُّر بالقرآن، ومَن لم يتذكَّر به فليس بذي عقل ولو حصَّل أعلى الشهادات، وارتقى أرفع الدرجات.

﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾

• لقد منَّ الله على داودَ بأن جعل ولدَه مَن يرِثه في العلم والنبوَّة، ويكون امتدادًا لفضله وخيراته، وتلك هِبةٌ من أعظم الهبات، وهي التي سألها زكريا عليه السلام بإلحاح: {فهَب لي من لَدُنكَ وَلِيًّا، يرِثُني ويَرِثُ من آلِ يعقُوب}.

• نِعمَ العبدُ عبدٌ لم تُقنِّطه المعصية، ولم تُيئِّسه الزلَّة؛ فكلَّما كبا جوادُه نهض بعزم جديد للتوبة والاستغفار، والندم والادِّكار.

﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١﴾

ٱلصَّٰفِنَٰتُ: الخيولُ الواقفةُ على ثَلاثِ قوائمَ وترفعُ الرَّابعةَ لنَجابَتِها وخِفَّتِها.

ٱلۡجِيَادُ: الخيولُ الأصيلةُ السَّريعة.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾

• إن الدنيا بكلِّ ما فيها لا تعدِلُ عند الله جناحَ بعوضة، فاحذر أن تَشغَلكَ مُغرياتُها الفانية، عن العمل لحياتك الباقية؛ {بل تُؤثِرونَ الحياةَ الدنيا، والآخرةُ خيرٌ وأبقى}.

• من تمام العقل والحكمة ألا تقدِّمَ الأدنى، على ما هو أهمُّ وأولى.

• فِرَّ من المُلهيات فِرارَكَ من الأسد، فما رأيته يصدُّك عن الخير ويَشغَلك عن الذِّكر فاحرِص على اجتنابه والتجافي عنه ما استطعت.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾

• إذا أحبَّ الله تعالى عبدًا ابتلاه، فإنْ صبرَ اجتباه واصطفاه، فطوبى لعبدٍ لم يجزَع عند المِحَن، واتَّخذ من التجلُّد مطيَّة يبلُغ بها غايةَ الأمل.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾

• لا تزال الذنوبُ تتراكم على القلب حتى تُعميَه، فمَن رام سؤال ربِّه من خيراته العظام، فليُبادر أوَّلًا إلى تطهير جَنانه من سواد الآثام.

• (إذا غامرتَ في شَرَفٍ مَروم / فلا تقنَع بما دونَ النجوم) وهل أشرفُ من سؤال الربِّ العظيم؟ فإذا سألتموه فاسألوه الفردوسَ الأعلى، فإنه سبحانه جوادٌ كريم.

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦﴾

رُخَآءً: ليِّنةً طيِّعة.

• مَن ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه، وهذا سليمانُ لمَّا عقر الخيلَ التي ألهته عن طاعة ربِّه، أبدله الله خيرًا منها، وجعل الريح تجري بأمره.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾

• حتى الشياطينُ سخَّرها الله لنبيِّه، وجعلها طوعَ أمره، ما كان منها صاعدًا في جوِّ السماء، أو نازلًا في أعماق الماء، إنه لا يُعجزه شيء، فتمسَّك بحبال ودِّه.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾

• قيَّد سليمانُ هواه بهوى مولاه، ولم يخرج عن طوع رضاه، فأطلق الله يدَه في ملكه يتصرَّف به كيف يشاء، في الإمساك والإعطاء.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾

• غاية مطمَع الصالحين، الفوز برضا الله وجنَّات النعيم، ومَن جعل الآخرة همَّه نوَّله الله مُناه، وأتته الدنيا وهي راغمة.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾

• اللجوء إلى الله تعالى عند المرض والغموم هو الطريقُ الموصل إلى زوال الألم، وبلوغ الأمل.

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾

• ما استحكم عسرٌ إلا أعقبه اليُسر، فلنُحسِن الظنَّ بربِّنا، ولنُلحَّ بسؤاله؛ فإن فرَج الله قريب من المحسنين.

وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ
(٤٣) وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ
ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ (٤٤) وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي
ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ (٤٥) إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ (٤٦)
وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ (٤٧) وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ
وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ (٤٨) هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ
لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ (٤٩) جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ
فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ (٥١) ۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَٰذَا
لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ (٥٤) هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ
(٥٥) جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ
وَغَسَّاقٞ (٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ (٥٨) هَٰذَا فَوۡجٞ
مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ (٥٩) قَالُواْ
بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ (٦٠)
قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ (٦١)

٤٥٦

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٤٣) وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ (٤٤)﴾

• انظروا إلى فضل الله تعالى على عباده الذين يبتليهم فيصبرون على محنه وبلائه، وترضى نفوسهم بقدره وقضائه.

• فليتأسَّ بأيوبَ كلُّ مبتلًى، وليَرجُ من الله مثلَ الذي رجا، فإن رحمة الله بعباده واسعة، وما بينه وبين الإجابة إلا الدعاءُ وحُسن الإنابة.

• ما عرَف الشقاءَ مَن أُوتيَ قلبًا بصيرا، وعقلًا راجحًا كبيرا، فإنه يعلم أن عاقبة الصبر الفرَج.

• الفرَجُ قادمٌ لا محالة من حيثُ تدري أو لا تدري، فلا تَشغَل بالك به، ولكن أنِبْ واصبر.

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ (٤٥)﴾

• ما أجملَ ما وصفَ الله به هؤلاء الأخيار! فالأيدي: القوّة في تنفيذ الحقّ، والأبصار: البصائر في الدين، فوصفهم بكمال إدراك الحقّ، وكمال تنفيذه.

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ (٤٦)﴾

• لعمرُ الله، ما الحياة الدنيا إلا دار فناء، فأصلِح منها بمقدار إقامتك فيها، واجعل همَّك دومًا في إصلاح دارك الحقيقيَّة، دارِ الخلود والبقاء.

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ (٤٧)﴾

• إن رغبتَ باصطفاء الله لك، فاسلك سبيل عباده الأخيار المصطفين؛ عملًا وإخلاصًا لهذا الدين، وصبرًا على البلاء بصدق اليقين.

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ (٤٨)﴾

• الاصطفاء الحقيقيُّ ليس في إقبال الدنيا على العبد، ولكن في اختيار الله له لطاعته، وتوفيقه للاستقامة على شريعته.

﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ (٤٩)﴾

• مَن اتَّقى الله أكرمه بطِيب الثناء في الدنيا، وبحُسن المآب في الآخرة.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ (٥٠)﴾

• أبواب الجنان مفتَّحةٌ أبدًا للمتَّقين، فيا فوز مَن عمل لها، وحاز نعيمها من الأوَّلين والآخرين.

• إنها دار إقامة، ودار نعيم وكرامة، لا تُغلَق أبوابها في وجوه الصالحين، ولكنَّها تُفتَّح لهم على مصاريعها، لينالوا فيها من ألوان التكريم.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ (٥١)﴾

• هذا أوان التفكُّه والتلذُّذ، في حياةٍ لا كدَر فيها ولا تنغيص، ولكن محضُ سعادة وهناء، وبهجة وصفاء، فأين المشمِّرون لها؟

﴿۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ (٥٢)﴾

• وصفٌ لنساء الجنَّة ما أجملَه وأكمله! فما أحسنَ أن تتشبَّه نساءُ الدنيا بهنَّ في العفَّة وغضِّ الطَّرف؛ ليكونَ زوجُها وحدَه مهوًى لفؤادها، وشقيقًا لروحها.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ (٥٣)﴾

• ما أقربَ النعيمَ المقيم لأهل الصلاح والدين، فليَقَرُّوا عينًا، وليطيبوا نفسًا بوعد الله الحقّ، فإذا كان هذا جزاءهم فما أيسرَ حسابَهم!

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ (٥٤)﴾

• إن الله يرزق البَرَّ والفاجر في الدنيا، فما الظنُّ برزقه لأهل طاعته في دار الجزاء؟ إنه عطاء دائم غير مقطوع ولا منقوص.

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ (٥٥)﴾

• ليس لعبدٍ عُذر، فقد بيَّن الله ثوابَ المتَّقين الصادقين، وعقابَ الطاغين المفسدين، إقامةً للحجَّة، وترغيبًا وترهيبًا.

﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ (٥٦)﴾

• بئسَ المهادُ مهادٌ تُشوى فيه جنوبُ المكذِّبين وظهورُهم، كلَّما نَضِجَت جلودهم أبدلهم الله غيرها؛ ليذوقوا العذاب، ويا له من عذاب!

﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ (٥٧)﴾

• أمَّا العِطاشُ في جهنَّم فشرابهم ماءٌ يغلي، وصديدُ أجسادهم المحترقة، فليهنؤوا بعذوبته، وليسعدوا بمذاقه!

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ (٥٨)﴾

• شتَّانَ بين أهل الجنَّة الذين يتقلَّبون في ألوان النعيم، وأهل النار الذين يتقلَّبون في أنواع العذاب الأليم!

﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ (٥٩)﴾

• بئسَ حالُ أهل النار يوم لا ينتفع بعضُهم من بعض! فلا يفرح برؤية بعضُهم بعض، ولا يرَون في القادم إليهم خلاصًا، بل هو لاحقٌ بهم معذَّب معهم.

﴿قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ (٦٠) قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ (٦١)﴾

• يودُّ كلُّ منحرف أن يلقيَ بتَبِعة انحرافه على غيره ممَّن أغراه بالباطل وأغواه، ولكن هيهات، فهم في الجُرم والعذاب سواء.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾﴾

• يوم الحساب تتكشَّف الحقائق، فيُعرف المؤمنون الصالحون، ويُفضح المجرمون الطالحون، فلا تخدعنَّكم المظاهر، فرُبَّ مدفوعٍ بالأبواب له عند ربِّه مقعدُ صدق.

﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾

أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا : هل تحقيرُنا لهم خطأ؟

زَاغَتۡ : مالت فلَم تقع عليهم.

• يغشى الباطلُ عيون الكافرين فيتَّخذون المؤمنين غرضًا لسُخريَّتهم وانتقاصهم، والذين اتَّقوا فوقهم يوم القيامة.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

تَخَاصُمُ : جِدال.

• تخاصمُ أهل النار لا بدَّ كائن، فما أسعدَ مَن نجا منها ومن تلاوُم أهلها، ولم يكن فيها تابعًا ولا متبوعًا.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾

• ليس عليكم أيُّها الدعاةُ هدايةُ الناس، ولكنَّ الله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم، فاجتهدوا بالدعوة، وتسلَّحوا بالصبر، ودَعوا النتائج للواحد القهَّار.

• إن القهَّار لغيره على ما يريد، ومقدِّر الأقدار وَفق ما يشاء، هو وحدَه المستحقُّ للتعظيم والعبادة، ولا ينبغي أن يُشرَك معه سواه.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾

• ما أرحمَك ربَّنا وأرأفك بعبادك! قدَّمت لهم من الوعيد ما قدَّمت إن تجاوزوا، وتركتَ باب التوبة أبدًا مفتوحًا لتُقيلَ عثرتهم وتغفر حَوبتهم.

﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

• على المُعرضين عن النبأ العظيم أن يتدبَّروا بيانه المُبين عن صدقه بما أخبر به عن المغيَّبات؛ فإنما هو وحيٌ من الله فيه النِّذارة لهم، فليتعقَّلوا وليرجِعوا عن غيِّهم وإعراضهم.

• لمَّا كان القرآن يهدي للتي هي أحسن من السُّبل الموصلة إلى الفلاح، كان نبأً عظيمًا جديرًا بالاهتمام، ولكن ما أقلَّ المقبلين عليه والمنتفعين به!

﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾

سَوَّيۡتُهُۥ : خلَقتُ جَسدَهُ كامِلًا مُتناسِقَ الأعضاء.

سَٰجِدِينَ : سُجودَ تحيَّةٍ وإكرام، لا سُجودَ عِبادةٍ وتعظيم.

• لا يزال الإنسان يترقَّى في مدارج الرفعة ما اتَّصل بالله الذي نفخ في أصله، فإذا قطع الصِّلة بربِّه هوى إلى أحطِّ دركات الهوان.

﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾

• حاز الملائكةُ أرفعَ درجات القُرب بما امتازوا به من امتثالهم أمرَ الله، واجتماع كلمتهم واتحاد صفوفهم في طلب رضاه.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

• الكِبْر داءٌ ما استحكم من قلب عبد إلا بلغ به هاويةَ الكفر والجحود، أعاذنا الله منه ومن شروره.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾

• كلُّ مَن استنكف عن طاعة الله وأنِف من الخضوع لشرعه فقد ائتمَّ بإبليسَ الشيطان، أوَّل مَن سنَّ العصيان، وقائد المستكبرين إلى النيران.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾

• كم أهلكت (أنا) من أقوام، حمَلتهم على ألا يروا إلا ذواتِهم، ظانِّين أنهم فوق الخلق أجمعين! فما أسوأ مصيرَهم!

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ
سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ
ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ
إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ
رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ
فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ
أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ
مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ
﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾

• الإصرار على العصيان، والتمادي في الطغيان، ينتهي بصاحبه إلى الطرد من رحمة الله تعالى؛ فلا مكان في عالم القداسة لخبيث النفس فاسد الطويَّة.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾

فَبِعِزَّتِكَ : بسُلطانِكَ وعَظَمتِك.

ٱلۡمُخۡلَصِينَ : الذين أخلَصتَهم واصطَفيتَهم لِعبادَتِك.

• المعركة مع إبليسَ مستمرَّة إلى قيام الساعة، فإنه ما طلب الإفساحَ في أجَله إلا لمزيد من إغواء الخلق وإضلال العباد؛ {إنَّ الشيطان لكم عدوٌّ فاتَّخِذوه عدوًّا}.

• الفطرة تُقرُّ بعزَّة الله وعظمته ووَحدانيَّته، ولكنَّ المستكبرين يأبَون إلا أن يخالفوا عنها، ويتنكَّبوا صراطها.

• طريق النجاة من كيد الشيطان محفوفٌ بالعقبات، من شبُهات وشهَوات، فمَن قهرها بالإيمان واليقين، وإخلاص العبادة لربِّ العالمين، فقد فاز وأنجح.

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ
مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ
بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ
كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ
مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى
ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

• إن الله سبحانه هو الحقُّ وقوله الحقُّ، فقد جعل على نفسه حقًّا قاطعًا أن يلقى إبليسُ وجنوده وأتباعه شرَّ مصير، وأن من رحمة الله التي وسعت كلَّ شيء أنه سبحانه حذَّر خلقه من طريق الضلالة، وبيَّن لهم عاقبتها؛ فمَن اختار سلوكها بملء إرادته، فهو وما اختار.

﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾

أَجۡرٍ: جزاءٍ وأُجرةٍ على الهداية والدَّعوة.

ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ: المُتَصَنِّعِينَ المُتَقَوِّلِينَ على الله.

• ليحرِص الدعاة على الترفُّع عمَّا في أيدي الناس، ومخاطبتهم بمنطق الفِطرة القريب، من غير تكلُّف ولا تصنُّع.

• لعلَّ من أشنع التكلُّف أن يخوضَ المرء فيما لا علم له به، ومن هنا قال أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه: (مَن علِم علمًا فليُعلِّمه، ولا يقولنَّ ما ليس له به علم؛ فيكونَ من المتكلِّفين).

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

• مهما اختلف البشَر وتفاوتوا في عقولهم وفهومهم ومشاربهم وثقافاتهم فإنهم بلا ريب ينتفعون بالقرآن العظيم ما صدَقوا في الإقبال عليه.

﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾

نَبَأَهُۥ: خَبَرَ القرآنِ وصدقَه.

• مَن كذَّب بهذا الكتاب العظيم سيؤمن به ولو بعد حين، فرحم الله مَن خضع لربِّه، وآمن بكتابه في الدنيا، قبل ألَّا ينفعَه الإيمان به في الآخرة.

سُورَةُ الزُّمَرِ

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾﴾

• كما أن الله تعالى كاملٌ في ذاته وأسمائه وصفاته، فإن كلامه كذلك كاملٌ من كلِّ وجه، فطوبى لمَن تعلَّمه وتدبَّره وعمل بما فيه.

• إن القرآن الكريم تنزيلٌ من الله العزيز القوي، فمَن أخذه بقوَّة وصدق عاش عزيزًا كريمًا، وناله من العزَّة والتمكين بقدر نصيبه منه.

• مهما كاد الكفَّار لهذا القرآن، وحاكوا له من مؤامرات، فإنه لظاهرٌ باقٍ بنفاذ أحكامه وجرَيان آدابه؛ لأنه من لدُن عزيز لا يُغلب.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾

مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ: مُوَحِّدًا له العِبادةَ والطَّاعة.

• إنزال الكتاب الذي فيه تِبيانُ كلِّ شيء نعمةٌ عظمى تقتضي أن يقابلَها رسولُ الله ﷺ وكلُّ مسلم بالشكر، وأبلغُ الشكر إفراد مُنزله بالعبادة والطاعة.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾﴾

ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ: الطَّاعةُ التامَّةُ السَّالمةُ من الشِّرك.

• إن الله هو الذي شرع الدين لعباده، فهل يليق أن يُشرِكَ العبدُ مع المعبود في إقامة الدين؟! ألا فأخلصوا لله العبادة.

• تتجلَّى عظمةُ الإسلام في عنايته بالتوحيد الخالص، ورفض أيِّ واسطة بين الخلق والخالق، فيا لَضلالِ مَن جعل بينه وبين ربِّه أحدًا!

• أعجبُ العَجَب أن تسمعَ بعض العباد يسألون من دون الله وليًّا صالحًا، فإذا أنكرتَ عليهم قالوا: ما دعوناهم إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلفى!

• بعض الدَّعاوى مهما كانت ظاهرةَ التهافت والبطلان ينبغي نقضُها وتفنيدها؛ لئلا يبقى لأحدٍ من الخلق شُبهة أو حُجَّة بباطل.

• يُحرَم الإنسانُ من الهداية بقدر وقوعه في المعاصي عمومًا، ومنها الكذب، وكلَّما لزم المرء جادَّة الصدق في قوله وعمله كان أحظى بهداية ربِّه، وأجدرَ بالتوفيق إلى الثبات على الحقِّ.

﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾

لَّٱصۡطَفَىٰ: لاختار.

• لا يكون قهَّارًا حتى يكونَ مستغنيًا عن الولد وسائر الخلق، أمَّا المحتاجُ إلى الولد فهو المقهورُ بالضعف والموت، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾

يُكَوِّرُ: يُدخِل.

• مع عزَّة الله وقوَّته فتحَ الطريق أمام العباد للتوبة والإنابة، فأين المستغفرون التائبون؟

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦﴾

• الذي جعل للرجل زوجةً يسكُن إليها، وجعل لبني آدمَ أزواجًا من الأنعام ينتفعون بها؛ هو الإله الحقُّ الذي يُطلب منه المدد، وليس الذي لا يخلُق ذكرًا ولا أنثى، ولا يجلِب رزقًا ولا نفعًا.

• من أعظم ما يتجلَّى فيه بديع صُنع الله تعالى هو تجدُّد الخلق والولادة، وأطوارُ الجنين في ظلمات لا يُبصرها أحدٌ سواه، فهل من متأمِّل متدبِّر؟

• إن الذي لطَف بك ورعاك وأنت جنينٌ ضعيف في ظلمات الرحم هو الذي يرعاك في مراحل حياتك، فأحسِن الظنَّ بربِّك، وأخلص له التوكُّل.

﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾

• إن الله غنيٌّ عن عباده وطاعتهم، ولكنه لكمالِ رأفته بهم يحبُّ الطاعةَ منهم، لإكرامهم والتفضُّل عليهم.

• عن قَتادة قال: (والله ما رضيَ الله لعبده ضلالةً، ولا أمره بها ولا دعا إليها، ولكن رضي لكم طاعتَه وأمركم بها).

• شتَّانَ بين رضا الناس ورضا خالق الناس، فهنيئًا للشاكرين لأنعُم الله، الفائزين برضاه؛ فإنه نعمَ الفوز.

• كلُّ نفس مجزيَّة عن عملها، لا يَضيرها إفساد المفسد، كما لا ينفعها إحسانُ المحسن، فإيَّاك أن تتعلَّق بعمل غيرك، ولكن أحسِن يُحسَن إليك.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨﴾

• في المحن تتجلَّى الحقائق، ويدرك المرء من عُمق فؤاده أنه لا يفرِّج الهمَّ ويزيل الغمَّ ويَكشِف السوء إلا الله تعالى، فيتوجَّه إليه مخلصًا في الدعاء والتذلُّل.

• عجبًا للإنسان ما أسرعَ نسيانَه لأنعُم الله عليه حينما يفرِّج عنه أحزانه! فما أحراه أن يستحضرَ أفضاله على الدوام؛ ليعيشَ شاكرًا حامدًا!

• أيام الفرد على هذه الأرض معدودةٌ محدودة، وكلُّ متاعٍ فيها قليلٌ قصير مهما كثُر وامتدَّ، والعاقل مَن آثرَ الباقي على الذاهب الفاني.

﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾

• في هذه الآية صورةٌ للقلب الخائف الوجِل، الذي لا ينسى ربَّه في سرَّاء ولا ضرَّاء، ويعيش حياته في حذرٍ من الآخرة وأهوالها، متطلِّعًا إلى رحمة الله وفضله.

• الليل أدعى إلى طلب النوم والراحة، فإذا آثرَ المرء العبادة فيه، استنار قلبُه بنور التقرُّب إلى الله، والأُنس بالقيام والقنوت، حتى يورثَه العلم واليقين.

• إن العلم إذا رسَخ في القلب وتشرَّبته النفس حملَ صاحبَه على خَشية الله والعمل الصالح، وظهر أثرُه في النفس؛ {إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ}، وشتَّان بين عالم وجاهل!

• أنَّى للكافر أن يكونَ مع المؤمن في ميزان الله سواء؟! كلا؛ {أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ}.

• لا يملك العلم اليقينيَّ الموصِلَ إلى الله إلا أصحابُ القلوب الواعية المدركة للحقائق، المنتفعة بما ترى وتعلَم، التي تذكر الله في كلِّ حين، ولا تنسى يومَ لقاه.

خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ
خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ
ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ
لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧
۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ
مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ
عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ
٨ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ
وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ
وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠

الحزب ٤٦

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾

• هذا الخطابُ لك أنت أيُّها المؤمن، فلا تغترَّ بإيمانك وصلاحك، فإنك أولى الناس بالتقوى ومراقبة الله في السرِّ والعلن.

• ما أجزلَ جزاءَ الله، وما أوسعَ عطاءه؛ حسنةٌ في الدنيا القصيرةِ الأيام، يقابلها حسنةٌ في الآخرة دارِ البقاء والدوام!

• ليس لك من عُذر أيُّها المسلم في ترك الواجبات واقتراف المنكرات، فإن أُرغمتَ على الباطل في مكان فأرضُ الله واسعة.

• يعلم الله مشقَّةَ الهجرة من الوطن، وكراهية النفوس للنأي عن الدار والأهل، فأعدَّ للمهاجرين في سبيله أجرًا دائمًا لا ينقطع.

• ثواب الصبر في الدنيا حسناتٌ في الآخرة بلا حدٍّ ولا عدٍّ، فأين الصابرون المتجلِّدون المحتسبون من هذا الأجر العظيم؟

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

٤٦٠

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾

• أصل دعوات الأنبياء جميعًا الدعوةُ إلى التوحيد الخالص من شوائب الشِّرك الظاهر والخفيِّ، بصدق التوجُّه إلى الله وحدَه، فويلٌ لمَن لم يخلص العمل لله.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾

• إحراز قصَب السَّبق في الدين إنما يكون بالإخلاص فيه، وإخلاصه ﷺ أتمُّ من إخلاص كلِّ مخلص، فأين المتأسُّون بسيِّد الأوَّلين والآخرين؟

• من أعظم أساليب التربية: التربيةُ بالقدوة، وقد كان رسولنا ﷺ قدوةً في كلِّ شيء، في إقباله على ربِّه بصدق العمل، ومسارعته في المبرَّات والطاعات.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

• لا محاباةَ في دين الله تعالى، حتى الرسول الكريم صاحب الخُلق العظيم لو عصى ربَّه لما أمِنَ من العذاب، أفيأمنُ منه سواه؟!

• قُل بمِلء فمك وأعلِنها بصوتك لمَن يُغريك بمعصية أو يدعوك إلى ضلالة: {إنِّي أخافُ إن عَصَيتُ رَبِّي عَذابَ يَومٍ عَظِيم}.

• بمقدار خوفك من الله في الدنيا يكون أمنُك في الآخرة، ألم ترَ إلى السبعة الذين يُظِلُّهم الله في ظلِّه يوم القيامة؟ فيهم رجلٌ دعَته امرأة ذات مَنصِب وجمال فقال: إني أخاف الله.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾

• الإخلاص لله قضيَّة القضايا، أولاها القرآن عنايةً كبرى؛ لخطرها وعِظَم أثرها، فإن الانحراف عنه يودي بصاحبه إلى الجحيم.

• قال قتادة: (ليس أحدٌ إلا وقد أعدَّ الله له أهلًا في الجنَّة إن أطاعه)؛ أمَّا العصاة فيُحرَمون من الأهل والأنيس، زيادةً في تعذيبهم.

• خسران الدنيا بما فيها ليس بشيء أمام خسران الآخرة. (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعلُ أحدُكم إصبعَه في اليمِّ، فلينظر بمَ يرجع)؟!

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

• سبحانك ربَّنا ما أرأفك بعبادك! تخوِّفهم من عذابك، وتدعوهم لاتِّباع أوامرك، رغبةً في فلاحهم ونجاتهم.

• تمام العبودية لله في طاعته وتقواه، أمَّا أن تكون مجرَّد ادِّعاء مع العكوف على المعاصي والآثام، فما هي بالعبودية الحقَّة التي يرضاها ربُّنا.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾

• بشائر الدنيا لا تعدِل عند المؤمن هذه البِشارةَ من الكريم الوهَّاب، فطوبى لمَن كان لها أهلًا، بلزوم التوحيد والرجوع إلى الله بعد الزلَل.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾

• النفس الطيِّبة تتفتَّح للقول الطيِّب فتتلقَّاه وتستجيب له، والنفس الخبيثة لا تتفتَّح إلا للخبيث من القول، ولا تستجيب إلا له.

• اعلم أيُّها المسلمُ أن الهداية من الله، فإيَّاك أن تغترَّ بطاعتك، واحمَدِ الله على ما وفَّقك إليه.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾

• لم تَحِقَّ عليهم كلمةُ العذاب بقهر ولا إلزام، ولكن باستمرارهم على غيِّهم وعِنادهم، حتى صحَّ فيهم المثَل: (يداك أوكتا وفوك نفخ).

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾

• المتَّقون الصالحون لهم من فوقهم غُرف، ومن تحتهم الأنهار، والناكصون الخاسرون لهم من فوقهم ظُلل من النار، ومن تحتهم ظُلَل، فما أبعدَ الفرقَ بين هذا التبشير وذاك التهديد، وبين هذا الوعدِ وذلك الوعيد!

• يا له من تحفيز إلى العمل الطاهر، وتشويقٍ إلى الجزاء الوافر، فاستحضِر أيُّها المسلمُ أنك بتقواك لله تسعى في بناء بيت لك في الجنَّة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

• كما رغَّب الله في الجنَّة وأغرى بالعمل لها، فإنه نفَّر من الدنيا والركون إلى زُخرفها والاغترار بمتاعها، وبيان حقيقتها بهذا التشبيه البليغ، ولكنْ قليلٌ مَن ينتصح.

• ما من نبتة في الأرض إلا وتحكي قصَّة الدنيا ومصيرها المحتوم، في خُضرتها وصُفرتها ويُبسِها وحُطامها، فهل من متَّعظ مُعتبِر؟

• الغافلون عن الآيات لا ينتفعون بموعظةٍ ولا نُصح، ووحدَهم أصحابُ العقول مَن يتدبَّر المواعظ فيتذكَّر وينتفع، جعلنا الله منهم.

الجزء الثالث والعشرون — سورة الزمر

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم
مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

٤٦١

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

فَوَيْلٌ: هلاكٌ وحسرةٌ.

• إن وجدتَّ في قلبك إقبالًا على الله، وحبًّا لدينه وشريعته، ورضًا بقضائه وقدَره، فأنت على نور من ربِّك، فهنيئًا لك.

• قال مالكُ بن دينار: (ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظمَ من قسوة قلب، وما غضب الله عزَّ وجلَّ على قوم إلا نزعَ منهم الرحمة).

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

مُّتَشَٰبِهًا: يُشبِهُ بعضُهُ بعضًا في الحُسنِ والإحكام.

مَّثَانِىَ: تُثَنَّى وتُكَرَّرُ فيه الأحكامُ والقِصَصُ والحُجَج.

• كيف لا يكون القرآن أحسنَ الحديث وهو كتابٌ لا ريبَ فيه هدًى للمتَّقين، وشفاءٌ ورحمة للمؤمنين؟

• يا مَن تجد قسوةً في قلبك، وبرودًا في مشاعرك، دونك الدواءَ الشافي، والبلسمَ الوافي، الذي يليِّن الجلود والقلوب؛ إنه كتاب الله؛ تدبَّر آياتِه، وتفكَّر بحِكمه وأحكامه.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• عادة المرء إذا دَهَمه خطرٌ أن يدفعَ عن وجهه ويحميَه بيديه، أمَّا الكفَّار فلهوانهم على الله تُغَلُّ أيديهم حتى يَعجِزوا عن اتِّقاء العذاب إلا بوجوههم.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

ٱلْخِزْىَ: الذُّلَّ والهوان.

• شعور العاصي بالأمان عند مقارفته للمعصية دليلٌ على انطماس بصيرته، فالحذرَ الحذرَ؛ فإن عقوبات المعاصي تأتي من حيث لا يتوقَّع أهلُها.

• لمَّا كان كِبرُهم وتعاظُم نفوسهم سببًا في كفرهم وجحودهم، عاقبهم الله بالخزي والهوان في الدنيا، ولهم في الآخرة ما هو أشدُّ وأنكى.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

مِن كُلِّ مَثَلٍ: من أمثالِ القُرونِ الخاليةِ وأمثالِ التَّوحيدِ والشِّرك وغيرِها.

• التنوُّع في أساليب الخطاب وضرب الأمثلة من سيماء الخطاب القرآنيِّ المؤثِّر، وينبغي أن يستفيدَ منه المربِّي والداعية.

• لم يورد الله سبحانه قصصَ الأمم الخالية، وما اعتراها من هلاك بكفرها إلا تخويفًا وتحذيرًا من مصيرها، أفلا نتَّعظ ونتذكَّر؟!

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

عِوَجٍ: اضطِرابٍ ولَبْسٍ.

• على مدار القرون وأعداءُ الإسلام يفحصون وينقِّبون عن عيب أو خلل في القرآن القويم، فما عادوا إلا بالخيبة والإخفاق.

• إن كنت تحرص على استقامة حياتك، واجتناب العِوَج واللَّبس، فعليك بالوحي الرشيد؛ فإنه يهدي إلى الحقِّ وإلى صراط مستقيم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

• يعيش المؤمن الموحِّد الراحة والسلام لإقباله بكليَّته على ربٍّ واحد، أمَّا مَن تفرَّقت به الأهواء والشهوات فيعيش ممزَّق النفس.

• بعض الحقائق لا تتطلَّب كثيرَ أخذ وردٍّ، ويكفي فيها مثَلٌ أو سؤال يُخاطب الفطرة ويُقيم الحُجَّة؛ كما في هذه الآية، وكما في قوله: {أأربابٌ مُتفرِّقون خيرٌ أم اللهُ الواحدُ القهَّار}.

• أكثِروا من حمد الله أيُّها الموحِّدون على ما وفَّقكم إليه وهداكم له من توحيدٍ خالص، فإنه نعمةٌ جليلة، وبالشكر تدوم النعم.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

• مهما طالت بك الحياة أيُّها الإنسان، فإن مصيرك المحتومَ إلى الموت، ولو شاء الله أن يعصِمَ أحدًا منه لعصم أحبَّ خلقه إليه، ﷺ.

• الحياة الدنيا زائلةٌ فانية، فضع نُصبَ عينيك ما يكون وراءها؛ فاحذر أن يكونَ المؤمنون المتَّقون خُصماءك يوم القيامة، واحذر عبدًا ظلمتَه بغير حق.

• يقينُك أيُّها المسلم بما يكون في القيامة من انتصاف وإنصاف، يجعلك تعيش عمرك صبورًا رضيًّا، مطمئنًّا إلى عدل الله تعالى.

الجزء ٢٤ الحزب ٤٧

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ
ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ
قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

٤٦٢

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

بِٱلصِّدْقِ: بالحقِّ.

• الكذب على الخَلق فعلٌ خسيس قبيح، فما بالُك بالكذب على الخالق، بأن يُنسبَ إليه ما لا يَليقُ به من شريك أو ولد؟!

• تقبَّلِ الحقَّ والصدق مهما كان مُرًّا، ولو على نفسك، ولو جاء به أبعدُ الناس عنك، فقد جعل الله من أعظم الظلم ردَّ الحقِّ والتكذيبَ بالصدق.

• إن الرجل لَيكذِبُ ويكذب حتى يُكتبَ عند الله كذَّابًا، فكيف إذا كان كذِبُه على الله ورسوله؟! إن النار موعدُه وبئسَ المصير!

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾

• جميعُ خِصال التقوى ترجع إلى الصِّدق بالحقِّ والتصديق به، فيا فوزَ مَن حاز الصفتَين، وجمع بين الحُسنيَين.

• العبرة ليست بتنميق الكلام وحلاوة اللسان، ولكن بما في القول من حقٍّ وصدق، وإيمان ويقين، ولا يوفَّق لهذا إلا تقيٌّ أمين.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾

• أحسَنوا في الأولى بأن سلَّموا له ما يشاء، فأحسنَ إليهم في الأخرى بأن سلَّم لهم ما يشاؤون.

• القرب من الله من أعظم لذائذ الآخرة، وهو كرمٌ منه سبحانه فوق كلِّ ما يؤتيه للمتَّقين المحسنين، أن يكونوا {عندَ ربِّهم} جلَّ وعلا.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

• ما أحسنَ المعاملةَ مع الله تعالى؛ يكفِّر عظيمَ الخطايا، ويُثيب على أفضل الطاعات، إنها تجارة رابحة، فأين المتاجرون؟

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾

• بلى، إن الله كافي عبدِه ومتولِّيه ما قام بحقِّ العبوديَّة لله وحده، فمَن ذا الذي يُخيفه، وأنَّى له، إذا كان القويُّ القاهر معه؟

• متى أيقنتَ أيُّها العبدُ بعلوِّ ربِّك وعظيم كفايته لأوليائه المتَّقين المحسنين، لم تخَف أحدًا من خلقه، فكلُّ كبير مع الله صغيرٌ حقير.

• هذا ما ينبغي أن يكونَ عليه قلبُ المؤمن من ثقة ويقين وطُمأنينة، حينما توزن القوى بميزانها الصحيح.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

• مَن كان الله كافيَه وهاديَه فلن يضلَّ سبيلا.

• الهداية عطيَّةٌ من عطايا الله لعباده، وعلى المرء ألا يَركَنَ إلى عمله وصلاحه، وأن يبديَ افتقاره الدائم إلى مِنن ربِّه وهدايته وتثبيته.

• بلى، إن الله عزيزٌ لا يُغلَب، فمَن حادَّ دينه الذي ارتضاه لعباده، وحادَّ نبيَّه الذي أرسله رحمة للعالمين، انتقم منه شرَّ انتقام.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾

• حتى المشركون الكافرون يُدركون في قرارة نفوسهم وعُمقِ فطرتهم أن الله تعالى هو وحدَه الخالق البارئ، ولكنَّه الزيغ واتِّباع الهوى!

• ما الذي يخشاه داعيةٌ إلى الله تعالى، وما الذي يرجوه؟ وليس أحدٌ من البشر بصارفِ السوءَ عنه، ولا مانع الخيرَ إلا أن يشاء الله؟

• قُل: (حسبيَ الله)، ولو كنتَ ضعيفًا فقيرًا، لا حولَ لك ولا قوَّة. قُلها بلسانك، وأيقِن بها بقلبك، تَحصُل لك بها الكفايةُ التامَّة والرعاية الخالصة.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

مَكَانَتِكُمْ: حالَتِكُمُ التي رَضِيتُموها لأنفُسِكُم.

يُخْزِيهِ: يُذِلُّهُ ويُهينُهُ.

• أرأيتم إلى صدق التوكُّل على الله والاعتصام بعزَّته، كيف يمنح العبدَ قوَّة وجرأة في الحقِّ، لا يخشى معها أحدًا من البشَر؟

• يُقال للضالِّين الغاوين: امضُوا على غيِّكم، فكلٌّ يعمل على شاكلته، وستعلمون غدًا أيَّ منقلَبٍ تنقلبون.

• يا له من تهديد يُزلزل القلوب لو وعَت؛ كلُّ عذابات الدنيا تحُول وتزول، ووحدَه عذاب الآخرة مقيمٌ لا يرحل.

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٍ (٤١) ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي
لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ
وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ
أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ (٤٣) قُل
لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ
إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ (٤٥) قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (٤٦) وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ (٤٧)

٤٦٣

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ (٤١)﴾

• أيُّها الناسُ اسمعوا وعُوا، وإذا وعَيتُم فانتفعوا؛ إن الله إنما أنزل القرآنَ لأجلكم ولخيركم، فاعتصِموا بحبله، واستمسكوا بهديه.

• ما تقبلُ به من حقٍّ وتُقبلُ عليه من هدًى فإنما هو رصيدٌ لك تدَّخره إلى يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا ولد، إلا مَن أتى الله بعمل صالح خالص.

• إن الله غنيٌّ عنك وعن عملك، لا ينفعه صلاحُك وبرُّك، كما لا يَضُرُّه عُقوقك وجحودُك، وقد أفلح مَن زكَّى نفسَه، وخاب مَن دسَّاها.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)﴾

يَتَوَفَّى: يقبِض.

• إنه تنبيهٌ لكلِّ ذي لُبٍّ أن الله وحدَه المستحِقُّ لتمام العبوديَّة وكمال الألوهيَّة، فهو الذي يُحيي ويُميت، ويفعل ما يشاء، فإيَّاك أن تَصرِف شيئًا من العبوديَّة لسواه.

• لمَّا كان نومُنا مَوتةً صُغرى أوصانا نبيُّنا ﷺ إذا أوينا إلى فُرُشنا أن ندعوَ: (باسمك ربِّي وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكتَ نفسي فارحمها، وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين).

• آيات الله الدالَّةُ على كمال قدرته وشمول رحمته كثيرةٌ وافرة، ولو أننا تأمَّلنا في نومنا ويقظتنا لأدركنا آيةً منها، ما أعظمَها وأجلَّها!

• مع كلِّ نومة تنامها تفكَّر أنها ربما تكون آخرَ عهدك بالدنيا، فاستقبِل النومَ بطهارة الظاهر والباطن، فما يُدريك لعلَّك لا تقوم بعدها إلا للحشر!

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٤٤)﴾

• استحسَنوا بعقولهم القاصرة ما اتَّخذوه دينًا والدين منه بَراء، فأضلَّهم الله وأبعدهم عن رحمته، وذاك جزاءُ المبتدِعين بلا دليل ولا برهان.

• أنَّى لمَن ليس له من الأمر شيء أن يَشفَع لغيره؟ ألا إن الشفاعة لجبَّار السماوات والأرض، لا يَشرَكه فيها أحد.

• اقطع حبالَ الطمع بكلِّ مَن يَخفِق قلبُك بالحاجة إليه؛ فإن الخلق جميعًا مهما بلغوا قوَّةً وقدرة، إنما هم ملكٌ لله، عبيدٌ لجبروته.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ (٤٥)﴾

ٱشۡمَأَزَّتۡ: نفَرت.

• أيُّ انتكاس أبلغُ من هذا الانتكاس؛ أن ينقبضَ صدر المرء عند ذكر الله وشرعه وأوليائه، وينشرحَ عند ذكر الأوثان والطغاة والفجَّار؟!

• كلَّما عظُم الإيمانُ بالآخرة في قلب العبد عظُم توحيدُه لربِّه وتعلُّقه به وإخلاصُه له، واستبشَر بذكره وسماعِ ذكره.

• إذا سمعتَ كلام الله فلم يؤثِّر في نفسك، فاحذر أن تكونَ ممَّن طُبع على قلوبهم، وباتوا يأنَسون بالبشَر، ويَنفِرون من ربِّ البشَر!

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (٤٦)﴾

فَاطِرَ: خالِق ومُبدِع.

ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ: السِّرّ والعلانية.

• إن خير ما سألت به ربَّك أيُّها العبد وتضرَّعت به إليه سؤالُه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، وفي الآية من أسماء الله وصفاته ما يدفع العبدَ للتضرُّع بها في رفع الكيد والضُّرِّ عنه.

• عندما تشتبه عليك الحقائقُ في ظلِّ الاختلاف لا تنسَ هذا الدعاء: (اللَّهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لِما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراطٍ مستقيم).

﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ (٤٧)﴾

• بعضُ المرضى في الدنيا يتمنَّون أن يفتدوا بكلِّ ما يملكون من مرارة مرضٍ ألَمَّ بهم، فما بالك بمَن يذوق مُرَّ عذاب الله يوم الحساب؟!

• غاية الخسران والندامة أن يبدوَ لك أيُّها العبدُ الضعيف من الله ما لا تتوقَّعه، فكُن على حذَر دائم، فإن المُجازيَ قهَّار ذو انتقام.

• كما أن الجنَّة فيها من النعيم ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشَر، فكذلك الجحيمُ فيها من ألوان العذاب والتنكيل ما لا يُتخيَّل ولا يُتصوَّر، فإيَّاك وإيَّاها!

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ
مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ
مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ (الحزب ٤٧)
مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ
مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

٤٦٤

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

وَحَاقَ: وأحاط بهم من كلِّ جانب.

- أيُّها المسلم العاقل، تدارك سيِّئاتك قبل أن توردَك المهالك، وتصيبَك بما لا قِبلَ لك به من عذاب.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

خَوَّلْنَـٰهُ: أعطيناهُ ومَنحناهُ.

فِتْنَةٌ: ابتلاءٌ واختبارٌ.

- يعتري المرءَ شعورٌ بالفخر والقوَّة الزائفة بعد زوال المِحَن؛ راقب نفسَك وامنعها من الغرور الخادع.

- العافية بعد المصيبة، والمنحة بعد المحنة قد تكون فتنةً، يختبر الله بها عبادَه؛ ليَميزَ المحسنَ الشاكر، من الجاحد الكافر.

- أجل واللهِ، لو أنهم علموا حقيقةَ عجزهم، وتمامَ فضلِ ربِّهم عليهم ما اغترُّوا بفلاح، ولا تكبَّروا لنجاح.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾

- قالها من قبلُ قارونُ وكلُّ مخدوع بسلطان أو مال أو علم، غافلًا عن مصدر النعمة الحقيقيِّ، وعن واهب العطايا، ومقدِّر الأرزاق.

- إذا أراد الله بعبد خيرًا وفَّقه للانتفاع بقصص الأوَّلين، والاعتبار بعواقب الغابرين، بفهم سُنن الله فيهم، والسير على صراطٍ قويم.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾

بِمُعْجِزِينَ: بفائتِينَ اللهَ ولا سابِقِيه.

- سنَّة الله في الظالمين واحدةٌ لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، على اختلاف الأعصار، وتباعُد الأمصار، فمَن لم يعتبر بهلاك السابقين، أصابه ما أصابهم ولو بعد حين.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

- مَن ينظر بعين الإيمان إلى أحوال الناس في الرزق غنًى وفقرًا؛ يرى حينئذٍ مظهرًا من مظاهر حكمة الله وعلمه.

- الإيمان الصادق بأن الله هو المعطي والمانع يمنح العبدَ الكثير من الطُّمأنينة والسَّكينة في حياته، رضًا بعطاء ربِّه، وقناعة بحظِّه من رزقه.

﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

- كثيرون هم الذين تنصرف أذهانهم إلى مَن يعرفون ممَّن أسرف على نفسه، دون أن يشعروا أنهم معنيُّون بذلك، فيَهلِكوا.

- رحمة الله بخَلقه واسعةٌ عظيمة؛ ليكونَ باب التوبة مُشرَعًا أبدًا للمسرفين الشاردين في تيه الضلال.

- يا حسرةَ مَن غلبه شيطانه فخرج من هذه الدنيا متدثِّرًا بذنوبه، ملتحفًا بآثامه، معرضًا عن بابٍ عظيم مفتوح أمامه للتوبة والمغفرة!

- كمال رحمته سبحانه اقتضَت كمالَ عفوه ومغفرته، فإن صَفحَه عمَّ الذنوبَ جميعًا، فأكثِروا من الدعاء: (اللَّهمَّ اغفِر لي ذنبي كلَّه، دِقَّه وجِلَّه).

﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

- كلُّ ذنب يقترفه العبد هو غُربةٌ عن ديار الطاعة، فلا تُطل رحلةَ التغرُّب، وعجِّل بالرجوع، فإن الروح في شوق إلى سَكينة الفطرة.

- ما أعظمَ الإسلامَ من شريعة لا تجعلُ بين الخلق والخالق واسطة! فما على المذنب إلا أن يعودَ إلى أفياء الطاعة وظلال الاستسلام والإنابة، وسيجد ربَّه عفوًّا غفورًا.

- هيَّا قبل فوات الأوان، قبل ألا يكونَ نصيرٌ ولا شفيع. {سارِعوا إلى مَغفرةٍ من رَبِّكُم}، فقد يُفصل في الأمر، وتُغلق الأبواب في أيِّ لحظة من لحظات الليل والنهار.

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

- تحذيرٌ بعد تحذير، وإنذارٌ بعد إنذار، فهل لك أيُّها المسلم من عُذرٍ بترك امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؟

- اتباع الوحي سبيلُ النجاة والفلاح، فمَن ضرب بعِظاته وهديه عُرضَ الحائط أتاه العذابُ فجأةً من غير إنذار ولا تنبيه.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

- قال قتادة: (لم يَكفِه أن ضيَّعَ طاعةَ الله حتى سَخِرَ من أهلها) فاستحقَّ أن تتمزَّقَ نفسُه ندمًا وحسرة على سوء فعله الذي حرَمه من الخيرات، وأوجب له العذاب.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾

هَدَىٰنِى: أرشَدَني إلى دينِه.

• لم يتحسَّروا على شيء من الدنيا فاتهم، لكن تحسَّروا على الهداية، وفوات صحبة المتَّقين، فهما أعظمُ كنوز الحياة، وأنفس شيء في العمر.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

كَرَّةً: رَجعةً.

• لمَّا كنَّا في دار العمل فما أحرانا أن نعملَ عملًا طيِّبًا قبل أن نصيرَ إلى دار ليس فيها إلا الحسابُ والجزاء الذي لا مفرَّ منه.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

• لا عذرَ لكافرٍ أو جاحدٍ جاءته الآياتُ واضحاتٍ مبيِّناتٍ، فكذَّب بها مستكبرًا؛ أفلا يكون من الهالكين؟

• البشر الذين قامت عليهم الحجَّة نالوا فرصتهم كاملة للتوبة والإنابة، ولكنَّ النفوس الخبيثة مهما تكرَّرت الفرصُ لا تنتفع بها.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

مَثْوًى: مأوًى ومَسكَنٌ.

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾

• كما وقى الله المتَّقين في الدنيا من المخالفات، حماهم يومَ القيامة من العقوبات، فما أسعدَهم بتقواهم!

• أهل الورع والتقوى لا يحزنون لشيء من حظوظ الدنيا بعد فواتها؛ لأن قلوبهم معلَّقة أبدًا بربِّهم، يرجون رحمته ويخشون عذابه.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾

• كما أن الأشياء كلَّها محتاجةٌ إلى الله تعالى في وجودها، فهي محتاجةٌ إليه أيضًا في دوامها وبقائها، فتبارك الله الغنيُّ عن العالمين.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

مَقَالِيدُ: مفاتيحُ الخزائن.

• مفاتيح المقادير وخزائنُ السماوات والأرض، والكائنات والقلوب كلُّها بيد الله تعالى، فاسأل الخيرَ من ربِّك، وألِحَّ عليه بالدعاء.

• يا عبدَ الله، اعرِف قدرَك ومنزلتك، فمَن أنت وما تملكه أمام السماوات والأرض التي مفاتيحُها وقيادها بيد الله العظيم؟!

• خسروا في الدنيا راحةَ الهداية وطُمأنينة الإيمان وحلاوةَ اليقين، وخسروا في الآخرة أنفسَهم وأهليهم، ويا له من خُسران.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾

• قمَّة الجهل في الإعراض عن الحقائق الكبرى والبيِّنات الظاهرة، فحقيقٌ بهؤلاء الجاهلين أن يجمعوا بين نقص الدنيا وخسران الآخرة!

• لا ضيرَ أن تجهل كثيرًا أو قليلًا من شؤون الدنيا، أمَّا أن تجهلَ حقيقة وجودك، وغايةَ خلقك فذلكم الجهلُ الذي لا يُغني معه علم.

• لا محاباة في شرع الله في مسائل الإيمان، وتقرير الخصومة مع أهل الشرك والطغيان.

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾

• أعظم الخُسران النقصُ بعد الزيادة، والإفلاس بعد غنًى، فإيَّاك والشركَ ما ظهر منه وما بطن، فإنه يُحبِط العمل ويجعله هباء.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ
حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى
ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ
أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ
أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ
لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ
ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

٤٦٥

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

وَمَا قَدَرُوا۟: وما عظَّموا.

قَبْضَتُهُۥ: في قَبضةِ يَدِه.

مَطْوِيَّٰتٌۢ: يَطويها ويَلفُّها بيدِه.

• مَن عرَف ربَّه حقًّا لم يجرؤ أن يصرِفَ لسواه شيئًا من التعظيم والطاعة؛ ﴿رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهُما فاعبُدْهُ واصطَبِر لِعِبادَتِهِ هَل تَعلَمُ لَه سَمِيًّا﴾.

• إن رُمتَ سعادة الدنيا والفوزَ في الآخرة فتمثَّل في حياتك معنى: (لا إله إلا الله)، واشكر الله أنْ وفَّقك إليها.

• مهما بلَغتِ الإنسُ والجنُّ في إدراكها العقليِّ والعلميِّ لم يصل تصوُّرها إلى إدراك عظمة قُدرة الله، فتبارك سبحانه في عَليائه.

• تعظيم شعائر الإسلام، وتوقيرُ آي القرآن من مظاهر تعظيم الله وتقديسه، وقد خاب مَن لم يعرِف لله قَدْرًا!

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
(٦٨) وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
(٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
(٧١) قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ
زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا۟
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٧٤)

٤٦٦

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨)﴾

وَنُفِخَ: أي النَّفخةُ الأُولى التي يموتُ بها الخَلقُ، وهي نَفخةُ الصَّعق.

ٱلصُّورِ: القَرنِ الذي يَنفُخُ فيه إسرافيلُ عليه السلام للصَّعقِ والبَعث.

فَصَعِقَ: ماتَ.

ثُمَّ نُفِخَ: أي النَّفخةُ الثَّانية، نفخةُ البَعثِ التي يَحيا بها الخَلقُ.

• إنها قوَّة الله تعالى التي لا يقفُ أمامها شيء؛ نفخةٌ واحدة يصعَقُ بها كلُّ شيء إلا مَن شاء الله، فما أضعفَ المخلوق، وأقوى الخالق!

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩)﴾

وَأَشْرَقَتِ: وأضاءَت.

بِنُورِ رَبِّهَا: عندما يتجلَّى وينزل سبحانه للفصل بينهم.

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ: نَشَرَتِ الملائكةُ صَحيفةَ كُلِّ فَردٍ.

وَٱلشُّهَدَآءِ: مَن يَشهَدونَ على الأُمَم.

وَقُضِيَ: حُكِمَ.

• يُؤتى الصالحون يومَ القيامة من فضل ربِّهم قوَّةً عظيمة للنظر إلى نوره سبحانه، ذلك النور الذي لو كشفَه لغيرهم لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه.

• قال بعض السلف: (صحائف الأعمال وُضعت بأيدي العمَّال) فأصلِح غرسَك، وأحسِن سقيَك، ليَطيبَ ثمرُك ويَحلوَ جَنيُك.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)﴾

• إن الله مُحيطٌ بعملنا دقيقِه وجليله؛ حتى اللفتة والنظرة والهمزة والغمزة، ألا فلنحاسِب أنفسَنا قبل أن يحاسبَنا ربُّنا.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٧١)﴾

زُمَرًا: جماعاتٍ.

• احذر رفيقَ السوء؛ فإنه يأخذ بيد صاحبه إلى زُمرة الأشقياء.

• لعلَّ من أشدِّ صنوف العذاب إيلامًا التقريعَ الموجع، حين يُلام الإنسان على تفريطه فيما كان سهلًا قريبًا، في وقت لا يُغني فيه عمل، ولا ينفع ندم.

• تفقَّد مواعظَ الرسل ونذرَهم قبل أن تقف هذا الموقفَ العظيمَ المَهيب؛ {يَومَ يُناديهِم فيَقولُ ماذا أجَبتُمُ المُرسَلين}؟

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)﴾

• ليس كالكِبْر حاجزٌ يصُدُّ الإنسانَ عن الانقياد للحقِّ والاستجابة لنداء الفِطرة، ولن تجدَ مَن يرفض الحقَّ وحُجَجه ويتعامى عن نوره وضيائه، إلا والكبر راسخٌ في نفسه مُثقِلٌ لكاهله، أعاذنا الله منه ومن سوء مصيره.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ (٧٣)﴾

• حتى المؤمنون المصطَفَون يدخلون الجنَّة زُمَرًا متفاوتة بتفاوت أعمالهم ومراتبهم بالتقوى، فهنيئًا لمَن كان في زُمرة المحسنين السابقين بالخيرات.

• مواكب الإيمان تنطلق إلى ربِّها جماعاتٍ جماعات والشوقُ يحدُوها، والسرور يَغمُرها، وأبواب الجنَّة تتفتَّح لها، وملائكة الرحمن على تلك الأبواب تستقبلها، قائلةً تلك الجملة العظيمة لأهلها: سلامٌ عليكم من كلِّ آفة، طابت أحوالكم، فادخلوا الجنَّة خالدين فيها، فما أعظمَها من لحظات وأكرمَه من لقاء!

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٧٤)﴾

• يعجز لسان المؤمن عن التعبير عن الرضا بجزاء الله يوم القيامة، فينطق القلب منه بحمد الله والثناء عليه صادقًا مخلصًا.

• صدقوا الله في الدنيا إيمانًا ويقينًا واستقامة على الحقِّ، فصَدَقَهم الله في الآخرة وعدَه؛ فأكرمهم ونعَّمهم.

• انطلقوا أيُّها المكرَّمون في جنَّات الخلود حيث شئتم، وارتَعوا أنَّى رغبتم، فطالما اجتهدتُّم في اجتناب مواطن الحرام والشبهة طاعةً لربِّكم.

• إنه أجرٌ جزيل كثير، وعطاءٌ عظيم وفير لمَن طلب رضا الله واتَّبع هداه، وأنعِم به من أجر وجزاء، فلنحرِص أن نكونَ له أهلًا.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٤٧
حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ
وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ
تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ
مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ
وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ
كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ
لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

٤٦٧

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

حَآفِّينَ: مُحدِقينَ ومُحيطِين.

وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ: وحُكِمَ بينَ الخلائقِ بالعدل.

• أقرب الخلق إلى العرش يسبِّحون بحمد ربِّهم لما يعلمون من محبَّته سبحانه للتسبيح، وما أحرانا أن نفوزَ برضاه بالتسبيح بحمده بُكرةً وعشيًّا!

• الكون كلُّه بجماداته وأحيائه ينطق لله العظيم بالحمد على جليل نعمائه؛ رضًا بعدله وحُسن قضائه.

سُورَةُ غَافِرٍ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾

• إن كتابًا أنزله العزيز الذي لا يُغلَب، والعليم الذي أحاط بكلِّ شيء علمًا؛ لكتابٌ عظيم جليل، فأيُّ شرفٍ لمَن استمسك بهديه وعمل بشرعه؟

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾

ذِى ٱلطَّوْلِ: صاحبِ الإنعام والتفضُّل.

• معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا لها أثرٌ عميق في نفوس العباد وسلوكهم، بإثارة طمعهم بمغفرته، وإيقاظ خشيتهم من عقابه وعذابه.

• لا يَقدِر على غُفران ما يشاء لمَن يشاء إلا كاملُ العزَّة، ولا يعلم جميعَ الذنوب ليُسمَّى غافرًا إلا كاملُ العلم، فيا خيبةَ مَن لم يخضع للعزيز العليم!

• من تمام فضل الله تعالى أنه يجمع للعبد المذنب التائب بين رحمتين؛ قبول توبته وجَعْلها له طاعةً، ومحو ذنوبه وكأنه لم يفعلها، فإيَّاكم والقنوطَ من رحمة الله!

• أيُّها العبدُ، إنك لعلى صراط ربِّك المستقيم ما جمعتَ بين الخوف والرجاء، الخوف من الله وعقابه، والطمع برحمته وعفوه.

• لله وحدَه الغنى المطلق، وإليه وحدَه يرجع الأمر كلُّه، فمنه المبتدأ وإليه المنتهى، أفيليق أن يُعظَّمَ سواه، وأن يُلاذَ بغير حِماه؟

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾

فَلَا يَغْرُرْكَ: فلا يخدعك.

تَقَلُّبُهُمْ: تنقُّلُهم وتردُّدُهم بأنواع التِّجارات والتَّنعيم.

• مَن عظَّم الله حقَّ التعظيم لم يَملِك إلا أن يسلِّمَ لآياته البيِّنات بالإذعان، وتمام الرضا والانقياد.

• إن الذين يحملون دعوةَ الحقِّ والإيمان لا تتعاظمُهم قوَّة الباطل مهما كانت.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾

لِيُدْحِضُوا۟: ليُبطِلوا.

• هي سنَّةٌ لله ماضية في خلقه، أن الطغاة إذا ما تمادَوا في البغي وإيذاء المصلحين، أن يكسرَ الله شوكتهم، ويستأصلَ شأفتهم.

• الحقُّ ثابت لا يزول، والصدق باقٍ لا يحول، مهما بذل المبطلون في التلبيس والتحريف، فاستمسِك بالحقِّ تفُز وتُفلح.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾

حَقَّتْ: وجَبت.

• إن الله قضى قضاءه في حقِّ الكافرين أنهم أصحابُ الجحيم، وأتاح أمامهم المجالَ رحبًا للتوبة والإنابة، فإن لم يفعلوا حقَّ عليهم العذابُ الأليم.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾

• قال مُطرِّف بن الشِّخِّير: (وجدنا أنصحَ العباد للعباد الملائكة، وأغشَّ العباد للعباد الشياطين) وتلا هذه الآية.

• هكذا هم المؤمنون على قلب رجل واحد؛ لاجتماعهم على تعظيم قَدْر الله، واليقين بوعده ووعيده، ولو اختلفت أجناسُهم وتباعدت بلدانُهم.

• كمال السعادة في شيئين: تعظيمِ أمر الله، والشفقةِ على خلق الله، وقد جمعَت الآيةُ بينهما، فهنيئًا لمَن فاز بهما.

• ما أحرانا أن نستمسكَ بأدب الدعاء! وهو الافتتاحُ بالثناء على الله تعالى، والتعظيمِ لأنعُمه قبل الوقوف على عتبة بابه تضرُّعًا وسؤالًا.

• ما قُرن شيءٌ إلى شيء أحسنَ من حِلمٍ ورحمة إلى علمٍ وخِبرة، فالحِلمُ والرحمة إنما يحسُنان مع العلم، وبهما يزدانُ العلم ويُثمر.

رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ
مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ
أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ
أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ
إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ
وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ
ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ
مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ رَفِيعُ
ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ
مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦

٤٦٨

﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨﴾

• لا يَطيب للإنسان نعيم، ولا تتمُّ له سعادةٌ وتكريم، حتى يَشرَكَهُ فيها أحبابُه ممَّن شَرِكوه بالطاعة والعبادة في الدنيا، وذلك فضلُ الله يؤتيه مَن يشاء.

• يقضي الله بعزَّته وكمال قدرته ما شاء، ويتصرَّف بحكمته وكمال علمه كيفما يريد، له الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، وطوبى لمَن آمن واستسلم.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾

وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ: واصرِف عنهم سُوءَ عاقبةِ سيِّئاتِهم.

• إذا وقى الله عبادَه المؤمنين من عواقب سيِّئاتهم ونتائجها الوَخيمة، فقد امتنَّ عليهم بفوزٍ عظيم دونه كلُّ فوز.

• وقاية السيِّئات تكون بالوقاية من فعلها ابتداءً، وبالوقاية من جزائها انتهاء، فاللَّهمَّ إنَّا نعوذ بك من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠﴾

يُنَادَوۡنَ: يدعوهم خزنةُ جهنَّم.

• المفلح مَن زكَّى نفسه، والخائب مَن دسَّاها، فالأوَّل يفوز بالنعيم والرضوان، والآخر تحت مقتٍ شديد من الله في الدنيا، وسوف يَمقُت هو نفسَه في الآخرة.

• هذا أعظمُ عقاب عند أولي الألباب؛ لأن مَن علمَ أن مولاه عليه غضبان، علم أنه لا ينفعُه ندم ولا أحزان، ولا يُغني عنه شفاعةُ إنس ولا جان.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١﴾

أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ: مرَّةً قبلَ نفخ الأرواح في الأجنَّة، ومرَّةً حين انقضَى أجلُنا.

وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ: مرَّةً في الدُّنيا، ومرَّةً في الآخِرة.

سَبِيلٖ: طريقٍ نَخرُجُ به من النَّار.

• علم الكافرون أن كفرهم بالبعث هو الذي أوبقهم، فقدَّموا الإقرار به بين يدَي ربِّهم معترفين بذنوبهم، لكن بعدما عاينوا البعثَ عينَ اليقين، فمَن الذي ينكره بعد هذا؟!

• صدق مَن قال: (ترجو النجاة ولم تسلُك مسالكها / إنَّ السَّفينة لا تجري على اليبَس) فكيف يطمع في سبيل الخلاص، مَن لم يَسلُك سبيل الإخلاص.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾

• ما أشدَّ جهالتَهم! كفروا بالله العليِّ الكبير، والتجؤوا إلى المخلوق العاجز الفقير، وهم يعلمون أن الحكم والمرجع إلى الله يصير!

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣﴾

• بيَّن الله لعباده الآياتِ الدالَّةَ على وَحدانيَّته وربوبيَّته؛ إذ بها قِوام دينهم، وأنزل لهم الأرزاق؛ إذ بها قِوام أبدانهم، فأين الذي يرجِع إلى الله وحده في طلب الهدى وفي طلب الرزق؟!

• آيات الله تعالى تحيط بنا من كلِّ جانب، وهي ظاهرةٌ جليَّة في المخلوقات الكبيرة والدقائق الصغيرة، فأين المعتبرون؟

• قال رسول الله ﷺ: (كلُّ بني آدمَ خطَّاء، وخير الخطَّائين التوَّابون)، الذين يجدِّدون توبتهم وأوبتهم بتجدُّد أنفاسهم، وتكرُّر ذنوبهم.

﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾

• أخلِص أيُّها المسلم لربِّك العبادةَ والتعظيم، ولا تلتفِت إلى سخَط الكفَّار وتعريض الفجَّار؛ فإنهم لن يَرضَوا عنك حتى تتَّبعَ ملَّتهم.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥﴾

يُلۡقِي ٱلرُّوحَ: يُنزِلُ الوحيَ.

يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ: اليومَ الذي يلتقي فيه الأوَّلون والآخِرون.

• سبحان العليِّ العظيم، الذي لم يترك عباده من غير هادٍ يهديهم إلى سبيل الحقِّ القويم، فيبشِّرهم بما عند الله من النعيم، ويحذِّرهم بما لديه سبحانه من العذاب الأليم.

﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾

• يا له من مشهد مَهول؛ يوم يَبرُز الناسُ لربِّهم للحساب والجزاء، بلا ساتر ولا حاجز ولا وِقاء، لا يخفى على الله من عملهم شيء!

• أيُّ سؤال يقرع آذانَ المشركين قرعًا، ويدُكُّ سلطان الجبَّارين دكًّا، فأين مُلك الشركاء من دون الله الواحد الأحد؟ وأين جبَروت الجبَّارين أمام قدرة الله القويِّ القهَّار؟

﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

• كُلُّ إنسانٍ مرهونٌ بعمله يوم القيامة؛ إنْ خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، لا يَنقُص من حسناته ذرَّة، ولا يتحمَّل وِزرَ غيره. ألا فليستعدَّ العاقل لذلك اليوم بما يُنجيه.

• إن الله المحيط بكلِّ شيء علمًا وتصرُّفًا سريعُ الحساب، فلا يُظلم مسيءٌ ولا محسن بطول الانتظار.

﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ: يومَ القيامةِ القَريب.

لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ: قُلوبُهم عندَ حُلوقِهِم من شِدَّةِ الكَرْب.

حَمِيمٖ: قَريبٍ وصاحِب.

• هو أمرٌ لكلِّ عالمٍ وداعية أن يُذكِّرَ الناسَ بالآخرة ويخوِّفَهم من أهوالها وعذابها؛ رجاء أن يُحدِثوا توبةً قبل الخوف الذي يصعد بالقلوب، والكَرْب الذي يكتم النفوس.

• إن عذاب الله إذا نزل بالظالمين لم يُفلتوا منه، ولم يدفعه عنهم قريبٌ ولا شفيع، فلا تغترَّ أيُّها العبد بقوَّة، ولا بقرابة وخُلَّة!

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾

خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ: ما تختلِسُهُ العُيونُ من النَّظرِ إلى ما لا يَحِلّ.

• حتى النظرة تختلسها العين اختلاسًا يعلمها الله ويحصيها، فسبحان الله العظيم الذي {لا تُدركُه الأبصارُ وهو يُدرِكُ الأبصارَ وهُوَ اللطيفُ الخبير}.

• العين الخائنة تجتهد في إخفاء خيانتها، ولكن هيهاتَ أن تخفى عن الله، والسرُّ المستور تخفيه الصدور، ولكنَّه لعلم الله مكشوفٌ مشهور.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ: يَحكُمُ بالعَدل.

• إن الذي يسمعُك ويراك، ويعلم سرَّك ونجواك، قضاؤه حق، ووعده صدق، فإيَّاك أن تتوجَّه بعمل لسواه.

• الاستقامة على الإخلاص، والبراءة من الشِّرك والرياء، من حقائق الدعوة الكبرى التي ينبغي الاهتمامُ بها، وعلى الدوام استحضارها.

﴿۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾﴾

وَاقٖ: دافِع.

• طوبى لمَن اتَّعظ بمصير الظالمين المشركين من السابقين الأوَّلين، وما حلَّ بهم في الدنيا من هلاك وفناء.

• لم تَقِ الظالمين قوَّتُهم التي بقي ذكرُها، ولا آثارهم التي ما زالت من بعدهم، فلا واقيَ إلا الإيمانُ والعملُ الصالح، ونُصرة الحقِّ وأهله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

• إن المستكبرين لا ينفكُّون للرسالات جاحدين، ولرسُل ربِّهم معاندين، وإن الله لم يزَل بقوَّته وبطشه لهم بالمرصاد.

• ما أبلغَه من درسٍ للدعاة اليوم؛ إنكم مهما أتيتم من حُجج، ومهما دحضتُم من شُبَه، سيبقى طَغامٌ من أهل الباطل حاقدين معاندين، فاصبِروا وصابروا.

ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ
لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ
يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ
بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ
إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ
فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ
عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ
نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾

الحزب ٤٧

٤٦٩

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾﴾

وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ: وحُجَّةٍ بَيِّنةٍ على صِدقِه.

• أرأيت أعظمَ من هذا العناد؟ إن الله تبارك وتقدَّس يصطفي من خلقه رسولًا، ويبعثه بآياته وبيِّناته، ثم يُقال له: ساحرٌ كذَّاب!

• إذا اجتمعَت السلطةُ مع المال على الكفر ونصرة الباطل فلا تسَل عن الفساد الذي سيعُمُّ البرَّ والبحر!

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾﴾

ضَلَٰلٖ: هَلاكٍ وذَهاب.

• منطقُ الطغيان الغليظ يقوم على البطش والقهر، كلَّما أعوزَتْه الحجَّة، وخذله البرهان، وخاف أن يستعليَ الحقُّ بضيائه، ولكن لا يصِحُّ أخيرًا إلا الصحيح.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ
بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ
الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ
إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٤٧٠

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

• ليس ما أهمَّ فرعون هو نوعُ العقوبة، فما أسهلَها عليه! وما أشدَّ تبجُّحَه بها! وإنما بأيِّ علَّة يضلِّل الناسَ عنها ويزيِّنها لهم؟

• سبحان الله! فرعون الطاغية يسمِّي فعلَ موسى فسادًا، ويشير إلى أن فعله هو كان صلاحًا، فمتى كان ادِّعاء الربوبيَّة، وقتل الناس ظلمًا من الإصلاح، والدعوةُ إلى التوحيد، وتحرير المظلومين يكون من الفساد؟!

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

عُذْتُ: استجرتُ.

• الربُّ واحد، ولكن ما أبعدَ البَونَ بين مَن يلوذ بجنابه ويستجير به، ومَن يكفر به غافلًا عن جبَروته ونقمته!

• الاستكبار عن الإذعان للحقِّ هو أقبح صور الاستكبار وأدلُّها على دناءة صاحبها وخُبث نفسه، وعلى فَرط ظلمه وغَسفه.

• ما يتكبَّر متكبِّر وهو يؤمن بيوم الحساب، ويتصوَّر موقفه يومئذٍ خاضعًا ذليلًا، مجرَّدًا من كلِّ قوَّة، ما له من حميم ولا شفيع يُطاع.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

مُسْرِفٌ: مُتجاوزٌ للحدِّ بتركِ الحَقِّ واتِّباعِ الباطِلِ.

• لمَّا أخلص موسى في التوكُّل على ربِّه، مستعيذًا بقوَّته وحَوله، قيَّض الله له مَن ينصرُه ويذبُّ عنه، فهنيئًا للمتوكِّلين المخلصين.

• في فعل مؤمن آل فرعون درسٌ عمليٌّ لما ينبغي أن يكونَ عليه المسلم من فِطنةٍ وكِياسة، وحُنكةٍ وسياسة، بالنصح الصادق مع التحرُّز من العواقب.

• كيف يهدي الله تعالى مَن تمادى في الضَّلالات، وأسرف على نفسه بالمنكرات، واجترح قبيحَ الجنايات، وكذَّب بالحُجَج البيِّنات؟

﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾

مَا أُرِيكُمْ: ما أُشيرُ عليكُم.

أَهْدِيكُمْ: أدعُوكُم.

سَبِيلَ الرَّشَادِ: طريقَ الحقِّ والصَّواب.

• ليس لعذابِ الله إن نزل بأحد من دافع، فلا سلطانَ يردُّه، ولا مال يَصدُّه، ولا هربَ يُنجي من لقائه.

• من توفيق الله للداعية أن يجمعَ في خطابه الدعويِّ والإصلاحيِّ بين إقناع العقل وإثارة الوِجدان، مع إظهار الحرص والشفقة على المدعوِّين.

• تأخذ الطغاةَ المستكبرين العزَّةُ بالإثم، فلا يَقبلون عِظةً ولا يُصغون لرأي، ويرون النصيحةَ افتئاتًا على السلطة، ونقصًا في النفوذ.

• الانفراد بالرأي والاغترار بالعقل سبيلٌ مُفضٍ إلى (التفرعن)، وكم من هالكٍ أُتيَ من إعجابه برأيه وتعظيمه لنفسه.

• لا يزال الكِبْرُ يستبدُّ بالمرء حتى يُعميَ بصيرته عن الحقِّ، فيظنَّ خبطه في الضلال هدًى ورشادًا!

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾

الْأَحْزَابِ: الأُمَمِ المُتحزِّبةِ على أنبيائها، المُعاديةِ لهُم.

دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ: عادتِهم في الكُفرِ والتَّكذيب.

• الداعية الأمين يُظهر خوفَه على مدعوِّيه من نزول العقوبات عليهم إن بقُوا على الخطيئة؛ فلعلَّ مَن يرى شفقته وحرصَه يستجيب للحق.

• الهلاك سُنَّة ماضية مستمرَّة لأهل التكذيب، ومَن لم يعتبر بهلاك المكذِّبين قبله جعله الله عِبرةً لمَن بعده.

• عقوبة الله عدلٌ للمعاقَبين ولمَن يأتي بعدهم، فإنما يأخذ الله المفسدين بذنوبهم؛ جزاءً وِفاقًا.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾

يَوْمَ التَّنَادِ: يومَ القيامةِ الذي يُنادي النَّاسُ فيه بعضُهم بعضًا.

• أعظِم به من مشهدٍ مَهيب حين يتنادى الخلقُ يوم الجزاء، بين فزِعٍ خائف، ومستشفعٍ متضرِّع، ومسلِّمٍ ومهنِّئ!

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

مُدْبِرِينَ: هاربين.

• لا عاصمَ يمنعهم، ولا شفيعَ يشفع لهم، فلا يُدبِرون فرارًا من العذاب إلا إلى عذاب وعذاب، عصمَنا الله وإيَّاكم يومئذٍ من غضبه.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى
شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ
يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ
إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

٤٧١

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾

شَكٍّ: ريبةٍ.

هَلَكَ: ماتَ.

مُسْرِفٌ: مُتجاوِزٌ لِلحدِّ في الضَّلال.

مُّرْتَابٌ: شاكٌّ في الله.

• مآلُ أهل الشكِّ والرَّيب إلى مزيد من الشكِّ والرَّيب، ومَن لم يجعلِ الله له نورًا فما له من نور، وإنما يزول الشكُّ باليقين، ومَن طلب اليقينَ هُدي إليه.

• لا إسرافَ أقبحُ من إسراف المشرك؛ فإنه منع الحقَّ أهلَه، وبذله لمَن لا يستحقُّه، وهذا من أبلغ الظلم؛ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

سُلْطَٰنٍ: حُجَّة.

يَطْبَعُ: يَختِم.

• المتكبِّرون لم يعظِّموا الله حقَّ التعظيم، فجادلوا في آياته بغير علم، في حين استعظم المؤمنون ذلك الجدال ومقتوه أشدَّ المقت؛ لأنهم عظَّموا الله، فأحبُّوا ما أحبَّه، وأبغضوا ما أبغضه.

• إن الله يحجُب عن الهدى كلَّ متكبِّر مغرور، فتراه مصعِّرًا خدَّه شامخًا بأنفه، ولو أبصرت قلبه لرأيته خاويًا خربًا لا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾

صَرْحًا: بناءً عَظِيمًا.

• المعاند المستكبر لا يدَع حيلةً للفرار من الحقِّ إلا ويتَّبعها، فتراه يَروغ فيها كما يروغ الثعلب، وليست بمُغنية عنه فتيلًا! فمن عناد فرعونَ ما أمر به هامان.

﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ: أبواب السَّماواتِ وما يُوصِلُني إليها.

ٱلسَّبِيلِ: طَريقِ الحَقِّ.

كَيْدُ فِرْعَوْنَ: تدبيرُه واحتيالُه.

تَبَابٍ: خسارٍ وبَوار.

• أراد فرعونُ أسباب السماء متطاولًا مستكبرًا، فأغرقه الله في أعماق اليمِّ، وقذف به إلى أديم الأرض، ليبقى لمَن خلفه آيةً وعبرة.

• إذا زُيِّن للإنسان الباطلُ فرآه حسنًا، ورأى ما يضادُّه سيِّئًا؛ فأنَّى يستجيب للحق؟!

• كيد الكفر والباطل إلى خَسار وزوال، مهما طغا أهلُه وأسرفوا في التزوير والكيد والعدوان؛ إذ لا يحقُّ أخيرًا إلا الحقُّ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾

• الرشاد ليس ادِّعاءً يدَّعيه كلُّ أحد، ولكنَّه صراط قويم ومنهج مستقيم، مَن لم يسلُكه لم يكن أبدًا من الراشدين.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾

• الإخلاد إلى الدنيا والاغترارُ بعرَضها الزائل أصلٌ لكلِّ شرٍّ، فاجعل الآخرة همَّك يجعل الله غناك في قلبك، ويجمع لك شملك، وتأتِك الدنيا راغمة.

• قال أحدهم: (لو كانت الدنيا ذهبًا فانيًا والآخرةُ خزفًا باقيًا، لكانت الآخرة خيرًا من الدنيا، فكيف والدنيا خزفٌ فانٍ، والآخرة ذهبٌ باقٍ)؟!

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾

• قضى الله بفضله وواسع كرمه ألا يُضاعفَ سيِّئات عباده، وأن يُضاعف لهم الحسنات، ويجعلها كفَّارة للسيِّئات، حتى إذا بلغوا الجنَّة رزقهم فيها بغير حساب.

• يقتضي عدلُ الله تعالى أن يُجزى كلُّ عامل بعمله، ومن هنا استحقَّ الكافر المسيء أن يُجزى بما يسوءه ويُحزنه، وهل أسوأ من النار مستقرًّا ومصيرا؟!

• أيُّها العاقل، إن جزاء الله للمتَّقين يوم القيامة بلا حساب، فما ثَمَّ مكيالٌ ولا ميزان، ولكن رزقٌ وافر، وعطاء متكاثر، فليعمل العاملون لذلك.

* وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ
٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ
عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا
تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ
٤٣ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ
وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ
عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ
فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ
فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ
تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ قَالَ
ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ
بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ
ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩

٤٧٢

﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١ ﴾

• حال المصلحين الناصحين مع أقوامهم الشاردين يصحُّ فيها قول القائل: (أريد حياته ويريد قتلي)، فما أبعدَ البَونَ بين الفريقين!

﴿ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢ ﴾

• شتَّان بين دعوةٍ تدعو إلى الإشراك بالله تعالى، وجعلِ أندادٍ معه فيما يستحقُّه، ودعوةٍ تهدي إلى توحيده سبحانه، وإرشاد الناس إلى طاعته، وفعلِ ما يريده عزَّ وجل.

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣ ﴾

لَا جَرَمَ: حقًّا.

لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ: لا يَستحِقُّ الدَّعوة إلى عبادتِه، ولا يُلجأُ إليه لعجزِه.

مَرَدَّنَآ: مَرجِعنا ومَصيرَنا.

• لا تُصغِ لمَن لا تُغنيك دعوتُه، ولا يدلُّك على الله حالُه وقالُه؛ إذ لا تنال به خيرًا في الدنيا، ولا تلقى به نفعًا في الآخرة، وتلك هي دعوةُ داعي الشرك بالله تعالى.

• اطمئنَّ ولا تسأل عن حال المسرفين ومآلهم؛ فحين يَرِدُ الظالمون والمظلومون إلى ربِّهم؛ يومئذٍ يعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون.

﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ﴾

وَأُفَوِّضُ: وأعتصِمُ وألجأُ وأتوكَّل.

سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ: عُقوباتِ مكرِهم من إرادةِ إهلاكِه.

وَحَاقَ: نَزَلَ وأحاط.

• ما من أحدٍ إلا وسيذكرُ يوم القيامة ما كان سمعَه في دنياه من نصحٍ ودعوة، فويلٌ حينئذٍ لمَن تذكَّر إعراضَه وإحجامَه، ولم يذكر إقبالَه وإيمانَه!

• كلُّ الناس يتذكَّرون في يوم الحساب ما قدَّموا في دنياهم من قولٍ وعمل، فاترُك من الذِّكريات ما فيه سعادةُ قلبك، وبهجةُ نفسك.

• لم يُبصر المكرَ الذي مكروه، ولم يعلم بالكيد الذي دبَّروه، ولكنَّه فوَّض أمره للعليم البصير، فوقاه شرَّهم، وإلى أسوأ مصيرٍ ردَّهم.

﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾

غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا: أوَّلَ النَّهارِ وآخِرَه.

• هم ما بين {سوء العذاب} الذي حاقَ بهم في الدنيا بالإغراق، و{أشدِّ العذاب} الذي ينتظرهم في الآخرة بالإحراق؛ في عذابٍ مستمرٍّ يصبحون عليه ويمسون.

• قال رسول الله ﷺ: (إذا مات أحدُكم عُرِض عليه مَقعدُه غُدوةً وعشيًّا؛ إمَّا النار وإمَّا الجنَّة، فيُقال: هذا مَقعدُك حتى تُبعثَ إليه).

• لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق، فمَن أطاع أحدًا بالباطل، ورضي أن يكونَ له تبَعًا، استحقَّ أن يتبعَه يوم القيامة إلى نار الجحيم.

﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ ﴾

يَتَحَآجُّونَ: يتخاصَمون.

مُّغۡنُونَ: دافِعون.

• منح الله الخلقَ كرامةَ الإنسانيَّة، والاختيار والحرِّيَّة تحت مشيئته، ولكن أبَت طائفةٌ منهم إلا أن ينساقوا خلف كلِّ طاغية كالقطيع، حتى يَردوا معًا مواردَ العقاب، ويتجرَّعوا مرارةَ العذاب.

• أرأيتم إلى العُتاة في الأرض كيف يُضلُّون الخلقَ ويوردونهم المهالك؟ ثم ما أسرعَ أن يتبرَّؤوا منهم ويذروهم في العذاب المُهين!

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨ ﴾

• أيُّ عِبرة لأئمَّة الضلال في هذه الآية؟! فهلَّا ارعَوَوا عن إفسادهم وإضلالهم، قبل أن يجنُوا على أنفسهم وعلى أتباعهم؟!

• الآن يُدرك المستكبرون أنهم بمنزلة المستضعَفين؛ لا يَفضُلونهم سوى بالعذاب، ويُدركون أن الحكم لله وحدَه، فاستيقَنوا الحقَّ في أنفسهم واستيقنوه في خالقهم.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ ﴾

انظروا إلى غاية آمال الظالمين لأنفسهم؛ من الكُبراء المتبوعين، ومن الضعفاء التابعين، فلو وقَوا أنفسهم العذابَ بتقوى الله في الدنيا لنجَوا جميعًا في الآخرة.

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ
قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ (٥٠)
إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ (٥١) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٥٢) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ (٥٣) هُدٗى
وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٤) فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ (٥٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ (٥٦) لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ
خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٥٧)
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)

٤٧٣

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ (٥٠)﴾

ضَلَٰلٍ: ضياعٍ، فلا يُقبَل ولا يُستَجاب.

• كما أعرضتم أيُّها الكافرون عن الرسُل استبدادًا بآرائكم، وأضعتُم أوقات الدعاء استهانةً بربِّكم، تولَّوا اليوم أمرَ أنفسكم، فادعُوا إن شئتم، وليس بنافعكم.

• كيف لا يكون دعاء الكافرين في الآخرة في ضلال، وقد عاشوا حياتهم يخبِطون خبطًا في الضلال؟! وهل الدنيا إلا مزرعةُ الآخرة؟

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ (٥١)﴾

ٱلۡأَشۡهَٰدُ: مَن يَشهَدون على المُكذِّبين، من المَلائكةِ والأنبياءِ والمُؤمِنين.

• خير نصرٍ يَنصُره المؤمنون في الدنيا هو توفيق الله لهم إلى الهداية والاستقامة، أمَّا النصرُ الحقيقيُّ فهو النصر في الآخرة بالنجاة والفوز برضا الله تعالى.

• إنه وعدٌ من الله بتأييد أوليائه ونصر أصفيائه؛ نصرٌ بالحُجَّة، ونصرٌ في الجهاد؛ {وَعْدَ اللهِ حَقًّا ومَن أصدقُ من الله قِيلًا}.

• سُنن الله في خَلقه لا تتخلَّف، ومنها أنه ينصُر أتباعَ الأنبياء، الذين هم لرسالتهم أوفياء، فهل نكون منهم لنفوزَ بالنصرَين؛ نصرِ الدنيا ونصرِ الآخرة؟

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٥٢)﴾

• قد أُقيمت الحُجَج، وتقدَّمت المواعظ والعِبَر، فمَن لم يعتبر ويؤمن لم تنفعه حُجَّة يوم القيامة، ولم يُقبَل منه عُذر؛ {لا تعتذِرُوا اليومَ إنَّما تُجزَونَ ما كنتُم تعمَلُون}.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ (٥٣) هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٤)﴾

ٱلۡكِتَٰبَ: التوراة.

• ما من أمَّة استمسكت بهُدى الله، وجعلت كتابَ ربِّها دستورًا لحياتها، إلا أيَّدها الله بالنصر والظهور والتمكين.

• توريث العلم النافع نعمةٌ عظيمة يمتنُّ الله بها على عباده الصالحين، الذين جعلوا أهواءهم من وراء عقولهم، فاهتدَوا بالكتاب، وأنعِم به من هُدًى!

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ (٥٥)﴾

وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ: نزِّه ربَّك واحمَده.

بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ: في آخرِ النهارِ وأوَّله.

• مَن كان إيمانه بالله أكبر، ويقينه بموعوده من النصر والتمكين أوفر، كان صبرُه في النائبات أقوى، وتجلُّده في المُلمَّات أوفى.

• على المؤمن أن يكونَ تعظيمُ الله هو دأبَه في ليله ونهاره، فلا يَفتُر عنه، وسيأتي الله بالنصر من عنده متى شاء سبحانه.

• لا تتعجَّل النصرَ فإنه لا ريبَ آتٍ، ولكنْ أعِدَّ له أسبابه، والزَم الاستغفارَ فإنه من أسبابه، وكم من نصرٍ تأخَّر بسبب الذنوب!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (٥٦)﴾

• إذا رأيت الرجلَ يُجادل في آيات الله فاعلم أنه يُجادل بلا حُجَّة ولا بُرهان، فإن ما جاء من عند الله حقٌّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

• الكِبْر آفةُ الآفات، فهو يحمل صاحبَه على ردِّ الحقِّ والمجادلة بالباطل، لا لشيء إلا إظهارًا للنفس وتأبِّيًا عن الخضوع لما يُخالف هواه.

• أيُّها المسلم اطمئنَّ؛ فإن الله سميعٌ لأقوال مخالفيك، بصيرٌ بمقاصدهم ونيَّاتهم، وسيُجازيهم بما يستحقُّون.

﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٥٧)﴾

• لم تعجز قدرةُ الله عن خلق الكون العظيم بما فيه، فهل تعجز عن إعادة خلق الناس بعد الموت؟ ما أضلَّها من عقول عميَت عن هذه الحقيقة!

• مَن لم يورثه تدبُّر آيات الله الكونيَّة اليقينَ بعظمة الله وكمال قدرته، فهو جاهلٌ ولو حمل من الشهادات أعلاها، وتبوَّأ من المناصب أرقاها.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)﴾

• شتَّان بين علم يُفضي إلى الإيمان والحقِّ، وجهلٍ يُفضي إلى الكفر والضلال؛ {أفَمَن كانَ مُؤمِنًا كَمَن كانَ فاسِقًا لا يَستوُون}.

• إن الذي يَحجُب قلبَه عن نور الحقِّ ويُعمي بصيرتَه عن ضياء العلم هو والأعمى سواء، والأخير خيرُ الرجلين!

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ
خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾
كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّي
نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

الحزب ٤٨

٤٧٤

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾

لَا رَيْبَ فِيهَا: لا شكَّ فيها.

• من لوازم الإيمان بكمال الله تعالى الإيمانُ باليوم الآخر والجزاء فيه؛ إذ يستحيل على الحكَم العدل ألا ينتصف للمظلوم من ظالمه، وألا يكافئَ الصابرَ على صبره.

• أكثر كفر الكافرين بالساعة ليس عن شكٍّ وارتياب، ولكن عن جحودٍ وكِبْر وعِناد، أجارنا الله منها.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

دَاخِرِينَ: صاغِرينَ حَقيرين.

• كان عمرُ رضي الله عنه يقول: (إني لا أحملُ همَّ الإجابة، وإنما أحمل همَّ الدعاء، فإذا أُلهمتُ الدعاءَ فإن الإجابة معه).

• صِدق التضرُّع إلى الله بالدعاء، يطهِّر الصدورَ من العُجب والكِبرياء، ويَشفي النفوسَ من كلِّ آفةٍ وداء، فألحُّوا على ربِّكم بالرجاء.

• كان سفيان الثوريُّ يقول: (يا مَن أحبُّ عباده إليه مَن سأله فأكثَر سؤالَه، ويا مَن أبغضُ عباده إليه مَن لم يسأله، وليس أحدٌ كذلك غيرُك يا رب).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾

لِتَسْكُنُواْ: لِترتاحوا.

• ينبغي للمؤمن أن يكونَ يقِظ القلب دومًا، بتأمُّل آلاء الله الكثيرة، ونعمه العظيمة الغزيرة، وشكره عليها؛ فبالشكر تدوم النعم.

• ترى كثيرًا ممَّن يغلو في الصالحين يحتجُّ بأن فعله من باب معرفة فضلهم وشكر نبلهم، أفلا يعرفون فضل ربِّهم عليهم، ويشكرونه حقَّ الشكر؟!

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾

فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ: كيف تُصرَفون عن الإيمان به؟!

• أشنع الجحود أن يَصرِفَ العبد من المحبَّة والتعظيم للمخلوق ما يصرفه لربِّه الخالق، ولكنَّها عمى القلوب أعاذنا الله منها.

• كلُّ ما في الكون ناطقٌ بعظيم قدرة الله تعالى؛ {هَذا خَلقُ الله فَأَروني ماذا خَلَقَ الذين من دُونِه} فيا خيبةَ مَن اتَّخذ من دون الله أندادًا!

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

يُؤْفَكُ: يُصرَف.

• مَن زاغ عن الحقِّ واستكبر أزاغ الله قلبه وطمَس بصيرته، فلا يميز بين خبيثٍ وطيِّب، ولا يهتدي سبيلًا.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

• إن ما فوقك وما تحتك شاهدٌ على حفظ الله لك، ورحمته بك، وكثرة آلائه عليك، فإيَّاك والاستهانةَ بنعمه.

• قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: (خُلق ابنُ آدمَ قائمًا معتدلًا؛ يأكل ويتناول بيده، وغيرُ ابن آدم يتناول بفيه)، فسبحان مَن خلق الإنسان في أحسن تقويم.

• يعجز المرء عن إحصاء نِعَم الله عليه من الطيِّبات؛ من مأكلٍ ومشرب وملبَس وهلُمَّ جرًّا، أفلا يستحقُّ الله منَّا الثناء والحمد في كلِّ آن؟

﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

• وحدَه سبحانه الحيُّ الباقي، وما سواه إلى زوال ماضٍ، فأيهما أحقُّ بخالص العبوديَّة؟

• إقبال قلبك على ربِّك، وإخلاصُ الطاعة والدعاء له، نعمةٌ جليلة تستوجب حمدَك له ودوامَ شكرك، وبالشكر تدوم النعم.

﴿۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

أَنْ أُسْلِمَ: أن أخضعَ وأنقادَ بالطَّاعة.

• لقد جاءنا من البيِّنات الجليَّات، ومن الأدلَّة القاطعات، على وَحدانيَّة الله تعالى وجميل صفاته ما لا يملك العاقلُ معها إلا الخضوعَ لجلاله وعظيم سلطانه.

• القائد أولى الناس بالتزام الحقِّ واجتناب الباطل، وكذلك كان نبيُّنا ﷺ؛ {قُل إنِّي أُمِرتُ أن أعبُدَ اللهَ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ * وأُمِرتُ لِأن أكُونَ أوَّلَ المُسلِمِين}.

• كما كان رسولُ الله ﷺ لمَن خلفه من المسلمين خيرَ أُسوة، في إخلاص العبادة وصدق الاستقامة، على العلماء والدعاة أن يكونوا لمَن خلفهم قدوةً وأسوة.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ
وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ
وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ
فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ
ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن
نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ
بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

٤٧٥

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

عَلَقَةٍ: الدَّمِ الغَلِيظِ، المُتعلِّقِ بجدارِ الرَّحِمِ، وهُو أحدُ أطوارِ الجَنِينِ.

لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ: لِتتكامَلَ قُوَّتُكم.

أَجَلًا مُّسَمًّى: مُدَّةً مُقدَّرةً تنتهي بها أعمارُكم.

• بين أطوار خلقك أيُّها الإنسانُ أقدارٌ وأقدار لا يعلمها إلا مقدِّرها، مهما تقدَّمت المعارفُ والعلوم، ومهما ارتقت العقولُ والفهوم.

• لا يكاد يبلغ الإنسانُ من التمام، حتى يَجنحَ إلى النقصان. قال عمرُ رضي الله عنه: (لم يكمُل شيءٌ إلا نقص). فلا يغترَّنَّ قويٌّ بقوَّته وهمَّته، ولا معافًى بنشاطه وصحَّته.

• مَن عَلِم عِلمَ اليقينِ أن الله وحده هو الذي خلقه من نطفة، وحفظه في أطوار نموِّه حتى غدا رجلًا جَلدًا، لم يملك إلا أن يَعقِل حُججَ الله وينقادَ لها.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

• إذا أثقلت كاهلَك الهمومُ فتذكَّر أن لك ربًّا إذا أراد شيئًا قال له: (كُن)؛ لا رادَّ لقضائه، ولا مؤخِّر لمشيئته، فاسأله الفرجَ وكشفَ الهمِّ والغمِّ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾

أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ: كيف يَعدِلُون عنها مع صِحَّتِها؟!

• أرأيتَ إلى المجادلين في آيات الله البيِّنات؛ إنهم لا يردُّون الحُجَج بما هو أقوى وأحكم، ولكنَّهم يردُّونها باتِّباع الشُّبهات وموافقة الأهواء.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

بِٱلْكِتَٰبِ: بالقرآن.

• غَرَضُ المجادلين في آيات الله ليس إحقاق الحقِّ وإظهاره، ولكن التكذيبَ بالكتاب والتشكيك بالحقائق.

• تهديدٌ عظيم من عليم قادر، فأين المهرب من نظره، وأيُّ قدرة تقف أمام قدرته تبارك وتعالى؟

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾

وَٱلسَّلَٰسِلُ: والقيودُ في الأرجُل.

• أبوا أن يَلينوا للحقِّ وأهله، واستكبروا وجادلوا بالباطل، فكان عاقبتهم أن يُهانوا ويُذَلُّوا، وأن يُسحَبوا إلى النار سحبًا، مصفَّدين مقيَّدين.

﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

ٱلْحَمِيمِ: الماءِ الذي بَلَغ غاية الحَرارة.

يُسْجَرُونَ: يُوقَدُ عليهم.

• ما أعظمَه من عذاب، وأسوأها من عاقبة! ولو كان للكافرين قلوبٌ يفقهون بها، أو آذانٌ يسمعون بها لما استمرُّوا على كفرهم وهذه النهايةُ البئيسة تنتظرهم.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾

• يا له من توبيخ يزيد المكذِّبين ضيقًا وعذابًا! فأين مَن كنتم تعظِّمون وتُجِلُّون من دون الله؟ هل ينفعونكم اليوم قليلًا؟

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

• كل مَن تلوذ بهم من دون الله مهما بلغوا من السطوة والقوة، لن يُغنوا عنك يوم القيامة فتيلًا، فـ (لُذ بالإلهِ ولا تلُذ بسواهُ / مَن لاذَ بالملكِ الجليلِ كفاهُ).

• اختار الكفَّار بمِلْء إرادتهم الضلالَ على الهدى، فزاد الله بصائرهم عمًى، وقلوبهم زيغًا وضلالًا.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾

تَمْرَحُونَ: تَتوسَّعُونَ في الفَرَحِ أشَرًا وبَطَرًا.

• كمال السرور إنما يكون مع كمال الحقِّ، ولا يكون ذلك إلا في الجنَّة، فطوبى لعبد لم يَشغَله سرورٌ عابر بائد، عن سرورٍ أبديٍّ خالد.

﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

• شتَّانَ بين أبواب تُفتَح للمحسنين المتَّقين، وأبواب تُفتح للمتكبِّرين المجرمين، فيا بئسَ مَن لم يكن يومئذٍ من الناجين الفالحين!

• جريمة الكِبْر عن عبادة الله لا تكاد تعدِلها جريمة؛ فاستحقَّ أصحابها عقوبةً دونها كلُّ عقوبة، إنها الخلود في النار، وأعظِم بها من عقوبة!

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

• لا تشغل نفسَك بمصير أعداء الحقِّ والدين، فإنه جدٌّ وخيم، ولكن اجتهد في الدعوة والثبات على الأمر القويم، والعاقبةُ لا ريبَ للمتَّقين.

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ
وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ
لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ
وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى
ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ
قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ
ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ
بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

٤٧٦

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ: حُكِمَ بالعَدلِ بين الرُّسُلِ ومُكذِّبيهم.

• أرسل الله من الرسُل جمًّا غفيرًا؛ أمروا بالمعروف ونهَوا عن المنكر، وصبروا على تكذيب أقوامهم وإيذائهم، وما أحسنَ أن يقتديَ بصبرهم المصلحون المخلصون!

• الرسُل عليهم الصلاة والسلام يدعون إلى ربِّهم، ويبلِّغون رسالته كما أراد منهم، وهو وحدَه الذي يؤيِّدهم بالمعجزات، والآيات الباهرات، التي يأتون بها أقوامهم، وليس في وُسع رسولٍ منهم أن يأتيَ بمعجزةٍ أرادها قومه منه؛ إلا بإذن الله تعالى.

• لا بدَّ من لحظةٍ فارقة يُقضى فيها بالحقِّ؛ فيعزُّ أهل التقوى والإيمان، ويذلُّ أهل الشرك والعصيان، أعاذنا الله من الخزي والخُسران.

• مهما ربح المبطلون في الدنيا من أعراضها، وتعزَّزوا على المؤمنين بسلطانهم وقوَّتهم فيها، فإن الخسارة الحقيقيَّة التي لا ربحَ بعدها تنتظرهم يوم القيامة بين يدَي الملك العظيم سبحانه وتعالى.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

• كيف ستكون حياتك أيُّها الإنسانُ لولا فضلُ الله عليك، بما سخَّره لك من بقر وغنم وإبل، تأكل منها وتركب؟ فاجتهِد في شكر نِعَمه؛ فإنه أهلٌ لكلِّ شكر.

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

• سبحان مَن جعل الإبلَ سفُنَ البرِّ؛ تحمِل عباده، وتنقُل أمتعتهم، وتقضي حوائجهم، كما جعل لهم في البحر سفُنًا وقوارب!

• لقد علم اللهُ الحوائجَ التي في صدور عباده، من طلب الوصول إلى أقطار بعيدة ومسافات ممتدَّة، فيسَّر لهم بلوغها، وأعانهم على الوصول إليها، فالحمد لله على لطفه وعظيم جوده.

﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

• ترى آياتِ الله في خَلقك وإحيائك، وفي كسبك ومعاشك، وفي حِلِّك وتَرحالك، وفي ليلك ونهارك، فأنَّى لك أن تُنكرَها أو تغفُلَ عنها؟

• آيات الله ظاهرةٌ للعِيان، تنطق بعظمة الله ذي السلطان، (وفي كلِّ شيء له آيةٌ / تدلُّ على أنه الواحدُ).

• عجبًا لمَن يَجحَد آياتِ الله الدالَّة على وَحدانيَّته، وكمال قدرته، وكلُّ ما يحيط به يشهد لها ويقطع بها!

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم: فما دفَعَ عَنهُم.

• لنعتبِر بحال الأمم من قبلنا؛ لقد بلغت أوجَ القوَّة والسلطان، حتى اغترَّت بما وصلت إليه، فلم يَعصِمها ذلك من عقوبة الله تعالى.

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾

مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ: العِلمِ بالدُّنيا، وبما عِندَهُم من الأباطِيلِ التي يَظُنُّونَها عِلمًا.

وَحَاقَ: ونزَلَ وأحاطَ.

• العلم بلا إيمان فتنةٌ تُعمي وتُطغي، وتقود صاحبَها إلى الغرور والاستكبار، متجاوزًا بنفسه قدرَها وحقيقتَها، غافلًا عن الآماد البعيدة التي يجهلها.

• احذر أن يكونَ العلم حُجَّةً عليك لا لك، بأن يهويَ بك في حضيض الاستكبار والغرور، والتعالي على الخلق، والاستهزاء بهم؛ فإن ذلك بابٌ للهلاك.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

بَأۡسَنَا: عذابَنا.

يَكُ: يَكُن.

سُنَّتَ ٱللَّهِ: طَريقَتَهُ في عَدَمِ قَبُولِ تَوبةِ مَن عايَنَ العَذابَ.

خَلَتۡ: مَضَت.

• الآنَ تُقرُّون بالحقِّ، وتتبرَّؤون ممَّا كنتم عليه من ضلال؟! إن سنَّة الله جرَت ألا تُقبلَ توبةُ الفزع؛ لأنها توبةٌ فات زمانها.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾

• مَن تمسَّك بكتاب الله وجبَت له الرحمة وحقَّت له السعادة، فما أحرانا أن نغرفَ من هدي القرآن، لنحيا به في طُمأنينة وأمان.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾

فُصِّلَتۡ: بُيِّنَت آياتُه ووُضِّحت مَعانيه.

• آيات القرآن بلغت الغاية في الكمال؛ شمولًا وإحكامًا وتفصيلًا وبيانًا؛ لترتويَ النفوسُ من مَعينها، وتستنيرَ القلوب بضيائها.

• جلال ما اشتمل عليه القرآنُ من معان سامية، وأحكام دقيقة وافية، اقتضى أن يكونَ بلغة رائقة المباني، غنيَّة المعاني، وهل في سموِّ العربيَّة لغةٌ أو بيان؟!

﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤﴾

• وحيُ الله بشيرٌ يملأ قلوبَ الطائعين بالرجاء، ونذيرٌ لمَن عصى ربَّه وسلك دروبَ الشقاء.

• إن لم ينتفع المرء بما يسمع، ولم يتَّعظ بما يرى، كان كمَن لا سمعَ له ولا بصر.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾

• يُصرف المرء عن الحقِّ بمقدار إعراضه عنه، وذلك دليلُ مَقت الله له وبغضه إيَّاه؛ {وقالوا قلوبنا غُلفٌ بل لعنَهم الله بكُفرهم فقليلًا ما يؤمنون}.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧﴾

فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ: فاسلُكوا الطَّريقَ المُوصِلَ إليه.

وَوَيۡلٞ: وهلاكٌ وعَذاب.

• التواضع يرفعُك عند الله، ويقرِّبك من عباد الله، أوَليس لك قُدوة في رسول الله؟ لقد علَّمه ربُّه التواضعَ، ورفعه به مكانًا عليًّا، فما أحسنَ حالَ الداعية حين يتواضع في ردِّه على المخالفين، ويخاطبهم بمنطق الفطرة، ويبيِّن لهم الحقَّ المبين.

• الاستقامة على أمر الله لا تكون إلا بنقاء التوحيد وإخلاص العبادة، ثمَّ الاستغفار لما قد يشوب العملَ من قصور، وما يصيب صاحبَه من فتور.

• عن قَتادة قال: (كان يُقال: الزكاة قنطرةُ الإسلام، مَن قطعها واجتازها فقد برِئ ونجا، ومَن لم يقطعها فقد خسر وهلَك).

• مَن أيقن بزوال الدنيا وفنائها، وخلود الآخرة وبقائها، لم يمنع حقًّا أوجبه الله عليه، بل جعل من أدائه له طُهرةً لنفسه، ونماءً لإيمانه وإخلاصه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٨﴾

غَيۡرُ مَمۡنُونٖ: غيرُ مقطوعٍ ولا مَمنوع.

• لمَّا آمنوا بالله تعالى ولقائه، وعملوا الصالحات وأدَّوا الزكاة ابتغاء وجهه، خلافًا للكافرين المشركين به؛ كان أجرهم عند الله يوم يلقَونه عظيمًا ممدودًا، غيرَ منقطع ولا محدود، فعملوا في الدنيا يسيرا، وكان أجرهم في الآخرة كبيرا، فما أعظمَ فضلَ الإيمان على أهله!

﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩﴾

أَندَادٗا: شُركاءَ ونُظَراء.

• أين هؤلاء الأندادُ الضعفاء من الله تعالى؟! أفمَن يخلُق كمَن لا يخلُق؟! لكنَّ ضلالهم المبين أوردهم هذا الموردَ المهين.

• لو شاء الله سبحانه أن يخلُقَ الكون كلَّه في لحظة لفعل، ولكنَّه أفسح في مدَّة الخلق ليعلِّم عباده التأنِّيَ وحُسنَ التأنِّي.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ
قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ
فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ
وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ
٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ
فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٨ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ (الحزب ٤٨)
لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ
ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا
وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ
لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ
لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾

فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ: يومانِ لخَلقِ الأرض، ويومانِ لخَلقِ الرَّواسي وتقديرِ الأقوات.

• هيَّأ الله لعباده العيشَ على هذه الأرض بما أودعَ فيها من خيرات وطيِّبات، وبركات وافرات، حتى أديمُها جعله لهم بِساطًا وقرارًا، فما أضلَّ مَن سأل الأنداد من دونه!

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾

ٱسۡتَوَىٰٓ: قَصَد.

• أرأيتَ إلى هذا السقفِ العظيم المرفوع الذي يحيِّر العقولَ بإحكامه، ويَبهَر الأبصار بإتقانه؟ لقد كان من قبلُ دخانًا وبخارًا، فسبحان مَن أحاله إلى ما صار عليه!

• في طاعة البشَر لله تعالى انسجامٌ لفطرتهم مع فطرة الكون الطائع الملبِّي، فتتحقَّق بها الطُّمأنينة لهم، تحلو حياتهم، وتَسعَد قلوبهم.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡعَلِيمِ ١٢ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ
عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ
خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ
فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
١٥ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ
عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ
لَا يُنصَرُونَ ١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى
ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
١٧ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ١٨ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ
إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ
سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠

٤٧٨

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾

فَقَضَىٰهُنَّ: فخلقَهُنَّ وأبدعَهُنَّ.

بِمَصَٰبِيحَ: بنُجومٍ مُضيئة.

وَحِفۡظٗا: وحَرَسًا من الشَّياطين.

- انظر إلى النجوم في السماء ناشرةً أنوارها، مزيِّنةً ما حولها، قد جعلها الله حفظًا لها من شياطين الجنِّ الذين يَسترِقون السمع، فما أعظمَ تلك النجومَ من آية!

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣﴾

أَنذَرۡتُكُمۡ: خوَّفتُكم.

صَٰعِقَةٗ: عذابًا هائلًا.

- إنما ذكر الله عزَّ وجلَّ عادًا وثمودَ دون غيرهما من الأمم المُهلَكة لعلم قريشٍ بهما، فيكون ذلك أبلغَ في التذكير، وأدعى لاجتناب سوء المصير.

﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤﴾

- من فضل الله على الخلق أن الرسُلَ عليهم الصلاة والسلام لم تنقطع قبل محمَّد ﷺ، بل تتابعت من قبل هؤلاء الأقوام المهلَكين ومن بعدهم، وكلُّ رسولٍ منهم يدعو إلى توحيد الله، فويل لمَن أشرك بعد ذلك كلِّه.

- سَمتُ المستكبرين اللَّجاج، وعادتهم العناد، ولو أرادوا الحقَّ لطلبوه، ولو صدقوا ما ضيَّعوه، فإنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع.

﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥﴾

- ويلٌ لمَن نازع اللهَ في صفات عظمته وجلاله، وقد قال سبحانه على لسان رسوله ﷺ: (العظمةُ إزاري، والكبرياء ردائي، فمَن نازعَني واحدًا منهما عذَّبته).

- هذا أقصى ما يصل إليه الطغاةُ من شعورٍ في خِضمِّ طغيانهم وتجبُّرهم؛ يجهلون حقيقتَهم، وينسَون خالقَهم.

- إذا عاين العبد دلائلَ قُدرة الله أيقن أنه لا طاقةَ له بالتعرُّض لعذابه وعقابه، فإنَّ العلم بقوَّة الله يمنع صاحبَه من التعرُّض لسخَط الله.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾

صَرۡصَرٗا: شَديدةَ البُرودةِ، عاليةَ الصَّوت.

نَّحِسَاتٖ: مَشؤوماتٍ.

- لم يخطُر ببال المكذِّبين أن يحوِّلَ الله النَّسَمة الهادئة، إلى ريح هوجاء عاصفة، تدمِّر بيوتهم، وتنزع أرواحهم؛ {وما يعلَم جنودَ ربِّكَ إلَّا هو}.

- إن معصية الله وعدم امتثال أمره سببُ النحس والشُّؤم والنكَد، والبلاء والشقاء، فما أسعدَ الطائعين! وما أشقى العاصين!

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧﴾

- أبان الله لعباده سبيلَ الرشاد، وطريقَ الهداية والسَّداد، فمَن أغمض عينيه عن الحقِّ وأنوارِه، أهانه الله وأصلاه بنارِه.

- كتب الله العزَّة لمَن أطاعه وتولَّاه، وكتب الذلَّ لمَن خالف أمرَه وعصاه. قال الحسن رحمه الله: (أبى الله إلا أن يُذلَّ مَن عصاه).

﴿وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ١٨﴾

- في التقوى نجاةٌ في الدنيا وفلاحٌ في الآخرة؛ {ويُنجِّي اللهُ الذين اتَّقَوا بمَفازَتِهم لا يمَسُّهمُ السوءُ ولا هُم يحزَنُون}.

﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾

يُوزَعُونَ: يُرَدُّ أوَّلُهم على آخِرِهِم.

- موقفٌ تنخلع له القلوب، وتَحُلُّ فيها عنده الكروب؛ يوم يجمع اللهُ أعداءه إلى نار جهنَّم، وتحبِسهم زبانيتها فلا يستطيعون عند ذلك الخروجَ منها، فاللَّهُمَّ قِنا عذابك يوم تبعث عبادك.

- أعداء الله على اختلاف العصور، وتقلُّب الأزمان والدهور، اجتمعت كلمتُهم في الضلال والإفساد، فجُمعوا في النار تحُفُّهم المهانة، وتغشاهم الكآبة والندامة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾

- ما أشدَّ ذلك الموقفَ! وما أعظمَها من فضيحة! حين يكون الشاهدَ على المرء بَضعةٌ منه، فلا مجالَ لتكذيبه، ولا سبيلَ إلى ردِّ شهادته.

- كلُّ ما تُخفيه فإن الله يبديه يوم يُنطِق جوارحَ البشر التي كانوا بها يتلذَّذون، لتُدليَ بشهادتها طائعةً مستسلمة.

الجُزْءُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ — سُورَةُ فُصِّلَتْ

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوٗى لَّهُمْۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ
فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم
مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدْ
خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ
ٱلنَّارُۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

الحزب ٤٨

٤٧٩

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢١﴾

• ما من شيءٍ إلا خاضعٌ لسلطان الله وحكمه، حتى الجلودُ التي لا تتكلَّم ستنطِق مستجيبةً لأمر ربِّها، فأولى بك أن تجعلَ شهادتها لك لا عليك.

• إن الذي ابتدأ الخلقَ قادرٌ على أن يعيدَه مرَّةً أخرى، فجلَّ مَن يُبدئ ويعيد، وهو سبحانه الأوَّل والآخِر؛ {له الحمدُ في الأولى والآخرة، وله الحُكمُ وإليه تُرجَعون}.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ٢٢﴾

تَسْتَتِرُونَ: تستخفُونَ عندَ ارتكابِكُمُ المَعاصِيَ.

أَن يَشْهَدَ: خوفًا من أن يَشهَدَ.

• المؤمن حقًّا مَن استشعرَ رِقابةَ الله عليه، وقُربه منه في جميع أحواله، فإنه لا يخفى على الله من عباده شيءٌ، وقد وكَّل بهم ملائكةً كاتبين، ولأعمالهم حافظين.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾

أَرْدَىٰكُمْ: أهلَكَكُم.

• لمَّا ظنُّوا أن علم الله لا يحيط بهم، وأنه قد يغيب عنه شيء من أحوالهم، تمادَوا في غَيِّهم، فأوردهم ظنُّهم سوء المصير.

• حُسن الظنِّ بالله علامةٌ على صدق الإيمان والإحسان، وما ظنَّ عبدٌ بالله ظنًّا إلا وجده، كيف لا وهو القائل على لسان نبيِّه ﷺ: (أنا عند ظنِّ عبدي بي).

﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوٗى لَّهُمْۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ٢٤﴾

فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ: فما هُم من المُجابِينَ إلى ما طَلَبُوا.

• لو صبروا على التمسُّك بأهداب الشريعة الغرَّاء، لكانت عاقبتُهم الفرَج وحُسن الجزاء، ولكنَّه الصبر الذي جزاؤه النار مثوًى وقرارًا.

• حكم الله نافذٌ في أهل النار أنها دارهم ومقرُّهم، لا ينفعهم الصبرُ فيها، ولا طلبُ الخروج منها، ولسان حالهم يقول: {سواءٌ علينا أجزِعنا أم صبَرنا ما لنا من محيص}.

﴿۞وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥﴾

قُرَنَآءَ: مُصاحِبِينَ من شياطِينِ الإنسِ والجِنِّ.

• من نِعم الله على العبد أن يرزقه إخوانَ صدقٍ يعينونه على الطاعة، وإذا أراد بامرئٍ سوءًا قيَّض له من القُرناء، مَن يَسلُك به دروبَ الشقاء.

• إذا انتكست فِطرةُ المرء وأظلم قلبه رأى المعروفَ مُنكرًا والمنكرَ معروفًا، وهذا من أعظم الغَبن والحرمان؛ {أفمَن زُيِّن له سوءُ عمَلِه فرآهُ حسنًا}.

• مَن سلك سبيلَ أهلِ الخير واقتدى بهم سما وارتقى درجاتٍ عَلِيَّة، ومَن سلك سبُل أهل الضلال واقتفى أثرهم، هلك معهم في الشقاوة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ٢٦﴾

• لمَّا يئس الضُّلَّال من إخماد صوت الحقِّ عدَلوا إلى اللغو فيه، آملين أن يحالفَهم الحظُّ في طمس معالم الإيمان، ولكنْ هيهات.

• ذلك لأن مَن تدبَّر كتابَ الله زالت أدرانُ قلبه، وأشرقت أنوارُ روحه، وحَسُنت أخلاقُه، وشَمِلَت السعادة حاله ومآله.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٢٧﴾

• إنه العذابُ الأليم الذي يتجرَّعون غُصَصه، ويقاسون مرارته، لا ينفكُّ عنهم أبدًا، ولا يجدون إلى الخلاص منه سبيلًا.

• رأس الذنوب الشِّرك بالله تعالى، وقد كان سُئل النبيُّ ﷺ: أيُّ الذنب أعظمُ عند الله؟ فقال: (أن تجعلَ لله نِدًّا وهو خلقَك)، فلمَّا كانت السيِّئة عظيمةً كان العذاب شديدا.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ٢٨﴾

• ويلٌ لمَن غادرَ الدنيا عدوًّا لربِّه، جاحدًا لآياته، فليس له من جزاء عند لقاء الله إلا النار، وبئسَ القرار.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ٢٩﴾

• يرجو الكفَّار أن ينتقموا لأنفسهم ويَشفوا صدورهم برؤية مَن أوردهم هذا الموردَ الوخيم ذليلًا صاغرًا مُحتقَرًا، فأولى لهم أن يتبرَّؤوا منهم الآن ولا يجعلوهم فوق رؤوسهم ويرفعوا مكانتهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ
قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ
بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ
سجدة رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

٤٨٠

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

ٱسْتَقَٰمُواْ: ثَبَتوا على الحقِّ عِلمًا وعَمَلًا.

تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ: تنزِلُ عِندَ الموت.

- أصل الكمال الإنسانيِّ إيمانٌ بالله يطرح خبائثَ الشكوك المحيِّرة، واستقامةٌ على أمر الله بإصابة الحقِّ وسلوك دربه.
- جوهر الاستقامة الاعتدالُ، بلا غلوٍّ وإفراط، ولا تقصيرٍ وتفريط، فهي مسلكُ المؤمنين الصادقين، ودربُ العارفين المُخبِتين.
- لمَّا كانت الاستقامة أمرًا شاقًّا على النفس، كان جزاء مَن لزِمَها وصبرَ على تكاليفها أن تحبَّه الملائكة وتبشِّره بالرضوان، والفوز بالجنان.
- سبقت للمؤمنين البشرى، فلا خوفٌ يعتريهم، ولا فزعٌ يؤذيهم، يخرجون من هذه الحياة الدنيا آمنين مطمئنِّين، وبوعد ربِّهم مستبشرين.
- ليستحضرِ المؤمنُ دومًا هذا الوعدَ الإلهيَّ المتجدِّد له بالجنَّة ونعيمها، ليسارعَ بهمَّة إلى الطاعات، وينأى بحزم عن المنكرات.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾

أَوْلِيَآؤُكُمْ: أنصارُكم.

- كما كان الملائكة أولياءَ الصالحين في الدنيا، فإنهم أولياؤهم في الآخرة، يؤنسونهم في وَحشة القبور، ويؤمِّنونهم يوم البعث والنشور، فهنيئًا لمَن كانت الملائكة أنسَهم وأنيسهم.
- لا يُحرَم المؤمن في الجنَّة من شيء اشتهاه، وسيجد فيها كلَّ ما طلبه وتمنَّاه، فليس ثَمَّ إلا الأنس والنعيم، والرَّاحة والتكريم.

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

- برحمته سبحانه ومغفرته نالوا كرمَ الضيافة، ولولا ذلك ما وصلوا إلى ذلك العطاء الكريم، فاحرِص على أسباب رحمة الله ومغفرته لتنالَ ما نالوا.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

وَمَنْ أَحْسَنُ: لا أحدَ أفضَل.

- هذه الآيةُ وسام شرفٍ على صدور الدعاة الصادقين، والعلماء العاملين، فليس أحدٌ أحسنَ قولًا، ولا أكرم عند الله منزلةً منهم.
- (لا إله إلا الله) هي أصل الدعوة إلى الله، وأصل قَبول العمل الصالح عنده، وبها يُبرهِن المرء على أنه من المسلمين، فما أحسنَها من قول! وما أعظمَها من وسيلة لنيل الرِّضوان!

﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

- مقابلة الإساءة بالإحسان سماحةٌ لا يَبذُلها إلا مَن عرَف ثواب الحسنة وأدرك فضلها، وأن لها أثرًا عميقًا في نفس العدوِّ، يَكبَح جِماحه، ويَسُلُّ الضغينة من قلبه، بل يَقلِبها مودَّة وأُلفة، فنسألك يا الله أن تَهدِيَنا للتي هي أحسنُ في أمورنا كلِّها.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

- مَن التزم العفوَ وآثر السَّماحة أثبت اسمَه في ديوان الصابرين، ونال شرف الحُظوة والاجتباء من ربِّ العالمين.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ: فاستجِر واعتصِم بالله قائلًا: أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم.

- حظُّ الشيطان من ابن آدمَ إمَّا صدٌّ عن خير، وإمَّا إيقاعٌ في شر، فأمرَ الله عباده أن يستعيذوا به من الشيطان؛ فهو الملجأ سبحانه من تربُّص الشياطين، وهو السميع لدعاء المستجيرين، العليمُ بإخلاص المعتصمين.
- إن الذي خلق هذا القلبَ هو أعلم بما يُصلحه وما يُفسده، ولهذا أرشد عبادَه إلى الاستعاذة من الشَّيطان حين يطرق قلوبَهم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

- إن في آيات الله الظاهرة أوضحَ دليل على وَحدانيَّة الله، فمَن تفكَّر فيها أفاق من غفلته، ونهض من كَبوته، وأقبل نحو ربِّه، طالبًا رضاه.
- مهما رأيتَ من عظيمٍ فإنَّ الله أعظم، وما ينبغي للمؤمن أن ينقادَ أو يذِلَّ إلا للعليِّ العظيم، إليه تُرفَع الرغائب، وبه تُستجلَب المطالب.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾

- مَن علم عظمة الخالق وافتقارَ الخلق إليه جَدَّ في عبادته وطاعته، وجرى تسبيحُه على لسانه جريَ أنفاسه، ولنا في الملائكة خيرُ قدوة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

خَٰشِعَةً: يابسةً لا نباتَ فيها.

ٱهْتَزَّتْ: دبَّت فيها الحياةُ وتحرَّكت بالنَّبات.

وَرَبَتْ: انتفخت وعلَت.

• ما نراه من تقلُّب الأحوال من الجَدْب إلى الخِصْب ومن الضَّعة إلى الرِّفعة ليس أمرًا عابرًا، ولكنه دعوةٌ إلى تعظيم قدرة الله، والاعتبار بحال كلِّ شيء وعاقبته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

يُلْحِدُونَ: يَميلونَ عن الحقِّ.

• آياتُ الله حقٌّ وهدًى، فمَن مالَ عنها إلى الضلالة، فقد مالَ بنفسه إلى المهالك.

• يا له من تهديد لمَن عقَل! إن الله بصيرٌ بعملكم، عليمٌ بظاهركم وباطنكم، وقد أعلمكم مصيرَ المحسن والمسيء، فليختَر أحدُكم ما يشاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾

بِٱلذِّكْرِ: بالقُرآن.

عَزِيزٌ: مُمتنِعٌ على كُلِّ مَن أرادَهُ بتحريفٍ أو سُوء.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ: إنَّ الجاحِدينَ بالقُرآنِ، والخبرُ محذوفٌ، تقديرُه: هالِكون.

لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ: لا يَقرَبُه شيطانٌ ولا يُبطِلُه شيءٌ؛ محفوظٌ من كُلِّ زيادةٍ ونَقصٍ وتحريف.

مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ: في أيِّ ناحيةٍ من نَواحيه.

• ما أبأسَ حالَ مَن لم يَرفع بالقرآن رأسًا؛ إيمانًا وذكرًا وعملًا! تراه في الدنيا يَخبِط على غير هدًى، ويوم القيامة يرى باطلَ عمله مُحضرًا.

• وكيف لا يكون القرآن عزيزًا، وقد حفظه ربُّه من التغيير والتبديل، وجعله بصحَّة معانيه حِصنًا حصينا، وبرفعةِ بيانه صرحًا مَكينا؟!

• اتلُ أيُّها المسلم كتابَ ربِّك بعينَي فؤادك وقلبك، وتدبَّر مقاصدَ آياته وعِظاته، تجد فيه ما تجيش له النفسُ، تعظيمًا لحكمة الله، وحمدًا على نعمته.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

• تشابهَت قلوبُ المكذِّبين في الكُفر، فتماثلت مقالاتهم في الجحد؛ يمضي الخَلَف منهم على إثر السلف في عداوة الحقِّ وأهله، فبئسَ التابعُ والمتبوع.

• أيُّ شعور للداعية بالأُنس والعزيمة، والاستعلاء على مصاعب الدعوة ورفض الهزيمة، حين يعلم أن أسلافه في هذا الطريق هم تلك العصبةُ المختارة من الأنبياء والصالحين؟!

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

• لمَّا كان اللسان العربيُّ أكملَ الألسنة وأحسنَها بيانًا للمعاني، كان نزول الكتاب به من أعظم النِّعَم، ولكنَّ الظالمين بآيات الله يجحدون.

• القرآن هدًى وشفاء، ولكن هيهاتَ أن ينتفعَ به إلا المؤمنون، الصادقون المخلصون، فإنَّ بمقدار اليقين به يكون الانتفاع.

• حال الناس مع القرآن كحال الليل والنهار، فمنهم مَن تفتَّحت إليه عقولهم، وأبصرت به قلوبهم، ومنهم مَن أظلمت دونه أفئدتهم، وعَمِيت عنه بصائرهم.

الجُزْءُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ — سُورَةُ فُصِّلَتْ

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ
﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

٤٨١

• أنَّى للمُعرضين عن القرآن أن تخالطَهم بشاشةُ هداياته؟! فمَن أعرض عنه طُمس على قلبه وخُتم على بصيرته، وصُمَّت أذناه دون ندائه، فلا يتبيَّن بعدُ من الحقِّ شيئًا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾

• لم يزل أهلُ الضلال مختلفين في شرع الله، مضطربين بشأنه، ولم يزل الله يُحصي أعمالهم وأقوالهم حتى يقضيَ فيهم بالحقِّ وهو أحكم الحاكمين.

• ما أحلمَ الله! وما أشدَّ التقصيرَ في حقِّه العظيم! فلو شاء لأهلك المفسدين بذنوبهم في الحال، ولكنَّه يؤخِّرهم رجاءَ أن يتوبوا.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

• جاءت رسالة الإسلام لتعلنَ رُشدَ البشريَّة، وتُحمِّلَها عِبءَ الاختيار، وترفعَ شعار المسؤوليَّة الفرديَّة، فطوبى لمَن اختار الحقَّ وعمل صالحًا.

الحزب ٤٩ الجزء ٢٥

۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا
وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ
شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنۡهُم
مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ
قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ
رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ
أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ
﴿٥١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ
مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا
فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ
أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ
فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾

٤٨٢

﴿۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾﴾

أَكۡمَامِهَا: أوعيتِها.

ءَاذَنَّٰكَ: أعلمناك.

• إذا كان كثيرٌ من الأمور المشاهدة القريبة منَّا لا يعلم حقيقتَها وكُنهَها إلا اللهُ تعالى، فما الظنُّ بالقيامة وميعادها؟ ألا فلنتهيَّأ لها قبل أن تدهمَنا على غِرَّة.

• شتَّانَ بين أدعياء الغيب المتخرِّصين وبين علم الله للغيب بتفاصيله ودقائقه؛ متى يظهر وكيف يتجلَّى؛ {وعندَهُ مفاتِحُ الغَيبِ لا يعلَمُها إلّا هو}.

• خيرٌ لك أيُّها العبدُ أن تُعرِضَ عن الأباطيل والسيِّئات، وأن تعملَ للحقِّ ولما هو آت، قبل أن تقفَ موقفًا لا ينفع فيه جدال، ولا يُغني قيلٌ ولا قال.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾﴾

وَضَلَّ: وذهَبَ وغاب.

وَظَنُّواْ: وأيقنوا.

مَّحِيصٖ: مَلجأٍ ومَهرَب.

• يومَ القيامة يذهب عن المشركين شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، وحينذاك يوقنون أنه لا يُنجي من عذاب الله سواه، أما لو حضرهم هذا اليقينُ في الدنيا فآمنوا لنجَوا وأفلحوا.

﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾﴾

لَّا يَسۡـَٔمُ: لا يَمَلُّ.

مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ: من طَلَبِ الزِّيادةِ في الدُّنيا.

ٱلشَّرُّ: الفقرُ والمرَضُ والخوف.

وَمَآ أَظُنُّ: وما أعتقِدُ.

غَلِيظٖ: شَديد.

• على المِحَكِّ تُعرف معادنُ الرجال، وفي المِحَن والملمَّات تظهر حقائقُ النفوس، فما أكثرَ المتحوِّلين مع النِّعَم؛ بطرًا إن توفَّرت، وقنوطًا إن افتُقدت.

• بعض الناس يتَّخذون من حِلم الله عليهم درَكًا إلى أحطِّ الأعمال، طامعين في مغفرته مع إصرارهم على الآثام، غافلين عن أنه سبحانه شديدُ الانتقام.

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾﴾

وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ: وتَباعَدَ عن شُكرِ النِّعمةِ واتِّباعِ الحَقِّ تكبُّرًا.

فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ: فصاحِبُ دُعاءٍ بكَشفِ الضُّرِّ كثير.

• على الإنسان أن يستحضرَ رقابة الله عليه حالَ تجدُّد النعم عليه، فإن إعراضه أكثر ما يكون هنالك، فليضبِط نفسه بدوام ذكر الله وتذكُّره، وكما يألف النعم فليألف الحمدَ والشكر.

• اعلم أيُّها العبدُ أنَّ ما يُصيبك من عُسر وضُرٍّ إنما ينجرُّ إليك بسوء فعلك وقبيح عملك، أفتزرع الشوكَ وترجو أن تحصُدَ منه العِنَب؟!

• إذا أردتَّ أن تقفَ على حقيقة إيمانك فتأمَّل في حالك؛ فإن كنت ممَّن يُقبِل على الله وقت الشدَّة والعَناء، ويستغني عنه وقت الرغَد والثَّراء، فاعلم أنك على خطر!

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾﴾

أَرَءَيۡتُمۡ: أخبِروني.

مَنۡ أَضَلُّ: لا أحدَ أضَلُّ.

شِقَاقِۢ بَعِيدٖ: خِلافٍ بَعيدٍ عن الحَقِّ.

• دعوةٌ للتأمُّل والتفكُّر في حالنا مع القرآن؛ عملًا بأحكامه وامتثالًا لأوامره ونواهيه، فإنه حقٌّ أكيد، وليس بعد الحقِّ إلا الضلال.

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾

ٱلۡأٓفَاقِ: أقطارِ السَّماواتِ والأرض.

أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ: أنَّ القرآنَ حَقٌّ لا رَيبَ فيه.

أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ: ألا يَكفيهم دَلالةً على أن القرآنَ حَقٌّ شَهادةُ اللهِ له بذلك؟!

• بلى؛ حسبُنا أن الله شاهدٌ على أعمالنا وعلى تقلُّبات حياتنا، لا نسأل سواه ولا نلوذ إلا بحِماه، عليه توكَّلنا وإليه أنبنا.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾﴾

• سُبحان ربِّنا من إله عظيم عليم! فبقدرته سيجمع العبادَ للحساب، وبعلمه وإحاطته بأعمالهم سيُثيبهم أو يعاقبهم.

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ
ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ
وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ
حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن
يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

٤٨٣

سورة الشورى

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾

• شتّان بين وحي الله الكامل في عزّته، والكامل في علمه وحكمته، وبين قوانين البشر الموضوعة بعقولهم القاصرة، وقدراتهم الناقصة.

• إنه وحيُ السماء لأهل الأرض، قد بلغ الغاية في الكمال، والحكمة والجلال، فاستمسِك بهُداه، ودعك ممَّا سواه.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾

• عجبًا لمَن يعلم أن الله تعالى مِلكُ متفرِّد في علوِّه، ومتفرِّد في عظمته وجبروته، ثمَّ يلوذ بغير جنابه، ويطرق غير بابه!

• مهما جمَح بك الخيال في تقدير عظمة العظماء، وقوّة الزعماء، فاعلم أن الله أعظم وأقوى؛ {وَهُوَ القاهِرُ فَوقَ عِبادِهِ}.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

يَتَفَطَّرۡنَ: يَتَشَقَّقنَ.

• هذه السماواتُ العظيمة في بنيانها، المتينةُ في عليائها، تكاد تتقطَّع تعظيمًا لله وتوقيرًا لجلاله، فـ{ما لَكُم لا تَرجُونَ للهِ وَقارًا}؟!

• أمَّا الملائكةُ فعلموا مقامَ ربِّهم ذي الكبرياء والجبَروت، فخافوه وخشُوه، وأمَّا أهل الأرض فكثيرٌ منهم ما قدَروا الله حقَّ قَدْره!

• لولا رحمةُ الله وعفوُه لأهلكت العبادَ معاصيهم، ولكنَّ الله يؤخِّر عقوبتهم حتى يَفيئوا إلى هديه، ويرجعوا إلى صراطه وشرعه.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾﴾

أَوۡلِيَآءَ: آلِهةً يتوَلَّونَها ويعبُدونَها.

حَفِيظٌ: رَقيبٌ عَتيد.

• خاب مَن اتَّخذ الشيطانَ وليًّا، وكفر وصدَّ عن طاعة الله ربِّه؛ {ومَن يتَّخِذِ الشَّيطانَ وليًّا من دُونِ الله فقد خَسِرَ خُسرانًا مُبينًا}.

• على الداعية البلاغُ للناس، وليس عليه حسابُهم ومجازاتهم، فإن ذلك إلى الله لا إليه. ألا فليهتمَّ المبلِّغ بما عليه، وليدَع حساب الخلق على الخالق سبحانه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾

أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ: مَكَّة، والمُرادُ أهلُها.

لَا رَيۡبَ فِيهِ: لا شَكَّ في مَجيئِه.

• إنزال القرآن على العرب بلغتهم فيه توجيهٌ للدعاة إلى ضرورة مخاطبة الناس بما يَعقِلون، وتبليغهم من الحقِّ ما يفهمون ويعون.

• على الداعي إلى الله أن يبدأ في الدعوة بأرضه التي يعيش فيها ما أمكنه ذلك، ثمَّ ينتقل عنها إلى ما حولها، وهكذا دعا رسولنا عليه الصلاة والسلام.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ: مُجتَمِعينَ على الهُدَى.

• إنما الدين عند الله الإسلام، فمَن اهتدى لحقائقه فاز برحمة الله، وهل من رحمةٍ أعظمُ من الإسلام؟

• مَن اختار العدلَ والإنصاف منهجًا في حياته، مع نفسه وغيره، كان الله وليَّه ونصيره، ومَن آثر ظُلمَ نفسه قبل غيره لم يجد عند الله يوم القيامة وليًّا ولا نصيرا.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾﴾

• أفمَن يخلُق كمَن لا يخلق، أفمَن يُحيي كمَن لا يحيي، أيكون القادر على كلِّ شيء كالعاجز؟ فاعجَب بعدُ لمَن يتَّخذ من دون الله وليًّا!

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ: وإليه أرجِعُ في كلِّ الأمُور.

• ما أبعدَ البَونَ عند الاختلاف في شرع الله بين مَن يحتكم إلى رأي فلان وقول علان، وبين مَن يحتكم إلى قول الله وقول رسوله ﷺ.

• كمال العبوديَّة لله في تحقيق هذين الأصلين العظيمين المتجلِّيين في قوله: {إيَّاكَ نَعبُدُ وإيَّاكَ نَستَعين}، وقوله: {فاعبُدهُ وتوكَّل عَليه}.

• توكَّل على الله تبارك وتعالى في كلِّ أمورك، وارجِع إليه في جميع شؤونك، وسيهديك إلى الحقِّ حينما يختلف الناسُ فيه.

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ
الحزب ٤٩ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ
لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ
فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ
ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ
ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٤٨٤

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾

وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا: أنواعًا؛ ذُكورًا وإناثًا.

يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ: يُكَثِّرُكم بسَبَبِ التَّزويجِ.

- العقول السليمة تُقرُّ أن الخالق المبدع هو وحدَه الجديرُ بالحكم والمستحقُّ للطاعة؛ لأن حكمه قائم على ما فيه مصالحُ العباد وخيرهم.
- خلق الله حوَّاءَ من ضِلَع آدمَ لتكون أبدًا قريبةً من قلبه، وسندًا له في حياته، فطوبى لكلِّ امرأة كانت لزوجها كحوَّاءَ لآدم.
- جلَّت أسماء ربِّنا فهي كلُّها حُسنى، وعظُمت صفاته كمالًا وجمالًا، وتعالت أفعاله مجدًا وسناء، فليس كمثله شيءٌ سبحانه.
- آيةٌ واحدة مُحكَمة أبطلت مذهبين فاسدين؛ {ليس كمِثلِه شيءٌ} ردٌّ على المشبِّهة، و{وهو السَّميعُ البصيرُ} ردٌّ على المعطِّلة. فهل من متدبِّر؟

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ: مِلكُها ومَفاتيحُ خَزائنِها.

يَبْسُطُ: يُوسِعُ.

وَيَقْدِرُ: ويُضَيِّقُ.

- إذا كان الله تعالى هو رازقهم وكافلَهم ومطعمَهم وساقيَهم؛ أفلغيره يتَّجهون ليحكمَ فيما فيه يختلفون؟
- مَن كان علمه كاملًا شاملًا، كانت أفعاله جاريةً على أتقن ما يكون من قوانين الحكمة، فما أحرانا أن نرضى بها، وإن غابت عنَّا الحكمةُ منها!
- قد أحاط الله بكلِّ شيء علماً، فلا تخفى عليه سبحانه خافية، من كبير أو صغير، ومن جليل أو حقير، فكن أيُّها المسلم على حذر.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ: يَصطفي لتَوحيدِه ودِينِه.

يُنِيبُ: يَرجِعُ إليه بالطَّاعة.

- لن تجتمعَ كلمة المؤمنين حتى يجتمعوا على دين الله الواحد، فهو الكفيل بانتفاء الخلاف والشِّقاق فيما بينهم، وبثّ السلام والوئام.
- إقامة الدين إنما تكون برفع أركانه، وإرساخ بنيانه، وحفظه من أن يَقَع فيه زيغٌ أو انحراف، فهنيئًا لمَن أقامه.
- شرُّ التفرُّق التفرُّقُ في الدين، فهو سبب الهلاك والبلاء، وعاقبته الخسارة والفناء، فلنكن في الحقِّ يدًا واحدة.
- سُنن الله في خلقه لا تزول ولا تحول؛ فمَن تقرَّب إليه بالطاعة زاده منه قربًا، ووفَّقه للثبات، ومنَّ عليه بحُسن الختام.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾

ٱلْكِتَٰبَ: التَّوراةَ والإنجيلَ.

مُرِيبٍ: مُوقِعٍ في الرِّيبةِ والاختِلافِ المَذمُوم.

- على المسلمين الحذرُ من التفرُّق؛ فإنه طريقٌ للهلاك دينًا ودنيا، وكيف يتفرَّقون وعندهم عواملُ الاجتماع، وأسبابُ الائتلاف؟!

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ: لا جِدالَ بيننا وبينكم بَعدَما تَبيَّنَ الحقُّ.

- عنوان الفلاح والنجاح الدعوة إلى الحقِّ والاستقامةُ عليه دومًا؛ امتثالًا لأمر الله، وتأسِّيًا برسول الله.
- مَن اتَّخذ غيرَ الإسلام دينًا فإنما دينه هواه؛ {ومَن أضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَع هَواهُ بغَيرِ هُدًى من اللهِ إنَّ اللهَ لا يَهدي القَومَ الظَّالِمين}.
- العدل ميزانُ الله في الأرض؛ به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من القويِّ، وبالعدل يصدِّق الله الصادق، ويكذِّب الكاذب.
- تبرُز في هذه الآية طبيعةُ الرسالة الأخيرة، التي تستكمل فضائل الرسالات السابقة، وتمضي مترفِّعةً عن أهواء البشر، ومحقِّقةً العدالةَ في الأرض.
- واجب العلماء والدعاة في كلِّ مكان وزمان العملُ على جمع الكلمة وَفقَ الكتاب والسنَّة، وتوحيد الصفوف، ونبذ الفُرقة والخلاف.
- أيُّها الدعاة، لا تُضيعوا أوقاتَكم بكثرة الجدال وطول النزاع، وحسبكم أن تبيِّنوا الحقَّ من الباطل، وتقيموا الحُجَج الواضحات.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾

يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ: يخاصِمونَ في دِينِ الله.

دَاحِضَةٌ: ذاهِبةٌ باطِلة.

• مَن يُصرُّ على الجدال في توحيد الله بعدما تبيَّن له الحقُّ فخالفه، وإن مآل جداله إلى النقض، وليس له في الآخرة إلا الخزيُ والخِذلان.

• الناس في هذه الحياة فريقان؛ فريقٌ يسارع إلى الإيمان بالحقِّ والتصديق به، وفريقٌ لا يزال يجادل بالباطل ويماري فيه! وما أشدَّ الفرق بينهما!

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧﴾

بِٱلۡحَقِّ: بالصِّدق.

وَٱلۡمِيزَانَ: والعَدلَ.

• كان أصحابُ رسول الله ﷺ يستحضرون الساعة في أوقاتهم كلِّها؛ تعظيمًا لشأنها، وفزَعًا من أهوالها، فأين نحن منهم؟!

﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨﴾

مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا: خائِفُونَ من قِيامِها.

يُمَارُونَ: يجادِلُون.

• يحجُب اللهُ قلوبَ المرتابين عن استشعار خطر الساعة، فيمضون عنها غافلين، وبعذابها غيرَ مبالين.

• لا يدري المؤمنون مصيرَهم في الآخرة، فيعيشون في فزَع من لقائها، ولا يدري الكافرون حقيقةَ أمرها فلا يبالون بها ولا بما فيها!

• وهل أضلُّ ممَّن يرى آيات ربِّه في نفسه وآفاق كونه، ثم يُماري ويُجادل في الساعة وحقيقة قيامها؟!

• نعم إنه ضلالٌ بعيد؛ لأن إنكار الجزاء غالبًا ما يُفضي إلى الذهاب بعيدًا في الظلم والعدوان، والبغي والعصيان، وارتكاب صنوف الآثام.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾

• لطفُ الله محيطٌ بعباده، ومن أجلِّ لطفه بهم أن أرسل إليهم رُسلَه، وأنزل عليهم كتبَه هدًى ورحمة، فأين الشاكرون الحامدون؟

• تكفَّل الله بأرزاق عباده ليجتهدوا في برِّه وطاعته، فلنحذر أن نجعلَ ممَّا ضُمن لنا عائقًا عن بلوغ مرضاته.

• اعلم أن مَن ضمِن لك رزقك قويٌّ لا يضيق عطاؤه بشيء، وعزيزٌ لا يمنعه أحدٌ عمَّا أراد، فحذارِ أن يَشغَلك عن عبادته شاغل.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠﴾

• أبشِر أيُّها العامل للآخرة بثوابٍ حسن مضاعف؛ فضلًا من الله وكرمًا، وأمَّا قاصد الدنيا فلا نصيبَ له من ثواب الآخرة، ولا ينال من دنياه إلا بقدر ما قدَّم لها عدلًا من الله في عباده.

• الحياة الدنيا دار عمل، فكلُّ الناس يعمل فيها، غير أن هناك مَن يعمل فيها لدار الآخرة وهم الفائزون، وهناك مَن يعمل فيها لأجلها فحسب وهم الخاسرون.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢١﴾

كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ: قضاؤُه بإمهالِهم وعدَمِ مُعاجلَتِهم بالعُقوبة.

• كلُّ ما عدا الله قاصرٌ عن الإحاطة بخَلق الله، فكيف يؤتمَن على التشريع لحياة البشر مع عجزه وقصوره؟!

الجزء الخامس والعشرون | سورة الشورى

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ
١٦ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨
ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ
١٩ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
مِن نَّصِيبٍ ٢٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢١ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم
مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢

٤٨٥

• أين العقلانيُّون من هذه الآية، وهم يستحسنون بعقولهم غيرَ ما استحسنه الشرع، وقد قيل: (مَن استحسنَ فقد شرَع).

• لا يغرنَّكم إمهال الله أيُّها المخالفون لشرعه، فإنه يُمهل ما شاء بحكمته وحِلمه، ولكنَّه هيهات يُهمل، وكلُّ شيء عنده بأجل مسمًّى.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢﴾

• لن تُغنيَ عنك حسرتُك شيئًا يوم القيامة، أيُّها العاصي الغافل، فهلَّا تُبتَ إلى ربِّك قبل ذلك الموقف العصيب؟!

• لا تزال النفس تتطلَّع إلى روضات الدنيا وبهجتها، فما الظنُّ بروضات الجنَّات، وفيها ما لا يخطُر على قلب بشر، ألا تستحقُّ منَّا العمل؟

• نعيم الدنيا كلُّه لا يَعدِل شيئًا بإزاء مقام أدنى أهل الجنَّة منزلةً، فالفضل الكبير حقًّا هو فضل الله على أهل طاعته في الآخرة، جعلنا الله منهم.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ
قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ
حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣ أَمۡ يَقُولُونَ
ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ
ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤
وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ
شَدِيدٞ ٢٦ ۞وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ وَهُوَ
ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ
٢٨ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا
كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ
فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١

الحزب ٤٩

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣﴾

• أولى الناس بالتعفُّف عمَّا في أيدي الناس هم العلماء والدعاة، فالمرجوُّ منهم البذلُ في الدعوة، لا الطمعُ في متاع الدنيا، والمرجوُّ من الناس نُصرتهم وموالاتهم لا الوقوفُ في طريقهم، وأولى الناس بذلك هم قرابتهم.

• يوفِّق الله عبادَه للتوبة والإحسان، فيغفر لهم السيِّئات، ويزيد في الحسنات. إنه العطاء الذي يعجِزُ المرء عن شُكره، ولو قضى عمرَه حامدًا شاكرًا.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤﴾

• عادة المبطلين الافتراءُ على المؤمنين المصلحين، في كلِّ زمان وحين، وهذا رسول الله ﷺ وهو الصادق الأمين، لم يَسلَم من أباطيل المفسدين.

• من جملة إحقاق الحقِّ أن يُقيِّض له الباطلُ، فإذا قاومه صالَ عليه الحقُّ ببراهينه وبيِّناته، فظهر من نوره وهداه ما به يضمحلُّ الباطل وينقمع.

• مهما أخفيتَ من حقيقة حالك، وأسررتَ من نيَّتك ومقالك، فإن الله عليمٌ بذلك كلِّه، وهو مطَّلع على ظاهرك وخفيِّ جنانك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾

• بادِر أيُّها المذنبُ إلى التوبة، فإن الله أفرحُ بتوبتك من فرح مَن حازَ الدنيا بحذافيرها بعد فقر وعدم.

• يرجع التائب من ذنبه كيوم ولدته أمُّه طاهرًا نقيًّا؛ فضلًا من الله وعفوًا، ورحمةً وحِلمًا، فلله الحمدُ حتى يرضى.

• حتى التوبةُ منها النَّصوحُ المقبول، ومنها غير ذلك، فاحرِص على تمام التوبة بالصدق والإخلاص، فإن الله أدرى بك من نفسك.

﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ٢٦﴾

• الإيمان سببٌ لكلِّ خيرٍ في الدنيا ورفعةٍ في الآخرة، وما امتلأ قلبٌ بالإيمان إلا لقيَ صاحبُه من فضل الله أضعافَ ما يرجوه ويؤمِّله.

• استجابة المؤمنين لله هو عطاءٌ من ربِّهم إليهم، وفضلٌ منه عليهم، فلا تعجَب إن كافأهم عنها بمزيدٍ من فضله، فهو أكرم الأكرمين.

• المؤمنون حملهم إيمانُهم على الاستجابة والطاعة ففازوا، والكافرون خلت قلوبهم من الإيمان فباؤوا بسخَط الله وعذابه.

﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾

• الله خبيرٌ بعباده بصيرٌ بهم، يعلم ما يُصلحهم وما يُطغيهم؛ فيُفقِر ويُغني، ويمنع ويُقني، ويَقبِض ويَبسُط، فله الحكم، ومنَّا الرضا.

• قال قتادة: (كان يُقال: خيرُ الرزق ما لا يُطغيك ولا يُلهيك)، فطوبى لمَن كانت الدنيا بيده، ولم تمسَّ شَغاف قلبه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾

• الله تعالى وحدَه الذي يُنزل الغيث، وينشُر رحمته في كلِّ شيء، فلنُفرده بالتعظيم والرغبة.

• لكلِّ مقام مقال، وفي مقام الاستغاثة يحسُن دعاء (الوليِّ الحميد)؛ لأن الوليَّ يُحسن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يُحمَد عليه.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩﴾

• كما لم يتعذَّر على الله خلقُ الخلق وبثُّهم في كونه الذي أحاط به، لا يتعذَّر عليه سبحانه جمعُهم يوم القيامة، فأين المفرُّ من الله؟

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾

• يُروى في الأثر: (إنَّ الرجل ليُحرَم الرزقَ بالذَّنب يُصيبه) فيا من قُدر عليه رزقه راجع نفسك، وأصلح أمرك.

• الذنوب من أسباب النكد والبلاء؛ فأكثِر ما استطعت من الطاعة والبعدِ عن المعصية حتى تَسلَم من ذلك الشقاء.

• البِدارَ البِدارَ إلى محاسبة النفس، والإقلاع عن الذنب عند حلول المصائب، فلا يُدفع البلاء إلا بالتوبة وصدق الرجاء.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١﴾

• ليس لكم أيُّها العبادُ من حيلة إلا بإذن الله، وإنَّ عجزكم بإزاء قدرته التامَّة سبحانه عجزٌ ثابت دائم، فلا تعدُونَّ قدرَكم.

وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا
وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ
ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾

٤٨٧

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾

• هل نظرتم إلى السفُن العظيمة الجارية في البحر كأنها الجبال الشامخة؟ هلَّا تدبَّرتم قليلًا وسألتم مَن الذي أجراها؟ إنه ذو السلطان النافذ، لا إله إلا هو.

﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾

• لولا قدرةُ الله تعالى ما كان لتلك الفُلك العظيمة أن تمخُرَ عُبابَ الماء، ولو شاء سبحانه لأوقف أسباب جريانها، فتعطَّلت كثيرٌ من مصالح العباد، ولكنه تعالى برحمته بهم سخَّرها لهم، أفلا شكرنا الله على هذه النعمة؟

• الصبر على الابتلاء، والشكر على النعماء، هما قِوامُ النفس المؤمنة في الضرَّاء والسرَّاء، والزاد للاعتبار بالآيات البيِّنات.

﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾﴾

• سبحانه من إله رحيم يسخِّر لعباده نعمة المركب في البحر وهم مع ذلك يعصُونه! ولو لم يعفُ عنهم لما بقيت لهم هذه النعمة.

﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾﴾

• أنَّى لمشرك الفِرارُ من عقاب الإله القادر الذي لا يُعجزه شيء، العليم الذي لا تخفى عليه خافية، العزيز الذي لا يغلبه مُغالب، الذي آياتُ كماله، وبراهين جلاله تملأ الوجود؟!

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

• الدنيا القريبة الدنيئة لا نفعَ فيها لأحد إلا مدَّة حياته القصيرة الضئيلة، فما أجدرَنا أن نزهَد بها طمعًا بنعيم حياة الخلود!

• قيمة الإيمان والتوكُّل تبرز في آثارهما الجليَّة؛ طُمأنينةً في النفس، واستقامةً على الطريق، وثباتًا على الحقِّ، وثقةً بوعد الله.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

• طهارة القلب ونظافة السلوك أثرٌ من آثار الإيمان الصحيح، وضرورةٌ من ضرورات الحياة الراشدة.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾

• الاستجابة لله إنما هي ثمرةٌ من ثمرات العبوديَّة لربِّ العالمين، واليقين بأنه سبحانه لا يأمر عباده إلا بما فيه صلاحُهم وفلاحهم.

• أربعة أوصافٍ من شمائل الصفوة المختارة، ما تحلَّى بها قومٌ إلا سادوا، وكانوا كجسد واحد لا تأخذهم نازلةٌ في الدنيا ولا الآخرة.

• الصلاة مشهدٌ عظيم من مشاهد اجتماع القلوب، ولن يرتفعَ للأمَّة شأنٌ وتجتمعَ على رأي، حتى تقيمَها على خير وجه.

• من مظاهر الأمَّة الراشدة أنها لا يستأثر فيها أحدٌ برأيه، ولكن يتداولون الرأيَ ويتشاورون فيه، ليكونوا على قلب رجلٍ واحد.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

• العفو المحمود هو ما كان عن قدرة وقوَّة، لا عن عجز ومهانة! وهذا معنى قول إبراهيمَ النَّخعيِّ في انتصار المؤمنين لأنفسهم: (كانوا يكرهون أن يُستذلُّوا، فإذا قدَروا عفَوا).

• يا له من جزاء! إنه أجرٌ غير محدود، من الربِّ الكريم الودود، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: (وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا).

• الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، وأولى الناس بترك الظلم مَن وقع عليه الظلم، فله أن يسقيَ ظالمه من ذات الكأس، دون بغي ولا طغيان.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾﴾

• ليست الفتنةُ في أن ينتصرَ المظلوم لنفسه، ولكنَّ الفتنة في السكوت عن الظلم وإقراره، فلا يؤاخذ الله المنتصر بحقٍّ، ولكن يؤاخذ الظالم الجاني.

• حريٌّ بكلِّ أبيٍّ أن يضربَ بيد من حديد على يد كلِّ ظالم طاغٍ؛ كفًّا لشرِّه، ودفعًا لظلمه، وإعلاءً للحقِّ، وإقامة للعدل.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

• الصبر على المعتدي والعفوُ عنه عند المقدرة من شِيَم النفوس الكريمة، وآثار الأخلاق المستقيمة.

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾﴾

• كما ترى الظالمين في الدنيا مستعلين على عباد الله قهرًا وعَسفًا، ستراهم في الآخرة أذلَّاء صاغرين، يودُّون لو يجدون إلى الفِرار سبيلا.

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ
الحزب ٤٩ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

٤٨٨

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾

خَٰشِعِينَ: خاضِعينَ مُتضائِلين.

يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ: يُسارِقُونَ النَّظَرَ ولا يَنظُرُونَ بمِلءِ أعيُنِهم.

• وصفَ الله ما يتلبَّس المستكبرين الظالمين من ذلٍّ وصَغار أبلغَ وصف؛ ليكونوا عبرةً لأمثالهم في الدنيا قبل أن يصيروا إلى ما صاروا إليه.

• قيل قديمًا: (ما فائدةُ أن تربحَ الدنيا وتخسرَ نفسك؟)، وهل أشدُّ على المرء من خسران نفسه، ومَن كانوا سكنًا لقلبه؟!

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾

فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ: ما له من طَريقٍ يَصِلُ به إلى الحَقِّ في الدُّنيا.

• أوَّل مَن ينفضُّ عن الظالم يوم القيامة مَن كانوا أنصاره وأولياءه، تقطَّعت بينهم الأسباب، ولا يجدون وليًّا ولا نصيرا.

• اللهُمَّ إنه لا يعزُّ مَن عاديت، ولا يهتدي للحقِّ مَن أضللت، ولا يُوفَّق للصواب مَن خذلت، فاهدِنا اللهُمَّ فيمَن هَدَيت.

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾

• دع عنك (سوف)، وشمِّر عن ساعد الجِدِّ، وبادِر إلى التوبة والعمل الصالح، فكم من الناس أهلكتْهم (سوف)!

• إلى أين المفرُّ يوم يُنصَب الميزان، ويُحشَر الخلق بين يدي الله من غير عودة إلى الدنيا؟ ففي ذلك اليوم العظيم لا ينفعك إلا استجابتك للحقِّ، وسيرك على الطريق المستقيم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

كَفُورٌ: جَحُودٌ؛ يُعَدِّدُ المَصائِبَ ويَنسَى النِّعَم.

• على الرسول ومَن دعا بدعوته من أمَّته مُهمَّة البلاغ المبين، وليس عليهم حسابُ مَن أعرض عن الحقِّ أو عقابُه، فذلك على خالقهم سبحانه، فكن أيُّها الداعية مبلِّغًا ولا تكن مُحاسِبا.

• قُتل الإنسانُ ما أكفرَه! يُفيض الله عليه من نعمه فيفرَح ويطرَب، فإن ابتلاه أو أصابه بذنبه جزِعَ وتسخَّط، وجحَد كلَّ ما سبق!

• مَن ضعُف اعتقاده في سعادات الآخرة، طار فرحًا بسعادات الدنيا وعرَضها، حتى ينتهي غروره بها إلى الكِبْر والعُجب.

• إن الإنسان لربِّه لَكنود؛ ينسى نعم ربِّه عليه، وآلاءه التي ساقها إليه، ولا يذكر إلا البؤس والعناء، فتراه دائمَ الشكوى في بلائه، غيرَ صابر على قضاء الله وقدره.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾

• مَن أيقن بأنه مُلكٌ من مُلك الله، وأن أمر الخلق إلى ربِّه، وليس إلى اختياره وهواه؛ لزم حصنَ التسليم، لأمر الخالق العظيم، ورضي بما قسمه الله له من العطاء والهبة.

• الذكور والإناث من هبة الله ونعمته، وقد ضلَّ مَن حذا حذوَ الجاهليِّين بكراهة البنات، ولم يفرح بنعمة الله، ولم يَرضَ بمشيئته واختياره له.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

يُزَوِّجُهُمْ: يجمَعُ له النَّوعَين.

عَقِيمًا: لا يُولَدُ له.

• هل من بَلسَم أبلغُ شفاء وتطييبًا للخواطر من هذا البلسم؟ إن كلَّ ما يؤتاه العبدُ إنما هو بتقدير الله العليم بما فيه خيرُه وصلاحُه.

• إن الله سبحانه قديرٌ على خلق ما يشاء، وإعطاء مَن يشاء، ومنع مَن يشاء، ومَن عُبدوا من دونه عاجزون، لا يخلُقون شيئًا ولا يَهبُون، ولا يمنعون من أمر الله شيئًا ولا يستطيعون، فماذا تقول فيمَن يتقرَّب إليهم ويسألهم الأولاد؟!

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

وَحْيًا: إعلامًا في المَنامِ أو بالإلهام.

• لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، يوحي من أمره ما شاء وكيف شاء، والعاقل مَن آمن بالوحي وعمل به، من غير أن يُجادلَ فيه أو يُماحك.

• إن العليَّ بذاته وأسمائه وصفاته لا يوحي لعباده إلا ما فيه سموُّهم وعلوُّهم، وإن الحكيم لا يشرِّع لخلقه إلا ما فيه نفعُهم وربحهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾

رُوحًا: قرآنًا، سُمِّيَ القرآنُ روحًا لأنَّه حياةُ القلوب.

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ: هو الإسلام.

• القرآن رُوحٌ من أمر الله يحيي به القلوب، ونورٌ يضيء به الأرواح والدروب، فهنيئًا لمَن عَمَرَ فؤادَه بالقرآن، واشتغل عُمُرَه بهدي الفرقان.

• المتَّبع للكتاب والسنَّة تراه قد كُسيَ من الرَّوح والنور، ومن الجلال والوقار ما حُرِمه غيرُه، فلنَحرِص على أن نكونَ منهم.

• قد تزلُّ القدم بعد ثبوتها، ويعتري الفطرةَ الزيغُ والضلال، فلا بدَّ لها من مرشد ناصح، وليس ككلام الله وسنَّة رسوله مرشدٌ هاد.

• لا تُغني الكتبُ عن الرسُل والدعاة إليها، المبصِّرين بهديها والناشرين لطيبها، فجزى الله عنَّا نبيَّنا محمَّدًا ﷺ خيرَ ما جزى نبيًّا عن أمَّته.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

تَصِيرُ: ترجعُ إليه، فيُجازيكم عليها.

• ليَحكُم في أمرك مَن يحكم من قضاة الأرض، أمَّا في السماء فليس من قاضٍ إلا ربُّ الأنام، ذو العزَّة والسلطان، فاحرِص على رضاه، ولا تقدِّم عليه أحدًا غيره.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾

• إن في إقسام الله بالكتاب إظهارًا لشرفه وعلوِّ منزلته، فهو أولى ما صُرفت فيه الأوقات، وأحقُّ ما تدبَّره المرء من آيات.

• هذا الكتاب المفصَّل قد أبان للناس الشرائع والسنَن، وكانت لهم فيه العِصمةُ من الشرور والفتن، فما عليهم إلا التسليمُ له؛ لأنه بإبانته برهانٌ عظيم للمهتدين، وحُجَّة كبيرة على المعرضين.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾

• لمَّا أقبل العربُ على هذا الكتاب الذي نزل بلسانهم انتقلوا من رعي الغنم، إلى سيادة الأمم، وعودةُ مجدهم اليوم تقتضي عودتهم إلى ما كانوا عليه من الإقبال على هذا الكتاب.

• لا يكون المرءُ ذا عقل ما لم يمنعه عقله من ارتكاب المحظور، ويحجُزه عن الوقوع في الإثم، فمَن كان كذلك استحقَّ أن يُنعت بالعقل.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾

أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ: اللَّوح المحفوظ.

لَعَلِىٌّ: لرَفيعُ الشَّأن.

حَكِيمٌ: مُحكَمٌ وذو حكمةٍ بالِغة.

• أرأيتَ الشمس في سَنائها؟ لا يمكن لأحد حجبُ أنوارها، وكذا القرآنُ مهما حاول المشكِّكون طمسُ أنواره سينتهي عملهم إلى بَوار، ومكرهم إلى إخفاق.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾

أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا: أفنُعرِض عنكم ونترُكُ تذكيرَكُم بالقرآن؟!

• قال قَتادةُ رحمه الله: (والله لو أن هذا القرآن رُفع حين ردَّته أوائلُ هذه الأمَّة لهلكوا، ولكن الله عاد بعائدته ورحمته، فكرَّره عليهم ودعاهم إليه).

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾

• إن الرسُل حرامٌ حِماهم، فمَن حامَ حوله أو سوَّلت له نفسُه أن يرتعَ فيه وينتهك حُرمته باستهزاء وتنقيص، أخذه الله بعذابٍ شديد بئيس.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾

• معرفة أن الله هو الخالقُ والرازق لا تنفع صاحبها شيئًا ما لم تثمر هذه المعرفةُ في حياته العبوديَّة الحقَّة التي أرادها الله سبحانه وتعالى.

• عزَّة الله وعلمه صفتان تبدِّدان حُجج المشركين في جعل الأصنام أندادًا لله، فتلك الأصنام على خلاف ذلك؛ إذ إنها عاجزةٌ عن فعل شيء، جاهلة بما يدور حولها.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

• يسَّر الله لعباده سبُلَ الراحة على هذه الأرض بما أنزل لهم وأخرج، وذلك التيسير حُجَّة على المشركين، وبيانٌ لضلالهم البعيد؛ أنهم تكلَّفوا في شِركهم بجعل واسطة بينهم وبين الله، وقد يسَّر لهم ما يسَّر.

• قد أُقيمت الدلائل لمَن أراد الهداية، وليس دون المرء وإدراكها إلا أن يُعملَ فكره متدبِّرًا آياتِ الله في أرجاء هذا الكون الفسيح.

الجُزْءُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ — سُورَةُ الزُّخْرُفِ

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

٤٨٩

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ
ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا
وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

٤٩٠

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾

بِقَدَرٍ: بمقدارٍ ووزنٍ معلوم.

فَأَنشَرْنَا: أحيينا.

مَّيْتًا: مُقفِرةً من النَّبات.

• سبحانه! كُلّ شيء عنده بمقدار، ومن رحمته أن أنزل هذا الماء بقدر، فلو زاد عن قدره لغرق الناس، ولو قلّ عن ذلك لعطِشوا وهلَكوا.

• جعل الله الماء سببًا للحياة واستمرارها، وجعل وجودَه دليلًا على وجودها، فبغير وجوده تقف هذه الحياة، وتتعطّل مصالحُ الخلائق كلِّهم.

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾

• الزوجيّة هي قاعدة الحياة، وهي الأساس الذي تسير عليه؛ لما فيها من تشارك وتعاون وتآزر، وهكذا ينبغي للحياة الزوجيّة أن تكون.

• لمّا كانت الأنعام وسائلَ التنقُّل على الأرض، وهي عاجزةٌ عن أن تمخرَ عُبابَ البحار، جعل الله في مقابلها الفُلكَ التي تجري على الماء رحمةً بعباده ورأفة.

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

• من جملة تكريم الله لبني آدمَ أن سخَّر لهم ما في الأرض جميعًا، وذلَّل لهم هذه الأنعامَ لتكون طوعَ قيادهم، مستسلمةً لأمرهم ومرادهم.

• تلك القلوب الحيَّة التي تعلَّقت بربِّ البريَّة، يذكِّرها كُلُّ حدث بربِّها، ولا تَشغلها النِّعم عنه سبحانه، بل تدفعها للإكثار من التسبيح الذي يتضمَّن التعظيمَ والتقديس.

• العبد دائم الحاجة إلى الله في أمره صغُر أم عظُم، وبهذا الاحتياج يتذكَّر المرء نقصه وعجزه وضعفه وفقره أمام عظمة ربِّه وقدرته وغناه.

• يَلمِس المسلم في دعاء الركوب ذلك التسليمَ لله تعالى في جميع محطّات الحياة، وفي خِضمِّ النعم يتذكَّر المؤمن تلك الرجعة إلى مولاه.

• إذا كان السير الدنيويُّ يوجب التهيُّؤَ والاستعداد، فإن أولى منه بذلك أن يتهيَّأ العبد لسفر الدار الآخرة ولقاء الله تعالى.

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

• عجبٌ قولهم، فما كان لله أن يتَّخذ من ولد والخلق كلُّهم عبيده، تعالى عمَّا يفترون، فإن الولد مَبخَلةٌ مَجبَنة.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

• يصفون الله بما لا يليق به، ويَنسُبون له سبحانه ما تأبى نفوسهم نِسبتَه إليهم، لقد بلغوا من العناد والضلال مبلغًا استحقُّوا به العذابَ والهلاك.

• لا يدري امرؤٌ أين يكون الخير، أفي الولد أم البنت، ولرُبَّ جارية خيرٌ لأهلها من غلام، وما يملك المرء أمام القدر سوى الإيمان والاستسلام.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

• كيف تجرَّؤوا على ربِّهم في نسبة مَن يُرَبَّى في الزينة لإكمال نقصه، وهو في الجدال غير مبين لحجَّته؟!

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾

• مَن علِمَ أن شهادته وأعماله مُحصاةٌ عليه، مكتوبة في صحائف، حرَص على لزوم الحقِّ، وجانبَ الزورَ والباطل من الأقوال والأفعال، فما أضلَّ مَن لم يشهد أمرًا وافترى فيه باطلا!

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

• لا حُجَّة لمَن اعترض على فعل السيِّئات بالمشيئة السابقة، فقد أظهر الله الهدى والنور ودعا إليهما، وترك للعبد حريَّة الاختيار بين الهدى والضلال.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾

• مَن لم يستقِ دينه من كتاب ربِّه فلن يصلَ إلى النور، بل سيصبح تابعًا لكلِّ ناعق، مائلًا مع كلِّ ريح.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• لم يمحِّصوا ما وجدوا عليه آباءهم من الدين أكان حقًّا أم باطلًا، ولو ظهر لأحدهم خلَلٌ عند أبيه في أمر دنيويٍّ لردَّه عليه ولجانَبه!

• الإسلام يحرِّر أتباعه من التقليد الأعمى للآباء والأجداد، ويغرِس في نفوسهم البحثَ عن الدليل، وتحرِّي الحقِّ واتِّباعه.

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾
الحزب ٥٠ * قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ
قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ
إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ
مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ
لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ
يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم
بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾

٤٩١

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

• الترفُ والراحة من أوسع أبواب الغفلة، ومَن أسرف على نفسه في المُباحات خُشيَ عليه من الوقوع في السيِّئات المُهلكات.

﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• لمَّا ظهرت لهم معالم الحقِّ أظهروا ما انطوت عليه سرائرهم، فهم لا يريدون رشَدًا، ولا يطلبون هدًى، وإنما يطلبون الباطلَ والهوى.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

• عاقبة المكذِّبين شرُّ عاقبة، فانتقام الله يطالهم في الحياة الدنيا بالخسف والغرق أو غيرهما من أنواع العقوبات، ويوم القيامة يُردُّون إلى عذاب النار. ألا فليحذر العاقلُ طريقهم؛ حتى لا يصلَ إلى مصيرهم.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾﴾

بَرَآءٞ: بريءٌ.

فَطَرَنِي: خلَقَني.

• يرفع المسلم لافتة البراءة في وجه كلِّ مَن يخالف دين الله تعالى ولو كان أباه، راكلًا كلَّ شهوات الدنيا في سبيل التمسُّك بالنهج القويم.

• مَن لزم بابَ مولاه، وأخلص له في طلبه ومبتغاه، فتح الله له من أبواب الهداية والخير ما تطيب به آخرته، وتصلُح به دنياه.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ: أي: (لا إله إلا الله) باقية.

عَقِبِهِۦ: ذُرِّيَّته.

• كلمة التوحيد هي أغلى تركةٍ يخلِّفها الإنسانُ لأهله من بعده، فلا أحسنَ منها في الدنيا ولا في الآخرة.

• إن تذكُّرَ المرء لسلفٍ صالح له يبعث في نفسه متابعته في صلاحه واقتفاء أثره.

﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾﴾

مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ: لم أعاجِلهم بالعُقوبة.

• مَن تمسَّك بالقرآن نال الهداية، وشَمِلته العزَّة والرفعة؛ ففيه الحقُّ والهدى، وقد خاب وخسر مَن لم يَظفَر بهداه، أو يقتبس من ضوء تلك المشكاة.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

• لم يستبينوا ما جاءهم من الحقِّ فيحكموا عليه بحكم عادل يقوم على الحُجَّة والبيِّنة، ولكن الحقد والحسد، ومتابعة الأسلاف في الباطل، وكراهية مخالفتهم؛ حملهم على التهمة بالسحر التي لا يقرُّون بها له في قرارة أنفسهم.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

لَوۡلَا: هلَّا.

ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ: مكَّة والطَّائف.

• إن التصدُّر للدعوة لا يُشترَط له أن يكون المرء ذا مالٍ أو جاه أو سلطان، فقد عاش النبيُّ ﷺ يتيمًا فقيرًا، وهو خير العالمين.

﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

رَحۡمَتَ رَبِّكَ: النُّبوَّة.

سُخۡرِيّٗا: مُسخَّرًا في العمَل.

وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ: بإدخالهم الجنَّة.

• إن توفيق الله للعبد على أمر الدعوة لهذا الدين لهو دليلُ محبَّة واصطفاء، وإكرام واجتباء، فهنيئًا لمَن اصطفاه ربُّه، واختاره مولاه.

• مَن علِمَ أن الرزق مقسوم، وأن الأجل محتوم، أسلم قيادَ أمره كلِّه لله جلَّ جلاله، متوكِّلًا عليه، منيبًا إليه.

• رحمة الله لا توهب إلا لمَن يستحقُّها، ولا تَشمَل إلا مَن عمل لها، وهي خير وأجلُّ وأرفع وأعظم من زخارف الدنيا وبهارجها.

﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ: جماعةً واحدةً على الكُفر.

وَمَعَارِجَ: سَلالِم من فِضَّة.

يَظۡهَرُونَ: يصعَدُون.

• المؤمن مطمئنٌّ لاختيار الله، فلا يتأثَّر البتَّة بما يكون في هذه الدنيا من ابتلاء أو رخاء؛ لأنه يعلم أن الدنيا فانية، وأن الآخرة هي الباقية.

• لم يجعل الله هذه الدنيا صِرفةً خالصةً في أيدي الكفَّار برغم حقارتها، فلو كانت كذلك لافتتن الناس ومالوا إلى الكفر والشرك.

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا
نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

٤٩٢

﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

• الدنيا هي دار الهموم والكدَر، والغموم والضجَر، لا يصفو لها حال، ولا يستقرُّ لها قرار. حقَّرها الله تعالى، وحذَّر عباده من الركون إليها؛ لكي لا تلهيَهم عن الجنَّة التي هي دار كلِّ نعيم.

﴿ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

وَزُخْرُفًا: ذهبًا.

وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا: وما كُلُّ ذلك إلا.

• طُوبى لمَن لم يعلِّق قلبه بالدنيا؛ لعلمه بأنها متاعٌ زائل، وعرَض فانٍ، وأن الآخرة هي الخير العظيم الذي ينبغي المسارعة إليه، وعدم التفريط فيه.

• ما أعظمَها من نعمة لذلك المتَّقي الذي حجز نفسه عن بهارج الدنيا المحرَّمة، ووقى قلبه من الشغف بها! فيا بُشراه حينما تكون الجنَّة مثواه!

• موازين الدنيا باطلة؛ فقد يكون المرء أكثرَ الناس مالًا، لكنه من أبعد الخلق عن الله؛ ولهذا فالمنازل الحقيقيَّة هي ما كانت في الآخرة.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

يَعْشُ: يتعامى ويتغافل ويُعرِض.

• لا بُدَّ أن يرتبطَ الإنسان بأحد رفيقين: رفيقِ خير، أو رفيق شرٍّ، فإن لم يرافق الأوَّل ورَدَ عليه الثاني، فمَن لازمَ ذكر الله تعالى وعلى رأسه القرآن الكريم تولَّى عنه الرفيق الآخر.

• الغفلة عن ذكر الله بابٌ يلِج منه الشيطان، فأغلق ذلك الباب بدوام الذِّكر.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

• ويلٌ لمَن انقلبت عندهم الحقائق، فحسِبوا الغواية هداية، والضلال رشدًا، فلا عُذر لهم مع وضوح سبيل الحقِّ للسالكين.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾

• ما أشقَّه من موقف على نفس العاصي، وهو يرى مَن كان سببًا في غوايته وعذابه ماثلًا أمامه، لا يملك حينئذٍ إلا الندم، ولاتَ حين مَندَم، فبئسَ القرينُ المُضِل.

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

• يومئذٍ لا ينفع أحدٌ أحدًا، ولا يحمِل أحدٌ عن أحدٍ، ولا ينفع التأسِّي بالاشتراك في العذاب، لأن كلَّ واحد منهم في شُغل عن الآخر بما يلاقيه.

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

• إذا أغلق الإنسان عن نفسه قنَوات استقبال الحقِّ، فأنَّى للحقِّ أن يصلَ إليه؟!

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

• لا يظنَّ المشركون المعاندون أنهم في مأمن من أخذة الله عزَّ وجلَّ وانتقامه؛ فإن قدرته تعالى تحيط بهم، وعذابَه سيَحُلُّ بهم، فالحذرَ الحذرَ من الشرك وطرُقه.

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

• الاستمساك بالوحي واتِّباعه هو مِعراجُ الوصول إلى خيرَي الدنيا والآخرة، ومَن كان كذلك فليطمئنَّ؛ فإنه على الطريق الراشد، والدرب القويم.

• إنْ علِمَ المؤمنُ وأيقنَ بأن هذا الصراطَ مستقيمٌ لا اعوجاج فيه، أورثه ذلك طُمأنينةً وراحةً يواجه بها عوائق هذا الطريق.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

• بقدر تمسُّك المؤمن بالقرآن تكون رفعته، وبقدر اقترابه منه تكون عزَّته، فالقرآن هو الشرفُ العظيم الذي لا ينبغي التفريط فيه.

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

• أتباع الرسُل هم المبلِّغون عنهم، الحافظون لشريعتهم ورسالتهم، والرجوعُ إلى نور علمهم أمانٌ من الحيرة والشكِّ وقتَ الفتن، فليتمسَّك المرء بالاستضاءة بأنوار العلماء العاملين.

• تكرار ذكر اسم الرحمن يؤكِّد أن هذه الرسالةَ هي رسالةُ رحمة، لا تريد للناس شقاءً، وهي دعوةٌ لورود هذه الرحمة والانضمام إليها.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

• ما أحوجَ المدعوِّين المعاندين لآيات بيِّنة تجلِّي الحقَّ لهم ولغيرهم؛ لعلَّها تفتح مغاليق قلوبهم، وتُزيح غِشاوةَ الباطل عن عيونهم؛ فقد أرسل الله موسى بآيات، كما أرسل غيره من الرسُل الكرام.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

• الاستهزاء بدعاة الحقِّ ليس أمرًا جديدًا، فما من نبيٍّ إلا وواجهه قومه بالسخريَّة والاستهزاء، فصبَر وثبت على الحقِّ حتى ظهر أمره وزال البلاء، ونصره الله على أعدائه.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن
تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ
فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ
هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

٤٩٣

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

ءَايَةٍ: حُجَّةٍ على صِدقِ دَعوَتِه.

بِٱلْعَذَابِ: من الجَرادِ والقُمَّلِ والضَّفادِعِ ونَحوِها.

- القلب الذي عظُم داؤه حتى أظلم لا تنفعه آياتٌ أو تذكير. قال بعضُ السلف: (مَن لم يعِظه القرآنُ والموت لو تناطحَت الجبالُ أمامه ما اتَّعظ).

- تشديد الله على عباده، وإنزال البلاء بهم في حينٍ من الأحيان، إنما يكون تنبيهًا لهم من غفلتهم ليعودوا إلى رشدهم.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

- عادةٌ في الناس إذا كانوا في ضَرَّاء نفَروا إلى أهل الصلاح يطلبون منهم الدعاء بالفرَج، ويعِدون من أنفسهم الاستقامة، فإذا تولَّى عنهم الضُّرُّ، وأظلَّهم الرخاء رجَعوا إلى العصيان والمخالفة! فبئسَ عبادُ المصالح هم!

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾

- من المشهور عن بني إسرائيل نَكثُهم للعهود، وإخلافهم للوعود، وتلك الطبيعة لن تفارقَهم أبدًا، فالعجب ممَّن يثق بهم، أو يتزلَّف إليهم.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾

- دائمًا ما يلجأ الطغاةُ إلى التغرير بعوامِّ الناس بإظهار ما عندهم من زخرُف الدنيا، لكنَّ هذا التغرير لا ينطلي على عبدٍ مؤمن امتلأ قلبه يقينًا بما عند الله.

- قمَّة الجحود والنكران؛ أن ينسُبَ المرء لنفسه ما لم يكن له يدٌ في إيجاده؛ فما يتقلَّب فيه من نعمٍ وخيرات إنما هي عطايا من ربِّ الأرض والسماوات.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾

مَهِينٌ: ضَعيفٌ لا عِزَّ له.

وَلَا يَكَادُ يُبِينُ: ولا يَكادُ يُفصِحُ في كَلامِه.

- الانتقاص من أنبياء الله وأوليائه الصالحين سمةُ العاجزين الذين أدركوا قوَّة الدعوة وضعف حُجَجهم.

- أهل الباطل لا يواجهون الحجَّة بالحجَّة، بل هم يجنَحون دائمًا إلى التشغيب والتدليس الذي لا يدفع حُجَّة، ولا يُظهر حقًّا.

- الخيريَّة والاجتباء لا علاقةَ لها بالمال والثراء، لكنها اختيارٌ مبنيٌّ على علم وحكمة، فمَن كان أقربَ من الله كان أحبَّ إليه جلَّ جلاله.

- إن الإنسان لا يُعاب على أمر خلقه الله فيه، وكم من إنسانٍ مُبتلًى فاق الأصحَّاءَ ببذله لهذا الدين، وتفانيه في خدمته.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

مُقْتَرِنِينَ: مقرونينَ معه يُصدِّقونَه.

- الكافر إنما ينظر بعين الدنيا التي ترتكز على المال والجاه، فعنده مَن كان أكثرَ مالًا، هو أفضل الخلق حالًا، بخلاف التفاضُل عند المؤمنين الذي أساسه التقوى.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾

فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ: فاستخَفَّ بعقولِهم.

- الثبات على المبادئ من أوصاف المؤمن الحقِّ، لأن المؤمن يصعُب خداعُه والاستخفاف به، فهو مستمسكٌ بما رآه من حقٍّ.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾

- يُمهل الله العبد ويُمدُّه بالنعم برغم إقامته على المعاصي وملازمته لها، حتى إذا وصل العبدُ إلى الغاية انتقم الله منه أشدَّ الانتقام.

- نهاية أتباع الطغاة مماثلةٌ لنهاية ساداتهم وكبرائهم، فكما وافقوهم في التكذيب لرسُل الله، وافقوهم في المصير والمآل.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

سَلَفًا: قُدوةً لِمَن يعمَلُ مِثلَ عَمَلِهم فيَستحِقُّ العُقوبة.

- العاقل مَن اتَّعظ بسَلَفِه؛ حتى لا يكونَ عبرةً لخلَفِه.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾

- لا يفرحنَّ المبطلون بالشبُهات الواهية التي يوردونها على الحقِّ، فإنما يُضلُّون بها أنفسَهم، ولا يهتدون بها إلى سبيل نجاة.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

- عيسى عليه السلام ليس عبدًا من عباد الله فحسب، بل هو عبدٌ أنعم الله عليه بالرسالة، وجعله مثلًا يهتدي به المهتدون إلى عظمة الله وقدرته، ووَحدانيَّته وألوهيَّته.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

٤٩٤

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

• إن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام قُبيل يوم القيامة أمرٌ يجب الإيمان به، فيكون نزوله علامةً على قرب الساعة ودنوِّها، فما على المؤمن إلا اليقينُ بهذا الخبر، والحذر من الشكِّ فيه.

• لا مِريةَ في مجيء الساعة، ولا شكَّ في وقوعها وتحقُّق أمرها. ذلك اليوم الذي يخسر فيه المرء ما لم يكن قدَّم صالحًا، أو كسَب خيرًا، فما أحسنَ مجيءَ الساعة والمرءُ ذو زاد للنجاة ممَّا بعدها!

• مَن سار على هذا الصراط المستقيم، باتِّباع الهدي المبين، لا يَجزَع لقرب الساعة أو دُنوِّ الأجل، لأنه يعلم أن طريقه هذا لا يوصله إلا إلى خير.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

• أغفلُ الغافلين هو الذي علم عداوة الشيطان له، ومع هذا تراه يتَّبعه، ويتَّخذه وليًّا من دون الله بطاعته فيما يوسوس ويزيِّن.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾

• إنها النبوَّة التي تصحبها دلائلُ التصديق بها، وتحمل إلى الناس ما يجمعهم على الحقِّ ويُبعد عنهم الاختلاف فيه، فما على الناس إلا قَبولها وطاعة رسولها، فما أسعدَ المتَّبِع! وما أشقى المخالِف!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾

• {إن الله هو ربِّي وربُّكم فاعبدوه} حقيقةٌ يُعلِنها المؤمن، ويطلقها مدوِّيةً عالية في سمع هذه الدنيا، رافضًا كلَّ ادِّعاء بأن لله ولدًا أو شريكًا، فمَن عمل بهذه الحقيقة فهو على الطريق الموصل إلى كلِّ فلاح.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

ٱلْأَحْزَابُ: الفِرَق.

فَوَيْلٌ: هلاكٌ ودمار.

• الاختلاف سبيلٌ إلى الظلم الذي أشنعُه وأعظمه: الشرك بالله، والقول عليه في ذلك بغير علم؛ إذ يفتري الظالمُ المشرك على الله الكذبَ لينتصرَ لنفسه ومِلَّته، فكيف به إذا وقف بين يدي الله ولا ناصرَ له يومئذ؟!

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

• إن فجأة الساعة تميِّز بين العباد؛ فبها يُعرف أهل اليقظة من أهل الغفلة، فالمستيقظون يُسعدهم مجيئُها، والغافلون تُحزنهم بَغتتُها، فمن أيِّ الفريقين تحبُّ أن تكون؟

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

• صديقُ الطاعة الصادق صديقٌ دائم، وصديق المعصية والمصلحة صديقٌ منقطع.

• المؤمن يصطفي من أصحابه مَن يكون له عونًا في الدنيا على طاعة الله، ويكون له أُنسًا وسرورًا يوم القيامة.

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾

• ما أجملَه من نداء من الله للمتَّقين إذ نَسَبهم إلى نفسه! فقد ارتقَوا بهذه النسبة مُرتقًى سامقًا، وما أجلَّه من تطمين، حين يكون من الله ربِّ العالمين!

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

• يومَ القيامة يفزع الناسُ ويضطربون، ويخافون ويجزعون، سوى مَن أسلم دينه لله واتَّبع آياته، فأولئك في ثياب الأمن يَرفُلون.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

تُحْبَرُونَ: تُنعَّمون وتُسَرُّون.

• ما أجملَها من جملةٍ تسمعها الأذنان! وما ألذَّ معناها حينما يصل إلى الجنان: {ادخلوا الجنَّة}، فأعِدَّ نفسك اليوم لتكونَ من أهلها غدًا.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾

• نعيم الجنَّة ولَذَّاتها ممَّا يستحيل إحصاؤه، ولا يمكن عَدُّه، وتمام هذا النعيم هو خلودُهم فيها، فلا ذكرَ للموت لأنه ينغِّص النعيم.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

• العاقل مَن يقدِّم من الأعمال ما يجعله حقيقًا بسماع هذا النداء الذي مَن سمعه فقد فاز وسعِد.

• اقتسام المنازل في الجنَّة إنما يكون على قَدْر العمل، وبفضل الله ورحمته، فالجنَّة درجاتٌ عالية، فمَن قدَّم وبذل حاز يوم القيامة أعلى المنازل فيها.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

• لا تسأل عن عدد فاكهة الجنَّة، ولا عن شكلها ولونها وطعمها، فلن يَحصُر كثرتَها عدٌّ، ولن يحيط بـحُسنها خيال، ذلك هو تلذُّذ أهل الجنَّة.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ
إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا
مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٤٩٥

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾

• إن عذاب المجرمين في جهنَّم دائمٌ لا ينتهي، شديدٌ لا يُخفَّف، بل يُزاد، فترى الشقيَّ فيه قد استسلم له بعد يأسه، وانقطع رجاؤه عن رحمة ربِّه.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

• تعالى الله وتقدَّس أن يظلِمَ عبدًا من عباده! بل العبد هو من يظلم نفسه حينما يوبقها في الخطايا التي توردها دار البوار.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾

• يتمنَّى أهل النار أن يُجابوا لطلبهم بأن يُقضى عليهم فيموتوا، لكنهم لا يجابون إلا بما يكدِّر عليهم حالهم، ويزيد شقاءهم، فهم في عذابهم ماكثون.

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾

• المؤمن لا يكره حقًّا ولا يردُّه، ولا يقف في طريقه أو يصادمه، فلا يكره الحقَّ إلا مَن ظَلم واتَّبع هواه.

• كراهة المرء للحقِّ حين يخالف هواه من أعظم أسباب الشقاوة والضلال؛ فإن الهدى والهوى لا يجتمعان في قلب امرئٍ أبدًا.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

• أين كيدُ هؤلاء الضعفاء البائسين أمام كيد الله القويِّ العزيز الذي يعلم الخبايا، ويطَّلع على الخفايا؟ وأين تدبيرُهم من تدبيره جلَّ جلاله؟ فإنهم خاسرون بلا ريب.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

• ما أقبحَ مَن يستخفي من نظر الناس، ويبارز ربَّه في خلوته بالمعاصي والمنكرات! استهان بنظر الله له فهان على الله تعالى.

• إذا علم المرء إحاطةَ علم الله بأقواله وأفعاله، وشهوده جميعَ أحواله، فلن يُقدِمَ على أمر يسوءُه في مآله.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

• الرسل أسبقُ الناس للكمالات، وأبعدهم عن الشرور، فهم يأتمرون بأمر ربِّهم، لا يحيدون عنه لمعرفتهم به، فما أسعدَ مَن اقتدى بهداهم!

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾

• ما من شيء في السماوات أو في الأرض إلا ولله عليه فضلٌ ومِنَّة، فهو ربُّ العالمين، العالِم بأحوال عباده، المُمِدُّ لهم بأنواع العطايا والخيرات، فما أشقى مَن عصاه، وتنكَّر لفضله وآلائه!

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

• مَن لَها عن طاعة ربِّه، وعاش حياته طَربًا بمعصيته، فرِحًا بما ركب من المخالفات، فعمَّا قريب ينتهي طربُه، ويذهب عنه لهوه وفرحُه، وذلك حين ينتقل من دار العمل إلى دار الحساب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾

• يا مَن أُوصدَت في وجهه الأبواب، وعظُمت عنده الكُربات، افزع إلى إله الأرض والسماوات؛ لا تتوجَّه إلا إليه، ولا تتوكَّل إلا عليه.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾

• مَن فكَّر بأنه راجعٌ إلى مالك السماوات والأرض، واقفٌ بين يدي العليم بكلِّ شيء، الذي سيحاسبه على الدقيق والجليل؛ استعدَّ لذاك الموقف، وتهيَّأ لذلك اليوم العظيم.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

• لا تكون الشهادةُ إلا عن علم، فكلُّ شهادة تستند إلى باطل تندرج تحت شهادة الزور.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

• الذي عرَف خالقه حقَّ المعرفة، وأسلم نفسه إليه، لا يخالف أوامره، ولا يتجرَّأ على انتهاك حدوده، فضلًا عن اتخاذ آلهة من دونه.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

• يتبرَّأ المؤمن ممَّن عادى اللهَ وحارب دينه، فينصرف عنهم بعد أن بذل وُسعه، وأدَّى ما عليه في سبيل إيضاح الحقِّ لهم.

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

• الصَّفح هو العُدَّة التي لا بدَّ أن يحملَها الدعاة إلى الله، فإنهم سيواجهون في هذا الطريق ما تضيق به صدورُهم.

• في هذا وعيدٌ لمَن تنكَّب طريق الحقِّ، فإنه سيُعاين الحقائق يوم القيامة، لكنه يومئذٍ لن ينتفع بمعرفة علم أو إدراك حقيقة.

الجزء الخامس والعشرون — سورة الدخان

سورة الدخان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا
مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩
فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ
هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ
١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ ثُمَّ
تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ
إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
١٦ ۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ
١٧ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨

الحزب ٥٠

٤٩٦

سورة الدخان

﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾

• إنه لقسَم لو تعلمون عظيم، إنه لقرآنٌ مبين، يَهدي إلى صراطٍ قويم، واضح اللفظ والمعنى، جميل الفحوى والمبنى.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣﴾

لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ: هي لَيلةُ القدرِ من شهرِ رَمضان.

• ما أعظمَ ليلةَ القدر وأجلَّ بركاتها! ومن أظهرها بهاءً وأبرزها جلاء: ابتداءُ نزول الوحي فيها؛ ليكونَ هدًى للبشريَّة، بمنهج الفِطرة السويَّة.

﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾

• الأرزاق والآجال أقدارٌ سابقة، كتبها الله تعالى في اللوح المحفوظ، لا تتبدَّل ولا تتغيَّر، وفي ليلة القدر يُفصَل ما يتعلَّق بالسنة منها إلى الكَتَبة من الملائكة، فيُميت مَن يشاء، ويَرزُق مَن يريد، سبحانه من إله حكيم عليم.

﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥﴾

• كلُّ ما يقدِّره الله على خلقه، ويأمرهم به بوحيه، إنما هو بإذنه وعلمه، فأقبِل عليه راضيًا مطمئنًّا، وسلِّم لأمره مغتبطًا مُمتنًّا.

• لم يكتفِ الله تعالى بإنزال الكتب للأنام، ولكنَّه أرسل الرسُلَ في الأمم، ليقيموا الحجَّة على الخلق.

﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦﴾

• رسول الله ﷺ رحمةٌ من الله تعالى، فمَن آمن به، واتَّبع سنَّته أخذ بحظ وافر من رحمة الله تعالى.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨﴾

• يقظة العقول ويقينُ القلوب سبيلٌ مأمونة إلى حقيقة الربوبيَّة وكمال العبوديَّة، ومَن حُرِمَهما عاش في ظلمات الشكِّ وأوهام الرِّيبة.

• عجبًا لمَن يتَّجه بالتعظيم والتقديس لعبدٍ مثله لا يملك من أمره شيئًا! هلَّا أخلص العبادة لمَن بيده ملكوتُ كلِّ شيء؟

• إن الله هو خالقُك وخالق آبائك من قبلُ، وهو وحدَه مدبِّر شؤونكم جميعًا؛ فتوجَّه إليه بالعبادة، فلا إله إلا هو سبحانه وتعالى.

﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩﴾

• لا يَصلُح الهزل في مواطن الجِدِّ، فإن رأيت المرء عن الحقِّ يلهو ويسهو فاعلم أن قلبَه غالبًا يتمرَّغ في أوحال الشكِّ، وأن روحَه هائمةٌ في متاهات اللَّبس.

﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١﴾

• قال ﷺ: (بادروا بالأعمال ستًّا: طلوعَ الشمس من مغربها، أو الدُّخانَ، أو الدجَّالَ، أو الدابَّة، أو خاصَّة أحدكم أو أمرَ العامَّة).

﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢﴾

• ما أشرفَ الإيمانَ، وأنفعَه لأهله! فهو السبيلُ إلى كشف العذاب، والطريقُ إلى السعادة وحسن الثواب.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ١٤﴾

• لا يزال المرء يَبعُد عن الحقِّ ويكذِّب بالصدق حتى يطردَه الله من رحمته، ويُبعدَه عن صراطه، فلا تنفعه الذكرى، ولا يهتدي سبيلا.

• لا تنفع الاستفاقةُ المتأخِّرة والإيمان بعد ذهاب وقته؛ فكيف للمشركين الاتِّعاظُ بعدما أعرضوا عن رسول الله، واتَّهموه بالتُّهم الباطلة؟!

﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾

• يزعم الفجَّار أنهم نادمون، وعلى التوبة عازمون، فإذا مُنحوا فرصةً أخرى عادوا إلى ما كانوا عليه.

• لا يُرتجى من مريض القلب أعمى البصيرة إلا العودةُ إلى الغيِّ مهما أُمهل ومُنح من الفرص، والمحروم مَن حُرم التوبة، وصُرف عن الأوبة.

﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾

• هناك يومٌ يعذِّب الله تعالى فيه الكفَّارَ العذاب الأكبر، وينتقم منهم؛ جرَّاء كفرهم وتكذيبهم، فما أسعدَ مَن سلِم من عذاب ربِّه وانتقامه يوم لقائه!

﴿۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ١٧﴾

• إرسال الرسُل الكرام إلى الأمم امتحانٌ ينجح فيه مَن آمن بهم وصدَّقهم، ويُخفِق فيه مَن كذَّبهم وردَّ دعوتهم، كفِرعونَ وملئه.

﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨﴾

• الداعية الصادق يكاد يذوب حرصًا على هداية الخلق، لا يريد منهم درهمًا ولا دينارًا، إنما يريد لهم عزَّ الدنيا ورفعة الآخرة.

• الأمانة صفةُ الأنبياء من قبلُ، والصالحين من بعدُ، بها تُستجلَب العقول، وتُجتذب القلوب، ولا إيمان لمَن لا أمانةَ له.

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾
فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا
بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾
إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ
﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

٤٩٧

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾﴾

• إذا كان غمطُ الناس والتعالي عليهم من أقبح الأفعال، فكيف يكون التعالي على الله وتكذيبُ أنبيائه وتحقير كتبه؟

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾

• في المواقف التي تضطرب بها القلوبُ وتزِلُّ فيها الأقدام، لا يُثبِّتك مثلُ الاستجارة بالله، ومَن لاذَ بالله كفاه.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾

• أهل الباطل إذا ما تمسَّكوا بباطلهم نافحوا عنه، وعادَوا أهل الحقِّ من أجله، وربما لا يكتفون بسوء القول، بل قد يمتدُّ الأذى منهم إلى سيِّئ الفعل.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• حينما تضيق بالداعية الأرض بما رحُبَت من أذيَّة مدعوِّيه يجد في الشكوى إلى الله، ورفع قضيَّته إليه فرَجًا في شدَّته، وتنفيسًا من كربته.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

• يحظى المتوكِّلون على الله تعالى بنصره وحفظه، وتيسيره الأمورَ عليهم، وتسهيله المخارجَ لهم من الشدائد والأزمَات.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾

• سبحان الله! كم من عِبرة وآية تركها البحر الذي انفلق لموسى فنجا موسى ومَن معه، وهلك فيه فرعونُ وجنده!

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾

• لمعاداة المؤمنين شؤمٌ عظيم على أهلها؛ ففرعونُ وقومه تركوا ذلك النعيمَ باختيارهم، فساقهم عُتوُّهم وطغيانهم إلى كربٍ عظيم لا مَنجى لهم منه، ثمَّ كانت العاقبة للمؤمنين بأن أورثهم الله ذاك النعيم، فما أحسنَ تدبيرَ الله للمؤمنين، وما أشأمَ الطغيانَ والعلوَّ على المجرمين!

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

مُنظَرِينَ: مُؤَخَّرِينَ عن العُقوبة.

• انظروا إلى الطغاة المستكبرين وهم يطاولون السماء تبختُرًا، ويختالون في الأرض تجبُّرًا، فلمَّا هلكوا لم تأسف عليهم أرض، ولم تحزن لهم سماء.

• لو أدرك الطغاة الجبَّارون ما في هذه الكلمات من إيحاءٍ لعلموا هوانهم على الله وعلى هذا الوجود، ولكن هيهات يُدركون.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

الْعَذَابِ الْمُهِينِ: المُذِلّ، وهو قتلُ أبنائهم واستخدامُ نسائهم.

عاليًا: مُتكبِّرًا جبَّارًا.

• إن الذي أنجى بني إسرائيل من بطش فرعونَ وقهره لقادرٌ على أن ينجيَ كلَّ مظلوم من ظالمه، فطيبوا نفسًا أيُّها المقهورون.

• عِظةٌ لكلِّ مستكبر متجبِّر؛ إنك مهما تعاليت في الأرض لن تبلغَ قليلًا ممَّا بلغه فرعونُ في عتوِّه وصَلَفه، فأين فرعونُ الآن؟ وأين كبرياؤه وغطرستُه؟

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

• يجتبي الله لحمل رسالته في كلِّ زمان من خلقه صفوتَهم، ومن عباده خِيرتهم، ويُعزُّهم وينصرهم ما داموا أوفياء لشرعته، رافعين لرايته.

﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾

• معجزات الأنبياء ابتلاءٌ للناس؛ فمَن آمن بها فما أسعدَه! ومَن كذَّب بها فما أشقاه!

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾

• يستبعدون النشورَ وينكرونه، ولو تفكَّروا لتيقَّنوا أن البعث من بعد الحياة أهونُ من ابتدائها من عدَم.

﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

• الإيمان بالغيب ركنٌ عظيم من أركان الإيمان، فمَن آمن به أيقن أن البعث حقٌّ ولن يكونَ في الدنيا، بل هو كائنٌ في الآخرة.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

• الإجرام طريق الهلاك، ولا إجرامَ أكبرُ من الكفر وتكذيب الرسل فيما جاؤوا به، فمَن حمل هذا الإجرام فلينتظر الهلاكَ في أقرب طريق.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

• لو تأمَّل كلُّ إنسان وجوده في هذا الكون، وما جُبل عليه كلُّ مولود فيه؛ إذن لأدرك الحقَّ الذي لأجله خُلقت السماوات والأرض، وأبى عن الإذعان له الكافرون الجاهلون.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ
ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا
ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن
رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾

• لا مفرَّ لأحد من هذا اليوم المَهول، يوم يَفصِل الله بين المحسن والمسيء، وبين المظلوم والظالم، وقد خابَ مَن حمل يومئذٍ ظُلمًا.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

لَا يُغْنِى مَوْلًى: لا يَدفَعُ صاحِبٌ.

• اللَّهمَّ إنه لا يعِزُّ مَن عاديت، ولا يَذِلُّ مَن واليت، فاجعلنا من أهل وَلايتك، وأحِطنا بأتمِّ رعايتك، فإنه لا غنى لنا عن رحمتك.

• إن الله بعزَّته الغالبة يجزي مَن يستحقُّ بالعدل، وبرحمته الواسعة يجزي مَن يستحقُّ بالفضل، إنه وحدَه العزيزُ الرحيم.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾

ٱلْأَثِيمِ: صاحِبُ الآثامِ الكَبيرة.

كَٱلْمُهْلِ: كالمَعدَنِ المُذاب.

ٱلْحَمِيمِ: الماءِ الذي بَلَغ الغايةَ في الحَرارة.

• أشنعُ الآثام الكفرُ بالله الديَّان، فلا تعجَب بعدُ لفداحة عقوبة الأثيم، فإن عدل الله قضى أن يكونَ العذاب بمقدار الذنب.

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾

فَٱعْتِلُوهُ: فجُرُّوهُ وسُوقوهُ بعُنفٍ.

• إنها صورة تقشعِرُّ من هولها الأبدان؛ صورة الجاحد المتجبِّر وهو يُدفع بعُنف دفعًا إلى وسط جهنَّم؛ ليذوقَ من أشدِّ عذابها، أجارنا الله منها.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾

• استمرار العذاب أشدُّ على المرء وأنكى، فكيف إذا كان عذابُ الحميم من فوقه، ولظى الجحيم من تحته؟!

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

• لعلَّ ما يَلقى المستبدُّ الأثيم من لذع السخريَّة والتهكُّم أشدُّ وأمضُّ ممَّا يلقاه من سياط العذاب!

﴿إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

تَمْتَرُونَ: تَشُكُّون.

• ما أشدَّه من عذاب معنويٍّ يسمعه الكافرون وهم يصطلون في الحميم، حين يقال لهم: هذا العذاب الذي تذوقونه هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تكذِّبون به!

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾

مَقَامٍ أَمِينٍ: مَوضِعٍ يُؤمَنُ فيهِ الخوفُ والآفاتُ والأحزان.

• تمام طِيب العيش باجتماع أمرين؛ طِيب المكان وجماله، وتحقُّق الأمن والأمان فيه، وليس ذلك إلا للمتَّقين، جعلنا الله منهم.

• قُل للباحثين عن الأمن والأمان، والسَّكينة والسلام: إنكم لن تجدوها خالصةً من شوائب المنغِّصات إلا في الجنَّات، فأعدُّوا لها بالتقوى عُدَّة.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾

سُندُسٍ: هو الرَّقيقُ من الحرير الخالص.

وَإِسْتَبْرَقٍ: هو الغَليظُ من الحرير الخالص.

• تقابلُ المؤمنين بالوجوه يزيد من الألفة والمحبَّة بينهم؛ ومن هنا كانت مجالسُ أهل الجنَّة على هذه الهيئة بعد تطهير صدورهم من كلِّ غِلّ.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

بِحُورٍ عِينٍ: نساءِ الجنَّةِ الحِسانِ، الواسِعاتِ الأعيُن.

• كما يأنس أهل الجنَّة بصُحبة الأهل والخُلَّان، فإن تمام أُنسهم يكون برفقة الحور الحِسان، كأنهنَّ الياقوتُ والمَرجان.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

• نعيم الآخرة دونه كلُّ نعيم، فهو فضلٌ من الله، وحسبُك بأمن النقص أو الضُّرِّ من عطاء.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾

• قال رسولُ الله ﷺ: (إذا دخل أهلُ الجنَّة الجنَّةَ وأهلُ النار النارَ، نادى منادٍ: يا أهلَ الجنَّة، خلودٌ ولا موتَ فيه، ويا أهلَ النار، خلودٌ ولا موتَ فيه).

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾

• حذار أن تتَّكل أيُّها العبدُ على عملك، فلن يُنجيَك إلا فضلُ الله عليك؛ {قُل بفَضلِ اللهِ وبرَحمَتِه فبذَلِكَ فليَفرَحُوا هو خَيرٌ مِمَّا يَجمَعُون}.

• كيف لا يكون الفوز بالجنان، والنجاة من مصير أهل الكفر والعصيان، فوزًا عظيمًا، وهو فوزٌ براحة الأبد.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

• ما أرسل الله من رسول إلا بلسان قومه؛ ليَعقِلوا عنه، وتقومَ عليهم الحُجَّة، وعلى الدعاة أن يُخاطبوا الناسَ بما يعقلون.

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

• كلٌّ يرتقب ويتمنَّى، ولكن شتَّان بين ارتقاب المؤمنين المتحقِّق بالتمكين والانتصار، وارتقاب الكافرين المنتهي بالخيبة.

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾

• لن تكونَ للمرء عِزَّة ما لم يستنِر بنور القرآن ويهتدي بهديه، فإذا خالط القرآنُ لحمه ودمه بوَّأه الله مكانًا عليًّا.

• لا تجد لفظةً في كتاب الله إلا ولها حكمةٌ في لفظها وموضعها، ولذلك كان القرآن محكمًا، لا يَصمُد معاندوه أمامه طرفةَ عين.

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾

• هذه الآيات تملأ الآفاق، قد بثَّها الله تعالى في السماوات والأرض، فكلُّ حركة أو سكنة تُرشد العبد إلى عظمة الخالق جلَّ جلاله.

﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤﴾

• لو تفكَّر الإنسان في خلقه وفي غيره من مخلوقات ربِّه، لرأى آياتٍ بيِّنةً تدلُّه على بارئه تبارك وتعالى، وتجعله من أهل اليقين بالله وبما شرَع سبحانه.

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥﴾

• مَن غيرُ الله يستطيع تقليبَ الليل والنهار؟ فهل من أحد يملك اختلافهما أو التحكُّم فيهما؟ تعالى ربُّنا في سمائه، وعَظُم بقدرته وكبريائه.

• سبحان مَن جعل من الماء حياةً ورزقًا، يُحيي به الأرض المَوات، فتنبت به من الخيرات والطيِّبات.

• الرياح مسخَّرة بأمر ربِّها، يوجِّهها أنَّى يشاء، ويُصرِّفها كيفما يريد، ويجعلها سببًا للخير للخلق، وجندًا يذيق بها الكافرين ألوانَ العذاب.

• حريٌّ بكلِّ ذي عقل ولُبٍّ أكرمه الله به وميَّزه من الأنعام والدوابِّ، أن يتفكَّر في خلق الله ليزدادَ إيمانًا وثباتًا ويقينا.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾

• أين كلامُ البشر من كلام الله؟ لن يبلغَ كلامهم مهما نمَّقوه وزخرفوه مبلغَ كلام الله من الجزالة والبلاغة والصدق.

• آيات ربوبيَّة الله، وحُجج وَحدانيَّته واضحةُ البيان، لا يعتريها شيء يوهنها أو يُضعف صدقها، فمَن لم يؤمن بها فأنَّى يجد مثلها في الدَّلالة على الحقِّ، والهداية إلى الصراط المستقيم؟!

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨﴾

• لا شيءَ أعظمُ من الافتراء على الله، والقول عليه بغير علم، فتلك هي الطامَّة الكبرى، والماحقة العظمى.

• من علامات إفك ذلك الأثيم أنه يكره آياتِ الله ويُعرض عنها، ويتكبَّر عليها، وفي هذا تعريضٌ بمَن يكره سماعَ القرآن.

• كلُّ مَن لم ينتفع بآيات الله تعالى ويستكبر عنها، فلم تردَّه إلى الحقِّ، ولم تمنعه من الباطل فقد استحقَّ الويلَ في جهنَّم.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩﴾

• كلام الله جليلٌ عظيم، لا يجوز أن يكونَ مادَّةً للسخريَّة والاستهزاء، فتعظيم كلام الله من تعظيم الله جلَّ جلاله.

• إن الله يكسو مَن استهزأ بآياته الذِّلَّة والمهانة، ويُسربلهم بالخزي والندامة، ويدخلهم في عذاب لا يجدون له نهاية، ولا منه وقاية.

﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾

• إن جهنَّم هي المصيرُ المحتوم الذي ينتظر المجرمين، وهي الوِجهة التي ولَّى الكافرون وجوهَهم شطرها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ
لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ
ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ
۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ
مُّهِينٞ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا
وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا
هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ۝١١
الحزب ٥٠ ۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ
مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣

﴿هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ۝١١﴾

• القرآن يَهدي مَن رافقه، ويوصل من أخذ به إلى رياض الهدى وواحات الإيمان، فهو هدًى خالص، لا يشوبه ضلال، ولا يعتريه فساد.

﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢﴾

• من واجب العبد تُجاه ربِّه المنعم أن يستعملَ هذه النعمَ في طاعته، وأن يَلهَج دومًا بحمده وشكره والثناء عليه.

• مَن أنت أيُّها الإنسان ليسخِّر الله لك هذه المخلوقات؟! لا شكَّ أنه تكريمٌ منه تعالى يستوجب عبادته حقَّ العبادة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣﴾

• كلُّ ما في الكون من أجرام عظيمة ذلَّلها الله لابن آدم، فكيف به ينشغل بها، وينسى مَن خلقها وذلَّلها؟!

• التفكُّر في عظيم صُنع الله عزَّ وجلَّ يورث المرء اليقينَ بقدرة الله وعظمته، والعلمَ بحكمة الله تعالى، فيزداد إيمانُه ويقوى يقينُه.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ
قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا
بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ
فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ
يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ
أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾
أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ
مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ
وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾

٥٠٠

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

• إن العفو لا يأتي إلا بخير، وقلبُ المؤمن أوسع من أن تضيِّقه شحناء، أو تُحجِّر سَعته بغضاء.

• المؤمن الصادق خاضعٌ لأخلاق الدين السامية، لا ينفكُّ عنها أبدًا، فلا يُتصوَّر أن يكونَ مؤمنًا حقًّا بلا أخلاق عالية.

• كلٌّ سيلقى ما عمل، فما أسعدَ مَن قدَّم الصالحات، وألزم نفسه فِعلَ الطاعات! وما أشقى مَن اتَّبع الشهوات، وغرق في بحار الظلمات!

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

• اعمل ما شئت فإنك ملاقيه، وأقدم على ما شئت فإنك مَجزيٌّ به، هي نفسك إمَّا أن تسعدَها، وإمَّا أن تشقيَها.

• مهما فعل المرء في الدنيا من خير أو شرٍّ، فإن له مقامًا بين يدي ربِّه، يجد فيه ما عمل من خير مُحضَرًا وما عمل من سوء.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

• نعمة الدِّين أعظمُ من نعمة الدنيا، فإن اجتمعا فذلك فضلٌ كبير، وخيرٌ مضاف إلى خير.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

• لم يترك الله عزَّ وجلَّ عباده يتخبَّطون في دياجير الحيرة والشكِّ، بل أنار لهم طريقهم بما أنزل عليهم من الآيات المبيِّنات التي فيها رشادُهم وهداهم.

• لا يزال العلم رافعًا لطالبه، جامعًا لقلوب الخلق حول هدايته، ما لم تطمسه شهواتُ النفس، فإن طمسَته فقد دبَّ الخلافُ والشِّقاق.

• كمال النصر والفوز إنما هو في الآخرة، أمَّا في الدنيا فلا، وسيعلم الكفَّار لمَن عُقبى الدار.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾

• وضع الله المنهاجَ الذي اختاره لعباده، فأنزل أحكامه على رسوله ﷺ، لتَصلُح به حياة العباد، ويَسعَدوا به يوم المعاد، فيا فوز مَن اتَّبع ما اختاره الله له، ويا خسارة مَن أعرض عن ذلك.

• لا يمكن للمرء أن يَحصُلَ على الهداية إن كان بعيدًا عن الطريق الذي ارتضاه الله عزَّ وجلَّ، فأيُّ انحراف عنها فيه مَهلكة وشقاء.

• هناك طريقان؛ طريقُ الهدى، وطريق الهوى، فمَن حادَ عن شريعة ربِّه هلك في دروب الهوى والشهوات.

• مَن خالف الشريعةَ فقد انسلخ من كلِّ علم ومعرفة، فإن اتِّباع الهوى دليلٌ على جهل الإنسان بالمَقصِد الذي خُلق من أجله.

﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾

• أصحاب الأهواء لا يملكون نفعًا ولا ضُرًّا، وهم أضعفُ وأعجز من مواجهة الله الآمر بهذه الشريعة، فاجنَح إلى القويِّ، ودع عنك الأراذل.

• مهما تحالف هؤلاء الظالمون وتوالَوا وتآلفوا للصدِّ عن دين الله فلن يستطيعوا فِعلَ ذلك؛ فقد خذلهم الله تعالى وأحاط بمكائدهم.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

• القرآن للناس كالشمس للدنيا، يُبصِرون بها طريقهم، ويُحصِّلون معايشهم، والمرء بالقرآن يدرك دربَ الآخرة ويُبصِرها.

• كلُّ ما في القرآن هدًى، فلا يخلو لفظٌ من ألفاظه من تذكير أو فائدة، وهو مصدر كلِّ صلاح ورشاد.

• لمَّا كان القرآن نورًا للسالكين، وهدًى ورحمةً للمؤمنين، كان من الغَبْن المبين أن يفرِّط عاقل فيه، أو ينأى عنه ويجافيَه.

• اقتصرت هدايةُ القرآن على عباد الله المؤمنين، الذين تقبَّلوا دينه وأحكامه فعملوا بها، أمَّا الكافر فإنه لا ينتفع بهداه، ولا تَشمَله رحمته.

• لمَّا ارتفعت أعلام الحقِّ في طريق المؤمنين استيقنت قلوبُهم بصدقه فثبتوا عليه، رافضين التنازلَ عنه أو المَحيدَ مقابل فِتن الباطل التي يزيِّنها أهله.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

• لا يستوي مَن عمل صالحًا ومَن أساء، فمطلقُ عدل الله عزَّ وجلَّ يقتضي التمييزَ بينهما في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• يضع الله الموازينَ القِسطَ ليوم القيامة، فلا تُظلَم نفس شيئًا. تلك الموازينُ التي تزن مثقال الذرَّة، فلا ظلمَ ذلك اليوم ولا شَطط.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

أَفَرَءَيْتَ: أخبِرني.

وَخَتَمَ: طبَع.

• أيُّ هدًى يصل إلى مَن هواه إلٰهه، وليس له سمعٌ يصغي به إلى الحقِّ، ولا بصرٌ ينتفع به في رؤيته له، ولا قلب يَصلُح لاستقبال نوره، فمَن أراد وصولَ الهدى فليَدَع الهوى، وليُحسِن استقبال مولود الحقِّ.

• لا تزال الذنوبُ بالعبد حتى تُغلَق قلبه عن كلِّ هداية، فلا ينتفع بما يسمع، ولا يتأثَّر بما يبصر، فقد رانَ على القلب ما كسَبَت يداه.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

• حسِبوا أن الحياة أرحامٌ تدفع وأرض تبلع، فجعلوا الدنيا همَّهم، عليها يقتتلون، وفيها يتنافسون، ولها يسعَون، وخلفها يركضون.

• نهى النبيُّ ﷺ عن سبِّ الدهر فقال: (قال الله عزَّ وجلَّ: يؤذيني ابنُ آدمَ يسُبُّ الدهرَ وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلِّب الليلَ والنهار)، فالدهر لا يصنع شيئًا، بل هو ظرفٌ زمنيٌّ يصنع فيه الله ما يشاء سبحانه.

• مَن علَّق مصيره على الظنِّ، ولجَّ في غياباته، فلن يجنيَ سوى الحسرة والندامة، عندما يُفاجأ بنقيض ما كان يظنُّه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

• دائمًا يجنَح الكافرون إلى الحُجَج التي تُظهر جرأتهم على الله تعالى، فإنهم يعلمون أن الله هو الذي خلقهم، ومَن خلق قادرٌ أن يعيدَ مرَّةً أخرى.

• يريد الكافرون أن يَطمِسوا أنوار الحقِّ بحُجَجٍ منقطعة واهية، هي أضعف من أن تقومَ أمام قوَّة الحقِّ وعلوِّه وظهوره.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

لَا رَيْبَ فِيهِ: لا شكَّ فيه.

• سبحان الله العظيم القدير الذي يحيي الخلق للدنيا، ثمَّ يُخرجهم بالموت عنها، ثمَّ يبعثهم أجمعين لحياة أخرى، فمَن آمن بهذه الحقائق أعدَّ لآخرته زادَ التقوى.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

• يا ويحَهم إذ أضاعوا نعمَ الله في معصيته، فأهدروا النعم، وتفلَّتت منهم الأوقات، حتى فجَأهم الموتُ لينقلَهم من دار العمل إلى دار الحساب.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ
وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ
إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾
وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا
قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

٥٠١

• إنه لموقفٌ عظيم يوم يجثو الخلقُ على رُكَبهم في عرَصات القيامة، منتظرين ما يُقضى فيهم، حتى يُعطَوا كُتبَ أعمالهم التي ظلُّوا ينتظرونها؛ هل يأخذونها باليمين فيفوزوا، أو يتناولونها بالشِّمال فيهلِكوا!

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

• ذلك الكتابُ الذي يجد فيه المرء ما قدَّم من خير أو شرٍّ، قد دُوِّنت فيه أعماله، وكتبت فيه أفعاله وأقواله.

• تستكتب الحفَظةُ أعمالَ الخلق فتثبتها في الكتب وتكتبها، فيعاين العصاةُ أعمالهم يوم القيامة على حالتهم التي عملوها في دنياهم، فما أسوأ حالَ الغافل يوم يعمل السيِّئات، وهو غير مُبالٍ! بل هو كالذي يُملي الحُجَّة على نفسه من غير أن يفطَن لذلك.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾

• حقٌّ للمؤمنين أن يُقدَّموا إكرامًا لهم، وتبشيرًا بجزائهم، وتعجيلًا لمسرَّتهم، وتطمينًا لقلوبهم، وإغاظةً للكافرين من أعدائهم.

• فاز الصالحون بالاجتباء والتوفيق للطاعات في الدنيا، ويتأكَّد فوزهم ويظهر مبينًا يوم القيامة بما ينالونه من جنَّاتٍ وكرامات وخيرات.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

• تُقرَع أسماعُ الكافرين بذلك السؤال، فتزداد قلوبهم غصَّةً وحسرةً، وتتكامل حسرتهم يوم يرَون المؤمنين فازوا بالجنان، وهم خالدون في العذاب والهوان.

• إن الكِبْر هو أوَّل معصية عُصيَ الله بها، وهو سبيل الخِذلان والخسران، فإنه يمنع صاحبَه من اتِّباع الحقِّ، ويصدُّه عن طريق الهدى والرشاد.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾

• لمَّا أنكر الكافرون قيامَ الساعة لم يأت في حياتهم العملُ لما بعد الموت، فركَنوا إلى الدنيا، واطمأنُّوا بها، فمزَّقوا دينهم، وخسروا آخرتهم.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
(٣٣) وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٣٤) ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا
وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
(٣٥) فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٦)
وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣٧)

سُورَةُ الأحقاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ٢٦ الحزب ٥١ حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ (٥)

٥٠٢

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٣)﴾

وَحَاقَ بِهِم: ونزلَ بهم.

• يقف المرء يوم القيامة فيرى سيِّئاته باديةً أمامه، ظاهرةً له، تلك السيِّئاتُ التي طالما أخفاها عن أعين الناس؛ {ووجدوا ما عَمِلوا حاضِرًا}، فما أعظمَه من موقف!

• يحيط بالكافرين العذابُ في الآخرة كإحاطة السِّوار بالمعصم، فلا مفرَّ منه، ولا مُخلِّص لهم يومئذٍ من ألمه.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٣٤)﴾

نَنسَىٰكُمْ: نترُكُكم في العذاب.

وَمَأْوَىٰكُمُ: ومَنزِلُكم ومقرُّكم.

• كيف يكون للكافر قَدْرٌ عند الله، وهو الذي كفر به، وصدَّ عن سبيله، وعادى أولياءه؟

• قد اجتمعت على الكافرين الشدائد كلُّها، فازداد بذلك كَرْبُهم، وقُطعت رحمةُ الله عنهم، وغاب عنهم النصير والمُجير، فيا ويلَ مَن لقيَ اللهَ كافرا!

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥)﴾

• إن حُبَّ الدنيا والاغترارَ بشهواتها، وإجابة داعي الهوى، يَطمِس القلب فيَصرِفه عن آيات ربِّه وتدبُّرها، فحريٌّ بالمؤمن أن يطهِّر قلبه من شوائبها.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٦)﴾

• تفكَّر في نفسك، وتأمَّل ذاتَك وحياتك، تجد نِعم الله عليك زاخرة، ومِنَنه حولك متوافرة، ولطائفه بك متكاثرة.

• حين يرى العبد آثارَ عظمة ربِّه وإمساكه بمقاليد الكون، فإن ذلك يُذكي فيه روحَ الاستسلام والخضوع لله تعالى، فما هو إلا ذرَّة في هذا الكون العظيم الطائع.

• هو ربُّ العالمين، كافرِهم ومؤمنهم، عاصيهم وطائعهم، يكرم المؤمنين بألوان ألطافه، ويفتح للعُصاة بابَ رحمته ورجائه.

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣٧)﴾

ٱلْكِبْرِيَآءُ: العَظَمةُ والسُّلطانُ والقُدرة.

• الكبرياء من خصائصه جلَّ جلاله التي لا يقبل فيها منازعةً أو مشاركة، فمَن نازعه فيها عذَّبه، كما ورد في الحديث.

• مَن دانت له السماواتُ والأرض ومَن فيهنَّ لا ريبَ في كونه عزيزًا قويًّا، ومَن نسج الكونَ على هذا النظام البديع لا شكَّ في كونه حكيمًا عليًّا.

سُورَةُ الأحقاف

﴿حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢)﴾

• دونك مَنهلَ العزَّة والحكمة فتضلَّع منهما، فإنْ رجوتهما في غير كتاب ربِّك فقد أتعبتَ نفسك وأرهقت بدنك.

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ (٣)﴾

• لا ينفكُّ الارتباط بين آيات الكتاب وآيات الكون، فتلك العَلاقةُ تدفع المؤمنَ إلى تصفُّحهما وتدبُّر ما فيهما من عِظات وعِبَر.

• أنَّى الفلاحُ لمَن أعرض عن الحقِّ، وصرَف بصره عن نوره؟! فما حياته بعدئذٍ إلا ظلُماتٌ بعضُها فوق بعض.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤)﴾

أَثَٰرَةٍ: بقيَّة.

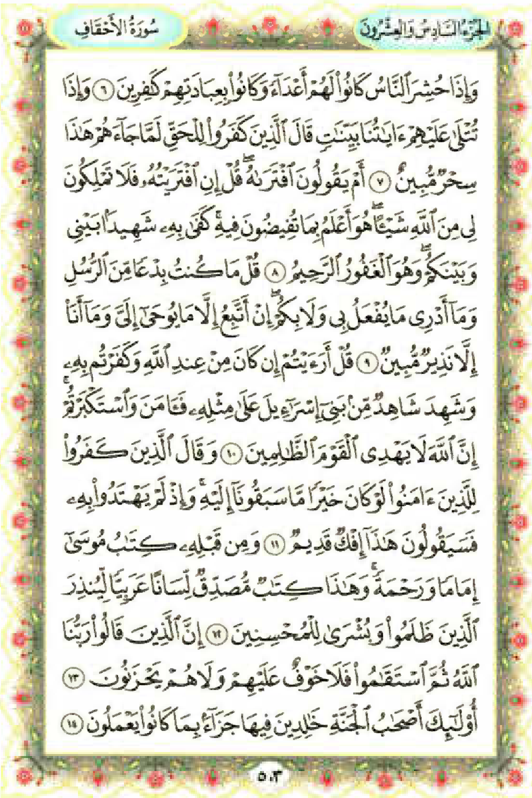
• قدرة الله عزَّ وجلَّ التي لا منتهى لها ولا حدَّ تُظهر عجزَ الخلائق الذين لن يستطيعوا خلق شيء ولو اجتمعوا له.

• إن مَن عبدَ غيرَ الله تعالى لا دليلَ له على صحَّة ما هو عليه من الضلال ليكونَ له حُجَّة تورثه اليقين بما يعتقد، بخلاف المؤمن الموحِّد الذي يمتلك الحججَ القاطعة على صدق عقيدته وسلامة منهجه، فما أحسنَ الحياةَ في اطمئنان التوحيد! وما أسوأها في حَيرة الشرك!

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ (٥)﴾

وَمَنْ أَضَلُّ: ولا أحدَ أضلُّ وأجهل.

• إن العقل إذا كمَل أورث صاحبَه صحَّة المعتقد وسلامةَ العمل، فمَن دعا غيرَ الله من المعبودات الباطلة أو الأموات في أجداثهم فقد كشف عن جهله وقلَّة عقله ولو كان لديه أرقى شهادات الدنيا العلميَّة.


الجزء السادس والعشرون — سورة الأحقاف

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

٥٠٣

﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾

• لو علم العابدُ ما سيلقاه من معبوده الباطل يوم القيامة من السوء ما عبده، فالمعبودات الباطلة تلعن عابديها يوم القيامة وتتبرَّأ منهم، وتُنكر علمها بعبادتهم إيَّاها، فما أسوأها من عاقبة!

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

• لا بدَّ أن تكونَ البراهين الدالَّة على صدق الدعوة واضحةً بيِّنة؛ حتى تُقامَ بها الحجَّة، وتُدفع بها الشُّبهة، فلا يبقى للمُعارض اعتراضٌ صحيح على تلك البراهين، وهكذا كانت آيات الأنبياء عليهم السلام.

• حينما يَعدَم المُبطل حجَّة لدفع الحقِّ الناصع يلجأ إلى وصفه بالنعوت الكاذبة، ورمي أهله بالتُّهم الباطلة التي يعلم في قرارة نفسه أنه كاذبٌ فيها.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾

• إن العاقل لَيَعافُ الكذب، وصاحب المروءة يترفَّع عنه، لأنه من الصفات الذميمة، التي لا تَليق بذوي الفِطَر السليمة.

• ما من لفظة تخرج إلا وهي في علم الله تعالى، لأنه سبحانه أحاط بعلم هذا الكون، فما من أحدٍ يفتري عليه الكذبَ إلا ناله غضبٌ منه، وذِلَّةٌ في الحياة الدنيا، فكذلك يجزي الله المفترين.

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾

• كُلُّ دعوات الأنبياء والرسُل من مِشكاة واحدة، والمؤمن يؤمن بهم كلِّهم، لا يفرِّق بين أحد منهم، فقد حملوا همَّ الدعوة، وأوصلوا رسالة ربِّهم للناس.

• يمضي الرسولُ في دعوته، مؤتمرًا بأوامر الله، غيرَ آبهٍ بما يقوله المعرضون، واثقًا بربِّه، مستسلمًا لإرادته، مطيعًا لتوجيهه، يضع خُطاه حيث قادها الله.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

وَشَهِدَ شَاهِدٌ: كعَبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ رضي الله عنه.

• ما أسوأ حالَ مَن يَبسُط الله إليه يده فيقبِض هو يده! وما أبأس مصير مَن أنزل الله له الهداية فردَّها ورفضها!

• المؤمن يَبذل دعوته للبشر جميعًا، ولن يعدَمَ أن يجدَ فيهم رشيدًا؛ فاليهود -وإن قسَت قلوبهم- قد خرج منهم عبد الله بن سَلام رضي الله عنه، فآمن بربِّه ونصر دينه.

• من أعظم ما يصرِف المرءَ عن الحقِّ، ويَحرِمه من الخير، الاستكبارُ والعناد، فمَن أراد الله به خيرًا جعله ينقاد للحقِّ كيفما أتى، وممَّن أتى.

• ظُلم النفس يكون بصرفها عن الحقِّ، واختيار سبيل الشيطان، فيجزي الله العبدَ بصدوده صدودًا، وبإعراضه حِرمانًا.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

• مَن كان مَزهوًّا بنفسه، معتدًّا بقُدراته احتقر ما عند الآخرين وما وصلوا إليه من فضل، قائلًا بلسان حاله أو مقاله: لو كان ذلك الشيءُ حسَنًا حقًّا لكنت قد نلتُه أو عملته أو ظفِرت به! وذلك الخُلق الرديء يَحرِمه خيرًا كثيرًا.

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

• يتنزَّل القرآنُ رحمةً بالناس وإرشادًا لهم إلى الخير، وأخذًا بأيديهم إلى ما فيه صلاحُ دينهم ودنياهم، فما أعظمَه من نعمة!

• شرَّف الله عزَّ وجلَّ أمَّة العرب أن أنزل القرآنَ بلسانها، فاعتنى بها اعتناءً خاصًّا، وقدَّمها على غيرها من الأمم، فعليها أن تعرِفَ قَدْر هذا الشرف بتدبُّر هذا الكتاب والعمل به.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

• الاستقامة ظاهرًا وباطنًا طريقٌ يوصل سالكه إلى سعادة الدنيا والآخرة؛ فبه يطمئنُّ ممَّا هو مُقدِم عليه، وبه ينسلخ عن الحزن على ما خلَّف وراءه.

• هذه البشرى ممَّا يُثلج صدرَ المؤمن، ويقذف الطُّمأنينة والأمان في قلبه، ففي ذلك الموقف الشديد يكون المؤمن بمَعزِل عن أيِّ أذًى أو خوف.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

• ما أعظمَها من جائزة! وأحسنَها من عاقبة لمَن كان من أهل الاستقامة! فاعمل لتنال، واستقِم لتظفَرَ بالخير الكثير.

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ
إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ
عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ
لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن
قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ
فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ
﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ
الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

٥٠٤

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

• بِرُّ الوالدين والإحسانُ إليهما عملٌ عظيم يؤدَّى إلى الوالدين؛ عملًا بوصيَّة الله، وردًّا للجميل الذي أسدَياه للولد صغيرًا وكبيرًا.

• يَعظُم حقُّ الأمِّ ويتحتَّم برُّها؛ لما تلقاه من عناءِ حالَ حَملِها ولدَها، ولما تجده من ألم عظيم ومشقَّة كبيرة حال وضعه وتربيته.

• مهما اشتدَّت الآلام بتلك الأمِّ، ومهما تعاظمت الشدائد عليها، فلن تجدَ منها نفورًا من ولدها أبدًا، بل لا تزيدها تلك الآلام إلا إقبالًا عليه، ورحمةً به، وهذا ممَّا يدعو إلى مَزيد برِّها.

• لن يبلغَ العبد شكر نعمة ربِّه عليه إلا بالاستعانة به واللجوء إليه، ولو أفنى المرء عمره في طاعة مولاه ما كان ذلك كُفئًا لنعمةٍ واحدة منحها إيَّاه.

• كلُّ نعمة حصَلت للوالدين فإنها واصلةٌ لأبنائهما، وينالهم شيءٌ من أسبابها وآثارها غالبًا، ولا سيَّما نعمة الصلاح والدين التي بها سعادة الدارين.

• أكمل سعاداتِ المرء يوم يَشغَل قلبَه بشُكر الله وحمده، ويشغل بدنه بطاعة ربِّه، وتتحقَّق سعادته في أهله يوم يجعلهم الله قرَّة عين له في الدنيا والآخرة، فاللَّهُمَّ أسعدنا في أنفسنا وأهلينا.

• التقيُّ هو الذي يذكر فضلَ والديه عليه فيبَرُّهما، ويذكر مسؤوليَّته تجاه أولاده، فيدعو لهم بالصلاح.

• يتذكَّر المؤمن تقصيره الذي يُلزمه التوبة لربِّه برغم صلاح الأعمال، فيضرَع لمولاه بتلك التوبة التي يحبُّها الله ويفرح بها.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

• الحمد لله إذ عامل عباده باللطف والرحمة، فقابل زلَّات عباده المؤمنين بالصَّفح والغفران، والتجاوز والإحسان.

﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

• (أفٍّ) كلمة قليلةُ الأحرف، لكنها عظيمةُ الأثر؛ فوَقعُها في آذان الوالدين شديد، ومنظر الولد وهو يَنطِق بها في عيون الأبوين مؤلم، أمَّا أثرها في قلبيهما فلا يَعرِف قدرَه إلا مَن سمعها من ولد عاقٍّ!

• يا مَن يعُقُّ والديه، تذكَّر يوم بعثِك وحشرك من قبرك. ماذا تقول لربِّك الذي أنعم عليك بوالديك، فقابلتَ هذه النعمةَ بعقوقهما والإساءة إليهما؟!

• إنك مهما حاولت أن تصفَ شفقةَ الوالدين على ولدهما، وحُنُوَّهما عليه، ورِفقهما به، فلن تستطيع أبدًا، فهما لا يفتأان يدعوان الله له بالهداية والنجاة برغم عقوقه لهما، فظالمٌ مَن عقَّهما وتأفَّف منهما، وأظلم منه مَن كذَّب الحقَّ الذي يدعوانه إليه.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

• ما أعظمَ خسارةَ مَن كان للحقِّ من المكذِّبين، ولوالديه من العاقِّين! وما أسوأ رُفقتَه يوم القيامة في نار جهنَّم مع ضُلَّال الإنس والجنِّ أجمعين!

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

• هي درجاتك التي تُنشئها، فإمَّا أن تصعدَ بها وتعلو، وإمَّا أن تنزلَ بها، فاختر لنفسك ما تريد.

• واسوءتاه ممَّا فعلنا، فميزانُ العدل يوم القيامة لا تغيب عنه الذرَّة، ولا يخفى على الله العمل مهما صغُر، فنسألك يا ربَّنا لُطفك وسَترك.

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

• إن أُناسًا ألهتهم الملذَّات، وغرَّتهم الشهوات، فقضَوا أعمارهم في تحصيلها، حتى قدِموا على ربِّهم بلا عمل صالح؛ لَأناسُ سوء.

• مَن تذكَّر ما في الجنَّة من النعيم تقلَّل في هذه الدنيا وزهِد في كثير من متاعها؛ لئلَّا يكونَ ممَّن أذهب طيِّباته في دنياه.

• يتكبَّر الإنسان وينسى نفسَه، وتغيب عنه حقيقتُه، فيُعرِض عن أوامر الله الذي خلقه وسوَّاه، ولم يكن ليوجَد لولاه سبحانه، ألا فليتواضع قبل ندمه.

• إن الذنوب جميعَها مُهلكة للعبد، إلا أن ذنوب القلوب أشدُّ خطرًا وأعظم ضررًا من ذنوب الجوارح.

﴿ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ ﴾

أَخَا عَادٍ: هو هُودٌ عليه السلام.

بِٱلۡأَحۡقَافِ: اسمُ مَوقِعِهم، وهو في جَنوبِ جَزيرةِ العرب.

خَلَتِ ٱلنُّذُرُ: مضَتِ الرُّسُل.

• في قَصَص الأنبياء وأقوامهم عِبرةٌ للدعاة والمؤمنين تُورثهم الصبر على عناء الطريق؛ كي يثبتوا ولا يتضجَّروا، وعِبرةٌ للمكذِّبين بأن عاقبتهم وخيمةٌ إن استمرُّوا على إعراضهم وتكذيبهم.

• مقتضى القرابة أن يَحرِصَ القريب على مصلحة قريبه وهدايته، وأن يقبلَ الآخر ذلك النصحَ والتوجيه.

• ما أعظمه من يوم! وما أشدَّ أهوالَه! ترى الناس فيه تَهيج وتموج، وتتنقل من فزع إلى فزع، فقدِّم لنفسك ما يؤمِّنك في ذلك اليوم المشهود؛ فإن السلامة في طاعة الله، والهلاكَ في معصيته.

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ ﴾

لِتَأۡفِكَنَا: لِتَصرِفَنا.

• التقليد للآباء والعظماء بغير بصيرة وبرهان مانعٌ عن المرء ضياءَ الحقِّ أن يصلَ إلى قلبه، ويجعله يُنكِر كلَّ ما خالف ما هو عليه، فإيَّاك والتقليدَ في الباطل.

﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣ ﴾

• لقد سلكَ هودٌ وغيره من الرسُل الطريقَ الذي رسَمه لهم الحقّ تعالى في دعوة الناس؛ فهم للناس مُبلِّغون ما أُمروا بتبليغه، وما ليس لهم به علمٌ وكلوه إلى عالِمه، فعلى الداعي إلى الله أن يكونَ مبلِّغًا ما يعلم، غير متقوِّل على الله ما لا يعلم.

﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ ﴾

عَارِضٗا: سَحابًا عَرَضًا في أُفُقِ السَّماء.

• إن أشدَّ العذاب وأكثره إيلامًا حين يأتي في صورة رحمة فيكون أشدَّ وقعًا، وأعظمَ صدمةً، حيث جاءهم على حال توقَّعوا فيها الخيرَ والعافية.

• قالت عائشةُ رضي الله عنها: (كان النبيُّ ﷺ إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف في وجهه)؛ وذلك لخشيته أن يكونَ ذلك عذابًا، ومَن عرَف الله خشيَ عذابه وعقابه.

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥ ﴾

تُدَمِّرُ: تُهلِك.

كُلَّ شَيۡءِۭ: كلَّ ما مرَّت به ممَّا أُرسِلَت بهلاكِه.

• لئن عصى اللهَ أكثرُ الإنس والجنِّ إن لله تعالى من غيرهم مَن يطيعه ولا يعصيه؛ فالريح جنديٌّ من جنوده قامت بما أمرها به ربُّها كما أراد منها.

• هلكت عادٌ وبقيت ديارهم خاويةً على عروشها، لتبيِّن للناس كافَّة سُنَّة الله في المجرمين، ولتُظهرَ عاقبةَ الكافرين والمكذِّبين.

﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦ ﴾

مَكَّنَّٰهُمۡ: أقدَرناهم وبَسَطنا لهم.

فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ: في الذي لم نُمكِّنكم فيه.

• لم تحظَ قريشٌ بما حظيت به عاد؛ فقد كانت عادٌ أكثرَ أموالًا، وأبسطَ أجسامًا، وأشدَّ أبدانًا، فلم يُغنِ عنهم ذلك شيئًا، والأولى بمَن كان أضعف منهم أن يدَّكر ويتَّعظ.

• أشدُّ ما يُعرِّض العبدَ لعذاب الله وسخطه أن يستعملَ نِعمَ الله في معصيته، وأن يغترَّ بما آتاه الله من نِعم، وما حباه من مِنَن.

• متى ما قضى الله على مَن عصاه بعقوبته فلن تدفعَها عنه قُواه وقدراته، ولا استعداداته وتحصيناته، فليطمئنَّ المؤمن إلى قوّة الله وقدرته في الانتصار على أعداء دينه.

﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٧ ﴾

• يرسل الله تعالى آياته تحذيرًا لعباده وتذكيرًا؛ لعلَّهم يَرجِعون عن غَيِّهم، ويعودون إلى رُشدهم، وهذا من رحمته بهم.

﴿ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٨ ﴾

• كيف لمَن عجَز عن نفع نفسه أن ينفعَ غيره؟! لقد غابت تلك الآلهةُ التي كانوا يعبدونها، فلم تصرف عنهم عذابًا، ولم تفتح لهم للنجاة بابًا.

• حينما يكون الافتراء على الله للمرء دَيدَنًا وعادة فيه متأصِّلة؛ فإن ذلك حجابٌ كثيف عن التأثُّر بالموعظة، وطريقُ سالك لوصول العذاب.

الجُزۡءُ السَّادِسُ وَالعِشۡرُونَ — سُورَةُ الأَحۡقَافِ

الحزب ٥١

۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ
مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ
عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣ فَلَمَّا
رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ
بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ
وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ
وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا
مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٧
فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ
بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٨

٥٠٥

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سورة محمد

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

صَرَفْنَآ: بَعثنا ووجَّهنا نحوَك.

قُضِىَ: فرَغ رَسولُ الله ﷺ من تِلاوَتِه.

مُّنذِرِينَ: مُحذِّرينَ من بَأسِ الله.

• في تسخير الجنِّ للإيمان به ﷺ تسليةٌ له، وتثبيتٌ لفؤاده، وتعويضٌ له عن أولئك البشر الذين آذوه وقاتلوه، ومَن أعرض استبدله الله بخير منه.

• من تمام الأدب مع الله التأدُّبُ مع كلامه، فلا يعبث المرء بشيء حالَ استماعه، بل يُنصت في خشوع وخضوع، وتفكُّر وتدبُّر.

• إذا ما وعى القلب الرسالةَ وأدرك معانيَها فلا بدَّ أن ينهضَ لتبليغها، مقتديًا في ذلك بالأنبياء والمرسلين ومَن تبعهم في هذا الطَّريق.

﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾

• ما أسعدَ القلبَ الذي يعيش مع القرآن! يستغني به المرء عن كلِّ كلام؛ إذ إنه لا يماثله كلام، ومَن تدبَّره أيقن علوَّ منزلته ورفعة شأنه.

• إن طريق القرآن لا يوصل إلا إلى وجهة واحدة هي السعادة والطمأنينة في الدارين، وتكتمل تلك الراحة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

دَاعِىَ ٱللَّهِ: رسولَ الله محمَّدًا ﷺ.

وَيُجِرْكُم: ويُنقِذكُم.

• إجابة الداعي لا تكون بالادِّعاء، وإنما تكون بنصرة دعوته، واقتفاء أثره، وإيصال رسالته إلى خلق الله.

• العبد المؤمن دائم التذكُّر لذنوبه، كثير العدِّ لها، فيكون منها على وجَل دائم، وخوف شديد.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

بِمُعْجِزٍ: بفائتٍ من اللهِ بالهَرَب.

أَوْلِيَآءُ: أنصارٌ يمنَعونه من عذابِ الله.

• أين المفرُّ لمَن لم يؤمن برسول الله ﷺ، ويتَّبعه فيما جاء به إذا أراد الله إنزال العذاب به؟! إنه لا ملجأ له يؤويه، ولا ناصرَ ينصُره فيما هو فيه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ: لم يَعجِز عن خَلقِهِنَّ ولم يَتعَب به.

• مَن خلق السموات والأرض بهذا الإحكام لا يُعجِزه شيء، وهذا من أدلَّة استحقاقه للعبوديَّة؛ لأن العاجز لا يَصِحُّ أن يكون إلهًا معبودًا.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

• مَن جيَّش نفسه للانتقاص والسُّخريَّة من هذا الدين، فسيجعله الله موضعَ سُخريَّة يوم يقوم الناس لربِّ العالمين، جزاءً وِفاقا.

• يعاين الكفَّار يوم القيامة الحقائق، فتنقطع عنهم أسباب كلِّ شيء، فيطلقون أصواتهم مسترحمين الله جلَّ جلاله، وما ينفعهم ذلك؛ إذ لم يتَّبعوا أمره.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ: ولا تتعجَّل بطَلَبِ عُقوبتِهم.

بَلَٰغٌ: هذا تَبليغٌ من اللهِ لهم.

• مَن طالع سِيَر الصابرين قبله، ووقف على أخبارهم وثباتهم، هان عليه كلُّ ما يلقى من لأواء في هذا الطريق.

• إن العزم المحمود هو ما زكَّى النفسَ ورقَّاها عند ربِّها، وقِوامُه الصبر، وباعثه التقوى، وقوَّة شدَّته هي المراقبة والمحاسبة لهذه النفس.

• مَن استعجل أمرًا فاتته فضيلةُ الصبر التي هي أعظم أجرًا، وخيرٌ له ممَّا طلبه واستعجله.

• إن عذاب يومِ القيامة وشدَّته ليَنسى فيه الخِلُّ خليلَه، والحبيبُ حبيبَه، بل إن المرء يَذهَل فيه عن نفسه، فلا يتذكَّر كم كانت حياته التي قضاها، والمدَّة التي عاشها.

• إن عناية الله عزَّ وجلَّ وحِفظه مكفولةٌ لمَن حفظ أوامره وحدوده، أمَّا مَن زاغ عن هديه، وحاد عن أمره، فقد وكَلَه الله إلى نفسه، فكان من الخاسرين.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾﴾

• ما أشقى مَن ذهبت أعماله سُدًى، فصارت له بلا جدوى، فليحذر المسلم كلَّ سبب يُحبِط عمله، ويذهب عنه فائدته.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾

• هيَّج ذكرُ النبيِّ ﷺ شوقَ المحبِّين له، المتمنِّين لرؤيته، فدفعهم ذلك الشوق إلى التمسُّك بنهجه والثبات على سُنَّته.

• لا يطمئنُّ قلب المرء، ولا يَحسُن حاله ما لم يَصلُح باله، فصلاح البال فيه استقامةُ الشعور، واطمئنانُ القلب، والتنعُّم في هذه الحياة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾﴾

• إن الحقَّ الأكمل والصواب الأمثل فيما أنزل الله وأمر به، ومَن طلب الحقَّ في سواه ضلَّ وأضلَّ، وكانت عاقبة أمره خُسرا.

• لم تكن تلك الأمثال ضربًا من التسلية المحضة، أو نوعًا من حديثٍ خلا من فائدة، تعالى الله عن ذلك، ففيها من العِبَر والعظات ما ينتفع به ذوو الألباب.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾﴾

• ما استحقُّوا هذه الغلظة إلا لسوء فِعالهم، ولمَّا كانت تلك الرؤوس موئلًا للشرور والفساد، كان في تطييرها راحة للعباد.

• المؤمن مع أعداء الدين الذين لم يرعَوا حُرمةً ولا ذمَّةً قويٌّ شديد، ومع المؤمنين رؤوفٌ رحيم.

• إن الله قادرٌ على الانتقام من أعدائه، ولكنَّه شرَعَ قتالَ المؤمنين لهم؛ ليختبرَ إيمانهم، ويَشفيَ صدورهم، ويرفعَ درجاتهم عنده.

• هنيئًا للمجاهد في سبيل ربِّه؛ فإن عمله موصولٌ غير مقطوع، فالله يُنمِّي له أعماله، ويَزيد حسناته ويضاعفها له سبحانه وتعالى.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾

• لمَّا أقبل المجاهد بروحه على ربِّه، أقبل الله عليه بعنايته وكرمه، وجدَّد له النعمَ العظيمة، فتأتيه غُدوًّا وعشيًّا، حاملةً معها طُمأنينة نفسٍ وصلاحَ بال.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

• هل يَضِلُّ المرء العاقل عن منزله في الدنيا؟! كذلك المؤمن في الجنَّة يهتدي إلى منزله بين منازل الجنَّة الكثيرة، فيصل إليه من غير دليل. قال رسول الله ﷺ: (فوَالذي نفسُ محمَّد بيده لَأحدُهم بمسكنه في الجنَّة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾

• كيف لمَن كفرَ بربِّه أو عصاه أن يَطمَعَ في نُصرته؟! فقد كتب الله الذلَّ والهوان على مَن خالف أمرَه وعصاه.

• إن نصر الله المتحقِّق للمؤمنين يَسرُّ ولا يَغُرُّ، ويبثُّ في نفس المؤمن الثبات على مبادئ دينه، ويُذكي فيه معانيَ التعلُّق بربِّه، بعيدًا عن الزَّهْو والخُيَلاء.

• إذا ثبَّت الله الأقدام، لم تعرِف النفوسُ سوى البَسالة والإقدام، وتمتلئ الصدور ثقةً بالله واعتزازًا به، فيَعقُب ذلك اجتهادًا في الأعمال، وصلاحًا في الأحوال.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾﴾

• كتب الله على الكافرين التعاسة، فانقطع بذلك الأملُ وخاب الرجاء، ولو طرقوا أبوابَ السعادة الدنيويَّة كلَّها لن يدركوا إلا التعب.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ
إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم
بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ
الحزب ٥١ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

• قَبول وحي الله تعالى وحبُّه والرضا به والعملُ به هو عين الإيمان بالكتاب، فمَن كرهه لمخالفته لهواه -ولو قَبِله- فإن ذلك لا ينفعه حتى يُحبَّه ويرضى به ظاهرًا وباطنًا.

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾

• هكذا يسير المؤمنُ في دروب الحياة، متأمِّلًا ما يعرض أمامه، مستلهمًا الدروسَ من كلِّ حادثة، فيجد عِبرًا تثبِّته على الطريق المستقيم.

• إذا أظلم القلبُ عن مشاهدة ضياء الآيات، وما فيها من عظات، لجَّ في ظلمات المعاصي.

• وعدٌ صادق -ولا يُخلِف الله وعده- لكلِّ مَن كفر به وحارب رسُله، أن سُنَّته فيهم ماضية كما أهلكَ مَن كان قبلهم.

• مَن كان اللهُ مولاه فهو في كَنَف القويِّ يدفع عنه، فلا قلقَ يساوره، ولا مَخاوفَ تلاحقه.

• إذا قطع الله حبله عن عبد فإنه لن تنفعَه الإنس والجنُّ ولو اجتمعوا لنفعه، فهو مُضيَّع عاجز خاسر ولو اجتمعت له كلُّ أسباب الحماية.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي
وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ
طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟
مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا
خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟
زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ
أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ
ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

٥٠٨

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾

• أكرِم بها من وِفادة حين يكون الله هو مَن يُدخلهم! فما أروعَه من استقبال لوفد الجنان! وما أعظمَها من حَفاوة وترحيب وإكرام!

• لا شُغل للأنعام في الحياة إلا الأكل والشرب والتمتُّع، وهي في غفلة عمَّا ينتظرها عند الذبح والنحر، وكذا الكافر غافلٌ عن مصيره المنتظَر.

• إذا تساوى الإنسانُ مع الأنعام فقد ذهبت إنسانيَّته واندثرت معالمها، فينطلق إلى متاعه وشهَواته التي لا ضابطَ لها ولا حارسُ عليها.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾

• كم من السابقين مَن كانوا أشدَّ قوَّة وأعتى بأسًا وأوسع تمكُّنًا! ملكوا هذه الدنيا ودانت لهم، لكن ذلك لم يَحُل دون بأس الله الشديد لمَّا جاءهم.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾

• شتَّان بين مَن يمشي في هذه الحياة وأنوارُ الحقِّ وبراهينه تَهديه، ومَن يسعى في الدنيا وظلماتُ الهوى وسوء العمل تُحيط به من كلِّ جانب.

• كيف يصلُ إلى الهداية مَن يعمل السوء فيظنُّه حسَنًا، ويُقبل على الباطل فيراه حقًّا؟!

• إن المعصية لتدعو إلى فعل مثلها، فإن لم يَكبَح المرء جِماحَ نفسه ويمنعها، تفرَّقت أهواؤه واتَّسعت، حتى تصيرَ المعاصي سجيَّةً له وخُلقًا.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

غَيْرِ ءَاسِنٍ: غيرِ متغيِّرٍ ولا مُنتِنٍ.

حَمِيمًا: بالغَ الغايةِ في الحرارة.

• سيُعاين المتَّقون هذا الوعدَ يوم القيامة ماثلًا أمامهم بطيبه وملذَّاته التي لا تَخطُر على قلب بشر.

• هذا جانبٌ من تلك اللذَّات التي ادَّخرها الله لعباده، يصوِّرها سبحانه في تسلسل بديع لينعشَ قلوبًا حرَّى ويُذهب ظمأها.

• للمؤمن في الجنان أن يتنعَّمَ بكلِّ ما يشتهي، فلا قيودَ على تلك الرغَبات، ولا حدودَ لتلك الملذَّات.

• بهذه المغفرة تَطيبُ الخواطر ويحصُل الأنس وتكتمل اللذَّة ويطرح الخوف ويزول القلق، فهم في راحة في نفوسهم وأبدانهم.

• يا لَسوء حال مَن كانت النارُ منزله، فهو خالد في ذلك العذاب، يتقلَّب فيه، وإن استغاث فلن يُغاث.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾

• لا تنفع الأسماعُ إن لم توجب الفهمَ والانتفاع، فالسماع هو ما أدرك به صاحبُه ما يُقال، فعقلَه ووَعاه وانتفع به.

• كلَّما كان المرء قريبًا من الاقتداء بالنبيِّ ﷺ وهديه أورثه ذلك علمًا وخَشية.

• أهل العلم هم أوعى الناس لنصوص الحقِّ، ومردُّ الناس في معرفتها والسؤالِ عنها، فما أعظمَها من منزلة!

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

• أقبِل على الله وسيُقبل عليك إفضالُه؛ فمَن اهتدى حقًّا رَقيَ به إلى زيادة الاهتداء، حتى يصلَ إلى نَيل التقوى.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

جَآءَ أَشْرَاطُهَا: ظهَرت علاماتُها.

ذِكْرَىٰهُمْ: تذكُّرُهم.

• مَن أبصر دنوَّ الساعة جدَّ واجتهد في العمل، وسارع للتزوُّد من الأعمال قبل انتهاء الأجَل.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

مُتَقَلَّبَكُمْ: تصرُّفَكم في يقَظتِكم نهارًا.

وَمَثْوَىٰكُمْ: ومُستقَرَّكم في نومِكم ليلًا.

• العلم بالله تعالى وصفاته يَغرِسُ في قلب المؤمن اليقينَ بكلِّ ما أخبرَ به تعالى من إنجاز وعده ونصرة أوليائه.

• التوحيد أشرفُ الأعمال وأجلُّها، ولا يقوم عملٌ إلا به، ولا ينفع المرءَ ما أتى من الصالحات ما لم يكن قد أتى به أولًا.

• إذا علم المرء قَدْر ربِّه وأنه تعالى أحقُّ مَن دُعي، أخلص له بالدعاء والاستغفار والإنابة والاعتذار.

• لا يزال الناس في تقلُّبهم في هذه الحياة، لا يَقرُّون ولا يستقرُّون إلى أن يُوافوا موضعَ مَقرِّهم وإقامتهم في الدار الآخرة.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾

ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ: المُغمَى عليه من شدَّة الخوف.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

• المؤمنون صادقون ظاهرًا وباطنًا، فأقوالهم وأمانيُّهم في طلب فعل الخير تُصدِّقها أعمالهم ومواقفهم، وأمّا المنافقون فأقوال بلا أعمال، وجميل مقالهم يكذِّبه سوء فِعالهم.

• الحياة عند المنافقين أغلى من كلِّ شيء؛ فلذلك تركوا الإيمانَ لأجل مَلذَّاتها العاجلة، وخافوا من الخروج للقتال حفاظًا عليها.

• وبَّخ اللهُ المنافقين، وبيَّن لهم أن طاعتهم لله ولرسوله، وقولهم الأقوال الموافقة للشرع أولى من خلافها، وهذا من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده وحِلمه عليهم مهما عصَوا.

• مَن صدَق مع الله كفاه الله ما أهمَّه، وهوَّن عليه ما يلقاه، وأحاطه بحفظه، ورعاه بعينه.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾

• حينما تغيب مراقبة الله، وتتعطَّل أحكامه تصبح الحياة أشبهَ بغابة تُسفك فيها الدماء، وتُنتهك فيها الحرمات.

• مَن تولَّى عن الحقِّ جدَّ في الباطل، ومَن لم يَشغَل نفسه بما يُرضي الله تجرَّأ على ما يُسخِطه.

• (الرَّحم شِجنة من الرحمن، مَن وصلها وصله الله، ومَن قطعها قطعه).

• ليَحذرِ مَن استمرأ الفساد، وقطع الأرحام من أن يقطعَ الله رجاءه من رحمته، وأمله في مغفرته.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾

• لو رجَع الناسُ إلى القرآن لوجدوا فيه صلاحَ حياتهم، وراحة نفوسهم، ولهداهم طريقًا مستقيمًا، ولو اقتربوا من ضيائه لانتشر نورُه في جنَبات قلوبهم، ولزالت عنهم ظلماتُ المعاصي، ولَبانَ لهم خطأ ما هم عليه.

• المؤمن إذا أعمل فكرَه في تدبُّر آيات الله جنى ثمارَ ذلك قربًا من الله، وثباتًا على طاعة مولاه.

• لا أملَ في تذكُّر المنافقين ما لم يَنزِعوا أقفال النفاق عن قلوبهم، ويزيلوا تلك الأفكارَ من عقولهم.

• تدبُّر القرآن يكشف الغِشاوة عن العيون، ويفتح نوافذ الحقِّ إلى القلوب، فيَسكُب فيها النور، ويُنشئ حياةً للروح تنبِض بها وتُشرِق.

• إن الله عزَّ وجلَّ لم يحرِم عبادَه من الهدى والقرآنُ بين أيديهم، ولم يكتب عليهم الشقاء وقد أنزله عليهم، لكن الظالم من ظلم نفسه، وأغلق سمعَه، وصرَف بصره عن هدايات القرآن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾

• زيَّن لهم الشيطان سُبل الفساد، وجمَّل لهم طرُق الشهَوات، ففتَرت عزائمهم، وخارت قُواهم من أن يَثبُتوا على طريق الحقِّ والهداية.

• مَن أطاع الشيطانَ زيَّن له الباطل، ومنَّاه بطول العمر، ومَن أمَّل بطول البقاء كان ذلك من أعظم أسباب ارتكاب الكفر والمعاصي.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

• المؤمن مَن قَبِل أوامرَ الله كلَّها، فلا يقتصر على حكم دون آخر، فيكون كالمتَّبع لهواه، العاصي لمولاه.

• لا تضجَر وسط المِحَن ولا تيئس؛ فالله قد أحاط بمكر الماكرين، وعلمَ كيدَ الكائدين.

الجزء السادس والعشرون | سورة محمد

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ
﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ
ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

٥٠٩

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾

• يُذعِن المكابرُ عن آيات الله، فلا يستطيع أن يحميَ وجهه ولا قفاه حينما تأتي الملائكة لتتوفَّاه، فلا نصيرَ له يومئذ، ولا منجى له.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾

• إن كراهة ما يرضي الله من الإيمان والعمل الصالح، واتِّباع ما يُسخطه من الكفر والعمل الطالح؛ طريقٌ يودي بصاحبه إلى سوء المصير.

• نهاية سيِّئة، وعاقبة بئيسة نالها عُصاة الرحمن ومطيعو الشيطان، فذهبت أعمالهم بلا فائدة، ونزل بهم العذابُ الذي لا مفرَّ لهم منه.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾

• إن الله يُظهر الحقَّ من الباطل، ويَميز الصادقَ من الكاذب، فلا يفرحنَّ أهل النفاق بسريرتهم السيِّئة، فإن الله سيفضحهم، ويُطلع المؤمنين على خبيئتهم الخبيثة.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ
﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ
اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا
وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا
يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا
فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ
تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن
تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾

الحزب ٥١

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾

• ما امتلأ قلبٌ بشيء إلا أظهرته أقوال صاحبه وأعماله ولو بعد حين.

• ينبغي للعبد أن يحقِّق في عمله الإخلاصَ والصدق، وألا يجعلَ همَّه ثناءَ الناس على عمله، فإن الله يعلم أعماله.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

• تلك هي سُنَّة الله في عباده المؤمنين، يبتليهم بالمصائب؛ ليُظهرَ صدقَ الصادقين ويفضحَ كذبَ الكاذبين.

• مَن تعلَّق بربِّه ورضي به ظلَّ على عهده معه في جميع أحواله، في السرَّاء والضرَّاء، وفي المَنشَط والمكره.

• تَخرُج في البلاء مكنوناتُ الضمائر، وتظهر الأعمال واقعًا بعدما استوطنتِ السرائر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾

• يقيم الله الحُجَج على عباده، ويُظهر لهم آياته وبيِّناته، فيبيِّن لهم طريقَ الهدى؛ حتى لا يأتوا يوم القيامة فيعتذروا بعدم معرفة الحقِّ، فما أحسنَ المعذرةَ عند الله!

• مهما رَبا كفرُ الكافرين، وزادت مُشاقَّاتهم فلن يضرُّوا الله شيئًا، وإنما يضرُّون أنفسهم، فهل تفكَّروا في هذه النتيجة حتى ينزجروا عن طرق الوصول إليها؟

• أعمال الكافرين حابطة، وإن بدت للناس في ظاهرها صالحة، وكيدهم الذي أرادوا به توهينَ الإسلام وهدمه في خسار وتباب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

• معصية الله ورسوله بالكفر مُحبِطة للعمل، وطاعتهما بابُ القبول له.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾

• وجبت النار لمَن مات كافرًا، فلا تَشمَله رحمة الله، ولا ينال مغفرته، فهو بالكفر قد أغلق على نفسه كلَّ أبواب النجاة.

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ: ينقُصكم ثوابَ أعمالِكم.

• الإسلام يدعو أهله إلى الشجاعة في جِلاد أعدائهم المحاربين، وترك مصالحتهم في حال علوِّهم عليهم وقهرهم لهم؛ من أجل أن تكونَ كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السُّفلى.

• أيُّها المسلمون؛ أنتم الغالبون وإن علا الكافرون بعَتادهم، فلا تُعطوا الدنيَّة في دينكم، بل انهضوا لتُزيلوا كلَّ ما يَحُول دون نشر دين ربِّكم.

• مَن كان الله معه فليَبشُر بالنصر والغلبة، فمعه القوَّةُ التي لا تُغلب، والقدرة التي لا تَعجِز.

• مَن قام بما أمره الله به في مواجهة عدوِّه فليطمئنَّ إلى الثواب الجزيل الذي يَزيد ولا يَنقُص.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾

• مهما جلب اللعبُ واللهو من سعادة وانبساط فهو محدودٌ لا يدوم طويلًا، فأشغِل نفسك بما يَجلِب لك سعادةً أبديَّةً دائمة.

• بالإيمان والتقوى يبني المرء جنَّته في حياته الدنيا، ويوجِّه الحياة الوجهة الصحيحة التي يريدها ربُّ العالمين.

• عوائد الأعمال تَفيض عليك بصلاح الحال والمآل، فمَردُّ نفعها إليك، والله مستغنٍ عن عباده.

﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾

• رضي الله من عباده باليسير من العمل، وأورثهم به الجِنانَ وألبسهم الحُلَل، فلم يُكلِّفهم ما يَشقُّ عليهم، ولم يُحمِّلهم ما لا طاقةَ لهم به.

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾

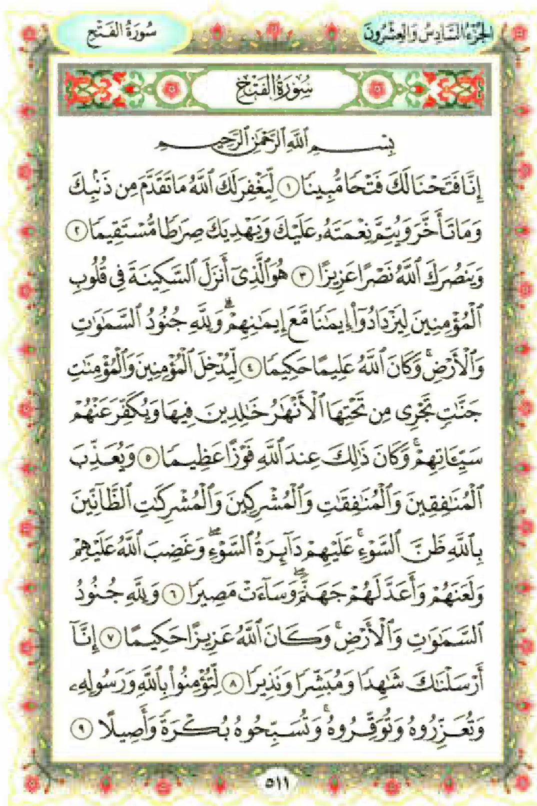
• لا يَكمُل إيمانُ عبد حتى يقدِّم مَحابَّ الله على مَحابِّه، ويقدِّم داعيَ ربِّه على داعي قلبه.

• مَن بَخِل فإنما يَبخَل عن نفسه، ومَن بذل فقد أراد الخير لها، وما تُنفقه اليوم تجده غدًا.

• الله غنيٌّ عن عباده، وما أعطاهم فقدَّموا منه فيما يحبُّ فهو لهم ذُخر مُدَّخر لديه سبحانه.

• إن الفقير إذا انحاز للغنيِّ سَعِد به، وناله من حظِّه، فكيف بمَن جعل تجارته مع ربِّه أفلا يَسعَد ويَهنأ؟

• لك الحمد ربَّنا؛ أكرمتنا بالإيمان، وشرَّفتنا بحمل دعوتك، فثبِّت اللَّهُمَّ أقدامنا، وأصلح لنا أحوالنا.



سُورَةُ الفَتْح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ١﴾

فَتْحًا مُّبِينًا: هو صُلحُ الحُدَيبِيةِ عامَ سِتٍّ من الهِجرة.

• ما أعظمَه من استفتاح للسورة! فبضمير العظمة جاء الوعد، والفتحُ كان هو الموعودَ به، والمبين كان نعتَ ذلك الفتح الذي نكَّره؛ لبيان فخامته وعظمته.

• كم من أمر مكروه الأوائل، محبوب الأواخر! فصلحُ الحديبية سمَّاه الله فتحًا مُبينًا وقد كره بعضُ الصحابة في أوَّل الأمر حصوله، فلمَّا رأوا أثره عرَفوا أنه كان فتحًا حقًّا.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ٣﴾

صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا: طريقًا ودِينًا لا عِوَجَ فيه.

عَزِيزًا: قويًّا لا ضعفَ فيه.

• غفر الله لنبيِّه ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فلم يُلهِه ذلك عن العمل، بل زاد وجدَّ في العبادة؛ شكرًا لله تعالى على فضله، فمَن لم ينَل هذه الكرامةَ ألا يكون أكثرَ جدًّا وأكثرَ اجتهادًا؟!

• مَن أراد الهداية إلى الصراط المستقيم، ونَيل النصر العزيز فليطلب ذلك من الله؛ فهو واهبُه ومُعطيه.

• لا معنى للنصر إذا انفكَّ عنه الهدى، فإنه يصبح حينئذٍ تقدُّمًا نحو الهاوية؛ لأنه لن يوصلَ إلى مرضاة الله تعالى.

• تتملَّك العزَّةُ أولياءَ الله حين نزول نصره، فتمتلئ قلوب أعدائهم بالمهابة منهم، ويقذف الله فيها الذلَّ والهوان.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٤﴾

• الطُّمأنينة لما قضى الله تعالى إذا نزلت في القلب سكنت الجوارح، وذهب عن المرء الضجَر والقلق، فأعقبه ذلك خيرًا كثيرًا.

• القلوب هي المكان الذي إذا استنار بنور السَّكينة كسا النفوسَ رضًا وانشراحًا، فسل اللهَ أن يكونَ قلبك مطمئنًّا حتى تسعَد كلُّ أعضائك.

• أفرغَ في قلوب عباده سَكينته، فازدادوا ثقةً بوعده، وصبرًا على حُكمه، فكانوا كما أراد جلَّ جلاله.

• يمضي المؤمن في دربه، واثقًا بمعيَّة ربِّه، مطمئنًّا إلى ذلك النصر الذي يحقِّق به الله وعده، وينصُر به جنده.

• لا تلتفت إلى غير الله، ولا تطلب من سواه، فهو عليم بحالك، حكيم إن أعطى وإن منع.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ٥﴾

وَيُكَفِّرَ: ويَمحُوَ.

• ستر الله عن المؤمنين والمؤمنات السيِّئات، فطابت نفوسُهم بما في الجِنان من لَذَّات، وهو سبحانه أكرم من أن يذكِّرهم بها بعد أن أدخلهم جنَّته.

• ذلك هو الفوزُ العظيم، فلا شقاءَ ولا عناء، وكيف يشقى مَن ورث الجِنان، ودخل في رحمة الكريم الرحمن؟

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ٦﴾

• اجتمعوا على عداوة الإسلام والمسلمين، فجاء العذاب ليجمعَهم كذلك، فالطريق الذي اتَّفقوا فيه أوصلهم إلى غاية واحدة.

• ظنَّ المنافقون والمشركون أن الله سيخذُل دينه، ويُسلِم رسوله، فكان الخِذلانُ حظَّهم، والسوءُ نصيبَهم.

• ما أعظمَها من عقوبات تنتظر أولئك الكافرين! فالعذاب جزاؤهم، والغضب واللعن تحيَّة لهم، ونار جهنَّم دارهم التي يأوون إليها، نسأل الله السلامة من غضبه وجميع عقابه.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧﴾

• مَن له ملكُ السماوات والأرض فله القوَّة التي لا تُقهر، والجند التي لا تُغلب، فلا عزَّ إلا عزُّه، ولا نصرَ إلا نصره.

• من حكمة الله أن يبتليَ المؤمنين بالكافرين؛ ليُحقَّ الحقَّ ويُبطل الباطل، فتعلوَ راية عباده، ويزلزل أركان أعدائه.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٨﴾

• ثلاثة أشياء بُعث لأجلها رسولُ الله: الشهادةُ على أمَّته بالبلاغ، وتبشير مَن أطاعه بكلِّ خير في الدنيا والآخرة، وإنذار مَن عصاه بكلِّ شرٍّ في دنياه وأخراه. فعلى الداعي إلى الله أن يبلِّغَ الناس البلاغ المبين، ويبشِّرَ الطائعين بالخير ترغيبا، وينذر المستمرِّين في العصيان ترهيبا.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٩﴾

• إن مضمونَ دعوة الحق: الإيمانُ بالله ورسوله، وتعظيمُ الله تعالى، وتنزيهه عن كلِّ سوء، ونصر دينه على أعدائه، فهل أدَّينا هذا التكليف؟

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ
أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ
بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ
لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا
فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ
فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ
نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ﴿١١﴾ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن
يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي
قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا
ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ
أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ
فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥﴾

٥١٢

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٠﴾

نَكَثَ: نقَضَ بيعتَه.

• أعظِم بها من عناية بالصحابة الكرام وهم يبايعون رسولَ الله! فالله تعالى معهم يسمع أقوالهم، ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فجزاهم على ذلك أعظمَ الجزاء.

• لمَّا كان النبيُّ ﷺ هو المبلِّغَ عن ربِّه، الحاملَ رسالته إلى عباده، كان مَن بايعه قد بايع اللهَ، ومَن أطاعه فقد أطاع الله.

• كلُّ مَن بذل لهذا الدين عاد شرفُ ذلك إليه، ومَن خالفه وعاداه كان وَبالُ ذلك عليه، فكُن بدينك متمسِّكًا وله ناصرا.

• إن أولى ما ألزمتَ به نفسك هو عهدُك مع ربِّك جلَّ جلاله، فاجتهد في الوفاء على التمام.

• ما من بَيعة بين الربِّ وعبده إلا والعبدُ فيها هو الرابح من فضل الله، والله هو الغنيُّ عن العالمين.

• انظر إلى عِظَم الأجر: {فَسَيُؤْتِيهِ أَجرًا عَظِيمًا} لا يفصِّله ولا يحدِّده سواه، ويكفي في عظمته أن الله قال عنه: إنه عظيم.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ١١﴾

• لن يَعدَم المنافقون سبيلاً في اختلاق الأعذار لتسويغ سوء فِعالهم التي ينمِّقونها بكلماتهم، لكن الله يعلم أنهم كاذبون.

• البعد عن بيئة الإيمان يورث الأمراض المباينة له، فكن من الإيمان وأهله قريبًا؛ حتى لا يصيبَك رهَج القسوة أو النفاق.

• لا عِبرةَ بقول اللسان ما لم يوافقه ما في الجَنان، فاللسان ظاهرٌ والقلب باطن، ولا ينفع صلاحُ الظاهر مع فساد الباطن.

• المؤمن الحقُّ هو مَن تعلَّق بربِّه في وقت رخائه وشدته؛ لأنه يعلم أن ما يصيبه من خير أو شرٍّ إنما هو تقدير ربِّ البشر.

• لئن حاول المرء خداعَ غيره من البشر، إن ربَّه مطَّلع على ما في قلبه وقَر، يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور.

﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٢﴾

ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ: الظنَّ السيِّئ، وهو ألَّا ينصُرَ اللهُ نبيَّه ﷺ.

بُورًا: هَلكَى لا خيرَ فيهم.

• لا تزال عنايةُ الله تحوطُ المؤمنين، ويَشمَلهم لُطفه، فلا يُسلِمهم لعدوِّهم أبدًا، إنهم قوم يحبُّهم ويحبُّونه.

• ضعفاء اليقين، جبناء في مواطن الإقدام المحمود، ولو قويَ يقينُهم بنصر الله وعونه ما أحجموا.

• يأتي الشيطان إلى قلب ابن آدم فيزيِّن له الباطل، فإذا استقرَّ فيه انتشر ذلك الباطلُ في بقيَّة الجوارح، فاحرُس قلبك من الشيطان؛ حتى تَسلَم لك أعضاؤك كلُّها.

﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ١٣﴾

• إنه عذابٌ عظيم لا يعرف قَدره إلا الله؛ فقد نكَّره تعالى لبيان عِظَمه، فتحصَّن بحصن الإيمان بالله ورسوله حتى تسلَم من ذلك العذاب العظيم.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٤﴾

• من عِظَم ملكه كان أجرُه وهِبته في غاية العِظَم، وأضحى عذابه وعقوبته كذلك في غاية النَّكال والألم، فنسأل الله من ثوابه العظيم، ونعوذ به من عذابه الأليم.

• سبحان مَن غلبت رحمتُه غضبَه، وعفوُه عذابَه، مع كمال قدرته، وعِظَم قوَّته تعالى!

﴿سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥﴾

مَغَانِمَ: غنائمَ خيبرَ التي وعدَكُمُ اللهُ بها.

• تجدُ أعداء الله في كلِّ زمان ومكان ينتهزون الفُرَص لنيل مآربهم، وتحصيل رغَباتهم، فيُظهرون تقرُّبهم لينالوا مآربهم، فليكن المؤمن فطنًا حذرا.

• يا فوزَ أولئك الطائعين! فقد آبوا بفضل الله في دنياهم، وثوابه في أخراهم، وحرَمت المعاصي أصحابها من كلِّ فضيلة، ومنعتهم كلَّ غنيمة، وحالت بينهم وبين المعالي، وحجزتهم عن بلوغ الآمال.

• من آكدِ الأمور أن يتخلَّصَ الجيش المسلم من كلِّ صاحب هوًى منافق خدَّاع، لأن ضرره على المسلمين كبيرٌ خطير.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾

أُولِي بَأْسٍ: أصحابِ شِدَّةٍ وقوَّةٍ في الحربِ.

• ما كان لمؤمنٍ أن يتأخَّر عن شيءٍ أمر به ربُّه ودعا إليه رسولُه ﷺ، فإن مقتضى طاعته لهما أن يلبِّيَ بلا تردُّد أو تأخُّر.

• طاعة الله ورسوله تسوق أهلها إلى كلِّ خير، ومعصية الله ورسوله تورد أصحابها كلَّ شرٍّ، فماذا ربح العاصون، وماذا خسر الطائعون؟

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

حَرَجٌ: إثمٌ في تركِ الجهاد.

• إن أوامر الله تعالى الشرعيَّة مَنوطةٌ بقدرة المرء على فعلها، فإذا ما فُقدت القدرة سقط ذلك التكليف، وهذا من رحمة الله بعباده.

• جزاءٌ عظيم ينتظر الطائعين على مشارف مغادرة الدنيا، وغروبِ شمس الحياة؛ إنها جنَّات مَلأى بالملذَّات، وجميل الطيِّبات، وعلى ضفاف أنهارها يغتسل المؤمنُ من هموم الدنيا وأحزانها، فنسأل الله من فضله العظيم.

﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾

يُبَايِعُونَكَ: بيعةَ الرِّضوانِ بالحُدَيبِيَة.

السَّكِينَةَ: الطُّمأنينةَ والثَّبات.

فَتْحًا قَرِيبًا: فتحَ خَيبَر.

• لمَّا قام الصحابة رضي الله عنهم بطاعة الله ورسوله ربحوا رضوانَ الله عنهم، فكان ذلك طريقَهم إلى الجنَّة.

• ما أعظمَه من ثناء، وأجزلَه من عطاء! أثنى تعالى عليهم بالإيمان، وبالقيام ببيعة الرضوان، فكان الجزاء: نزول السَّكينة على قلوبهم، والإثابة بفتح قريب لهم، ونيل رضوانه عنهم.

• إذا علم الله في قلب عبده خيرًا آتاه خيرًا، فالقلب هو أساسُ الإقبال على الله تعالى.

• حُرم أهلُ بيعة الرضوان من دخول مكة، فكان لهم فتحُ خيبر، فالله يُبدل أحزانَ المؤمنين أفراحًا، واختيار الله لعبده خيرٌ من اختياره لنفسه.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾

• إن الطاعة لَتُنيلُ صاحبها خيرَ الدنيا العاجلَ مع خير الآخرة الآجل، فالغنائم من الكافرين ثوابٌ عجَّله الله لعباده المؤمنين.

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

• إن كفَّ يدِ العدوِّ عن المؤمنين نعمةٌ تستحقُّ الشكر؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: (لا تتمنَّوا لقاء العدوِّ، واسألوا الله العافية).

• مَن جعل اللهَ همَّه كفاه الله ما أهمَّه، فمَن اعتصم به نجَّاه، ومَن لجأ إليه آواه.

• ستبقى حادثة الحديبية ماثلةً أمام المؤمنين كلَّ وقت، فتطمئنُّ قلوبهم أن الله لا يضيِّع عباده، وأن في طيَّات العسر يسرًا.

• الهداية إلى الصراط المستقيم أعظمُ من مغانم الدنيا كلِّها، والحرصُ عليها آكدُ وأولى، فهي الموصلةُ إلى رضوان الله وجنَّته.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾

• إن هزيمة العدوِّ والغنيمةَ منه ليست بقوَّة المؤمنين مهما كان عددهم وعُدَّتهم، ولكن ذلك بإقدار الله لهم، ولولا ذلك ما بلغوا ما أمَّلوا، ولا نالوا ما نالوا.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ
وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ
عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الحِزْبُ ٥٢

• خضع كلُّ شيء لسلطان الله، ودانت الموجودات لإرادته وإحكامه، فلا رادَّ لما أراد، ولا مصرِّف لما قضى.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾

• لو صدَق أهل الإيمان في إيمانهم، وعملوا بأسباب النصر التي في قدرتهم، ما ثبت أمامهم عدو؛ لأنه ليس له وليٌّ يواليه، ولا نصير يَنصُره أمام ولاية الله ونصره لجنده المؤمنين.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

• تلك هي سنَّة الله أن يَنصُرَ أولياءه، وأن يُذلَّ أعداءه، فمهما تعاظمت الكروب، وادلهمَّت الخطوب فإن نصر الله قريب.

• يقذِفُ الله في قلوب عباده المؤمنين الثقة الكاملة بنصره المبين، وأن ذلك وعدٌ ثابت، وعهد قاطع، لا يتبدَّل ولا يتحوَّل.

• لا رادَّ لما قضى الله، ولا دافعَ لما أراد، فلن يَحولَ أحدٌ دون مشيئته، ولن يقفَ أحدٌ دون تحقُّق سنَّته.

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾
هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ
مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ
بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ
وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾
لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ
ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

٥١٤

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

بِبَطْنِ مَكَّةَ: بالحُدَيبِيَة قُربَ مَكَّة.

أَظْفَرَكُمْ: أقدرَكُم عليهم فأمسَكتُم بهم، وكانُوا ثَمانِينَ رجُلًا.

• كلُّ ما قدَّره الله فهو خيرٌ لعباده؛ فقد منع الله القتالَ بين المؤمنين والمشركين وفي ذلك خير، فلتطمئنَّ قلوب الموحِّدين إلى قدَره، ولتنتظر ألطافه وخيراته.

• قد يمكِّن الله عباده من أعدائهم بلا قتال أو حرب، فيُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فيهزمهم، وذلك من فضل الله على عباده المؤمنين.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ: مُستَضعَفونَ مُستَخفُونَ بإيمانهم.

مَّعَرَّةٌ: إثمٌ وعَيبٌ وغَرامةٌ.

تَزَيَّلُوا۟: تَمَيَّزَ هَؤُلاءِ المُستَضعَفُونَ عن الكُفَّارِ.

• الكفر هو أساس الشرور، ومنبَع الفساد والفجور؛ إذ لا خيرَ يُرتجى ممَّن جحد نعمة ربِّه وعصى مولاه الذي خلقه.

• قد يمنع الله تعالى عبدَه المؤمنَ شيئًا كان يتوق إليه؛ لخير يراه فيه ظاهرًا، فيمنعه الله إيَّاه لشرٍّ في باطنه أو عاقبته، فما على المؤمن إلا أن يَلزمَ التسليم مع الاجتهاد في الخير والحرص عليه، ويحذَر الندمَ على فوات ذلك الأمر والاعتراضَ على قدر الله فيه.

• قد يدفع الله المؤمنين عن الكافرين؛ لعلمه بإسلام بعضهم ودخوله في دين الله في المستقبل، فلله الحكمةُ البالغة.

• من رحمة الله أنه لم يُهلك الكافرين لوجود المؤمنين بينهم، فكيف ستكون رحمةُ الله بالمؤمنين أنفسِهم؟

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

• كم حالت الحَميَّات دون الوصول للحقِّ، وكم منعت تلك العصبيَّات أصحابَها من ورود حِياض الهدى والنور.

• المؤمن لا تستفزُّه حماقاتُ أهل الجاهليَّة، ولا ينساق وراء رعوناتهم، فقد ثبَّته الله بما ألقى في قلبه من سَكينة وتقوى، حتى إنك لترى السَّكينة في وجهه، وتلمس أثر التقوى في تعامله وأخلاقه.

• يا لَسعدِ مَن اصطفاه الله، فغرس كرامته في قلبه، ووهبه من التقوى والإيمان ما يوصِله إليه، ويورثه تلك الجنان.

• لا إله إلا الله هي كلمة التقوى؛ فهي التي أوصلت إليها، ودعت إلى لزومها، ووقَت أهلها من كلِّ سوء في الدنيا والآخرة.

• ارتقى المؤمنون بإيمانهم فوجبَت لهم محبَّة ربِّهم، وطابت قلوبهم فغرس في تربتها بذورَ التقوى التي استوت على سُوقها.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

• هو وعدُ صدقٍ من الله، وجاءت المشيئة لتُرسِخَ في نفوس المؤمنين الاستسلامَ لقضاء الله، والإذعان لِما قدَّره تعالى.

• أتى لهم بالصورة الكلِّيَّة التي سيكونون عليها من دخول المسجد الحرام، وحَلق الشعر أو تقصيره؛ لتطمئنَّ بذلك الأفئدة، ولتسعَدَ تلك القلوب.

• مَن سلَّم أمره لله أمَّنه الله من كلِّ خوف وفزع، وسلَّمه من كلِّ حُزن وجزَع.

• إن الإسلام ليَعلو بالسِّلم أكثر منه بالحرب، فكم من قلوبٍ فُتحت، وبلادٍ أسلمت بأخلاق المسلمين لا بسيوفهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

• لا يستوي المسيرُ إلى الله إلا بكمال العلم والعمل، فعلمٌ بلا عملٍ يغُرُّ صاحبه، وعملٌ بلا علمٍ يُردي صاحبه.

• لو بحثتَ في مناهج الدنيا كلِّها فلن تجد منهجًا يسامي ما بُعث به النبيُّ ﷺ، فيقتضي ذلك أن يَسلُكه الناس ويلتزموه.

• ما من امرئ يتجرَّد من أهوائه، وينفكُّ عن معتقداته، فينظر في هذا الدين إلا أحبَّه؛ فإنه دينٌ يخاطب فِطرة الإنسان وطبعَه.

مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ
تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ
فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي
ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٢
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ
أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ
لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ
ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤

٥١٥

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩ ﴾

مَثَلُهُمۡ: صِفَتُهم.

شَطۡـَٔهُۥ: ساقَهُ وفرعَهُ.

فَـَٔازَرَهُۥ: فقوّى ذلك الشَّطءُ الزَّرعَ.

• خلَّد الله ذكرَ الصحابة ورفع شأنهم؛ لأنهم ناصروا دينه، وآزروا نبيَّه ﷺ، فحقَّت لهم الرفعة، ووجب لهم الثناء.

• المنهج المستقيم في الولاء والبراء يتمثل بالشِّدَّة على الكافرين، والرحمة بالمؤمنين، فمَن عكسَ القضيَّة فقد خالف ما كان عليه الرسول وأصحابه.

• جمع الله لهؤلاء المؤمنين بين الشدَّة والرحمة؛ إيماءً إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرَّفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرُّفَ الحكمة والرُّشد، فلا تغلِب على نفوسهم مَحمَدةٌ دون أخرى، ولا يندفعون إلى العمل بالجِبِلَّة وعدم الرؤية.

• مَن انقطع إلى الله وصله الله، ومَن أراد صِلةً بمولاه فليلزم الصلاة، فهي مفتاح كلِّ خير، وأصل كلِّ سعادة.

• لم يكن يَشغلهم عن ربِّهم بَهرَجُ هذه الدنيا، ولم يكونوا يسعَون لتحصيل زخارفها، بل أسمى غاياتهم رضوان ربِّهم.

• قال الإمام مالك: (مَن أصبح في قلبه غَيظٌ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية).

• لئن سبق السابقون بنصرة النبيِّ والوقوف معه، إن للاحقين بابًا يدركونهم منه إذا أحبُّوهم وقاموا بما قاموا به، والمرء مع مَن أحبَّ.

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾

• ينطلق النداء للمؤمنين في مسالك هذه السورة، ليُرسيَ قواعدَ التعامل في المجتمع المسلم، ويَرسُمَ صورة المؤمنين الناصعة التي ينبغي أن يكونوا عليها.

• يقتضي الإيمان ألا يقدِّم صاحبُه على قول الله وقول رسوله رأيًا ولا عُرفًا ولا هوًى يعارضهما.

• يعلم المؤمن أن الله مطَّلع عليه، سميعٌ قوله، عليمٌ بسريرته، فيجتنب لذلك كلَّ ما يسوءُه عند ربِّه، أو يُخزيه عند ملاقاته.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾

• إن رفع الصوت فيما لا فائدة فيه من مساوي الأخلاق، وكان من وصيَّة لقمانَ لابنه: {واغضُضْ من صَوتك}، فكيف إذا كان رفع الصوت فوق صوت النبيِّ ﷺ؟

• لقد وعظ الله المؤمنين بهذه الآية تشريفًا لنبيِّه، وبيانًا لقدره الرفيع الذي يسمو على كلِّ إنسان؛ ليُعلِّمهم أن الخطاب معه ليس كالخطاب مع غيره.

• إذا كان رفعُ الصوت عند رسول الله ﷺ مُحبطًا للأعمال، ومُؤذِنًا بغضب الله الكبير المتعال، فكيف بالإعراض عن هديه، وتنكُّب طريقه وسنَّته؟

• كلَّما داوم المرء على الذنب واستمرأه، ألِفَه واعتاده، فلا يشعر بندم إذا قارفه، ولا وجَل إذا واقعه.

• قد يستهينُ المرء بأمر لا يظنُّ أن يبلغَ ما بلغ، تكون هلَكته فيه، فالسلامة أن يبتعدَ العبد عن كلِّ ما يُغضب الله جلَّ جلاله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾

• لقد أظلَّت الصحابةَ جلالةُ هيبة رسول الله ﷺ وتوقيره، وغشِيتهم سحائبُ تعظيمه وتقديره، فكانوا في حضرة النبيِّ ﷺ على كمال الأدب وغضِّ الصوت.

• اعلم أن التقوى لا تَحُلُّ القلوبَ الخَرِبة، فلا تضع رحالها إلا في قلوبٍ اختارها الله، فتهيَّأت لاستقبال هذه النعمة الكبرى.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾

• المسلم العاقل يستعمل مع رسول الله ﷺ رفيعَ الأدب وحُسن المعاملة، حال حياته مع ذاته، وبعد موته مع سُنَّته، عليه الصلاة والسلام.

• إن خطاب الناس ومناداتهم يُعرف منه مَبلغُ عقل الإنسان وأدبه، فذو العقل يُحسن الخطاب والنداء، وغيره يسيء في ذلك.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن
تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ
إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ
فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ
ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

٥١٦

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

• توقير النبيِّ ﷺ جالبٌ لمحبَّة الله تعالى ومغفرته ورحمته، ومخالفةُ ذلك تقرِّب العبدَ من سخط الله وغضبه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾

• إن الفاسق جعل من نفسه موطنًا للشكِّ بما أظهر من أعمال، فلا يؤخَذ قوله على محمَل الصدق ابتداءً؛ إذ لا بدَّ من التبيُّن والتمحيص.

• التثبُّت من الأخبار يَعصِم من الوقوع في الزلل، ويجنِّب صاحبَه ويلات التسرُّع.

• إن غُصَص الندم نتيجةٌ حتميَّة يتجرَّعها كلُّ مَن تعجَّل في إصدار الأحكام بلا تثبُّت، فالتيقُّظ في البدايات يُنجي من الندم في النهايات.

• نحن في هذا العصر أحوج ممَّن قبلنا إلى التثبُّت في سماع الأخبار؛ لكثرة الكذب، وظهور الفجور في الخصومة، وكثرة الاختلاف، وشدَّة مكر الأعداء.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾

• لمَّا كان رسول الله ﷺ بين ظَهرانَي الصحابة كانت العصمةُ من الزلَل حاضرةً بإرجاع الأمور إليه، واليوم يقي المسلمون أنفسَهم من الزلل بالرجوع إلى سُنَّته، واتِّباع هَديه.

• لو اتَّبع النبيُّ ﷺ هؤلاء الصحابة -برغم رجاحة عقولهم، وغزارة علمهم- لأصابهم العَنَت، فكيف بنا ونحن لم نصل إلى معشار ما وصلوا إليه؟!

• إن ممَّا يميِّز أهلَ الإيمان عن أهل الضلال هو استسلامهم وانقيادهم لأوامر الله ورسوله ﷺ، أمَّا أولئك فقد كرهوا ما أنزل الله، واتَّبعوا أهواءهم.

﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

• يا لها من نعمة! عندما يجتبيك الله من بين آلاف الناس ليقذِفَ في قلبك الإيمان، وينقذك من الكفر والفسوق والعصيان.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾

• الإيمان ليس عاصمًا من الخطأ، ولكنه يدعو إلى التراجع عنه، فمَن رأى من أخيه بُعدًا عن الصواب فليردَّه إليه؛ فإنه إذا ذُكِّر تذكَّر.

• الصلح بين المتخاصمين عبادةٌ عظيمة، وخَصلة كريمة، ولها عوائدُ خيِّرة كثيرة؛ فلذلك أمر اللهُ به، وحثَّ عليه رسولُه.

• لم يُنزع رداء الإيمان عن تَينِكَ الطائفتين برغم نشوب الاقتتال بينهما، لكنه البغيُ لاتِّباع هوى النفس ونزغات الشيطان.

• العدل هو الذي يكفُل إزالة الأحقاد، والاستسلامَ لأمر ربِّ العباد، وإرجاعَ الحقِّ لكلِّ طائفة من غير تحيُّز أو ميل في الحكم.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

• أخوَّة المؤمنين تدعو إلى الحبِّ والوئام، وتحذِّر من الاقتتال والخصام، فمتى حصَل المكروه فإنها تحثُّ على الصلح وتقريب القلوب بعد تنافرها.

• الأمر بالتقوى شاملٌ للمتخاصِمين والمصلحين، فاستشعار التقوى يردُّ المتخاصمين إلى أمر الله، ويعصِم المصلحين من الجور والزَّيغ عن حكمه جلَّ جلاله.

• لمَّا كان الصلح بين المؤمنين من أسباب التراحم والتآلف، كان الجزاء من الله عليه من جنسها؛ بأن تَشمَلهم رحمتُه في الدنيا والآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

• السُّخريَّة داء يشوِّه وجه الأخوَّة الإيمانيَّة، ويكدِّر صفاءها، وصدقُ الإيمان يمنع ذلك.

• لا يَحمِل المرءَ على السُّخريَّة إلا نقصٌ في الإيمان، وقلَّةٌ من رصيد الأخلاق الفاضلة، وعَوَز من صفات السموِّ الكريمة.

• ألا لا يجترئنَّ مسلمٌ على احتقار مسلم؛ فلعلَّه أجمعُ منه لما نِيط به من الخيريَّة عند الله تعالى، فيظلِم نفسه بتحقير مَن وقَّره الله تعالى.

• المؤمنون كجسدٍ واحد، وكلٌّ منهم يقوم مقام أخيه، فمَن لمَزَ أخاه فكأنما لمَز نفسه.

• قال الإمام مالك: (أدركتُ بهذه البلدة -يعني المدينةَ- أقوامًا لم يكن لهم عيوب، فعابوا الناسَ فصارت لهم عيوب، وأدركت بهذه البلدة أقوامًا كانت لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فنُسِيَت عيوبُهم).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ
إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن
يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ
شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن
قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤
إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ
وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ
عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ
غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨

الحزب ٥٢

٥١٧

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾

• سوء الظنِّ حرامٌ كسوء القول، فالكلام حديثُ اللسان، والظنُّ حديث القلب، والذي يَحرُم منه ما انعقد عليه القلب، لا الخواطر وحديث النفس.

• إن هناك ظنًّا ليس بإثم، فعلى المسلم أن يكونَ معياره في تمييز أحد الظنَّيين من الآخر أن يَعرِضَه على ما بيَّنته الشريعة، وأدَّى إليه الاجتهاد الصحيح، فمن ذلك ظنٌّ يجب اتِّباعه كالحذَر من مكايد العدو، وكالظنِّ المستند إلى الدليل الناصع.

• تتبُّع عورات المسلمين دَلالةٌ على ضَعف إيمان صاحبه وعدم اكتماله، فإنه لو اكتمل لانشغل بعيبه عن عيوب الناس، ورضي بظاهرهم عن باطنهم.

• الأمن سِمةٌ من سِمات المجتمع المسلم الذي أمِنَ الناسُ فيه على خصوصيَّاتهم من أن تُنتهكَ أو تُكشفَ، فلا مسوِّغَ لانتهاك حرُمات الناس وكشف أسرارهم.

• لا تتأتَّى الغِيبةُ إلا عند غياب التقوى والمراقبة عن القلب، وعدم تدبُّر الوعيد لمَن يأتي هذه المعصية، فإن مَن استقرَّت في قلبه شناعتها بَعُدَ عنها وتجنَّبها.

• إن الذي أكل لحمَ أخيه وهو ميِّت قد انتهك حرمتَه وهو لا يشعر، وكذلك الغِيبةُ ينتهك المرء حُرمةَ أخيه دون أن يشعر.

• لو أخذ الناس بالتقوى لصلَحت أحوالهم، ولحسُنَت أخلاقهم، ولانتهت خلافاتهم، واختفت نزاعاتهم.

• إن الله لا يمَلُّ من المغفرة لعباده والتوبة عليهم، فلا ييئس أحدٌ من التوبة لكثرة ذنوبه وإن عظُمت، فرحمة الله واسعة، وباب التوبة إليه مفتوح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾

• النداء للناس نداءٌ سماويٌّ لهم كافَّة، بأن منشأهم واحد، وأصلهم واحد، فلا يختلفوا ولا يتفرَّقوا.

• الأصل أن تبايُن قبائل الناس وسيلةٌ للتعارف والتحابِّ، لا أن يُتخذَ مطيَّةً للتباغض والتفاخر.

• مَن أكرمه الله عزَّ وجلَّ حاز أسبابَ السعادة، ونال مقاليد النجاة، ولا أكرمَ على الله تعالى ممَّن اتقاه، وحفظ حدوده في سرِّه ونجواه.

• ردَّ الله تعالى التقوى لعلمه وخبرته ليقطعَ بذلك طريق مَن ادَّعاها، فلا تزكيةَ للنفس، ولا ادعاء بحيازتها الفضائل.

﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾

• ليس الإيمان بكلمةٍ يقولها المرء ما لم يَعقِد عليها قلبه، وتصدِّق بذلك جوارحُه.

• يا بشرى أولئك الطائعين الذين انقادوا لأوامر ربِّهم وتوجيهات نبيِّهم! فإن الله لن يَنقُصَ من أجورهم شيئًا، بل يضاعفها لهم.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾

• إن المؤمن الصادقَ ثابتٌ على دينه، متمسِّك بيقينه، مهما عصَفت به رياحُ الفتن، ونُصبت له شباك الشهَوات والشبُهات.

• إذا كان المؤمن صادقًا في إيمانه دفعه ذلك الإيمانُ إلى كلِّ فضيلة، وباعده عن كلِّ رذيلة، وألزمه البذلَ والعطاء في سبيل الله تعالى.

﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦﴾

• إن الله لا ينتظر حصولَ علم له من مخلوقاته، فهو العليمُ الخبير الذي أحاط بعلم الخلق سرِّهم وجهرهم، ظاهرِهم وباطنهم.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾

• كيف يَمُنُّ المرء على ربِّه، وكلُّ خير وفضل وبرٍّ منه سبحانه، وكلُّ نعمة مردُّها إليه جلَّ جلاله؟!

• ما أعظمَها من نعمة أن مَنَّ الله عليك بهذا الإيمان، فاصطفاك من بين كثير من الناس، لتقومَ في مقام التوحيد والعبوديَّة لله ربِّ العالمين!

• فاز الصادقون بثمرات الإيمان وبشائره، وأفلح مَن حقَّق ذلك الإيمان كما أراد ربُّه عزَّ وجلَّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

• يذكِّر الله عباده بعلمه بأحوالهم في الغيب والشهادة ليُدخلَ الرهبة في القلوب، ويدفعَ المؤمنَ لمراعاة أعماله التي لا تخفى على ربِّه تعالى.

سُورَةُ قٓ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥
أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا
لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ
قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ
لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥

٥١٨

سُورَةُ قٓ

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾

• بلغ القرآنُ الغاية في الحُسن والمجد، وحريٌّ بأتباعه أن يرتقوا إلى عليائه؛ إيمانًا به، وعملًا بهديه.

﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢﴾

• العَجَبُ أن يستنكرَ الكفّارُ نبوّةَ البشرْ، ولا يستنكفوا عن السُّجود لما صنعوا من حَجَرْ!

• حين يستحكمُ بالمرء الهوى والباطل، يُنكر البديهيّات، ويستنكر المسلَّماتْ.

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣﴾

• الإيمانُ بالبعث ثمرةٌ من ثمار الإيمان بالله تعالى وبحكمته وعدله وسائر صفات كماله.

• لا يُنكر البعثَ إلا من عميَ عن غاية الحياة، ولم ينظر إليها بعين العقل والحكمة.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤﴾

تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡ: تُفني من أجسادهم.

• أحاط الله سبحانه بكلِّ شيء علمًا؛ وهيهاتَ يَعزُب عنه شيءٌ من أحوال خَلقه.

• أنَّى للمؤمن أن يحيدَ عن الصِّراط، وقد علم أن الكتاب حافظٌ لكلِّ صغيرة وكبيرة من عمله؟!

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾

مَّرِيجٍ: مُختلط.

• قال الحسن البصريُّ: (ما ترك قومٌ الحقَّ إلا مَرَجَ أمرُهم). أي اختلط.

• الجاحدون للحقِّ لا يُهدَون إلى الصَّواب، وهم أبدًا في شكٍّ وضيق واضطراب، والمصدِّقون بالحقِّ يوفَّقون إلى بصيرةٍ هاديةْ، ويحيَون في راحة وسكينةٍ وافيةْ.

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾

فُرُوجٖ: فُتوق وشُقوق.

• التفكُّر في صُنع الله وآلائه يهدي العقول الحيرى، إلى الإيمان بالحقائق الكُبرى.

• جمالُ السماء في عَليائها، وإحكامُ خَلقها وصَنعتها، دليلٌ بيِّن على كمال صانعها وباريها.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧﴾

زَوۡجِۭ بَهِيجٖ: نوعٍ حسنِ المنظر.

• إن الله خلق الكونَ على أحسن صورة وأحكم نظام، وحريٌّ بالمسلم أن يستمدَّ من محاسن الكون حُسنَ الخُلق، ومن إحكامه إتقانَ العمل وتجويدَه.

﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾

• مفتاح التبصُّر والتذكُّر إخلاصُ العبودية لله، وإنابةُ العبد لمولاه.

• لا يتبصَّر في آيات الله الكونيَّة إلا من تفكَّر فيها وتدبَّر، وجعلها سُلَّمًا للافتكار والاعتبار.

﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩﴾

وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ: حبَّ الزَّرع الذي يُحصَد.

• إن نِعَمَ الله تحُفُّ بنا من كلِّ جانب، ومن أعظمها الماءُ الذي جعل الله منه كلَّ شيء حيٍّ، فله الحمدُ على ما أنعَم.

• مطرُ السماء آيةٌ يُحيي الله بها قلوبَ الناس بالبهجة والبِشرْ، قبل أن يُحييَ بها الأرضَ بعد جَدْب وقفرْ.

﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠﴾

بَاسِقَٰتٖ: طِوالٍ.

طَلۡعٞ نَّضِيدٞ: ثمرٌ مُتراكِبٌ بعضُه فوق بعض.

• ما أجدرَ المسلمَ أن يكونَ كالنخل؛ اعتزازًا وشُموخًا، وعطاء وجُودًا، وقد شبَّه النبيُّ ﷺ المسلمَ بها.

﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١﴾

• من عظيم رحمة الله أنه لم يَقصِر رزقَه على المؤمنين الطائعينْ، ولكنَّه تكفَّل برزق عباده أجمعينْ، ولو كانوا كافرين مكذِّبينْ.

• أفاضَ الله الكريم على خَلقه بصُنوف الخير والرزق، ولكن قليلٌ من عباده الشَّكور.

• إن الذي أخرج من النَّواة النخلَ، وأحيا الأرضَ بعد موتها لقادرٌ على إحياء الناس للحساب، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

• العاقل من تفكَّر في تصريف الله لكونه، واستنتج منه بديعَ صفاته، وكمالَ قُدرته.

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤﴾

• من سُنن الله في خَلقه أن يُهلكَ من يجحَد دينَه، ويكذِّب أنبياءه، جزاءً وِفاقًا.

• حَذارِ أن تسلكوا مسلكَ من سبق في التكذيب والنُّكرانْ، فإن الله لا يُحابي أحدًا من خَلقه، ومصير المكذِّبين الهُلك والخُسرانْ.

• هو درسٌ بليغٌ للدعاة في كلِّ مكانْ؛ أنِ اصبروا وصابروا، فما أكثرَ المكذِّبين بالرسُل على طول الزمانْ.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥﴾

أَفَعَيِينَا: أفعَجَزنا وضعُفَت قدرتُنا؟!

• إنَّ إحياء الناس بعد موتهم أهونُ يقينًا من ابتداء خلقهم من عدَم، ولكن هيهاتَ أن يُبصرَ هذا من جُعل على أعينهم غِشاوة!

• اتِّباعُ الشَّهوات وهوى النفس يصدُّ الإنسانَ عن إدراك أظهر الحقائق.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ (١٦) ﴾

• أيها العبدُ، إن الله أقربُ إليك من كلِّ قريب، فإيَّاك أن تجعلَ بينك وبينه واسطة.

• قد علم الله سبحانه ما يُكنُّه صدرُك، وما يَجول في ضميرك ونفسك، فحذارِ أن يطَّلعَ منك على ما لا يُرضيه.

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) ﴾

• لا يؤاخِذُ الله عبدَه حتى يقيمَ عليه الحُجَّة من نفسه، وما تتبُّعُ الملَكين لعمله إلا شهادةٌ تكون له أو عليه.

• لا مفرَّ للإنسان من السَّعي إلى تقوى الله سرًّا وعلانية، فإن الملَكين عن يمينه وشِماله يرصُدان عملَه لا يفوتهما منه فائتة.

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾

• لو علمتَ بمُخبِرٍ يرقُبُك ويتتبَّعك لأوجستَ منه خِيفة، وكنت منه على حذَر، فما بالُك بمَن يرقُب أعمالكْ، ويكتب أقوالكْ؟!

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ﴾

تَحِيدُ: تهرُب، وتَروغ.

• الموت حقيقةُ الحقائق لا يُنكرها عاقل، ومن الخير لك أن تواجهَ هذه الحقيقة؛ بأن تُعدَّ لها العُدَّة.

• أيها الغافلُ اللاهي، إن فرارَك من الموت ما هو في الواقع إلا إقبالٌ عليه، لأنه قدَرُك الذي لا مفرَّ منه، فتنبَّه!

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ (٢٠) ﴾

• أنَّى للعاقل أن يهنأ وهو يعلم أن الملَك الموكَّل بالقَرْن يوشكُ أن ينفُخَ فيه للبعث والحساب؟

﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) ﴾

• إنه لمشهدٌ مفزِع حين يُساق العبدُ إلى محكمة العدل الإلهيَّة، والشاهدُ حاضر ليُدليَ بشهادته بالحقّ.

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) ﴾

غِطَآءَكَ: حِجابَ غَفلتك عن الآخرة.

• لا تزول حُجُب الغفلة التي تَحول بين المرء وقلبه إلا بالإيمان الصادق، ودوام ذِكر الله تعالى.

• مَن لم يرفَع عن عينيه في الدنيا غِشاء الشَّهَوات وغِطاء الشُّبهات رُفع عنه يومَ القيامة قسرًا؛ ليُبصرَ بعينَي قلبه ما غَفَل عنه طويلًا.

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) ﴾

قَرِينُهُۥ: (هنا) المَلَك الذي يشهد عليه.
عَتِيدٌ: مُعَدٌّ حاضرٌ محفوظ.

• ما تفعلُه في رحلة الحياة تجدُه مسطورًا بحذافيره في شهادة الملَك الموكَّل بك، فاملأ صحيفتَك بما تحبُّ أن تراه غدًا؛ خيرًا أو شرًّا.

﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) ﴾

• مضى زمنُ الإمهال وحان وقتُ الحساب، فمَن آثرَ الكفرَ على الإيمان استحقَّ أشدَّ العقاب.

• العِنادُ صفةٌ ذميمة تَحول بين المرء وقبول الحقِّ مهما أُقيم عليه من حُجَج، وظهر له من بيِّنات.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ (٢٦) ﴾

• لا يقتصر الشِّركُ على السُّجود للحَجَر والشَّجَر، فكم من شِركٍ خفيٍّ يُودي بصاحبه إلى الجحيم.

﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ (٢٧) ﴾

قَرِينُهُۥ: (هنا) الشَّيطان الذي كان يصاحبُه في الدنيا.

• ما أسرعَ أن يتبرَّأ شيطانُك منك ومن عملك؛ ليَذرَك وحدَك في مواجهة مصيرك المحتوم، كما تبرَّأ من المشركين يومَ بدرا!

• مَن انحرفَ عن درب الهُدى يوشك أن يضلَّ، فإن مضى في السَّير ازداد من الحقِّ بُعدًا.

﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ (٢٨) ﴾

• لا ينفعُ أهلَ الضَّلال تخاصمُهم وتلاومُهم واعتذارُهم يوم القيامة؛ إذ أُقيمَت عليهم الحُجَّة من قبل.

﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) ﴾

• من سنن الله التي لا تتغيَّر: أنَّ المحسنَ يُكافأ بالإحسانْ، وأنَّ المسيء مستحقٌّ للعقوبة والحرمانْ.

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) ﴾

• لا تفتأ جهنَّم تطلب المزيدَ من الكفَّار والعُصاة، فلنحذَر أن نكونَ من أهلها.

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) ﴾

وَأُزْلِفَتِ: قُرِّبَت.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ
قَعِيدٌ (١٧) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ (٢٠) وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
(٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ (٢٦) ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ الحزب ٥٢
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩)
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
(٣٢) مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)

٥١٩

• يا له من شرفٍ للمؤمن الذي تقرَّب إلى ربِّه في الدنيا؛ تُدنى منه الجنَّة على جلالها وتقرَّبُ إليه؛ مبالغةً في تكريمه والإنعام عليه.

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ﴾

• وعدُ الله كائنٌ لا محالة، فلنتجمَّل بحفظ العهد والرجوع دومًا إلى الحقِّ؛ لنفوزَ بجميل وعده سبحانه.

• إذا ما خلَوتَ يومًا بنفسك، ودعَتك إلى معصية ربِّكْ، فذكِّرها بما أعدَّ الله للأوَّابين، فلا أخسرَ ممَّن باع هذه المنزلةَ بشهوة عابرة.

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ (٣٤) ﴾

• أيها المسلمُ، لقد عشتَ حياتك تنشر السَّلامْ، وتحمل في قلبك للعالم الوئامْ، فهنيئًا لك الخلودُ في الجنانْ، بأمنٍ واطمئنانْ.

• مسكينٌ من يفرِّطُ في هذه المكافأة العُظمى: خلودٌ أبديّ، وبقاءٌ سَرمَديّ، في نعيم لا يزولْ، وسعادة لا تَحولْ.

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) ﴾

• عطاء الله غيرُ محدودْ، وكرمُه لا تحدُّه حدودْ، يكافئ أهلَ جنَّته بتحقيق مآربهم وما يشتهونْ، ويزيدُهم من فضله أضعافَ أضعافِ ما يؤمِّلونْ.

وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ
فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن
كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ
قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ
وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ
﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ
عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾

٥٢٠

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾

فَنَقَّبُواْ: فطوَّفوا.

مَّحِيصٍ: مَهرَب.

- مَن لم يعتبِر بمصير الأمم الجاحدة قبله أصابه ما أصابهم من بطشٍ وتنكيل.
- لا يُنجي من سخط الله قوَّةٌ ولا حيلةٌ ولا تدبير، فخيرٌ لك أيها المغرورُ أن تفرَّ إلى مولاك؛ لتأمنَ انتقامَه وعقوبتَه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾﴾

- أكثر القلوب انتفاعًا بالمواعظ والبصائر هي القلوبُ التي تميلُ لسماع القرآن كما تميلُ الأذنُ لسماع الصَّوت الحسن.
- إن لم تكن قادرًا على تدبُّر الآيات بنفسك، فلا أقلَّ من أن تُصغيَ باهتمام لمن يُبصِّرك بها.
- إذا وجدتَ أنك تسمع القرآنَ ولا تتأثَّر به، ففتِّش عن علَّة في قلبك، فإنه أعظم كلام.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾﴾

لُّغُوبٖ: تعَب.

- من الأدلَّة على كمال قدرة الله سبحانه إيجادُه أعظمَ مخلوقاته من عدَم، دون تعَب ولا نصَب.
- لو شاء الله أن يخلقَ الكونَ كلَّه في لحظة لفعلَ سبحانه، ولكن فيما اختاره توجيهٌ لطيف للإنسان، بضرورة التأنِّي في العمل والإتقان.

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

- طريقُ الدعوة محفوفٌ بالابتلاء، وألوان المصاعب والإيذاء، وعلى الدعاة أن يوطِّنوا أنفسَهم على الصبر في مقارعة الباطل.
- ممَّا يُعين الداعية على التجلُّد والصَّبر، الصلاةُ ودوامُ التسبيح والذِّكر.

﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾

- الفطِن يكون دائمًا على ترقُّب واستعداد، لنداء الملَك للبعث والحساب.
- تذكَّر يوم خروجك إلى المصلَّى في الأعياد، خروجًا آخر مؤكَّدًا، ولكنَّه إلى ساحات الحشر والجزاء.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾

- إن الذي يتفرَّد بالخلق والتدبير والإحياء والإماتة، لجديرٌ أن يُفردَ وحدَه بالتعظيم والعبادة.

﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾﴾

سِرَاعٗا: مُسرعين.

- يا له من مشهد؛ حين يُحشَر الخلقُ كلُّهم في صَعيد واحد للحساب، لا يُنجي المرءَ يومئذٍ إلا عملُه!
- ما يبدو لنا صعبًا عسيرًا، هو عند الله سهلٌ يسير، فما أضعفَ المخلوق، وما أعظمَ الخالق!

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

- أيها الدعاة، إنما وظيفتكم تبليغُ رسالة الإسلام وتبيينُ شرع الله، وهو سبحانه أعلمُ بخصومكم، وعند الله تجتمعُ الخصوم.
- القرآن تبصرةٌ وعِظة، فيه الحجَّةُ البالغة والموعظةُ البليغة، ولكن هيهاتَ أن ينتفعَ به إلا من يخافُ الوعيدَ، ويطمعُ بالموعودَ.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾﴾

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ: قسَمٌ بالرِّياح المُثيرات للتُّراب.

فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا: السُّحُبِ الحاملاتِ ثِقلًا عظيمًا من الماء.

فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا: السُّفُنِ التي تجري في البحار بيُسر.

- لا يُقسم الله سبحانه إلا بعظيم؛ يتجلَّى فيه عجيبُ صَنعته، وكمالُ قدرته، وجمالُ تدبيره.
- في الرياح من العِبَر الكثير؛ في تفاوت أحوالها بين هُبوب وسكون، وشدَّة ولين، وفي تنوُّع منافعها، وعِظَم الحاجة إليها.
- سخَّر الله كونه وملائكتَه لسعادتنا، وما فيه خيرُنا، فهلَّا شكرناه اعترافًا بفضله!

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾﴾

- إذا كان ما يُقسِم الله به من مخلوقاته جليلًا عظيمًا، فإن ما يُقسِم عليه لا شكَّ أجلُّ وأعظم.
- كيف يشكُّ عاقلٌ بوعد الله من حساب وجزاء، وقد أقسم سبحانه أن ذلك واقعٌ حقًّا بلا امتراء؟!

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ
أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾
كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ
دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾
فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

٥٢١

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾

ذَاتِ ٱلْحُبُكِ: ذات الخَلق الحسَن والطرُق التي تسيرُ فيها الكواكب.

• أبدع الخالقُ سبحانه في إتقان خَلق السماء وما فيها من كواكبَ ونجوم؛ فكانت شاهدًا ناطقًا بكمال صفاته.

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾

يُؤْفَكُ عَنْهُ: يُصرَف عن القرآنِ والرسول ﷺ.

• تناقضُ الآراء دليلٌ على فسادها وبُطلانها؛ لأنَّ الحقَّ لا يتناقض.

• مَن زاغَ عن الحقِّ أزاغَ الله قلبَه فصرفه عن الهداية والتوبة، ومَن طلبَ الحقَّ وُفِّق إليه، وأُعينَ على الثبات عليه.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾

ٱلْخَرَّٰصُونَ: الكذَّابون، الظَّانُّون غيرَ الحقِّ.

• مَن اعتمد الأوهامَ والظنون دليلًا خابَ سعيُه، وضلَّ رشدُه.

• لا يقوم العلم إلا على أسس من الأدلَّة اليقينيَّة القاطعة، لا على الظنِّ والوهم.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾

• من أقبح الجرأة استعجالُ الكفَّار ليوم القيامة؛ تكذيبًا له واستهانةً به وتحدِّيًا وكِبرًا.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

• ما زال المكذِّبون يعرِّضون أنفسَهم لفتنةٍ تلوَ أخرى من فتن الدنيا، حتى ذاقوا الفتنة الكبرى التي أنستهُم جميعَ الفتن قبلها، فلا تعرِّض نفسَك للفتن.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾

• مَن أطاع الله في الدنيا عن رضًا وتسليم، أثابه مولاه وخصَّه بالنعيم، فأين المشمِّرون المحسنون؟

• لا يجني طيِّبًا إلا مَن زرع طيِّبًا، والله لا يُضيع أجرَ من أحسن عملًا.

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

• لصلاة الليل مَزيَّةٌ من سائر العبادات، فهي من خير ضروب الإحسان؛ لأنها دليلٌ على الإخلاص وتواطؤ القلب واللسان.

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾

• يا لها من مرتبةٍ رفيعة؛ أن يفرضَ المرء على نفسه البذلَ عن طيب خاطر؛ رجاءَ ما عند الله!

• من كمال الكرم والسَّخاء، تحرِّي الفقيرَ المتعفِّفَ الذي لا يسأل الناسَ لشدَّة الحياء.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

• مَن تكونُ له في الأرض الآياتُ العظيمة تكونُ له القدرةُ التامَّة، أفلا يستحقُّ أن يُخشى ويُتقى؟!

• نَسَمات اليقين تُحيي مشاهدَ الأرض فتبوحُ للفؤاد بأسرارها المكنونة؛ ناطقةً بما وراءها من إبداع الخالق وحُسن تدبيره.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

• قال قَتادة: مَن تفكَّر في نفسه علمَ أنما لُيِّنَت مفاصلُه للعبادة.

• إذا ما تفكَّر الإنسانُ في نفسه استنارَت له آياتُ الربوبيَّة، وسطعَت له أنوارُ اليقين، واضمحلَّت غمَراتُ الشكِّ عنه.

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• أسبابُ الرزق في الأرض ظاهرًا، ولكنَّها في الحقيقة في السماء، بيد مدبِّر الأسباب ومقسِّم الأرزاق، فادعُ الذي في السماء تُفتَح لك خزائنُ الأرض.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

• إن رزقك أيها الإنسان مقدَّرٌ مقسوم، وهو لك حقٌّ مؤكَّد مضمون، فما عليك سوى الدأب لكسبه بالحلال، وإن قُطع عنك من طريق، أتاك من غير طريقٍ وطريق.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

• ليس كالسَّخاء خَلَّةٌ يكسِبُ بها الداعيةُ قلوبَ الناس؛ طمعًا في صلاحهم وهدايتهم.

• من آداب الإسلام العظيمة بَدءُ الآخرين بالسلام، وردُّ التحيَّة بأحسنَ منها.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

• المبادرةُ إلى إكرام الضَّيف، والقيامُ على خِدمته، والتلطُّف في دعوته، وإيثاره بخير الزَّاد ديدَنُ النبلاء.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

• إذا ما توجَّس منك شخصٌ فلا تدَعه وتوجُّسَه، ولكن سارع إلى طمأنته وإزالة ما ساورَه من شكٍّ تجاهك.

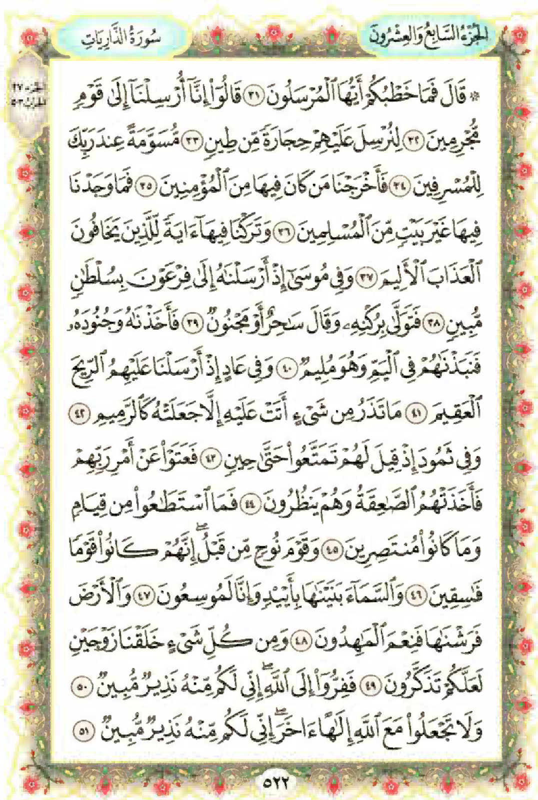
• من أعظم ما يشرُف به المرء العلم، فهو رفعةٌ عند الله، ومجدٌ بين الناس.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

صَرَّةٍ: صيحة وضجَّة.

• إذا ما فَجَأك أمرٌ تكرهُه، أو نزل بساحتك قضاءٌ تستثقلُه؛ فأكثِر من التفكُّر في اسمَي الله (الحكيم العليم)، فذلك معينٌ لك على الرِّضا والتسليم.

• مشيئة الله لا تتقيَّد بمألوف البشَر وعاداته، ولكنَّها ماضيةٌ نافذة بلا حدود أو قيود.


الجزء السابع والعشرون — سورة الذاريات

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ
ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ
فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

٥٢٢

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

• إن نزل بك ضيفٌ غريب لا تعرفه، ولا تدري ما خطبُه، فبادر إلى إكرامه، ثم سَله بعد ذلك عن شأنه.

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

• إن الله يُمهل الظالم إمهالًا، حتى إذا ما تجاوز في الطُّغيانْ، وأصرَّ على الفجور والعصيانْ؛ عاقبه وجلَّله بالخزي والخُسرانْ.

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

• لا عبرةَ بحسَبٍ ولا نسَب، إنما العبرة بالإيمان والعمل.

• إنَّ الله لا يُضيع أهلَ طاعته، فمَن استمسك بالإيمان فاز ونجا في الدنيا والآخرة.

• البيتُ المسلم هو اللَّبِنةُ الأولى في صَرح المجتمع المنشود، ولا صلاحَ للمجتمع إلا بصلاحه.

﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾

• أبقى الله علاماتٍ من إهلاكه الأممَ الخالية؛ لتكونَ دليلًا على قُدرته وشدَّة انتقامِه، وعبرةً لمَن يخشاه ويتدبَّر آياته.

﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ: أعرَض فرعونُ؛ مُغترًّا بقوَّته وجانبه.

• حين يستحكمُ الكِبْر والعِناد بالإنسان فإنه ينفِرُ من الحقّ، ويُعرض عن كلِّ حُجَّة تخالف هواه.

• لا عُذرَ للدُّعاة في التقاعُس عن الدعوة، فقد لقيَ أنبياء الله المصطفون من ألوان التكذيب والافتراء أقساها؛ فما وهَنوا ولا استكانوا.

• يا له من مغرور من رَكَن إلى قوَّته، ولاذ بجماعته، واعتمد على منزلته، مُستدبرًا مصدرَ القوَّة الحقيقيَّة!

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

• السلطانُ الجائر إنما يتقوَّى بمَن خضع له واتَّبعه على الباطل، فاستحقُّوا جميعًا الهلاك؛ إذ لا طاعةَ لمخلوق في معصية الخالق.

• سخَّر الله الماء لنفع خَلقه، وجعله مَهْلَكةً للجاحدين المستكبرين؛ عبرةً لمَن يعتبر.

﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾

• لئن اعتدتَّ أن تكونَ الرياحُ لحمل المطَرْ، وتلقيح الشجَرْ، إنَّ منها ما يكون عذابًا للبشَرْ، فلا يُغني يومئذٍ حذَرْ.

﴿ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

• إن من شرِّ العقوق عقوقَ الأب المربِّي، فما بالُك بعقوق ربِّ الأرباب، والعتوِّ عن أمره، وهو الخالق المتفضِّل؟!

• مهما بلغتَ في القوَّة؛ فإن قوَّتك ليست بشيء مع قوَّة الله العزيز المقتدر، فاعرف قدرَ نفسك ولا تغترَّ بها.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

• مَن خرج عن أمر الله حلَّ به الهلاك أيًّا كان، ولن تجدَ لسنَّة الله تحويلا، وكفى بقوم نوح عِبرةً ودليلا.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

بِأَيْي۟دٍ: بقوَّةٍ وقدرةٍ عظيمة.

• ما أعظمَ السماءَ وأحسنَ خلقَها! لقد بناها الله بقوَّة وإتقان؛ لتكونَ للأرض سقفًا مرفوعًا يدلُّ على عِظَم خالقها ومُحكِمها.

• في امتداد السماء وسَعة خَلقها، إيحاءٌ إلى سَعة الأرزاق التي أخبر الله أنها فيها.

﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

• إن تمهيد بيتٍ واحد للسَّكن، فيه ما فيه من مشقَّة وعناء، فسبحان مَن وطَّأ الأرضَ كلَّها للخلق!

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

• جعل الله من أجناس الموجودات كلِّها زوجين مختلفَين، ومَن تأمَّل هذا علم أن خالق الأزواج فردٌ أحَدٌ لا ندَّ له.

• كلَّما أمعنَ الإنسان في تدبُّر آيات الله الكونيَّة ازدادَ اتعاظًا بها واعتبارًا.

﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

• قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: «فِرُّوا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم، فِرُّوا منه إليه، واعملوا بطاعته». ومن الفِرار إليه الفرارُ إلى وحيه وكتابه؛ تلاوةً وتدبُّرًا وعملًا.

• السعيد من فرَّ إلى الله بالإقبال على طاعته وشُكرانِه، والشقيُّ من فرَّ من الله بمعصيته وكُفرانِه.

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾

• ما أرحمَ الله بخَلقه؛ يدلُّهم على سبُل الرشاد ويرغِّبُهم فيها، ويُنذرهم مواردَ الهلاك وينفِّرُهم منها، ثم يأبى أكثرُ الناس إلا كفورًا!

• كم من إلهٍ يتَّخذه الناسُ بالباطل؛ من هوى نفسٍ واغترارٍ بعقلٍ وتعظيمِ عادة، وهم عن ذلك غافلون!

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ٥٣﴾

أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦ: هل وَصَّى بعضُهم بعضًا بالتَّكذيب؟

• دَيدَنُ المجرمين المستكبرين، اتِّهامُ المؤمنين، ووَصمُ المصلحين؛ بكلِّ سُبَّة شنيعه، وخَلَّة وَضيعه.

• عجبًا لأهل الباطل من الأوَّلين والآخِرين؛ كيف تواردوا على فعل واحد؛ في التشنيع على أنبيائهم والسُّخريَّة منهم!

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾

• أيها الداعية، لا تُبال بمَن استكبر وأصرَّ على الضلال، ولا تذهب نفسُك عليه حسَرات، فحسبُك أنك لم تقصِّر في تبليغ الرسالة، ولم تألُ جهدًا في النصح والإرشاد.

• الذكرى تزيد المؤمنَ إيمانًا ويقينًا، ومَن ذُكِّر بآيات الله ولم يتذكَّر فليُبادر بالتوبة؛ فإنه على خطَر!

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾

• إذا ما عملتَ للغاية من وجودك، فُزتَ في الدنيا بالسعادة والرضا، ووجدتَ في الآخرة تكريمًا ونعيما، وفضلًا من الله عظيما.

• لا تقتصرُ العبادةُ على إقامة الشعائر، فهي تشمل كلَّ عمل يُراد به رضا الله وحدَه.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧﴾

• إن الله غنيٌّ عن خلقه، لا يريد منهم إلا ما فيه صلاحُهم وخيرُهم، وهم المفتقرون أبدًا إليه المحتاجون دومًا إلى فضله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾

• من تمام قوَّة الله سبحانه إيصالُه الرزقَ إلى جميع خلقه، وتكفُّله بحوائجهم في كلِّ قُطر ومكان، وعلى مدار الدهور والأزمانْ.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ٥٩﴾

ذَنُوبٗا: نصيبًا من العَذابِ سينزلُ بهم.

• ما أشبهَ الليلة بالبارحة؛ فها هم أولاء المكذِّبون الظالمون يسيرون على سَنَن سلفهم في استعجال العذاب؛ استهانةً به وجهلًا بحقيقته، وإنه لمصيبُهم كما أصاب مَن قبلهم.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾

• يا لخيبة وشقاء مَن أدركه وعدُ الله يومَ الحساب، قبل أن يتوبْ، وإلى الحقِّ يؤوبْ!

سُورَةُ الطُّورِ

﴿وَٱلطُّورِ ١﴾

• تكتسب الأماكنُ الشرفَ بعِظَم ما تشهدُه من أحداث؛ وقد خصَّ الله جبلَ الطُّور بالتعظيم؛ لكونه أوَّلَ مكانٍ كلَّم فيه نبيَّه موسى تكليمًا.

﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣﴾

قسَمٌ بالقرآنِ المكتوبِ في صُحُفٍ مَنشورة مَبسُوطة.

• ليست العِبرةُ بالكتابة بماء الذهب أو على نفيس الورق، ولكن بما يُسطَّر في الكتاب من الحقِّ والهدى.

• كتابُ الله متاحٌ لكلِّ ناظر؛ لصدق ما فيه، وصحَّة معانيه؛ فلا يأتيه الباطلُ من مكانْ، وليس فيه ما يُطوى أو يُخفى عن العِيانْ.

﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ٤﴾

قسَمٌ بالبيتِ الذي في السَّماء، يطوفُ به كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ مَلَك.

• لستَ وحدَك من يعبدُ الله ويعظِّم حرُماته؛ إذ في السماء ملائكةٌ تجتهد في طاعته، أفلا تقتدي بهم؟

• إنما عُمِر البيتُ في السماء بعبادة الله تعالى، ولن تُعمَرَ بيوتُ المسلمين في الأرض إلا بالعبودية والطاعة له سبحانه.

﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥﴾ قسَمٌ بالسَّماء.

• ما أجلَّ مِنَنَ الله علينا؛ رفعَ فوقنا سقفًا عظيمًا، يحمينا به ويقينا، ويجودُ علينا منه بصُنوف المنافع والخيرات!

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦﴾

ٱلۡمَسۡجُورِ: المَملُوءِ بالماء.

• لم يملأ اللهُ البحرَ بالماء فحسبُ، ولكنَّه ملأه بعجائب مخلوقاته الدالَّة على بديع صُنعه، وعظيم قدرته، وكمال قوَّته.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾

• قرأ عمرُ ﷺ {والطُّور} إلى قوله: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ} فبكى ثمَّ بكى، ثمَّ مرض حتَّى عاده الناسُ من وَجَعه ذلك.


الجُزۡءُ السَّابِعُ وَالعِشۡرُونَ — سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ
٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ
بِمَلُومٖ ٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥ وَمَا خَلَقۡتُ
ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ
أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ
٥٩ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠

سُورَةُ الطُّورِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ
ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ
مَوۡرٗا ٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ
١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤

٥٢٣

• مهما أوتيَ العبدُ من قوَّة، وأحاطَ به من أنصار وأتباع، فلن يردَّ عن نفسه مثقالَ ذرَّة من عذاب، فليحذَر سخطَ ربِّه، وليحرِص على رضا مولاه.

﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠﴾

تَمُورُ: تتحرَّكُ وتضطرِب.

• السماء الشديدةُ في بنائها، والجبال الراسخةُ في شموخها، تضطربُ أحوالها وتتبدَّل يوم القيامة لهَول المشهد وعِظَم الخَطْب، فكيف بكَ أيها العبدُ الضعيف؟!

﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢﴾

• أشدُّ الناس شقاء وخُسرانًا من ضيَّع السعادة الأبدية بلهوٍ باطل وخوض في الترَّهات؛ فلا هو نجح في دُنياه، ولا أفلحَ في أخراه!

﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾

يُدَعُّونَ: يُدفَعونَ بعُنفٍ وشِدَّة.

• لمَّا كان المكذِّبون يدفعون الحقَّ دفعًا ويُعرِضون عنه إعراضًا؛ استحقُّوا أن يُدفعوا بعُنفٍ وغِلظة إلى جهنَّم؛ إهانةً لهم وتنكيلًا بهم.

أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ
أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ
وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا
كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا
بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا
كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾
يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ
غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ
﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا
مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ
ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

ربع الحزب ٥٣

٥٢٤

﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

• عذابُ الآخرة حقيقةٌ ثابتة، إن لم تُبصرها في الدنيا بعينَي فؤادك وتعمل لها، فستُبصرها بعيون جوارحك وتتجرَّع مُرَّها.

• مصيرُك أيها الإنسانُ بيدكْ، وحسابُك عن عملك لا عمل غيرك، فاختَر لنفسك؛ فإنما هو نعيمٌ مقيمٌ، أو عذابٌ أليمٌ!

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾

• تقدَّم الوعيدُ بالجحيم والعذابْ، وأعقبه الوعدُ بالنعيم والثوابْ، ليُحلِّق العبدُ دومًا في العَلاءْ؛ بجناحَي الخوف والرجاءْ.

• كلماتٌ قليلةُ المباني كثيرةُ المعاني؛ تبشِّر الصالحين الأتقياءْ، بأوفى ثواب وجزاءْ. ولمثل هذا فليعمَل العاملون.

• ما استحقُّوا هذا النعيمَ إلا بالتقوى؛ بامتثال ما أُمروا به، واجتناب ما نُهوا عنه، فاحذَر أن تُفقَد حيثُ أُمرتَ، وأن تكونَ حيثُ نُهيت.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾﴾

عِينٍ: واسِعاتِ العُيونِ، حِسانِها.

• من أطاعَ اللهَ في الدنيا، واتَّقاه في مَطعَمه ومَشرَبه وسائر شؤونه؛ منَّ عليه في الآخرة بصُنوف النعيم المقيمْ، وألوان التشريف والتكريمْ، ذلك فضلُ العزيز الكريمْ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾﴾

وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم: ما نقصناهم بهذا الإلحاق.

رَهِينٞ: مرهونٌ بعمله، لا يحملُ ذنبَ غيره.

• أيُّ إكرام من الله لعبده المؤمن؛ علم ما يُكنُّه قلبُه من رحمةٍ وشفقة على فِلذات أكباده، فأقرَّ عينَه بهم في الجنَّة، ولو كانوا دونه في العمل.

• لا يتَّكِلَنَّ أحدٌ على عمل أحد؛ فكلٌّ مَرهونٌ بعمله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾

• فضلُ الله في الجنَّة لا ينقطع؛ فهو عطاءٌ دائم بكلِّ لذيذ محبَّب مُستطاب.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾﴾

يَتَنَٰزَعُونَ: يتعاطَونَ بينهم، ويُناولُ بعضُهم بعضًا.

كَأۡسٗا: من الخمر.

وَلَا تَأۡثِيمٞ: ولا يقعُ بسَبَبِها إثمٌ في قولٍ أو فعل.

مَّكۡنُونٞ: مَصونٌ، مستورٌ في أصدافه.

• يا مَن كبَحتَ جِماحَ شهَواتك في الدنيا مخافةً من الله وطاعةً له؛ أبشِر بكلِّ ما تشتهيه نفسُك؛ فضلًا من الله وإنعامًا.

• إذا كانت صفاتُ الغلمان المختصِّين بخدمة أهل الجنَّة قد بلغت في الحُسن الغاية؛ فما ظنُّكم بصفات أهل الجنَّة المكرَّمين؟!

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

عَذَابَ ٱلسَّمُومِ: عذابَ النَّارِ التي تَنفُذُ في المَسامِّ.

• مَن خاف اللهَ في الدنيا أمَّنه في الآخرة، ورضَّاه وأسعده.

• يا لها من ساعات يسترجعُ فيها أهلُ الجنَّة ذكرياتِهم الغابرة؛ عن حياة قضَوها في طاعة الله وابتغاء رضاه؛ فليصنَع كلٌّ منَّا ما يكون له في الآخرة ذكرياتٍ حسنةً مُبهجة.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

ٱلۡبَرُّ: المُحسِنُ، كثيرُ الخَير.

• إن ربَّنا سبحانه لذو عطاء واسع، وفضل جزيل، ورحمة دائمة، أفلا نُخلص له العبادة، ونبسُط إليه أكفَّ الضَّراعة ونجأر بالدعاء؟!

﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾

بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ: بسَبَبِ إنعامِ الله عليكَ بالنبوَّة، ورجاحةِ العَقل.

• امضِ في سبيلك؛ مُستمسكًا بشرع الله معتزًّا به داعيًا إليه، ولا تعبأ بما يفتريه أعداء الأمَّة في الإعلام وسواه من التُّهَم الملفَّقة، والأكاذيب المنمَّقة.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾

• لئن كان الفجَّار المكذِّبون يترقَّبون هلاكَ الدعاة والمصلحين؛ إن الدعاة ليترقَّبون كذلك أن يحلَّ بالمكذِّبين وَعيدُ الله وتهديدُه، وشتَّان بين ترقُّب وترقُّب!

الجُزْءُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ — سُورَةُ الطُّورِ

أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٣٢ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ
بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ
٣٤ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ
أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ
مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩
أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٠ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ
فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤١ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ٤٢
أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ
يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا
وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٧ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ
بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩

سُورَةُ النَّجۡمِ

٥٢٥

﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

أَحۡلَٰمُهُم: عقولُهم.

طَاغُونَ: متجاوِزون الحدَّ في العِصيان.

• إذا ما تجاوزَتِ النفوسُ الحدَّ في المكابرة والعِنادْ، حُرمت العقولُ من الرُّشد والسَّدادْ.

• العقولُ الراجحة الواعية تهدي صاحبَها إلى الحقِّ وتبصِّره بسُبل الرَّشاد.

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

تَقَوَّلَهُۥ: اختلَق القُرآنَ من عندِ نفسِه.

• خيرُ وسيلة للدفاع الهجوم؛ فمَن أورد عليك شُبهةً باطلة فخيرُ ما تدحَضُ به شُبهتَه أن تتحدَّاه بأن يقيمَ عليها دليلًا.

• ما أكثَرَ الدَّعاوى الباطلةَ التي لا تلبثُ أن تتلاشى حين توضع على مِحكِّ الحُجَج والبراهين، فيُعرَف أن أصحابها ما هم إلا أدعياء مفترون!

﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

• ليس لسليم العقل صحيح الفِطرة أن يزعُمَ وجودَ حادثٍ بلا مُحدِث، ولا مخلوقٍ بلا خالق، فكيف لا يخضعُ لخالقه العظيم؟!

• الحُجَج العقليَّة والبراهينُ العلميَّة سبيلٌ ناجعة لهداية كثير من العقول الحَيرى.

﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

خَزَآئِنُ رَبِّكَ: خزائنُ رزقِه ورحمتِه.

• عجبًا للفقير كيف يتطاولُ على الغنيِّ المنعِم، وللضعيف كيف يتعالى على القويِّ المسيطِر! فما أشدَّ غرورَك أيها الإنسان!

﴿ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

• حين يستبدُّ بالمرء الضَّلال والكِبْر فإنه يجنَح بأوهامه إلى ادِّعاءات هشَّة ظاهرةِ البُطلان.

• في غياب الحُجَّة والمنطق تحضُر الهَرطَقة والأباطيلُ المضحكة!

﴿ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

• هي حقًّا قسمةٌ جائرة؛ أن ينسُبَ المستكبرون المغرورون لأنفسهم ما يحبُّون، وينسُبوا لسواهم ما يكرهون، تعالى الله عن البنات والبنين.

﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

مِّن مَّغۡرَمٖ: من التزام غرامةٍ تطلبها منهم.

مُّثۡقَلُونَ: متعَبون، مجهَدون.

• على الداعية أن يتحلَّى بعزَّة النفس والجُود، ويجعلَ يده أبدًا يدًا عُليا، ويأنفَ أن يتكسَّبَ من دعوته، أو أن تكونَ يدُه يدًا سُفلى.

• ما عند الله خيرٌ وأبقى، فليحرص الدعاةُ على التأسِّي برسول الله ﷺ في دعوتهم؛ بجعلها عملًا خالصًا له سبحانه، لا يبتغون عليها جزاءً ولا شكورًا.

﴿ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

• لا يعلم الغيبَ إلا الله وحدَه، فمن ادَّعى معرفةَ شيء منه فقد حكَمَ على نفسه بالضَّلال، ولو تزيَّا بزيِّ الأتقياء العبَّاد!

﴿ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

ٱلۡمَكِيدُونَ: الذين يرجعُ مكرُهم على أنفسِهم.

• مهما دبَّر أعداء الإسلام من مكرٍ بالمؤمنين والمصلحين، فإنَّ الله محيطٌ بمكرهم، رادٌّ لتدبيرهم، فطِب نفسًا أيها المسلمُ ولا تخشَ إلا الله.

﴿ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

• ما أضلَّها من عقول؛ تلك التي تأبى إلا أن تجعلَ لله ندًّا تُشركه في عبادته، مع أنه سبحانه المتفرِّد في الخَلق والرِّزق والتدبير!

﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾ ﴾

كِسۡفٗا: قِطَعًا.

مَّرۡكُومٞ: متَراكِم بعضُه فوق بعض.

• لا عمى أشدُّ من عمى الكفَّار، ولا قلوبَ أقسى من قلوبهم؛ تنزل بهم آياتُ العذاب جليَّةً، فيُبصرونها بعيونهم، ثم لا يتَّعظون بها ولا يهتدون سبيلًا!

• ما أشبهَ ضُلَّالَ اليوم بضُلَّال الأمس؛ يجحَدون الآياتِ والنُّذُر ويسمُّونها ظواهرَ طبيعيَّة، وينسُبون المُهلكَ منها إلى غضب الطبيعة لا إلى غضب ربِّ الطبيعة!

﴿ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

يُصۡعَقُونَ: يُهلَكون.

• قد يَكيدُ الكفَّار والمنافقون في الدنيا ما شاؤوا، فإذا جاء يومُ القيامة اضمحلَّ كيدُهم، وبطَل إفكُهم، فلا تحزن أيها المؤمن الموحِّد.

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ: عذابَ القبر، وما قبله ممَّا يقع في الدنيا عليهم.

• ليحذَرِ الغافل أن تصرفَه الغفلةُ عن فهم حقيقة ما يحلُّ به من عذابٍ في الدنيا؛ فإنما هي رسالةُ تذكير ليستدرك، وإلا جاءه من العذاب ما لا يُطيق في الآخرة.

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

بِأَعۡيُنِنَا: بمرأى منَّا، وحِفظٍ واعتِناء.

وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ: وقتَ غَيبةِ النُّجوم.

• كلُّ من حمَل على عاتقه أمانةَ الدعوة إلى الله عليه أن يهيِّئَ نفسَه لمشاقِّ الطريق الطويل؛ بالاحتساب والصبر الجميل.

• أيها العبدُ، كن مع الله ولا تُبالِ، فمَن أحاطَه الله برعايته وحِفظه لم يضرَّه شيء.

• التسبيحُ ودوام الذِّكر يشحَذُ الهِمَّة على الصبر، ويزيدُ من قُدرة المرء على التجلُّد والثَّبات؛ فما أحرانا أن نتمسكَ به.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ
ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥
ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨
فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠
مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ
نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥
إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ
مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ
ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ
وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ٢٤ فَلِلَّهِ
ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي
شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦

الحزب ٥٣

٥٢٦

سورة النجم

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١﴾

• حتى النجومُ المرتفعةُ تهوي وتسقط، وتذهب وتضمحل، ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلال والإكرام.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾

• إن الله يُدافع عن أوليائه وأهل طاعته، فاثبُت أيها المسلمُ على الحقِّ وامضِ في دعوتك، ولا تخشَ في الله لومةَ لائم.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣﴾

• إذا ما جاهدَ المسلم نفسَه، وأخضع للحقِّ قلبَه، لم يصدُر في شيء من أقواله وأفعاله إلا عمَّا يحبُّه المولى ويرضى.

• مَن أطاعَ هواه، أضاعَ هُداه، فإمَّا اتِّباعُ الهدى، وإمَّا السقوطُ في الرَّدى.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾

• ما القرآنُ والسنَّة إلا وحيُ السماء لأهل الأرض؛ فيا لضلال مَن حادَ عنهما؛ اغترارًا بعقله وهوى نفسه!

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧﴾

شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ: مَلَكٌ شديدُ القُوَّة؛ وهو جبريلُ عليه السلام.

ذُو مِرَّةٖ: صاحبُ قوَّة، ومنظرٍ حسَن.

• على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ، فلا ترضَ إلا أن تكونَ قويًّا في دينك، أمينًا في دعوتك، ذا عزيمة وهمَّة.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾

قَابَ قَوۡسَيۡنِ: كان دُنوُّه مِقدارَ قَوسَين.

• لا تتحقَّق رفعةُ العبد إلا بكمال عبوديَّته لربِّه.

• مهما ارتقيت في سُلَّم النجاح، وترقَّيت في مراتب الفلاح؛ فتذكَّر أنك لا تزال لله عبدًا.

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾

• تأمَّل كلَّ ما حولك بعينَي قلبك لا رأسك، فإذا ما واطأ القلبُ العينَ بلغت مرتبة اليقين، ويا لها من مرتبة!

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣﴾

نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ: مرَّةً أُخرى، أي: في صُورته الحقيقيَّة التي خُلق عليها.

• ليس بعد شهادة الله لنبيِّه ﷺ بالصِّدق شهادة، وكفى به سبحانه شهيدًا.

﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤﴾

سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ: شجرةُ سِدرٍ في السَّماء السَّابعة، ينتهي إليها ما يُعرَجُ به منَ الأرض، وما يُهبَطُ به من فوقها.

• تشابهُ الأسماء لا يعني تشابهَ الحقائق، كم بين سِدرة السماء وسِدرة الأرض؟!

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥﴾

• أيُّ شوقٍ يَهيجُ في النفوس الصادقة حينما تُوقن أن الجنَّة مأوى الصالحين المتَّقين!

• تزداد أشواقُ المؤمنين كلَّما استحضروا ما أعدَّه الله في جنَّة المأوى للمتَّقين، من نعيم مُقيم.

﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾

• كلَّما اقترب العبدُ من ربِّه بطاعتِه، ناله من فضله وبركتِه، وهل أعظمُ من فضل الله وعطائه؟

• من كمال الأدب في حضرة الكبار ألا تتلفَّت يمنةً ويسرةً وتُجيلَ بصرَك هنا وهناك.

• لزومُ الأدب ورباطةُ الجأش في مقام الدهشة والذهول لا تُطيقه إلا النفوسُ الكبيرة.

﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾

• آياتُ الله أكبرُ من تكذيب المكذِّبينَ، وجَحد الجاحدينَ، وهي أظهرُ من أن تخطئَها العيونُ المبصرة، والقلوبُ المتبصِّرة، ولكن ما الحيلةُ في مَن عميَ فؤادُه؟!

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾

• يا لها من عقولٍ طائشة تلك التي تنصرفُ عن ربِّ البشَر، لتخضعَ وتذلَّ لما يُصنَع من حجَر!

• لا تشغَل نفسَك بالردِّ على فروع الضلالات والشُّبهات، ووجِّه همَّتَك إلى نقض الأصول والكلِّيَّات.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾

ضِيزَىٰٓ: جائرة.

• لو عرَف المفترون ربَّهم كما ينبغي لقَدَروه حقَّ قدره، ولكنَّهم ضلُّوا عن جلاله وكماله، فافترَوا عليه أشنعَ الافتراء!

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣﴾

• من أسلم نفسَه لشُبهات الظنِّ، وانقادَ لهوى النفس، ضلَّ السبيلَ ولم يهتدِ إلى حقٍّ قطُّ.

• لا سلطانَ يعلو على سلطان الحجَّة والدليل؛ فمن تسلَّح بهما اهتدى، وأصاب المبتغى.

﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ٢٤ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥﴾

• أيها الإنسان، إنك أعجزُ من أن تحقِّق أمانيَّك بجهدك ودأبك، ما لم يكن لكَ من الله عَونٌ وتدبير.

• لله الآخرةُ والأولى، فشتَّانَ ما بين مَن يجعلُ الآخرة همَّه فيعمل لها، ومَن يحيا للدنيا؛ لا تتجاوز أمانيُّه حدودَ مُتَعها!

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾

• لا ينالُ الإذنَ بالشفاعة عند الله، إلا من أحبَّه الله ورضي عنه، فهنيئًا لمن فازَ بها.

• إن الملائكة التي لا تعصي الله أبدًا، ولا تفتُر عن عبادته، لا تنفعُ شفاعتُها إلا أن يشاء الله، فلا تغترَّ بنفسك وعملك!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾

• إذا ضعُفَ إيمانُ العبد بالآخرة، هانَ في نفسه الإفكُ والبُطلانُ، وتجرَّأ على قول الزُّور والبُهتانْ.

• مهما كثُرت الظنون وازدحمَت التخرُّصات، فإنها لا تقومُ مقامَ الحقِّ ولا تُغني عنه فتيلا!

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾

• مَن استكبرَ عن قَبول الحقِّ وتولَّى فلا تُعره اهتمامَك، ولا يُصيبنَّك لأجله همٌّ ولا غمٌّ، فإن يكُن فيه خيرٌ يأتِ به الله.

• ما زادَ تعلُّق العبد بالدنيا إلا زادَ قلبُه انصرافًا عن ذكر ربِّه.

• ما الذي تأمُله ممَّن لا همَّ له إلا الحياة الدنيا وعرَضها الزائف الزائل؟!

• من قصَرَ علمَه وهمَّته على ما يُصلح به دنياه دون أخراه خابَ وخسر، فأكثِر أيها العبدُ من الدعاء المأثور: (اللَّهُمَّ لا تجعَلِ الدنيا أكبرَ همِّنا، ولا مبلغَ علمنا).

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾

• هذا الكونُ بما فيه إنما هو مِلكٌ لله الخالق العظيم، فما أحرانا أن نستسلمَ لأمره سبحانه، ونرضى بقضائه وقدَره.

• ما أعظمَ رحمةَ الله بخَلقه وما أوسعَ فضلَه عليهم؛ يُجازي المسيئينَ بالعدل، ويكافئ المحسنينَ بالفضل!

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾

• مَن جعل دأبَه كفَّ نفسه عن الفواحش والمنكرات، واجتنابَ الكبائر والموبقات، كان من الصالحين المحسنين، المستحقِّين لجليل المَكرُمات.

• إن الله أعلمُ بعباده، فلا حاجةَ إلى أن تُعلنَ بعملك وتجهرَ بفضلك، فالزكيُّ مَن زكَّاه ربُّه لا من زكَّى نفسَه.

• قال الحسن: علمَ الله من كلِّ نفسٍ ما هي عاملة، وما هي صانعة، وما هي إليه صائرة.

• إن وجدتَ نفسَك على خير وطاعة فإيَّاكَ أن تغترَّ فيُصيبَك العُجب بعملك، ولكن ازدَد لله تواضعًا وشكرًا، واسأله دوامَ الثبات.

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾

وَأَكْدَىٰٓ: توقف عن العَطاء، وقطعَ معروفَه بُخلًا.

• الإعراضُ عن ذكر الله وهديه، والتولِّي عن سبيله وأمره، حرمانٌ لا يعدِله حرمان.

• مَن وَثِقَ بربِّه جادت نفسُه بالعطاء، وهشَّت للكرم والسَّخاء، ومَن ضعُف يقينُه بخِلَت نفسُه وشحَّت يدُه.

﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾

• من سِمات أهل الباطل الجرأةُ في اقتحام عالم الغَيب، والخَوض فيما لا علمَ لهم به.

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾

أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ: لا تَحمِلُ نفسٌ آثِمةٌ إثمَ نفسٍ أخرى.

• اتفقَت الشرائعُ الربَّانية أنه لا يجوزُ أخذُ أحد بذنب غيره، وكلٌّ يُجازى بعمله.

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

• كلُّ سعيٍ في الحقِّ ولو مثقالَ ذرَّة يجده العبدُ في صحيفته، وإنَّ الله لا يبخَسُه شيئًا من عمله.

• حين يتيقَّن العبدُ من عَرض عمله عِيانًا يوم الحساب، فإنَّ ذلك يحفزُه إلى الإكثار من الصالحات؛ طمعًا بفضل الله ومضاعفته أجورَ العباد.

• إن الله يجزي عبادَه أحسنَ الجزاء؛ يحاسبُهم عن السيِّئة بمثلها، ويضاعفُ لهم الأجرَ عن الحسنة أضعافًا كثيرة، فما أحرانا أن نقضيَ الأنفاسَ في الطاعات، وجمع الحسَنات!

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ
ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ
﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ
﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

٥٢٧

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾

• إذا كان مصيرُ الخَلق جميعًا ومُنتهاهم إلى الله وحدَه، أفلا تجعلُه سبحانه مُنتهاكَ في جميع أمرك؟!

• مَن كان اللهُ سبحانه انتهاءَ محبَّته ورغبته ورهبتِه، ظَفِرَ أبدًا بنِعَمه وأُنسه ومعيَّتِه.

• لا يُقبَل عملٌ حتى يكونَ مُنتهاه إلى الله تعالى؛ أي خالصًا لوجهه الكريم، ولا خيرَ فيما سوى ذلك.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾

• إذا أيقنَ العبدُ أنَّ مقاديرَ الأمور كلَّها بيد ربِّه وحدَه، علم أن الذي أجرى الدمعةَ في عينه قادرٌ على أن يخلقَ البسمةَ على شفته.

• إن الله تعالى هو المتفرِّد بالإحياء والإماتة، ومن كمال قُدرته خلقُ الأضداد في الموضع الواحد، أفلا يستحقُّ سبحانه أن يُفردَ بالتعظيم والعبادة؟!

• يقينُ المؤمن أن الموتَ والحياة بيد ربِّه يبعثُ في نفسه الطُّمأنينةَ والراحة، ويجعله يُقدِم على ما يُرضيه دون خوفٍ ولا وَجَل.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ
(٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ
هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَاْ فَمَآ
أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ
(٥٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥) هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ (٥٦) أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ
(٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ
(٦١) فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ (٦٢)

سجدة

سُورَةُ القَمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ
سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣)
وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ
ٱلنُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ (٦)

٥٢٨

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦)﴾

• من حكمة الله وحسن تدبيره؛ أن خلق الذكر والأنثى؛ ليستمرَّ نوعُهما، وتتكاملَ بهما الحياة ويستقيمَ أمرُها.

• استحضِر أيها العبدُ دومًا أنك مخلوقٌ من نطفة ضعيفة مَهينة، فألقِ عن كاهلك رداء الكبرياء، وتواضَع للعظيم ذي العَلياء.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧)﴾

• الإيمان بالبعث والنشور متَّصلٌ بالإيمان بالخَلق والنشأة، ومَن استحضر على الدَّوام نشأته الأولى لم يشكَّ في نشأته الأخرى.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨)﴾

ملَّكَهُمُ الأموالَ، وأرضاهم بما أعطاهُم.

• لا تمدَّنَّ عينيكَ طمعًا بما في أيدي الناس، فإنَّ الله وحدَه المعطي والمغني، فتذلَّل إليه بالطلب والسؤال، وحاشاه يردُّ سائلًا.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٤٩)﴾

ٱلشِّعْرَىٰ: نَجم مُضيء كان أهلُ الجاهليَّة يعبدونه من دونِ الله.

• ما أشدَّ ضلالَ من تعلَّق بمخلوق من المخلوقات تعظيمًا ورجاء، وأنكر الخالقَ المستحقَّ لأن يُفردَ بالإجلال والاتِّكال!

• إذا انطمسَت معالمُ الفطرة في النفس، عُظِّم المربوب، ونُسي الربّ!

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤)﴾

وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ: مدائن قوم لوطٍ ﵇، سُمِّيت بذلك لأن الله قلبها على أهلها.

فَغَشَّىٰهَا: فألبسَها منَ الحِجارة.

• من هوان الأمم الكافرة على الله وحقارة شأنها أنه استأصلها على بَكرة أبيها، برغم ما بلغَته من أوج القوَّة والطُّغيان!

• الظلمُ والطُّغيان من أعظم أسباب هلاك الأمم. قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة: إن الله يقيمُ الدولةَ العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيمُ الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥)﴾

تَتَمَارَىٰ: تتشكَّك.

• آلاء الله ونِعَمُه تستوجبُ منَّا الشكرَ والعرفانْ، لا التنكُّرَ والكُفرانْ.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ (٥٦)﴾

محمَّدٌ ﷺ مُنذِرٌ بالحقِّ كمَن سبَقه.

• مضى النبيُّ ﷺ على سَنَنِ مَن قبله من الرسُل في إقامة التوحيد وإرساء الحقِّ والعدل، وحريٌّ بنا أن نمضيَ على ذات السَّنَنِ الذي مضى عليه نبيُّنا.

﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨)﴾

• كلُّ آتٍ قريب، ومن هنا سمِّيت القيامة (آزفة) لقُرب وقوعها؛ ليبقى العقلاء دومًا على استعداد لها، وتأهُّب لأهوالها.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١)﴾

سَٰمِدُونَ: لاهون، مُعرِضون.

• البكاء عند مواعظ القرآن من سِيماء المؤمنين المخبِتين، ودليلٌ على حياة قلوبهم بالخشية واليقين.

• بقدر ما ينصرفُ المرء عن الجِدِّ ماضيًا في الغفلة واللهو، يضعُف تأثُّره بالقرآن، وتتبلَّد أحاسيسُه في استشعار عظمة آياته.

﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ (٦٢)﴾

• السجود لله أرفعُ مقامات العبودية الحقَّة، فإنَّ العبد أقربُ ما يكون من ربِّه وهو ساجد، فأكثروا منه وألحُّوا فيه بالدعاء.

سُورَةُ القَمَرِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ (١)﴾

• من لُطف الله بعباده ورحمته إيَّاهم أن أنذرهم دنوَّ الساعة؛ ليستعدُّوا للحساب ويتهيَّؤوا لهوله.

• اقترابُ المواعيد المهمَّة يحمل الإنسانَ على ترقُّبها والعناية بها أكثر، فما بالكُم بأهمِّها وأعظمِها، موعد الآخرة؟

﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢)﴾

مُّسْتَمِرٌّ: ذاهبٌ مُضمَحِل.

• من سِمات المشركين العِنادُ في ردِّ الأدلَّة الصريحة، والتنكُّر للحُجَج الفصيحة، ولا ينبغي لعاقل التشبُّه بهم.

﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣)﴾

مُّسْتَقِرٌّ: مُنتهٍ إلى غايةٍ يستقرُّ عليها.

• من شُؤم اتِّباع الهوى أنه يقودُ صاحبَه إلى التكذيب بالحقائق الظاهرة؛ حتى لا يبصرَ بعدُ رشدًا.

• كلُّ شيء ماضٍ إلى غاية؛ فالحقُّ يستقرُّ ظاهرًا باقيًا، والباطل يستقرُّ زاهقًا ماضيًا، فما أبعدَ البَونَ بين استقرارٍ واستقرار!

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤)﴾

• من أعظم الزَّواجر عن التكذيب ما بيَّنه الله سبحانه في مُحكَم التنزيل من مصير الأمم الجاحدة؛ ففيه الكفايةُ لمن أراد الاعتبار.

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ (٥)﴾

• لقد كانت قصصُ الأوَّلين وما حلَّ بهم حكمةً بالغة؛ لأن القَصصَ أدعى إلى إقبال النفس عليها، والانتفاع بعِبَرها.

• حُجَج القرآن كافيةٌ وافية في بيان الحقِّ وجَلائه، فمَن لم تُغْنه الحُجَج لم ينتفع بشيء بعدها.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ (٦)﴾

• إن موقف الحساب لموقفٌ منكرٌ فظيع، فيه من الأهوال ما تنخلعُ له القلوب فزعًا وخشية، ولا مَنجى منه إلا الإحسانُ في دار الدنيا.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾

خُشَّعًا: ذليلةً من شدَّةِ الهَول.

• بقَدر استكبار الإنسان عن حُجَج القرآن، وتعاليه على عباد الله؛ يكون ذلُّه وهَوانه في مواقف الآخرة.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

مُّهْطِعِينَ: مُسرعينَ في خوف.

• إنَّ مشهد الحساب يومَ القيامة مشهدٌ عظيم مَهول، وهو على الكفَّار والعصاة أشدُّ وأدهى.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾

وَٱزْدُجِرَ: زُجِرَ ونُهِرَ عن تبليغ الدَّعوة.

• حين يُفلس المبطلون في مقارعة الحُجَج؛ يلجؤون إلى دفع الحقِّ بالترهيب والتهديدْ، والزَّجر والوعيدْ.

• إنَّ الله شرَّف رسُلَه وهم خواصُّ خَلقه بأن وصفَهم بالعبودية له، أفلا نكون عبادًا لله مخلصين؛ لنتحقَّقَ بهذا الوصف العظيم؟

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾

• حين نهتفُ بوجعنا وشكوانا إلى الله تعالى، ونُبدي له عجزَنا وضعفَنا، فإنه لا شكَّ سيأتينا منه الفرَجُ، عاجلًا أو آجلًا.

• ليس بين دعوة المظلوم وبين الله حِجاب، فيا من تشكو الظلمَ إلى البشَر، دَعكَ منهم وتوجَّه بشكواكَ إلى ربِّ البشَر.

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾

قُدِرَ: قدَّرَهُ الله في الأزَل؛ وهو إهلاكُهم بالطُّوفان.

• إن الله لينصُر عبدَه المؤمنَ من حيثُ لا يحتسب ولا يتوقَّع، فلنُحسن الظنَّ بربِّنا، ولنُلحَّ على الدعاء.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾

ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ: سفينةٍ ذاتِ ألواحٍ، ومَساميرَ شُدَّت بها.

• تفكَّر في سفينة نُوح، كانت مجرَّدَ ألواحٍ ومساميرَ، وجعل الله فيها فرَجًا لنبيِّه، ونجاةً له وبقاءً لذرِّيته.

• حين يتيقَّن العبد أنه بعين ربِّه؛ حفظًا ورعاية، فإنَّ نفسَه تطمئنُّ وصدره ينشرح.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾

مُّدَّكِرٍ: مُعتبِرٍ ومُتَّعِظ.

• أبقى الله ذكرَ بعض وقائع إهلاك المجرمين؛ لتكونَ على تعاقب العصور عبرةً للأجيال، وعظةً للاحقين بمصير السابقين.

• لا يُحابي الله أمَّةً ولا قومًا، فمَن كفر بأنعُمه استحقَّ الدَّمارْ، ولنا في السابقين عظةٌ واعتبارْ.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

• القرآن كلامُ الله المعجز الذي يراه البلغاء قد استوفى البيانَ ولطائفَ التعبير، ويراه العامَّة أحسنَ كلام وأقربَه إلى نفوسهم وعقولهم.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾

• لا تزالُ العِبَر تُلقى على قلوب المؤمنين؛ تصبيرًا لهم وتسكينًا لأفئدتهم؛ إذ عواقبُ المكذِّبين في كلِّ أمَّة واحدة.

• من حِلم الله سبحانه ورحمته أنه يقدِّم لعباده بالنذُر؛ إنذارًا بعد إنذار، عساهم يَرْعَوون ويَفيئون إلى الرُّشد، فإن أبَوا أهلكهم ولم يُبال.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾

صَرْصَرًا: شديدةَ البَرد.

يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ: دائمِ الشُّؤم.

مُّنقَعِرٍ: مُنقلِعٍ من أصلِه.

• أعظم الشُّؤم معصيةُ الله تعالى والجنوحُ عن صراطه، فهي السببُ في شقاء الدنيا والآخرة.

• يا لهول مشهد الكفَّار وقد غدَوا جثثًا بلا رؤوس، كأنهم أعجازُ نخل قُلعت من تُربتها! إن لم يوقظ هذا المشهدُ القلوبَ خشيةً لله فما يوقظُها؟

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾

• تُلقى بعضُ الأسئلة وتُترك بلا جواب، حين يكون جوابها أعظمَ من أن يُتحدَّثَ عنه.

• يَفيض الوحيُ بألوان النذُر الموقظة للقلوب من غفلتها، فيا لضلال من يبقى في غَفلته على كثرة المواعظ!

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

• قال ابن عبَّاس: لولا أن الله يسَّر القرآنَ على لسان الآدميِّين ما استطاعَ أحدٌ من الخَلق أن يتكلَّمَ بكلام الله.

الجُزْءُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ — سُورَةُ القَمَرِ

الحزب ٥٣

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾
كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ
﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

٥٢٩

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾

• من مظاهر الضَّلال وانتكاس العقل أن يأنفَ الكفَّارُ من اتِّباع رسولٍ من البشَرْ، ولا يأنفوا من الخضوع للشجَر والحجَرْ.

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾

ٱلْأَشِرُ: المُتكبِّر المُتجبِّر.

• الحسد داءٌ يَفْري القلوبَ ويفتك بالنفوس، ويحملُ صاحبَه على كلِّ خَلَّة سوء.

• دَيدَنُ المكذِّبين الجاحدينْ، تلفيقُ التُّهَم للصالحين المصلحينْ، ورميُهم بما فيهم هم من عيوب؛ ليصحَّ فيهم المثَل: رمَتني بدائها وانسلَّت!

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾

• قد تتهيَّأ للعبد أسبابُ المعصية؛ استدراجًا له واختبارًا، فكن على حذَر، وفرَّ من المعاصي فرارَك من الأسد.

• لا نجاحَ لدعوة داعٍ إلا بسلاح الصبر والتجلُّد، فبمقدار الصَّبر يكون الفلاح، ولنستحضر قوله تعالى: {فلا تعجَل عليهِم إنَّما نعُدُّ لهم عدًّا}.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ٢٨ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ٣٠ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ٣١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٣٢ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ٣٤ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ
٣٦ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى
وَنُذُرِ ٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ٣٨ فَذُوقُوا۟
عَذَابِى وَنُذُرِ ٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٤٠
وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ٤١ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ٤٢ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ
فِى ٱلزُّبُرِ ٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ٤٤ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ٤٦
إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ٤٩

٥٣٠

﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

شِرْبٍ: نَصيبٌ منَ الماء.

مُّحْتَضَرٌ: يَحضُرُه صاحبُه في يومِه، ويُحرَمُ منهُ الآخَر.

• من لم يرضَ قسمةَ العدل، وآثر الجَورَ والظُّلم، كان لنفسه أظلم.

﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ ﴾

فَتَعَاطَىٰ: فتناولَ النّاقةَ بيَدِه.

• أهلُ الباطل بعضُهم ظَهيرُ بعضٍ في التعاون على الإثم والمنكَر.

• كلُّ عذاب يصيب أمّةً من الأمم إنما هو نذيرٌ لغيرها، ولكنْ قليلٌ من يعتبر!

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾

كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ: كالزَّرع اليابس المتفتّت المتهشّم الذي يتّخذه صانعُ الحظيرة.

• أعتى الأمم وأقواها لم يتطلّب إهلاكُها سوى صيحةٍ واحدة أتت عليها بقَضِّها وقَضيضِها؛ فأنَّى للعبد التجبُّر والتعاظُم؟!

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

• ينال العبدُ من يُسر القرآن وبركته، بقدر ادّكاره واعتباره.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ ﴾

• أنذر لوطٌ قومه بنذُر شتّى، وعلى الداعية أن ينوّعَ أساليبَ دعوته، وإقامة حُجَجه، وإنذار قومه بمختلِف ألوان النذُر.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾

حَاصِبًا: ريحًا عاصفة ترميهم بالحَصباء (الحِجارة).

• اختار الله لنجاة أوليائه أبركَ الأوقات؛ وقتَ السَّحَر، وكم من عبدٍ أذِنَ الله بنجاته وتفريج كُربه بدعَوات السَّحَر.

• نجاةُ العبد بدوام شكر الله تعالى، وإن الشكر ليس قولًا باللسان فحسب، ولكنّه طاعةٌ للربِّ تتّفق عليها سائرُ الجوارح.

﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ ﴾

فَتَمَارَوْا: فشكُّوا، وكذَّبوا.

• لا يغترَّنَّ أحدُكم بحِلم الله ورأفته، فإنه سبحانه إن سخطَ على قوم بطشَ بهم، وإن بطشةً واحدةً منه كفيلةٌ بإهلاك أمّة كاملة.

• اللبيب العاقل مَن يأخذ الإنذارات بالمخاطر والهلاك على محمَل الجِدِّ، والسَّفيه الخائبُ مَن يشكّك بها ويُماري ويُجادل.

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾

رَاوَدُوهُ: طلَبُوا منه أن يفعلوا الفاحشة بضيوفه.

• من سُنن الله في أوليائه الصالحين، أن يطمسَ على قلوب أعدائهم المتجبِّرين، حتى يعجِزوا عن إيذائهم.

• في تكرار قوله تعالى: {فذُوقوا عَذابي ونُذُر} مرّةً بعد مرّة إيقاظٌ مستمرٌّ للقلوب، وتنبيهٌ دائم للعقول؛ ألّا تغفُلَ عن ربِّها لحظة.

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ ﴾

• من بليغ بطش الله بالمجرمين أن يَفجَأهُم بالعذاب بُكورًا؛ عقوبةً لهم، وتأديبًا لغيرهم.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

• مَن قصدَ العلمَ بالقرآن أُعين عليه، ومَن قصدَ تلاوتَه وحِفظه وتدبُّره وُفِّق إليه، فهلمَّ إلى دَوحته الغنّاء للتبصُّر بمعانيه والاعتبار بهُداه.

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

• حين يتّبع الناس كُبَراءهم على الباطل؛ فإنهم سيُصيبهم ما يصيبُ ساداتِهم من سَخَط الله وعذابه.

• أيُّ رأفة أعظمُ من رأفة الله بخَلقه، وأيُّ حِلم أعظمُ من حِلم الله على عباده؛ يقدّم لهم الإنذارات بعد الإنذارات؛ رجاء أن يتوبوا، وإلى الحقِّ يؤوبوا.

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾

الزُّبُرِ: الكتب المُنزَّلة على الأنبياء.

• ليس لأحدٍ من البشَر براءةٌ ولا عِصمة، وإن الله لا يُحابي أحدًا من عباده، فالجميعُ خاضعٌ لسُننه التي لا تتخلّف ولا تتبدَّل.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾

• مَن اتّكل على قوّته وَكَله الله إلى ضعفه، ومَن اغترَّ بقُدرته أولاه الله إلى عَجزه، ومَن اعتصم بجَمعه وكثرته فرّق الله شملَه وأذهب ريحَه.

• لا يُغني عن المعاندين للحقِّ جمعٌ ولا قوّة ولا اتحادُ هدف، ومآلُهم إلى تفرُّق وهلاك؛ سنّةَ من قد خَلا من قبلُ من المكذِّبين المستكبرين.

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾

• أيُّ عذاب أشدُّ مرارةً على الكافرين من عذاب يوم الدِّين؟ وأيُّ داهية أبلغُ إيذاءً من أهواله؟

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾

• من تجرَّأ على الباطل وتمادى في الضَّلال استحقَّ كلَّ صنوف العذاب الجسديِّ والنفسيِّ، وما ربُّك بظلّام للعبيد.

• لمّا كان وجهُ المرء أشرفَ أعضائه وعنوانَ عزّته، جعل الله من عقوبة المستكبرين سحبَهم على وجوههم؛ إهانةً وإذلالًا.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾

• إن ربَّنا أبدع كلَّ شيء وَفق مقاديرَ دقيقةٍ وسنن ثابتة، لجدير بأن يُعبدَ وحدَه، ويُرهَب بأسُه، ويُتّقى بطشُه.

• كلُّ ما يُلمُّ بالإنسان من خير وشرّ، وصحّة ومرض، إنما مضى به القدَر، وأعظمُ الإيمان التسليمُ بقضاء الله والرِّضا به.

﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾

• كلُّ أمر الله في كونه كلَمح البصَر، فلا تستبعد فرَجًا، ولا تستبطئ خيرًا، فما يأذنُ الله به لا يمنعُه مانع، ولا يردُّه رادّ.

﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ ﴾

• إنه والله لإنذارٌ صريحٌ شديد؛ كما أهلكنا المجرمين السابقين سنُهلك كلَّ من تسوَّل له نفسُه محادَّةَ الله ورسوله، وقد أعذرَ من أنذر.

﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

مُّسۡتَطَرٌ: مسطورٌ في صحائف أعمالهم.

• مَن تيقَّن أن الله يُحصي عليه أعماله كلَّها في كتاب حفيظ، نشط للصَّالحات، وعاش في حذَر من المعاصي والسيِّئات.

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

• نصيبُ العبد من الجنَّات والأنهار بقدر تقواه وخوفه من ربِّه وعمله بطاعته، فليستكثِر منها أو يُقِلّ.

• لا يليقُ بمقاعد الصِّدق إلا الصدِّيقون؛ الذين صدَقوا الله في دنياهم، فأنزلهم إيَّاها في أُخراهم.

• إنَّ مُلكَ الله وقُدرتَه لا تحيط بكُنههما الأفهام، وإنَّ إكرام الله لعباده يومَ القيامة ممَّا يجلُّ عن البيان، وتكِلُّ دونه الأذهان.

• أيها العبدُ، إن ضاقت بك الأرض بقهر الرجال وظلم الفجَّار، فارفع إلى السماء كفَّيك وسَل الله باسمَيه الجليلَين: المليك المقتدر.

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ ﴾

• استحضر دومًا أن لك ربًّا رحيمًا قد وسعت رحمتُه كلَّ شيء، وغمرَ فضلُه كلَّ شيء، فحَذارِ أن تغفُل عن عبادته لحظة، أو أن تصرف من التعظيم لسواه قليلا!

﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾

• قدَّم نعمةَ تعليم القرآن على نعمة خَلق الإنسان؛ لأن بالقرآن حياة الروح، وبالخَلق حياة الجسد، وما قيمةُ الجسد بلا روح؟!

• البيانُ منحةٌ شريفة من منح المنَّان، يعبِّر به المرءُ عن خطَرات نفسِه، وهمَسات روحِه، فإيَّاك أن تجعلَ منها نقمةً توردُك المهالك!

﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾

• إنَّ الشمس والقمر يجريان في السماء متعاقبَين وَفق حساب مُتقن دقيق، لو اختلَّ قليلًا أو اضطرب لكان منه كوارثُ كونيَّةٌ مَهولة، فسبحانَ من تجلَّى إتقانُه في صُنعه!

• كلُّ ما في الكون من مخلوقات عُلوية وسُفلية وعَت حقيقةَ وجودها فانقادت لأمر الله، فيا لخُسران من ضلَّ من البشَر وجحدَ فضلَ المُنعِم!

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ ﴾

• كما رفعَ الله السماءَ العظيمة على أبلغ نظام، وأتقن إحكام، وضعَ في الأرض ميزانَ العدل ليحيا الناسُ به في خير وطُمأنينة وسلام.

• أحكمَ الله بناء السماء بميزانٍ دقيق من بديع الصَّنعة، وأقام في الأرض العدلَ بميزان الشَّريعة السَّمحة.

﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾

أَلَّا تَطۡغَوۡاْ: لِئلَّا تعتدُوا، وتخونوا.

• لا تَصلُح شؤونُ الناس بغير العدل، فكما تحبُّ أن يُعدَل فيك اعدِل في غيرك، وكما تحبُّ أن يُوفى لك أوفِ لصحبك.

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ ﴾

• جعل الله الأرضَ للأنام كافَّة، فمَن استأثر بغير حقِّه منها كان معتديًا ظالمًا.

﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾

ٱلۡأَكۡمَامِ: الأوعية التي يكونُ منها التَّمر.

وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ: الحَبُّ ذو القِشرِ والتِّبن.

وَٱلرَّيۡحَانُ: كلُّ نبتٍ طيِّب الرائحة.

• ليس في أشجار الفاكهة كالنَّخل في البرَكة والعطاء، في جميع أحوالها، وأطوار أثمارها، وينبغي للمؤمن أن يكونَ مثلها خيرًا في جميع أحواله، ودوام أوقاته.

• حتى الروائح الزَّكيَّة التي يشمُّها الإنسان نعمةٌ تذكِّر بعظَمة الله وفضله، ولطفه بعباده.

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٤

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾

ءَالَآءِ: نِعَم.

• إن نِعَم الله وفِعاله العجيبة بلغت في الكثرة والظُّهور حدًّا لا يمكن معه لمعاندٍ أن يستمرَّ في عِناده وإنكاره.

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ ﴾

صَلۡصَٰلٖ: طِينٍ يابسٍ يُسمَع له صَلصَلَة.

كَٱلۡفَخَّارِ: كالطِّين الذي يُطبَخ ليتحجَّر.

• شتَّانَ بين مخلوقٍ من طين وتراب علامةً على الرَّزانة والمنافع، ومخلوقٍ من نار علامةً على الطَّيش والمضارّ!

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ﴾

• إنه تذكيرٌ بعد تذكير، وتقريعٌ بعد تقريع، لمَن تسوَّل له نفسُه جحدَ قدرة الله وكُفرانَ نِعَمه.

﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ ﴾

• في اختلاف مشرقَي الشمس ومغربَيها بين الصيف والشتاء آياتٌ توقظ القلوبَ وتحرِّكها لمحبَّة الله وتعظيمه، فسبحان الله المدبِّر!

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ ﴾

• كثرةُ النِّعَم توجبُ زيادةَ الإيمان وكثرةَ الشُّكر، فاعجَب لمَن لم تَزِده النِّعَم والآلاء إلا تكذيبًا ونفورًا!

مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ (٢٤)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ
رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)
يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ
أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ (٣٣) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ
(٣٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن
ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠)
يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ (٤١)

٥٣٢

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) ﴾

مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ: خلَط ماءَ البحرَين؛ العَذبَ والمِلحَ.

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ: بينهما حاجزٌ فلا يَطغى أحدُهما على الآخَر، ويذهبُ بخَصائصه.

• لا تخشَ أيها المؤمنُ غيرَ الله، فإن الذي فصلَ الماءَ عن الماء قادرٌ على حمايتك وحفظك من كلِّ سوءٍ وشرّ، ولو أحاط بك إحاطة.

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) ﴾

• عجائبُ خلق الله سبحانه لا تنتهي، ومنها تسخيرُ البحر بما حواه من نفائسَ ليُتَّخذ منه حِليةٌ وزينة.

﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ (٢٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) ﴾

ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ: السُّفن الجاريةُ الضَّخمة المرفوعاتُ الأشرعة.

• أرأيتُم إلى السُّفن العظيمة الضَّخمة المسخَّرة لمصالح البشَر، مَن الذي هداهم إلى صُنعها، ومَن الذي أجراها على الماء وسلَّمها؟ إنه الملكُ ذو الآلاء، فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين.

• هذه السُّفن العظيمة الماخِرةُ عُبابَ البحار ما هي سوى ذرَّة في كون الله؛ تجري بأمره ومشيئته، وكذلك كلُّ ما سواها.

• مهما صنع الإنسانُ من سُفنٍ عظيمة وأنشأ من مراكبَ ضخمة، فإنها جميعًا لن تخرجَ عن مِلك الله وقبضة قُدرته، فحَذارِ أن تستعملَها فيما لا يُرضيه!

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) ﴾

• أيها العبدُ، لا تحزن ولا تبتئس، فمهما عصفَت بك المِحَن فإنَّ مصيرها إلى فَناء، ويبقى لك منها أجرُ الصبر والاحتساب.

• الزمنُ الذي نتقلَّب في ساعاته ما هو سوى خَلقٍ من خَلق الله، ومآلُه إلى ذهاب، فاحرِص على مَلئه بالطاعات قبل أن تتصرَّمَ الأوقات وتفنى الأعمار.

• كلُّ من نتعلَّق بهم راحلون، وكثيرٌ منهم في حياتهم يبخَلون، لكنَّ الله باقٍ بلا فَناء، وجُوده دائمٌ بلا انقطاع، أفلا نعتصمُ بحبله؟!

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) ﴾

• ملايينُ الأصوات في السماء والأرض عرَفت الطريقَ إلى حوائجها، فيا لخيبة من ضلَّ السبيل، وحُرم سؤالَ المُجيب الجليل!

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) ﴾

ٱلثَّقَلَانِ: الإنسُ والجنُّ.

• إن الله سبحانه لا يشغَلُه شيءٌ عن شيء، فكيف إذا توعَّد عبادَه بأنه سيفرُغ لحسابهم وجَزائهم؟!

• قال بعضُ السَّلف: لو توعَّدَني خَفيرُ الحيِّ لما بِتُّ تلك الليلة، فكيف بالله سبحانه؟!

﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ (٣٣) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) ﴾

أَن تَنفُذُوا۟: أن تجدوا مَنفذًا تهربون منه.

بِسُلْطَـٰنٍ: بقوَّةٍ وكمالِ قُدرة.

• أيها الإنسانُ، إن كنتَ عاجزًا عن الهرَب من عقاب ربِّك، فلن تجدَ سبيلًا للنجاة منه إلا بالفِرار إليه.

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) ﴾

شُوَاظٌ: لهَبٌ خالصٌ لا دُخانَ فيه.

وَنُحَاسٌ: دُخانٌ لا لهَبَ فيه، أو نُحاسٌ مُذاب.

• لو تعاون الإنسُ والجنُّ جميعًا وتعاضدوا على أن ينتصروا من عذاب الله وناره ما استطاعوا، فحَريٌّ بهم أن يتَّخذوا سبيلَ الرُّشد سبيلًا.

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) ﴾

وَرْدَةً: حمراءَ كلون الوَرد.

كَٱلدِّهَانِ: كالزَّيتِ المَغليّ، أو كالجِلدِ الأحمر.

• من فِعال الله العجيبة المُذهلة يومَ القيامة أن السماء تتشقَّق وتتفطَّر ويتغيَّر لونها إلى الحُمرة وتصير كالدُّهن الذائب، بعد أن كانت بُنيانًا شديدًا مُحكمًا.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) ﴾

• يومَ القيامة لا يُسأل امرؤٌ عن ذنبه سؤالَ استعلام واستخبار؛ إذ الله سبحانه محيطٌ بعلمه خبيرٌ بأحواله، وقد قامت الحُجَّة عليه بصَحيفته وأعضائه.

﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) ﴾

فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى: تأخُذهم ملائكةُ العَذابِ بمُقدَّمة رؤوسِهم، فترميهم في النَّار.

• كما عُرف المجرمون في الدنيا بسَواد أعمالهم، وقُبح أفعالهم، سيُعرفون في الآخرة بسَواد وجوههم، وظلام نفوسهم.

• في مشهد الحساب شتَّانَ ما بين المؤمنين والمجرمين؛ أمَّا الأوَّلون فيُعرَفون ببياض وجوههم، وإشراق نفوسهم، وأمَّا الآخِرون فيُعرَفون بسَواد وجوههم، وشدَّة حُزنهم، فاللَّهُمَّ اجعلنا من الأوَّلين، وجنِّبنا مصيرَ الآخِرين.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ
﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾
فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

٥٣٣

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾

حَمِيمٍ ءَانٍ: ماء حارٌّ بلغ الغاية في الحرارة.

• لطالما طاف المجرمون في الدنيا بين معصيةٍ ومعصية وحرامٍ وحرام، وها هم أولاءِ اليومَ يطوفون في الجحيم بين عذابٍ وعذاب.

• إن جهنَّم قريبةٌ من كلِّ جاحد عاص، وأبوابُها مُشرعةٌ لاستقبال المكذِّبين المشكِّكين، وكلَّما أُلقيَ فيها فوجٌ منهم نادت: هل من مَزيد؟

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ﴾

• خافوا في الدنيا خوفَ خشيةٍ واستحياء من جَناب الله العظيم، فكافأهم ربُّهم بمضاعفة الأجر وزيادة النعيم.

• مَن عكَف على الذنوب والمعاصي لم يحظَ بشرَف أن يكونَ في مَقام الخائفين المُخبِتين، فحُرِم من طُمَأنينتهم في الدنيا، ومن منزلتهم في الآخرة.

• كلُّ خوف يُورث صاحبَه الاضطرابَ والقلق والنفور، إلا الخوفَ من الله فإنه يُورثه الطُّمأنينةَ والرِّضا والحُبور.

﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ ﴾

أَفْنَانٍ: أغصانٍ كثيرةٍ نَضِرة.

• ما أعظمَ رحمةَ الله بنا؛ يفصِّل لنا ما أعدَّه من صُنوف النعيم للمُحسنين؛ إغراءً وتشويقًا، ولكن يبقى فريقٌ منَّا لاهيًا غافلًا!

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ ﴾

• مَن صبرَ على الحرمان في الدنيا وتعفَّف عمَّا في أيدي الناس؛ طاعةً لله وحده، أكرمَه في دار النَّعيم بألوان الخيرات، وأنواع الثَّمرات، يتخيَّر منها ما يشتهي.

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ ﴾

إِسْتَبْرَقٍ: غَليظ الدِّيباج.

دَانٍ: قَريبُ القِطاف.

• إذا كانت بطائنُ فُرُش أهل الجنَّة من فاخر الحرير؛ فما ظنُّكم بظواهرها ووجوهها؟! إنه فضلُ الله الكريم يؤتيه من يشاء.

• بلغ إكرامُ الله لأهل طاعته وأوليائه الغايةَ؛ فما يشتهي أحدُهم من ثمار الجنَّة حتى تدنوَ منه ويجتنيَها؛ قائمًا أو قاعدًا أو مضطجعًا.

﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ ﴾

قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ: نساءٌ قَصَرن أبصارَهُنَّ على أزواجِهنَّ؛ فلا يَنظُرنَ إلى غيرهم.

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ: لم يَطأْهُنَّ.

• من كمال محبَّة نساء الجنَّة لأزواجهنَّ أن إحداهنَّ لا تنظُر إلى غيره، ومن تمام تنعُّمه بها أنْ ملكَ عليها قلبَها فلا تلتفتُ إلى سواه.

• إذا ما عفَّ الرجلُ في دنياه، وغضَّ بصرَه عن غير محارمه، امتنَّ الله عليه في الجنَّة بحُور حسان، لا يملك إلا أن يَقصُرَ طَرْفَه عليهنَّ لوَضاءتهنَّ وشغفه بحبِّهنَّ.

• يا أمَةَ الله، جرِّبي هذا النعيمَ في الدنيا؛ أن تكوني من قاصِرات الطَّرْف، فلا تنظري إلى غير زوجك أو محارمك، وأخبرينا عن هذا النعيم كيف هو؟

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ ﴾

• إذا كان من سعادة الرجل في الدنيا المرأةُ الصالحة، فإن من سعادته في الآخرة المرأةَ الجامعة بين صلاح الخُلُق وجمال الخِلقة والصورة.

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ ﴾

• ما جزاءُ الإحسان في العمل بالطاعات إلا الإحسانُ في الثَّواب والجزاء، ذلك ميزانُ الله الذي وضعَه بالعدل، ولا يظلم ربُّك أحدًا.

• سبحان الله المتفضِّل؛ يوفِّق عبادَه للإحسان وينسُبه إليهم، ويكافئهم على ذلك إحسانًا! إنها آيةٌ تفتح أبوابَ الرجاء، وتملأ القلبَ حبًّا وشوقًا لواهب الإحسان.

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ ﴾

• يتفاضلُ الناس يوم القيامة بحسَب طاعتهم، وبمقدار خوفهم من ربِّهم، ومن قصَّر به عملُه لم يُسرِع به نسبُه.

﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ ﴾

مُدْهَآمَّتَانِ: خَضراوانِ قد اشتدَّت خُضرَتُهما حتى مالَت إلى السَّواد.

• إن العين لترتاح لمنظر الخُضرة، ويبعثُ هذا اللونُ في النفس السَّكينةَ والنُّضرة، فجعل الباري سبحانه بكرمه جنَّاته شديدةَ الخُضرة تفضُّلًا وإكرامًا.

• إذا أصابك أيها المؤمنُ فتورٌ عن الطاعة، فنشِّط نفسَك باستحضار مشهد الجنَّات وخُضرتها، وما أعدَّ الله فيها لأوليائه المخلصين.

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾

نَضَّاخَتَانِ: فَوَّارتانِ بالماء؛ لا تنقطِعان.

• من زيادة نعيم أهل الجنَّة يقينُهم بدوام نعيمهم؛ من تدفُّق لعيون الماء، ووفرة صُنوف الفواكه، على خلاف نعيم أهل الدنيا؛ فإن عيون مائهم معرَّضةٌ للجَفاف، وفواكهَهم معرَّضةٌ للجوائح والانقطاع.

• ومن زيادة نعيم أهلِ الجنَّة أيضًا أن صنوفَ الفواكه متاحةٌ لهم في كلِّ آنٍ، على خلاف فواكه الدنيا التي لكلٍّ منها موسمٌ وأوانٌ.

فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ
وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٤

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ
هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ
مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

٥٣٤

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾

خَيْرَٰتٌ: زوجاتٌ طيِّباتُ الأخلاق.

• لئن كان حُسن الخِلقة مطلبًا مرغوبًا؛ إنَّ العقلاء لا يقدِّمون على حُسن الخُلُق شيئًا؛ إذ جمالُ الأخلاق يأسِر.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾

مَّقْصُورَٰتٌ: مستوراتٌ مَصُونات.

• المؤمناتُ في الدنيا قاصراتٌ أبصارهنَّ على أزواجهنَّ، ومقصوراتٌ في بيوتهنَّ، وهكذا هنَّ في الجنَّة، وذلك من تمام نعيمهنَّ والتنعُّم بهنَّ.

• البلاء كلُّه في مخالفة الفِطرة، والنعيم كلُّه في العمل بمقتضاها، وقد فطَر الله المرأةَ على أن تقَرَّ في بيتها لأداء رسالتها فيه؛ برعاية أسرتها والقيام بشؤونها.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾

رَفْرَفٍ خُضْرٍ: وسائدَ ذواتِ أغطيةٍ خُضْر.

وَعَبْقَرِىٍّ: فُرُش.

• الأثاثُ من نعيم الدنيا التي تتوقُ إليه النفوس، فوعدَها الله إيَّاه في الآخرة؛ لئلا تنشغلَ به عن طاعته.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

• يومَ القيامة لا يبقى اسمُ أحد إلا اسمُ الله تعالى، به تدورُ الألسُن، ولا يكون لأحدٍ عند أحد حاجةٌ ولا من أحدٍ خوف، فإن تذاكروا تذاكروا باسم الله وحدَه.

• أتمُّ النِّعَم وأكملُ اللذَّات ذكرُ الله تعالى.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾

• على المسلم أن يكونَ في استعدادٍ دائم ليوم الحساب، فإنه آتٍ لا محالة، وهو أشبهُ بشيءٍ معلَّق فوق رؤوس الخلائق يوشك أن يقع!

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾

• حين تعيشُ النفوسُ هولَ يوم الجزاء، فإنها تبلغ عينَ اليقين، ولا يبقى لديها أدنى شكٍّ فيما كانت تُماري فيه وتكذِّب به.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾

• قال زيدُ بن أسلم: (مَن انخفضَ يوم القيامة لم يرتفع أبدا، ومَن ارتفعَ لم ينخفض أبدا). فحَذارِ أن تغرَّك نفسُك فتخسرَ رفعةَ الأبد!

• معاييرُ الدنيا الزائفةُ لا مكانَ لها في ميزان الحقِّ الربَّاني؛ فمَن تواضع لله فيها رفعه يوم القيامة، ومَن تعالى كِبْرًا وبطَرًا أذلَّه وخفضَه.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾

وَبُسَّتِ: فُتِّتت.

• يومُ القيامة يومٌ مَهولٌ في أحداثه وأحواله وشؤون المخلوقات فيه، ففيه الأرضُ تضطرب والجبالُ الراسخة الشامخة الصُّلبة تُنسَف وتتفتَّت حتى تغدوَ لا شيء!

• لا تغرنَّك دنياك أيها الإنسانُ، ولا تركَن إلى ما شيَّدتَ فيها من عُمرانٌ، فإن الجبالَ العظيمة ستغدو كذرَّات الغبار تذروها الرِّيحُ في كلِّ مكان.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾

• يُفرَز الناس يوم الجزاء أصنافًا ثلاثة؛ المؤمنون أهل اليمين، والكافرون أهل الشِّمال، والسابقون المقرَّبون ذوو المراتب العليَّة، فاختَر لنفسك أين تكون.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾

• أثنى الله على الصَّالحين من عباده أهل اليمين ثناءً عطِرًا، ولو لم يكن لهم غيرُ هذا حافزًا للطاعة لكفاهم.

• الشؤم كلُّه في المعاصي والذنوب، فما أسوأَ حالَ أهل الشِّمال وأضلَّ عملَهم!

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾

• أكثرُ الناس فوزًا مَن قضى حياته بشعور السَّباق الدائم إلى الله، سعيًا منه في بلوغ أعلى المراتب من مَرضاته.

• الدنيا أشبهُ بمِضْمار سباق، تكونُ منازلنا في الآخرة بحسَب ما نقطعُ فيه من أشواط، في الطاعات والصالحات.

• تأنسُ النفوس بالقُرب من الأحباب والخُلَّان، وتزداد سعادةً بالقُرب من الرؤساء والأعيان، فما بالكُم بالقُرب من الملك الكريم الرَّحمٰن؟!

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

• أهلُ الجنَّة منعَّمون أبدًا في أبدانهم وقلوبهم، ولا يعرفون شيئًا من منغِّصات الحياة الدنيا، أفلا تستحقُّ النَّصَبَ لها، والتعبَ لأجلها؟

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

• فاز السلف الصالح بالسَّبق في الطاعات، فكان أكثرُ المقرَّبين منهم في الجنَّات، ومَن رغب في بلوغ منازلهم اقتدى بهم، ونسجَ على مِنوالهم.

• عجبًا لمَن يتَّخذ سلفَ الأمَّة غرَضًا وقد زكَّاهم ربُّهم من فوق سبع سماوات! وحسبُ أحدنا أن يتأسَّى بسِيَرهم، ويمضيَ على سَنن صلاحهم وبرِّهم.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾

مَّوْضُونَةٍ: منسوجةٍ بالذَّهَب.

• سبَقوا بالطاعات في الدنيا فأكرمهم الله بما لا مَزيدَ عليه في الآخرة؛ حتى سررُهم نُسجت بخيوط الذهب، فيا له من تكريم!

• اقتضى تمامُ الأُنس بين المتحابِّين في الله؛ أن يجلسوا في الجنَّة متقابلين يُعاين كلُّ منهم وجهَ أخيه، ويسعَد بالإقبال عليه.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا
﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾
وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ
﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟
يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

٥٣٥

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

مِّن مَّعِينٍ: من خمرٍ جاريةٍ في الجنَّة.

لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا: لا تُصدَّعُ منها رؤوسُهم.

وَلَا يُنزِفُونَ: ولا تذهبُ بعقولهم.

• خدمُك في الدنيا معرَّضون للمرضِ والهرَم والموت، أمَّا خدمُ الآخرة فغلمانٌ مخلَّدون لا تتغيَّر حالهُم، ولا تبلى أجسادُهم.

• كل اللذَّات مَشوبةٌ بكدَر إلا لذَّات الجنَّات فهي صفوٌ خالص بلا كدَر.

﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

• في ضيافة الدنيا قد يُقدَّم لك ما لا تحبُّ ولا تشتهي، أمَّا في ضيافة الآخرة فلا يُقدَّم إلا ما تحبُّ وتشتهي؛ منًّا من الله وتفضُّلًا.

• من المفارقات في الدنيا أن كثيرًا من الأغنياء يملكون ولا يشتهون، وكثيرًا من الفقراء يشتهون ولا يجدون؛ في حين تجتمع في الجنَّة الرغبةُ والنِّعَم، وتلك مِنَّةٌ كبرى لا تقدَّر بثمَن.

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾

• إنما غَلا اللؤلؤُ لصيانته في مَحاراته وصعوبة الوصول إليه، وكذلك المرأةُ لا تكون ثمينةً إلا إن كانت عفيفةً مَصونة، ملتزمةً شرعَ الله وأمرَه.

﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

• إنما يُنال ما عند الله بالطاعات والجِدِّ والعمَل، لا بالأمانيِّ والتمنِّي والكسَل!

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾

• اللغو والكذب والباطل من كدَر الحياة الدنيا وتنغيص نعيمها؛ ولذا حَفِظ الله أهلَ الجنَّة منها وصانهم عن قباحتها.

• السلام حديثُ أهل الجنَّة وتحيَّتُهم فيها؛ فهلَّا منَحنا إخواننا من نفحات الجنَّة بإفشاء السلام!

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾

• أسمى الله أهلَ طاعته أصحابَ اليمين إكرامًا لهم؛ فاليمينُ بركةٌ وخير وافر، واليمينُ منزلةٌ لا يفوز بها إلا من يستحقُّها.

﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾

• لئن كان الشوكُ في شجر السِّدر ينغِّص قليلًا منافعَها الكثيرة؛ إنَّ سِدرَ الجنَّة قد نُزع شوكُها؛ لتكون خيرًا خالصًا للمتقين.

﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

• مَن صبرَ على حرِّ الآلام، وكابدَ شمسَ المِحَن والأحزان؛ عُوِّض بظلٍّ ظليل لا يَزول، وفَيءٍ ممتدٍّ لا يَحول.

• ما أكثرَ أن تكونَ النِّعَم بين يديك وأنت عاجزٌ عن التمتُّع بها، أمَّا نِعَم الآخرة فالتمتُّع بها حاصلٌ بلا انقطاع.

﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

• لا رفعةَ أعلى وأسمى من رفع الله عبادَه المؤمنين الصالحين في الجنَّة، في منازلهم وفوق فُرُشهم.

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾

أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً: خلَقنا نساءَ أهلِ الجنَّةِ نشأةً كاملةً لا تقبلُ الفَناء.

• جمع الله سبحانه في نساء الجنَّة بين حُسن الصورة وحُسن العِشرة، وهذا غايةُ ما يُطلَب في النساء.

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

• مهما تطاولت القرونُ والأزمانُ، فإن المجال رَحبٌ في اللَّحاق برَكب الرعيل الأوَّل من الصالحين ذوي الإحسانْ.

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾

• تمايزوا في الدنيا بين صالح وطالح، فمازَهم الله في الآخرة بين ناجح في أهل اليمين فالحْ، وخائب في أهل الشِّمال خاسر، وما كان ربُّك ظَلومًا.

﴿ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

• احذر أيها الإنسانُ أن تمضيَ سادرًا في ضلالك، إنك لا تقوى على لَفَحات حرِّ الدنيا؛ فأنَّى لك الصبرُ على نار الجحيم؟!

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

• الإغراقُ في نعيم الدنيا يؤدِّي إلى الترَف، والترَفُ يقود إلى البطَر، والبطَرُ يوصل إلى جَحد فضل المُنعِم، وعاقبةُ الجحود جِدُّ وَخيمة.

﴿ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾

ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ: الذَّنبِ العظيم؛ وهو الشِّركُ بالله.

• ما أرحمَ اللهَ بعباده؛ إنه لا يعذِّبهم على مجرَّد الذنب العظيم، ولكن يعذِّبهم على الإصرار عليه وترك التوبة منه، ولو تابوا لبدَّل سيِّئاتهم حسنات.

﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

• الركونُ إلى الإلف وطول المشاهدة يصرف المرءَ عن إبصار الحقائق، ويحمله على رفض الأدلَّة والبراهين الظاهرة.

• من طريقة أهل الباطل في التشغيب على الحقِّ استحضارُ الأمثلة التي تُخادع العقلَ وتزيِّف الحقيقة.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

• جلَّت قدرة الله تعالى وعظُمت؛ إذ يجمع البشرَ كافَّةً من لدُن آدمَ إلى آخر إنسان تقوم عليه الساعة على صعيدٍ واحد، فأين المهرَب يومئذٍ من الحساب؟

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ
شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ
مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ
شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا
لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَا أُقْسِمُ
بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

الحزب ٥٤

٥٣٦

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

شُرْبَ الْهِيمِ: شُربَ الإبل العِطاش التي لا تَروى؛ لداءٍ أصابها.

• تنكُّب الحقِّ يبدأ يسيرًا؛ بعصيانٍ فضلال، ثم لا يلبث أن يزدادَ ويزدادَ حتى يهويَ بصاحبه في دركات التكذيب! فاحذر أقلَّ الضَّلال تسلَم.

• جمعَ الله على أهل النار أنواعَ العذاب، في المكان والطعام والشراب، وحذَّرنا ذلك رحمةً منه ورأفة، ولكن ما أقلَّ مَن يسمع ويُطيع!

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

• المخالفون لمنهج الله والمارقون من هَديه أهلٌ لكلِّ تهكُّم وازدراء، فبُشراهم يومَ القيامة نزُلُ القهر والاستياء!

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

• أبلغُ الحُجَج ما جمعَ بين السهولة والوضوح، وقد استدلَّ تعالى على بعثهم بخَلقهم الأوَّل، وهو ظاهرٌ لكلِّ ذي عقل، فأيُّ حُجَّة أبلغ من هذه الحُجَّة؟

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

مَا تُمْنُونَ: المَنيَّ الذي تقذِفونه في أرحامِ نسائكُم.

• كما أنشأنا البشر أوَّلَ مرَّة أسوياء من نُطفة صغيرة ضعيفة، سنُنشئهم مرَّة أخرى بعد الموت؛ للبعث والجزاء، وذلك أهونُ يا أصحابَ العقول السويَّة.

• الأسئلة العميقة التي تخاطب العقلَ مفتاحٌ للتفكُّر والتدبُّر، وبابٌ مُشرَع لبلوغ اليقين.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

بِمَسْبُوقِينَ: بعاجزين.

• اللهُ سبحانه هو الذي خلقكم ابتداء، وهو الذي يُميتكم انتهاء، ثم يبعثكم كرَّةً أخرى، فأنَّى لكم الفِرارُ من قضائه وكلُّ السبُل توصل إليه؟!

• حذارِ أيها المسلمُ أن تتَّكلَ على طول المدَّة، وأن تغفلَ عن إعداد العُدَّة، فالموت يأتي فجأة، والبعث والحساب حقٌّ لا مِرية فيه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

• إن الله عرَّف عبادَه وبصَّرهم بنشأتهم الأُولى؛ ليُقيمَ الحُجَّة عليهم في العمل للنشأة الأخرى.

• لا يكون تمامُ اليقين بالخَلق الآخِر، إلا بدوامِ التدبُّر والتفكُّر بالخَلق الأول، وكمال التذكُّر والتبصُّر فيه.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾

• بين نعمة الخَلق والإيجاد، ونعمة الغذاء والإمداد، يظهر فقرُ العبد المطلَق لربِّه، وحاجتُه الضرورية والدائمة إليه.

• أيها الفلَّاحون احرُثوا من الأرض ما شئتُم، وابذُروا فيها ما أردتُم، ولكن هيهاتَ تُنبت وتثمر إلا بأمر الله ومشيئته، فأخلصوا له التوكُّل.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

تَفَكَّهُونَ: تتعجَّبون ممَّا نزل بزرعِكم.

• لا يغترنَّ أحدٌ بماله وزرعه، فلو شاء الله لأيبسَه وأذهبَه، وجعله هباءً منثورًا!

• إنَّ الحسرةَ على فقدان موجود وحرمان موفور، لهي أشدُّ على النفس وأنكى، ولو شاء الله لجعل زرعنا هشيمًا تذروه الرياح، أفلا نتفكَّر؟!

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

• إنَّ صعود الماء المِلح من البحار إلى سُحُب السماء، ثم هَطْله من جديد عذبًا سائغًا، لموقظٌ في القلوب الحيَّة عبادةَ الشُّكر.

• أقوى الأدلَّة هي أقربها منَّا، وأكثرُها مخالطةً لنا، ولكن ما أشدَّ غفلتَنا عنها! ولو تدبَّرنا فضلَ الله في كلِّ شَربة ماء لكنَّا في شُكرٍ لنَعمائه لا ينقطع.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

تُورُونَ: تُوقِدون، وتقدَحون الزِّنادَ لاستِخراجها.

شَجَرَتَهَا: الشَّجرَة التي تُقدَحُ منها النَّارُ.

• إنَّ في إخراج النار من الشجر الأخضر لدليلًا على قُدرة الله العظيم على الخلق والبعث.

• جعل الله نارَ الدنيا تذكرةً بنار الآخرة أوَّلًا، ثم جعلها متاعًا لخَلقه ثانيًا؛ ليعلمَ العبدُ أن العمل للآخرة أولى من العمل للدنيا، فشتَّانَ بين دار فناء، ودار بقاء!

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

• أنَّى تلفَّتَ قلبُك وجالَ بصرُك وقف على شواهدَ ناطقةٍ بكمال قدرة الله وتناهي عظمته، فأدم التسبيحَ بحمده والتمجيدَ لفضله.

• إذا ما ركعتَ أيها المؤمنُ في صلاتك فاستحضِر مع ذكر الركوع أمرَ الله تعالى: {فسبِّح باسم ربِّكَ العَظيم} فإنَّ ذلك أدعى لخُشوع قلبك وحُضور فكرك.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

• إنَّ ربَّنا سبحانه هو أصدقُ القائلين، وإنه لغنيٌّ عن القسَم والحلِف؛ ولكنَّه يُقسم إيقاظًا لقلوب عباده، وتبصيرًا لهم بعِظَم ما يُقسم به.

• خصَّ الله مواقعَ النجوم بالقسَم؛ لأنها من أشرف الأزمان والأوقات؛ ففيها يطيب التهجُّد والذِّكر، وتنزلُ الرَّحمات والبركات.

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ ﴾

• من مظاهر كرم القرآن: ما يمنحُه لتاليه من ثواب جزيل، وأثر في القلب جميل، وما فيه للضالِّين من نُصح وهداية وصَلاح، وللمتبصِّرين من علم وفقه وفَلاح.

• كيف لا يكون القرآن عظيمًا كريمًا؛ وهو كلامُ الملِك الأرحَمْ، بسِفارة المَلَك الأكرَمْ، على قلب النبيِّ الأعظَمْ، بلسان عربيٍّ فصيح، وبيان عذبٍ مَليح؟

﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ ﴾

• من فضل الله على عباده أنْ حَفِظَ لهم كتابهم وصانه من كلِّ تغيير وتحريف، وجعله محفوظًا في لوح السماء، وصُدور الصَّالحين الأتقياء، وأسطُر المصاحف، وحريٌّ بنا أن نكونَ من حفظَته.

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ ﴾

• لا يُدرك معانيَ القرآن ويذوق حلاوةَ لطائفه إلا القلوبُ الطاهرة الزكيَّة، أمَّا القلوبُ المتلوِّثة بالبدَع والضَّلالات فهيهاتَ أن تنالَ من بركاته، ويُفتَح عليها من خَيراته!

﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ ﴾

• لمَّا كان القرآن تنزيلَ ربِّ العالمين، كان بلا مِرية دليلَ هداية ونجاة، ودستورَ صلاح وإصلاح لكلِّ العالَمين، في حياتهم وفي مَعادهم.

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ ﴾

مُدۡهِنُونَ: مُكذِّبون.

• عجبًا لأمر المكذِّبين بالقرآن وآياته، كيف ساغ لهم ذلك، وكلُّ ما فيه ناطقٌ بصدقه وقوَّة حُجَّته؟!

﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢ ﴾

وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ: تجعلونَ شُكرَ نِعَمِ اللهِ عليكم.

• من أعظم البرِّ والإنصاف أن تنسُبَ الفضلَ لذويه، فحَذارِ أن يُغشيَ عيونَك توالي النِّعَم عن شُكر المُنعِم، أو أن تصرفَك الأسبابُ عن الإقرار بفضل المسبِّب.

﴿ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ ﴾

• استحضارُ ساعة الاحتضار دومًا يوقظ في النفس التفكُّرَ بالمصير والعمل له.

• أبلغُ العجز أن يكونَ أحبُّ حبيبٍ لك، وأقربُ قريب منك، يعاني سكَراتِ الموت بين يديك، وأنت تنظرُ إليه ولا تملك له شيئًا!

﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥ ﴾

• حالَ النزع لا أقربَ إليك من ملائكة الربِّ الديَّان، وهي إما تبشِّرك بخير عاقبة وحال، أو تتوعَّدك بشرِّ مصير ومآل، فاعمل لهذه الساعة العصيبة بما تحبُّ أن تبشَّرَ به.

﴿ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٨٧ ﴾

غَيۡرَ مَدِينِينَ: غيرَ مجزيِّين ومُحاسَبين.

تَرۡجِعُونَهَآ: ترُدُّونَ الرُّوحَ إلى الجسَد.

• إذا كنتم عاجزينَ عن إعادة الرُّوح إلى جسد الميِّت وهو بين أيديكم، فأنَّى لكمُ التجاسرُ على إنكار البعث والنشور؟!

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ ﴾

فَرَوۡحٞ: رحمةٌ واسعةٌ وفرحٌ عظيم.

وَرَيۡحَانٞ: جميعُ ما تَطيبُ بهِ النفس.

• من أتى بالواجبات والمستحبَّات، واجتنبَ المحرَّمات والمنكَرات، وتنزَّه عن المكروهات والشُّبهات، استحقَّ أن تبشِّرَه الملائكةُ لحظةَ وفاته بالخير العظيم.

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ ﴾

• تجنَّبوا في الدنيا غِشيانَ المحرَّمات، فبشَّرتهم الملائكةُ بالسلامة عند حلول السَّكَرات.

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ ﴾

• التكذيب والضَّلالة عنوانُ الشقاء في الآخرة، وإنَّ نزُلَ المكذِّبين فيها وضيافتهم نارٌ حامية، ويا بئسَ الضِّيافة!

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥ ﴾

• لا يترك الله أحدًا من خَلقه حتى يوقِفَهم على اليقين من هذا القرآن، فأمَّا المؤمنُ فيوقن به في الدنيا فينفعُه في الأخرى، وأمَّا الجاحدُ فلا يوقنُ إلا يومَ الحساب فلا ينفعُه فيه يقينُه!

﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦ ﴾

• من أعظم الشُّكر لله تعالى على نعمة القرآن وما فيه من اليقين، كَثْرةُ التسبيح لله ربِّ العالمين.

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ
أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢ فَلَوۡلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ
إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ
٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٨٧ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ
٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ
٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦

سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢ هُوَ
ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣

٥٣٧

سُورَةُ الحَدِيدِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾

• إن هُديت إلى الحكمة من التشريع وأحكام الدين فنورٌ وبركة، وإن لم تهتدِ إليها فكن على يقينٍ أن العزيز الحكيم لا يشرع إلا ما فيه خيرٌ وحكمة، فسبحانه ما أعظمَه!

﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢ ﴾

• إذا خَلوتَ بربِّك تناجيه فضع نُصبَ عينيك أنك تدعو من أحاط مُلكه بكلِّ شيء، وتمَّت قدرتُه على كلِّ شيء، وأنه لا يردُّ سائلًا.

﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾

• ما أحسنَ أن يدعوَ العبدُ بأسماء ربِّه الحُسنى، وقد صحَّ عنه ﷺ عند النوم: «أنت الأوَّلُ فليس قبلك شيء، وأنت الآخِرُ فليس بعدَك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقك شيء، وأنت الباطنُ فليس دونك شيء، اقضِ عنَّا الدَّينَ وأغننا من الفقر».

• لا يعزُب عن علم ربِّنا شيء ظاهرٌ ولا خفيّ، فلنتَّقِ اللهَ في سرِّنا وعلانيتنا، فهو محيطٌ بنا وبأعمالنا.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ
عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ
وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ
وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا
ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

٥٣٨

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

• إن الله قادرٌ أن يخلقَ الكونَ بما فيه بقول (كُن)، ولكنَّه سبحانه أراد بحكمته توجيهَ خَلقه إلى الاتِّئاد والتأنِّي.

• متى تيقَّنتَ أن الله معك، أدركتَ أنه عالمٌ بحالك، سميعٌ لأقوالك، بصيرٌ بأفعالك، فاحذَر أن يسمعَ منك أو يبصرَ ما لا يُرضيه.

• إن ضاقت بك السُّبل، وادلهمَّت الخطوب، واستوحشتَ من تخلِّي القريب والبعيد، فتذكَّر أن الله معك؛ لتطيبَ نفسُك، وينشرحَ صدرُك.

﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾

• اليقينُ برجوع كلِّ شيء إلى الله يخفِّف آلامَ المبتلين، ويُذهب غيظَ المظلومين، ويَسوق إلى الصالحات أقدامَ المتَّقين، ويكفُّ النفوسَ عن معصية ربِّ العالمين.

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾

• إنَّ القادرَ على إدخال ضياء النهار في سواد الليل لقادرٌ على إدخال أنوار الهداية إلى ظلُمات القلوب الجانحة، فلا تقنَط أيها المقصِّر من رَوح الله.

• كما جلَّت عظمةُ ربِّنا في تصريف الليل والنهار، جلَّ علمُه بما تُكنُّه الصدور وتُخفيه، فلنكن منه على حذَر.

• إنَّ الذي أحاط بأعمال عبده الظاهرة لمحيطٌ بما يُضمره في نفسه من نيَّات، فأخلص نيَّتك لربِّك يُقبَل عملُك، وينجح قصدُك.

﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾

• من ثمرات الإيمان الصحيح الصادق الإنفاقُ في سبيل الله، فهو يحملُ صاحبَه على السَّخاء والعطاء، ليقينه أنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى.

• كيف لك أن تبخلَ أيها المسلم، وما بيدك من مالٍ ومتاع صائرٌ بعدك إلى من يرثُك؟ فادَّخِر منه لآخرتك تسلَم.

• ما أكرمَكَ ربَّنا وأجزلَ فضلَك! مننتَ علينا بالمال من لدُنك، وحثَثتنا على الإنفاق منه في سبيلك، ثم كافأتنا عظيمَ المكافأة على إنفاقه، وما هو إلا منكَ وإليك.

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾

• لا عُذرَ بترك الإيمان لمن بلغَته الحُجَجُ القاطعة، وأتته البراهينُ الساطعة، كيف وقد أخذ الله علينا الميثاقَ بما آتانا من فطرة وعقل، وقدرة على تمييز الحقِّ من الباطل؟!

• إذا استشعرتَ فتورًا في إيمانك فتذكَّر ما عاناه رسولُ الله ﷺ في تبليغ الرسالة إليك، وشدَّة حرصه على تمسُّك المسلمين بأهداب الإيمان والشَّرع المطهَّر.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾

• ما أعظمَ رأفةَ الله بعباده ورحمتَه بهم! فقد أرسل إليهم من الأدلَّة ما يهديهم بها إلى سعادة دنياهم وآخرتهم، فله الحمدُ على واسع فضله.

• يؤتى الإنسانُ من البصيرة، وتُشرق نفسُه بأنوار الإيمان بمقدار ما يتدبَّرُ من آيات ربِّه، وما يتبصَّرُ بهداياتها.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾

• يوقنُ ذوو الألباب أنهم لن يصطحبوا إلى قبورهم شيئًا من مالهم، فتراهم يُنفقونه بسخاء نفسٍ وطِيب خاطرٍ في أوجه الخير والصَّلاح.

• إذا كان الإنفاقُ في الخيرات فضيلة، فإنَّ السَّبقَ في الإنفاق تمامُ الفضيلة، وخصوصًا في أوقات العَوَز والضِّيق.

• الشدائدُ والمِحَن هي المِحَكُّ الحقيقيُّ لمعادن الرجال، الكاشفُ عن صدق الإيمان وقوَّة اليقين؛ فمَن كان فيها جَسورًا صَبورًا استحقَّ الرِّفعةَ في الدنيا والكرامةَ في الآخرة.

• استوَت أعمالُهم وتساوت جهودُهم، ولكن اختلفت منازلُهم باختلاف الوقت. فما أبعدَ البونَ بين سابقٍ مسرع ومتأخِّر مُبطِئ!

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

• متى علمتَ أن ما تُنفق من مالٍ سيعود إليك يقينًا؛ طابت نفسُك ببذله وسهُل عليك إخراجُه، فكيف وقد أيقنتَ أنه سيُردُّ عليك أضعافًا كثيرة؟

• ما تُنفق في سبيل الله لا يكون قرضًا حسنًا حتى يكونَ خالصًا لوجه الله، عن طِيب نفس ورضًا تام، من غير مَنٍّ ولا أذًى.

• بمقدار ما تُحسن في إنفاقك، تنالُ المضاعفةَ في الأجر والزيادةَ من الخير.

• حين تُنفق على المحتاجين والمضطرِّين فإنك في الحقيقة لا تُعاملهم، ولكن تعاملُ ربَّك وربَّهم، فأحسِن في الإنفاق يُحسن الله إليك.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

• من إكرام الله للصالحين من عباده أنه يؤتيهم يوم القيامة نورًا يمتازون به، ويتفاضلُ هذا النورُ بتفاضُل إيمانهم وبرِّهم في الدنيا.

• أنوارُ الآخرة تصنعُها أعمالُ الدنيا، فأضِئ طريقَ آخرتك بمصابيح الأعمال الصالحة.

• أعظمُ الفوز أن يُبشَّرَ المؤمن برضا الله عنه، وبما أعدَّ له من جنَّات ونعيم.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

ٱنظُرُونَا: انتظِرونا.

نَقْتَبِسْ: نأخُذ.

• إذا فاتت الفرصةُ فلن تُعوَّض؛ فاحرِص أن يستنيرَ قلبُك بنور الإيمان والهداية في الدنيا، قبل أن تتخبَّط في ظلُمات الجحود والكُفران يوم القيامة.

• أشدُّ ما يكونُ من الحسرة والبلاء حين يُفتَح للعبد طريقُ النجاة، حتى إذا ظنَّ أنه ناجٍ ورأى منازلَ السعداء حُجِزَ عنهم وضُربت عليه الشِّقوة!

• استهانَ المنافقون بأنوار الهدى في الدنيا فافتقروا إليها حين أظلمت دروبُهم في الآخرة، ولكن هيهاتَ أن يكونَ لهم ولو قليلٌ منها.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾

وَتَرَبَّصْتُمْ: وترقَّبتُم حُصولَ النَّوائبِ للنبيِّ ﷺ، والمؤمنين معه.

وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ: وخدَعتكُم الأباطيل.

ٱلْغَرُورُ: الشَّيطان.

• أعظمُ عوائقِ الهداية أن يفتنَ الإنسانُ نفسَه حتى يُفسدَ قلبَه، فإنه إذا زاغَ أزاغَ اللهُ قلبَه وأضلَّ سبيلَه.

• هما طريقان لا ثالثَ لهما؛ طريقُ الهداية بالخضوع لله وصُحبة الأخيار، وطريقُ الضَّلال باتِّباع الشيطان وصُحبة الأشرار، فاختَر لنفسك ما تحبُّ.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

• أيها المغرورُ المستكبِر، لئن اتخذتَ مالكَ فديةً لرفع ذنبٍ اقترفتَه في الدنيا، ليوشكُ ألَّا يُقبلَ منك درهمٌ ولا دينارٌ تفتدي به من عذاب الجحيم!

• الأموالُ التي كانت تُزوِّر بها الحقائقُ وتُشترى بها الذِّممُ ستكون على أصحابها وَبالًا، ولن تُغنيَ عنهم كثيرًا ولا قليلًا.

• من لم يكُن اللهُ مولاه يلجأُ إليه ويُقبل عليه؛ طاعةً وبِرًّا، كانت النارُ هي مَولاه؛ منزلًا ومستقرًّا، ويا بئسَ المصير.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

ٱلْأَمَدُ: الزَّمان.

• عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أنه كان إذا تلا هذه الآية {ألم يأنِ للَّذينَ آمنوا أن تخشعَ قلوبهُم لذِكر الله} قال: بلى يا رب، بلى يا رب.

• إنَّ الله يحبُّ من عباده المسارعةَ إلى الطاعات في أكمل وجوهها، فهيَّج قلوبَهم إليها، ورفع من هممِهمْ، وشحَذَ من عزائمهمْ؛ ليرتقيَ بهم من مقام الإيمانِ، إلى مقام الإحسانْ.

• إن رُمتَ أيها المسلمُ خشوعَ القلب ورقَّةَ الحاشية، فاعلم أنْ ليس كتدبُّر القرآن سبيلٌ لذلك، فاحرِص عليه.

• أشدُّ الناس عِنادًا وتماديًا في الباطل، وأبعدُهم عن التوبة والفَيء إلى الصواب، أطولُهم مُكثًا على الخطأ وغفلةً عن الحقِّ.

• تعهَّد أيها المؤمن دومًا نيَّتَك، وجدِّد العهدَ باستحضار أهدافك، فإنَّ بُعدَ الطريق وتطاولَ الزمن كفيلان بحَرفك عن مسارك.

• عندما تتمادى الآمالُ تقسو القلوب، فاقطع الأملَ بتذكُّر الموت هاذم اللذَّات، حتى يرقَّ قلبُك للحقِّ ويَلينَ له.

• قسوةُ القلب داءٌ عَياءٌ تبدأ منه كلُّ الشرور، وهي تنشأ من طول الغفلة باتِّباع الشهَوات، ولا دواءَ لها إلا دوام ذِكر فاطر البريَّات.

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ
فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ
وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ
وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ
حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ
فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَخْشَعَ (الحزب ٥٤)
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَٱلَّذِينَ
أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ
وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

٥٣٩

﴿ٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

• كما يُحيي اللهُ الأرضَ المُجدبةَ الهامدة بالغيث الوابلِ الهتَّانْ، يُحيي القلوبَ القاسية ببراهين الأدلَّة والقرآنْ، ويُشعُّ فيها الهُدى بعد أن كانت خَواءً من نور الإيمانْ.

• لا تيأَس مهما مضَيتَ بعيدًا في طريق الغَواية والضَّلال، فإنَّ الذي أحيا الأرضَ بعد موتها قادرٌ على إحياء قلبِك، وتنوير جَنانِك، فتلمَّس مواطنَ الغيث تُفلح.

• إنَّ في القرآن من المواعظ والعِبَر ما يُلين القلوبَ القاسية، ويُروي النفوسَ الظَّمأى، كما يُحيي ماءُ السماء الأرضَ العَطْشى.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

• من علامات صدق الإيمانْ، سخاءُ النفس بالبذل والإحسانْ.

• إذا رغبتَ في سبيل آمنةٍ ومضمونة لتنمية مالك وزيادة ثروتك، ومضاعفة حسناتك، فعليكَ بالإنفاق في سبيل الله، ولا شيءَ يعدِلُ هذه السبيل.

• أبوابُ البرِّ مفتَّحةٌ للرجال والنساء على سَواء، ومن أرحبها بابُ الصدقة، فاحرِصي أيتها المسلمةُ عليها، فإنَّ أجرها كريمٌ، من ربٍّ عظيم رحيم.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ
عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن
قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

٥٤٠

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾

• الصِّدِّيقيَّة مرتبةٌ عليَّة لا ينالها إلا ذو حظٍّ عظيم، ممَّن استوى ظاهرُه وباطنه؛ إيمانًا وإحسانًا، وبلغ في الصِّدق الغاية؛ قصدًا وقولًا وفعلًا.

• قضى الصدِّيقون حياتهم في نور الصِّدق واليقين، فخصَّهم ربُّهم يوم الحساب بنورٍ يمشون فيه، زيادةً عمَّا آتاهم من أجرٍ عظيم.

• أعظم الأُنس يكون في حضرة الحبيب والقُرب منه، ولهذا كان من تكريم الصدِّيقين والشهداء أنَّهم عند ربِّهم، وأنعِم به من مُستقَر.

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾

الْكُفَّارَ: الزُّرَّاع، سُمُّوا بذلكَ لأنَّهم يكفُرون الحَبَّ في التُّراب؛ أي يَستُرونه فيه.

يَهِيجُ: ييبَس.

• كلُّ عملٍ للدنيا وسعيٍ لها يبقى لعبًا وعبثًا، ما لم يُطلَب به رضا الله والدارُ الآخرة.

• إنَّ لعبَ الأبدان ولهوَ القلوب يُعميان النفسَ عن النظر في المآلات، ويحرمانها الفرحَ بلذَّة الطاعات.

• ما أكثرَ أن تَبهَرَ الزينةُ العيونَ والنفوس، ولكنْ من تبصَّر بحقيقتها ومآلها أدركَ أنها أشبهُ بسَراب، فآثرَ عليها الآخرة والأجلَ الباقي.

• حين يتفكَّرُ المرء بالآخرة يزهدُ بالدنيا وزخارفها ومُتَعها الزائفة، وينشَطُ للفوز برضوان الله تعالى، فذلك الفوز الحقيقيُّ والمتعة الحقيقيَّة.

• الدنيا متاعُ الغرور حين تخدَعُ أهلَها وتُلهيهم عن الآخرة، أمَّا إن دعتهُم إلى طلب رضوان الله فنِعمَ المتاعُ حينئذ.

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾

• السباقُ إلى المغفرة يقتضي السباقَ إلى الاستغفار والتوبة، فسارعوا إليهما قبل أن يُباغتَكم الأجَل.

• أيها الناسُ، لتكن مفاخرتُكم ومكاثرتُكم في الخيرات، مسارعينَ إلى إرضاء الله تعالى، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

• عجبًا لمَن ينشَط ويجتهد في سباقات الدنيا؛ طمعًا في عرَض زائل، ثم إذا جدَّ الجِدُّ أبطأ وتقاعسَ في سباق الآخرة!

• استحضِر دومًا أيها المؤمن، أنَّ الله إنما خلق الجنَّة وهيَّأها لأهل طاعته من المؤمنين الصادقين، فإنَّ في ذلك حثًّا لك على الثبات إلى الممات.

• الجنَّة دارُ بقاء وكرامة، وهي لا تُنال إلا بفضلٍ من الله بعد العمل الصالح والطاعة، أفلا تستحقُّ أن نشمِّر لها، سائلين اللهَ من فضله؟

• كلُّ نعيم يتقلَّب فيه الناس فإنَّ الفضل فيه لله وحدَه، فدَع عنكَ الحسَد، وسَلِ الله أن يؤتيَكَ مثل ما آتاهم.

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

كِتَابٍ: هو اللَّوحُ المحفوظ.

نَّبْرَأَهَا: نخلُق هذه المخلوقات.

• سبقَ قضاء الله بكلِّ ما كان ويكون، فلا تذهَب نفسُك حسرةً وكمدًا، بل أطفِئ نارَ مواجعك ببَرد اليقين، واخضع لأمر الله بالرِّضا والتسليم.

• الإيمانُ بالقدَر والتسليمُ له عن رضًا وطِيب خاطر، بَلسَمٌ لنفس المسلم يشفيها من أدوائها.

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

تَأْسَوْا: تحزَنوا.

تَفْرَحُوا: فرَحَ بَطَرٍ واختِيال.

• عن ابن عبَّاس قال: ليس أحدٌ إلا وهو يحزنُ ويفرح، ولكنْ إن أصابته مُصيبةٌ جعلها صَبرا، وإن أصابه خيرٌ جعله شُكرا.

• الحزنُ والفرح شعوران فطريَّان لا حرجَ فيهما ما لم يطغَيا، ويتجاوزا حدَّ الرضا بأمر الله وحُكمه.

• المسلم يعيشُ حياته في توازن واعتدال؛ فلا يفرحُ بالنعمة فرحَ بطَرٍ وأشَرٍ يُطغيه، ولا يأسى على مُصابٍ أسى قنوطٍ ويأسٍ يُشقيه.

• لا بدَّ أن نربِّيَ أنفسَنا وأولادَنا على الإيمان بالقضاء والقدَر، إيمانًا يبعثُ على الطُّمأنينة، والرضا والسَّكينة.

• من أبغضَه الله لاختياله وغروره كرِهَهُ الناسُ وأبغضوه، وتجنَّبوا مخالطته وعِشرتَه.

• عَوادي الدهر ومصائبُه إن لم تكن دروسًا تحطِّم استكبارَ العبد وتعاليَه عادت وبالًا عليه.

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾

• من أظهرِ آثار الاختيال المذمومة البَخَلُ والإمساكُ عن الإنفاق في سبيل الله.

• أن تُبتلى بالشُّحِّ وكراهة البذل والإنفاق فتلكَ مصيبة، وأن تتمادى في الباطل فتكونَ داعيةَ شرٍّ تأمرُ بالبُخل وتحثُّ عليه، فتلك مصيبةٌ أعظم.

• حسبُك من الشرِّ أن تحملَ وِزرَ نفسِك، فلا تزِد عليه أوزارَ غيرِك.

• أشدُّ الناس حُمقًا من ظنَّ أنه يَضيرُ ربَّه بإمساكه وبُخله، فلا والله لا يَضيرُ إلا نفسَه، وإنَّ الله لغنيٌّ عنه وعن إنفاقه.

الجزء السابع والعشرون | سورة الحديد

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ ۖ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ
فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا
تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

٥٤١

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

وَالْمِيزَانَ: العدلَ في الأقوال والأفعال.

بَأْسٌ: قوّة.

• مِن نِعَم الله الجليلة على خَلقه أنه أمدَّهم بكلِّ ما يُقيمون به حياتهم في سلام ووئام؛ من شريعة هادية، وميزان عادل، وقوّة يدفعون بها عن أنفسِهم.

• لا حقَّ بغير قوّة؛ فمَن رامَ نشرَ الهدى وإقامةَ العدل وجبَ عليه امتلاكُ القوّة التي تمكِّنه من بلوغ هدفه وتحقيق طُموحه.

• الحقُّ والعلم دون قوّة ضعفٌ وعَجز وصَغار، والبأس والقوّة دون شريعة بيِّنة وميزان عادل فسادٌ وخرابٌ ودَمار.

• العدالةُ عند الأفراد والأمم تكونُ بمقدار نصيبها من الكتاب واستمساكها بالشَّريعة.

• لا تكتمل رسالةُ العالِم حتى يُصلحَ الدنيا بالعدل والميزان، كما يُصلح الدِّينَ بالكتاب والفُرقان.

• سعادةُ الناس وطُمأنينتُهم لا تقوم إلا بصلاح دينهم ودنياهم معًا، دون إهمال جانبٍ على حساب آخر.

• إن الله غنيٌّ عن عباده، وما دعاهم لنُصرة دينه إلا ليُقيمَ الحُجّةَ عليهم من أنفسهم، فيُثيبَ مَن امتثلَ أمرَه، ويعذِّبَ مَن تمرَّد وأبى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

• قال الفُضَيل بن عِياض رحمه الله: اسلُك طريقَ الحقِّ، ولا يغرَّك قلّةُ السالكين، وإياكَ وطُرقَ الباطل، ولا يغرَّك كثرةُ الهالكين.

• مهما اكتظَّت أسرتُك بالخيِّرين الصالحين، فإنَّ ذلك ليس ضمانًا لهدايتك وصلاحك، فاسلُك طُرقَ الهداية، وسَل ربَّك الاستقامةَ والثبات.

• المهتدون على مرِّ القرون قلّة، فاحرِص أن تكونَ منهم، ولا تغترَّ بكثرة المفرِّطين.

• صلاحُكَ في نفسك ليس عاصمًا لذرِّيتك من بعدك، فأكثر من الدعاء: {وأَصلِحْ لي في ذُرِّيَّتي، إنِّي تُبتُ إليكَ وإنِّي منَ المُسلِمين}.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ: أتبعناهم، وبعثنا بعدَهم.

وَرَهْبَانِيَّةً: وغلوًّا في التعبُّد.

فَمَا رَعَوْهَا: فما قاموا بها حقَّ القيام، ولكن بدَّلوا وخالفوا.

• يجعلُ الله في قلوب الخَلق من الرأفة والرحمة بحسَب نصيبهم من اتِّباع الرسل والشَّرع المطهَّر.

• مَن ابتدعَ بدعةً لم يوفَّق لإقامتها ولو اجتهد، فما بُني على باطل آلَ إلى باطل.

• لا يقبلُ الله إلا ما كان على الهَدي الأول؛ الكتاب والسنّة، ومَن اختار غيرَ هذا المسلك ضلَّ وأضلّ.

• أوّلُ مَن ينحرفُ عن المذاهب الضالَّة المبتدَعة هم واضعوها والدعاة إليها، ولا يسلَمُ إلا مَن اتَّبع الفطرةَ فهي دربُ السلامة.

• ذمَّ الله الغلوَّ في العبادة وحرَّمه، فكيف بالغلوِّ الذي يستبيحُ الدماء، ويجعل التكفيرَ سيفًا مُصلَتًا على رقاب أهل الإسلام؟!

• عجبًا لمَن يسُنُّ سنَّةً باطلة وطريقةً منحرفة، ويزيِّنها للناس، ثم يكون أوّلَ مضيِّع لها ناشز عنها!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

كِفْلَيْنِ: ضِعفَين.

• من فضل الله تعالى على عباده المتَّقين أنه ينوِّر طريقَهم في الدنيا ليزدادوا برًّا وتقوى، وينوِّر طريقَهم على الصِّراط في الآخرة إكرامًا وثوابًا.

• خطواتُنا في الدنيا تحتاجُ إلى نور يضيء لها الطريق، ونصيبُنا من ذلك النور بقَدر تقوانا ومتابعتنا الرسول ﷺ.

• نورُ الله هو العلم الذي يسيرُ به عبادُه إليه، على بصيرة وحُجَّة، وطريقُ تحصيل العلم هو الاجتهادُ في تقوى الله والعمل به.

• ما أفقرَنا إلى مغفرةٍ منكَ يا رب، تمحو بها ذنوبَنا وتستر عيوبَنا، وإلى رحمةٍ منك تسدِّدنا وتُصلح قلوبَنا وتقوِّم سلوكنا.

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

لِئَلَّا يَعْلَمَ: ليَعلم.

• الفضل كلُّه بيد الله، ولو اجتمع الخلقُ جميعًا على أن يحرموك قليلًا ممَّا قدَّره لك لعجَزوا، فأخلص التوكُّل على ربِّك، ولا تخشَ فيه أحدًا.

سورة المجادلة

الجزء ٢٨ الحزب ٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

٥٤٢

سورة المجادلة

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

• مَن انقطع رجاؤه عن الخَلق والتجأ إلى ربِّه يشكو إليه همَّه وغمَّه، كشفَ الله عنه ما هو فيه وكفاه وأرضاه.

• مهما حاولتَ أيها المسلمُ أن تخفيَ قولك وفعلك عن الناس، فإنَّ الله سميعٌ لما تقول، بصيرٌ بما تفعل، فإيَّاكَ وما يسوءُك يوم القيامة.

• أيُّ شرف للنساء أعظمُ من أن أنزلَ الله قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة في قضيَّة امرأةٍ من عامَّة المسلمين، حتى سُمِّيت السورةُ بمحادثتها؟!

• الحوارُ والمراجعة والنقاش والجدال حقٌّ مكفولٌ لكلِّ أحد، على ألَّا يخرُجَ عن ضوابط الأدب وحُسن التأتِّي.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾

يُظَاهِرُونَ: يقول الرَّجلُ لامرأته: أنتِ عليَّ كظَهرِ أمِّي (أي مُحرَّمة).

• للأمِّ منزلةٌ عظيمة لا تُدانيها منزلة، وهي أعظمُ الناس حقًّا على أفلاذ كبدها، وقد حرستها الشريعة من الابتذال والتشبيه بغيرها، فهلَّا أكرمنا من أكرمها الباري، ورفعنا من رفعَ شأنها!

• قولُ المنكر والزُّور لا يغيِّر الواقعَ ولا يطمس الحقيقة؛ إذ الحقائقُ في بداهتها كالشمس في كبِد السَّماء لا تغطَّى بغربال.

• من رحمة الله بعباده أنه شرَعَ لهم الكفَّارات ليغفرَ بها ذنوبهم، وجعل أبوابَ صفحه وعفوه أبدًا مفتَّحة، فهل من تائب نادم عمَّا فرَّط؟!

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾

يَتَمَاسَّا: يستمتعا بالجِماع.

• أوجبَ الله تعالى على عباده الكفَّارة الغليظة؛ عِظةً لهم وتأديبًا؛ كيلا يعودوا إلى الجنوح والإثم كرَّةً أخرى.

• شريعة الإسلام تتشوَّفُ إلى عِتق الرِّقاب وتخليصها من العبودية والرِّقِّ؛ ليكونَ الناس جميعًا عبيدًا لله وحدَه.

• إذا كان الله خبيرًا بعملنا؛ بوقوعه وحقيقته ومُرادنا منه، أفلا نربِّي أنفسَنا على ما يُرضيه، ونُصلح أعمالنا وَفق هديه؟

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

• من علامات السَّماحة في شريعة الإسلام ومظاهر الرحمة فيها: أنَّ المشقَّة تجلبُ التخفيفَ، والعُسرَ يجلب التيسيرَ، حتى في الكفَّارات؛ رحمةً من الله بعباده.

• في مَشروعيَّة الكفَّارات اختبارٌ لإيمان المؤمن، لمعرفة مَن يقوم بما أُمر به، ويقف عند حدود الشَّرع المطهَّر.

• ما حدَّ الله من حدودٍ ومنعَ عبادَه من تجاوزها إلا لخير يريدُه لهم، فهو أعلم بهم وبما يُصلحهم ويُسعدهم في الدارَين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾

كُبِتُوا: خُذِلوا، وأُهينوا.

• يا له من وعيدٍ شديد لمَن يحادُّون الله ورسوله بوضع قوانينَ مخالفةٍ للشريعة؛ فكأنَّهم يقولون: إن قانوننا أعلمُ وأحكمُ من قانون الله. خابوا وخسروا!

• المنافقون الجاحدون أوامرَ الله، يحيَون في ضيق نفسيٍّ شديد؛ من جرَّاء كَبْتهم حقيقةَ موقفهم، خشيةَ أن يُفتضَحوا، وذلك أوَّلُ عذابهم.

• أيها الداعيةُ، لا تبتئس من إعراض المُعرضين، وتعالي المُستكبِرين، فإنَّ من سُنن الله في خَلقه أن يُذلَّ من حادَّه، ولو بعدَ حين.

• يصيبُ العبدَ من الهوان والذلِّ في الدنيا والآخرة بقدر معصيته لله ولرسوله ﷺ، وتنكُّبه عن آيات الكتاب الواضحات، ومن يُهنِ الله فما له من مُكرم.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

• إن غفَلتَ أيها العاصي عن ذنوبك، ونسيتَ ما اجترحتَ من آثام، فإنها مُحصاةٌ محفوظةٌ في صحائف عملك، وما كان ربُّك نسيًّا.

• قد يبلغ العبدُ من الاستهانة بالمعاصي ما يحمله على نسيان ما أتى منها، وقد تحولُ كثرتُها دون ضبطها وتذكُّرها، ولكنَّه بلا ريب سيلقاها بحذافيرها محفوظةً في كتابه؛ {ووَجَدوا ما عمِلوا حاضرًا ولا يظلمُ ربُّكَ أحدًا}.

• إنما تُملأ صحيفتُك بعملك أنتَ لا بعمل غيرك، فاحرِص أن ترى يوم القيامة فيها ما يسرُّك ويُعزُّك، لا ما يَسوءُك ويُذلُّك.

• تذكُّرُ الذنوب باستمرارٍ، أدعى للتوبة والاستغفارِ، أما تجاهلها ونسيانُها فلا يمحُوان آثارَها السوداءَ، وعواقبَها الشَّنعاءَ.

• على العبد أن يحاسبَ نفسَه على الأنفاس قبل معاصي القلب والجوارح، ولو أنَّه رمى عن كلِّ معصية حجرًا في داره لامتلأت في مدَّة يسيرة، ولكنَّه يتساهل في حفظ المعاصي، والملَكان يحفظان عليه ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾

• أعظمُ ما يبعث على الإحسان والتقوى: استشعارُ العبد رقابةَ الله تعالى ومعيَّته له، وعلمَه بظاهره وباطنه في كلِّ حال.

• كلُّ ما يُسرُّه المتناجون وينعزلون به ليُخفوه، سيُعرَض على الأشهاد يوم القيامة، وينبِّئهمُ الله به في الملأ الأعلى في يوم عظيم مشهود.

• مهما دبَّر الحاقدون من المكايد للمسلمين في خَلَواتهمْ، واحتاطوا بإخفاء خُططهم وتدابيرهمْ، فإنَّ الله مطَّلعٌ على ضمائرهمْ، ومحيطٌ بسرائرهمْ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨﴾

ٱلنَّجْوَىٰ: التحدُّث خُفية بالإثم والعُدوان.

بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ: بقولهم لكَ: السَّامُ عليكَ، أي: الموتُ لكَ.

• من أخلاق يهودَ الإصرارُ على الذنوب وعدمُ الامتثال لأمر الله، ومن فعلَ هذا من المسلمين فقد تشبَّه بهم، وبئس التشبُّه!

• لا أمانَ لليهود ولا عهدَ ولا ميثاق، فهم أمَّةُ فجور وكذب وخداع، حتى سلامُهم على النبيِّ ﷺ جعلوه سبًّا مُقذعًا شنيعًا!

• مَن أيقنَ أن الله تعالى يعلم ظاهرَه وباطنَه وما يُعلن وما يُخفي، خشيَ ربَّه، واتخذ حِذرَه!

• التحدِّي باستعجال العذاب دليلٌ على انطماس البصيرة؛ إذ يظنُّ الفاجر أن تأخُّر العقوبات الظاهرة علامةٌ على سقوطها، وما درى المسكين ما ينتظرُه يوم الحساب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩﴾

• التناجي بالإثم والعدوان ظلماتٌ بعضُها فوق بعض، كلَّما أسرفَ فيها العبدُ ازداد ضلالًا وجنوحًا.

• شتَّانَ بين مناجاة المؤمنين الصالحينْ، ومناجاة الفجَّار المعاندينْ، فإن المؤمنين إذا تناجَوا لم يتناجَوا إلا بخير، فهم أبدًا مأمونون.

• إذا كان أهلُ الباطل يجتمعون ويأتمرون بمعصية الله ورسوله، فعلى أهل الحقِّ أن يجتمعوا على البرِّ والتقوى؛ نصرةً لدينهم وشريعة ربِّهم.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾

• اتِّباعُ شياطين الجنِّ والإنس مآلُه إلى الهموم والأحزان، في العاجل والآجل، ومَن رامَ الطُّمأنينة والسَّكينةَ التمسها في مخالفتهم.

• المسلم الحقُّ يراعي مشاعرَ إخوانه، فلا يأتي من الأفعال ما يُحزنهم أو يُدخل في نفوسهم الرِّيبةَ والتوجُّس.

• الحزنُ من العِلَل المُوهنة للعزيمة والمانعة من النهوض والتشمير، ومن ثَمَّ لم يكن شيءٌ أحبَّ إلى الشيطان من إدخال الحزن في قلوب المؤمنين.

• من توكَّل على الله حقَّ التوكُّل لم يخيِّب أملَه، ولم يُبطل سعيَه، وكفاه شرَّ الشيطان، وحفظه من وساوسه وكيده.

• إن انتابكَ شعورٌ بالضِّيق والحزن فاعلم أنه من الشيطان، فاستعِن بالله وتوكَّل عليه، واستعِذ به من الهمِّ والحزَن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾

ٱنشُزُوا۟: قوموا من مجالسِكم لأمرٍ فيه خيرٌ لكم.

• المؤمنون هينون لَينون أذلَّةٌ على إخوانهمْ، ويحبُّون لهم ما يحبُّون لأنفسهمْ، فهم يُبادرون إلى الإفساح لهم في المجلس؛ تواضعًا وبرًّا.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن
نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ
مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ
وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا
ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ
شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١

٥٤٣

• إن الغرضَ من طلب الاستجابة لأمر التفسُّح هو إيجادُ الفُسحة في النفس والخُلق قبل الفُسحة في المكان؛ فمتى رَحُبَ القلبُ اتَّسع لإخوانه وتواضع لهم.

• الجزاء من جنس الفعل، فمَن رغبَ في الجزاء الحسَنْ، فعليه بالفعل الحسَنْ، وكلُّ مَن وسَّع على عباد الله في باب من أبواب الخير، وسَّع الله عليه من خيرات الدنيا والآخرة.

• رُبَّ عمل صغير أورثَ الأجرَ الكبير، فافسَح لإخوانك عن تواضُع وطِيب خاطر؛ يَفسَح الله لك فيما تحبُّ أن يُفسحَ لك فيه.

• لا يظننَّ أحدُكم أنَّ لين جانبه واستجابتَه لرغبة صاحب المجلس بالإفساح للآخرين ينقُص من قدره، بل هو رفعةٌ له في الدنيا والآخرة.

• إذا جمعَ الإنسانُ إلى الإيمان العلمَ النافع والعملَ الصالح، فقد حاز الخيرَ كلَّه؛ شرفًا في الدنيا ورفعةً في الآخرة.

• لا رفعةَ ولا تصدُّرَ إلا بالإيمان والعلم، وكلُّ رفعة وتصدُّر في غير هذا فوهَمٌ وزَيف!

• ثمرةُ العلم وزينتُه في التأدُّب بآدابه والعمل بمقتضاه.

• عن ابن مسعود ﷺ قال: ما خصَّ الله العلماء في شيء من القرآن ما خصَّهم في هذه الآية، فضَّل الله الذين آمنوا وأوتوا العلمَ على الذين آمنوا ولم يُؤتَوا العلم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ
صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ
قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ
عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ
﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾

الحزب ٥٥

٥٤٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

• استُحبَّت الصدقةُ على الفقراء بين يدَي مناجاة رسول الله ﷺ زمنًا، وكان من هَدي سلفنا الصالح التصدُّقُ بين يدَي مناجاة الله بالدعاء؛ تطهيرًا لنفوسهم، والتماسًا لقبول ربِّهم.

• لئن نُسخ وجوبُ تقديم الصَّدقة بين يدَي مناجاة رسول الله ﷺ، إن تعظيمَه وتوقيرَه واجبٌ أبدًا في حياته وبعد مماته.

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

• النفوس شديدة التعلُّق بالمال والحرص عليه، ومن رحمة الله تعالى بخَلقه أن خفَّف عنهم التكاليفَ في المال وأوجبَ القليل فيه.

• الصلاةُ والزكاة هما أمُّ العبادات البدنيَّة والماليَّة، فمَن أدَّى حقَّهما فقد أدَّى حقَّ الله وحقَّ عباده.

• إقامة الصلاة لا تكون بمجرَّد فعلها، ولكن بالمثابرة عليها وتوفيتها حقَّها ورعاية كمالها.

﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا: هم المنافقون، اتَّخذوا اليهودَ أصدِقاءَ وأولياء.

• محبَّة الله تقتضي محبَّةَ أوليائِه، وبغضَ خصومه وأعدائِه، ومن أعجب العَجَب أن يدَّعيَ عبدٌ محبَّةَ الله ثم يواليَ مَن غضب الله عليه.

• أشدُّ الناس حُمقًا مَن استدبر أهلَ ملَّتِه، وأقبل على أعداء دينه وأمَّتِه، فلم يحظَ برضاهم، وباء بسخَط من الله وغضب!

• أعمالُ القلوب من أعظم الأعمال، ولذا كانت موالاةُ أعداء الله من شرِّ ما يوجب غضبَ الله والعذابَ الأليم.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾﴾

جُنَّةٗ: وِقايةً لهم منَ القتل.

• قد يُنجي الكذبُ المنافقَ في الدنيا، ويقي به نفسَه وماله، ولكن هيهاتَ أن يُنجيَه من عذاب الله في الآخرة.

• عجبًا لمن اتخذ ربَّه عُرضةً لأيمانه المغلَّظة، في إخفاء حقيقة كفره، ليصُدَّ عن دين الله ويشوِّهَ صورةَ أهله؛ أفلا يستحقُّ أشدَّ العذاب المُخزي؟

﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

• مَن صدَّ عن دين الله الحقِّ بمقال أو فِعال، أذاقه الله مُرَّ الوَبال، ولم يُغنِ عنه ما كان يستقوي به من ولدٍ ومال.

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾

• إن المرء ليكذبُ ويكذبُ حتى يُكتَبَ عند الله كذَّابًا، ويُبعثَ يوم القيامة على ما مات عليه من نفاق وكذب.

• لقد بلغ المنافقون في الكذب الغاية، وانحطُّوا به إلى دَرَكة بعيدة، حتى تجاسروا يوم القيامة على الكذب على ربِّهم الذي يعلم السرَّ وأخفى، فما أشدَّ طيشَهم!

• أيها المنافقون لن يُجديَكُم نفعًا ما كنتم تدَّعونه من إيمان في الدنيا؛ إذ في الآخرة تُقام عليكم الحُجَج البيِّنات، وتشهدُ الجوارح بسيِّئاتكم القبيحات.

﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

ٱسۡتَحۡوَذَ: غلَبَ واستولى.

• إذا ما غفَلَ القلب عن ذكر الله حتَّى نسيَه، فسَدَ وماتَ وتمحَّضَ للشرِّ الخالص. فلنحيِ قلوبنا بدوام الذِّكر والشُّكر.

• مَن استغنى عن ربِّه وأطاع شيطانه وهواه، استغنى الله عنه وحرمَه من أعظم نِعَمه؛ نعمة الطاعة والذِّكر، وصلاح القلب والفِكر.

• أدركَ الشيطانُ بخُبثه أن من أعظم الخِذلان، غفلةَ العبد وطولَ النسيان، فأنسى أتباعَه ذكرَ الله، فهاموا في متاهات الحرمان.

• أول ما يصيب الإنسانَ من قيود الشيطان، تقييدُ لسانه عن الذِّكر والشُّكران، فإذا ما قُيِّد اللسان استسلم الجَنان، وتبعته سائر الأركان.

• هما حزبان ورايتان؛ فإمَّا أن تكونَ من حزب الله وتمضي تحت رايته، وإمَّا أن تكونَ من حزب الشيطان وتنقادَ لرايته، فاختَر لنفسك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

• أذلُّ الخلق جميعًا من الأوَّلين والآخِرين مَن تنكَّبوا صراطَ الله القويم، واجترؤوا على حرب الله ورسوله جِهارًا أو سرًّا!

• مَن طلب العزَّة بغير الله أذلَّه الله وأخزاه، فكيف بمَن يطلبُها عند أعدائِه، المحاربين له ولدينه وكتابه؟!

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾

• كن أبدًا على ثقة بموعود الله ويقينٍ؛ أنَّ الغلبة والنصر والتمكينَ، لله ورسله وأتباعهم المتَّقينْ.

• على شدَّة العَداء للإسلام والحربِ، وتحالف الكفَّار في الشرق والغربِ، فإنَّ راية الإسلام لا تزال خفَّاقة، بفضل الله القويِّ العزيز.

• بقدر عبوديَّتنا لله تعالى واتِّباعنا رسُلَه، ننالُ من النصر والعزَّة والتمكين.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ
أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم
بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ
ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ
لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ
فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ
ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

٥٤٥

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

بِرُوحٍ مِّنْهُ: بنصرٍ وتأييد.

• النقيضان لا يجتمعان؛ فلا يكون المرء مؤمنًا صادق الإيمان حتَّى يُحبَّ في الله ويُبغض فيه، وإنَّ محبَّة الكفَّار والرضا عن فِعالهم يُناقض الإيمانَ ولوازمَه.

• إذا أردتَّ أن تعلمَ ما عندك من إيمان، فتأمَّل فيمَن تُوالي وتُعادي، وأين موقعُك من أهل الحقِّ وأهل الباطل.

• مَن ترك شيئًا لله عوَّضه خيرًا منه؛ فلمَّا تبرَّأ المؤمنون من أقرب المقرَّبين لمعاداتهم لله؛ عوَّضهم ربُّهم بالرضا عنهُم، وأرضاهم عنه بما أعطاهُمْ، من نعيم مُقيمْ، وفضل عَميمْ.

• مَن جعل ولاءه وبراءه في الله، ثبَّت الله قلبَه على الإيمان، وآتاه استقامةً في المنهج وبصيرةً نافذة يميِّز بها بين الحقِّ والباطل، حتى يلقى ربَّه وهو عنه راض.

• احرص أن تكونَ من جُند الملك القويِّ الذي أحاط بجميع صفات الكمال والجلال؛ لتكونَ في فوز دائمْ، واجعل وُدَّك في الله ولا تخَف فيه لومةَ لائمْ.

• خالف هواكَ، واجعل رضا قرابتك في رضا مولاكَ، تفُز بمحبَّة الله ورضاه، ويبوِّئك من الفردوس أعلاهْ.

• حزبُ الله ليس شعارًا يرفعه كُلُّ مَن هبَّ ودبَّ، ولكنَّه شرفٌ لا يبلغُه إلا مَن استحقَّه بالتمسُّك بالكتاب والسنَّة، والبراءة من المحرِّفين المزوِّرين.

سُورَةُ الحَشْرِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾

• الكون كلُّه يسبِّح لله تعظيمًا وتنزيهًا، فهنيئًا لمَن حاز هذا الشرف.

• ما فطرَ اللهُ الكائنات على التسبيح له إلا لمحبَّته هذا الذِّكر، فاجعله زادك عند ربِّك تفُز وتسعَد.

• لا تهِن أيها المسلمُ ولا تحزن، فإن ربَّك الحكيمَ في تدبيره وتقديره عزيزٌ قويٌّ قادر على نصر أوليائه ومحق أعدائه.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾

لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ: في أوَّل إخراج وإجلاء إلى الشَّام.

لَمْ يَحْتَسِبُوا۟: لم يخطُر لهم ببالٍ.

• إنَّ الله معزٌّ وممكِّنٌ لأهل طاعته المسبِّحين بقلوبهم وألسنتهم لجلاله، ومذلٌّ وقاهرٌ للمستكبرين عن الخضوع لعزَّته وكبريائه.

• من أعظم أسباب الخِذلان التقوِّي بغير القويِّ، والاعتماد على غير الكَفيّ، ومَن اعتمد على غير الله فقد ضلَّ وقلَّ وذلّ.

• لو توكَّل المسلم على الله حقَّ التوكُّل لأتاه نصرُه وتمكينُه من حيثُ لا يحتسب ولا يتوقَّع، ولكن أين صِدقُ اليقين؟

• شتَّانَ بين مَن جعل توكُّله على الأسباب دون المسبِّب، ومَن جعل توكُّله على الله وحدَه مسبِّب الأسباب ومقدِّر الأقدار.

• مَن اعتمد على مخلوق مثله يعتزُّ به، أسلمه الله إلى صَغاره وهوانه. ومَن اعتمد على قوَّته وشوكته، أزال الله قوَّته وكسر شوكته.

• مَن وَثِق بغير الله فهو في خُسر وخِذلانْ، ومَن رَكَن إلى غير الله فهو في ضياع وحرمانْ.

• مهما عظُم تفاؤلُ المؤمنين وحسنُ ظنِّهم بتدبير ربِّهم لهم، فإن الله يمنحُهم فوق ظنونهم ما لا يخطِرُ لهم على بال.

• وَثِق القوم بقوَّة حصونهم وشدَّة بنيانهم فأُتوا من داخل نفوسهم، بما أصاب قلوبَهم من فزَع وذُعر. والخوفُ أوَّل الهزيمة.

• جُند الله تعالى لا حصرَ لهم، وقد يسلِّط الله العدوَّ على نفسِه، فيسعى برجليه إلى حَتفِه.

• لا عقابَ ولا عذابَ في الدنيا أشدُّ من أن يُضطرَّ المرء أن يخرب بيته بيديه اللتين كان أشاده بهما؛ يأسًا وإحباطًا أن يؤولَ إلى مَن يكره.

• الاعتبار لا يكون إلا للكُمَّل من ذوي البصائر، بتحقُّق ما وعدهم الله به من إظهار دينه وإعزاز نبيِّه.

• السعيدُ من اتَّعظ بغيره، بالنظر في أسباب هلاكهِمْ؛ ليحذرَ من سلوك سبيلهِمْ.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾

ٱلْجَلَآءَ: الخروجَ من ديارهم.

• العذاب لازمٌ لليهود ومن سار سيرتَهُم في تكذيب الأنبياء، والكيد للأتقياء، فإن فاتهم منه شيءٌ أصابهم منه آخر.

• لئن تأخَّرت عقوبةُ الله للمُحادِّين له ولدينه، إنه يوشكُ أن تصيبَهم عقوبةٌ أخرى، فليترقَّب المؤمنون ذلك.

• ما يحلُّ بأعداء الله في الدنيا من عقاب وعذابْ، إنما هو عذابٌ معجَّل أهونُ به من عذابْ، ولهم ما هو أقسى وأدهى يومَ الحساب.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ
أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن
قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

٥٤٦

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

• إن مشاقَّة الله تعالى وعداءه هي مشاقَّةٌ لرسوله ولشرعه.

• الحرب ليست بين المؤمنين والكافرين، ولكنَّها على الحقيقة بين الكفَّار وربِّهم سبحانه، والله بفضله يوفِّق من يشاء لنصرة دينه وإظهار شرعه.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

لِّينَةٍ: نخلة.

أُصُولِهَا: سُوقِها.

• كلُّ ما أمر الشَّرعُ به فلمصلحة وحكمة، وإن غابت عن عقول الناس ومداركهم.

• لا يرقُب الكفَّار في المؤمنين إلًّا ولا ذمَّة، ومن ثَم أتاح الله لأهل ولايته في المعارك التصرُّف بزروعهم؛ قطعًا وحرقًا، بما تقتضيه المصلحة، ليزدادوا غيظًا على غيظ.

• مَن أمعن في الغَواية، وتمادى في عَداء الله ورسوله ﷺ، استحقَّ التنكيل به؛ نكايةً وإخزاء.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ: وما ردَّه الله من أموالِ بني النَّضِير. (والفَيء: ما أُخذ من أموالِ الكُفَّارِ بحَقٍّ من غير قتال، والغَنيمةُ: ما أُخِذ بقتال).

فَمَآ أَوْجَفْتُمْ: فما ركبتُم وأجريتُم لتحصيله.

رِكَابٍ: ما يُركَبُ من الإبل.

• من منَّة الله وفضله على عباده أن ينصرَهم على عدوِّهم، ويمكِّنَ لهم في الأرض، بغير مشقَّة وجهد ولا عتاد وعُدَّة!

• من تمام قدرة الله سبحانه أنه لا يمتنعُ منه ممتنع، ولا يتعزَّز من دونه قويٌّ عزيز.

• إذا جارَ النَّاسُ وجنَحوا عن هَدي ربِّهم سلَّط الله عليهم من صفوة خَلقه من يدفع ظُلمَهم ويردُّ كيدَهم، ويأطِرُهم على القِسط أطْرًا.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

دُولَةًۢ: مُلكًا متداوَلًا.

• كتب عمر إلى حُذيفةَ ﷺ: أنْ أعطِ النَّاسَ أعطيتَهُم وأرزاقهم. فكتب إليه: إنَّا قد فعَلنا وبَقِي شيء كثير. فكتب إليه عمرُ: إنَّ فيئَهم الذي أفاء الله عليكم ليس هو لعمر ولا لآل عمر، اقسِمه بينهم.

• من أجلِّ مبادئ الإسلام وأنظمته: تقويةُ الضعيف وجبرُ الكسير، من مسكينٍ وعابر سبيل ويتيمٍ وفقير.

• كلُّ نظام أو قانون يؤدِّي إلى أن يكونَ المالُ متداولًا بين الأغنياء وحدَهم هو مخالفٌ للإسلام، ومُخلٌّ بالتكافل الاجتماعيِّ.

• آية واحدةٌ اشتملت بكلمات موجَزة على قاعدتين كُبرَيَين من قواعد التشريع الاقتصاديِّ والدستوريِّ، فيهما صلاحُ المجتمع المسلم بأسره، وهما قوله: {كي لا يكونَ دُولةً بين الأغنياءِ منكُم} وقوله: {وما آتاكُم الرسولُ فخُذوه وما نهاكُم عنه فانتهوا}.

• ما صحَّ عن النبيِّ ﷺ فإنما هو وحيٌ من الله وتشريع، فيجب العملُ بما أمرَ به، واجتنابُ ما نهى عنه، ولا يُقدَّم رأيُ أحد على حُكمه.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾

• لمَّا هجرَ المهاجرون لذَّاتِ الدنيا، وتحمَّلوا شدائدَها ابتغاء رضا الله ونصرةً لدينه، ظهر صدقُهمْ، وأشرق بِرُّهمْ، فاستحقُّوا التكريمَ في الدنيا والآخرة.

• منزلةُ الصِّدق رفيعةٌ عليَّة، لا تُنال إلا بالصبر والتضحية، وإيثار الآخرة على الدنيا.

• مَن كان ولاؤه وهواه لدينه مقدَّمًا على ولائه وهواه لعشيرته وداره ومالِه، رضي الله عنه وآتاه من واسع فضلِه.

• معيارُ ما لديك من صدق وإخلاص هو مقدارُ نصرتك لله ولرسوله ﷺ ولدينه، وصبرك على الابتلاء في سبيله.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ: استوطنُوا المدينة.

حَاجَةً: حسَدًا.

خَصَاصَةٌ: حاجةٌ وفقر.

• سلفُ الأمَّة من المهاجرين الأوَّلين والأنصار المتَّقين هم خيرُ الناس، وما أحرانا أن نبَرَّهم؛ بالتنويه بشمائلهِمْ، والتأسِّي بسِيَرِهِمْ.

• مَن استقام على الإيمان واليقين، غدا الإيمان وطنَه ومستقرَّه الذي يأوي أبدًا إليه، ولا يجد السَّكينة إلا فيه.

• أمارةُ صدق الإيمان حبُّ المؤمنين والحَدَبُ عليهم، والسعيُ في حوائجهم، ومواساتُهم بالنفس والمال.

• أنصارُ الله هم الذين يحبُّون أولياء الله وينصرونهم، دون نظر إلى حسَب أو نسَب أو منفعة ممكنة، وهكذا كان الأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم.

• إن الشحَّ أشبهُ بعدوٍّ متربِّص بنفس الإنسان يتحيَّن غفلةً منه لينقضَّ عليه ويفتكَ به، وقد وعدَ الله مَن اتَّقاه بالفوز والفلاح.

• لمَّا كان الشحُّ مجمَعَ رذائل، حذَّرنا منه رسولُ الله ﷺ بقوله: «واتَّقوا الشحَّ، فإن الشحَّ أهلكَ من كان قبلكم، حملَهُم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم» نعوذ بالله منه.

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا
ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ
لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا
وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ
أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ
لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ
أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا
وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

الحزب ٥٥

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

• من فضائل الإيمان أن يكونَ المؤمنون متحابِّين متعاضدين على قلب رجل واحد، يدعو بعضُهم لبعض، ويحرِص كلٌّ على نفع الآخرين.

• لئن فاتكَ أيها المسلمُ أن تكونَ من المهاجرين الأوَّلين، أو من الأنصار المحسنين، لا تحرم نفسَك من سؤال الله تعالى أن يشملكَ وإيَّاهم بمغفرته ورضوانه.

• إنزال الناس منازلهم دلَّ عليه الشرعُ والعقل، ولهذا اتَّفق السلفُ على تعظيم منزلة الصحابة، وبيان فضلهم.

• ما أوثقها من أواصرَ تربط أوَّلَ هذه الأمَّة بآخرها، وآخرَها بأوَّلها، تتخطَّى الزمانَ والمكان والجنسَ والنسب، فيدعو المؤمنُ لأخيه المؤمن بعد قرون متطاولة!

• الغِلُّ والحسد وسائر أمراض القلوب إذا غارَت جذورُها، وتفرَّعت أشواكُها، أذوَت زهَراتِ الإيمان، وأذهبَت ما توحي به من سلام وتحنان.

• خابَ وخسر من طوى صدرَه على ذرَّة بغضٍ لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين.

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾

• الكفَّار والمنافقون بعضُهم أولياء بعض، اجتمعَت قلوبهم على الكفر، واختلفَت في التصريح به وإظهاره.

• من أبرز صفات المنافقين التغريرُ بأتباعهم بدعاويهم العريضة، حتى إذا حَصحَصَ الحقُّ وجدتَّهم أكذبَ مَن عليها، وأجبنَ خلق الله جميعًا.

• أحلافُ الباطل أحلافُ هشَّة، لا تكاد تُعقَد حتى تمزِّقها المصالحُ وتودي بها الأهواء.

• المنافقون على مدار العصور سواءٌ؛ في احتيالهم وخُبث طويَّتهم، وادعائهم غيرَ الحقِّ.

﴿لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

• إنها بِشارةٌ من الله تعالى للمؤمنين في كلِّ زمان ومكان، أنَّ عاقبة الكفَّار والمنافقين إلى هزيمة وخِذلان.

• حتى لو ظاهرَ المنافقون الكفَّار فإنَّ مصير تحالفهم إلى خُسر وهوان، فقرُّوا عينًا أيها المسلمون، وأعِدُّوا واستعدُّوا.

• دعاوى المنافقين العريضة، لا تُطيقها نفوسُهم الضعيفة، وقلوبُهم الهزيلة.

﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾

• المنافق يخوِّف بالناس، والمؤمن يخوِّف بالله ربِّ الناس، فمَن أحقُّ أن يُخشى ويُخافَ منه؟

• أيها المسلمون، لا يغرنَّكم ما يُظهره أعداؤكم من شجاعة واستعداد للحرب، فإنَّ قلوبهم تُضمر من الرُّعب خلافَ ما يُظهرون، فاطمئنُّوا.

• يُصيب العبدَ من الخوف من غير الله بقلَّة فقهه، وضعف يقينه بربِّه.

• الفقه كلُّه في أن يكونَ خوفُ الخالق وخشيتُه مقدَّمةً على الخوف من كلِّ أحد.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ: عداوتُهم فيما بينهم.

• سِيماء أهل العقول الاجتماعُ على الحقِّ والائتلافُ عليه، والتفرُّق علامةُ على ضعفها وقلَّة وعيها.

• بلغ اليهودُ من الجُبن والهلَع أنهم لا يثبُتون في المعارك إلا متحصِّنين لائذين بما يحميهم، فإذا التحموا مع خصومهم وهنَت عزائمُهم ووهَت قواهُم.

• قال قَتادة: أهلُ الباطل مختلفةٌ أهواؤهم، مختلفةٌ شهاداتهم، مختلفةٌ أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحقِّ.

• اجتماعُ الأبدان مع تنافُر القلوب أصلُ كلِّ تخاذُل، وسببٌ لتجاسُر العدوِّ وتطاوله، واتفاقُ القلوب واشتراكُها في الهدف والهمَّة سببُ كلِّ ظفر وسعادة.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾﴾

• يهودُ الأمس ذاقوا وَبالَ كفرهم وخيانتهم ونقضهم المواثيق، ويهودُ اليوم سيُصيبهم ما أصاب سلفَهم، لتماديهم في البغي والظلم.

• قُرب الأحداث ومصير الهالكين أبلغُ في الوعظ من الأحداث البعيدة، ولكنَّ العجب ممَّن لا يعتبرُ بقريب ولا بعيد!

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

• إيَّاك أن تلقيَ بسمعك للمُبطلين المفسدين، فإنهم يزيِّنون لك الباطلَ ويغرونك به، ثم لا يلبثون أن يخذلوكَ ويدَعوك تواجه مصيرَك البائس وحدَك.

• استوى التابعُ والمتبوعُ في الخيبة والعذاب، فلا تنفع اعتذاراتُ التابعين؛ جزاءَ ما عطَّلوا من عقولهم وأسلموا من قيادهم لأهل الفجور.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ
مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨
وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ
ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ
هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ
ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ
ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ
لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾

• التقوى حالةٌ من الحضور تجعل القلبَ يقظًا شاعرًا بالله دومًا، ووَجِلًا مستحيًا أن يطَّلع منه على ما يكره.

• تنبَّه أيها المؤمنُ، فقد طالت غفلتُك! وتدبَّر ما قدَّمتَ من عمل، واستعدَّ ليوم المعاد، فإنه يومٌ يُجازى فيه المحسنُ عن إحسانه، والمسيء عن إساءته وكُفرانه.

• النظرُ في سالف الأعمال وسيلةٌ إلى الشُّكر على ما حَسُن منها، وإلى التوبة عمَّا قَبُح منها.

• مَن رامَ النجاة في الآخرة فليحيَ بمشاعر المترقِّب المنتظر لغده القريب.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾

• أقبحُ النسيان أن ينسى العبدُ ربَّه، وشرُّ الغفلة غفلتُه عن مولاه، ولمَّا كان الجزاء من جنس العمل عُوقبَ العبدُ بنسيان نفسه، والغفلة عمَّا فيه صلاحُها وفلاحُها.

• أيُّ ظفر يبلغه من نسيَهُ ربُّه وتخلَّى عنه؟! فاحذَر أن تنسى مولاك وتغفُلَ عن عبادته وذكره، فلا صلاحَ لحالك ونفسك إلا بإصلاح الصِّلة بربِّك.

• كلُّ خير نضيِّعه وكلُّ معصية نقترفها إنما هو إلقاء لأنفسنا في غمَرات الضَّياع والنسيان.

﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾

• المؤمن والكافر يسيران في طريقين متباينَين لا يلتقيان أبدًا، أمَّا الأوَّل فيُفضي إلى رضوان الله، وأمَّا الآخَرُ فإلى مقت الله وغضبه.

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾

• لو أنزل الله القرآنَ على جبل وأمره بما أمرنا، وخوَّفه بالذي خوَّفنا، لخشعَ وتصدَّع من خوف الله، أوَلَسنا أحقَّ بالخوف والخشية منه؟

• إذا كانت الجبالُ الضخمة الصُّلبة تتزلزل وتتصدَّع من خشية ما في القرآن من مواعظ وعِبَر، أفلا تَلينُ لها قلوبُ الخَلق من البشَر؟

• إنَّ أمر القرآن لعظيم، وإن قدره لرفيع، وحريٌ بنا أن تخشعَ له قلوبُنا، وتذرِفَ عيونُنا؛ لما فيه من الوعد الحقِّ والوعيد الأكيد.

• عن مالك بن دينار قال: (أُقسم لكم، لا يُؤمن عبدٌ بهذا القُرآن إلَّا صدَّع قلبَه).

• من لطف الله تعالى بعباده المسلمين ورأفته بهم أنه يضربُ لهم الأمثالَ تبصيرًا لعقولهمْ، وإيقاظًا لقلوبهمْ، فمَن تدبَّرها حسُن فكرُه، واستنارَت بصيرتُه.

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾

• القرآن أعظمُ الكتب دَلالةً على الله تعالى، وبيانًا لجلاله وكماله، فمَن أراد معرفةَ ربِّه فعليه بهذا الكتاب.

• لأسماء الله الحُسنى أثرٌ عميق في قلب المؤمن وسلوكه، وينبغي علينا جميعًا أن نُعنى بحفظها وتدبُّر معانيها، والدعاء بها وامتثال دَلالاتها.

• يستقرُّ في ضمير المسلم الشعورُ بعلم الله للظاهر والمستور، فتستيقظ مراقبةُ هذا الضمير لله في السرِّ والعلانية، فلا يغفُل بعده قلبٌ ولا ينام.

• يحيا المؤمن دومًا في طُمأنينة وراحة نفس؛ إذ يتعادلُ لديه الخوفُ والرجاء، خوفٌ من علم ربِّه المحيط به، ورجاءٌ لرحمته التي وسعت كلَّ شيء.

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ ﴾

• لو عرف الناس كمالَ ربِّهم بأسمائه وصفاته علمَ اليقين لما اتخذوا من دونه إلهًا يعظِّمونه ويقدِّسونه!

• كما أن شؤون البلاد لا تصلُح إلا بخضوع الناس لمَلِك واحد لا يُنازعه في مُلكه أحد، كذلك لا تقبلُ الفطرة السويَّة إلا أن تخضعَ في عبوديَّتها لمَلِك واحد لا شريكَ له.

• مَن علم أن ربَّه هو السلام، لم يجد في حياته سوى الطُّمأنينة والوئام؛ إذ يشعُّ هذا الاسمُ في فؤاد العبد بسَناه، ويغمرُه بفيوض جَناه.

• إن الله يسلِّم أهلَ ودِّه في الدنيا من الشرور والأحزانْ، ويسلِّمهم في الآخرة من العذاب والخُسرانْ، ويقول لهم بودٍّ غامر: ادخلوا الجنَّة بسلامْ.

• أين المسلمون اليومَ من توجيه ابن مسعود ﷺ حين قال: (إنَّ السلام اسمٌ من أسماء الله تعالى وضعَه في الأرض، فأفشوا السلامَ بينكم)؟

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾

• يقينُ المؤمن أنَّ الله هو البارئ المصوِّر، يمنعه من الاعتراض على خَلقه، أو السُّخريَّة بمَن ابتلاهم بدَمامةٍ أو عيب خِلقيّ.

• تأمَّل كيف وصفَ الله أسماءه بأنها حُسنى؛ للدلالة على أنها بلغَت الغايةَ في الحُسن، وأنه لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوه.

• أسماء الله توحي بالحُسن للقلوب ليصوغَ المؤمن نفسَه وَفق معانيها، فيتحقَّق بأوصاف ربِّه الجليل ويترقَّى في معاليها.

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

• يا له من نداء وَدود ينادي الله به عبادَه واصفًا إيَّاهم بأعظم صفة ألا وهي الإيمان، فحريٌّ بنا أن نكونَ أهلًا لها، وألا نقترفَ ما يُنافيها.

• لا يكون العبدُ مؤمنًا حقًّا حتى يقيمَ على إيمانه دليلًا، ومن أظهر الأدلَّة على الإيمانْ، مخالفةُ أهل الكفر والعصيانْ.

• مَن كان عدوًّا لله فهو بلا ريب عدوٌّ للمؤمنين، ولا ينقضي العجَب ممَّن يبرُّ وينصر عدوَّه على نفسه وإخوانه!

• إذا كان أوَّلَ الضلال الجنوحُ عن الصِّراط، فإن موالاة أعداء الله تبدأ بالودِّ لهم والمبالغة في التودُّد إليهم.

• خيرٌ لك ألا تفعلَ في السرِّ ما تستحي منه في العلن، وألا تُخفيَ عن الناس ما تخشى أن يظهرَ لهم، فإن ربَّك عالمٌ بظاهرك وباطنك وبما تُعلن وتخفي.

• دَيدَنُ المجرمين الحاقدينْ، فتنةُ المؤمنين المحسنينْ، ولكنَّ أهل الحقِّ أبدًا في ثبات ويقينْ، مهما أُوذوا أو شُرِّدوا على مَدار السنينْ.

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾﴾

إن يثقفوكم: إن يظفروا بكُم.

• أعداء الله لا يُخلصون ولا يَصدُقون بودِّهم للمؤمنينْ؛ لما انطوت عليه قلوبُهم من حقدٍ دفينْ.

• أجل، إن الفتنة أشدُّ على المؤمن من القتل، ولا يعدل الرِّدَّةَ عذابٌ باليد واللسان، فكيف يتأتَّى لمسلم عاقل أن يوَدَّ ويواليَ من همُّه تمريغُه في أوحال الكفر؟!

• لا يزال الكفَّار والمنافقون يُخفون نيَّاتهم وما يضمرونه من حقدٍ على المسلمين حتى يُمكَّنوا، فحينئذٍ ترى من قُبح نفوسهم وسواد قلوبهم ما لا تتخيَّل!

• يعلم الكفَّار المجرمون أن أعزَّ ما لدى المسلمين إنما هو دينُهم وما وقرَ في صدورهم من إيمان، فلا يألون جهدًا في بلبلة عقولهم وقلوبهم بالشُّكوك والشُّبهات.

﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣﴾﴾

• إذا كان التعلُّق بالمال والأهل والولد من الفطرة، فإنَّ كمال الفطرة في أن يكونَ كلُّ هوًى تبعًا لما جاءنا به النبيُّ ﷺ.

• رابطة الإيمان أوثقُ الروابط وأكثرُها نفعًا وبركة، فيا خيبةَ من قدَّم عليها رابطةً من دم أو نسَب أو أرض أو مصلحة!

• المسلم حقًّا من اعتزَّ بدينه، ولم يقدِّم على الولاء لربِّه ولاءً لأحد، ولو كان أقربَ الناس إليه، وأحنى الخَلق عليه.

• إن أوَّلَ من يخذُلك أيها المسلمُ ويفرُّ منك مَن والَيتَ لأجله الكفَّارَ من قرابتك وعشيرتك، ولن ينفعَك يومئذٍ إلا ولاؤك للحقِّ وأهله.

﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾

• التأسِّي بالصالحين المخلصين؛ في الدنيا طُمأنينةٌ وفَلاحٌ، وفي الآخرة علوٌّ ونجاحٌ.

• تنال من محبَّة الله بقدر براءتك من أعدائه، فقد اتخذ الله إبراهيم خليلًا وجعله أسوةً حسنة للمتَّقين؛ لإعلانه العداوةَ الظاهرة للكافرينْ.

• أوثق عُرا الإيمان الموالاةُ في الله والمعاداةُ في الله، والحبُّ في الله والبغضُ في الله، فإيَّاك ونقضَ هذه العُروة.

• ألا ما أقسى الابتلاءَ بانحراف فِلذة الكبد أو شقيق الفؤاد، وتنكُّبهم جادَّةَ الدين القويم، وما أعظمَ الصبرَ على ذلك، بمفارقة باطلِهمْ، والبراءة من ضلالِهمْ!

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ
إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي
وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ
وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم
بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣﴾ قَدۡ كَانَتۡ
لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا
بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا
وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ
إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ
رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا
فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾

٥٤٩

• الولاء والبراء في الله تعالى يحتاجان إلى قوَّة إيمان وصدق يقين وتجلُّد وحزم، مع التوكُّل على الله، واستمداد العون منه وحدَه.

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾

• الدعاء سلاحُ المؤمن الناجعُ الذي ينبغي أن يستعينَ به في كلِّ حين.

• يحرِصُ المسلم على هداية الآخرين حِرصَه على هداية نفسه، ويرجو لهم السلامةَ من الفتن كما يرجوها لذاته.

• لا يستنكفُ الصالحون عن دوام الاستغفار لجَبْر تقصيرهم بشُكر نِعَم ربِّهم التي لا تُحصى، ولنا في أنبياء الله ﷺ أسوةٌ حسنة.

• من صدق الإيمان أن يحرِصَ المؤمنُ ألَّا يكونَ سببًا في الصدِّ عن سبيل الله وتبغيض الخَلق في دين الحقّ.

• هكذا هو الرجلُ القدوة في دينه واستقامته، لا يغترُّ بصلاحه وطاعته، ولكنَّه يسأل الله دومًا المغفرة والسَّتر، والسلامة من الفتن ما ظهر منها وما بطَن.

الحزب ٥٥

لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦ ۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ
وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
٧ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ
٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن
دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ
فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا
تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ
وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ
ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠ وَإِن فَاتَكُمۡ
شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ
أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١

٥٥٠

﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦﴾

• مَن يُعرض عمَّا ندبه الله إليه من التأسِّي بأنبيائه، ويوالِ أعداء ربِّه، فإنما يجني على نفسه، وإن الله هو الغنيُّ عن عبادِه، الحميدُ في ذاته وصفاتِه.

• ضعف التأسِّي بالأنبياء المتَّقين، والفتورُ عن الاقتداء بالأخيار الصَّالحين، دليلٌ على ضعف الإيمان ورقَّة الدِّين.

• الإيمانُ باليوم الآخر واحتسابُ الأجر والثواب له، يسهِّل على العبد كلَّ عسيرٍ، ويقلِّل لديه كلَّ كثيرٍ، ويوجب له الاقتداء بالأنبياء والمرسَلين، وبعباد الله المخلصين.

• حين يضعُ المرء نُصبَ عينيه رضا الله تعالى، ويستحضرُ الحسابَ في الآخرة، لا يملكُ إلا أن يُذعِنَ لأمره سبحانه ويسلكَ سبيلَ المرسَلين.

• أعظمُ الناس سفهًا من يتولَّى عن ربِّه الغنيِّ سبحانه، مع فقره الكليِّ إليه.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧﴾

• الإيمان هو المعيارُ الدقيق للصِّلات بين الناس، والله وحدَه الذي يهدي القلوبَ ويقلِّبها من حالٍ إلى حال، فهو سبحانه القدير الرحيم المتعال.

• ربما تضطرب صلتُك ببعض قرابتك وأصدقائك؛ بسبب سعيك لإرضاء ربِّك، فلا تحزن ولا تأسَ، فإنَّ قلوب العباد بين إصبعَين من أصابع الرحمن يقلِّبها كيف يشاء، وعسى أن ينقلب العَداءُ، إلى محبَّة وصفاء.

• من الحصافة ألا يقطعَ المؤمن حبالَ الصِّلة مع أرحامه المخالفين، فلعلَّ الله يشرحُ قلوبهم للإيمان، فيحِلَّ بينهم المحبَّة بعد البغضاء، والألفة بعد الشَّحناء.

• بابُ المغفرة والتوبة مفتوحٌ أبدًا للكفَّار وعُتاة المجرمين، ورحمتُه سبحانه شمِلَت الخلقَ أجمعين، أفلا نستبشرُ بذلك معشرَ المؤمنين، ونسأل الله الرحيم من فضله العظيم؟

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾

وَظَٰهَرُواْ: وعاوَنوا.

أَن تَوَلَّوۡهُمۡ: أن تَوَدُّوهم وتنصُروهم.

• أعظِم به من دينٍ يقومُ على العدل والإنصاف، وأكرِم بها من شريعة تحثُّ على البرِّ والإحسان.

• يستبقي الإسلامُ في حالة الخصومة أسبابَ الصِّلة والرحمة للمخالفين، بنظافة السلوك وعدالة المعاملة؛ أملًا في أن يهتدوا وينضَووا تحت لوائه الرفيع.

• أيُّ خُلق من البرِّ والإحسان ينبغي أن يكونَ عليه المسلمُ مع إخوانه المؤمنين، وقد أذنَ له مولاه ببرِّ الكفَّار والمشركين، ما لم يكونوا محاربين أو معتدين؟

• كلُّ موقف عدلٍ وإنصاف تقفُه في الدنيا، تنالُ به محبَّةً من الله تعالى.

• الإحسان إلى الكفَّار غير المحاربين سببٌ في انشراح صدورهم للإسلام، يشهد بهذا التاريخُ والواقع، ألا فلنستعِن بذلك على دعوتهم.

• شتَّانَ بين شريعة سَمحة تتطلَّع إلى هداية الضالِّين وتترقَّب استقامتَهم، وبين منهج الغُلاة القائم على التسرُّع في تكفير الخَلق والتهاون في دمائهم!

• من أبلغ الظلم أن يُحسنَ الربُّ إلى عبده، ثم يتولَّى العبدُ أعداءَ ربِّه!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾

بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ: بعُقودِ نكاحِ الكافرات.

• إنما يُحكم على الناس بظاهر ما يكونُ منهم، والله وحدَه يتولَّى السرائر.

• إيَّاك وسوءَ الظنِّ بعباد الله، فإنك لن تكشفَ عمَّا في قلوبهم وصدورهم، وحسبُك منهم ظاهرُ قولهم وفعلهم.

• الخير كلُّ الخير في التسليم لحكم الله تعالى والرضا بشريعته، فإن الله سبحانه عليمٌ بما يُصلح عباده، حكيمٌ في جميع أقواله وأفعاله.

﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾

• الإيمان الصحيح يبعث على التقوى ومخافة الله، وممَّا يزداد به الإيمانُ كثرةُ التفكُّر في آلاء الله، وتدبُّر آياته.

• كلُّ امرئ يعمل على شاكلته؛ أمَّا الكفَّار فدأبُهم ظلمُ المسلمين وقهر المتَّقين، وأمَّا المسلمون فيعدِلون ويُنصِفون، وذلك مقتضى الإيمان والتقوى.

الجُزْءُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ — سُورَةُ الصَّفِّ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ
شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ
بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي
مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ
يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم
بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ
تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ
أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

٥٥١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾

بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ: بأنْ يُلحِقنَ بأزواجهنَّ أولادًا ليسوا منهُم.

• كُلُّ مسلم رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمَّد ﷺ نبيًّا ورسولًا، في عُنقه بيعةٌ على السَّمع والطاعة، فإيَّاكم ونقضَ بيعتكم.

• الطاعة الواجبةُ إنما تكون في المشروع والمعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

• من رحمة الله بعباده أنَّ بنود البيعة اشتملت على المقوِّمات الكُبرى للعقيدة والحياة، بما يُصلح حالَ العبد والمجتمع والأمَّة.

• قوَّة التشريع مستمدَّةٌ من قوَّة الشريعة القائمة على المعروف؛ لأنها حُكم الله الحكيم الخبير، لا من إرادة الحاكم ولا الأمَّة ولا ذي رأيٍ فَطير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

• استحضارُ المؤمن الدائمُ واستشعارُه المستمرُّ غضبَ الله عزَّ وجلَّ على أعدائه يخوِّفُه من محبَّتهم، وينفِّره من موالاتهم.

• لا تزال الذنوبُ والمعاصي تتكاثر وتتراكم حتى يُطبعَ على قلب مقترفها، فلا يميزُ بعدُ بين حقٍّ وباطل، وينتهي أمرُه إلى القنوط من رحمة الله وثوابه.

سُورَةُ الصَّفِّ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾﴾

• لا يزال المسلمُ في خيرٍ وطُمأنينة قلبٍ ما كان لسانُه رَطبًا بذكر الله؛ تسبيحًا وتحميدًا وتكبيرًا.

• الله عزيزٌ غالبٌ لعدوِّه وقاهرٌ للمستكبرين، وحكيمٌ فيما يأمرُكم به من جهاد الكفَّار والمارقين، فطيبوا نفسًا بالتزام أمره، وثقوا بقوَّته وعزَّته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾﴾

• يا لها من لفتة بليغة؛ أن يصفَ الله عبادَه المُذنبين بالإيمان؛ لأنَّ الإيمانَ الحقَّ يمنع الإنسانَ من مخالفة فعله لقوله.

• ينبغي للآمر بالخير أن يكونَ أوَّلَ الناس عليه إقبالًا، وللناهي عن الشرِّ أن يكونَ أبعدَ الناس منه إدبارًا.

• من أبرز ما ينبغي أن يتحلَّى به المسلمُ من صفات: الصِّدقُ والاستقامة، وأن يوافق قوله عملَه، ويكونَ باطنُه وظاهره سواء.

﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾﴾

كَبُرَ مَقۡتًا: عَظُم بُغضًا.

• من أشدِّ ما توعَّد الله عليه عبادَه، مخالفةُ القول للفعل، فما أحرانا أن نجتنبَها.

• قد يحمل طلبُ المَحمَدة المرءَ على ادِّعائه ما لم يفعل، فعسى أن يكونَ علمُه بمَقْتِ الله لهذا الفعل زاجرًا له عنه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾﴾

• بذلُ النفس في سبيل الله لا يكون إلا عند خُلوصها في محبَّة الله تعالى، فمَن أحبَّ ربَّه حقًّا هانت نفسُه عنده فلم يبخَل بها في سبيله.

• إن دينًا يأمر أتباعَه برصِّ الصفوف في صلاتهم خمسَ مرَّات في اليوم، ورصِّ صفوفهم في قتالهم وجهادهم، لدينُ نظام ودقَّة، أفلا نرتقي إلى عُلاه؟!

• ألم ترَ إلى صاحب البُنيان يكره أن تختلفَ بُنيانه؟ فكذلك الله - وله المثَلُ الأعلى - لا يحبُّ أن تختلفَ كلمةُ عباده، فعليكم بأمره سبحانه فإنه عصمةٌ لمن استمسكَ به.

• الفرديَّة والانعزاليَّة لا يحقِّقان الإسلامَ في ضمير الفرد، ولا في واقع حياته، وإنَّ يد الله مع الجماعة، فلنلُذ بحماها.

• كيف يطيبُ لنفسٍ التقاعسُ عن الجهاد في سبيل الله، وكراهةُ قتال العدوِّ، وقد أعدَّ سبحانه للمجاهدين ما أعدَّ من جزاء، أعظمُه الفوز بمحبَّته ورضاه؟!

• اجتماعُ كلمة المؤمنين وائتلافُ قلوبهم وتراصُّهم في الصلاة وفي ميادين الجهاد من أسباب محبَّة الله لهم ورضاه عنهم.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

زَاغُوٓاْ: مالوا عن الحقِّ، معَ عِلمِهم به.

أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ: صَرَفَها عن قبول الحقِّ؛ جزاءً على زَيغِهم.

• أحقُّ الناس بالبرِّ والتعظيم، رسُلُ الله صلواتُ الله عليهم أجمعين، وأمارةُ برِّهم الانقيادُ لما أتوا به من شرعٍ قويم، والابتدارُ إلى حُكمهم بالرضا والتسليم.

• الجزاء من جنس العمل، فلمَّا مالوا عن الحقِّ علوًّا واستكبارًا، صرفَ الله قلوبَهم عن الحقِّ عقوبةً وإذلالًا، ولم يوفِّقهم إلى الهداية بعدُ.

• إيذاءُ الرسول ﷺ أمرٌ عظيم يُودي بصاحبه إلى هاوية الكفر، وأعظمُ الإيذاء هَجرُ الشريعة، وإعلانُ الحرب عليها.

• مهما علا قدرُك وسمَت منزلتُك فوطِّن نفسَك على الصبر على الأذى، فلك في رسُل الله أسوةٌ حسنة.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
(٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ (٨) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ (٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ
تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ (١٤)

٥٥٢

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦)﴾

• الحكمةُ في الدعوة تقتضي خطابَ المدعوِّين بما يستميلُ قلوبَهم ويستجلبُ نفوسَهم للحقّ.

• كما أن ملَّة الكفر واحدة، فإن دعَوات أهل الحقِّ سواء؛ يوافق الخلَفُ منهم السَّلَف، ويصدِّق بعضُهم بعضًا.

• خصَّ الله خاتمَ أنبيائه بخصائصَ لم يؤتِها أحدًا من خلقه، فاستحقَّ أن يكونَ محمَّدًا اسمًا ومعنًى؛ إذ هو أحمدُ الأخلاق والفِعال، محمودُ الشمائل والخِلال.

• سنَّة المعاندين للحقِّ واحدةٌ في تكذيب الأنبياء ووَصْم المصلحين، وعلى الدعاة الاستعدادُ لكلِّ تكذيب، والصبرُ على عقبات الطريق.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٧)﴾

• الطغاةُ المستكبرون جمعوا كلَّ ضروب الظلم؛ ظلم النفس، وظلم الناس، فهم بهذا أظلمُ البشَر، فأنَّى لهم الهدايةُ؟!

• إذا كان الكذبُ على الناس صفةً ذميمة مَرذولة، فما ظنُّكم بالكذب على الله؟!

• يُحرَم المرء من الهداية بمقدار ما لديه من ظلم وكذب وافتراء.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨)﴾

مُتِمُّ نُورِهِۦ: مُظهِرُ الحقِّ بإتمامِ دينِه.

• مهما خُيِّل للطغاة المتجبِّرين أنهم قادرون على حَجب أنوار الإسلام بالشُّبهات والأباطيل، وبالكيد والتنكيل، فإن مردَّهم إلى العَجز والخُسر والصَّغار.

• الأقوالُ والكلمات أدواتُ الضالِّين المعاندين؛ لإطفاء نور الحقِّ المبين، ولكن هيهاتَ أن يُفلحَ كيدُهم فإنه إلى تخسير.

• لم يلقَ دينٌ من الأديان حربًا ضَروسًا كالإسلام، ولم تلقَ شريعةٌ هجومًا شرسًا كشريعة الرَّحمن، ولكنَّها برغم كلِّ ما بُذل ويُبذَل للفتك بها في ثبات وازدياد.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ (٩)﴾

• لقد أنجز الله عزَّ وجلَّ وعدَه؛ إذ لم يبقَ دينٌ من الأديانِ إلا وهو مغلوبٌ بدين الإسلام.

• تبقى قلوبُ المؤمنين الواثقين بوعد الله مطمئنَّة، مهما طال ليلُ الأمَّة، وازدادتِ المِحَن والغُمَّة.

• كيدوا أيها الكفَّارُ ما شئتم أن تكيدوا، أمَّا نحن فيقينُنا بما جاءنا عن رسولنا ﷺ لا يَشوبُه شكٌّ: (ليَبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنهار، ولا يتركُ اللهُ بيتَ مدَرٍ ولا وبَرٍ إلا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليل، عزًّا يعزُّ اللهُ به الإسلامَ وأهلَه، وذُلًّا يذلُّ اللهُ به الكفرَ).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)﴾

• المؤمنون بحاجة دومًا إلى أن يُذكَّروا بإيمانهم، وأن يُخاطَبوا بأعظم صفة يتَّصفون بها؛ لشَحذ عزائمهم، والدَّفع بهم إلى الصبر على مشاقِّ التكليف.

• العملُ لهذا الدين إنما هو تجارةٌ مع الله مضمونةُ الربح والعوائد، وأعظمُ مرابحها النجاة من عذاب الله، فأين المشمِّرون؟

• إذا ما نجح العبدُ في عصيان نفسه الأمَّارة بالشحِّ بمالِه، هانَ عليه الجودُ برُوحه ونفسِه، في سبيل الله ربِّه.

• قدَّم الأموالَ على الأنفس؛ تنبيهًا على عظيم أثرها في نصرة الدِّين وأهلِه، فليُنفق كلٌّ في طاعة الله من سعتِه.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾

• فارق المجاهدون المخلصون مساكنَهم، ونأَوا عن ديارهم وأهليهم، فوعدهم الله على تلك المفارقة المؤقَّتة مساكنَ أبديَّةً فيها السعادةُ والحُبور.

• ما أوسعَ فضلَ الله تعالى؛ يُحسن المؤمنون في هذه الدنيا أيَّامًا قليلةً بعطاء محدودْ، فيُكافئُهم ربُّهم ببهجة الخلودْ، وبرزقٍ وافرٍ ممدودْ، غيرِ ممنوعٍ ولا مقطوع.

• كلُّ آتٍ قريب، وما على العبد إلا أن يصبرَ ويصابرَ في الثبات على الدِّين، والاستقامة على الحقِّ، والجهاد في سبيل الله، حتى يفوزَ بوعد ربِّه.

• مهما أوتيَ المسلمُ من أسباب القوَّة في بدَنه، وفي عُدَّته وعَتاده، فليحذَرِ الركونَ إلى الأسباب، فإنَّ النصر من عند الله، فليخلِص في طلبه منه وحدَه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ (١٤)﴾

ٱلْحَوَارِيُّونَ: أصفياءُ عيسى عليه السَّلام، وخواصُّه.

ظَٰهِرِينَ: غالبين.

• نصر الدِّين لا يوفَّق إليه إلا الصادقون المخلصون، فهل نكون منهم؟

• أعظمُ الفوز لك أيها المسلمُ أن تُنسبَ إلى ربِّك عبدًا ونصيرًا، إنه تكريمٌ لا يُدانيه تكريم، ونعيمٌ دونه كلُّ نعيم.

• ظهورُ أهل الإيمان والجهاد يكون بظهور الحُجَّة والبرهان ابتداء، وبحصول النصر والتمكين انتهاء.

الحزب ٥٦

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡحَكِيمِ ١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ
مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ
وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ
ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ
يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
٥ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ
أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٧ قُلۡ
إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨

٥٥٣

سُورَةُ الجُمُعَةِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾

• أذعنَت الكائناتُ جميعًا لله سبحانه، فأفردته بالتنزيه والتقديس، فلنحذَر أن نتخلَّفَ عن رَكب المسبِّحين.

• من المروءة أن تشكرَ مَن أحسن إليك بمعروف، أفلا يستحقُّ ربُّنا العظيم منَّا دوامَ التسبيح والذِّكر، لدوام فضله وجليل عطائه؟

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾

فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ: في العربِ الذين لا يقرؤون، ولا كتابَ عندَهُم.

وَيُزَكِّيهِمۡ: يُطهِّرُهم منَ العقائدِ الفاسدة، والأخلاقِ السيِّئة.

ٱلۡكِتَٰبَ: القرآنَ.

• امتنَّ الله سبحانه على العرب أن علَّمهم بعد الجهل، وهداهم بعد الضَّلالة، ويا لها من منَّة عظيمة فاقت المِنَن، وجلَّت أن يقدرَ العبادُ لها على ثمَن.

• المنهج السَّديد في صناعة الجيل المسلم يبدأ بمعرفة الوحي وتبصير العقل، ثم بالتربية والتزكية، حتى تتهيَّأ العقولُ والنفوس لتلقِّي العلم بالكتاب والسنَّة.

• رسالة النبيِّ ﷺ جاءت لتحرير العقول من قيود العقائد الفاسدة والأفكار الباطلة، وتهذيب النفوس وتطهيرها من أدران المعاصي والآثام.

• مهمَّة الدعاة تربيةُ الناس علمًا وعملًا بالكتاب والسنَّة، بتحريك العقل وإثارة الوجدان.

• حرَّر القرآن أرواحَ هذه الأمَّة من العبودية للأوثان، وحرَّر عقولَهم من الخضوع لجبَروت الخرافة والأوهام، وطهَّرهم من رذائل الجاهليَّة وقبائحها كلِّها.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾

• هذه الأمَّة موصولةُ الحلَقات، ممتدَّةٌ في شِعاب الأرض وفي شِعاب الزمان، تحمل الأمانةَ الكبرى، وتقوم على دين الله، خلَفًا عن سلَف.

• فضلُ الله برسالة محمَّد ﷺ شمِلَ القرون السابقة واللاحقة، من الأوَّلين والآخرين.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾

• أيُّ شرفٍ فاز به الرعيلُ الأوَّل من أصحاب رسول الله ﷺ ممَّن تربَّوا على عينه، ونهلوا من مَعين خُلقه ونبله! إنه فضلُ الله يمنُّ به على مَن يشاء.

• نال الفضلَ والشَّرفَ بلالٌ وسلمانُ بإسلامهما، وحُرمهما أبو لهَب وأبو جهل بكفرهما، ذلك فضلُ الله يؤتيه مَن يشاء.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾

أَسۡفَارَۢا: كتُبًا.

• الحمار مَضربُ المثَل في الذلِّ والبلادة، فتجنَّب أن تنزلَ منزلته بخيانة أمانة العلم.

• إن العالم الذي يخون ما حُمِّله من علم وأمانة أذلُّ من الحمار الذي بلغ الغايةَ في الذلِّ والهَوان.

• لا يُنال العلم بمجاورة الكتب وحملها، ولكن بمطالعتها وفهمها، وتدبُّر ما فيها من تذكيرٍ وعِبَر، والعمل بما تضمَّنته من علم وفِكَر.

• يا أهلَ القرآن، أدُّوا حقَّ الله فيما آتاكم من كتابه، وإيَّاكم وتركَ العمل به فتُفضحُوا كاليهود الذين لم يرعَوا التوراةَ حقَّ رعايتها، فضلُّوا وأضلُّوا.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾

• علامةُ صدق الوليِّ محبَّة لقاء ربِّه، فمَن أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

• لو يُترك الناس لدعواهم لادَّعَوا ما شاؤوا من أباطيل، ولكن على المِحَكِّ يظهر صدقُ الصادقين، وينكشف إفكُ الكاذبين.

• لا تزال الذنوب تُثقل كاهلَ العصاة حتى تبغِّضَ إليهم بشناعتها لقاءَ الله، فيُبغض الله لقاءَهم، ويَكِلُهم إلى سوء عملهم.

• شتَّانَ بين مَن يُؤثر طولَ العمر رغبةً في الاستزادة من الطاعات والصالحات، ومَن يُؤثره فرارًا من الموت ولقاء الله.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾

• هذه الحياةُ إلى انتهاء، والبعد من الله فيها يؤول إلى الرجوع إليه، فلا ملجأ منه إلا إليه، والحسابُ والجزاء لا محالةَ واقعان، فأنَّى لك الفَكاك؟!

• مواكبُ الأموات تمرُّ بنا كلَّ يوم، ونبصر القبورَ تملأ من حولنا البِطاح، ولكنَّ حالنا توحي وكأننا نظنُّ أن الموت كُتب على الخلق جميعًا إلا علينا، وأن مردَّهم إلى القبور إلا نحن!

• إنه الموت؛ حقيقةُ الحقائق التي ستُدركها بلا ريب، وتلقاها بلا شك، فأحسن العمل، وأحسن الظنَّ بربِّك، فإنَّ مردَّك إليه.

• كلَّما أمعنتَ في الفرار من الموت أسرعتَ بالإقدام عليه، وما استدبرتَه إلا استقبلك، وما أبعدتَ منه إلا دنا منك، فأصلح عملَك تفز وتسعَد.

• لو أنَّ الموت هو النهايةُ لهان خَطبُه ولما فرَّ منه أحد، ولكنَّه البدايةُ لحساب لا يذَرُ من عملك صغيرًا ولا كبيرًا، ظاهرًا أو مستترًا إلا أحصاه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
(٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ
مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)
وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١)

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ (١) ٱتَّخَذُوٓاْ
أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
الحزب ٥٦ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ
تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)

٥٥٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)﴾

• ليوم الجمعة في حياة المسلمين مكانةٌ أيُّ مكانة، وفيه مشهدٌ عظيم يحسُن بكلِّ مسلم الاهتمامُ به، ألا وهو صلاةُ الجمعة.

• ما كان الله ليحُثَّ على السعي إلى صلاة الجمعة إلا لما أعدَّ للساعين إليها من عظيم الثواب والأجر، ووافر الخير والبِر.

• بادروا إلى الخيرات، وإذا كان في التجارة ربحٌ كثير، وبركةٌ واسعة، فإن تركها لصلاة الجمعة أعظمُ ربحًا وأجزلُ بركة.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾

مِن فَضْلِ ٱللَّهِ: من رزقِ الله.

• لمَّا كان الاشتغالُ بالدنيا عمومًا والتجارة خصوصًا مَظِنَّةَ الغفلة عن ذكر الله، أمرَنا سبحانه بالإكثار من الذِّكر؛ لتبقى أفئدتنا متعلِّقةً به دومًا.

• قال مجاهد: (لا يكون العبدُ من الذَّاكرين كثيرًا حتى يذكُرَه قائمًا وقاعدًا ومُضطجعًا).

• كان عِراكُ بن مالك ﷺ إذا صلَّى الجمعة انصرف، فوقف عند باب المسجد فقال: اللَّهمَّ إني أجبتُ دعوتَك، وصلَّيتُ فريضتَك، وانتشرتُ كما أمرتني، فارزُقني من فضلك، وأنت خيرُ الرازقين.

• لا رهبانيَّةَ في الإسلام ولا غُلوّ، وهو دينُ الانضباط والتوازن، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ولا تطغَ بجانب على حساب جانب.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١)﴾

قَآئِمًا: تخطبُ على المِنبَر.

• ليست المداومةُ على طاعة الله ممَّا يفوتُ به الرزق، فإنَّ الله خيرُ الرازقين، ومَن اتَّقى الله رزقه من حيثُ لا يحتسب.

• إذا ما نازعَتك نفسُك إلى الانشغال بالمُلهيات، عند حضور العبادات، فذكِّرها بما أعدَّ الله لأهل الطاعات، من خيرات ومكرُمات.

• كلُّ ما صرفك عن طاعة الله وشغلك عن ذكره فهو لهوٌ باطل، وما أكثرَ ما تضيع الأعمارُ لاهيةً عابثة!

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ (١)﴾

• ما أكثرَ المنافقين الذين يندسُّون في صفوف المؤمنين؛ ليُفسدوا بينهم، ويفتُّوا في عَضُدهم، ويشتِّتوا شملهم، فلنكن منهم على حذَر.

• ليس بعد شهادة الله شهادة، وقد شهد الحقُّ سبحانه للمنافقين بالكذب، فإيَّاكم وإحسانَ الظنِّ بهم؛ لئلَّا تُؤتَوا من قِبَلِهم.

• ثلاثة مؤكِّدات في هذه الآية يأخذ بعضُها برقاب بعض؛ تحذيرًا من الله ربِّ العالمين، لعباده المؤمنين، من خطر النفاق والمنافقين.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢)﴾

جُنَّةً: وِقايةً وسُترةً لهم منَ المُؤاخَذة.

• إيَّاك وكثرةَ الحَلِف، فإنه خَلَّة ذميمة، وحسبُك به شرًّا أنه من صفات المنافقين.

• حتى الأيمانُ منها صادقٌ ومنها كاذب، فلا تغترَّ بأيمان كلِّ أحد، حتى تمحِّصَ وتختبر.

• من أخطر جرائم المنافقين الصدُّ عن دين الله، والتشكيكُ بثوابت الإيمان.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣)﴾

• الجزاءُ من جنس العمل؛ فإنَّ الله لم يطبع على قلوب المنافقين ابتداء، ولكن بعد ما استمرؤوا الكفرَ مع إظهار الإيمان.

• بادر إلى التوبة أيها المؤمنُ بعد كلِّ زلَّة وسقطة، فلا يأمنُ المرء على نفسه من الانتكاس بعد الصَّلاح والإيمان.

• مَن عرف الإيمانَ وذاق حلاوته، ومشى بنوره وتفيَّأ ظلاله، ثم آثرَ عليه ظُلمات الكفر، استحقَّ أن يُطمَسَ على بصيرته، حتى لا يفرِّقَ بين خطأ وصواب.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)﴾

• ليس كلُّ من صلَحت هيئتُه كان صالحًا، وليس كلُّ من أوتيَ فصاحةً وبيانًا كان صادقًا، فما أكثرَ الزَّيفَ وما أقلَّ المعدنَ النفيس!

• مهما أظهر المنافقون من بسَماتٍ ومعسول البيانْ، فإنَّ ما يُضمِرونه في ضلوعهم من عَداء للحقِّ وأهله مآلُه إلى الخُسر والخِذلانْ، بمشيئة الملك الديَّانْ.

• من العقوبات المعجَّلة للمنافقين أنهم أبدًا في تخوُّف وتوجُّس، لا يشعرون براحة نفسٍ ولا طُمأنينة فؤاد؛ خشيةَ الافتضاح.

• العدوُّ الداخليُّ أفتكُ وأخطر من العدوِّ الخارجي؛ إذ هو كامنٌ داخل معسكر المؤمنين، ومتغلغلٌ في صفوفهم.

• لا خيرَ يُرتجى من المنافق ولا يُعتمَد عليه، وإذا رأيته قائمًا فاعلم أنه على غيره يعتمد وإليه يستند، ولن يلبثَ أن يسقطَ وتنكشفَ حقيقتُه.

• قال حذيفة: (المنافقون اليوم شرٌّ من زمن النبيِّ ﷺ). وهكذا هم على مدار العصور، يزدادون خُبثًا وخطرًا، فكيف بمنافقي زماننا؟

الجُزءُ الثَّامِنُ وَالعِشرُونَ — سُورَةُ المُنَافِقُونَ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ
خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ
مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن
يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

٥٥٥

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾

لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ: عَطفُوها إعراضًا واستهزاءً.

- لا يزال المنافقُ ماضيًا في نفاقه حتى يرسُخَ في الكفر رسوخَ الجبال، فيحرمَه الله اللطفَ والعنايةَ والهداية.
- من علامات المنافقين أنهم يُؤثرون الظلامَ على النور، ويأبون إلا الخبطَ في متاهات الضَّلال، بمِلء إرادتهم، ومَحض اختيارهم، فأنَّى لهم التوفيقُ للهداية؟!
- كُلُّ معصية يرتكبها العبدُ وكُلُّ ذنب يُذنبه، يفقدُ معه قدرًا من الهداية، يستدركه بالتوبة والاستغفار.
- الاغترارُ بالنفس والاستكبارُ على الخلق داء عَياء، يفتكُ بصاحبه ويُودي به في مَفازات الهلاك.
- ما كان الله ليغفرَ للمنافقين المتشبِّثين بالكفر، والمصرِّين على محاربة الله وشرعه، والمناصرين سرًّا لأعدائه، فإيَّاكم وإيَّاهم، ولا تظنُّوا بهم إلا شرًّا.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾

- لا تطيب نفسُ المنافق بالعَداء لدين الله وأهل الحقِّ بنفسه، حتى يستعديَ عليهم غيرَه ويحثَّهم على إيذائهم.
- لا تُبالِ أيها المؤمنُ بإرجاف المنافقين؛ فإن لله خزائنَ السماوات والأرض يؤتي الرزقَ مَن يشاء، ويمنعه مَن يشاء.
- دَيدَنُ المنافقين الحضُّ على منع الإنفاق في وجوه الخير والبرِّ؛ لما يعلمون من أهميَّة المال وأثره في انتشار الدعوة التي تُبغضها قلوبهُم، وتشمئزُّ منها نفوسهُم.
- تضاءلت فهومُ المنافقين فانحصرَت في الحياة الدنيا، ظانِّين لقمةَ العيش هي كُلَّ شيء، فتواصَوا بينهم بتجويع المؤمنين الصالحين، على اختلاف الزمان والمكان.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

- ما أكثرَ ما يخطئ المنافقون في تقدير حجمهم وقوَّتهم في مجتمعات المسلمين! ثم إذا جدَّ الجِدُّ أخزاهم الله وأظهر ضآلةَ حجمهم وضعفَ شوكتهم.
- أنَّى للمنافقين أن يُدركوا العزَّةَ الحقيقيَّة وهم لم يتذوَّقوا لها طعمًا ولم يتَّصلوا بمصدرها الأصيل؟! فلا عزَّةَ إلا بالله القويِّ العزيز.
- لتَهنِكُم العزَّةُ أيها المؤمنون، فهل من شرف ومجد أعظمُ من أن يضمَّكم الله إليه وإلى رسوله؟ إنه تكريمُ الكريم، وعطاء الربِّ الحكيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾

- اعلم أنه ليس من عدوٍّ لك أعدى ممَّن يصرفُك عن عبوديَّة الله وذكره؛ إذ دوامُ ذكره سببٌ في دوام محبَّته ورضاه عنك.
- جُبلت النفوس على حبِّ المال والأولاد، فجاهدها على ألا تقدِّمَ على حبِّ الله ورسوله شيئًا أيًّا كان.
- كُلُّ ما شغلك عن الله وعبادته وذكره من مال أو ولد، فهو عليك شؤمٌ وخسارٌ في العاجل والآجل، فاحذر أن يلهيَك حتى يسلمَ لك قلبُك.
- إن الله عزَّ وجلَّ أكرمُ من أن يبتليَ قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوبٍ غفَلَت عن ذكر الله تعالى.
- أعظمُ الخسارة أن تؤثرَ الضَّئيلَ القليلَ الفاني، على العظيم الثمين الباقي.
- الرابح مَن خاف الله في أولاده ولم يَخَفهُم في الله، وأرضى الله بسخَطهم ولم يُرضهم بسخَط الله، وراقبَ الله فيهم ولم يراقبهم في الله، وآثرَ الله عليهم ولم يُؤثرهم على الله.
- إنما منحك الله الأموالَ والأولاد لتُعينَك على الخلافة في الأرض، لا لتُلهيَك عن ذكر الله وعبادته، فإنها لا تُلهي إلا غافلَ القلب، لم يدرك غايةَ وجوده.

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

- قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: (تصدَّقوا قبل أن ينزلَ عليكم سلطانُ الموت فلا تُقبَل توبةٌ ولا ينفع عمل).
- أدِم ذِكرَ هاذم اللذَّات، فإنه أحرى أن يشجِّعَكَ على الإنفاق في سبيل الله تعالى؛ إذ ليس للإنسان إلا ما تركَ من صالحات.
- لولا عِظَمُ الصدقة ومكانتُها عند الله لما كان أولَ ما يرجو العبدُ لو أُتيح له الرجعةُ إلى الدنيا أن يتصدَّق.
- كل يوم تُشرق عليك فيه الشمس وأنت حيٌّ هو منحةٌ جديدة لك لاستدراك ما فاتَك، والتوبة عمَّا اجترحَت يداك، فهل من مُعتبر؟!
- مَن ذا الذي يعلم يقينًا ماذا بقيَ له من عمُر وعمل؟ فلا تقعد مهما تقدَّمَت بك السنُّ أو غلبك الضعفُ والمرض عن عملٍ صالح تُلاقي به مولاك.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم
مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ٣ يَعْلَمُ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى
ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٦ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ
وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٩

٥٥٦

سُورَةُ التَّغَابُنِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١﴾

• لو عرفتَ أيها العبدُ ربَّك حقَّ المعرفة، وأدركتَ عظيمَ ملكه، لخشعَت منك كلُّ خليَّة، ولنبض قلبُك بتمجيده، وانطلق لسانُك بتسبيحه.

• أجل، إن الله على كلِّ شيء قدير، قديرٌ على إكرام أهل الذِّكر والشُّكر، وقديرٌ على إذلال أهل الجحود والكُفر، فيا خيبةَ من كان في الفريق الثاني!

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ٣﴾

• ما أكثرَ نِعَمَ الله علينا وما أوسعَ فضلَه سبحانه! ومِن أولاها بالثناء والشُّكر نعمةُ الخَلق ونعمةُ الإيمان ونعمةُ الهداية.

• إن الله بصيرٌ بك وبعملك، وبصيرٌ بظاهرك وباطنك، وبصيرٌ بما يجول بفكرك، وما توسوس به نفسُك، فلا تُرِ ربَّك منك ما يكره!

• منحَ الله خلقَه إرادةً حُرَّة، وعرَّفهم طريقَ الهداية ورغَّبهم فيها، وطريقَ الضَّلالة وحذَّرهم منها، وهو بصيرٌ بهم وبما يختارون ويعملون.

• أحسنَ الله صورتكَ وجعلكَ في خير تقويم، فإن لم تشكره فإلى أيِّ أرض تفرُّ وبأيِّ سماء تستظلُّ، والأرض والسماوات وما بينهما كلٌّ خاضعٌ لأمره؟

• اعلم أن المصيرَ والمآل إلى الله تعالى، فقدِّم بين يدَي لقائه ما يُنجيك من عذابه، ويبلِّغك رضوانه وجنَّته.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤﴾

• قد يُخفي بعض الناس سوء طويَّته عن الآخرين، فيخدعُهم ويغشُّهم، ولكن هيهاتَ أن يخدعَ بذلك مَن يعلم السرَّ وأخفى.

• على العاقل اللبيب أن يحرِصَ على حفظ باطنه من الأخلاق الرذيلة، كحِرصه على تحسين ظاهره بالفِعال الجميلة.

• راقب نيَّتك أيها العبدُ في كلِّ ما تأتي من عمل وتذَر، فإن الله مطَّلعٌ عليها كما يطَّلع الناس على ظاهر عملك.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥﴾

وَبَالَ أَمْرِهِمْ: سُوءَ عاقبةِ كُفرِهم.

• مَن لم يعتبر بأخبار مَن مضى من الأمَم، وبما حلَّ بها من العذاب والنِّقَم، يوشك أن يصيبَه ما أصابهم، ويبيتَ لغيره عِظةً يجري بها القلَم.

• مَن تمادى في الاستكبار ولم يعبأ بالنذُر، أذاقه الله من العقاب في الدنيا ما يكونُ به لغيره عبرة، وله في الآخرة مزيدٌ ومزيد.

• إذا كانت النفسُ تَعافُ طعمَ الصَّبِر المرِّ وأثرَه الكريه في الفم، فإن الكفَّار ليتجرَّعون من صنوف العذاب المرِّ أضعافًا وأضعافًا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٦﴾

• لمَّا كانت الرسالةُ السماويَّة منهجًا إلهيًّا للبشَر، كان لا بدَّ أن تتمثَّل واقعيًّا في فردٍ منهم، يكون بشخصه ترجُمانًا لسموِّها، وأسوةً للآخرين.

• آفةُ الآفات الكِبْر، فإنه يصدُّ صاحبه عن الإذعان للحقِّ والبيِّنات، ويُعميه عن إبصار الحُجَج الواضحات، ويهوي به في الجحيم أسفلَ الدَّرَكات.

• أيها المسلمُ، إن الله غنيٌّ عنك وعن عبادتك، ولكنْ من تمام فضله أنه يحمَدُ لعباده إحسانَهم ويكافئُهم عنه بأحسنَ منه.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧﴾

• أيها المؤمنُ، إنَّ البعث حقيقةٌ كائنة لا محالة، وما من أحد إلا وسيكلِّمه الله ليس بينه وبينه ترجُمان، فأعدَّ لهذا المشهد عملًا يُزلفك من رضا مولاك.

• كيف لا يكون البعثُ على الله هيِّنًا يسيرًا، وقد خلق الكونَ كلَّه على عظمته من عدَمْ، أفيُعجزه بعثُ البشَر خلقًا جديدًا من رِمَمْ؟!

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٨﴾

• هي دعوةٌ من الله باقية؛ ازدادوا أيها الناس إيمانًا ويقينًا، واتِّباعًا للرسول وتأسِّيًا، واستبصارًا بالوحي واهتداء، تفلحوا في الدنيا والآخرة.

• إنَّ حاجتك إلى نور يُضيء لك طريقَك إلى الآخرة أشدُّ من حاجتك إلى ضياء يبصِّرك في ظلام دنياك.

• لنكُن على يقين أنَّ الله لا يخفى عليه شيءٌ من أقوالنا وأعمالنا، وأنه لا بدَّ مجازينا، أفلا نخافُه ونراقبُه في سرِّنا وعلانيتنا؟!

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٠﴾

لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ: ليومِ القيامة.

يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ: يومُ ظهور غَبْنِ الكافر وخَسارتِه بتَركه الإيمانَ، وغَبْنِ المؤمن وخَسارتِه بتقصيره في الإحسان.

• قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ النَّارَ أحدٌ إلا أُرِيَ مقعدَه من الجنَّة لو أحسن؛ ليكونَ عليه حسرة»، فهل من غَبْنٍ أبيَنُ من هذا؟!

• مهما حقَّقتَ في الدنيا من فوز ونجاح، فإنَّ الفوز الأبلغَ هو أن تُزحزَحَ عن النار بمغفرة ذنوبك، وتدخلَ الجنَّةَ بفضل الله ورحمته.

• يا خسارةَ أهل الكفر والضَّلال؛ يخسرون النجاةَ ابتداءً، ويُغبَنون ما كان يمكنُ أن يفوزوا به؛ بذهابه إلى المؤمنين الصادقين انتهاء.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾

• قال عَلقَمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم.

• إن الله يعلم ما يُصيب عبدَه المؤمنَ من بلاء فيصبِّره ويثبِّت جَنانه، ويجازيه عن ذلك بما أعدَّه من كرامة للصَّابرين.

• لا يبلغ العبدُ اليقينَ حتى يعلمَ علمًا جازمًا أن ما أصابه لم يكن ليُخطئَه، وما أخطأه لم يكن ليُصيبَه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما وقعَ عليك فلن تدفعَه، وما ليس بواقع عليك فلن تجلبَه.

• إن رُمتَ راحةَ البال وطُمأنينة الفؤاد فلتوطِّن نفسَك على الرِّضا بقضاء الله والتسليم لقدَره، مع الصَّبر والثبات.

• قال إبراهيمُ الحَربيُّ تلميذ الإمام أحمد: (أجمع عقلاءُ كلِّ ملَّة أنه مَن لم يجرِ مع القدَر لم يهنأ بعَيشه).

• ليس كالإيمان قائدٌ يقود صاحبَه إلى المبرَّات في أحواله كلِّها؛ «فإن أصابته سرَّاءُ شكرَ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبرَ فكان خيرًا له».

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢ ﴾

• طاعةُ الرسول واتِّباعُ أمره إنما هو من طاعة الله تعالى، فمَن أنكر السنَّةَ والعمل بها فقد عطَّل الشَّرعَ وخالف القرآن.

• قال الزُّهري: (منَ الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم).

• لا تحزن أيها الداعي إن انفضَّ عنك الناسُ ولم يستجيبوا لما تعِظُهم به، فتلك طبيعةُ الدعوة، وأجرُك محفوظ غير منقوص.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾

• كيف تستحقُّ شرفَ الإيمان وأن تسمَّى مؤمنًا، إن لم تتوكَّل على الله حقَّ التوكُّل؟

• الألوهيَّة الحقَّة تقتضي التبتُّل إلى الله تعالى بالكليَّة، وقطعَ التعلُّق بالمرَّة عمَّا سواه من البريَّة.

• الإيمان الصادق دافعٌ إلى التوكُّل الصحيح على الله وحدَه، وكلَّما زاد الإيمانُ في قلب المؤمن زاد توكُّله على ربِّه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾

• أشدُّ الأذى نكايةً ما كان صادرًا عمَّن أحسنتَ إليه، فاقتضى ذلك أن تصبرَ على مسامحته وتتصبَّرَ على العفو عنه؛ حفاظًا على أواصر القُربى.

• حذارِ أيها العبدُ أن يحملكَ حبُّك لزوجك وولدك أن تطعمَهم وتنعِّمَهم من حرام، فيكونَ إحسانُك إليهم إساءةً بالغة لنفسك!

• حفظ الدِّين أعظمُ الواجبات، وإقامة الشَّرع أهمُّ المهمَّات، وما شغلك عن ذلك فهو أعدى الأعداء، ولو كان من أقرب الأقرباء.

• علَّمنا القرآن أن ندفعَ السيِّئةَ بالتي هي أحسن، والأقربون أولى بالرِّفق والمعروف؛ حفاظًا على عُرا المودَّة والألفة.

﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾

• كم من أبٍ فُتن بولده؛ فقدَّم رضاه على رضا مولاه، حين استباح المحرَّمات في سبيل رفاهية ماضيَه، وسعادة غير باقيَه!

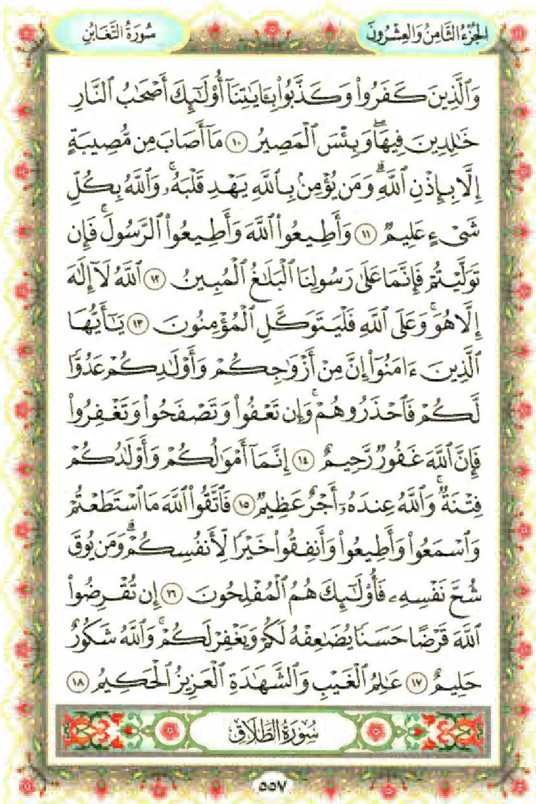
• إنما الدنيا دارُ ابتلاء، والمالُ والولد فيها فتنةٌ واختبار، قد يقع المرء بسببهما في المعاصي والآثام، إن لم يتجرَّد لله الملك الديَّان.

• لمَّا كان المالُ والبنونَ فتنةً أيَّ فتنة، استحقَّ الصابرون على لأوائها، الناجون من إغراء زُخرُفها ولألائها، أجرًا من الله عظيمًا.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾

• يتجلَّى لطفُ الله بعباده في أنه لا يشقُّ عليهم ولا يُعنتهم، ويرضى منهم ما يُطيقون من عمل في طاعته وتقواه.

• مَن تلقَّى أوامرَ الله تعالى ورسوله ﷺ باهتمام وتعظيم، كانت طاعتُه على بصيرة، وعن حبٍّ وانشراح صدر.


الجزء الثامن والعشرون — سورة التغابن

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن
تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا
لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ
فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ
وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ
شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ
ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨

سُورَةُ الطَّلَاقِ

٥٥٧

• حين يتيقَّن المسلم أنَّ ما يُنفقه في وجوه البرِّ إنما هو إنفاقٌ لنفسه لا لغيره، فإنَّ ذلك يحفِزُه إلى بذل المزيد؛ ليكونَ من الفائزين.

• يا لها من مرتبةٍ رفيعة؛ مرتبة التحرُّر من الأثَرة والبُخل، وتربية النفس على السَّخاء والبَذل، بأريحيَّة ونُبل.

﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ ﴾

• مَن ذا الذي يفوِّت هذه الفرصةَ العظيمة؛ أن يُقرضَ اللهَ مولاه! فإنه سبحانه يردُّ القرضَ له أضعافًا مضاعفة، بكرمه وإحسانه.

• تبارك الله، ما أكرمَه! يرزق عباده بمنِّه، ثم يسألهم فضلَ ما أعطاهم قرضًا، فيضاعفُه لهم أضعافًا، ويشكرهم على إنفاقهم، ويتجاوز عن تقصيرهم في شُكره.

• من تمام فضل الله أنه يجزي عبادَه عن العمل الصالح اليسيرِ، بالجزاء الوافر الكثيرِ، ويقبل من الفقير القليلَ؛ ليمنحَه عليه الجزيلَ الجليل.

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾

• ما من شيء إلا مكشوفٌ لعلم الله تعالى، خاضعٌ لسلطانه، مدبَّر بحكمته، فليعِش الناسُ وهم يشعرون بأنَّ عينَ الله تراهُم، وبحكمته يدبِّر شؤونهم ويرعاهُم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن
يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾
فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ
بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ
مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ
ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ
الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ
وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

٥٥٨

سورة الطلاق

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ: بمعصيةٍ كبيرة ظاهرة.

• يتجلَّى في هذه السورة وما فيها من أحكام حرصُ الإسلام على المرأة وحفظِ حقوقها، ورعاية فطرتها وحاجاتها، على نحوٍ لم تعرفه شريعةٌ أخرى ولا قانون!

• لا ينبغي أن يكونَ الطلاق عن نَزوة أو غَضبة أو تعجُّل، ولكنَّه قرارٌ خطير لمصير أسرة يجب التأنِّي فيه، واتخاذُه عن تدبُّر وتعقُّل.

• ظُلم الرجل لزوجته إنما هو ظلمٌ لنفسه؛ لأنه تعدٍّ على حدود الله تعالى، والظلم ظلماتٌ يوم القيامة، فإيَّاك وإياه.

• لا تتعجَّل أيها المسلمُ في قطع حبالك مع الآخرين، فلعلَّ الله يُحدث بعد الخلاف أمرًا من تقليب القلوب من بُغض إلى محبَّة، ومن غضب إلى رضًا.

• قد تستغرق النفسُ البشرية اللحظةَ الحاضرة بآلامها وأحزانها، فتعيشُ في سجن الحاضر وكأنه قضاءُ الأبد الدائم، وما هذا إلا وهمٌ يجب التحرُّر من قيوده.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾

• الإمساكُ بالمعروف مقدَّم على المفارقة بالمعروف؛ لما فيه من حفظٍ لكِيان الأسرة، ورأبٍ لصَدعها، وإصلاحٍ لنفوس أفرادها.

• إنما استُحبَّ إمساكُ الزوجة وإرجاعُها؛ حفاظًا على وشائج القُربى واستقرار الأسرة، فلزم أن يكونَ بالمعروف، لا لغرَض الإضرار والانتقام.

• الزواج ميثاقٌ غليظ بين الأزواج، لا ينبغي أن يُهتكَ إلا بحقٍّ، وبشهادةٍ خالصةٍ لله تعالى، يكون التعاملُ فيها معه سبحانه قبل أن يكونَ مع الزَّوج أو الزَّوجة.

• تقوى الله تحمل صاحبَها على العدل والإحسان، ومن هنا قال الحسن البصريُّ: (زوِّج ابنتكَ التقيَّ؛ فإنه إن أحبَّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها).

• أعظم الناس انتفاعًا بالمواعظ مَن رسَخَ الإيمانُ في قلبه، فبمقدار إيمانه يكون انتفاعُه واتِّعاظُه.

• لمَّا كان الطلاق مَظِنَّةَ الوقوع في الضِّيق والكَرْب حثَّ الله على التقوى فيه، فإنَّ مَن اتَّقاه في الطلاق وغيره جعل له فرَجًا ومخرجًا.

• قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: (لو أطبقت السماء على الأرض لجعلَ الله للمتَّقين فُتحاتٍ يخرجون منها).

• إذا رَجَت المرأة في طلاقها الفرَجَ والأجرَ، والمخرجَ واليُسرَ، فعليها بشرطه وهو تقوى الله تعالى.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

بَالِغُ أَمْرِهِ: مُنفِذٌ حُكمَه؛ لا يفوته شيءٌ، ولا يُعجِزُه مَطلوب.

قَدْرًا: أجَلًا ينتهي إليه.

• ليس الرزقُ محصورًا بما يأتيك من مال، ولكنَّ كلَّ خير يصيبك في دينك ودنياك، وكلَّ شرٍّ يُصرَف عنك هو من رزق الله، وأعظمُ الرزق رزق القلب.

• سنَّةٌ بيِّنة لذوي الأبصار: مَن توكَّل على غير الله وَكَلَه الله إليه فزلَّ وضلَّ؛ لأنه لا يعلم الخيرَ والمصالح ويوفِّق إليها إلا هو سبحانه.

• كيف يبتئسُ مَن علم أن الله مالكٌ لكلِّ شيء، ومتصرِّفٌ بكلِّ شيء، وجاعلٌ لكلِّ شيء قدرًا وأجلًا؟

﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾

• ألا ما أوسعَ فضلَ الله على عباده؛ لم يدعْهم في حَيرة من أمرهم وشك، ولكن فصَّل لهم الأحكامَ بأبلغ بيان، ووضَّحها بأحكم تبيان، ليكونوا على بيضاء نقيَّة.

• مَن لم يتَّقِ الله في الطلاق وغيره أوقع نفسَه في الشدائد والأغلال حتى يعجِزَ عن التخلُّص منها، والتحرُّر من تبعتها، فيندمَ ندامةً عظيمة.

• مع التقوى تكون الفسحةُ واليُسرُ، ومع المعاصي يكون الضيقُ والعُسرُ، {ومَن أعرَض عن ذِكري فإنَّ له مَعيشةً ضَنكًا}.

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

• طاعةُ الله تعالى في أوامره وأحكامه تحقيقٌ لمعنى الإيمان؛ كيف لا، وقد أنزل الله هذه الأحكامَ للمؤمنين ليعملوا بها؛ رحمةً منه وفضلًا؟

• إذا ما علمتَ أيها المسلمُ أن أحكام دين الله هي وحيٌ منه سبحانه، أنزلها لصلاح البشَر في عاجل أمرهم وآجله، فاحرِص على رعاية أمر الله والعلم به والعمل بمقتضاه.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾

مِّن وُجْدِكُمْ: على قَدرِ وُسعِكُم وطاقَتِكُم.

• قال ﷺ: «الرَّاحمونَ يرحمُهم الرَّحمن» فمَن طمع برحمة الله تعالى فليرحَم غيرَه، وأَولى الناس برحمته وصَفحه مَن كانت قبلُ زوجَه وسكنَه.

• من صفات المنافق أنه إذا خاصم فَجَر، فما بالكم بمَن يفجُر في الخصومة مع مَن كانت يومًا دِفئًا لقلبه، وأُنسًا لروحه، وموضعًا لسرِّه، وأُمًّا لفِلذات كبِده؟!

• العلاقات الزوجيَّة تتوثَّق أواصرُها بالمعروف، وينبغي أن يُحَلَّ عَقدُها بالمعروف أيضًا؛ استبقاءً لمودَّات القلوب، وتقديرًا لذكريات الأيام الخوالي.

• شُرع الطلاقُ رحمةً بالناس حين يستحيل دوامُ الزواج، فإيَّاكم أن تجعلوه شرًّا؛ بالظلم والتجنِّي، والنكاية والتشفِّي.

• لا تشتطَّ أيها الأبُ في الشحِّ والبَخَل، ولا تشتطِّي أيتها الأمُّ في الحرص والطَّمَع، واتفقوا بالمعروف على ما فيه مصلحةُ أولادكما.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

قُدِرَ: ضُيِّق.

• ما أحوجَنا إلى امتثال توجيهات الله تعالى وأوامره، ومنها قناعةُ المرء بما يُنفِقُ عليه، دون تكليف المُنفِق ما ليس في طَوقه وقدرته.

• لمَّا كان الأمر كلُّه بيد الله وحدَه؛ فهو الذي يعطي ويمنع، ويبسُط ويقبض، وبيده الضِّيق والفرَج، والشدَّة والرَّخاء، وجبَ أن نُفردَه بالطَّلب والالتجاء.

• إن العُسر لا بدَّ أن يعقبَه يُسر، والمشقَّة يعقبها راحة، ولكن لكلٍّ وقتٌ معلوم، وما عليك إلا أن تتفاءلَ وتترقَّبَ الفرَج.

• مهما اشتدَّ بك الأسى، وأظلمَت عليك الدنيا، وسُدَّت في وجهك الآفاق، فإن الخلاص آتٍ آت، فتسلَّح بالأمَل؛ ليكونَ قائدَك إلى الصبر والعمَل.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾

عَتَتْ: عَصَت وتجبَّرَت.

وَبَالَ أَمْرِهَا: سُوءَ عاقِبةِ عُتُوِّها وكُفرِها.

• الأمَّة بمجملها مسؤولةٌ عن إقامة شرع الله وتطبيق حدوده، فإن خالفَت ونكصَت استحقَّت أن يُصيبَها من العقاب ما أصاب غيرَها من الأمم.

• لم يُنزل الله أحكامه عبثًا، حاشاه! ولكنَّه أنزلها لنعملَ بها ونسعدَ بهداها، وويلٌ لمَن أعرضَ عنها وتولَّى، فإن عاقبته وَخيمةٌ جدُّ وَخيمة.

• مَن زرع الشَّوكَ لا يجني الثِّمار، ومَن أضاع حقَّ الله لا يُطاع في حظِّ نفسه، فليصبر على عذاب الله، وهَيهاتَ أن يصبر!

• خاب وخسر مَن باع نعيمَ الآخرة العظيم بخسيسٍ من الدنيا قليل.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

• العقل السليم يوقن أن الذي أهلك القرونَ السابقة بكُفرهم وتكذيبهم يُهلك مَن بعدهم كما أهلكهم؛ لاشتراكهم بالفعل القبيح.

• إنما سُمِّي القرآن ذكرًا لما تضمَّنه من تذكير الناس بما هم عنه غافلون من التوحيد والتكليف، ولما فيه من وعدٍ لمَن تمسَّك به بالرِّفعة والشرف المُنيف!

• ما قيمةُ العقل الراجح إن لم يحجُز صاحبَه عن المحرَّمات والمنكرات، ولم يهدِه إلى المبرَّات والصالحات؟!

• شتَّانَ بين نور الوحي والعلم الذي جاء به النبيُّ ﷺ، وظلام الجهل والضَّلال، وشتَّان بين نورٍ في القلب يَهدي صاحبَه إلى الحقِّ، وظلامٍ يُعميه عن أوضح الحقائق وأظهر المسلَّمات.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟
عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ
أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن
تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن
قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا
نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ
لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ
ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ
بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

• بطَلَ العذرُ والاعتذار مع قيام الحُجَّة على الخَلق؛ بإرسال كتاب مبيِّن للحلال والحرام، وللأمر والنهي، فهل من مدَّكر؟!

• لا تستصغر أيَّ عمل صالح مهما ضَؤُل، فلا تدري أيَّ عملك يكون لك نورًا تمشي به في الدنيا، وتجتاز به الصِّراطَ في الآخرة.

• من إكرام الله تعالى لأهل طاعته أنه ينعِّمهم في دار الخلود مع أحبابهم من ذرِّياتهم وإخوانهم، لتتمَّ لهم السعادةُ والسرور.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

• يدرك العاقلُ المتأمِّل في أحكام الله أنَّ الذي أنزل هذه الشريعةَ المُحكَمة لا بدَّ أنه ربٌّ عظيم حكيم، كاملٌ في قدرته وصفاته.

• شعورُ الإنسان بعلم الله المطلَق، واستحضارُ أنه تعالى خبيرٌ بكلِّ شيء هو الضمانُ لرهافة الإحساس، ومراقبة الله في الخَلَوات والجَلَوات.

• إن الله الذي أنزل إليكم أحكامَ الطلاق وغيرَها، قد أحاط بكلِّ شيء علمًا، فهو أعلم بما يُصلح شؤونكم، ويُقيم أمركم، فلا تتعدَّوا حدودَه.

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ الحزب ٥٦
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا
نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا
نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ إِن
تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ
ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ
مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ
وَأَبۡكَارٗا ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا
وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ
لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧

٥٦٠

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾

• لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وكما لا يجوز أن نحلِّل ما حرَّم الله تعالى، كذلك لا يجوز أن نحرِّم ما أحلَّه سبحانه.

• لرسول الله ﷺ منزلةٌ عظيمة عند ربِّه ليست لأحدٍ من البشَر، تأمَّل كيف تولَّى الله الدفاعَ عنه، وعلَّم أمَّتَه التأدُّب معه.

• مخاطبة الرسول ﷺ بأمرٍ ما تنبيهٌ للأمَّة على أهميَّته، ووجوب التزام أمر الله فيه.

﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾

تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ: تحليلَ أيمانِكم بأداءِ الكَفَّارةِ عنها.

• ما شرعَ الله حُكمًا إلا لعلمه بما فيه من صلاحك أيها العبدُ وخيرك، وهو لا يأمرُ وينهى إلا بما تقتضيه الحكمةُ بأجلِّ معانيها.

• مَن كان الله مولاه فقد كفاه وأغناه، عن كلِّ ما سواه، فأخلص لربِّك وتوكَّل عليه، ولا تخش فيه أحدًا.

﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣﴾

• قِوامُ الحياة الزوجيَّة الثقةُ المتبادلة بين الزوجين، وممَّا يدعِّم أركانَ الثقة كتمانُ أحدهما أسرار الآخر.

• ما استمرَّت الألفةُ والمحبَّة إلا على أساس من إقالة العثَرات، والتغاضي عن الزلَّات.

• قيل: (تسعةُ أعشار العافية في التغافُل). فما أجملَه مع زوجةٍ وولدٍ ومحبٍّ، ومن قبلُ قال عليٌّ رضي الله عنه: (مَن لم يتغافل تنغَّصت عِيشتُه).

• كم من فتنةٍ وُئِدَت في مهدها بالتغافُل والتسامح، ومن هنا قيل: إن التغافلَ نصفُ العقل، بل هو العقل كلُّه.

• مهما تناجى المتناجون واستَخفَوا عن الأنظار، فإنَّ الله عليمٌ بالسرائر، خبيرٌ بما في الضمائر.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤﴾

وَإِن تَظَٰهَرَا: وإن تتعاونا عليه.

ظَهِيرٌ: أعوانٌ وأنصار.

• وقوعُك في الخطأ ليس نهاية المطاف، فكلُّ بني آدمَ خطَّاء، والمهمُّ أن تنهضَ من كَبوتك وتمضيَ في مسيرتك نادمًا مستغفرًا.

• كلُّ جنوحٍ عن هَدي النبيِّ ﷺ وارتكابٍ لما يكره معصيةٌ تستوجب الاستغفارَ والتوبة.

• ما أعظمَ النبيَّ ﷺ وما أكرمَه على الله تعالى! فإنَّ مكانته رفيعةٌ عالية في الملأ الأعلى في السماء، وبين المؤمنين في الأرض.

• بلغ النبيُّ ﷺ من المنزلة عند ربِّه أعلاها، كيف لا وقد جعل الملكُ العزيز نفسَه الكريمة، وخواصَّ خَلقه أعوانًا له ومناصرين؟

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥﴾

سَٰٓئِحَٰتٖ: صائمات.

• لا يختار الله لرسوله ﷺ إلا أكملَ الأحوال وأعلى الأمور، فلمَّا اختار له بقاء نسائه معه دلَّ على أنهنَّ خيرُ النساء وأكملهنَّ فضلًا.

• احرص أيها الخاطبُ على ذات الدِّين، فإنَّ الظَّفر بها خيرٌ لك في عاجلك وآجلك.

• ما اجتمعَت هذه الصفاتُ في امرأة إلا كانت صالحةً ربَّانية؛ تصون دينَها، وتحفظ بيتَها، وتنفع مجتمعَها.

• بئسَ الضَّلالُ ضلالُ قوم آذَوا رسولَ الله ﷺ في أزواجه، بهتانًا وافتراء!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾

• وقايةُ النفس من النار بترك المنكراتْ، وفعل الطاعاتْ، ووقايةُ الأهل بحملهم على فعل المبرَّاتْ، ولزوم الصالحاتْ.

• قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: (اعمَلوا بطاعة الله، واتَّقوا معاصيَ الله، وأمُروا أهليكم بالذِّكر، يُنجِكُم الله منَ النار).

• أوَّل جهد يبذله المؤمنُ ينبغي أن يوجَّه إلى بيته؛ بنُصح الأزواج وتأديب الأولاد، وبغير صلاح البيوت لا يصلح المجتمعُ ولا تنهض الأمَّة.

• إنَّ الموعظة بذكر النار لا يستغني عنها الدعاةُ ولا المربُّون؛ لقوَّة تأثيرها في القلوب وظهورها في السُّلوك.

• نهوضُ الأمَّة المسلمة سيتأخَّر طويلًا طويلًا، وسيبقى بنيانها هشًّا ضعيفًا، ما لم يبدأ كلُّ فرد مسلم بإصلاح نفسه وأهل بيته.

• إذا تطلَّع الشابُّ المسلم إلى إنشاء أسرة صالحة، فعليه بالزَّوجة الصالحة التقيَّة التي تُعينه على تربية أولاده على محبَّة الله ومخافته.

• منتهى الاحتقار والازدراء أن تكونَ أيُّها الإنسانُ والحجارةُ سواء! فإيَّاك أن تبوءَ بهذه الوَضاعة، وقد شرَّفك الله بالعقل وميَّزك بالفهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧﴾

• كما تَدينُ تُدان، فلا تشكُ أيها المستكبِرُ من عمل يديكَ، ولا تبكِ من جناية نفسك عليك، فإنما هي أعمالُك توفَّى إليك.

• ليس بعد الإنذار والإعذار، قبولٌ لندم أو لاعتذارْ، فلنرجع عن الضَّلال والعصيان، قبل أن نبوءَ بالخزي والخُسران.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢

٥٦١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾

تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا: توبة صادقة.

بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ: أمامهم.

• البِدارَ البِدارَ، إلى التوبة الخالصة قبل انقضاء الأعمار، إذ ليس من توبةٍ تُقبَل يوم الحساب، ولا فديةٍ يُفتدى بها من العذاب.

• لا تكون التوبةُ نصوحًا حتى يعزمَ العبد عزمًا أكيدًا ألا يعودَ إلى الذنب كرَّة أخرى، فما أحرانا أن نعزمَ على ذلك جميعًا.

• حسبُكم شرفًا أيها المؤمنون أن الله ألحقَكم بنبيِّه سيِّد ولد آدم، وسلَّمكم من خزي ذلك اليوم، فجدِّدوا إيمانكم بالتوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾

• كلُّ سبيل متاح لمجاهدة الكفَّار والمنافقين فهو واجب؛ بدعوتهم بالحُسنى، وإقامة الحُجَّة عليهم، وقتال من أصرَّ على الكفر منهم وأبى الخضوعَ للحقّ.

• الكفَّار والمنافقون سواءٌ في الخطر على الأمَّة المسلمة، ومن هنا كان جهادهم والإغلاظ عليهم قربةً إلى الله تعالى.

• لا يقتصر الجهادُ على القتال بالسيف، ولكن من أعظم الجهاد جهادُ اللسان والقلم والمال، في دفع أباطيل المنافقين وكشف عَوارهم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾

فَخَانَتَاهُمَا: بالكُفرِ والمُخالفةِ في الدِّين.

• لا يتَّكلنَّ أحدٌ على صلاح غيره، فكلُّ عامل وعمله، وكما لا تضرُّ المحسنَ سيِّئاتُ غيره، لا تفيد الفاجرَ حسناتُ سواه.

• مَن كفر بالله وخالف أمره، فإن مصيره جهنَّم مع أمثاله، لا يُغني عنه صلاح أبٍ ولا ابنٍ ولا قريبٍ ولا بعيد.

• العبرة الحقيقيَّةُ بنسَب العقيدة لا بنسَب الدم، وبالولاء للشريعة لا الولاء للأسرة والقبيلة.

• أبلغُ الخسران، أن يُتاحَ للمرء أسبابُ الهداية والإحسان، فيأبى إلا المروق والعصيان!

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾

• لا يضرُّ المؤمنين مخالطةُ الكافرين، ما داموا محافظين على دينهمْ، مستمسكين بهدي ربِّهمْ، متبرِّئين من الكفَّار وعملهم.

• إن الله حكَمٌ عدل لا يأخذ أحدًا بجريرة أحد، ولا يؤاخذ عبدًا بذنب عبد، فما ضرَّ امرأةَ فرعونَ كفرُ زوجها حين أطاعت ربَّها.

• دَيدَنُ الصالحين المخلصين الالتجاءُ إلى الله في المِحَن والشدائد، وسؤاله سبحانه العونَ والتثبيت على الحقّ.

• ما استعلى امرؤٌ على عرَض الحياة الدنيا وزخارفها، وتجرَّد لله تعالى من كلِّ الفتن والأهواء، إلا فاز بأعلى المنازل عند الله تعالى.

• إذا نزل بك بلاءٌ في دينك أو دنياك فارفع يديك متضرِّعًا لربِّك، فهو سبحانه كافيك، وهو حسبُك ونعمَ الوكيل.

• المؤمنُ الصادق يُؤثِر الإيمانَ والاستقامة على جميع المُغريات، ولا يستسلم لضغط الواقع ولما في الطريق من عقَبات، ويقبض على دينه كما يُقبَض على الجمر.

• صلاح المرأة واستقامتها لا يُعرفان بخلوِّ الزمان من الفتن العاصفة، ولكنَّها كلَّما زادت الفتنُ أُوارًا زادت يقينًا وثباتًا.

• مَن صدَق اللهَ صدَقه الله، وأنار له طريق الحقِّ والثبات، ولو كان في لُجج الظَّلام.

• التضحياتُ ليست حكرًا على الرجال دون النساء، ولكنَّها أمارةٌ على صدق الإيمان وقوَّة اليقين، والنساء في هذا شقائقُ الرجال.

﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾

ٱلۡقَٰنِتِينَ: المُطيعينَ لربِّهم.

• الصدِّيقيَّة الحقَّة ليست بادِّعاء الكرامات، ولكنَّها بكمال العلم وتمام العمل، مع الصدق والإخلاص.

• شرفُ المرأة في عفافها وإحصان فرجها، فيا لهَناء من تزيَّنت بذلك، مع كثرة العبادة وخشوع القلب والجوارح.

• أيتها المسلمةُ، إن رغبتِ في الفلاح فكوني كخير نساء العالمين مريمَ وآسية؛ طاعةً لله، وخضوعًا لأمره، ورضًا بقضائه، وإيثارًا للآخرة على الدنيا.

• ما ابتُلِيَت امرأةٌ محصَنة في عِرضها كذبًا وزورًا، فصبرَت واحتسبَت إلا دافع الله عنها، وبرَّأها على رؤوس الأشهاد، وردَّ افتراء المفترين.

• كما أبرزَ المولى سبحانه سيرة هاتين الصالحتَين العابدتين، ينبغي أن ننوِّه بسِيَر الصالحات الفاضلات، ليكنَّ لسواهنَّ من النساء أُسوةً وقدوة.

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء ٢٩ الحزب ٥٧

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ
﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

٥٦٢

سورة الملك

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

تَبَارَكَ: تعالى وتعاظَم، وتكاثر خيرُه وبِرُّه.

• ما أعظمَكَ ربَّنا وما أكملَ قدرتَك! أبدعتَ ما أبدعتَ من مخلوقاتٍ على غير مثال، ولا نملكُ إلا أن نقول: تبارك الله أحسنُ الخالقين!

• إن الله هو المالكُ والمهيمن على كلِّ شيء، وإذا ما استقرَّت هذه الحقيقةُ في الضَّمير، فإنها تحدِّد للعبد الوجهةَ والمصيرَ، لإفراد الله بالعبادة والتقدير.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

• هي حقيقةٌ ينبغي أن تكونَ في وعي كلِّ مسلم على الدوام؛ إن الدنيا دارُ ابتلاء وامتحان، ليبقى مراقبًا للصغيرة والكبيرة من ظاهر عمله، وباطن نيَّته.

• العاقل اللبيب يُدرك أن الدنيا مزرعةُ الآخرة، فينشَطُ فيها بالعمل والإحسان؛ رجاءَ أن يفوزَ بالجنَّة والرضوان.

• قليل صائب خيرٌ من كثير على غير هدًى، فالعبرة بحُسن العمل لا بكثرته، ولا يكون حسنًا حتى يوافقَ شرعَ الله ويكونَ له خالصًا.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾

طِبَاقًا: طبقاتٍ بعضُها فوق بعض.

فُطُورٍ: شُقوقٍ وصُدوع.

حَسِيرٌ: تَعِبٌ كَليل.

• إن الله يُباهي بإحكام خَلقه وإتقان صَنعته، أفلا نتعلَّم من هذا إحسانَ العمل وتجويدَه، وجعلَه إلى الكمال والتمام أقرب؟

• أقام الله الكونَ وَفق نظام مُحكَم سديد، يُلائم عيشَ البشر ويلبِّي احتياجاتهم، ولو كان فيه أدنى اضطراب لاختلَّ نظامُهم وفسدَت معيشتُهم.

• طولُ الإلف يُفضي إلى الغفلة، فما أحسنَ أن نجدِّدَ بين حين وحين التأمُّلَ في ملكوت الله تعالى؛ لنقفَ على ما فيه من روائعَ ناطقةٍ بجليل خَلقه، وتمام صُنعه.

• إذا كان الله سبحانه قد أحكم خَلقه إحكامًا، فإنَّ شرعه الذي أرسله لعباده لهو أشدُّ إحكامًا وأتمُّ كمالًا، فيا خيبةَ من حاد عنه!

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

• قال قَتادة: خلقَ الله النجومَ لثلاث؛ زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدى بها في البَرِّ والبحر.

• إدراكُ جمال الوجود من أصدقِ الوسائل لإدراك جمال الله تعالى؛ خالقِ الوجود ومصوِّره.

• من كمال ربوبيَّة الله وعظيم قدرته أن جعل هذه الكواكبَ الجميلة زينةً في السماء ودلالةً للسائرين، كما جعلها عذابًا ورجومًا للشياطين.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾

• من زيادة العقوبة للمستكبرين أنَّ حواسَّهم كلَّها تشترك في العذاب؛ فجلودهم تتذوَّق لذَعات اللهب، وألسنتهم تتجرَّع غُصَص الغِسلين، وآذانهم تُصَكُّ بصوت النار تغلي وتفور.

• حُقَّ لمَن يتصوَّر مشهدَ النار وهي تفور وتغلي، وصوتها الرهيبُ يزلزل القلوبَ بهوله وشدَّته أن يتَّقيها ويسعى إلى الفِرار منها.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾

تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ: تتمزَّقُ من شدَّة غضبها على الكفَّار.

• يا له من تهديد ووعيد! إن النار تكاد تتقطَّع حَنَقًا وغيظًا من الكفَّار المتكبِّرين، فإيَّاكم أن تكونوا من المُمترين.

• بلى {إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مِثقالَ ذَرَّة} ومن تمام عدله سبحانه أنه لا يعذِّب أحدًا إلا بعد إقامة الحُجَج الواضحات، والنذُر البيِّنات، وقد أعذرَ من أنذر.

• قد تَكذِبُ نفسَك وتخدعُها ما شئتَ أن تخدعَها، ولكن لا بدَّ من أن تحينَ ساعةُ الحقيقة التي لا مجالَ فيها لكذبٍ أو خديعة، وإنما هي حسرةُ الأبد!

• حريٌّ بمَن يصون عِرضَه في الدنيا ويَربأُ به عن اللوم والتأنيب، أن يكونَ أشدَّ احترازًا وتوقِّيًا من أن يعرِّضَه في الآخرة للتوبيخ والتعذيب.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

• احرِص أن تمنحَ سمعَك لكلِّ صوتِ حق، ولكلِّ واعظِ صدق؛ فإنَّ الأذنَ مفتاحُ العقل والقلب، وعساك أن تكونَ من المهتدين.

• بادر بالتوبة واعترف بذنوبك عسى أن يغفرَها الله لك، فيوشك أن يأتيَ يومٌ لا تُقبَل فيه توبة، ولا ينفع ندمٌ ولا اعتذار؛ {هذا يومُ لا ينطِقُون، ولا يُؤذَنُ لهم فيعتَذِرون}.

• أعظم الجناية جنايةُ المرء على نفسه؛ حين يختار بمِلء إرادته تعطيلَ سمعه عن الحق، وتعطيلَ عقله عن الصدق!

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾

• خشيةُ العباد ربَّهم ولم يروه، وخشيتُهم له وهم في خِفيةٍ عن الأعين، كلاهما معنًى جليل، وشعور نبيل، يؤهِّل للأجر الكبير، والجزاء الكثير.

• أكثرُ الناس حظًّا من رحمة الله ومغفرته، هم أكثرُ الناس خشيةً له؛ إذ الخشية دليلٌ على ضبط نفوسهم، وكَبح جِماح أهوائهم.

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٣) أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٤) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ (١٥)
ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ (١٦)
أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨)
أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا
ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ
يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَٰذَا
ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن
يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦)

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٣)﴾

• لمَّا كان الله عليمًا بدخائل النفوس وضمائر القلوب فإنه لا ريبَ عليمٌ بالظاهر من أقوال خَلقه وأفعالهم، فأنَّى للعبد التخفِّي من الله بسرٍّ أو نيَّة.

• لا ينهضُ المرء بحمل أمانة العقيدة وميراث النبوَّة حتى يستيقنَ قلبُه أنَّ ما يكمنُ فيه من إرادة ونيَّة إنما هو في علم الله واطِّلاعه.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٤)﴾

• إذا كان الصانعُ خبيرًا بما يصنع، بصيرًا به، عالمًا بأحواله، فما ظنُّكم بربِّكم الذي خلقكم وذرأكم، هل يخفى عليه منكم شيء؟

• الله أعلمُ بحالك منك، وأدرى بك من والدَيك، ومن أقرب الناس إليك، وهو لطيفٌ بخَلقه خبيرٌ بعباده، فطِب نفسًا وكن به موقنًا.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ (١٥)﴾

• إذا انتشرتم أيها الناسُ في نواحي الأرض وأطرافها طلبًا للرِّزق، فلا يغيبَنَّ عنكم لحظةً أن الرازق هو الله وحدَه، فلا تطلبوا رزقَه إلا من حلال.

• إنما يُحصَّل الرزق بالجِدِّ والعمل، لا بالأمانيِّ والكسل.

• الرزق رزقُ الله، والمصيرُ إلى الله، وما كسَبتَ في الدنيا ستُسأل عنه في الآخرة؛ من أين اكتسبتَه، وفيمَ أنفقتَه؟

• أنعِم به من دينٍ يراعي التوازنَ بين متطلَّبات الدنيا والآخرة.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)﴾

تَمُورُ: تضطربُ وترتجُّ.

حَاصِبًا: ريحًا عاصفة ترمي بالحصباء (الحجارة).

• شتَّانَ بين شعورٍ بأمان يُفضي إلى الغفلة عن الله وعظيم قُدرتِه، وشعورٍ بأمان مصحوب بإيمان ينتهي إلى الطُّمأنينة بالله وجميل رحمتِه.

• ليس بعد النذُر إلا الانتقامُ، وشدَّة العذاب والإيلامُ، فلنحذَر ما حذَّرَنا منه ربُّنا، ولنعتبر بمَصير من سبقَنا، قبل فوات الأوان.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨)﴾

• أرأيتم إنكار الله على مَن سبقَ من الأمم العاتية؟! لقد أهلكهم شرَّ إهلاك، وإنه لمُهلكٌ من سار على سَنَنهم، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ (١٩)﴾

• كم من طائر رأيتَه يحلِّق فوقك عاليًا، هلَّا سألت نفسَك: مَن الذي هداه للطيَران وعلَّمَه، ومَن الذي أمسكه عن السُّقوط وسلَّمَه!

• سبحان من خضعَ لجبَروته كلُّ شيء، حتى حركاتُ جناح الطائر في عُلوِ السماء هي بأمره وهديه، وتحت سمعه وبصره.

• إن الله بصيرٌ بكلِّ شيء؛ يراه ويتصرَّف به ويرعاه رعايةَ الخبير الحكيم العالم بما هو أصلحُ لعباده، أفلا يستحقُّ أن نستقيمَ على أمره؟

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١)﴾

• مَن ظنَّ أن له ناصرًا من دون الله وَكَله الله إلى ظنِّه، حتى إذا جدَّ الجِدُّ أدرك أنْ لا ناصرَ له إلا الله، فندم وتحسَّر.

• أضلُّ الناس مَن تمادى في محادَّة الله وشرعه، مستقويًا بأتباعه وماله، وما علم أنَّ كلَّ ذلك من صُنع الله وفضله.

• عجبًا لمَن هو عاجزٌ عن رزق نفسه قبل غيره، وتراه سادرًا في ضلاله وغيِّه، ألا يخضعُ للرازق المتفضِّل، ويُفرده بالتعظيم والطاعة؟

• كلُّ ما تتقلَّب فيه أيها العبدُ من صنوف النِّعَم إنما هي من رزق الله الواسع، فقل لي بربِّك: أنَّى لك بها إن حرمَك الله منها؟!

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)﴾

• من تخبَّط في السبُل على غير هدًى لم يبلُغ غايتَه مهما بذل، ومن سار على بصيرة من ربِّه ونور بلغ الغايةَ ولو طال الأجل.

• حياة الإيمان فيها القَصدُ والاستقامة واليُسرُ، وحياة الكفر فيها التعثُّر والضَّلال والعُسرُ، والعجَب كلُّ العجَب ممَّن يختار الكفرَ على الإيمان!

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾

ذَرَأَكُمْ: أوجدَكم.

• لو أنَّ أحدنا عاش بدلَ العمُر أعمارًا متطاولة يشكرُ اللهَ فيها على نعمةٍ واحدة من نِعَمه ما وفَّاه قليلًا من حقِّه، أفلا نستحي من تقصيرنا؟!

• ما شكرَ اللهَ حقَّ الشكر مَن لم يسمع مواعظَ الله تعالى، وينظر آثارَ عظمته وقدرته، ويتفكَّر بآياته وآلائه.

• خلق الله الخلقَ وبثَّهم في الأرض ليَعمُروها بالحقِّ والعدل، وإنه لجامعُهم مرَّة أخرى وسائلُهم عمَّا استُخلفوا فيه؛ أقاموه بحقِّه أم ضيَّعوه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦)﴾

• اختصَّ الله ذاتَه العليَّة بعلم الساعة، وإن إيمان العبد بذلك يُريحه من متاهات الظنون، فلا يصدِّق مَن يدَّعي العلمَ بنهاية العالم، ويدرك أنه كذَّاب أشِر!

• لو شاء الله أن يُطلعَنا على موعد القيامة لأطلعَنا، ولكنَّه غيَّبه عنَّا لنبقى دائمًا على أُهبة الاستعداد لذلك اليوم العظيم.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم
بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا
فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٨ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ
ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
٢٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ٣٠

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٧

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ٢ وَإِنَّ
لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ فَسَتُبْصِرُ
وَيُبْصِرُونَ ٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ
٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ
١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢
عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ
ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ١٦

٥٦٤

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

رَأَوْهُ زُلْفَةً: رأوا عذابَ اللهِ قريبًا.

• حينما يُخفق المرء في اختبارات الدنيا يغشى وجهَه الكآبةُ والخزي، فما بالكم بإخفاق المرء في اختبار الآخرة الذي لا استدراكَ له ولا رجوعَ عنه؟!

• مهما ظننتَ أنَّ يوم القيامة منك بعيد، فإنه منك لقريبٌ قريب، فاستشعر دومًا دُنوَّه؛ لئلَّا تكونَ فيه من الخاسرين الخائبين.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

• لا مُنقذَ لنا من الله إلا بالتوبة إليه والإنابة، والرجوع إلى دينه والعمل بشريعته، فأين نحن من كلِّ هذا؟

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾

• إن أمَّةً أفردَت الرحمنَ بالعبادة، لحريٌّ بأبنائها أن يتراحموا فيما بينهم ويتآلفوا، ويتمثَّلوا في حالهم ومقالهم الرحمة بأرقى صورها.

• التوكُّل على الله وحدَه مَنجاةٌ من كلِّ هلكة، ومَجلبةٌ لكلِّ بركة، وقد خابَ مَن جعل توكُّلَه على الرجال، أو الجاه والأموال.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

غَوْرًا: غائرًا ذاهبًا في الأرض لا يُنال.

• إذا فتحتَ الماء فتدفَّق عذبًا وافرًا، فاحمَد اللهَ على نعمه، فكم من محرومٍ منها، وبالشُّكر تدوم النِّعَم.

• ما لك تُطاول الجبال صلَفًا وكِبْرًا؟ أرأيتَ إن غارَتِ المياه في الأرض، فمَن ذا الذي يُخرجها؟ فلنتواضع لله، ولنُقرَّ بعَجزنا.

• بعض المسائل لا تحتاجُ إلا إلى سؤالٍ يدفع العقلَ إلى التفكُّر في حقائقَ لا مناصَ من الإقرار بها والتسليم لها.

سُورَةُ القَلَمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾

• لا يُقسم اللهُ إلا بعظيم، وقد أقسم بالقلم وما يُكتَب به؛ لِعظمهما وعُمق أثرهما في نهضة الأمم ورقيِّها، وهل من نهضةٍ بلا علم ومعرفة؟!

• قال قَتادة: (القلم نعمةٌ من الله عظيمة؛ لولا القلمُ ما قام دينٌ ولم يصلُح عَيش، والله أعلمُ بما يُصلح خَلقَه).

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾

غَيْرَ مَمْنُونٍ: غيرَ مَنقوص ولا مُنقطع.

• حسبُ النبيِّ ﷺ منزلةً عليَّة؛ أنَّ الله سبحانه تولَّى الذبَّ عن عِرضه الشريف، ودَفع افتراء المُبطلين عنه.

• فليقُل المكذِّبون فيك - أيها النبيُّ - ما شاءت لهم أهواؤهم وأحقادُهم، ألا يرضيكَ أن الله وصلكَ برضاه، وبأجرٍ دائم من عُلاه؟

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾

• سُئلت أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالت: (كان خُلقُه القرآن) أي: بما تضمَّنه من حثٍّ على المحاسن وتنفيرٍ من المساوي.

• كان نبيُّنا ﷺ مهتديًا بهدي الله تعالى؛ بتنزيه علمه عن الجهل، وجُوده عن البخل، وعدله عن الظُّلم، وحِلمه عن الطَّيش، وما أحرانا أن نهتديَ بهديه.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾

بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ: في أيِّ الفريقَين الفِتنة والجنون؟

• مهما افترى المفترون، وأرجف المرجفون، فإنَّ العاقبة لا ريبَ للمتَّقين؛ إذ لا يحقُّ في النهاية إلا الحقُّ ولا يصحُّ إلا الصحيح.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾

• لو بلغ زعيقُ المنافقين عَنانَ السماء في وَصم المهتدين وعَيب المتَّقين ما ضرَّهم شيئًا؛ فإنَّ الله أعلمُ بالصالح والطالح، وبالمصلح والمفسد.

• ليس بمفتونٍ مَن أعمل عقلَه فانتفع به وبلغ طريق الهُدى والرَّشاد، ولكنَّ المفتون من عطَّل عقلَه عن قبول الحقِّ وهو أظهرُ من الشمس في كبِد السماء!

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾

• صاحب العقيدة لا يتخلَّى عن شيءٍ منها؛ لا صغير ولا كبير، فهي في نفسه حقيقةٌ واحدة.

• أُولى خطوات النكوص عن الحقِّ: مداهنةُ أهل الباطل، والرضا بالتنازل عن بعض الثوابت.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾

• كثرة الحَلف بالحقِّ والباطل أمارةٌ على عدم استشعار عظمة الله، ومَن هان الله في نفسه، جعله الله مَهينًا في الدنيا والآخرة.

• اجتنب أيها المسلم شرَّ الأخلاق؛ الغِيبةَ والنميمة، فإنهما مُفسدان للقلب، قبل قطع حبال الودِّ، وإفساد الصِّلات بين الإخوة والأصحاب.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

عُتُلٍّ: فاحشٍ لئيم غليظ.

زَنِيمٍ: دَعِيٍّ مَنسُوبٍ إلى غيرِ أبيه.

• من خِذلان الله لعبده أن يستعملَ ما آتاه من قوَّةٍ وجاهٍ في الصدِّ عن دينه، ومعاداة أوليائه.

• فطر الله الناس على حبِّ المهذَّب المتواضع الحسن الخُلق، وعلى بغض اللئيم الغليظ السيِّئ الخُلق، فاحرص على كسب ودِّ الناس واحذر نفورَهم.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾

• إذا تجاوز المالُ اليد ليستقرَّ في القلب أورث صاحبَه الكِبْرَ والعُجب، فلا يخدعنَّك المال والجاه والولد عن ضعفك وحقيقة فقرك.

• الاستكبار والتمادي في الاغترار بالجاه والأولاد يُودي بصاحبه إلى رفض الحقِّ ووَصمه بالباطل؛ تنفيرًا منه ومن أهله، وأقبِح به من صفة!

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

ٱلْخُرْطُومِ: الأنف.

• مَن نازع اللهَ في كبريائه وعظمته أذلَّه الله ذُلًّا لا يخفى، وأهانه إهانةً لا تُمحى، فإيَّاك والكبرياء بغير حق.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾

ٱلْجَنَّةِ: البُستان.

لَيَصْرِمُنَّهَا: لَيقطعُنَّ ثمارَها.

وَلَا يَسْتَثْنُونَ: ولا يُبقون شيئًا منها للمساكين، ولا يَستثْنون في قسَمهم بقول: إن شاء الله.

كَٱلصَّرِيمِ: كالليلِ المُظلِم.

• إن النِّعَم لتُسلَب من العبد ويُحرَم منها ما لم يؤدِّ شكرَها، وأعظمُ شكرها استعمالُها في طاعة الله ونفع عباده.

• كم من رجلٍ فوَّت خيرًا كبيرًا بغفلته عن الاستثناء بقول: (إن شاء الله)، فما أحسنَ أن نعوِّدَ ألسنتنا ذكرَها!

• نيَّة سوءٍ جعلت البستانَ كالصَّريم، فانوِ دومًا فعلَ الخيرات، واجتنب سوء النيَّات؛ فإن حياتنا تُزهر وتُثمر بمقدار رغبتنا في عون الآخرين، وحبِّنا للمساكين.

﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

صَٰرِمِينَ: عازمين مُصرِّين.

عَلَىٰ حَرْدٍ: على قَصدٍ (على قَصدِهمُ السيِّئ في مَنع المساكين).

• هي عبرةٌ لكلِّ إنسان؛ مَن كان قادرًا على نفع إخوانه فآثَر المنعَ والحرمان، عُوجل بما لا يتوقَّع من خُسرٍ وخِذلان.

• ظنُّوا أن إمساك ما في أيديهم خيرٌ لهم، وما درَوا أن الخير كلَّه في بذله للمُحتاجين؛ فإن الله يعوِّض العبدَ ما يُنفق، ويدَّخر له الأجرَ أضعافًا كثيرة.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾

• الإقرار بالذَّنب فضيلة؛ لأنه الوسيلةُ إلى الرجوع عن الباطل، والفَيء إلى الرشد قبل فوات الأوان.

• كلُّ حرمانٍ يهونُ بإزاء حرمان الهداية والاستقامة، فإذا حُرمتَ خيرَ الدنيا بذنوبك، فإيَّاك أن تُحرمَ خيرَ الآخرة بعِنادك!

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

أَوْسَطُهُمْ: أعدلُهم، وأحسنُهم رأيًا، وأرجحُهم عقلًا.

• ما أجملَ أن ينطلقَ اللسانُ بالاعتراف بالذَّنب، مع ندم القلب، فإنَّ باب التوبة لا يُغلَق في وجه عبدٍ صدق في توبته، وعزم على ترك الذنوب.

• كثرة التسبيح بالقلب واللسان، تَحول بين المرء والآثام، فلنُكثر التسبيحَ لله الرحمن؛ ليكونَ لنا عصمةً من الزَّلَل والافتتان.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾

• إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فتح له بابَ التوبة والانكسار، والذلِّ والافتقار، ودوام التضرُّع والدعاء، حتى تكونَ تلك السيِّئة سببَ رحمته وفوزه، {فأولئك يُبدِّلُ الله سيِّئاتهم حَسَنات}.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

• ألا ترى أهلَ الغَواية تضيق صدورُهم لما يصيبُهم من مصائب الدنيا، أفلا يتفكَّرون فيما ينتظرُهم من عذاب الآخرة، فيرجعوا إلى الحقِّ وينجوا بأنفسهم؟!

• العلم نورٌ يهدي إلى التقوى وسبُل الرشاد، ولا خيرَ في علم لا يُثمر عملًا.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

• اجعل الجنَّةَ وما أعدَّه الله لأهل طاعته فيها من نعيم دائم نُصبَ عينيك، فإنَّ ذلك أدعى إلى نشاطك في الطاعات، وشحذ همَّتك إلى الصالحات.

• تعالى الله الحكَمُ العدل أن يساويَ بين المؤمنين الصَّالحين، والكفَّار الفاجرين؛ {أفمَن كان مُؤمِنًا كمَن كان فاسِقًا لا يَستوُون}.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

• بعضُ الناس يجعل من هواه وحيًا، ومن رغباته دينًا، ضاربًا عُرضَ الحائط بما بين يديه من شرعٍ حَنيف ودينٍ سديد، فما أضلَّه عن الحق!


الجزءُ التاسعُ والعشرون — سورةُ القلم

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم
مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ
﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ
﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا
خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ
أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾
أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ
كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا
بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ
زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ
يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

٥٦٥

• ليس لك أيها العبدُ من عهدٍ عند الله أن يذرَكَ وأهواءك، ثم يُدخلَكَ الجنَّةَ بلا حساب ولا عذاب! فأيقظ روحَك من سُباتها وإلا لقيتَ ما لا تشتهي.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

• إلى كلِّ مَن استقوى بغير الله واعتزَّ به، اعلم أنْ لا أحدَ يغني عنك من الله شيئًا، ضعُفَ الطالبُ يوم القيامة والمطلوب.

• ستخرس ألسنةُ الذين يتولَّون كِبْرَ الإضلال في الدنيا والتغرير بالأتباع، وتنطفئ شُعلتهم في عرَصات القيامة.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

• من صرفه الكِبرُ عن وضع جبهته على الأرض؛ تواضعًا لله وإقرارًا بعبوديَّته، حِيلَ بينه وبين السجود في الآخرة تبكيتًا وتأديبًا.

• أيها الصحيحُ المعافى في بدنك، إيَّاك والتهاون في الصلاة؛ فإنَّ عاقبة ذلك حسرةٌ وندامة.

• إنَّ «أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد»، فمَن آثر البعدَ عن الله بترك السجود، أبعده الله يوم القيامة وحرمه منه أبدًا.

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ
سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم
مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ
أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ
﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ
وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ
وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟
ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٧ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ
بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ
صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى
ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

٥٦٦

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

- أيُّ إنذارٍ أشدُّ لهجةً من هذا الإنذار؟! إنه الله الملكُ الجبَّار، قد تكفَّل بالانتقام من كلِّ كاذبٍ كفَّار، فاحذر بأسَه وإلى رضاه البِدارَ البِدارْ.

- إقبالُ النِّعَم على العبد؛ من صحَّةٍ ومالٍ وولد، ليست دومًا دليلَ قَبول، فقد تكون استدراجًا لإقامة الحُجَّة عليه.

- إذا أراد الله إهلاكَ ظالمٍ أغراه بالقوَّة والعظمة، واستدرجه بكثرة الأتباع؛ ليسيرَ بنفسه إلى مصرعه، فيهلكَ شرَّ هلاك.

﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

- إذا كان خيرُ الناس مَن طال عمرُه وحسُن عملُه، فإن شرَّهم بلا ريبٍ مَن أُملِيَ له فطال عمرُه، وازدادت على مدار السنين آثامُه!

- حين يعزم امرؤٌ على النَّيل من خصمٍ له يدبِّر له المكايدَ سرًّا؛ لئلَّا يحتاط ويحذر، أمَّا ربُّنا الرحيم فإنه يكشف عن تدبيره ويُنذر عبادَه؛ ليَنجُوا من عذابه ونقمته.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ: من غَرامةِ ذلك مُثقَلون؛ لِما يشقُّ عليهم من بذل المال.

- تنزيهُ الدعوة عن مكاسب الدنيا وأطماعها العاجلة ضمانٌ لنجاحها، وتحقيق مآربها.

- ما قولك فيمَن يُنكر غيبَ السماء ويطعُن به، ثم ينسِجُ من أهوائه وأوهامه وأساطير الأوَّلين غيبًا يركن إليه؟!

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ: هو يونس عليه السلام.

مَكْظُومٌ: مملوءٌ غمًّا وغيظًا.

- طريق الدعوة محفوفٌ بالعقبات والمشاقّ، يتطلَّب خوضُه الصبرَ والتجلُّد على كلِّ إيذاءٍ وصدٍّ وإعراض.

- النصر والتمكينُ بيد الله تعالى وحدَه، وكلُّ شيءٍ عنده بأجل، وعلى الدعاة المضيُّ في دعوتهم بعزيمةٍ وهمَّة، دون استبطاء النجاح أو استعجال الثمرة.

- تداركُ الله عبدَه بالتوبة والغُفران، نعمةٌ وتوفيقٌ من الكريم الرَّحمٰن، فأبقِ قلبك معلَّقًا بربِّك، ولو كنتَ من المقصِّرين المفرِّطين.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾

لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ: ليُسقِطونَك عن مكانك؛ بنظرِهم إليك؛ عداوةً وبُغضًا.

- الحقد داءٌ بغيض يحمل صاحبَه على رجاء هلاك مَن يحقدُ عليه، فلا تجعل للحقد إلى قلبك سبيلًا.

- ليس بغضُ الكفَّار الأوَّلين للذِّكر دون بغض الكفَّار المعاصرين، فليحذَر الدعاةُ منهم فإنهم غيرُ مأمونين.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

- دعوتنا دعوةٌ عالميَّة، وهذا يقتضي منَّا اتِّباعَ أرقى وسائل الحكمة في الدعوة، مع مراعاة تبايُن الشعوب واختلاف ألسنتها وثقافاتها.

- كيف يوصَف بالجنون من أرسل بهذا الذِّكر الكامل والشريعة المحكمة التي لا يحتملُ عِبءَ تبليغها إلا مَن كان أعقلَ الناس وأرجحَهم رأيًا؟ لكنَّه العِناد الذي يحمل صاحبَه على قول المتناقضات.

سُورَةُ الحَاقَّةِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾

- سؤالٌ كبيرٌ عن أمرٍ جليل، لم يُذكر الجوابُ عنه؛ لتُديمَ العقولُ التفكيرَ فيه، والشعورَ بخطر الموقف وضرورة الاستعداد له.

- إنه يوم الحقِّ الذي لا مِرية فيه، يومٌ يكون فيه كلُّ امرئٍ حقيقًا بجزاء عمله، فاستحضِره أيها المسلمُ دومًا؛ بكثرة العمل، وقطع الأمل؛ إلا من رحمة الله وعفوه.

- عن ابن جُرَيج رحمه الله قال: {الحاقَّة} حقَّقت لكلِّ عاملٍ عملَه؛ للمؤمن إيمانَه، وللمنافق نفاقَه.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾

بِٱلطَّاغِيَةِ: بالصَّيحةِ التي جاوَزَت الحدَّ في شِدَّتها.

صَرْصَرٍ: شديدةِ البرد.

- أين المعتبرون ذوو البصيرة والحِجا؛ ليرَوا عاقبةَ من فجَرَ واستكبر؟ إن الله حليمٌ، ولكنَّ أخذه شديدٌ أليم.

- من نازع اللهَ في كبريائه، وزاحمه في عظمته وخُيَلائه، قصم ظهرَه واستأصل شأفتَه، وتركه كأصول نخلٍ بالية، فهل من مُعتبِر؟!

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوْا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ
١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ١٢ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ١٤
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ
١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ
بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ
٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣
كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ
٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ
٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ٣٣
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ٣٤ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ٣٥

٥٦٧

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ١٠﴾

وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ: والمكذِّبونَ بالرُّسل.

• الجزاء من جنس العمل؛ فلمَّا قلبَ قومُ لوط الأوضاعَ ونكَّسوا الفِطرة بإتيان الذكور دون الإناث، قلبَ الله بهم الأرضَ فجعل عاليَها سافلَها.

• كلُّ من كذَّب أمرَ رسول الله ﷺ سيلقى مصيرَ المكذِّبين قديمًا، وهو مصيرُ كلِّ مكذِّب لرسُل الله على مدار العصور؛ إهلاكًا وتعذيبًا.

• مَن أفحشَ في العصيانْ، وزاد في الطُّغيانْ، أخذه الله أخذةً بالغة الشدَّة والخِذلانْ، {وما ظَلَمناهُم ولكِن كانوا هُمُ الظَّالمِين}.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ١٢﴾

ٱلْجَارِيَةِ: السَّفينةِ التي صنعَها نوحٌ عليه السلام، تجري في الماء.

• من أبلغ الدروس التي ينبغي الإفادةُ منها في قصَّة غرق قوم نوح، معرفةُ عظيم قدرة الله ونفاذ مشيئتِه، وشدَّة قهره وسَطوتِه.

• ما أكثرَ العِبَرَ والمذكِّرات التي أرسلها الله إلينا، ولكن أين القلوبُ اليَقِظة الواعية التي تتذكَّر وتتَّعظ؟!

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ١٤﴾

• أين المستكبرون في الأرض المتعالون على الخَلق؟! إن نفخةً واحدة بالصُّور كفيلةٌ بهلاكهم وهلاك جميع الكائنات.

• مشاهد القيامة مخيفةٌ مَهولة؛ لا سلطانَ فيها إلا لله، ولا مشيئةَ لأحدٍ سواه، فمَن رامَ الأمانَ يومئذٍ فليلُذ بجنابه، فلا مَنجى منه إلا إليه.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٦﴾

• ما تكرارُ {يومَئذٍ} في الآية إلا مَنبهةٌ على ضرورة استحضار ذلك اليوم العظيم في وِجدان كلِّ مسلم على الدَّوام، فأين المستحضِرون المتفكِّرون؟

• سبحان القويِّ المتعال، فها هي ذي السماءُ التي رفعها، وجعلها بناء قويًّا شامخًا، وسقفًا محفوظًا متماسكًا، قد باتت منفطرةً واهية، بقوَّته وعظيم قدرته!

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ١٧﴾

• لكلِّ يوم عظيم مشهدٌ عظيم؛ فانظر إلى السماء على سعَتها وتباعُد أنحائها ينتشر الملائكةُ الكرام في أطرافها؛ استعدادًا ليوم الفصل.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ١٨﴾

• ما أقساها من فضيحةٍ تُعرَض على رؤوس الأشهاد، وما أخزاها على أعيُن الجموع الغفيرة، فلا تخدَعك ستورُ الأرض؛ فإنَّ عين الله بكلِّ شيء بصيرة.

• قال رجلٌ لأبي الدَّرداء رضي الله عنه: أوصني، فقال: (تذكَّر يومًا تصيرُ السريرةُ فيه علانية). ويا لها من وصيَّة يرتجف لها الفؤادُ الحيّ!

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ١٩﴾

• يبلغ المؤمنُ من السعادة والبهجة الغاية حين يتسلَّم كتابَ أعماله بيمينه، ويُدرك أنه من الناجين، بل من المكرَّمين الفائزين، جعلنا الله منهم.

• كم تأنسُ حين تقف في الدنيا على كلمة طيِّبة خطَّتها يمينُك، وعلى عمل صالح طوَته الأيامُ عن ذاكرتك، فكيف سيكون أُنسُك بها يوم القيامة؟!

﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ٢٠﴾

ظَنَنتُ: أيقَنتُ.

• استحضارُ اليوم الآخر من أهمِّ أسباب النجاة؛ لأنه باعثٌ على دوام مراقبة الله تعالى مع رجاء الفوز برضاه.

• أكيَسُ الناس من قال: {هَاؤُمُ اقرَءُوا كِتابِيَهْ إنِّي ظَنَنتُ أنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ} فإنه قد ظنَّ ظنًّا يقينًا فنفعه الله بظنِّه.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣ كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ٢٤﴾

• عن قَتادة قال: أيَّامكم هذه أيَّامٌ خالية فانية، تؤدِّي إلى أيَّامٍ باقية دائمة، فاعملوا في هذه الأيَّام، وقدِّموا خيرًا إن استطعتُم، ولا قوَّة إلا بالله.

• كيف لا تكون الجنَّة مَرضيَّةً وقد أمِنَ فيها المسلمُ من العقاب، وحاز الرِّضا والثَّواب؟!

• حتى ثمارُ الجنَّة أدناها الله من عباده المحسنين، الذين كانوا في أهلهم مُشفقين، فأيُّ إكرام أجلُّ من هذا الإكرام، وأيُّ إعظامٍ بعد هذا الإعظام؟

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ٢٧﴾

• موقف عصيبٌ يقِفُّ له الشعر، وتسري القُشَعريرةُ من هوله في خلايا الجسَدْ! فاحذر أن تعيشَه، ما دام فيك عقلٌ يعي ونفَسٌ يتردَّدْ!

• قال قَتادة: تمنَّوا الموتَ والهلاك، ولم يكن شيءٌ في الدنيا أكرهَ عندهم من الموت.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ٢٩﴾

• ليس صاحبَ السلطان مَن كان ذا ملكٍ وجاه وعظَمة فحسب، ولكن كلُّ من أوتيَ عقلًا يَميزُ به، وقدرةً يختار بها، فهو ذو سلطان على نفسه ومحاسَبٌ عن اختياره.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ٣٤﴾

• كان أبو الدرداء رضي الله عنه يحضُّ امرأته على تكثير المرَق لأجل المساكين، ويقول: (خلعنا نصفَ السِّلسلة بالإيمان، أفلا نخلعُ نصفها الآخرَ بالإحسان؟).

• أرذلُ الأخلاق وأشنع الخصال: الكفرُ بالله تعالى وجحودُ نعمه، والبخلُ على الناس وقبضُ اليد عن مساعدتهم.

• مدارُ سعادة الإنسان ومادَّتها أمران: الإخلاصُ لله تعالى وهو تمامُ الإيمان، والبذلُ إلى الخَلق بوجوه الإحسان.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٣٦ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ٣٧ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠ وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ٤٤
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم
مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ٥١ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ٥٢

سُورَةُ المَعَارِج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ٢
مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ
فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا
٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ
كَٱلْمُهْلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠

٥٦٨

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (٣٧)﴾

غِسْلِينٍ: صَديدِ أهلِ النّار.

• ما من صداقة إلا وتنقلبُ يوم الحساب عداوةً ونفورًا، حاشا الأخوّةَ في الله والمحبّةَ فيه، فهي الباقيةُ الميمونة.

• منعَ المساكين الطعامَ في الدنيا، فمنعَه الله الطعامَ في الآخرة، وجعله يتجرَّع غُصَصَ الغِسلين؛ جزاء وفاقًا.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)﴾

• هذا أعمُّ قسَمٍ في القرآن؛ يشمل العُلويّات والسُّفليّات، والدنيا والآخرة، وما يُرى وما لا يُرى؛ ليكونَ القرآن آيةً على صدق رسوله، وما جاء به من لدُن ربِّه.

• كيف لا يكون كريمًا من حَباه الله باجتماع الكمالاتِ، ونزّهه عن النقائص المَعيبات؟ وإنَّ من أجلِّ الكمال تبليغ الرسالة بأمانة وإخلاص.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٣)﴾

• الداعية يمضي في دعوته متجلّدًا صبورًا، غيرَ عابئ بتثبيط المثبِّطينَ، ولا افتراءات المفترينَ، والله يدافعُ عنه وينصر دعوته، ما أخلصَ واستقام.

• يُدرك العربيُّ الفصيح بفطرته البَونَ البعيد بين القرآن في علوِّ بيانِه، وسموِّ تبيانِه، وبين ما سواه من قولٍ وكلام، ولكنّه الكِبرُ واتّباع الهوى!

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ (٤٧)﴾

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ: لأخذناه بقوّة دون إمهال.

ٱلْوَتِينَ: نِياطَ القلبِ، وهو عِرقٌ مُتّصِلٌ به إذا قُطعَ ماتَ صاحبُه.

• حاشاه ﷺ أن يتقوَّل على الله أو يزيدَ وينقُص، أو يغيِّرَ ويبدِّل، فقد تضافرت الأدلَّةُ القاطعة بأمانته وصدق ما جاء به؛ {وما يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إنْ هو إلَّا وَحيٌ يُوحَى}.

• لو شاء النبيُّ ﷺ أن يُخفيَ من القرآن شيئًا لأخفى هذا الوعيدَ والتهديد، ولكنّها مخافة الله والأمانةُ في تبليغ الرسالة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨)﴾

• لا يُدرك قيمةَ الجوهرة النفيسة إلا عارفٌ خبير، وكذلك القرآنُ لا ينتفع بكنوزه ودُرَره إلا عارفٌ بمزاياه، مهيَّأٌ للاستفادة والاتِّعاظ.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٠)﴾

• سيغدو القرآنُ حسرةً على المكذّبين به تَفري قلوبَهم فريًا؛ لِما يرون من ثواب من آمن به واهتدى بهُداه.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٥٢)﴾

• إن هذا القرآنَ قويٌّ في الحقِّ عميقٌ في اليقين، كيف لا وهو يكشفُ في كلِّ آيةٍ منه عن الحقِّ الخالص، واليقين المَحض؟ أفلا نتّخذه منهجًا لحياتنا؟

• امتنَّ الله على خلقه بأن أنزلَ عليهم كتابًا عظيمًا فيه صلاحُهم في الدنيا وفلاحُهم في الآخرة، فلنعترف بفضله، بدوام تنزيهه وشُكره.

• سُئل عليٌّ رضي الله عنه عن كلمة التسبيح (سبحان الله)، فقال: (كلمةٌ رضيَها الله لنفسه فأوصى بها خلقَه). فأكثروا من التسبيح عملًا بوصيّة الربِّ الكريم.

سُورَةُ المَعَارِج

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ (٢)﴾

• بؤسًا لأقوامٍ جهلوا عظمةَ ربِّهم، فاستعجلوا بالعذاب؛ تعجيزًا وامتحانًا، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أهملهم!

• أبشروا أيها الكفّارُ المكذّبون؛ إن سخطَ الله وعذابه واقعان بكم لا محالة، فلا تستعجلوه! {ويَستعجِلونَكَ بالعَذابِ ولن يُخلِفَ اللهُ وَعدَه}.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)﴾

ذِى ٱلْمَعَارِجِ: صاحبِ العُلُوِّ والجَلال.

• ما أعظمَك ربَّنا، رفعتَ السماء فوقنا بلا عمَد، وجعلتَها معارجَ تعرُج فيها الملائكةُ إليك، آيةً على عظيم صُنعِك، وعجيب فعلِك.

• يا له من يومٍ عظيمِ الأهوال! وحسبُك من هَوله ما يكون فيه من انقطاعِ الخَلق جميعًا إلى الله؛ انتظارًا لأمره فيهم.

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥)﴾

• خير ما يتسلّح به المسلم سلاحُ الصبر؛ لثِقَل العِبء، ومشقّة الطريق، وضرورة الثبات لبلوغ الهدف البعيد.

• يتجلّى جمالُ الصبر بسكون الظاهر؛ بالثَّبات ورباطة الجأش، وبسكون الباطن؛ بالرِّضا والتسليم، وببرد اليقين.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا (٦) وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا (٧)﴾

• أهل الغفلة لا يفتؤون يستبعدون الموتَ والحساب، وكأنَّ حياتهم سرمديّةٌ لا نهايةَ لها، ولكن ما أسرعَ الموتَ في طيِّهم وجعلهم خبرًا من الأخبار!

• تذكُّر اليوم الآخر واستحضارُ قربه يُعينان المؤمنينَ الصالحينَ، والدعاةَ العاملينَ، على الصبر على ما يُلاقون من متاعبَ وعقبات.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)﴾

كَٱلْمُهْلِ: كحُثالةِ الزَّيت.

كَٱلْعِهْنِ: كالصُّوفِ المَصبوغِ المَنفوشِ الذي ذَرَتْهُ الرِّيح.

• قطع الهولُ المروِّع جميعَ الوشائج، وحبس النفوسَ على همٍّ واحد، فما عاد أحدٌ يلتفت لسواه، إنه همُّ الحساب، والنجاة من العذاب.

﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ (١٣) وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤)﴾

• أرأيتَ إلى أحبِّ الخلق إليكَ، مَن كنتَ تضعُهم بين أهداب عينَيكَ، إنهم أوَّلُ مَن لو أُتيح لك أن تفتديَ بهم من العذاب لفعَلت؟!

• مَن أبطأ به عملُه لم يُسرع به نسبُه، ولا قرابتُه وأصحابه وعشيرته، فحذار أن تجعلَ أحدًا من الخلق سببًا لضلالك، وانجُ بنفسك قبل هلاكِكْ.

• يا له من مشهدٍ مَهول! حين تُبصر بعينيك فِلذات أكبادك يَهيمونَ في فزع الحشر على وجوههم، فتُشيح عنهم مشغولًا بهمِّكْ، وهواجس نفسِكْ!

﴿كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ (١٦)﴾

نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ: قَلَّاعةً بشِدَّةِ حَرِّها جِلدةَ الرَّأسِ، وسائرَ أطرافِ البَدَن.

• أيها المتعلِّق بحبال الأوهام، هلَّا صحَوتَ من غفلتك! إن نار الجحيم تذهب أوَّلَ ما تذهب بما تظنُّ نفسَك تدفع به العذابَ من أطرافك!

﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ (١٨)﴾

• كان يُدعى من قبلُ إلى الهدى فيُدبر ويتولَّى، وها هو ذا اليومَ تدعوه جهنَّم ليصطليَ بحرِّها ولا يملك أن يُدبرَ أو يتولَّى!

• من شغله الحرصُ على الدنيا، وجمعُ المال وكنزُه عن العمل للآخرة، لم يملك أن ينشغلَ عن الاستجابة لدعوة جهنَّم إلى عذابها!

﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ (٢٣)﴾

• لا شيء كالإيمان والعمل الصالح يمنحُكَ أيها العبدُ الطُّمأنينه، ويكسوك بثوب السَّكينه، ويعصمُك من الجزَع عند وقوع الشرِّ، ومن الشحِّ عند حصول الخير.

• يُروى عن الحسن البصريِّ أنه قال: (حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة)، فإيَّاكم وإيَّاها؛ فإنها تدعو إلى الشحِّ والطمَع، وتقود إلى اليأس والجزَع.

• أعظم ما يزكِّي المسلمَ ويخلِّصه من مساوي الأخلاق، المداومةُ على الصلاة، فما أحرانا أن نبتهلَ إلى الله بالدعاء: {رَبِّ اجعَلني مُقيمَ الصَّلاةِ ومِنْ ذُرِّيَّتي رَبَّنا وتَقَبَّلْ دُعاءِ}.

﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ (٢٥)﴾

• شعورُك أيها المسلمُ أن للمحتاجين حقًّا في مالك هو شعورٌ بفضل الله عليك من جهة، وشعورٌ بآصرة الأخوَّة الإنسانيَّة من جهة أخرى.

• ليس كالإنفاق في سبيل الله أمرٌ يحرِّر النفسَ من ربقة البخل، فضلًا عن أن يكونَ ضمانةً اجتماعيَّة لتكافُل الأمَّة وتعاونها.

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ (٢٦) وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ (٢٨)﴾

• المصدِّقُ بالحساب يعمل وبين عينيه ميزانُ السماء لا ميزانُ الأرض، فلا يرجو شكرَ شاكرٍ ولا ثناء إنسان، إلا رضا الله الديَّانْ.

• المؤمن الصادقُ لا يغترُّ بما عليه من صلاح، فهو يشعر دومًا بالتقصير، في جَناب المتعالي الكبيرْ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ (٣١)﴾

• في حفظ الفروج طهارةٌ للنفس وسلامةٌ للأسَر وأمانٌ للمجتمع، ومن صان أعراضَ المسلمين لم يُرِه الله في عِرضه ما يكره.

• من عظمة الإسلام أنه حثَّ على النكاح؛ لتبقى الشهَواتُ منضبطةً بضابط العفَّة والحلال، فيا عجبًا لمن يصرُّ على إفراغها بالحرام!

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ (٣٣)﴾

• كلُّ ما آتاك الله أيها العبدُ من نِعَم إنما هي أمانةٌ ائتمنكَ عليها، فإن جعلتَها في غير طاعته فقد خُنتَ الأمانةَ وكفَرتَ بالنعمة.

• كتمانُ الشهادة موجبٌ لغضب الربِّ سبحانه؛ لِما فيه من إفسادٍ للقلوب، وإثارةٍ للخلاف؛ بحرمان الناس حقوقَهم، وإيقاعِ الظلم بهم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ (٣٤)﴾

• لا يزال المؤمنُ يجاهد نفسَه في المحافظة على الصلوات حتى يستشعرَ حلاوةَ الإيمان، ويذوقَ لذَّةَ الطاعة، فتغدوَ الصلاة قرَّةَ عين له، كما جعلها الله لحبيبه المصطفى ﷺ قرَّةَ عين.

يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ (١١)
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ (١٣) وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا
ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ
وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ (١٨) ۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ
جَزُوعٗا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمۡ
عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ
وَٱلۡمَحۡرُومِ (٢٥) وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ (٢٦) وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ
رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ (٢٨) وَٱلَّذِينَ هُمۡ
لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ
فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ (٣١)
وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ
(٣٣) وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ (٣٥)
فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ (٣٦) عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ
عِزِينَ (٣٧) أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ (٣٨) كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم
مِّمَّا يَعۡلَمُونَ (٣٩) فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ (٤٠)

الحزب ٥٧

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ (٣٥)﴾

• أرأيتَ إلى أصحاب تلك الصفات الحميدة؟ لمَّا ارتقَوا إلى عَليائها، مترفِّعين عن السفاسف والدَّنايا، رفعهم الله إلى جنَّات النعيمْ، ومَنَّ عليهم فيها بألوان التكريمْ.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ (٣٦) عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ (٣٨) كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ (٣٩)﴾

قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ: نحوَكَ مُسرعينَ، مادِّين أعناقَهم إليك.

عِزِينَ: جماعاتٍ متفرِّقين.

• أنَّى لهم دخولُ الجنَّة وقد أعمَتهم مناصبُهم ومنازلُهم وأموالهم، فاستكبروا عن قَبول الحقِّ والإذعان له، فما لهم والكِبْرَ وقد خُلقوا من نطفةٍ حقيرة وماء مَهين؟!

• لا يكفُّ النفسَ عن غرورها إلا استحضارُ أصلها، فما كان من ماءٍ مَهين لا يليقُ به أن يتغطرسَ ويتكبَّر.

• يا له من بيانٍ مُعجز؛ بألفاظٍ يسيرة قليلة مسحَ كبرياءَ الكافرين مسحًا، ونكَّس خُيَلاءهم تنكيسًا، دون كلمةٍ نابية واحدة.

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١ فَذَرۡهُمۡ
يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢ يَوۡمَ
يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣
خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤

سُورَةُ نُوحٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ
ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا
٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ
لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠

٥٧٠

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١﴾

بِمَسۡبُوقِينَ: بمغلوبين؛ فلا أحدَ يفوتُنا ويُعجِزُنا إذا أردناه.

• حيث يمَّم الناسُ وجوهَهم شرقًا أو غربًا رأوا من آياتِ الله البديعة الناطقة بعظمته وكبريائه، ثم يأبى أكثرُهم إلا كفورًا!

• إن الله القويَّ الجليل الذي أحكم خلق الكون وأبدع صنعه، لا يُعجزه أن يستبدلَ بكم أيها الكفَّارُ قومًا أصلحَ وأمثلَ، يطيعونه ولا يعصونه.

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾

نُصُبٖ: أحجارٍ تُعبَدُ من دونِ الله.

يُوفِضُونَ: يُهرولونَ ويُسرعُون.

• أيها الداعيةُ، لا تبتئس لقلَّة المستجيبين لدعوتك، فحسبُك أن تبلِّغ رسالةَ ربِّك.

• ما أسرعَ الكافرَ إلى دروب الباطل! وسيأتي يوم يُرغَم فيه على المسارعة لملاقاة جزاء ربِّه العادل، وقد غشيَه الخزيُ يومئذٍ والمهانة.

سُورَةُ نُوحٍ

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾

• تقتضي الحكمةُ أن يتصدَّى للدعوة في كلِّ جماعة فردٌ منهم على درايةٍ بهم وبطبائعهم؛ فذلك أدعى للقبول منه، والاستجابة لدعوته.

• من رحمة الله الواسعة بخلقه؛ أن بعثَ إليهم الرسلَ مبشِّرين بالنعيم، ومنذرين من الجحيم، ليقيمَ عليهم الحجَّة فـ{مَن عَمِلَ صالحًا فلِنَفسِهِ ومَن أساءَ فعَلَيها وما ربُّكَ بظَلّامٍ للعَبيد}.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢﴾

• يجب على الدعاة التلطُّف بالمدعوِّين، وتخيُّر أفضل أساليب الخطاب؛ لاستجلاب قلوبهم، واستمالة نفوسهم.

• الداعيةُ الصادقُ يبتغي بدعوته وجهَ الله تعالى، ولا يرجو مجدًا شخصيًّا ولا غرضًا دنيويًّا، ولن تنجحَ الدعوة حتى تتنزَّهَ عن المنافع والمصالح.

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣﴾

• إنها خلاصةُ دعوة المصلحين في كلِّ جيل من الأجيال؛ إفرادُ الله بالعبادة، ومخافةُ نقمته وخشيةُ عقابه، وطاعةُ أنبيائه ورسله.

• تقوى الله هي الضمانةُ الحقيقيَّة لاستقامة الناس على منهج الحقِّ، وعدم التلفُّت عنه إلى هنا أو هناك، وهي الباعثُ على مراقبة الله، بلا رياء ولا مماراة.

﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾

• بادروا بالطاعات؛ فإن الله يبسُط في أجَل العبد إمهالًا له حتى يتوبَ ويُصلح، فإذا جاء الأجلُ بطَل العمل، ولا ينفع حينئذٍ تحسُّر ولا ندم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧﴾

وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ: تغطَّوا بها؛ مُبالغةً في كراهية الدعوة.

• الجهد والدَّأَبُ بمقدار الهمِّ، فمَن حمل همَّ الدعوة نشِط لها ليلَ نهارَ، ولم يُبالِ في سبيلها بمشقَّة، ولم يعبأ بتعَبٍ أو نصَب.

• في الحديث: «قلوبُ العبادِ بينَ إصبعَينِ من أصابعِ الرَّحمٰن» فالهدايةُ من الله وحدَه، وعلى الداعية أن يبذلَ جهدَه ما استطاع.

• لا يزال المرءُ يستكبر ويعاند حتى يطمسَ الله على بصيرته؛ فلا يَميزُ بين حقٍّ وباطل، ولا حلال وحرام.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾

• اطرُق أيها الداعيةُ كلَّ باب يُرجى منه تبليغُ رسالة السماء، ولا تدَع وسيلةً ولا طريقةً إلا واتَّبعها، فما يُدريك بأيِّها يكون التوفيق.

• لكلِّ مقامٍ مقال؛ والداعيةُ الفطِنُ يدرك بحكمته ما يصلحُ في زمانٍ دون زمان، ومكانٍ دون مكان، فيَلبَسُ لكلِّ حال لَبوسًا.

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾

• إن الله لطيفٌ حليم، واسعُ الرحمة كثيرُ المغفرة، وما عليك أيها العبدُ الغارق في الآثام إلا أن تجتهدَ بالتوبة والاستغفار، وستجدُ ربَّك توَّابًا رحيمًا.

• كان رسولُ الله ﷺ لا يفتأُ يستغفر ربَّه كلَّ يوم أكثرَ من سبعين مرَّة، فهلَّا لهجنا لربِّنا بالاستغفار!

• خرج عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه يومًا إلى الاستسقاء، فلم يزد على أن استغفرَ ثم انصرف، فقيل له: ما رأيناك استسقَيت! فقال: والله لقد استسقَيتُ أبلغَ الاستسقاء، وطلبتُ المطرَ بمَجاديح السماء التي يُستنزَل بها.

• قال قتادة: (كانوا أهلَ حبٍّ للدنيا، فاستدعاهم إلى الآخرة من الطريق التي يحبُّونها)؛ إذ النفسُ مولعةٌ بحبِّ العاجل دون الآجل.

• الاشتغالُ بالطَّاعات والقرُبات، سببٌ لانفتاح أبواب الخيرات والبرَكات.

يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل
لَّكُمۡ جَنَّـٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾
وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ
إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا
سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا
كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾

٥٧١

﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾﴾

أطوارًا: طورًا بعد طور؛ نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً ثم عظامًا، ثم خلقًا تامًّا.

• توقير الله جلَّ وعلا ليس كلماتٍ تتحرَّك بها الألسُن فحسب، ولكنَّه خشيةٌ في القلب تورث العملَ بخشوعٍ وإخلاص.

• أيُّ عذرٍ لكم في ترك مخافة الله تعالى، مع أن أدلَّة كمال قُدرته أظهرُ ما تكون في خَلقكم أنتم {وفي أنفسِكم أفلا تُبصِرون}؟!

• من أعظم الظُّلم وغاية الجهل أن تطلبَ الإجلالَ والتوقير من الناس، وليس في قلبك ذرَّةٌ من توقير الله وتعظيمه.

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾﴾

• مَن تأمَّل خلقَ الله العظيم من سماواتٍ وشمس وقمر تأمُّلًا واعيًا، استشعرَ عظمةَ الله وجلالَه، فخضعَ لأمره وأذعنَ لهديه.

• رفع الله السماء فوقنا سقفًا يحفظنا، ويحمي أرضَنا، وجعل فيها الشمسَ والقمر مسخَّرةً لنا؛ بكثرة منافعها، وجليل عوائدها، فلله الحمدُ والمِنَّة.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾﴾

• كلماتٌ قليلة اختصرَت رحلةً طويلة، من ساعة الخلق إلى ساعة البعث، ما أحرانا أن نتأمَّلَها ونتدبَّرَ معانيَها؛ لنعملَ لحياتنا الباقية لا لحياتنا الفانية!

• كيف يغترُّ بالأمل، ويتغافل عن الأجَل، مَن علم أنه من التراب خُلق وإلى التراب يعود؟ فطوبى لمَن أصلحَ واستعدَّ للمَعاد.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾﴾

• انظر أيها العبدُ إلى الأض كيف ذلَّلها الله لمعاشِك، وجعلَ فيها طرقًا ميسَّرة تبلِّغك حوائجَك، فاحمَد الله واشكُر له، ولا تكُ من الجاحدين!

﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾﴾

• إذا اعترضَت طريقَك عقبةٌ كؤودٌ فلا تبتئس ولا تحزن، ولكن ارفع إلى مولاك يدَيك، وقُل: يا ربِّ، يا رب.

• ما أكثرَ المتبوعينَ الذين يسخِّرون مالهم وجاههم في صدِّ الخلق عن الحقِّ، فلا يزيدهم ذلك إلا خسارًا.

• اتَّبِع أهلَ الدين والتقوى؛ فإنهم كحامل المسك لا تنالُ منهم إلا طيبًا، وإيَّاك وأهلَ الدنيا؛ فإنهم كنافخ الكِير، إن لم يُحرق ثوبَك آذاكَ بريحه الخبيثة.

• إن عقلَك من أغلى ما تملكُ فلا تبعهُ لأحد، وإيَّاك والتبعيَّةَ العمياء؛ فإنها تُفضي إلى الهُلك والضياع.

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾﴾

• هذا حالُ الكفَّار على مدار الأزمان؛ لا يألون جهدًا، ولا يدَّعون طريقًا للكيد بالدعوة والدعاة إلَّا سلكوه، فلنعرف عدوَّنا ولنحتَط لمكره.

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾﴾

• كفَّار اليوم ككفَّار الأمس، لا يفتؤون يزيِّنون الشرورَ للعامَّة، ويصرفونهم عن الحقِّ؛ بفتح أبواب الشُّبهات وإثارة الشهَوات، مستخدمين في ذلك كلَّ الوسائل من مال وإعلام وغيرهما.

• انظر إلى جلَدِ الكفَّار في الإفساد، وتواصيهم وصبرهم على باطلهم، أوَ ليس أهلُ الحقِّ أولى بذلك؟

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾﴾

• إن الله حليمٌ رحيم بعباده؛ لا يأخذُهم بقليل الذنوب، حتى إذا تمادَوا في الطُّغيان، وعتَوا عن أمره بالعصيان، أخذهم أخذَ عزيزٍ مقتدر.

• إنما هي أعمالُك أيها المسلم ترفعُك وترتقي بك، أو تُرديك وتهوي بك، ولا يظلم ربُّك أحدًا {فمَن يعمَل مِثقالَ ذرَّةٍ خيرًا يرَه، ومَن يعمَل مِثقالَ ذرَّةٍ شرًّا يرَه}.

﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾﴾

ديَّارًا: أحدًا حيًّا، يدُور ويتحرَّكُ في الأرض.

• يغدو سؤالُ الله استئصالَ الظالمين لتطهير الأرض من ضلالهم ضرورة، حين تستعصي نفوسُهم على الانصياع لشرع الله ووحيه.

• أنبياء الله هم أعظمُ المصلحين؛ لا يرجون إلا هداية الناس وتطويعَهم لربِّهم، وما يُسخطهم على الكفَّار إلا خشيتُهم من فتنة المؤمنين عن دينهم.

• لا عليكَ أن تدعوَ على الظالمين بالهلاك والدَّمار، ما لم يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى الصلاح والوقار، وأولى من ذلك الدعاء بهدايتهم.

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾﴾

تبارًا: هلاكًا وخسرانًا.

• غفرانُ الذنوب نعمةٌ كبرى ومِنَّةٌ عظمى؛ فهي سببٌ في دخول الجنان، والفوز بالرِّضا والرضوان، فأكثروا من الاستغفار لأنفسكم وأهليكم.

• لئن تناءت بكَ الديارُ عن الأهل والأصحاب، إنهم معكَ ما تذكَّرتهم بدعَواتك، وخصَصتَهم باستغفارك؛ فلا تبخل عليهم فإنه من البرِّ.

• الافتقارُ إلى الله وعَونه شعورٌ ينبغي ألا يفارقَ نفسَ المؤمن مهما بلغ في درجات الطاعة، ومراتب الصَّلاح والرشد.

سُورَةُ الجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحِزْبُ ٥٨

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

٥٧٢

سُورَةُ الجِنِّ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾

• لنتأمَّل حالَ الجنِّ بعد إصغائهم إلى آيات القرآن، كيف امتلأت نفوسُهم بمعاني الإعجاب والتعظيم، لهذا البيان المحكَم الكريم، أوَلسنا أولى بهذا منهم؟

• ما أحرانا أن نجتهدَ وننشطَ في تبليغ القرآن وإسماعه للعالمين؛ لعلَّ الله يُجري الخيرَ على أيدينا ويجعلنا سببًا لهداية الناس بكلامه المبين.

• مَن لم يهدِه القرآنُ للحقِّ والتوحيد الخالص، فلن تنفعَه آلافُ كتب الجدل والفلسفة والمنطق، فاستمسك بالقرآن تُفلح.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾

جَدُّ رَبِّنَا: عظمةُ ربِّنا وجلالُه وغِناه.

صَاحِبَةً: زوجة.

• تنزَّه جلالُ الله وتعالت عظمتُه عن كلِّ نقص، فحاشاه سبحانه أن يكونَ له صاحبةٌ أو ولد؛ {لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكُن له كُفُوًا أحَد}.

• إن الله مُستغنٍ عن خَلقه، والكلُّ مفتقرٌ إليه، ولكنَّ الطغيان أعمى عيونَ المفترين فما عادوا يميزون بين خالقٍ ومخلوق {وما قدَروا اللهَ حقَّ قَدْرِه}!

• أشقى السفهاء إبليسُ؛ إذ عرَّض نفسَه بكبريائه وخُيَلائه للطَّرد من رحمة الله، ومنازل القرب، ليبوء بالعذاب الأبديِّ، وإن مصير كلِّ مستكبر كمَصيره.

• دَيدَنُ السفهاء في القديم والحديث الافتراءُ على الله وشرعه بالأكاذيب والأباطيل، فلنحذَر من صُحبتهم والإصغاء إليهم.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

• حتى الجنُّ بفطرتهم ما كان يخطر لهم أن أحدًا من الثقلَين يمكن أن يجترئَ على الله بالكذب، فيا لجُرم المفترين على الله باختلاق الأباطيل!

• ما أكثرَ المسلمين المخدوعين بمقولات كثيرٍ من الكفَّار ونظريَّاتهم التي ينسبونها إلى العلم وهو منها بَراء، ولو أنهم تدبَّروا آياتِ الكتاب لعلموا في أيِّ وادٍ يهيمون!

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾

• ما استجار قلبٌ بغير الله طمعًا في جلب نفعٍ أو دفع ضُرٍّ إلا غشيَته الكآبةُ وأرهقه الأسى، فلُذ بالواحد الأحد، الفرد الصَّمد، لا بالسَّحَرة والكُهَّان.

• ليس الرهَقُ ما يصيب المؤمنَ من حرمان بعض أعراض الدنيا، فإنَّ الله يعينه ويصبِّره، ولكنَّ الرَّهَق ما يصيب القلبَ من اضطراب وأحزانٍ، من أثر الذنوب والعصيان.

• ألا تعجبُ أيها العاقلُ ممَّن يلزم أبوابَ السَّحَرة والمشعوذين لِواذًا بهم، وهم لا يفتؤون يأكلون ماله بالباطل، ويزيدونه عنتًا وإرهاقًا!

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

• أنكرَت الجنُّ البعثَ والحساب كإنكار كثيرٍ من الإنس، ولمَّا سمعوا القرآنَ اهتدَوا وأقرُّوا بما كانوا يُنكرون، فهلَّا يقرُّ به جميعُ البشَر!

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾

لَمَسْنَا السَّمَاءَ: طلَبنا بُلوغَ السَّماء؛ لاستِراق السَّمع.

رَّصَدًا: راصِدًا له؛ ليُرجَم به.

• لمَّا بُعث النبيُّ محمَّد ﷺ طُردت عن السماء شياطين الجنِّ؛ حفظًا من الله لشرعه المُوحى به إلى رسوله، فلنحرِس الحقَّ من شياطين الإنس الذين يحرِّفون الكلِمَ عن مواضعه.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

• من أدب العبارة والخطاب، ومن كمال التأدُّب مع الله تعالى؛ ألَّا ننسبَ إليه الشرَّ أو السوء، وإن كان سبحانه خالقَ كلِّ شيء.

• شفاء الجهل تحرِّي العلم والحقِّ، فما زالت الجنُّ في حَيرة حتى سمعَت القرآن، وعلمَت أن الله لم يُرد بخَلقه إلا الخيرَ والرشاد.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾

طَرَائِقَ قِدَدًا: فِرَقًا ومَذاهِبَ مُختَلِفة.

• أرأيتم إلى الحكمة في قولهم: {منَّا الصالحون ومنَّا دون ذلك}؟ إنها حكمةُ الداعية الفَطِن باختيار أنسب الأساليب وأوفق العبارات في مخاطبة المدعوِّين؛ بما يستجلب قلوبَهم، ويُلين نفوسَهم للحقِّ والصواب.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

• يُدرك العاقل من الإنس والجنِّ تمامَ قدرة الله تعالى، وعَجزَه عن الهرَب من سُلطانه والإفلات من عقابه، فيلزَمُ شرعَه ويحذَرُ غضبَه.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾

• إنها ثقةُ المطمئنِّ إلى عدل ربِّه، المتيقِّن من قدرته وجلاله، العارف بحقيقة الإيمان وروعة آثاره، فما أحسنَها من ثقةٍ ينبغي أن تملأ قلوبَنا!

• الناسُ في اختيار المصير على مراتب؛ فأعلاهم منزلةً مَن إذا سمع الهُدى أو بلغه الحقُّ سارعَ إليه؛ إيمانًا وعملًا، فهل يستوي مع مَن تنكَّب أو أبطأ؟ لا يستوون!

• مَن استعصَم بغير الله ازداد عنتًا ورهقًا، ومَن آمن واستعصَم بالله لم يخَف عنتًا ولا رهَقًا، فاختَر مع أيِّ الفريقين تكون.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

ٱلْقَـٰسِطُونَ: الجائرون الظالمون الذين حادوا عن الحقِّ.

• من رغب في الشيء واجتهد في طلبه وُفِّق إليه؛ فاحرص أن تجعلَ همَّتك في طلب الهُدى والحقِّ؛ لتفوزَ بهما، وتنعَم ببركتهما.

• ما جار امرؤٌ ومال عن الحقِّ إلا بمَحض اختياره، فأحسِن القصدَ تبلُغِ المأمول، وخيرُ ما يُحرَص عليه رضا الله واتِّباعُ شرعه.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

ٱلطَّرِيقَةِ: دين الإسلام.

غَدَقًا: كثيرًا.

• إنه البلسمُ الشافي لكلِّ مَن ضاق ذرعًا من مشقَّة الحياة وقلَّة ذات اليد؛ استقِم على الطريقة تُؤتَ من واسع رزق الله، وتحيَ حياةَ رغَدٍ وبهجة.

• دوام الذِّكر أمانٌ للمرء من الفِتَن، فما أحرانا أن نستمسكَ بوصيَّة النبيِّ الهادي ﷺ: «لا يزال لسانُك رَطبًا بذكر الله».

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

• أذن الله لبيوته أن تُشادَ وتُرفعَ ليُذكرَ فيها وحدَه، فيا ضلالَ من صرف شيئًا من الذِّكر فيها لغيره، أو اشتغل فيها بغير طاعته.

• إذا لم ننزِّه المساجدَ بيوتَ العبادة عن كلِّ ما يُخامر الإخلاصَ من شوائبَ، فأين نفعل ومتى؟!

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

لِبَدًا: جماعاتٍ مُتراكبةً بعضُها فوق بعضٍ، من شِدَّة ازدحامهم.

• أعظم شرفٍ يناله المؤمنُ أن يكونَ عبدًا لله بحق، ولمَّا خُيِّر نبيُّنا ﷺ بين أن يكونَ ملِكًا أو عبدًا اختار أن يكونَ عبدًا رسولًا.

• أهلُ الباطل في كلِّ العصور يُمالئ بعضُهم بعضًا على حرب المصلحين، وكَمِّ أفواه الدعاة الموحِّدين؛ {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعضُهُم إِلَىٰ بَعضٍ زُخرُفَ القَولِ غُرُورًا}، ولكن هيهات!

• استشعر الجنُّ عظمةَ القرآن وأنه نمطٌ فذٌّ من الكلام، فأقبلوا زُرافاتٍ يُصغون إلى بيانه، مقرِّين بالعجز عن أن يأتوا ولو بآيةٍ من مثله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾

• هكذا هو الداعيةُ الصادق في دعوته، المخلصُ لدينه وأمَّته؛ لا يعبأ بوعيدٍ، ولا يخشى من تهديدٍ، ويرفع أبدًا رايةَ التوحيد.

• إيَّاك ومحبِطاتِ الأعمال، وأعظمُها شرًّا الشِّرك بالله؛ فإنه يذهب بالحسنات، ويضاعف السيِّئات، ويودي بصاحبه إلى مهاوي الجحيم.

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾

مُلْتَحَدًا: ملجأً.

• يتجلَّى في هذا القول كمالُ العبوديَّة لله تعالى؛ بالإقرار بالعَجز التامِّ، وأنه لا حولَ ولا قوَّة لأحدٍ إلا بالله العليِّ العظيم.

• إذا كان رسولُ الله ﷺ سيِّدُ الأوَّلين والآخرين، وأحبُّ الخلق إلى ربِّ العالمين، لا يملكُ لأحدٍ نفعًا ولا ضرًّا، ولا يمنع نفسَه من الله، فكيف بغيره من البشر؟!

• لا تشغَل نفسَك أيها الداعيةُ بالخَلق؛ فإنما أنت مبلِّغٌ عن ربِّك، فانصح لأمَّتك بصدق وإخلاص، ودَعك من سوى ذلك؛ فإنك لا تملك لهم شيئًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾

• حين تحين ساعةُ الجِدِّ يدرك المتعاظمون المغترُّون بجاههم وأتباعهم كم أجرموا بحقِّ أنفسهم؛ إذ لا ناصرَ لهم من الله، ولا مفرَّ لهم من عقابه.

• شتَّان بين مَن تقوَّى بعرَض الدنيا الزائل الماضي، ومَن تقوَّى بخالق الدنيا القويِّ الباقي، فغدًا يحقُّ الحقُّ ويبطُل الباطل، وإنَّ غدًا لناظره قريب.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ
أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ
أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

٥٧٣

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾

• كلُّ آتٍ قريب، وإنَّ القيامة آتيةٌ يقينًا؛ فهي أقربُ إلينا ممَّا نظن، أفلا نعدُّ لها عُدَّةً من توبةٍ نصوح، وعملٍ صالحٍ مَرضيّ؟

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾

يَسْلُكُ: يُرسِل.

رَصَدًا: ملائكةً يحفظونه ويحرُسونه.

• حتى الرسلُ يُحجَب عنهم الغيبُ إلا ما يُطلعهم الله عليه ممَّا يتَّصلُ بالرسالة وإقامة الحُجَّة على الناس؛ تأييدًا لهم وتمكينًا لدعوتهم.

• إنه إعلانٌ صريح عن تحرير العقل البشريِّ من الأوهام، ومن مزاعم ادِّعاء الغيب؛ لنكفرَ بخُرافات المخرِّفين، وبأساطير الأوَّلين والآخرين.

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

• لم يألُ رسُلُ الله في تبليغ رسالة السماء، برغم ما لاقوا من صدٍّ وعَداء، وفي هذا حثٌّ للعلماء، على الصَّبر واحتمال البلاء.

• قال ابنُ عبَّاس ﵄: (أحصى الله ما برأ، وعرَف عددَ ما ذرأ، فلم يفُته علمُ شيء، حتى مثاقيلُ الذرِّ والخردَل)؛ {وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلمًا}.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا
٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا
ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي
ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨
رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ
أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢
وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا
عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا
يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا
١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩

٥٧٤

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (٢) نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا (٣) أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا (٤)﴾

• صلاةُ الليل وذكرُ الله زادٌ يعين المؤمنَ على تحمُّل أثقال الحياة وتجاوز عقباتها، وأَولى من يتزوَّد به العلماءُ والدعاة.

• المقصود من الترتيل حضورُ القلب وتدبُّر المعاني؛ فمَن تدبَّر القرآنَ ابتهج فؤادُه، واستشعر حلاوةَ الإيمان وبردَ اليقين.

• إن الله لا يكلِّف نفسًا إلا وسعَها، فقُم من الليل ما تستطيع، وتهجَّد ما كان قلبك حاضرًا، وفؤادك ناشطًا، فإذا أثقلك النعاسُ فنَم.

﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا (٥)﴾

• ثقلُ القرآن بعِظَم معانيه وسَعة آفاق دَلالاته، حتى إن المتدبِّر له ليستخرجُ من الآية الواحدة عشَرات الهدايات والفوائد، ويبقى فيه مزيدٌ ومزيد.

• لمّا كان الوحيُ أمانةً عظيمة يتطلَّب تبليغُه تربيةً إيمانيَّة عالية انتُدب المسلمون لقيام الليل والاصطبار عليه.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا (٦)﴾

نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ: العبادةَ التي تَنشَأ في جَوف اللَّيل.

• إنَّ للعبادة في الليل حَلاوه، وللصَّلاة فيه خشوعًا وطَلاوه، ولترتيل القرآن لذَّةٌ وعذوبة، فيا خيبةَ من فرَّط بها وتهاون!

• الليل بسكونه وظُلمته أوقعُ أثرًا في مُواطأة القلب للِّسان، وحضور الذِّهن وخشوع الأركان، فعليكَ به؛ فإنه دأبُ الصالحين المُخبتين.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا (٧)﴾

سَبۡحًا: تصرُّفًا وتقلُّبًا في مَصالحك.

• ما أجلَّها من شريعةٍ تقدِّر حوائجَ الناس وتراعي مصالحهم؛ فلا ضيرَ أن تُنجزَ أعمالكَ في ساعات نهارك، على أن تدَّخر في الليل عملًا لآخرتك.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا (٨)﴾

• أعظم التبتُّل إلى الله الانقطاعُ عن الشِّرك، وصدقُ التوجُّه بالعبادة إلى الله، ولا خيرَ في عملٍ لا يُصاحبه الاتّباعُ والإخلاص.

• رطِّب لسانَك بذكر الله في ليلك ونهارك، وفراغك وشُغلك، فإنَّ ذلك أدعى لحضور القلب مع الله، ومراقبته في السرِّ والعلن.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا (٩)﴾

• من تمسَّك بهذه الآية فوحَّد الله وتوكَّل عليه، وفوَّض أمره إليه، عاش حرًّا كريمًا، ومات عزيزًا شريفًا، ولقي الله تعالى عبدًا صافيًا، تقيًّا نقيًّا.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا (١٠)﴾

• امضِ في دعوتك على صراطٍ مستقيم، واصبِر على عقبات المسير، واحذر أن يحرفك المضلِّون بأباطيلهم إلى بنيَّات الطريق.

• لا يكون هجرك جميلًا حتى ترتفَّع عن الغضب والانتقام، فربِّ نفسَك على الصبر، وتحلَّ بمكارم الأخلاق، مع الأعداء قبل الأولياء.

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا (١١)﴾

أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ: أصحابَ التَّنعيم والتَّرَف.

• هي بُشرى لكلِّ داعية؛ ألَّا ييتئسَ لعَداء قومه له، وألَّا يحملَ في نفسه حقدًا وغِلًّا، فإن الله تكفَّل بعقابهم، والانتقام له منهم.

• وَفرةُ النِّعَم بين يدَي العبد ليست دليلًا على رضا ربِّه عنه، ولكنَّها ابتلاءٌ وامتحان، فإن شكر أُكرم بالثواب، وإن كفر أُهين بالعقاب.

﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا (١٢) وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا (١٣)﴾

• ما زال سليمانُ التيميُّ يتدبَّر قوله تعالى: {إنَّ لَدينا أنكالًا وجَحيمًا} حتى انتحَبَ بالبُكاء، وهو يقول: قيودًا والله ثقالًا لا تُفكُّ أبدًا.

• آتى الله المكذِّبين أولي النِّعمة في الدنيا طعامًا طيِّبًا سائغًا فما حَمِدوه ولا شكروا نَعماءه، فجازاهم بطعام كريه ينشَبُ في حُلوقهم؛ ليذوقوا عذابَ غُصَصه مع عذاب الجوع.

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا (١٤)﴾

كَثِيبٗا مَّهِيلًا: رملًا سائلًا يتحرَّك أسفلُه فينهالُ أعلاه.

• إنها صورةٌ للهَول تتجاوز البشَرَ إلى الأرض بعظمتها والجبال بشموخها، يوم ترجُف وتتفتَّت، فكيف بالناس الضِّعاف المهازيل، فهل من معتبِر؟!

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا (١٥) فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا (١٦)﴾

وَبِيلٗا: ثقيلًا شديدًا.

• في يوم القيامة يشهد رسولُ الله ﷺ للمؤمنين بالإيمان، ويشهد على الكفَّار بالعصيان، فكيف تحبُّ أن تكونَ شهادتُه فيك؟

• لنا فيمَن مضى عِظةٌ وعبرة؛ فكلُّ مَن كذَّب نبيَّه ولم يستجب لدعوته ونُصحِه استحقَّ سخطَ الله وعذابَه، {وما ربُّك بظلَّامٍ للعَبيد}.

﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا (١٧)﴾

• قال قَتادة: (والله ما اتَّقى ذلك اليومَ قومٌ كفروا بالله وعصَوا رسوله!) وأنَّى لهم أن يتَّقوه؟!

• بعض أيام دنيانا يَشيبُ لكربها المرء، فكيف بأيَّام الآخرة بأهوالها وفظائعها؟! فاتَّقِ الله وتعقَّل لتكونَ من الناجين.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا (١٨)﴾

• أرأيتَ إلى السماء العظيمة المحكَمة كيف تتصدَّع وتتشقَّق من هول القيامة، فما الظنُّ بالعبد في لُجَّة ذلك اليوم العَصيب؟

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (١٩)﴾

• مَن لم يتَّعظ بآيات الإنذار وما فيها من القوارع والزواجر، ويتَّخذِ الطاعة والتقوى طريقًا إلى رضا مولاه، فبأيِّ شيء يتَّعظ؟!

• آتاك الله أيها العبدُ إرادةً حرَّة؛ فإن شئت نجاةَ نفسك وسعادتها سلكتَ لها مرضاةَ ربِّك، وإن شئتَ غيرَ ذلك استحققتَ العقابَ، وشديدَ العذاب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠)﴾

لَّن تُحْصُوهُ: لن تُطيقوه وتَقدِروا عليه.

• معرفة غرَض التكليف يعينُ على القيام به والصبر على مشقَّته، فاعلم أن الغرضَ من النَّدب إلى قيام الليل تربيةُ النفس وإعدادُها لجلائل الأمور.

• قليلٌ يدوم خيرٌ من كثير ينقطع؛ فمهما كانت حالك، وأيًّا كان عُذرك فاحرِص على القيام، ولو بصلاة ركعتين ترتِّل فيهما القرآنَ في هَدأة الليل.

• لنتأمَّل هذا التأكيدَ الصَّريح: {فاقرَءوا ما تيسَّرَ منه}، ولنتأمَّل حالنا وأين نحن منه!

• قلَّما يخلو امرؤٌ في عمله وعبادته من تفريط، فلنلزَم الاستغفارَ في جميع أحوالنا؛ جبرًا لما بدرَ منَّا من تقصير، فإنَّ الله غفور رحيم.

• فضل الله واسعٌ عظيمٌ، وجوده وافرٌ عميمٌ، وما عليك إلا أن تسعى في مناكبِ الأرض تبتغي من رزقه الحلال.

• هل بعد هذا الإغراء من إغراء؟ ما تُقدِّم من عملٍ صالح أشبهُ بقرض مضمونِ الأداء، مع زيادةٍ مضاعفة أضعافًا كثيرة، فهلمَّ نستبق إلى الخيرات.

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)﴾

• المَهامُّ العظيمة تتطلَّب إعدادًا كبيرًا، وتهيئةً نفسيَّةً وجسديَّةً جادَّة، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

• في نداء المرء ومخاطبته بحسَب الحالة المتلبِّس بها تلطُّفٌ وتحبُّب، فما أحسنَ أن نتلطَّف مع أهلينا، ونتحبَّبَ إلى إخواننا بما يسرُّهم من خطاب!

﴿قُمْ فَأَنذِرْ (٢)﴾

• إذا علمتَ أيها المسلم أن هذه الآيةَ من أوَّل ما نزل من القرآن، أدركتَ أهميَّةَ الدعوة إلى الله، فهلَّا شمَّرت عن ساعد الدأْب في الدعوة بحالك ومقالك!

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)﴾

• كلُّ ما سوى الله خاضعٌ لجبروته، مُنقادٌ لسلطانه، فإذا ما عظَّمتَ ربَّك حقَّ التعظيم لم تخَف أحدًا من البشر مهما بلغ في السَّطوة والقوَّة.

الحزب ٥٨

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠)

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)﴾

• مَن كان مأمورًا بتطهير الظاهر فإنه بتطهير الباطن أولى، فما أقبحَ أن يحافظ المرء على نظافة ثيابه وأناقة مَظهره، وقلبُه خَرِبٌ بالمعاصي، أسودُ بالآثام.

• عموم الأمر بتطهير الثياب يرشدُ المُسبِلين إلى ترك الإسبال؛ إذ غالبًا ما يلحقُ ثيابَهم شيءٌ من القذَر، وما أجملَ وصيَّةَ الفاروق رضي الله عنه لذلك المُسبِل: (ارفع إزارَك؛ فإنه أنقى لثوبِك، وأتقى لربِّك).

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾

وَالرُّجْزَ: الأصنام، وقيل: الإثم والذَّنب.

• إن رُمتَ وِصالَ الحقِّ فاهجر الباطل، فلا اتِّصالَ بحبل الله تعالى، ولا أُنسَ بطاعته إلَّا بقطع حبال الودِّ عن المعاصي والآثام.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦)﴾

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ: ولا تُعطِ العَطيَّةَ طامعًا بأكثرَ منها.

• أعظم الخُسران أن يُعطيَ المرء العَطاءَ ثم يمُنَّ بعمله على الخَلق حتى يُسخطَ عليه الخالق؛ {يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تُبطِلُوا صَدَقاتِكُم بالمَنِّ والأذى}.

• مهما بذلتَ لدينك ولأمَّتك فإنَّه قليلٌ بحقِّ ربِّك عليك، فإيَّاك أن تستكثرَ بعملك، وتمُنَّ على ربِّك، فحسبُك أنه وفَّقكَ إليه.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾

• مَن صبر على مشاقِّ الدنيا لله، وهانت عليه، هوَّن الله عليه الآخرة بمشاهدها المُفزعة، وأهوالها الفظيعة.

• الصبر زادُ المؤمن النفيسُ في طريقه إلى الله، في معالجة شهَوات النفس وأهوائها، وفي صدِّ أعداء الدِّين والحقِّ.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)﴾

نُقِرَ فِي النَّاقُورِ: نُفِخَ في الصُّور للبَعث والنشور.

• استحضار الآخرة على الدوام من أكبر ما يُعين المسلمَ على اجتياز عقبات الطريق، والثبات على الحقِّ، وتمام العبوديَّة لله.

• حين نزلت الآيةُ قال رسولُ الله ﷺ: «كيف أنعَمُ وصاحبُ الصُّور قد التقَم القَرنَ وحنى جبهتَه يستمعُ متى يُؤمَر؟!» قالوا: كيف نقول يا رسولَ الله؟ قال: «قولوا: حسبُنا الله ونعمَ الوكيلُ، على الله توكَّلنا».

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١)﴾

• هي دعوةٌ للنبيِّ ﷺ، وللدعاة في كلِّ عصرٍ ومِصر؛ ألَّا ينشغلوا عن الدعوة بمواجهة الجاحدين المعاندين، فإنَّ الله تكفَّل بباطلهم، وهو رادٌّ لكيدهم.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥)﴾

• نِعَمُ الله على عباده كثيرةٌ وافرة؛ من مالٍ وولد وصحَّةٍ وجاه، والأحمق حقًّا من اغترَّ بها فحملته على الكفر والجحود.

• جعل الله المالَ والبنين زينةَ الحياة الدنيا، فكيف بهم إذا صاروا رجالًا أشدَّاءَ ملازمين لأبيهم مُعينين، إنها لنعمةٌ تستوجب الشُّكرانْ، فيا خيبةَ من جنحَ عنها إلى الكُفرانْ.

﴿كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦)﴾

• العِنادُ ما العِناد؟ إنْ هو إلا أثرٌ من آثار كِبْر النفس ولؤم الطبع؛ لأنه مَيلٌ عن الجادَّة وانحرافٌ عن الفِطرة، وهو مُفضٍ إلى إنكار الحقِّ مع اليقين به!

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧)﴾

سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا: سأُكلِّفُه عذابًا شاقًّا لا يُطيقه.

• لمَّا انحرف المستكبرُ عن طريق الإيمان السَّهل الميسَّر، اضطرَّه الله إلى أوعر السبُل وأضيقها، وجعل صدره ضيِّقًا حرَجًا كأنما يصَّعَّد في السماء.

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ
﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا
إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾
لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا
أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا
لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ
﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ
يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ
مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

٥٧٦

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

فَقُتِلَ: فغُلِبَ وقُهِر.

نَظَرَ: تأمَّلَ فيما هيَّأ منَ الطَّعن.

وَبَسَرَ: واشتدَّ في العُبوسِ لمَّا ضاقت عليه الحِيَلُ في الطَّعن.

• التفكير الذي لا يستبصرُ بنور ربِّه مهما جالَ ودارَ فإنه وَبالٌ على صاحبه ومُورده المهالك.

• تكرار النظر في الحقِّ لا يزيدُه إلَّا ظهورا، وفي الباطل لا يزيدُه إلَّا ضعفًا وفُتورا، لمَن سلمَت فِطرتُه، وصدَق اللهَ في توجُّهه.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ: مُحرِقةٌ جُلودَ الكفَّار، مُسَوِّدةٌ بَشرتَهم.

• عن ابن عبَّاسٍ قال: {لا تُبقي} إذا أخذَت فيهم لم تُبقِ منهم شيئًا، وإذا بدَّلوا جلدًا جديدًا لم تذَر أن تُبادرَهم سبيلَ العذاب الأوَّل.

• مَن بلغ في الجحود الغايةَ استحقَّ من العذاب أشدَّه، ومن النَّكال آلمَه؛ جزاءَ استكباره، وكِفاءَ إعراضه، بعد إقامة الحُجَّة وبيان الحقِّ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

• إذا رأيت علمَ الغيب لا يزيدُك إيمانًا ويقينًا، فراجِع قلبَك؛ خشيةَ أن يكونَ قد أُشرب فتنةً ونفاقًا، يُوديان بك إلى شرِّ مصير.

• قلوب المؤمنين مفتَّحةٌ للحقِّ أبدًا، فهي تتلقَّاه من ربِّها تلقِّيًا يزيدها إيمانًا به سبحانه، وأُنسًا بشرعه، ويقينًا بهديه.

• لا يزول بالشكِّ اليقينُ، ولا يقين إلا بالإيمان، فاعمل أيها المسلمُ دومًا على زيادة إيمانك، بكثرة الصالحاتِ، ولزوم الطاعات.

• بِئسَ العَيشُ عَيشُ الكافر والمنافق، فهما في حَيرةٍ وقلقٍ واضطراب، لا يطمئنُّون إلى صدق خبرٍ ولا إلى حكمةِ أمر، حتى يُردُّوا إلى أشدِّ العذاب.

• اطمئنَّ أيها المسلم وقَرَّ عينًا بالنصر والتأييد، فإنَّ لله جنودًا لا يعلمها إلا هو، وما عليك إلَّا الأخذُ بالأسباب مع اليقين بوعد الله.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾

• في إدبار الليل وإقباله آيةٌ ظاهرة لكلِّ ذي عينين على المَبدأ والمَعاد؛ إذ هما مَبدأٌ ومَعادٌ يوميٌّ متكرِّر، والموفَّق من اتَّعَظ بهما، واستعدَّ للحساب.

• كما جعل الله القمرَ منيرًا، والفجرَ لسواد الليل مزيلًا، جعلك محتاجًا إلى نور الهداية وضياء الحقِّ، فأقبِل عليهما بلُبِّك وقلبك.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

• بيَّن الله هولَ النار وعِظَم شرِّها؛ إنذارًا للخلق وتخويفًا، فمَن اتَّقاها بفعل الطاعات نجا، ومن أقام على المعاصي صَلِيَ حرَّها.

• لا وقوفَ بحالٍ من الأحوال، فإمَّا أن تكونَ مع المتقدِّمين في الصَّلاح والتقوى، وإمَّا مع المتقهقرين الناكِصين، فاختَر لنفسك.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾

• ما أحسنَه من استثناء يشمل كلَّ مؤمنٍ صالح وضع رضا الله نُصبَ عينيه، وآثر هوى ربِّه على هوى نفسِه.

﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾

• من كمال نعيم أهل الجنَّة أنهم يتساءلون عن حال أهل النار، وهذا سببٌ في زيادة طُمأنينة قلوبهم، وارتياح نفوسهم.

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾

• رسوخ قدم العبد في الصلاة خالصةً لله، مانعٌ من الهلاك ودخول النار، كيف لا والصلاةُ عَمودُ الإسلام وأعظمُ أركانه؟

• مَن لا يجدُ في نفسه دافعًا لإطعام مسكينٍ دون مكافأةٍ يرجوها منه، فإنَّه لن يكونَ لديه دافعٌ لعطاء ينفع به غيرَه من الناس؛ ابتغاءَ وجه الله تعالى.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾

نَخُوضُ: نتحدَّثُ بالباطِل.

• إيَّاك أن تكون إمَّعة، إن أحسنَ الناسُ أحسنتَ، وإن أساؤوا وخاضوا في كلِّ باطلٍ أسأتَ وخُضتَ معهم، فإنَّ ذلك من أسباب الهلاك البعيد!

• مع التكذيب بيوم القيامة تختلُّ جميع الموازين؛ فلا يَميزُ المكذِّب بين حقٍّ وباطل، ويَضيقُ في حسِّه مجالُ الحياة فيقتصر على الدنيا دون الآخرة.

﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾

• الموت يقطع كلَّ شكٍّ ويُنهي كلَّ رَيب، إنه هاذمُ اللذَّاتِ، ومفرِّق الجماعاتِ، الذي لا يدَعُ مجالًا لتوبةٍ ولا ندَم، فيا فوزَ مَن أصلح قبل أن يأتيَه اليقين.

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحِزْبُ ٥٨ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ
ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟
ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾
وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

٥٧٧

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

• لا تنفع المكذِّبين المجرمين شفاعةُ شافع، أمَّا المسلمون المقصِّرون فإن الله يقبَل الشفاعةَ فيهم عمَّا فرَّطوا في جَنبه إذا شاء، رزقَنا الله شفاعةَ نبيِّه في اليوم العَصيب.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾

قَسْوَرَةٍ: أسدٍ كاسِر.

• عجبًا لمَن يبلغه التذكيرُ واضحًا جليًّا يرجو خيرَه ويأمُل نجاتَه، فيأبى إلا أن يفرَّ منه فِرارَ الحمار من سِباع الغاب!

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾

• لو أنَّ قلوبهم استشعرَت حقيقةَ الآخرة لكان لهم شأنٌ آخرُ غير شأنهم هذا الذي هم عليه؛ من نفورهم من الحقِّ ومن الدعوة إلى الله.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾

• القلوب الحيَّة بالإيمان، هي وحدَها التي تتَّعظ بآيات القرآن، وتنتفع بالذِّكرى، فهنيئًا لمَن اتَّعظ وذَكَر.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ: هو أهلٌ لأن يُتَّقى.

• إن الله حَقيقٌ أن يتَّقيَه عبادُه ويخافوا عقابَه، بالإيمان به وبطاعة أمره، وإنه حقيقٌ أن يغفرَ لهم ما سلفَ منهم.

• قلوب العباد بين إصبَعَين من أصابع الرحمن يقلِّبها كيف يشاء، فداوِم أُخيَّ على سؤال الله الهداية والثبات وحُسن الختام.

سُورَةُ القِيَامَةِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾

• لا يقسم ربُّنا إلا بعظيم؛ وهل أعظمُ من يومٍ يُحشَر فيه العباد، ويُنصَب الميزانُ للحساب؟ لا ينفع المرءَ يومئذٍ إلا عملُه.

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾

• قال الحسنُ البصريُّ: (إن المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسَه؛ ما أردتُ بكلمتي؟ ما أردتُ بأكلتي؟ ما أردتُ بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قدُمًا ما يعاتب نفسَه).

• شتَّان بين نفسٍ تلوم صاحبَها إن فرَّط حتى يتوبَ ويستغفر، ونفسٍ لا تفتأ تأمرُ بالسوء وتزيِّن لصاحبها الآثامَ والشرور!

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾

• إن الذي خلق بَنانَ الإنسان وخصَّ كلًّا منها ببَصمة لا يشترك فيها أحد، لهو قادرٌ على إحياء الموتى وبعثهم للحساب، فهنيئًا لمن استعدَّ.

• قال ابنُ عبَّاس: (لو شاء الله لجعل بَنانَ الإنسان كخُفِّ البعير أو حافر الحمار، ولكن جعله خلقًا سويًّا حسنًا يقبض به ويبسُط). فتبارك الله أحسنُ الخالقين.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾

• عن سعيد بن جُبير قال: (لا يزال المرء يقدِّم الذنبَ ويؤخِّر التوبةَ؛ يقول: سوف أتوب، حتى يأتيَه الموتُ على شرِّ أحواله، وأسوأ أعماله).

• تنزع نفسُ ابن آدم إلى المعاصي والآثام، فإن استحضر الموتَ والآخرة كانت له لجامًا يقيه التردِّيَ في الخُسران.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾

بَرِقَ ٱلْبَصَرُ: تحيَّر ودَهِش لأهوالِ القيامة.

• يقينُك أيها العبدُ بالحساب، يقيك يوم القيامة العذابَ، يومَ يستولي الرعبُ على البشَر، وتبلغ القلوبُ الحناجر، لا مَنجى من الله إلا رضاه.

• الحساب واقعٌ لا محالة، وبين يديه أهوالٌ عظام، لا ينجو منها - بفضل الله ومنَّته - إلَّا ذَوو الإحسان، فهلَّا نكون منهم!

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾

لَا وَزَرَ: لا ملجأ ولا منجى له من الله.

• حتى آثارُ عملك الباقية ستُسأل عنها وتُحاسَب يوم تلاقي الله، فاحرِص أن تخلِّف أثرًا جميلًا؛ من ذرِّيةٍ صالحة، أو صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفَع به.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾

• المرء أدرى بعيوب نفسه، فلنسعَ للخلاص من عيوبنا، والتحلِّي بمحاسن الأخلاق، وما يحبُّه ربُّنا ويرضاه.

• قد يجد المسلم خلافًا في مسألةٍ من مسائل الفقه، فيميل إلى قولٍ دون قول، لا لأنه الحقُّ ولكن لأنه يوافق هواه، فلينتبه وليتذكَّر هذه الآية.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

• يا مَن تروم الفوزَ بشرف حفظ القرآن، لا تتعجَّل الحفظ، وأكثِر من القراءة والإصغاء إلى القرَّاء، واستعِن على الحفظ بتدبُّر الآيات وفهم المعاني.

• ما أجدرَ أن نتَّبعَ القرآنَ تلاوةً وعملًا، حتى يصيرَ لنا خُلقًا، فيقودَنا إلى كلِّ برٍّ وخير؛ {إنَّ هذا القرآنَ يَهدي للَّتي هي أقوَم}.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ
(٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا
فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ
(٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا
صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ
(٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ
أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا
الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا
هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا
وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)

٥٧٨

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)﴾

• من جعل الدنيا همَّه آتاه الله إن شاء من طيِّباتها، وعجَّل له من بهارجها، وحرمه من بركات الآخرة، ومن النجاة فيها.

• لو آثرتُم الآخرةَ على الدنيا، ونظرتم في العواقب نظرَ البصير العاقل، لربحتم ربحًا لا خسارَ معه، وفزتم فوزًا لا شقاء بعده.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾

• ما أبعدَ البَونَ بين حال السُّعداء في الآخرة وحال الأشقياء؛ أمَّا الأوَّلون فتُشرق وجوهُهم بالنَّضارة والوَقار، وأمَّا الآخِرون فتُظلم وجوهُهم بالعار والشَّنار.

• عن محمَّد بن كعب القُرَظيِّ قال: (نضَّر الله تلك الوجوهَ وحسَّنها للنظر إليه). فإذا كان هذا حالَ الوجوه، فكيف حالُ القلوب؟ لقد مُلئت من السرور والفرح بما لا تحيطُ به عبارة.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠)﴾

• يبقى الإنسان متعلِّقَ القلب بالدنيا، يرجو البقاء فيها حتى لحظاته الأخيرة، ولكنَّه الموتُ هاذم اللذَّات، ومفرِّق الجماعات.

• لا مفرَّ من قدَر الله تعالى، فهو الربُّ العظيم الذي ربَّاك ورعاك، وإنَّ الموت النازلَ بك لا محالة إنما هو من تصاريف ربوبيَّته، وليس لك إلا الرضا والتسليم.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥)﴾

أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ: كلمةُ وَعيد، أي: هلاكٌ لك فهلاكٌ.

• أيُّ خير يُرتجى ممَّن كذَّب بالوحي، وضيَّع أهمَّ فريضةٍ من فرائض الإسلام؟ لا والله لن يلقى إلا الخزيَ والهلاك، ولو صدَّره الناس وعاش بينهم مزهُوًّا!

• ينتهي التكذيبُ بالمرء إلى تبلُّد أحاسيسه، فيغرق في المعاصي والآثام، حتى تُثقلَه الشهوات وتُعميَه الأهواء، فلا يهتدي إلى الحقِّ أبدًا!

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)﴾

• ما يَميزُ الإنسانَ من الحيوان هو شعورُه بهدفٍ من حياته، وغايةٍ من وجوده، فإن عَمِيَ عنهما كان هو والأنعامُ سواء!

• كثيرٌ من الظالمين يموتون ولم ينتصف المظلومُ منهم، فكان لا بدَّ من بعثٍ يُجازى بعده الناسُ، وينتصف بعضُهم من بعض، وذلك تمامُ العدل.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)﴾

• حنانيكَ أيها المتجبِّر، فإنما خُلقتَ من نُطفةٍ حقيرة وماءٍ مَهين، فعلامَ تُنازع ربَّك الكبرياء؟! هلَّا لله تواضَعت، وللحقِّ خضَعت!

• امنح نفسَك وَقفة تأمُّل بين حينٍ وآخرَ في بداية خَلقك وأصل نشأتك، وإنها لكفيلةٌ أن تضعَ قاطرةَ فؤادك على مسارها الصحيح.

سُورَةُ الإِنسَانِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١)﴾

• مَن عرف ابتداء أمره، وفضلَ الله عليه في خلقه، أقرَّ بالعبوديَّة لربِّه، ولم يعرف طريقًا إلى الكِبْر والجحود.

• مهلًا أيها الإنسان، لا تتفاخر ولا تزدهي بثوب الكبرياء، فقد أتى عليك زمانٌ لم تكن فيه موجودًا، أفلا تخضعُ لجبروت من أوجدكَ وتتواضعُ لجلاله؟!

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)﴾

أَمْشَاجٍ: مُختلِطةٍ من ماءِ الرَّجُلِ وماءِ المرأة.

• ليس للعبد من حُجَّة؛ فقد آتاه الله وسائلَ الفهم والإدراك ليسمعَ الآيات ويبصرَ الدلائل، مع إرادة حرَّة يختار بها مصيرَه.

• إذا أردتَّ راحةَ النفس وما يُعينك على التجلُّد والصبر، فاستحضر دومًا أن الدنيا دارُ ابتلاء لا دارُ قرار وبقاء.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾

• فضلُ الله علينا عظيم؛ إذ لم يترُكنا همَلًا، ولكنَّه بصَّرنا بطريق الحقِّ وبيَّنه لنا، فمَن آثرَ غيرَه عليه استحقَّ أشدَّ العقاب.

• ما أقلَّ الشاكرين لأنعُم الله العارفين فضلَه، وما أكثرَ الكافرين الجاحدين لها، فكن مع القلَّة الفائزة، ولا تكن مع الكثرة الهالكة.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤)﴾

• إنه إنذارٌ ووَعيدٌ لا هوادة فيه لكلِّ مَن اختار الغَواية طريقًا بدل العبوديَّة والشُّكر؛ {وما ربُّكَ بظلَّامٍ للعَبِيد}.

• لمَّا كان الكفرانُ بعد الهداية وإقامة الحُجَّة منكرًا شنيعًا، كانت العقوبةُ أدهى وأمرّ!

• أطلقوا العِنانَ لأهوائهم وشهَواتهم ولم يقيِّدوها بقيد من مخافة الله تعالى، فاستحقُّوا أن يُصفَّدوا ويُقيَّدوا عقوبةً وانتقامًا.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)﴾

• الأبرار حقًّا هم عبادُ الله الذين امتثلوا لمقتضيات العبوديَّة عن يقين؛ طاعةً واستقامةً، وصدقًا وإخلاصًا.

• نعيمٌ فوق نعيم، أعدَّه الله الكريمُ لعباده الأبرار المتَّقين، الذين قضَوا عمرَهم محسنينَ، وإلى طاعة ربِّهم مسرعين.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾
مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

الحزب ٥٨

٥٧٩

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

مُسْتَطِيرًا: مُنتشِرًا فاشِيًا.

• مجامعُ الطاعات في أمرين: تعظيم أمر الله تعالى؛ ومنه: {يُوفونَ بالنّذر}، والشَّفَقة على خَلق الله؛ ومنه: {ويُطعمونَ الطَّعامَ}.

• الخوف في الدنيا أمانٌ في الآخرة، فالذين {يخافُونَ يومًا تتقلَّبُ فيهِ القُلوبُ والأبصار} جزاؤهم: {لِيَجزيَهُمُ اللهُ أحسنَ ما عَمِلُوا ويَزيدَهُم من فَضلِه}.

• هل تبحثُ عن بابٍ من أبواب العمل الخالص لله؟ إنه محبَّة المساكين والإحسانُ إليهم؛ لأنَّ نفعَهم في الدنيا لا يُرجى غالبًا، فعليك به.

• قال قَتادة: (لقد أمر الله بالأُسارى أن يُحسَن إليهم، وإنهم يومئذٍ لمشركون، فوالله لأخوك المسلمُ أعظم عليك حُرمةً وحقًّا).

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾

قَمْطَرِيرًا: شديدَ العُبوس.

• جُبلت النفوسُ على حبِّ الجزاء والثناء، فمَن جاهد نفسَه على العطاء، بلا ترقُّب شكرٍ ولا إطراء، بلغ رتبةَ الأنقياء الأتقياء.

• مَن طلب من الفقراء الدعاءَ أو الثناءَ فقد أخرج نفسَه من شرف هذه الآية وما فيها من شريف الخُلق وجليل الشَّمائل.

• لمَّا استحضَروا في أنفسهم الآخرةَ والخوفَ من أهوالها، تعالَوا في مطالبهم على حظوظ الدنيا؛ راغبين فيما عند الله فهو خيرٌ وأبقى.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾

• مَن خاف اللهَ في الدنيا وأخذ أُهبتَه من طاعته، آمنه من أهوال يوم القيامة، ووقاه الفزعَ الأكبر.

• إذا سُرَّ القلب استنار الوجه، وقد جمع الله لأوليائه بين نعيم الظاهر ونعيم الباطن؛ بأن نضَّر وجوهَهمْ، وأسعد قلوبَهم.

• في الصبر على الطاعات خشونه، وفي الصبر عن المعاصي حزونه، فمَن صبرَ كافأه الله بلينِ العيش وناعم الثياب.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾

• امتثل المؤمنون في الدنيا اجتنابَ البطَر وآنيةِ الذهب والفضَّة، فكوفئوا يوم الجزاء بأن يُطعَموا ويُسقَوا بصِحافٍ وأكوابٍ من فاخر الذهب والفضَّة.

• لا يلقى المؤمنون في منازل التكريم إلا ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعين، حتى ما يُسقون فيه من أكوابٍ لها صفاءُ الزجاج وبريقُ الفضَّة.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾

• ليس في التشبيه أحسنَ من هذا وأبدع؛ لأن اللؤلؤ حين يكون منثورًا يبلغ الغايةَ في بهاء المنظر؛ لوقوع شُعاع بعضه على بعض.

• هذا وصفُ الخدَم، فما ظنُّك بالمخدومين؟! لا شكَّ أن حالهم أجلُّ وأعظم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

• أنَّى تلفتَّ في الجنان أبصَرتَ من صنوف النعيمْ، ومن ألوان التكريمْ، ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعَت، فهلَّا شمَّرت عن ساعد الجِدِّ لذلك الفوز العظيمْ!

﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

سُندُسٍ: حَريرٍ رقيق، وهو باطِنُ الثِّياب.
وَإِسْتَبْرَقٌ: حَريرٍ غَليظ، وهو ظاهِرُ الثِّياب.

• جمع الله لأهل طاعته كلَّ ضروب النعيم؛ في المأكل والمشرَب والملبَس والزينة، فضلًا منه سبحانه وكرمًا، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

• هل بعد هذه الكرامة من كرامة؛ أن يُسندَ الله عزَّ وجلَّ سقيَ المؤمنين إلى نفسه الجليلة؛ إظهارًا لكرامتهم، ورفعًا لشأنهم؟ فطوبى لمن بلغَ هذه المرتبة.

﴿إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

• في هذا درسٌ لنا جميعًا؛ متى شاهدنا إحسانًا من أحدٍ أن نشكرَه ونكافئه بما هو أهلُه، فإنَّ ذلك أدعى لدوام الإحسان، وإن لم ينتظر شكرًا أو ثناء.

• من تمام فضل الله على عباده أنه يجمع لهم بين الشُّكر والثواب، فهو يشكرُ لهم إحسانهم، ويكافئهم عنه أضعافًا كثيرة، مع أنه هو الذي وفَّقهم لذلك، فما أكرمَه وأجودَه تعالى!

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾

• إن الله أكرمكم معشرَ المسلمين بالقرآن العظيم منهجًا ودستورًا، فاصبروا وصابروا على ما تلقونه باستعصامكم به سبحانه، فإنه وليُّكمْ، وهو لا شكَّ ناصرُكمْ.

• في الأثر: (المرءُ على دينِ خَليله)، فلنحذَر من رفقة السُّوء؛ فإن طاعتَهم خسرانٌ ومَهلَكة.

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ
وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ
هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ
﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

٥٨٠

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

• هذا هو الزاد؛ زادُ المؤمن في غُربته، ورحلة دعوته، إنه الاتِّصال بينبوع القوَّة ومصدر المدَد؛ عبادةً وذكرًا ودعاء، فالطريق طويل، والعِبء ثقيل.

• أكثِر من السجود لربِّك بكثرة التطوُّع؛ فإنَّ أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد، وخصوصًا في سكون الليل وصفائه.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾﴾

• أهل التبصُّر والحكمة يُؤثرون الآخرةَ الباقية على الدنيا الفانية، أمَّا الحمقى فهم الذين يضيِّعون آخرتهم بعرَض من الدنيا قليل!

• ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا، فلا ضيرَ في محبَّة الدنيا مع العمل للآخرة، ولكنَّ الضَّير كلُّه في العمل للدنيا وهجر الآخرة.

﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ: وأحكمنا خَلقهم.

• هو تنبيهٌ لقلوب المستغرقين في حبِّ العاجلة، المغترِّين بصحَّتهم وقوَّة أجسادهم؛ ليذكُروا نعمةَ الله التي بَطِروها، ويشعروا بالابتلاء الكامن وراء هذه النعمة.

• إن الذي أحكم خلقَ الناس من عدَم، ما كان ليذرَهم سُدًى لا يؤمَرون ولا يُنهَون، وهو قادرٌ على بعثهم من جديد للحساب والجزاء.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾﴾

• هذه السورةُ بما حوَته من جليل المعاني إنما هي عظةٌ لك أيها الإنسان، فاتَّعظ بها واتخذ من آي القرآن سبيلًا إلى طاعته ورضوانه.

• مَن أراد لنفسه الخيرَ في الدنيا والآخرة اتخذ الإيمانَ والتقوى طريقًا يبلغ به مغفرة ربِّه ورضوانه.

• لا تغترَّ أيها الإنسانُ بإرادتك ومشيئتك، فهي مرتبطةٌ بمشيئة الله وحدَه، فاسأله سبحانه الهداية والتوفيق لسبُل الرَّشاد.

• إن الله عليمٌ بمَن يستحقُّ الهدايةَ فيوفِّقه إليها، ومَن يستحقُّ الغَوايةَ فيصرفه عن الهدى؛ {إنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يشاء ويَهدي إليه مَن أناب}.

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾﴾

وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا: قسَمٌ بالملائكةِ الموكَّلين بالسُّحُب يَسوقونها حيثُ شاءَ الله.

فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا: قسَمٌ بالملائكةِ التي تنزلُ بما يفرِّقُ بين الحقِّ والباطِل.

فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا: قسَمٌ بالملائكةِ التي تتلقَّى الوَحيَ منَ الله، وتنزلُ به على الرسُل.

عُذۡرًا: إعذارًا منَ اللهِ إلى خَلقِه.

نُذۡرًا: للإنذارِ منَ اللهِ إلى خَلقِه.

• جعل الله بحكمته الرياحَ أصنافًا؛ منها السهلةُ الليِّنة، ومنها الشديدةُ العنيفة، كلٌّ له وظيفةٌ وأثر، فتبارك الله أحسنُ الخالقين.

• أرسل الله من الرِّياح ما يكون بُشرى للمتَّقين بين يدَي رحمته، وأرسل منها ما يكون عذابًا وهلاكًا للمجرمين الجاحدين.

• نزلت الملائكةُ على رسُل الله بشرائعَ إلهيَّة كاملة، هي فُرقانٌ بين الحقِّ والباطل والخير والشرِّ، وليس لأحدٍ بعدها حُجَّة أو عُذر.

• ما كان الله ليعذِّبَ حتى يبعثَ رسُلًا وشرائعَ تبشِّر وتنذر؛ إقامةً للحُجَّة وإعذارًا للخَلق.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾﴾

• كثرة الأقسام والأيمان قبل جواب القسَم دليلٌ على شرف المُقسَم به وعِظَم شأنه، وهل أعظمُ من يوم الفصل الذي يُنصَب فيه الميزان، ويُحاسَب الخلقُ من إنس وجانّ؟!

• ليتك تستحضرُ هذا اليومَ الموعودَ في ليلك ونهارك، فإنه آتيك لا محالة مهما امتدَّ بك العمُر وتطاولت آمالك، لتُعدَّ له عُدَّةً من صلاح وتقوى.

• الإيمان باليوم الآخر من أسُس العقيدة في تصوُّر الحياة الإنسانيَّة، وتصحيح الموازين والقيَم في كلِّ شأنٍ من شؤونها.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾﴾

• أهوال يوم القيامة تطيشُ لهولها العقول وتشيب الولدان، فيه تُمحى أنوارُ النجوم، وتتصدَّع السماء، وتُقتلع الجبال، فطوبى لمَن أقبل على ربِّه فيه بطاعة صالحة.

• هذا مصيرُ الجبال الشامخة الراسخة، والسماء المرتفعة المحكمة، والنجوم النيِّرة الباهرة، فتأمَّل يا رعاك الله!

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾﴾

أُقِّتَتۡ: جُمِعت لوقتها يومَ القيامة.

• يا له من يوم مَهيب مُخيف يفصل الله فيه بين الخلق؛ فآخذٌ كتابَه بيمينه، وآخذٌ كتابَه بشِماله، اللَّهُمَّ اجعلنا فيه من أهل اليمين.

• كلُّ هذه الأهوال ليست بشيءٍ بإزاء موقف الفصل بين الخلائق، حين يشهد الرسُل على أقوامهم ويقيمون عليهم الحُجَّة، لا يُنجي أحدًا يومئذٍ إلا عملُه.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾

• تكرُّر الوعيدِ بالويل في السورة؛ لأن في كلِّ آيةٍ منها ما يقتضي التصديق، فكان الوعيدُ على التكذيب به حازمًا شديدًا.

• هو إنذارٌ شديد للمكذِّبين بيوم الدين بقلوبهم أو أعمالهم، وترهيبٌ ممَّا ينتظرهم من حساب عسير، وجزاء مُبير.

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

• في هلاك المكذِّبين السابقين عِظةٌ واعتبار، فمَن لم يعتبر بما حلَّ بهم لقيَ مثلَ ما لقُوا، وكانت عاقبةُ أمره خُسرًا!

• إن لم يتَّعظ المتأخِّرون بمصير المتقدِّمين، ووافقوهم في الكفران والتكذيب، لحقَهم ما لحقَ سلفَهم من تنكيل وهلاك.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

٥٨١

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

• تأمَّل أيها الإنسانُ كيف خلقك ربُّك من ماء ضعيف مَهين، قدَّر أن تكونَ منه إنسانًا قويًّا شديدًا فكنت، فتبارك الله ذو الجلال والإكرام.

• من أنجع أدوية العُجب والغرور التفكُّرُ في النفس وتدبُّر أصل الخَلق، فإنه يردُّ المرءَ إلى فِطرته عبدًا لله متواضعًا.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾

كِفَاتًا: وِعاءً تضمُّ الأحياءَ والأموات.

• كما أنَّ الدُّورَ من نِعَم الله على عباده الأحياء، فكذلك القبورُ هي من نِعَم الله على عباده الأموات؛ حفظًا لأجسادهم، وكرامةً لأرواحهم.

• أليس لكم في الأرض عِبرة؟ إنها تجمع الخلائقَ كلَّهم؛ الأحياء على ظهرها، والأمواتَ في بطنها، ثم لا يلبَث أن يقومَ الجميعُ للحساب.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

فُرَاتًا: عَذبًا سائغًا.

• لا تنقضي عجائبُ الكون التي هي صُنع الله تعالى وتدبيرُه؛ من جبالٍ عظيمة شاهقة، ومياهٍ عَذبة سائغة، فيا خيبةَ مَن لم يؤمن بخالقها العظيم.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾

ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ: يتفرَّعُ منه ثلاثُ قِطَع.

• فات الأوان، لقد أضعتُم الفرصَ وما أكثرَها للتَّوبة والإنابة، فالآن هبُّوا للقاء مصيركم المحتوم الذي طالما كذَّبتموه وارتبتُم فيه!

• ليس في جهنَّم من الظلِّ إلا اسمُه، أمَّا حقيقتُه فدُخانٌ خانق، ولهيبٌ حارق، تنكيلًا بالمكذِّبين، وانتقامًا من المضلِّين.

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾

كَٱلْقَصْرِ: كالبِناءِ الضَّخم.

جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ: إبلٌ سُودٌ يميلُ لونُها إلى الصُّفرة.

• اصحُ أيها السَّاهي اللاهي، وانتبه للخطر المُحدق؛ فإنَّ شرر النار في جهنَّم قد بلغ الغايةَ في الضَّخامة والارتفاع، فما ظنُّك بالنار نفسها؟!

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾

• انقضى زمنُ الجدل، ومضى وقتُ الاعتذار، وحان الحسابُ والجزاء، فأخرسَ الهولُ الألسنة، وكمَّم الفزعُ الأفواه التي طالما نطقَت بالباطل.

• آلآن تعتذرون، وقد علمتُم أنه لا عُذرَ لكم؟ لقد بتُّم كالظَّمآن يطمع في سَراب، ولكن {فيومَئذٍ لا ينفَعُ الذينَ ظلَموا مَعذِرَتُهم ولا هُم يُستعتَبون}.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

• ها هم أُولاءِ سلفُكم من الكفَّار المكذِّبين الذين اقتديتُم بضلالهم، واتَّبعتُم آثارَ انحرافهم، قد بتُّم معهم في مصيرٍ واحد، ويا بئسَ المصير!

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

• شتَّانَ بين ظلال النعيم هذه وظلال الجحيم تلك، فمَن خاف مقامَ ربِّه في الدنيا تنعَّم بها واستروحَ بطعامها وشرابها، ويا فوزَ المُحسنين.

• قَضَوا حياتهم مُحسنين، فاستحقُّوا أشرفَ التكريم، بنعيمٍ دائم مقيم، وعيشٍ رغيد كريم.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

• كأنما يُقال لهم: كلوا وتمتَّعوا قليلًا في هذه الدار، لتُحرموا وتُعذَّبوا طويلًا في تلك الدار؛ {أرَضِيتُم بالحياةِ الدُّنيا مِنَ الآخِرةِ فما مَتاعُ الحياةِ الدُّنيا في الآخِرةِ إلَّا قَليل}.

• قُبحًا وهُلكًا لمَن فتح الله عليه من بركات الأرض ونعيم الدنيا فاتَّخذها سُلَّمًا لسخَط ربِّه، ومحادَّة شرعه وأمره!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾

• يا مَن استكبرتُم عن الركوع لربِّكم، سيأتي يومٌ تعَضُّون فيه أصابعَ الندم، وتتمنَّون لو تُرجعون إلى الدنيا لتركعوا لله ركعة، فهلَّا كان الآن!

• ذكر الركوعَ دون السجود؛ لأنه أدنى الخضوع لله تعالى، فمَن استكبر عن الركوع فهو عن السجود أشدُّ استكبارًا.

﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ: كتابٍ وكلامٍ بعدَ القُرآن.

• إذا كان هذا القرآنُ المعجز في ألفاظه ومعانيه، البيِّنُ في حِكَمه وأحكامه، المبيِّنُ لكلِّ شيء، لم يُقنع عقولَهم، فأيُّ شيء يُقنعها؟ ولكنَّه الكِبْرُ، وويلٌ للمتكبِّرين!

• وصف الله كلامَه لعباده بأنه (حديث)، فيا أيها الدعاةُ، حدِّثوا الناسَ بما يعقِلون، وبما تجلِبون به قلوبهم إلى صراط الله القويم.

• إنَّ الذي لا يؤمن بهذا الحديث الذي يهزُّ الرواسيَ، ويُزلزل الجبال، لن يؤمنَ بحديثٍ بعده أبدًا، وإنما هو الشَّقاء والمصير البائس المتعوس!

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
(٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ
مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
(٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

الجزء ٣٠ الحزب ٥٩

٥٨٢

سُورَةُ النَّبَإِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢)﴾

• أعظمُ الأنباء والأخبار ما اتَّصل بالإيمان والقرآن والبعث.

• عظمةُ أحاديثنا وأخبارنا تكون بقدر ما نضخُّ فيها من الوحي والتذكير بالآخرة.

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)﴾

• المناوئون للحقِّ القويم تفرِّقهم أهواؤهم، فتختلفُ كلمتُهم، وتتناقضُ أباطيلُهم.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥)﴾

• نعم، قد لا يُجدي التهديدُ في حمل الناس على الإيمان، ولكنَّه على الأقلِّ يجعلهم ينظرون إلى الموضوع باهتمامٍ وعناية.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧)﴾

• إذا كان المهدُ علامةَ الحنان والرِّفق والعناية بالطفل الرضيع، فإن الله جعل الأرض كلَّها مهدًا لعباده؛ رحمةً بهم وحنانًا.

• حتى الجبالُ الشامخة العظيمة جعلها الله مسخَّرةً لخلقه؛ لتكونَ رسالةً منه إليهم بعظيم رحمته، وجميل لطفه.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨)﴾

• من مِنَن الله على خلقه أن جعلَهم أصنافًا شتَّى؛ لتتكاملَ بهم الحياة، وتنتظمَ شؤونُها، ففي التنوُّع جمالٌ وبهجة.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩)﴾

• النوم نعمةٌ تستوجب الشُّكر؛ فهو محطَّة لتخفُّف الجسد من إعيائه، وتهيئةٌ له لمواصلة كفاحه، فلا بدَّ من أخذ النصيب الوافي منه.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠)﴾

• ليس الليلُ للوحشة والقلق، ولا للفجور والفسوق، ولكنَّه لسكون الأجساد، وطُمأنينة الأرواح، وإشراق النفوس بالطاعة.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١)﴾

• اقتضت سُنن الله الكونيَّةُ أن يكونَ النهار الزمنَ الأنجع للعمل وطلب الرِّزق، فيا لَخسارة مَن أعرض عن هذه السنَّة!

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢)﴾

• من آثار عناية الله بعباده أن رفعَ فوقهم هذه السَّماواتِ القويةَ الشديدة، لتؤدِّيَ وظائفَ جليلةً ومَنافعَ عظيمة، فهي لهم كالسَّقف فيه حفظُهم وسلامتُهم.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)﴾

• لو أصلح إنسانٌ مصابيحَ بيوتنا بلا أجر، لاستوجبَ عاطرَ ثنائنا، فما بالكُم بمَن منحَنا مصباحًا يُنير أبدًا دروبَنا، ويُدفِئ دومًا أجسادَنا؛ كم يستحقُّ من شُكرنا؟

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾

الْمُعْصِرَاتِ: السُّحبِ المُمطِرة.

ثَجَّاجًا: مُنصَبًّا بكَثرة.

• إن الماء الذي ينزل من السماء وتقوم به حياتُنا آيةٌ جليلة لا ينبغي أن يصرفَنا عن شُكرها كثرةُ المباشرة ودوامُ الاعتياد.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧)﴾

• ما أكثرَ المظلومين المقهورين الذين لا يجدون في هذه الحياة إنصافًا ولا عدلًا، فبُشراهُم يومُ الفصل الذي ينتصفُ فيه كلُّ مظلومٍ من ظالمه.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨)﴾

• يا له من يومٍ مَهيب؛ حين يُبعَث الخَلقُ جميعًا من قبورهم، ويقدَمون من كلِّ حدَبٍ على ربِّهم، فيا خيبةَ من أتى الحسابَ بكتابٍ خالٍ من الصالحات.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩)﴾

• من هَول يوم القيامة تختلُّ السُّنن وتضطرب، فها هي ذي السماء المتينةُ في بنائها، القويَّةُ في إنشائها، تتصدَّع وتتشقَّق وتغدو ذاتَ فُروج.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠)﴾

• مهما تطاولتَ وتعاظمتَ أيها العبدُ فلن تبلغَ الجبالَ طولًا، ولن تبلغَها قوَّة وشموخًا، فحنانَيكَ لا تغرَّنَّك نفسُك، فإنَّ لك في مصير الجبال عِبرةً ودليلًا!

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢)﴾

مِرْصَادًا: مكانًا لرَصدِ الكافرين.

• لا يَضيقنَّ صدرُك بالكفَّار والظَّلَمة وقد طال إمهالُ الله لهم؛ إذ هم إلى قدَرٍ محتَّمٍ ماضون، تكون فيه جهنَّمُ مأوًى لهم ومقامًا.

﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣)﴾

أَحْقَابًا: دُهورًا لا تنقطِع.

• لذائذ المعاصي كلُّها في الدنيا لا تُكافئ لحظةَ عذابٍ واحدة في الآخرة، فما بالُك بجحيمٍ أبديٍّ لا ينقطع؟!

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)﴾

وَغَسَّاقًا: صَديدَ أهلِ النَّار.

• أقسى الآلام على النفس ما كانت متَّصلةً بلا انقطاع، والكيِّسُ اللبيب مَن اتَّقاها بعملٍ صالحٍ وطاعةٍ مخلصة.

﴿جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨)﴾

• تعذيبُ اللهِ الناسَ إنما هو مَحضُ عدلٍ منه سبحانه، فلا يُعاقَب إلا من استحقَّ العقاب بجُحوده وكُنوده.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩)﴾

• نجح البشَرُ في ضبط كلِّ حركةٍ وصوت، وتصويرها وتوثيقها بوسائل التقنيَّة العصريَّة، ولو بلغَت في الخفاء والضآلة الغاية، فكيف بقُدرة الله على إحصاء عملك؟!

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (ما نزلت على أهل النار آيةٌ قطُّ أشدُّ منها؛ فهم في مزيدٍ من عذاب الله أبدًا).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١﴾

• نصيبُك من الظفَر بالمحبوب، والنجاة من المكروه، بمقدار نصيبك منَ التقوى، فعليكَ بالتقوى؛ فهي دومًا أبقى وأقوى.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ٣٤﴾

وَكَوَاعِبَ: فتياتٍ حَديثاتِ السِّنِّ، نواهِدَ الصُّدور.
أَتْرَابًا: مُستوياتٍ في السِّنِّ.
دِهَاقًا: مَملوءة.

• بساتينك في الآخرة تزرعُها بتقواك في الدنيا، ومهرُ زوجاتك في الجنَّة طاعتُك لله ورسوله، وتمتلئ كؤوسُ نعيمك بقدر ما امتلأ قلبُك من حبِّ الله وخشيته.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ٣٥﴾

• ليتنا نجتهد في جعل مجالسِنا نقيَّةً من اللَّغو والكذب والباطل؛ عسانا أن نتوسَّل بها إلى ربِّنا أن يبلِّغنا تلك المجالسَ الطاهرة النقيَّة.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ٣٦﴾

• لو جُوزوا بأعمالهم ما بلغوا هذا النعيمَ العظيم؛ ولكنَّ الله جازاهم بمقتضى وعده جزاءً مضاعفًا، وأعطاهم عطاءً كافيًا وافيًا لا مزيدَ عليه.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ٣٧ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ٣٨﴾

• في أهوال ذلك اليوم العصيب تتشوَّقُ نفوس المؤمنين إلى ربِّها الرحمن؛ طمعًا برأفته ورحمته التي وسعَت كلَّ شيء.

• إذا كانت مجالسُ الرؤساء والكبراء يجلِّلها الوَقارُ والهيبة، فما ظنُّكم بمجلسِ ملك الملوك وربِّ الأرباب؟! خابَ مَن لم يَرجُ لله وَقارًا.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩﴾

• مَن رغب في سعادة الأبد فليعمل عملًا يرجع فيه إلى ربِّه يومَ الفصل؛ وهو طاعتُه سبحانه وما فيه رضاه.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ٤٠﴾

• ما من ذرَّة عملٍ صالح إلا وستراها غدًا في صحيفتك، فاجتهد في أعمال البرِّ؛ لتفرحَ بها يوم تُعرَض الأعمال وتُكشَف الصحُف.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ١﴾

• إقسام الله تعالى بملائكته المُطيعين المستسلمين لأمره، إنما هو لظهور دَلالةِ أفعالها على ربوبيَّته ووَحدانيَّته، وكمال علمه وقدرته وحكمته.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ٢﴾

• أرواحُ المؤمنين المشتاقين إلى ربِّهم تُخرجها الملائكة طيِّبةً سهلة إلى باريها، فمَن أحبَّ لقاء الله أحبَّ اللهُ لقاءه.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ٤﴾

• الكون مكتظٌّ بالملائكة السابحة في ملكوت ربِّها، يوقن بذلك المؤمنون بالغيب، فيتَّخذونها أسوةً في تمام الانقياد لأمر الله تعالى.

• ما أحرانا معشرَ المسلمين أن نكونَ كالملائكة المَرضيِّين في السَّبق إلى طاعة الله، والإسراع في امتثال أمره.

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ٥﴾

• الملائكة المُوكَلة بتدبير الأمور تدبِّر وَفق نظامٍ دقيق، وترتيبٍ قويم، فهلَّا جعلنا الإتقان والدقَّة مَعلمًا بارزًا في حياتنا!

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾

• مع رجفة القيامة المَهولة تضطربُ سننُ الكون اضطرابًا، وترتجف الأرض ارتجافًا، وتضمحلُّ الحركات، وتصمُت الأصوات؛ إيذانًا بالبعث.

• مع النفخة الثانية بالصُّور تذهَلُ كلُّ مرضعةٍ عمَّا أرضعَت، وتبلغ القلوبُ الحناجر، فويلٌ لمَن لم يُعِدَّ لهذا اليوم صلاحًا!

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ٩﴾

• العيون التي كانت تنظر شَزْرًا للعباد وترمُقهم بتعالٍ واستكبار، ما بالها اليومَ قد غشيَها الذلُّ والهوان؟ لم يُغنِ عنها مالٌ ولا جاه!

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ١٠﴾

• حين يعجزُ المُبطلون عن البرهان وتنقطع الحُجَّة لديهم، يلجؤون للسُّخريَّة والتكذيب، واستبعاد البعث والجزاء.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ١١﴾

نَخِرَةً: بالية.

• عجبًا لمَن خلقه الله من عدَم، ثم تراه يجادل في البعث والنشور، ولو عقَلوا لعلموا أنَّ إعادة الخلق من عظامٍ بالية أهونُ من الخلق الأوَّل؟

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ٣٤ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ٣٧ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ
ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ٤٠

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ٣
فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ٥ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦
تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ٩
يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ١١ قَالُوا۟
تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ
١٤ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ١٦

٥٨٣

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٢﴾

• أعظم السَّفَه السُّخريَّة بأبيَن الحقائق وأشدِّ الحوادث خطرًا وهَولًا، وهل أعظمُ من النشور ومواقف الحساب؟!

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ١٣﴾

• هي زجرةٌ واحدة تبعث الخلق من قبورهم سِراعًا، ليصكَّ مسامعَهم نداء الله تعالى: {لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ}؟ فويلٌ لمَن كان نازع الله في مُلكه.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾

• ما أقساها من لحظات؛ حين يصير العبادُ فوق الأرض بعد أن تحلَّلَت أجسادُهم وذابت في تُرابها {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ}.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥﴾

• خيرُ ما يتسلَّى به المحزونُ قصصُ مَن أصابهم مثلُ حزنه؛ لذا قصَّ الله على نبيِّنا ﷺ قصَّة موسى ومصيرَ فرعون؛ تثبيتًا له، وتصبيرًا على ما أصابه.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ١٦﴾

• تكتسب الأماكنُ العظمة والجلال ممَّا يكون فيها من أحداثٍ عِظام، وهل أعظمُ من نزول الوحي بالهُدى والرشاد؟

اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ
إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ
اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾
ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ
مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ
﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن
ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا
﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

٥٨٤

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾

• ما أعظمَ حِلمَ الله على عباده، حتى فرعونَ الذي بلغ الغايةَ في العتوِّ والطغيان بعث الله إليه رسولًا؛ رجاءَ أن يهتديَ ويتوب.

• التزكِّي كلمةٌ جامعة لأهداف الدعوة؛ تجمع بين اليقين بالتوحيد والعمل بالشَّريعة والأحكام، وقد فاز وأفلح مَن زكَّى نفسَه.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾

• على قدر معرفتك بربِّك ويقينك بأسمائه وصفاته، تكون خشيتُك منه وتعظيمُ أمره ونهيه، فاعرف ربَّك تسعَد وتنجح.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾

• لقد كانت آيةً كبرى، هي أجلُّ وأعظم من كلِّ الشكوك والظنون، ولكنَّ النفوس الجاحدة تعمى عن الأدلَّة مهما كانت ظاهرةً جليَّة.

• التكذيب قرين المعصية، فما عصى عبدٌ ربَّه إلا بنقص إيمانه، وضعف يقينه، فاللَّهُمَّ زدنا إيمانًا ويقينًا وعملًا صالحًا متقبَّلًا.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

• تأمَّل في جَلَد هذا الفاجر، وحرصه على إثبات باطله، ثم انظر إلى عجز بعض الصَّالحين، وانقطاعهم عن مشروعاتهم عند أوَّل عقبة!

ورضي الله عن عمرَ إذ يقول: (أشكو إلى الله جَلَدَ الخائن وعجزَ الثقة).

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

• كلَّما تمادى الطُّغاة كان أخذُ الله لهم أشدَّ، ولمَّا كان جُرم فرعونَ بادِّعاء الربوبيَّة أعظمَ الجرائم، نكَّل الله به وجعله عبرةً إلى يوم القيامة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾

• أحداث التاريخ قد تتكرَّر بمشيئة الله، فما أحسنَ أن نعتبرَ بعواقب الماضينْ، وأن نوظِّف أحداثَ الغابرينْ، بإصلاح الحاضر والمستقبل.

• إنما يكون الانتفاعُ بالآيات بحسَب ما في القلوب من خشيةِ الله وتعظيمه، فاللَّهُمَّ زدنا لك خشيةً، وانفعنا بعظيمِ آياتك ومِنَنك.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾﴾

رَفَعَ سَمْكَهَا: أعلى سَقفَها.

• نظرةٌ واحدة إلى السماء تملأ القلبَ مهابة، أفيكون بعثُ البشَر أشدَّ من خلقها ورفعها بلا عمَد؟! ما لكم كيف تحكمون؟

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾﴾

• من أدلَّة الربوبيَّة أن الله جعل اختلافَ الليل والنهار وتعاقبهما وَفقَ سنَّةٍ كونيَّة دقيقة عظيمة مناسبًا لحياة الإنسان ومتاعًا ونعمةً له.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾

دَحَاهَا: بسَطَها.

• استحضر في كلِّ خطوة تخطوها على أديم الأرض نعمةَ الله العظيمة؛ بأنْ بسطها لك وسخَّرها لمعيشتك ومنفعتك.

• كلُّ قطرة ماءٍ تدخل جوفك تذكِّرك بلطف ربِّك وجميل صُنعه، الذي أخرجها من الأرض وجعلها سائغةً لك، فلله الحمدُ على واسع فضله.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

• يغمُر المؤمنَ الحياءُ من الله حين يُجيل طرفه فيما حوله من جبالٍ وأرض وشجر وماء، فيهتف قلبُه قبل لسانه: ما أعظمَ منَّتَك ربَّنا!

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾

• همُّ الآخرة هو أعظمُ الهموم وأكبرُها، وهو الجدير بالاستعداد والعمل، وما سواه فسهلٌ هيِّن مهما عظُم، فطوبى لمَن عقَل.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾

• مهما نسيت من أعمالك فسيأتي يومٌ تتذكَّر فيه الصغيرَ منها والكبير، يوم يُقال لك: ﴿اقرأ كِتابَكَ كفى بنَفسِكَ اليَومَ عليكَ حَسيبًا﴾.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

• ها هي ذي الجحيمُ التي كانت خبرًا محجوبًا عنَّا بحُجُب الغيب قد تبدَّت بسعيرها للأبصار، وبرزَت بلهبها للأعيُن، وليس الخبرُ كالعِيان.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

• فِرَّ من الجحيم فِرارَكَ من الأسد، باجتنابك صفتَين ذميمتَين من صفات أهل النار؛ الطغيان، وإيثار الدنيا على الآخرة.

• يأوي العبد عادةً من مخاوفه وآلامه إلى حيثُ يستريح ويأمن، فما أعظمَ خسارةَ المتمرِّدين على شرع الله، وقد غدا مأواهم نارًا تلظَّى!

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

• علامةُ الخوف الحقيقيِّ من الله حرصُ العبد ألَّا يراه مولاه إلا على خيرٍ وطاعة، فلا تجعل اللهَ أهونَ الناظرين إليك.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾﴾

• الآخرة كالسفينة المحمَّلة بما يترقَّبه المترقِّبون، ولا يعلمون بلحظة وصولها ورُسوِّها، ولا يجدون فيها إلا ما كانوا أودَعوه فيها من عمل.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾﴾

• أخفى الله وقتَ الساعة عن نبيِّه ﷺ وسائر خلقه؛ ليكونوا على استعدادٍ دائم لها في كلِّ وقت وحين، فهلَّا كنَّا من المستعدِّين!

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾﴾

• مِن عمل الأنبياء والمرسلين التذكيرُ بالآخرة، وما أحرانا أن ننسجَ على نولهم ونقتفيَ آثارهم.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾

• حين يرى الناسُ الآخرة ويعيشون في أفزاعها، تتضاءل الدنيا في أنفسِهم وتتصاغر في عيونهم، حتى لكأنَّ أعمارَهم فيها لم تتجاوز سُوَيعات.

الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ | سُورَةُ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ (رُبع الحزب ٥٩)
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ
﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾
فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ
مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾
قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ
خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا
شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ
﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً
وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ
ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ
ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ
﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾

٥٨٥

سُورَةُ عَبَسَ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾

• عاتب الله نبيَّه على لمحة عُبوسٍ ظهرت على قسَمات وجهه، فانظر إلى أيِّ مدًى أولى الإسلامُ مراعاةَ مشاعر الضُّعفاء والمساكين.

• يا لها من تربيةٍ رفيعة فريدة؛ لا تعبِس حتى في وجه مَن لا يراك، لتوطِّنَ نفسَك أبدًا على السَّماحة والبِشر، وحُسن العِشرة والخُلق.

• إن هذه القصَّة برُمَّتها درسٌ في احترام مشاعر ذوي الاحتياجات الخاصَّة.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾

• في الجمع بين (يزكَّى) و(يذكَّر) إشارةٌ إلى ركنَي الرسالة العظيمة؛ فعلِ الطَّاعات، واجتنابِ المُنكَرات.

• ينبغي أن تجعلَ غايتك أيها الداعيةُ في دعوتك التطهيرَ والتزكية أوَّلًا، والتعليمَ والتذكير ثانيًا، فلا خيرَ في علمٍ بلا تربية.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾

تَصَدَّىٰ: تتعرَّض له، مُقبِلًا عليه.

• كُلُّ كلمة خيرٍ تدعو إليه وتحثُّ عليه ستلقاها في صحيفتك، ولو أعرضَ الناس عنها ولم يعبؤوا بها، فحسبُك أن تجعلَها لله خالصة.

• من فقه الداعية: التوازن، فلا يبالغُ في بذل الجهد في دعوةٍ مَظنونة، مع التقصير في مكاسبَ حقيقيَّةٍ ممكنة.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾

• حذار أن تصرفَ وجهك عمَّن أقبل إلى العلم مبادرًا إلى الهداية، ولكن امنحه من اهتمامك أضعافَ ما ترى من اهتمامه.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾

• مواعظ القرآن نافعةٌ لكلِّ من تجرَّد عن حظوظ النفس والعِناد والمكابرة، فمَن لم يتَّعظ بها فلأنه لم يشأ أن يتَّعظ، ويا له من محروم!

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾

• إن حظَّك أيها المسلمُ من الرفعة والطُّهر بقدر حظِّك من كتاب الله تعالى، وإن الله ليرفعُ بالقرآن أقوامًا ويضعُ به أقوامًا.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾

• هذه صفاتُ حمَلة القرآن من الملائكة الكرام، وما أحراكَ يا حافظَ القرآن أن تكونَ مطهَّرًا في أخلاقك، بارًّا في فِعالك.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

مَآ أَكْفَرَهُۥ: ما أشَدَّ كُفرَه!

• شرُّ الأخلاق كفرانُ يد المُنعِم، وجحودُ فضل المتكرِّم، وهما سببٌ لمَحق البركات، وحلول اللَّعنات.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾

أَنشَرَهُۥ: أحياه.

• اعلم أيها العاقلُ أن القبر ليس نهايةَ الطريق، ولكنَّه ممرٌّ إلى الحياة الأبديَّة في جنَّة أو نار؛ {فَمَن زُحزِحَ عنِ النَّارِ وأُدخِلَ الجنَّةَ فقد فاز}.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾

• يرحل الخلقُ عن الدنيا ولم يقضوا حقَّ الله عليهم مهما اجتهدوا؛ لأنَّ حقَّه أعظمُ من أن يُطيقَ الوفاءَ به أحد، فكيف بمَن تهاون في حقِّ الله أصلًا؟

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾

وَقَضْبًا: عَلَفًا للدَّوابّ.

غُلْبًا: عَظيمةَ الأشجار.

وَأَبًّا: كَلأً للبهائم.

• إن اللُّقمةَ الواحدة يرفعها أحدُنا إلى فيه، لتختصرُ قصَّةً طويلة من رحمة الله بنا، وعطفه علينا، فلله الحمدُ على جميل منِّه، وواسع كرمه.

• مَن شقَّ الأرضَ وأخرج منها هذه البركات قادرٌ أن يباركَ في ابن آدم ويوفِّقه إلى أجلِّ الأعمال، وأرفع الأحوال.

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

• الدنيا متاعٌ تستوي فيه البهائمُ مع الناس، وإنما يمتاز الناسُ ويتفاضلون بصدق إيمانهم، وتمام عبوديَّتهم لربِّهم.

• يقينُك أيها العبدُ أن كلَّ ما تتقلَّب فيه من نعيم إنما خلقه الله لأجلك، يحملك على أن تجودَ من فضل الله على المحتاجين من خلقه.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾

• كلُّ الضَّجيج الذي يملأ العالمَ سيذهب هباءً، ويُصيخ الناس لصوتٍ واحد مَهول يملأ قلوبهم فزعًا ورعبًا، فاللهُمَّ لطفَك لطفَك.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾

• قال قَتادة: (ليس شيءٌ أشدَّ على الإنسان يومَ القيامة من أن يرى مَن يعرفه؛ مخافةَ أن يكونَ يطلبه بمَظلَمة).

• أيُّ شأنٍ فظيع هذا الذي يشغَلُ المرءَ عن فِلذات أكباده ومُهجة روحه، أليس حريًّا بنا أن نعملَ له عسانا أن نأمنَ من فزعه، وننجو من هَوله.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾

• أنوار التوحيد والإيمان تشرقُ في وجوه أهلها وتضيء، بهجةً وحُبورا، وسعادةً وسُرورا.

• خافوا في الدنيا من ثِقَل الذنوب، وأقضَّ مضاجعَهم فيها الاستعدادُ ليوم الحساب، فانقلب خوفُهم فرحًا، وحزنهم بِشرًا وضحكًا.

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

٥٨٦

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾

• أعمالهم المُظلمة في الدنيا غشِيَت وجوهَهُم في الآخرة فزادتها ذُلًّا وسوادًا، وشتّان ما بين وجهٍ مُشرقٍ بالإيمان، ووجهٍ مُربدٍّ بالعصيان!

• يا لها من مفارقة؛ إنَّ هؤلاء الذين كانوا ذوي هيئاتٍ وجاهٍ ومالٍ، مع خَواء قلوبهم من الإيمان والإحسان، انقلبوا بغضبٍ من الله إلى أسوأ حالٍ، وأخزى مآلٍ!

سورة التكوير

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١)﴾

• قال ﷺ: «من سرَّه أن ينظرَ إلى القيامة رأيَ العين فليقرأ: {إذا الشَّمسُ كُوِّرت}، و{إذا السَّماء انفطرَت}، و{إذا السَّماء انشقَّت}».

• كلُّ يوم تغرُب فيه الشمسُ تذكِّر المؤمنَ بيوم الأفول الكبير الذي لا إشراقَ بعده، وإنْ هو إلا الحسابُ والجزاء.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣)﴾

انكَدَرَتْ: تناثَرت، وذهبَ نورُها.

• لا تغترَّ بدنياك مهما أقبلَت، فالنجومُ المضيئة الجميلة تنطفئ وتضمحلّ، والجبالُ الراسيات تضطرب وتتزلزل، ومن بطَّأ به عملُه، لم يُسرع به أملُه.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤)﴾

• ما من نفيسٍ ثمين في الدنيا إلا وسيأتي وقتٌ يفقد فيه نفاستَه وقيمتَه، فالثمين حقًّا هو الباقي، ولا يبقى إلا الإيمانُ والعمل الصالح.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦)﴾

• سُلبت الوحوش المفترسة وحشيَّتها وقسوتها، وذلَّت لربِّها في المحشر، فهل بعد ذلك يغترُّ أحدٌ بقوَّته وصحَّته وجماعته.

• من طبيعة الماء إطفاءُ النار، فما بالُ مياه البحار على سعَتها غدت نيرانًا تتأجَّج؟! أليس في ذلك دليلٌ على كمال قدرة الله وعظيم سُلطانه.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧)﴾

زُوِّجَتْ: قُرنَت بأمثالها ونظائرها.

• هنا يُدرك المرء قيمةَ وصيَّة النبيِّ الهادي ﷺ: «لا تصاحِب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامَك إلا تقي»، فاحرِص على رفقة الصَّالحين، ذوي النفوس الزكيَّة.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾

• في توجيه السؤال إلى الموءودة بيانٌ لكمال الغيظ على قاتلها حتى كان لا يستحقُّ أن يُخاطَب ويُسأل، وفيه تبكيتٌ له وتقريعٌ شديد.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠)﴾

• أسرارُنا التي طالما طويناها، وأعمالنا التي خبَّأناها، وعن أعين الناس أخفيناها، سيأتي يومٌ تُنشَر فيها وتُكشَف، لا يخفى على الله منها خافية.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١)﴾

كُشِطَتْ: قُلِعَت.

• لا شيءَ في دار الخراب مهما عظُم يبقى، حتى السماءُ على عظمَتها تنهدُّ أركانها، والتوفيق كلُّه في عِمارة دار البقاء والخلود.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣)﴾

• من رحمة الله بعباده تفظيعُ صورة الجحيم في عيونهم؛ وتنفيرهم منها، ليَجِدُّوا في الهرَب منها هربَهم من السِّباع.

• لا يزال الأتقياء يتقرَّبون إلى ربِّهم بالصالحات في الدنيا حتَّى يقرِّبَ إليهم الجنَّةَ في الآخرة؛ تشريفًا لهم وتكريمًا.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)﴾

• في الآخرة لا يحضُر مالٌ ولا متاعٌ ولا دارٌ ولا أرضٌ ولا منصبٌ ولا جاه، إنما تحضُر الأعمال، فطوبى لمَن وجد في صحيفته عملًا خيرًا رضيًّا.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦)﴾

• القسَم بالنجوم لفتٌ لأنظار البشَر إلى بديع خلق الله تعالى في الكون وجميل صُنعه، فتبارك الله ذو الفضل العظيم.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)﴾

• إقبال الليل وإدبارُه يوقظان العقولَ وينبِّهان الأرواحَ إلى حقيقة مضيِّ الزمن وانقضاء العمُر، فيا فوزَ من ملأ عمُرَه بطاعة الله.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١)﴾

مَكِينٍ: ذي مكانةٍ رفيعةٍ عند الله.

ثَمَّ: هُناكَ في السَّماوات.

• أثنى الله تعالى على أفضل الملائكة بحَمل القرآن الكريم، فما أعظمَ شرفَ أهل القرآن، وما أجلَّ ما يحملون. جعلنا الله من حفظتِه، العاملين بآياته.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣)﴾

• الصُّحبة تقتضي الاطِّلاعَ على حقيقة الصاحب، ولا يجحَدُ فضلَ النبيِّ ﷺ مع طول صُحبته له إلا عنيدٌ مكابر.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (٢٥)﴾

بِضَنِينٍ: ببَخيلٍ في تبليغ الوَحي.

• عن قتادة قال: كان هذا القرآنُ غيبًا أعطاه الله تعالى محمَّدًا ﷺ، فبذله وعلَّمه ودعا إليه وما ضنَّ به.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦)﴾

• قد علمتُم سبُلَ الرَّشاد والرَّخاء، فأين تذهبون بعيدًا منها إلى حيثُ التعاسةُ والشَّقاء؟

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧)﴾

• على الدعاة مراعاةُ عالميَّة الإسلام واختلافُه عن بقيَّة الشرائع، وما أحراهم أن يتَّبعوا أحسنَ الوسائل وأحدثَها في تبليغ رسالته.

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨)﴾

• تربية الإرادة في النفس مَطلبٌ شريف، فإنَّ ترك المنكرات وفعلَ الطاعات يحتاجان إلى قوَّة إرادة.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾

• ما أحسنَ ما قاله الأوَّل: (يقيني يقيني)؛ فإنَّ يقينَك أيها العبدُ بأنه لا مشيئةَ لك إلا أن يشاء الله، يقيك أن تتوجَّهَ بطلب الهداية والخير من سواه.

سُورَةُ الانفِطَارِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾

• هذه السماء الجميلة المحكمة البناء، ستأتي لحظةٌ تتشقَّق فيها وتخرَب، وكلُّ ما في الكون مهما بلغ جمالُه وعظُم بناؤه فهو إلى خرابٍ وفناء.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢﴾

• حتى الكواكبُ المنتظِمة في أماكنها، الطويلة في أعمارها، البهيَّة في مظهرها، ستتناثرُ وتتساقط، ويختلُّ نظامُها، فهل من معتبِر؟

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤﴾

• البحار على سعَتها وعِظَم أمواجها، تغادر شطآنَها ويذهب ماؤها، مُؤذنةً بهلاك كلِّ شيء!

• طالما سترَت القبور أجسادَ أصحابها، فما بالها اليوم تلفظُهم وتتخلَّى عنهم؟ إنه اليومُ الذي لا يبقى فيه شيءٌ مستورٌ من عمل ولا نيَّة!

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾

• البِدارَ البِدارَ إلى الصَّالحات؛ فما من نفسٍ إلا وستُخبَر يومَ القيامة عمَّا سارعَت إليه من عمل، وما أبطأت عنه فحُرمت أجرَه وبِرَّه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾

• احذَر أيها الإنسانُ أن تغترَّ بحِلم ربِّك وكرمه وطول إمهاله، فتُمعِنَ في العصيان، فإنَّ الله يُملي للظالم حتى إذا أخذَه لم يُفلِته.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾

• إن الذي خلق هذا الخلق البديع وسوَّاه وعَدَله، وأحكم صورتَه وكمَّله، لجديرٌ بأن يُتَّقى بأسُه، ويُحذَرَ بطشُه، ويُستَحى من حِلمه.

﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾

• التكذيبُ بالآخرة من أعظم أسبابِ الكُفرانْ، والجُرأة على العِصيانْ، فأيُّ شيء يردَع المكذِّبَ عن غيِّه؟

• استحضارُك الدائم حركةَ أقلام الحفظة الكاتبين، ويقينُك باطِّلاعهم على أقوالك وأعمالك، كفيلٌ باستحيائك منَ الله ثم منهم.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾

• كلُّ عمل برٍّ يمنحك طُمأنينةً في الدنيا قبل الآخرة، حتى ينقلبَ ما تعانيه من مشاقَّ وأمراضٍ وآلام إلى رضًا وسعادة، وما سُمِّي الأبرارُ أبرارًا إلا لكثرة بِرِّهم، وضربهم من كلِّ بابٍ من أبواب الخير بسهم.

﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾

• ليس نعيمُ الأبرار وجحيم الفجَّار مقصورَين على حياة الآخرة، ولكنَّه نعيمٌ وجحيم ملازمان لهم في الحياة الدنيا وحياة البَرزَخ قبل الآخرة، وهل النعيمُ إلا نعيم القلب؟ وهل العذابُ إلا عذاب القلب؟

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾

• أعظِم به من يومٍ تتجاوز أهواله وأفزاعه كلَّ تصوُّرٍ وخيال، يومٍ لا يغني فيه امرُؤٌ عن امرِئٍ شيئًا، والأمر فيه لله وحدَه.

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾

• هي الحقيقة التي ينبغي ألَّا تغيبَ عنك لحظة؛ لن يُغنيَ عنك يومَ القيامة إلا عملُك، فأصلح عملك ودعك ممَّا سواه.

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾

• يا له من وعيدٍ شديد لكلِّ من يغُشُّ الناس بالشيء الطَّفيف اليَسيرْ؛ جشعًا وطمعًا، وخِسَّة ودناءة، فما بالكُم بالشيء الكثيرْ؟!

• إذا كان هذا الوعيد للذين يبخسون الناس بالمِكيال والميزان، فما حالُ من يقهر الضعفاءَ على أموالهم قهرًا، ويسلبها منهم سلبًا؟!

• تأمَّل يا رعاكَ الله هذا التهديدَ العظيم فإنه يشمل مَن يطفِّف في حبَّات قمحٍ وذُرة، فكيف بمَن يطفِّفون في حقوق زوجاتهم وقد أخذنَ منهم ميثاقًا غليظًا؟!

سُورَةُ الانفِطَارِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحِزب ٥٩

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ
فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ
وَأَخَّرَتۡ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨
كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا
كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ
ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ
١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ
١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢
وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤

٥٨٧

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾

• احذر سلوكَ المطفِّفين؛ فإن كلَّ مَن طالب بحقوقه كاملة، وانتقص من حقوق الآخرين، دخل فيهم وكان منهم.

• من أخلاق الكرام السَّماحةُ في الحقوق، والغضُّ عن القليل الحقيرْ، والعفوُ عن الهيِّن اليسيرْ، لا شدَّةُ الاستيفاء.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤﴾

• يرى الإنسانُ في هذه الدنيا من صور الظُّلم وهضم الحقوق الكثير، وإنَّ عدل الله يقتضي أن يكونَ للحساب يومٌ ينتصف فيه كلُّ مظلومٍ من ظالمه.

• إن تذكُّر الآخرة وما سيُقام فيها من موازين العدل يحمل الإنسانَ على تحرِّي العدل في الدنيا، والحرص على إنصاف إخوانه قبل نفسِه.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ٨ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٩
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٠ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
١٣ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٧ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ٢١
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٢٣ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٤ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ٢٥ خِتَامُهُ
مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُ مِنْ
تَسْنِيمٍ ٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ٢٨ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ٣٢ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ٣٣

٥٨٨

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥﴾

• من أعظم مظاهر الجزاء يوم القيامة حصولُ كلِّ ذي حقٍّ على حقِّه، والانتقامُ من كلِّ مستبدٍّ قاهرٍ للناس ظالمٍ لهم.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦﴾

• قد يتمكَّن الظالم الجائر من تحريف الحقائق في محاكم الدنيا وأمام الخلق، لكن هيهاتَ أن يفعلَ حين يقوم لأحكم الحاكمين، وربِّ العرش العظيم.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ٨ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٩﴾

مَرْقُومٌ: مكتوبٌ مُثبَت.

• لا ظُلمَ اليوم، إنما هي أعمالكم مدوَّنةٌ مَرقومة، لا يزيد أحدٌ فيها ولا يَنقُص منها، فلا تلوموا إلا أنفسَكم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٠ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ١١﴾

• لا يكتمل إيمانُ العبد حتى يؤمنَ باليوم الآخر، فإنه يحمل الإنسانَ على محاسبة نفسه ومراقبة عمله، قبل أن يُحاسَب ويُناقش.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾

• لولا التكذيبُ بالآخرة والغفلةُ عنها لما أحدث عبدٌ ذنبًا، ولا طفَّف مطفِّفٌ في كَيلٍ ولا وزن، فويلٌ لمَن ظلم نفسَه بعدوانه الأثيم.

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٣﴾

• أيها الداعية اصبر على ما يقول المكذِّبون الحاقدون، فقد كذَّبوا الرسُلَ من قبلك، ووَصَموا القرآنَ العظيم بأنه أساطيرُ الأوَّلين!

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤﴾

رَانَ: غطَّى.

• قال الحسن البصريُّ: (هو الذنبُ على الذنب، حتى يعمى القلبُ فيموت). فإيَّاك والتَّهاونَ بصغار الذنوب، فإنها تجتمع على العبد حتى تُهلكَه.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٥﴾

• مَن رانَ على قلبه كسبُه السيِّئ، وغطَّته معاصيه وذنوبُه، حُجب عن الحقِّ في الدنيا، وعن رؤية الله في الآخرة، فإنَّ الجزاء من جنس العمل.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾

• ماذا ينتظر المُعرضونَ عن الله ودينه إلَّا أن يكونَ مصيرَهم الجحيم؟ هلَّا ارعَوَوا من قبلُ واتَّبعوا سبيل الرَّشاد!

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾

• عظِّموا اللهَ في قلوبهِم، واستحضروا رضاه في أعمالِهم، فعظَّم شأنَهم، ورفع قدرَهُم، وأعلى مرتبتَهُم، فهل علمتُم ما عليُّون؟

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ٢١﴾

• إنه إعلانٌ على رؤوس الأشهاد من خواصِّ الصَّالحين، أشبهُ بإعلان أسماء الناجحين النابغين؛ زيادةً في تكريم المحسنين المتَّقين.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٢٣﴾

• أفاض الله عليهم من النعيم حتى أحاط بهم من كلِّ حدَب وغمرهم به غمرًا، فهل بعد هذا من تكريم؟ جعلنا الله من أهل هذا النعيم.

• لم يبيِّن الإمَ ينظرون، ليحلِّقَ الخيال في كلِّ حُسن وجمال، وفي كلِّ ما تلذُّ به الأعينُ وتشتهيه الأبصار، وأجلُّه يقينًا النظر إلى وجه الله الكريم.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٤﴾

• جمال الوجوه في الآخرة صدًى لجمال القلوب والأعمال في الدنيا، فبيِّض وجهَك بالطَّاعات، وجمِّله بالقرُبات.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ٢٥﴾

• اجتنَبوا الخمرةَ في الدنيا، فسقاهم ربُّهم ألذَّها وأهنأها في جنَّة عَدن؛ كِفاءَ طاعتهِم، وجزاءَ امتثالهِم.

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٦﴾

• شتَّانَ ما بين المتنافسين لجمع حُطام الدنيا ولو بالتَّطفيف، والمتنافسين لنعيم الآخرة ولو ببذل أموالهم وأنفسهم.

﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾

تَسْنِيمٍ: عينٍ في أعلى الجنَّة.

• كما مزَجَ الأبرارُ الطَّاعاتِ بالمبرَّات، مزَجَ الله لهم شرابهم بأطيب الأصناف وأشرفها، ولمثلِ هذا فليعمَلِ العاملون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾

• سنَّة الله في كلِّ دعوةٍ وحركةٍ إصلاح: أن تُبتلَى بمَن يحاربها ويفتري عليها، ومَن يحاصرها بالسُّخريَّة والغمز، فالصبرَ الصبرَ أيها الدعاة.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ٣١﴾

فَكِهِينَ: مُتلذِّذينَ بسُخريَّتِهم منَ المُؤمنين.

• إن فرحهم الخادعَ، وسرورهم الوهميَّ الذي عادوا به إلى أُسَرهم من جَرَّاء تكذيبهم المؤمنين، واستهزائهم بالصالحين، سيورثهم حزنًا طويلًا طويلًا.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ٣٢﴾

• مهما احلولَكت سماؤك أيها المسلمُ بسواد الإيذاء والاستهزاء، فاصبِر واثبت، فإنه يوشك أن يسطعَ الفجرُ بنور النصر والتمكين، والعاقبة دومًا للمتَّقين.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ٣٣﴾

• بدَوا من شدَّة حرصهم على السُّخريَّة بالمؤمنين وكأنما وُكِلوا بحفظ أعمالهم، وما حملهم على ذلك إلا طُغيانهم في كفرهم وضلالهم.

الجزء الثلاثون | سورة الانشقاق

فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى
ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦

سُورَةُ الانشقاق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٩
إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ
٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ
يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ١٥ فَلَآ أُقۡسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨
لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ
سجدة
عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ
٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤

٥٨٩

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾

• كما تَدينُ تُدان، فمَن سَخِرَ من الصَّالحين في الدنيا وترفَّع عليهم، أُنزل في منازل الضَّعة والصَّغار، يسخر منه المؤمنون، ويضحك الصَّالحون!

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥﴾

• قُل موتوا بغيظكم أيها المتكبِّرون، فها هم أولاء المؤمنون الصالحونْ، الذين طالما كنتُم منهم تضحكونْ، على سُررِ النعيم يتقلَّبونْ، فأين من نظراتهم تهربونْ؟!

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾

ثُوِّبَ: جُوزيَ.

• ما زرَعتُموه في الأمس من ظلمٍ وفساد لا بدَّ ستحصُدونه اليوم؛ جزاءً وِفاقًا {وما ظَلَمناهُم ولكِن كانوا أنفُسَهُم يَظلِمُون}.

سُورَةُ الانشقاق

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢﴾

وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا: أطاعَت لأمرِ ربِّها.
وَحُقَّتۡ: وحُقَّ لها أن تُطيع.

• السماء على عِظَمِها وبديع خلقها، تخضع لربِّها وتستجيب لأمره، وحُقَّ لك أيها الإنسانُ أن تكونَ لربِّك طائعًا ولكبريائه مُنيبًا.

• كيف لا تُطيع أمرَه وهو القويُّ الذي لا يُمانَع، والعزيزُ الذي لا يُغالَب، الذي قهر عبادَه بسُلطانه، وذلَّت له أعظمُ مخلوقاته؟

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤﴾

• الجبال الراسخة والمرتفعات الشاهقة والأبراج العالية كلُّها إلى فناء، حتى ترجعَ الأرض مستويةً ممتدَّة، ليس عليها شيءٌ مرتفع.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥﴾

• إذا كانت الأرضُ بجبالها الصَّلدة وصخورها الصمَّاء قد استجابت لربِّها، فكيف بمَن جعل الله له السَّمعَ والبصرَ والفؤاد؟ ما أجدرَه بالاستجابة لربِّه وطاعته وتقواه!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾

• مَن أيقن أنه لا بدَّ أن يُعرَض على الملِك أفرغ جهدَه في العمل بما يَحمَدُه عليه عند لقائه.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧﴾

• الكتاب الذي ينبغي أن تنشغلَ به العمُرَ كلَّه، وتسطِّر فيه ما يبيِّض وجهَك عند ربِّك، هو كتابُ عملك، فاحرص عليه تفُز.

﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩﴾

• حسابُ المؤمنين هيِّنٌ يسير، تُبرَز فيه أعمالهم الصالحة، ويظهر لطفُ ربِّهم بهم بغُفران ذنوبهم، فيفرحون ويسعَدون.

• ما ظنُّكم بامرئٍ تُمحى سيِّئاته، ويُثاب بحسَناته دفعةً واحدة، هل يعدِلُ فرحَه بذلك فرحٌ وحُبور؟

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢﴾

يَدۡعُواْ ثُبُورٗا: يدعو بالهَلاكِ قائلًا: واثُبوراه!

• لمَّا جعلوا كتابَ الله وراء ظهورهم في الدنيا، مُعرضينَ عن هديه، مُتعامينَ عن نوره، تسلَّموا كتبَ أعمالهم من وراء ظهورهم في الآخرة؛ جزاءً وِفاقًا.

• أشدُّ حالات اليأس والخيبة والقُنوط حين يدعو المرءُ على نفسِه بالمزيد من الويل والهلاك، وهو يتمرَّغ في حَمأة الهلاك، نعوذ بالله من حالِ أهل النَّار!

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤﴾

لَّن يَحُورَ: لن يرجِعَ إلى اللهِ ليُحاسِبه.

• لو تفكَّر كلُّ عاقلٍ في عاقبة أفعاله، لبكى بدلَ الدموع دما، حزنًا وندما؛ من جرَّاء ما اقترف بحقِّ ربِّه من ذنوبٍ ومعاص، ولكنَّه عمى القلوب!

• أيُّ خيرٍ في سعادةٍ ظاهرة عاجلة، لا يلبَثُ أن يعقبَها حسرةٌ في النفس وكآبةٌ دائمة؟ فما أحرانا أن نسعى إلى السعادة الحقيقيَّة.

• كلَّما فترَت عن الطاعات همَّتُك، وإلى المعاصي دعَتكَ نفسُك، فذكِّرها بالآخرة، وبأنها إلى ربِّها راجعة، فذاك أعظمُ ما يوقظ القلوب.

﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ١٥﴾

• بصرُ الله سبحانه بعباده يأبى أن يتركَهم بلا حسابٍ ولا عقاب، فأرِ ربَّك منك ما يُرضيه، لتفوزَ منه بما يُرضيك.

• مآلُكَ إلى الله أيها العبدُ شئتَ أو أبيت، وهو خبيرٌ بأحوالك، بصيرٌ بأعمالك، فاتَّقِ الله في نفسك وآمالك، لتكونَ من الفالحين.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾

وَسَقَ: جَمَع.
ٱتَّسَقَ: اكتملَ وتمَّ نُوره.

• هي دعوةٌ إلى تأمُّلِ بديع خلق الله في كونه؛ المتمثِّل في حُمرة الشفق.

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلُّ على أنه واحدُ

• أقسم الله بالليل لعَظيم فضله، وجليلِ بركته، وكيف لا يكون كذلك وفيه تقوم أمَّةٌ من الصالحين القانتين يتلونَ آياتِ الله وهم يسجدون؟

• لا يكتمل جمالُ القمر إلا باكتماله بدرًا منيرًا في أُفُق السماء، ولا يكتمل جمال روحك إلا باكتمال نور الإيمان فيها، زادنا الله إيمانًا ويقينًا.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾

• حياتك أيها الإنسان رحلةٌ تنتقل فيها من طورٍ إلى طور، فما أحسنَ أن تتزوَّدَ لها؛ {وتَزَوَّدوا فإنَّ خيرَ الزّادِ التَّقوى واتَّقونِ يا أولي الألباب}.

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ٢١﴾

• كيف ساغ لهم أن يتنكَّروا لفطرتهم وأن يصمُّوا آذانهم عن همَسات قلوبهم؟ ولو استجابوا لفِطرتهم لما اختاروا من الإيمان بديلًا.

• ليتَهم أصغَوا إلى القرآن بأفئدتهم، إذن لسجَدوا لجلاله وعظمته بأرواحهم قبل جباههِم، ولكنَّهم أعرضوا عنه ونكَصوا على أعقابهِم.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾

• ليس كالتكذيب بالحقِّ سبيلٌ إلى الإمعان في طرُق الغواية والباطل؛ {إنَّ اللهَ لا يَهدي مَن هو مُسرِفٌ كذّاب}.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾

• صدرك وعاءُ خواطرك ونيَّاتك، وإنَّ ربَّك لا يخفى عليه ما تُودعه فيه وما تُجنُّه عن عيون خلقه، فلا تملأه إلا بطيِّب.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾

• هي بشرى تهكُّمٍ واستهزاءٍ بمَن جلب لنفسه السُّخريَّة بسوء عمله، وإنَّ من التهكُّم لَما هو أشدُّ لذعًا وإيلامًا من كلِّ عذاب!

الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ سُورَةُ البُرُوجِ

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟
مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن
وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

٥٩٠

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

• لذائذ الدنيا ومُتَعُها مهما طالت وتكاثرت فإنها إلى انقطاعٍ وفناء، أمَّا لذَّاتُ الآخرة ونعيمُها فإنها إلى دوامٍ ونماء، أفلا نعمل لها؟

سُورَةُ البُرُوجِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ: قسَمٌ بكلِّ شاهدٍ يشهَد، وبكلِّ مَن يُشهَدُ عليه.

• في هذا القسَم لفتٌ لنظر المتدبِّرين إلى ما في السماء وكواكبها من دَلالةٍ على عظيم قُدرة الله، وسَعة علمه وكمال تدبيره.

• ما من جريمةٍ تُقترَف في الأرض إلَّا هي مَشهودةٌ محضورة، فوَيلٌ لكلِّ مجرمٍ عاتٍ يغفُل عن أعظم رقيبٍ شاهد؛ {ولا تحسَبَنَّ اللهَ غافلًا عمَّا يعمَلُ الظَّالِمون}.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾

• القتل على الحقيقة ليس لمَن أُحرق في الأُخدود؛ فإن استشهادهم حياةٌ وخلود، ولكنَّه للجُناة المستكبرين، الذين لُعنوا وطُردوا من رحمة الله العظيم.

• النفوس المريضة المشوَّهة، تستلذُّ بعذابات المؤمنين، وتستمتع برؤيتهم والنارُ تلتهم أجسادَهم الضعيفةَ حتى يلفظوا أنفاسَهم.

• إنَّ الله يعلم هَولَ ما قاسَيتُم أيها المؤمنون، ولن يَتِرَكُم عملَكُم وجهادَكم، وسيُكافئكم على صبركم وثباتِكم، فلا تَهِنوا ولا تحزنوا.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾

• تعذيب الأبرياء جريمةٌ عظيمة، فكيف بمَن يبتهج بمَرأى المعذَّبين ويسعد لآلامهم؟ إنها جريمةٌ مضاعَفة شنيعة، لا تستسيغُها فطرةٌ سَويَّة.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾

• من سُنَن الله في خَلقه، ألَّا يخلوَ زمانٌ من طُغاةٍ مجرمين، وعُتاةٍ متجبِّرين؛ امتحانًا لصبر المؤمنين، وليقينهم بصدق وعدِ ربِّ العالمين.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

• في أزمنة العذاب والفتنة، من أعظم ما يقوِّي اليقين، ويثبِّت جَنانَ المؤمن الرصين، إيمانُ العبد بأنَّ مَن بيده ملكوتُ السَّماوات والأرض عالمٌ وشهيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾

• قال الحسن: (انظُروا إلى هذا الكرم والجود، يقتلون أولياءَه ويفتنونهم، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة. فلا ييئسِ العبدُ من مغفرته وعفوه).

• إنه إنذارٌ صريح بليغ من الجبَّار القويِّ العزيز، لكلِّ مجرمٍ بطَّاش لا يرقُبُ في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمَّة، وقد أعذَر من أنذَر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

• الفوز الكبير ليس في انتصارٍ دنيويٍّ، ولا غَلَبة عاجلة، ولكنَّه في فوز الآخرة، فهنيئًا لشهداء الأُخدود.

• ليس في القرآن كلِّه وصفٌ للفوز بالكبير إلَّا لأصحاب الأُخدود؛ لعَظيم منزلتهم.

• الانتصار الحقيقيُّ هو انتصارُ المبادئ والقيم، وهاهم أُولاءِ أصحابُ الأُخدود قد انتصروا على قاتليهم مع أنهم قضَوا حرقًا.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

• مهما اشتدَّ بأسُ الظالمين، وعظُم بطشُ المجرمين، فإنَّ بطش ربِّك أعظمُ، و{إنَّ أخذَهُ أليمٌ شَديد}.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾

• خير ترياقٍ لشفاء جراح المظلومين، وتخفيف عذاب المكلومين، يقينُهم أنَّ تدبير الأمور بيد الله الذي يُبدئُ الخلق ثم يُعيده، لا شريكَ له.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾

• قد يغفر الرجل لمَن أساء إليه ولا يحبُّه، أمَّا الربُّ سبحانه فإنه يغفر لعبدِه المُسيءِ إذا تاب إليه ويحبُّه؛ {إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابين} جعلَنا الله منهم.

• ألا يستحقُّ ذو العرش المجيدُ خالصَ العبادة والطَّاعة لجلال ذاته وعظيم سلطانه، فضلًا عن طاعته؛ رجاءَ نواله واتِّقاءَ عقابه؟

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

• ما من أحدٍ مهما بلغ من القوَّة والسَّطوة قادرٌ على أن يفعلَ ما يريد، إلا اللهُ وحدَه، فادعُه وأنت موقنٌ بإجابته، ولا تستعظم شيئًا بجَنابه.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾

• إذا ما هالكَ أمرُ ظالمٍ غاشم، أو أفزعك سطوةُ أمَّةٍ متجبِّرة، فاستحضِر الجنودَ البائسة التي حاربت ربَّها فأهلكها وجعلها أحاديث.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

• الله محيطٌ بخَلقه، لا يخرج عن سُلطانه أحدٌ ولا يَعزُب عن علمه شيء، ولكنَّه سبحانه يُملي للظَّالم حتى إذا أخذه لم يُفلته.

• أين المفرُّ وأين المهرَب، وقد أحاط الله بعباده إحاطةَ إحداقٍ من كلِّ مكان؟ فهلَّا فرَرنا إلى الله بالتوبة وحُسن الرجوع إليه!

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

• ما من أمَّةٍ حملت هذا القرآنَ بحقِّه، وأقامت حدودَه وأحكامه، إلا نالت المجدَ والعزَّة، وتمامَ السُّؤدَد والرِّفعة.

سُورَةُ الطَّارِقِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾

• لمَّا كانت نجومُ السماء المضيئةُ تظهر ليلًا أُطلق عليها اسمُ الطارق، وقد كان رسولنا ﷺ يستعيذ من شرِّ كلِّ طارق يطرُق، إلَّا طارقًا يطرُق بخير.

﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾

ٱلثَّاقِبُ: المُضِيءُ المُتوهِّج.

• السؤال عن النجوم مصابيح السماء سؤالُ استثارةٍ؛ ليتفكَّرَ العبدُ كلَّما رنا إليها في عظمة صُنع الله وبديع خَلقه.

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾

• ألا تجتهد أيها المسلمُ في طاعة مولاك وكسب رضاه، واجتناب ما يُغضبه، وقد علمت أنه وكَّل بك ملكًا يحفظ خطَراتِ نفسِك، وأعمالَ جوارحِك؟!

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾

ٱلصُّلۡبِ: الظَّهر.

وَٱلتَّرَآئِبِ: عِظام الصَّدر.

• عجبًا لمَن يُنكر البعثَ، هلَّا تأمَّل في نفسه وتبصَّر في خَلقه! إن بعث الناس من رِمَمْ، لأهون مرَّاتٍ من خلقهم من عدَمْ.

• إن الذي أخرجك من مَضايق الأصلاب، وجعلك من قطرة ماءٍ صغيرة إنسانًا عاقلًا سويًّا، لقادرٌ على إخراجك من كلِّ ضِيق، فإيَّاك والقنوط.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾

• مهما طالت رحلتُك في هذه الحياة فإنك راجعٌ إلى ربِّك لا محالة، فتزوَّد من الأعمال ما تحبُّ أن تلقى به وجهَ ربِّك.

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾

• طيِّب نيَّتَك، وأصلح باطنَك، فإنَّ أمامك وقفةً بين يدَي الله يُحصَّل فيها ما في الصُّدور، ويُكشَف فيها عمَّا في القلوب.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾

• يأتي العباد يوم القيامة وقد سُلبَت منهم كلُّ قوَّة وعَون، والسَّعيد مَن قدَّم لهذا اليوم بعملٍ صالحٍ وإيمانٍ راسخ.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢﴾

ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ: ذاتِ المطرِ المُتكرِّر رجوعُه إلى الأرض.

ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ: ذاتِ التَّشقُّق بالنَّبات.

• أقسم الله بالسَّماء لما ينزلُ منها من غَيثٍ ورحمة، وبالأرض لما ينبُت فيها من نباتٍ وبركة، أفلا نكونُ في نفع العبادِ كالمطر والنبات؟!

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤﴾

• لا ينبغي للقول الفصل إلَّا أن يؤخذَ بجِدٍّ وقوَّة؛ {خُذُوا ما آتيناكُم بقُوَّة}؛ تدبُّرًا لآياته، وتحليقًا في سماء معانيه ومقاصده، علمًا وعملًا.

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦﴾

• فليَكيدوا للمسلمين ما شاؤوا أن يَكيدوا، وليأتمروا بهم ما شاؤوا أن يأتمروا، فإنَّ الله عليمٌ بكيدِهِمْ، خبيرٌ بائتمارِهِمْ.

﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧﴾

• منهج الدعاة السَّيرُ على خُطا الأنبياء، بالصبر على سفَه الفاجر الدَّنيء، والحِلم على طَيش الحاقد الرَّديء، حتى يقضيَ الله بأمره.

• إنَّ النَّكال والعذاب لمُصيبان أهلَ الكفر والحقد عاجلًا أو آجلًا، فطِب أيها المسلم نفسًا، وثق بعدل الله وانتقامه.

سُورَةُ الأَعْلَى

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾

• استشعِر دومًا أن الله عالٍ بذاتِه، وعالٍ بصفاتِه، ولهذا كان الإنسانُ إذا سجد يقول: سبحان ربيَ الأعلى، ليتذكَّر كمالَ علوِّ ربِّه.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾

• مَن علم أن الله هو وحدَه الخالقُ والهادي، لم يملك إلَّا أن يستهديَ بهُداه، ويستمسكَ بشريعته ورضاه.

• يقينُ العبد أن كلَّ ما في الكون والحياة إنما هو بقَدَرِ الله تعالى؛ يبعثُ في نفسه الرِّضا والطُّمأنينه، والرَّاحةَ والسَّكينَه.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥﴾

• من الأرض القاحلة الجدباء ينبُت المَرعى الخِصبُ الأخضر؛ دَلالةً على تصرُّف الله تعالى في خَلقه، وعظيمِ حَوله وطَوله.

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ
۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥
خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ
رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ
۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ
لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥
وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧

سُورَةُ الأَعْلَى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحِزْبُ ٦٠

سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ
۝٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥ سَنُقۡرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ
لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠

٥٩١

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾

• ما أشرفَ إقراءَ القرآن وتعليمَه، وقد نسب الله إقراءَ نبيِّه إلى نفسِه؛ لجلال الأمر وعظيم أهميَّته، فأين المُقبِلون على كتاب الله تعلُّمًا وقراءة؟

• إقبالك على القراءة والإقراء، وما تتمتَّع به من حافظةٍ واعية، وذاكرة حاضرة، كلُّ ذلك نعمةٌ عظيمة من ربِّك تستوجب الشكرَ، بتوظيفها فيما ينفع الناس.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧﴾

• كلُّ ما أوتيتَه من مواهبَ وقدرات، إنما هو من فضل الله تعالى عليك، ولو شاء سبحانه لحرمك منه، فاستجلِب بقاءه بدوام شُكره.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨﴾

• إنه وعدٌ لرسول الله ﷺ ولأمَّته من بعده؛ بأن يوفَّقوا لليُسرى، فلا تعترضُ دروبَهم شدَّةٌ وضَنك إلَّا ويجعل لهم منهما فرَجًا ومَخرجًا.

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩﴾

• التذكير ارتقاءٌ للنفس إلى رفعة الكمال؛ لِما فيه من تكميل الناقصينْ، وهداية الجاهلينْ، ومَن أولى بالارتقاء من ورثةِ الأنبياء والدعاةِ إلى الحقِّ؟

وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾
بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ
نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ
لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ
فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ
مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ
إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى
ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾
فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾

٥٩٢

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ﴾

• لعلَّ من أعظم أسباب الانتفاع بالقرآن وإشراق أنواره في قلب المؤمن، استحضارَ تعظيم الله وخشيته في قلب العبد عند القراءة.

﴿ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾

• إن النار الكُبرى ليست في حجمها واتِّساعها فحسب، ولكن في شدَّة عذابها وقسوة آلامها، وما يجتمع فيها من صنوف الشَّقاء، أعاذنا الله منها.

• الحياة الحقيقيَّة هي التي ينتفع بها الحيُّ وينفع غيرَه، أمَّا الأشقياء فحياتهم في جحيم لا يحيَون فيها حياةَ انتفاع، ولا يموتون فيستريحون من الأوجاع.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾

• أعظم ما يُزكِّي النفوسَ كثرةُ الصلاة وذكر الله، فكلَّما ذكر العبدُ اسمَ الله اتَّعظ وأقبل على ربِّه، وذلك هو الفلاحُ العظيم.

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾

• حقيقة إيثار الدنيا هو الزهدُ في الآخرة وما فيها من رخاءٍ مُقيم، فيا بئسَ الزهدُ في دار النعيم!

• قال مالكُ بن دينار: (لو كانت الدنيا من ذهَبٍ يفنى، والآخرة من خزَفٍ يبقى، لكان الواجبُ أن يُؤثَر خزفٌ يبقى على ذهَبٍ يفنى، فكيف والآخرةُ من ذهبٍ يبقى؟!).

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾

• الدعوة إلى إيثار الآخرة على الدنيا منَ القضايا الكبرى التي اتَّفقت عليها شرائعُ الله العظيم؛ من صحُف الأوَّلين، إلى القرآن المُبين.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ ﴾

• أنفع الأحاديث ما يُذكِّر بالآخرة التي تغشى الخلقَ جميعًا بأهوالها وأفزاعها؛ رجاءَ أن يستعدَّ لها ذوو القلوب الحيَّة.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ ﴾

ءَانِيَةٍ: شديدةِ الحرارة.

• إنَّ الوجوه التي تكبَّرت وتجبَّرت في الدنيا، ستذلُّ وتخشع في الآخرة.

• قال الحسن البصريُّ: (لم تعمَل لله في الدنيا ولم تنصَب له، فأعملَها وأنصبَها في جهنَّم). فطوبى لمَن جعل نصَبَه في رضا الله.

• أهل الضَّلال يعيشون في حياتهم مخالفين للفِطرة معاكسين لها، فاستحقُّوا يومَ القيامة أن يُعاملوا بالمِثل، فإن طلبوا ماءً باردًا عذبًا سُقوا ماءً حميمًا يقطِّع أمعاءَهم.

﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾

ضَرِيعٍ: نبتٍ خبيثٍ ذي شَوك.

• تبقى الشَّهوة إلى الطعام والشَّراب مُلحَّة في الجحيم؛ ليزدادَ أهلها ذلًّا وعذابًا، بحرمانهم إيَّاها، وإطعامهم ما لا ينفعُ ولا يُغني.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾

• لا يحتاج أهل الجنَّة إلى أن تنطِق ألسنتُهم بما يلقَون فيها من نعيم، فإنَّ وجوههم تنطق بالسعادة والحبور، وتمام الرِّضا والسُّرور.

• النفوس الكبيرة تسعى في حياتها إلى السَّير على صراط ربِّها؛ لتكونَ راضيةً مطمئنَّة، وتُكافأ في الجنَّات بسعادة لا مزيدَ عليها.

﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾

• الجنَّة عاليةٌ بذاتها، عاليةٌ بما أعدَّه الله فيها من نعيم لأهلها الذين علت نفوسُهم في الدنيا عن المعاصي والآثام، فاستحقُّوا فيها الرفعة والعلو.

﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ ﴾

• نزَّه الله جنَّته عن اللغو والعبث؛ إكرامًا لأهلها الذين شغلوا أعمارَهم بالحقِّ والجِدِّ، مترفِّعين عن اللغو والأباطيل.

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾

• عيون الدنيا مآلها إلى نضُوبٍ وجفاف، أمَّا عيونُ الجنان فماؤها عذبٌ وافر لا ينضُب ولا يجف، ولمثل هذا فليعمَل العاملون.

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾

• لمَّا كانت النفوسُ مجبولةً على حبِّ المتاع والأثاث، أعدَّ الله للمؤمنين في الجنَّة منه أنفسَه وأكملَه وأشرفَه.

﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾

وَنَمَارِقُ: وَسائِد.

وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ: بُسُطٌ كثيرةٌ مفروشة.

• يرغب الناسُ بطبيعتهم في التنوُّع، فجعل الله للمُحسنين في جنَّاته من ألوانِ النعيم؛ من بسُطٍ وأرائكَ ونمارقَ وكلِّ ما يحبُّون.

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾

• دعاهم الله إلى تأمُّل ألصق الكائنات ببيئتهم؛ ليقفوا على ما فيها من بديع صُنعِه، وفي هذا لفتٌ للمربِّين والدعاة إلى أهميَّة ضرب الأمثال المحسوسة في تقريب المعاني.

﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ ﴾

• ما أكثرَ البدائعَ في السماء، ولكنَّ الله أمرنا بالتفكُّر في رفعها من غير عمَدٍ على عِظَمها واتِّساعها؛ للوقوف على كمال تدبيره سبحانه.

﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ ﴾

• حين ينظر المرء إلى عظيم خَلق الله نظرةَ تفكُّرٍ وتأمُّل، يتملَّكه شعورٌ بضآلته وضعفه، فيتواضع لله ربِّه، ولا يتعالى على أحدٍ من خَلقه.

﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾

• هذه الأرض قد بسطَها الله ومهَّدها لأجلك أيها الإنسانُ، فإيَّاك أن تقابلَ نعمته بالجحود والكُفران.

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

• ليس لك أيها الداعيةُ إكراهُ الناس على الإيمان، وما عليك إلا أن تعِظ وتنصح، والله تعالى هو الهادي إلى سَواء السَّبيل.

• يقينُ الداعية والمربِّي أن الهداية بيد الله وحدَه يسلِّيه ويُذهب عنه الضِّيق من إعراض الناس عن دعوته.

﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾

• الإعراض عن الحقِّ والتولِّي عنه والهرَب منه يُفضي إلى الضَّلال والكفر، والسعيد مَن أقبل على الحقِّ بقلبه قبل جوارحه.

﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾

• اعملوا ليوم الإيابْ، فما منكم من أحدٍ إلا وسيكلِّمُه اللهُ يومَ الحساب، ليس بين الله وبينه ترجُمان، فمَن استطاع أن يتَّقيَ النارَ ولو بكلمةٍ طيِّبة فليفعل.

سُورَةُ الفَجْرِ

﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ ﴾

• أقسم الله بالفجر في سياق القسَم بأزمانٍ فاضلة؛ بيانًا لفضل الفجر وبركته، فلنحرص على اغتنام بركاته؛ ﴿وقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفجرِ كانَ مَشهُودًا﴾.

﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ ﴾

وَلَيَالٍ عَشْرٍ: قسَمٌ بعَشرِ ذي الحِجَّةِ الأُوَل، أو العَشرِ الأواخرِ من رمضان.

وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ: قسَمٌ بكُلِّ زَوجٍ وفَرد.

• هي عَشرُ ليالٍ ليس غير، ولكنَّها تعدِل الكثيرَ الغفير، فالعبرة ليست بالعدَد، ولكن بما يجعل الله فيها من خيرٍ وبركة.

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ ﴾

• لا تيئسْ من رحمة الله، فإنها آتيةٌ لا مَحالة، وهذا الليلُ مهما اشتدَّ ظلامُه، وتطاولت آمادُه، فإنه سائرٌ زائل، وسيعقُبه ضياءٌ غامر.

﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ ﴾

لِّذِي حِجْرٍ: لصاحبِ عَقل.

• وهل ينتفع بالقرآن وآياته إلَّا من يتدبَّره بعقله ويتبصَّر فيه بلُبِّه؟ فما أجدرَنا أن نُعمِلَ عقولنا فيه تأمُّلًا وتفكُّرًا.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾

• قد تملك أُمَّةٌ القوَّةَ والحضارة والبنيان، فيكونُ كلُّ ذلك وَبالًا عليها لا خيرًا لها، فالعبرة بحُسن الاستعمال والتوظيف مع حُسن التصوُّر والتفكُّر.

﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ ﴾

جَابُوا۟: قطَعوا.

• القدرة على تطويع الأرض بالأدوات والتِّقنيَات لا تمنح الأممَ الحصانةَ من الهلاك والفناء، إنما تَحمي الأممُ بالتَّوحيد والعدل.

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾

• لقد كان لفرعونَ أوتادٌ راسخة تثبِّت حُكمَه، فهل أغنَت عنه شيئًا حين حلَّ به الهلاكُ والغرَق؟

• الطُّغيان والعتوُّ في الأرض والإفسادُ فيها سببُ الزَّوال والذهاب، وحلول الدَّمار والعذاب، أجارنا الله من ذلك.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾

• سنَّة الله تعالى واحدةٌ في المكذِّبين لرسُله، الظالمين لعباده؛ فهو راصدٌ لأعمالهم، مراقبٌ لأفعالهم، وسيَجزيهم عن سيِّئها بما يستحقُّون من عذاب بئيس.

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾

فَقَدَرَ: فضيَّق.

• بسطُ الرزق وتقتيره كلاهما ابتلاءٌ من الله تعالى لعباده؛ ففي الأوَّل اختبارٌ للشُّكر، وفي الثاني اختبارٌ للصَّبر؛ ﴿ونَبلُوكُم بالشَّرِّ والخيرِ فِتنةً وإلينا تُرجَعُون﴾.

• لا تفسِّر ما يُصيبك من آلامٍ وأحزان ومرض وفقر بأنه إهانةٌ من الله لك، ولكنَّه اختبارٌ كاختبار الغِنى، فيا فوزَ الناجحين.

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾

• وقوف همَّة العبد عند مُراد نفسه دليلُ أنانيَّته وانحطاط عزيمته، أمَّا النفوسُ الكبيرة فيتجاوز اهتمامُها الذاتَ إلى أحوال الضُّعفاء والمحتاجين.

• لو أنَّ كلَّ مسلم لم يكتفِ بفعل الخير حتى يحثَّ إخوانَه وأهليه على التَّراحُم، لباتَت أمَّتُنا جسدًا واحدًا، ليس فيها كسيرٌ ولا محتاج.

الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ — سُورَةُ الفَجْرِ

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾
هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾
إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ
جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى
ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ
رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ
فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ
ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ
ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا
دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

٥٩٣

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾

ٱلتُّرَاثَ: الميراث.

لَّمًّا: شَديدًا.

• صفتان ذميمتان من علامات فساد القلب: الإفراطُ في حبِّ الدنيا والمال، وعدمُ المبالاة من حلالٍ أتى أو من حرام!

• معرفة الدَّاء يُعين على اختيار الدَّواء، فإذا علمتَ أيها العبدُ أن حبَّ المال جِبِلَّةٌ فيك، أحسنتَ كبحَ جماحه قبل أن تطغى به وتهلِك.

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾

• من أعظم ما يحمل المرءَ على الزهد في الدنيا وترك الاغترار بها استحضارُ مَصيرها المحتوم، وهو الخَراب والزَّوال.

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾

وَجَآءَ رَبُّكَ: وجاءَ رَبُّكَ لفَصلِ القَضاءِ بين العِبادِ مَجيئًا يَليقُ بجَلالِه.

• إن يقينك أيها العبدُ بمجيء الملك الجبَّار يوم القيامة للحساب، يدعوك إلى الاستعدادِ لذلك اللقاء، بكثرة الطَّاعات، والرغبة في الدَّار الآخرة.

وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ
لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ
لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا
ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨
فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠

سُورَةُ البَلَدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٦٠

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ
٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ
أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ
ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢
فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ
١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ
بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨

٥٩٤

﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾

• تفكَّر أيها المؤمنُ في هذا المشهد الحقِّ؛ واعمل ألَّا تكونَ فيه من النَّادمين، الذين يتمنَّون أن يُرجَعوا إلى الدنيا ليُصلحوا، ولكن هيهات.

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾

• الحياة الحقيقيَّة هي حياةُ الآخرة، والعاقل مَن عمل لها لا لسواها؛ فإن استقام على شرع الله فقد فاز بخيرَي الدَّارين، ويا له من فوز!

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦﴾

• لو أنَّ عذاب الدنيا بأسره اجتمع على إنسانٍ واحد لم يبلُغ في الإيلام مبلغَ رؤية جهنَّمَ وهي تفور وتضطرِم، فهل من عذابٍ أشدُّ من عذابِ الله؟

• كلُّ ألمٍ يألَمُه المسلمُ في سبيل الله، وكلُّ نصَبٍ يُصيبه، ليس بشيءٍ أمام لحظةِ عذابٍ وإذلالٍ من الله لأهل معصيته، أجارنا الباري من خِزيِ يومئذ.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾

• حين تستوي مشاعرُ العبد في الشدَّة والرَّخاء، والفقر والغِنى، والخوف والأمن؛ ثقةً بالله ويقينًا بفضله، فتلك مرتبةُ الطُّمأنينة، ولا يبلغها إلا من كان لها أهلًا.

• عمل القلوب أشرفُ الأعمال، ومن شرفِ المؤمن في الدنيا يقينُه بوعد ربِّه، وطُمأنينتُه بالإيمان به، وفي الآخرة تُنادَى نفسُه بأشرف نداء.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾

• أبلغ الأُنس اجتماعُ الأرواح المؤتلفة والقلوب المتحابَّة، ومن هنا أُدخل المؤمنون الجنَّةَ زُمَرًا، ليسعدَ كلٌّ بإخوانه، وهذا من تمام التكريم.

• أيتها النفسُ كلَّما أوهنَك التعب، وأوجعك الألم، تصبَّري بتذكُّر لحظةٍ يقول لك فيها ربُّك: ادخلي جنَّتي.

سُورَةُ البَلَدِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢﴾

• أقسم الله بمكَّة تعظيمًا لشأنها، وكيف لا يكون عظيمًا مكانٌ انبثق منه نورُ الإسلام، ورُفع فيه البيتُ الحرام، وخرج منه رسولُ السَّلام؟

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣﴾

• في ذكر الوالد والولد تنبيهٌ على أهميَّة بِرِّ الآباء بأولادهم بحُسن تنشئتهم على الدِّين القويم، وبِرِّ الأولاد بالآباء الذين هم سببُ وجودهم وبابُهم الذي يَلِجون منه إلى الجنَّة.

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤﴾

• الدنيا دارُ ابتلاءٍ واختبار، وعلى المسلم أن يوطِّنَ نفسَه على الصبر على لَأوائها، وتحمُّل مَصاعبها، قابضًا على دينه كما يُقبَض على الجمر.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥﴾

• جرأة العبد على المعاصي وإسرافُه في الآثام علامةٌ على غَفلته عن قدرة الله عليه، فمَن استحضر قدرةَ الجبَّار انزجرَ وانتهى.

﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦﴾

• إنفاق المال في الشَّهوات والمعاصي إتلافٌ له وإهلاك؛ لأنه لا يرجع على صاحبه إلا بالنَّدامة والخسار.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧﴾

• كم من قلوبٍ تعافَت حين تدبَّرت هذه الآيةَ من ذنوب الخَلَوات، وبرئت من آثار المُنكرات.

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩﴾

• كلُّ طَرفة عينٍ تَطرِفُها، وكلُّ إطباق شفاهٍ تُطبقها، تذكِّرك أيها الإنسانُ بعظيم نِعَم الله عليك، ولا يجحَدُها إلا كَفورٌ كَنود.

﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾

• آتاك الله أيها الإنسانُ قدرةً فِطريَّة على تمييز الحقِّ من الباطل، وإنما تضعُف هذه القدرةُ وتتلاشى بمُكابرة الحقِّ وجَحد البراهين.

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢﴾

فَلَا ٱقۡتَحَمَ: فهلَّا تجاوَز.

• العقَبة الكؤودُ تتطلَّب همَّةً عالية لاقتحامها، فتسلَّح بالهمَّة وصدق الرَّغبة، وسماحة النفس وكرم اليد، لتبلغَ قمَّة الطاعة.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣﴾

• ترغِّب شريعة الإسلام في إعتاق الرِّقاب المملوكة؛ تحريرًا للبشر من رِبقة العبوديَّة لغير الله؛ لئلَّا يخضعوا لغير سُلطانه.

﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤﴾

• على المِحَكِّ تظهر معادنُ الرجال، وفي زمن القَحط والجَدب يزداد الشحُّ والبُخل، فلا يجود بماله حينئذٍ إلا سخيٌّ كريمٌ يؤثر الآخرةَ على الدنيا.

﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦﴾

• لو أنَّ كلَّ مُقتدرٍ تكفَّل بأهل قرابته من المحتاجين، لما اضطُرَّ يتيمٌ ولا فقيرٌ أن يُريقَ ماء وجهه في تكفُّف الأبعَدين.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧﴾

• مدارُ أمر الطَّاعات على أصلَين جليلَين؛ تعظيمِ أمر الله تعالى والتَّواصي بالصبر عليه، والشَّفقةِ على الضُّعفاء والتَّواصي برحمتهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨﴾

• الإحسان إلى خَلق الله بابٌ عظيم من أبواب الفلاح في الدنيا والآخرة، وبمقدار إحسانك يكون قربُك من السُّعداء أهل اليمين.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ ﴾

• الشؤم وانقطاع البركة ليس فيما يتوهَّمه الإنسانُ من أسباب، ولكنَّه يحصل بالكفر والشِّرك والعصيان.

﴿ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠ ﴾

• إذا كان الإنسانُ في شدَّة الحرِّ لا يُطيق البقاءَ في سيَّارةٍ مغلقةٍ لا تكييفَ فيها بضعَ دقائق، فكيف يتحمَّل نارًا شديدة الحرِّ، لا سبيلَ إلى الخروج منها؟!

سُورَةُ الشَّمْسِ

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ ﴾

• لا يكاد المرءُ يفقد شيئًا في هذه الحياة إلَّا ويجعل الله له في غيره سَلوةً وعِوضًا، كضوء النهار إذا رحل اعتاضَ عنه الناس بنور القمر.

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ ﴾

• تكرار القسَم بالزَّمن مرَّة بعد كرَّة، دليلُ أهميَّته وعِظَم شأنه، والناجحون في الحياة هم الذين يستثمرون أوقاتهم في الارتقاء بأنفسِهم وقدراتهم.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ ﴾

• إن غِشايةَ ظُلمة الليل للأرض دليلٌ على ربوبيَّة الله وكمال قدرته وتصرُّفه، فإن تدبيره للكون لا يُطيق أحدٌ تغييره.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ ﴾

• كلُّ بناءٍ شاهق مرتفع، وكلُّ صَرحٍ ممرَّد عظيم ليس بشيءٍ أمام بناء السماء، إنه صُنعُ الله، ومَن أحسنُ من الله صُنعًا؟!

• كلَّما خطوتَ على الأرض خَطوةً تذكَّر فضلَ الله عليك وعلى سائر عباده؛ إذ بسَطَ لهم الأرضَ ومهَّدها لمعاشهم ومصالحهم.

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ ﴾

• لولا النفسُ التي بين جوانح الإنسان لكان الجسدُ صورةً لا فائدةَ منها، ولا حياة فيها، ولكنَّ النفس آيةٌ كبرى من آيات الله فينا، فما أحرانا أن نُصلحَها ونزكِّيَها.

• ما من إنسانٍ إلَّا وفي أعماق فِطرته إلهامٌ يُريه طريقَ الخير والشرِّ، ويُعينه على التمييز بين الحقِّ والباطل، والأهمُّ أن ينقادَ له ولا يفرَّ منه.

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾

• لو أنَّ شخصًا ثقة أقسم قسَمًا لصدَّقناه، وإنَّ ربَّنا بجلاله قد أقسم أحدَ عشرَ قسَمًا أنَّ الفلاح والنجاح لمَن طهَّر نفسَه من المعاصي وزكَّاها بالطَّاعات، أفلا نكون منهم؟!

• إنَّ الخيبة والإخفاق حليفان لكلِّ مَن حقَّر نفسَه وحجَبَها عن ضياء الوحي ونور الحقِّ، بإقامته على المعاصي واستمرائه الآثام.

﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ ﴾

• جحود الألوهيَّة ليس لبراهينَ عقليَّة، ولكنَّه بسبب الطُّغيان والظُّلم، وهو ما أهلك ثمودَ من قبلُ، وسيُهلك مَن سار سيرتَها من بعدُ.

• المبادرون إلى مشاريع الإفساد والتضليل هم أكثرُ الخلق شقاءً وخسرانًا، قطع الله دابرَهم.

﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ ﴾

نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا : احذَروا ناقة الله أن تمَسُّوها بسُوء، وأن تعتدُوا على سَقيها.

• مهما عظمت الآيات فإنها لا تنفع القلوبَ المنكوسة المتنكِّرة لفِطرتها، كفعل ثمودَ بالناقة التي أخرجها الله لهم من الصَّخرة الصمَّاء معجزةً وبرهانًا.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ ﴾

فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم : فأطبَق عليهم ربُّهم العُقوبة.

• إن الله لا يظلم عبادَه شيئًا، ولكنَّهم يظلمون أنفسَهم بذنوبهم وجحودهم؛ ﴿ظَهَرَ الفَسادُ في البَرِّ والبَحرِ بما كَسَبَت أيدي النَّاسِ لِيُذيقَهُم بعضَ الَّذي عَمِلُوا﴾.

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥ ﴾

• كيف يخشى اللهُ عاقبةَ قضائه وهو القهَّار الذي لا يُغالَب، والقويُّ الذي لا يُحارَب؟! والأَولى بنا أن نتَّقيَ سَخَطَه، ونجتنبَ غضبَه، بالإيمان والعمل الصالح.

سُورَةُ اللَّيْلِ

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ ﴾

• القسَم بالليل والنهار يَلفِتُ قلبَ المؤمن إلى انتظام آيات الله تعالى في كونه، فيزيدُه خضوعًا، ولجنابه خشوعًا.

﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ ﴾

• في خَلق الزَّوجين كثيرٌ من أدلَّة عظمة الله تعالى وظهور قدرته وحكمته، فبهما تتكامل الحياة، وتتوالد الأجناسُ وتبقى.

الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ — سُورَةُ الشَّمْسِ

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا
٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا طَحَىٰهَا ٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا
١٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ
رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ
عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣
إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩

٥٩٥

﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ ﴾

• يتباين سعيُ الناس في حياتهِمْ، بحسَب مقاصدهم ونيَّاتهِمْ، فمَن عمل لله كما أمر فهو المأجورُ المقبول، ومَن خالف ذلك فلا قيمةَ لسعيه ولا قَبول لعمله.

﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ ﴾

• تضمَّنت هذه الكلماتُ الثلاث مراتبَ الدِّين جميعًا، فالإعطاء فعلُ المأمور، والتقوى تركُ المحظور، والتصديق بالحسنى تصديقٌ ويقين، فانتظم ذلك كلَّ الدِّين.

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ ﴾

• وهل بعد هذا من مَطمَعٍ للعبد؛ أن يُيسَّر لأيسر السبُل الموصلة إلى رضا الله والفلاح في الدنيا والآخرة؟

﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ ﴾

• البخل خَصلةٌ مذمومة أيًّا كانت صورتُه، وهو يحمل صاحبَه على الاستغناء عن جزاء الله تعالى تكبُّرًا وغرورًا.

• منع الموجودُ من سوء الظنِّ بالمعبودْ، فلمَّا كذَّب المكذِّبون بجزاء ربِّهم وبخلَفه عليهم أمسكوا عن البذل، وبخلوا بالعطاء.

فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ
تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ
﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾
وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٦٠
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾

٥٩٦

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾

• سيأتي يومٌ يعلم فيه من بخل بماله أنه لن يدفعَ عنه ضُرًّا ولن يجلبَ له نفعًا، ولكن حين لا ينفعُه علمٌ ولا يُغني عنه عمل، فهلَّا كان قبلُ!

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾

• تولَّى الله هداية خلقه بأن بيَّن لهم كلَّ ما يلزمهم في العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق، فيا خيبةَ من حاد عن هُداه.

• أيها المسلمُ، علِّق قلبك بربِّك ولا تعلِّقه بسواه، موقنًا أنه سبحانه له وحدَه ملكُ الآخرة والأولى، ولن يُنجيَك إلا رضاه.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾

• من واسع فضل الله على خلقه ولطفه بهم أنه لا يأخذُهم بذنوبهم حتى يحذِّرَهم وينذرَهم من مواطن الهلكة والضَّلال.

• الشقاء الحقيقيُّ والأكبر في دخول النار، أمَّا ما تجده في حياتك من تعَبٍ أو نصَب أو فقر أو جزَع أو علَّة أو مرض، فقد يكون سببًا في دخولك الجنَّة إن صبَرت واحتسَبت.

• بقدر التصديق والإيمان، تكون السعادة والرضوان، أمَّا التكذيبُ والكُفران، فعاقبتُه الخيبة والخُسران، تلكم هي قضيَّة القضايا في القرآن.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾

• إقبالك على الطَّاعات أيها العبدُ إنما هو توفيقٌ من الله لك، وفضلٌ منه عليك، فاشكُر الله دومًا على نعمائه، وهل من نعمةٍ تعدل الهداية والاستقامة؟

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾

• لا شيء يزكِّي النفسَ ويرتقي بها مثلُ الكرم والسَّخاء، واعتياد البذل والعطاء، ففيها قطعٌ للنفس عن عَلائق الأرض ووصلٌ لها بعوالي السَّماء.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾

• أحسنُ العطايا ما أُريد بها وجهُ الله تعالى، لا رضا مخلوق، ولا ردُّ جميل، ولا رجاءُ خيرٍ من أحد.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

• عند الصدقة جرِّد قلبك من كلِّ نيَّةٍ دنيويَّة، وارتَقِ إلى قصد رضا ربِّك الأعلى، فمَن كان مع الأعلى عزَّ وفاز وعلا.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

• ما أرضى عبدٌ ربَّه بتقواه وعطائه لخلقه إلَّا كافأه الله بالرِّضا أضعافَ ما كان يؤمِّل ويرجو.

• لم يعرف تاريخُ البشر أعظمَ عطاءً من أبي بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه، وقد زكَّاه القرآن تزكيةً باقية إلى يوم القيامة، وخاب وخسر من انتقصَه أو أساء إليه.

سُورَةُ الضُّحَىٰ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾

سَجَىٰ: غطَّى الكونَ بظلامِه، وسكَن.

وَمَا قَلَىٰ: وما أبغضَك.

• هي تسليةٌ للنبيِّ ﷺ؛ أن الله هو مربِّيك، وهو كافلك وراعيك، ولن يدعَك أو يجفوَك، فأحسن الظنَّ دومًا بربِّك تجده عند ظنِّك.

﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾

• بشرى لرسول الله ﷺ؛ أن الله مدَّخرٌ له من الخيرات أضعافَ ما آتاه في الدنيا من نعيم الطاعة، ولذَّة العبادة.

• اجعل الآخرة همَّك ومَطمحَك يكفِك الله همَّ الدنيا، ويجعل غناكَ في قلبك، ويؤتِكَ من خيرَي الدنيا والآخرة.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾

• كم من العطاءات التي منحَها الله سبحانه لنبيِّه ﷺ؛ تشمل ما يرجوه لنفسه ولأمَّته، وهي عطاءاتٌ تنتظر كلَّ مسلمٍ التزم منهجَه، واقتفى أثرَه.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾﴾

• لا تبتئس أيها اليتيمُ، أفلا يرضيك أن يكونَ الله كفيلًا لك راعيًا لشؤونك، كما كان لنبيِّه اليتيم مُؤويًا ومُعينًا؟ فتوكَّل عليه وحدَه، وهو حسبُك ونعمَ الوكيل.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾

• الهداية بعد الحيرة، والإيمان بعد الكفر لا تعدلهما منَّة ونعمة، فلنحمَد الله عليهما، ولنسأله الثبات وحسنَ الختام.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

• إذا ما تحقَّق العبد أن الله وحدَه هو المعطي المانع، رضيَ بقضائه، وشكرَه على نَعمائِه، وفزع إليه في كشف ضرَّائِه، وهذا جوهرُ غنى القلب.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾

• عن قتادة قال: كن لليتيم كأبٍ رحيم؛ {فأمَّا اليَتيمَ فلا تقهَر}، وردَّ السائلَ برحمةٍ ولين؛ {وأمَّا السَّائلَ فلا تنهَر}.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

• بين الإعلانِ بالعمل تحدُّثًا بنِعَم الله، والإعلانِ به غرورًا ورياءً فرقٌ رقيق دقيق، ينبغي مراعاتُه، والاحتراس من تجاوزه وتخطِّيه.

• التحدُّث بنِعَم الله من دواعي شُكرها، وموجبات تحبيب القلوب بمَن أنعم بها، فإنَّ القلوب مجبولةٌ على حبِّ مَن أحسن إليها.

سُورَةُ الشَّرْحِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾

• أوَّل ما يحتاج إليه الداعيةُ في دعوته انشراحُ صدره؛ ولذلك كان أولُ دعاء موسى عليه السلام قبل انطلاقه لتبليغ رسالته: {قالَ رَبِّ اشرَح لي صَدري}.

• بدأت السُّورة بذكر أعظم النِّعَم وهي انشراحُ الصَّدر، وستُختَم بأهمِّ أسباب انشراحه وهو التفرُّغ لعبادة الله وطاعته.

الجزء الثلاثون | سورة التين

ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾
إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

سُورَةُ التِّين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَلَق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ
وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ
﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾

٥٩٧

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾

• المعاصي أثقالٌ على الصدر لا تُطاق، ومن ثَمَّ كان من جليل المِنَن وضعُ هذه الأثقال عن العبد ليستريحَ من أعبائها، وقد فاز من خفَّ وِزرُه، جعلَنا الله منهم.

• العبد الصالح يرى تقصيرَه في شكر أنعُم الله ذنوبًا تثقل الكاهل، والعبد الغافل اللاهي يجترح الكبائرَ ولا تهتزُّ له شعرة!

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾

• عن قَتادة قال: رفع الله ذكرَ نبيِّه في الدنيا والآخرة، فليس خطيبٌ ولا متشهِّد ولا صاحبُ صلاة إلا ينادي (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمَّدًا رسول الله).

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾

• ابحث دومًا عن المِنَح المَخفيَّة في تلافيف المِحَن، واستخلص من العقَبات العسيرة دروسًا في التفاؤل والأمَل، فما كان عُسرٌ إلا صاحبَه يُسر.

• مَن وَثِق بوعد ربِّه كان شجاعًا مقدامًا، لا يتهيَّب الصِّعابَ ولا يخشى الشدائد، فما أصاب امرأً همٌّ ولا غمٌّ إلا أعقبَه فرَجٌ مضاعف.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾

• هي دعوةٌ لاستثمار الوقت، فلا تركَن إلى الدَّعة والكسَل، وإذا فرغتَ من عملٍ نافع مفيد فأتبعه بمثلِه، فإنك يوم القيامة مسؤولٌ عن عمُرك فيمَ أفنيتَه؟

• اجعل رغبتَك إلى الله تعالى وحدَه في جميع مطالبك الدنيويَّة والأخرويَّة، وترفَّع ما استطعتَ عمَّا في أيدي الناس، واستغنِ عن غير ربِّك.

سُورَةُ التِّين

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾

• جعل الله مكَّة بلدةَ أمنٍ وأمان؛ {أوَلم يَرَوا أنَّا جعَلنا حَرَمًا آمِنًا}، فحريٌّ بنا أن نحافظ على حُرمتها بدوام الأمن فيها.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾

• إنها عنايةُ الله بالإنسان في تكوينه الجسمانيِّ البديع، والعقليِّ الفريد، والروحيِّ العجيب، ومن شُكر الله على هذه النِّعَم تسخيرُها فيما يُرضيه.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾

• مَن رضي لنفسه في الدنيا أسافلَ الأمور بمخالفة الفِطرة وجحود يدِ المنعم، جعله الله يوم القيامة في أسفل دركات الجحيم؛ جزاء وِفاقًا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾

• يقولون: قيمة المرء ما يُحسن، نعم هذا في الدنيا، أمَّا في الآخرة فقيمةُ المرء بإيمانه وصدق يقينه، وبإخلاصه في الطَّاعات، وإكثاره من الصَّالحات.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾﴾

• أيُّ شيء يحملك أيها الإنسان على التكذيب بالحساب والجزاء؛ وقد خلقك الله في أحسن تقويم، وأراك من عجيب صُنعِه، وعظيم قدرتِه؟!

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

• تشبَّث أيها المسلم بدين ربِّك، فإنَّ أحكم الحاكمين أدرى بما يُصلحك وما فيه خيرُك، فلا تحِد عنه فتهلك.

سُورَةُ العَلَق

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾

• الصِّلة بين الدِّين والعلم وثيقةٌ جدًّا، كيف لا وأوَّل آيةٍ أُنزلت على سيِّد الأنام تدعو إلى القراءة والعلم؟ أمَّا انفصالُ العلم عن الدِّين فإنَّ ذلك طريقُ المغضوب عليهم، وأمَّا انفصالُ الدِّين عن العلم فذلك طريقُ الضَّالِّين؟

• افتُتحَت السورة بالأمر بالقراءة باسم الله، وخُتمت بالأمر بالسُّجود؛ لأنَّ القراءة مفتاحُ الوصول إلى حقيقة الخالق وعبادته.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾

• إن الذي خلقك من عَلَقةٍ صغيرة، ثم كمَّلك صورةً وخِلقة، هو الذي يأمرك أن تقرأ لتكتملَ عقلًا وعلمًا.

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

• ذكرُ الكرم الربَّانيِّ إشارةٌ لطالب العلم أنَّ الله سيُعينه ويذلِّل له العقَباتِ في طريق التعلُّم، وما عليه إلا أن ينطلق، وسيُفاجأ بعد ذلك بروعة النتائج.

• إذا وضعتَ القلمَ على القِرطاس فنتجَ منهما أصنافُ العلوم، فتأمَّل مَن الذي أجرى المعانيَ على قلبك، وأجرى العباراتِ الدالَّة عليها على لسانك وبنانك؟!

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾

• الطُّغيان مذمومٌ في كلِّ شيءٍ حتى في العلم، فإذا انفصل العلم عن القِيَم والأخلاق عاد وَبالًا وفسادًا.

• الشعور بالاستغناء بالعلم يحمل صاحبَه على الكِبْر والعُجب المُفضِيان إلى الظُّلم، والغرب أكبرُ شاهدٍ على الطُّغيان بالعلم في عصرنا هذا!

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾

• هو تحذيرٌ صريح لكلِّ مَن أطغاه ماله أو علمه أو منصبه؛ إنَّ مرجعَك ومآلك شئتَ أو لم تشأ إنما هو إلى الله، وهَيهاتَ أن تفرَّ من قضائه.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾

• أشدُّ الناس حُمقًا مَن يأمر وينهى، ظانًّا أن على الناس ألَّا يرَوا إلَّا ما يرى، فيتجاسرُ بالنهي عن طاعة الله وعبادته!

• أعظم شرفٍ يتشرَّف به المؤمنُ أن يكونَ عبدًا لله مخلصًا، كما كان نبيُّه ﷺ عنوانًا للعبد الكامل في الخضوع لربِّه والإخبات لجلاله.

أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ
لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧
سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩ سجدة

سورة القدر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢
لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا
بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥

سورة البينة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ
تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ
قَيِّمَةٞ ٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ
ٱلۡبَيِّنَةُ ٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥

٥٩٨

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾

• لم يبدأ اللهُ المكذِّبَ بالحقِّ المتولِّيَ عن الصِّدق بالتهديد والوعيد، ولكنَّه مهَّد له بالتذكير باطِّلاع الله عليه، عساه إلى الصَّواب أن يرجع.

• سواءٌ عليكم أيها الكفَّار؛ آذيتُم المؤمنين وصددتُموهم عن الحقِّ أم اكتفيتُم بالتولِّي والتكذيب، إن الله مطَّلعٌ عليكم ومجازيكم بكفركم.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦﴾

لَنَسۡفَعَۢا: لَنأخُذَنَّه أخذًا عنيفًا.

بِٱلنَّاصِيَةِ: بمُقدَّمِ رأسِه.

• إنك لتَلمِسُ رحمةَ الله ولطفَه حتى عند تهديده لأعدى أعدائه من الطُّغاة المتجبِّرين، فكيف رحمتُه بعباده الصَّالحين المتَّقين؟

﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾

ٱلزَّبَانِيَةَ: ملائكةَ العذاب.

• أرأيتُم إلى هذا التحدِّي الصَّريح لأبي جهل ومن سار سيرتَه من عُتاة المشركين؟ إنه تحدٍّ قائمٌ لكلِّ الطغاة في كلِّ زمان ومكان؛ لن تغنيَ عنكم جنودُكم وقوَّتكم فتيلًا!

﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾

• قال رسولُ الله ﷺ: (أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فأكثِروا من الدعاء). قال مجاهد: ألا تسمعونه يقول: {واسجُد واقترِب}؟

• في معركتك أيها المسلمُ مع الأعداء، إيَّاك أن تلينَ لك قناةٌ فتطيعَهم، وما عليك إلا أن تزدادَ لربِّك طاعةً ومنه قربًا، فهو حسبُك ونعمَ الوكيل.

سورة القدر

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾

• ما كان اللهُ لينسُبَ إنزالَ القرآن إليه إلا لبيان عظمة ما اشتمل عليه من الحقِّ والهُدى، وما بلغه من تمام الشَّرف والرِّفعة، وقد أفلح من استمسك به.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾

• ليلةٌ واحدة فاقت في الخيريَّة ألفَ شهر كاملًا، فالعِبرة ليست بطول الأعمار، ولكن بالبركة وحُسن الأعمال.

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾

وَٱلرُّوحُ: جبريلُ عليه السلام.

أَمۡرٖ: قضاءٍ قدَّرَه اللهُ في تلك السَّنة.

• يا له من ترغيبٍ في الطَّاعة! فإنَّ الإنسان ينشَط بالطَّاعات عند حضور الأكابر من العلماء والزهَّاد، فما بالك بالملأ العلويِّ وعلى رأسهم أمينُ الوحي عليه السَّلام؟

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾

• ليلة القدر هي ليلةُ السَّلام والأمان، لكثرة السَّلامة فيها من العقاب والعذاب، كِفاءَ ما يقوم به العبادُ من طاعات، فلا غضبَ فيها ولا انتقام.

سورة البينة

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١﴾

• قدَّم ذكرَ أهل الكتاب على ذكر المشركين؛ لأنهم أهلُ علم ومعرفة، والحُجَّة عليهم أشدُّ، والفتنة بكفرهم أعظم.

• خطأ العالم أولى بالمذمَّة من خطأ الجاهل؛ لأنه أقدرُ منه على تبيُّن الحقِّ ومَيْزِه من الباطل، وهو لغيره قدوةٌ وأسوة.

﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢﴾

• هذا رسولكم أيها المسلمون، جعله الله حُجَّةً واضحةً على العالمين، فحذارِ أن تحيدوا عن صراطِه، فإنكم أولى الناس به وبرسالتِه.

• حريٌّ بنا أن نُقبلَ على كتاب ربِّنا تلاوةً وفهمًا وتدبُّرًا وحفظًا، فهو كتابٌ عظيم طهَّره الله من الكذب والباطل، ومن التحريف والتبديل.

﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣﴾

• من تطهير الله لكتابه أن جعله أخبارًا صادقة، وأحكامًا عادلة، وحُججًا بيِّنات، وآياتٍ واضحات، فيا خُسرَ من اتَّخذَ هذا القرآنَ مهجورًا!

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ٤﴾

• إقامة الحُجج الساطعاتُ، والبيِّنات الواضحاتُ، يقتضي الاجتماعَ على الحقِّ لا التفرُّق فيه، ولكن {وما تفرَّقوا إلَّا من بعدِ ما جاءَهُم العلمُ بَغيًا بينهُم}.

• أيها المؤمنون، احذروا سلوكَ سبيل الكفَّار من أهلِ الكتاب؛ من الاختلاف والتفرُّق على ما أُرسل إليهم من بيِّنات، فإنَّ عاقبة الاختلاف شرٌّ مُستطير.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾

دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ: دينُ الاستقامة.

• إقامة الصَّلاة بإحضارِ القلب هيبةَ المعبود، وترويضِه بالخشوع والقُنوت، لا أن تكونَ مجرَّدَ حركاتٍ ظاهرة، فإنَّ ذلك ليس من الصَّلاة في شيء.

• هذه هي زُبدة الدَّعَوات، وغاية الشَّرائع والرسالات؛ إفرادُ الله وحدَه بالعبادات، والإخلاصُ له في الطَّاعات، فيا فوزَ من عرَف فلزِم.

• لا أقْوَمَ من شريعة الله تعالى؛ فهي صراطُ الله المستقيم، وحبله القويُّ المتين، مَن تمسَّك بها هُدي وأفلح، ومَن أعرض عنها شَقي وهلك.

• إن أردتَ بلوغَ التوحيد الخالص فاستقِم كما أُمرت؛ بإقامة الصَّلاة المكتوبة، وأداء الزكاة المفروضة، واجتناب الرِّياء والنفاق.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢ وَقَالَ
ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا
٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ٦ فَمَن يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ٨

سُورَةُ العَادِيَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ
صُبْحًا ٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ٥

٥٩٩

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ٦﴾

• اعلم أن وعيدَ علماء السُّوء أعظمُ من وعيد كلِّ أحد؛ لأنَّ الجحود والكِبْر مع العلم يجعله كفرَ عناد، فيكون أقبحَ وأشنع، وكذلك الضَّلال على علم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ٧﴾

• باب الخيريَّة مفتوحٌ على مِصراعَيه، فأين الوالجون؟ هلَّا جمعتَ إلى صدق إيمانك، وثبات يقينك، حُسنَ القول والعمل، لتكونَ منهم!

• الإيمان يرفع صاحبَه إلى أعلى درجات العزِّ والمجد، وهو المعيار الحقيقيُّ لتصنيف الناس بين صالحٍ وطالح، ومحسنٍ ومسيء.

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾

عَدْنٍ: إقامةٍ واستِقرار.

• لولا الخشيةُ لم يترك العبد المناهيَ والمعاصي، ولا استعدَّ ليومٍ يؤخَذ فيه بالنَّواصي، فهي مِلاكُ السعادة الأبديَّة، وقِوامُ الفوز بالرتب العليَّة.

• إذا أردتَ أن تغمُرَ نفسَك الطُّمأنينةُ فارضَ عن قدَر الله فيها، وعن إنعامه عليها، فكيف تتجاسَرُ بطلب الرِّضا عنك، وأنت لا ترضى عنه؟!

• رضُوا عن ربِّهم فيما شَرَع لهم وقضى، مُذعِنين لأمره، مسلِّمين لقضائه، فقَبِلَ منهم ورضيَ عنهم، وبوَّأهم مقاعدَ الخلود في جنَّات النعيم.

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢﴾

أَثْقَالَهَا: ما في بطنِها منَ الموتى والكنُوز.

• في اليوم العصيب تُلقي الأرضُ ما في بطنها وتتخلَّى، فلا يبقى مخبوءٌ فيها ولا في صدور الناس، فهنيئًا لمَن كان باطنه خيرًا من ظاهره.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ٥﴾

تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا: تُخبِرُ الأرضُ بما عُمِلَ عليها.

• هذه الأرض التي تدِبُّ عليها ستشهد يوم القيامة بما فعَلتَ، وستُخبِر عمَّا اجترحتَ وصنَعتَ، فراقب حركتَك فوقها، فالمرء مجزيٌّ بعمله.

• إنه تصويرٌ دقيق بديع لحال البشَر يوم تضطربُ الأرض وترتجُّ بعُنف؛ كلٌّ يصرخ فزِعًا مدهوشًا: ما لها، ما لها؟ ويأتي الجوابُ بمزيدٍ من الرعب والهلع: إن الله قد أوحى لها؛ أن تحدِّث عمَّا فعله الناس على ظهرها من خيرٍ وشرٍّ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ٦﴾

• مهما كتمتَ من معاصيك، ومهما أسررتَ من الذنوب والآثام، فيوشك أن تراها رأيَ العين جهارًا نهارًا منشورةً على رؤوس الأشهاد، لا يخفى منها خافية!

• احذر أيها المسلمُ أن تأتيَ ما لا يُرضي ربَّك؛ فإنَّ عملك إمَّا أن يمضيَ بك إلى بهجة النعيم، وإمَّا أن يهويَ بك في أعماق الجحيم.

• وجِّه عنايتَك إلى ما ستراه في صحيفتِك، واتَّقِ أن ترى فيها ما تُشيح عنه بوجهِك، فشتَّان ما بين مسرورٍ بكتابه، ومَن يجعله وراء ظهره.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ٨﴾

• قال بعض السَّلف: من عدَّ كلامَه من عمله الذي سيراه يومَ الحساب، قلَّ كلامُه فيما لا ينفعُه ويثقِّل ميزانَه بالحسنات.

• على المرء ألَّا يستهينَ بخير عمله مهما كان صغيرا، وألَّا يستهينَ بشرِّ عمله مهما كان حقيرا، فإن محُقَّرات الذنوب لا تزال تجتمعُ على الرجل حتى تُهلكه.

• عن عائشة ﵂ أنَّ سائلًا أتاها وعندها سلَّةٌ من عِنَب، فأخذت حبَّةً فأعطته، فقيل لها في ذلك! فقالت: هذه أثقلُ من ذَرٍّ كثير، ثم قرأت: {فمَن يعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يَرَه}.

• إيَّاك أن تستقِلَّ من العمل شيئًا (تراه قليلًا)؛ فإنَّ امرأةً دخلت النارَ في هِرَّةٍ حبسَتها ولم تُطعمها، وإنَّ امرأةً دخلت الجنَّةَ في كلبٍ سقَته.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ٥﴾

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا: قسَمٌ بالخيلِ الجاريةِ في سَبيلِ الله، حينَ يظهرُ صَوتُها من سُرعةِ عَدْوِها.

فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا: فالموقِداتِ بحَوافِرِها النَّارَ من شِدَّةِ عَدْوِها.

فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا: فالخَيلِ الَّتي تُغيرُ وتُباغِتُ العَدُوَّ صَباحًا.

فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا: فتوَسَّطْنَ برُكبانِهِنَّ جُموعَ الأعداء.

• أقسم الله بالخيل لِما لها من خِصالٍ حميدة؛ تنويهًا بشأنها، وإعلاءً لقدرها، وقد قال ﷺ: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة».

• في هذا القسَم بالخيل بصفاتها وأعمالها حثٌّ للمسلمين ليُعنَوا باقتنائها وتدريبها على الكرِّ والفرِّ، وليَحملوا أنفسَهم على الفروسيَّة والإغارة بها.

• جمعَت الأقسامُ في مطلع السُّورة أُسسَ النجاح وهي: المسارعة إلى الطَّاعات، والقوَّة في الدِّين، والاهتمام بالبُكور، والجرأة والاقتحام.

• ذروة سَنام الإسلام الجهادُ في سبيل الله، وإذا كانت الخيلُ من أدوات الجهاد يومئذٍ، فينبغي علينا اليوم أن نُعدَّ من حديث الوسائل قوَّةً نحمي بها حوزةَ الدِّين.

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ (٦) وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ (٧) وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ (٨) ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ (٩)
وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ (١١)

الحزب ٦٠

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡقَارِعَةُ (١) مَا ٱلۡقَارِعَةُ (٢) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ (٣) يَوۡمَ
يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ (٤) وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ
كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ (٦) فَهُوَ فِي
عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ (٧) وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ (٨) فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ
(٩) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ (١٠) نَارٌ حَامِيَةُۢ (١١)

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٣) ثُمَّ
كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ (٦)
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ (٨)

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ (٦) وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ (٧) ﴾

• قال الفُضيل بن عياض: (الكنود هو من أنسته الخَصلةُ الواحدة من الإساءة الخصالَ الكثيرة من الإحسان). فكن لله شكورا، ولا تكن كفورا.

• أيها الإنسانُ إنك مغمورٌ بألطاف ربِّك، ولا غِنى لك عن أفضاله طرفةَ عين، فلا تجعل من عُقوقك وفسوقِك، شاهدًا على جُحودك وكنودِك.

﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ (٨) ﴾

• حبُّ المال غريزةٌ مركوزة في جِبِلَّة الإنسان، تقبُح حينما يقدِّم العبد شهوات نفسه على حقِّ ربِّه، فاحذر أن يُطغيَك حبُّ المال ويُودي بك في هُوَّة الجحود.

• قال ﷺ: «ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكنِّي أخشى أن تُبسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطت على مَن كان قبلَكم، فتنافَسوها كما تنافَسوها، وتُهلِكَكم كما أهلكتهم». فتأمَّل يا رعاكَ الله.

﴿ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ (٩) ﴾

• مشهد البعثِ والحشر يصرفُ القلبَ عن إيثار الدنيا، وتعلُّقِ الآمال بالأموال، لتتعلَّق بما هو خيرٌ وأبقى، فلنحرص على استحضاره دومًا.

﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ (١٠) ﴾

• لولا البواعثُ في القلوب والإرادات، لما حصلت أفعالُ الجوارح، فلنعتنِ بقلوبنا؛ لتكونَ رائدنا إلى الطَّاعات، قبل أن يُكشف عمَّا فيها من سَوءات.

﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ (١١) ﴾

• أين تفرُّ أيها العبدُ من الخبير بحركاتِك، العليم بسَكناتِك، المحيط بسرِّك وعلانيتِك؟ هلَّا اتَّخذت إلى رضاه سبيلًا!

سُورَةُ القَارِعَةِ

﴿ ٱلۡقَارِعَةُ (١) مَا ٱلۡقَارِعَةُ (٢) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ (٣) ﴾

• يا له من افتتاح مخيف، يشوِّق النفسَ إلى معرفة ما سيُخبر الله عنه، فأعِرهُ سمعَك باهتمام، عساه يؤثِّر فيك وينفعُك.

﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ (٤) ﴾

• الناس في موقف الحشر في حَيرة الفَراش التي تتهافتُ على الهلاك، وهي لا تملك لنفسها وِجهةً، ولا تعرف لها هدفًا، فأعظِم به من فزع!

﴿ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ (٥) ﴾

• هذا حالُ الجبال العظيمة عند سماع القارعة؛ {وبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا، فكانت هَباءً مُنبَثًّا} فكيف بحال البشر؟ فالويلُ لمَن لم تتداركه رحمةُ الله!

• لا تغترَّ بقوَّتك وعُنفوانك، فإنَّ الجبال الشامخة الصَّلدة تغدو كصُوفٍ منفوش تطيِّره أضعفُ النسَمات! فالزَم التواضعَ تسلَم.

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ (٧) ﴾

• إذا أردتَ أن ترجَحَ كِفَّةُ حسناتك فعليك بالصَّالحات، والاجتهاد في الطَّاعات، واستجماع الإرادة والعزيمة، ومدافعة هوى النفس.

﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ (٨) فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ (٩) ﴾

فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ: فمأواه جهنَّمُ يَهوي على رأسه فيها.

• إنما خفَّت موازينُ من خفَّت موازينُه باتِّباعهم الباطلَ في الدنيا، وحُقَّ لميزانٍ يوضَع فيه الباطلُ أن يكونَ خفيفًا.

• كثيرًا ما كنتَ تجد الأمنَ والسَّكينة حين تأوي إلى صدر أمِّك، فاليوم مأواك أمٌّ غير رؤوم، ومَلاذك قلبٌ غير حنون؛ إنها نار تلظَّى، أجارنا الله من عذابها.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ (١٠) نَارٌ حَامِيَةُۢ (١١) ﴾

• إنَّ نار الدنيا إذا انتشرَت في مكانٍ لم تذَرهُ إلَّا كالرَّميم، فما بالك بنارٍ أكل بعضُها بعضًا حتى اشتكت إلى ربِّها؟!

• أرأيتَ إلى نار الدنيا التي تخشاها وتتَّقي حرَّها، ما هي إلا جزءٌ من سبعين جزءًا من نار الآخرة، فأيُّهما أولى بالاتِّقاء؟!

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ (٢) ﴾

• لا يزال المرء يتمادى في التكاثُر والتفاخُر حتى يحلَّ الأجل، فيقطعَ الأملَ، ولا ينفع حينئذٍ إلا حُسن العملِ.

﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٤) ﴾

• لو أنهم علموا علمًا صحيحًا لعقلوا حقيقةَ الحياة الدنيا، وأنها عرَضٌ زائل، فتركوا التعلُّقَ بزَخارفها، والاستكثارَ من متاعها.

﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ (٥) ﴾

عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ: حَقَّ العِلم.

• قد لا يكفي العلمُ بقُبح الشَّيء لتركه، حتى يرتقيَ إلى علم اليقين، فيغدوَ حقيقةً مُسفرةً تضيء للمرء الطريقَ القويم، فلا يغترُّ بدنيا ولا بكثرة مال وولد.

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ (٧) ﴾

عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ: يقينًا بلا ريب.

• حين ترون جهنَّم رأيَ العين {يومئذٍ يتذكَّرُ الإنسانُ وأنَّى له الذِّكرى} فقدِّم لآخرتك قبلَ أن تعضَّ أصابعَ النَّدامة وتقول: {يا ليتَني قدَّمتُ لحياتي}.

﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ (٨) ﴾

• ما من نعيمٍ آتاك الله إيَّاه إلَّا وستُسأل عنه؛ من عمرٍ وشبابٍ وصحَّةٍ ومال، فيا خيبةَ مَن لم يقم لله بحقِّ شُكره.

• إن الله لا يُعاقب عبادَه على ما آتاهم من نعيم، وإنما يعاقبهم على ما فرَّطوا به من شُكرٍ بترك المأمور، واقتراف المحذور.

• المؤمن المطيع يُسأل سؤالَ تكريم وتشريف، والعاصي يُسأل سؤالَ توبيخ وتخويف، وشتَّانَ ما بينهما!

سُورَةُ العَصْرِ

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢﴾

• خصَّ الله العصر بالقسَم لأهميَّة الصلاة فيه، فهي الصلاةُ الوسطى التي نوَّه بها في قوله: {حافِظُوا على الصَّلَواتِ والصَّلاةِ الوُسطَى وقُومُوا للهِ قانِتِين}.

• أجل والله، إنك لفي نقصٍ وخُسرٍ أيها الإنسانُ، ما أضعتَ عمرَك في اللهو والعصيان، فأدرك نفسَك قبل أن يَفجَأكَ الأجل، ولاتَ حين مندَم!

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾

• بالإيمان والعمل الصَّالح يرتقي الإنسانُ بنفسه، وبالتَّواصي بالحقِّ والصبر يرتقي بغيره، وباجتماع الأربعة يسلَم من الخَسار، ويظفر بالثِّمار.

• لا يقتصر نفعُ المؤمن على نفسه، ولكنَّه يعمُّ أهلَه وإخوانه والآخرين، فهو كدَوحةٍ وارفة الظلِّ يتفيَّأ بها كلُّ عابر، ويأكل من ثمرها.

• في الأمر بالتَّواصي إرساخٌ لضرورة اجتماع أهل الإيمان على البرِّ والتقوى، {واصبِر نفسَكَ معَ الَّذينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بالغَداةِ والعَشِيِّ يُريدُونَ وَجهَه}.

• التَّواصي بالحقِّ يقتضي أن تحرِصَ على صُحبة الأخيار؛ امتثالًا لأمر النبيِّ الهادي ﷺ: «لا تُصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامَك إلا تقي».

• قال الشافعيُّ رحمه الله: (لو ما أنزل الله على عباده حُجَّةً إلَّا هذه السُّورة لكفَتهُم).

سُورَةُ الهُمَزَةِ

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾

• ليس المسلم بلعَّانٍ ولا طعَّانٍ ولا فاحشٍ ولا بذيء، فلا يسخرُ من الآخرين في حضرتهم ولا في غَيبتهم، ولا يؤذي أحدًا من خلق الله تعالى.

• يا له من تهديدٍ ووعيد لمَن أطلق العِنانَ للسانه في ذمِّ الناس وتتبُّع عَوراتهم، هلَّا اشتغل بعيوب نفسِه عن عيوبهم!

﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢﴾

• حبُّ المال والاستكثار منه يُفضي إلى الضنِّ به والإمساك عن إنفاقه، وعدم المبالاة بجمعه من حلالٍ أو حرام! فإيَّاك أن تسمحَ له بالتسرُّب إلى فؤادك.

• قال محمَّد بن كعب القُرَظي: {الذي جمعَ مالًا وعدَّدَه}؛ ألهاه مالُه بالنهار يجمع هذا إلى هذا، فإذا كان الليلُ نام كأنه جيفةٌ مُنتِنة، فمتى يقوم بحقِّ الله عليه؟

﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣﴾

• من علامات الغفلة أن يتوهَّمَ المرء أنَّ ماله هو الذي يُبقيه عزيزًا في قومه ذا مكانة رفيعة. ولو عقَل لأدرك أنَّ المال بلا أخلاقٍ كالجسد بلا روح.

﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤﴾

ٱلۡحُطَمَةِ: النَّارِ التي تهشِمُ وتَحطِمُ كلَّ ما يُلقى فيها.

• لمَّا كان الغرور والكِبْر هما الدافعَ إلى السُّخريَّة والاستهزاء كان الجزاء من جنس العمل؛ طرحٌ عنيف يَحطِمُ أضلاعَ الساخرين وأطرافهم، ويُذلُّهم إذلالًا.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧﴾

تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ: تنفُذُ لشِدَّتِها من أجسامهم إلى قُلوبهم.

• إنها نارُ الله الموقدةُ للعذاب، المخلوقة للتأديب والعقاب، نارٌ فذَّة لا نظيرَ لها، ولا شبيهَ للهيبِها، شديدةُ السَّعير، لا تخمُد أبدًا.

﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾

فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ: يُعذَّبونَ في أعمدةٍ طَويلةٍ منَ النَّار، أو إنَّ أبوابَ جهنَّم مُغلَقةٌ بأعمِدةٍ مُمَدَّدة؛ لِئلَّا يَخرُجوا منها.

• ألا تعتبرُ أيها المسلمُ بهذا المشهَد المُفزع من مشاهد القيامة؛ يوم تُطبِق النارُ على المتجبِّرين وتغلَّق عليهم أبوابُها، لا مَنجى لهم منها ولا خلاص؟!

سُورَةُ الفِيلِ

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢﴾

• كلُّ مَن أراد الحقَّ بسوء فإنَّ الله تعالى يجعل كيدَه في نحره، وسعيَه إلى خُسرانٍ وتَباب؛ {إنَّهُم يَكِيدُونَ كَيدًا، وأَكِيدُ كَيدًا}.



الجزء الثلاثون — سورة العصر

سُورَةُ العَصۡرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩

سُورَةُ الفِيلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥

٦٠١

• يا خيبةَ مَن يظنُّ اللهَ غافلًا عن كيده وتربُّصه بالآخرين! إنَّ الله لفاضحُه ومُذلُّه، وها هم أولاءِ أصحابُ الفيل غدا كيدُهم عارًا عليهم إلى يوم الدِّين.

﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾

أَبَابِيلَ: جماعاتٍ مُتتابِعة.

سِجِّيلٖ: طِينٍ مُتحجِّر.

كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ: كأوراقِ الزَّرعِ اليابسةِ التي أكلَتها البَهائِمُ ثمَّ رَمَتْ بها.

• أبرَهةُ وجنوده ملؤوا الدنيا غطرسةً وعُتوًّا، فأهلكهم الله بأضعف جُنده؛ بجماعاتٍ من الطَّير رمتهُم بطينٍ يابس؛ {وما يَعلَمُ جُنودَ رَبِّكَ إلَّا هُوَ}.

• من سُنن الله الماضية في خَلقه أنَّ عاقبة المتجبِّرين المحادِّين لله ورسوله إلى غاية الإزراء والتحقير، أولَم ترَوا أصحابَ الفيل كيف تقطَّعت أجسادُهم وتفرَّقت كتفرُّق أجزاء الرَّوث؟!

• إنَّ مكر الله محيطٌ بالكافرين المعاندين، وإنَّ عقابه لآتيهم من حيثُ لا يحتسِبون؛ {أفأمِنوا مَكرَ اللهِ فلا يَأمَنُ مَكرَ اللهِ إلَّا القومُ الخاسِرون}.

سورة قريش

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ
٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم
مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤

سورة الماعون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ
ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ
لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ
٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧

سورة الكوثر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣

٦٠٢

سورة قريش

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢﴾

• إذا كان ائتلافُ مشركي قريشٍ في رحلتَي اليمن والشَّام نعمةً من الله تستوجب الشُّكر؛ أفلسنا معشرَ المسلمين أولى بشُكر الله على كثير نعمائه؟

• جعل الله لقريشٍ المهابةَ والعزَّة بين العرب؛ لائتلافها على أمرٍ سواء من مصالح دُنياها، وإنَّ كُلَّ اجتماعٍ وائتلافٍ يُعقِب خيرًا ونُجحًا.

﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣﴾

• قال ابنُ عبَّاس: (أُمروا أن يألفوا عبادةَ ربِّ هذا البيتِ كإلفِهم رحلةَ الشِّتاء والصَّيف)، في كلِّ مكانٍ، وكلِّ زمانٍ.

• أنعِم بها من شريعةٍ توازن بين حوائج الدنيا والآخرة، فلا تمنع الأخذَ بأسباب العيش الرَّغد، ولكنَّها تحثُّ على شكر المنعِم والاعتراف دومًا بفضله.

﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾

• لا ينعَم الإنسانُ ويسعَد إلا في ظلال هاتين النعمتَين العظيمتَين: الرِّزق والأمن؛ فلا حياةَ مع الجوع، ولا طُمأنينةَ مع الخوف، وتمامُ النعمة باجتماعهما.

• نِعَمُ الله على عباده وَفرةٌ كثيرة، فإن لم يعبدوه لسائرها فليعبُدوه لأعظم نعمتَين ظاهرتَين؛ الطعام والأمن.

سورة الماعون

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١﴾

• التكذيب بيوم الحساب والجزاء والغفلةُ عنه، يُميت في القلب الخشيةَ من الله والرحمةَ للخلق؛ إذ لا يرقُب صاحبُه ثوابًا ولا عقابًا!

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣﴾

• دَيدَنُ المكذِّبين بالجزاء، الغِلظةُ والجفاء، فمَن ضيَّع حقَّ الله تعالى كان لحقوق العباد أضيَع، فأنَّى له أن يرحمَ اليتيم، أو يرأف بالمسكين؟!

• مَن لم تهتزَّ نفسُه بالرحمة لحال اليتيم الضعيف والمسكين البئيس، فلأيِّ شيءٍ تهتزُّ؟ فلنستحضر جميعًا قولَ نبيِّنا ﷺ: «الراحمونَ يرحَمُهم الرَّحمن، ارحَموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السَّماء».

• عجبًا لمَن لا يكتفي بترك مواساة الضُّعفاء حتى يحثَّ غيرَه على جفائهم وحِرمانهم؛ {الَّذين يَبخَلُونَ ويأمُرُونَ النَّاسَ بالبُخلِ}.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾

• أيها الغافلُ اللاهي عن صلاته، انتبه فإنَّ الخَطْبَ جَلَل، والوَيلُ لكلِّ مستهينٍ بالصلاة عمادِ الدِّين، فهلَّا أدركتَ نفسَك قبل أن يسبقَ الأجَل!

• هذا جزاء مَن فرَّط في صلاته بتأخيرها عن وقتها، أو قصَّر في أدائها على وجهها، فما ظنُّكم بمَن تركها بتَّةً ولم ينهض لها؟!

• ما أعظمَ الصلاةَ وأرفعَ منزلتَها! بالمحافظة عليها يعرُجُ الإنسانُ إلى أرقى مراتب الجِنان، وبالتنكُّر لها يهوي إلى أسفل وادٍ في جهنَّم.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦﴾

• مِن عمى البصيرة وانتكاس الفِطرة أن يصرفَ الرجلُ حقَّ الله لسواه من البشَر، ويمنع البشَرَ حقَّهم من البِرِّ والرحمة!

• أيها المسلمُ تبصَّر بقول نبيِّك ﷺ: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّركَ الأصغر، قالوا: وما الشِّركُ الأصغرُ يا رسولَ الله؟ قال: الرِّياء» فإيَّاك وإيَّاه.

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾

• حتى بإعارة ما يُنتفَع به ثم يُرَدُّ إليهم من رخيص المتاع يبخلون، أفيُرتجى منهم البذلُ لفقيرٍ أو محتاج؟! ما أصغرَها من نفوس!

• لا تحتقر أيَّ معروفٍ مهما صغُر، وعوِّد نفسَك البذلَ والعطاء، فإنَّ منع الماعون من صفات المنافقين الأشقياء، فاربأ بنفسِك أن تشابهَهم.

سورة الكوثر

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾

• إذا كانت المآدبُ على قدر الآدِب، فما ظنُّكم بهديَّة الربِّ الكريم ذي الفضل الواسع والعطاء الوافر لسيِّد أنبيائه وأحبِّ الخلق إليه؟

• لمَّا سُئلت أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها عن الكوثر قالت: (هو نهر أُعطيه نبيُّكم ﷺ، شاطئاه عليه دُرٌّ مجوَّف، آنيتُه كعدد النجوم).

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾

• في هاتين العبادتين العظيمتين؛ الصلاة والنحر، يتجلَّى الخضوعُ لله تعالى والشَّفَقة على خَلقه بأظهر صورهما، فاللَّهُمَّ اجعلنا خاضعين لك محسنين إلى خلقك.

• الصلاة خضوعُ القلب والجوارح لله، والنحرُ تقرُّب إلى الله بأفضل ما عند العبد من أنعام، ولذلك قرَن بينهما في بيان كمال العبوديَّة.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾

• كما تكفَّل الله بإفاضة النِّعَم على سيِّد خلقه في أوَّل السورة، تكفَّل أخيرًا بالدفع عنه والذبِّ عن عِرضه، فالله تعالى هو الأوَّل والآخِر، فلا تعلَّق قلبَك إلا به.

• الأبتر حقًّا ليس مَن لا عَقِبَ له من الذريَّة، ولكنَّ الأبتر مَن لا عَقِبَ له من الخيريَّة، فلا تفرح بكثرة الولد، ما لم تحرِص على صلاح القول والعمل.

• محبَّة رسول الله ﷺ سببٌ عظيم لأن تكونَ موصولًا بخيرَي الدنيا والآخرة، فإيَّاك أن تقطعَ حبالَ الوصل بينك وبين محبَّتِه، واتِّباع شرعه وهَديِه.

الجزء الثلاثون — سورة الكافرون

سورة الكافرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ٦

سورة النصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ٣

سورة المسد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ٤
فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ٥

٦٠٣

سُورَةُ الكَافِرُون

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢﴾

• قال ابنُ عبَّاس ﷺ: ليس في القرآن أشدُّ غيظًا لإبليسَ من سورة الكافرون؛ لأنها توحيدٌ خالص، وبراءةٌ من الشِّرك.

• كن صريحًا في نصرة الحقِّ، جريئًا في ردِّ الباطل، ولا تخشَ في الله لومةَ لائم، واجعل شعارك في الحياة: لا للمُداهنة؛ {وَدُّوا لو تُدهِنُ فيُدهِنُون}.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥﴾

• أهلُ الباطل لا يقتدون بأوامرِ الله وشرعِه، لا في الحال ولا في الاستقبال، فهم مصرُّون أبدًا على الغيِّ والضَّلال، فلا تَلِن لهم ولا تُدارِهم.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ٦﴾

• ليس في هذا إقرارٌ لهم على كفرهم؛ ولكنَّه بيانٌ أنَّ الإسلام لا ينبغي أن يُشابَ بكفر؛ {وَمَن يَبتَغِ غيرَ الإسلامِ دِينًا فلن يُقبَلَ منه وهوَ في الآخِرةِ مِنَ الخاسِرين}.

• مُفاصلة أهل الكفر والفجور في المسمَّيات الشرعيَّة ضرورةٌ حتميَّة؛ لئلَّا يلتبسَ الحقُّ بالباطل، والهدى بالضَّلال، والإسلام بالكفر.

• لا حرجَ مِن التعامل مع غير المسلمين برفقٍ ولِين، على ألَّا يكونوا محاربين، ولدين الله مُعادين؛ {وجادِلهُم بالَّتي هيَ أحسَنُ إنَّ رَبَّكَ هوَ أعلَمُ بمَن ضَلَّ عن سَبيلِهِ وهوَ أعلَمُ بالمُهتَدين}.

• إنها المفاصلة التامَّة مع أهل الكفر؛ فلا تنازلَ عن العقيدة وثوابت الشَّرع، ولو كان تحت شعارات: تقارُب الأديان، وحوار الحضارات، واللُّحمة الوطنيَّة.

سُورَةُ النَّصر

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ١﴾

• ما أعظمَه من نصرٍ لنبيِّنا ﷺ بفضل الملك العظيم، وإن كلَّ من اتَّبع هَديه وصبر على الحقِّ وجاهد في سبيله، إنَّ الله ناصرُه نصرًا دونه كلُّ نصر.

• لمَّا أخلصوا في دعوتهم لله، ولم يكن لهم من غرَضٍ سوى إعلاء راية الله، جاءهم النصرُ من الله كفَلق الصُّبح، يُبهج قلوبهُم، ويُسعد أفئدتهم.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ٢﴾

• تعبيد الناس لربِّهم ودعوتهم إلى الهداية هما الهدفُ الأسمى الذي ينبغي أن يحيا له المسلم؛ (لأَنْ يهديَ الله بكَ رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النَّعَم).

• ما أحسنَ أن يقطِفَ المرء ثمرةَ جهاده وصبره، وذلك من تمام فضل الله على أوليائه، اللَّهُمَّ اجعلنا منهم؛ {قُل بفَضلِ اللهِ وبرَحمَتِهِ فبذلِكَ فليَفرَحُوا هو خيرٌ ممَّا يجمَعُون}.

• فلتطمئنَّ قلوبُ المؤمنين، فما بعد الضِّيق إلا الفرَج، وما بعد العُسر إلا اليُسر، وما بعد الاضطهاد إلا النصرُ العظيم، ولنا في سيرة سلفنا خيرُ مثال.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ٣﴾

• إذا كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم يؤمَر بالاستغفار، فما الظنُّ بغيره ممَّن دَيدنُه الزَّلَل والعصيان؟

• من أعظم التوفيق أن تُهدى إلى توبةٍ نصوحٍ واستغفارٍ صادق، لتَلقى ربَّك طاهرًا مطهَّرًا من كلِّ ذنب، راضيًا مرضيًّا.

• أكثِر أيها العبدُ من الاستغفار في كلِّ آن، خصوصًا في خواتيم المجالس؛ جَبرًا لما قد يَندُّ عنك من خطَلٍ وزلَل، واعترافًا بالعجز والفقر لله تعالى.

• التسبيح لله تنزيهٌ وطاعة، والاستغفار اعترافٌ بالذنب وبراءة، فاجمع بينهما يكتمِل قِوامُ دينك، وتفُز بالرِّضا والسعادة.

سُورَةُ المَسَد

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ١﴾

• لا ينفع المرءَ إلَّا عملُه، ومن بطَّأ به عملُه لم يُسرع به نسبُه، ولنا في أبي لَهَبٍ عبرة.

• في الدِّين لا مُداهنةَ ولا مماراة، ولكنَّها المفاصلة التامَّة مع أعداء الله، ولو كانوا من أقرب الأقربين.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣﴾

• في هذه الآية معجزةٌ لنبيِّنا ﷺ، فقد قطع القرآنُ بهلاك أبي لَهَب، ولو أنَّه أظهر الإسلامَ ولو مصانعةً لكذَّبه، ولكنَّه صدَّق القُرآنْ، بثباته على الكُفرانْ.

• سنَّة الله ماضيةٌ في الذين ظلموا؛ في الدنيا تَبابٌ وخُسرانْ، وفي الآخرة جحيمٌ ونيرانْ، أعاذنا الله من الخِذلانْ.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ٥﴾

• المعركة مع الباطل معركةُ كلِّ مسلم، من كبيرٍ وصغير وذكرٍ وأنثى، وعلى الجميع أن يتسلَّحوا بالإيمان في هذه المعركة المصيريَّة، فكلٌّ له عملٌ فيها.

• تُفاخر المرأة عادةً بما تُحلِّي به جِيدَها من ذهبٍ وفضَّة، فلتفخَر امرأةُ أبي لهَبٍ بطَوقٍ من ليفٍ خَشِن؛ إهانةً وإذلالًا، وإنه لمصيرُ كلِّ مَن تزيَّن بالباطل.

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣
وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ٤
وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِى
يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦

٦٠٤

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾

• اعلم أيها المسلمُ أن ربَّك متفرِّد في عَليائه وصفاته، ومنزَّهٌ عن كلِّ عيب ونقص، فأقبِل عليه بقلبك وعقلك، وسَله الهداية والثبات؟

• في أمر الله لنبيِّه ﷺ بأن يبيِّنَ للعالمين تفرُّدَه سبحانه في صفات الجلال والكمال، أمرٌ لكلِّ مسلم، وهو من أعظم الجهاد.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾

• الله وحدَه الصمدُ الكامل في صفات الشَّرف والعظمة، الذي يحتاج إليه جميع الخلائق ولا يحتاج إلى أحد، فبؤسًا لمَن جعل حاجاته عند سواه.

• هل يستحق الألوهيَّة مَن لم يتَّصف بالصَّمديَّة؟ فإن علمتَ أنه الأحدُ الصَّمد فأخلص له الطَّاعات، ولا تُشِب عملك بشائبة رياء ولا شرك.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣﴾

• بعض الافتراءات يجب ردُّها ونقضها ولو بدَت مُتهافتةً هزيلة؛ إحقاقًا للحقِّ، وإبطالًا للباطل، وإقامةً للحُجَّة.

• يا له من كذب وافتراء؛ أن يكونَ لله ولد! ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾!

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾

• كما يجب تنزيهُ الله عن كلِّ نقصٍ وعيب، يجب تنزيهُه عن أن يُماثلَه شيءٌ أو يشابهه، فلله تعالى المَثَل الأعلى.

• أبلغ الضَّلال أن تعظِّمَ عبدًا مخلوقًا ضعيفًا مآله إلى التراب، وتستغنيَ عن ربِّك الجليل الذي لا كُفْءَ له ولا مثيل.

سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾

ٱلْفَلَقِ: الصُّبح.

• أرأيتَ كيف جاءت الاستعاذةُ باسم الربِّ مضافًا إلى الفلق لتُناسبَ الموقف؟ إن ذلك يقتضي أن يُسألَ الله لكلِّ مطلوب باسمٍ يُناسبه من أسمائه الحسنى.

• إن القادر على إزالة ظُلُمات الليل الشديدة عن أرجاء العالم، لقادرٌ أن يدفعَ عمَّن يلوذ بجنابه، ويستعيذ بمقامه، كلَّ ما يخافه ويخشاه.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾

• خلق الله الخيرَ والشرَّ ابتلاءً لعباده وفتنة، ومن تمام فضله أنه علَّمهم سبُلَ النجاة من الشُّرور؛ بالتحصن بالأذكار والتعاويذ.

• من أكبر الخطأ الغفلةُ عن الأذكار، وتجاهلُ أنَّ الله يحفظنا بها من الشُّرور، قال ابن القيِّم: (حاجة العبد إلى المعوِّذات أشدُّ من حاجته إلى الطَّعام واللِّباس).

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣﴾

إِذَا وَقَبَ: إذا دخلَ ظلامُه وانتشر.

• مع إقبال الليل تنتشر الشياطين، فكان من السنَّة الاستعاذةُ بعد كلِّ صلاةٍ من ظُلمة الليل وما يكون فيه من ضُرٍّ وشرّ.

• يقولون: (الليلُ أخفى للوَيل) لأنَّ وقوع الشرِّ فيه أكثرُ، والتحرُّز منه أعسرُ، فاقتضى الاستعاذة منه بمَعاذ، وهل أعظمُ وأجلُّ من الله؟!

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾

• جعل الله الكفر والسِّحر قرينَين؛ ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ أعاذنا الله من السِّحر والسَّحَرة.

• الحاسد عدوُّ نعمة الله تعالى، وحسبُه ضلالًا وخِذلانًا أن الله أثبتَ له الشرَّ وأمرنا بالاستعاذة منه، كما أمرنا بالاستعاذة من الشيطان.

• حين تجيش نفسُ الحسود بالغلِّ، فإن تأثيرها قد يَنفُذ بإذن الله، فاتَّقوه بملازمة المعوِّذتين ودوام الذِّكر.

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾

• جرت عادةُ الناس إذا أصابتهم نازلةٌ أن يلجؤوا إلى أكابرهم وذوي السَّطوة فيهم؛ طلبًا للحماية والمعونة، أفلا نتوجَّه إلى ملِك الملوك بطلب العَوذ والملجأ؟

• لا يستهيننَّ أحدُكم بوساوس النفس، فكم من وَسوَسة انتهت بالمرء إلى أبعد الضَّلال، وذلك يقتضي الاستعاذة منها؛ تحصُّنًا بالله واعتصامًا به.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾

ٱلْخَنَّاسِ: الذي يهرُب ويختفي عندَ ذِكرِ الله.

• رُوي أن الشيطان جاثمٌ على قلب ابن آدم؛ فإذا ذكر اللهَ خنَس، وإذا غفَلَ وسوَس، فحريٌّ بنا أن نلزمَ الذِّكرَ باللسان والجَنان.

• إن الشيطان لا يمَلُّ ولا يسأمُ من الوسوسة والإفساد، فوجب على العبد ألَّا يفتُرَ لسانُه عن ذكر الله؛ وقايةً لنفسه من شروره.

• من مداخل الشيطان على بني الإنسان أنه لا يزالُ يوسوسُ في صدورهم بإثارة الشُّبُهات وتحريك الشكوك حتى يجنَحوا عن الإيمان، إلى دركات الكُفرانْ.

• ليس الخطر في الوَسواس بذاته، فإنَّ الشيطان لا يعدو في وسوسته الصُّدور، ولكن إن استقرَّ الوسواس في القلب أودى بصاحبه.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾

• من أبناء جنسنا من البشَر مَن هم شرٌّ مكانًا ووَسوسةً من شياطين الجنِّ، ألَا فاحذروا رِفاق السوء فإنهم أسُّ البلاء.

• قال قتادة: (إنَّ من الجنِّ شياطين، وإن من الإنس شياطين، فتعوَّذ بالله من شياطين الإنس والجنِّ).

الفهرس

رقم السورة	اسم السورة	الجــزء	التصنيف	عدد الآيات	رقم الصفحة
١٥	الحجر	الجزء الرابع عشر	مكيَّة	٩٩	٢٦٢
١٦	النحل	الجزء الرابع عشر	مكيَّة	١٢٨	٢٦٧
١٧	الإسراء	الجزء الخامس عشر	مدنيَّة	١١١	٢٨٢
١٨	الكهف	الجزء الخامس عشر	مدنيَّة	١١٠	٢٩٣
١٩	مريم	الجزء السادس عشر	مدنيَّة	٩٨	٣٠٥
٢٠	طه	الجزء السادس عشر	مدنيَّة	١٣٥	٣١٢
٢١	الأنبياء	الجزء السابع عشر	مدنيَّة	١١٢	٣٢٢
٢٢	الحج	الجزء السابع عشر	مدنيَّة	٧٨	٣٣٢
٢٣	المؤمنون	الجزء الثامن عشر	مدنيَّة	١١٨	٣٤٢
٢٤	النور	الجزء الثامن عشر	مدنيَّة	٦٤	٣٥٠
٢٥	الفرقان	الجزء الثامن عشر	مدنيَّة	٧٧	٣٥٩
٢٦	الشعراء	الجزء التاسع عشر	مدنيَّة	٢٢٧	٣٦٧
٢٧	النمل	الجزء التاسع عشر	مدنيَّة	٩٣	٣٧٧
٢٨	القصص	الجزء العشرون	مدنيَّة	٨٨	٣٨٥
٢٩	العنكبوت	الجزء العشرون	مدنيَّة	٦٩	٣٩٦
٣٠	الروم	الجزء الحادي والعشرون	مدنيَّة	٦٠	٤٠٤
٣١	لقمان	الجزء الحادي والعشرون	مدنيَّة	٣٤	٤١١
٣٢	السجدة	الجزء الحادي والعشرون	مدنيَّة	٣٠	٤١٥
٣٣	الأحزاب	الجزء الحادي والعشرون	مدنيَّة	٧٣	٤١٨
٣٤	سبأ	الجزء الثاني والعشرون	مدنيَّة	٥٤	٤٢٨
٣٥	فاطر	الجزء الثاني والعشرون	مدنيَّة	٤٥	٤٣٤

رقم السورة	اسم السورة	الجــزء	التصنيف	عدد الآيات	رقم الصفحة
٣٦	يس	الجزء الثاني والعشرون	مدنيَّة	٨٣	٤٤٠
٣٧	الصافات	الجزء الثالث والعشرون	مدنيَّة	١٨١	٤٤٦
٣٨	ص	الجزء الثالث والعشرون	مدنيَّة	٨٨	٤٥٣
٣٩	الزمر	الجزء الثالث والعشرون	مدنيَّة	٧٥	٤٥٨
٤٠	غافر	الجزء الرابع والعشرون	مدنيَّة	٨٥	٤٦٧
٤١	فصلت	الجزء الرابع والعشرون	مدنيَّة	٥٤	٤٧٧
٤٢	الشورى	الجزء الخامس والعشرون	مدنيَّة	٥٣	٤٨٣
٤٣	الزخرف	الجزء الخامس والعشرون	مدنيَّة	٨٩	٤٨٩
٤٤	الدخان	الجزء الخامس والعشرون	مدنيَّة	٥٩	٤٩٦
٤٥	الجاثية	الجزء الخامس والعشرون	مدنيَّة	٣٧	٤٩٩
٤٦	الأحقاف	الجزء السادس والعشرون	مدنيَّة	٣٥	٥٠٢
٤٧	محمد	الجزء السادس والعشرون	مدنيَّة	٣٨	٥٠٧
٤٨	الفتح	الجزء السادس والعشرون	مدنيَّة	٢٩	٥١١
٤٩	الحجرات	الجزء السادس والعشرون	مدنيَّة	١٨	٥١٥
٥٠	ق	الجزء السادس والعشرون	مدنيَّة	٤٥	٥١٨
٥١	الذاريات	الجزء السادس والعشرون	مدنيَّة	٦٠	٥٢٠
٥٢	الطور	الجزء السابع والعشرون	مدنيَّة	٤٩	٥٢٣
٥٣	النجم	الجزء السابع والعشرون	مدنيَّة	٦٢	٥٢٦
٥٤	القمر	الجزء السابع والعشرون	مكيَّة	٥٥	٥٢٨
٥٥	الرحمن	الجزء السابع والعشرون	مدنيَّة	٧٨	٥٣١

رقم السورة	اسم السورة	الجـــزء	التصنيف	عدد الآيات	رقم الصفحة
٥٦	الواقعة	الجزء السابع والعشرون	مكيَّة	٩٦	٥٣٤
٥٧	الحديد	الجزء السابع والعشرون	مدنيَّة	٢٩	٥٣٧
٥٨	المجادلة	الجزء الثامن والعشرون	مدنيَّة	٢٢	٥٤٢
٥٩	الحشر	الجزء الثامن والعشرون	مدنيَّة	٢٤	٥٤٥
٦٠	الممتحنة	الجزء الثامن والعشرون	مدنيَّة	١٣	٥٤٩
٦١	الصف	الجزء الثامن والعشرون	مدنيَّة	١٤	٥٥١
٦٢	الجمعة	الجزء الثامن والعشرون	مدنيَّة	١١	٥٥٣
٦٣	المنافقون	الجزء الثامن والعشرون	مدنيَّة	١١	٥٥٤
٦٤	التغابن	الجزء الثامن والعشرون	مدنيَّة	١٨	٥٥٦
٦٥	الطلاق	الجزء الثامن والعشرون	مدنيَّة	١٢	٥٥٨
٦٦	التحريم	الجزء الثامن والعشرون	مدنيَّة	١٢	٥٦٠
٦٧	الملك	الجزء التاسع والعشرون	مكيَّة	٣٠	٥٦٢
٦٨	القلم	الجزء التاسع والعشرون	مكيَّة	٥٢	٥٦٤
٦٩	الحاقة	الجزء التاسع والعشرون	مكيَّة	٥٢	٥٦٦
٧٠	المعارج	الجزء التاسع والعشرون	مكيَّة	٤٤	٥٦٨
٧١	نوح	الجزء التاسع والعشرون	مكيَّة	٢٨	٥٧٠
٧٢	الجن	الجزء التاسع والعشرون	مكيَّة	٢٨	٥٧٢
٧٣	المزمل	الجزء التاسع والعشرون	مكيَّة	٢٠	٥٧٤
٧٤	المدثر	الجزء التاسع والعشرون	مكيَّة	٥٦	٥٧٥
٧٥	القيامة	الجزء التاسع والعشرون	مكيَّة	٤٠	٥٧٧
٧٦	الإنسان	الجزء التاسع والعشرون	مدنيَّة	٣١	٥٧٨

رقم السورة	اسم السورة	الجـــزء	التصنيف	عدد الآيات	رقم الصفحة
٧٧	المرسلات	الجزء التاسع والعشرون	مكيَّة	٥٠	٥٨٠
٧٨	النبأ	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٤٠	٥٨٢
٧٩	النازعات	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٤٦	٥٨٣
٨٠	عبس	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٤٢	٥٨٥
٨١	التكوير	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٢٩	٥٨٦
٨٢	الانفطار	الجزء الثلاثون	مكيَّة	١٩	٥٨٧
٨٣	المطففين	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٣٦	٥٨٧
٨٤	الانشقاق	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٢٥	٥٨٩
٨٥	البروج	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٢٢	٥٩٠
٨٦	الطارق	الجزء الثلاثون	مكيَّة	١٧	٥٩١
٨٧	الأعلى	الجزء الثلاثون	مكيَّة	١٩	٥٩١
٨٨	الغاشية	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٢٦	٥٩٢
٨٩	الفجر	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٣٠	٥٩٣
٩٠	البلد	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٢٠	٥٩٤
٩١	الشمس	الجزء الثلاثون	مكيَّة	١٥	٥٩٥
٩٢	الليل	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٢١	٥٩٥
٩٣	الضحى	الجزء الثلاثون	مكيَّة	١١	٥٩٦
٩٤	الشرح	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٨	٥٩٦
٩٥	التين	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٨	٥٩٧
٩٦	العلق	الجزء الثلاثون	مكيَّة	١٩	٥٩٧
٩٧	القدر	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٥	٥٩٨

رقم السورة	اسم السورة	الجـــزء	التصنيف	عدد الآيات	رقم الصفحة
٩٨	البينة	الجزء الثلاثون	مدنيَّة	٨	٥٩٨
٩٩	الزلزلة	الجزء الثلاثون	مدنيَّة	٨	٥٩٩
١٠٠	العاديات	الجزء الثلاثون	مكيَّة	١١	٥٩٩
١٠١	القارعة	الجزء الثلاثون	مكيَّة	١١	٦٠٠
١٠٢	التكاثر	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٨	٦٠٠
١٠٣	العصر	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٣	٦٠١
١٠٤	الهمزة	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٩	٦٠١
١٠٥	الفيل	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٥	٦٠١
١٠٦	قريش	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٤	٦٠٢
١٠٧	الماعون	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٧	٦٠٢
١٠٨	الكوثر	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٣	٦٠٢
١٠٩	الكافرون	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٦	٦٠٣
١١٠	النصر	الجزء الثلاثون	مدنيَّة	٣	٦٠٣
١١١	المسد	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٥	٦٠٣
١١٢	الإخلاص	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٤	٦٠٤
١١٣	الفلق	الجزء الثلاثون	مدنيَّة	٥	٦٠٤
١١٤	الناس	الجزء الثلاثون	مكيَّة	٦	٦٠٤